

الاجماع بالحياة



بهم

الجلوة الاولى من معركة فلسطين، وبمعد فترة النعمة والذهول والارتباك، بدأنا ننسب الاسباب الظاهرة لظاهرة:

— تلك الاجنبي لمساحات وافرة من ثروة العرب فسياستهم هي حتماً سياسته .

— تأثر الدول الاستعمارية وتأزرها لفرض وتدميم سيطرة شركائها واحتكاراتها في الشرق العربي، معركة فلسطين هي معركة البترول والاسواق التجارية . — جهل القادة العرب وانانيتهم وضعفهم وتعاونهم الخفي والظاهر مع الرأسمالية الدولية الاستعمارية وعملها . فالدول الاستعمارية التي جذبت فنون الاستعمار وانفتحت مهنة تسيير الجماهير وقيادة الجماعات زعرت الشرق بعالمها المستترين، وقد زلها في غد قريب تبدل قادة الساعة بنوعهم من الرجال المعارضين الذين لا يقفون تعلقاً بها من هؤلاء . وتحاذلاً .

فغير ان هذه الاسباب الظاهرة قد لا تشكل عناصر ايجابية لحل المعضلة . فن بواعث الامل وبما هو جدير بالملاحظة اننا بدأنا نتعسس في اعماقها بالاسباب الجوهرية والخفية للنكبة : — الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتأخر في الدول العربية : البداوة والاقطاعية والممكية الكبيرة والهجرة المالية المسيطرة والتي تستغل الوطنية والقومية بلوغ اهدافها . — وضع المرأة الجائر — الجهل المطبق ، فالمعرفة تحرر مجذ ذاتها . — الحس الديني الرجعي الذي يمنع في الغالبية الساحقة الى المنصب الطائفي التميم والى اقتباس الذات على نفسها والى التواكيفية والقدرية التي تقبّل في المجتمعات البدائية . فأول واجب علينا ان نتجرأ من هذه المعتقدات الجاهلية الجامدة كما نتجرأ منها الانجيل والقرآن وكل كتاب وكل رسالة . خطيئتنا الكبرى هي اننا نتطلع دائماً الى الماضي الذي جعلنا منه صنفاً فيشكل الاصنام الذي نتعبد .

لن نستطيع الشعوب العربية والشرقية ان تنهض وان تتخلص اذا لم ترتفع بالامل وتثوق بالثقة الى ما فوق الاوثان وما هو فوق المعتقدات والقوميات والتكتلات . والى ما هو فوق الذات بالماضي وآثاره وبالخصاصة العربية وتقليدها وتجديدها، والى ما هو فوق من التراث ومن الفلسفة والنزاع والعلل — لا يمتد الى الا لحيوي والاشراق ولولاهما انعم بها الله — وهذا الشيء هو الايمان بالحياة .

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

والايمان بالحياة هو الايمان بالتطور : قولوا بالتطور لما كانت الحياة . التطور على اطلاقه : تطور الكون والجماد والمادة الحية والانسان والجماعة بجميع عناصرها الروحية والمادية .

في نهاية حديث صغير في جامعة بيروت الاميركية اشترت الى « ان المجتمعات البشرية بقيت مدة آلاف السنين لا يتعدى تطورها مرحلة معينة : النظام القبلي ثم يتلوّه النظام الاقطاعي ويتلوّه نظام ارباب الحرف والملكية الصغيرة ، ثم تعود الحلقة الى النظام الاقطاعي وهكذا دواليك . . . واذا بالآلة وبالصناعة الحديثة وما رافقها من تغيير في المجتمع البشري — اهمه خلق المال — اذا بالآلة تحطم هذه الحلقة المفرغة ، فيشكل التطور البشري طارئة في سبيل بتول . واذ هناك سبق للمؤسسات الاقتصادية والاحوال الجماعة التكتينية على الانظمة الحقوقية والسياسية والاجتماعية القائمة ، واكثرها وليد القرون الوسطى وبعضها من مخلفات العصر الحجري .

« علينا ان نقبل بالآلة وبمستزماماتها العملية وان نتفهم اهداف تطوّر الآلة وتطور العنصر البشري ، وان ندخل بحرية في سياق هذا التطور ، مزدوين بالمعرفة وبالارادة فنهدم ما نتردد اليوم بهدمه — اي النظام الهجوازي الرأسمالي المختصر — ونبنى بيت الجماعة اي « البيت الذي تسكنه السادة البشرية » ! والا فتخلق الآلة مجتمعاً ودولة على شاكلتها هي اشبه بجلايا النحل منها بجمع بشرى . . . والا كما قال فانندي : « فلا فرق عندي بين عصر الفولاذ وبين عصر الحجر » . ان كلمة الساعة هي في لبنان (وفي البلدان العربية) وفي كل بلد من بلاد العالم : علينا ان نكون في مقدمة التطور فنصيرهم ويصير منا . . .

كمال جنبوط

منازل رلكه في باريس

بفلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

« لك يا منازل في القلوب منازل » .

نعم ولاهل الفكر في قلوب المعجبين منازل لا تقا في تأنيدها روعة عن منازل الاحباب . واي عجب في هذا فالامر امر يواضع على التجارب الحية العميقة اياً كان موضوعها . وآية ذلك عندي ، يا سلاوي ، انني ما ادخل مدينة كانت بها منازل لاعد من شيوخه الروحيين هؤلاء الا هلوت بها في خسر رهيب يواكب احساس عام بأنبل الذكريات ، وسعت في آثارهم انفسهم الطارة يبق بها كل ركن أووا اليه . ولا اكاد استشر فارقا بين حبي اليها وبين تعواني بمنازل قوامنا المشترك ، ايها الحبيب الناصم المينين . هكذا فعلت لما ان حججت الى وادي الانجادين وجليت بصصري الداهل في مشاهد نيشه بين سلاوي وسلاوي ، وهكذا ايضاً شعرت وانا اصاعد الى روية ترش نشداً للاخلاق المنبثة من روح فجر في تلك الجنة الناعمة قوب لوتسرن . ومن هنا بدأت افهم معاني الحج في الدين .

وفي باريس ، منازل من له في قلبي كل مقالة ؟

منازل ذلك التريب التشيكسي الذي كان خديج من تنفي بباريس لانه كان اشد الناس رهبة منها وفزعاً ، وفي الترهيب والرهبة كل معاني الاحساس الحلي . هنا التقت الروح الجرمانية بعرامة ترعتها الصوفية الموقفة في اتوبه الاسرار من وراء ضفاف المجهول ، مع روح المدنية اللاتينية بنصاعة اشراقها وقتعها الزاهر على سلع الحياة . وفي هذا التعارض العنيف يقوم المعنى العميق في تجربة رلكه Rilke الباريسية . ولا احسب في تبريع الالتقائات

الروحية في هذا الباب تجربة ابد دلالة من تجربة هذه الروح الملائكية ذات المينين الزرقاوين والشعور المجدولة والنظرة الحاملة في تردد بين آفاق الباطن وماويا الكون . فكأن من اصحاب الفن والفكر من الجرمان تلبثوا بباريس وكانت لهم فيها مقامات وحيات ، لكنهم لم يستطيعوا ان يتعمقوا تجربتها كما فعل رلكه . فالشاعر هنريش هينه Heinrich Heine كان فني مستأصلاً بحكم تاريخ الشعب « المختار » الذي ينسب اليه ، فكان في وسعه ان يهاجر الى اي مكان دون ان يشعر بذلك التوتر الناشئ من التعارض الحسب بين روحه وروح المكان . والموسيقي تشمرد فيجنر Wagner كان من البصية الموحدة لروحه الجرمانية بحيث لم تقو روحه على تمثيل عصبية اخرى ، لهذا غلقت نوافذ روحه دون اي تأثر وانفعال .

اما شاعرنا رلكه فقد كان جرماً صديقاً في جرمانيته ، لكنه كان في الوقت نفسه ذا قنقح لما عداها ، جناح عليه ان يتأثر غيرها . كيف لا وهو ينتسب الى تلك المدينة العالمية « فيناً » والى تلك الامبراطورية المتكونة من اخلاط متباعدة من العناصر والشعوب واللغات ، بيد ان هذا كله انما يعمل على السماح له بفتح نوافذه على الآفاق المعارضة دون ان يستحيل اليها : محاكاة او افناء . ومن هنا تنصب قنرات الخارج في هذا الباطن الزاخر بالممكنات فتعذبه ولا تقفذه او تؤفذه ، او عن رسالته الاصيله تنجيه او تنسيه .

لهذا كان التعارض في نفسية رلكه حصلاً الى ابد حد ، لانه

الحي العتيق .

ولكن الفتى لا يكاد يمي شيئاً مما يرى . فاعثم ان نفر
بمنف . هنا شمر بشقاة الطلاب المساكين الذين يكسحون بين
الجدران الكالحة تلك الغرف الزرية في هذه الفنادق ، بهذا راح
يصرخ قائلاً : « آه ! ما أظلم الاماسي في فنادق الطلاب الصغيرة
هذه ! » فنحن اليوم نزاع من شاعة هذه الغرف الضيقة التي تتنفس
رائحة شاذة لا استطيع وصفها ، والسقي لا يدري المرء لها مدخل
من مخج ، ولا يعرف اين يضع رأسه ، فوضع رأسه هو وضع
قدمه وكتبه ومأكله وملبسه ومطهى طعامه ! فسا بالاك بتلك
الغرف ايام رلكه ، حيث لم يكن الا صايح تتنفس غيوماً من
الدخان الغازي القاتل ، وحيث لا مياه جارية ولا وسيلة من
وسائل الراحة !

على ان دواعي النفور الخارجية لا تكاد تقارن بدواعيه
الباطنية التي يشعر المرء من جوارئها بذلك الجزع الكوني الذي
يحسه المرء وهو لأول مرة في التنا . مم روح مدينة مصادرة .
وليس هذا الجزع من نوع جزع المدن العالمية الذي يستولي على كل
من يدخلها اول ما يدخل اذا كان خصوصاً من اهل الريف .
فولسكه قد حي من قبل في مدينة لا تقل في عالميتها عن باريس ،
الارهي مدينة « فيثا » ، ولهذا فيجب ان نسقط هذا العامل في
حالتها هذه ، ونقتصر على عامل التعارض بين الروح الجوانية التي
عالمها الامسك والروح الانسانية التي تجسد في باريس . استمع اليه
يحذرك عن شاعره وهو لا يرض عليه غير خمسين يوماً ، وقد انتقل
من ذلك الفندق الوضيع الى شارع تولييه رقم ١١ الى فندق آخر
في شارع الآبيه دليه رقم ٣ Rue de l'Abbé De l'Épée ، هو فندق
نيفير Nevers ولا يزال قائماً عند ملتقى ذلك بشارع كلود برنار في
الحي اللاتيني ، تلوته صرة كابية تجمل طبقاته السبع . ولئن كان
لا يزال يمد في الحي ، حي الطلاب ، فهو على درجة من الترف ،
بل والانتافة . دخلته ذات مساء فسألت بوابة عن توريخ بنائه فلم
اظهر منها الا بقولها انه قديم يتجاوز قطعاً ما قبل هذا القرن ،
وان كثيراً هم يسألونها عنه طمعاً في استجداء رلكه به .
قال رلكه في رسالة الى ارتود هولتشر Arthur Holitscher :

« او تدري كيف ان باريس غريبة عني معادية لنفسي الى
غير نهاية ، هنالك مدن كبرى هي نفسها شقية حزينة لانها
كبيرة . وعبثاً تحاول ان تتسع ، فان حينئذ ضيقاً لا يلبث ان
يطويها على نفسها ، وضجيجها لا يخفئ النداء الباطن الذي يردد

ظل محتفظاً بذلك التوتر الحي الذي يسمح وحده بتوليد مركب
طريف يستمر في حركة ابداء ، بينا طغيان جانب على آخر يؤدي الى
الاستثمار ، وفي الاستثمار تقتل للتوتر . والمتبعب لتطور هذه
الدراما النفسية يشهد منها عجباً .

باريس في اواخر آب سنة ١٩٠٢ ، والصيف في وداع ينشر
القيظ الداكن بين ثنانيا اطر التزير ، ومحلة الشمال تستقبل هذا
الوافد يجوح خديه عدم الاكتراث وهموم المسافرين ومخاوف التوقع
المترجع بين الاعجاب والارهاب . والفتى من اهل العلم ، قد جاء
حاجباً الى منازل رودان Rodin الذي يحمل له كل اعجاب
ويريد ان يعقد به صلة حية . له ان يكتب عنه ما كلف به
من دراسة له ، فليعد الى حي العلم ، الى الحي اللاتيني ، وليتسع
بركنه الاقدس الى جوار السوربون . فقل في فندق أوروبا
Hôtel de l'Europe شارع تولييه Tollyer رقم ١١ ، بالطابق
الثالث او الرابع (لا يدري) ، لانه يجثى ان يجسبها ، كما قال
بعبارة خجول في رسالته الاولى الى زوجته كلارا .

قبة البانثيون الشاخة تحذب على الحالدن الراقدن في اقبائها ،
وقبة السوربون في شارع سان جاك St. Jacques ترف خضراء
ناصعة كأنها تاج من الزمرد ، او كأنها الجوى عامة شيخ من
نسل الرسول ، عليها وقار ومهابة (وليست ادري لماذا تذكرني
ياساوى ، بتلك العامة الضخمة الموضوعة على اركان قبة الشيخ يحيى
الدين بن عربي في ضريحه مجي محي الدين بدمشق . وبهذه المناسبة
اغريك زيارة هذا الضريح الذي كان له في نغسي ابلغ الاثر لما ان
زرت له لأول مرة ، وكان ذلك بعد ان تعارفنا وتلاقينا للمرة الاولى
في بلدك الحبيب . ومن يدري ! لملي قصدت من هذه الزيارة ان
تكون وسيلة لتحذ من ذلك الشيخ الجليل الماشق « ترجماناً
لاشواق » اليك بعد تلك اللقيا القصيرة ! ولملي كذلك شئت ان
تتخذ منه راءاً شقيقاً لفرمان الطاهر المشرب . ولا عجب فما اقرب
الشبه بين حاننا نحن وبين حاله هو ومعشوقته التي تقى بها في
ديوانه « ترجمان الاشواق » ! اعلى اني اطالت هنا الاستطراد ، وكل
ما ارجوه منك ان تبادري الى زيارة ضريح شفيقنا هذا وتلتئم
منه الحركة لعتقنا ، وما احسب باخلاً عليك بها ، ايها العذراء
الظهور !) . وهناك غير بعيد ناحية الغرب اشجار حديقة الاسكسبور
وقد بدأ الحريف يداعب اوراقها فيكسوها صفرة شاحبة في النهار
الضحيان . كلتا القبتين والحديقة ثالث مقدس في هذا

بذكر الموت ، الى حد يمكن ان يوصف بأنه غير سفر تقني بالموت : جزءاً منه واجلاً له . فلكل موته الخاص ، وان دلكه صحيح في ديوانه « القفو والموت » راجعاً من الله ان ينج كل انسان موته الخاص . ولكم يريمنيا في « صحائف ماتلي لوردز برجه » بتلك الانواع من الموت : موت الرجال الذين يحملون الموت في داخل نفوسهم سجيناً ، وموت النسوة الهرمات القزمات الثلاث اللواتي يستقبلن الموت على نحو فيه احتشام وتبيل ومن حولن الاسرة كلها اهلاً وحشياً ، وحيواناً منزلية ، وموت الاطفال الذين يوتون وفقاً لكانوا وما كانوا يصيرون ، ثم خصوصاً موت النسوة الحلييات اللواتي ترقدن اكفنهن على بطونهن الكبيرة التي تحمل ثغرتين : طفلاً وموتاً .

هنالك استثمر ولكه الحنين الى روسيا . لان هذه الصور القائقة الهيبة التي تترامى امامه في باريس تقزوه بشعور الاستسلام الصوفي المذعن للصغير ، وهو ما يتشثل في الروح الروسية بكل قوة . فكان عن هذا نداء الدم السلافي في روح ولكه وهو الذي كان فضف سلافي في تكوينه ومجلى آفاقه الروحية .

وزادت الايام توكيداً لمعنى الهبة الذي اشاعته بباريس في نفسه . فاليقله من الزمان الجمال فيها « على الرغم من خلود المشرق لا يكفي لخلق الآلام التي يصيبنا بها قسوة الطرقات واختلاطها ، والروح المصطنع للحدائق والاحياء . والاشياء . ان باريس تقرض على حاستي القلقه الواناً من القلق لا يبلغ مداها التعبير ، حتى ليخيل الى المرء انها ضالقة ، تندفم كأنها كوكب انخوف عن فلكه نحو خدمة هيبية . ولا بد ان المدن التي يتحدث عنها الكتاب المقدس كانت من هذا النوع ، تلك المدن التي كان يصاعد من ورائها غضب الله ليطش بها ويفنيها » (من رسالة الى اوتو مودرزون Otto Modersohn في يوم عيد سان سافسترسنة ١٩٠٢) .

لكن كان ثمة نور يلمع خلال هذا الضباب الريب الذي استثمره ولكه في باريس ، نور اعانه خلال مقامه الاول هذا الذي استمر من ٢٨ آب سنة ١٩٠٢ الى نهاية حزيران سنة ١٩٠٣ . ذلك الدور هو نور الزمن المشرق من فوق الزاوية المطلقة على وادي فلوري ، نور رودان Rodin في معبده مجيدون السذي حدثت عنه في رسالة سابقة .

اجل ، إن بالفن الخلاص ، حتى من جزع المدن الكهري .

عبر الرحمن بديوي

باريس

في غير انقطاع : ان المدينة الكبيرة امر مناسف للطبيعة . تلك حال بطرسبرج . لكن لباريس شأناً آخر . فباريس عابثة « مزينة بالمرايا » راضية عن نفسها الى غير نهاية ، سعيدة بالوان عظمتها وحقاقتها حتى لا تستطيع ان تنفي هي بين كلتيهما . يجوس خلال طرقاتها كائنات حية بدون ان تستطيع ان تفصل بين بعضهم وبعض . في الايام الاولى كنت القى مستشفيات في كل مكان : فن خلف الاشجار في كل الميادين العامة تقوم تلك الابنية الرتيبة ذوات البوابات الضخمة والابواب الجانبية المنسقة في الاسوار العالية المحيطة بها . وفي الواجبات تعرض تقييسات لاختب الامراض ، والصفحة تروي بطريقة مفوية جرائم هيبية ، لاجبة بتلك اللغة التي تقبل كل شي . والتي كان كلماتها هي الاحساسات نفسها . نعم ، كل شي . (هنا) لم يتعكس في الزمان اخرى من اللعب . آه ! كم كنت اشد على يدي واصك اسناني حيناً اشاهد الاشياء النادرة التي كنت اجدها متباينة ! ولم استثمر يوماً هذا المقدار الذي استثمره الآن من الحنين الى روسيا (رسالة في ١٧/١٠/١٩٠٢) .

في هذا الوصف الغائن اصدق تعبير عن مشاعر ولكه آنذاك امام بباريس . فهو يراما عابثة نجسية الزمة ، كأنها فتاة لعوب مجبة بنفسها ، وجهها دافقاً في مراتها ، فيها من النور والحياة . ما يزورها كل ما فيها على انه النموذج الاعلى والامثل في كل شي . مها يكن عظيماً او حقيراً ، بل لا معنى للحقارة والظلمة والنسبة اليها فهي تزع من كل ما فيها عظيم ، وما على المعايير الا ان تؤخذ منها ووصف ولكه هذا لا يزال صادقاً على باريس اليوم بالرغم مما اعترها من خطوب . فهذه الحيلة الفواعة تتوسمها في كل نبرة وكل حركة تصدر من اهليها ، وتسمم تطلق لسانها المنفتح المتباهي الى درجة تثير الابتسام العريض ، خصوصاً عند الطبقة المتوسطة .

واحاسس ولكه يعني الموت يطوف بارجاء باريس كان اشد الاحساس امتلاكاً لنفسه ، حتى انه يكد في بعض المواضع لا يصف بباريس او لا يجدها طابياً حقيراً الا في طابع الموت الذي ينيخ بكلالة على ما فيها . ولقد عبر عن هذا الاحساس ابليغ تعبير ، خصوصاً في الصفحات الاولى من رائته « صحائف ماتلي لوردز برجه » Aufzeichnungen des Malte Laurids Brigge ، وقال في اول استهلاله : « انا اذن يأتي الناس ليحيون؟ يجيل الى الاحرى ان ها هنا يموت المرء . خرجت . شاهدت مستشفيات . ورأيت رجلاً يتربع ويجر لوجهه » وهكذا يستمر في وصفه لشع الموت وهو يجبهه في كل مكان حتى لتفيض صفحات الكتاب كله

كتابان نافعاان

بقلم فؤاد صروف

كل

حضارة وكل نهضة وكل تحول اصيل في حياة الشعوب يرتد الى اصليين رئيسيين من اصول الحياة . اما الاول فهو الفكر الذي يصور الغايات التي تحدى اليها الركاك ، ومنه تنبع القوة المحركة ، واليه ترجع الآراء الفلسفية والعلمية والاجتماعية التي تقدم طرقاً كانت وعرة من قبل او غير مطروقة . فنظريات العلم الحديث في بناء المادة ، والتطور العضوي والآراء الاجتماعية الحديثة في الاشتراكية والنظم السياسية والاجتماعية هي التي افرغت عالماً الحديث في قسالبه المعهود . وهي جميعاً صدرت اولاً من المذهب الانساني ، ثم لم تلبث ان تقلعت في حياة الناس كل يوم . واساس الثاني فهو البيئة الاقتصادية والاجتماعية التي يعيش فيها الناس - فكل ما يحدث في هذه البيئة تغييراً اصيلاً فيها ، من اساليب الصناعة والزراعة والخلق في استغلال موارد الطبيعة ، ينمو الاحوال التي يعيش فيها الناس ، فيفضي بعد زمن طويل او قصير الى تغيير في آرائهم وافكارهم .

والعاملان متفاعلان ، فبحرث مكسويل الرياضية في الامواج الخفية التي تملأ الفضاء افضت بعد زمن الى جميع عجائب العصر الاسلكي ، وشيوع الراديو يفضي الى توثيق الصلة بين الناس ويفسح المجال لطغيان الدعاية خيراً كانت اوسراً : وارتفاع الصناعة الذي نشأ عن التقدم الحديث في علوم الطبيعة افضي الى كثير من الرخا . وارتفاع مستوى العيش وافضى الى كثير من التفاوت بين دخل طبقات مختلفة من الناس ، فافضى بدوره الى نظرية التفسير الاقتصادي للتاريخ والى المذاهب الاشتراكية المتعددة والمتطورة ، وقيام بعض الدول وطائفة من الحكومات على قواعد تلك المذاهب .

وهذه في مذهبي تولدة لا بد منها للبحث في الكتابين اللذين انوي اليوم ان انزه بها . اما الكتاب الاول فنحوه « ما اسداه

المسلمون الى علم الجغرافيا » ، وقد ألفه بالانجليزية عالم من علماء الهند اسمه نفيس احمد وطبع في مدينة لاهور بالهند ، واما الكتاب الثاني فنحوه « العربية السعودية » وقد ألفه مهندس امويكي يدعى ثويتشل وطبع في مطبعة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الامريكية . والكتابان كلاهما يتلان في رأي هاتين القوتين الحركيتين اللتين يحركهما اليها التطور الاجتماعي : قوة الفكر ، وقوة الارتقاء الاقتصادي .

والامة العربية اليوم تجوز فترة من حياتها ، لعلها لم تجز فترة الخطر منها شيئاً منذ قرون كثيرة . ففي صدرها تحتشد اليوم ذكريات ماض مجيد ، ومضي مستقبل باهر ، اما الاولى فتحتفز لتنبئ بلما اللاتية فكما الجليلين يتماثل في رحم امه ، وقد اخذته سورة الانطلاق حتى يخرج الى النور .

والامة العربية في هذه الفترة الخطيرة من حياتها ، تحتاج الى القوتين معاً ، قوة الفكر المبدع الذي يعين الغايات ويرسم الطويق ، وقوة الانتفاع بالموارد الاقتصادية ، حتى يستعين بها في حروب المرض والجهل والفاقة ، فتشب الامة في دور انعاشها ، سليمة البنيان .

وليس ثم ما هرا ادمى الى حذرهم الشباب من دراسة الماضي واستلهاهم عهده ، واستعجا . ماثر العقلاء من رجاله ومن سائمه . فقبل ألف سنة من الزمان عني عالم عراقي مقيم في مصر في زمن الحاكم بأمر الله ، بدراسة ظاهرة عجيبة من ظاهرات الطبيعة ، وهي ظاهرة ما اشيعا ، ولكنها مع ذلك هي كالسحرة لا يدرك سرها ، اعني ظاهرة الضوء . ولكن ابا الحسن ابن الهيثم كشف عن اسرارها ما جعله معلماً من معلمي النهضة الاوربية ، ونحن قد نقرأ كتبه اليوم فلا نتقنيا ما عجزه في المطولات الحديثة من علم الضوء . ولكن لا يفوتنا ولا ينبغي ان يفوتنا ان العقل الذي صنع ما صنعه ابن الهيثم بنمو وسائل البحث الحديثة واساليبه تستطيع عقول كثيرة ان

تجاريه اليوم ، في القاهرة وبغداد ودمشق وبعوت اذا اتجناها
الفرصة واحسنها حفزها وتوجيها .

وانا ارى في كتاب السيد نفيس احمد حافظاً من هذه الحوافز
الذهنية في المقام الاول ، وان كنت لا اغبطه بجمته الدلمية فقد جمع
في كتاب واحد ناحية من نواحي اهتمام العرب والمسلمين بالعلوم وكتبها
باللغة الانجليزية حتى يطالع عليها ابناؤ الامم العربية في العصر الحديث
فيدركون ان النهضة العربية ليست عاصفة في فنيان كما يقولون ،
وانما هي تجديد حضارة قديمة عالمية تتصل الدوافع اليها بأعمق القوى
التي تحرك النفوس .

فانا احب مثلاً ، ان ارى طلبة المدارس في الشرق العربي
يطالعون على آثار العرب في الجغرافية وهم يتدارسون في الكتب
الحديثة ، خطوط الطول والعرض واصواف القارات والبحار والانهار
ومحصولات البلدان المختلفة وطبائهم سكانها ، فكهم طالب من
الطلاب يعلم ان كتاب الجغرافيا الذي وضعه بطليموس ترجم
بالعربية غير مرة ، وقد كان من مترجمي حنين بن اسحق وثابت بن
قزوه الذي توفي اول القرن العاشر الميلادي . وان هذا الكتاب
هو الذي حفر الخوارزمي المشهور الى وضع كتابه صورة الارض ،
وان هذا الكتاب كان يحتوي على خريطة للعالم صنعها هو وتبعه
وستون عالماً ، استجابة لطالب الحليفة المأمون وتجميعه ، وقد
ظلت رسالة الخوارزمي تؤثر في العلماء من بعد حتى في يوم
متواليه ، وما قولك في كتاب المسالك والممالك لابن خردادبة
الذي ظهرت طبعة الاولى في اواسط القرن التاسع الميلادي وطواه
صاحبه على اول وصف لحواص سطح الارض ، فاعتمد عليه فيما
بعد ابن الفقيه وابن حوقل ، والمقدسي . اما الاصطخري فقد ألف
في اواسط القرن العاشر كتاب مسالك الممالك وهو غير المسالك والممالك
لاين خردادبة ، وصنع له خرائط بالالوان ، لكل بلد ذكره ،
اما معجم البلدان لياقوت الحموي فأشهر من ان يعرف .

ولو كان الغرض ان يحصي السائح ذكر الذين الفوا في
الجغرافية من المسلمين واصحاب الكتب التي ألفوها لاضاق الحديث
عنه ، ولا يقتصرون على كشف مسهب من الاعلام في الناحيتين ، ولكن
حسبنا ان نقول ان المسلمين اعتنوا كثيراً بوصف البلدان واستطلاع
الحقائق الطبيعية اللازمة لمعرفة الجغرافية ، وتركوا في ذلك تراثاً
ضخماً نفيساً . وقد كان تراثهم ملبهاً لمن جاء بعدهم من الباحثين
ومجرأ غنياً حافلاً بالحقائق والملاحظات ، غاص العلماء فيه
واستخرجوا منه نفاثه .

وقد كان بين الكتب الجغرافية القديمة التي وضعها العرب
كتابان وضعا عالم بني الحسن بن احمد الحماني المتوفي سنة
٩٥٤ ميلادية في سجن صنعاء ، وهذان الكتابان هما « الاكمل »
و« صفة جزيرة العرب » ويعدهما العلماء من ذخائر المعرفة عن الجزيرة
العربية قبل الاسلام وفي عهده الاول .

وقد جاء اليوم . ولف اميركي فوضع كتابه « العربية السعودية »
دون ان يعلم ذكر اليعن حتى يصح بشي . من التجاوز ان نطلق
عليه « صفة جزيرة العرب في القرن العشرين » : والمؤلف مهندس يهتم
بالتعدين على وجه خاص ولكن جلالة الملك عبد العزيز شرفه
بصداقته واتاح له ان يطوف في المملكة كيف شاء . حيث يؤذن
له ، واعتمد على التقارير التي رفعها اليه عن الموارد الطبيعية وافضل
الوسائل لاستغلالها . والانتفاع بها لتحسين حال الشعب وزيادة
مصادر رزقه .

والحياة في الصحراء صراع دائم في سبيل الرزق ونضال لا
يفترق غوائل العطش والجوع ، فذلك عني توينشل اول ما عني
بدراسة موارد الماء في الصحراء ، وغير الاساليب للانتفاع به في
الزراعة ، ثم عني ايضاً بتاجم المعادن ، واحتمل وجود الزيت قبل
ان يوجد فيها بضع سنوات ، ولكنه لم يقتصر على دراسة الموارد
الطبيعية والانتفاع بها ، بل ذكر صفة الارض وطبقاتها وطرق
اجلها وبقياتها ، وأخلاق شعبها وتنظيم ادارتها في حكم
آل سعود ، وغير ذلك من الموضوعات . وقد قسم كتابه ثلاثة
اقسام : القسم الاول يشتمل على الصفات التي تميز العربية السعودية ،
والثاني يصف نموا الاجتماعي والسياسي ، والثالث مآثر العربية
السعودية في الاقتصاد العالمي . فلم اكن متجنباً على الحماني حين
قلت انه يصح ان نطلق على كتاب توينشل « صفة جزيرة
العرب في القرن العشرين » .

واهم ما نلتبته في هذا الكتاب هو تأثير المشروعات الزراعية
الحديثة واستنباط الزيت في اقتصاد المملكة العربية السعودية ،
ولعل ابلغ مثل على المشروعات الزراعية مشروع الحرج المشهور .
وواحة الحرج تبعد ٥٦ ميلاً عن الرياض ومعدل ارتفاعها ١٥٠٠ قدم
فوق سطح البحر ، وفيها فجوتان عظيمتان قطر كل منهما ٣٠٠
قدم وعمقها ٢٢٠ قدم وفي الفجوتين مسا زلال يتسرب اليها من
ماء المطر بعد ان يتخلل الارض ، وقد ركب عليها مضخات قوية
تخرج للمرى ٧٠٠٠ جالون من الماء في الدقيقة ، وبنيت قناة من
الاسمنت المسلح طولها عشرة اميال فتروي ٣٠٠٠ فدان تفل اليوم

مقادير عجيبة من البرسيم والقمح والبطاطس والجوز والبصل
والبادنجان والبطيخ وغيرها .

وجلالة الملك عبد العزيز يقول : ما تم هنا يمكن ان يتم في
اماكن اخرى . فذلك ترى ان حصر موارد الماء ، وانشاء المنشآت
اللازمة للانتفاع بها في طليعة برامج العمل الذي تتولاه الحكومة
السعودية .

وهذه البرامج تشمل انشاء ميناءين صالحين في جده في الغرب ،
والنعم في الشرق ، وسكة حديدية بين ساحل الخليج الفارسي والرياض ،
واقامة محطات توليد الطاقة الكهربائية للاضاءة ورفع المياه الري
وتوريد المياه العذبة من وادي فاطمة الى جده واعداد المستشفيات
ونشر دور التعليم . والملك عبد العزيز يريد اصلاح الاقتصادى
فيدأب على توجيه الامراء ورجال الدولة اليه ويعينه في ذلك ما
يتقاضاه من شركة الزيت العربية الامريكية ، بعد ان ثبت ان
موارد المملكة العربية السعودية من الزيت تعد الآن في المرتبة
الحادية بين اهم الاراضى . والشركة حريصة ، حتى بعد تأدية
الائتمار ، على تلبية طلب جلالة الملك عبد العزيز والحكومة في كل
مشروع من مشروعات اصلاح ، فوجها لمحروصون اشد الحرص
على احترام استقلال البلاد ومعاونة حكومة جلالتهم ويعتقدون
ان كل عمل من هذا القبيل لا يتم له مزية النعم المتبادل ولا
يحمي القارئون بأهمه مبعاً صادقاً لكسب ثقة الشعب ومودته
واحترامه ، خليف ان تصف به عواصف الدهر ، وكذلك تم
الفائدة التي تعود على البلاد العربية من زيادة دخل اهله واثابة
العمل الشريف لآلاف من ابنائها وما يكسبونه من ضروب
جديدة من الخلق في العمل ، وتجنب الخوف من ان تصير هذه
المشروعات الضخمة ضرباً من ضروب الاستعمار الاقتصادى .

وفي تقدير المهندس ثوبتل ان ليس لمستقبل العربية السعودية
من الناحية الاقتصادية افق معروف ينتهي عنده .

واذن فنحن نرى في هذين الكتابين اشارة الى اصلين رئيسيين
من اصول الحياة والحضارة - اصل الفكر الممثل في ما اضافته العلماء
المسلمون الى الجغرافيا او قل الى العلوم ، واصل الموارد الاقتصادية
الوافرة في البلاد العربية وحسن استغلالها ، فاذا احسننا الانتفاع بما
يؤديه هذان الكتابان فقد قمضنا على زمام النجاح فيما نرؤ اليه من
تجديد حضارة كانت في عصرها مملكة الدنيا .

فؤاد صروف

القاهرة

انتصار الشيطان

اصطخب الليل بهدير العاصفة
وسرى في الحى عذيف الريح
وعم الفياج دنيا الشجر

ولاذت الأطيار بوكساتها
وقبعت الضواري في أوجارها
واستجارت السفن بشاطئ البحر

في تلك اللحظة الصاخبة
انطلقت العذراء من خدرها
فشقت الاكوان اطوار القمر

وركضت الى التل العبد
حيث يريض غول كسيد
وصاح لمرأسا : هذه ليلة العمر

ومد يده وانتزع غلاتها
وقذفها في النار يُدكي اوارها
وراحت العذراء ترقص رقص العنجر

وعند ان الكون السكون
وسمت الآئمة الى خدرها مع العنجر
انطلقت الغربان تجوب السماء
وكان الشيطان قد انتصر

بفراد فؤاد النورمادي

رسالة غرام

لم تكن هذه - قصة - وإغا هي إحدى مسرحيات الحياة الدنيا التي تصطرع فيها الشهوات وتتهرب فيها الفرائز الجنسية حرباً لا موادة فيها . وقد شاء القدر إن نقل فصولها في عدة جهات من ريف مصر ثم تنهب في محكمة الجنايات حيث اسدل الستار عليها .

كانت

تتمازج عن أترابها بحال ناز متقد كأنه الجفوة التي لا تتحد أبداً . فن قوام فارغ مبدأ ، يملؤه وجهه كأنه القمر الوليد ، إلى صدر مشرب ، إلى قوام دائم الحركة لا يبدأ أبداً ولا يقر له قرار ، رغم انحصار الواسي الذي ينوء بحمله . وكان ذلك يبدو واضحاً إذا سارت في القرية تحب في جلبابها الأزرق ، وكان ذلك أيضاً يبدو أكثر وضوحاً بل أعنف ثورة وطيشاً وهي عائدة من النهر تحمل جرتها يداعب التسم عطفها وتقري اعطافها الثوب المسكين الذي يرخه الشوق ويهفو للمها فتعبت الفتنة عبثا المرير .

وكان من الطبيعي ان تتكاثر الفراشات على ذلك المصباح النير وان تهاوت عليه ، وان يمدو كل من في قرية « شطورة » مركز طمطا سعياً إلى ذلك الضياء . ويتبنى ان يتزوج « آمنة » أحمد عبد الله » وان يظفرو بها في داره . ولكن شامت بعض الظروف التي

تربط الاسر في الصعيد يرباط الصداقة والود ان تكون آمنة من نصيب رجل تقدمت به السن بعض الشيء . هو « عبيد المبدئي علي » ضارب الطوب في قرية شطورة .

وسعد الرجل بزوجه الحسناء وداح ينهل من ذلك الرحيق العذب

ما وسعه ان ينهل . وكلما رشف رشقة من الشعر الرطيب الفاه احلى مما كان يتصور واذهب مما كان يظن . وعرف حقيقة ان لاهل القرية كانوا على حق حينما تهاوتوا على « آمنة » تهاوت الفراشات على النور . فظنوا ان يظفروا بهذا الجمل الذي ظفر به دونهم جميعاً ، ومعنى ذلك انه اسعد منهم جميعاً ، ومعنى ذلك أيضاً انه لا بد وان يكون موضع سخطهم وموضع حقدهم كذلك ، فإذا يعمل ؟ . يستطيع ان يأمن شر العيون والقمر ما زال يسطع نوره في قباب القرية ؟ وما زال يتلألأ فيها كلما عادت « آمنة » من النهر تنهادر بجرتها تها . ودلاً وهل يستطيع أيضاً هذا الزوج الذي تقدمت به السن ان يقطع بأن قلب هذه الزهرة اليازمة لم يفتح لنوره . انه لكي يأمن شر العيون وليضمن لنفسه الهناء ويحفظ بذلك الجمل ويقطع كل أمل فيه ، فليأخذه وليطو به من القرية ويهاجر إلى بلد بعيد ليس فيه من شففته « آمنة » حياء ، فبات يذرف الدمع السخين وهو ينصب الشباك لصيد الطائر الجميل . وليس فيه أيضاً من يحقد عليه او يضمر له كرهاً . وازمع الرجل على الرحيل واخذ « آمنة » وغادر القرية إلى المحطة بين الاهل وتردع الاصدقاء . واقبل القطار وتضاعدت عبارات الوداع

قصة

بقلم امين يوسف غراب

وقطرات السموع، ومدت «آمنة» يدها للعوب وصافحت الاهداء، بيد انها شعرت برعشة خفيفة وهي قد يدها الى فتى شاحب الوجه يخلط الطرف وقف مشدوها لا يطفو ينظر اليها ثم الى القطار الذي يتوارى في ضيق الغيب ويرسل في اعقابها صوتاً حزيناً مجروحاً ويردد مفتياً :

| | |
|----------------------|------------------|
| زقن البايورع السفر | قلت دايسين فبين |
| دايسين تقيبوا سنه | ولا تقيبوا اثنين |
| قالوا دايسين نيب سنه | لكن بدمع العين |

وكان هذا صوت الفتى «محمد مصطفى عبد المال» الذي لم يكن يظن احد في القرية ولا حتى هو قبل يوم الرحيل ان الحب قد اصطفاه هو دون سائر شبان القرية وجرح قلبه ببيضة الورد.

وحط الزوج رحاله في مديرية البحيرة واتخذ من هبة متولي الحياجرة لقرية (نديه) مركز دمهجور موطن له وسرعان ما اشتهر بصناعة ضرب الطوب واتخذ من قطعة ارض فضاء. تفصل بين القرية والقرية مكاناً له وابقي فيها حصاً له من الاجر عاش فيه آمناً مع زوجه الحسناء. ومرت الايام وتماقت السنون واخبت «آمنة» ثلاثة اطفال : هندي، ومحمد، وعالم. كل ذلك والزمن يسير بالوجين ويحب بها خبياً في طريق صالح بعيد غير انها - وقبل ان يبلغا نهاية الطريق الذي يمتد لها المسادة - وقف الزمن بها احدى وقفاته القاسية. ففجأة «التي الزوج نفسه وقد غضب معين حيويته بينا «هي» ما زالت تطالب الرعاية وتحتاج الى الماء الدافق الذي يرويه ويجنيها عوادي الظلما وفتحات الهاجرة التي تحياها الى اعداد من خشب. وهكذا تلفت المرأة الشابة فألفت نفسها لتفقد شيئاً ثميناً هي في أمس الحاجة اليه. هو الرجل الذي يكسح جماعها. فهل هذا الزوج هو هذا الرجل ؟ ان ذراعه هذه الزاهية المرمشة، وصدرة هذا الحسافي المضطرب، وهذا المتق المتزل الذي هذه الزمن فالتجرف بالراس وغدا فوق الصدر منكساً كالمخاض... ان هذا كله يقول «لآمنة» لا، لا، ويقول لها ايضاً انك «صيدية» تعرفين معنى الشرف وتقدرين معنى الامانة الزوجية. ولهذا فن الحتم عليك ان ترضي بهذا.

ومرت عدة سنوات اخر لم يم فيها ذلك الفتى العاشق الذي شفه الوجد ويوح به الضنى. ولذلك راح من ذلك اليوم ينتقل من مدينة الى مدينة ومن قرية الى قرية ويحاول شفي المسن

ويتجوع صنوف المذلة والموان فمن ياتم حوى في الطرقات الى عويجي كاره في روض الفرج الى ياتم متجول يبيع الفانلات والشرايات حتى وقف في النهاية على وطن الحبيبة وتزل ضيفاً على توجسها الشيخ الذي اكرم وفادة هذا التوب واتزله من نفسه وبيته مثله حسنة وعاش الفتى في كنف الشيخ حيناً يتجول في الاسواق ويبعث في الليل مع الزوج امام الحصى الذي احترى آماله وامانيه .

وفجأة استيقظت «آمنة» من ذلك السبات العميق ونفضت عنها تراب الصمت الذي لازمها حيناً فأتت امامها الفتى العاشق الذي تتدفق القوة والحياة من عينيه، ورأت هذا امامها رأى الدين لا يكلفها الحصول عليه سوى ومضة تلعب من بين هذا الهدب الطويل المسترخي وتومض من بين هذا الجفن المنكسر المضطرب بالسحر. وكانت هذه الومضة، ثم اتبعتها ومضات رجعت على اثرها كما كانت ريادة العود واردة الظل عقة كالزهرة المتضجرة كما عاد من جديد المنديل ابوابه المطرز بالترتوج والحنيف تمتد اطرافه وتندلى على الجبين الزواجر فوق «الفرق الاعوج» فتريده نوراً وفطنة .

كل ذلك والزوج المعجز لا يلدي من امر نفسه ولا من امر زوجه شيئاً. وانما كل الذي يلدي من امره ان كان في الحين والحين فالتقوية الا وهو خائر القوى منهوك الاعصاب يكاد يرى الموت بعينه لايمد الزوجة «الوفية» التي تدفعه عنه وقروش ذلك الضرب الكرم توقف المرض احياناً عند حده .

غير ان هذا كله لم يدم طويلاً فقد بدأت عينون اهل القرية تمتد الى ذلك الحصى لتري ما فيه من احداث لا يسلم الزوج من امرها شيئاً وانما يعلمها عاشق موله وعاشقة قد شفه الوجد وحرقتها النار فألقت بنفسها في اليه لتهدر. كما بدأت المسمات ايضاً تمتد وتتطاول حتى بلغت اذن الزوج فسمتها مساً خفيفاً رقيقاً فلم يصدق اول الامر وانما رد لتكلم النظرات واخوس ذلك الحمس بسان حرف الضيف بالحسن وحرم عليه بعد ذلك زيارة البلدة التي هو فيها.

وافترق العاشق لا عن قلى وانما عن رضا لانه عرف كيف يدير امره وكيف انه سيلتقي بمشركته في غير الحصى وفي غير هذه القرية التي بدأت تتحول عليه، فانفقاً على ان يتقابلا في مكان آخر وعلى ان يتكاثرا دائماً ايضاً، وعلى ان يكون رسول الغرام بينهما «عبد العزيز الحلاق» صاحب صالون الحلالة في نديه الذي اطلمه العاشق المولدة على حبه، والذي يات به سرجس العاشق خطابات الغرام الى معشوقته ومنه سترسل الحبيبة خطابات الحب الى حبيبها. وسارت بعد ذلك الايام سيرة رتيماً فكلمها شفه الوجد احدهما ارسل الى الآخر.

وكما يرخيها المتيقن في كشك جندي المورد الذي هيأ للعاشقين من كشكه خلوة غرام واقام نفسه حارساً عليها كلما اختلها فيه . بيد انه حدث ذات يوم ما لم يكن في الحسبان . فقد حدث ان تقيب رسول الزمام وهو الحلاق عن صالونه عدة ايام كتب خلالها محمد الي « أمنة » رسالة غرام عنوانها كالعادة :

« دمنور البهيرة ومنها الى غربة متولي يصل ويسلم ليد عبد العزيز الحلاق ومنه الى أمنة احمد عبد الله » وظن الصبي الذي يعمل في الدكان ان هذه الرسالة من احد اقارب أمنة زوجة عمه عبد المبدى الصميدي ، وتصادف ان مر الزوج غفواً على الدكان فناوله الصبي الرسالة وهو لا يعرف شيئاً . وتناولها الزوج ايضاً وهو لا يعرف شيئاً . بيد ان اساريده راحت تنقبض رويداً وهو يقرأ هذه الرسالة التي نشبتها بنصها وحرفها رغم ما فيها من سذاجة وطيئش :

« حضرة المحترمة أمنة احمد بعد السلام عليك . نعرفك اني طيب نجيح ولا يكون عندك شاغل من جهتنا . وبعد سلامي اليك كثير السلام وبعد ، اعرف حضرتك ان انا الآن في مصر وان شاء الله حاضر عندكم يوم الجمعة على محطة حفص في اوان القاهرة وتكون مستعدة بالحاجات التي عندكم على محطة حفص ان شاء الله . ولا يكون عندكم شاغل من جهتنا بالمرة لاني انا الآن باشتغل شهوية ١٢ جنينة شهوي . وبعد اعرف حضرتك انك بتسكتني الجواب ولا

تسكتليه فانا زعلان اشد الزعل من جهتكم وانا من مدة عشرين يوم كنت بيعع فئلات وشرايات ومناذيل في الجهاث التي عندكم . وانا تركت المؤبة من ٢٠ يوم وثرت المؤبة بعد المغرب ولاوقفت عليك على اثر الحمد لله وهذا وسلامي اليكم كثير السلام .

ونعرفك ان انا حضرت عندكم يوم الجمعة على محطة حفص على المطوح الذي كنت شغال فيه بجري المسافة على الجسر برضه عند المؤبة الذي بيتنا فيها في الدكان الذي بيتنا فيها العسكري ساعة ما بعنا النحاس واحنا جايين من اسكندرية وبتنا في كشك العسكري ليلة الجمعة فانا خايف لاحسن حد يعرف مطوحي ونجيبي معاك اللازم كله وانا جايب لك اللازم معايا جلايلب وصور وريانة وفسلات

وشرايات كلها لم بعثها وضروري من السفر علشان الانتظار في المطوح الذي بيتنا فيه يوم الجمعة نفسه وبلاش على محطة حفص الانتظار فيه المطوح الذي بيتنا فيه . وضروري تخبرني بنفسك علشان انا ضروري في الانتظار والله الحمد والله اذا لم اسافر في المطوح الذي قلت عليه ضروري ضروري ضروري والسلام ختام .

وفكر الزوج واجهده التفكير . . ابقتل هذه المرأة التي خاتنه واستباحث شرفه في غفلة منه ؟ ولكنه ان قتلها سيقتل هو الآخر . ومعنى ذلك ان هؤلاء الاطفال الصغار الذين بلغ عددهم ثمانية سيموتون جوعاً ، ولكن لماذا يجهد نفسه ويهرقها كل هذا الارهاق وان هذه المرأة ان كانت قد اهدرت شرفه كزوج فقد استباحث ايضاً عرض اهلها في الصعيد فلماذا لا يبعث بهذه الرسالة الى الاهل الذين يملكون وحدهم حق النود من هذا العرض . اما هو فيستطيع ان يسترد شرفه بكلمة واحدة تجرح من فمه ، بها يلفظ هذه المرأة لفظ النواة .

وذهب الزوج الى الحصى كأنه لم يحدث في الوجود شيء . ونام تلك الليلة مطمئناً كانت الرسالة في طويها الى مشورة مركز طلماط . بيد ان هذه الرسالة المشؤمة ما وقعت من قبل خطأ في يد الزوج وتمت كذلك خطأ في يد في صغير السن لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره هو « محمد محمد علي » ابن عم « أمنة » وقرأ الفتى الرسالة وقرأها مرة ومرة ومرة . . وفكر هو الآخر واجهده

التفكير ان الاسرة التي تنحدر من اصلاها أمنة ليس في افرادها من يستطيع ان يأخذ بالآثر ويرد لهذا الزوج شرفه المستباح فوالد أمنة قد بلغ به الكبر متياً . واما لا حول لها ولا قوة وشقيها الذي كانت تعقد عليه الامال في مثل هذه الحالات قد مات منذ سنوات . ولكن انت على قيد الحياة وأمنة بنت عمك وانت وهي تنحدر من اصلاها واحدة فهل يرضيك ان تغير أمنة هكذا وتهدر شرف الزوج علانية وتستبيع عرض الاهل وانت لا في دنياك .

وزم الفتى على شقيقته وامت عينها لمسانةً مخيماً وهو يضغط بانامله على الرسالة ويدسها في جيبه ليخفيها عن الناس جميعاً . وبعد



الاساذ ادين يوسف غراب

يومين اثنين كان الفتى في القاهرة . ولكن الجنيه الواحد الذي كان يملكه من دنياه قد انفق من آخره وهو لم يبلغ بعد المكان الذي يريد . فهل يشبه هذا عن عزمة وعن رد الاشياء الى نصابها . وسأل الفتى عن المسافة بين القاهرة ودمهور فقيل له انها بعيدة جداً وانها لا تقطع على الاقدام . ولكن هذا ايضاً لا ينعم من اصابة الهدف فما اهدر شرف واستبشع عرض وخلفه فتى يعرف للشرف حرمة وللعرض قداسه . والتحق الفتى عاملاً بتجهز المعلم بيومي حسن بشارع رفعت بالقاهرة ومكث فيه عدة ايام ادخر في اثناها أجرة السكة الحديد من القاهرة الى دمنهور وما ان اقبل عصر يوم ١٦/٨/١٩٢٧ حتى كان يرى فتى صغير السن حافي القدمين تملو وجهه كتابة قاتمة يسأل المساعدة في دمنهور عن عزمة متولي التابعة لنديبة واقبل ليل ذلك اليوم واقبل كويماً مكفهوراً كوجه ذلك الفتى الذي كان يسير رابط الجأش على جسر القنطرة الجبارة للعزبة حتى بلغ ذلك الحصى دون ان يراه احد والذي تصادف انه لم يكن به غير أمينة وحدها تنظر في امرأة صغيرة في يدها الى تلك العيون المضمخة بالسكر والتي شاقها طلعة الحبيب الغائب والى تلك الشفاه الغليظة التي تلتطم شوقاً الى القلب .

وانبث صوت خافت من امام الحصى ينأى . . . أمينة ! وخرجت أمينة في هذه الليل لتري المأذي وما ان رأت امامها « محمد » الذي لم تره منذ سنين حتى صرخت مشبهة « لسان الله » ومدت ذراعها واحتضنته ثم مدت تلك الشفاه الغليظة وهمت بان تطبعها على ذلك الوجه الاصفر الشاحب بيد انها ارتدت فجأة هامة مذعورة من طمعة السكين الحادة الاتصال التي انفرست في تلك البطن الناعمة للمسا . وبقتها وأسالت دماها . وصرخت المرأة ولكن الفتى اسكتها بطمعة ثانية وثالثة وظل بها يطعن بها ومستلقية على الارض تسبح في بركة من الدماء . وما ان اتى على الطمعة « الخامسة والعشرين » حتى فاضت روحها ولم يكتشف الفتى بذلك بل جلس مطمئناً بجانب ذلك الجسد الذي تندفق منه الدماء وتناول السكين مرة اخرى وتلمس ذلك العنق الاثقل الذي كان الصلة بين ابيه وجه لامرأة واجمل جسد لانثى واجهز عليه ثم وبغض الاطمئنان تناول الرأس بين يديه ونظر اليه حيناً ثم التى به على الارض بعد ان بصق عليه وركله بقدمه بعيداً . . . وانصرف الفتى ينظر مبتهياً الى السكين المخضبة التي تلتصم في عزمة الليل وما ان بلغ جسر القنطرة حتى قابله احد الفلاحين فاستوقفه الفتى وسأله قائلاً :

- اليس لهذه القرية من عمدة .

فقال له الفلاح وهو يشير بيده غير بعيد .

- هذه داره وما هو يجلس امامها .

وما هي الاخطوات حتى كان الفتى يجلس بين يدي العمدة يقص عليه نبأ مصرع أمينة بهذه السكين المخضبة بالدماء .

وفي ٢٠ / ١ / ١٩٢٨ قدم القاتل المعترف بجريته الى المحاكمة امام دائرة جنائيات دمنهور برئاسة صاحب العزة زكي اباطة بك وعضوية قطب فرحات بك ومحمد عبدالله السيوفي بك بتهمة القتل العمد مع سبق الاصرار . وقامت النيابة ودالت على صحة الاتهام ثم طالبت في النهاية بمنع الجاني كما سبق هو وطلب من قبل عنق الجاني عليها وناله واجتزته بتلك السكين الحادة الاتصال . والسن بالسن والعين بالعين . بيد ان الدفاع كان لبقاً وكان قوياً ايضاً حيناً قام وشرح ظروف هذه الجريمة والدوافع التي دفعت الى ارتكابها ثم تحدث طويلاً عن نفسية المتهم وقت ارتكاب الحادث وخص من ذلك الى ان التشريع المصري الذي يفرض العقوبة على المرأة المستهتره لعدة عيوب وعيوب كثيرة سببها انه اخذ من التشريع الاجنبي الذي جعل حق العقوبة للزوج دون الاهل والاقرباء . وعذر الشرع الاجنبي في ذلك عدم وجود الطلاق عند الاجانب مما جعل المرأة وتصفيتها الحق بالزوج دون غيره . اما الشريعة الاسلامية التي تتبع الطلاق وتأمّر بتقوين وهجرهن في المضاجع قد جعلت هذه العقوبة من حق الاهل لا الازواج فقط ولذلك اباحت الطلاق وجعلت جريمة الزنا من اخطر الجرائم التي تمس العرض والشرف وتأتي على كيان الاسرة . بمكس القانون الاجنبي الذي يعاقب المرأة المستهتره عقاباً بسيطاً لا يتفق ابد مع جسامة الحادث وخطلوته وذلك يرجع الى سبب اختلاط الجنسين ومساواة المرأة بالرجل مما يتنافى مع شعارات الشرق وتقاليده . . . ودلال على ذلك نفسيين متناقضتين هما نفسية الزوج الذي وقعت في يده رسالة عشيق زوجته وكيف انه فكر تفكيراً مستقيماً لانه زوج وله حق الطلاق وله ان يلفظ المرأة في اي وقت شاء . دون ان يس هذا شرفه . ونفسية القاتل الذي تنحدر المشيمة من اصلابه وكيف انه المسؤول عن هذا الشرف الذي اهدرته والعرض الذي استباحته .

فقدت المحكمة كل هذه الظروف تقديراً دقيقاً كما قدرت نفس الدوافع الى الجريمة وقت ارتكابها فقصت بسجن القاتل سبع سنوات مع الاشغال .

أمين يوسف غراب

مصر

من حصاد الذكريات

سلم ولهم كانغليس
عضو الرابطة القلمية



اقوال الرومان (الوقت يطير) . ويخال لي وانا
ارجم بالذكريات القمقرى عبر السنين انالوقت حقاً
يطير . وانني وصلت الي مرفأ نيويورك « امس » على
متن الباخرة الاميركية (كنفتستون) في حين ان هذا « الامس » كان
في الواقع ايلول من سنة ١٩٠٢ اي منذ ستة واربعين عاماً !
ولا ازال اذكر ان الاثر الذي تركته نيويورك في نفسي
لدى القائي عليها النظرة الاولى كان غير جميل . فقد استهجننت منها
منظوربنائياتها الشائخة تنطلع السحاب هنا وهناك من غير تناسب ولا
انسجام مع ما يحيط بها من البنائيات والمساكن . وها انا بعد ان
قضيت فيها معظم ايام حياتي لا ازال عند رأيي الاول اقول لثمة
دون باريس واسطنبول جمالاً وروعة وفننة .

لما وطئت قدماي ارض نيويورك لم يكن للهاجرين من الشرق
الادنى اسماء اقليمية كسوري ولبناني وفلسطيني بل كانوا جميعهم
في نظر الاميركيين سوريين . اما في احيائهم الخاصة فكانوا
(ابنا عرب ، او ابناء عروب) . وكانوا يمدون دولاراتهم
بالآحاد والانصاف والارباع فصاروا اليوم يعدون بالآلاف ومئات
الآلاف والملايين .

عائلة المهجر العربية

يتبادر الى ذهن القاصي العربي حين يذكر مهجر الولايات
المتحدة اسماء اعلام النهضة الادبية المبهجرة المباركة الذين تألقوا في
سمائهم تألق النيرات : جبران خليل جبران ، امين الريحاني ، غانيل
نعمية ، نسيب عريضة ، وسواهم . من هذه الطائفة الكريمة ؛ فغير
اني لما حططت رحلي في نيويورك كان هؤلاء حاملاً جيلاً في ذمة

الزمان . فالشاعر رشيد ايوب وسلم كسباني ووديع باحوط
وندره حداد كانوا منصرفين الى التجارة بعيدين كل البعد عن
هياكل ربة الشعر والادب . اما غانيل نعمية ونسب عريضة
وايليا ابو ماضي وعبد المسيح حداد فكانوا لا يزالون في الوطن
القديم ، وكان امين الريحاني يتعلم فن التمثيل واحياناً ينشر مقالات
تحتى بعدئذ لو استطاع مجرها من الوجود . واما جبران فكان في
يوسطن منتصباً على اتقان فن الرسم ينشر حيناً بعد آخر مقالات
باسلوب مبتكر في جريدة « المهاجر » لصاحبها الكاتب القدير
امين القريب .

أما وجران

اذكر اني اجتمعت بجبران لأول مرة في الوطن القديم . وكنت
في بستان لنا مع بعض الرفاق في الفيحاء . واذا بصديقنا المرحوم
عزيز بك راجي الظاهر يدخل علينا ومعه فتى نحيل الجسم حسن
المندم . فعرفه البنا وقال عنه انه شاب جاء من الولايات المتحدة
حديثاً لمتابعة دروسه في مدرسة الحكمة . وقد الفناه شاباً مثقفاً
حلو الحديث فأنسنا به واحببناه . وكان هذا الشاب جبران خليل
جبران . ثم كرت السنون ولم نجتمع ثانية الى ان ساءت التقادير
ركبني الى بلاد العم سام . وفي ذات ليلة كنت زائراً لصديقي
المرحوم نجيب دياب صاحب جريدة مرآة الغرب في منزله بهو كان .
فقال قائل : « جبران جاء من يوسطن . وهو ضيف على الاستاذ
امين الغرب . فبنا تزورهما » وقال لي آخر انا اعرفك بجبران
فقلت : دع منك هذا الامر فلهه يتذكر اجتماعنا السابق . وفعلماً
ما كادت تقع عيننا جبران علي حتى ناداني باسمي وذكرني باجتماعنا

في فيعائنا المزيّنة وكان قد مضى عليه نحو عقد من السنين ! ومنذ ذلك الحين تمكنت بيننا صداقة متينة لم تنقطع طوال ثلاثين سنة الى ان قطعها يد المنون .

الرابطة القلمية

لا شك في ان القارىء يود ان يعرف كيف تأسست الرابطة القلمية وما هي الغاية منها . واني على الرغم من ضيق المقام راسم في ما يلي خطوطاً رئيسية لاترال عاقلة في الذكرة :

كان من عادة بعض اديباء نيويورك ان يجتمعوا بعد الانتهاء من العمل في ادارة احدى الجرائد العربية لتبادل الرأي والاستئناس . فلما جاء جبران نيويورك من بوسطن للاقامة الدائمة فيها وجاءها غائيل نعيمة من سياتل في ولاية واشنطن اخذنا جميعاً نشعر بوجود عقد جلسات منظمة . فقرر رأينا على تأسيس رابطة قلمية تكون غايتها تشجيع الانتاج الادبي العصري والتعاون مع العناصر الادبية المجددة في الاقطار العربية لرفع مستوى الادب وخدمة امتنا باخلاصنا . ولم تكن الرابطة جمعية اوندادياً بل المعروف بل كانت مجلساً يضم رفاقاً تألفت اذواقهم وانسجمت منازعهم الادبية والفكرية . والحقيقة نقال ان تنظيم الرابطة يعود الفضل الكبير فيه الى « ميشا » نعيمة . فهو لو لم يكن كاتباً وشاعراً لاستحق ان يكون قائداً عسكرياً . فسانه رجل اداري مدقق ومنظم من طراز عال .

اقف هنا لاقول كلمة صريحة وهي انه لم يتوهم احد من رجال الرابطة انه زعيم او مبدع في حقل الادب او انه يفضل سواه من الادياب الممارسين الناهضين . كتبنا جميعاً نعجب بواهيب الادياب المجددين في لبنان وسوريا ومصر والعراق ونقدريها حق قدرها ونشعر ان من واجباتنا تشجيع الادياب المجددين لينطلقوا من القيود الادبية المرهقة التي تحول دون اظهارهم مواهبهم الكامنة ولذلك صمنا على ان تكون الرابطة ذاتها القدوة الصالحة والدليل الى سواء السبيل . وكانت مطامعنا لا تعرف حداً . فكنا نأمل ان نجتمع من المالمال يمكننا من زيادة الانتاج الادبي المفيد لا في المهجر فقط بل في لبنان ومصر وسوريا وسواها بطبع المؤلفات القيمة على نفقة الرابطة ! على ان هذا الحلم الجميل لم يتحقق لان المتفرجين - اغليبتهم الساقطة - كانوا ولا يزالون تحت تأثير ما يصح ان نسميه نفسية القرية . اي ان نظروا الى واجباتهم الاجتماعية لا يتجاوز القرية او البلدة التي هاجروا منها . كثروهم كنيسة او انشاء مدرسة او مصبح او ما اشبه ذلك من المشروعات المحلية المحدودة المرمى . اما

الافق البعيد ، الانسانية الشاملة فهذه كانت ولا تزال غامضة عليهم . هل اتي غير متجاوز حد الانصاف بقولي ان الرابطة قد ادت خدمة جليلة للادب العربي وكانت مصدر اتجاهات فكرية وادبية هامة نرى آثارها ظاهرة جلياً في الانتاج الادبي المعاصر .

جبران والرياحاني

كان جبران والرياحاني صديقين لا يفترقان مدة طويلة ، يصاحبان كبار الادياب الاميركيين وفنانهم . ولكن (انباء الحلال) واعني طبعاً ، اهل التنمية ، لم يتركروها حتى افسدوا عليها صداقتهم ، فتحوّلت الصداقة الى فتور فنفور . واذكر اني اضطرت مرة ، اذ كنت عريفاً حطفاً وديع شكوي نجاش ، الى ان امنم كليها من الخطابة مخافة ان تصير خطبتهما مناظرة شخصية مبطنة بما لا يجب لها اصدقاؤهما . ولكنهما ، بفقر الله لها واوسع لها في رحمتها ، تصالحا بعد ذلك ، وانما بقي في القلب بقية من المرواة .

بعض صفات جبران

كان جبران طيب القلب رقيق الماطة ، صادق المودة لم يخن في حياته صديقاً . ولم ينكث لاحد عهداً . عاب عليه بعضهم الشذوذ احساناً . وانا على يقين من انه لم يقصد الشذوذ . ولكن خياله الحاد كخيال ما كان يؤثر فيه تأثير الحرية . وقد عرفته في مواقف كثيرة تدفقت عليه الاخان ففص بها ولم يتمكن عندها من التعبير عنها لا لفظاً ولا كتابة . واذ صبح انه قال مرة « انه ولد في بلاد الهند » فعندي انه قال هذا القول من قبيل المجاز كأنه اراد ان يقول انه ابن العالم كله ، ولم يحسن التعبير . وليس من قبيل التنصل من لبنانيته . فقد كان جبران فخوراً جداً بلبنان ولبنانيته . واطنه الوحيد بسين ادياب الرابطة الذين لم يتجنسوا بالجنسية الاميركية !

جبران والانتقاد

من الغرابة ان جبران على الرغم من رحابة صدره ورحابة عقله كان يكره انتقاد الناس اياه ، كرهها شديداً ، ويأمل منه غاية الامم ، حتى وان كان مصدره الحاسدون والمتعنون . وكان من اكبر الانتقادات عليه انتقاد الانورين . وعندني ان سبب نقمة جبران الحقيقي هو ثورته على الجهل والتفنت والرجمة والتعصب وغيره على رسالته الروحية التي كان يؤمن بها ايمان المسيحي بسر التجسد والمسلم برسالة محمد . وكان رقيق العاطفة سريع التأثر يتفرق

الدمع في عينيه لدى اقل مناسبة . وافي في حياتي كلها لم اتى انساناً اسرع الى ذرف الدمع من جبران خليل جبران . فقد كان موهف الاحساس لدرجة قصوى .

جبرانه النديم

اما جبران الرفيق والنديم فلم يكن في الدنيا احلى منه ولا اخف منه ظلاً ، ففى دارت الكأس وجلسنا نتنادم اشرق وجهه الملائكي بنور المحبة والبهجة فبدأ محاملاً هالة من السحر والفتنة . وكان يساهم في تبادل الدعابة والنكات وكان عفيف اللسان . كنا جميعاً - باستثناء ميشا النجمة - ننادى ففة اللسان احياناً ، ولا سيما اذا اقتضت النكتة ذلك . اما جبران فلم يحسمه طوال صداقة ثلاثين سنة يتفوه بكلمة واحدة تستعصي العذراء المحترمة ان تتلفظ بها . وكانت تروق له نكات رشيد ايوب ، امير الندماء وزين الجالس ، واذ كان جبران يشارك فيهما كان رشيد ايوب يلتفت اليه متظاهراً بالنضب ويصيح : « وانت » كان « يا عميد كيت وكيت » فينوق جبران في الضحك ويذله مصاع تلك الشناخ الحلوة من فم الدرويش الحبيب النديم الذي لن تحقق الايام له خافاً .

جبرانه لرفاقه

ان اقل الناس لافس وجه جبران حين كان يقرأ علينا احد الرفاق مقالاً او قصيدة قد اتفقا حديثاً واعجبت جبراناً فكان في ذلك الموقف فرحاً معترراً شأنه شأن الام تراقب خطوات طفلها الاولى . كان جبران يحب رفقاءه جميعهم ، ولكني ارجع ان اقرهم الى قلبه الكريم كان نسيب عريضة فعيد المسيح حداد . وقد اختصر اسم عبد المسيح فكان يدعو « عبدول » وكان شديد الاعجاب بمبقوية نسيب وغزارة علمه ودماثة اخلاقه .

تلك ايام هنيئة حلوة ممت مورو احلام الشباب ، بين تلوج الشتاء المتراكمة ، واسأل نفسي : « حقيقة كانت جميلة ولذيذة . لا يزال طعمها في فمي وبلسمها في قلبي » . في ذمة الله من تولى من اخواني الاحبة . وفي حفظ الله من بقي منهم حياً يفيد الانسانية بشعوات قلبه وعقله .

ولهم لثانفليس

نوبورك

خمرة ونغم !

في خلال الايام ... جلست اتحدث الى نفسي ...
وكان الليل يحترق !
قلت لنفسي وقد مرت في صوتي رعشة :
يا نفسي ... ارى في عينيك ابتسامة منهومة !
قالت وقد قشيت في صرخا نبرة :
- ان في كأس خمرة !
صحت في دهش وعجب ...
- خمرة ! ... آية خمرة ؟
هدست في صيغة وفتح ...
- لم أثرب منها غير الرائحة ... !
ثم اندلعت من ثغرها قهقهة ملها ، قبل أن تصيف :
- اذا تحركت ... ! خمرة لا تشرب بكأس !
وصمتت فقرة ثم قلت بصوت يصطك :
- يا نفس ... ارى شفتيك لا تترنجان بالليلتين اللينين !
قالت وعيناهما تحديقان في ميثاق الفجر :
- لانني وجدته نشيداً اسمى يكرج السراب !
صرخت في صوت متجهج :
- انه نشيدي ... نشيد الناس !
قالت في صوت شامخ :
- انه نشيد الشغاف التي لا تنصر ... !
والناس لا يصرون لان الجبان لا يبعثر !
قلت ولساني يلبث :
- وماذا ستفعلين يا نفس ؟ !
ضحكت وقد أرشت اهداباً ، ثم قالت :
- ساشرب من كأس النجمة خمرة من نغم ... !
- ثم ماذا ؟
- وسأزف على قيثارتي الحلية نغماً من نار ... !
وتولت غني تنق وهي غمس ...
- ... خمرة سوداء ... ونغم أحمر ... !
زهرة لا تموت في حلل من الشوك !
وأمرت ... ثم مرت خافياً ... وكان الليل يولد ... !

بحي على النجار

بضاد

ابطال الرواية

فلم الدكتور زكي المحاسني
استاذ في كلية الآداب بالجامعة السورية



يعني

البطل الى آخر الرواية كما يبقى الشاهد في لعبة الشطرنج . انه ليفضل خافقاً في الحياة ، لاداباً في دوره يخرج من مأزق ليدخل في مأزق حتى يكل او يبل ، وحتى تأخذ الصروف ، او تكتبته الموم . وعند ذلك يتراعى على نفسه وقد رمى سلاحه فسلم امره ، او ابي التسليم فغادر الوجود رافع الرأس عقيلاً . على ذلك كانت تجول خواطري مملوطة بروايات قرأتها او رأيتها او سمعتها ، فيها ابطال وشخص عاشوا حياً من الدهر كما نعيش ، وهزتهم شجون الحياة كما هزنا ، وان هم افراح وانراح على نحو ما لنا من المباهج والفجائن . وبمعجبنا الشخص الذين يجولون في الروايات كما تجول ، وتمتص نفوسنا فنكره اناساً لم نكن نعرفهم قبل ان نقرأ سهرتهم في القصص التي بين ايدينا .

ان هذا الرجل الذي قرأت صحفة من حياته اقض عليّ مضجعي ، وظلت صورته تلازمي أياماً ، اني اكبره كرهاً ، وكداً ، وانقي ان لم أكن قرأت جانباً من حكاياته في رواية من الروايات . وفي اصنع معه ذلك لو لم أكن قد ركب في طباعي الكره لمثل هذا المر . فانا حيناً وجدت هذا الوصف في اية رواية فلسفي ذلك الشعور بالكراهية . وما تلوأت اخباراً عن النساء اللواتي عشن في دنيا زوجية جامحة الا اخذني الاشفاق ، وانسكت في المرحمة ، وما وقفت في هذه القصص على ثبات كن ازاهير المجتمع لكن اثره المتاع الزمتهن ازواجاً كباراً موسرين ، الا حل بقلبي عليهن الشجن . وكذلك يكون شاني ساعة الرضا او الغضب حين الم بحدوث الفقر او الفنى .

وكنتم افكر في شأن هذه القصص التي يكتبها الملهون فتدخل فينا هذه الافاويل . انها ضرب من السحر يتسلل الى انفسنا فيخرج بنا من حياتنا اليومية الى اماض بعيد او يوم قريب ، فتتعلم عن ارواحنا حجبها ، ونغضي بها هفافة مشرقة نحو هذه المثل التي نجدها في الروايات ، فنبتسم لبطل ونتبعهم لآخر . وكنتم وانا افكر في هذا الخلق والاشباح اعجب خلود اولئك البقورين الذين وصروا آثارهم حياتهم الحقيقية وحاجبوها بقاربع الواقع ، فيصح عندي ان الرواية ينبغي ان تأخذ اول ما تأخذ من الحياة ، وان تشمل فيها هذه الحياة اصديق تمثيل . وقد وجدت المصدق على ذلك يوم قرأت في صحيفة « كورنكوار » مقالاً لمارسيل بريفو . وكنتم متولماً بهذا الكتاب الذي حلل الانفس البشرية وغض قلبه في حياة النساء والرجال على وجه من اناقة الاسلوب وصفاء الديباجة ، وكنتم له في صحيفة كورنكوار في كل عدد اسبوعي مقالاً ، وقد شكنا هذا الكتاب النساقد كبير من الادباء المحدثين فقد كان جواراً بياضهم نقده على دماء الادب ، وكانت لا تأخذ مالا ولا بحاملة ولست انسى حماماته الادبية من صديقه الشاعر العظيم «بول فاليري» حين اقسام القوم عليه النكيز بسبب غموضه في شعره ، وعمايته في كتاباته .

فمن جملة ما قرأت من مقالات «مارسيل بريفو» انه احب ان يتنحدر الى الجنوب من فرنسا فركب قطار الجنوب ، وفيما كان يسعى الى القطار اخذت عنده كتاباً مسنداً الى ردف المكتبة التي فيها المحلة فاشترى دون ان يتفرس فيه . ومن غير ان يكتسرت

بؤلفه ، وكانت بغية ان يشتري اي كتاب من نوع القصص يقضي به سفره فلا يسأم تسرد الدرب وجلبه القطار .

وما يكاد الكاتب القاص الاشر يضم نظارته الواحدة على عينه الواحدة فيقرأ صفحة حتى تنطلق اساريه ويناق امام السطور يتلها بالتام وجة ، ويناب به القطار مدوياً من غير ان يشعر بدوريه متأقاً في المنطفات ، عالياً على المضبات وهو بكل ذلك غير شاعر ، وانما كان غاطساً في اكتناه الجمال من هذا الكتاب . وكان بين حين وحين يطبق الكتاب لا لترك القراءة وانما ليقراً مرة تلو مرة اسم المؤلف الذي يجمله كل الجبل ، فهو لم يسم به حتى ذلك النهار ، ووافق انتهاء الاكاديمي الحبال من رواية المؤلف المغرور بانتها المرحلة التي كان عليه ان يقطعها . لكنه لم يرسل القصة اسالاً وانما اطبقها بعناية ووضها بين اوراقه التي في حقيقته ، كأنها اثر مكتشف نفيس ، ثم راح بعبد ايام يكتب مقالاً خاصاً بهذا المؤلف المغرور الذي من الله عليه بالشيعة بعد حين على يدي مارسيل بريفو ، وانفجحت امامه ابواب الصفح الكهري ودور النشر العزيز منها لها على الادباء المبتدئين .

يقول مارسيل بريفو انني ما كنت اقرأ اول رواية هذا الاديب حتى رحمت بمنعاً في اثره ، مدناً لقراءة قصته ، لقد كانت كل صفحة من صفحاته مشابهة لغيري . كذلك كنت انا قايماً كيف يتفق ان يكتب انسان لا يعرفني في اوروبا من صديقهم كأنها اموري واحوالي . من هاهنا سيجري هذا الاديب الجديد ، ومن هاهنا اشهد انه سيكون احد اعلام القصة الحديثة .

الى هنا ينتهي كلامي على مارسيل بريفو ، وتشوقي القصة ويميجني فيها . ولو كنت قصصاً لتكلمت كثيراً عن الناس ، في افراحهم واتراحهم ، وشؤونهم وشجونهم . كنت اجعلهم سبيلاً الى الوصف ، ووسيلة للنقد ، واتزل شخصهم في قصصي . فمنهم من يكون حدثاً في الوجود ، ومنهم من يكون خيالاً في الوهم . انطقهم على صفحتي واحاورهم بلسان قلبي ، ثم اجمعهم في أسرة سطوري ، وغرف كتي فاذا هم رهن الزمن ، قرب يدتد اليهم فتتبعهم من مكانهم اليقرأ صاحب هذه اليد الممدودة اليهم من سيرة حياته ، فضلاً او بعض فصل ، يرى فيه نفسه او يعرف صرة صديقه او عدوه ، ومن عذيري في هؤلاء الشخص في دنيا حقيقتهم او عالم وهمهم . سيكون لهم فضل علي اذ يضيفوني عند حوادثهم حيناً او بعض حين ، فأحل في دنياهم او امضي . متقرباً مشاعرهم ، سيدلونني واحداً بعد واحد على ادراجهم ومخابئها . انهم مداد

قلبي ، ولو خلا منهم الدهر ، جلفت بتأنيب القول عندي ، واكتفي في كل ذلك ان اودي احداً منهم ، وان امسي . الى واحد ، اسهم مساً رفيقاً مطمئناً كطبيب حنون ، لاني احب ان اجعل قلبي غير ماطخ بالدم ، وبذلك فلن اغشي احداً يأخذ بتلابيبي فيقول لي : قلت عني فتولت ...

تلك هموم فنية من دنيا القصة ، اطافت بخاطري فأجبت ان اكتب عنها واذ كر مثل هذه هموم واروع منها كالتي المت بصديقي القاص المشهور الاستاذ كرم ماجم كرم ، اذ اخذ بتلابيبي احد القسوس . فسانه لقي نخوة من هم ذات ضحى ، اذا بقى كشف الاحية فضفاض الجلباب ، عليه المسوح يقف بدرب الاستاذ كرم فيأخذ عليه طريقه ، ثم يمدق فيه بعين جاحظة ، ويسك ثوبه ثم يصرخ به :

- انت ألفت عني قصتك المسماة « بونا انطون » ، انا الاب انطون . وقد روى لي الاديب اللبناني انه اجابه بـ « متفقاً » .

- ومن ادراك انني ألفت عنك قصتي المسماة « بونا انطون » ؟ واستحو بها الجدل وكاد يحول الى خصام . فأشار على القس اوانه ان يقيم الدعوى على الاستاذ كرم امام المحاكم ففعل ، فجا ، القاص ويطل الرواية فوقاً امام القاضي ، وازدحم القوم ليقفوا على الحادث الجلل . ومن قولك اليوم وضع الخلود لمسه على هذه القصة . فقلت لاديب المؤلف : صدق شاعرنا الذي يقول : « كاد المريب بأن يقول خذوني » .

ومن اجل هذا الحادث ، مر بخاطري اشباه له ونظائر في حياة الاشياخ ، فذكورت كثيراً من الروايتين فيا وضعه عن ابسطال قصصهم الذين يسرحهم لبوس الحياة الحقة ، واشهدهم حوادث من الواقع . ومن قبل ذلك اشقت على القاص « انوردي دو بالزك » حين جات له امرأة نائرة مرغبة مزبدة ، فصدقت بينها على مائدة كتيه حتى اطارت اقلامه وقالت له وهي مضجرة راعدة :

- فيج كتبت للناس روايتك عني ؟ فبهت الكاتب الذي ملا الدنيا وشغل الناس برواياته في القرن التاسع عشر ، وأجابها برفق :

- ومن تكونين ابنتا المرأة الغضي ؟ فقات له ، وتبهدة تحمد انفسها :

- انا « إستير » ، ثم جمعت تنتجب ا...



وراء التلال والمضارب التي تسند منكب « بعلبك »
وتلاصق خصر سهل « البقاع » - من وراء تلك
الهامات الصلدا ، برز رجل اشعث ، ماثم بالكوفية
والمقال ومتجلبب بدمر أل اسود ، يسبح مقاوماً عتو العاصفة وعيناه
ترمقان الافق البعيد فلا يرى لها جفن ولا تأخذان الارض
حيث كانت قدماه تتهانان بالصخور والحجارة المزلزلة بعض
منها على بعض في اصدا . مدممة تموت في زحجرة الرياح .
وانحد ذلك المارد ، يخطى عصبية مستعجلة ، الى السهل ،
ويعم وجهه شطر مخفر « طليا » .

ولم يكن الا بعض ساعة حتى انتهى ذاك القروي المربع يدخل المخفر ،
فيتهبه رجال الدرك ويمسونه بقم الليم سالباً او متقحماً - فقد
تمردوا ذلك من مثله - ، فيتجهزون على حذر لالقاء القبض عليه ،
ولكنهم يتراجعون بهدش واستعراب
عندما يرونه يرمي ببندقية عند
اقدامهم صائحاً بلهجة المستعيت :
- احبسوني .. اعدوسوني .. انا مجرم !

وها هو « حسن ضرغام » يقاضي
الآلام في « سجن الزمل » في « زندان »
ضيق ، بعد ان أعين المساجين شذوذ
اطواره وغرابة مسلكه .

انها ليلة ليلاء : فالمرقد الحشن
ينبؤ به ، واذا به ، بين الفينة والفينة ، ينتفض فجأة من ضجته ،
ويب في دعر .. انه صوت انتشج بجمان عميق مؤثر ما يني يضج
في اذنيه : - حسن . ابي . آه . قتلتي .. قتلتي .. انا امك !
فيستند الى الجدار ، ويمس كأن ظهره انقص وعزمه انهد ،
وينور به رأسه فيمسكة برأعيه ، ويشغط على صدقيه ضغطاً
شديداً .. ويعود الصوت الخفي :

- . قتلتي . قتلتي . انا امك !
« انا امك » . الكلمة التي تجلجل
دائماً في مسمه وتمتل في نفسه .
فينقلب وقد تراخت اعصابه وتلاشت
قواه ، ينطرح على الارض ، في
لنب واعياء ، ويرسل زفرة حوى

من اعاقه ، رهولة النامة بصوت ابح :
- امي .. امي .. امي !

ومسح الدموع عن عينيه ، بظهر يده ، فبدت له امرأة باكية
تله ذراعيها .. وغلبته الدموع فطلق يتهجب انتحساباً مورياً ،
وحجب عينه بيده كي لا يرى . ولكنه ما زال يرى امرأة تقصرخ
وتستغيث وتقول بصرك بك ! - قتلتي .. انا امك .

ومضى الألم ينفز انيابيه في سويداء قلبه ، وراحت الحسرة
تعمي في غور ضميره ، وزحمت بصره الصور والاشباح ، وغص همه
بالاصوات والصرخات . والتي نفسه تنخبط في ليلج العذاب الصاحب .
لقد قتل امه . امه التي انتزعت من كبداه . امه التي حملته
جنبنا ، وحملته رضيعاً ، وحملته طفلاً ، وحملته شاباً . امه التي
كانت وحدها تحنو عليه وتؤثره على نفسها . امه التي كانت تبعد
اللقمة عن فمها لتضمها في فم . الدنيا أم .

لقد فقد الدنيا . كيف اقدم على قتلها ؟
كيف جرؤ على قتلها ؟ .. واستقرسل
في تساؤله ، ولكن ذهنه اشترق فجأة
وانتقم ظل النعم الخالكا عن غيابه ..
كيف قتلها ؟ هل قتلها هو ؟ هكذا
يعتقد بل هكذا يحبس ..

انه لا يذكر كيف جرت الفاجعة ..
وانما هو يتذكر بعض معالمها ، ولكنه لا
يذكر كيف قتل امه . او كيف قتلت امه .
واضات اسارير « حسن » كتملقت بصبرته بضيض كأنه اول
خيط من اشاع الامل .. وتفتح قلبه المغم فانتفض في مثل وثبة الفوج .
انه لا يذكر كيف قتل امه .. قد لا يكون هو قاتل امه .
وكما ينشبت العريق بنجشة النجاة ، تشبث « حسن » بهذه
الاباضة التي برقت فجأة في رأسه ، بعد ظلام دامس .

اذن . من هو قاتل امه ؟ من كان ذمها امامها عندما اسلمت الروح ؟
انه يذكر بوضوح انه كان يشايرها ، ويذكر انه اطعمها
بقبضته اليسرى على وجهها . شلت بينما .
ويذكر انه تناول البندقية ليخفيها .
ويذكر ان ثورة عصبية انتابته ، فجأة ،
فاطاع النار . ويذكر انه نهم امه
تصرخ باكية مستغنية بقولها : حسن .



<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

بفهم رياض طه



ابني . آء . قتلتي . قتلتي . انا امك !

انه لا يذكر انه اراد اطلاق الرصاص على امه . ولا يذكر انه فُكروا بقتلها . ولا يذكر انه كان ينوي ابدالها .

المملونة « حدة » هي السبب . لولاها لم ينازع امه . لولاها لم يضاها . لولاها لم يحرق يوماً على ان ينتهوا . قبا لها ! تلك هي الانفى السامة .

هي التي كانت توغر صدره على امه وتحرضه على ضربها وقهرها . هي التي كانت تبض امه وتحمله على بنضها . لان امه كانت تنهه عن الزواج منها ، وتناه عن معاشرتها ، وتضرع اليه ان يتقي شرها .

لقد كانت امه تقول له دائماً ان حدة فتاة خبيثة ، شريرة ، مهما اهلطيد القلوب والبش يا وتحويش فتيان « بريال » على الساب والنهب والقتل لتتلذذ بمنظر الجارية وترضي غريزتها الاجرامية الخطرة . .

لا . لا . انه لم يقتل امه . انه كان وهماً عندما ظن انه فعل . لم يكن يملك وعيه .

واستمرت الامواج الصاخبة تندافع في رأس حسن وتجاوزه طوال الليل .

واطل الصباح ، وجي « حسن » ببطامه الاسود فأتى عليه للمرة الاولى . انه يشعر بنفسه مستجيبة الى الراحة هذا اليوم .

واقبل محاميه متمللاً ، وبادره بقوله : — اما تزال تعتقد بانك انت قاتل امك ؟ .

فتلجج لسان « حسن » ثم قال : لا ادري لماذا اشهر اليوم بانني لم اقتلها .

فتبسم الحامي ، وربت على كتف « حسن » بقوة ، قائلاً : — لا تخف . . انت لم تقتل . — ولكن . . من القاتل اذن ؟

— هذا لا يهمك . يجب ان تؤمن بكل الايمان بانك بري . . وغداً ستبذل امام المحكمة ، فاياك وان تتردد . . قل ، بكل ثقة واطمئنان ، هذه العبارة بحرفيتها : « كنت الشاكر مع امي

فتنازلت البندقيّة لاخوفا . وفسدا كنت في ثورة عصبية عنيفة افقدتني وعي ، صممت طلقاً نارياً ، وصممت امي تصرخ . وكانت يدي تتحرك برصاص بندقيتي في الجو بصورة لاشعورية . . ورأيت امي تتخطى في دماها . . وصممتا تمول قائلة انني قتلتها . فحسبت انني انا القاتل حقاً ، واستسلمت الى السلطة .

وهي « حسن » وفقر فاه ، واخذ يفكر ساهم النظر شارد اللب . — اعد على مسمعي ما قلته لك .

وأعاد حسن ما قاله محاميه ، فصافحه هذا بشدة قسائلاً : — احفظ ذلك جيداً . ولا تخش بأساً . سيحكم عليك غداً بالبراءة .

وذهب الحامي وبقي « حسن » مشدوهاً . ان مسا سرده محاميه يبدو صحيحاً . اجل ان ذلك اصحيح اذن . . . غداً استعان براءته وتطلق حويته . غداً سيخرج من السجن . الى اين ؟ الى قهرامه ؟ الى المنزل المهجور ؟ الى القرية الساخرة الشامتة ؟ الى البكاء والنواح . . .

لا . انه ما تعود الصبر على الضم . ما تعود الجبابة . سوف يثار لامة . سيذهب اليها . هي . الى حدة . هي التي تكره امه . هي التي انتصبت في حياته شيطاناً ، فاغرته بفتنتها ، وافسدته بكورها ، فاخرجه عن طاعة امه ، وعن حبها ، وعن احترامها ، وجعلت منه ابناً عاقاً شرساً .

اجل هو قاتل امه . لقد قتلها قبل ان تموت . قتلها عندما تخلى عن امومتها وتعلق بحب مهورته الشريرة .

سوف يثار لامة . سوف يقتل حدة ! انه لا يريد ان يراها على قيد الحياة وقد ماتت امه .

وهذهأت نفس « حسن » مطمئنة الى العزم الذي عقده والهدم الذي قطعه على نفسه . ثم ما لبث ان وجف جنانته وارتجفت يده .

سيقتل . كيف يقتل ؟ انه ليس مجرماً . انه يكره الاجرام ، يخاف الاجرام ، يحتقر الاجرام . سيعود اذن الى السجن ؟ .

سيعود الى « الزندان » ؟ . سيحكم عليه بالسجن الابداني ؟ . بالاشغال الشاقة ؟ . بالاعدام ؟ . « بالشنق » ؟ ! وفقرت عزافه . وتناقص على نفسه ، مضطرباً ، مبهوماً ، خائفاً .

وكان عصر اليوم التالي يداعب بشمسها الفاترة قوية « بريال » عندما كان « حسن » ينظر اليها ، متبهاً بمتبهاً ، وهو في سيارة

تجوب على الطريق الجبلية ، الروع ، وفي يده جريدة يزو اليها ، بين الحين والحين ، ليعين النظر برؤية رسمه ورسم « حدة » ، وليعيد قراءة العناوين البارزة :

« تهرئة حسن ضرغام والحكم بالاعدام على حدة صاف » . « جنابة غامضة غريبة بكشفها التقرير الطبي » .

« لولا اخراج رصاصه مسدس من قلب القنبلة لما ظهرت الحقبة » .

رياض طه

المعارف الجيولوجية عند ابن سينا

بفلم الدكتور محمد مجي المرشدي



علم* الجيولوجيا هو في الحقيقة علم حديث ، ومع ذلك فإن المعارف الجيولوجية هي قديمة في حد ذاتها ، فقد بحث القدماء في علة تكون الأرض وما تحويه من مواد ، ولقد نما في هذا الموضوع قديماً واليونان ناحية فلسفية ميتافيزيكية ، فلما استندت على الواقع - . وفي الآداب العربية نمت على تنف متفوقة في هذه المادّة . وقد بين الباردون كارا دي فو في اثره المهام عن مفكر كروي الاسلام بعض معلومات جيولوجية عن الجبال في مجموعة وسائله المنشورة في القاهرة عام ١٣٢٤ هـ . وكذلك فقد سبق في بيان المعلومات الجيولوجية لأخوان الصفا . في المبادلة الحادثة بين البحر والهر في المقال الافتتاحي الذي نشرته مجلة المجمع العلمي العربي « تشرين الاول ١٩٣٢ » الذي بينت فيه مبادئ نظوية تكون الصحراء ليوجنا والتر ، وقد سبق السمرودي الإشارة الى تكون البحار في مروج الذهب اعاداً على المعالم الاول ارسطوطاليس . وقد كنت اشتر الى ذلك ضمن دراسة عن تاريخ الميزوجيا العربية .

اما ابن سينا نفسه (حسب المصادر التي هي في متناول الايدي) فلم يسبق الإشارة الى انه كان مدققاً جيولوجياً - . عرف العالم ابن سينا كفيلسوف فذ وطبيب بارع ، بقي قانونه العمدّة في الطب في اوربا حتى القرن السابع عشر . كذلك عرف كرجل دولة وعالم طبيعي اشتهل في حضن نظوية الكيمياء القديمة الا وهي انقلاب العناصر التي امنت دورها في القرون الوسطى ،

* اذبح هذا الحديث من محلة الشرق الادنى .

والتي يمشت اليوم من جديد ولكن على اساس الاختبار والتجربة . ويقول صاحب مقال تراث الحضارة العربية في جريدة الاونسكو في ١٠ نيسان من هذه السنة : « كان النشاط البشري اجتمع في شخص هذا العالم الذي لا يشق له غبار » . ورغم كل ذلك فاننا لم نسمع عن اي دراسة عن المعارف الجيولوجية لهذه العبقريّة الخالدة .

ولكننا اذا درسنا كتاب الشفاء بامان وطالعنا الفن الخامس من الطبقات التي تقتل كل من ارك يحيى هوليسارد ومنديل ونيزه في باريس ، وهذا واحد وعشرين عاماً ، نرى معلومات جيولوجية لا بأس بها ، وذلك في المقالتين عن الآثار العلمية . شتملة على على الكائنات التي لا نفس لها من المعادن من جرم الافلاك . وما يحينا هنا المقالة الاولى التي تبين ما يحدث بناحية الارض .

يبتدى . ابن سينا في فصل الجبال بتحقيق حال تكونها بكيفية تكون الجبال وينتهل بعد ذلك الى التابع وعلة وجودها ، تلك القضية التي لم ينته اليها ، بد من نظ الكلمة الاخيرة في شأنها ، لانه يوجد لكل دليل ما يناقضه . ويملأ حدوث الجبال عن طريق الرسوب والجفاف او عن طريق تجدد الماء ، ويأتي في الاول بدليل يقول فيه : « وقد شاهدنا في طفولتنا مواضع كان فيها الطين الذي يغسل فيه الرأس وذلك في شط جيجون ، ثم شاهدناه وقد تجر حجراً رخواً وذلك في بلدة قريبة من ثلاث وعشرين سنة » . اما في الثاني فيؤمن انه يتكون من الماء السيل ، ويقصد بذلك على ما يظهر الماء الكاسي المشبع بمحض الفهم الذي بسبب حدوث الصواعد والنوازل في الغارات الكاسية ، مثل مغارقي قاديشا وفقاً في لبنان . ويرى ابن سينا ان نوعاً من هذا التشكل يكون على

وجين : احدهما ان يجمد الماء كما يقطر او كما يسيل برمته ، وقد وصف ذلك البيروني المعاصر لابن سينا في كتابه القيم « الجواهر في معرفة الجواهر » الذي نشر منذ مدة قديمة في حيدر آباد - الهند ، لا ندرى ايها اسبق في الوصف . والثاني على رأي ابن سينا ان يرسب منه في سيلانه شي ، يلزم وجه مسيله . وقد شاهد ابن سينا يهاها تسيل فما يقطر منها على موضع مساوم ينعد حجراً او حصي مختلفة الألوان . وفيما يذكره انه شاهد ماء قاطراً اذا اخذ لم يجمد واذا انصب على ارض حجرية تقرب من مسيله انقصد في الحال حجراً ، وامل ما يذكره في هذا الصدد نائج عن التفاعلات الكيميائية .

ليست هذه التوقيعات بالمهمة لانتنا نطالعها ايضاً عند غيره من العلماء ، اما المهمة في نظرنا فهي ان ترى عند علمنا هذا لأول مرة على ما يظهر تمييزاً منطقياً كيفية تشكل المستحاثات ، تلك الآثار الحيوانية والنباتية التي تلعب اليوم دوراً كبيراً في الجيولوجيا ، اذ بواسطة هذه الآثار يقدر عمر الارض وتقسم الاحقاب الجيولوجية بادوارها المختلفة وطبقاتها المتباينة ، وعلى هديها نستدل على وجود النفط والنفط والحجري - المادتين الهامتين في الصناعة المصرية -

فيينا كانت المتحجرات تتعبر حتى القرن الثامن عشر اشياء او حديقها المصادفة او خلقها سكر الشيطان لتضليل المؤمنين عرف ابن سينا قبل سبعة قرون ان تشكيلها كان طبيعياً ، فلو ان الماء انفقوا الى ما خلفه هذا العالم من الآثار الطبيعية لتقدم هذا العلم اكثر مما عليه الآن ، لانتا نجلده يقول في هذا الكتاب : « وان كان ما يحكى من تحجر حيوان او نبات صحيحاً فالسبب فيه شدة قوة معدنية محجرة ، فيحدث في بعض البقاع الحجرية او ينفصل دفعة من الارض في الزلازل والحسوف فيتحجر مسا يلقاه ، وانه ليس من استعالة الاجسام الحيوانية والنباتية ابعد من استعالة المياه ، ولا من الممتنم في المركبات ان يقبل عليه قوة عنصر واحد يستحيل اليه ، لان كل واحد من العناصر التي فيها مما ليس من جنس ذلك العنصر فشأن ان يستحيل الى ذلك العنصر ، لذلك تستحيل الاجسام الواقعة في الملاحة الى الملح والاجسام الواقعة في الحريق الى النار . واما السرعة والابطاء في الاستعالة فامر يجوز ان يختلف ايضاً حسب القوى المختلفة ، فان كانت شديدة جداً احسالت في زمن يسير . وفي بلاد العرب حرة كل من يسكنها واي جسم يقع فيها يتاثر ببلونها .

اذا حللتنا هذه الآراء على ضوء العلم الحديث ، نجدها طبيعياً

ساذجة ولا تفي بحاجات العصر ، ولكن تقدير جهود الاوائل لا يكون نظراً لآثاره الخاطئة والصائبة الموجودة في كتبهم قياساً على العصر الحديث ، بل بتلك الآراء المبكرة التي يسمو بها قائلها على معاصريه ، والمساهمة الفعالة التي قضى الى تقدم العلوم والافكار وعمل خطوة جريئة في سبيل التحرر العقلي . جرباً على هذه القاعدة يكون ابن سينا لم يبين فكرة مبتكرة مما فيها على معاصريه فصب ، بل على الاجيال التي اتت من بعده . ولا ندرى مدى تأثير هذه الفكرة في عصور النهضة ، ولكننا نعلم حق المعرفة ان ولادة علم الآثار الحياتية لم يكن الا عند ما طرح المفكرون آراء العصور المظلمة واخذوا يعللون المتحجرات تعليلاً منطقياً واقعياً . فاما ان يكون المفكرون المصريون قد سلكوا طريقاً مستقلاً او انهم تنوروا بأفكار ابن سينا ، وعلى كلا الفرضين فلا ين سينا فضل الاسبقية في هذا المضمار . واننا لنجده بعد ان يستقرى المتحجرات المعروفة لديه يصدر هذا الحكم : « يشبه ان تكون هذه المصورة قد كانت في سالف الايام غير معورة بل مغفورة في البحار فتحجرت » ، ويستدل على ذلك بوجود كثير من الاحجار في الجبال اذا تكسرت ظهر فيها اجزاء الحيوانات المائية كالاصداف وغيرها .

ويعلل الارتطاعات التي تحدث بسببين : عرضي وذاتي . اما السبب بالذات فعلى رايه : « كما يتفق عند كثير من الزلازل القوية ان يرفم الريح الفاعلة للزلازل طائفة من الارض ويحدث دابة من الروابي دفعة ، واما الذي في المرض فان يعرض لبعض الاجزاء من الارض الحفار دون بعض بأن تكون رياح نسافة او مياه حفارة تحدث حركة على جزء من الارض دون جزء ، فيتغير ما يسيل عليه ويبقى ما لا يسيل رايها : « ثم لا تزال السيول تقوس في الحفر الى ان يغور غوراً شديداً ويبقى ما تحفر شاهقاً » . يذكرنا هذا التعليل بالتعليل المصري بأن التفجرات التي تطرأ على الارض اما ان تكون باطنية المنشأ كالزلازل التي لا يذكره ابن سينا واما ان تكون سطحية المنشأ كالرياح والسيول ، وهو يرى ايضاً انه ربما كان الماء والريح متفق الفضان الا ان الاجزاء من الارض تكون مختلفة ، فيكون بعضها ليئاً وبعضها حجرياً ، فينعرف الترابي الابن ويبقى الحجري مرتفعاً ، ثم لا يزال ذلك السيل ينحدر وينحفر على الايام ويتسع ويبتعي الناتي ، وكلما انحسرت عنه الارض ، كان شهوقه اكثر . فتكون الجبال اذن نظراً لتدقيقات فيلوسوفنا من احد اسباب تكون الحجارة (كما يبين ذلك صراحة) . واما كثرة الاحجار

فيعلها بكثرة ما يشتمل عليه البحر من الطين ثم انكشافه عنه .
ويقول في هذا الصدد : « اذا تأملت أكثر الجبال رأيت الانخفاض
بينها متولد من السيول ، ولكن ذلك انما تم وكان في مدد كثيرة ،
فلم يبق لكل سيل أثره ، بل ابقى أثر الاقرب منها عهداً .
وأكثر الجبال الآن انما هي في الانخفاض والتفتت ، وذلك لان
عهد نشورها وتكونها انما كان مع انكشاف الماء عنها يسيراً .
والآن انما في سلطان التفتت الى ما شاء الله » .

وبالعودة الى الطينية بعدة اسباب : (١) انها ليست من صميم
مادة التعجير ، لكنها من جهة ما تفتت من الجبال وامتلأت في
الودية والفيجاج ، وسالت عليه المياه ورطبته (٢) انه تخلل من
الطينة الجليدة (٣) ان يكون القديم من طين البحر غير متفق الجوهر
فيكون منه ما يتعجر تحجراً ومنه ما يسترخي تحجرة لكيفية ما غلبه
فيه . وينوه ايضاً انه « يميز ان للبحر ايضاً ان يفيض قليلاً قليلاً على
بر مختلط من سهل وجبل ثم ينصب عنه ، فيعرض للسيل منه ان
يستحيل طيناً ولا يفيض ذلك للجبل ، واذا استحبال طيناً كان
مستعداً لان يتعجر عند الانكشاف ويكون تحجرة تحجراً شائفاً
قوياً ، واذا وقع الانكشاف على ما تحجر قريباً يكون المتعجر
القديم في حد ما استعد التفتت ، ويحذر ان يكون عرض له عكس
ما عرض للتربة » . يجب دقة نظروا ابن سينا على وجود بعض الجبال
كأنها منضودة سافاً سافاً ، ويرى انه يجوز ان يكون حائل الماء
ثم حدث بعده في مدة اخرى ساف آخر ارتكمت وكان قد سال على
جسم من خلاف جوهره فصار حائلاً بينه وبين الساف الآخر ، فلما
تحجرت المادة ، عرض للحائل ان انشق وانتشر عما بين السافين .
وارض البحر على زعمه قد تكون طينية رسوبية وقد تكون طينية
قديمة ، ويشبه ان يكون ما يفيض له انفصال الارهاص من
الجبال رسوبياً .

هكذا يعمل ابن سينا تكون الجبال وفقاً للاسباب ، بيد انه
نجد لا يطمئن تمام الاطمئنان لانفصال الارهاص ولله يقصد في
ذلك تكون الطيات التي لم يطل العلم الحديث عنها الايام بعد ،
واننا لنعجب جد العجب حين نجد ابن سينا لا يطمئن للتعميل
الرسومي افلا يقول « هكذا كان » او « هكذا يكون » بل يقول
« يشبه ان يكون » . وسنضرب صفحاً عن نظرياته في تكوين
المعدنيات من الاحجار والذائبات (يقصد بذلك المعادن القابلة
للصهر كالحديد والنحاس والارهاص) وعن تكون الكباريت

والاملاح ، فليس فيها على ما وردت في كتاب الشفاء على ما يظهر
ابتكار خاص ، لان نظرية تكون المعادن من الزئبق والكبريت
التي يذكرها ابن سينا والتي ورد ذكرها عند علماء تقدموه ،
ترجع الى قداما اليونان . وفي معرض حديثه عن الحجارة يذكر
كذلك تكون الحجارة من النار ولله يعني بذلك الصخور الاندفاعية .

ان اهم ما يجب نظروا في كتاب الشفاء لابن سينا ذكر ظاهرة
طبيعية في هذا الموضوع لم يهتم احد اليها ، ولم يوفق العلماء الي
اكتشافها بصورة مستقلة الا في ازمة متأخرة جداً . ان هذه الظاهرة
حسب وصفه هي ما يلي : « كثيراً ما يحدث في الصواعق اجسام
جديدة وحجرية بسبب ما يعرض للنسارية ان نطفاً قصير باردة
يأبسة ، وقد يقع في بلاد الترك في الصواعق والبروق اجسام معدنية
على هيئة نصول السهام » .

دقق في هذه الظاهرة العلماء الافرنسيون ، وخرأ في صحراء افريقيا
كما جاء وصف ذلك في مصنفات الجمعية الافرنسية للميزالوجيا في
باريس عام ١٩٣١ ، وذكروا ان هناك تشكيلات نصول سلبية
معدنية حادثة من الصواعق عرفت باسم انابيب البرق او حسب التعجير
التي بالمعروف ، وعلى ذلك يكون ابن سينا هو السابق لهذا
للكشف المصري . من اجل ذلك لا يكون لكتاب الشفاء قيمة
تاريخية غير ضئيلة ، بل قيمة علمية عصرية ايضاً ، لانه ذكر لنا حادثة
طبيعية غفل عنها العلماء في العصور الحولاني ، وكان العثور عليها اليوم
يعد كشفاً جديداً . وان ما يذكره العلماء المصريون عن هذه
التشكيلات في صحراء افريقيا يشبه التشكيلات الواردة عند ابن
سينا في بوادي بلاد الترك اي تركستان ، اذن ان في آثار ابن سينا
رغم المعلومات الجمة التي استفاد منها العالم قروناً عديدة بعض دور
لم تكنشت بعد ، ولو انها عرفت في الوقت المناسب لاسهمت في
تقدم العلوم أكثر من ذلك ، ولعلنا في بعض الكشف العلمية -
لهذا السبب نفسه يقتضي علينا ان لا نهمل هذه الآثار القيمة ، وما
تدريتنا ولعل في طياتها قضايا علمية عصرية غفل عنها التبع الحديث
ولو لم نتعجب بهذه التحريات في صحراء افريقيا لعدنا وصف ابن سينا
ضرباً من السجيل . وهكذا كلما تقادم العهد كلما ظهرت آيات
جديدة في تراثنا الحائل دالة على العمق الذي جبل عليه اسلافنا وعلى
التبع الجدي الذي كان رائدهم في حياتهم العلمية .

محمد يحيى الرامحسي

جلب

جبل طايبه وخصائصه ، وأبرز طابع في الجبل الحاضر هذا القلق العنيف الذي يتجلى في صور حياته وثقافته ، انه قلق روحي نبيل الإحساس والغاية ، يحفز النفوس الطامحة الى المثل العليا ، ويفرغها بالتحور والتطور .

ليس بدءاً ان يكون القلق طابعاً لهذا الجبل الذي استقبل الحياة في عهود مظلمة ظالمة ، كان بعضها مولود بض ، خسفت فيها كوارث الحرب العالمية الأولى ، وحين شاء القدر ان يزعج الستار عن فصل جديد من أساسة الدهر الكهرى ، رأى الناس مهذاً جديداً ازدحم فيه ضروب التجدد والتحول في أنساق المعرفة والحضارة ، موسوياً بطابع سياسي خاص ، فكان في كل قطر من اقطار العرب يقفلة ارتياب واضطراب ، واستوى الناس جميعاً بالقلق وان لم يتساوا في اسبابه ودواعيه او في مظاهره ومراهبه ،

وتعيم قوم قليلاً ، وشقي آخرون كثيراً ، وفتحت وعي الجبل على قلق كان يبدو اثره كلما ازداد علمه وصما شعوره ، فكان اذا ضاق بسياسة الحاكم الفاشم او تعيم بالنظام المفروض قتلته منه حيناً ، فالتس الراحة والحوية في مرافق العيش ، فاذا وجوه الرزق متعبة ، وتكاليف العصر ثميلة باهظة ، فلا المكاسب دانية في الحياة العامة

ولا الامرة مواتية في الحياة الخاصة ، وقد تبدلت الأوضاع الاجتماعية والموازين الخلقية والادبية ، وتمازجت الثقافات وتضاربت الآراء ، فلا غرو ان ثار الجبل لثوته المرافعة ، وتنازعته مذاهب متعددة ومعضلات متعقدة ، فالوطن يستأخذ حقوقه وينشد حريته ويقيم كرامته ، ويؤخذ هذا الجبل بالحملة الوطنية والحماسة القومية ، فيتشترى ويتأذى ، ويقترحم الخطر حيناً ، ويحجم أحياناً ، ولكنه يبقى متربصاً واقعاً بالمرصاد ، كامن الثورة كالجمر في الرماد .

كان القومي الاجتماعي والثقافي يزيد في طموح الجبل ، ويدفعه الى الظلم والتزق وبلاغ المستقر ، وما كاد ينفلت من معد محدود ومنهج محترم حتى التدفع الى المجتمع وخاض غمار الدنيا ، فرأى الفرق بعيداً بين ما تلقاه من كتبه ووعاه من معاليه وأهليه ، وبين الذي وجدته في زحمة الحياة ، فهو لم يتعلم فيها ، ولا تقب في

تجاربها ، فأدركه القلق على مصيره ، وصدمه الواقع بما اصطلح عليه المجتمع من مصانعة وتقويه ، وغطى اللوالب والكفاليات .

لقد علمته المدرسة وزينت له المثل العليا ليسو بسموها ويسمي اليها ، لكن مطالب المنيشة كانت تشد به الى المادة ، فبرى عبيدها من جيلة واحدة ، بأيديهم ميغان واحد ، وعلى وجوههم سؤال واحد ، فلم به تقل وتقر ، وأوضح شرح لهذا القلق الذي يماينه الجبل المثقف المتحور ان طالب الحقوق مثلاً ينسج في باله وخياله ، وهو على مقاعد الدرس ، قصوراً أندلسية بينها في عالم المحاماة والقضاء ، فيتبخل نفسه في جلباب الدفاع أو على منصة القضاء ، ترققه العيون بالاعجاب ، والناس يبايه وقوف يزدحمون ، سعي اذا نال هذا الطالب وامثاله شهادة الدراسة وأقبل على العالم الذي تمثله وجد حقيقة على غير ما توهم ، فاذا كان من ذوي المواهب والطلوح دببت فيه تلك

القوة الخفية التي اصحبها القلق ، فقلته بالسعي والطلب ، وحين تطلع الفرد الطامع من هذا الجبل ، من افقه المحدود الى آفاق بعيدة ، احس ان القلق يحجم على الامم ، فان تكالب الاقوياء كان من افجع الظواهر التي ابالي بها عصرنا ، فقياد الدول الكهري بأيدي متاع جبارة ، طغى حقدنهم وجشمهم منذ الحرب الاولى ، فاستنفروا

اقوامهم حتى التهبوا واستكلبوا ، وكانت حروبهم الثانية اشد من الاولى فتكاً وتدميراً ، فأفس سكان هذا الكوكب انهم منسقون الى جميع موعود ، وقصد باتوا يرتقون نهاية هذه الحرب لينعوا بالامن والسلام ، غير ان الامل الانساني المام اصيب بأروع صدمة عرفتها البشرية منذ خلقت ، ذلك اختراع القنبلة الذرية التي انشده منها الناس جميعاً فاشند قتلهم على المصاي والمقادر ، فوبح هذا الجبل الذي نشأ بين حروبين ورأى تقلب الحكم والاحكام ، وتبدل الثقافة والحضارة وما شهد قوم حروباً واحدة الاشابت نواصيه في الشباب وتحدث ظهورهم قبل الاوان ، فكيف هذا الجبل الذي فتح الالعين على زمن تلاحت فيه الحروب ، وتوات الكوارث والمخاطوب ؟

ان « مارس » آله الحرب وجبار الاساطير ما كان يترق عنه



خريف

✱

سكون

على الأرض ، يحضنها ، كالحلم
وفي النفس ، همس ، وجرس ، حزين
كرآن السماء ، بقايا نغم

ذهول

وظل ، سخي ، يلف الأفتق
وفي الروض ، إيمان ، لا يطول
ومسكاً ، لانهار الشفق

رفيف

شرد ، هفا ، ناعم كالوسن
كان السجا ، وراء الخريف
نحط الجداد ، ونحيا الشجن

مساء

على الشمس ، في ظهرها الشاحب
وفي الهدب ، تهوية ، وانطفاء
وفي الكأس ، تنمسة الذاهب

مصح

وصفي فرتلي

السلاح حتى عاد يشهد هذا السلاح ، وإذا نهر الدم يطلب المزيد ،
وفزع هذا الجليل إلى السلام والوثام ، فلم يجد حمامة ترف بالزيتون
وانا سمع هدير الأحقاد ، ورأى الابتسامة على الفم الحادع والعدو
وراء الجفون ، وما لبث هذا الربا ان تكشف عن ظلم الإقوياء ،
والجيل الحاضر يعاني القلق على مصير الإنسان والوطن ، حتى اذا
هبت اعاصير الدوان على فلسطين ، وكثرت الصهيونية عن حقدها
وكيدها ، وتقارى جبناء الارض وتناولوا ، هب العرب هبهم
الكهري وجمعوا شملهم لدفع الدرد والعدوان ، وعم القلق هذا الجليل
كبار وصغار ، رجالة ونساء ، ولم يكن قلق المائة العربية
دون قلق الرجل ، فقد شهدت اعظم انقلاب في حياتها وثقافتها ،
ورجا زاد قلقها على قلق الرجل ، فان كفاحها في سبيل حريتها
وكرامتها ، في قوما وبلادها ، كان حروبا داخلية حملت فيها عابئ :
واحد احست به وحدها ، والاخر شاركت فيه الرجل ، فلقد
التمست حقوقا انسانية وقومية ، وحاولت الظهور في ظل مآزمت
مشهد او متهم مستهزي ، فكان نصيبها من القلق اشد واوفى .
تري ، لكن جاء المؤرخون بعد زماننا ليؤرخوا حياة جيلنا ،
فاذا يكون حكمهم ؟ هل يستطيع احدهم ان يكذب على التاريخ
كما فعل الآليون ، فيقول : لقد عاش هذا الجليل حياة هادئة ناعمة ،
كما نقرأ اليوم في سجله للتاريخ عن عهود كانت تغلي بالفتن والمحن فقال
المؤرخون عنها : عاش الهوا هادئين مستقرين ، وكانت آمنة مطمئنة .
الان اصدق طابع لهذا الجليل يقره من سواه ودل عليه هو القلق
الغيف الذي ترمس به وأغراه بالصعب ، فما كان ضالاً او ييلاً ،
بل كان حافظاً الى الكرامة والطموح ، متغافلاً في الروح ، كانه
صودة من صدر الضمير الحي يلفظ ، يدور ابدأ في نفسه فلا يهدأ
ولا ينفعل ، ويعمل دوماً كانه موجل او دلاب معمل ، على ان
بعض الكلم يابو ويعاظهم ، فلا يجد الكاتب عنه مندوحة لانه
يؤدي المعنى الذي يريد من اقرب سبيل ، وكذلك فان كلمة القلق
على ما فيها من قلق هي وحدها في لغتنا العربية التي تلم يهدأ
الشعور الذي يتماور الجليل الحاضر ، وتقسم به حياته وثقافته ،
وقد كان علماء البلاغة يلمسون هذه الالفاظ معاقير ، لكنهم لم
يجدوا عذراً لاني الطيب حين استعمل القافسات في بيته المشهور
الذي قلقل به قلائق العيس ، فاذا هبت كلمة القلق عن المعنى الذي
اريد ، فقد بلغت المقصود ، وكان لي في ذلك خير عاذر على لفظ
تنبو قافاته وتسمو معانيه .

رواد سلكيني

دمش

الشاعر حسن كامل الصبري

فلم مصطفى عبد اللطيف المصري

بصر

زيادة الاستاذ خليل بك مطران للشعر الشرقي الحديث ، وما ادخله عليه من نهج جديد ، وتجارب متنوعة ، ومعاني مبتكرة ، واخيلة طريفة . قامت في مصر ، مدرسة أدبية ، تشق للشعر الفني جادة جديدة ، متأثرة بمطران تأثراً توجيهياً ، وكانت تضم قلة مصطفاه من شباب الشعراء ، وكهولهم ، وعلى رأسهم الدكتور ابو شادي وناجي وغيرهما ، وقد اعتمدت هذه المدرسة القوة الشعرية في ذاتها ، محتفظة باستقلالها وشخصيتها الادبية ، نازلة على القوالب الشعرية القديمة ، والمنظومات التقليدية المعاصرة ، فالتقطعات مجزأة ، وجوهرها ، ان تنفع البيئة الادبية بأثار قيمة ، صوبت إليها من الشعر طليقة ، وصوراً مضيئة ، ومعاني جديدة ، وانعاماً عذبة ، لم يك للناظمين الحضريين عهد بها .

ومن نوايغ هذه القلة ، الشاعر حسن كامل الصبري ، شاعر رومانسيكي النزعة ، في اغلب شعره ، مجنح الخيال ، شفاف الانعام ، جمعت شخصيته بين كترين ، طبيعة فنية ، ونفسية طيبة ، تلعب مظاهرها في لحاح وجهه المعروف الحساس ، وعينه اللامعتين الذكيّتين .

وهيأت له طبيعة بلده - دمياط - الهامات متنوعة ، انسابت اليه من البحر الحياش ، والنهر الهادي . المقدس ، حيث يلتقيان هناك قريباً من بلده ، وفجر الالم في نفسه ينساب مع الشاعرية ، وتقلتها اعصاب المتجاوبة المرهفة ، فأثرت شعراً جديداً ، فسانن النعم ، لا عهد للبيئة الادبية المصرية به .

وكان ديوانه « الاخوان - الضائعة » أول ديوان مطبوع له ، وهو يعد فتحاً جديداً في الحقل الادبي ، وتتمثل فيه روحه

الثائرة على الحياة ، وعلى الرواسم الشعرية المألوفة ، والاهداف التقليدية ، اذ قد وعى تجارب فنية خالصة وازدهر بمجالات متنوعة ، ونغمات اثيرة أثقلت قلوب الخاصة ، ورنّت بعض اصداؤها في القلوب الصافية المتصوفة من ابناء البلاد العربية ، وهذه النغمات وان توضع عقبها في قلة من الناس ، فأنها لم تلق اي تقدير من غالبية المعاصرين من سكان هذا الوجود ، وهم الذين عناهم الشاعر بقوله في احدي قصائده بديوان الاخوان :

فراديس ترقص فيها الفنون
ومالوا على سورها يدمون
أنشيد تترنم للخالدين
وذاب النشيد وهم يصيحون
فكانوا بفصتها ساخرين !

فبعض لم يجر جنان الخيال
فراحسوا عنهم يتراون
وأشدعهم من أعصاني الحياة
نفاخ العفنة في رفاة الحياة
وحديثهم عن جنسان الخلود

ومثل هذه الاخوان المتمردة كثيرة في ديوان الاخوان ، واكثر منها ألحان الالم ، وهي تفسر نفسه القلقة المتجربة في بداية حياته ، وتستظل هذه الاخوان تبعاً ثراً لقلوب الرومانسيكيين ، وللارواح التواق للانس الروحي المفقود في دنيا الناس ، ومن غاذج هذه الاخوان ما جاء في قصيدته « ربيع كالحريف » التي يقول فيها :

هو الربيع . ولكن أين جعني وأين ماكنت ألقى في فناءيه
هو الربيع . ولكن لا أحس به واست أشعر شيئاً من مسانيه
هو الربيع . ولكن عند منتهج هو الربيع . ولكن عند اعليه
لكنني في خربني بت منتظراً سقوط أوراق عري في نلشابه !

ومع وفرة هذه الاخوان المشجية ، فلم يخل الديوان من خواطر تأثيرة واقعية خفيفة مثل قصائده « المنديل » و « موت البلب » و « عقب السجارة » وقد جمع في هذه الاخيرة خواطر وجدانية متنوعة ، وقد استلها بقوله :

في الارض ملأته مذهبة
هذي اللغية من سجعارها

منبوذة كانت مقبوضة
كانت نوانسها فتخلق من
كانت ترواها فتبعث من
كانت تشارك قلبها الوجدان
أنفاسها معدودة عدداً
وتطيل في الانفاس ما شئت
حتى تذبذب كأنها كانت

من ثمرها تقف لسوفا
موج الدخان عموماً شئ
قبر الحياة خوادثاً موتى
وتنزل تكتم شجوها عنها
وحياتها مسلوكة منها
فتظل صابرة على البلى
حلماً ولم يغفل سوى الذكرى

ولم يقتصر الصوفي على النواحي التي ألمعنا إليها ، ولكن له لغات غزلية متصوفة ، ونفثات في شعر الطبيعة بمنزلة الخواطر الوجدانية آناء وبالفلسفة الحقيفة آناء آخر ، فضلاً عن اتجاهات رمزية قليلة ، ولغات إنسانية مثالية نادرة ، تمثل لها مقطوعة « التضحية » وهي ختام ديوان الألمان ، وقد جرت كالآتي ، في أسلوب مباشر جميل :

هنا في هيكل الحب
وأحرق عنده قلبي
ولست بتادم يوماً
أجل الناس من يشاء
أحرق بمدا الفرد
بجوداً طيب الند
على قرباني الضائع
ليرضى الظالم الجائع

- ٢ -

هذه اللغات العابرة تكشف إلى حد كبير عن شعر مستقل نائم ، وقم على شاعر متحور إلى أن يرسخه في الأغلال ، ويتفنن أنغاماً فريدة ، لذة ، أنغام الأسى الجنون التي تليق في الوجدان وتدموم ، وكأي من لغة في الأنعام الحزينة أعذب من المذلة نفسها ، كما يقول كليرانس دارو Clarence Darro في كتابه « الواقعية في الأدب والفن » :

وإذا كان ديوان الألمان قد أطرنا بثل هذه الانغام ، وانحنينا بتجارب شعرية خالصة ، جلبا خواطر تأثرية وجدانية حزينة ، فإن « ديوان الشروق » يسجل نقلة شعرية مغايرة ، بانتقال الشاعر نقلة نفسية مشرقة ، أنه ديوان غمرت أضواءه الظلال ، وأطار في ثنياه وجه المرأة الجاذب ، ونبض فيه قلبها الطامع ، فوجه روح الشاعر وجهة جديدة ، وأضفى على شعره إشراقاً ، وأضاف إلى تجاربه ، تجارب ، ونوع أنفالاته ، وبدل قليلاً من موسيقاه ، وقاده من عالم الضباب والسحاب إلى عالم الحياة والأضواء .

وإثر هذا الوجه الجاذب ملموس في قصيدته « النظرة الأولى » والورد الجديد :

في النظرة الأولى رأيت الحياة
فصلق عيني اليوم فيها تراه
في النظرة الأولى جمعت البعيد
في النظرة الأولى سمعت التهديد
فتنحني باباً إلى عالم
أم لا ترى إلا رؤى حلم
من عالم الحب وألوانه
فرحت منبوراً بألوانه

في النظرة الأولى رأيت الشباب
ويحمل الماضي وينسى المذاب
قد كحل النور جنوبني ظلم
سينكر القلب مساني الألم
يعلم الاغلال من ساقه
فيخفق الكون لمخاقه
يدع لطيف الذوم فيها أمل
ويهم الكون بذكر النمل

فهذا تزوع وجداني مشرق جديد وتبدل نفسياني عجيب ، جعل الشاعر ، من النظرة الأولى ، يكاد ينسى المذاب ، وينكر الألم ، ويودع الماضي ، ويعلم الكون فهماً جديداً ، ويحس في جمال هذه الحبيبة بدفقات النور تضيء جوانحه ، ويرى مراً الطبيعة وبناتها بمنظار وردي ، فيقول في قصيدته « النور الجديد » معبراً عن أنس نفسه وأشواقها :

وصلت ما مر من عري بآته
فرحت أكحل عيني من مرانيه
جلى من النور لم إبلم بمساليه
أنى أجهت ولم أدرك تساعيه
الصبح يبلى قايماً بصداحه
في سمعي جديد من أغانيه
والفجر قبل ارتحال الفجر ليحلي
عما يشين صبحي في مسانيه
والطبر عفت والأزهار رائحة
كانها تتعري من تساجيه

ويدعو لنا أن فرحته الجديدة كان يشوها كثير من التفكير ودلالة هذا ظاهرة في القصيدتين سالفتي الذكر ، حيث نجد فيها توزيعاً موسيقياً ، وضوءاً قليلاً ، وحركة قليلة السرعة ، والهدوء بالشعر المرح ، أن يكون عالي الموسيقى ، قصوراً في مسافات الصوتية ، مليحاً بالنشيد .

وحالاً انقسمها كان يوم حوله من تفكير في بداية حبه ، يجرى للشاعر ليصنع أثر الحبيبة فيه حسياً ومعنوياً ، فأخذ يصائر عينيها وشفتيها في مشاعره في قصيدته « عيناك » و « شفتاك » ، وأثرها المعنوي في مثل قصيدته « الرضا » و « تهنديني » وفي هذه الفصائد الأربع ، نجد تقارناً في قوة تجاربه ، وفي حالته النفسية ، وفي موسيقاه ، ففي قصيدتي « عيناك » و « شفتاك » تلوم موسيقاه قليلاً ، ويخف توزيعه النفسي ، وتتواصل وحدته الاسلوبية ، وتكثر معانيه ، وفي قصيدته « الرضا » ، تلوم موسيقاه قليلاً ، وتهدأ نفسه ، وتضوى صوره ، وتقل فكرياته ، وفي قصيدة « تهنديني » وتتوحد نفسه ، وتتوحد موسيقاه ، وتلوم درجات ، وتتوحد انفعالاته ، فلا يكتفي بالتعبير عن عاطفة الحب وحدها ، والتلاعب بالألفاظ والصور حولها ، ولكنه يضيف في هذا القصيدة انفعالات أخرى ، تلبس عاطفة الحب أحياناً ، وامتناعي ان هذا القصيد خير ما في الديوان ، وفي الفقرتين الأولى منه يقول :

قالت : هلام تهنديني في سكوتك يا حبيبي
هل أنت في فردوس حبك حامل عبء الغريب
قمضي كما يقضي شعاع الشمس في هوى الغرب

أو لم تجد في ظلي الزاني منسائم الغروب
فغلت ترفرف زفرة المحزون والماني الكئيب
لا تحسني زفرائي الحزنى شجونا لم تزل
فهي تتحرك في هواك ، وإن حبيت بغير ظل
وهي تتأمل في هواك وحبرني ما بين جهلي
وهي التجرد في عنائك وانتعم والتعلي
وهي اختلاج الوحي في نفسي بآيات التجلي

- ٣ -

والمحفوظ في ديوان الشروق ، جنوح الشاعر غالباً الى التجويد
في المعاني ، كما هو الحال في ديوان الاخوان ، وميله الى الاجام في
أحيان ، كما نلاحظ ذلك في قصيدته البديعة : « المعنى المبهم »
وفي موطوءته المبهوسة « وحدة العمر » ، كثير من التأسلات ،
والمعاني الغامضة ، ومن أعذب ما جاء فيها :

ستختلف الحياة أمام عيني
عمر طيوفها وتغيب عني
ونائي في عيط من غن
وأحلام تلوح بكل لون

ثم يحتملها بقوله :

تأمل فقد بلغت حدود نفسي
وأطمع أن اخفق طيف حدي
فول لك أن تذيب تلوح بأبي
وفزع حاضري بقدي الخاضع

وهذا القصيد ، قد يتعنا بأصداء شعورية بديعة ، إلا أنه يصنع
الذهن في حيرة وتلدد ، ويأثله في هذا المنحى قصيد « الخمران »
ذو المعاني المطلقة المجردة ، والخواطر المبهمة ، التي يرم بها الشعراء
الشرقيون ، وبعض شعراء العرب الرمزيين والمحدثين .
ويضاف الى ما تقدم ، ان ديوان الشروق امتاز في بعض قصائده
بأنغام ارتكازية ، لا عهد لديوان الاخوان بها ، وآية ذلك قصيدته
« القبة » فانغامها تتراوح بين البؤس والمروءة ، وهذا النوع من
الموسيقى نادر في الشعر العربي ، المنخفض القرار في الغالب ، وقد
جاء في قديمها الاولى قوله :

خمر شباب رطيب ، مصورة من قلوب
على الشغاف تذوب
في العليسين وهاء
من طعنها اسكريني

وفي قصيدته « نثيد الثورة » تلمس موسيقاه درجات ، وليس في
ديوان الاخوان ، مثل هذه الموسيقى العالية . ومما جسا في نثيد
الثورة قوله :

تحرك يسا الى الضم واضض
فحكك في بلادك بات يرفض
واي جفون مسلوين نفس
إذا ما الاسد ديس على حماما

بلادك لئمة في عين جانع
وحكك خبة في كف طامع
وانت سع الذلة جد قاصع
فقم واخرج من النيل السناما

والمحفوظ ، ان الصيرفي في موسيقاه العالية لم يبلغ الاوج ،
والمثل ذلك راجع الى طبيعته المنطوية ، الميل الى كبح انفعالاتها ،
ولهذا نجده في الحان الالم يحيد كل الاجادة ، لانها ألسان تتطلب
موسيقى هادئة منخفضة القرار ، وهي تحتاج في الاغراب عنها الى
جهد كبير ، ولم يخل ديوان « الشروق » من طائفة من القصائد
ذات الانغام الهادئة المشجية مثل قصيدته « الشاعر والسحاب »
التي ارجاها الى روح الشاعر النابغة فوزي الملوغ . وقصيدته
« الصباح الجديد » التي اهداها لشاعر الحضراء الملم « ابو القاسم
الشالي » وهاتان القصيدتان رائعتان من أوائمه ، في تجرّبتهما
وموسيقاهما ، وخيالهما ووجدتهما .

ومما جاء في القصيدة الثانية قوله :

أبى الصبح الذي
لم يزل يفتقد سرى
حطم الناي واستراح
لحك الذئب في البطح
بين ايامك الشجاش
ماتقاً خافق الجناح !

في مثل هذه النواحي الحزينة ، تتوحد تجربة هذا الشاعر ،
وتكشف موسيقاه ، وتعمق تأملاته ، ولعل مرجع هذا الى ان النفس
في الالم تكون اكثر توحداً ، واشد استحياء لادوار ما فيها ، على
حين انها قد تتوزع في قصائد المرح ، او اقتضائات التفكيرية ، ولم
يسلم ديوان « الشروق » وقد طافت به شعاعات الفرح ، وللمت
به خواطر الفكر ، من تخالط ، وان راققت فكركها ، وهذا ما
نلاحظه في مثل قصيدته « خمرة الفن » « والافق » و « وانا » فهذه
القصائد ليست ، على ما نرى ، في مستوى شعره النابغ .

ومن هذه اللمعات الحاطقة تظهر لنا بعض سمات شعر الصيرفي
ومناحيه ، وانه لشعر رومانتيكي مبهج في عهد الفتاة ، وشعر
غزلي في عهد الشباب ، مازجته بدور قليلة من بدور الواقعية ،
وشعره ترجمة لحياته ونفسه المنطوية غالباً ، والمتبسطة نادراً وتعبير
لمناحيه المكتسبة كثيراً ، المشرق قليلاً ، فهو شاعر صادق ، لا اثر
للتصنع فيه ، وهو من أبناء « أبولو » الكافين على محرابه ، والعالمين

صيف وشتاء



نحو الثانية . . في دروب الحياة البعيدة . تلبث قوافل الاقزام الجبارة ، وتجهد الايام في مطاف الزمان ، من تلك اللبثات وذلك الجهد لئلا يتجدد ابد الابد .

يتحدر العرق من جباهنا الغورية ، زيتاً لمرورنا التي دب فيها جفاف الادل

اي الم في امل !! تلك قصة الحياة منذ اختلجت الحركة الاولى ، وعلى هذه الحروف الزرقاء . يقوم بناء الوجود ، وكلما ازدهى الشوك على هوامش العاير بدماء . المجهدين ، انداح صوت هادى . جليل ، فيه حنان الامومة ، ورحمة الاخوة ، يغني .

اي تشيد سحري خدر نجمرة الابد !!

فاذا بالقاتلة ترقل ، ساجبة على الحلامد والاخاديد دمومها وجراحها ، مأخوذة باللون الزاهي المنسكب من الاعماق !!

انها خدعة . . اهكذا تكون الحياة بانزعتها المواربة ؟ يالها قطرات تسهران البشرية في المهد الطويل الشائك الغناء ودروع . اناسها يا زمان ، هات من احداثك جيلاً فوق جبل .

على رفع لوائه ، ومصدق ذلك تجده في اول قصيدة له بديوان الشروق الموسومة بخلود الشعر التي فيها يذنب عن الشعر ، ويؤكد خلوده ، لانه المعبر عن آلامنا ، وافراحنا ، واشواقنا ، وخفقات قلوبنا ، النام عما في الكون من سحر وجمال وهو بهذا القصيد يذكركنا بكلمات فيكتور هيجو عن الشعر وضرورته في قوله :

« بعض الناس يقولون في ايامنا هذه ، ان زمن الشعر قد مضى وانقضى ، وكأنني بهم يقولون لا اردود بعد اليوم ، فقد قضى الزرع نجده ، ولا اوبة ، وان الشمس لن تشرق بعد ، وانك لو جلت في الفضاء ، لن تجد فراشة ! ولا ترى للقمح خبواً ، وانك ان تسمع زأرة الاسد ؟ ولا صيحة النسر ، وان القلب البشري قد مات » ؟ وعلى غرار هذه الكلمات الشعرية ، جرت صيحة الشاعر الانجليزي الموهوب - برسي شيلي - في سفره البديع « دفاع عن الشعر » - .

ولتد صار لزاماً على الادواح الموهقة في الشرق ، ان تضم اصولها الى صيحات هؤلاء الشعراء ، وترفع بانجنحتها النورانية

لم من سواد الليالي المدلهات ، وحفر النكتات الساحقات ووحشة الكهوف والصحارى ، واثات اليتامي والشكالي ، ردماً فوق ردم ، تمر به النجوم في هلع وانكماش . له صفرة الموت ، وهول الدمار ، ولون الجود ، لاسكب فوقه قطرة واحدة من دمعي انا الانسان ابن الارض ، فيذوب امام عيني السعيرية كحبة الجليد في جبهة الشماع الدافئ . ثم اقف على اشلائه الخطيعة لا يتسم . لان البسمة والدمعة في متلازمان .

هكذا هلعتي الحياة يا زمان ان ابقم بعد البكاء !! فاذا ترى ؟ مكان ذلك الدم الذي كاد يخنق السماء بكثافته وعراة . وفرد وفرد ، من مواكب الورود والرياحين .

فاستمع الى قصة الوجود المعجبية تسردها الشمس في حضن الشتاء . اسرعنا يا زمان ، الي باقداحك المترة بصغير الاحداث الموصعة بالهات المجهول المعجب ولشرب على هذه الصخرة . ريثا تلحق بنا طليعة القافلة .

حاور صموئيل ، المتزوج بأطياف الحق ، الموطب بضباب النجوم ، حيث انا وانت يا زمان بين الندامي الذين تبدهم بحيلة انسان في قلبه الى ليكيكي ويغني .

على محمد سلس

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

على دنيانا العاكفة على المادة ، القائمة بشروها وسيتاتها . وصار واجباً على الشاعر الذي يتحدث عنه ، وقد جاوز سن الاربعين بأشهر ، ان يخرج دواوينه التي قطيع ، وفيها قصائد فريدة معجبة ، وعليه بعد ذلك ان يودع ترثته الرومانتيكية الغالية ، ويهبط دنيا الناس ، فانظر الى المجتمع الذي يمج بالآلام ، والمآسي ، والمظالم ، وليذكر دائماً قوله في قصيدته « وحدتي » .

شعاء الناس يؤمني فأسددم باشمادي
ونار الناس تحرقني ولا تحرقهم ناراي

فليقبل اذن شاعرا على العزف على قيثارة الحياة ، لا ليشجي الناس بأنغامه ، ولا ليعدهم بأشعاره فقط ، بسل ليصور آلامهم وآمالهم ، ويثر على اسواتهم وهواثهم ، ويمثل على ظالمهم كما فعل في مثل قصيدته « السحابة المقتة » التي رمز بها الى احد الحكام المتجرفين في زمنه . حتى كوما ريب ان شعره المطبوع منه يوزع المطبوع ، سوف يلقى من ادياء الشرق ، ما هو جدير به من اغراء وتقدير ؟

القاهرة مصطفى عبد الطيف المحمدي

طمانينة السماء

فأصطارت فيها أحاسيسها
ووثبت أشباح آلامها
فجمدت في جفنها دمة
ثم همت ، محرورة ، مرة ،
كاللج يطنى في الحضم الكبير .
مجنونة ، تشب شب السبع
تصاعدت من قلبها المستطير
كانها تضرع المستجير . .

تلقت وراءها في اسى
لعل في اغواره لحظة
لعل في الماضي وأطرافه
فأرأت غيو حطام المني . .
وبعض اشلاء هوى حالم . .
نحو مهاوي امسها النساير
تلوح من ذكرى سنى عابر .
عزاءها عن قسوة الحاضر
على صخور القدر التاثير
مرتطم بالواقع الساخر !

ومرحت أمامها طرفها
فأبصرت ، ما أبصرت ؟ مهماً
تبعثت فيه الأصوى . واختفت
وهي على الدرب . . ذعور الحطى
والظلم الكاسر لا يترى
في قلبها الهاشم خاف السراب !
عبر غد مكتشف بالضباب . .
مستبهم الافق يخوف الشباب
معالم السبل وراء البباب . .
رفيقها الوحده ! . والاغراب
في قلبها الهاشم خاف السراب !

وكان اقصى ما شجى نفسها
تدفق الظلمة في يومها
ظلمة عزى كل ايامه
التنوير والنور ؟ اهل قطرة
وايتمت الرابع من هجتها
في غدها المحروم . في امسها
ليل تدجى في مدى حسها
تسيل منه في دجى بأسها !
من اين ؟ والاقدار قد جفت
منابع الاضواء من نفسها . .

وفي شروذ مبهم ، غامض ،
فأنشقت صدر الليل عن كوكب ،
كان روح الله من فوقه
فانخطفت في ذهلة روحها
هناك ، حيث النور لا ينتهي ،
تعلقت مقلتها بالسماء !
مشعشع الوهج ، دفوق الضياء .
تقدم بنورها عن سحبا .
خلف النبايات ، وراء الفضاء
هناك ، حيث النور فوق الغمام

هناك غشتها طمانينة
وصاح من اعماقها هائث
يا ارض ، اهراؤك معها طفت ،
يا ارض ، احزانك معها قتت ،
هيئات ان تلس روحاً سرى
عابوية ، ما لمداها حدود !
ينتظم الارض صدها البعيد :
واقعدت خطوي بثقل القيود .
وطبقت حولي مجالي الوجود .
فيها من الله ضياء الخلود !
فدوى عبر الفضا طوقه

نابلس — فلسطين

عج الاسى في روحها الشاعرة
وحيدة . . ضاق بها مخدع
كم شهد المكبوت من شجوها
كم التوت فيه على قلبها
وكم ، وكم ، ولا يدبرة
في ليلة مقرورة كافرة ! . .
توغل فيه الوحشة السادرة
تعيده خليجاتها الشائرة . .
تبكي امامي قلبها العائرة
تأسو جوارح الزمن العائرة

تهدت بما عراها وقد
وقلبته بصراً تائباً
لا ومضة تخفق من كوة
سوى هزير الريح ، تحتاجها
وقلبها المحروم ما يأتي
مالت على شرفها حانية
في قلب تلك الظلمة الناشية
لا ناة تصعد من ناحيه
اصداؤه المفجوعة الباكيه
يدق خلف الاضلع الواهيه .

ورجت الوحشة اعماقها في هيكل الايل الكتيب الضري

يوم في الحريف

بقلم يوسف الشاروني



يعرف نقائضك ومآسيك ، اكنته لا يطالبك الا بان تقدم خبر ما لديك .

الننا :

وكار

ثمة فتاة - ربما في الثانية والعشرين من عمرها - قد جلست على أحد المقاعد المبطنة . وكانت مشاراهتمام الآخر على لانها غريبة عن كثيرهم ، ثم هي تتغير انتباههم بشيها الاثيق ، نصفه الاعلى ذلون آخر به دوائر صفيرة بيضاء . قد كشف عن فرائين غراوين معنى الكثفين المستديرتين الناعمتين ، وكشف بلونه الاحمر عن الصدر الجري ، اما نصفه الاسفل فكان اسود كشرها الكثيف المتناثر حتى الكثفين . وكانت تتميز عنهم بشي ، ثالث ، ذلك انها الفتاة الوحيدة التي وضعت المساحيق على وجهها في صراحة ووضوح لا سيات ذلك الآخر الوردى الذي صبغت به شفيتها فبدتا دقيقتين . والفم صغيراً كأنه فم طفل . ثم هي تتميز عنهم بشي . رابع كان هو اهم التميزات جميعاً ، ذلك ان لها صوتاً ذهبياً كما شامت ان تهر عنه الجماعة .

وقد دخلت صاحبة المنزل فحي الجماعة بايتسامتها السخية ، ثم حملت لفائف من الورق قبل انها طعام العشاء . الذي حملته الجماعة معها الى هذا المنزل . فهنا لا يقدم المضيف الطعام لضيوفه بل ان العكس هو التقليد ، فالضيوف يحملون الطعام ويدعون اصحاب المنزل لتناوله معهم ، وهذه درجة من درجات اللون الذي يصبغ العلاقة بين هؤلاء الافراد جميعهم . فانت اذن لا تكاد تعرف من هم الضيوف ومن هم المضيفون .

يوماً تشعب فيه برودة خفيفة مثلجة ، وشمساع الشمس ينشر الدف . كلها عر غيمة قصيرة دكننا . . . وكانت مدينة « المادي » الساحرة قد

قمتها رائحة الحريف الرطبة ، وبلدت بأشجارها ومنازلها وسجها وسماها - من المنزل الذي كنا به - كأنها لوحة قد انتهى الرسام لتوه من توزيع ألوانها الندية الواضحة . وكانت قلال المقطم تحتضن المنظر جميعه من بعيد ، وتكون له اطاراً سحرياً حيث كانت الطبيعة تكافح من اجل ان تلتقي بنسبايات الافق وبنايات الارض .

وكان المنزل الذي جمعنا أنيقاً وبسيطاً ، سواء فيا يحوي من اثاث او في علاقتك بأصحابه ومن اجتمع فيه من الاصدقاء . ولم يكن يحوي سوى غرفتين ، احدهما تستعمل كفرفة مكتب عند افراد اصحابه بأنفسهم ، وكفرفة استقبال عند وجود الآخرين . وكانت هذه الفرفة قد امتلأت بنحو عشرين شخصاً ما بين فتى وفتاة يكاد يكونون جميعاً بين الحادية والعشرين والثامنة والعشرين ، ما بين اقرباء ، واصدقاء . . . وهكذا اجتمع الشمل .

ويجود صمودك درجات السلم وتخطيط الحاجز الخشبي الذي اقيم على الباب خوفاً على الصغيرة من الوقوع ، فاذنك تحس الثقة والطمانية . فانت هنا لا تتعامل مع غرباء ، اكنتك لا تتعامل كذلك مع اشخاص ظالوا يرمونك منذ الطفولة حتى اصبح لهم عليك فضل ، وظالوا يراقبون حسناتك وسيئاتك حتى مسا عدت تخشي ان تظهرها امامهم ، بل انت هنا في جو عائلي رقيق ، قد

رحل الى حيث لا يعرف آخر ، والفناء يصل الى سديمه العاطفي في
الغفظة صوت حاملة موة واثنين صارخ موة اخرى فيدفعه دفعة
ابعد في مجاهيله الترامية .

وفجأة ذمات الصغيرة على مهل تلمات هي ايضاً باحثه عن
مصدر الصوت . كان وجهها أبيض ووجتها ممتلئين حرارين
وعيناها رماديتين ، وكانت تبسم للجميع بلا استثناء . وان حاول
واحد أو اثنان أن يستأثرا بانثابها . وكان الفناء قد انتهى وأعقبته
موجة من التصفيق واصوات الاستحسان لا سيما من الشاب المريض
ذي المويينات السمراء . فحاول كل ان يداعب الصغيرة ، حين
وأها الجميع تقادر الترفة بلا استكراث .

ومضت لحظة ، لحظة واحدة قصيرة صامتة ، كان فيها صدى
الفناء لا يزال يسري في الدماء كأنها تشربه بلذة على مهل ، والجسيم
يحسون ان موسيقى العالم كلها إن هي محاولات لن تبلغ كالها
من اجل الوصول الى الفناء الانساني الذي لا يمكن ان تشده
الا اولتلا الإنسانية .

اللب :

اقترح اقتراح صادق قبولاً من الجميع ، ذلك هو التزول الى
جديقة الدار والاشترك في بعض الالعاب . فبدأ الجميع
ينادون الزفة متخطين الحاجز الحشوي . بينما اسرع اثنان باعداد
الارجوحة بين سيارتين من اشجار الحديقة . ولم تكن الارجوحة سوى
حل من حبال اللبب السميكة ، يعقد طرفاه في الشجرتين ثم يوضع
(جوال) فارغ في الحناة الجبل التي تبعد عن الارض متراً او بعض متر
ليقوم بدوره المعقد . ثم جلست إحدى الفتيات وتشبثت بالارجوحة
واخذ شاب او اثنان يدفعان الارجوحة . ويبدو انها لم تكن تقدر
شيئاً من المصائب التي تقترض راكب الارجوحة . فرفبتها كانت
متجهة فقط الى اللذة التي يمكن ان تحصل عليها من وجودها في
الفراغ . وما ان اخذت حركة الارجوحة تردد حتى بدأت الفتاة
تستغيث وتطلب ايقافها ، محتجة بأن المقد غير مريح ويكاد يميل
الى اليسار اكثر مما يميل الى اليمين . وكأنها كانت هناك رغبة في
شاهدة ضعف التمر واضطرابه تدفع احد الشابين الى عدم الاكتراث
لهذه الصرخات ، فزيد من نشاطه في دفع الارجوحة دفعةً عنيماً
الى الامام وإلى الخلف . لكن الصرخات النسائية اخذت تردد
فاكتفى بأن كف عن دفع الارجوحة بينا تولى زميله ايقافها .

وادرك الجميع ان ارتفاع الارجوحة ليس لذة تشده عن باقي

و . ان حملت صاحبة المنزل هذه المغائف وغابت -- الى المطبخ
غالباً -- حتى تطامت العيون الى « صفة » تطلب منها الفناء . وكان
صاحب اعلى صوت هو شاب عريض الصدر فسارع القوام يضع
(مويينات) سمراء . فاحمروجهما قليلاً وأظهرت بعض الدهشة والتجاهل .
لكن الانسان الذي يعرف ان له صوتاً جميلاً وأنه يجيد الفناء
ليتمنى خجل لو ان احداً قد اكتشف فيه فجأة هذه الموهبة ليذمها
على الآخرين فيتهاوتون طسالبين ان يسعوه . لهذا كان مجرد
وجود « صفة » في الجماعة يغويها بالفناء ويعد نفسها وروحها
لذلك . وكان قليلون قد استمتعوا بإعاج صوتها من قبل ، أما
الآخرون فكانوا يحاط رغبتهن في الانصات رغبة اخرى في
الاكتشاف : اكتشاف حيوية هذا الصوت ومدى صدق ما سمعوه
عنه من قبل والى اي حد يستطيع ان ينشيم او يثير اشجانهم .
اتراه منخفضاً ام مرتفعاً ؟ صافياً ام اجش بما يلاها بلانان والركة ؟
وهكذا كانوا يبأرون في روحها الرغبة والموهبة .

واخيراً بدأت تنفي . . كانت تضغم ساقاً على ساق ، وبدأ
وجهها كأنها اكتسب الجذ ، وربما هي الصورة التي تتخذها عضلات
وجهها كي تنفي . لكنها كانت تحس بلا شك انها تقوم بعمل
جدي وكان صوتها ينخفض في حنان حالم تارة ويرتفع في شجوى
صارخة مرة اخرى وهي تنفي : بقصورك يا ليل ، ويطولوك يا
ليل . وكانت اصوات الاستحسان ترتفع بعد كل « صلاة » وكان
اعلى الاصوات جميعاً هو صوت ذلك الشاب المريض ذي المويينات
السمراء ، فكانت يحرك راسه الى اليمين وإلى اليسار نشوان بالصور
المتوج مع تعبير الافاظ وانفعالات الماني ، حتى لأضحكها
اكثر من مرة وهي تنفي ، فكانت تبدل وجهها فجأة من الجدل الى
الضحك العميق المرتفع كأنها تحرر نفسها من كل القيود التي فرضتها
على نفسها حين بدأت تنفي .

وكانت هي تجل مينها في السماءين تارة وتطلقها في الفراغ
تارة اخرى ، وقد انغمست مع الاغنية . وبدأ التأثير واضحاً على
وجهها وجسدها كأنها تستحضر تجربة لها من اعماق كيانتها ، وهذا
تأمين الآخرين فطفو تجاربهم القريبة والبعيدة متجسدة في النغم
المنفعل المرديد . وكانت عيونهم تلتقي بعينها . هل كانت هذه
العيون تحاول ان تقر شيئاً في معنى هذا الثلاثي ؟ او كانت هذه
الانظرات التي تاتيها العيون ليست الاستادار يخفي وراءه انبشاق
ذكريات وحوادث وعوالم ؟ لقد بدا على البعض انه ترك عينيه
الشاحصتين توهمان الجالسين انه لا يزال حاضراً هنا ، بينما هو قد

والاذت ، فلا بد من الجهد الذي تبذله للاحتفاظ بتوازنك كي تحصل على لذة التأرجح . وهكذا بدأ الآخرون يرتقون الدرجوة وكل منهم يحصل على هذه اللذة بمقدار ما لديه من استعداد للاحتفاظ بآثرانه وبالسيطرة على اعصابه . على ان اعلان الفوزة امام هذه اللذة لم يكن مخجلاً الى حد كبير ، فقد اتاح جو الصداقة والالفة بين الجميع ان يشارك المهزوم الآخري في الضحك عليه . والواقع انه قد اتبع للجميع فرصة طيبة لمشاهدة جوانب اخرى للشخصيات التي لم تألف ان ترى بعضها بعضاً الا في ثياب الجلد والعمل ، حتى لقد كانت الفكرة التي كونها كل عن الآخر خالية من وجود هذا الجانب الرياضي المنطوق المرح . وما كان يمكنه ان يتشيل انه يستطيع ان يرى هؤلاء الاشخاص وقد رفعوا عنهم ملابسهم الثقيلة ، حتى لقد توزع البعض حذائيه ، ثم انطلقوا يعدون خلف بعضهم بعضاً . وربما كان من العجيب ان يكشف الانسان في صديقه الذي يوحى نشاطه الذهني والماطفي - لسبب غير منطقي - ببلادة في جسده ، انه يستطيع ان يعدو خيراً ممن كان يتوهمه أنشط حركة واسرع عدواً . ففي مثل هذا الجو تتحقق فجأة امكانيات على نحو جديد ورائع وجميل .

ويبدو ان حفصة كانت افوزها آخر الوراة مختلفاً عن صفة رغم التشابه الظاهري بينها . فحفصة لا تتمتع كما تتمتع صفة ، بل بمجرد اعلان موهبتها اصبحت تريد الرقص وتربغ في ذلك اشد الرغبة ، حتى لقد خيل لبعض الحبيبات انها ما صعدت الى الجماعة لتتمتع الى صفة بل لكي يتاح لها فرصة رقص فيها امام الجماعة وهنا بدت الحاجة الى نعمة واقصة ، وسرعان ما رؤى المذيع وهو يوضع في نافذة تطل على مكان فسح في العراء . وسرعان ما انتقلت اليه الجماعة ، كل يحمل كرسيه وينادي الفرفة ، وفظفت الارض وتزعزعت حفصة حذائيا ، فأصبحت يساقيا العريائتين وذراعيها الناعمتين حتى الكفنتين الباوريتين وبشعرها المسترخي على عتيها اليسرى وجسدها الناضج المتفتح ، غير من يتبع الجماعة برقصة انفاعية دائمة .

على ان المذيع لم يقلع في اخراج نعمة واحدة راقصة من جميع انحاء الارض . وكان الجميع قد مهدوا أنفسهم للتمتع بهذه المشاهدة الجميلة ، فوجدوا صعوبة في ان ينهروا ما مهدوا له انفسهم ، لهذا الحوا على المذيع في النقاط نعمة من نقات « الحاز » او « التانجو » او « الزومبا » لكن اعلنت جميع محطات العالم عصيانها . وبدا الاشفاق على حفصة ، فهي التي ادعت نفسها للقيام بالدور الرئيسي وكان عليها ان تبدل مجهوداً جباراً لكي تمذل عما مننت نفسها - ومننت الجماعة به - فافترحت العودة الى الارجوة والملم حتى يلتقط المذيع نعمة مناسبة . حين اعلان احد المتحمسين ان نعمة نعمة في المذيع يمكن الرقص معها .

وجلس الجميع متأهين للتمتع بالرقص في ساعة النسق . ذلك ان الشمس كانت من بعيد قد بدأت تتوهج توهجها الاخير ، وكانت قد نثرت على غيوم الحريف الوانها السعيرية الحمراء واشعتها الفضية

الاذت ، فلا بد من الجهد الذي تبذله للاحتفاظ بتوازنك كي تحصل على لذة التأرجح . وهكذا بدأ الآخرون يرتقون الدرجوة وكل منهم يحصل على هذه اللذة بمقدار ما لديه من استعداد للاحتفاظ بآثرانه وبالسيطرة على اعصابه . على ان اعلان الفوزة امام هذه اللذة لم يكن مخجلاً الى حد كبير ، فقد اتاح جو الصداقة والالفة بين الجميع ان يشارك المهزوم الآخري في الضحك عليه . والواقع انه قد اتبع للجميع فرصة طيبة لمشاهدة جوانب اخرى للشخصيات التي لم تألف ان ترى بعضها بعضاً الا في ثياب الجلد والعمل ، حتى لقد كانت الفكرة التي كونها كل عن الآخر خالية من وجود هذا الجانب الرياضي المنطوق المرح . وما كان يمكنه ان يتشيل انه يستطيع ان يرى هؤلاء الاشخاص وقد رفعوا عنهم ملابسهم الثقيلة ، حتى لقد توزع البعض حذائيه ، ثم انطلقوا يعدون خلف بعضهم بعضاً . وربما كان من العجيب ان يكشف الانسان في صديقه الذي يوحى نشاطه الذهني والماطفي - لسبب غير منطقي - ببلادة في جسده ، انه يستطيع ان يعدو خيراً ممن كان يتوهمه أنشط حركة واسرع عدواً . ففي مثل هذا الجو تتحقق فجأة امكانيات على نحو جديد ورائع وجميل .

الرقص :

منه
اذا ما اخذ التعب يدب في هذه الجماعة التي لم تكن قد حركت عضلاتها منذ زمن بعيد حتى لكنا بددوت فكروا في العودة الى اردبيتهم ومظهرهم الاول . وجلس البعض طلبياً للراحة ، بينما اندفع آخرون نحو الماء . يقتسلون ويمسحون هذه اللذة العميقة عندما يسيل الماء البارد على اجسادهم التي تصب عليها العرق . وسرعان ما يجتمع الشمل في الفرفة الصغيرة مرة اخرى ، وهم يعللون النفس بنكتة تقال في هذا الركن أو تعلق صخر على حدث . ما يقال في الركن الآخر . لكن الجميع يحسون ان هذا التعامل غير مجد . . حين ينادي مناد بأن « حفصة » تجيد الرقص الايقاعي .

وحفصة فتاة في نحو الثانية والعشرين كذلك ، كانت تجلس مع صديقتها هدى في الطابق الاسفل ، حين سمعت غناء صفة فأتت تشارك الآخريين في الاستماع الى الصوت الذهني . وقد لغت هي الاخرى الجماعة حين دخروها بشايبها الظاهرو مع صفة . فهي ترتدي ثوباً سمائي اللون ، يكشف عن ذراعي ناعمتين ، وثقة شعرها كلها تراخي على عتيها اليسرى دفنفته برشاقة الى الرءاء نحو رأسها

الاشجار ، كما بدت الاضواء الكهربائية من خلال النوافذ ، لكن النور لم يستطع ان يمتد الا حيث كان الانسان ، ففي الافق البعيد لم تعد تميز بين السماء والارض ولا بين التلال وسفوحها ، وفي النهار تحس الطمانينة لانك ترى السماء في جانب والارض في جانب ، وان مجرد التنازع بينهما كفيلا بأن يطمئن الانسان الى انها ان يتحداه عليه ، اما في الليل ، عندما تصبح السماء والارض كتلة واحدة من الفراغ الكبير المتسع فأنتك تفقد هذه الطمانينة .

وبدأت الجماعة تدرك ان الاصوات اخذت تحتل مكان المراتب ، واخذت حواس النظر تأخذ بعض الراحة لتقوم حواس السمع مكانها بجملة الاتصال بين الذات والعالم الخارجي . وكانوا كان جو الظلمة المقلبة يحمل معه اغراء خبيثا للاعتراف . ففي النعمة ، عندما تبث المراتب وتزول التثبيات أمام النفس الانسانية ينهار الاحساس بأن هناك مقاومة او مراقبة خارجية ، ونحس كأننا نستطيع ان نلذي بما نشئنا من اعترافات في الفراغ الاسود المتسع الكبير ، واثقين انه هنا ازدهم مثل هذه الاعترافات بان لونه الاسود يسارها بالاجسام الاخرى فلا تخشى اقتضاها . وهكذا اقترح على كل فرد ان يقوم بدور المحامي في نشاط الجماعة ومرحها . وبعد ان كان هناك مذبذبة واحدة وراقصة واحدة ، اصبح الجميع مفتين وراقصين .

على اية حال ، كانت هناك رغبة من الجميع في التعرف على نواحي جديدة من اصدقائهم ، فآذا عساهم سيقولون ؟ على ان اولهم اكتفى بأن يغني اغنية ، حزينة وقصيرة وفي صوت اجش ، كأنها هذه هي الوسيلة الممتازة للاعتراف في الليل امام الآخرين . وتبعه الثاني والثالث والرابع . وأتى دور صاحب المنزل ، فأرھفت الأذان تستمع الى هذا الشخص الذي لم يُسمع مذبذبة مرة واحدة في حياته ، ماذا عساه يفعل ؟ لقد بدا البليض انه لو رفع صوتاً بالفناء فان هذا العمل الذي قد يبدو تألقاً عرضياً انما هو دلالة على وجود تحول خطير في حياته . . على اية حال قد رفض الفناء بدعوى انه لا يعرف اغنية واحدة ، وانه يجيد السماع لكنه لا يجيد الحفظ واكتفى بأن يقول نكتة ضح لها الحاضرون بالضحك . واذن فليس ثمة تحول خطير قد حدث في حياته .

وكان يكفي ان يرفض صاحب المنزل تنفيذ الاقتراح لكي يتعطل بعد ذلك . فوئى ان تأتي خادمة المنزل «أمنية» لتتني بعض الاغاني الشعبية . وآمنة فتاة رقيقة هادئة التواء لها صوت حلو

المشكالة باليوم . لكن نعمة «الجاز» ما لبثت ان انتهت بمجرد التأهب لكل شيء ، وفعجأة سمع صوت الموسيقى من جديد ، فأنفجرت الاسارير وارھف الجميع آذانهم . فاذا بالموسيقى من نوع السينفوني . وبدا على حفصة انها لن تقراجم حين اعلمت انها قررت ان ترقص على نعمة السينفونية !

واقبلت في خطى وثيدة وسط الحلقة ، ورأينا الجسد الانساني الحلي اللدن يتحرك ويتثنى ، والذراعين الماريتين ترتفعان تارة وتنبسطان في الفراغ طورا آخر ، والشعر الكثيف ينسدل على العين اليسرى ثم يرتفع عنها ، وكأنها أصبحت العيون تقوم بحاسة البصر ، فهذا جسد من اماننا ، قد كادت ان تمس ركبتيها الارض ، بينما انثنت الاخرى ، فبنت ساق واحدة عارية ، وقبل ان تلتأ عينيك من هذا الوضع الساحر تراها قد انتصبت ومضت تسبح في الفوا ، حتى لكأن عدم اتاحة الفرصة الكافية لتستوعب فيها الوضع هو جزء من الوضع نفسه . وهكذا لم تكن حفصة تعطي من الحركات الا اجزاءها ، ومن بحاسن جسدها الابعضا ، مما يثير احساساً بالتوق واحساساً بالحرمات وبمجال الخيال .

ويبدوان السينفونية بدأت في حركة «الاندانتي Andante» فصرخت حفصة تريد من النعمة ان تسرع قليلاً ولا فسان ببطء حركتها يهددها بالتب والزغبة في النوم . وفعجأة لاح ان السينفونية قد أصاعتها ، وكأنها كان الجميع نهين الى رغبة الحركات خفيفة جنونية بدلا من هذا الهدوء الخالم . لكن الحركة ما لبثت ان عادت الى نعمتها الحاملة مرة اخرى ، فلم تجد حفصة الا ان تمن انهاء الرقص .

الابل :

وكاله

الفسق قد بدأ يصبغ الوجود كله بلونه الرمادي الحوربني ، وبدأت الاجسام تتداخل في الفراغ فتختلط جميعا في لون الليل المقل ، بعد ماكان النور يضع حدوداً فاصلة بين كل جسم والفراغ المحيط به . والمظهر الذي بدا رائئاً سحرانياً من قبل كأنها هو الآن لوحة قد اخذت تبث الوانها وتتقارب في لون واحد غامض ، يوشك ان ينتهي بك الى الاحساس بالعدم . فالفرق تزول بين حدود التلال وسفوحها ، والتثبيات تبث بين الاشجار والمنازل والطرق ، كأنها التذير والتفرد قد اجهد هذه الاوضاع جميعا فلغذت تقر الآن بن ظلام الليل تنشد الراحة في الاحساس المطلق بالمساواة . فغير ان الانسان لا يتحمل الحياة بغير النور ، لهذا فسرھان ما رؤيت الطرق وقد انبثقت فيها مصابيح مرفعة يبدو شعاعها من خلال اوراق

اللس هي اقرب الذاآت حسية ، والذاآت الحسية هي التي يشارك فيها الجسد كله ، فالنشوة الناتجة من اللذة الحسية تسري في الجسد كله ، ولا يتاح للعقل ان يتأثر بالنصيب الاكبر كما يتاح له ذلك في لذات النظر والسمع . ولقد كانت « المكرونة » أكثر انواع الاطعمة اتفاقاً ، وكان يجب مراعاة ذلك حتى يتاح للجميع ان يشاركون فيها ، مما جعل تعصيب كل فرد محدداً بعكس الامر في انواع الطعام الاخرى ، وما ا زاد من لذتنا الاحساس بدم الاكتفاء منها وعدم وصول الرغبة فيها الى نهايتها .

وثمة شعور قد يتألب البعض وهم يأكلون اساماً آخرين ، فهم يحسبون ان الانسان يتحول الى حيوان ، وتصبح الشهادة هي الرذيلة التي يخاف منها ظهورها . فالأكل من النشاط الفكري ساعة الطعام ، والصحة السائد الذي لا يتقطع الارتفاع لون من الألوان واضرار آخر ، ورؤية الملاهي والاشواك تدخل الافواه بمنزلة ثم تخرج فارغة . . كل ذلك قد لا يفكر فيه الانسان لو انه كان وحده او كان مع اهل منزله الذين تعود ان يأكل معهم منذ نعومة اظفارهم ، لكن وجودك فجأة امام الآخرين يثل هذا الوضع بحملك خمس - ولو بضع الاكلة - ويجربونك الكرامة في اعماقك . وربما كان هذا سبباً من اسباب اقتراب العذوة من اللذة الجنسية التي يجعل الاثنان ان يستبجها امام الآخرين وقد انتبهت غاية النشأ في نحو الساعة التاسعة والنصف ، والوقت كان ذلك - ينسب الايدي . ثم اخذ الجميع يتسلاون من العزلة المضنية الدافئة الى الليل الحزين العريض . وثمة خليط غير منتظم يحسونه في اجسادهم ودهانهم ما بين لب وغنا ورتص وطعام . ومضت الفتيات يغنين في طرق « المصادي » الساحرة يودعن هذا اليوم من الحياة الجليل .

وربما يجدون قردهم الى المسالك والطرق المختلفة المؤدية الى منازلهم ومخادعهم بدأت بقايا اليوم الرائع المنتشرة في الروح والجسد تختلط بتروقات المستقبل . وربما بدأ البعض يهودي المزاج السوداوي وينكسر في الرضى والكادحين الذين لا يتاح لهم ان يتسكروا بثل ما استمتع هو به في ذلك اليوم ، وربما كان هذا مجرد وضع اطار لتظهر من داخله متعة كاملة واضحة المعالم ، وربما هي الطبيعة البشرية التي تحب ان تشارك الآخرين فيها حصلت عليه من متعة وسعادة .

يوسف الشاروني

اقاهرة

ورفيع ، كانت تقوم على خدمة الجماعة منذ اقبوا ، وحملت اليهم اخيراً اقداح الشاي التي حضوا يجلسونها في نهم ولذة وبعضهم يدخن لغافته . وقد اغتبطت آمنة بهذا الاقتراح وبدأت تقني بعض الاغاني الشعبية ، ثم بعض الاغاني الرفيعة وبدأ على البعض انهم يتذكرون الريف المصري وما يجوي من جبال وآلام ، وما يربطهم به من ذكريات جميلة ومزعجة . فان اغلب القاهريين لهم اصول او اقرباء في الريف يزورونهم بين حين وآخر ، وهناك يسعون من الاغاني ما يصحب فيا بعد اطاراً اميناً للريف وذكراياته ، فاذا عادوا الى المدينة وصحرو اغانيه لحظة ما ، بدت كأنها هي صندوق سحوي يتفتح عن مشرات الذكريات وآلاف التفاصيل الدقيقة المنسية الذاكرة وانتهت آمنة من اغنية بعد اخرى ولا يزال يطالب منها ان تقني اخرى واخرى . . . وبدأ ان الفناء والموسيقى وكل الفنون الصوتية هي الفنون اليلية بحق ، حيث يساعد الظلام الجسد على التفرغ لحاسة السمع ، فيصبح الصوت هو الاداة التعبيرية الرئيسية في الليل .

الطعام :

وكأننا

بدأت ثمة حركة خفية تقرم بين الاستعداد في الظلمة والواقع . فالليل اخذ يوغل ، وبدأ ان العزلة ضرورية ، حين اعلن ان طعام العشاء قد اعد . ولم يكن العشاء سوى هذا الطعام الذي حملته الجماعة معها حين عيبتها . لهذا بدأ الجميع يتكلمون اما بينهم ويدخلون العزلة المنيرة حيث كان الطعام قد اعد على الطاولة في انتظار صاحبة المنزل . وكان منظر الطعام جزءاً من المنظر العام للعزلة ، بل اخذ يجعل صورة النفاذ بينا الاشياء الاخرى تتروى في ظلال الشوم . وهكذا لم ينتظر احد مجيء صاحبة المنزل التي تأخرت لسبب ما ، بل اصبح من الضروري جداً ان يجتفي الطعام من فرق المائدة لانه يثير احساساً بالخام ، ويتطلب من الجميع امتحاناً غير ضروري لارادتهم وصبرهم . ومد احدى يده في تردد يأخذ زيتونة فقط ، بينما مد ثاان يده لياخذ قطعة من الخبز - يتباعد بها - وهو يضعك كأنها يتنذر الآخرين . وفجأة وضحت رغبة الجميع حين اقبلت اخيراً صاحبة المنزل تقطع الخبز بالسكين ثم تقدم الطعام للجميع وتدعوهم الى ان يشاركونا فيه .

وكان الطعام مكوناً من حساء ومكرونة ومجشي . والواقع ان لذة التدفق من اجل المتعة التي تتاح للانسان ، وكأنها هناك قرابة شديدة بينها وبين اللذة الجنسية . فكلاهما يعتمدان على اللس المباشر ، بعكس الامر في لذات النظر والسمع والشم . ولذات

المال في الإحباب

فلم عيسى مخائب سابا



مسير الزمن وتحت بسجات القمر، في فحة الليل،
نفوس نظرت الى الحياة، فاذا هي باسمة فرحة
حسان بالرقوق الوضاء. يرفان في جنان الانس،
ورجال قد اسبغت عليهم النعم، فراخوا في غبطة العيش وشتارون
من الوجود اطاليه، ومن نعيم الدنيا لذائذها، فكان السعادة في
ملك بينهم، لا يلجها الا من كان دونهم، ثم وبسطه يد
والمنعمون في الحياة لا يشعرون بقيمة ما هم فيه ولا يعرفون له
قدراً، الا اذا منوا بنقص من الاموال والانفس والرزق، والحياة
لا تكون على وتيرة واحدة ولن تكون، وهذا ابو الغنايه يشهدنا:
ألم تر أن الفقر يرجي له الفنى وأن الفنى ينشئ عليه من الفقر

والتبدل سنة، ومن سره زمن ساءته ازمان، وهذا المال،
وهو المعبود الثاني، الذي يسمى اليه الكبير في كدحه، والصغير
في مدرج بيته، فهو القوة والعزم، والسيد المتحكم، والسلطان
المطابق، اليه تطال الاعناق، وتشتاقه الانفس ساعية وراة،
بأذله في سبيله عرق القوبة، فهو، الأمر والنهي.

يرفع ويخفض.

ينقذ من بلوى، ويوقع في بلوى.

يسعد ويشقى.

وهو اما سجين في قوادة الصناديق، واما حواريق، تقبله
الاصابع، وترقص له الجوارح:
ولولا ابتلاخ التعلق بين حديثهم بوجهك يا دينارُ ألوا وأقسوا
والمال، كلمة تشمل كل ما يملك المرء، وقد نحت من كلمتين

هما: «ما» لي «اي الذي لي»، فالجار والمجرور معلق بصلة ما
الموصولة، المقدرة بفعل حصل، وقد اطلق على الدرهم التداول
بين الايدي. وهو سبيل الى الملكية والحصول على ما يرغب فيه
الانسان، وحديثه بين كل شقة وعلى أسلات كل لسان، فلا
عجب ان نحن رأينا الادب العربي يفسح له مجالاً واسعاً ويتناوله
تناول المرأة والحجرة، فالمرأة مبعث النزول والحجرة وحي الروح،
والملك الجامع بينهما هو المال، ومن فقده فانه يفقد كل شيء.
وقد قيل:

فطاعة حسان ونحوه ابن مغيرة وحكمة لبنان وعفة مري
اذا اجشمت بالمرء والمرء مفسد ونودي عليه لا يباع بدرهم

وفي جهر رواه ابن دأب قال:

«خرجت مع بعض الامراء الى الشام، فمري رجل كنت
اعرفه حسن الحال من اصحاب الاموال الفاسدة في حال رثة،
فسلم علي فقلت:

ما الذي غير حالك؟

قال: تنقل الزمان، وكبر الحداث، فأثرت الجولان في البلدان،
والبعد عن المعارف والحال، والامير الذي انت في خدمته هو
صديقي، وقد اخذت البعد بمنشأ:

ساعل نص العيس حتى يكفني غنى المال يوماً او غنى الحداث
فلموت خير من حياة يرى لها على المرء ذي العليا. من هوان
مق يتكلم بالغ حكم كلامه وان لم يمل قالوا: عدم بيان

وانصت اليه وقد أراد نص العيس اي حث النياق على السيو
حتى تأتي آخر قوتها، وما عمد الى ذلك، غير مبال بالتمب، الا

كل النداء اذا ناديت بخذلني الا النداء اذا ناديت يا مالي
ويفسر لنا هذا المعنى ابن عبد ربه بقوله :

دعي آمن حر وجهي عن ردائته وان تربت عن اعلي وعن ولدي
قالوا : نأيت عن الاخوان قلت لهم مالي غير ما يحوي عليه يدي
وهذا الدينار العزيز الذي سعت في سبيله كل نفس ناطقة ،
ولما تزل تسمى وراه زاه عند الحريوي وقد عقد له مقامة بعينها
وقد أنشد فيها :

أكرم به اصفر دانت صفوته جواب ألقا ترامت سفرته
مأثورة سمته وشهرته قد أودعت سر الغنى أسرته
وقادرت غنج المساعي خطرته وحيبت الى الانعام غرته
كأنما من القلوب نفرته به يصول من حوته صرته

وبعد ان يظهر ما له من الاثر البين في الحياة والقوة التي
يضمنها لمن هو مجزوته يقول :
اعذه حتى صفت سرته وحق مولى ابدته فطرته
لولا التي لقلت جلت قدرته

وعقد في ذمه قائلاً :

تبأ له من خادم عاذني اصفر ذي لوبين كالمنافق
بيدك بوصفت لعين الرامق زينة مشوق ولون عاشق
والدرهم والثراء في الادب العربي يخلان مكانة رفيعة ، وهناك
قول ابن دريد في مقصورته :
عبد ذمي المال وان لم يطعموا من غرة في جرة تشي الصدى
وهم لمن اعلق اعداء وان شاركهم في ما أذا وحوى
واليك قول المتنبي بعد ان اخفق في النبوة وطلب الولاية حول
وجهه شطر المال فقال :

تركت السرى خلفي لن قل ماله وأنلت أفراسي بتمك عسجد
وقيدت نفسي في هواك عجة ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا
هذه نظرة خاطفة في المال وأثره في الادب ولا عجب ان نحن
رأينا الشعراء يتهافتون على ذكره ويسعون جهدهم في طلبه ، ولكن
ابا العتاهية زاه يقول بعد ان زهد وتقدمت به السن ويروي انه
كان على جانب من البخل :

اذا المرء لم يبق من المال نفسه فلكه المال الذي هو ماله
ألا انما سألني انا متفق وليس لي المال الذي انا تاركه
وجملة القول نرى ان المراد من المال صيانة الاعراض وعز
النفوس ، وقضاء الحاج والترف عن السؤال ، وأخو رزق المرء
المسألة ، ونحتم يقول ابن دريد :

ولفتني من ماله ما قدمت وداه قبل موته لا ما اقتني
وانفا المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

عيسى مغانل سابا

إلا صار اليه من فاقة وعوز ، بعد رغد العيش ومحبوبته ، وهو انما
اراد التهاكت في طلب المال حتى اذا ما قال لا يتهم بالي وعدم البيان .
وهذا عروة بن الرود ، شاعر من شعراء الجاهلية ، وفاسد من
فرواسها ، ولقب عروة الصماليك لجمعه صماليك العرب وقياسه
بأمرهم ، اذا اخفقوا في غزواتهم يقول مخاطباً امراته :

ذو يني للفن اسمي فسائي رأيت الناس شرهم التغير
ومنها :

يباعده القريب وتردية حليته وبنه الصفير
ونلقى ذا النقي وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

وكان الدرهم وماله من جلال حمل الشعراء على التكبس
وفهم زهير وهو القائل :

قد جعل البتتون المجر في هرم والسائلون الى ابوابه طرقا
وقوله ايضاً :
اخي ثمة لا غلك لغير ماله ولكنه قد جلك للمال نائله

على ان التافه على طلب المال لم يكن بالامر الحديث فهو قديم
وقديم جداً ، فقد وجد يوم عرف الانسان الملكية ، وعرف الادخار ،
ومن ثم تطور الى البذل والعطاء ، طلباً للسيادة والزعامة ، وقد
يكون ذلك البذل سجيعة في طبع المرء كما يدلنا قول حاتم الطائي :
قلت ذمي انما تلك عادة لكل كريم عادة يتفديها
وقوله مخاطب امراته :

أيا ابنه عبد الله دابة مالك وبأية ذي البردين والفرس اورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيداً فاني لست بفرس وحيد
ولم يكن حاتم ، في ما يروي عنه ، يحرص الا على سلاحه
وفرسه ولا يذخر من ماله سوهما بدليل قوله :

سأذخر من مالي دلاصاً وسايماً واسمر خطياً وعضياً منسداً
فذلك يكفيني من المال كله مصوناً اذا ما كان عندي مثلاً
ولقد كان المال محط اجلال صاحبه منذ البد . ولما يزل . واليك
ما انشد محمود الوراق .

ارى كل ذي مسال يحل ماله وان كان لا اصل هناك ولا فصل
فشرت ذوي الاموال حيث لقيتهم فقولهم قسول وقطهم فصل
ومن جمل ما يروي عن ابي حنيفة بن الجلاح ، وكان له في الزوراء
ثلاثمائة ناضح ، والناضح هو البعير الذي يحمل الماء ، من بهر اوبش لسعي
الزروع قيل ا انه دخل بستاناً له ، فمر بشجرة فلقطعها فعوتب في ذلك
فقال : قمره في قمره قمرات وجل الى جمل ذرد ، يريد بذلك ان
التقليل اذا ضم الى القليل يصير المجموع كثيراً وأنشد :

اني نعيم على الزوراء امرها ان اكرم على الاخوان ذو اللال
فلا يفرئك ذو قربي وذو نسب فن ابن عم ومن عم ومن خال

ازمة الروح في حضارة الخوف ...

بقلم عمرانه البعبي

ليسانسيه في الفلسفة وديپلوم في التربية



ولا تظن ان ثمة فرقاً كبيراً بين الرجلين ، فان الطبيعة أروع
الموجودات في الانتقام فمن يتخطى قوانين الوجود . ولهذا فانك
تري الرجلين يلتقيان في ارض واحدة وعلى مستوى واحد .

انهما يلتقيان في جزيرة الخوف . اجل فكلاهما قلق واجف
وكلاهما تهاجر نفسه فوقاً ، تبتاه اشباح الذعر . وتخيم عليه مخاوف
الموت . ويهرب فلا تسلم عن مصائب الحروب وكوارث الفوضى ،
لا تسلم اليها الانسان عن هؤلاء المشردين الثائمين . . لا تسلم عن
الاطفال العراة الجائعين ، لا تسلم عن الامهات ، يندبن ازواجهن ،
والاولاد يبكون آباءهم واخواتهم .

لقد رأيت كثيراً من الادربيين الشباب الذين يريدون بكل
قلوبهم ان يسيروا على وجوههم ليتخلصوا من ارداب وبأي ثمن كان .
وقد يكون هؤلاء اشجع من غيرهم ، اولئك الذين يتسوا
من الحياة . فشئت في نفوسهم اعصاب الحركة والحس .

انني ارى كل يوم مجتمعات تتمزق . . وانني اشهد كل يوم
دولا تتحطم وشعوباً تنفجر ، وتسري في جنباتها انهار الامم . هذه
امة تصيح وتلك امة قد اشرفت على الهلاك . . وهناك ثلاثة قد
اصيبت بمرض الوجود وفي المجتمع الواحد . . اجلس في المجتمع
الواحد ترى عدداً من القلم المدققة بقدر افرادها !!

وبعد فان البشرية اليوم تمر بأدق مراحلها ، واخطر اوقاتها ،

في
ننايا العالم المعقد المتشابك ، وبين مغارات القلق
واحراج الخوف . فوق قشرة الارض ، وعلى
سطح الوجود ، وبين صرير الآلات في المعامل
وصراخ الجرحى تحت الانقاض . . يعيش الانسان المتحضر اليوم
بحجمه !! . اكول ، نهم سريع التعب ، يحطم الاعصاب ، يحرق
وراء كل شيء . . . وكل لا شيء . . . يتذمّر بالوسيلة لتحقيق ايسة
غاية ، وما اكثر النسيات لديه . . ان كل وسيلة فكلية غريبة
تصبح غاية في ذاتها منذ ان يضربها القدر بالعقم ويجعلها صعبة
المثال ، وان كل بارقة متلاطئة تافت الانتظار بانوارها المخادعة . .
تصير لديه غاية الغايات التي يتكشف فيها معنى الوجود ومفرداه !! .

انسان اليوم . . انسان موهق محطم وهو اشد رجلين :

رجل قد اغراه النجاح وقوى ساعديه ، فاذا ترك انتصاراً
فأنما يتركه لينتقل الى انتقاد أبهى واغنى ، ومن هناك معنى الحياة
بالنسبة اليه كدح يسبق الموت ويسابقه ، انه نصب متواصل ، يتضخم
فيه المال وتتمو الارباح ، بأي ثمن تدفعه الجماهير الكادحة بدمها
وعرقها ، وعلى حساب اي كان من المظلمات الضيقة تقدم اعصابها
وطومها . . ورجل قد اقلعه العجز ، وكسر ساقه العنف ،
فاستسلم الى احلام اليقظة يعموش بأوهامها ما فاتته من حقائق الوجود ،
فانطوى على ذاته يحتر اليأس برودة ويضغ بذور الموت . . على
حافة الموت .

الطوبى فينسى الثانية ويدع النهاية ويضم عن الهدف . .

وعلى هذا فنحن لا ندين العالم والعقل كما يفعل كثير من يجذيم العجز الى اسفل الزمان فيتقاصون الى الراء . . ويحيون في الماضي . ان الذين يفتشون عن سعادة البشر في مقابر العلم والعقل لن يجدوها ، مرتبة في قبة زمانهم حية مزدهرة ، وانما عليهم ليجدوها ان ينطوا في كهوف الخفاف او في متاحف الاقدمين ليقفوا عندها محطة عطية عطرة . وكذلك فالذين يظنون ان سعادة البشر كامنة في غير ذواتهم او انها تحصل بالمقايير والادوات ، لن يظفروا بذات تسددهم او تنعيم .

.. لن نقول للعلم والعقل تأخرا لتصل الى الروح ، وانما نقول أسرعي ايها الروح لتتقدمي الرك ، ليس كل من العلم والعقل في طريقه الذي خصته به الطبيعة ، ولتنتفع ثقلونا لتلطف في رضاء وحور محدثات العلم ومكتشفات العقل ، ثم لتصنع افئدتنا حول ذلك كله طاقات من وردات الروح ، لتفوح ازاهير اسافيتنا ، ولتندو ونحسب نباتات مشاعرا . . ولتخفي في سما . الحب والحلم حمامات السلام يبنينا ، لن نقول للثوب قف وتأخر باديك لتقدم الشرق بروحيته وانما نقول هلم فانفض ايها الشرق وانفض عنك اوطار القرون وغبار الدهور ، تسبح بسلاح الثوب وتحمك بعلم الثوب ودوائه وآلاته . . ولكن .

ولكن اياك وان تنسى رسالتك الاصيلية في الوجود ، اياك وان تنسى ان تضي . المشعل فيبينك وان ترفقه عالميا ، كما كنت تغفل دائما فوق الكون . . اياك وان تنسى المشعل الذي كان وما يزال امل البشرية المعقود ، ونورها الصاعد ، المشعل الروحي الذي اسرجه الانبياء والمصلحون ابصارات قلوبهم ودما اجسامهم .

ايها الشرق . . لن تراني اطلب من الغرب ان يخرج عن ضيق المعامل وظلمة المناجم لينصت الى مواضعك وارشاداتك . فذلك لعدري طلب المستحيل وانما تراني املكك مسؤولية الاجيال ليسا الشرق . في ان تكون المثل الصالح والتدوة العلية فتسل انت ، نعم انت الذي ترسل من شعاعات سراجك . . ما يخرق ضيق المعامل وظلمات المناجم .

ولتخرج الجماليع الكادحة والملايين العاملة تنفس في جدول الروح لتسبح في جوار النجوم خالي الروح .

هرمان السبني

دس

فأبيد الحضارة الانسانية اليوم ليس فقط اكتشاف القنبلة الذرية المائلة التي تجر الملايين في لحظات ، (فذلك عامل ثانوي خارجي) وانما يعمل على تهديد المدنية وتهديها بجملة من العوامل الفتاكة ، اظهر ما فيها طاعون خبيث قد تأصل في الروح الانسانية في الصميم .

اجل فان روح الانسان اليوم ، قد غرستها امواج من التحلل ، فهي تهبط في المحادر عنيث مستمر ، ذلك الانحدار الذي صدهه الجسم والمادة . . والذي صنمه العلم والعقل ليكون مثابة للصعود الانساني دون ان يعطنا الى انه سيكون مؤلفا تهبط عليه الروح .

قد يكون من العبث ان نقول بأن ثمة ازمة روحية تنتساب الانسان دون ان نجددها ونبين مظاهرها واشكالها ، فالأزمة تقتد من الفرد الضائع التائه لتصل الى العائلة المنحلة المتفككة ، لتسر وتنساب الى المعمل والمزرعة والتاجر ، ولتحيط بالامم والاطوان كلاً على حدة . ثم لتضم البشرية في نطاق واحد .

وسنحاول في الاعداد القادمة ان نبين عناصر هذه الازمة بازاء كل من الفرد والعشيرة . ازمة العصر الحاضر ، ليست كذلك الازمات السابقة التي مرت بها الانسانية في ظاهرها . فهي ليست ازمة فقر او قلة محصول ، بل امل مما يضمن الازمة اليوم هو النقي وزيادة المحصول . .

لا يهدد الانسانية اليوم نقص في كمية الغذاء العالمي ، ولا يهدد الانسانية اليوم فسولة او ابتسار في العقل البشري . ولعل للانسانية قد كانت اسعد حقلاً يوم ان كان يعضها الجوع بنابه ، ولعل كانت اكثر سعادة وطمانينة يوم لم تكن هذه القوى وتلك الآلات .

ولا نقصد بهذا ان العلم والفن هما السبب في شقاء الانسان . لا ولا نزمي من ذلك ان التقدم العقلي انما يتم بالضرورة على حساب ابناء آدم . . وانما نرى ان شر المصائب على الانسان هو الانسان نفسه . . فالعلم والعلم ، والفن والازدهار . . كل هذا ليس الا أداة طيعة في يد من يستخدمها واذن فالسؤال لا يمكنه ان يكون الاداة ، وانما البدل التي تحرك الاداة . . ان الذين يجهلون العلم والعقل لا يصيبون كبد الحقيقة اكثر ممن يهتم بالسدس والارصاء التي تصيب الانسان في مقتل . فالسؤولية لا تقع الا علينا نحن . كما لا تقع الا على القاتل .

انها تقع على الذي يقنع بالاداة ويتمسك بالوسيلة ويهلك في

قيود الفن

الى اخي الياس خليل زخريا . الذي حمل قلبه على يده . واغترب مجتاعاً في عذب الكرامة . اقدس فيه . نبل حريته

بفلم محمد صبرني كسبة



الفنان ، الذي يقف وحيداً ضد اباطيل مجتمعه وترهات قيود الفاسدة ، يجاهد في عزم كله ثورة ، وثورة كلها اخلاص ، واخلاص كله وفاء . . وفاء ليس الا مضاع العزم وكوم البذل وعظمة التضحية ارايت فن الفنان يتفعل في وعاء نفسه الحياشة ، ينشهر بمهممائه ويسري من شرايبته فيندفق مع انفاسه الدافئة التي تنطلق في حيوية كلماته التي يكشف بها غطاء الحدايع المظلل والوعود المستكنة التي يسدده المجتمع المريض في اوهام زيفها الباطل ؟ ! هذه يا اخي دياري .

وانا اكتب اليك في غريبتك . وانت مشرع الجناح هائم في ذات نفسك التي بين جنبك ، حوفاً لا يملك عليك احد وقد استجاب نفسي لما يقزع بها من عواصف الايمان القوي في ان لها الحق ان تفكر في حرية كما تشاء وان تقدم صور تفكيرها للبشرية . دون ما حجر على افكارها ، او تقييد لطرية ايمانها . فانا لا اؤمن ابداً بحق سلطة ما . على ان تجوبي ان الغي عقليتي ، وان افكر بغير ما يحلو لي ، او ان اسير في طريق ارى انه مضال ، او فيه امتهان لطرية العقل السليم ، او خيانة للكلمة المظلومة التي اسمها : الانسان لان ضيق الفرد ، الفرد الفنان . لا يمكن ان يسود عليه قانون من قوانين البشر سيادة فيها شيء من الارغام على امتداد مبدأ من المبادئ او لون من الوان التفكير .

اما ان تقوض قيود على ما اكتب لبني قومي . او تحول موانع بين ما اشعنه في عشري من افكار اعرضها على نفوسهم ليجادلوا وجه الصواب فيها من خطأ فهذا هو ما اشكو اليك منه ، دون ان اجمل الشكوى كل ما افعله في سبيل حرية عقلي وايماني . وبعد . فقد اقرب الترام يا اخي . فانظروني ريثما اصل الى

أخي أيا الغريب السائس اكتب اليك من وطني الى غريبتك ، اشكو اليك هذه الشكوى الالهية ، وانا اقبع الآن متروياً في احد اركان هذا المقهى الصغير ، بعد الساعة الثانية عشرة مساءً ، وقد اخذت احنا في ترنجب من البورد الفارس ، انتظر قدوم الترام الذي يحترق المدينة من وسطها الى ضواحيها ، حتى استقله هارباً الى ملجأ آخر الود به هذه الليلة من شر ما يعصف بنفسي من هموم ومتاعب ، ومن جوار ما اغشي ان يدفعني الى ذلك المكان المعروف الذي يضم كثيراً من الاهداء ان المجتمع هنا يقف كله ضدي ليا الصديق جامعا قضيته المائلة ، هاوياً بها على ام رأسي في جهوت عاصف ، كل رغائبه رعونة هوجاء كلنا انذرته وادعاً بصيره الذي سوف يلاقيه ، زادت فورة في الضلال ، وثقلت على عينوه غشاوة الاغراق في اوهامه الموروضة الرعناء .

نعم يا اخي كلما حاولت ان ارفع امامه مصباح الحقيقة الفاضلة للترهات التي يسدر في ضلالها ، أبصر السائرين في مركبه بالاحوال التي يخوضون فيها ، افلق عينوه عنهما اريد ان ابصر ، واستجاب مأفوناً لمن يدفون به نحو الحادية وهو يصيح بي في استكانة ذليلة مشعراً الي قائله ماذا اياها المفكر الجديد ماذا تريد ؟ انك لا تقبر الناول لكنك تشمل الناس فيا حولك وحولنا ، يا حامل المحول . انك هدام تحب الهدم ، ولا تملك قدرة على الانشاء

أرايت يا اخي أعرفت كيف تقبع نفسي جانحة بين ضلوعي تنتظر لحظة الحاصية ، وقد استمر لديها ان اقوى انسان في الوجود ، انما هو

مكان جديد أتم لك فيه هذه الرسالة .

الصالح هنا أيا الغريب في غربته تحقق خفقاتها الأشيرة ،
وقد بدأ ضباب الصباح يهبط قليلاً قليلاً في هدو إلى سطح الأرض ،
معاناً أفرع الشجر وافصان الأزهار ، وأشباح ابنة المدينة العجوزة
قد جثمت من بعيد صامته تستقبل اليوم الجديد . وهي تتوعدني
بالثبور وعظائم الأمور ، فإيا لو وهنت عزيمتي واستسلمت جثاتي أضام
قدمي وتعني في سلاسل قيود المجتمع الصاغب الذي راح يحرق
حواله ملايين المساكين ، كما تدور الثيران حول الساقية معصوبة
العيين تخرج من بطن الأرض ماءً للتمتتين بالحياة !

الصباح هنا ، يبدو جديداً على حياتي التي اخترتها لنفسه حيث
اقف هنا عند صديق من رجال النسيج الذين ضاقت المدينة بسكنى
امثالهم في قصورها ، وما هوذا يعد لي طبق - الفول المدمس الخالد -
للتناول مع وجبة الافطار قبل ان يقطع على قدميه ، الحصة
كباومرات التي تفصل بين مسكنه والمصنع ،

آه يا اخي .. لو انني نشأت رضيعاً لم يولد لي حيي الغلابين التي
اعيش معها في هذا الوادي الحبيب . آه لو كنت قد استسلمت ان
اهرب من شياطين الحرب التي تعبت دائماً بالكيفية المذمومة في
اعصاني من دماء الوطنية .. لعشت مثل بهي من هؤلاء الدراسة
هادئاً ناعماً لا اكسب الا من القلعة والساق والعتاق ، ولا احفل في
حياتي بالانتهاك للذمة والمتاع ..

أسخوت مني ؟ ..

لا .. لأنيا الصديق .. أنني لا اقبل ان أبيع متاعبي بأني
شيء من متاع الحياة المادنة الوادعة . لا أقبل أبداً .. فمن ذا
الذي كان سيسمعي شرف مطاردة الحفاظ الكرام على شرف الأوضاع
القائمة في حياتنا . حتى نفلت نرسف هكذا في الاغلال ؟ ..

أنني اخترت هذا الطريق ، وأنا لا أخشى التوبة في وطني ،
لأنني لا اقبل أبداً ان يقاسي ولدي ما قاساه ابي من قبل ، وما
اقاميه لنا الآن من ظلم وأهوال ..

ان غربة الوطني في وطنه ار منهاف يا سيدي .. لانا هي دفعة من
التحرر الكريم ، فتلى . يا النفس الابية جملاً ، وتتورد منها بيزاد
الرجولة الحققة التي هي ابداع صفة يتحلى بها الابطال ..

وان الذين فرضت عقليتهم على نفوسهم الا ان يتوردوا لحب
اوطانهم بالمتاعب وركوب الخطوط ، لهم الذين كتب لهم ان يجوزوا
أوشاب النفوس الضالعة ، وان يجوسوا جلال النيار ، ليمتصقوا في

دراسة أفراد المشاكل ، حتى يفوزوا بابلغ ما يصلح حال مواطنهم
المقيمين معهم في دروع المعالم منذ اجيال .. هؤلاء هم أبناء الشعب .

هم الذين يربطون حاجته بواقعه ، واحساسه بدوافعه ، هم الذين
يدفعون مجلة تطوره نحو الامام ، كلما تقدمت المجلة خطوة ،
سقط الصرعى والشهداء منهم وهم يبتسمون .. بعضهم يبتسم
في التوبة ، وبعضهم يسقط وهو اليها في الطريق ، اما الجميع ، اما
الكل ، اما الباقى .. هؤلاء هم الشعب ، هم الام الروم .. التي
سوف تنجب في المستقبل جيلاً جديداً من الاحرار الذين لا يقبلون
للعلايين من مواطنهم الغربة في بلادهم ، ولا حياة الجوع والعري
والمرض .. في بلد اصدق ما توصف به .. انفسا بلد الحوات
والشعرات والمجال ..

وتسألني يا اخي عن اصدقائي وقرائي .. وكنتي ؟ .. ماذا
حدث لديناي في هذه الممعة التي اخوض الآن امواجه مسترداً
من مكان الى مكان ؟ ..

يا اخي .. انني لا احفل بهذا .. انني اعرف نفسي جيداً .
واعرف الناس معرفة صادقة ، معرفة الاكواخ التي اخلها ،
والوان الحديث التي تتخاطب بها في كل مكان مع الوان متباينة
من الناس ، وأشكال مختلفة من العقليات والمنازع ..

انني وجدت .. دون ما ارجو ان اثال اجراً من اصدقائي
اوسامة الناس ، كل الذي يؤملي الآن .. هؤلاء الذين تعودوا
ان لا يخجلوا من قائل نفسي .. انهم دائماً في حاجة الى ما اقول لهم ،

كما انني في حاجة الى ما اعيشه بينهم . : اتراهم باخفائي عنهم
سيسكتون ؟ .. انحسب ان غربي عنهم سوف تنسبهم ما كنت لهم
اقول ؟ .. اتعلم النفوس وترضى بالعطش ؟ .. انجسوع القلوب
وتصير على الزاد المسموم ؟ ..

أبدأ .. أبدأ يا اخي ..

ان من خاف الابواب وداخل الاكواخ انات تتجمع زفراتها
المثالة ، وبين ضجيج الآلات ايدي تتعاهد .. وفي ظلام الميادين
يلتقي كل ليلة مستضفون وحيارى ، يسأل الجميع بعضهم عن المصير
فتلمع عيونهم ، وتشتد خفقات قلوبهم ، وهم يعدون انفسا الفيط
المكثوم . ثم ينهني مثلي ومثلك آحاد من بينهم ، يحملون قلوبهم
على ايديهم ، ليصدوا ارقى مراحل الحياة ..

وبعد .. فاحييك يا اخي من غربي في غربتك ، وسلاماً الى
المقربين في كل مكان ..

محمد صديفي كسبة

دمشقر - مصر

المادة بخصائص الاسلوب في العصر العباسي

فلم مدمت اسماعيل

★

سأله

الاسلوب العلمي انه يتحقق عن غيره من الاساليب ،
بالسلاسة ، والبعد عن التشكك ، والقصد الى المعنى
مباشرة من اسهل الطرق واقرهسا ، ولا يحلو النص العلمي من
الوضوح الذي هو الصفة الاساسية المميّزة له من غيره . وقد لا
نبذل كبير جهد لتفهم قطعة علمية اذ هي خالية من المحسنات
اللفظية كالجناس والطباق وما الى ذلك وهي خالية من حوشي
الكلام وغريبه ، فتوفر علينا بذلك التباس المعنى ولا تضطرونا
الى الرجوع الى قواميس اللغة ، وهي مجردة من السجع الذي يقيد
سلاستها ويشحنها بشئ اتواع الصعوبات فكذلك كان الامر به في
العصر العباسي فالكتاب يومئذ كان يجمع جملة لكي تتوفر
السهولة في كتابته ولكي يكون بعيداً عن التشكك في المعنى
طرق المعنى من اقرب طريق ممكنة . الا انهم - اي الكتاب - لم
يستطيعوا ان يتصاوا من السجع قائماً كما هو مطلوب ومفروض في
الكتابة العلمية ، فكان السجع غريزة فطرية تلازمهم انى رحلوا
وحينما حلوا ، ومع انهم لم يجزوا لانفسهم استعمال السجع في
المواضيع العلمية التي يعالجونها الا انهم استعملوه في مقدمات كتبهم
فشحنوا هذه المقدمات بكل ما عندهم من سجع ملائم وغير ملائم
قريب الى الذوق او بعيد عنه وتسدل على ذلك من مقدمة
المقدسي في كتاب (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) السبي
زها مشحونة بسجع لا يستهان به ، ومن مطالعنا مرة واحدة
نشر بركة هذه الاسلوب العلمي الذي يتخلله الكثير من السجع
ونرى كيف ان المعنى يتعقد من جراء ذلك مثال قوله : واحببت
ان اتبع سننهم واقف سننهم واقم علماً آخري به ذكري ونفعا
للخلق ارضي به ربي ، ووجدت العلماء قد سبقوا الى العلوم فصنعوا
على الابتداء ، ثم تبهم الاخلاف . . الى ان يقول : وانفرد بفن

لم يذكروه الاعلى الاخلال - ويقصد بذلك الخلط - فن حيث
الاسلوب في هذه المقدمة يرى اجمالاً وضوحاً وسهولة وقصد الى المعنى
من اسهل طريق واقره ، اما هذا المثل الذي ينسحب الى نفس
القاري . وهذه الركاكة التي تظهر جلياً في المقدمة فكل ذلك
ناشيء عن التزامه للسجع .

ولم كل هذا اذا استثنينا مقدمات المؤلفات الكتب العلمية في
العصر العباسي فاننا نستطيع ان نحكم على بلوغ الاسلوب العلمي
اقصى درجات رقيه ، تستدل على ذلك من المؤلفات الضخمة التي
وصفتنا ومنها : كتاب الحيلة ، واحياء علوم الدين واسلوبها تتم
خل من مختلف المحسنات اللفظية ويصلح لان يكون غزيراً
للاستيعاب العلمية ، وهذا وان سلاسة الجمل وقوة تركيبها وسهولة
فهما من خصائص الاسلوب العلمي الرئيسية ونحن نعلم بديها ان
السبب في توفر هذه الخصائص في الاسلوب العلمي هو القصد الى
التعبير عن الافكار بصورة صحيحة ومفهومة ، فتدوين علوم
الجنافيا او الرياضيات او الطبيعيات لا تحتاج الى سجع ولا الى
جناس او طباق او ثورية ، كما انها لا تحتاج الى جمال او تأني في
الاسلوب او الى كلمات غريبة وجمل عويصة التركيب ، كما انها
لا تطلب من المؤلف ان يسبح في عالم غير متناه من الخيال وانما
تحتاج الى استعمال الكلمات المعروفة في اللغة بصورة صحيحة والى
التعبير عن الافكار باقرب طريق ممكنة ويقصد منها ان تكون
مفهومة لا تؤدي معنى غير المعنى الذي يقصده الكاتب .

ولا شك في ان الادباء العباسيين وعلماءهم قد انتبهوا الى جميع
هذه النقط المهمة ابان تأليفهم بالحياة الفكرية فتدوينهم لخصائص
العلوم ، ومن البديهي ان تكون حياتهم الفكرية في ذلك العصر
قد بلغت غاية النشاط ، وبيدنا على ذلك هذا العدد الضخم من

المجملات التي الفت في كل من العلوم والتي كانت سبباً في انتشار العالم من دياجير الجهالة والضلال وانقاذ اوروبا من ظلمات القرون الوسطى ورفعها الى اقصى درجات الرقي والسعادة اللذين ترفل في كنفها الآن .

ونستطيع ان نقول اخيراً ان الاسلوب العلمي بلغ في العصر العباسي اقصى درجات رقيه رغم تمسك الكتاب بعادة السجع في المقدمات ، فلو اقلع كتاب العصر العباسي من هذه العادة لمساختلف اسلوبهم العلمي من حيث الرقي عن الاسلوب العلمي الحديث .

اما الاسلوب الفني فيمتاز بوجه عام بتأني المؤلف في كتابته واكثره من المترادفات والاستطراد والخروج من موضوع الى آخر ، وقد تطرأ على الاسلوب الفني في كثير من الاحيان المحسنات اللفظية ويمتزه السجع وما شابه ذلك . ان خصائص الاسلوب الفني في العصر العباسي يختلف بحسب الادوار التي اجتازتها الخلافة العباسية الاسلامية . ففي العصر الاول كان ابن المقفع صاحب كتابة معروفة تمد غودجاً حسناً للكتابة الفنية وظهر خصائص هذه الطريقة قضائها الاسلوب المباشر على المجازات والخيالات البعيدة ومنها ايضاً السهولة والوضوح فكتابه ابن المقفع سهلة واستطاع الانسان ان يفهمها ولو كان على شيء قليل من الثقافة وكان يفضل الازدواج في الفواصل غالباً على العبارة القصيرة والافاظ الطنانة الشديدة التأثير . وجمله مقطعة ومقطعة غير ان السهل على القارى فهمها ، وافكاره مبتزنة ومتمسكة فهو لا ينتقل من فكرة الى اخرى الا بمناسبة وابن المقفع كان يتوخى هذه السهولة ويعملها وقد عرف البلاغة بقوله : البلاغة هي التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها ، الا ان ابن المقفع لم يكن يستعمل الكلمات الكثيرة الشروع ويتجنب الالفاظ المتبذلة التي سقطت من الاستعمال كما كان يتجنب الالفاظ المتبذلة التي تستعملها العامة ونعني بذلك انه كان يتبع الالفاظ بغيراً ، وقد قال : ان الكلام يفردهم في صدي رأفت لاختياره . وقد وصف اسلوبه بأنه السهل الممتنع . فخصائص الاسلوب الفني في العصر العباسي الاول : هي السهولة والروانة فكان الكتاب يتوخون السهولة والهدوء . ويحسون المعنى بعنايتهم ويژهدون بالصناعة اللفظية .

واما في العصر العباسي الثاني فأثار الجاحظ تريناً ان خصائص الكتابة الفنية في هذا العصر كانت تمتاز بأربع خصائص هامة وهي : الاكثار من استعمال الفقرات القصيرة المسجعة او المزدوجة للوصول وتكرار المعنى الواحد في فقرات مختلفة ، وتعتمد الجزل

والمزاح في كثير من الاحيان ، والاستطراد الذي اولمه الكتاب كما اولمو بالخروج من موضوع الى آخر ومنزج الجدل الغزل ، وغايتهم من ذلك تحبيب كتاباتهم الى القراء ودفع الملل عنهم ، فالكثابة في هذا العصر كانت فناً ملؤه الحياة ، وغدت الجملة متنوعة لينة في وسعها ان تعبر عن كل معنى جديد ، وأثار الجاحظ تريناً كيف ان الكتاب كانوا يبارون الشعراء فيديجون الرسائل ويكتبون في الموضوعات الادبية التي كانت وفقاً على الشعراء .

واما في العصر العباسي الثالث ، فقد تطورت خصائص الكتابة الفنية واصبحت تمثل الفن المترف وعدلت عن مجراها العربي المطبوع وفتحت صدرها للصناعة اللفظية وذلك تحت تأثير الترف المادي وتنازع احضارات ، وتظهر هذه الميزات واضحة جليلة في مقامات الحماداني فقد كان اسلوبه يعتمد على الفقرات المسجعة الموصعة ببعض الصناعات اللفظية غير ان هذه الصناعات كلها وان كانت تنطوي على بعض التكلف لم تصل الى حد الاستكراه والسقم ، بل ظلت محفظة برونقها وجمالها ولطف وقها في النفس .

اما في العصر العباسي الرابع والاخير فدى ان الصناعة اللفظية طالت على اثر الفني اعظم فطمان حتى لم يعد للكاتب من هم سوى ان يوالي بين السجعات ضارباً بالمعنى عرض الحائط وان يشعن ما يكتب بالتورية والحسن والطباق ، وتظهر هذه الخصائص في اجلي مظاهرها في مقامات الحريري ، ومن البديهي ان اقتصار هم الكاتب على العناية باللفظ يكون سبباً في قلة عنايته بالمعنى وتصنع الكتابة جسماً بلا روح وقراءتنا لمقامات الحريري لا تظهر لنا سوى براعته في رصف الالفاظ وتنسيق الاسجاع . وقد لا يكفي الحريري بالقافية السهلة العادية بل هو كالعمري في لزومياته بلتزم ما لا يلزم .

واذا ضربنا صفحاً عن هذه الاختلافات البيئة في خصائص الكتابة الفنية في المصور العباسية المختلفة فاننا نتوصل بلا شك الى صفات مشتركة في جميع هذه الادوار يتسم توفرها في الكتابة الفنية وهذه الصفات هي : انقياد الكاتب الفني وخضوعه للملكة خياله تلك الخاصة التي تكون سبباً في فضاء قريحته وتفتت ذكائه فيلتبس التشابه الموافقة لفكرته والتي تكون سبباً في قوة موضوعه . ومنها ايضاً جمال الاسلوب الذي يقصده الكاتب دوماً فيدفعه الى الاكثار من الاستطراد والترادد .

ما أغنى سما الكواكب !

التيث في حفلة تكريم الأستاذ جواد نادر - رامس
مجلة الأدب ووكيلها في الأرجنتين

سألت رفيقي صاحباً اثر صاحب
أصبح للأدب وزن وقيمة
علي بين ! كدت أنكره أرى
واجمع دقات البشائر ، لا أعني
ولست بمجار الشوم ، سألت ظنونه
عفاً على الماضي ، ومرحى بقدام
تحمقت الاحلام يا قوم وانهدى
يوفون حقاً للأديب عليهم
قدواتهض الطوفان من جاه منصب
فا قل في المقدار من قل مساله
هناك يا اقلام بالقلم الذي
قالوا « جواد » لم تجدك سحابة
أليس عزيز في الصحافة ان ترى
يجو ما يلي عليه ضميره
فما جردته من اياه جريدة
يسيل للقراء ورد بسانه
ويشي على الاشواك متن الحطى
وكم نازل للحرب غير محارب
ضحايا فلسطين العزيرة بينها
على صحف ، فيض الجراح مدادها
ها خط نيران على جبهة الوعى
عطفتنا عليها « فاشتر كنا » طواعة
وكرم نادينا الكرم رجلاً
يجود احداها فوقع شائها
سلاوا اسرة الابطال عن شهدائها
هرى كوكب منها على اثر كوكب
ذكورتك والجفل الجليل مهلاً !
زكا الفزع بعد الاصل يفت زهرة
بلوته في البلوى فكان مهنداً
قزولاً متى كان المقال هداية

يسيل على حد الجواع فؤاده
فلسطين دنياه ، فلسطين همه
أعني حسي له مسن مدبحه
لكل مقام شعره وشعره
وكم غاب شعري بالسفاه مقصر
سلام على آل الجواد وصحه
بوانس ايرس - الارجنطين
مورج صبر

على موكب الامواج

أرأيت امواجاً بدجلة سائرث للخليج ؟
تسري المويثا هادئث ليس يملوها الضجيج
متدافعات في كآبتها بتدريج المروج
والنخل في الشاطي يحيدا بالكليل بهيج
أمرابه نثرت شعور الحامرات الحائرة
والشب يزحف هاوياً بقومه الغض الطري
ليد كف مصافح اللوح ذي الخلق السري
فيجيه متواثباً من حشده المنكر
والسد يحجم صامتاً في وجة المنحدر
وعليه تمكس القصور مبهجات حاسرة
والقارب مربوط في غل الوثاق تهبها
متميرا في غيظه بين الكتابة والرجا
ثارت عواطفه وحلمه ، حقه ، قد احرجا
لا يستطيع السج مع خل يهاجر فاستجار
رب لثورة عصفت به ضد القيود العائرة
سلي ذكورتك في وداع الموح للشاطي النضر
ودعاة الطير الجريح جناحه دام كسر
يخنى البقا ، على الزراب وليس يقدر ان يطير
وذكورت دمك اذ لحقت الطل في خد اثور
وذكورت طيب شدك في نبات دروس عاورة

نفاد صبا الدفلي

قصّة عيين

مهارة الى الأستاذ وديع فلسطين

شوقي الى المجهول قد اعياني والسبح في الاغوار قد اضاني

« ٤٣ » إشارة الى اتباه المحض به الذين استهدوا في فلسطين .

يا زورقي الزهنان في بحر الحفا
ليس الفضا وطن الطيور وانما
انا باحث والدمع يسأل صامتا
ولقد رايت الكون متساقدا
فكفرت من ألمي على صوب الورد
والآن في عينك انظر باحسا
وكان سر الكون صار بقلتي
فالكون من عيني يرامق نفسه
اني عرفت الآن سر حقيقتي
لما طوتني الهدب في اخلاصها
ونظرت للدنيا بعيني طائر
وتسللت روحي مع النسيم الذي
انا عاشق ببحر خفي لا يرى
متخيلا حلمي عليه سفينة
انا عاشق افقا بعيدا غامضا
كم خلت نفسي والاصيل كأنه
طيرا بأجنحة النسيم .. وغلا
ولقد بطل البدر من سحب الدجى
فأظلم من حجب النجوم على الأرض
وكان روحي نسمة غيبية
كم هددت روحي اليتامى في الدجى
يساقط الدمع الهيثم مهودا
فأنام في حضن القناد ومهجي
الحب جردني فصرت حقيقة
جنب النذير السمع انشد صدحتي
فكان للنسبات ظلا ناديا
احببت اعدائي بعطف لاهف
انا هتفة للكون جابل صوتها
ما الحب خلوا من رسالة شاعر
الحب جردني فصرت حقيقة
في زحمة الانعام ارقص ذاملا
يبتاجني حلم الخلود فانطوي
واضم نفسي منمضا في سكرة
واطعم لافق الميذ كائنني
فاذا احتواني الليل في اجفانه

متأسسا بخفوقه متأملا
حق اذا جاء الصباح حسيني
هو وحي عينيك اللتين اطلتا
عينك لو تدرين في حديقها
عينك اهوب فيها لو صاح بي
عينك التي فيها حروبي
عينك هدهدا فؤادا واجلا
والجفن لو يهت احسب انسه
فاذا به من لمس هديك وادع
ضحيه يا اماء .. ضحي ليله
اماء اني اتزي متحجبا
هذا شباني الطفل اجفل راعشا
ضحي يدك عليه .. حلى موثقا
ضحي الذي امسيت في احلامه
وطسني الذي شبت به امتيتي

المأخرة

مناجاة الروح للروح

الى وليد لبنان صديقي الشاعر ايليا ابو ماضي

لارى سما وطني ممك
سجرا تشف مسمعك
مسا فيلم اربمك
ابدأ تقبل مومك
فندرا يضيغ مومك
واصاف النصب المقدس في الشأم .. ومجمعك
حب تحاكي ادمك
ليس المورق يخذلك
ودعت لبنان الحبيب وليته مسا ودعك
احلام ايام الصبا
خذني اذا حان المرى
انا عاشق كالطيف يهوى
هلا ضحمت خياله
آسي ألم بيه الاسى
خذني الى حرمون او
وادي الحرير .. انا ممك

المذكر سماعيل داود

تكساس - الولايات المتحدة

مكتبة الاديب



وخواطر شعرية ، فهو لولا المرأة ، اي لولا
صلته الشخصية بالمرأة لما كان شاعراً ، ولا
كان يكلف نفسه عنا. النظم .

وليس من السهل توضيح الفرق بين
شاعر وشاعر الا باعطاء المثل ، فمصر ابن
ابي ربيعة شاعر امرأة ، اما قيس بن ذريح
فشاعر حب ، وطبقه قيس ، وفردة متعددة متنوعة في ادب العرب ،
ولكن طبقة عمر ابن ابي ربيعة فليست في وفرة تلك ولا في تنوعها
ولا في تعددها .

والتي لاحسب ان ابن ابي ربيعة ظال فذاً مفرداً وحيداً في
اسلوب شعره واسلوب تصرفه الشخصي والعالم - ظال كذلك الى
ان جاء تزارقاني الشاعر السوري الجذيد ، يبيدنا الى ذلك الاسلوب
في شعره وحياته ، وربما في تصرفاته ايضاً . فهو ثاني « شاعر
امرأة » في دنيا الآداب العربية .

يتضح ذلك ، بشكل لا يقبل الجدل ، في ديوانه « طفولة
نهد » الذي صدر في اوائل الصيف المنصرم ، ولم يكن الشعر
له في صورة عن صاحبه ، وبمثلة تمييزاً بارزاً دقيقاً واضحاً ، كما هي
الحال في « طفولة نهد » وتزارقاني !

اريد ان اقول انك اذا قرأت قصيدة لابي ماضي مثلاً ، لا
تستطيع ان تحمل عنه فكرة كاملة واضحة ، وانما تتكامل
فكوتك عنه وتتضح وتسمع كلما كثرت لديك آثاره ، ولكنك
تدرك من اول قصيدة تقرأها لتزارقاني ، قديقه في الثانية والثالثة ،
وما ذلك الا لانه يعيش في جو واحد ، تتلون آفاته ، وتضيق
جوانبه مرة وتسمع مرة ، ويهز آناً ويدكن آناً ، ويكون حلاًواً
تارة ومرراً تارة ، غير انه واحد ، لا يتحول ولا يتبدل . وهذا ،
هذا ما جعله يكرر المعاني ، ويكرر الالفاظ ، ويكرر النسق
البائني والطريقة الموسيقية في اكثر من قصيدة ، ولعلك تذكر ان
« التكرار » شيء . لاحظ عند عمر ابن ابي ربيعة ، بحيث تحس جو
قصائده كلها احساساً لا يتفاوت في نفسه ، لانه لا يتفاوت في
نفس الناظم .

وقد قلت ، اول ما قلت : انه شاعر المرأة ، فهو لذلك يتي
بأسرها ما تفتي به المرأة في حياتها الخاصة . فلاحظ هذه الالفاظ
التي ترد على لسانه دائماً : ازرار ، جوب ، ورد ، ياحمين ، نخدة ،
درب ، فستان ، وشوشة ، عطر ، شمسال ، ارجوحة ، مصفور ،

طفولة نهد

لترار قباني - مجموعة شعر - ١٢٦ صفحة - طبع شركة فن الطباعة - البصرة

سواء المرأة كثيرون ، ولكنهم في الادب العربي قليلون .
ولقد تعجب لذلك ، اي هذا التفرغ ، اذ المعروف المشهور ان امه
لم تقدم من الشعر النثري ، والشعراء التزولين ما قدمته الامه
العربية في هذا الحقل ! والواقع ان علينا ان نفرق تفرقة حاسمة
واضحة بين شعراء الحب وشعراء المرأة ، واذ ذلك يمكننا الحكم ،
ويصبح الفصل في البرأي .

شاعر الحب هو ذلك « الانسان » الذي يتصباه الماطلة الخالصة ،
ولا يتصباه في الحلية غيرها ، ثم يكون من شأنه نشدانها في مختلف
الحالات والاطوار ، وتبنيها ووصفها وتصويرها في نفسه وفي غيره ،
وهو من وهجها وسناها في افق خاص من التفكير ، يدور اكثر
ما يدور حول معان. نفسية دقيقة واجراء. روحية غامضة كالوفا .
والاخلاص والشوق والحنين . وينطلق اكثر ما ينطلق مع الجملات
الروحية البعيدة التي يشارفها وراء. جلالات الطبيعة ومغربات آفاقها
واكونها وبجاءها ، ويجسها في اختلاجات الحياة وآثار حركاتها
في النفوس والعقول والقلوب ، فاذا اهتز شيء . فانما يهتز للمعاني
من الحوادث ، والمؤلم من الحالات ، والرائع من الصور ، والثير
المشرق من الآمال الانسانية الخلية .

اما شاعر المرأة فهو انسان آخر غير ذاك ، اعني ان قيم الاشياء
عنده غير قيمها عند زهير ، ونظرة للحياة الشعرية غير نظر الاول ،
فشاعر المرأة متفتت الى حد بعيد من قيود الماطلة الحارة المحرقة ،
وان احس بها احساساً شافاً من بعيد ، والمرأة عنده اصل بيتنا هي
فرح عند ذاك ، فشاعريته متصلة او متصلة الاتصال بحياته اليومية
الشخصية ، وليست بكل حياته اليومية ، وانما بجانب منها ، هو
مباشرة المرأة والتحدث اليها ومبادلتها الاسرار ، والفتاب في
اجوائها المادية المباشرة ، والاحتكاك بها احتكاكاً نفسياً ، وما
يبعثه هذا الاحتكاك من التناثرات فكرية ، وهزات روحية ،

صفائر ، هو ، فراشة ، شجرة ، نجمة ، سرير .

انت من هذه الالفاظ وحدها في جو نسائي صرف ، بل انت منها في « صالون » يعج بثثرة السيدات واحاديث الآنسات ، وهي بما تخلق من موسيقى ، وتزه في النفس من آمال وذكريات وصور ، تؤلف وحدها كورتاً شمرها خالصة لا تشوبه شائبة من وقائع الفكر المضي الذي يطعن على اكثر الآثار الفنية العميقة . واعجب مسا فيها ، انها وهي تصاور مادية توقظ وتثير وتزه !

ولكن عد اليه ، وهو في عالم آخر غير المرأة ، في حديث الوطن والوطنية مثلاً تجد هذا اللون من الشعر ، اصعب :

بلادنا بالياسين والندى مصمتة

فاذا تحمس قال :

وان فضينا تزرع الشمس سيوفاً مومنة

فهو بين يدي عاطفته الوطنية ، لا يختلف في قليل ولا كثير عما هو بين يدي فتاة يحبها ويمتدحها في آن واحد واكبر الغان في شأنه ان لم يارس الحياة العاطفية بعسى ، ولا عاشها بجراحة ، اعني انه « صديق » المرأة التي يشبب بها وينظم شعره فيها اكثر مما هو « عشيق » . واكبر الغان كذلك انه لم يجد بين مختلف النساء

الوالاتي تعرف اليهن ، او تعرفن اليه من تلمحه ذلك اللون الصاوخ من الشق الجارف الواج ، فجماعت حلاته الترابية - كما يظهر من ديوانه - متقطعة متبصرة تستقيم في نفوسه كلما اعتكفت في خارجها ، وتقتوي كلما التوت « المهمة » عليه .

هذا الاستعداد في نفس تزار لمصادقة المرأة ، وهذه المجموعة من النساء الوالاتي تعرف اليهن جمعت كيانه الداخلي « سطحياً » الى حد ما ، فاما في شعره ما يدعوك الى الكتابة او الحزن ، ولا فيه ذلك المرح الطافي الذي يدل على سريرة مطمئنة وافق صالح وضاء . واذا انت قوت الى القاسم الشابي الشاعر التونسي وعذت تقراً تزار ادر كنت الفرق بين السق والسطحية في الشعور اذ لا استطيع ان اصوره بكلمة او بجملة او بمقالة .

هناك مسحة من كآبة على شعره منشؤها انه خالط المرأة مخالطة تلمة ، وعاش في اجوائها النفسية ، وتقاب في محيطها تقاب الصديق العارف بالداخلات المطلع على اسرار الذات الاجتماعية - لا الروحية الخالصة - وعشرة المرأة تؤدي دوماً الى حالتين : الكتابة والنوم . اما نمومة تزار فانها ظاهرة واضحة في اغلب ، بل في كل قصائده ، ولا استطيع ان استشهد ، لان كل ديوانه يشهد بنمومته من اول بيت الى آخر بيت في جميع منظوماته .

قد يكون البيئة الاستقرائية التي يعيش فيها تزار قباني اثرها في اعطاء هذه النمومة لونها القوي البارز ، فهو شبيه بجياحه واشعاره بشاعر افرنسي اسمه « بول جيرالدي » حتى سبق الى ذهني بعد ان اطلمت على وجوه الشبه الكثيرة بين ديواني هذين الشعارين : « طفولة نهد » و « اتاوات » ان السيد تزار قد تأثر بزيميله الافرنسي تأثراً كبيراً غير اني لم اطعن الى فكرك في هذه ، لاني اجمل الكثير من ثقافة شاعرنا العربي ، كما اجمل طرائق نظمه ومدى اقتباله على مطالعة الاشعار الاجنبية ، وكان من صديقه الاستاذ سهيل ادريس - حين طلبت بعض المعلومات عنه - ان ابدي ما ابديت من توقف عن الحكم في هذه القضية .

نحن نجمل كل شيء ، ولا نعرف الحقائق الا ظناً حين ندرس اسرار الحياة الفنية عند الشعراء ، بيد ان الحقيقة التي يمكن ان اثبتها هي ان تزار قباني فتح فتحة جديدة في الشعر العربي ، ونقل الحياة الغرامية من واقعه المصري المتجدد ، الى اقباس الشري الصحيح . وهذا ديوانه « طفولة نهد » مثال واضح ، ودليل ساطع على هذه الحقيقة .

عبر اللطيف سرادة

عشروت وادونيس

للداكتر محمد جبيب ثابت - ملحة شعرية - ٨٠ صفحة منشورات دار مجلة الاديب

اقوال الشعراء في وصف لبنان لا تعد ولا تحصى . وكل يافع من فتياته في المدارس وكل غادة من زيناته في الاخدار او في المروج ، يرويان ، ولا شك ، عشرات الابيات الصادقة في وصف لبنان ، كقول امير الشعراء المرحوم شوقي :

لبنان ولخلد اختراع الله يوم باذن منها ملكوته

وقول المرحوم وديع عقل البليل الغريد في عصره :

ان لم يكن لبنان جنه خالق الا دنيا يكن لبنان شرفة داره

ولكن بين هذه الارصاف المتقضة المتقطعة والمطابقة حرفاً بحرف لجمال لبنان وجلاله ، وروعة اوديته وهيبه جباله ، كان لبنان ينتظر في خلال العصور اشاعراً يبرز الشاعر بللحة رفيعة يبينهاها ومعناها ، سامية برماها ومنزهاها ، تصف اسطورة من ذكرياته المتوارثة مع الاجيال ينسج لها كسوة وطنية من روح لبنان وجلاله ، ويستخرج بها روائع الامثولات من نسج خياله .

الاسلوب الحديث رومة الشعر الجاهلي .

هذا الادب الممتاز برشاقة السبك وجزالة التعبير ، متمكن من قواعد الفصحى بعيد في مدى التفكير ، فجسات قصيدته بأسلوبها الفريد ، كأنها مما قيل في لبنان بيت القصيد .

ولم يلق عند نظم الاسطورة الشائعة من اساطير لبنان المحضوضر الزاهر ، بشعره المنق الباهر ، بل اضاف الى ذلك حلة من حلل الطباعة لم يسبق لها مثيل في الكتب العربية . فجسات ملحمة لبنان خليقة بحال ادونيس الطاهر ، وحب عشقوت الشاعل وهيبة لبنان الاسم .

وها هي بعض الاشئلة منها وما فيها من اجزالة التركيب وصبر الملقى : قال في هيام ادونيس البهية :

حسده فقام بين الفسار بين وحش القلا وبين الضواري
ان ناب الوحوش الطف حداً من لسان المزاوغ الفسار

وقال في النجوم :

مشائل في الليل وهماجة يشبهها الله ويظفها
فيها رموز بين طياضا تحبها عنا معانيها

وقال في انتحار عشقوت حزناً على ادونيس :

وقفت على صخر شديد اصاب ويحبها قلب اشد واصب
وعوت الى حزن المياه فضحها موج يحيي على المياه فيذهب
الرايت بجوار الهضاح ششعاً يلوح على وجه المياه ويلعب
ام رداك الزهر السدي مفرجاً يضي لمصرعه الاربح الطيب
هون طيفك فكل حب زائل وبشكل صدر خافق يتذبذب

وقال في الاحلام :

وحولنا الارباح بمحومة نكرها في الجو اشفافا
انا طوبنا الريح في كفنا فطارت الريح واحلانا

وقال في قطرة الماء :

مسحتها السماء على مقلة النور سب وثلاث جا بين البين

وقال في وادي افقا :

واد نعام به الديانة فذرة اول شائرها النسان المطلق
عبدوا الجبال به فكسل صبية عسذراء تذبح للاله وتقرق
مسي قطرة الزلال تسكنت بدم على الوادي المقدس يقرق
وتصادت في الجو تسري في افوا وتذوب في صدر الشباب قبشوق

امين الغريب

فجاء الشاعر المعبود الدكتور حبيب ثابت من صميم لبنان وطوى القرون القمري حتى اتى اسطورة مشتقة من كل ما يشمر به الناس في لبنان من عذوبة ماء ولطف هوا ورونق جمال ، وسحر حلال ، ففتى ما شاء ، وشاء له الهوى والشمر والابداع في غرام الالاهة عشقوت التي خلقها التصور من رغبة البحر بادونيس عنوان الصبا الزمان ، ومحط رحال الحسن النادر الفتان ، الذي اشتهر ابدأ عن الليوث والفرلان ، في لبنان .

ان كل ملحمة من ملاحم العالم الشعرية بنيت على حادث منفرد تماثل شأنه في حياة الامة . فالباذة هوميروس اليوناني لهجرة ملاحم الدنيا انما وضعت لتخليد غضب اخيل البطل الموار على الملك اغا ممنون من اجسلا ابنته ايفيجي وانتهى الامر الى سقوط طروادة في يد اليونانيين .

واينائيدة فوجيليوس الروماني خلدت فرار ابني ابن الالاهة الزهرة من طروادة بعد سقوطها حاملاً والده الشيخ الشفي على منكبيه الى ايطاليا حيث شيد مدينة رومية .

هكذا لكل ملحمة عند الشعوب مرام خاصة تلم بطابع الشعب ويؤله وامانيه وتقم على دوريه التقليدي والتاريخي في الحياة . ولبنان بطبيعة اقليمه معد لان يكون ينبوع لطف وجمال وحيوية وجلال وعاطفة حب سامية تطاول الاجيال .

والشعر نفعة سماوية ، في الكائنات الحية فهو من الافعال اجزائها والظواهر . ومن الاعمال اصماها واشرفها . سئل حكيم ما هو الرقص ؟ فاجاب انه الشعر في الحركة . والشعر في الحركة هو الانتظام والانسجام ، واختيال الاعضاء في الاجسام .

وقد عظم العرب خصوصاً قدر شعرائهم لما كان الشعراء يجيئون ، والسامعون يقدرون ، فيعود الخطباء في طلب الحليج والبراهين الى الشعراء ، مكتفين بالدلالة على صحة الرأي بكلمة قال الشاعر .

ومن حسنات هذا العصر انه خلق لنا بضعة شعراء ، والكرام قليل . واحدي الى احد فحولهم هذا الطيب الخبير رسالة سامية من لبنان القديم الى لبنان الجديد ، فسد بها فراغاً في الادب العربي اللبناني كان يأسف له كل حريص على صفى الاقدام والتفوق في هذا الادب .

وكانت ملحمة عشقوت وادونيس التي جمعت الى لطافة

العصر النوري

لطائفة من الاساتذة - ١٨٥ صفحة - طبع قسم الخدمة العامة
في جامعة القاهرة الاميركية

العامية يشترك فيها اساتذة مقتدون يعالج كل منهم جانباً من جوانب
المصر الذي. فاقى اساتذة العلامة فؤاد حروف ثلاث محاضرات
نفسية عن « قصة القبلة الذرية » و « الحروب ووسائل تدميرها
للانسانية » و « السيطرة على الطاقة الذرية وتوجيهها لخدمة الانسانية »

وتلاه الدكتور طه حسين بك فتحدث عن وحدة العالم او
فناؤه ، وعقبه الدكتور محمود عزمي فاقى بحثاً عن « النظام العالمي
الذي يماون على تحقيق سلام دائم » ، واعد الاستاذ احمال القباني
بك محاضرة عن « مكافحة الجهل في كل مكان لتحقيق سلام
دائم » ، وعقبه سعادة الدكتور علي توفيق شوشة باشا فتحدث عن
مكافحة المرض في كل مكان لتحقيق سلام دائم .

اما الدكتور محمد صلاح الدين بك - وهو كفاءة نادرة وحريوة
مشتملة - فقد اعد بحثاً عن المشكلات السياسية للطاقة الذرية
كما اعد سعادة الاستاذ ساجا حبشي باشا - وهو اديب عالم ومفكر
ممتاز - بحثاً عن « مكافحة الفقر في كل مكان لتحقيق سلام
دائم » واشترك الاستاذان وهيب دوس بك ومنصور فهمي باشا
في « روائع » عاجلاً فيه موضوع القوى الروحية كعامل في بناء السلام
العالمي . وختمت هذه السلسلة الفريدة من المحاضرات ببخشيت مع
الدكتور وتتل كيلاند - المستشرق الاميركي النائم الصيت -
عن الطاقة الذرية والارها الاجتماعية .

وبدت الصورة امام المستمع اولاً - ثم القاري ثانياً - زاهية
كاملة بجولة . وفي عرفي ان المأخذ الوحيد الذي يؤخذ على كتاب
« العصر الذري » الذي صدر متضمناً هذه السلسلة من المحاضرات ،
هو ان بعض المتحدثين كان ينجح الى الانشاء بدل ان ينحرف الى
تقديم الحقائق والاسانيد ، وكان يبنى بالقرش الكلامية دون
الجره المصطفى . ومن حسن الاتفاق ان هذا اللون الانشائي قليل
في الكتاب ومرداه الى الارتجال والاعتماد على وحي الساعة .

بقيت كلمة ثناء للدكتور كيلاند فهو صاحب فكرة
اعداد هذه المحاضرات ، وهو صاحب فكرة نشرها في كتاب .
وكلمة اطراء توجه الى الاستاذ حنا رزق مدي قسم الخدمة العامة ،
لأنه هو الذي حقق رغبة الدكتور كيلاند - سلفه - فطبع
الكتاب وجعله في متناول اليد .

القاهرة

وربع فلسطين

اذا قسمت العصور تقسيماً قلوب عليه مئة واحدة ، قيل ان
العالم مر بالعصر الحجري ثم بالحديدي او الفولاذي ثم عصر الفصح
فالعصر الطليان ففصر الاسلاكي فالعصر النوري . لان كل عصر
من تلك العصور عرف جديداً لم يكن من قبل مألوفاً ، وكان
لهذا الجديد تأثير بعيد المدى في حياة الانسان الخاصة والعامة .

ومعنى اليوم - جرياً على هذا القياس - نميش في عصر الذرة ،
عصر انطلاق الطاقة من سلسلة من التفاسل ناتجة من شطر نوى
ذرات المعادن ، ولا سيما معدن اليورانيوم ، عصر تحول المعادن الى
معادن اخرى بما يوطى ، للتفكير بان ينحرف نحو تفكير السلف ،
فيكون عناصر الكون الى عنصر واحد قد يكون هوا ، وقد
يكون ما . وقد يكون نارا كما حسب طلائع فلاسفة اليونان ، بل
انه عصر يهيئ للهر ان يبدل من اسس فكره لان الذهب قد
يستحيل رصاصاً والفضة قد تقدر فجساً وما الى ذلك مما يفقد
تلك العناصر الكونية قيمتها ويعرض اقتصاد العالم لرجة شديدة ربما
كانت نذيراً بكارثات .

وقد شغل علماء النوب بهذا الطارىء الجديد ، طارىء الطاقة
الذرية ، وعني كذلك رجال السياسة بهذه المشكلة الجديدة ،
مشكلة القبلة الذرية ، وغدا هؤلاء واولئك في شغل شاغل بأمر
هذا التقدم العلمي الجديد وما ينطوي عليه من مشكلات وما يهد
له من تطورات وما يتعلق به من تشريعات وسنن .

لذلك كان من الحتم علينا معشر الشرقيين ان نوجه انتباهنا
الى الذرة وطاقتها ، ومن حق انفسنا علينا ان نوالي بالدرس والبحث
والاستقصاء سير هذا الكشف الجديد حتى لا نكون متخلفين ،
مكتفين بالاعراب عن دهشتنا من قوة انطلاق الطاقة وما ينشأ
عنها من دمار لا يحصر مداه .

وكان في صدارة المعنيين بأحوال العصر الذري قسم الخدمة
العامية في جامعة القاهرة الاميركية ، ولم تكن عنايته مقصورة على
النطاق المهدي الضيق ، بل كانت متطلعة الى ارشاد الجمهور ارشاداً
سديداً الى الخطوات الواسعة التي خطيت في هذا المضار وتوجيه
نظره الى النواحي المتباينة التي تكتنف الطاقة الذرية ، وكانت
وسيلة القسم لتحقيق هذا الوطن ان ينظم سلسلة من المحاضرات

جولة للفكر في سحر



بأخذ النامة كأداة للتعبير، فالشعر فن رائع راق، والنثر مثله، ولكنها جزء من الفن وليس الفن كله. فن الشذوذ البعيد ان يكون من امة يرميها، بل امة غفيرة،

هو ذلك الفن اللغوي كل هذا الدهر الطويل ولكنه الواقع وهكذا كان، ولا غرو، فالدين - الذي يسيطر على الحياة والبنية الاجتماعية بأسرها - شق طريقه بهذا الفن، واتخذ الصياغة اللغوية المعجزة، اداة تعبئة له، يشق بها الطريق الى القلوب، حتى يفرض على الملايين تقديسها، وقدست، وعنى على الرسم والنحت والتصوير المألوف فكان الميدان للشعر، وموسيقاه، والموسيقى، وللاثر وعلموه والرواية اي كان لغة القلم الملى.

ولست اريد الاطالة فأتناول العمران، الذي راح يتدعر بضورته فيظهر الواناً واخافين من الروعة الفنية على وجه البلاد

شرقاً وغرباً واتخذ من حياة الترف والذبح ركناً دافئاً ليلجأ اليه فيمنو ويترع خصباً غزيراً قوياً، ولكنه مع ذلك راح يضمحل مهالكا، ويجول ويهت عبثه، بتأثير موجات الاضطهاد التي عصفت بالعالم الاسلامي، فانقرضت الترف الباذخ من حواضره الى الارض الحام، التي راحت بدورها تنمر وتشب حتى بلغت من الازدهار شأواً بعيداً. ولكنني اريد ان اقول

ان هذا الفن لم يكن ليهد الا عن تفكير محدود خاص، شئت به طبقات ناعمة مترفة، مما يجملنا نأخذ بطريقه عكسية تماماً، فندرس على انه رمز لما كان من الظلم والاضطهاد والاستغلال، ودليلاً على التدهور والانحطاط الاجتماعي والاخلاقي في اشد فترات العصر الاسلامي قوة وجهورتاً، وابعدها بآعاً في الرقي والياس الشديد، ففن العبارة كفن خاص لا يظهر لنا الا في قصور وقلاع معبودة، لا يمكن ان يثقل الا صورة اجتماعية قياساً عكسي تماماً وعظمة الفن ونفاسته. بعكس الشعر الذي كان المصدر الوحيد لنا لكشف فيه عن الاوضاع الاجتماعية الفاسدة، والنين المتشفي، ولو ان هذا الحديث كله صلة وثيقة بما نحن في صده من هذه الدراسة الفنية، للنحات خالد الرحال، لما عتينا بشي منها، ولا بد من اعملها في هذه الحالة، وفيه خروج عن الموضوع هو - على التعبير الصحيح - لنو لا غنا فيه.

فالن العراقي الحديث، به ذاك القسط من الفن القديم،

الفن

فن جديد طارىء على العراق، ساقته ظروف سياسية على اثر الحرب العالمية الاولى غيرت الشيء الكثير من طبيعة البنية الاجتماعية فيه، مثله مثل جاراته من البلاد العربية والشرقية عموماً. بينما هو فن قديم متطاوّل الجذور في غور ترويح هذا الوادي القديم، وحضارته العريقة. وبين الجدة والقدم امد كبير عميق النور، كأنه الهوة المنحرفة، تفصلها فصلاً يكاد يكون تائماً كاملاً، من الحكم الاسلامي الطويل ذي الاجيال السبعين.

بين الصور السومرية، والتاتيل الاكدية والاشورية، وبين رسوم معارض اليوم وقطعها المنحوتة، بين من الخلاف شاسع مديد فأنتك لتطالعك من رسوم الحضارات الاولى الى معان واخيلة غريبة عنك، تكاد تحسبها ذكريات اناس غيرك تقص عليك، لا تدرك منها الا ظاهرها المروري، والا ما يتجج بهذا الظاهر من قوة التعبير، وهي الى ذلك تعطيك صورة - قد تكون باهتة - عن مجتمع غريب متجهب، صامت غارق في الصمت... ميت، وانك لتقرأ من خلال الالوان الحديثة، والخطوط الطويلة

الكثيرة، والمواضيع المتعددة المألوفة وغير المألوفة بما ترخر به قطع الفن الحديث، ما يتخالف الالوان والخطوط والمواضيع، مما تجده بين رسوم الالوان الحائلة... فوق هائل غريب، يجملك تشك في كون هذين الشككين من الفنون غوا في ارض واحدة، وبين قوم ينسلون اطواراً على التاريخ. فن اين جاء هذا الفرق الكبير؟ انا نجد في فن العبارة شياً كبيراً بين مسا شاد السومريين والاكديين والاشوريين، وبين الذي شاد المناذرة القدماء، وبينها وبين فن العصور الاسلامية المعاري، ونجد رسوم (السجائيد) والقوش الفارسية، وما تغفل منها في الحضارة الاسلامية، وعلى الاباريق والكؤوس من الصور ما يؤيد نظرية اتصال هذا العصر بالمصور السومرية الاولى... اما هذه الهوة العميقة الشاسعة فرجسها الى سيطرة الشريعة الاسلامية مدى قرون عديدة، تلك القرون التي تحول فيها الروح الفني متدفقاً في اتجاه خاص، هو ذلك الفن الذي



http://ArchiveBeta.Sakhr.it

على اقرانه والسيطرة عليهم، واذكر اني رأيت لأول مرة ما يقرب من خمسة عشر عاماً، رأيت يثني على جبل في الهواء!

كانت رغبته الشديدة في التحرر قد اتخذت لنفسها هذا المجال الحبري اللاحب المليء بالفخر والإبداع الصبائحية وبنت هذه الهواية العنيفة منه جسداً ضخماً المتقاطع انيقاً، متناسق العضلات جبارها، فكانت كانت تربته لحمل قطع الرمر المائلة وتحطيمها بين يديه القويتين تقايل كأنها الآلهة. وبالرغم من هذه التزعة التي كثيراً ما صرفت التلاميذ عن الدرس والتحصيل فقد راح صاحبنا ينجح وينجح، قاطعاً المرحلة تلو المرحلة، دون ما توقف أو إهمال، ليس لأنه اهتم بالدرس والتحصيل، فأبين مواد المدرسة ما يستحق الدرس والتحصيل غير، مبادئ القراءة والكتابة، ولكن لأنه كان ينجح، وقد يكون ذا فطنة فطرية - بل هذه ما اهتله لأن يكون فناناً دقيق الملاحظة - وقد يكون ذا ولم بالأهتمام لما يلقى إليه ليجرد الرغبة في المشاكسة، وعلى أية حال لا ينبغي انه لم يتم بالدرس لمادته، فقد رسب سنة واحدة عام ١٩١٤، في السنة الثانية متوسطة، مرة واحدة فطاق المدرسة. كانت المدرسة لديه شيئاً جافاً، اذا هي كانت قاعات درس وفصول قراءة، وشيئاً حينئذ هي كانت ساحات لعب ومجال حيوية، وردحات رسم وعبث، فقد بدأ صاحبنا رسماً، وبلغ من ذلك مبلغاً طيباً، ولا ينبغي ان لا ننسى اني في البيت الاول، جحر طفولته، كان الوصي الشيخ،



نقش «خالد الرجال» الذي صنعه لنفسه وهو في الرابعة عشرة من عمره

ذاك الانجلاء المترلف الذليل. بطبيعة تكوين المجتمع طبعاً، والمهنية المنبثقة من جميع الجماع، قد تناضل وتنافع عن حقها في الحياة، ولكننا مع ذلك نجوت، والاغب ان تنقلب خادمة متعاقبة تتذلل، وفي ذلك ما فيه من فظاعة لا يدركها غير الفنان الاصيل. ففني التبع الحديث اذن طار، على العراق والبلاد العربية وطبيعته هذه تفسر انفصاله التام - من البصائية الطاروية - عن الفن العراقي القديم، وقد اقتضت الظروف الطارفة التي تخضعت عنه ان يكون فناً جامداً لا روح فيه ولا حياة، فالطبيعة التي اخذت بيد القابض على الازميل، هي هي تلك الطبيعة التي كان يكبح لها الفنان كي ينشئ. القصر الباخ المريض، ومع ذلك فمبقرات متصلة عبيدة تدق بأرجلها الارض في اصرار وتماثل الثورة على هذا القيد المزري. ومن تلك عبقريته صاحبنا نصف المحنون «خالد الرجال». نشأ هذا والحياة كالحية في وجهه، سوداء بعبئيه، بين جدران بيت كبير، مغلفة ابوابه الضخمة السوداء، على حزن دفين، وآلام لا تفي تمليل، وتسم حياة ساكنيه. كانت امه تعيش مع وصيها الشيخ وأهله حياة كلها الألم، تنطوي عليها وعلى ابنتها وابنها الغلام. هذا الغلام المتفتح للحياة، في بيت لا أب فيه، وام تقيم على حزن دائم مكبوت، يحس هو مجزئها العميق، وتتفتح عيناه ليعرى انه وامه وشقيقته مضطهدون بنهر ما ذنب ارتكبوه.

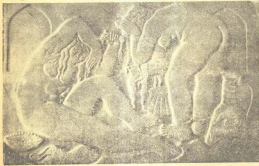
دخل المدرسة وهو يشعر عوراً قوياً بحاجة الى الحرية والاعتناق، ليس من ضغط في البيت، بل من هذا الشعور الحزين والام العميق، فكان في المدرسة تليفاً أتم مدرسيه ب (سقاروته) ومشاكساته، ففي المدرسة انطلقت حيويته جارية قوية رالمة لا تعرف الهدوء، فكان في شجار دائم مع اترابه، وساعدته بنيتة المثنية في التغلب



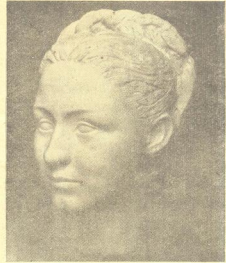
« امرأة » من اعماله الحديثة

صنع تمثاله الاول في العاشرة من عمره ، مثل فيه الملك فيصل الاول ، وكان يؤمن بأن التماثيل لاتصنع الا بالملك ، فنحت الملك غازي الاول تماثيل عديدة ، حتى صنع تمثالي انا . ولاول مرة يكتشف ان التماثيل يمكن نحتها حتى ولو لم تكن الملك . صنع تماثلي في ساعتين . وجاء التمثال بصورة طبق الاصل حتى لقد بهر امني ، وجعلها تشيع عن الرأس الطينية ، مستنكرة ، وتتعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

دب الخلاف بين الاب والابن جدياً هذه المرة ، بعد رسوب الابن في فصله ، وعدم قدرته على الاستمرار في دراسته . وفي ثورة جامعة وضجة ضخمة ، انفصل الابن عن ابيه ومن اجل الكسب اشتغل في دار الآثار العراقية ، يصنع النسخ للتماثيل الآشورية والبابلية القديمة ، او يصالح فيها العطب . وبدأت مواهبه تصقل نفسها بالاحتكاك بين المذاهب الفنية في بغداد ، والمذاهب الفنية في بغداد تعني التقليد والروتيبة الحكومية الجامدة ، ولولا ان في (معهد الفنون الجميلة) الحكومي قاعات الرسم وصال التماثيل وآلات وموسيقى ، لكان المهدي كتاب تلقين ، وجمال تجميعه للمعقول ، ولكن في المهدي مجالاً للبعثورية ان تهز ولكن لحسابها الخاص وعلى حساب ما يهتبه لها المهدي من وسائل اولية . فنار بغداد مختلفة القرون مصنوعة ، كأنهم الخلاقون ولكنه مع ذلك راح ينهل من بين ايديهم وفواهم معرفة جديدة يرضها ويملسا بغير رغبة الخاصة ، ويتقل بين المذاهب الفنية العديدة (١٠) وراء الحقيقة () (الانطباعية) (والتكعيبية) ، وغيره من هذه المذاهب التي يتناولها المتفنون في الصالونات التي لا يشترطون بها الا ان تكون ذات واجبات زجاجية ، والا ان تستوعب دخان (غلايينهم) الثقيلة الوزن لم يفهم شيئاً من هذه الاشياء التي يؤثر بها ذور الشعور الصقيلة ، ولكنه مع ذلك راح يتسكّر لنفسه



« حمام بنداوي » من المرم



« رأس فناة » من المرم مثال كلاسيكي

ذلك العسكري المتقاعد ، رساءً هاوياً ، ينفق حياته القاحلة بالنقش والتخطيط ، وكان الطفل يرقه دائماً باهتمام ولا يبي يتسامد ويستغمر ، ولجود الرغبة في التسلية وقطع الوقت ، اخذ الشيخ باليد الصغيرة المظلم المظلم اطله على الرقعة ، شاطرها على الورق المحجب ، وبذلك ، ومن غير علم منه ، رسم اول خط في تاريخ الفن العراقي الحديث .

كأنف الطفل بالرسم كأنه عظيم ، كان يبعث اعترافاً للشيخ الفاني ، ومصدر فخر له . ولم تكن الام ترى في ما يصنع ابنها غير تسلية صبيانية ليست بذات خطر ، والا شيئاً قد يكلفها ابداء اعجابها به وبصانعه في بعض الاحيان ولم يطلق الطفل مع ذلك الرياضة البدنية ، حتى اخذه ابيه من احضان امه وبدأت عند ذلك متاعب المراهق الثائر ، وبدأت الآلام تعصب القاب المتحدر الكبير . كان كلما ازداد عنت الاب المتجبر ، ازداد اصرار الطفل المتطلع للحرية . وهذه الاسرة مشهورة بزاجها العصبي ، ولم يكن الطفل ليقل عن ابيه قوة في الإرادة . ولكن الاب يريد لابنه ما لا يريد هذا لنفسه ، والاب يؤمن يوماً بعد يوم ان ابنه (غير صالح) وأنه لا خير فيه ، وبدأ الطفل يفكر بالانتحار ، ثم راح ينتحر يوماً بعد يوم دون جدوى فلم يستطع مرة اقتناع عزرائيل بقيمة روحه واستحقاقها لان تقبض .

الاجواء مستلهماً ما يريد ان يتخيله من معان لهذه المذاهب الجديدة لكنه منذ بدأ ينحت لنفسه ، بدأ متحرراً من كل شيء ، وظهرت مغزاته الخاصة، المعبرة عن اغوار نفسه تعبيراً شديداً للوضوح، فكان مذهبه الجديد في الفن . ذلك المذهب الذي لن يهر عنه بالشرح والحديث والدراسة العلمية ، ولن يفقه حقه من الوصف والتحليل لانك سألته ، وطلبت اليه ان يريك خصائص قطعه الفنية ، فهو لا يفهم بقدر ما يستطيع ان يفهم : يفهمك بفنه . مثلك حيال قطعه ، يشعر شعوراً قوياً بأنهم قد فهموا نفسه وذاته ، وقد تستطيع انت ان تحلل المثال وان تري السائل ما فيه من المواضيع الفنية ، والمواضع الحسية والتأثير الفكرية ، اما هو ، فليس يفعل حين يتصدى لشرح تأثيله الا ان يحجب رجاءك في فهمه ، ويهدم فكرتك عن نتاجه الفني . انه انسان يحس فيندفع باحساسه بمعنى الطين ، ويشعر فينكب على الصخر ينحته بشوره الذي لا يقاوم . ومن ذلك كان مدرسة ومدرسة قد تكون جديدة .

ومدرسته هذه لا تختلف عن المذهب الفني القائل ان من خصائص الفن ان يضيء على الطبيعة جالها الخبيرة او الغيب بين الصور المبعثرة المتباعدة ، ولكنه مع ذلك - في هذه المدرسة - ينحرف في الامر نحواً خاصاً ، فهو لا يريد اظهار الجمال الخبيرة في الطبيعة ولا يريد ان يفسد الانسجام خلقاً جديداً . بل هو يدفع من وراء ذلك الى تحقيق شعور مبهم يحسه ولا يفهمه جيداً . فان فهمه فبصورة اشد اهماً ، وغرضاً ، مما يدفعه دائماً عن جمال الدرس والتحليل الى مجالات التطبيق الذي يشبه ان يكون فيها غير ارادي . واكثر ما يحقق من هذه الافكار الاسرة المبهمة ، فكرة الجنس والعزوة فهو لا

يصور الجسم كما هو ، ولا يختار يبدأ من هنا وساقاً من هناك ليأتي بجسده مثالي - بالرغم من ان له قطعاً قديمة تضعه في مصاف كبار الثعائين الكلاسيكيين - بل هو غالباً ما يشوه القطعة ، تشويهاً ظاهرياً ، هو في الحقيقة اقصى ما يتمناه البهيميون في الفراش : اجساد تصرخ بالشهوة العاتية ، جسوم ضخمة متهدلة اللحم تعوي في غشونها وبين ثيابها العنشة غريزة حيوانية تطلب الافلات من الاسر الثقيل الذي يكاد يكون سرمدياً . رغبات قذرة لا تبتث الا على الاندفاع لتحقيق انشيم ما يمكن تحقيقه من ارضاء الشهوة البهيمية لمجرد الثورة وهدم الاصنام ، لا لتحور المطلق .



«راقصة شرقية» من الانبوس

ففي الوقت الذي انصرف ذوو (الملادين) الالية الغضة الى تقليد المذاهب الطائفة دون فهم او تدقيق ، راح هذا بيبي مجده الفني ، وكادت وظيفته في دار الآثار العراقية تجره الى تقليد الفن الاشوري - وله بعض قطع متأثرة بهذا الفن - لولا ان رغبته في التحور من كل قيد ، نفذت عنه هذا الهم سريعاً . وبالرغم من انه وجد نفسه مضطراً الى مجاراة المذاهب الاوربية الحديثة ، فإنه حقق هذا التقليد على طريقته الخاصة ، ولم يصنع تأثيله على اسس هذه المذاهب دون ان يكسبها الطابع المحلي العريق . فله من الهرتز مثال خالي الجوف مقطوح الصدر والبطن ، هو قشرة من الهرتز تجسم ظهر امرأة تلبس العباداة ، وفي الفتحة الامامية - الصدر والبطن والساقين - وضع اسلاكاً دقيقة كأنها هذه المرأة قيثارة . وله قطعة اخرى اسماها (حلك مسقوف^(١)) ، ولكن سرعان ما طلق هذا العبت الموحج ، واندفع من جديد في طريقه الغريب ، فهو يعبر تعبيراً قوياً واصحاً عن المواضيع المحلية الصرفة ، ولكن بطريقة خربت العرف ، وقوتت العادات ، فليس يستحي او يتحجل اذ يدخل وراء النساء ربات البيوت ، مذوات الجسود المادنة العريضة ، ذلك الهدوء المبهج المثير ، كأن في ايها الساذج البليد ابليس الذي افسد ابناء آدم ، لا يتحجل ان يدخل وراءهن الحام ، فيبدي من اجسادهن المطنشة في عوينا المستقيم شهوة عارمة . ولمع ذلك ، وبالرغم من اعتراف اساتذته بمعبد الفنون الجميلة ، بمقبولية هذا (الطالب) ونبوغه ، فقد ابى المعهد منحه شهادة التخرج ، لعدم حله شهادة الدراسة الثانوية . ولكن ذلك لا يمنع ان تكون تأثيله قطعاً خالدة من الفن يقف امامها الاساتذة والنقاد ذاهلين اعجاباً ، وقد حدث ان زار المسير يوريون الفرنسي بغداد ، فاشترى منه تأثيل لم يدفع ثمنه حتى الآن على ما اعلم ، واعتمر نقلها الى باريس بالاطائرة ، او هكذا يقول خالد بلهجه المتباهية الساذجة . ولعل الظروف تتيح لي ان اتناول طريقة خالد الرحال الفنية بالبحث والتفصيل ، واكتشف عن دقائق صناعته البديعة المبدعة في مقال آخر يعني بجنى هذا الفنان الخالد .

صالح الدريه ناس

بغداد

(١) سمك يشوى على النار بطريقة خاصة ، ويكثر صنع النائم له عندنا على الشواطىء . وضفاف النهر في الليالي القمرية الملاح .

أنباء العالم في شهر

١ - اعان المراقبانه متضامن مع دول الجامعة العربية بشأن فلسطين .
٢ - استضاف السيد خالد العظم ان يولف الوزارة السورية .

٣ - اذاعت الحكومة الاندونيسية بسلامة قالت فيه : ان التحكيم هو الحل الوحيد لحل النزاع بينها وبين هولندا .

٤ - لم تدم ثورة سلقداد سوى عدة ساعات انتهت بسقوط رئيس الجمهورية .

٥ - اعان شرقي الاردن بانه لن ينسحب من الجامعة كما مرت بذلك الشائعات .

٦ - طلب لبنان ومصر واليمن دعوة الجامعة العربية لبحث موقف شرقي الاردن بعد مقررات اربما .

٧ - رفض مجلس الامن طلب انتساب اسرائيل لمشوية منظمة الامم المتحدة .

٨ - اذاعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بانها اكدت فيه ان كل تدخل اميركي لمساعدة شيايف كاي شيك بعد عدوانا مسلحا على اراضي الصين .

٩ - قدم روث المحكمة الاميركية العليا طلب استئناف مجرمي الحرب اليابانيين .

١٠ - شنت القوات الهولندية هجومًا مفاجئًا في الاراضي الاندونيسية فاحتلت العاصمة ، واعتقلت رئيس الجمهورية والوزراء والقائد العام للقوات الاندونيسية .

١١ - قدمت اميركا وسوربا وكولومبيا الى مجلس الامن مشروعًا لوقف القتال العاجل في اندونيسيا .

١٢ - نفذ حكم الاعدام بالجفرال توجو .

١٣ - شن اليهود هجومًا مفاجئًا على القوات المصرية في منطقة التنب .

١٤ - برئت ساجة وزير داخلية فيشي .

١٥ - اعترفت كندا بدولة اسرائيل .

١٦ - ام مجلس الان بايقاف النار باندونيسيا .

١٧ - اطلق الهولنديون سراح ازماء الاندونيسيين .

١٨ - عقد مجلس الامن جلسة سرية قرر فيها اعضاء عمله في باريس واستئنافها فيليكسس .

١٩ - نالت الوزارة السورية الثقة .

٢٠ - تأجل بحث طلب اسرائيل للاتنا الى هيئة الامم المتحدة .

٢١ - قامت المظاهرات في القاهرة وقتل حاكم دار البوليس .

٢٢ - رفضت اللجنة السياسية المشروع الروسي لجلاء القوات الاجنبية عن فلسطين واقرت انشاء لجنة ثلاثية للتوفيق في فلسطين .

٢٣ - تجددت مظاهرات الطلبة والطلاب في القاهرة .

٢٤ - لم ينجح الاناسي بتأليف الوزارة السورية الجديدة .

٢٥ - بعد ان اعان فخامة الاناسي اغفائه في تأليف الوزارة بسبب تناسف الاحزاب عهد رئيس الجمهورية الى الامير عادل ارسلان تأليف الوزارة .

٢٦ - نقل النظار على ان الامير عادل ارسلان لن ينجح بتأليف الوزارة السورية .

٢٧ - حلت الحكومة المصرية حزب «الاعوان المسلمين» .

٢٨ - طلب فرنسا وشكلا احواليات اللجنة من ايراني اعادة فتح الباب للبريد الدولي للتصلة بجيفا .

٢٩ - تأجل اجتماع مجلس الامن لندرس طلب اسرائيل بالاتنا الى هيئة الامم .

٣٠ - اعان تشايف كاي تشك الاحكام العرفية في جميع انحاء الصين .

٣١ - كاب خالد العظم بتشكيل الوزارة السورية بعد اغراق الامير عادل ارسلان .

٣٢ - اختتمت الجمعية العامة دورتها في باريس .

٣٣ - قرر البرلمان الاردني اعلان عبد الله ملكًا على الاردن وفلسطين .

٣٤ - معارضة الدول العربية جميعها .

٣٥ - اقرت الجمعية العامة انشاء لجنة للتوفيق في فلسطين من تركيا وفرنسا واميركا .

٣٦ - عادت روسيا الى مطالبة تركيا بضم اراضي ارمينيا التركية الى ارمينيا السوفياتية .

٣٧ - قامت الثورة في سلقداد للحوول دون تقديم رئاسة الجمهورية لكسادو كاسترو .

٣٨ - سقطت بكين العاصمة الصينية القديمة في ايدي الشيوعيين .

٣٩ - تشرين الثاني ١٩٤٨ - طالب الوفد الاسرائيلي الى الهيئة الامم قبول اسرائيل في الهيئة واقترب انشاء لجنة للتوفيق واسماء الصلاحيات تساعد الفريقين للدخول بمفاوضات مباشرة .

٤٠ - تأجل قبول دولة اسرائيل المزعومة في منظمة الغذاء والزراعة التابعة لهيئة الامم .

٤١ - قدمت بريطانيا الى اللجنة السياسية اقتراحًا جديدًا مبدلًا للتوفيق بين التسليم وشروع برادوت .

٤٢ - اعلم بانث الوسيط الدودي الدول العربية بان اليهود طلبوا رسميًا من مجلس الامن الدخول بمفاوضات مع العرب .

٤٣ - قدم دولة فارس بك المؤدي الى اللجنة السياسية اقتراحًا يوسي بتشكيل لجنة خاصة لندرس المسألة الفلسطينية في فلسطين وتكلف بانشاء دولة موحدة على اساس الكاثونات .

٤٤ - الشيوعيون على بعد ٥٥ كيلومترًا من عاصمة الصين القديمة .

٤٥ - رفضت اللجنة السياسية هيئة الامم المشروع السوفياتي القساضي بسحب الجيوش الاجنبية من فلسطين بأكثريه ٣٢ صوتًا .

٤٦ - عقد اتساق بين العرب واليهود لاياف النار في القدس .

٤٧ - قامت المظاهرات الصاخبة في دمشق احتجاجًا على الحالة في فلسطين .

٤٨ - قدمت بريطانيا السابق لحل قضية فلسطين مبدلًا لاقتراحها السابق لحل قضية فلسطين .

٤٩ - كانون الاول - استمالت الوزارة السورية على امر الاضرابات والمظاهرات التي شملت انحاء العاصمة السورية .

٥٠ - اعلنت اميركا عن قبولها للاقتراح البريطاني المبدل بشأن فلسطين .

٥١ - عقد مؤتمر فلسطيني في اريحا يوس فيه الملك عبد الله ملكًا على فلسطين والاردن .

٥٢ - احال مجلس الامن طلب اسرائيل للاتنا الى هيئة الامم للتحدة الى اللجنة العضوية .

٥٣ - رفضت اللجنة السياسية هيئة الامم القسم العربي من فلسطين شرقي الاردن وتقرر وضع القدس وبيت لحم تحت الرقابة الدولية .

الحكومة

النشأة والنظر: يذهب الطالع العربي الجديد في اتكاله واعتياده على الحكومة مذهباً خيالياً اقعهه عن العمل لنفسه في نفس مقاييس العمل ، وابعده عن فهم الحياة الاجتماعية التي تنبثق عنها القيم الانسانية في حال ينزع فيها الاشراف والظهور فتكون فوق الحكومة ، ويكيف فيها البعث والرسالة فتكون اقدس من النظام ، حالما يعرف انه هو شي . في وظيفته كإنسان ، والحكومة شي . آخر في وجودها كوظيفة ، وقد يلتقي معنى العمل في الوظيفتين ولكنه يختلف في النتائج . واذا نحن اخذنا بآراء ارباب الفكر التحريري الذي كان سبباً لظهور معاني القيمة الوجودية ، نجد ان الحكومة لم ترجع في تاريخ نشأتها الى اصل مشكور ، كما اشار الى ذلك « كلاري » في قوله « ان الحكومة في بدء كيانها قامت على تكتل وضع نظامه جماعة الانحصر » ، وان كان « روسو » يعارضه في هذا الرأي فيزعم انها انبثقت عن مفاعيل التناقض الاجتماعي . غير ان كارل ماركس ، ينظر اليها نظرة اشتراكية كما نظر اليها افلاطون ، من انها قوة تعطي لمن يشن وظيفتها « مثالة الرب » على المواطنين في جميع الشؤون السياسية والاقتصادية . والواقع ان شكل الحكومة الحاضرة يمثل هذا الوصف بالتطبيق العملي والنظري الذي اشار اليه افلاطون نفسه ذهباً مع الحكمة : انظر الى الاشياء كما هي . ثم يأتي اهل المدرسة المنهجية فيقولون ان المجتمع الانساني لم يكن بحاجة الى الحكومة ، بل الى وظيفة بوليس ، كما ان رأي الرئيس الاميركي « جفرسون » جاء مصداقاً لذلك الزعم ، فمن انه اختبر بنفسه قبائل الهنود في اميركا الشمالية فوجد انها منظمة بحجياتها الاجتماعية احسن تنظيم يدعمه هدوء واستقرار واتفاق لانها بدون حكومة .

ارباط بغير معنى : وعندما نأخذ عمل الحكومة على قياس النفع في الوجه الاجتماعي لا وجه الاستخدام ، نجد في تلخيص الفوائد والمنافع ان الفرد الصالح اقدر في نفع المجتمع من الحكومة لانها اذا كسبت مادتها جبراً من الفرد ، وعلى المصدر الحقيقي بيني كيان النفع العام . وقد اشار العلامة الالماني « فرائد اوينبير » الى معنى وجود الحكومة بقوله « ان غاية النظام الحكومي ليست من اجل تحري وجه الحق بل من اجل تنافس فردي يؤدي الى نفع خاص » . ويؤكد السياسي الانكليزي الخطيب المشهور « جان برايت » القرن الثامن عشر ، ان نفع الحكومة لا يشهد النفع ، حيث قال « اننا اعلم ان البرلمان الانكليزي انما وجد للقيام بعمل صالح ، ولكنني لا اعلم ابداً انه اتى بشي صالح لمجرد انه شي صالح » .

الشكل والفاعل الخفي : هذا هو الرأي العلمي في الحكومة ! اما الرأي السياسي او رأي الحكومة في نفسها ، فهو انها تجرد نفسها - في عملها - عن كل صفة مثالية ، بينما تقوم في اسمها وفعلها على ثلاث صفات : الحادثة السياسية « Coup D'Etat » الانقلاب المفاجيء . « Coup De Main » الحق والضرربة القاضية « Coup De Grâce » . ومن اجل ذلك يرى الدكتور الاميركي « اشلي مانتاجو » العالم في الطبيعيات والانساب ، ان الجمعية الانسانية لم تكن بحاجة الى حكومة واستقلال من النوع الحاضر ، لان ذلك انما يوجد الخوف والاضطراب ، بل هي بحاجة الى رجال يعرفون حجة الحق ، يصير تبديلهم رجال اساءوا القيادة في قيادة اهل الحق .

وعنده ان الانسانية تسير الى الهلاك اذا بقي على رأسها جماعة اشار اليهم بأبسطها في الكلمات من تعبير - انهم مرضى ! . ايها الجيل العربي !! انك تظلم نفسك وتظلم الحكومة عندما تسرف في الاعتماد والركون اليها هذا الاسراف .

عبد الله بري

مبعض - الولايات المتحدة

الفلسفة ازاء العلم والدين والفن

نظم منوال بونس

تطوي

من فروع المعرفة بفروده ، ولكن عندما ترجع هذه المعرفة الى ذاتها لكي تتحقق من صحة تصرفها وواقعيتها ، عندئذ تدخل في دائرة الفلسفة ، متجاوزة امكانيات العلوم وحدودها . وهكذا تنتقل هذه المعرفة من دراسة الاجزاء التي تؤلف الكل (اي الكون والحياة) الى دراسة روح الكائنات التي يقوم عليها هذا الكل بكامله .

ورغم ان العلوم تسمى كما تسعى الفلسفة الى الحصول على معرفة ايجابية ذات صحة عالمية . فالفلسفة تحتفظ بميزات هامة جداً اذا انها على خلاف هذه ، تتجه نحو التعميم الكلي الشامل اي انها تسعى الى ادراك سر الكون والحياة ادراكاً شاملاً تاماً . ففي العلوم ينحصر التقيب والجهد ضمن دائرة ضيقة من فروع المعرفة بينما الفلسفة تتجاوز هذه الحدود الفرعية متخذة لذاتها ميزات المعرفة في كلا نوعيها اي المعرفة الايجابية ذات صحة عالمية والمعرفة الكلية الشاملة العامة .

تنشأ العلاقة بين الفلسفة وبين مختلف فروع المعرفة في النظرة « الفلسفية الشاملة الى الكون » ، ومن جراء هذه العلاقة تنشأ أهمية الفلسفة في تأسيس هذه الفروع وفي إيجاد العلاقات ما بينها . ويمكننا ان نعتبر العلوم الخاصة كالنقطة التي يصعد منها الفكر الى دائرة الفلسفة ، وازاء هذه الحالة يصبح من المنطقي ان يعود هذا الفكر الى تلك النقطة لكي يقيم اساسها وينظم مقوماتها . وعلاوة على ذلك يمكننا ايضاً ان نعتبر ان للفكر المراحل الاولى في انشاء العلاقات بين فروع المعرفة بها . ان مهمة الفلسفة تنشأ في التوازن القائم بين هذه الفروع . وهكذا تنزع الفلسفة الى الحصول على معرفة ذات صحة عالمية .

يجب ان نشير الى ان الفلسفة تحتوي على جميع الخصائص التي تجعل منها علماً مستكماً حتي ان داتي اطلق عليها اسم « نظرية المعرفة » ، وهذا عندما تقم التفاعل بين ادراكنا الخارجي والاحساسات والانطباعات من جهة وبين عالم معرفتنا من جهة اخرى . وبواسطة المنطق تدخل الفلسفة حتى في تكوين وتنظيم كل عملية صحيحة

معرفة الكون (*) على اجزاء عديدة متنوعة ومؤهلة من مختلف العلوم الطبيعية والنفسانية وبما ان جميع هذه العلوم تنسطق ضمن دائرة المعرفة فقد اعتبرت بادى ذي بدء . ككل اطلق عليه اسم « الفلسفة » ومع مرور الزمن بدأت تنقل تلك العلوم عن هذا الكل ، علم تلو الاخر حتي توصل بعض المفكرين الى الاعتقاد بانما يعني بالكلمة الدالة على هذا الكل اي الفلسفة ستصبح يوماً تمييزاً فارغاً لا هدف لها . لم يكن هذا مصير الفلسفة ووظيفتها بل رأينا كيف انها بواسطة شخصيات هامة كديكارت وكانت وهيجل وهربرت وشوبنهاور وونيدلبنس وداتي الخ . اكتسبت اوصافاً وميزات بارزة جديدة تفوق اوصافها وميزاتنا السابقة ، حتي اصبح البعض يعرفون « كعلم العلوم » و« قاعدة القواعد » .

هكذا ندرك كيف انه منذ ان بدأت تستقل العلوم الطبيعية في مدرسة ارسطاطليس الى ان تابع هذا الاستقلال في الايام الحديثة والمعاصرة في مضار سائر العلوم الطبيعية والنفسانية ، شرعت الفلسفة بالقيام بدور هام في تنظيم الفكر المتحرك في شتى الحقول العلمية على اختلافها . وقد رأينا ايضاً كيف ان هذه العلوم رغم استقلالها الظاهر ، بقيت متصلة اتصالاً وثيقاً بالفلسفة . فبواسطة « النظرة الفلسفية الشاملة الى الكون » يكتب الفكر الانساني تطوراً كالاكبيدين بفعل علاقته الداخلية بالحياة وبفعل الاختبارات النفسية والانظمة العلمية التي ترتكز عليها تصرفاتنا . وهكذا عندما يتحرك الفكر في عالم العلوم المختلفة يكون قد اكتسب بواسطة الفلسفة المرونة والقوة اللازمين للتصرف بسهولة ودقة ووضوح . تنسحب العلوم وتعمق بصورة منفردة في شتى خواص الكون والحياة ، وعليها ان تجيب على دوافع معينة اي ان تعالج كل فرع

(*) المرجع : « روح الفلسفة » لداتي Dilthey . « نقطة البداية في التفلسف » لفرودنيس Frondizi .

اهتمام الفلسفة في الحصول على معرفة ذات صفة عالية وفي التنقل ضمن دائرة الواقع وفي تطور الفكر العلمي وإيضاله بقومات الحياة، يختلف كل الاختلاف عن اهتمام الفن، الذي يقوم على الأرقا التي يلبس بها مضومته الفني. وهذا المضوم الملبس هو معنى الفن بذاته، سواء أكان في ساعة الإبداع أم في ساعة التحسس ثانية بهذا الإبداع.

وقد يتجاوز الشعر حدود هذا التعريف لما فيه من فيض الكلام والتعابير، وهذا ما يمكنه ظاهراً من الانزياح إلى دائرة الواقع والأفكار ولكن دون أن يفتقر في النهاية عن سائر الفنون . وكل حدث فني ينطوي على معنى، وبالرغم من أن هذا المعنى لا يأتي سوى كامن فإنه سهل اللمس والاستيعاب كواقع واضح ينبض في نفوس الذين يتحسسون به كما ينبض بذاته في روح المبدع في طور الإبداع. يحدث ذلك دون أن يكون للارادة أي أثر في حدوثه ودون أن يتمكن الواقع من التدخل في مجراه، حتى أنه يستطيع أن يتصرف بالنفس في عالم من الوهم والخيال. وفي هذه الحالة يمكننا التساؤل عن العلاقة الواقعة بين تحسس المبدع وتحسس المطلع على الإبداع .

لا شك في أن المعنى الذي ينطوي عليه كل إنتاج فني ورشي يتجذر في المبدع في نفسه وفي نفوس الآخرين. وأن إدراك هذا المعنى أي التحسس به يقوم على الاتجاه نحو معرفة مقومات الحياة، أو تعبئة آخر نحو تكوين فكرة شاملة عن الكون . في هذه النقطة تنشأ العلاقة بين الفن والفلسفة : فلا يتحقق إدراك معنى قطعة شعرية أم فنية إلا بالانصراف الكلي إلى النظر في أعمق مبادئها، وأما الفلسفة فهي لا تحلل الحدس المبدع فحسب، بل وبصورة خاصة تفرق بطريقة علمية بين مختلف أساليب التصرف والاتجاه .

لقد توضح كيف أن الإنتاج الفني يجري في نفوسنا دون أن يكون لادارتنا أي أثر في مجراه ودون أن يكون له علاقة بمصالحنا، ولكنه يحدث فينا حالات نفسية ذات علاقة باختبارنا في الكون والحياة، ما يستوجب تدخل الفلسفة التي من شأنها أن تنظم فينا هذه الحالات والاختبارات وأن تطورها وتهذبها. وقد ذكر دالي كثيراً من الأمثلة في هذا الصدد منها قوله في أن الشعر هي ولادة الفلسفة في اليونان وتجديدها في مرحلة النهضة بعد القرون الوسطى، ولكن رغم أثر الشعر في الفلسفة على الشكل المذكور، فهو لا يستطيع أن يكون فكرة صحيحة عن الحياة إلا بواسطة الفلسفة فقط .

معهد الفلسفة والآداب في كراكس - فيربولا

صوال بونس

من عملياتنا الفكرية، وفي درس أساليب كل من هذه العمليات وفي وصل الاعتبارات الناجمة عنها . وهي تصبح الفرضيات كما أنها تتجرى الحدود والأهداف في كل علم خاص، وفي النهاية، تأخذ كل هذه النتائج إلى « حقل التركيب الداخلي وعلاقة مجموعات العلوم ما بينها ».

بواسطة الاختبار ومع مرور الزمن يكون المرء فكرة واضحة عن كل ما يمكنه اعتباره في البداية كحدث طاري. بسيط أو سلسلي في مجرى أمور حياته، فهذا الاختبار ينمو ويتدرج عندما يصبح جزءاً من الاختيار الاجتماعي الأوسع. هذا النوع الأخير من الاختبار يكشف الستار عن القيم المتشعبة في الاختبارات الفردية ويعين حدودها وقواعدها .

من المهم جداً في موضوعنا هذا أن نلاحظ كيف أن الفلسفة رغم كونها تقاتل الدين والشعر بتزويجهما نحو الحصول على طابع شامل عام، فهي تحتفظ على خلافها بمفاهيم بيئية أي الصحة الكلية الثابتة (وهذا عكس ما يجري بين الفلسفة والعلم) . يبرز هذا الرأي في « النظرة الدينية إلى الكون »، إذ أن الدين بالعصرافه إلى أن تكوين نظرة دينية شاملة عن الكون، قائم على علاقته « بالتبر منظور » وإلى التمتع بتطور العارض دائرة هذه النظرة والعوامل الأخرى كالعلاقات الدينية بين الناس، والكل الروحي وراء الجزئيات، والشعور في مختلف مراحلها، إلخ، أجل أن الدين بانصرافه هذا يكشف لنا عن تزوجه الكلي نحو التصميم الأوسع.

إن الملقن المتقن (Dogme) و« الغير منظور » (invisible) يعيدنا عن حقل الفهم والواقع، أي الحقل الذي تعمل فيه الفلسفة كي تقيم العلاقات بين الفكر والكون على أسس منظمة وصحيحة في كل ظرف ومكان، وهي تنفرد بهذا الدور الهام الذي يشكل خاصة ظاهرة من خصائصها إزاء الدين .

وأما في مجرى العلاقات بين الفلسفة والدين يبرز وقت يندمج به الدين بالفلسفة، ويمكنني أن أنظر فلسفياً في الدين في مل معناه، حتى نرى كيف أن الطريقة لاكتشاف الملائكة الألهية بين الأشياء، لا تختلف عن التفسير المتعلق بأسباب التكوين الأولية. وقد لوحظ خلال فترة طويلة من الزمن أن « التفكير المتافيزيائي » تكيف وانطبق تماماً على ذلك التفسير المتعلق بأسباب التكوين الأولية وفي هذه الاتجاه تنتهي النظرة الدينية إلى الكون في عالم الفلسفة العامة.

للشاعر شادل بودلير

ترجمته مختار الأكابي



عيننا برت

باستطاعتكما ان تحتقرا اكثر العيون شهرة
يا عيني بنيتي الجميلتين اللتين يرشح منهما ويهرب
مالا استطع وصفه من عذوبة وجمال كالليل
ابتها العنيتان الجميلتان اسكبا علي ذلعتكما الفاتنة.

يا عيني بنيتي الواسعتين، ابتها الالغاز المعبودة
انكما تشبهان كثيراً هذه الكهوف السحرية
حيث وراء اكاداس الاشباح الراقدة
تومض بغموض كنوز مجهولة !

بنيتي لها عيان داجيتان عميقتان واسعتان
مثلك ايها الليل الشاسع مثلك مضاءتان .
نيرانها خواطر حب يترجها الايتان
كشمان من الاعماق . شهورايتان او طاهرتان !

اريتج غريب

عندما ، اغمض عيني في ليلة خريفية دافئة ،
استنشقت رائحة نهدك الحار ،
تقبسط امامي شواطئ سعيدة
تؤلفها نيران شمس وقيّة

وتبدولي جزيرة كسلي أضفت عليها الطبيعة
اشجاراً فريدة وفواكه لذيدة ،
ونساء يشدهن بأعينهن الصريحة .

وأهتدي بعمقك الى اقاليم فاتنة ،
فأرى مرفأ يغص بصوار واشرعة
ما برحت من موج البحر متعبة ،

بينما اريج اشجار التمر الهندي الخضراء ،
ينتشر في الهواء فيسلاً منخري
وعتريج هو ، وانا شيد البجارة بروحي

أزمة الفتاة العراقية

إضافة

العراقية اليوم، تعاني، في عمق اغوارها، وفي سريدها، مشاعرها، صراعاً لاهباً، فيه كل ما في الثورة من عنف ونقمة، وفيه كل ما في النار من ضرام ودخان، وفيه، في نهاية سلاله، كل ما في الانفعال من كبوات وعثرات!

ولعل هذا الصراع الحثي، العيق، الشائك، اخطر صراع تتعطب في دياجيده المحلولة الوعة الفتاة العراقية.. وقد تخرج منه، من هذا الصراع، وهي تحمل في نفسها، في مطلع شخصيتها، وقرارة اغوارها، آثاره الواخزة، من جراح تعض، وآمال تتعجب، وتزعات تتوانب تأكل في الأحشا. أكل النار في قبضة من الهشم.. وقد تخرج منه وهي تشهر في الوجوه، في وجه الدنيا، وجهاً غاضت انوثته، وضاعت قدسيته، ففوح يحترق في انفلات التبران، ويحتقن في عنوان الثروات..!

الفتاة العراقية تضطرب على فم مغفور كما يضطرب الفرائش على وهج النار، فقد دخلت دور العلم، فتفتحت في اعماقها، وفي نفسها، وفي ذهنيها، كوى المعرفة، ومساب الحياة، فواحت تعب في بهم، تسمر بالهم، من الينابيع المتفجرة نوراً، فتبدد الظلام، وانقضت الحلكة، التي جشت على صدرها أعلى قلبها، وعشمت في رأسها، في فكرها، واخذت من انسانيتهما، من نبلها، من بانوه كبريائه، كثيراً.. كثيراً!

لقد وجدت الفتاة العراقية في العلم طريقاً مهداً يفتح في صدره سبلاً للتحرر والانعتاق، ولكنها وجدت كذلك على جانبيه اكديساً ضخمة سوداء من القيود والسدود، تتعصب في جبهوت الطغاة، وتظفر في شراسة الضواري، وتتنفس وتتابع على غلاب ظاني دائماً إلى الدماء.. وجدت المجتمع القاسي، المتجبر، الجاهل، الظالم المتعصب، لا يزال يجلس، في كبرياء اجوف، على كرسي الصدارة، يرسم الحدود، ويقيم السدود، ويضع القيم والمفاهيم. فإذا هي هي.. وإذا هي لا تزال انثى لا غير.. انثى احط في كل شيء، من الذكور.. انثى مكانها، هناك، في الزاوية، حيث السرير، تقاد اليه، كما تقاد النعاج الضعيفة الى ارضية المجاز!

ومن هنا.. من تفتت الفتاة، تفتت بصيرتها وبصرها، لفيض النور والمعرفة، وانتمت لها من ربة الجهل الخائى والحلكة القاتلة.

من هذا التحرر يتقدم على صخرة المجتمع الصلد الجامد ينبثق ذلك الصراع الحثي العيق، فتصنبر فيه، في اتونه، ثم تخرج منه على صورة أخرى، صورة قد يستبد بها القنوط غالباً فتبدو ككتيبة حزينة، وقد يستولي عليها الضلال فتبدو شائخة مسوخة!

المدرسة اليوم تقدم، على يديها الحيرتين، العلم والمعرفة، غذاء للقلب والنفس لتتحرر، وتنبصر، وتتقبل، وتذكر.. والبيت، في جوده، وتعصبه، وحذره، وخوفه، يضغط، ويوقف، ويحكم، ويأسر.. وعلى طاقة هذين القطبين، قوة او ضعفاً، يتجه ذلك الصراع، نفعاً او ضرراً!

واخطر الخطر ان يبلغ هذان القطبان عنفوان قوتها، واوج حيويتها، فتضطرب الفتاة بينهما كالنار المدوية المحنونة، ثم تفتت، في الثبات، الى طريق.. لا شك في انه يصكون على قسط كبير من الخطورة!

هذه هي الأزمة التي يعانيها الجيل التسائي الجديد في العراق.. وليست ادري الى أين سينتهي المسير، الى خير ام الى شر؟.. فالأزمة أزمة، وأزمة تشابك تشابكاً محكماً مع خطوط المستقبل، وعلى نتائجها تتوقف السمات التي سيجعلها المجتمع في خطواته المقبلة خلال الآماد على ان الارتقاء، والاسترخاء، في لجج التشاؤم امر فيه تطرف جد بعيد.. فالفتاة العراقية تسير، ولا شك، الانها تسير على بطء. فيه حذر، وقد برهنت كثيراً على قابليتها للتقدم والتهوض، دون ان تثير حولها، لا في نفسها، الشبهة والاضواء.. ككأثبت المجتمع على قابليته لتقبل هذا السير الويد، ليس في هذا الشأن فقط بل في كافة شؤون الحياة، لانه لا يزال محافظاً يخشى الجديد ويتوجس خيفة منه.. وليست اوضاع المرأة عندنا الا وجهاً بشعاً من وجوه الجلود الكبيرة الذي يجثم على المجتمع العربي.. وليس يجدي المرأة علاج خاص بها ينقذها مما تعانيه من ارهاق وتعتت واضطهاد.. فالخلة اوسع وأعم من محنة مجتمع مبتل بمشدد من الامراض والاوباء، تأكل في كل اعضائه، وليست محنة فئة من فئاته..!

بدر

سوسن عبير الله

من اخصب البلدان بالباقره
الأفذاذ والمفكرين الاحرار ،

والعلماء النابغين وما أكثر ما اعطت العالم ، في اشد
المهود ظلاماً وطغياناً ، مشاعل ساطعة تبديد الظلمات
وتهدي الى الطريق .

من هؤلاء الاعلام الخالدين توماس كباينيل

الذي سبق رجال الانسكلوبيديا وجمهوري القرن الثامن عشر
بقرنين كاملين ، وكان أباً فكرياً لهم . .

ولد سنة ١٥٦٨ في قرية ستيانو ، من اسرة فقيرة ، وبدت
عليه امارات النباهة مبكرة ، فاكاد يبلغ سن الثالثة عشرة حتى
كان يتقن عدة لغات ، وحتى ادهش معلميه بواهبه الرياضية والادبية
في آن واحد . وقد اعجب منذ صغره بتوما الاكوييني والبيرو لوفران
وكلاهما من اعلام الدومينيكان ، وبلغ من اعجابه هذا انه دفعه
للدخول الى دير ستيولي ليكون كاهناً من كهنة هذه الطائفة ، اقتداء
بهما واقتفاء خطاهما .

وكان اليسوعيون والدومينيكانيون حينئذ على خلاف وتنافس ،
فانار نبوغ كباينيل اهتم هؤلاء ، وارادوا ان يجعلوا منه شخصية
دينية كبيرة يضعونها في وجه خصومهم ، فوجبوا عليه ان يحفظ
استعداد لتلقي المعارف ويبحث المسائل المقدسة ، فهو الى المطالعة
والدراسة ، يقول ان جميع الكتب التي في العالم لا تشبع نهجهم هذا ،
انه يلتهم كل كتاب يقع عليه ، ومع ذلك فهو لا يقتنأ يشكر
الوجع . . وكما عرف شيئاً من اسرار الحياة ، ادرك ان ما يجمله
من هذه الاسرار اكثر جداً .

وما لشت هذه المطالعة البصيرة المستمرة ، ان جعلته يتجه الى
دراسة الطبيعة ، موقناً بانها تستطيع ان تقدم لفكره النقاد البعيد
القرور ، غذاء ، لا ينفد .

وكانت دراسته في دير ستيانو قد انتهت ، فأرسلته عمدة
الدير الى سان جيورجيو ، واتبع له هناك ان يشترك في مناقشة
علنية لدى آباء الفرنسيسكان ، فغلب على شيخ من شيوخهم
الباوزين ، وكذلك كان شأنه في كل مناقشة اشترك فيها . لقد
كان رجلاً من طراز جديد ، لا يريد ان يقف الفكر البشري امام
حد اوقيد ، غير الحدود الطبيعية ، اي تجربة الاشياء وتفسيرها بويحي
هذه التجربة نفسها .

توماس كباينيل المفكر النائر

بضم
قري ولعمري

☆

وطاف ايطاليا كلها بهذه
الروح ، دارساً ، متقياً ، مطعماً
على كل جديد ، مناقشاً كل
من يخالفه في الرأي ، وعاد الى

ستيانو في سن الثلاثين ، وفي ذهنه صورة مؤثرة لشقا.
مواطينه . لقد رأى ان الحكومة الاسبانية تسحق
بلاعه بطغيانها ، وان فئة كبيرة من رجال الدين ،
لا تؤمن بما تبشر به ، قد باعت نفسها افيليب
الثالث وتطوعت لتأييد ظلمه وتثبيت النير الاسباني على الشعوب
التي ارفعها وأذلها .

تفطر قلب كباينيل لهذا المشهد المفجع ، وأخذ على نفسه ان
يناضل لتحرير وطنه ، وتمثل له سافو نارولا وجوردانو برونو ،
الذين نشأ مثله في دير ، والذين سيكافح مثلها لنشر الحرية ،
ولم ترهبه الآلام التي عاينها في هذا الكفاح فان عليه واجباً نحو
اخوته في الوطن وفي العالم ، وهو سيؤديه مهما كابد في هذا السبيل .
وأحس المفكر بان قواه قد تضاعفت ، مذ وضع نصب عينيه
هذه المهمة العظيمة ، وفكر في الحطة التي ينبغي له ان يسلكها .
السوف يعمل على تثقيف الشعب واطلاعه على ما له من حق الحياة ،
ودعوته الى الكفاح الدامي لاقامة انظمة جديدة تكفل له الحرية
والسعادة ، والحيطة هذه الانظمة من عدوان الطاعة . فهو لم يفهم
المسيحية التي حاربت الطغيان والفساد ، مثلما فهمها بعض الذين
يدعون الشعوب الشقية الى الخضوع المطلق والعبرية العمياء ، بل
فهمها على انها حرب دائمة على الطغيان والفساد

وكانت ولاية كالابرا الايطالية تزحف تحت نير الضراب ،
والحكومة الاسبانية تربي في السجن كل من يرفع صوته بالشكوى
منها ، فيأخذ كباينيل يطوف أنحاء المقاطعة مثيراً اهلبا على الاستمرار
الاسباني ، والناس يصوفون اليه ويستقبلون دعوته بحماسة دينية .
وكان من المتحمسين له والمتتبعين عليه ، الاب دنيس بورتو
فطلق يدعو الى التمرد في أنحاء البلاد ، ويسمي استاذة كباينيل
رسول العناية الالهية ، مهيباً بالمواطنين الى الثورة على وزراء ملك
اسبانيا الذين يبيعون الدم البشري بالمال ويستبدون بالفقر .
والمستضعفين .

وهبت تلك الفتنة من رجال الدين التي كان كباينيل والابوبورتو
وانصارهما يجاريونها لوقوفها الى جانب الاستمرار والاستبداد ، تقاومهم
مقاومة شديدة ، متناسية ما بينهما من خلافات طائفية وخصومات مذهبية

متحدة في صدر هذا الحطر المتعاطف الذي كان ينشر في البلاد روح التمرد والتحرر .

ولكن انصار كبايلا كانوا يتكاثرون يوماً بعد آخر ، وقد انضم اليهم نفر من كبار الاساقفة ، وأخذوا يدبرون مع جواهر الشعب انقلاباً واسماً يجرد البلاد من الاستعمار الاسباني ، ويقم شرعة انسانية فيها ، وكاد هذا الانقلاب يتم حقاً لولا ان ايطاليين خائنين قد حذروا السلطة الاسبانية منه واطلعاها على خطاطه واهدافه ، فأرسل الكونت دوليوس نائب الملك في نايفلي جيشاً كبيراً الى مقاطعة كلابر بقيادة الشفانية سيبينيلي ، فوطد الارهاب السائد فيها ، واعتقل كل من خيل اليه انه من رجال المقاومة ، وعذب المعتقلين عذاباً شديداً .

وكان سيبينيلي على يقين بأن كبايلا هو الروح المحركة لهذه الثورة على الاستعمار الاسباني ، ومنظم المؤامرة عليه ، فأرسل امراً الى رجال الامن في جميع انحاء البلاد للبحث عنه والقبض عليه . فهرب الثائر ولحق به ابوه الشيخ ، فاجتازا انحاء وكابدا المشقات حتى بلغا شاطئ . رونسيلا المقابل لشواطئ صقلية ، بمجهود متوكمي القوى ، ولم يعد بينهما وبين الامن والحرية غير اجتياز المضيق

الذي يفصل بينهما وبين شواطئ صقلية ، ولكلهم لم يكونا على مكان أحر قارب ينقلها الى هناك . وقد شاهدا قارباً صغيراً فنادى صاحبه ان ينقلها دون أجر فضحك منها ومضى دهشاً لمنطلقها .

وحار الرجلان فيما يصنعان ، فان رجال السلطة الاسبانية الذين يبحثون عنها في كل مكان ، ان يبطروا حتى يجدوهما ويقبضوا عليهما . فهل يلقيان بنفسيهما في الماء ، مستسلمين لرحمة الامواج ؟ ولكن لا ريب في انهما سيقضيان تعباً وجوعاً قبل ان يبلغا شاطئ الامان !

خبأ الأب ابنه في كوخ احد الصيادين ، وانطلق يبحث عن قارب آخر يكون صاحبه اكثر رحمة وحناناً وخالجت ذلك الصياد

الذي اختبأ كبايلا في كوخه ، وبية في امره ، فضى الى فابريزو حاكم رونسيلا ووشى به ، رجاء الحصول على قليل من المال مكافأة له على جريته . فبادر كرافا الى القبض على الثائر المهرب ، وارسله الى سيبينيلي مكبلاً بالحديد ، ولم ينس مكافأة الواسي المجرم بقليل من المال ، اما هو فقد رفعه فيليب الثالث الى مرتبة امير . نقل كبايلا الى نايفلي ، وسجن في قصراف ، واستجوب سبع مرات ، ولكن عبثاً حاول رجال التحقيق ان يستخرجوا منه اسم شخص واحد من اتصافه والمتأمرين معه ، بالذاب الزهيب ، فقد عانى الثائر من الوان التعذيب هولاً هائلاً ، وكاد يقضى عليه غير مرة ، ولكنه لم يفش سرا ولم يتخاذل قط .

وقد وصف كبايلا بنفسه ما لاقاه من العذاب فقال : « لقد عذبت سبع مرات بقسوة وحشية لا حد لها . وقد دام تعذبي في المرة الاخيرة اربعين ساعة . وكنت مشدود الوثاق بحبال تضغط على لمحي وتبلغ العظام معلقاً فوق قطعة من الخشب المسنن تمرز في جسدي وتزق لمحي كلما تحرك الحبل . وقد تزف من دمي مقدار كبير جداً . وفي الساعة الاربعين خيل للجلادين اني مت فكفوا عن تعذبي .

واتناء التعذيب كان بعضهم يعدد الى اهانتي ، ويعدد آخرون الى هز الحبل الذي كنت معلقاً به ، ولكنهم لم يستطيعوا ارهائي وانتزاع كلمة واحدة من شفتي . وحين شفت من الآلام ، بانعجوبة ، بعد ستة اشهر بوضوعي في حفرة .

وقد حوكت خمس عشرة مرة ، وقيل لي في المرة الاولى : « كيف تعلم اشياء لم تتلقها ؟ هل هنالك شيطان يخدعك ؟ » فاجبت : « لقد احرق مصباحي من الزيت ، حتى تعلمت ما تعلمت اكثر مما شربتم من نخرة . » وانهت في مرة اخرى بائي مؤلف كتاب « المختالون الثلاثة » الذي طبع قبل مولدي بثلاثين سنة ! ونسبوا الي اني ابشر بشعالم ديموكريت ان الذي الفت ككتبا في نقض هذه



التعاليم ... وقد انتهوا بإتهامي بالهرطقة
والثاني في حفرة لا يدخلها الهواء ولا النور .
وفي أعماق السجن ، وصف كباينلا شعراً ،
استشهاده الطويل ، وبما نظمه هناك قوله :
« منذ اثني عشر عاماً وأنا أتعذب ،
وأنتشر الألم حولي .

لقد استشهدت أعضائي سبع مرات ..
إن الجحالم قد لعنوني واحتقروني
وحمرت عينايا نور الشمس .
لقد انتهك جسدي وحقوقي ، وتحطمت عظامي
إني أرقد على صخر ،
كشدني سلسلة إلى الجدار ،
جدار سجن المثلج .

لقد تفتت من دمي أمواج ،
وطعامي قليل وقاسد ،
فهلا يكفني يا الهي ، ما أملت ،
بأنك ستدفع الشر عني ؟
إن الطغاة يجعلون من أجسادنا موطناً للعالم ،
ومن دمائنا شراباً لهم ،
ومن لحنا غذاءاً لقسوتهم ،
وبالآمان ودموعنا يلهون ويلعبون .
لقد جعلوا من نفوسنا طيوراً سجنية ،
ومن عظامنا قبضات لحنا جرهم ،
ومن أعضائنا المزقة ، الدامية ، المحتاجة ،
يخلقون شهود الزور ،
الذين يتهوننا تحت وطأة العذاب ،
ونحن أبرياء .

إن هؤلاء الطغاة ، يا الهي ،
يريدون منا أن نشتم الفضيلة ،
وننظري رذائلهم ،
وأنت ، في محكمتك العليا ،
ترى هذا خيراً مني ،
فهلا عاجلت يا الهي هذا الشقاء العام ،
فإن العناية يجب أن ترحم بنيها !
لقد أتعب كباينلا جلاديه ، وانتصر

على العذاب ، فالقي في الزندان ، نجني
الوحدة والوحشة ، وامل غيره كان حرياً
بان ينوء تحت هذه الآلام ، ولكن كباينلا
كان فيلسوفاً وشاعراً ، فلا فراع سجنه
بعالم من إبداع مخيلته ، ولم ينشد من جلاديه
رحمة ولا عفواً .. كل ما كان ينشده منهم ،
أن يمنحوه كتباً وورقاً وأقلاماً ، فهو يريد أن
يقرأ ، وهو في حاجة إلى تسجيل مشاعره
وخواطره ، وقد ظل الشعر وقتنا طويلاً أدواته
المفضلة للتعبير عن هذه الخواطر والمشاعر ،
واليك بعض القصائد التي نظمها في سجنه :

أنا

أنا حر ومكبل بالديد ،
وحيد ولست وحيداً ،
صاحب ووديع ،
مجنون في رأي البلهاء ،
وعاقل في رأي الفكر الحكيم .

اضطيد على الأرض ، فأخلق في السماء ،
جسدي مبهوك ونفسي متروكة ،

وتدعوني الشقاء ، واليهاب ،
ترفعني أجنحة الفكر فوق هذا العالم .
إن الصراع ينسي الشجاعة ،
وكل زمن ليقصر أمام الأبدية ،
وما من لذة إلا وهي وقفية .

إن على جيبني صورة ،
هي حجة الحقيقة ،
وأنا موقن بأنني سأصل يوماً ،
إلى حيث أفهم ، دون أن أتكلم .

إلى جميع الأدم

يا سكان العالم ..

وأنا وجهكم شطر الفكر الأمي ،
أتروا لي أي المخططات ، أحاكم الظلم ،
الظلم المشع بوشاح النبيل والرفعة .
ثم انظروا إلى شركاء الرأيا ،

هذا الرأيا الذي أصبح عبادة مقدسة ،
واحتل مكان السفسطة ، عدوة العقل ..
العقل الذي أضعه في أعلى مكان .
لقد جاء سقراط لمحاربة السفسطة ،
وكانت الصالح لمحاربة الطغاة ،
ولمحاربة الرأيا جاء المسيح ، مشعل النجاة .

إلى الشعراء

إن الشعر الخليلق بالأعجاب ،
هو شعر لا يملأ التاريخ بالأكاذيب ،
بل ييبس بالشعوب المستعبدة
إلى مقاومة الظلم والظلماني .

رؤية الحكم

ألا ما أعظم المعرفة من ثروة ،
إنها الثروة أضخم من الثنى .
وليس بضائر حكيمياً ،
أن يولد من أسرة فقيرة ،
دام ما مقدر له أن يرفها إلى ذروة المجد .

حب الخفية

يشعر العاشق الصادق ..
بقوة جديدة على الدوام ،
تعمر قلبه وتلازم نفسه ،
لأن صورة الممشوق تلازم خياله
والجمال الرائع يسكن روحه ،
فلا يتراجع أمام خطر
ويستعين بكل عذاب !

الزبده بحكمه

ليس الذين يحكمون هم الملوك الحقيقيون ،
بل هم أولئك الذين يستطيعون أن يحكموا ،
وأن يكونوا في وقت واحد :

المسيح وبلاط ومارس ..
الطيبة والحكمة والقوة ،
وأن كانوا لقطاء !

إن الملوك لا يولدون وعلى رؤوسهم تيجان ،
وإنما يولدون بشراً ، لا أكثر ولا أقل !

ومرت الاعوام تلو الاعوام وكبانيا لا يزال منسياً في سجنه، وعلم في السنة التاسعة عشرة من سجنه ان غاليه قد اعتقل، وانه يعذب لآرائه العلمية الخيرية، فاستبان كبانيا بالآلمه، وكتب دفاعاً عن غاليه وتأييداً للآراء التي يضطهد من اجلها وارسلها لتنشر بين الناس.

وحين طال امد سجنه وتقدم في السن سمح له باستقبال بعض اصدقائه، فعيل هؤلاء، على نشر مؤلفاته، فراجت رواجاً عظيماً، وحظيت باعجاب كبير واصبح للفيلسوف في فرنسا مريدون كثيرون، واخذ الكونت دونايل السفير الفرنسي في روما، يسمى لدى الحكومة لاطلاق سراحه، ولكن روما التي كانت تخضع حينذاك للنفوذ الاسباني، لم تكن تستطيع اطلاق سراح كبانيا، وان رغبت هي في ذلك وارادت ان تغفر له جرأته وآراءه العلمية.

واصدر كبانيا كتاباً جديداً بعنوان «معنى الاشياء» ضمنه كثيراً من آرائه الاجتماعية ودعوته الاصلاحية، فعدته محكمة التفتيش الاسبانية كتاباً احادياً واتهمت مؤلفه بالخرقة، فنشئ الكونت دونايل على حياته، وسعى لدى البابا في ان يحاكمه

بنفسه لانه مواطن ايطالي لا اسباني، وكانت روما حريصة على صداقة فرنسا لتستعين بها على مقاومة النفوذ الاسباني في بلادها، فنادى البابا الى محاكمة كبانيا، والقى هذا دفاعاً كبيراً اعتمد فيه على الانجيل الابريه، ونظم خطابه بقوله ان العالم في حاجة الى فلسفة جديدة مستمدة من تعاليم المسيح لامن تعاليم شراحه ومدعي العدل بسنته، فغرت ساعته، واخرجته بعد ان دام سجنه تسعة وعشرين عاماً.

وغضبت السلطة الاسبانية للافراج عن كبانيا، وبشت الارصاد حوله لاعتقاله. فانتقلت من السجن الى السفارة الفرنسية، ثم رحل الى فرنسا متنكرأ في عربة السيرة نفسه.

وسرعان ما غدت فرنسا وطناً ثانياً لكبانيا، فقد وجد فيها الامن والحرية اللذين اعتقدهما في وطنه، ووجد فوق هذا كثيراً من المعجبين به والؤيدين لمبادئه.

وكان كبانيا قد غدا شيئاً متبهماً، ابيض الشعر والوجه، فسر بذلك المجتمع الناهض وعلى رأسه ديكرات الذي ضاعف كتابه «المنهج» قوى الفكر البشري وبعث فيها دماً جديداً، ولكنه شعر بانه لم يعد يستطيع الكفاح معه، فاعتزل في دير الدومينيكان بشارع سان اونوريه، وقضى بقية حياته في استقبال المعجبين به، محدثاً ما لقيه من عذاب في سبيل مبادئه الحرة، مبشراً بمستقبل اوفر عدل وتوسعة، قائلاً انه ليس الا ناقساً يؤذن بيلاد فجر جديد.

وبينا كان كبانيا يعمى سوء العذاب، في احد اقبية قصراوف لانه اراد ان يحطم قيود مواطنيه، ويذهبهم بالحربة والسعادة، كان جيورادانو برونو شهيد العقل، يحرق حياً في احدى ساحات روما.

ولم يقتصر كبانيا في سجنه على نظم الشعر، فقد عقيت قضاائه الشاكية المؤثرة التي تتعرض فيها العاطفة الدينية بالعاطفة الثورية، دراسات هامة، فأرسل الى الكونت دويسوس نائب الملك في نابولي تقريراً مسهباً عما تعانيه مقاطعة كالابر من جراح لمساهبته، ووصف له طرق العلاج التي تخفف من آلام هذه الجراح او تشفي قسماً منها. ووضع كتاباً بعنوان «الاحلاد الخلس» حاول ان يثبت فيه وجود الكائن الاسمى، وحذر من اتباع التعاليم التي اودعها ميكافيل في كتابه «الامير».

بيد ان احسن كتاب الفقه كبانيا في السجن، بل في حياته كلها، هو كتابه «مدينة الشمس» الذي انشأه على غرار جمهورية افلاطون، وتصور فيه وجود جمهورية جديدة توفر لابنائها الحرية والسعادة، ووضع هذه الجمهورية السعيدة النظلة عدة تناول تختلف نواحي الحياة.

وواضح ان «مدينة الشمس» ضرب من الاشتراكية الطوباوية، التي تعتمد على الخيال والرغبة في بناء مجتمع هائل على اسس جديدة تكفل للناس الحرية والعدالة والمساواة، لا على الدراسة العلمية ومسايرة قوانين تطور المجتمع بنفسه، ولكن المحبة. هذا الكتاب، بالرغم من ذلك، كبيرة جداً في العصر الذي وضع فيه. وقد تأثر بهذا الكتاب جميع المصلحين الذين جاؤا من بعد كبانيا وفكروا في انقاذ مجتمعاتهم مما تعانيه من ظلم وتفاوت، وفي طليعتهم سان سيمون وفورييه، بل من الممكن القول بانروسو نفسه قد تأثر به الى حد كبير في كتابه «العقد الاجتماعي».

لقد اثار كبانيا ما يراه من تفاوت الناس على الارض، وشقاء الاكثية منهم لمصلحة الاقلية ذات الامتيازات، فتخيل تلك المدينة الفاضلة، «مدينة الشمس»، التي يعيش فيها الناس سعداء، لكل منهم حقوق وواجبات، لا تتعارض مع حقوق الآخرين وواجباتهم بل تنسجم معها كل الانسجام. وهو حلم رائع تخضت بثله غيليات الفلاسفة والمصلحين في جميع العصور، وان اختلفت طرقهم في الدعوة الى تحقيقه، وفي وضع اسسه، المستمدة من العلم او المستمدة من الخيال، ولكنه كان على كل حال حلماً عظيماً نبيلاً، خصب المستقبل، يتطور بتطور الاوضاع المادية لحياة البشر ويتطور العلوم المختلفة وفي طليعتها علم الاجتماع.

الفكر المقيّد

بفلم ورّبع فلسطين

نماز

وبرنارد شو و. ه. ج. ولز الذي راح من عام مضى. ولكننا اذ نتأمل العالم العربي ونقلب اصفاء الذين تدولوا من الحركة الفكرية وتداولوها، يستعصي علينا ان نرصد بينها اسم متفلسف عربي معاصر الا هم نقول الحداد، وسلامة موسى وسماعيل مظهر. وما ذلك الا لان رجال الفكر يرسفون في الغلال يفرضونها هم على أنفسهم ويؤثرون سكينه البال على مكابدة الكفاف الفكري في علم الادب والثقافة.

وعلة الجلود الفكري ان الكتاب يسلكون في ما يجربون مسلكا يحاول استرضاء القارئ واشباع رغبات معينة عندهم، وما أسير ما يبعث الطامع اللين الهين لكل فم مدود فيتناوله في تناوب المشقة غير المدرّكة. فالكاتب لم يعد يسأل نفسه: ما هي آرائي وكيف ابسطها سواء اقبلت قبولا عاماً، او صادفت اعراضاً عاماً، او اعتركتها أفهام القارئ بين مؤيد ومعارض، ومناوئ... كلام لم يعد

الحركة الفكرية في هذا الاوان مرحلة جود، ان لم تكن مرحلة نكوص واستبدار. فالعقل يصوب الى الوراء. عوضاً عن ان يتطلع الى الامام، ورجال الفكر تقيد افكارهم عوامل شتى منها ما هو داخلي متعلق بانفس، ومنها ما هو خارجي يختص بالكيان المحيط بالمرء، ومنها ما هو ناشئ عن عيبات ومعتقدات تدخل في حيز المجهول. وأنت تستطيع ان تتلمس مظاهر هذا الجود وذاك النكوص في كثير مما تحمله اليك دوايب الطباعة صبيحة كل يوم وعشية كل نهار من صحف ودوريات وكتب، لانك لا تجد في هذه المنتجات جميعاً ما يحفزك على الاستزادة من التفكير، او ما يحرك فيك قوى الفكر الخادمة، او ما يفتح امامك سراديب الرأي المغلقة، او ما يدعوك الى الانبثاق من عالم المادة المحسوس الملموس الى عالم الفلسفات المتلاطمة ذات الحضم.

نحن نرى في الغرب مثلاً فلاسفة معاصرين كبرتراند رسل ووليم جيسس ويورانت وألبرت آينشتاين - ويمكن درجه في عداد الفلاسفة -

وما لبث كباتيلا ان توفي سنة ١٦٣٩ وهو في الحادية والسبعين من عمره، ودفن في كنيسة الدير باحتفال مهيب، وجاء جميع الذين عرفوه وقرأوه واحبوه يلقون نظرة وداع على جثمان رجل كان قلبه الكبير ينفق بحب الانسانية جماء.

وفي تلك البناية التي دفن فيها كباتيلا، والتي سميت منذ ذلك الحين «نادي الباقية»، جمعت الحركة الاجتماعية التي انفجرت سنة ١٧٨٩ اعظم رجال الثورة الفرنسية ودعاة حقوق الانسان، فكان القدر قد شاء ان يسمع ذلك الثائر، وهو في قبره، وبعد مائة وخمسين سنة من وفاته، اول انتصار تحورته المبادئ. التي قضى حياته مكافحاً من اجلها ومضجياً في سبيلها. فدرري فلغهي

وما كاد يقرأ كتاب «المنهج» لديكارت حتى أعجب به اعجاباً عظيماً، وهتف: «ان الكوكب قد بزغ» فقيل له: «اي كوكب تمنى؟» قال: «الكوكب الذي يسبق الفجر».

وبادر كباتيلا بالرحيل الى هولندا، بالرغم من شيخوخته، لمقاومة هذا المبعثري المصلح. ولكن ديكارت كان يتعاشى الناس ويبتعد عنهم، معتقداً بان فكر الانسان لا يستطيع التفاد الى اعماق الحقائق الفلسفية الا في ظل الوحدة. فعاد مؤلف «مدينة الشمس» الى باريس دون ان يجتمع مؤلف «مقال في المنهج»، ومن المؤسف ان لا يتلاقى هذان المفكران الكبار ان الذان تلاقت اراؤهما في نواح كثيرة.

الكاتب يسأل نفسه هذا السؤال، بل يوجه الى ذاته سؤالاً آخر فيه من المألوف والوهن غير قليل، وفيه التكاليف والتخاذل كثير. والسؤال هو: ماذا يريد القاري، واي شيء يستطيعه، وكيف يبلغه منيته من أيسر سبيل وبأهون نفقة؟ لم يعد الكفاح ديدنه اذن، بل أصبح الديدن والهدف الاسترخاء. والجمود وابتوار حياة الدعة على حياة المجاهد. اما الذين يدعون التجديد، فهم يتصدرون في الأغلب حركات يغلب عليها طابع الهدم والتجريح، حركات لا يقصد منها مقارعة الرأي بالرأي ومصالوة الحجة بالحجة، بل يجرى منها التسفيه والتقييع وأهدار الأقدار التي زفعت نفسها بعد جهاد مستطيل. وليس هذا بتجديد، ولا هو بحجة رأي او عصيان على قيود الفكر. وإنما هو اقرب الى عبث العايب منه الى جد الجاد، وآية ذلك انك اذا تابعت ما يكتبه اولئك المجددون الذين ينعون على غيرهم الجمود والرجعية، وجتهدت هم انفسهم صرعى ذلك الجمود، لا يعرفون كيف يطلعون على القراء برأي جديد، ولا تساعدكم ملكاتهم القاصرة على توليد فكر جديد. والتجديد هو على الدوام أظهر مظهر للحيرة والانتاش والارتقاء.

وما دام الكاتب يستعيد نفسه لشهوة القاري، وما دام يدخل في حسابه اعتبارات تلجم القلم وتقيد الفكر، وتقطع المقال والفصل بطابع شخصي بحث، فسيظل على الرغم منه مستعبداً مستذلاً حتى وان جاهر بتجرده وعصيانه على السنن المألوفة الرائدة. هذا سلامة موسى مثلاً، قرأت له كتباً كثيرة مما كتب، وقرأت له فصولاً أكثر من ذلك فاضت بها صفحات الدوريات، فلم أجد نفسي بعد كل مقطع الا متسائلاً: أليس هذا رأياً جديداً جريئاً منبهاً من عقل جديد متجدد جريء؟ ولست اعني بذلك اني اتفق مع سلامة موسى في كل حرف يحطه او في كل عبارة يوردها، ولكنني أجد نفسي في حالة صراع بين اقبال واحكام تنتهي بكتب الغلبة لاحد الخائنين. ولذلك يرى الذين يقيسون الآداب بقياس غير جامد، ان سلامة موسى حو لا يستعيد ولا يستطيع استيعاده، وان آراءه على الدوام بكر غير مفوضة، لها من الحصور والانصار ما لكل داعية من دعاة الرأي والمنطق والفكر غير المصدق.

فسلامة موسى لا يكتب ما عليه عليه قلبه، ولا ما تدونه يده، وإنما يكتب ما استطاعت آفاق فكره المتوسلة ان تحصره في نطاق الكلام المكتوب والمقالة المقتولة وما استبعد سلامة موسى نفسه قط لقاري. من قرائه او لميل عن علاه كتبه. وإنما هو يكتب ما ينبثق من صميم وجدانه ومن كيان وعيه، ويرمي القنابل

الفكرية فتحدث الدوي الماشد. والفكر، من قبل ومن بعد، حركة، حركة ذات حيوية وذات انفعال، وذات ترجيع وذات اصداء، وان لم تكن هذه نتائجها فصيدها الى موات مبكر. فاذا دعونا الى تجرؤ الاقلام وتجور الكتاب، فان اول ركن من اركان هذه الدعوة يجب ان يكون التجرد من ربة استبداد القاري. واستعباده، لان المفروض في صاحب الرأي ان يوجه وان يحركه وان ينشط، وليس المفروض فيه ان يساو القاري، ويرت على كتفه، ويصفق مع المصنفين او يقول: «ايه يا هذا».

وثمة ركن آخر من اركان الدعوة الى المروق من مذلة الاقفاص الفكرية واعني بذلك الاحتفال بكل جديد والاهتمام به بحثاً وفحصاً وتقليلاً ونقداً - لا تعريضاً ولا تقالوا - مع متابعة التحولات العلمية والاقتصادية والادبية التي تلت في بلدان العالم وتركض ركضاً وتكاد تسابق الحياة الانسانية نفسها. فسياسة الاستكشاف الذاتي لا يمكن لاديب ان يجعلها شيمته أو منهاج حياته، لان التفاعل الفكري اذا انتهى كان ماله ان يبدو آسنأ ترعى فيه حشرات خبيث الاق، وتعاي الغرور واسفاف يتجلى في عبارات تلوكها الاسنة وتطفح بها متجات عقولهم الباهية. فالاديب لا يستطيع ان يقصر مجاله على الدائرة الضيقة التي أخذ نفسه بها وغتم عليها جائحاً لا يقص، وإنما الاديب الحي المتطلع الى الحياة هو الذي يجعل فكره جزءاً من الفكر العام في الكون المحيط بنا، ويجعل حياته جزءاً من الحياة من التطورات التي تطرأ على العالم في كل لحظة وبين كل حين وحين.

وبما تقيد الفكر عوامل تقيها على الاديب ظروف طارئة كرقابة مفوضة او حكم طاغ مبسوط او تحكم عنصر المادة على عناصر الانتعاش الفكري الاخرى. ولو ترك لي ان اختار بين حرية مقيدة وبين احكام عن الكتابة والقراءة ومتابعة النشاط الثقافي لأرت الجواب الثاني مع ما فيه من قتل نفسي، لان القتل اهون على الحياة من التعذيب الطول، ولان الاعداء كثيراً ما يكون اكثر رحمة من التعرض للسياط يوماً بعد يوم. حرية الفكر هي مولدة كل نهضة، وهي حافظة كل نشاط، وهي ناقلة للحر. من عالم التصور والنقائص الى عالم الاستكمال والتعويض.

فينبغي لنا ان نحرق افكارنا واقلامنا من استبعاد النفس، ومن اذلال الغير، ومن سطوة الجهول.

القاهرة

وربع فلسطين

حذقت مقلتك في وآلامي يُفشي ضبابها مقلته
لست ادري ما استجنته ولا ما رأت خلف وحدتي الابدية
غير أنني ابصرت روحك يهتر العطشاً في رقة علويه
وهنا خلتي شعرت بروح الله رفت من السماء عليه !

يا ليلتك ، اي نفضة بعث أوجدتها عينك في اعاق
فاذا بالحياء عارمة النفض بفيض الحنين ، بالاشواق
واذا بالجمال يعكس ألوان رؤاه على مدى آفاتي
واذا بي في ظل حب عظيم معجز السحر ، مبدع ، خلاق !

نظرة فتحت قلبي ابواب السموات والجنان عليه ..
وجلّت لي افتناً يوج به الوحي ، وتستعلن الرؤى القدسية
فيه سحر الألوان ، فيه صدى الاغان ، فيه منابع الشعوبه
نظرة خلف عمقها رحمت استكشفت عني الخلود والابدية

ومضت لي الايام ، لا أنا صرحت ، ولا لهفتي الحميمية تبدو
كم وكم راح يحتوينا مكان وأنا صوبه توارت ووجدت
كم حديث حديثي ، كم مكان هز روحي وانت تروي وتشدو
ويقلبي السعيد شيء كمنف الموج ، يطغى تيساره ويعد

ومضت لي الايام والزمن العجلان يجري كالحساب المجنون
وسكوني ما انفك يرخي سدولا فوق رشحات قلبي المقتون
وتلفت بقتة ، وبعيني نشوة السحر والهوى والقنوت
واذا قلبي المرنح اشلا على راحمة الوداع الحزين

وافترقنا ، ومل نفسي - لو تدري - احاسيس هائلات حياري
وهوي المكسوت يبحش في صمت .. وتهمني دموعه اشعارا
كم شجاني وداعك المر ، كم سالت قلبي المرنح المستطارا
كيف كان الفراق ؟ كيف اتزوى وجهك غني في لحظة وتواري ؟

وافترقنا وبين كفي رسم لم يزل كل زاد روحي التيم
كم تلمست عني عينك فيه وبمعنى أدسع تتضرم ..
يا قلبي ، كم راح بين يديه يبتك الحجب من هواء المكتم
أصغ تسع عبر الصحارى صدها يتراعى اليك شعراً مرثم

من الاعماق

للانسة المطرفة

فلسطين

سرت وحدي في غربة العمر ، في التيه المعنى ، تيه الحياة السحيق
لا أرى غاية لسيري ولا أبصر قصداً يوفي اليه طريقي
ملل في صميم روحي ينساب ، وفيض من الظلام الدفوق
وأنا في توحيشي ، تنفض الحياة حولي أشباح رعب محيق

سرت وحدي في التيه ، لا قلب يهتر صدى خفقه بقلبي الوحيد
سرت وحدي ، لا وقع خطو سوى خطوي على الجبل الخوف البعيد
لا رفيق ، لا صاحب ، لا دليل غير يأسى ووحدي وشرودي
وجرد الحياة يضغني على عمري ظلّ الفناء ، ظلّ المودا .

والتقينا ، لم أدر أي قوى ساقطك حتى عبرت درب حياتي
كيف كان اللقاء ؟ من ذا هدى خطوك ؟ كيف انبعثت في طرقاتي ؟
لست ادري ، لكن رأيتك روحاً يوقظ الشوق في مسارب ذاتي
ويذري الرماد عن روحي الحائي ، ويذكي ناري ، ويحيي مواتي

جون كيتس ، والجمال والموت

بفلم هيرا ابراهيم هيرا
استاذ في الآداب من جامعة كمبرج

«الجمال هو الحق ، والحق هو الجمال».

«ذلكم كل ما تعرفون على الأرض، وكل ما عليكم ان تعرفوه»
قال هذه العبارة الشاعر الانكليزي جون كيتس، ولم يتردد في تطبيقها على حياته. فقد هام بفكرة الجمال ، ووقف حياته على التفتي بها .
مات كيتس (Keats) قبل قرن وربع قرن، وما زالت كلماته هذه ترددها ألسن الكتاب والشعراء من بعده. فالقرن التاسع عشر - ولعله القرن الذي بلغت فيه حضارة الغرب أوجها - أنتج عشرات من المبدعين في الفن، لم ينجح واحد منهم من تأثر كيتس. فقد جاء كيتس بصراحة البري، وقال بدون حياء او تردد : « ان ما يعلنه الخيال بأنه جميل يجب ان يكون حقاً سواء أوجد من قبل ام لم يوجد» وعاد بدراسته الى أساطير الاغريق، واختصر منها فكرة واحدة، هي ان الحياة يجب ان تكون مفعمة بالاحاسيس من أجل ان تكون الحياة تستحق ان يكون الدافع اليها هو حب الجمال.

ولكن ما هو هذا الجمال ؟ والحياة ببقبحها الكثير وآلامها المستمرة ، كيف نستطيع ان نتغاضى عما فيها ، ونصرف الى متعة الذهن والحس بالجمال ؟

وهذه كانت مشكلة كيتس، وهذه هي الاسئلة التي حاول ان يجدها جواباً في شعره ، وفي حياته. فكتب القصيدة تلوا القصيدة ، والرسالة تلوا الرسالة ، بحثاً في حنايا صدره عن الشكل الذي يجب أن يضع فيه جوابه على مسألة الجمال.

ولما كان في الثانية والعشرين من عمرة ذهب الى دار صديق له في اسكسford ، وهناك صمم على ان يكتب كل يوم خمسين بيتاً من الشعر في نظم قصة طويلة سماها « انديميون». ولم تكن الا أسابيع حتى أخرج رواية شعرية في بضعة آلاف بيت امتلأت بروائع العبارات والصور الحسية. وهي تدور حول الراعي انديميون الذي وقعت في هواه إلهة القمر ديانا ، فحبلته وهو في نومه في الفضاء ،

ثم نزلت به الى أعماق البحار ، واختفت به طبقات الأرض، لكي تطلعه على اسرار الكون وحسنه العجيب. وكانت الفكرة الرائدة في أطوار الرواية هي فكرة الجمال في جوهره النقي ينتقل بخيال الانسان في عوالم الكون. ولكن لما كان خيال كيتس الشاب يشب وثبات لا يستطيع لها كبحاً ، فقد جاءت الرواية مثقلة بما فيها ، كما أنه لم يستطع ان يحفظ نفسه من الزلل في القول والقرابة في النظم. بيد أن « انديميون » خرجت الى الوجود تحمل فكرة الجمال الجامع ، وتسلج لشاعرنا الفتي نصراً في تصويره فكرة الجمال تصويراً يكاد القاري يجفل لروعته. وافتتحنا قائلًا :

لما الشبح الجليل فرح معي الى الابد ،

وحسني اندياد ، وان يفتش ابدًا ،

بل يبي لنا دوماً عن ارض وآدمات ، ونوماً يطلع بجلو الاحلام والعافية ...

ولما نزلنا الى الداء كل يوم نسوغ حبالا من الازاهر

لترطبنا بالأرض ، رغم ما فيها من قنوط وشبح بالانفس النيلة ؛ رغم نهم الليالي

ووعودة المسالك المدمسة التي فرض علينا الضرب فيها : أجل ، ورغم هذا كله

فان هناك من الجبال اشكالاً يرفع ستر الموت

عن أنفسنا ، وقد سودها الخطوب ...

أما التقاد فلم يرأفوا به ، وهاجوه بتقد مقدع ، متهين اياه

بضربه اصول اللغة عرض الخاطئ. غير أنه كتب يقول في احدى

رسلته رداً على ذلك : « ليس للدع او الذم الا تأثير طفيف على

امرى. جبل منه حب الجمال المجرد نقاداً شديداً لكتباته ... »

واستطرد يقول : « ان عبقرية الشعر لا تنضج في المرء الا من تلقاء

نفسها. انها لا تنضج بفعل القواعد والقوانين ، بل بارهاق الحس في

نفسها وبالوعي المستمر. فكل ما هو خلاق مبدع يخلق ويبدع نفسه.

عندما كتبت « انديميون » قفزت رأساً في البحر ، وبذا تعرفت

على الاعماق والرمال المتقلبة والصخور ، وما كنت لا اعرف هذا كله

لو بقيت على الشاطئ. الاخضر ، أعرف لحناً سخيفاً ، وأشرب

الشيء ، واستمع الى النضائح .»

ولكن ما هي التفاصيل في حياة جون كيتس ؟

إنها قليلة جداً . فقد ولد في سنة ١٧٩٥ في لندن ، ومات وهو في منتصف السادسة والعشرين من عمره في سنة ١٨٢١ . كان أبوه سائس خيل ، غير أنه كان يطعم الى تعليم ابنه تعليماً عالياً مما استطاع . فأرسله الى مدرسة معروفة ، حيث اشتهر لا بدكانه ، بل بقرته البدنية واستعداده للترال دائماً مع زملائه الطلاب ! وفي سن الخامسة عشرة تلمذ في أحد المستشفيات (وكثيراً ما كان أثناء المحاضرات يسطر أبياتاً هزلية بدلاً من الاستماع) ، وتخرج بعد بضع سنوات في الصيدلية . غير أنه أثناء ذلك انصرف الى قراءة الشعر ونظفه ، وبدأت مواهبه تظهر . ولذلك ، حالاً أنهى دراسته الطبية ، عزم على ألا يسبغ بضعاً في حياته ، وأن يوقف نفسه على الشعر . وكان له احداً . كثيرون من الكتاب وعشاق الادب والفن ، كتب اليهم رسائل هي الآن من كنوز الادب ، تصور غو العبقري ونضوجها فيه ، وهو يحاول ان يفهم الجمال ، وان يجدد مهمة الشاعر في الحياة . وقد ادرك ان الشاعر يجب ان يكون ذا حساسية مرهقة وشعور عميق بكل ما يحيط به ، حتى قال : « اذ حظ عصفور على نافذتي شاركته الحياة وجلت انقر مثله بين الحصى » . وفي رسالة مشهورة له اوضح كيف ان الشاعر اذا يجمع في ادراكه للحياة بين افراحها وألمها ، بين حسناتها وقبحها ، يجب ان يكون دون شخصية معينة فهو يقول : « اما من حيث الطبع الشعري (اعني ذلك الطبع الذي ان كنت اتصف بشيء فلأنما اتصف به) ، فهو ليس نفسه ، ولا ذات له - فهو كل شيء ولا شيء معاً - وليست له صفة خاصة به : يتمتع بالأضواء والظلال ، ويجيب في تدفق مندفع ، سواء اكان جيلاً ام قبيحاً ، مرتفعاً ام متضخماً غنياً ام فقيراً ، وضيقاً ام سامياً ، ويجد لذة في خلق شخصية شريرة كشخصية يافو ، بقدر ما يجدي خلق شخصية طاهرة كشخصية ايوجن^(١) » . ولما يزعج الفيلسوف الفاضل يسر الشاعر المتلون تلون الحزن . فلا يضيق ان يتذوق نواحي الاشياء المظلمة اكثر مما يضيقه تذوق النواحي البهجة ، لان كلا التذوقين انما ينتهي الى التأمل المجرد . ان الشاعر اقل ما في الوجود جلالاً شعرياً ، لانه لا هوية له ، لانه يصب نفسه دون انقطاع في اجسام اخرى فالشمس والقمر والبحر والرجال والنساء ، وهي مخلوقات تدفعها دوافع لا تفكر فيها ، كلها شعرية ولها

(١) يافو هو الشرير في مسرحية « عطيل » ، وايوجن هي بطلة مسرحية « سبيلين » وكلاهما لشكسبير .

مميزات لا تتبدل . - اما الشاعر فلا يميز له ، ولا هوية - لا ريب في انه اقل مخلوقات الله جلالاً شعرياً . .

وراح شاعرنا ينظم القصائد مدفوعاً بهذا الايمان ، مستوحياً شكسبير لأحب الشعراء الى نفسه (وما العبارة السالفة الا وصف غير مباشر لشخصية شكسبير كما رآه س. كيتس) . وكان وفير الانتاج ، يتطور فنه ويتحسن بسرعة عجيبة . وكان اذا ما احتل بنفسه يتأمل في ما سيكتب ، اذا ما الله في عمره « في السنين التي اكون قد نضجت فيها نضوجاً اكثر » ، يقول : « ان الصور المبهمة التي تمر بخيالي للقصائد التي سأنظفها في المستقبل كثيراً ما تبعث الدم حاراً في جيني . . وسوف اكتب مدفوعاً بجمود تشويق الى الجمال وتشوقه لي ، حتى ولو احترقت كل صباح ما خطته يدي في الليل ، ولم تقع عليه يوماً عين احد . »

ولكنه لم يحظ بسني العمر التي مئى نفسه بها ، فذاعمه مرض السل - وكان قد قضى على حياة امه وأخيه من قبل - وفي الوقت نفسه وقع في غرام فتاة كانت جارة له تدعى فاني برون Fanny Brown . ولم يرأف الحب بصحته ، وخیاله المتهيب يضيف الى هواء عنفاً وحده . وكان قبل ذلك يتهرب من الحب كأنه يخشى على شعره من اهواء امرأة تلك عليه قلبه . فقد قال مرة :

« لم احب قط ، غير ان صوت امرأة معينة وصورتها قد لازمني هذه اليرميين . . . ولكن الشعر هذا الصباح انتصر على صورة هذه المرأة » ، فقد عدت الى تلك الافكار المجردة ، وفيها وحدها اجد حياتي ، وأشعر كأنني قد نجت من ألم جديد غريب يهددني - واني لآحمد الله من أجل ذلك - وحول قلبي دفء عجيب كأنه عب . من الخلود .

وفي هذه الفترة المضطربة من حياته كتب اروع قصائده ، منها القصص الشعرية « لمياء » و « ايزابلا » و « ليلة عيد القديسة اغنيس » ، مواعينيه (Odes) الى بسايكي والى الحزن وعن الرءاء الاغريقي وقصيدته السحرية « الحسناء لا ترحم » - وكل هذه من غر الشعر الانكليزي ، بل الشعر الاوربي اطلاقاً . وهذه القصائد تمثل الوجد الرومانسية التي كان كيتس من قادتها - ومع ودوزورث وشلي ويرون - وهي الحركة التي خلفت آثارها وطرقها في التعبير في الآداب الحية حتى يومنا هذا ، واطلقت الخيال من كل عقال . غير ان المرض العليل والحزن فوق ذلك يضيقه لانه لا يستطيع لمرضه ان يكون دائماً مع حبيبته ، وادرك ان الحياة تنسرب من بين يديه . حينئذ كتب اشهر قصائده التي سماها « اغنية الى بلبل » .

فقد جلس ذات ليلة وأصغى إلى الليل يشدو غير منظور ،
فراح كيتس يصف نشوته ، ويتخيل لو يستطيع أن يهجر العالم
كالطير غير مرئي ، ويتلاشى معه في أعماق الآجام المظلمة ويغني في
غناؤه ، ثم يقول مناجياً الليل وهو يصف حاله :

في قولها الشعرية ، ألم يعر شكبير أكثر من خمسين سنة ؟

رحضها الشديد على خدمته وتنفيد اوامره... ورجاءه لها بان يدع لها ابنتها لتقرر مصيرها مثلاً تشاء...

وحينئذ غضب السيد شارموي وقرر السعي الى تحقيق غرضه بطرقه الخاصة، وسرعان ما اتصل بلر كيز دو سانت كروا اذ علم انه في روان، فأتى عليه ثناء عظيم وقال له ان كفائته تؤهله لاحتلال مركز رفيع في البلاط، ووعده بأن يوصي به الدوق اورليان ليجعله من حاشيته. فسر المرؤوس بذلك، ودفعته طبيته الى الثقة بشارموي والاسترسال اليه، فاغتنم هذا فرصة مؤاتية وطلب منه يد ابنته، وعرض عليه مقابل ذلك عشرة آلاف ايكو يدفعها له نقداً، واستطاع بأشأت أنواع الاغواء ان يحمله على اجابة طلبه. وبما ان الفتاة كانت لا تزال قاصرة، فقد أباح الأب لنفسه بماسة حق في تقرير مصيرها، فكتب لشارموي عقداً بالزواج، مبرمه بتوقيعه وسله اياه. فربح الضابط الصفقة، واصبح في وسعه استخدام القوة لا رغام "زوجته" على الخضوع له، اذا أثبت واسرتها الموافقة والأذعان. غير ان شارموي لم يكن ليفكر في الالتجاء الى القوة، لانه كان لا يزال مقتنعاً بقدرته على اغواء الفتاة والظفر بقلبها ليظفر من ثم بثروتها.

اختطاف السيدة دو سانت كروا

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الحرس الذين يحيطون بالدوق دورليان عم الملك لويس الرابع عشر، والفرسان الذين يعملون تحت امرته، شيئاً مغامرین جريئين، ذوي قوة واقدام وبأس، يهابهم الناس ويخشون سطوتهم، لان حماية الدوق لهم، و نصف السلطة الملكية، كانتا تضعايم فوق كل سلطان. وكان بين هؤلاء الفرسان اخوان أنيقان، يدعى احدهما هنري دو بيلوي سيد شارموي وهو ضابط في فرقة يبيمون التابعة لقصر الدوق، وهرقل بيلوي رئيس حرسه. وقد عاش السيد شارموي حياة صاخبة حافلة بالمغامرات والمبارزات، ثم بدا له، بعد ان بدد شبابه وقدر ماله، أن يتزوج بنتاً غنية، فعدته صديق له يدعى السيد دو لامورانديير عن فتاة وحيدة للسيد غليم دو فيار مركز دو سانت كروا، أحد كبار المسؤولين في مقاطعة نورمانديا، ودعا لمرافقته الى المدينة كان، واعدأ اياه بان يعرفه بالفتاة في احدى الحفلات الراقصة، فقبل شارموي الدعوة، موقناً بأنه متى تعرف بالفتاة استطاع اغواءها والزواج بها. ولكن الشاب المغامر ما لبث ان شعر بخيبة الامل، فقد اعجبته الفتاة واعجبته ثروتها الطائلة على الاخص، الا ان الفتاة لم تعجب به، وبعثا حاول اغواءها والترب منها، فانها كانت تقابله بالصد والاعراض. ولم

يكن موقف اسرتها خيراً من موقفها، فان الام ما كادت تلاحظ تعلقه بابنتها حتى سألت عنه، فسمعت من انبائه ما لا يسر، بل ما يبعث على الغرور، فحدثت بذلك اخاها السيد غلانتيني وباتي افراد اسرتها، فاتفقوا جميعاً على ابعاده والحذر منه.

عاد شارموي الى باريس خائباً مبهض الجناح، ولكنه لم ينفط بما عقد العزم عليه، وما لبث ان توسط لدى الدوق دورليان، فدعا هذا السيد غلانتيني خال الفتاة الى القصر، وقال له ان لديه مفاجأة سيسر بها كثيراً، وهي ان ضابطاً من ضباطه يريد الزواج بابنة اخته الأتمة دو سانت كروا، وهو يعد بترقية هذا الضابط وزيادة مرتبه قبل الزواج، فقال السيد غلانتيني انه لا يستطيع الادلاء برأيه في هذا الامر، لانه يتوقف على رغبة الابوين وحدهما، فما كان من الدوق الا ان ارسل بصحبته وفداً الى كان خطبة الفتاة من أيديها وابلاغها عطفه على الخطيب وأمله في تحقيق مبتناه. بيد ان حظ هذا الوفد لم يكن خيراً من حظ شارموي نفسه، اذ ما عم ان عاد ليلغ صاحب السمو الملكي احترام اسرة دو سانت كروا،

وبينا كان شارموي يعقد تلك الصفقة، كانت اسرة الفتاة، وقد بلغها النبأ او انذرت به، تفكر في الاحتياط للامر، فبادرت الى اعلان خطبتها على شاب موظف في الدولة يدعى السيد انطون دو نيقولاوي، ثم عودت الى السيدة دو غاليتي باخفائها في الارياض، فذهبت بها الى قصر صديقة لها في ضواحي روان.

وما كاد الأب يعلم باختفائه ابنته وابعان خطبتها دون علم منه، حتى غضب وعهد بتجريض شارموي الى مقاضاة اسرته مطابقاً بفسخ الخطبة واداءة الفتاة. اما شارموي الذي كان حبه للأتمة دو سانت كروا قد بدأ يتعاطف، فقد ثارت ثائره وطلق يبعث عن دو نيقولاوي في كل مكان ليفتك به، ويضرب بسيفه مرة رجلان كان يرافق ام الفتاة في عربتها، وهو يحسبه غريمه فجرحه ثم عرف انه ليس هو فامتدز منه..

وقد طاف شارموي فرنسا شرقاً وغرباً، باحثاً عن "زوجته" فلم يعثر لها على أثر، ولم يتورع حين اعياء البحث، عن الاقدام على اختطاف امها ووضعها تحت الحراسة في قصر الدوق دانغويل دون



الآنسة دو سانت كروا في الدير

علم منه لثقل فيه
وهينة حتى تسلمه
ابتها . الا ان
الدوق دانفويل ما
كاد يبلغه هذا
النبا ، حتى أمر
بالافراج عنها
والاعتذار اليها .
وكان الاب
قد استصدر خلال
ذلك قراراً من
مجلس الملك ،
بالقبض على الفتاة
وتسليمها اليه .
فاسقط في يد
الاسيرة وابلغته ان

الفتاة تقم في قصر اورسولين بدواحي روان ، ورجته الموافقة على
ايقافها فيه تحت الحراسة . ولكن المجلس أصر على احضارها الى
باريس بحراسة ثلاثة فرسان .

وشاع ان شارموري سيختطف الآنسة دو سانت كروا ،
فاستغاثت اسرتها بأصدقائها من الفرسان النورمانديين ، ورجتهم
ان يدعوا بدورهم اصدقاءهم ، واصدقاء اصدقائهم ، ويحضروا
جميعاً لحراسة الفتاة اثناء نقلها من القصر الذي تقم فيه الى باريس ،
فاستجاب للنداء ثلاثة افراس فارس وأقبلوا على جيادهم المطهية بإسليحتهم
الكاملة وثيابهم الانيقة ، كأنهم مقبلون الى عرس . وواكب
هؤلاء الفرسان الشجعان مركبة الفتاة ، ودخلوا معها الى باريس في
ابهة عظيمة . وبلغ مجلس الملك بنا هذا الموكب الحافل ، فسمح
له بمراقبتها الى دير بنات الله في شارع سان دنيس ، وهو المكان
الذي عين لاقامتها حتى يفصل القضاء بأمرها ، فتصاحب الفرسان
حراستهم لها حتى تسلمتها السيدة بويكار رئيسة الدير وصديقة
اسرة سانت كروا ، واصبحت في مأمن بين اسوار الدير المنيع .
غير ان الضابط العاشق قد اقم على انه سيختطف « زوجته »
من الدير المتنع نفسه ، وطوق يمد المدة لتلك المغامرة التي لم يكن
من السهل الاقدام عليها في باريس .

وكان دير بنات الله رجلاً عالي الاسوار ، فطاف شارموري

حوله فاحصاً مدققاً ، ثم وضع خطته لتسلق هذه الاسوار والمهبط
الى داخل الدير . وكان يعرف احتلالاً شهيراً يدعى سانت انج ،
عريقاً في الرذيلة والجريمة ، فدعاه الى مساعدته ، فقالت له زوجته
وهي امرأة على غرارها :

— اذهب يا صديقي ، وكن مطمئناً ، فاني ادرك بان لا اترويع
اذا قد تركت ، الا احتلالاً مثلك يقض مضاجع رجال الامن !

واستطاع شارموري وسانت انج ان يرشبا بستان في الدير فيأمننا
جانبه . ثم اتفقا مع خمسة آخرين من اصدقائهم ، وتواعدوا
جميعاً على اللقاء امام اسوار الدير ، في المكان الذي عينه شارموري ،
في الساعة الثالثة من صباح الخامس والعشرين من شهر اذار سنة
١٦٤٨ . وقد اختار بطل المغامرة تلك الليلة ، وهي ليلة عيد
البشارة ، لانه عرف ان حنة دوتريش الملكة الوصية على
العرش ، لن تكون خلافاً في باريس بل سترحل الى شارتريس لتفي
نذراً قطعت على نفسها . وتلاقى المغامرون في الموعد المعين امام
اسوار الدير ، وكان الجميع مقنعين ما عدا شارموري وسانت انج
الذين بدا لهما ان من الجبن اخفاء شخصيتهما . وكان الليل مظلماً ،
والحي ساكناً ، وقد ساد الصمت العميق .

وكان سانت انج قد اخذ على عاتقه مهمة اقتحام البابين
الضخمين المهيئين بفتحها بالبارود ، واحضر لهذا الغرض صاروخين
مخلفين بتقنية هائلة ، فذنان الباب الاول ووضع الصاروخ في
اسفله واشعله ، فانفجر محطاً الباب ، نائراً اشلاءه في الفضاء ،
مرسلاً دوياً عالياً خيفاً . ثم هرع الى الباب الثاني واشعل الصاروخ
الآخر فلم ينفجر ، ولم يكن لدى سانت انج غيره ، فحار في امره
وتشاور مع رفاقه ، فاجمعو على تسلق السور ، وبادروا الى تحقيق
عزمهم فوقف بعضهم على اكتاف بعض ، واستعانوا بالشوطة كانت
معهم ، فلم تنقض دقائق معدودة حتى تسلسوا السور ثم هبطوا منه الى
البستان واصبح الدير عرض اعينهم وسعوا حركة داخله ، وشاهدوا
انواراً تشتعل فيه ، وتنتقل سريعاً من نافذة الى اخرى ثم تطفى .

ذلك ان راهبات الدير كن قد ائقن على صوت الانفجار
المريع ، وهرعن مذعورات يتسألن عما حدث ، ثم شرعن بحركة
مروية على السور ، ووقع خطى غريبة في البستان ، فائقن بان
خطرأ جميعاً يتهددهن ، واخذن يجرعن في انحاء الدير شبه غاريات
يودن النجاة بنفوسهن ولا يعرفن للنجاة سبيلاً .

وافاقت الآنسة سانت كروا مثلها افاقت الاخريات ، فلم
تبطل . حتى حدثها قلبها بأنها هي المتصودة من هذه المغامرة التي

احدهم ثوب الراهبة، فالتفتت بحركة غريزية لتستر جسدها بفعلها
والقاه بعيداً عنها .

وبعد صراع عنيف استطاع المحرمون انتزاع سانت كروا
من كومة الحطب ، وحملها من يديها وقدميها ورأسها وأخرجها
من تلك الغرفة . . . وكان شارموي يتمتد لها خلال ذلك عن
اضطراره للالتجاء الى هذه الطريقة العنيفة ليجلّس بها ، مهرداً فعلته
بجبه لها . . . ولكنها كانت تأبى ان تجيب او تنظر اليه .

ووصلوا بها الى البستان ، وهي لا ترداد الأ مقاومة وأسائة
في الدفاع عن نفسها ، فاحتدم غضبها واخذوا ينالون عليها ضرباً
بأيديهم واقدامهم وعصيهم ، كلما ابدت مقاومة جديدة ، حتى
انتهكت قوتها وتقرق جسدها . . . ولكنها برغم ذلك لم تستسلم .
وحين بلغوا أسفل السور اعترضتهم عقبة جديدة ، فان الفتاة
أبت ارتقاء السلم ، وعبثاً حاولوا حملها على ذلك بالتهديد أو بالقوة
وقد بلغ من شراستهم انهم جربوا رفعها من شعرها لارغامها على
الصعود ، ووضعوا فوهة أحد مسدساتهم على صدغها مهددين اياها
بإطلاق النار . وعندما عجزت جميع هذه الوسائل عن تحقيق بغيتهم
عمدوا الى شد وثاقها ثم حملها احدهم على ظهره واخذ يصعد بها
دراجات السلم ، ولكنه ما كان يرتقي بضعة درجات حتى تحطم
السلم تحت ثقلها ووقع الاثنان على الارض . . .

وكان الوضع يتجرع شيئاً فشيئاً ، فان الصاروخ الذي نسف باب
الدير لم يوقظ
سكانه وحدهم ،

بل ايقظ سكان
الحبي ، فأطالوا من
نوافذهم لمعرفة ما
حدث فاذبحركة
وجلبة غريبيتين
فأدركوا ان دير
بنات الله قد تعرض
لخطر مدام ،
وهرعوا نحوه
متسلحين بالصفي
والسكاكين
والسيوف . وفي
هذا الوقت نفسه



الضابط دوم شارموي

لا يجروء على القيام بها غير رجل ديني . كالضابط شارموي الذي يريدها
زوجة له والذي حاول قتل خطيبها ، واعتقال امها ، وهدد بخطفها .
وقد جاء الآن لتنفيذ جريمته ، مقتحماً في سبيل أمن بيت ومتهكاً
اقدس مكان . . .

استبد الرعب بالمدراء الطاهرة ، وذهب الجرع بنفسه كل
مذهب ، فوثبت من سريره بقميصه الليلي وهي ترتجف ، فقد
كانت مريضة بالحمى ثم عصفت بها حمى مجنونة اشد وطأة وهولا .
وما كادت تغادر غرفتها حتى بصرت براهبة صغيرة السن
فاستنجدت بها ، وكانت الراهبة الطفلة تبحث عن تستجد به
ولكنها ما كادت ترى اضطراب سائر كروا وجزعا ، وتعرف
انها هي المقصودة من هذا الهجوم ، حتى نسيت خوفها ولم تعد
تفارق ضيقة الدير المريضة المرتعدة . . .

هبطت الفتاتان السلم فوجدتا الباب مغلقاً ، فعادتا ادراجها
الى الطابق الاعلى ، ووجدتا سلماً يؤدي الى غرفة المؤونة ، فارتقاة
اليها ووقتا هناك على سلم آخر يفضي الى حجرة صغيرة في اعلى
المزلق فصعدتا اليها ، ووجدتا السلم اليها واغلقتا الباب عليهما وجلستا
تتمة بين اكوام الفقم والحطب تبكيان في صمت .

وفي الدير المروع ، كان شارموي ووجهه يضيء عن ضائهم
محطتين الاواب ، مبعثرين ما يقع تحت ايديهم ، متلهذين لاهبات
الدير بالاهانة والفظاظة والقسوة ، والبستاني الخائض برؤسهم من
مكان الى آخر حتى بلغوا غرفة الفتاة فوجدوا بابها مقنوحاً ولم
يجدوا للفتاة أثراً . . . جمع شارموي ثياب « زوجته » وحاجاتها في
حقيبة كبيرة ، وحملها ومضى يبحث في الغرف الأخرى .

ولاحظ البستاني ان السلم المؤدي الى غرفة الحطب قد اختفى
فضامره الشك وجاء . بسلم آخر فصعد عليه واخذ يدفع الباب المغلق
بكتفيه فلبث ان ازاحه وازاح من فوقه الفتاة التي كانت تضغط
عليه بكل قوتها . . . وصرخ الرجل فرحاً بانتصاره ونادى شارموي :
- الي اياها الاصحاب ، لقد امسكتنا بها اوفرع الجميع وانتضوا
على التاتين المذعورتين في الغرفة الصغيرة . . . كانت الانسة سانت
كروا منكشة في احدى الزوايا ، لا يستر جسدها العاري سوى
قيص رقيق ، وهي ترتجف من الحمى ، والخوف ، والبرد ، والعار .
وشد ما قاسى المحرمون من عنا . حين ارادوا حملها من
مكانها عنوة . فقد كانت تشبث بكل ما تقع عليه يداها ،
كما تشبث الراهبة الصغيرة بها تريد انقاذه . . . ولم يستطع اولئك
الرجال السبعة فصل الفتاتين احدهما عن الأخرى ، الا حين مرق

أخذت أجراس الندير تقرر قوفاً عنيماً كثيراً... ان بنات المؤمنين .
ان بنات الله يستعثن . وقد لبي نداء الاستغاثة حشد كبير تجبر
حول باب الدير وامام اسواره ، وتقاتل جلبة هؤلاء الناس ، وارتفع
صياحهم ، واخذوا يندرون من في الدير ويتوعدونهم . وصح
شارمري وصحبه صرخات الانذار والوعيد ، فتولاهم الذعر ، واخذ
كبيرهم يحثهم على الحرب قبل ان يبطش الناس بهم .

ولكن كيف يستطيعون الحرب ، وهم لا يستطيعون الصعود
بالآتسة دوسانت كروا الى السور؟ ابتكونها في الدير وقد اعانوا
في سبيل اختطافها ما اعانوا ، فيتخلى الضابط العاشق بذلك عن
المغامرة التي عرض بها نفسه لهلاكه ، وعن الفتاة التي تدله بها ،
ويتخلى عن الثروة المنظرة ؟!

لقد كان عزيزاً على شارموي ان يتخلى عن هذا كله .
وكانت الفتاة قد استطاعت في تلك الفترة من التردد والحلوة
ان تتحرر من وثاقها ، فعقد رئيس العصابة الى شد وثاقها من جديد
بقوة وعنق اكثر من قبل ، ثم كلف فيها وصعد الى اعلى السور مع
سانت انج ، وهما مسكان بطرف الجبل المعلقة به ، واخذ يشدان
الجبل بكل ما يستطيعان من قوة ، ولكنها ما كادت تبلغ حافة
السور ويتخيلان عنها ، حتى تركت نفسها تسقط الى ارض البستان ،
مع يقينها بانها اذا تعرضت لذلك الى خطر الموت .

ولم يبق بعد ذلك مجال للتفكير في تجديد المحاولة . فان
الجمهور المحتشد في اسفل السور كان يتألم عدداً ويؤذاد هياجاً ،
وما كاد يرى الرجلين في اعلى السور حتى تمالى صياحه واخذ يرشقتها
بالحجارة ، ثم دوى طلق ناري مصوب نحوها ، وتبعه طلق آخر .

كان واضحاً ان المغامرة باتت خطرة جداً ، وما لبث شارموي
ان اعلن لسان انج وجوب التخلي عنها ، وغدا الحرب هدف الجرمين
الاول ، ولكن كيف يستطيعون الحرب ، والجمهور الاساخ الهائج
ملاً الشارع ، ويسد عليهم منافذ النجاة؟ صرخ شارموي في اعوانه :
— عبثوا مسدساتكم واطلقوا النار على الجمهور المحتشد !

واطلق المأمرون النار على الجمهور فسقط اربعة من افراده
مضرجين بدمائهم ، وتولى الذعر الآخرين فنفروا وتراجعوا ،
واخذ بعضهم يولي هارباً . واقتنم المعتدون هذه الساحة التي ساد
فيها الملح والفوضى ، فلاذوا بالفرار ، منهم من زحف على السور
ليهيئ بعيداً عن الجمهور ، ومنهم من بحث عن ناحية مظلمة ليهبط فيها
ويتوارى عن الانتظار . ومن عجب ان احداً منهم لم يقع في ايدي
المحتشدين الهائجين ، وان هؤلاء لم يعرفوا واحداً منهم ، سوى

شارموي وسان انج ، اما الآخرون فكانوا مقعنين ولم تستطع
ظلال الشفق ان تبدي معالمهم وتكشف عن حقيقتهم .

وتحدثت باريس كلها صبيحة ذلك اليوم ، عن هذه الجريعة
الفاضة المنكرة ، ونسجت حولها اشداث الاساطير ، وتوافد الناس
الى اندير لتعزية بنات الله ومواساتهن ، واقبل الاطباء لمعالجة الآتسة
دوسانت كروا التي كان جسدها مشحناً بالجراح والرضوض واشتدت
وطأة الحلى التي كانت تعث فيهِ .

ودعشت الملكة حنة دوتريش والدوق دورليان ، لجرأة شارموي
ودناءته ، وعرفا ما أثارت مغامرته من سخط عظيم بين جماهير الشعب
فأعلننا هذا الضابط الذي كان يتبع بعطفها قد فقد هذا العطف ،
ولن يلقى اية حماية منها ، وهما يودان ان يحل به العقاب الذي يستحقه .

وكان النائب العام قد شرع بالتحقيق في هذه القضية ، فاستمر
هذا التحقيق شهراً كاملاً ، وفي الرابع من نوار سنة ١٦٤٨ اصدر
برلمان باريس قراراً يقضي بتعذيب شارموي وسانت انج ورفاقهما
حتى يلاقوا حتفهم . . ولكن الجرمين كانوا قد غادرو الاراضي
الفرنسية ، فلم يقبض على ابي منهم . وقد تنقل شارموي وسانت
انج بين الفلاندر والاكسبورغ حتى نسبت جريمتها واشتغل
الناس عنها بالاضطرابات التي كانت تعم وطنهم بين حين وآخر ،
فرجعوا الى باريس دون ان يتعرض لها احد ، وما لبث شارموي
ان انضم في الجيش مرة اخرى فقتل في الرابع من تموز سنة
١٦٧٤ انشاء .

دوسانت كروا وقد اصبحت الركيزة دو مونتانيير

معركة شاتيم
بدوقية باد .

اما الآتسة

دو سانت

كروا فقد

ظلت في الدير

حتى سنة ١٦٥١

ثم غادرته

لتزوج لويس

دو ليسبار

مركيز دو

مونتانيير .

وتجنب منه

عدة اولاد .



ولك الساعة التي انت فيها

مترجمة عن الانجليزية

بنم مبارك ابراهيم

قوله

سيدة عجوز قد تقدمت بها
السن ، ووهن العظم منها .
وقد تزوج اولادها وبناتها جميعاً ، ومات
عنها زوجها منذ سنين . وهي الآن تحيا
حياة التلذذ . تحاول ان تقرأ - كما
يقولون - اوقات فراغها .

وقد قالت لي منذ ايام ، وكأنها
كانت تعتمد ذلك القول : انت تعرف
اني ظلت طوال حياتي أعيش في هذه الدنيا
وكأني على سفر . وكنت دائماً أشبه ذلك
الرجل الذي يضيئ ليلته بزييل فندق او خان ،
ويقول فيها بينه وبين نفسه : ان بقاء ليلة ليس
يدعو المسافر الى ان يحل عن امتعه الوثاق .

وكم كانت في نفسي حاجات اريد
قضاءها ، وقد ظلت اقول لنفسي : سوف
اقتضي تلك الحاجات ، ولكني لم افعل
ذلك ابداً . . . وما ان سمعت حديثها حتى
مر بخاطري ما يحياه كثير من الناس من
حياة الترقب والانتظار قبل ان يخلو عن
امتعتهم الوثاق . وهم يقولون : سوف نفعل
كذا وكذا عندما يشاطفنا عن الطوق ،
او عند ما نجد مسكناً أحب واوسع ، او
عندما نظفر بالعمل الذي نجده ونترك اليه .
او يقولون سوف نتخذ قراءات الكتب
النافعة هواية وكسليه ، وسوف نتعلم العلوم

ولقد كنت اعرف في بدئي طيباً
كان دائماً طرع أمر مرضاه ، وهرن اشارتهم
ولكنه مع ذلك كان اذا عاد الى بيته كل
ليلة ارتدى مبادله وأعد ادوات تدخينه
واستقر في جلسته المطشنة امام الموقد .
ومعه « البية » والكتاب ، وكأنه لا
يتوقع ان يطرق عليه الباب طارق . فسألته
ذات ليلة : كيف تفعل ذلك وانت تعرف
ما قد يجي به الليل من استغاثات المرضى
ونداءاتهم ؟ فابستم ثم قال : لو انني
انتظرت حتى استيقن ان قد فات وقت
الاستغاثه والنداء لما بقي لي وقت أستمتع
فيه بياهي ومذاقي ، فأنا أخطف من الوقت
ما استمتع به . واذ هو يقول هذا القول قد
جرس التلفون فقام مسرعاً ليبي النداء . .

ولقد حزني ما رأيته من هذا الطبيب
الذي يعرف للاجلاء قيسته ان احل الوثاق
عن امتتي . ثم ذهبت الى المكتبة فبحثت
بكتب ثلاثة كنت قد أعددتها للقراءة
في السنين الخمس الماضية .

ثم اعددت قائمة باسماء اصحابي . كنت
اختر من بينهم كل ليلة اثنين أناديهما
بالتفون لاني لا ألتبادل وايهما عبارات
التحية المألوفة وأقول لها : قد خطرتم
بالي فأردت ان اسمع حديثكما العذب .

بطريق المراسلة ، وسوف نولد أواصر
المودة بيننا وبين اصدقائنا .

وهكذا من مختلف الاماني والريغات
التي تعبر عنها جملة « حل الوثاق عن الامتعة » .

ولكنهم في الساعة التي يعيشون فيها
لا يفعاون شيئاً . والايام تمر بهم كدمج
بالبر ، ثم تقبعا الاسابيع ، ثم اذا
اجتمع من هذه الاسابيع اثنا عشر وخمسون
نقص من العمر عام كامل .

فماذا نؤجل الى الغد ما يمر بخاطرنا
والخامنا من اماني وريغات ؟ فانهز على

المائدة في حجرة صغيرة ضيقة تبدو جميلة
انيقة كما سوف تبدو في البيت الكبير
الذي تحلم بينانه واعداه . وقد لا تجد
الآن من الوقت ما تستطيع ان تستقر فيه
الى البيت لتقرأ ما شئت ان تقرأ ولكنك
ترجو وتأمل انه عندما يكبر الاطفال ،
وعندما يلتحقون بالمدارس سوف تجد فسحة
من الوقت تقرأ فيها وتكتب . ولكنك
- وعمر أبيبك - تستطيع ان تجلس من
الوقت ربع ساعة بين آونة وأخرى تقرأ
فيها وتكتب .

وفي الحق ان هناك اشياء وأشياء يمكن
ان يستمتع المرء بها (الآن) استمتعاً
واقعياً . لا استمتع توقع وانتظار .

ادب ولادة ابنة المستكفي والراغبين فيها

بسم عيسى سبحانه سبأ



مطلع السنة الـ ٧١١ م فتح مسلمة اخو الوليد بن عبد الملك بلاداً جديدة ، بلاد المساء والحضراء .
والجمال ، بلاد الاندلس ، التي حاكت لبنان جلالاً
وبلاد الشام فرايس وجنائن ، فأوطنتها اقدام العرب الفاتحين
حتى تقاطر اليها جموع من انصار الامويين ، يشمرون عن ساعد
الجد والنشاط بعرونها ويتفعون بخيراتنا ، ويطلقون على عدد غير
قليل من المدن اسماء مدنهم في لبنان وسوريا وفلسطين وبينها اسماء
مدن فينيقية كقرطبة وقادس ، وغدا الوطن الجديد جنة من جنات
الارض ، فيه رفاه ونعيم وثروة وعمران ، وقصور وحدائق ولا سيما
قرطبة وفيها يقول احد الشعراء :
باربع فاقت الامصار قرطبة من رطلية الراقي وعلية
هذان ثنتان والزعماء ثالثة والعلم اعظم شهرهم وادبها

في هذه الارض الحسبة بناظرها وتربها ، وتدقق مائها وصفاء
سمائها ، نشأ جيل من الناس ، امتد بهم الخيال وحسن التصور
والادباع . وفي هذه الارض المبراح زكت الفنون والعلوم فكانت
قبلتهمها الاربيون لارتشاف العلم والمعرفة واشتبار الادب والفن .

في تلك الارض نبغ فلاسفة وعلماء وشعراء اذواء وشاعرات
ناعمات ، تلك البلاد التي كانت في بدء عمراتها دولة قوية يجمعها
عصر خلفائها الامويين ، فاشربت اليها الاعناق ، ورمقتها الابصار
اعجاباً واكباراً ، وما عثم ان تفرقت طرقاً ، وصارت دويصلات
صغيرة على رأس كل منها ملك او امير ، ينازع جيرانه ويسطو على
الضعيف طمعاً بالاستيلاء ، على ملكه ، والضعيف طعمة القوي في
كل عصر ومصر ، فما من جديد ، والانظمة واحدة وان تعددت
الاسماء ، فالويل للضعيف والمجد والرفعة للقوي ، والتعظيم والتبجيل
لكل نهضة محتمل .

فقدت الدولة في ارض اندلس ، واقدت كل امير على نفسه
نعمت الملك مما دعا احد الشعراء الى الانشاد :

تما يزهدي في ارض اندلس القاب معتضد فيها ومعتبد
اسماء مملكة في غير موضعها كالمسحك انفاقاً صولة الاسد
وفي مدينة قرطبة ولدت ونشأت متزعة في احضان الملك ،
فتاة مشوقة القد اسيلة الخد ، خفيفة الروح ، ترجع بنسبها الى عبد

كانه غريب في بلاد غريبة . بل عليه ان
يعيش في هذه الدنيا وكأنه في بيته وبين
أهله وعشيرته الاقربين .

فجاءوا الوثاق عن امتشكهم اليها الراغبون
في الحياة . ذلك خير لكم من انتظار
يوم سعيد قد لا يجيء . ابدأ ..
مامضى فأت والنوم غيب
ولك الساعة التي انت فيها

الفاهرة مبارك ابراهيم

سنتين : اني سوف انظم اغنيات يتغنى بها
الناس . وقد صحب قوله بالعمل فأصبح
مؤلفاً ناجحاً .

واما الآخر فقد قال منذ سنتين : اني
سوف أرسم صوراً وظل هذا الحائط
امنية مستكنة ، لم تكتب لها الحياة حتى
يوماً هذا ..

وخلاصه القول ان ليس هناك سبب
حقيقي يدعو المرء لان يعيش في هذه الدنيا

ثم بدأت اخصص كل يوم وقتاً لكتابة
المشي . ولا يزال عندي - بالطبع - الف
خطة وخطة احتفظ بها للزمن القبل .
ولكنني في الوقت نفسه قد عقدت العزم
على ان اعيش وأحيا !
وان كثيراً من الناس ليقضون حياتهم
مفكرين في مشروعات يحملون بأعجازها .
وقد لا يصح من هذه الاحلام شي .
واني لاعرف رجلين قال أحدهما منذ

ولا تسي الى جسدها .

وزي ان ابن عبدوس قد زاحم ابن زيدون على حياها، وتظرف اليها وحاول استئثارها، وقد روي عنها انها مرت بدار ابن عبدوس يوماً وكانت تهزأ به كثيراً وهو جالس بالباب وحوله اصحابه وامامه بركة قيل انها تتولد من اقدار فوقفت عليه وقالت مستعيرة قول ابي نواس :

انت المحصب وهذه مصر قد دفنا فكلكما بخر

فما أحر ابن عبدوس جواباً وحفظت هذه النادرة واشتعل بها الناس . وبقيت ولادة علي ولاء ابن زيدون الى ان فر من قرطبة الى اشبيلية وفيها يقول قصيدته العامة ومطلعها :

اضحي الثاني بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لساننا

بنم وبنا وما ابتلت جوارحنا شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

ومنها :

لبسك عهدكم عهد السرور فا كنتم لأرواحنا الا رباحنا

هذه هي شاعرة الاندلس ولادة وقد قالت في شعر تحييه :

ألا هل لنا من بعد هذا التفريق سيل فيشكو كل صب با لقي

فر البالي لا أرى البين ينقضي ولا الصبر من رق الشوق معني

وقد كنت أوقات التراويح في الشنا أبيت على جر من الشوق حرق

فكيف وقد أصبت في حال قطعة لقد جعل المجدور ما كنت اتني

سقي أشاؤك قد غدت لك معتزلاً بكل سكوب هامل الردي معتق

فمن هذه الأبيات وما تقدمها تتراعى لنا حياة ولادة فزاهنا

كمن أشاء الحق لا تقع الا على زهرات تشوقها رائحتها وتطيش

اليها نفسها ، ويقال انها مالت الى ابن عبدوس فكتب اليه ابن

زيدون يقول :

عبروني بان قد صار يخلطنا فين تحب وما في ذاك من عار

أكل شي أصبنا من أطايبه بعضاً وبعضاً صفحنا عنه للعار

وقد عني بالعار لقب ابن عبدوس .

ولولادة هذه شعر مجنوني وهجاء مقنع غير بري في ابن زيدون

وفي الأديب الأصمعي وغيرهما ما غسك القلم عن ذكره .

وقد دام ملك العرب في بلاد ولادة من السنة الـ ٧١١ م الى

السنة الـ ١٤٩٢ فقال ابو البقاء الزندي يريها بقصيدة عند تقلص

ظل العرب عنها ومطلعها :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يفر بطيب العيش انسان

وفي ختامها يقول :

وطلة مثل حسن الشمس اذ طلعت كأفها هي باقوت ومرجان

يقودها الملعج عند السي مكروه والعين باكية والغلب حيران

لعل هذا يذوب الغلب من كبد ان كان في القلب اسلام وإيمان

عيسى محبائل سابا

الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل من بني عبد الملك بن مروان ، هي : ولادة ابنة المستكني الشاعرة الماجنة العرب الطروب ربيت في مهد الدلال ونبتت نبتة نبات الملوك ، فشدت شطراً من علوم اللغة والأدب ، وتغذى خيالها في نعيم ولكنه غير دائم . وزعم ابن نباتة ان حباها ابتذل بعدنكبة ايها وقته ، وتقلب ملوك الطوائف ، ويخبرنا انها كانت تجلس للشعراء والكتّاب وتعاشرهم وتحاضروهم ، ويتشعقوا الكبراء منهم ، ويضيف انها كانت ذات خلق جميل وأدب غرض ونواذر عجيبة ونظم جيد ، وهي عند مؤرخي الأدب ، أول من سن للنساء سنة الانكشاف والاستيعاف ، ومن المحلين في حلبة الحب والأدب وهي القائلة :

ودع الصبر محب ودعك ذات من سره ما استودعك

بفرح السن على ان لم يكن زاد في تلك الخطا ذمعت

يا أبا البدر سناء وسنى حفظ الله زماناً أطعك

ان يعل بذك ليلى فلنكس بت اشكو قصر الليل معك

فن نظمها هذا نترسم خفروحا وصديق شاعريتها، وجارحة

الحب العاشق الذي يشكو قصر الليل مع من أحب . على ان ما يعينها

هو اظهار ادبها والانتفاذ للمألى الى حياتها الخاصة وما كان بينهما

وبين الوزير ابن زيدون وقدملى عليها ذلك بيتها :

فاني ملأت الليل أكنم بالسر فاني ملأت الليل أكنم بالسر

وبالهدى بطم والنجار ليس وبالهدى بطم والنجار ليس

وما يتقلع لنا ابن نباتة عنها قوله : كان ابن زيدون كبير

الشغف بها والليل اليها ، أكثر غزل شعره فيها وفي غيرها ، ثم ان

الوزير ابا عامر ابن عبدوس ايضاً هام بها وكلف بشرتها ، وكان

قصدهم الطرف والأدب ، ومن تعصى اخبارها في كتب الأدب

ترى جملة من الادباء ييلون الى تعريتها من الريبة ، ولأنها لم تعشق

احداً ، فا تدنت الى مأتمه ، وان ما كتبه على تاجها عن بين وشمال

قد يدعو الى الشك في عنها والطعن في حصانتها . ولكن القول

وحده لا يكفي فكثيراً ما ينظم الشعراء غزلا فيشظفون

ويقولون ما لا يفعلون ، فقولها :

أنا والله أصليح للمعالي وأمشي مشيتي وآتية نيا

أسكن عاشقي من لم تقري واعطي قلبي من يشتهي

فقولها هذا لا يقدح في حصانتها لما قدمناه وان كان من فضلة

القلب يشكك اللسان ، وهذا محبا ابن زيدون يقول عنها :

وغرغ من عهد ولادة سرب تراءى وبرق وميض

في الماء بأبى على قاض وينس زبدته من غض

فانت ترى تشبيه ابن زيدون ، انها الماء الذي لا يقوى على

قبضه احد ، فهي مرحلة طروب ، لعوب مفناج ، تغذي وروحها



مشاهير كتاب التراجم .. (البيوكراف) ، في القرن التاسع عشر والشعرين، أميل لودفيج واستفان زفايج بلانينا . وكلاهما من اصل يهودي . ولد الاخير عام ١٨٨١ ونسب في هذا الفن فتجمل حياة (ماري انطونيت) (جوزيف فرشييه) (ماجلان) (كازانوفا) (وتولستوي) (بلازك) (و) فرويد كوقد تأثر زفايج بنظريات الاخير في علم النفس كثيراً . نرى ذلك جلياً في كل ما كتب فهو يجل شخصيات قصصه ودراساته من الناحية (السيكولوجية) واستفان مصور بلر لا تكلف في رواياته ولا غلو في تراجمه . واسع الخيال . دقيق الملاحظة . عميق التفكير . له قلم اذا حركه على الورق فكانه مضغ في يد جراح ماهر على مائدة التشريح . ففي كتابه (تولستوي) ترجم زفايج حياة هذا الاديب الروسي الكبير ، ترجمة عميقة . ودرسه من جميع نواحيه . وصف لنا عيني هذا

الكاتب في اربع صفحات . حلل لنا مؤلفاته قبل ان ينادي بدعوته وبعد ان نادى بها . وهل كان تولستوي نفسه يطبق علياً ما كان يعتقد ؟ ورائي الناس فيه والدين الذي كان يعتقد ؟ وهل كان مخلصاً فيما يعتقد . وأثر الرسالة التي وردته من ثوروي مجهول . وهروبه من زوجته وولده . كل هذا بأسلوب صريح دقيق .

دراسه لحياة القصصي الفرنسي الكبير (بلازك) فظلت ناقصة أكلها اصداؤه بعد موته . وكان زفايج من المعجبين بهذا القصاص وقال في ذلك : « ان هدي في وأمل الوحيد ، هو ان اكل ترجمة حياة بلازك . . . لكن للأسف أراني عاجزاً عن اتمام هذا العمل . ومن الغريب ان كل الذين حاولوا ترجمة هذا الاديب . وقفوا في نصف الطريق وعجزوا عن الاتيان بترجمة كاملة عن حياة بلازك » .

وانتشر في الترويج . وترجم الى اللغة الفرنسية وطبع في ٦٤٠ صفحة وانتشر في سويسرا . وترجم آثار زفايج الاخرى الى لغات شتى . منها الفرنسية والانجليزية والاطالية والرومانية والمولندية والاسبانية ولغات بلاد شرقي اوربا وقد ترجمت بعض آثاره اخيراً الى اللغة الفارسية . ولزفايج الى جانب التراجم روايات وقصص في غاية الروعة ، نذكر منها (نداء الضمير) (و) ٢٤ ساعة في حياة امرأة) (و) ما جرى في شباب استفان

(و) امام الله) (و) النشال) (و) الرب) . والقارى . لا تأسف ان لا يشعر بوجود المؤلف بخلاف البعض من الادباء الذين يتحكمون بابطال مؤلفاتهم ويحرقونها كما يحرق اللاعب قطع الشطرنج . بل يحس القارى . وكأنه يجلس الى نافذة يستعرض منها المارة . فكل شي . طبيعي لا مغالاة فيه . . في قصته (نداء الضمير) نرى ضابطاً في ريعان شبابه يعرفه احد اصداقائه بأسرة غنية . فيدعى الى حفلة تقييها تلك الاسرة في احدى المناسبات . وكان الفتى قد سمع ان لصاحب الدار فتاة . فيأخذ بالبحث عنها وسط المدعوين حتى يجدها بين امرأتين كبيرتي السن ، فيبني امامها قائلاً :

— هل تسعين لي بالرقص يا أنسي ؟ . . لكن الفتاة يصفر لونها وتضع على المائدة بأصابع مرتعشة ومجركات عصيبة ذهلت الشاب ، ولم يعرف السر في كل هذا . فترك العجوزين تسندان الفتاة واعتذر متلعثماً . . وخرج حاثراً لعله يجد من يحل له هذا

الغز . ففر ان (اديت) ابنة صاحب الدار . . مصابة بالشلل . وانها لا تستطيع السير الا بمكازين . . وان يجلس في كرسي المتعدين ويدفئها الخادم امامه . لقد كان هذا هو السر في الضمير الذي طرأ على الفتاة حين دعاها (توني) الى الرقص وهي التي لا تستطيع الوقوف على قدميها . . ويأسف الشاب لما حدث فبرسل في

الصباح بطاقة من الورد وبطاقة . لم يعتذر فيها خشية من ان يعيد الى ذهنها ذكرى ذلك الحادثة المؤلم . بل كتب عليها اسمه وارسلها مع الورد الى (اديت) . . وتكثر زيارات الضابط للشاب لتلك الاسرة . فهو لا يجد في تلك المدينة الصغيرة التي تسكن فيها فرقته مكاناً خيراً من ذلك المكان ولا اصداقاً خيراً من الفتاة المشاولة (اديت) التي اخذ يعطف عليها ويرثي لها ، وابنته عمها (إيلونا) وكان يحس براحة نفسية عند زيارته لتلك الدار لعلسه بان احاديثه تدخل السرور الى قلب فتاة مسكينة تحتاج الى من يدخل الى قلبها السرور . . يصف زفايج كل هذا بأسلوب مشوق آخاذ حتى يصل بنا الى اليوم الذي يطلع فيه الشاب على حقيقة شعور الفتاة المشاولة نحوه . . فيعز . . انها تحبه . انها تهواه وتريده حبيباً لا صديقاً فحسب . . فينسحب الشاب من ذلك القصر . فهو لم يكن يعلم ان الامر سيصل به الى هذا الحد . ولم يكن يحظر بباله ان هذه الفتاة المتعدة ستفكر في يوم ما هذا التفكير . وفي

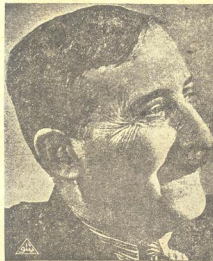


http://Archivebeta.Sakhrit.com

المسا. يدخل الضابط الى غرفته البسيطة ليجد فيها المليونير الكبير (هرفون ككسفالوا) والد (اديت) الهرم الذي هدته السنوات وقد جاء ينلس منه ان يكون رحيما . فينقذ الفتاة من موت محقق فيقول الشاب دهشاً - كيف انتقذها؟! فيجيبه الاب وفي صوته رنة الم وتوسل - ارجوك سيدي لاتصدها - انك ستنتهان ان فعلت . . . فتأخذ الشاب الشقة باديت وبوالدها الهرم . فيعود الى زيارة ذلك القصر . وعلى مائدة العشاء تضع المشالبة في اصبعه خاتم الحطبة . فيقبلها وينصرف وكأنه في حلم مزعج ثقيل فهو لا يجب الفتاة . . ولا يمكن ان يجب فتاة كسيحة . ولو تزوجها مضجاً بشبابه لما سلم من نقد الناس له . فهم سيطنون انه تزوجها طمعاً بال ائيبها . ويرى (توني) نفسه عاجزاً عن الصود والاستمرار في تخيل دور المحب . فيطلب من قائد فرقته ان ينقله الى معسكر آخر . . ويهرب من وجه (اديت) الى (جاسلو) حيث ينضم الى فرقة تمسك هناك وبعد أيام يصله نبأ انتحار الفتاة المشالة . . وكان ذلك في عام ١٩١٤ بداية الحرب العالمية الاولى فيلقي بنفسه الى الميدان ويستسلم في القتال لانه كان شجاعاً بل لعله يقتل فپراتح من تبكيت ضميره وتائب ذويه ؛ لكن الموت كان يفر منه فيعود من الميدان وقد منح عدة نياشين لبراعته في التدمير . ويقول وهو يروي قصته هذه لاحد اصدقائه (وهذا ما قصده زفايخ) ليس بطلاً كل من يلقي بنفسه الى الموت . . ففعل هناك امورا تطلبت منه بعض التضحية فلم يستطع تقديمها وفر الى الموت جبناً وعجزاً لا شجاعة . اما في قصته (ما جرى في شباب استاذ) فيصور لنا استغاف مرضاً من الامراض الجنسية (الساديزم) ياسلوب بليغ واثق . معتمداً كمعادته على نظريات (فرويد) في علم النفس . وفي قصته (٢٤ ساعة في حياة امرأة) يكسني زفايخ بوصف بيدي شاب مقامر على مائدة القمار في ست صفحات ليعطينا بهذا الوصف صورة واضحة لنفسية ذلك الشاب ولا تتسع هذه الصفحات لاستعراض كل آثار زفايخ ، لكننا نتم قصة بدأتها حين تحدثنا عن استغاف هي قصة حياة هذا الاديب نفسه . . لاقى زفايخ من

الاضطهاد في العهد النازي ما جعله يهاجر الى البرازيل ويقيم في (بتربوليس) . لكن الشيخوخة والمتاعب التي لحقت من الجستابو أثرت في قواه الجسمية . فظهر ذلك واضعاً في كتابه (البرازيل ارض لها مستقبل زاهر) وكان هذا الكتاب آخر ما انتج زفايخ . وفي ٢٣ فبراير ١٩٤٢ فتح الحارم الباب ليرى استغاف بمدداً على سريريه وبجانبه زوجته (اليزابت شارلوت زفايخ) وقد فارق الحياة . وكان هناك كاسان على مائدة صغيرة بجانب السرير . . وبعد لحظات أخذت تقص العرقلة برجال الشرطة وعلى رأسهم النائب العام وبعض الأطباء راحوا يمعنون النظر فيما تبقى في الكاسين . وثبت بعد الفحص ان الكاتب الكبير وزوجته قد انتحرا بالسهم المعروف بـ (سيانور دويوهاسيوم) . اما لماذا انتحر زفايخ ؟ فيوضح هو ذلك في ورقة تركها على طاولة التحري في غرفة مكتبه (اني استغاف زفايخ كاتب هذه الرسالة ، اغادر الحياة عن طيب خاطر محتفظاً بكامل قواي العقلية شاكراً للشعب البرازيلي لحافوته في ومساعدته اياي ، فقد وجدت في هذه الارض ما جعلني ازداد لها حباً يوماً بعد يوم غير اني وقد انتفضي من عري ستون عاماً احس بضعفي جسمي . . لقد كان هناك شيئان يجلبان لي الحياة هما : انتاجي الادبي . . وحربي الشخصية . اما اليوم فأجدني غير قادر على الاستمرار في الانتاج . وأرى بعين الحوية وقد اصضت في اوربا أثراً بعد عين . هذه الاسباب جعلتني اودع احدقائي متمنياً لهم فجيئاً منيراً بعد هذا الليل الطويل المظلم . اما انا فلا طلاقة لي على الصبر حتى يبرغ ذلك الفجر . لذا اذهب مسرعاً . استغاف زفايخ ٢٣ فبراير ١٩٤٢ وهكذا ختم الكاتب الالماني الكبير حياته . وابت زوجته ان لا تشاركه هذا المصير . وظلت صحف اوربا تتسائل اكانت هذه الاسباب هي التي دفعت استغاف الى الانتحار ام ان هناك سراً أبى ان يكشفه هذا الرجل الذي كشف بقله ادق الاسرار . ما لا شك فيه ان للتدبيب الذي لاقاه و الاضطرابه الترك بلاده اسوأ الاثر في نفسه . وعلى كل حال فقد ذهب هذا الكاتب الكبير ضحية للنظام القائم على اشرار الحوية .

بصرة - العراق مهدي عيسى الصفر



اعيش ضجيج النهار والمجتمع ، اعود الى بيتي وأهلي ، ثم اخلو الى غرفتي اخلع عني ملابس النهار والمجتمع لارتدي لباس الليل الضفاد فاحس راحة تشمل جسدي وروحي ويصبح كل هذا الضجيج الذي خضته اثناء النهار مجرد ذكريات وخيالات تستند وجودها من غياب واقعا . هنا اخلق «مجتمعي» بنفسي بما فيه من اصدقاء ، واعدا ، ومجانين وعقلاء وحيوان وجماد . ففي الحلاوة اصبح محور هذا الوجود الذي اخلقه وأزحمه بالآخرين لانهم من خيالي حتى ولو احسست بأنني لا املك ابعادهم .

وفي المجتمع يكون الواحد منا اقدر على ضبط عواطفه ومشوره واقدر على التحرك نحو الهدف القريب الواضح ، اما حين اخلو الى نفسي فاني احيا اخطاطي وارتفاعي ، فأحب الى درجة الجنون واكره الى حد الجرمية . لكن ثمة خطوة لا تنتشر من ضباب اللاشعور الى هذا الحد ، ذلك حين اكتب . فالكتابة تجد من انطلاقة الروح التي كتبها المجتمع طوال النهار ، تحديدا لا يشورها لكنه يعطسها هذه الحرية العريضة التي لا تعترف الا بنفسها . والنهار يعطيني احساس كبير ، مما بين احداث قد تكون تافهة واخرى قد تكون خطيرة بالنسبة للمجال الذي تحرك فيه ،

لكنها تؤثر في نفسي دائما كأنها اهتزازات تسجل على آلة المسجوجراف . وهذه العواطف التي تنشأ عن الاحداث تولد بدورها افكارا الى جانب ما تولده من استجابات لهذه الاحداث . اما الاستجابات فانا نعاقل بها الموقف او الحدث ، اما الافكار فهي تظل معنا نستطيع ان نحتضنها ونستفيد منها اذا نحن راعيناها ونهيناها ونهيناها الى ما فيها من خصوصية وتذوق .

والواقع ان الحياة الانسانية خضبة الى اعظم درجة يمكن تصورها ، خضبة يشق الامكانيات التي يمكن ان نحقق مقدارا كبيرا منها اذا نحن بذلنا بعض العناية ، والتي يمكن ان تموت اذا نحن تركناها تمر دون اكتشاف . والعزلة الخضبة هي التي تجبي بعد حياة صاخبة بالآخرين او بما يسيبه الآخرون من قلق وحب ونضال ، هنا في العزلة نجمع هذه الانجزة المأثرة الى التسيان ونزكها في ذاتيتنا لنعطيا اللون الخاص بها هادئا رقيقا .

ورغم انه من الصحيح ان الاحداث التي تمر بالانسان تؤثر فيه

بالضرورة ، الا اننا نرى اشخاصا لا يستفيدون من تجاربهم الماضية قدر ما يستفيد غيرهم منها . وهذا راجع الى ان هؤلاء لا يعطون انفسهم فرصة لاحياء ما ربحوه بعد جهادهم طوال النهار . كتاجر عمل طوال النهار ، من المؤكد انه ربح شيئا ما ، لكنه يهمل ان يحصي ما ربحه ، بينما الآخر ، دائما عندما تقف الطريق ويتد المليل ويعرف ان احدا ان يعود ذكائه ، يفتح خزائنه المحبأة ، والتي قد لا يعرف احد مكانها ، ثم يعد تقوده ويحب في دقة مقدار ما ربحه اليوم . ان كثيرون لا يعطون لانفسهم هذه اللذة الاحساس بالربح . وقد طفت علينا حياتنا الاقتصادية البرجوازية بحيث علمنا ان الربح لا يكون الا في النقود والانتاج ، بينما نحن نستطيع ان نتصور ان هذا النوع من الانتاج المربح سيؤول ، لكن بما لن يزول ، هو ذلك الربح الروحي الذي نعود به آخر النهار بعد ما بذلنا من عواطفنا وافكارنا للحياة الدائمة الصاخبة . نعم ، يجب

ان نعود بربح في آخر النهار . يجب ان نحصل على شيء . وان نكتب شيئا . ان اعمارنا تنمو والعالم ينمو ، واجيال توت ، واجيال تولد ، ونحن نندفع وسط السباق ، فكيف نعود فارغين بعد كل هذا الجهد الذي بذلناه من نفوسنا وواقفنا ولحظات حياتنا ، وبعد هذا الذي بذلناه بنفقات قلوبنا وصحتنا واعتصاراتها ؟

الماء من ٧ نوفمبر

أقبل الشتاء ، الشتاء الرائع قد أقبل . اني احس انني قل . لقد اقبل الشتاء ، الشتاء الرائع قد اقبل .

بالامس كانت الغيوم تغطي السماء ، واحسنت الشتاء يذب في ذاتي ، ولشد ما احب الشتاء . كانت الشمس ستغرب ، فهرعت اجري ، جعلت اعدو ، اعدو مع الريح ، حتى وصلت الى حقول خضراء ، بين النيل والجبل . ووقفت ارقب الشمس ، كانت رائعة رائعة ! هذا كل ما يستطيعه التعبير البشري . كان هناك لون ناصع جدا ، يركش السحب العجيبة ، ووراءها جرة نار متقدة ملتتهبة جرة حمراء تشتعل كنفسني . وهذا النور الابيض الناصع رهيب ، رهيب وعذب . وكانت ثمة اعددة من الدخان تنتشر من الشمس متفرقة وراء السحب كأنها هي اجنحة من لهيب تحرق الغيوم العجيبة كان النور ناصعا ، ناصعا جدا ، ثم ابدأ ينطفئ . شيئا فشيئا ، حتى بقيت منه حواش تحبب الغيوم ، الغيوم التي اصبح لونها كهو مانيا



<http://ArchiveBeta.Sakhpit.com>

مخلياً ، كانت النجوم ناعمة ، ناعمة جداً ، ثم سرعان ما انقلب لونها بنفسجياً مخلياً ، لكن الحواشي كانت لا تزال بيضاء ناعمة البياض . وكان الجو دافئاً ، لم يكن بارداً ، كما بل كان دافئاً . وكانت الشمس قد غرقت وتركت وراءها سحبا قاتمة . والقمر ، من فوق الجبل يصاعد في بطء . لم يكن في وضوحه الفاضح كشأنه في الصيف ، بل كان هذه الليلة رائعا كسفن ، قد التفت حوله النجوم ، فبدأ كضباب من النور ، لا معالم ولا حدود ، بل هو منتشر حتى ملأ السماء والأرض بنوره العجيب .

وفي الفجر ، في هذا الفجر صحت قبل بزوغ الشمس ، وخرجت خرجت لارقص واغني ، فالشتاء قد أقبل . كان القمر لا يزال بين السحب ، لكنني لم أر ضباب النور ، لم يكن هناك ، بل كانت ثمة سحب قاتمة ينبعث من ورائها النور ، عرفت انه وراء السحابة الكبيرة ، لكنني لم أره ولا رأيت ضباب النور . ومن هناك ، من وراء السحابة القاتمة كان ينبعث النور ، فكان الجو كله يسبح في سكون ، في فيض من جلال . وكان الجو لا يزال دافئاً ، دافئاً عذبا ، والغبار يتطاير ، والرياح يتساقط خفيفا ، والنور في كل مكان حتى في نفسي . والشمس بدأت تلو مرة أخرى ، كانت زائفة ، زائفة جداً . والنور الأبيض الناصع ، النور الناصع عديم جديد ، أشد بياضا وأكثر فرحا وتوهجا . ولذبت إلى الحبل بين الجبل والليل ، ومر امامي بعض المارة ، لم يكلوا انفسهم مشقة النظر نحو السماء . والجبل ، والليل ، اكتسبا - مثلاً - اكتسبت - ذلك النور الناصع . لم يكن ثمة شمس ، بل نور ودفء ، في كل مكان .

السماء من ١٦ نوفمبر

موقف الناس في الحياة من تجاربهم ، موقف قراء القصص الرمزية مما يقرأون ، بعضهم - ممن لا يزالون في مرحلة الطفولة الروحية - لا يفهمون من تجاربهم التي تقوم بهم سوى حوادث وحركات ، انهم لا يدركونها الا في صورة احساس ، اما القليلون فانهم لا يفهمون عند السطح ابداً ، دائما يعبرون هذه الاسوار الرمزية التي تحيط بالعلمي ليعبروا مع اعماق التجربة . وهنا قيمة الذات ، فليس من الضروري ان يكون كاتب القصة قد قصد شيئا على الاطلاق غير مجرد التعبير ، لكننا اذا افهمنا ذاتنا في القصة فقد نستطيع ان نستخرج منها معاني ما قصد اليه الكاتب حين دون سديده .

ان داناهو اننا نباتات شيطانية ترعرعت في بيئة جرداء عاطلة . نحن عصاميون ، كوننا هذه الثروة الروحية الضئيلة بجهود

جبار ، وكفاح مستمر . ليست البقرة هبة ابدأ ، الا ان تكون هبة الرغبة في النور والكفاح . انها ذلك الجهد المتواصل لتكوين عادات التفكير الدقيق ، والاغارة على الحدود ، ومعاناة التجارب . انها ذلك الانكسار المتواصل لحلق عادات الملاحظة والتعمق والتعبير . انني هنا احس ان الانسانية كلمة مجردة اكتسب لها . ذلك هو ما فعله كل انسان كتب اعترافاته ، انه جعل من الانسانية قسيسه . اني اذ اتصارع مع كل هذه الانفعالات والمخاوف والامال انما اشبه هؤلاء المتصارعين مع الوحوش ايام الرومان ، كل الفرق بيننا ، هو اننا اليوم نذهب لتعرض صراعتنا على الناس ليتلذذوا برؤية دورنا الرهيب حتى تفترسنا الوحوش بين هتافات النظارة وضجيجهم .

لقد ذهبت بالامس الى فيلم « اغنية برنات » واعجبتني فيه فكرة الحب بلا دنس التي كانت تشير في القصة الى مريم العذراء . فقد عادت في هذه الجملة الى الحياة الفنية ، وهل من الممكن ان يكون هناك حب بلا دنس ؟ هل من الممكن ان يظهر بين الفنانين « مريم العذراء » فيدل عملا عبقريا بغير ما دنس . واعني بالدينس هنا ذلك الألم الخطير الذي يعانيه الفنان عند اتصاله بالموضوع الخارجي سواء بلفظ فكره ويخضع عواطفه . ذلك هو الدينس ، حين تختلط بالعلم المزدحم بالخطيئة والالم ، حين تتخرج بالوحل والقراب من اجل الحصول على فكرة ؟ هل تمت مجال لحداث المعجزة هنا ؟

السماء من ٢ ديسمبر

شهور وأنا مندفع في رحلتي نحو الداخل . وهذا الرحيل نحو الداخل " شد ما يثير في جوأ سحرية ، جوأ شرقية رائعا . وفي هذا الرحيل ، في هذا التفتقر نحو العصور الجيولوجية الاولى للنفس ، اصطنع رموزا لاتحدث بها عن ذلك العالم الاسطوري اننا نخلق الاساطير لعلنا الروحي ونحن نؤغل في مجاهل فرحين بكل اكتشاف نعث عليه بين طبقات غطاها زمان من اعمال الناس وكثافة نفوسهم .

انني اقرأ في تدبير المتوحد لاين باجه ، واقرا كلماته في لذة وفي متعة وارتياح . احس اللذة في هذه المشاركة الروحية التي تربطنا معاً ، واحس المتعة حين ادرك ان نفسي تحتلج بأحاسيس وافكار اختلج بها فكر منذ اكثر من ثمانية قرون . وأحس الارتياح حين ارى انني لست وحدي في تجررتي في الحياة ، لست متوحداً هنا . . ان لي رفقاء . وانني لاستطيع ان اقرأهم في الماضي واتهمهم في المستقبل . انهم يحسون ان الحال التي يصلون اليها بعد مشقة وعسر لا يستطيعون اخفاها لما لها من البهجة والسرور واللذة

ويحدث ان ينمو الجنين في بطن امه ، تغذيه بدمائها وتحميه حياة من حياتها ، ثم يصبح رضيعاً تطويه ثديها وتقبله بدموعها ، ثم يحدث ان تقترب اولى خطواته وان تفرح بأولى كلماته وان تضمه الى صدرها كلما اقبل فرحاً او خائفاً ، ويحدث كذلك ان يحبها الطفل وان يناديها كلما اصابه مكروه صارخاً : اماءه ، وان يردد في كل مساء تلك الصلاة التي علمتها له ، ثم يحدث ان يفصل الاثنين ، ربما لا يعود احدهما يعرف الآخر ، ويصبح الواحد اثنين الى الابد . وكألفئة مئة هو بين اتصال الامر وانفصال اليوم استطاع الزمان وحده ان يعبرها بعمقيرة شيطانية .

ويحدث ان تجيش نفس انسانية رغبة او خلفة ، ربما صاحبتها ظلالها منذ الطفولة وهو لا يزال محبوباً ، وربما اتضحت له ذات لحظة حين مررت به لفحة من عطر قديم يعرفه ، ثم يحدث ان تنمو هذه الرغبة منحصرة من كل لحظة من لحظاته ، ثم تبدأ هذه الرغبة في الانفصال عنه في عمل ما ، لو كان فتاناً ربما كان قصة او قصيدة ، ثم يحدث ان يمر الزمان واذا بنا نحتاج الى شيء من الاجتهاد كي نذكر كيف كنا وهذا العمل شيئاً واحداً ، فقد انكرونا وانكرونا ، بل ربما اصبحنا نخجل منه او هو ينجعل منا لجرد ان يقال لاحدنا اننا كنا واحداً من قبل .

هذا يحدث دائماً كل يوم ، في كل لحظة : ان يصبح الواحد اثنين الى الابد . ويحدث ان الانسانية التي كان ظلها ينمو شيئاً فشيئاً مع غر قلوبنا ، والتي بدأت رغبة عميقة مختبئة من نفسها في اعماقنا ، ثم اتضحت ذات يوم في وشاح حلو . . الانسانية التي مزجتنا مستقبلها بمستقبلنا وجعلنا هدف ماضيها وماضيها تلك الوحدة التي اصبحت بيتنا ، الانسانية التي ضغطنا على يدها في لحظة حنان وتطلعتنا الى عينيها حين حققتنا ومسينا بدموعنا ، نعم يحدث ان ينطفئ . كل هذا والا يكون مصيرنا الى مصير الطوبى والام وابنها والفنان وعمله ، ويحدث ان نفرق في قسوة هذا القيد الحورية التي نسجناها حول أنفسنا في لحظة اخلصنا لها والفتيا فيها كل ماض وكل مستقبل . ويحدث أننا نستطيع بعد هذا ان نسير ، وأن نصر في جراحة على ان غضي متبعدين نحو اراض جديدة وشمس جديدة لهذا تندفق الانهار وتنشعب الطارق .

تلك هي آلامنا نحن البشر ، ولهذا نحن وجدنا النوع الذي يشهد ان لنا وجودين : وجود روحي يتطلع نحو المجهول ، لكن له كذلك عينونا لا تهدأ دائماً تحرق كثافات الماضي باحثه عن جرح أو ذكرى ، ثم وجود واقعي لا يعرف الا الحسم والبتر . ونحن

والجور كما يقول ابن طفيل في قصته حي بن يقظان ، انهم يعانون حتى يحصلون وييمانون حين يقدمون او يتألون حين يرفضون ، ويظلون في حزنهم وألمهم مختلطاً بتلك الهبة والمدة اللتين حصلوا عليهما .

انني اجد عزاء عميقاً في هذه الفلسفات ، اننا لا اقرؤها بل احس انني عشتها من قبل وأعيشها مرة أخرى . لكم نرحح حقاً حين نجد انساناً عاش تجربتنا ولو كان من اهل الماضي الذين تحولت أجسادهم تراباً . اننا نحس ان هناك مخلوقاً قد احس احساسنا فاستطاع ان يشاركنا آلامنا لانه عاناها ومن ثم يستطيع ان يعرفنا ومحبتنا ولا يمكنه ان يكرهنا ابداً . وهنا نشعر ان الزمان لا وجود له ، فوجوده في الماضي لا يقلل اطلاقاً من فرحة هذه المشاركة . وكل تعبير عظيم هو الذي يعيد اليك الثقة بنفسك وبالحياة وبالوجود .

ان المعرفة سلاح ذو حدين ، فهي تسبب سعادة من ناحية وشقاء . لنهاية له من ناحية أخرى . وهنا يبدو المستوى الروحي المغري الخطر ، كهؤلاء الأتھات السلك اللاتي كن يغنين في جزيرتين عند عودة اوليس من حروبه ، كان غناؤهن عنياً وجيلاً ، لكن الويل لمن يقترب منهن فالمعرفة تربض سعادتها في مجرد الرغبة فيها والحلم بما يمكن ان تتأدى بنا اليه ، ولكنه الشقاء الكبير الذي نخجل عليه في النهاية . وتلك هي قصة آدم عندما أكل من شجرة المعرفة .

ونحن نقفز في اندفاع كي نملو درجات السلم المسد حتى اللابائية ، ونظل نملو ونملو حتى نجد انفسنا غير قادرين على العودة الى ما كنا عليه ، فرادى وقلائل . بل كل يصبح وحيداً وحده لا يسعد بها لكنه لا يستطيع ان يغادرها . ما أشبه ذلك بالاسكندر المقدوني الذي غزا العالم كله ثم بكى لانه لم يجد بلداً أخرى يغزوها ، وبهذا اعلن المقدوني بطولته .

المساء من ١٠ ديسمبر

هذا يحدث . . نعم انه يحدث ،

نعم

يحدث ان يلتقي طريقان ، ربما يبدأ أحدهما من مدينة عظيمة والآخر من مدينة حقيرة ، لكن يحدث ان يلتقيا في لحظة واحدة فحسب ، ربما بالقرب من غدير ، او عند ظل شجرة وارفة ، او في مهب حقل من الورود ، او حيث يعبر العاشقون في طريقهم الى غابة هادئة ، ورغم هذا فانه يحدث ، نعم انه يحدث ان يفترق الطريقان بعد هذا اللقاء . . ومعني . . ربما احدهما الى مدينة عظيمة والآخر الى قرية حقيرة .

الظفر الصبيغ

«..الى ذات المايكور للتهب.»

قامت .. الى قارورة
ملاؤها الوردى .. هف
.. واستلت المبرد من
يحت .. عاج ظفرها

وغرد القص .. فوق
يحصد في نقلته
ويأكل النور الذي

واهتزت الريشة .. ذات
باهرة .. ماهرة
تترك بعض كبدها
وتفرز الغروب .. الف
اين تغطين .. أفى الانا. .. أم عروقي ..

هنية .. فالسلم العاجي .. في حريق
شعر شموع اوقدت
لا تستري اليد التي
حروقتها حروقي ..

يا ظفر .. يا وردى ..
ان كفرت سيدتي
فقل لهما انك قد

انقرة

محسومة الحريق
الكرز القتيق
غمده له رقيق
المدلل النيق

الممرس القريق ..
نخاعة البريسق
تاه عن الطريق ..

المقنص الانيق
فتاة الخنوق
للناحل المنيق

جدول هريسق
.. أم عروقي ..

يا سجادة العتيق
بعمدي الوثيق
رضعت من عروقي.

يا سجادتي
بعمدي الوثيق
رضعت من عروقي.

زار قباني

تتعذب في هذه الأرجوحة الجمشمية : ما بين اتصال في الروح لا
يزال وانفصال في الواقع . ثار . من هنا تنبع الآلما : اننا لانسى
وان افترقنا ، وليست لدينا هذه العبرة التي بها نغمر الماضي جميعه
في حلة الحاضر ، اننا أحيانا ما نحب أن نحفظ للماضي في مكانه
بغير أن يخلط بقلق الحاضر واضطرابه .

فهذه الثنائية التي نحيا فيها : ثنائية الاتصال والانفصال هي
ينبوع آلامنا . أما حيث يتحقق ثمة اتصال مطلق أو انفصال مطلق
فلا ألم ولا عذاب . ولكن الحياة تهيئ بنا أنها سلسلة من الانفصال
حيث يبكي ملايين البشر : من هؤلاء الذين اضطروا أن يبيعوا
كوحاً عزيزاً عليهم كان كل تراثهم ، ومن هؤلاء الذين سلبوا عملاً
أو ابناً أو صديقاً أو قلباً كانوا قد أودعوه كل أسرارهم وخطباتهم ،
ومن هؤلاء الذين فقدوا شيئاً كان يذكرهم بليظة حاوة جميلة أو
فقدوا خطرة جميلة شردت عنهم أو آملاً أو حلاً .. بشكل هؤلاء
الذين يفصلون عن أجزاء من وجودهم يزدحم وادي الموت حيث
يعبر القانون مرة وإلى الأبد ، وهم يصعبون ويضعفون .

الماء من ٣٨ ديسبر

معذبة بهذا الحلم الذي يتراءى أمامي دائماً والذي لا
يتحقق . اني في حاجة الى قوى جبارة منبثقة من
اعمال لا يهتكم في السليع مواصلة السير . ان الطريق طويل طويل .
الباب المغلق . هذا هو الاله الذي يعذبني ، هذا الرمز الابدني
الجنون يدفع في سريري «رغبات تتلوى بلا منفعة .

منذ زمن بعيد خرجت ابحت عن المعنى في حياتي ، منذ خرجت
أجوب الارض ، خرجت ابحت عن المعنى في حياتي ، فوجدت امامي
باباً مغلقاً .

وهذا الحلم الذي لا يتحقق يعذبني ، عائلتي جنونا . في حاجة
الى قوى جبارة كي اواصل تحركي ، كي اواصل مجشي عن المعنى في
حياتي . وهذا الباب المغلق لا يزال واقفاً امامي يعذبني .
والزمن يمر في سرعة بينما أنا أترجح ، هذه كل حركتي في
الزمان انا لا أزال أحلم ، أعلم بشي . حبيب يفتني ويقتلني .
وهذا الباب المغلق لا يزال واقفاً أمامي مغلقاً لا يريد ان يفتح ولا
حتى أن يرتجف .

في حاجة الى أن أجمع شتات نفسي المنزقة ، النفس التي مرتقتها
السنون والروى والاساطير والاحلام ، من أجل ان اشق طريقي
من جديد ، وأجوب الارض باحثاً عن سر حياتي .

الفاخرة

يوسف الشاروبي

صديق الموج بيير فلوري

«... ولوحاته حتى ولو كانت بدون سفن وأشرعة» فان «هاوانه»
وبجوره فياضة بالحياة، انها مثلثة بشخصيته وعاطفته.» شارل بوسان

بفلم جميل صوري

كبروه

هم الذين صورو البحر وحاولوا ان يبهروا عيون
الناس بدقائق الحياة وعقها ومخاطبتها بين امواجه
بعد ما انهجروا هم انفسهم بعظمتهم وبجياة سكانه الفضة المليئة
بالعق والصفاء. الا ان الذين اجادوا التعبير عن البحر في صفاته
وهياجه، في سكونه الرهيب وثورته العنيفة، في امتداده الى
البعيد واصطدامه بصخور الشاطئ... هؤلاء ليسوا بالكثيرين
بل لعلهم نادرون بين المصورين. ان الصبر الذي يلزم لمعرفة كنه
البحر وحياته لا يجذب كثيراً من الناس، بله المصورين... انه
يجذب من عزم في اعماقه على المخاطرة وركبه حب المفاجآت،
واستعبده السكون المفكر.

وفناننا بيير فلوري Pierre

Fleury - من هؤلاء الذين
عاشوا فترات بين الامواج
وشهدوها في صفاتها وانبساطها
تحت سما زرقاء، يبتلعها افق بعيد
بعيد تلاءه الوان الذهب والنحاس
وتقفوها في ثورتها وهياجها
على اغوار الدماء المطبقة على
انعاجاتها واحدودها المشعشع
ولقد اسعدنا لحظ بالتعرف
على هذا الفنان الذي يقارب عمره
الخمسين سنة بواسطة فئاته الجميلة

التي شامت ان تقدم لنا اياها يوماً ونحن في سورة التمتع بوسيقى
العاث الشبيه دوبري - Dupré - الذي كان يلعب على ارغن
كنيسة سان سلبس. وشاء الابد الفنان ان يدعونا لزيارة مرمره.
حقاً - اياها القساري. - وانت تدخل مرمره المني. بروائع
البحر تشعر وكأن اصطحاب الموج يرفا الى اخنيك نذير العواصف
وزئير الريح، ويجلب الى انفك رائحة البحر، ونحس وكأنك
تطعم الى فضاء جديد بل تستطيع ان تجد في صور (القواكه)
ولا الصور الشخصية Portraits ولا الدواخل Les Intérieurs فان
في ذلك النوع من التصوير محدودية لم تطلقها روح فناننا ذي النفس
الكبيرة فانطلق يبحث عن

ميدان اوسع وعن وسط يعبر
فيه عن عواطفه وجهه للمخاطرات،
وقد وجد ضالته في البحر
وحياته المتنوعة الصامتة على
فكر وتعمق. وكانني بريشته
وقد احرقتها اشعة الشمس
وغسلتها دموع الدماء ونشفتها
هواء البحر فلم يعد له ان يأنس
هذه الحياة الراكدة ذات الحدود
والقوالب، هنا بباريس بين
ساحة الكونكورد والانفاليدي
وموغارترو والباستيل... الخ.

قصر جزيرة بو غرب فرنسا على المحيط

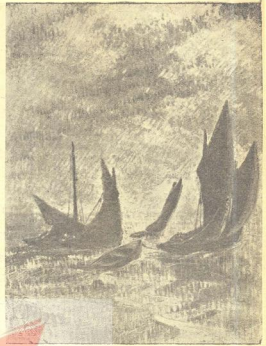
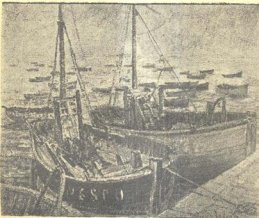


ولو راجعنا ذاكرتنا عن الانطباعيين الكبار - Les Impressionistes لوجدنا انهم او ان اكثرهم لم يكنهم رسم المناظر الضيقة الحدود بالنازل والاشجار ، او رسم الجادات Natures mortes والاشخاص وانما هربوا أحياناً كثيرة بريشتهم الى الساحل يستوحون انسياب الشراع وانطلاق الموجة ، وراحوا يتخذون من البحر مقسماً لارواحهم المتججرة المتعشة الى الهواء الطلق . وليس اقرب الى الذهن من بيسارو Pissaro وكورييه Courbet وسيزان Cézanne ومونيه Monet وأمثالهم .

يقرب فلوري الآن من دخول العقد السادس من عمرة ويعيش مع زوجته وابنيه كريستيان وميشو اللتين يجهبها ويعطف عليهما ، في بيت هادئ . قرب حديقة الوركسبور ، عيشة بسيطة لا تكلف فيها ولا تعقيد وقد أثرت الحرب الماضية في حياته ، كأكثر الفنانين الفرنسيين ، وأتلف الالمان عدداً كبيراً من صوره . وما يذكره عن إحدى الصور التي اتلفت وهي صورة تمثل عودة أحد قوارب الصيد في وسط عاصفة ، انها قطعت الى عدة اقسام واخذ سطحها الذي فيه القارب وترك المحيط الحشي وما تبقى حوله من العاصفة .

ينضوي فلوري تحت راية الانطباعيين الا ان في اعماقه ميلاً الى التخصص والتفصيل في فنه فهو يرسم لنا موجة واحدة ترتفع على يشاره وتتأوى بحوثة رشاشاً ابيض لماعاً يتهاوى ثم يكفئ بهذه الموجة وجدها موضوعاً لصورة جعها يقرب من المترين . ثم نراه يرسم لنا مجموعة من الغيوم المتكاثفة يعطينا امثلة حية عن

ميناء Kérity-Penmarc'h على المحيط



قوارب صيد الساردين الغدبة على المحيط الاطلسي

ان ما اعتلأ به نظر فلوري واحبه هو السماء ، عند الفجر وعند المساء ، عمقها الباسم وسكانها من الغيوم الملونة والمتغيرة الالوان على مر اللحظات .

ولعلنا واعون حقيقة فنه وحساسية انتاجه لو علمنا كيف انه عبد البحر في مساجاته الشديدة التقلب ، والوانه ، والاشعة المناسبة التي تظهر - كل من - شيئاً فشيئاً كرموز للعودة والرحيل . وان الكلام عن فلوري لا بد ان يذكر صاحبه المصورين الذين خصوا البحر - من قبله - باهتمامهم العظيم واعطوه من روحيتهم ما احيا نتاجهم وقيمه مثل المصور الانكليزي تيرنر Turner الذي سحره صفاء البحر في سواحل إيطاليا واخذته مناظر غروب الشمس وهو يبحر على قوارب الجندول في فينيسيا . والمصور الفرنسي الشهير كوروت Corot الذي كان يعرف حقاً كيف يوشى السماء . بلون الذهب على ضفاف زرقاتها الصافية . ويودان Boudin - الذي سماه المصور الفرنسي المشهور كورييه Courbet (ملك تصوير السماء) و (روقايل السماء) .

(طالع القمر بين بحر من التيوم) او زاه يصور لنا البحر في هدوئه وامتداده مجتمعاً عند الأفق بالساء، فلا ندري بينها انفصالاً بخط او لون ، على انها يفصلان في مخيلتنا ويكوّنان في امتدادهما لانهاية حددها لنا العلم . هنا في هذا التفصيل والشرح والتخصص يمكن ان نشبه عمل فلوري بالعلم ونشبهه هو بالعالم المتخصص في البحر ولو سألناه عن الموج لرأيناه ينظر اليها اولا ليتمتع رؤوسنا ثم يذهب بعد قليل ليعرض علينا صورة مملأها اصطحاب من الالوان رائع ، ثم يؤشر : (هل ترون هذا الانخفاض هنا ؟) انه يزيد على امتار ، هنا ترتفع الموجة الى الاعلى فيبقى مكانها خالياً الا من الهواء لان سرعة حركتها اثرت على الضغط . ها هنا يقعد الصيادون احياناً توازنهم فيفقدون قواربهم . . وانفسهم من بعد .) ومعرفة فلوري بقوارب الحديد واسرعة البعار المختلفة لا تقل عن معرفته بالموجة . وقد عاش ١٣ سنة من عمره على قارب يجثم في نهر السين قريباً من متحف اللوفر .

ويعتدنا فلوري عن الماء . . عن الانحناءات الجميلة التي تبعتها فيه الحركة ، عن التاوينات البراقة الرائعة التي تحدثها فيه الاشعاعات التي تعرق على تتابع انكساراته ، عن الهياكل التشكيلية التي

تحدث على مقربة من هزة العاصفة . . هنا زى كيف ان فلوري درس دقائق كل هذا بصبر وحُب .

وعلى ان العهد بالبحر ان يكون في ايام عواصفه وامطاره باهت اللون معتم الظلال تتداخل فيه الاشكال في الخطوط وعيشي اللون على طريق الموت ، فنحن زى في الواح فناننا بهجة وبريق في الالوان ! . . هنا نقف قليلاً لنفكر ، ثم لنعزّز انه عبر بألوانه الجميلة الحيدة التباين لا عن الواقع المنظور فقط بل الاحساسات الداخلية التي تحملها روح الجو . . مرحر الصيادين ، اغانيهم الساذجة واقاصيمهم الحرافة الزهية واجتماعاتهم الفريدة . انها حياة لا يعيشها كل الناس فهناك يعيش المرء امسيات ساحرة مملأها شجوب الافق وحلقة الشاطئ ، الصامته ، ترتعش في الجوانب وعلى مؤخرة كل قارب اضواء حمراء . اوهكذا تبدو ، قلل من قوتها ضباب كثيف قد غشى كل شي . . ومن بين هذا يسمع من يمد صوت صياد يعود بقاربه فيرجع الشاطئ ، صدى اغنية الى البعيد . هكذا يعيش فناننا . وهكذا يستطيع أن يعبر لنا عن كل هذا بصدق واخلاص .

جميل محمودي

باربين

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com



أفرو ديت

ترجمة البيرة ماهرة النضيري

نذكرنا

- اريد عقداً من اللؤلؤء اعلقه على صدري عندما ارقص لك في غرفتي رقصه الافاف في مسقط رأسي . فوقع حاجبيه وسأل :
- هل هذا كل شي . ؟ - هل ستعطيني المقد ؟
- اي عقد تختارين ؟ فقالت بصوتها الخنون .
- اي واحد اختار ؟ هذا ما كنت اريدك ان تقول . اذن استدعني اختار هداياي ؟ . - بالتاكيد .
- هل تنقسم ؟ . - اقسم .
- باي قسم ستقدم ؟ - لقتني القسم الذي تريدن .
- اتقسم بأفرو ديت التي صنعت لها التمثال ؟ .
- اتقسم بأفرو ديت التي صنعت لها التمثال . لكن لماذا تأخذين كل هذه الحيلة ؟ .
- كنت قلقة ، اما الآن فاشعر بمرور عظيم . ثم رفعت رأسها وقالت :

- لقد اخترت هداياي . فسلأما وهو يشعر بالقلق يساوره مرة اخرى . - وكيف كان ذلك ؟ .
- نعم - هل تحسب انني سأختار ابي امرأة فضية تستطيع ان تشتريها من اي تاجر ازيمري . او اي غانية مغرورة ؟
اريد امرأة صديقتي باكس التي اخذت مني احد عشاقني في الاسبوع المنصرم ثم تكلمت علي بمجدد في بيتها اثناء حفلة من حفلاتها المتهتكة التي اخبرني عنها تريفيا وموزاريون وغيرهما من الشباب الماجنين . وهي تعتبرها جداً لانها كانت في يوم ما ملك روديس الذي كان شريك ايسوب^(١) في الرق وقصد

هذه القصة* بالاسكندرية في القرن الاول قبل المسيح . كانت فيها كريسيس من اجل غايات الطبقة الارستقراطية الطليقات فهي غنية وشديد الاعتداد بنفسها . وكان فيها ايضاً ديتريوس صانع التاتيل اليوناني عشيق برنيس ملكة مصر . وكانت النساء يلاحقنه على اختلاف طبقاتهن فلم تستهوه امرأة منهم . وعلى غير توقع احب كريسيس وحينما فاجحها بذات نفسه وعرفت من هو اجابته بكل ازدراء :
منهد الحب في اللفة

- لقد اعتدت على حب النساء الاخريات . لكن هل تدري مقدار ما يكلفك حب غانية طليقة لا تريدك ؟ فاجابا بمجدد .
- اتا لا اطلب منك ان تحبيني . لقد لعبت من الحب ولا اريد ان احب . اريدك ان تبني لي نفسك ، وسأعطيك كل ما املكه من ذهب في مصر .

- ان شعري الذهبي اثن من كل كنوز الدنيا . لقد كرهت الذهب ولا اريده - انني اريد ثلاثة اشياء فقط . . فهل ستعطينيها ؟
احسن ديتريوس بانها ستطلب المستحيل منه فنظر اليها بقلق فابتنست ثم قالت في هدوء . - اريد امرأة من الفضة تستطيع عياني ان ترى نفسها فيها . - لك ذلك . وماذا ايضاً . تكلمي !
- اريد مشطاً من العاج المزخرف لانغسه في شعري فأتعفس الشبكة في ما . انعكست عليه اشعة الشمس .

- وماذا ايضاً ؟

- هل ستعطيني المشط ؟ .

- بالتاكيد . تابعي الحديث .

* تلخيص عن الاغليزية لفصة افرو ديت للكاتب الافرنسي بير لويس عن كتاب « مشاهد من قصص الحب العالمة » Mason's Famous Love Scenes

قصّة

(١) ماجن اغربي ، عاش مدة رقياً في ساموس ، وعمل في قصر قارون ، اشتهر بقرنه وبجسوة القصص التي عرفت باسمه .

اشترى حريته شقيق ساو^(١).

وانت تعرف انها غانية طليقة مشهورة ومرآتها جميلة رائعة وقد قيل ان ساو نظرت نفسها فيها وهذا سر افتتان باخس بهذه المرأة وليس عندها في الدنيا اعظم من هذا الكثير . لكنني اعلم اين ستجدها فقد اخبرتي في احدى الليالي وهي سكرى انها تحفيها تحت الجبر الثالث في مخدعها وانها تضعها هناك في كل مساء عند غروب الشمس وقبل خروجها من الدار . اذهب الى بيتها في هذا الوقت من اليوم التالي ولا تحف شيئاً فهي تأخذ عبيدها معها . فصاح ديتريوس .

- هذا جنون ! هل تتوقعين مني ان اسرق لاجلك ؟

- الّا تحبني ؟ لقد ظننتك تحبني ! لم تحلف ؟ لقد ظننتك حلفت ! فاذا كنت مخطئة فلن تتكلم عن هذا بعد الآن .

لقد رأى انها تحاول اهلاكه ورغماً من ذلك فقد اذعن بلا مقاومة ، وبطبيعة خاطر قال : - سأعمل كما قلت .

- اوه . انني اعرف انك ستفعل . لكنك ترددت في بادي .

الامر وانا افهم السبب فهي هدية ليست اعتيادية ولم اعطيها من فيلسوف بل طلعتها منك وانا اعرف انك ستجلبها لي . ثم راحت تحرك مروحتها المصنوعة من ريش الطاووس بلده قصده ثم قالت فجأة :

- واصلت اريد اي مشط من العاجي تستطيع ان تشتريه

من المدينة . لم تقل لي انني استطعت ان انتخب . لم تقل ؟ اذن

فانا اريد ، اريد المشط العاجي المزخرف الذي تصنعه زوجة رئيس الكهنة في شعرها ، انه لاثن من امرأة رودوبيس ولقد كان ملكاً

للملكة مصرية عاشت في الزمن البعيد اما اسمها فن الصعوبة بحيث

لا استطيع ان اقله . ان عاجه قديم جداً ولونه اصفر ذهبي نقشت

عليه صورة فتاة في مستنقع تقاوت على اطرافه ازهار اللوتس وهي

تمشي على رؤوس اصابعها وكأنها لا تريد ان تبلل قدميها . انه

مشط جميل للغاية وانا فرحة لانك ستحصل عليه ، وعندي اسباب

معينة تجلبني اكبر زوجة رئيس الكهنة هذه . ففي الشهر الماضي ،

على سبيل المثال ، اهديت وشاحي الازرق الى مديح افرووديت

وفي اليوم التالي رأيته على رأس هذه المرأة وقد بدا لي ملمها شيئاً

فكرتها لهذا السبب ، فالمشط سوف يثار لي منها . فسأل

ديتريوس .

- لكن كيف استطيع اخذه ؟

(١) شاعرة افريقية ، عاشت في القرن السادس قبل الميلاد ، ونُقلت الى جزيرة صقلية حيث قضت بقية ايام حياتها .

- سيكون هذا اصعب قليلاً . . فهي مصرية كما تعلم وكن كل بنات جنسها تمشط جدائلها المتيين مرة في السنة . ولما كنت اريد غداً فليك ان تتلقها لتحصل عليه . وقد اقسمت على ذلك ! ثم ملطت شفتيها الى ديتريوس ، الذي كان ينظر الى قدميه وواصلت حديثها بسرعة .

- وقد اخبرت عقدي ايضاً . اريد العقد الاؤلوي ذا الخيوط السبعة الذي يطوق عنق افرووديت . فاجعل ديتريوس بقوة .

- هذا كثير جداً . هل تظنين انك ستسطلين علي الى الابد ؟ . ينبغي لك ان لا تحسلي على المرأة ولا المشط ولا العقد ولا على شيء . ابدأ .

فوضت كريس كفتها على شفتيه وقالت بصوتها العليل الساحر الذي يفيض بالاغراء والفتنة .

- لا تقل هذا انك تعرف جيداً انك ستعطيني العقد ايضاً انني متأكدة من هذا وسوف احصل على الهدايا الثلاث . وستأتيني غداً مساء . والمساء الذي يليه وكل مساء بعد ذلك . . اذا احببت .

وسوف اكون هناك في اي وقت ترغب . . لاسمة ما تريد . .

مزينة حسب ذوقك وشعري مصفف كما تختار . . حاضرة لأني

كل رغباتك . وعندما تأتي باحثاً عن الحنان سأحملك بين ذراعي

كاطفل الصغير . . فاذا تعطشت الى اللذة فلن اعصي لك امراً

حتى ما يسبب لي منه الألم . وان نشدت الهدوء . فلن افوه بكلمة

وعندما تسألني ان اغني لك فاصحك يا حبيبي ما تشاء لانني اعرف

اغاني كل الشعوب . . اعرف غناء حلواً كخزير الجداول . وغناء

غنيماً كهزيم الرعد . واعرف بعضاً آخر بريئاً وعذباً لا تغنيه الا

طفلة لامها . وآخر لا يغني حتى في احط الاوساط وتحجل العذراء .

الفيانفس من تعلمه . . ولا اجران اغنيه الا في اذنيك .

وفي الليالي التي تسألني ان ارقص لك فيها ، سأرقص حتى

يبغض الفجر . . بشباب كاملة بيضاء صافية الذبول . . او خلف

حجاب شفاف . هل وعدتك ان ارقص لك عارية ؟ سارقص

عارية اذا رغبت . . عارية ومكحلة بأثهور او عارية ومزينة

كلمة يعبرها الشعر المرسل . . سوف ترى انني استطيع ان ارقص

على رؤوس اصابعي . . او ممددة على سجادي . . انني اعرف كل

رقصات افرووديت التي رقصتها امام يورانيا وتلك التي رقصتها

ستارت . اعرف حتى الرقصات التي لا يحسر احد على رقصها . .

سأرقص لك كل رقصات الحب . وعندما تنتهي من هذا نبدأ ما

هو ابداع منه بيننا . ان الملكة اغسني مني ولكنك لن تجدي في

الاريب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوئها شهر
كانون الثاني (يناير)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً أو ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الأرجنتين ٥٠ دولاراً

اشتراك الانصار.

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيه مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للإعلان تراجع ادارة المجلة



ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكوشية .

تليفون { الادارة : ٩٢ - ٩٢ Direct : 92 - 47
المترنل : ٣٧ - ٤٨ Dcle : 48 - 37

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اروب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

قصرها غرفة مملوءة بالحطب كغرفتي . سوف لا اخبرك عما ستجد
فيها . فعندي اشياء اجمل من ان استطيع التكلم عنها واغرب من
ان اسميها . وستجد فيها اشياء تفوق كل ما عداها ، ستري كريزيس
التي تحبها ولما تعرفها ، لقد رأيت وجهي فقط لكنك لم تعرف
جمال جسدي وما هو محبوب . لك فيه وكيف ستعجب بين ذراعي
ويغنى عليك وفي كم هو جميل . ا . وبقلاقي يا لسحرها ! . فحملك
ديتريوس بنظر مذهول ومضت هي تقول :

— لقد رفضت ان تعطيني مرآة فضية قديمة بينما سيكون لك
شعري كفاية من الذهب بين يديك . فرفع ديتريوس يده
ليسكها فتراجعت الى الوراء . وقالت :

— غداً . فهس قائلاً . — ستكون لك .

— او يعز عليك ان تحصل لي على مشط عاجي حقير . . بينما
ستكون لك ذراعي كفرعين من العاج يحيطان بعنقك . فمد يده
ليوبت على ذراعيها فتراجعت الى الخلف ميعدة قولها :

— غداً . — سأجلبه لك . فصاحت الغائبة .

— انا اعرف ذلك ، وسوف تجلب لي العقد المأوؤي ذا الحبوب
السبعة الذي يحيط بمتن افروديت . وسوف اعطيك عوضاً عن
ذلك جسمي الذي يشبه الصدفة المنقوشة في انسام اليك ولك مني
قبلات تفوق عدد ما في البحر من المأوؤ المكنون .

وفتح ديتريوس وجهه يستجديا . فنظرت اليه بعينها الفاتنتين
واسلمت اليه فها الملتهب . وعندما فتح عينيه وجد ظلهما الشاحب
يتلاشى مبتعداً خلف حجابها المهفاف . فثنى الى المدينة منهوك
القوى وقد احنى رأسه تحت وطأة حمل ثقيل من الحجل لا تقوى
الكلمات على التعبير عنه .

خاتمة القصة

وهكذا فقد اعطى ديتريوس كريزيس الهدايا التي جصل عليها
بالسرقة والقتل وبالإعتداء على الاشياء المقدسة . وقد حلف لها
بين الاخلاص وبعد ان اشبعت رغباته امرها ان تظهر بالهدايا التي
جلبها لها بين الناس فيلقى القبض عليها ويحكم عليها بالاعدام تماماً
فتموت وديتريوس الى جانبها يواسيها بما كان في مقدوره من عزاء .
وانصرف يحدّ جمالها في تمثال رائع سكب فيه عذارة فنه وحنين
روحه وجيب قلبه . فتهترق ذلك الجسد صديقان من صديقاتها
بمساعدة احد عشاقهم الذين لا يحضون ويدفونهم بطقوس دينية
سريعة لتجد روحها الهائنة الراحة والمهلوه .

عاهرة الشيندي

بغداد

الى انطون تشيخوف في موسكو ، عهد كانت صعوبات بدايته الادبية قد اصبحت ملكاً للماضي ، وكان المحد قد جا . يومذاك كانت في موسكو حلقات جريدة «روسكيي فيدموستي» (الرسول الروسي) ، وبحملة «روسكاياميل» (الفكر الروسي) وهما صيغتان تضاهيان بعضناهما العديد من الكتاب المعروفين ، والاساتذة ، ومن الممثلين والكتاب والرسميين الشباب . وكنت ما ازال في ريق شباني ، وفي بداية مارسني للادب ، وعلى الرغم من الفرق الكبير في السن ، نشأت بين تشيخوف وبني صداقة خالصة . ربما كان سبب ذلك اني لم اكن ارى فيه كاتباً وحسب ، بل كنت ارى فيه ايضاً «شقيق ماشا» ، ماريا بافلوفنا التي ما ازال مرتبطة معها بصداقة عميقة حتى اليوم . وبدأ تشيخوف سريعاً جداً في اعتباره من خالصائه . فكان

يدعوني ، بكل بساطة ، تألياً ، ويستغفري احياناً ، او يقدم لي نصائح ادبية ، لقد كان تشيخوف طيباً جداً مع زملائه المبتدئين ، وكان يسعدني دائماً ان يلس فيهم برهانا على الموهبة .

حين اذكر انطون تشيخوف الذي اغر ذكره ، اراء قبل كل شيء . كما كان في قريته المتواضعة «ميليخوف» التي كان يملكها

قبل الوقت الذي تم فيه التمازج بيننا ، بأكثر قليلاً من عام .

كان تشيخوف يحب «ميليخوف» كثيراً . فقد كان فيها «في بيته» . وقد قال فيها : «كل شيء» هنا ، دقيق : درب صغير من الزيزون ، وغدير بججم البركة ، وبستان صغير ، وحديقة صغيرة ، وأشجار صغيرة ، ولكن حين يتفرقه فيها المرء او اثنتان يتلاشي شعوره بالصغر ، فيحس بالسعة والامتداد ، يحلم اني هذا الى التفكير باقاصيص الكاتب الصغيرة : صفحة او صفحتان ، ولكنك حين تعود الى قراءتها ، حين تفكر فيها ، «يتلاشي الشعور بالصغر» فما اوسع افق العاطفة والفكر ، وما اوسع مشهد الحياة .

كتب الي تشيخوف من ميليخوف ، يقول : «ربيع حقيقي ، براعم الاشجار تتفتح ، والطقس دافئ . وطيور السنونو ترتزق ، والضفادع تلتف حناجرها بالقيق . ليس لدي فلس ، ولكنني افكر : ليس التني من يملك الكثير من المال ، بل من يملك

وسائل العيش في روعة ايام الربيع الاولى» . كان تشيخوف يغرس الازهار بنفسه ، ويشذب اشجار الورد ، ويرش اشجار التفاح بالكلس . وكان فخوراً ببستانه . فهو يريك كل شجرة على حدة وكان يقول ، وهو يتشهى معي بين دروب البستان : «هذه الصنوبرات جميلة خصوصاً خلال اشعة الشمس الغاربة ، حين تغدو جذوعها حمراً ، وتذكر اغصانها بالقيق . اما السندانية» ، مغر يصكي فينبغي النظر اليها عند الغسق ، حين يهبط الظلام ، سندهار لوتيتها !» كان في انفساح الحقول ، وفي خط الغابة الازرق المغم ، عند الافق ، وفي ارجوان القروب على حقول القمح المحصودة ، روعة المنظر الروسي التي لا توصف .

هذه الطبيعة الروسية كانت موضع الفة الكاتب . وما كان ليحب طبيعة الجنوب الفخمة . فحين حمله المرض الى ياننا ، كان يتألم فيها كأنها هو في منفى . وقد كتب الي من هناك : «اني لآسأمنها سأمأ رهيباً» او «اني اصغر : احس ثقلاً في قلبي ، كاني قد اكلت صحناً كبيراً من شوربا الملفوف» .

اما في ميليخوف فلم يكن ليضرر ابداً كانت حياة آل تشيخوف تجري فيها هادئة مطمئنة . ومن وقت الى آخر كانوا يقومون بزيارات في النواحي القريبة ، او بزيارات الى

الجيران . كانت ابغينينا ياكوفليفنا حلاوة ، ام تشيخوف ، وماشا ، ذات الاتسامة الطيبة ، تدبران شؤون البيت . ولقد كان بيتاً لذيذاً . ان ميليخوف لم تكن المزرعة الكبيرة في روايات تورغينيف ، محاطة بمجديقة قديمة ، تتمررها الكنارات ، ولا القرية التي رصها تشيخوفين مستحضراً ذكريات رهيبة عن عهد الاستبعاد ، انما هي منزل يرفني «على الطريقة الشيكوفية» كل شيء . فيه جديد ، ولكن دون تقليد ، وكل شخص فيه يشغل من الصباح حتى المساء ، سواء في البستان ، ام في البيت . وكان تشيخوف نفسه يشغل اكثر من الجميع ، متروياً في بيته الصغير «وكر الحمام» ، الذي بناه كي لا يئمه احد من الكتابة . فكان يبدأ عمله من الصباح المبكر . وما كتبه تشيخوف اثناء عهده ميليخوف : «طير البحر» ، «غرفة المستشفى» رقم ٦ ، «ملكة النساء» ، «الراهب الاسود» ، «الجيران» ، «في مسقط الرأس» ، «ثلاث سنوات» ، «بيت تحت الجالون»

ذكريات عن انطون تشيخوف

بنو نائيل سبكييل كورنيك
بتلمبة مروحة عالم على وثاة تشيخوف
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

عظلمات ، وتصاميم ، وتقارير .

وما كان تشيخوف ليحصر نشاطه في الناحية التي يقطنها . فهو مؤسس المكتبة العامة في تافروغ ، مسقط رأسه . وقد اهدى هذه المكتبة مجموعة كتبه البديعة ، غير محتفظ لنفسه الا بالكتب التي كانت ضرورية له في عمله . واخذ الكاتب على نفسه ايضا ان يشتم هذه المكتبة باستمرار ، مرسلاً اليها الكثير من الكتب التي يشتريها بنفسه ، او المعطاة من قبل كتاب او ناشرين من معارف تشيخوف .

ولم يكن تشيخوف ليحب التوسع بالحدث عن نشاطه الاجتماعي . الا ان دراسة سريعة لكل ما قام به ، خلال حياته القصيرة ، تكفي لتكوين فكرة واضحة عن مساهمته الكبرى في حياة وطنه الاجتماعية . ففي عام ١٨٩٠ ، مثلاً ، قام بسفرة الى سخاليه ، على نفقته (بالرغم من ضالة مراده) . فقام فيها باحصاء الالهين بشخصه ، وملا عدة الوف من البطاقات . وعلى اثر هذه السفرة فجع في الحصول على الفاء عقوبة الجلب بالسياط . هذه العقوبة التي كانت متبعة في السجن . وفي الشتاء الرهيب ، عام ١٨٩٢ ، ذهب الى منطقة فورونيج لـ « تغذية الفلاحين » .

وما توقف نشاط تشيخوف القوار الا حين فرض عليه المرض المشؤم الامانة في يالطا ، حين اضطر الى توفير قواه الجسدية . الا انه ، هناك ايضا ، وبالرغم من خطورة مرضه ، كان يهتم دائماً بالملهين والطلاب المرضى الفقراء الذين كانوا يأتون الى القرم .

« ان سفر تشيخوف من ميليشوفو انتزع فذة من قلبي ، انصح التعبير ، فكنت اكتبه ، وقد رأيت مرتين او ثلاثاً انما زيارته لموسكو . وكنت اول من ابرق اليه ، اعلنه بفوز روايته « طير البحر » في مسرح الغنون .

والتي لاندكر ، بصورة خاصة ، اخر مقابلة لي مع تشيخوف جاء الى موسكو في الخريف ، في وقت كان الطقس فيه مريعاً . وكانت صحته تسير من سي الى اسوأ . الا انه كان بغادر الحياة ، كالفلاسفة الاقدمين ، يهود . واطشنان ، وإيان عميق للمستقبل : فلقد كان يؤكده بلسان ابطاله (آتيا ، وفوشين ، وغيرهما) ان الحياة ينبغي ان تكون ولسوف تكون رائعة .

بعد موته بثلاث سنوات جئت الى موسكو (ولم اكن ساكنة فيها اذ ذاك) وزرت قبر انطون تشيخوف فالتقيت هناك بضعة شبان جاؤوا لتكريم ذكرى الكاتب المحبوب . وما هو يبيت في نظر الشعب الروسي ، وفي نظر الانسانية كلها .

« آريادن » . وبعد العمل ، كان يعود الى أسرته بشوشاً انيساً ، لابساً صدرته المخملية المفضلة ، فيستعنا بالجل والتعابير التي صاغها .

وكان تشيخوف ، علاوة على نشاطه الادبي ، يقوم بنشاط اجتماعي عظيم ، لم يكن موضع شك ابداً في المناطق المجاورة .

وعالماً ما كان يحدث ان يعود الكاتب صباحاً الى البيت من زيارة لمرضى في مكان ما ، بعيد بضعة كيلومترات ، في الوقت الذي نكون فيه نحن قد اجتمعنا فقط لتناول طعام الصباح . ذلك ان تشيخوف كان طبيياً . وكان يعالج الناحية كلها مجاناً . بل لقد كان يشتري للرضى كل ما لزمهم حتى الادوية على حسابه . ويكون العيا . قد اخذ منه مأخذه ، وتجذ من شدة البرد ، فيشرب الشاي ، على عجل ، ويشرع بالكتابة حتى الغدا . وكان يتفق له احياناً ان يذهب دون ان يتناول طعام الغدا . فبتدتي ثيابه على عجل ، بالرغم من صجحات الدهشة القلقة ، الصادرة عن افجينا ياكوفيلينا الحلو : - انتوت ، الى اين انت ذاهب ، انتظر حتى تنقطع العاصفة الثلجية ! - ولكن المرض لا ينتظر ، يا ماما !

ولم يكن تشيخوف ابداً ليتبدق بالعبارات الضخمة ، وما كان ليعلم انه « يجنم الشعب » . بل كان يكتب : ان الادارة تفر بين فئتين من الناس : دافعي الضرائب ، وذوي الامتيازات . ولكن ما من تفرقة حسنة . ذلك اننا نحن جميعاً الشعب ، وكل ما نفعله من غير ، فهو للشعب .

وبالفعل ، فان حياة تشيخوف كلها قد وضعت في خدمة الشعب ، وذلك ببساطة كلية ، ودون تظاهر خداع برقة القلب . وتولى تشيخوف ، برضاه واختياره ، وظائف طبيب المنطقة اثناء انتشار وباء الكوليرا : وكان نشاطه يمتد الى ٢٥ قرية ، وعامل ، وودير ، دون ذكر المنازل الريفية في الجهات المجاورة . فكان يجوب القرى ، ويلقي المحاضرات حول مكافحة الكوليرا ، ويقدم النصائح ، ويغضب ، ويتحس . وكان يكتب لاصدقائه : « ما انا الآن بكتاب ، انا انا طبيب » .

وكان تشيخوف يكرس وقتاً طويلاً لمسائل الصحة والتعليم العام : ويعود للكاتب الفضل بدارس انشئت في تاليج ونوفوسيلسكي وميليشوفو ، وقد انشأها بنفسه ، وكان يشتري لها مواد البناء . وبنى ايضا مراكز لمواد لاطفال . الحريق في القرى . ونجح في حل الادارة على انشاء طريق في لوباسينا وميليشوفو . وساهم مساهمة نشطة في انشاء مستشفى . وعلى مكتبه الى جانب الادوارق الملاهي بكتابه الدقيقة القرية ، ولكنها مفرودة جيداً ، كانت توجد دوماً

لا ترافياتا تحت النجوم

بنام عبد الكريم الحضرى

على باب المدخل كتابة باحرف من نور تقول ان البرنامج يبدأ الساعة الثامنة والنصف . سرت مع السائرين وقطعت تذكرة الدخول ونظرت ينة فاذا بي ارى عدداً هائلاً من السيارات يتزل منها النساء والرجال كلهم يقصد تجماع اوربا لا ترافياتا في الهواء الطلق ، ثم تابعت سيرى الى المسرح فاذا بفتيات حسان ينادين باصواتهن العذبة لبيع برامج حفلات الاسبوع الموسيقية، فاشتريت واخذت وواصلت السير فاستقباني شاب جميل الطلعة مرتد بذلة فاخرة حمراء اللون عليها شرائط صفراء فضائي نجمة المساء واخذ مني تذكرة الدخول ، واستغربت بادى الامر ، فتجيتة نجمة شخص يعرفني ولكنني لم أعرفه عندما جيسا الشخص الذي جاء بعدي انه يرجو بكل قاعه فملاحة نجمة آلاف الناس واخذ البطاقات منهم . في الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ١٦٠٠٠ مستمع يأتون كلهم لرؤية الاوبرا ولإعاشهر السيمفونيات ويسمونها Symphonies under the Stars اي سيمفونيات تحت النجوم ، وتقدم هذه البرامج تحت سماء الصيف الصافية .

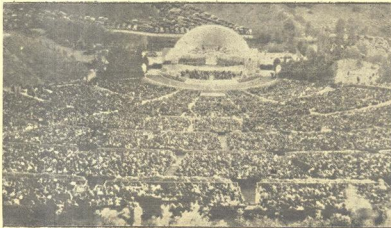
في الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ١٦٠٠٠ مستمع يأتون كلهم لرؤية الاوبرا ولإعاشهر السيمفونيات ويسمونها Symphonies under the Stars اي سيمفونيات تحت النجوم ، وتقدم هذه البرامج تحت سماء الصيف الصافية .

في الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ١٦٠٠٠ مستمع يأتون كلهم لرؤية الاوبرا ولإعاشهر السيمفونيات ويسمونها Symphonies under the Stars اي سيمفونيات تحت النجوم ، وتقدم هذه البرامج تحت سماء الصيف الصافية .

« لا ترافياتا Traviata » اوبرا الموسيقي الايطالي الشهير « فيردي » قدمها واخرجها « جيس دولتل James A. Doolittle » على مسرح هوليود الشهير المسمى Hollywood Bowl وهو مسرح كبير في الهواء الطلق واقم في واد بين تاول هوليود الجيلة ، وسمي Bowl لانه يشبه الاناء او القدح . والمقاعد مثبتة على سفح الجبل وقد ذكرني هذا المسرح بمسارح الاغريق القديمة التي كانوا ينتحون مقاعدهم حولها من الحجر .

يتسع هذا المسرح لـ ١٦٠٠٠ مستمع يأتون كلهم لرؤية الاوبرا ولإعاشهر السيمفونيات ويسمونها Symphonies under the Stars اي سيمفونيات تحت النجوم ، وتقدم هذه البرامج تحت سماء الصيف الصافية .

في الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ١٦٠٠٠ مستمع يأتون كلهم لرؤية الاوبرا ولإعاشهر السيمفونيات ويسمونها Symphonies under the Stars اي سيمفونيات تحت النجوم ، وتقدم هذه البرامج تحت سماء الصيف الصافية .



في الهواء

الطاق

مسرح

هوليود

واضي، جانب من المسرح فاذا بقائد الفرقة الموسيقية يتقدم الى منصفته وهو « ارج لينسدورف » ، كان قائداً بارعاً تدرب على يد « برونو والتر » و« توسكانيني » يبلغ السادسة والعشرين من عمره وقاد أوبرات فاغنر لحساب شركة اوبرا متروبوليتان وفي السنة التالية انتخب قائداً للموسيقى فاغنر بعد وفاة ادرت بودانسكي وبما يروى عن مهارة لينسدورف في قيادة الفرق الموسيقية انه عندما مرض بودانسكي استطاع لينسدورف ان يقود الفرقة لعزف موسيقى « بارسفال » بعد ان اخذ ملاحظات لمدة ساعتين فقط . وهو يقود الاوبرات الايطالية والفرنسية بكل سهولة . وقد شاهدته في تلك الليلة يقود اورسترا هوليود بول يديته ورأسه وجسمه فكل عضو فيه يتحرك لتنظيم تلك الاصوات الجميلة التي ابداع « فيردي » في صوغها .

تتكون اوبرا لاترافياتا من اربعة فصول وقد كتبها «بياف F. M. Piave» وحلها الموسيقار الشهير « فيردي Verdi » يمثل الفصل الاول بيت « فيوليتا » في باريس وفيوليتا هذه فتاة رائعة الجمال كثيرة المال، فتاة خفيفة وزعت قلبها لكل الرجال، ويظهر المدعوون في بيتها

في حفلة فخمة ، وكان من بين المدعوين شاب جميل اسمه « الفردو » احبته فيوليتا من اول نظرة. وبعد ان شرب المدعوون والمدعوات نخب صاحبة البيت الفاتنة أخذوا يغنون الاغاني الجميلة مع الموسيقى المنسجمة مع الغناء ، ثم اغني على فيوليتا او تظاهرت هي بذلك لكي تخلو مع الشاب الذي تعرفت عليه الليلة . خرج المدعوون وتركوها كي تستريح ، وفي هذه الحلة أخذت تبث غرامها الى الفردو وبدا يلها الحب بالح . ومن ثم يغادر المدعوون الحفلة بعد ان اطمأنوا على صحتها . وفي وحدة الليل بقيت فيوليتا موزعة تبث شكواها الى النجوم وبينما هي تقفي يحبسها صوت حبسها من حديقة الدار .

وبعد فترة ربع ساعة ابتداء الفصل الثاني وتظهر فيه حديقة

مصطبة من الخشب نجت السماء ، فأحسست بالبرودة قد انتشرت في كل جسمي لأن الجو بارد . ومن يظن ان في شهر أغسطس الالهة ، كما يسمى في بغداد ، يحتاج الانسان الى ملابس الشتاء . وما ان انتهت المسرحية حتى شعرت بنفسى وكأنها قطعة من الثلج بالرغم مما شربته من قهوة ساخنة .

ها هم المستمعون يأتون زرافات وازواجاً ووحداً وكل يحمل تحت ابطه بطانية ووسادة لكي يجلس على الوسادة ويتقي البرد بالبطانية .

مددت بصري الى الامام فإذا بالمسرح يبعد عني مئات الاقدام فأخذت اسمع نظارتي كي استطيع رؤية الاوبرا من هذا البعد الشاسع ، اما جاري ، وكانت فتاة جميلة ، فقد جلبت معها منظاراً لكي ترى الاوبرا مقربة . جلت بالطرف حولي فإذا بثل عال ورائي وهو جبل صخري قليل الارتفاع وآخر مثله عن شمالي وثالث يبعد عن المسرح بمسافة ليست بالبعيدة . تضيء هذا المحل الواسع ثمانية مصابيح كهربائية كبيرة . وأرى فوق رأسي انواراً حمراء تغمر السماء وتتغير الى الوان اخرى كأنها الانوار التي توجه الى

الطائرات وقت الحرب ، وما هذه الا اعلان عن المكان الذي نحن فيه وهي وسيلة من وسائل الدعاية في امريكا . دفعني حب الاستطلاع لان اجول خارج المسرح وكان لدي متسع من الوقت قبل ابتداء برنامج الليلة وعند خروجي من الباب وضع احد هم على يدي بصمة ولكي لم اتبينها وظننت انه يخذع الناس بلامهم انه يضع اشارة ، ولكن عند رجوعي رأيت بصمها تحت ضوؤ ازرق فنظرت الى يدي فإذا عليها بصمة بيضاء اللون اختفت عندما ابتعدت عن الضوؤ . الازرق . وتستعمل هذه الطريقة عوضاً عن بطاقات الخروج الموقت التي تستعمل في بلادنا في السينات والمسارح .

وعندما حازت الساعة الثامنة والنصف انطلقت الانوار



الآنسة مادين كوتر فارج لينسدورف وفي الوسط ارموند نوكتابين

فيوليتا في الاطحات الاخيرة من حياتها تذكر حبيبها واخلصها له وبنجاح يظهر الفردو الحبيب المخلص ، وهنا ازداد المسرح نوراً ، فأخذها بين ذراعيه وهو يسد بها كلمات الغزل والحب فرجعا بذكرياتها الى ايام الصبا والشباب ، واخيراً تخاذلت فيوليتا وخارت قواها تدريجياً الى ان فارقت الحياة وهي على صدر حبيبها الذي احبته من كل قلبها ، فعصفت الموسيقى ثم هدأت وانزل الستار على هذه القصة الخالدة التي مثلت على المسرح منذ عشرات السنين ولا تزال تمثل واخرجت على الشاشة البيضاء ايضاً كما انها ترجمت الى العربية بعنوان غادة الكاميليا .

قام بدور فيوليتا « مادين كوز » وهي ذات صوت (سوبرانو) عذب حنون ، هتفت لها الجماهير وصفقت إعجاباً بصوتها ونقيتها كما قدمت لها طاقات الازهار . وقام بدور « فلورا » صديقة فيوليتا « جين فين » و« بدور » الفردو «جيمونث» الشاب الحبيب «ارموند توكتابين» وكان مائماً في غنائه في هذه الاوبرا . اما الاب وهو « جورجيو جيمونث » فقام به « جون جارلس تومس » وقد ابدع حقاً . كما كان ابرع المشائين وحصل على اكبر كمية من التصفيق الحاد . وبعد ان انتهت الاوبرا خرجت مع آلاف الناس وكان الجو بارداً فركبت اول ترام لأصل الى بيتي وغنت تلك الليلة نوماً هادئاً وانا أطم في ترفيات والموسيقى ترن في اذني وتسري في كل جسدي طول الليل .

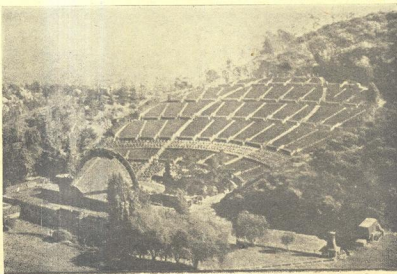
عبد الكريم الحصري

لوس انجلس - الولايات المتحدة

بيت فيوليتا في ضاحية من ضواحي باريس وليس في الدار سواها وخدامتها . هجرت فيوليتا المدينة الى القرية كي تقترن بحبيبها وينبأ هي بانتظاره يأتي والد الفردو الذي عرف بجها من ابنه فرجها ان تتحرك ، لانها ليست اهلاً له فهي مصابة بالسل ، وان تكسب اليه رسالة تجده فيه بعدمحبا له وزواجها منه . فكسبت الرسالة كرهة وبعثت بها مع خادمتها فلما قرأها الفتى تأثر كثيراً لهذه الصدمة .

وفي الفصل الثالث نرى فيوليتا وكثيراً من المدعوين في غرفة الرسم في بيت « فلورا » صديقتها ، وكان الفردو من المدعوين ايضاً . فعندما رأى فيوليتا هاجت ذكرياته واخذت بها على هجرها وصدها له ودمى كيس الدرامم التي صرفتها عليه سابقاً ، في وجهها فتألمت ومع ذلك فهي ما زالت تحبه حباً جماً . ويروى الايام تزداد عليها نوبة المرض .

نرى في الفصل الاخير غرفة نوم فيوليتا والمسرح منار بضوء ازرق جميل وحزمة من الضوء الاصفر مسلطة على كرسي في زاوية الغرفة . وبعد ان استمرت الموسيقى بألحانها الشجية ، ظهرت لنا خادمة فيوليتا وهي ترعى سيدتها . ثم فتحت النافذة لدخول النور والهواء النقي فسمع من الخارج صوت غنا ، وموسيقى وكأنه يوم من ايام العيد ، فقامت فيوليتا تريد الخروج ليبحث عن حبيبها ولكنها تعبة لا تقوى على الخروج واشهد سعالها فأسرعت الخادمة في طلب الطبيب فجاء ، وبصحبته « جورجيو جيمونث » الاوبرا . اخذت وفي هذه اللحظة تبدل ضوء المسرح الى اللون البرتقالي . اخذت





ولها من زوجها ثلاثة اولاد فهجرتهم
ولحقت بولونس فتزوجا وظل مرتبلاً بها
طيلة حياته .

كان لورنس فقيراً ليس له من مورد الا
ما تدره عليه مؤلفاته ولم يكن ليكتفيه
هو وزوجته ورغم ذلك فانه لم يعرف
حياة الاستقرار في بقعة معينة . فاقام في
ايطاليا والمانيا وفرنسا ودعي الى جزيرة
سيلان فاقام فيها ووهبه احدى المعجبات
به مزرعة في المكسيك ففتح اليها وظل
فيها مدة ثم عاد وذهب الى اوستراليا ومنها
الى اميركا وانتهت حياته على شاطئ.

البحر المتوسط . كان في كل جولاته لا
يلك الا التليل الذي لا يكاد يفي بتفقات
الارتحال ورغم هذا التنقل والتجول فانه
لم يعرف المرح لان شبح الموت الذي كان
يطل عليه من خلال مرض السل قد جعل
حياته جديفة صارمة ملاًها لورنس
بالانصراف الى الكتابة وكان الى جانب
هذا يهوى الرسم فاقام معرضاً ل لوحاته في
لندن غير ان السلطات اعتقلته وصادرت
اللوحة لانها اعتبرت مخلة بالاداب العامة .

تقوم نظيرة لورنس الى الحياة على
اساس الايمان بالفرد . فكل شي في
هذا العصر الحديث قد تأمر على الانسان،

التدريس في مدرسة ابتدائية قرب لندن
غير ان اصابة ثانية بذات الرئة اضطرته
الى هجر التعليم نهائياً فلم يمارسه في هذه
المررة ايضاً غير مدة قليلة وفي هذه الفترة
الاشيرة ظهرت بوادر نبوغه الادبي .

بدأت حياته الادبية بنحس قصائد
ارسلها لامرأة احبها وكانت زميلة له في
التعليم وهذه بدورها ارسلت القصائد الى
المجلة الانكليزية « English Review »
فنشرت وقتئذ امامه بذلك باب التعريف
على الادباء والنقاد وكان هذا في سنة

١٩٠٩ . وبعد نحو من سنة نشر قصته
الاولى الطاووس الابيض فذاع صيته
ودعا استاذاه واسمه ارنست ويكلي
لزيارته فتمتع على زوجته الالمانية فريدا
فاجها وتعلقت به وكانت تكبره سنًا

... ليس المهم عند لورنس ان يحمي
الفرد حريته وانما هو في ان يعرف
ما الذي يصنعه هذه الحرية . فالفرد
عنده لا يدرك ذاته بوعي لا يميزه عن
الآخرين وانما لا يشترك فيه معهم :
الا وهو الجنس .

اندره مالرو

٣ آذار من عام ١٩٣٠
انطلق الى ايلد سراج
فنان كبير هز المجتمع
الانكليزي هزة خفيفة لا تكاد تعدلها
تلك التي احداثها اوسكار وايلد... ذلك هو
دافيد هربرت لورنس D. H. Lawrence
الذي صودرت مؤلفاته وقصائده وبتر بعضها
وحجزت لوحاته الفنية ومنع عرضها .

ولد لورنس في الجزيرة البريطانية سنة
١٨٨٥ في مقاطعة نوتنجهام « وترعرع في
صميم الطبقة العاملة » وكان ابوه عاملاً في
منجم « ولم ترد امه عن ان تكون امرأه
عامل^(١) » كما يقول عن نفسه وعندما بلغ
الثانية عشرة من عمره اُلتحق بدروس المقاطعة
الثانوية باجر زهيد ثم غادرها بعد ان انهى
دراسته وعمل مستخدماً لمدة بسيطة اصيب
اتهامها بذات الرئة وشفي منها غير ان هذه
الاصابة كان لها اثر بارز في صحته وافتق
حياته وساعم في التعجيل بايامه الاخيرة .
وقد عمل بعدها ثلاث سنوات بتعليم اطفال
عمال المناجم ، ثم دخل الجامعة وكان في
العشرين من عمره وتخرج منها وتفوق في
امتحان اجتازه لانتقاء معلمين فعاد الى

P. H. Lawrence, P. 4. Cathéri-
ne Carswell

ريد قاعة جميلة متينة البنيان ، بمثابة صفة ونشاطاً ولدت لأب متحرر واسع الفكر . محب للفنون وعضو في الأكاديمية الملكية للتصوير وعلى شيء من الثورة ، ولأنه تؤمن بالاشتراكية ولا تقل عن زوجها ثقافة وتحوراً . وكان لميول الابوين هذه اثرها في تربية كونستانس واختها هيلدا التي تكبرها بعامين ، فنشأت نشأة حرة منذ صغرها ، فتلقت الدراسة الموسيقية في « درسد » ونجولت في روما وباريس وبرلين وحضرت المعارض الفنية والمؤتمرات الاشتراكية . بدأت كونستانس تعرف الحب عندما بلغت السابعة عشرة . وكان ذلك في « درسد » . وكانت ترافق الشباب في التزهات المرححة وتمسك معهم في الرحلات وتجذب لذهابها الكبرى في تجرى الغرام التي تلقى في مسامعها اما الفعل الجنسي فقرهه وتغطر اليه بشيء من الخشية . ولم يكن الشباب قانعين بهذا بل يريدون الذهاب ابعد منه فتضطرب وتتردد فهي لا ترى في الحب غير النجوى العذبة والاحاديث الخلابة ثم لم تلبث ان بدأت تسلل نفسها وتستجيب لانداء من تجذب قربه لذة الحديث وجعل الصلة الروحية دون ان تأبه كثيراً لهذه الصلة الجسدية ، فهي عندها عود الى العزوبة ورد فعل للارتباط الروحي ، وهكذا كان لكل من الاثنين شقيق واضطرت الى العودة الى انكلترا عندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، تعرفت هيلدا على شيء يكبرها بعشر سنوات فتزوجته ، واهبت كونستانس شاباً هو « كليغورد تشارلي » فتزوجته ايضاً .

كان كليغورد هذا يمثل الاستقرارية خير تمثيل ، فهو لم يكن من الذين وصلوا الى مركزهم الاجتماعي بجدهم ونشاطهم كما فعل ابو كونستانس ، وانما ارتفع اليه بحكم نسبه لانه انحدر من عائلة عريقة تلك قصر متوارثاً هو قصر « وريغبي » تحيط به الغابات التابعة له والاراضي الممتلئة بتناجهم الفخم التي يستشرها العمال لحساب الاسرة . ولقد احبته كونستانس لذلكه وتفوقه الفكري وتلك المذلة التي وجدتها في عشرته رغم انه يحمل عقلياً واستقرارية لا تتسجم مع ارثها ، وتزوجته خلال اجازة شهر نالها أثناء الحرب ، فتمتع معه بجمل الحب الذي رأت كل عظمتها في انه لم يعر العزوبة اهتماماً كبيراً فهي امر تافه ثانوي . ولم يكن كليغورد ليفوقها اهتماماً بل كان يشاطرها رأياً ولا يرى في العلاقة الجنسية غير استقرار لفعل عضوي فقدت الحاجة اليه . ولم تنقض ستة اشهر على زواجها حتى عاد كليغورد من ساحة القتال مقعداً لا يستطيع الحركة قد شل نصفه الاسفل .

فالألة قد استعبدته روحاً وجسداً حتى شوهته ، والحرب اخذت تقنيه بالملايين في سبيل مثل اجماعية مزيفة ، والمفاهيم الخاطئة والعادات قيدت ميوله وغرائزه وحرفتها حتى لم يعد هذا الانسان انساناً ، لذلك كان لا بد من العودة الى الحياة الانسانية الصحيحة . يجب ان تطرح كل ما تحمله من القيم القديمة فليس هناك سوى الفرد ، وبين هذا الفرد وبقية الافراد او بين الفرد والعالم هوة سيئة لا تعبر ، غير انه يوجد جسر وحيد او نقطة واحدة يمكن ان يمر عليها الافراد ليصالوا الى مستوى واحد هو الانسانية ، هذا الجسر او هذه النقطة هي الحواس او العزبة الجنسية لذلك يجب ان يتسع بها الافراد متمتعاً عبقاً دون وجل او خوف ، فالانسان الخالي قد اعمل غريزته ولم يضعها في الميزة الحقيقية من حياته « وليس المهم عند لورنس ان يحمي الفرد حرية وانما هو في ان يعرف ما الذي سيصنع بهذه الحرية » فالفرد عنده لا يدرك ذاته بوعيه لما يهذه عن الآخرين وانما لا يشترك فيه معهم : الا وهو الجنس^(١) فالفعل الجنسي ليس حادثاً تافهاً بل هو الوسيلة الوحيدة لكي يكتشف الفرد ذاته ويحقق انسانيته . ومن هنا يجيء تجميع لورنس للحب الجسدي حتى جعله المحور الذي تدور حوله جميع قصصه ، وهو لا يهمل المرأة فيجعلها شيئاً منفصلاً اي اداة مجردة يستعملها الرجل وانما يضعها معه في منزلة واحدة فكل منهما لا بد له من الآخر ليحقق انسانيته التي لا يمكنها ان تتكشف الا بهذا الاتحاد التام الحقيقي الذي يجب ان يسعى اليه كل منهما . ولورنس يتجه في سائر قصصه نحو المرأة لكي يفهمها هذه الحقيقة ويذيل تلك المفاهيم الخاطئة عن العزبة الجنسية ، لذلك نراه في مقدمة قصته الشهيرة « عشيق الليدي تشاترلي » التي سنعرضها الآن ، يقول بان هذه القصة هي لغتيات السابعة عشرة .

هذه النظرة هي التي اثارت التمسح الانكليزي فبترت قصصه واتهم ادبه بالادب الاسود ، غير ان هذه الثورة لم تلبث ان خمدت وتبوأ لورنس مكانته في طليعة مفكري العالم وادباء الفنانين الذين عاشوا فنيهم في حياتهم وكان انتاجهم فضلاً عن ربح اعنى خلجاتهم . ولقد اشتهرت جميع مؤلفات لورنس في الشعر والقصة ونحجي . في مقدمتها قصة « نساء عاشقات » و « عشاق وابناء » و « قوس قزح » و « المرأة والحيران » وختم حياته بؤله الكبير « عشيق الليدي تشاترلي » الذي يعتبر في الارجح .

**

عادت كونستانس من جديد تصافي الوحدة المرة في قصر «وريغي» أويفي بعد ان انقطع نهائياً ما بينها وبين مايك ، غير ان نظرتها الى هذه الحياة الرتيبة التي يرى فيها زوجها غودجا للحياة الكاملة ، قد تبدلت تماماً ، انما ليست غير فراغ لا معنى له واستمرار لبيت تحت سقف واحد بين اثنين قد اعتادا الحياة معاً

بدأت تتحسس بوجود جسدها وتتأمل بعد ان املهته وازدردته ، فشعرت بانها قد ظلمته وغفلته حقه ، كما انها لم تجد اي معنى لهذه التضحية التي اقدمت عليها ، فان أية امرأة اخرى تستطيع العناية بكليفورد والقيام بشؤونه مقابل اجر معلوم . فانتاب جسمها الغزال وعلا وجهها الشحوب وضاعت بها الحياة فكسبت الى اختها هيلدا تشبهاً ما بنفسها وتجبرها باعتلال صحتها ، ففرغت هذه الى القصر واخذت تؤنب كليفورد على انبائته واثوته واكرهته على ان يستخضع لنفسه بمرضة تعني بشؤونه بدلاً من كونستانس ثم اصطلحت اختها الى لندن لترفع عنها قليلاً .

قضت كونستانس ردهاً من الزمن في لندن ثم آتت الى «وريغي» غير انها لم تعد في هذه المرة ملزمة بصاحبة كليفورد تحذره وتقرأ له الاقاصيص وتعني بشؤونه فقد كفتها ذلك المرأة التي استوجرت هذه العناية ، واصبحت تستطيع ان تخلو لنفسها الساعات القليلة دون ان يعكر صفو وحدتها معكر ، كما ان كليفورد نفسه قد وجد في مصاحبة هذه المرأة الجديدة لذة لم يجدها في عشرة كونستانس .

كان القصر كبيراً محيط به غابة واسعة اخذت تقصدها كونستانس كل يوم فتهم بين ادغالها وتستلقي في ظل اشجارها وتفكر في هذه الحياة التي تحياها . لقد ايقنت الآن يقيناً تماماً انه لم يعد هناك اي مبرر لحياتها مع كليفورد ، ان ما احبته من اجله قد زال كما ان الانفصال الجسدي قد حل بينهما رغم انهم لم يتحقق يوماً . وكان يشرف على حاية الغابة التابعة للقصر حارس تجاوز الثلاثين يدعى «اوليفر ميللورز» وهو رجل مستقيم البنيان قوي الجسد من ابنا . عمال المناجم الفحم التابعة للقصر ، تلقى قسطاً من التعلم والثقافة ومارس بعض الحرف المعدنية ثم تزوج امرأة الحب منها ابنة صغيرة ثم هجرها وانخرط في الجيش وظل فيه خمس سنوات ارتقى فيها الى رتبة ضابط ثم عاد الى بلدته قرب قصر «وريغي» واتزى في كوخ في الغابة يحيط بها من لصوص الصيد .

لم يكن ميللورز من الذين تلقوا ثقافة فكرية خلقت حولهم حالة من الازهاق والمشاكل المزينة ابعدهم عن اعطاء الحياة الجسدية

كانت كونستانس في الثالثة والعشرين وزوجها في التاسعة والعشرين عندما المت بها تلك الكارثة فأتروا في قصر «وريغي» فانصرف هر الى الكتابة والادب وبدأ يشتهر بينما انصرفت هي الى العناية به فهي تحبه كل الحب ، واخذت تساعد في كتاباته وتفرغ عليه من روحها وانوثتها ما يجعله في غبطة ونشاط . وهكذا دخلت حياتها في طور استقرار خارجي اما الاستقرار الداخلي فقد تهيأ لها في اول الامر ثم لم تلبث ان فقدته .

كانت تعتقد انها تستطيع الاستقرار في حياة على هذا النحو ، ولكن كلما مرت الاسابيع والشهور بدأت تشعر بنوع من القلق يغمرها وضرب من الانقباض يتولاها فتسيطر عليها الكتابة وتحاول الانفراد بنفسها ، غير ان ما بها لا يزول . وانقضت على حاجاتها هذه ستان بلغ بها القلق مداه فلم تعد تجد هذه الحياة اي معنى فهي خالية من الهدف تجر نفسها جراً ، تحيط بها التفاهة من كل جانب ويسيطر عليها صقيع العدم والفراغ .

ويزورها ابوها ويجذبها بصراحة عما اذا كانت تنوي الاستقرار في هذه الحياة الفارغة وتظل نصف غداً ، ولكنها لا تجيبه بشيء . ثم يزورها صديق زوجها يدعى «مايك» وهو مؤلف شاب ، فتجالس وتشر بالخير اليه وتدعوه الى غرفتها وتستقبله بصدق وحب غير انه كان خفياً في السر لا يتيح لها الوقت للتشرك معه فهي تملقه تلقى الاثراء ، بنفسها وتستمر العلاقة بينها على هذا المنوال فاستبان عدة مرات ، وتشعر نحوه بالحلب ويغادرها ما لم بها ، وتحس بشيء من الهدوء والطمانينة بعد كل لقاء ، فتعود الى زوجها فهي لا تزال تحبه تلك المحبة الساكنة التي استجالت الى نوع من اللفة والصدقة ، وتفرغ عليه الحنان الذي امتلأ به صدرها ، ثم ينقطع ما بينها وبين «مايك» لسفره فيعودها ذلك السأم القديم والمثل من حياة القصر الرتيبة ، وتحس بعودة التفاهة والفراغ الى حياتها ، ويصارحها زوجها بحاجته الى وريث يرثه من بعده ويمثل اسمه ويظهرها بانه لا يقيم اي وزن للعلم الجنسي لانه تافه عارض ، فالسعادة عنده هي في هذا الحب المتبادل وفي هذا العطف وهذه اللفة التي تسري بينهما . ويعود مايك بعد قليل ويطلب منها ان تهجر زوجها وتلتحق به ليترجوا فتعقد الزم على ذلك ، غير انه عندما ضحى الى صدره وكان خفياً كالهدب وارات ان تعلقه ولكنه لم يطلق اصطباراً عليها لتتال حظه منه بل مال يضحك مبتهزاً ، عندها شعرت ان جبه قد تسرب من قلبها وزال كل ما كانت تشعر به نحوه من وجد وغرام .

في طور جديد .

اما هو « ميللورز » فلم يستطع الرقاد فقاد كوخه واقترب من القصر واخذ يتأمل نوافذ غرفتها ، انها ليست المزينة ولكن تشبه آخر . انه ذلك الشعور القاسي بالفرقة النافذة التي لا يسمعا الا امرأة ساكنة اليه . ان خروج الانسان من عزله لن يجديه فعليه ان يتشبث بها طيلة حياته ، وان ذلك الفراغ في كيان الانسان سيلا بين الحين والآخر فعليه ان ينتظر تلك اللحظة ، ان ذلك الامتلاء سيتم من نفسه وليس عليه سوى الانتظار .

واحسن ميللورز بان ما يربطه بها قد تحطم فجأة . لقد حطمه لانه يجب ان يتحطم ، فعلى كل منها ان يحطو خطوة نحو الآخر ، واذا هم لم تأت اليه فلن يذهب اليها .

وذات يوم اجبرت كونستانس الممرضة التي تتولى العناية بـكليفورد بانها قد تأمل بأن يكون لها ولد فسرنا ما انتشر الخبر في المقاطعة حتى بلغ مسامع كليفورد الذي يطعم في وريث ، ففاجئ كونستانس بالامر فانبأته بضعة الخبر وانها تنوي الذهاب الى البطيخة لبعضة اسابيع ثم صعدت الكوخ واجبرت ميللورز فظن انها سخرته لتنجب منه فغضب وانصرف ثم عادت اليه مساء . ثبتت له انها تريد له ذاته ، وعندما التحد جسدها لم تجد لذة في بادي الامر بل تولاها الاثترار فطلب منها ان لا تكره نفسها على شيء . لا تريد ، غير ان الموجة الغامرة من الفرح لم تلبث ان حلت محل كل شيء . وفي احدى الليالي التي قضياها معاً حدثها عن حياته الغرامية وعن اخفاقه في الوصول الى امرأة ترضي جسده ، وبانه يؤمن بان طيبة القلب والبعد عن النفس المعقدة يجب ان يسودا العلاقات الغرامية ، فعلى الرجل والمرأة ان يبقيا علاقتها على اساس من الصراحة وحسن التقبل لها ، وفي يوم آخر تمتمتا بماسية رائعة عارية في الغابة تحت وابيل من المطر . ان عليهما ان يعرفا معرفة تامة دون وجل او خجل .

واخيراً قدمت هيلدا لتصلب كونستانس الى البندقية فهاذرتا القصر واقامتا في فندق قريب ثم عادت في المساء الى الكوخ لان كونستانس وعدت ميللورز بليلة معاً قبل سفرهما فافترقا هيلدا وعادت في الصباح واصططعت كونستانس التي وعدت ميللورز بان ينظما حياتهما بعد عودتها . لم يسكد ينتضي اسبوعان على اقامتهما في ايطاليا حتى طلت من خلال الرسائل التي وردتها من كليفورد ومن الممرضة المشرفة على شؤونه ومن ميللورز ان امرها اوشك ان ينتفضح لان زوجة ميللورز رفضت الطلاق وعادت الى كوخ زوجها

قيستها الحقيقية ، كما انه لم يكن من الجفافة الذين لم تصقلهم الحضارة ولم يذهبهم العلم ، بل كان مترناً ناضجاً يسعى لتحقيق حياته بامرأة يتفتح لها جسداً وروحاً ، فثقله وهو في السابعة عشرة بحب فتاة متملة بجنتها مع رابطة الثقافة ، ولقد اجتهت جأماً بحراً غير انها كانت زاهدة في العلاقة الجنسية تحب فيه روحه وحديثه فاقنعا بضرورة الحب الجسدي غير انها لم تكن ترغب فيه من اعماقها فاضطر الى الانفصال . ثم تعلق بامرأة ذات ماض كانت تحب كل شيء في الحب الا الحب ذاته ، فاخذت تستسلم له مكرهه فاضطر الى هجرها لانه يريد امرأة تريد ، وتريد معه جبه المغف بالجسد ، والتي بامرأة خيل اليه انها ضالته فتزوجها لانها وهبت طائفة ما صكرت اعطاء الاخرت ، غير انها اختلفت حول بعض شؤون البيت فاخذت تأبى عليه وتتبع وكانت الى جانب هذا الاثترار كما ازمة العشة معها حاول ، فهي تبدأ حيث ينتهي وعلى هذا النحو كرهها وكره العيش معها رغم ان له منها طفلة ، فهجروا الى الجليش وكاد يفقد امه في حياة عضوية صحيحة .

في الغابة التقت كونستانس بميللورز عدة مرات ، وعندما حدثته لم تجد لديه ذل الحدم والاجراء او جمل العامة بل كان مهذباً مثقفاً او شخصية جذابة وجسد قوي فاخذت تقصد كوخه صباح مساء لتتوار الى نفسها الساعات الطوال ببعضها من القصر ، اما هو فقد يسر لها هذه الخلوة بان تجنبها ، وفي احدى الامسيات استلم له قيادها فوجدت الراحة الكبرى التي لم تعرفها من قبل . فاخذت دخل كلامها في حفلة الانسانية الحن بعد ان ضل عنها في عزلة الموت . وعادت اليه في اليوم الثاني . انها لم تعد بحاجة الى مجهود تبذله من جانبها كما كانت تفعل مع « مايك » وطلب منها ان تعود ثالثة في اليوم التالي فلم تفعل فقد كانت تشعر بانه ينتظرها ، وانقضى يوم آخر لم تذهب فيه اليه ، لكنه ظفر بها عندما كانت تمر مساء بطرف الغابة فاقتادها بعنف اليه وفي هذه المرة شاركته لذته مشاركة لم تفعلها امرأة قط : لقد ظفر اخيراً بضالته وارتبطت مضيماً ، اما هي فمادت الى القصر وقد شعرت بان حياة جديدة قد دبّت فيها ، ان تلك اللحظة التي مرت بها قد بحث كيانها من عالم الوجود لذلك خشيت على نفسها من هذا الوجد العظيم فهي لا تريد ان تستعبد وان في نفسها القدرة الدافئة على امتلاك زمامها وتوجيهها حسب اوداتها ، اما ذلك الرجل فهو لا شيء ، انه ليس سوى الاداة الكريمة لادراك ذاتها ، وعندما صعدت الى غرفتها في القصر لم تدع زوجها بقبلة المساء الموهودة ، ان حياتها قد دخلت

فوجدت فيه زجاجة عطر كانت قد نسبتها كوستانس ، كما وجدت الحروف الأولى من اسمها منقوشة على إطار خشبي ، فاضطرت كوستانس على اثر هذا الى العودة الى لندن على جناح السرعة ، فاخبرت اياها بانها حامل وبانها لن تعود الى زوجها بعد الآن بل ستلحق بابي الطفل . والتقت بيللورز واخبرته بانها تورطت العيش معه لان ما وبها اياه من الحب لن تنظر مثله مع غيره ، وتردد قليلا لفقره ، غير ان المعرفة العضوية هي سر الوجود ولقد ظفرت بها كاملة مع كوستانس لذلك لن يفترقا ، وعندما اتحد جسدهما بعد هذا الغياب علم ان واجبه الحقيقي هو في ان يمتحن هذا الاتحاد . انه يشك هذه المعرفة وهي زميله فيها وسيضاخن ضد الحاجة ، ضد الآلة التي افسدت الحياة ، ضد المثل العليا الاجتماعية الفاسدة . فليصدق نفسه ان وجد امرأة عذبة تفهمه .

« رغم كل ما سيقال اعلن للعالم بان هذه القصة كتاب شريف
نقي ضروري لرجال اليوم ^(١) » بهذه الجملة افتتح لورنس مقدمة قصته

لانه كان يتوقع الاثر الذي سيجدته فقد عانى من صروب الاقامات
التي. الكثير . كان همه ان يفهم الرجال والنساء قيمة الغريزة
« فاقهم الكامل الواعي هو اليوم اشد ضرورة من العقل ذاته »^(٤)
« وعليتنا ان نتصرف وفق تفكيرنا وان نفكر وفق افعالنا »^(٥)
والمبدأ الذي وضعه لورنس نصب عينيه هو « ان الحياة ليست جذيرة
بن يقبلها المرء الا اذا عاش الجسد والروح في تقايم تام وكان بينهما
توازن طبيعي واحترم كل منهما الآخر »^(٦). وقصة اليدي تشارلتي
تمثل هذا السعي الحثيث من قبل كونستانس وميلورز نحو ما يتنادي
به لورنس . ان كونستانس في بداية القصة فتاة ككل الفتيات لم
تعرف الحب الا من خلال النجوى والكلمات وغلب عندها التفكير
النظري على شؤون الجسد وعندما استسلمت لم يكن ذلك عن
قناعة وانما هو شر لا بد منه ، وعندما تزوجت لم يكن بدافع من
نداء الجسد ، ولقد ظنت انها تستطيع الاستغناء عنه واحتراره ولو
بالفكر غير ان ستين من الحرمان خلقتا فيها من القلق والاحساس
بلوات ما جعلها تسعى واعية او غير واعية في الطريق للسلابة
فأصبحت بـ « مايك » غير ان الاتصال المجرّد لا يكفي بل لا بد
من الاتصال الحقيقي ، الاتصال الذي هو غاية يجب ان يسعى اليها
الطوفان مارك ولم يكن الامر مع مايك على هذا النحو لان عطاءه
غير اصول لم يعطها فكرته والتفت بميلورز الذي كان يبحث مثلاً عن
الحياة الصحيحة بعد ان اتفق كثيراً ، تمسك كل منهما من الآخر .
http://www.Archiv

وفي كل لقاء ، بينا كان لورنس يصور لنا ناحية من نواحي الغريزة
ويرسم الطريق الالعبة التي يجب ان تسير فيها فالحياة بدونها عدم
وموت وهي سبيل الحياة . والرجل والمرأة رغم حاجتهما الى بعضهما
لا يفنى احدهما في الآخر فكل منهما في غنى عن زميله وهذه الهوة
بينهما لا تزول لان احدهما ليس سوى وسيلة لآثارة الحياة في الثاني
عن هذه الطريق ، واتصالها لا يزيل العزلة بين الافراد وانما يتسببها
ويجعلها عزلة صحيحة . لقد كانت دعوة لورنس دعوة حارة الى العودة
الى الحياة بعد ان اوشكت الآلة ان تقضي على الانسان واوشكت
العقل ان يمت الغرائز في حضارة القرن العشرين .

آيسه... الجارية الاسيوية

كان

البارون فيريول من كبار المغامرين، انتظم في الجيش واشترك في معارك كثيرة، ثم تخصص مع أحد رؤسائه فجير فرنسا وعاش وقتاً طويلاً في يولونيا والحجر حيث ارتبط بصداقات هامة أدت لبلاده خدمات جليلة، فكافأه لويس الرابع عشر على ذلك بمجمله سفيراً له لدى السلطان العثماني، فرحل إلى الأستانة في سنة ١٦٩٨ ليتبوأ هذا المنصب الخطير.

وبينا كان البارون يتجول يوماً في سوق الرقيق بالأستانة، وقع نظره على فتاة في الرابعة أو الخامسة من عمرها تدعى هايدن زعم تاجر الرقيق انها بنت أمير من امراء القنقاس فزاد الاتراك وشاؤوا البار في قصره، فدخل هو وأنفذ الطفلة من بين الانقاص.

ويبدو أن اقامة البارون بين الباشاوات الاتراك قد بثت في نفسه ميلاً إلى شراء الجوارى، أو أن جاذبية الطفلة الاخاذة قد أثرت فيه تأثيراً عظيماً، فاشترها بمجساة ثيرة، واصطحبها إلى فرنسا أثناء اجازته، فمدها في ليون، وتركها في كنفس زوجة اخيه السيدة دو فيريول التي تمهدت بالعتاية بها، وعاد إلى مقر عمله. وهكذا غدت الاميرة الاسيوية الصغيرة، وقد نقلت إلى ضفاف السين، زهرة جميلة من زهور فرنسا. وتضافرت مأساتها كزيتيتها، وجعلها على أن تجعل منها امرأة بارزة في المجتمع الفرنسي اشتهرت باسم آيسه، وهو تحريف هايدن اسمها الاول.

وقد عاملت اسرة فيريول هذه الفتاة كابنة لها، فتعرفت بالاسر النبيلة وعشت مجالسها. ورأها الوصي على العرش في أحد هذه المجالس فأحبها، وأراد أن تكون له، فسرت السيدة دو فيريول بذلك، معتقدة بأن الفرصة قد سحبت لريبتها لان تفتي وتعد. ولكن آيسه تولاهم الذعر بما يراودها، واستنكرت من السيدة

فيريول واختها السيدة دو تانسان واخوها الكرودينال الذي يحمل الاسم نفسه، أن يعمدوا إلى تشجيعها على النواة، ولاخت من الضغط المحرم والنصيحة المخجلة بأصدقائها من اسرة بولينغروك يقيمون في قرية لاسورس على مقربة من اورليان، موقنة بأن فضيلتها ستحترم هنا وتساند أكثر منها في باريس.

ولكن السيدة دو تانسان التي لم يحارمها العطف قط على آيسه، بل كانت تبغضها وتحقد عليها، قد ازدادت لها بغضاً وكرهية، حين قاومت وبغيتها فأفلتت من قبضتها، فأخذت وهي العريقة في المكائد واللباس، لتكيد لها وتنصب حولها شباكها.

ولعل اعطى ما يستحق الاعجاب في آيسه الاخاذ، هو هذه الفضيلة النبيلة التي جالبت بها، ببساطة وعفوية، ذلك المجتمع المنغمس في الرذيلة والفارق في الفساد.

في العالم المنفيع الذي كانت اللذة العابرة تسوده وتوجه افراده كانت آيسه ذات قلب لا يستجيب إلا لماطفة قوية، ووحيدة وعاتية، وسرعان ما استجابات حقاً لمثل هذه الماطفة العظيمة، فأثبتت أن الحب الصحيح ينشأ في كل زمان وفي أي وسط كان.

ولكن لا بد قبل أن نعرض لتلك الماطفة المؤثرة التي احتلت قلب آيسه، من أن نخلو صفحة مهمة في حياتها أحيط بالشك والغموض.

فقد تركتنا البارون دو فيريول يعود إلى القسطنطينية للقيام بتمام السفارة الفرنسية، وقد استمر قيامه بهذه المهمة حتى سنة ١٧٠٩، فلما عاد إلى فرنسا وجد الطفلة الصغيرة التي اشتراها من سوق الرقيق، قد غمت وتفتحت كالزهرة العطرة. وما من شك في انه قد أخذ يحبل الفتاة التي كانت تذكره بوعود الاسواق الاسيوية، فقد كانت هذه الاسواق تباع الجارية لتكون امسة

العكس ، ان افيد من قرار القدر في مصير البشر ، فأتصرف فيك مثلاً أشاء ، واجمل منك يوماً ابنة لي او خلية .. وان هذا القدر نفسه ليريد ان تكوني الاثنين معاً ، اذ لست استطيع ان افصل الحب عن الصداقة ، والرغبة الحارة عن حنان الابهة ، فكوني مطمئنة واذعني لمشيئة القدر ، ولا تفترقي بين ما يبدو ان السماء نفسها ارادت ان تجتمع . »

ولكن هل هذه السطور فاصلة في هذا الموضوع ؟ ان قول البارون : « وان هذا القدر نفسه ليريد ان تكوني الاثنين معاً » ليس حتماً تقريراً لامر واقع ، بل يمكن ان يكون اعراباً عن امنية ، وهكذا رآه سانت يوف . على ان استشهد سانت يوف في نفي هذه الشبهة ، بما اتصف به آيسه عن فضيلة ، لا يؤلف حجة ، اذ من الواضح ان البارون اذ كان قد اصر على ان تكون له ، باعتباره سيداً لها ، او « أعتما » كما كانت تسميه ، فانها لم تكن لتسلك وسيلة تقصيه عنها . . وكذلك شأن الحجة التي تخيلتها كاود فيرفال اذ زعمت ان آيسه لم توافق فيما بعد على الزواج من الشاب دايفي الذي احبته اعشق الحب ، لان ذكرى خطيتها كانت تجلبها على الاعتقاد بأنها غير اهل له . .

لسيدها وملكاً له يتصرف به مثلها يشاء .

وقد راجت الشاعة زعم ان البارون المغامر ، طالب الفتاة باله عليها من حق السيادة . . وهو حق اشتراه بالمال الذي دفعه ثمناً لها في سوق الرقيق . واختلف الباحثون المدققون في هذه القضية ، وطال مجتهدهم لمعرفة موقف البارون من ربيته ، وهل اعتنقها من عبوديتها ليفرض عليها عبودية جديدة ليست اقل كراهية ولا اضرال اذلالا .

ويؤكد سانت يوف الذي كتب اجمل دراسة وضعت عن آيسه وأكلها ، ان فيريول لم يكن غير أب للفتاة بينا يشك اوجين آس في ذلك . وفي الكتاب الروائي المستع الذي وضعته السيدة كاود فيرفال ، تذهب المؤلفة الى ان البارون قد ارغم الفتاة على ان تكون له .

وقد درست رسائل البارون كلها ووسائل الفتاة ، ومعارفها جميعاً ، فكانت الوثيقة الوحيدة التي اشارت الى هذا الموضوع رسالة البارون الى آيسه يقول فيها :

« عندما انتزعناك من ايدي الكفار ، واشتريناك ، لم يكن في نيتي ان أجلب لنفسني الحزن والتعاسة ، بل كنت اريد ان على

ARCHIVE
الآيسه
http://Archivebeta.Sakhril.com



انتقاد هذه الاخلاق المتفسخة ، والتعليق على ذلك كله بقولها :
« ان كل ما يجري في ظل هذا النظام الملكي يؤذن بانتياده » .
ولم تكن آيسه لتسجل شيئاً في رسائلها دون ان تتحقق منه ،
وكانت تشير أحياناً الى ما تظالعه من كتب ، ككتاب «غوايغر»
الذي اضعكها وكتاب « مانون ليسكو » الذي ابيكها كثيراً .

وقد كان بدسياً ان تبكيها مأساة ديغريو ، لان الحب لم يكن
في نظرها ، هي ايضاً ، تسلياً عابرة . وكانت تتأمل في اعماقها ، لان
علاقتها بالشغاليه دايدى لم تكن علاقة شرعية ، بالرغم من شفها
به وعبادتها له . وكان التبكيت ينشئ في ضميرها ، في غمرة المنمة
التي كانت تستشعرها بقربه .

ولهذا كانت اعرفاتها لصديقتها السيدة كالاندريني تحمل
طابعاً كسبياً مؤثراً ، هو صدى ذلك الصراع المنيث الذي كان
يحدث بين ضميرها وعاطفتها ، فتحاول الابتعاد عن عشيقها ولا تستطيع .
وقد علمنا انها رفضت الزواج بالشغاليه دايدى ، حين رغب
اليها في ذلك ، وهو موقف غريب لان الزواج كان يضع حداً لذلك
الصراع الذي كانت تعانيه في اعماق ضميرها . .

صحيح ان دايدى كان يدعى الشغاليه دومالطة اي انه نذر
الغزوية ، ولكن كان في وسعه نقض نذره . فهل تصح نظرية
السيدة فيروال التي زعمت ان ذكرى علاقتها بالبارون فيروال هي
التي حملتها على رفضها هذا الزواج ؟

في الواقع انني رسائل آيسه جملة تشير الى السبب الذي جعلها
تضحي بهذه السعادة التي تشبهاها من اعماق قلبها ، فقد قالت . « ان
طبيعة املاكه هي عتقة لا يمكن تحطيلها » .

فالراجح ان املاك الشغاليه كانت مؤلفة من هبات اكابر كية ،
وكان عليه اذا نقض نذره وتزوج ان يتخلى عنها ، وهو امر لا ينفق
ومصلحة ابنته ايضاً ، فلم ان تؤذي سعادتها الى حرمان الشخصين
الذين تحبهما من ثورتها . . وليست هي المرة الاولى التي تحسول
الشؤون المالية دون سعادة عاشقين . .

واستطاعت آيسه اخيراً ان تتفنع عشيقها بقطع تلك العلاقة
المحرومة ، فقتل عند رغبتها الملحة ، وهجرها دون ان يتبادل حبها .
ولا ريب في ان النصائح التي كانت ترسلها اليها السيدة كالاندريني
من جنيف قد علمت عملها في التفريق بين هذين القلبيين العميين . .
ومرضت آيسه ، واشرفت على الموت . فبادرت الى احراق
رسائل عشيقها وطلبت منه الاقتداء ، بها ، لكي تزيل كل اثر من
آثار ذلك الحب الذي بقي خالداً على الرغم من ذلك .

اما اميل هنري فانه يميل الى الاعتقاد بأن البارون الكهل قد
تخلى عن عاطفته ، ويستدل على ذلك بأن الفتاة التي قامت برعايته
والعناية به حتى وفاته ، وترك لها جانباً من ثروته ، لم تكن تحمل
له في قلبها غير المودة والرفق بالجميل . وهنري شديد الحرص على
هذه الواحة من البراءة والبهارة في عهد الوصاية الحافل بالفساد ،
وان كان يقتضها افتراضاً . .

وبينما كان فيروال يتحضر في الخامسة والسبعين من عمره ، تعرفت
آيسه بشاب جميل على جانب كبير من الثقافة والنباهة ، انى عليه
فولتير ثناء . وعظما ، ووصفته السيدة دورودان في رسائلها باطراء
واعجاب ، واجبه مونتسكيو وعاشره وقتاً طويلاً .

كان هذا الشاب يدعى الشغاليه دايدى وقد أحب آيسه
اصدق الحب ، فقاومه الفتاة وقتاً قصيراً ثم استسلمت له . وليست
هنالك اية وثيقة مباشرة عن هذا الحب العميق الذي استمر عشر
سنوات ، اذ ان الرسائل التي تبادلها قد احترقت ، ولم ينشر منها
غير رسالتين من آيسه الى عشيقها اثبتتها السيدة كارد فيروال في
كتابتها دون ان تشير الى مصدرهما ، ورسالتين من دايدى اليها
نشرهما رافيل وهما تقضاض رقة وحناناً . وكل ما عرف عن
علاقتها ، قد بني على الرسائل الوحيدة التي تركتها آيسه وخلقت
شهرتها الادبية ، وقد كتبها بين سنتي ١٧٣٦ و١٧٣٧ الى صديقتها
السيدة كالاندريني بجنييف .

وقد اقر هذا الحب ابنة ولدت في الحفا ، وعصيت سيليني
وربيت في احد الادرية ، وكانت امها تزورها بين حين وآخر دون
ان تعرف الصلة التي تربطها بها . ثم تبنائها الشغاليه واعترف بها ،
وتزوجت فيها بعد الكونت دوناتيا ولا يزال احفادها على قيد الحياة .

وكثيراً ما كانت آيسه تتحدث عن ابنتها في رسائلها الى السيدة
كالاندريني ، بمحان وحساسية مؤثرين . ولحق ان عاطفة آيسه الرقيقة
ونفسها الشاعرة هما اللتان جعلتا لرسائلها تلك القيمة الادبية ،
تضاف الى ذلك باقة ناعمة تذكر بالقرن السابع عشر الذي كان
الادب . لا يقولون فيه كل شيء . ولكنهم يلجئون الى كل شيء .

لهذه الرسائل قيمة مزدوجة ، لانها كانت خاصة وعامة في
وقت واحد ، فهي تصور القرن السابع عشر والبيئة التي عاشت فيها
بما في ذلك البلاط ، ومجلس الوزراء ، وغرف البالية رويال المجاعة ،
ومخادع الاسر النبيلة ، وكواليس المسارح . وضحاتها تعرف اية
نصكته شاعت هذا اليوم ، وأية تسمية قامت بها السيدة دوناتسان ،
وأخر عشاق السيدة بلارايو ، وخليفة الوصي الجديده ، ولا يغوتها

مكتبة الاديب



المذكرات

للاستاذ محمد كرد علي ٣ اجزاء - ٩٦٦ ص - مطبعة الترقى - دمشق

الاستاذ محمد كرد علي ؛ رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق وعالم الشام ومؤرخها ، وباعت النهضة العلمية فيها ، اشر من ان يعرف . وهو حلقة نادرة في سلسلة العلماء الذين اجتهدتهم دمشق في تاريخها . ولقد ولد في عصر ملؤه الاضطراب والجهل والفوضى وعاش في عصر كله اضطراب ، وجهاد ، مرت به الحياة في حالاتها ، فرأى نعمها وعذابها ، وذاق حلوها ومرها ، وغناها وفقرها ، ورخاها وبؤسها . اقام في وطنه ، ورحل عنه ، وفر من الظلم فتمتع الظالم ، وجاهر بالحق ، فقلقي في سبيل الحق أذى ونصبا . وممت به الرتب حتى بلغ الوزارة ، وسما به العلم حتى كان رئيس اكبر هيئة علمية بالشام ، وبلغ منزلة حمده الناس عليها . وراى المولى وجالسه ، وحضرت مجالسه العلماء ، والوزراء ، والرؤساء ، والادباء . وراى سياسة الترك والفرنسيين والانجليز . وشاهد اصنافا من الناس واخلاقا من البشر . من العلماء الى الجاهلين ، ومن الملحدين الى رجال الدين ومن الوزراء الى العامة ، وساح في البلاد وطاف . وصاحب المستشرقين ، ففرهم وعرف شأن ما كتبه والقوة وكانت حياته طافحة بالعجائب والغرائب والحوادث . فالحقبة التي مرت به حقبة لم تعرف الاستقرار . والحياة التي ساقته اليها الظروف حياة لم تعرف الاستقرار ايضا . كانت حياة متنوعة زاهرة . في كل يوم منها شي . جديد . حياة فيها امر لا تمر بمجوبات الناس ، ولا يعرفها الا غط خاص من الناس . هذه الحياة الملأى بالنشاط والسعي وراء الحق ، ونشر العلم ، والتشجيع ، والعمل والانتساج ، اراد الاستاذ كرد علي ان يصورها ، في مذكراته ، وان يعرض على الناس بعض صفحاتها لتكون اصلاحا لهم وعبرة .

وفي الحق انك تجد في هذه المذكرات امورا لا تستطيع ان تجدها في مكان آخر ، ولا ان تسمعها من رجل آخر فخطايا سياسة الاتراك في الشام ، وخفايا سياسة الفرنسيين في أيام الانتداب ،

وخفايا سياسة المصريين ومؤامرات الترك والفرنسيين والانجليز على البلاد ، كل ذلك تجدها واضحة جلية في المذكرات . وانتشار الجهل في البلاد ، والحلة القوية التي قام بها الشيخ طاهر الجزائري وساعده فيها نخبة من مثقفي البلاد تجدها مصورة في المذكرات احسن تصوير .

ومجالس العلماء ، وراى الاستاذ فيها تجدها مفصلة مبينة . يضاف الى ذلك انراى الاستاذ في كثير من المعاصرين من الادباء والعلماء ، والوزراء ، رأي جري . جدا . لا يصدر بمثل هذه الجرأة عن احد . امتازت هذه المذكرات بالصرحة . وهي صراحة قد تجرح . ولكنها تظهر العيوب واضحة . ولقد هدف الاستاذ كرد علي من نشر مقالاته الى الاصلاح ، هذا الاصلاح الذي سعى من اجله كثيرا . ولا بد لكي تصلح من صراحة وجرة وشجاعة ولو لقي صاحبها منها الاذى او أغضب الناس .

وامتازت المذكرات بأسلوب سهل متمتع . اسلوب كأنه الماء الصافي ينساب حلوا عذبا . مع بلاغة فيه وقوة . وقد عرف الاستاذ بأسلوبه اطلو هذا في جمع ما كتب . وميزة تالفة لهذه المذكرات حتى انها اصبحت مرجعا لدراسة العصر المملوكي بعاش فيه كرد علي . ولا شك ان اثرها سيكون عظيما . واحسن واوجز ما يقال عن المذكرات انها جديرة بأن تقرأ جديرة بأن يعنى بها ويرجع اليها .

دس صلاح الدين المنجد

ولادة دس في العهد العثماني

للاستاذ صلاح الدين المنجد - ١٣٦ ص - دمشق

نحت هذا العنوان نشر الاستاذ صلاح الدين المنجد كتابين مخطوطين قديين هما كتاب الباشات والقضاة لابن جمعة ، وكتاب الوزراء الذين حكموا دمشق لابن القاري الاول عن نسخة مكتبة برلين ، والثاني عن نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق . يقول الاستاذ المنجد ان تاريخ دمشق ما يزال غامضا في بعض عصوره ، مجهولا في دقائقه ، ذلك لان ما كتب عنها كان اقرب الى الاجمال . لان العناصر التي يجب الاعتماد عليها في بحث تاريخي علمي ما تزال مبعثرة . فكثير من السجلات القديمة التي تجدها على

وتلاهم في سبيل استثمار أكثر ما يمكن استثماره .
والخلاصة ان كتاب ولادة دمشق من اطراف الكتب من حيث
مادته، ومن ابعاده من حيث تحقيقه وتصحيحه والمصادر التي فيه .
وهو جدير بعناية الباحثين بتاريخ دمشق خاصة ، والمتبعين لآحوال
البلاد العربية بصورة عامة .

كتاب وقف القاضي ابيه المنجا

نشره وحققه الاستاذ صلاح الدين المنجد - مصر - المعهد الفرنسي - دمشق
هذا كتاب وقف قديم ، فيه ذكر ما وقف القاضي عثمان بن
المنجا الحنبلي على اولاده وترتبته في القرن السابع الهجري من الدور
والاملاك والبساتين والجنان وغيرها في مدينة دمشق وارباضها .
ذكر الناصر ان بيت المنجا كان بيت علم ودين ومال وجاء
بدمشق . وان اقراؤه كانوا من شيوخ الحنابلة بدمشق طوال ايام
الاويبيين والمماليك . انتهت الى بعضهم رئاسة المذهب الحنبلي
وكان منهم القضاة والعقما والمدرسون والمعلمون . واسسوا مدارس
تختلفت اوقفت على المتفهمة من اصحاب الامام احمد بن حنبل . وكان
لهم في اعمال البر والخير باع كبير .

وكان القاضي عثمان ، صاحب كتاب الوقف قاضياً كبيراً . جمع
الى علمه ملا ووزرة واولاداً . فوقف لهم قبل وفاته ما كان لديه .
ويبين الاستاذ المنجد ان هذا النص هو اول نص من نوعه
ينشر لأن النصوص المتعلقة بالحنابلة بدمشق وحساباتهم الاجتماعية
نادرة لم يبق بها احد . وان هذا النص غني بالامكان الموقوفة . مما
يجعله غنياً بالفوائد الطبوغرافية واما القرى والحال التي تكشف
صفحات جديدة من تاريخ دمشق . هذا فضلاً عن امور ومؤسسات
اجتماعية كثيرة يظهرها لنا النص .

ولا شك ان هذا النص رائعة جديدة يقدمها الاستاذ المنجد
من حيث النشر والتحقيق فلقد عني بتصحيح النص والتعليق عليه بما
عرف عنه من دقة التحقيق وسعة في الاطلاع وعني بتبويب وترتيبه
بما شهر عنه من ذوق وفهم . وعني اخيراً ، بانظاري ما في النص من فوائد
بواسطة الفهارس العشرة التي اردف النص بها ، والمقدمة التي ارفقها
بها خصائص الكتاب وما يمكن ان يستخرج منه وقديني ايضا بصاحب
كتاب الوقف فكشف نسبة . وذكر اجداده واولاده واحفاده ،
بشجرة نسب :

واننا اذ ننهي . صديقنا الاستاذ المنجد على اعماله العلمية الجيدة
الموقفة نشكر المعهد الفرنسي بدمشق على عنايته بنشر هذه النصوص
من تراننا العربي .

المباني التاريخية ما يزال على المباني لم ينشر ولم يدرس وما نشره
الغربيون منها حتي بأخطاء أدت الى نتائج غير صحيحة . والوثائق
الرسمية ، كالمجلات وكتب الوقف ما تزال بعيدة عن اعين الناس
لم يروها . فضلاً عن ان الكتلة من المتفنيين لا يعلمون شأنها وقيمتها .
والتيكاف المخطوطة المتعلقة بدمشق ما تزال تحت الغبار . يأنف
الكتلة من لمسها والنظر اليها فلا يمكن اذن كتابة تاريخ تلم
مفضل لدمشق قبل نشر النصوص ، ودراسة الوثائق وحل الكتابات .
واذا كان ما وجد من هذه العناصر متفاوتاً في الندرة والكتلة
بالنسبة للعصور التي مرت على دمشق قبل العثمانيين فانها لتكاد
تكون مفقودة بالنسبة لدمشق في العهد العثماني .
ويبين الاستاذ المنجد ان ايجاد هذه النصوص التي تساعد على
البحث كانت غايته عندما نشر سلسلة النصوص الانارية المتعلقة
بدمشق ، وكثر بعض كتب الوقف وانها كانت غايته ايضا عندما
نشر كتاب ابن جمعة وكتاب ابن القاري .

يؤلف هذان الكتابان المخطوطان سلسلة تامة لولادة دمشق منذ
دخول السلطان سليم اليها سنة ٩٢٢ هـ الى سنة ١٢٣١ هـ . وقدارد
الناسر بالكتابين ملحقين اخذهما من سائر امانه ولايت سورية .
للولاة من سنة ١٢٣١ هـ الى سنة ١٣٣٦ هـ الذي في دخول الجيش
الانكليزي دمشق مع الامير فيصل
فيكون الكتاب اوسع واجمع مصدر عن ولادة دمشق . واذا
قبل عن ولادة دمشق فعني ذلك تاريخ دمشق السياسي والاجتماعي
والعمراني . لان مؤلفا الكتابين ، يذكرا اسم الوالي والاعمال
التي قام بها او التي تمت في عهده .

وقد مهد الاستاذ المنجد للكتابين بمقدمة جيدة عن سيرة
الولاة واثرهم العمراني وحالة دمشق في ايامهم . ثم اعقب ذلك
بفصل سماه « مصادر عن تاريخ دمشق في العهد العثماني » وهو فصل
يدل على سعة اطلاع وكثرة بحث . سرد فيه احوال عدد كبير من
المصادر المطبوعة والمخطوطة التي تتعلق بدمشق في العهد العثماني ، من
كتب التواريخ والحالات والمذكرات والتراجم وما يتعلق بآثارها
ومضات وصناعاتها وواقفها وشعراؤها ومكتباتها ومنزلاتها واثارها
واليهود فيها . وهو عمل يستحق كل اعجاب .

وفي كتاب ابن القاري صور كثيرة لما تجده في ايماننا من اضطراب
في السياسة . وعدم اخلاص في الولاة . واعتماد أولي الامر على
الزعران في الحارات ، وتقريبهم الاعوان وابسادهم المخلصين .

ليام الكلية الجعفرية

وردنا من الكلية الجعفرية في صور بيان نستطيع ان نسميه كتاباً اذتوخت ادارتها الكلية في اخراجه شيئاً من التجديد فبسطت فيه لمعاً من القول في نشأة الكلية وفكرتها ونشاطها وسجلت فيه بعض اقوال المفكرين والعلماء بالدراسة كما سجلت نتائج سنتها الاحدى عشرة وسمحت صوراً لكتابها العلمية والعمرانية والاقتصادية. ولا يسعنا بهذه المناسبة الا ان نكسر يد مؤسسها سماحة الامام السيد عبد الحسين شرف الدين بمجتهد الشيعة الاكبر ونحترم بره بالجيل الطالع. وعقدتنا ان اعطاء المعرفة والتثذيب اسمي اوان الجهد، وابقاه في باب النفع، وميزان الخلود.

وفي الحق ان الكلية الجعفرية قطعت بسننها القلائل اشواطاً بعيدة نحو الكمال فكلفت مؤسسها الجيل هيئة ادارتها الفضلاء تضحيات دلتنا على جلد وثبات تادرين حقاً. فترجو لمؤسسها طول البقاء ولها التقدم المستمر والنفع الاكث.

كتب جديدة صدرت في القاهرة

من المطبوعات التي ظهرت حديثاً في مصر ما يلي :
« هاتف من الاندلس » لعلي الجارم بك و« المع ساعات الخرج في تاريخ الانسانية » لمحمد مفيد الشوباشي و« البيان » لـ « محمد باقر الخليلي » و« في بلاد النجا » للدكتور مراد كامل و« فن الاخراج السينائي » لبهاء الدين شرف و« ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان » لمحمد عبد المنعم خفاجي والجزء الثاني من « قصص توفيق الحكيم » و« مع المغامرين والمجرمين » لعبد المنصف محمود باشا ، و« نشأة الدين » لعلي سامي النشار و« المسؤولية الجنائية » للدكتور مصطفى القلي بك و« كيف تبنى العائلة » لـ « الاستاذ بولس مسعد » و« اكسير الحياة » للدكتور محمود محمد سلامة و« عبد الله بن قيس الرقيات » لعلي النجدي ناصف و« فن الخطابة » لمحمد الحوفي و« من رحى البعثات السعودية » لـ « صالح جمال الحريزي » و« اعلام الشعر الجاهلي » لمحمد عبد المنعم خفاجي وعبد السلام ابو النجا سرحان ، و« صور وخواطر في الاخلاق والاجتماع » لـ « اميل شوقي » و« مذكريات زعيم المسرح الفكاهي » لـ « نجيب الريحاني » و« نجيب الريحاني » لعنان العنتلي ، و« محمد » لـ « احمد النسايجي » ، و« صور

من البطولة » للدكتور حسين مؤنس ، و« اللعب والعمل » لعلي عبد الواحد وافي ، و« رسالة العلم الاجتماعية » لـ « ابراهيم عبد الله » و« في الادب والتقدم » للدكتور محمد مندور ، و« أبو حنيفة » و« مالك » و« ابن حنبل » لمحمد ابو زهرة ، و« نهاية الاندلس » لمحمد عبد الله عثان ، و« في الضباب » لـ « ابراهيم عبد اللطيف نعيم » و« الكلام في شعر البحتري » لمحمد طاهر الحيلالي ، و« الغار الحياة والموت » لعلي عبد الجليل راضي ، و« الرحلة المقدسة » لـ « لياس الضبيان » و« محمد فريد » لـ « احمد شوقي » و« مآسي الشباب » و« زواج الشباب » و« كفاح الشباب » و« بنات » لـ « احمد الصاوي محمد .

ومن المطبوعات الحديثة التي ظهرت في القاهرة ايضاً ما يلي :
« البرقيات للرسالة والمقالة » لـ « احمد تيسور باشا » ، صدر باشراف خليل ثابت بك و« طريق المجد للشباب » لـ « سلامة موسى » و« المرأة في عصر الديمقراطية » لـ « اسماعيل مظهر » و« خليل مطران الرجل والشاعر » لمصطفى عبد اللطيف السحري و« نشيد الانشاد » لعنان الذهبي ، و« هملت » لشكسبير ترجمة خليل مطران بك ، و« تاريخ الادب العربي » للدكتور مراد كامل والدكتور محمد حمدي البكري ، و« بعد الغروب » لمحمد عبد الحليم عبدالله ، و« مأساة اوديب » لعلي احمد بهاء الدين ، و« حكم الطاعة » لـ « ابراهيم عبد القادر المازني » و« مع الابطال » لمحمد فهمي ، و« صور من الريف » لمحمد زكي عبد القادر و« السجل الثقافي لعام ١٩٤٨ » لوزارة المعارف ، و« قصة النزاع بين الغزوة والزواج » لعبد القدوس قرياقص ، و« ابراهيم لنكون » لـ « جون درنكووتر » و« الوصية » لـ « جيمس هاتيو ياري » و« الحادث الخطير » لـ « ارنولد بنيت » وقد ترجم هذه المسرحيات الثلاث سعيد جودة السحار ، و« تاريخ الطباعة والصحافة في مصر » للدكتور ابراهيم عبده و« الاعلام وشارات الملك في وادي النيل » للعلامة عبد الرحمن زكي ، و« مأساة الزعيم كروبوليس » لشكسبير ترجمة محمد حمدان ، و« موعد في الجنة » لـ « حلمي سلام » و« الاحزاب السياسية في فجر الاسلام » لـ « بدوي عبد اللطيف » و« اصطلاحات فنية » لـ « الدكتور بشير فارس » و« تغذية الاصحاء والمرضى » للدكتور سيد احمد غير ، و« غداً » لـ « مساري ادجورث » ترجمة عمر خلوصي ، و« التحليل الكيميائي » لمصطفى كامل الجبيني .

جولة للفد في نسهر



هذا الطريق الحديدي مستعمل
في سوريا وشرق الأردن ولكن الجزء
الموجود في المملكة السعودية معطل منذ
الحرب العالمية الأولى. وصعنا ان ألفناوضات

انتهت أخيراً الى اتفاق سوريا وشرق الأردن والمملكة السعودية
على استعمال هذا الخط حتى المدينة، فتصل ام القرى بالعالم الاسلامي
كله بسكة حديدية .

وقد ردت الحاجة نفقات اصلاح الخط باثني عشر مليون ليرة
سورية ، اي حوالي مليون جنيه مصري ونصف .
ومعظم القضبان ، والمحطات والكيابى على هذا الخط سليمة
يمكن استعمالها مع قليل من الترميم . وقد سمعت ان الامريكان
عرضوا على جلالة الملك عبد العزيز ان يشتروا أدوات هذا الخط
بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه لاستعمالها في اماكن اخرى فأجابهم جلالتهم
بان هذا الخط وقف اسلامي لا يجوز التصرف فيه .

هذا عن مواصلات
الحجاز الحديدية
وتنشأ الآن
سكة حديدية
من الطهران الى

الرياض وتز بالخرج وهي المملكية الواسعة
التي تبعد عن الرياض ٨٠ كيلومتراً الى الجنوب
الشرقي . وانشىء من هذا الخط نحو ١٠٠ كيلو .
والمسافة كلها نحو ٤٠٠ كيلو .

دخل الحكومة السعودية

س - هل يمكن ان نأخذ فكرة عن ميزانية المملكة
السعودية في الوقت الحاضر .

ج - للمملكة السعودية من ضريبة النفط ورسوم الحج والجمارك
ومن العشور ما يمكنها من تحقيق كل اصلاح عمراني تحتاج اليه
البلاد ، ويمكن تقدير دخل الحكومة من هذه الموارد بما لا يقل
عن ٢٥ مليون جنيه .

الزراعة في الجزيرة

س - هل هناك برنامج للتوسيع الزراعي في الجزيرة العربية ؟
ج - الجزيرة العربية كما هو معروف ليس فيها نهر ، وامطارها
قليلة ، ولكنها ليست كما يظن خالية من الزرع ، او غير صالحة

من تدوينا حضرة صاحب الغزة الدكتور عبد الوهاب عزام
بلك وزير مصر المفوض بالمملكة العربية السعودية فتحدث
اليه سادة عن بعض شئون القطر العربي الشقيق بما نشر خلاصته فيمايلي .
قال مندوبنا .

— ما هي درجة التطور العمراني في المملكة السعودية الآن ؟
فأجاب سعادة الوزير المفوض :

— يرى المتجول في المملكة السعودية مظاهر عمران كثيرة
من ابنية جديدة ، وطرق ، وشركات ووسائل المواصلات المختلفة ،
من تليفونات وبرق . ويتنظر ان يزداد التعبير نشاطاً بهذا التطور
الاقتصادي العظيم ، الذي نشأ من كشف منابع النفط في المملكة

السعودية .
ونرجو ان تعنى
هذه المملكة
بوضع خطط للتعبير
تضمن القيام

بالامور العمرانية في سنوات قليلة ، ولا سيما ان
يتصل بالحرمين الشريفين . فمع اهتمام الحكومة
السعودية بعمران الحرمين وانشاء الطرق المؤدية
اليها يحتاج تحقيق ما يريجو المسلمون للحرمين

الى خطة جامعة تضعها المملكة السعودية وتعاون على تنفيذها
البلاد الاسلامية بما في طوقها من اموال وخبراء .
فتوسع الحرم المكبي مثلاً وازالة ما حوله من مساكن وانشاء
طرق واسعة محيطة بالحرم يحتاج الى ملايين من الجنيهاً . وكذلك
توسيع ما حول الحرم المدني من الطرق ، وتعبيد الطريق بين جدة
والمدينة .

والحكومة السعودية مهتمة بهذا كله ، ولكن ليس من
الانصاف ان يلقي العبء كله عليها ، وتتف الحكومات الاسلامية
الاخرى دون مشاركة فيه باموالها وخبرائها .
سكة حديد للمدينة

— ما هو الموقف الآن فيما يخص بسكة حديد المدينة ؟

— ذكرت الصحف الأمريكية ان الأمريكان انشأوا اكبر قاعدة جوية في الشرق الاوسط في منطقة الظهران بقصد استعمالها عند اللزوم لحماية منابع البترول. فما هي تفاصيل هذه المسألة ؟

— الذي اعلمه انه كان للامريكان مطار في الظهران ولكن الحكومة السعودية لم ترض بان يبقى في ايدي الأمريكان فاستردته، وسلم المطار للحكومة السعودية، في احتفال شهده سمو الامير منصور وزير الدفاع ، وكتب محضر بهذا التسليم .

ونشاط الأمريكان في المملكة السعودية نشاط اقتصادي، لا ترضى الحكومة السعودية بان يؤثر على استقلالها اي تأثير.

بين المملكة السعودية والدول العربية

— ما هي صلة المملكة السعودية بالبلاد العربية ؟

ج - اما الصلات بين المملكة السعودية وبين مصر ففنية عن البيان ونسأل الله ان يديها ويزيدها ثمانية ..

ولا يحتاج الى بيان ايضاً فضل جلالتى للملكين الاخوين فاروق والملك عبد العزيز في انشاء هذه الصلات ورعايتها .

اما صلات المملكة السعودية بالبلاد العربية الاخرى فصلات مودة ورحمة جوار ولا يألو جلالة الملك عبد العزيز جهداً في المحافظة على دولها بكل الوسائل .

رحلات علمية

س - هل قمت برحلات علمية مدة مقامكم في منصبكم هذا .

ج - لما ذهبت الى الرياض في العام الماضي لمقابلة جلالة الملك عبد العزيز، عدت من الرياض الى مكة بالسيارة ، قطعت نحو ألف كيلو في نجد والحجاز ، ومررت بمواضع تاريخية وأماكن معروفة في الادب العربي ، وكتبت عنها ما اتسع له الوقت ، وكذلك ذهبت من جدة الى المدينة مرات ، ومن ينبع الى الوجه في شمال الحجاز والى الطائف، وفي كل هذه الاماكن ذكريات تاريخية وأدبية كانت موضع درس ، وقد كتبت فصولاً عنها سأنشرها في الطبعة الثانية من كتاب الرحلات .

ولا يسأل المتجول في الجزيرة عن نبات او شجر الا سمع اسمه القديم الذي يعرفه في كتب اللغة والادب .

وقد اقترحت على الجمع النقوي ان يرسل بعثة نباتية الى الجزيرة العربية لتسجيل هذه الالهاء ، والاستغناء بها عن الترجمة .

« جريدة الاناس المصرية »

للتوسيع في الزراعة ، فهناك اودية كثيرة تجري فيها السيول .. وبعض هذه الوديان تسيل فيها عيون دائمة على سطح الارض .. وعلى مقربة من هذه الوديان آثار يستنى منها ، وتروي الزرع والشجر ، وفي الجزيرة واحات غزيرة الماء .

ومن الوديان مثلاً وادي فاطمة على مقربة من مكة، ووادي ينبع .. وفي كل منها نحو ٣٠٠ عيناً جارية تسقي البساتين . ذلك غير العيون التي طلستها الرمال .

ومن المشاريع الهامة التي تفكر فيها الحكومة السعودية بناء سدود في الوديان الكبيرة ، وقد شرعت في بناء سد في الطائف ، وضع رسمه ويقوم على بنائه مهندسون مصريون .

فإذا تيسر للحكومة بناء هذه السدود تغيرت الحال في الجزيرة العربية كثيراً .

وكذلك تهتم الحكومة السعودية باستنباط المياه الجوفية . وقد بحثت في مواضع كثيرة لاستخراج هذه المياه ولا تزال تبحث .

التعاون الثقافي بين مصر والمملكة السعودية

— ما هي حالة التعليم في المملكة .

— يهتم جلالة الملك عبد العزيز بشئ التعليم في أرجاء المملكة وفيها الآن مدارس دينية كثيرة، ومدارس أخرى ابتدائية وثانوية منها مدرسة تحضير البعثات في مكة وهي تتجهل الطلبة للالتحاق بالمدارس المصرية العالية .

والاستعانة بالمدرسين المصريين في ازدياد عاماً بعد عام وكان المدرسون في العام الماضي نحو ستين في المدارس الابتدائية والثانوية وعشرين من علماء الأزهر (من شتى المذاهب) يدرسون في مكة والمدينة والرياض وجدة والطائف . وفي القرى في اواسط نجد وفي الظهران ، ويرجو ان يزداد عدد المدرسين المصريين على توالي الاعوام .

ثم ان عدد الطلاب السعوديين الذين يوفدون الى مصر للتعليم في ازدياد كذلك ، وعددهم الآن نحو ٣٠٠ في مدارس مختلفة وفي الجامعات .

والاستعانة بعلماء الأزهر للتدريس هناك دليل واضح على بطلان ما يقال من تعصب الوهابيين لمذهبهم ، ونفوذهم من علماء المسلمين الآخرين . وليس المذهب الوهابي بدعة في الاصول او الفروع فهو مذهب السلف في الاصول ، ومذهب ابن حنبل في الفروع .

انباء العالم في اسبوعه

٢٥ آب ١٩٤٩ - صرح المستر فرايزر
رئيس الوزارة النيوزلندية ان حكومته ستمنع
الشويعيين في بلادها من الوصول الى اية وظيفة
تس سلامة الدولة .

- اذاع نوري السعيد بياناً بالاسكندرية جاء فيه : انه يعجب ويستشكر ما يشاع عن ان العراق يؤيد سوريا الكبرى او الحلال الحبيب، وان هدف العراقي هو الوحدة التامة الشاملة، وان لا يكون سبباً في اضعاف الكيان السياسي لاي بلد .

٢٧ - أصدرت وزارة الخارجية الفرنسية بياناً أكدت فيه وجوب قبيل فرنسا غثيلاً تاماً في المنظمة المختصة بشؤون الدفاع في ميثاق الأتلتيك وضرورة تسليم الولايات المتحدة لفرنسا على الفور لكي تستكن من القيام بالواجبات المطلوبة منها .

٢٩ - صدر بلاغ حربي يوناني ان القوات
الحكومية اتمت احتلال سلسلة جبال غراموس
الرئيسية وشرعت ترحف جنوباً .

٣٠ - تجري فوق واسط نروج مناووراك
جوية واسعة يشترك فيها سلاح - الطيران
البريطاني وتقوم المناورات ستة ايام.

- حكمت محكمة براغ على ٦ بالاعدام
لحساب الدول الغربية .

٣١- أعلنت المصادر العسكرية الروسية في طهران أن طوابير المشاة الآلية الكبيرة قد زحفت نحو الحدود الإيرانية الشمالية التي يبلغ طولها نحو ١٥٠٠ ميل لمواجهة أكبر خطر يهددها من القوات السوفياتية. وتخوف الحكومة الإيرانية الآن من أن الحظر الكبير للكامن على الحدود قد أصبح في حالة حرجة جدا أكثر مما يعتقد.

- اجبر اونت يفن وزير خارجة بريطانيا واستافد كريس وزير ماليتها الى واشنطن "حيث يعقد المؤتمر المالي الثلاثي".
اول ايلول ١٩٤٩- اعن الرئيس ترومن بتاسية الذكرى العاشرة لاندلاع نيران الحرب انه يرجو ان ينتهي حرب الاصابات الذي يشنه الشيوعيون ضد الديمقراطيات بالطرق السلمية.

٣ - اعلنت وزارة المالية الاميركية ان الموازنة وقعت في عجز ملياري دولار .

وإذا كان المعدل سيتابع حتى آخر السنة الحالية
فتقع الخزينة بمعجز ١٣ مليار دولار .

٣ - سلمت المفوضية الإيطالية مذكرة للخارجية العراقية بشأن مستعمرات إيطاليا باخا تحيّد الحكم الذاتي لكل من ليبيا وارتيريا وستساعد الدول العربية في هذا لقاء. تعضيد مطلبها في الاشراف على الصومال .

٢ - ختم ولاء وزراء الخارجية بجانبهم في محاولة اعداد صيغة معاهدة الصلح النسائية دون ان يتمكنوا من الوصول الى اتفاق نهائي .

— تحدث المارشال نيتو الى جماعة من
الامبركيين فقال ان خلافة مع ستالين يفود
الى خمس سنوات ولكنه لا يعتقد بان هذا
اختلاف سيؤدي الى نشوب حرب .

• - وصل الملك عبد الله إلى ميناء لاكورونا في زيارته لاسبانيا وقد استقبله الجنرال فرانكو على الميناء، واقامت لعمام الزينة والاستقبالات.

٦ - برأت المحكمة العسكرية الخليفة
المتنفذة في طوسكيو ساحة الاميرال دي يولا
القائد العام للاسطول الياباني ضد ثمانية الحرب
من التهم التي نسبت اليه .

٧ - وصل الى لندن الامير منصور بن عبد العزيز وزير الدفاع في المملكة العربية السعودية وسبق في لندن عدة ايام يجري فيها محادثات مهمة .

٨ - وافق بنك الاستيراد والتصدير على منح يوغسلافيا قرضاً قدره عشرون مليون دولار. وقد تخصص بريطانيا ليوغسلافيا قرضاً بنحو ستة ملايين اسريلينية .

١٥ - نثرت الحكومة الجبرية مذكرات
الاحكام ضد راجيبك وزير الخارجية الذي اعتقل
في الشهر الماضي قد جاء فيها انه سيقدم الى
المحاكمة مع سبعة من الزعماء الشيوعيين بينهم
رئيس اركان حرب الجيش بنهجة الحبان
العظمي والزنجس لحساب الولايات المتحدة
وبوغوسلافيا .

١٣ - انتخاب تيودور هوس رئيساً
للجمهورية الألمانية الاتحادية في الدورة الثانية
من الاقتراع بـ ٥٣٦ صوتاً من أصل ٨٠٠ .

—انتهت المحادثات المالية بشأن الدولار بين بريطانيا وكندا والولايات المتحدة وقد اعلن البلاغ النهائي تشكيل مجلس اقتصادي دائم في واشنطن يشترك فيه مندوبون عن الدول الثلاث

١٢ - اجتمع اثنيون ناظر الخارجية الاميركية وبين وزير الخارجية البريطانية لبحث الامور التي تم بلديها في الشرق الاقصى والوسط وقد صدر بلاغ جاء فيه : جرى تبادل الاراء حول اسباب المشاكل مما اظهر اتفاق الرأي بين البلدين في تعلق الاهداف والعباسة التي يجب اتباعها .

١٤ - عادت المارك بين القوات
الهندية والهندونيسية في جاوة وسومatra
وبورنيو .

١٦ - اصدرت الحكومة البريطانية بياناً حولت فيه الامير ادريس السنوسي نايف حكومة فيها وستولى بريطانيا الاشراف على شؤون برقة الخارجية والتجارية والعسكرية وما يتعلق بالطيران والعمل.

- شرع الشعب الألماني في إقامة المظاهرات أمام بناية البرلمان الجديد مطالباً بمقابلة الرئيس هوس للاحتجاج على مصادرة الجيوش الخليفة اليهود الألمانية .

١٨ - أعلنت الحكومة البريطانية تخفيض الجنيه الاسترليني بنسبة نحو ٣٠ بالمائة من قيمته الحالية .

١٩ - خفضت عدة حكومات عملها وبنيتها
فرانسا التي خفضت الفرنك ٢٠ بالمائة .

٢٠ - تألفت اول حكومة للجمهورية الاتحادية في غربي المانيا . وصرح الدكتور

أدينوا وفي البيان الوزاري عند افتتاح البرلمان الاتحادية بأنه يأمل أن لا يتخذ المفوضون الاعلاليون من الحلفاء أي تدبير في السياسة الخارجية الألمانية دون استشارة الحكومة الاتحادية.

٢١ - دعا مندوب سوريا لدى هيئة
الامم المتحدة الاستاذ فايز الحوري الدول
الصغرى لتأليف جبهة ثالثة لايجاد التوازن
بين الجبهتين الامركة والروسية .

٢٢ - صرح المستر بيغن في واشنطن قائلا:
اعتبر التفاهم بين مصر وبريطانيا شرطاً لا بد
منه للسلام والاستقرار في الشرق الاوسط.

مطالع صادر ورجائی - تلفن ۶۳ - ۶۸



ربب في ان قراء «الاديب» وانصارها الكثيرون ، سواء منهم من كانوا في لبنان ، او في الاقطار العربية والمهاجر ، قد عرفوا ما تعانیه مجلتهم في جهادها الادبي من ازمة متعاطلة في بلد لا يفتأ المسؤولون من رجالنا يتشنون فيه برعايتهم للقيم الروحية والفكرية .

والحق انه ليس ادعى الى الضحك ، بل الى الاشفاق والرتاء ، من هذه الاسطورة التي يقول بها هؤلاء المسؤولون ، امام البلدان العربية والاجنبية ، ليجبوا ما تخفي وراءها من كفر بالقيم الروحية والفكرية ، وتهافت على كل ما عداها وتشجيع للسطحي والرخيص والتافه . . فينبأ تبذل الرعاية والمساعدة بسخط المظاهر الكاذبة ، وترصد الاموال الطائلة للحفلات والمآدب ، وتعطى المنح الكبيرة للوصوليين والمرترقين والمهرجين . . يحرم رجال الفكر في هذا البلد من كل عطف ، ويميل الكتاب العربي كل اجمال ، ويضن على مجلة كالاديب حتى باشتراك واحد في وزارة المعارف ، وهي المجلة التي تساهم بقسط موفور في تثقيف الجيل الطالع وتهد ذوقه الادبي وتوجيه نحو مبادئ الوطنية والحوية ، وتتجاهل وزارة الخارجية وجودها وهي المجلة التي تتلاقى على صفحاتها اقلام الادباء الاعلام من كل قطر عربي ، والتي تجمع حول اسم لبنان النخبة الواعية من شباب العرب .

ويؤسفنا ان نقول ان هذا الاجمال من جانب المسؤولين الذين كان ينظر منهم قبل غيرهم العمل على تشجيع الفكر والتمييز بين الصحيح والزائف من المثل والقيم ، يرافقه انحطاط عام في مستوى القاري العربي الذي افسدت ذوقه وشوشت تفكيره الصحف الخفيفة المصورة ، فبات يميل على الادب السطحي التافه ويميل الى العيب الذي يحمل له الفائدة ولا يجلو مع ذلك من المتعة . .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وقد كان لهذا وذلك ، ولغيرهما من العوامل ، كارتفاع مستوى المعيشة واجور اليد العاملة والمواد الاولى في لبنان ارتفاعاً كبيراً بالنسبة الى ما هو عليه في مصر مثلاً والصعوبات الناشئة عن اختلاف اسعار النقد في لبنان عنه في الاقطار الاخرى ، أثر كبير في هذه الازمة المادية المتعاطلة التي تعانينا «الاديب» والتي لم تستطع مع ذلك ان تؤثر في مستواها الادبي وفي امانتها للرسالة التي تؤذيها ، وان كانت قد استطاعت ان تسد امامها طريق التقدم والتطور بلوغ المستوى الذي كنا نطمح برفعها اليه . .

اننا نعرض هذه الحقيقة المرة لقراء «الاديب» وانصارها وليس في نيتنا ان نطلب منهم القيام بتضحيات جسدية في سبيلها . ان كل ما نزيد من هؤلاء القراء والانصار الذين نثق كل الثقة بما يحلونه لجنتهم من محبة ، وما يجالهم نحوها من عطف وغيرة وحماسة ، هو ان يضع كل واحد منهم بين اهدافه الادبية والقومية هدفاً جديداً يسمى اليه ويعمل من اجله وهو ايجاد مشتركين جدد لمجلة «الاديب» ، سواء يحرص كل واحد من هؤلاء المشتركين على ان لا يعبر نسخة من المجلة لمن يستطيع شراؤها او الاشتراك بها ، مذكراً اياه بواجبه في مساعدة المشاريع الادبية والقومية بدلا من الاستفادة منها والاستمتاع بها دون اية مشاركة في حياتها المادية التي هي قوام حياتها الفكرية .

بمثل هذا الروح يحيا الادب التوجيهي والفكر الرفيع .

وبمثل هذه الروح تظهر «الاديب» على ازمتهما وتبلغ المستوى الذي تطمح اليه .

عرف التاريخ - مذ كن التاريخ - ظالماً لم يقع في شرك ظلمه ، ولا ذكر حاكماً لم يحن عليه جور حكمه .



وما تأمر على حياة الشعوب متأمر ، وقامر بإصلاحها مقامر ، والا وكانت مؤامراته وبالا على محط مصيره ، ومقامرته حالاً تشد به الى الهاوية من عرشه أو سريره ! ان تاريخ الامم كن ، ولما يزل ، هداً آت بين مد وجزر وجزر ومد ، والريان الماهر هو من يحب السفينة مغبة غضبات الرياح وزئير العواصف . أما الريان المستهتر المابث فان منيته أو مصيبته لشكن له ، أبداً ودائماً ، وراء كل وثبة من وثبات الم المائج ، أو تقرصده على كف كل صفة من صفعات الأعصار المائج .

ويوم تنلس الناس طريقتهم الى الأتار برئيس والطاعة حاكم ، لم يسروا في تلك الطريق الى عبوديتهم أو أرهاقتهم ، ولم ينشدوا ذلهم أو عارهم ، وانما كانت غايتهم - كل غايتهم - أن ينعموا بالعدل والنظام وأن يرتعوا بالرفور والطبائفة ، ثقة منهم بعقل الرئيس ، وضير الحاكم ، وثقة منهم بادراكهم نهاية الحسيس ، ومصير الظالم . العجز مركب وطني ، والظلم مركب أوطأ ، واطأ من هذا وذلك وقوع العاجز في مستقر عجزه ، وسقوط الظالم لدى دفعه أو هزه .

لقد تعود الناس القول : ان الدنيا مع الواقف ، وتعود بعضهم التردد : ان نصف الناس أعداء لمن

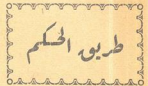
ولي الأحكام ، هذا ان عدل

ولكن الحقيقة تعودت دائماً ان تقول ان الحكم ليس تنعماً بنجرات ، وليس تنعماً بنجاء ونفوذ ، وانما هو رسالة جليلة دقيقة ، يتولى كل من يتولى عبئها ، اذا لم يستقر برأيه عقله ، ولم يتسلط ببقية ضميره . وان الحكم هو - قبل اي شيء - بصاصرة وبصيرة ، وقد ذاك والذاك والذاك والذاك ، والذاك والذاك ، والذاك والذاك ، فاما مواليتهم هذه لا تفيد ، في كثير او قليل ، لانها لا تنبثق من قوة النفس بل من ضعفها ، وهي - بالتالي - ليست في يد الحاكم سلاح قوي بل سلاح ضعيف . ومن يسارك الواقف عندما يقف هو أول من يلعنه عندما يقع . والضعيف الضعيف هو من يعتمد نصرة ناصر لا ينصره الا وهو في رفعة ، ولا يلقاه الا وهو في قته .

ألا ان ارادة الشعب هي الارادة التي تسود ، مها كبيلتها يد البغي بالاغلال والقيود . وان الشعب ، ما دامت فيه حياة ، هو الذي يحكم في وعي الحاكم ، ويأمر وينهى في عقل الباني والمهادم . وان أمة كتب لها القضاء هي أمة لا يأبه فيها الراعي لمشيئة رعيته ، ولا يوتد فيها القطيع عن اقتحام مورد منيته .

ويوم لا يكون حكم الشعب للشعب ، بارادته ولحيده ، لا يكون للشعب وجود ، الا اذا كان الوجود هو عد رؤوس ، وصغار نفوس .

ولقد علنا التاريخ ، وهو الواسع العلم الغزير العبر ، ان رؤوس الحراب كثيراً ما تجزعن حماية المالكين ، بل كثيراً ما ترد كيدهم الى نحرم ، عندما تقضي بذلك ارادة الشعب .



بلم رباض طه

٢

جون ميلتون البطل الجريح

بنلم فدرى فلمي



معترك النضال الباسل الذي خاضه الشعب الانكليزي في النصف الاول من القرن السابع عشر دفاعاً عن حريته وحقه في الحياة ، وفي غمرة المحول الذي ساد آنسكترا بعد القضاء على الجمهورية القصيرة الامد التي انشأها البطل العظيم اوليفر كرومويل ، ظهر على صفاف التاميز اديب عبقرى امتاز بفنه العالمي الفذ كما امتاز بوطنيته الصادقة وصلابته في الدفاع عن مبادئه السياسية وعقائده الاجتماعية ، هو الشاعر جون ميلتون . ولد ميلتون سنة ١٦٠٨ وتلقى علومه في جامعة كبريدج ، ومال الى نظم الشعر منذ حداثة سنه وتجلت موهبته الادبية أثناء رحلة قام بها الى ايطاليا وتعرف فيها بغايله ونعم يجلس مائسور الشيخ الذي كان صديقاً حياً للشاعر الايطالي تاس ، فروى له ذكرياته عنه وتلا عليه مقاطع كثيرة من قصائده ولا سيما ملحمة الشهيرة « انقاذ القدس » .

ارهدف هذا البلد الجليل شعور الشاعر الشاب وابىظ الهامه ، بطبيعته اترامعة وذكرياته الغنية ، وآثار ادبائه الافذاذ ، وأثار عاطفته الزاخرة بجب عقيق كسب له الاخفاق فيه ، فانشأ ينظم القصائد الغنائية الرقيقة معبراً فيها عن انطباعاته ومعرباً عن آلام قلبه العييد .

وبعد ان تعلم الايطالية وطالع روائع الادب الايطالي ، عاد الى وطنه وأخذ يدرس اللغتين السريانية والعبرية ، وينظم القصائد الشائعة التي تنضوع بأعراق قلبه الكبير وتفيض بالشعور الحي العميق ، وكان يتابع خلال ذلك مجرى الحياة السياسية في وطنه ، نائراً بعطف الى نهضة الطبقات الشعبية التي اخذت تقوم مظالم

الطبقة الحاكمة وتحاول ان تسترد منها حقها السليب مطالباً بتأمين الحرية الفكرية والدينية لجميع المواطنين .

وحين بلغ سن الثالثة والثلاثين تزوج ابنة ريشار بوفيل ، فاكاد يتقضي على زواجه شهر واحد حتى دب التراع بينه وبين زوجته فانطلقت هذه الى بيت ابيها لتعصم فيه ، ونظم ميلتون قصيدة عبائية انتقد فيها نظام الزواج السائد الذي يحظر الطلاق حتى بين زوجين لم يقدرا تحصيل ابطة ما . غير ان الزوجة الهاربة ما لبثت ان عادت الى منزل الشاعر لتعيش في كنفه وتجعل من حياته العائلية جحيماً لا يطاق .

وعندما اراد الملك شارل الاول قع القسط الضئيل من الحرية الذي استطاع الشعب انتراعه في ظل سلفه هنري الثامن ، غضب ميلتون ونظم قصيدة بعنوان « وضع الماوك الشرعي » قال فيها ان الملك الناسد يجب ان يعاقب على مفاسده ، ومن حق الشعب ان يشور عليه ويخلصه .

ولم يقتصر انتصاره لهذه الحرية في وطنه على هذه القصيدة الجريئة ، بل تعداه الى قصائد ورسائل كثيرة كان لها اثرها الكبير في اذكاء الشعور بالحرية والاستماتة في سبيلها . فاكادت الثورة التي اعلمها الشعب الناقم بقيادة اوليفر كرومويل ، تنتهي بخلع شارل الاول بوتولي القائد الكبير رئاسة الجمهورية التي انشأها حتى جعله كرومويل اميناً له ، فكان من رجال العهد الجمهوري البارزين ومن ابطاله الميامين ، وبلغ من تمسكه بعقائده انه ما كاد يلس في كرومويل رغبة الاستشمار بالحكم ، حتى تخلى عنه وكان بصره يضعف شيئاً فشيئاً ، فتذرع بهذه الحجة

الاعتزال في منزله بالريف .

رؤية هذا العالم ، فانطلقاً بصرفها واختلتاً الى الابد .

لقد احتجست عن عينيه الشاعرتين جميع الانوار السني يبتدي بها الانسان ويلتس منها الدفء والحياة : نور الشمس ، ونور النجوم ، ونور العقيدة والامل بالند . ولكن هذه الانوار ظلت تسطع في قلبه وتلهه انبل الشعر واكثره توهجاً بالحياة والندفء . اذ في غمرة الألم والبسوس ، كان جون ميلتون ينظم قصيدته الكبرى الخالدة : « الفردوس المفقود » .

وتعرض الشاعر ، على الرغم من غرته ، الى حملة عنيفة من خصومه حتى اصبح في عين الكثير من مواطنيه زمناً للخيانة فجهره الجميع ولم يكن يزوره غير نفر قليل ممن عرفوه فأحبوه وقدموه . وسادت انكساراً يومذاك فترة رهيبة من الظلم والارهاب . وانغمس الملك شارل الثاني في الترف والمجون واللامبالاة ، ومن وراءه الملك كانت المحظيات الفاجرات اللواتي يتدخلن في شؤون الدولة ، وكان الدوق ديورك الذي خلف شارل الثاني في الحكم باسم جاك الثاني . كان الدوق ديورك ينطوي على حقد متقد تحت مظهر كاذب من الاثنية والحلم . وقد بدا له يوماً

ان يزور الشاعر ميلتون ، فارتقى درجات ذلك السلم الذي نبت عليه العشب ، وواقفتم عليه عزلة ، فوجدته كما وصفه الدكتور فريغت وشاتوبريان ، مرتدياً ثوباً اسود ، ومستريحاً على مقعد ذي ذراعين ، عاري الرأس ، ذا جبهة عريضة لم تحفرها التجاعيد ، وشعره الفضي مستقر على كتفيه ، وفي وجهه الابيض الجليل عينان سوداوان لا تزالان تلمعان ولكنها لا تريان شيئاً . لقد كان اجتماعاً مثيراً بين عدوين لدودين احدهما في اوج مجده وانتصاره والاخر في حضيض الشقاء شاب في ريعان الشباب ينتظر الملك والسلطان وشيخ مشوه قد هدمته الحياة واخذت تدفع به نحو القبر . وريت عرش بريطانيا وسليل اسرتها المالكة وشاعر

ثم مات كرومويل فأشقى على البناء الذي انشأه القائد الثائر ان يهدم ، وعلى الجهد الذي بذله الشعب الانكليزي ان يتبدد والدم الذي سفكه ان يضيع . وطلق يرسل صيحات حارة محاولاً إيقاف الزدة التي كانت توشك ان تقود بولته الى النظام الملكي ولكن عبثاً كان يحاول ، فان شارل الثاني ما عم ان تولى العرش فتنفس الملكيون الصعداء واخذوا ينتقمون من خصومهم يوحشية ، حتى انهم نبشوا قبر كرومويل واخرجوا هيكله العظمي وصلبوه ثلاثة ايام كاملة .

اما ميلتون فقد انتزع من منزله والقي في غيابة السجن ، غير ان شاعراً يدعى دافنان من انصار الملكية ، كان يحب ميلتون ويحفظ له جيلاً كان قد صنعه معه في العهد القديم ، فعمل على انقاذه من المشقة التي كانت تنتظره ، واستطاع اطلاق سراحه . فعاد الشاعر الكبير السجين الى منزله ليعتزل فيه هذه المرة عزلة تامة .

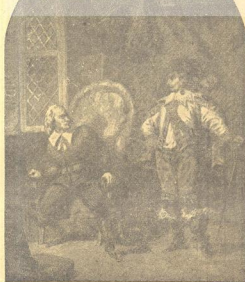
والقي النسيان ستاره المظلم على جون ميلتون ، فماش في صمت وعزلة وفقر مدقع وعمل متواصل انجز به معجباً لا يتعباً ، وتاريخياً لا انكساراً قبل الفتح التورماندي ، وكتاباً في المنطق وضعه على اساس مبادئ لارامه . وخلال قيامه بهذه الاعمال المرهقة كانت الاعرام تمر .

لقد كان الشاعر الذي رأى بعينه انيار وطنه ومبادئه وثورته ، يعيش في غرفة بالسة محاولة اختارها بنام قياً بعد مسكناً له لشدة اعجابه بالاديب العظيم ، وقد وصفها الدكتور فريغت بقوله : « يصعد اليها المرء على سلم خانة طبقة من المشب تخنق وقع الاقدام وتؤمن السكنة لهذا الكهل في تأملاته التي لم يعد لديه من سعادة غيرها ، لان جميع اصدقائه قد ماتوا على المشقة او في المنفى » .

وكان تينك المينين البعدي في القور لم تعد تحالجها رغبة في

الدوق دي يورك في زيارة ميلتون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com



الثروة التي حطمت الملكية وقطعت رأس ملك عظيم الشأن
كاثوليكي يزعم انه حامي الكنيسة في انكلترا ومفكر
انتصر للبروتستانتية ودافع عن حرية التفكير .

وابتدر الدوق خصمه بقوله :

— هل تدري من يزور كوخك ايها العجوز ؟

فأجاب الشاعر يهدو : — تحدث فاني مصغ اليك .

فقال جاك باستملاء :

— يا له من كوخ حقير لا يرى غير شعاع ضئيل من نور الشمس ،
ولكن عينك لا تريان هذا الشعاع الضئيل . ان من حدثني عنك
لم يجدهني ، ولعمري انه لقصاص عادل اتزله الله بك : الشيخوخة ،
والؤس ، والعمى ، واحتقار الناس . . انه قصاص خليق بك .
فهو احتضار دائم في انتظار . .

وتب الشيخ من مقدمه وصاح :

— من انت ؟ ولماذا تخاطبني بهذه الالهجة ؟

— لقد كنت من ضحاياك وجئت اليوم لاقاضيك .

فقال الشاعر برباطة جأش :

— اذن قد تيتاح لي اليوم ان ينتهي عذابي والحق باصدقائي النبلاء .

— بل بشر كلاك الخساء .

— ولكن من انت ايها الرجل ؟ وكيف تسبح انفسك

باهانة شيخ مشرف على الموت ؟

— ألم تعرف بعد ؟ ألم تحزور من انا ؟

— انك من اتباع البابا ولا شك .

— بل اكثر من ذلك . انا اخو ضيكت .

— شارل الثاني ؟ — الدوق ديورك !

— حسناً . فليستع الدوق ديورك بذة الانتقام ، ولكني لا

اعتقد بان هذا المشهد يشع نبهه اذا لم يسفك الدم فيه .

— يا لك من عجوز حقير . اني اشاهد فيك برهاناً على عدل
الرب ، فقد لعنك الله واحترقك عباده . وما انت الا اشاعر لا تقابل
قصاصه الا بالاعراض والاهمال ، ذو رأس فارغ ، ونخال مجنون ،
انك مضلل كذاب ، وبرتستانتى بلا فضيلة . وقد عاقبك الله لانك
اهنت كنيسته الرومانية ورفعت يدك على الرجل الذي اختساره
يكون ملكاً عليك ، ولكن عقابك لم ينته بعد .

— ان الدوق ديورك ينتصر اليوم ، ولكنه كرم كطاغية ، فا
اظم المصير الذي ينتظر وطني الجليل عندما تتولى الحكم وكل ما
ارجوه ان لا ينسى جاك الثاني ان ميلتون قد حارب الانظمة التي

كانت تبين الله ، وان الملك الذي قطع رأسه انا عوقب لانه تجاهها
واجباته واستبد بحقوقي الناس .

— الى الملتقى ايها المشرود والعجوز والثائر العنيد !

فأجاب ميلتون يهدوئه العظيم :

— الى الملتقى !

ومضى جاك فقال لايه شارل الثاني :

— لقد اقيمت على جون ميلتون . ولو كنت مكانك لقضيت عليه .

فقال الملك بما عرف عنه من عدم المبالاة :

— يكفيه ما يعاني من هموم الشيخوخة والفقر والعمى والاحتقار !
ثم ارسل شارل الثاني الى الشاعر العظيم صدقة قدرها عشر
ايرات مكافأة له على قصيدته « الفردوس المفقود » ! .

وفي هذه المصحة التي تصور جبال الفردوس وهو الجحيم ، بروعة
نادرة المثال ، ما هو اعظم من الجحيم والفردوس . . هنالك قلب
جون ميلتون الذي يبدو من خلالها عزقاً دائماً ، ولكنه مع ذلك
فضور وصامد . ان ميلتون لا يجحف ولا يلعن او يشتم ، بل ينظر الى
جرحه محاكاً مثلاً ينظر الاطبال الى جراهم التي تقف منها الدماء .

« فالعذاب من اجل الحقيقة ،

وفي سبيل الحرية ،

هو اعظم انتصار . »

وكان هذا القلب عزاء ، اي عزاء ، في ربة الشعر التي كانت
تورده في وحدته وتناجيه في ليله المستديم .

وكلما كانت المحور تسيل بسخاء في قصور الامراء الذين كانوا
يشتمون بتأريفهم للساعات التي قضوها في السجن والمنافي يوم
انتصر الشعب ، والدماء ، تبذل زكية على مذبح الحرية ، كان ميلتون
يتقد غضباً ويرتمش ألماً ، ويوسل من قلبه الشاعر تهديدات مكبوتة
تدل على المله الدفين كما يترك الطير الجريح في طريقه بقعاً من الدم .
ان هذا القلب المليء بالشجاعة والقوة ، كان يريد ان يغني حتى
في المله ، لا ان يبكي ويتعجب . ولكنه لم يكن يستطيع امساك
تلك التهديدات الخافتة ، تلك البقع الصغيرة من الدم !

ووضع الشاعر مأساة « شمشون » وملحمة اخرى بعنوان
« الفردوس الذي وجد بعد الضياع » .

وبعد حياة حافلة بالشقاء والعذاب ، توفي سنة ١٦٧٤ وهو في
سن السادسة والستين ، دون ان يسع كلمة ثناء . على شعره
الفريد الذي تعدد انكلترا من مفاخرها الباقية على الدهور .

فدري فلعبي

وحي العيد

جورج صبرج

من الرابطة الادبية الارمنية

الفتا الآتية علي النقيض في حفلة نادي الشباب العربي
بالارمنين مناسبة الاحتفاء بعيد الاضحى

حجوا جناح الله واعتصموا
الروح في عرفات تسميم
والركن يلس في شعائرهم
ما كان يوم النحر يشهدهم
خجلين - لولا انهم خجلوا
ان الحبيج يحشهم امل
علم علي الحرمين ذكرهم
بالمسجد الاقصى ، يبرقه ،
بجلائق نحت وما سمعت
بنواجس في الدور نازلة
حلت فلسطين الصدور الى
تستفتح الاضحى وحرمة
في امة (للبيت) زاحفة
واشد ما نالت به تهم
أثم الاولى كبحوا اعنتها
كروى فلسطين العرى كست

يا قاضي الحاجات كن لهم
ان سنه اذ ان الزوى عجم
شكوى يفتون بجمع الكرم
عرباً يطوق حرهم عجم
من ربهم - عادوا وما استلوا
غير الحبيج يحزهم الم
بالثالث المهاوي به العلم
يأتّم في العيد تتنظم
ذكرأ عليه ينحر الغم
لم ترجع من اهوالها الحيم .
قبر الرسول اليه تحنكم
في موطن هانت به الحرم
والعاصون بيتها ازدحموا .
كذبت ورب الكعبة التهم ا
لكنها اخذت بما اثموا .
من خطبها ما ليس ينكمم *

تلقي التزاة وصدرها عزل
(والحسن) للاعداد ، ليس لها
صبرت على النيران تأكلها
حتى غدت كالقبر موحشة
من عاد يسأل اين منزله ؟
في ذمة الحكام سيل دم
للهاثين الفارمين رأوا

والظاهر في لبنان منقسم
الا القذائف منه والحجم
وعلى زعيم الشعب يلتهم .
ينعى عليها حظها الرخم
اين الحماة ؟ اجابت الرجم ؟
من هدده لم تبهر الدم
ساداتهم سلوا بما غشوا

دنيا العروبة ادبرت ومشت
الفار يلعب في عرائنها
الهابثون يحققوا المحدثوا
ويح الاولوي ~~وهم~~ نصبت
حتى متى هذا الخنوع لهم
دوري عليهم انهم رمم
و~~دوري~~ هم الشباب فما
بينان دولتنا دعائمه
أورع في نكبة كفرت
ورؤوسنا بيون وعدتنا
قضايا ~~ارطالان~~ اقدمها
الغرب او ~~الارمن~~ الخطمت
نحن البراكين التي هدأت
سترون ان صبت صواعقها
برح الخفاء ففي قضيتنا
فضل الخطاب السيف غشقه
ونكون خير الناس ان عدلوا
يا يوم يغلي في العروق دم
يوم الشعوب تصول صولتها
ستري الدخيل يعض اصبعه
والحاكين هوت ارائكهم

يا عيد ذاك اليوم موعدا
واعطف على قومي بهتة
لا ينصر الله العباد اذا

عل به الشهداء . يتسوا
بعض التهاني . للعتاب فم
كرمت اصولهم وما كرموا

* تمرد الاشارة الى الفرى اللبنانية الواقعة على حدود فلسطين وهي
موطن اسرة الآتية علي النقيض ، وقد نكبت باحتلال اليهود .

الحبكة الروائية لقصة الفرسان الثلاثة

للطاب الفرنسي الكسندر دوماس

ترجمه مبارك ابراهيم

« ولد الكسندر دوماس في الرابع والعشرين من يوليو عام ١٨٠٢ بمدينة « اين » بفرنسا من والد فرنسي وام
زنجية. وعاش السنين الاولى من حياته عيش الكفاف، ثم شق طريقه في الحياة كاتباً قد حالفه النجاح والثرف
فأخرج للناس كثيراً من الكتب وسرعان ما أصبح من أصحاب الثراء فعايش عيشة الاسراف والبذخ حتى نفد
المال وذهب الثراء. وكان له ولد، ثمة علاقة بينه وبين «ماري كاترين لاباي» فألفه به وساء باسمه.
ودوماس هو الذي خلق الرواية التاريخية. وكان كاتباً ذابول جمهورية.
ومات دوماس في الخامس من ديسمبر عام ١٨٧٠ »

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

اولئك الثلاثة الى المباراة عدلة غد ، في ثلاث ساعات متتابعات
تبدأ من الظهر وتنتهي بانقضاء الساعة الثانية.
وأحس في قرارة نفسه انه لا بد ملاق حقه على يد ثالث
خصومه ان قدر له ان ينجو من يدي صاحبيه، ووصل « دارتانيان »
الى المكان المين. ودعش لما رأى ان اثنين من خصومه قد حضرا
كشاهدين للسيد الاول الذي تحداه.

وقد أعجب الفرسان الثلاثة الاعجاب كله بشجاعة ذلك الفتى
العسقوني. واستعد الرجال الثلاثة للجولة الاولى. ولكنهم وقفوا
عن المضي فيها لما جاءتهم فرقة من حرس الكردينال تنذرهم بأن
أمراً عالياً قد صدر بتجريم المبارزة. فاجتذب الفرسان الثلاثة اليهم
حرس الكردينال وانضم اليهم « دارتانيان » ثم قبل « اتوس
ويورثوس وارانيس » وهم الفرسان الثلاثة ان يكون « دارتانيان »
واحداً من رجال فرقتهم.

وواضح ان هذه الاسماء التي تسمى بها اولئك الفرسان انما

دارتانيان في فجر شبابه فتى ماجداً من فتيان
« غاسقونيا ». وكان لا يملك - يوم غادر باريس -
الا وصفة علاجية لها أثر عجيب في مداواة الجروح.
والاحساناً يخيّل لرائيه انه قد عاصر القرون الاولى. والا كتاب
توصية كتبه أبوه الى السيد « تريفل » قائد فرسان الملك.

فلما وصل « دارتانيان » الى باريس كان قد باع الحصان .
وأضاع كتاب التوصية في حادث من حوادث الشعب.
وعلى الرغم من ذلك فقد أكرم السيد « تريفل » مثوي
صاحبنا كرامة لابيه عندما ذكر به قتلكه.

وقد خابت آمال الفتى يوم علم انه لا يستطيع أن يصبح من
فوره واحداً من رجال الفرقة التي طار صيتها. وذاعت شهرتها.
وهي الفرقة المعروفة بفرقة فرسان الملك.

وبينا هو قائم على خدمة ذلك السيد شتم - في ساعة
نسي فيها أدب اللياقة - ثلاثة من اولئك الفرسان . فدعاه

كان

هي اسماء متشعبة.

وعلى الرغم مما أصبح بين «دارتانيان» وبين الفرسان الثلاثة من ود وصحبة فقد طال به العهد قبل أن يعرف أسرار حياتهم . وكان أتوس ذا مزاج سوداوي، يكره الناس ويفضهم . وكان «بورثوس» شيوانياً وكان مختلاً فخوراً . وكان أراميس يميل عقله الى التدين ولكنه كان -على الرغم من هذا- متدلهاً في حب غانية من رفيعات القدر والحسب .

ثم ظفر «دارتانيان» بمكان في فرقة أقل مكانة . واتخذ مأواه في شقة في بيت السيد «يونس» وهو بزاز غني يجوز اعتزل التجارة وكانت أمواته الجميلة الشابة واسمها كونستانس «وصيفة» من وصيفات الملكة.

ولما كان كل واحد من اصحاب «دارتانيان» قد اتخذ لنفسه وصيفاً من العلمان، واختار كل واحد وصيفه ليتفق وما توحي به شخصيته. فاتخذ «أتوس» «جربو» الصامت الذي لا يتكلم . واتخذ «بورثوس» «القي الجبل» «موسكيون» واتخذ «أراميس» «القي المتدين» «بازان» . فقد اتخذ «دارتانيان» «القي الذي الجري» «بلاشه» . ولم يرض من الزمن الا قليل حتى عرف «دارتانيان» ان المنافسة بين فرسان الملك وبين حرس الكردينال قد انعكست أثرها فيما بين العظيمين من علاقات .

وكان الكردينال «ريشليو» أقوى رجل في الدولة وكان لويس

الثالث عشر يكرهه ويخافه . وكان واقفاً تحت سلطانه .

وكان «ريشليو» عدواً للملكة (آن) تلك الجميلة النسوية . وكان لا يستطيع ان يغفر لها أنها لم تبادله المحر الذي أثارت كمنه في قلبه .

وكان معروفاً في دوائر البلاط ان «دوق بكنهام» صفي ملك الانجليز «شارل الاول» ونحبه قد أحب الملكة ايضاً .

وكان معروفاً كذلك ان الملكة على الرغم من ولائها لواجبها نحو الملك الذي كانت تحبوه وتكرهه ، كانت غير غافلة عن هوى الدوق الجميل . وكانت قيل اليه بعض الميل .

وحدث ذات يوم - وكان «دارتانيان» وحيداً في منزله - ان استرعى سمعه صوت صارخ في الشقة المجاورة يطلب المونة والتجدة . فأمسك بسيفه وجري فاستطاع ان ينقذ من الحطوف السيدة كونستانس تلك السيدة الشابة الجميلة زوجة العجوز صاحب البيت .

وسرعان ما سجر «دارتانيان» يفتان تلك الجميلة سحراً مبدئاً . ولما علم انها ضالعة في احدى المؤامرات الخاطئة أقام من نفسه علياً لها ويحياً . وأصبح وسيطاً يجمع للقاء بين «دوق بكنهام» والملكة .

وفي هذا الوقت أهدت الملكة «آن» الى الدوق سفطاً به اثنا عشر ذوا من الازوار الالمانية وقد حمل هذا الى قصره في إنجلترا . ولكن «ريشليو» - وقد كان علياً بكل ما جرى - أقنع الملك أن تلك المأذبة وهي متعلبة بأزوارها الالمانية . وما ان بقي اسبوع على المأذبة حتى أحست الملكة انها قد ضلت وحق عليها الهلاك .

ولكن «كونستانس» بعثت «دارتانيان» الى إنجلترا وهو يحمل رسالته الى الدوق .

وصحب الفرسان الثلاثة صاحبهم . وقد تواتت الهجيات على هؤلاء الاربعة . وكان نصيب الثلاثة التهر والهزيمة ولكن «دارتانيان» استطاع ان يصل الى إنجلترا وأن يعود بالازوار في الوقت المناسب لكي يسلم شرف الملكة من الاذى . وكان جزاؤه على ذلك خاتماً من الالماس أهده



انكرايم
محبون الحلاقة الذائع الصيت
والذي نال إعجاب الجميع
جربوه وتأكدوا!

الملكة العامة لسوريا ولبنان :
مركبة شروق الموط - فنان انطون بك - بيروت

مجلة علم النفس

أول مجلة من نوعها في الشرق يجردها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب

هي من أهم مكملات ثقافة القارئ العربي تزيدك علماً بنفسك وتغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية إحصائية لأهم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشرارك في مجلة علم النفس تثقف نفسك ثقافة متنازعة وتسامح في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

بمجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيس التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زكيور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢٠ شللاً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٨٨ شارع روض الفرج شبرا مصر

مجموعات الادب

لدى الادارة مجموعات من الادب تطلب بالتمن الثاني:

| السنة | ليرات | جنيهاً | دولارات |
|--------------|-------|--------|----------|
| الاولى ١٩٤٣ | ٣٥ | ٦ او ٤ | ١٦ او ١٢ |
| الثانية ١٩٤٣ | ٢٥ | ٣ » | ١٢ » |
| الثالثة ١٩٤٤ | ١٥ | ٢ » | ٧ » |
| الرابعة ١٩٤٥ | ١٥ | ٢ » | ٧ » |
| الخامسة ١٩٤٦ | ١٥ | ٢ » | ٧ » |
| السادسة ١٩٤٧ | ١٥ | ٢ » | ٧ » |
| السابعة ١٩٤٨ | ١٥ | ٢ » | ٧ » |

اليه الملكة ووعداً جلواً باللقاء من حيثته «كونستانس» . ولكنه لما وصل الى مكان اللقاء . تولاها الذعر والفرع اذ رأى عشيقته قد خطفت .

وكانت من بين جاسوسات الكردينال الخطيرات . بل من أشدهن خطراً فتاة جميلة شقراء اسمها «ميلادي» . وهي احدى قريبات «لورد دي ونتر» فاستقر في ذهن «دارتنيان» ان هذه المرأة تعلم علم اليقين مكان عشيقته فعسى اليها عاشقاً متودداً .

وقد بلغ من سحر جمال «ميلادي» ان اصبح صاحبنا أسير هواها . ولكنه سرعان ما استيقن من فجورها وقبح سيرتها .

وعرف أنثوس من خاتم أهدته اليها «دارتنيان» الذي دخل مخدعها دخولا غير عفيف أن «ميلادي» هي تلك المرأة التي أفسدت عليه حياته . وانها تلك المرأة التي كانت زوجته الى يوم أن عرف أنها كانت بغياً فاجرة مجرمة .

وفي هذا الموضوع من القصة كانت «ميلادي» في خدمة الكردينال وكانت تتآمر على قتل دوق بكنهام .

وقد أجمع الفرسان الثلاثة ومعهم دارتنيان أمرهم على انقاذ حياة اللورد ولو انه عدو . ولو أنه من الانجليز . فبشوا برسالة منهم الى «لورد دي ونتر» فقبض على قريبتها المجرمة حتى تطرد من البلاد وقتلها .

ولكن الملكة انقوت سجانها الصغير «الملازم فلان» ثم اقنعت بالاعتداء على الدوق . وسرعان ما مات الدوق متأثراً بجروحه .

وهربت «ميلادي» الى فرنسا . ولو أن شريكها قد قبض عليه . واقتفى الفرسان أثر المرأة واستطاعوا آخر الامر أن يلقوا القبض عليها .

وكان القبض عليها يوم وصلت الى الدير الذي اتخذته «كونستانس» ملجأ لها . وملاذاً وكهفاً .

وملاّت كونستانس كأس الفتنة بالسم . وكان وصول «دارتنيان» الى ذلك المكان لم يكن الا ليقبل تلك العشيقة المهلكة قبله التوديع .

وأقام الفرسان - ومعهم «دي ونتر» - من أنفسهم محكمة . وأثبتوا الجريمة على «ميلادي» وقضوا بادانتها ثم شقوها .

وعاد الفرسان الى باريس وعين «دارتنيان» ضابطاً . واستؤنف الحسام بين الملك والكردينال .

مبارك ابراهيم

افاهرة

يسو بعينها أسي غامر
وقلق مستبهم ، حائر

فيض انفعالات واحساس
دخيلة في عالم الناس

يوج في الحقل زكياً غناه
تسمع في السنبيل نبض الحياة

منجذباً بروعة السنبيل
يخفق فيها شبح المنجبل

دموع منكودين ، مستضعفين
هانوا على الرحمة والراحين

سلط عليه يده الجانيه
خلجات شح كثره قاسية !

فلم ترل شاخصة في وجوم
محبولة تهم فوق القيسوم

قوى القضاء القامض المبهم :
ومعك الرزق عن المعدم ؟ !

يكسح ، لا يجني سوى يؤسه
قد حصر الحياة في كاسه

تقول ان يكنظ جوف الثري ؟
في عيشه المضطرب الاعسر ؟

ان يمسخ البؤس ويمحو الشقاء !
ان يغمر الارض بعدل الماء ؟ !

جلجل فيها مثل صوت القدر :
لكنه في الارض ظلم البشر !

يلأها منه أسي غامر
وقلق مستبهم ، حائر

أوت الى الحقل كطيف كتيب
في روحها الالهفي اضطراب غريب

غامضة ، في عمق اغوارها
صيرها شذوذ اطوارها

تأملت في السنبيل الوادع
تصكاد في سكونها الخاشع

وفي رؤى خيالها الشارد
لاحت لعينها يد الحاصد

رأت رغيماً جبلته دموع
انضاء حرمان وبؤس وجوع

وأته في كف غني تجل
الحيز في كيسانه يستجل

ومدت الافكار اظلالها
من اصغر استغراقها خالها

كانت تنادي ما وراء الضياء
من يطر الرزق على ذي الثراء

كم نال ، كم جائع ، كم فقير
ومتوف يلهو بدنيا الفجور

أرحمة الله بعليا ممه
ويمجوم المعوز قوت الحياة

اليس في قدرته القادرة
اليس في قوته القاهرة

وراءها صوت عميق ، مثير
لم تحبس الماء رزق الفقير

واطرق ، نبأ لشك مريب
في روحها الالهفي اضطراب غريب

مع منابل الحقل

« الى الخادم البائسة التي تكسح في ذلك البيت
الكبير ، المتروك ، ولا تصيب لغاء
كسحها ما يسد رمق أطفالها . »

☆

للا تسة فدوي عبد الفتاح طوفانه

نابلس

☆



الادب العربي في الاربعتين

ما

نحن من المثاليين ، ولكننا الحقيقة فكيف نصف عنها ، وإن ألت ؟

إن الادب العربي في المهجر الاميركية صائر الى الاضحلال ، وقد ادى مهنته فتق سيلا في طريقة الاداء ، والتفكير ، اطلت منها الضاد على آفاق لا عهد لها بما ، طليقة من البهرج المضحك والزرقة السخيفة .

إن الادب العربي المعاصر معلّم بالادب المهجري ، والسمات التي اشتهرت عن شعراء العالم الجديد وعن كتابه قد تحولت الى فريق من ادباء الدنيا العربية . وهل سجل التاريخ قبل الآن ان جالية شادت ، وهي بعيدة عن بلادها الوفا الاميال ، صرحا شاعفاً من الادب تأثرت به الاقلام في الوطن الاصيل ؟

فاذا عرفت ان المهاجرين لم تكن لهم اية قوة سياسية تسندهم او تدافع عنهم في المئات انجحت لك نواحي هذه الاعوجبة ، ولا تسما الا اعوجبة اذا كتبت من المصنفين .

ولو رغب المجال لظهرنا الجهود الجبارة التي تسكبها على عرقات الزمن هؤلاء الذين تجدوا لخدمته في البلدان التي ترحوا اليها ، وحسبك منهم ان الواقع وقته على مفترق طريقتين ، الادب ممدود اليه الفقر ، والتجارة والازراء طيبا فلم يترددوا لحظة في الاختيار ، وما كان ليزيد في سوءدنا ان يكون بيتنا معانة غني اكثر ، بيد ان المئات من الادباء الذين يرتعنا هم اعلام هذا المجد الفكري الباذخ .

وإذا كان الشبه ، الذي يمرض من خطام الدنيا موازاة للسبب الذي آمن به ، فلا يحفل بما يفقده في سبيله ، فإن الادباء العرب والمهاجر منهم خاصة - هم من الذين يمس ان ترتفع لهم التاثير في الساحات العمومية .

إن هذا الادب ما يبرح يجاهد منذ خمسين سنة تقريباً ، صمدوا الصحف ، ناثرا الكتب ، وعده ان يحفظ في نقوس ابناء قومه «الروح العربية» وهو من سدتها الامناء ، غير مفتح

على جهاده اجراً ولا شكورا .

وانه يرى الآن العوامل الغدرة تنضاف عليه لتغلب ، ومع ذلك فهو يدافع ، وسيظل يدافع الى ان يقضي الله امره كان مغولا .

إن المهاجرين القدامى قد اصبحوا على ابواب الابدانية ان لم يكونوا قد اجتازوها . واولادهم واحفادهم قد انقطعت بينهم وبين العروبة الصلة او اوشتت . لان البيئة التي يعيشون فيها جرفهم ثيارها ، وبعد ، فهم ابناءؤها الذين اصرروا النور تحت سائها ، ولم تكن تربيتهم البيئية مثنية .

وعلى المهاجرة الدافق الذي كان يحدد للادب قراءة قد خف او جف . ولن يعود - اذا عاد - الا اشكلاً مزبلاً .

والادب الفلوسوف قد باتوا ، قاه حذو الوضعية ، فمفارقة الياسم ، كالتفاني التي تشبهنا ، ونظمنا .

هذا السراج الاحتضاري ، ويتخذون له المدة ، فيصرف بعضهم الى ادب البلاد التي يقيم فيها ، ويتحول آخرون من « ادباء مهنة » الى « ادباء ، بطالة » اذا جاز هذا التعبير ، وتوجه البقية الباقية الى الكبح المادي الصرف .

وبإني سألت :

- وكيف تستفيد بلداننا من الادب العربي في المهجر وهذه حالته ؟ فاجيب :

... بان ننظم في مدينة او اكثر من مدنها الكبيرة متحف او متاحف له ، فيها الصحف التي اصدراها ، والمؤلفات التي طبعها . فالذين يؤرخون للادب العربي لا يسعم الا ان يرجعوا الى بنات افكار المهاجرين ، قاضا حلقة تربط عديد منة .

نحن لا نذكر ان كثيرين قد اصفوا هذا الادب فكتبوا عنه مباحث قيمة ، وإن تكن غير تامة ، فلم يصل الى ايدى اهل التردد من النقائات التي يجب ان يكونوا عليها مطمئنين .

وقد قرأت لمجلة مقالة من شاعر كتيه مستبشرة بقصيدة واحدة لا تحمل اتجاهه الفكري نظمها عرضاً في موضوع طيار . فما بالك لو فككن من الرجوع الى سائر منظومات الشاعر ، وجاهته البيئات عن حياته ؟

لا يظن القارئ اننا نرفع الادب العربي في المهاجر الى مكانة لا يند إليها النقد . انما وانفون ان فيه مكانة عديدة للضعف ، والتقدير الحقيقي هو الذي يتناول الوجهين .

فكتب هذه الحواطر ، وقد اس ذوو البراعة العرب في الاربعتين ندوة دعوها « الرابطة الادبية » غايتها الرأسية جمع كتبهم واعلاء شأن الادب (١) .

وتختلف عن مثيلاتها لانها انظمة رسمية لها ، فلتألفها هو ما يليه التعبير الحي والفكرة على الادب .

وهذه الرابطة (٢) التي س على جاساسها الاسبوعية اكثر من شهرين لاقست من الادباء التحيز ، ووجدت فيها المالية ظامرة حسنة من ظواهر الاتحاد المكين .

ومن اضلها القوي . ان عادت الى الادب اقلام كانت منصرفة عنه الى التجارة ، فقدمت انتاجاً ممتازاً ، دل على ان الادب الاديب لا ينسئ رسالته ، مما جارت عليه الايام . ولعل هذه الرابطة تد في عمر الادب العربي في الاربعتين ، وهو الادب الذي يسرع اكثر من رفيعته في برازيل وفي اميركا الى الزوال .

عالمه الاربعتين

(١) يعود الاجر في انشاء هذه الرابطة الى الاستاذ ولهم صب الزائر اكرم الذي احققت به اندية المالية احتفاء عزيزاً . وإلى الشاعر البدم جود صيدل الذي يكاد يرصد وقته على خدمة هذه المؤسسة .

(٢) راجع العدد الماضي من الادب البرقيات الادبية ، صفحة ٦٣ آخر العدد الثالث .

احزان

لا سكندر بوشكين

لقد عشت لكى اقبه رغباتي .
 وارى احلامي ينفضها الصدا .
 وكل ما بقي الآن هي نيران عقيمة
 تحرق قلبي الحاروي وتصيره ترابا .
 لقد لفحتني عواصف مصيري القاسي
 فذبل الزهر الصيفي في اكملبي
 وبوحدة وحزن . ترتبت وانتظرت
 وتسلمت عما اذا كانت النهاية قريبة
 وكأ لو تقلبت على ربيع صرصر مستورة
 حينما يصفر الشتاء في الريح
 وبوحدة فوق غصن عار
 خلفت كورقة مرفجة
 كبرياء - العراق عبي جمال الديرة

صرت منهوكة من صبور وتفسخ وعناء ،
 اجل لان نفسي عازقة عن
 الثروة والحياة واليسار ،
 منهوكة بذرع ليجنيه الآخرون ،
 والقسا . بذركي يحصد متنعون .
 هزني لانام يا اماء هزني لانام .
 صقت ذراعاً من مرا . ودني . وكذوب .
 امي ، ان قلبي يدعوك يا اماء ،
 كم من صيف اكنت الاعشاب
 بالسندس الاخضر ،
 فازدهت وازهرت ثم جفت وصوحت
 - وكذا وجوهنا -

ولم ازل اهفو بخين جارف والم صاوخ ،
 لأحطلي هذه الليلة بوجودك واقترع برك .
 فاطلعي من ضحك الطويل وسكونك العميق
 هزني لانام يا اماء هزني لانام
 ولقد أثار قلبي في دياجير الأيام الحالية

شاع من قبل حيث
 لا يضاهي حب الامم
 وليس هناك اخلاص يدوم
 متفانيًا ، مطاوعًا ، صادقًا مثل اخلاصك .

وليس غير الام تقدر ان تحسو الألم

من تلك النفوس المليئة ، ومن
 الاذهان الدنيوية الكليلة .
 اي نعاس ناعم رخو يتسلل زاحفًا
 فوق اجفاني المتشاقلة الهزيلة .
 هزني لانام يا اماء هزني لانام .

اقبل ، ودعي شعرك الكستنائي المنور بالبرء ،
 يتساقط فوق منكبيك ثانية كسالف العهد
 دعيه ينسدل فوق جبيني هذا المساء .
 مظللاً عيوني المضنية الحائرة ضد الضياء ،
 فان في ظلاله ذات الحواشي المشبعة تحتشد
 الرؤى والاطياف من غابر الازمان .
 وتجنح لجبه المشرقة وتفرج اواذيه الموقنة
 بكل رقة ومودة وافتتان .

هزني لانام يا اماء هزني لانام .
 امي ، امسي العزبة ، ان السنوات
 ولت بطيئة مديدة
 منذ آخر ما اصخت السمع الى
 ترنيمه هدهدتك :
 هدهدي وترغي اذ ذاك ،
 حتى تلوح لنفسي بان اعوام الامومة
 مجرد حلم عابر وخيال سائر ،
 مضوماً لصدرك في حضنة ودية بجنان ،
 وبأهدابك الوطف الزاهية تسجين بها وجبي ،
 فلن استيقظ وابكي بعد الآن
 هزني لانام يا اماء هزني لانام !

بنداد ضياء السراع

قلب

هداة الى « ادبية » مجولة

قتشت في خبايا المجهول
 ففترت على كرمة من الشوك تحترق
 فيها لهب بضحك ودموع تتناثر .
 مدتت كفي وانا احاول جمع ما يتساقط
 علي اعرف المجهول منها ؟
 وكلما بسطت ، لم اجد فيا قبضت الا :
 دخاناً من الوهم !
 وضباباً من اليأس !
 وصرخة من اعماق الاله :
 لن نجد . لن نجد .
 كسرت شعاع عيني في هذه المرة
 واجلته في الاغوار والثنايا .
 لاشي . لاشي . لا شي .
 السنة تتساقط وتقص !
 عذاب يصعد وتلوى !
 فصحت آه ، عرفت . . اجل عرفت !
 اليس هذه هي صورتها في الزماد ؟
 فهتفه الاله المستعر وردد :

ان نجد .. ان نجد ..

فغارت رؤى الفرح واضطربت
شفاهاها الدامية

وتجمعت الاحلام على اجسادني
وانسلت خيطاً الى الكومة المتضرمة .
فاذا بالمواد الباكي .. هي !
وكومة الشوك الساخر قلبي ا
بنداد **فارع العسكري**

انشودة النحلة

من اغاني شاعر الصين نيا ساجلدا

طلع الكوكب الغازي .

بالاقدامه المتعجرفة لا تطفأ الامر كبأمن نور
اراد ان تشق الفضاء لاذعة التسم بسوطها
والنحلة تبحث عن غذائها .

وهو يرميها بسهامه .

تنز الى ماواها وعيناهما لقتان
الآن تعود زميتاتي تحمل عطراً
سرقته من شفاء الازهار .

ايتها النحلة الضالة :

ليس بعيداً عنك بستان تنبت فيه الازهار
احلمي ما شئت وعودي .

لا لن اعود الاحاملة عطراً جديداً .

اياك اياك وان تنظري ما ورا . الخيلة ا

مساذا ورا . الخيلة ؟

يا للنحلة الطلعة ! ما ورا الخيلة !

ان قديمي نيا ساجلدا ترتدان شوقاً وربة
هناك على حافة الساقية تردد امرأة
لقد عرف « نيا ساجلدا » الحياة كما لم تعرفي !

وخبرها كما مضى العهد بحكماء الصين فاعرف
الحيران ولا اتمد الى اقاصي الصحراء .

ما عرف الجسد وغاص في مستنقع الشهوة .
الا عندما لامست شفتيه شفتها امرأة .
اي لطيف « نيا ساجلدا » ! ايسها النور

الخارج من دياجير آسيا .

يا من شربت من رحيق الالهة وسكرت
من انعام الآفاق البعيدة

اياها البرق الخاطف الابرار
اياها اعصار الزاحف الى القلوب الراكدة .
ايتها الصاعقة محطمة الاغلال ترسف فيها
روح الانسان ، من اين اتيت بحكمتك ؟
ان الجسد الذي منك الشهوة منك الحكمة
ايتها الخشرة الماونة ارقعي بجناحيك

فانكوكب المنير تشتد صوته وبغلي
مرجل حقه . قريباً ينفث اللمه
فيحترق جناحك في اواره

ان حنو « نيا ساجلدا » يابى الا ان يرفق
بك ! اياك واللمه . عجباً « نيا ساجلدا »
ما اعتاد ان يقدم نصائحه الا لمن يطلبونها
راكمين يقدمون اليه عبادة الحكمة
والبطولة ! وطالما ضننت اي « نيا ساجلدا »

اياها الخمر الزاهر بالحواس
ان الروح التي تمتع البركة تقصصك فلا اعلم
انك انت ام شرب الخمر ام نيل
عجا لك تحنو على نخلة صغيرة !

ولكنك جميلة ملونة .. بنت الطبيعة ا
عودي ايتها النحلة لقد بات الخطر قريباً
ان قلب « نيا ساجلدا » يأسف لعنادك
ايتها الخشرة الوفيقة !

انظري اقصرانة جميلة صفراء ناعلة !
لا لن ارشف منه شيئاً اني افتش عن القدرة

لقد حملت منه رفيقائي ما تضيق به الخيلة
هوذا التجسس يا له جيلاً مرقعاً ضاحكاً متفائلاً
اليه ايتها النحلة ان « نيا ساجلدا » يسرك
ان تحلمي منه غذاء ليومك .

ولكن بياض زهرته ليس جيلاً فقد
عرفته وعبت منه في ماضي ايامي .

لقد ملت شفتاي كل قديم
اياها الشوق يا اين الحرمان الهم جناسحي

صعباً وقدرة للوصول الى جديد

ما عرفه قلبي ولكن يعرفه بعدي هي .
يا للفرور لقد كدت اقول لا جديد تحت
الشمس ولكن « نيا ساجلدا » يعلم
ان هذا القانون وضعت حكمة
جهلت فعالية الحياة .

كل شي . جديد تحت الشمس .

ان قلب « نيا ساجلدا » الطافح بالمسرة
يخلق حتى من رمال السهول اشباح حكمة
جديدة . اليس في عبق
الاكاسيا نفاثات جديدة ؟

يا لتأملات « نيا ساجلدا » ما ابعد
واقوى ولخياله ما اعظم واصل !

اي « نيا ساجلدا » يا ابن ربح الآفاق
يا اخ الفكر الضال في مهبه الضير
جميلة هي الاكاسيا ولكن زهورها ليست خالدة
انها تبدي مذعنة تحت نفح المغيير

الصنوبر خالد وتلك شجرته العساة ترفع
افصانها داعية شتات النحل ليتجني عسلأشياً
لا لا ! لا تصلي اي « نيا ساجلدا » ان
روحي لا تأخذ الا اقتداراً

ان الصنوبر يمنح اكثر مما يطلب اليه !
وطنت النحلة طنين من وجد المستعيل

اي « نيا ساجلدا » انظروا . الخيلة الا ترى ؟
اي « نيا ساجلدا » يا ذا العين الثاقبة

يا من ادر كت عينك حكمة الآفاق
الا ترى معي تلك الوردة المتفتحة

المزاحية المستعصية ؟

الا ترى من العبد كيف تظهر داية شاردة ؟
انها شي . لم ار مثله قبلاً !

فيها البجل والمنح ! فيها الضعف
والقدرة ! فيها الخلود والزوال !

قني ايتها الحياة ان « نيا ساجلدا » يحذرك
تلك الزهرة شي . جديد ! هي لم ودم

ثمها الآلام بل الحياة

روحي تألي الا ان اسقط ضحية التجربة !
**

على حافة الغدير كانت امرأة .. حطت
النحلة على شفتها ثم طارت قدسية
الشوة واذا هي تسقط في الغدير .
لقد وجدت جديداً ثم هت ضحية لما وجدت
يا اله القدرة حتى النحلة عزفت عن كل
شيء في سبيل شفة امرأة
**

ثم حمل « نيا ساجدا » عصاه وسار الى حيث
يحدوه به الشوق القديم
سامي الجبري

دوامية

.. قليلاً .. قليلاً ، ان من الافراح
ما يغري البكاء . قليلاً من ومضات نفسك
الحزينة فان الافكار تشكرك كالغنود
وانت في افكارك المشكورة ، كالزوجة
العاتية .. تدور بنفسها ولنفسها .

فماذا لاهب الناس بعض افكارك المتعبة
ان الجنون غالباً ما يهديه العقل للنفس .
فكن كريماً واعط الناس فيض افكارك
وماذا في ذلك ؟ بل ماذا سيبقي لك ؟
كثير من الاشياء ستجد في فقدتها راحة .
وكثيراً ما تستمر باطرومان ..

في فيض الهناء المروعة
ان الموت بفيض ولكن الا ترى
انه لا بد منه .. فلماذا تروغ الافكار
افض من ذاتك .. وكن كالينبوع الزاخر
بالحياة .. الشاعر بلذع الحقيقة
ان وجودك ليس عبثاً حتى تضيق بك نفسك
انا .. وانت .. بل نحن .. نعيش
باحساسنا اكثر مما نعيش بواقعنا وهل
احساسنا الا هذه الموسيقى النفسية :

توحنا مرة وتوحها مراراً

ولكنها رغم ذلك تزول الى
لا شيء . ولا شيء دائماً .

وافاعلنا هكذا .. كاحساساتنا منها
فعلت في النفوس تنتهي حتماً الى لا شيء .
اهناك عدم ؟! ستقول نعم او لا ..
وسيكذبك احساسك وسيصدقك وكذلك
قلبك وعقلك : انت كللج حين تركبه
الحماقة وتسوقه في مسارب الشقاء .

دوامية تتكسر على شاطئ الحياة
دوما - دمشق
زهير ناجي

سيمبول

انها سيول جارفة ايقظت شعوري من جديد
فهي في عيني سحر خطاك
وهي في اذني نداء موسيقى تتجدد ذراته
وهي في قلبي خيمة صافية في حاجة باوارة
وهي في قلبي نشوة وعبرة
وهي في قلبي غشاوة

فهي ملهمي

انها سيول جارفة ايقظت شعوري من جديد
صبت على قلبي المذثر في سحبه ،
فخرج ور كع امام حائث
على نفسي فانتفضت وتساقط معها
على روحي ، فانتقلت الى جسدي .
على خيالي ، فاستوحى فنه من معانيك .
على ديري ، فتجول عابداً عوجاً امام محرابك
وفيه ملهمي

انها سيول جارفة المهمني من جديد
قطرة واحدة تصنع سيلاً
اين هي ؟ قش عنها ! هات سهامك !
كلمة واحدة قلاً صفحات
تلك التي تسم حين تلمس شفتي شفتيك
قبس من نور ، يصعد به الفن

قليلاً قليلاً ، وبه اعرف ملهمي
انها سيول جارفة ، بعثت في الشعور من جديد
انفاس روحانية يرتلها سكوت الليل
همسات شاعر يتلوها فم الزمان
بسمه من فم جبل ترسل اشعتها الى قلبي
خشوع مخرب امام شاعر يرتل صلاة قلبه
انفاس يرتلها وهي السيل .
لاسمع ملهمي

انها سيول سحرية المهمني الشعور من جديد
اسمع خريزها في دقات قلب الطروب
مرغ وجهك فوق صدري ، فهناك
مصعب سيولك وعد الى سكران مرعباً .
وهنا استيقظ من نشوتي .
وادرك برذائي ، لان ملائكة

الحب اوحى الي ملهمي
مراكش - الدار البيضاء
محمد ازوين

الدموع

للورد ألفرد نيسون

الدموع ، تلك الدموع المتناقلة الكسول !
لست ادري اي شيء تعني !
دموع من غور يأس الهني مقدس
الى القلب تتصاعد وفي العيون تتجعب ،
اذ اجيل النظري حقول الحريف السعيد ،
وافكر في الايام التي مضت ولن تعود !
غضة نضيرة كأول شعاع يسطع لآلاً .
على شراع يطلع الينا بالاحباب
من المياه ورا ، الاق ،
ومكتبة خزينة كأثر شعاع يحمر فوق
شراع يفرق ويهوي بنحب الى ما وراء الشفا
هكذا هي مكتبة خزينة وغضة نضيرة
تلك الايام التي مضت ولن تعود !
آه خزينة وغربية كاصدحة المبكرة
وقت الفجر المعتم في ايام الصيف ،

تلقيها الطيور نصف المستيقظة،
في الأذان المتعاقلة المحتضرة
اذ متسع النافذة الممتعة
تدريجياً في ميضها وبريقها
أزاء العيون المثقلة بالنوم حتى الموت،
هكذا هي حزنه وغريبه
تلك الأيام التي مضت ولن تعود!
غزيرة غايبة كالقبل التي نتذكرها
بعد موت الحبيب،
وحلوة عذبة كذلك التي يتصورها
ويتخيلها الوهم القلنط
على الشفاء التي لا تملك،
وعيقة كالخبة، عميقة ككول حبة،
وهائلة الغرابة بكل ما فيها من ندم وحسرة،
آه، أليس الموت في الحياة
انت ابتها الأيام التي مضت ولن تعود!
حلب نوبس الباربي

واحدة

الى من عاشوا تحت الظلال وتركوا
الضياء للفراش المخدوع

رمال بعيدة كالخيط .. جماء صافية
وكأنها عين زرقاء بها دمة حائرة . وهناك
بين الأفق والسماء شجرة واعدة .. ترتعش
ظلالها على الرمال وكأنها طيف انسان مر بعد .
وتحت هذه الظلال يتسربل غدير صغير
يبعد وكأنه يخشى ان يصل الى النهاية .
انها واحة .. او لهاها تكون سراها
كم ضللتنا المسير . كم ضللتنا الحياة . اما
قلبتنا فسير تجف دوماً كلما تراءى له شبح
تخلته من بعيد . اولع بين الرمال ويريق ساذج .
اننا نعمل .. اننا نشقى ولكن ..
سوف لا نصل الى واحتنا الا بإحلامنا . انا
سنضي .. سنموت ولكن ، قبل ان تقادر

قلبتنا صورة تلك النخلة . ويريق ذلك الماء
العذب . وارتعاش تلك الظلال الخنون ..
ما احب حياة الثالثه . ما احب حياة
من يعيش بأحلامه . انه سيصل . سيعيد .
قلبه يضطرب كلما رأى عن بعد ظلالا
توحت فوق رمال . احساسه يشور كلما رأى
من بعيد ريقاً تقيبه ارمال من حين الى حين .
روحه تفرد كلما تراءى شبح تخلته يتصب
في السماء .

انه الشاعر بالحياة ..

انه الساعي من اجل الحياة .
لن يرقى على الرمال تبعاً فاعساً . لن
ينظر الى الافق محققاً فزعاً . لن يشعر بيجز
الشمس .. قلبه في هذا الأفق ، احلامه بين
النجوم . وآماله في هذا المحمل المترامي
امامه .. فما الحياة الا احلام وبقلعة . وما
الانسان سوى ذلك الطيف المتردد بين واقعه
واحلامه .. وولا هذا التردد لما شعر
الانسان بوجوده .. فلما كان انساناً ..

الانسان الى عالم بعيد ..
احلامنا فشاردة طليقة . طليقة في ذلك المدم
الحبيب الذي تقودنا اليه حيث لا ارادة ولا
امل .. حيث لا ظلال ولا انوار ..
انها تسير بنا الى واحة من غير ماء .
ولكنها .. واحة
انها تسير بنا الى ظلال من غير حقيقة
ولكنها .. ظلال
انها تسير بنا الى حياة لا وجود لها
ولكنها .. حياة .

انها حياتنا الثانية . انها سرابنا .
انها انسانيتنا . والانسان . ذلك الثالث بين
السماء والرمال . ذلك الحارزين عينه المتفتحة
وعينه الحاملة .. الا يسأم العمر وهل الحياة
دون هذه الحيرة وذلك الضلال ؟ قد يكون !!
سندهب الى عالم بعيد او قريب .

سندهب من دون رجعة ولكن ..
سبتقى لنا الحياة ما دامت زفارتنا في الهواء .
سبتقى لنا الحياة ما دامت احلامنا في السماء .
وسبتقى تأنيين بين السماء والرمال ما دام في
صدرنا قلب يرتعش .. وفي احلامنا
اطياف تتوارى !!

دمشق ربيع الصلح

للشاعر شلي

اليها ... !

انا لا استطيع التخلي عن الحب !!
وعبادتي المرفوعة اليها من ارض الاخران .
ارجو ان تقبلها . !
فالسما لا تعارض الفراش في حنثه للمحرم .
والليل لا يعوق الفجر عن الانبثاق !!
منظر ... !

الشواطيء الزرق .. وتناياها الداكنة
تبههم كالخس ! والزبد والحباب ، يقبلان
الرمال الناعمة ، في الكهوف البيض . والانسام
تهوم على طول الشاطئ . حيث تنكسر
الامواج .. والاحراش الكثيفة ، تشرق
بالجذوع العتيقة . والينابيع والجداول
والبحيرات الصغيرة صافية كالسما . وفي
الصباح الجليل . تظهر المسارب المدهوشة
وقد مهدتها اقدام المغز والغزلان . !
والمكان بأسره يطنع بالجمال والبهاء . !
الوداع ... !

جنحت القيوم للقر .. فبته حتى
البحاء . ! والريح جمحت . فأظلت الدنيا
واسود الأفق ! والليل البهيم . يلتف حول
أضواء السماء الشاحبة ! وكل شيء يصيح .
الوداع .. الوداع .. !

السبية - فلسطين عبد الحمم العالم

البان كارول امرأة انتقمت من الرجال !



أمر

مقتل البان كارول في مطلع سنة ١٩٢٨ بما اكتشفه من اسرار ، قلق مجرمي نيويورك ، واهتمام الصحافة والاختصاصيين في اكتشاف الجرائم ودراسة الاجرام . وبينما حاول هؤلاء استنطاق الظروف التي سبقتة والتي احاطت به ، لامساسة الستار عن اسراره ، فانهم لم يهتدوا الى شيء ، وكان يجب ان تنقضي عشر سنوات كاملة ، وان تدخل المصادفة غير المتوقعة ، حتى يسلم النور في ظلمة هذه القضية الخيرة . فقد توفي في كانون الثاني سنة ١٩٣٨ محام اميركي كبير في ظروف خاصة ارغمت رجال الشرطة على حجز اوراقه ، فاكتشفت بين هذه الاوراق اضية تتعلق بالبلاك كات « اونا دي القطعة السوداء » ، وهو النادي الليلي الذي كانت تترأسه البان كارول قبل موتها ، فازاحت هذه الاخبار ستار الغموض الذي حجب حقيقة هذه الجريمة المروعة طوال عشر سنوات .

لنعد في القصة الى منشئها ، ولا بد لنا حين نفعل ذلك ، من ان نعرض الى جريمة او فضيحة اخرى على الاصح ، اكتشفت سنة ١٩٢٩ في نيويورك نفسها ، وكان بين الذين اشتركوا فيها ورددت الصحافة اتهامهم وقتاً طويلاً ، عشرات من رجال الشرطة ورجال الاعمال وكبار القضاة والحكامين والسياسيين اللامين . لقد كان هؤلاء جميعاً ينظرون في عصا عجيبة جعلت هدفها التصبوا لاحتياال وابتزاز الاموال من النساء الشريفات المثريات بتهديدهن بالفضيحة ، بطرق دقيقة ، منظمة ، فنية اذا جاز هذا التعبير ، بلا حياء ولا

رحمة ولا وازع من خلق او ضمير .

وكالات هذه الطرق متشابهة في اكثر الاحيان : تكون المرأة مطبشة في منزلها ، تقرأ في مخدعها ، او تصني الى الموسيقى في غياب زوجها ، او مستلقية على فراشها ، في مساء هادئ ، جميل ، فينشأ البلب فجأة ويدخل عليها رجل انيق ، ويبادر هذا الرجل الى خلع ثيابه دون ان يتم بصراخها واستنكارها ، وما هو الا قليل حتى يتبعه رجال الشرطة الاخلاقية وكأنهم كانوا معه على ميعاد ، فيقبضون عليها دون ان يصغوا الى اقوالها ، ولكنهم يصنون بعطف الى ذلك الرجل الذي يزعم ان هذه المرأة قد اعترضته في الطريق فأغرته ودعته الى منزلها ، ثم هددته باتهامه بالاعتداء عليها ، ان هو لم يوقع لها شيكاً بضعة آلاف من الدولارات .

وينجم بقعة شهود عديدون ، فيقول بعضهم انهم شاهدوا المرأة وهي تعرض للرجل في الشارع ، ويقول آخرون انه سبق لها ان اغرتهم وسلكت معهم السلوك نفسه ، فتم بذلك حلقات التهمة الشعاء ، تهمة ممارسة الدعارة السرية ، وينظم الشرطة محضراً بضبط المرأة بالجرم المشهود .

وحينئذ ياتي محامون كبار لامعون ، فيتدخلون في القضية ، ويعرضون على المرأة خدماتهم ، معلمين لها استعدادهم لانقاذها من الفضيحة مقابل مبلغ كبير من المال ، فان هي اذعنت ودفعت المبلغ المطلوب ، حفظت القضية وصانت المرأة شرفها ، وان هي

ابت الأذعان وقاومت المكيدة ، احيلت الى القضاء ، فحكم عليها بتلك الجريمة استناداً على شهادات الشهود وضبط الشرطة .

واستمرت هذه العصابة المجرمة في اعمالها منذ سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢٨ ، واستطاعت ان تجني منها عشرات الملايين من الدولارات وقد تبين فيما بعد ان كثيراً من النساء اللواتي انتحرن في نيويورك خلال هذه المدة ، لما أقدمن على الانتحار تخلصاً من ضغط هذه العصابة عليهن وتهديدها اياهن بالفضيحة والعار . ويبدو انه كان للعصابة دائرة للاستعلامات على غاية من الدقة ، لانها لم تتعرض قط لامرأة تملك وسائل الدفاع

ومن هؤلاء النساء اللواتي تعرضن لبرائهن هذه العصابة القبيحة ، امرأة حسنة تدعى اليان كارول .

في سنة ١٩٢١ ، وهي السنة التي تعرضت فيها العصابة لليان كارول ، كانت هذه المرأة في سن الرابعة والعشرين ، ذات وجه رائع وجسم فائق الجمال ، ولم تكن ماجة مستهتره ولا غرضاً فضيلة ، فقد احترفت الرقص في برودواي وهي في الخامسة عشرة من عمرها ، وورثت عن صديق لها ثروة كبيرة ، فتزوجت شاباً مقامراً يدعى بيشوف ف عاشت معه سنتين وزوجته منه فتاة جميلة بنية ، ثم انفصلت عنه واخذت تحيا مع آل ماركس وهو راقص مبدع احبته اعظم الحب .

ولعل اليان كانت حرة بان تتجه اتجاهاً سوياً ، وتحيا حياة شريفة مطمئنة ، لو ان الاقدار لم تربط مصيرها بهذا الشاب الخليع المشهور . ولكن هذا الشيق كان يسير بها سيرة اخرى . وقد يادر الى استغلال ثروتها ، فأنشأ مرقصاً كبيراً ، استطاعت المرأة ان تحافظ على سمعته وقتاً غير قصير .

وكانت الحياة الليلية في نيويورك تخضع حينذاك للعصاباتين الشهيرتين اللتين يرأس احدهما جاك دياموند ، ويرأس الثانية آل كابوني . تستطيع احدى المؤسسات ان تأمن اعتداء احدى هاتين العصاباتين الا اذا اجتمعت بالعصابة الاخرى ، وكان آل كابوني ، فيما بدا لآل ماركس اقلاً شراً من دياموند ، فهو منافس له حديث العهد بالأجرام ، وهو يقيم في شيكاغو وينظر الى نيويورك كأنها فرع من فروع اعماله الواسعة النطاق ، فعهد اليه بحماية مرقصه من المجرم الخطير الآخر .



احترفت اليان كارول الرقص في برودواي وهي في الخامسة عشرة من عمرها

ولكن يبدو ان ماركس قد احب غانية كانت تختلف الى المرقص ، وان اليان قد لاحظت ذلك ، فكان بين الشيعتين عتاب بل اكثر من العتاب ، وهددت المرأة الشاب الشارد بالانفصال عنه وذكرت بان المرقص ملك لها وانها حرة بان تنزعه من يده متى شئت . فغضب وطلب من آل كابوني اعطاء عشيته درساً صغيراً تدرك معه انها في حاجة الى حمايته ولا تستطيع العيش بدونه .

ومثل افراد العصابة مع اليان كارول ذلك الدووال كلاسيكي الذي مثله مع مئات النساء وبرعوا في ادائه . فانتهت ظلاماً باحتراف البغاء وقبض عليها في الجرم المشهود ، وشهد الشهود المزيون بما ثبت ذلك ، وطلبت منها العصابة الهويية مبلغ عشرين الف دولار لتقضيها مع المارو . ولكن المرأة رفضت دفع الجزية ، ودخلت السجن في انتظار احالتها الى القضاء ، ولما تدرى هل كان المصادره الذي حدا بها الى سلوك هذا المسلك ، ام انها لم تكن تملك المبلغ الكبير الذي طلب منها تسديده دفعة واحدة !

وكانت اليان تنتظر من صديقتها الدفاع عنها ومواساتها في محنتها ، فاذا به يتوارى عن الانظار بصحبة المغنية التي شغفت قلبه جاً . ففكر ذلك عليها ، واستبد الحزن بها ، حتى احيل لزميلاتها السجينات انها ستفقد رשدها ، وحين قوت المحكمة التي نظرت في قضيتها الحكم عليها بالسجن سنتين كاملتين بدت كالصعوبة بهذا الحكم الظالم الذي ادانها بتهمة ملفقة وجرمية هي منها براء . وادركت اخيراً ان صديقتها آل ماركس الذي تحلى عنها في ابان حاجتها اليه ، هو الذي اوغر عليها صدر العصابة المجرمة وجرحها الى هذا المصير المخزي . فأظلمت الحياة في عينيها ، وقضت تلك المدة الطويلة التي حكم بها عليها وهي لا تفكر الا في الانتقام . ثم بلغها وهي بين اسوار السجن نبأ وفاة ابنتها الوحيدة الغالية فتعاقم غضبها وتعمر حقددها .

وما كانت تستعيد حريتها بعد عامين قضتها في وحشة الوحدة وسوء العذاب ، حتى شرعت في انتقامها الزهيب . ومن عجب ، انها لم تفكر في الانتقام من افراد تلك العصابة التي افترت عليها ذلك الاقتراء الشنيع وزجت بها في غيابة السجن ، بل اتجه حقددها

التي دفعها الى هذه الحفرة قد هاجمت النساء الطاهرات الشريقات، فان عصابها هي قد حرصت على مهاجمة الرجال الخليئين المنفسين من طلاب اللذة الحرام .

لقد كانت ترسل ذلك الجيش المؤلف من خمسمائة امرأة، والذي يحيه جيش آخر من الرجال الرعيين، في أنحاء نيويورك والولايات المتحدة كلها بحثاً عن الرجال . وكان يشتري في هؤلاء الرجال ان يكونوا اغنيا . ذوي مراكز عالية في المجتمع او مصابين بالانحرافات الجنسية ، فاذا ما جئى واحد منهم الى « النادي » ابحت له جميع انواع الذائدات والحذرات حتى يفقد قواه ووعيه ، ثم تؤخذ أوراقه فندرس ، وينطلق الاختصاصيون بعد ذلك للبحث سرياً عما يملكه ، ويبدأ بعد ذلك التهديد بالفضيحة . .

انها ذات الطريقة التي اخذت بها اليان كارول، مع فوارق ثلاثة اولها ان العصابة كانت تنصب شركتها حول النساء . اما العصابة الجديدة فانها تصطاد الرجال . وثانيها ان النساء اللواتي ذهبن ضحية تلك العصابة كن في اكثر الاحوال شريقات او يسكنن على الاقل مع النساء الشريقات . اما ضحايا هذه العصابة من الرجال فهم فاسقون حقاً ممنوعون في الفسق والزلية . وثالثها ان الوثائق التي كانت تواجه بها اولئك النساء كانت وثائق ملفقة ظاهرة التلغيق ، اما الوثائق التي كان يواجه بها زبائن « نادي القطة السوداء » فكانت صور فوتوغرافية اخذت لهم في خفية منهم وهم في اوضاع مخزية يندى لها الجبين . . وهكذا كان هؤلاء « الزبائن » يضطرون الى دفع كل ما يطلب منهم اتقاء للفضيحة وتجنباً للعار . . وكانت المبالغ التي تنتزع منهم تقسم الى ثلاثة اقسام تأخذ اليان كارول قسماً والمرأة التي « اصطادت » الضحية قسماً ثانياً ويوزع القسم الآخر على رجال الشرطة ورجال القضاء . . وقد قدر دخل اليان كارول بفرداها، من أعمال النصب هذه ، بثلاثمائة الف دولار في كل عام . .

وذات يوم تعرفت رئيسة « نادي القطة السوداء » نفسها بيلاردير يدعى هنري ماك دونالد جاسمون وهو ملك أحد اصناف الاطعمة المحفوظة، فأجهاجاً جنونياً ، وغدا من زبائن النادي الدائمين، وكان ينفق كل ليلة ثروة صغيرة ثمناً لباقات الزهر وزجاجات الشبانيا التي يقدمها لمعشوقته، دون ان يشترك في أي لون من ألوان الجورن المعاصف التي كانت تمثل في اقبية النادي الانيقية كلما اظلم الليل .

وكانت محظنة هذا الملياردير الكهل حافلة دائماً بأوراق مالية كل منها من فئة الالف دولار ، وقد اكتفت اليان بأن تأخذ منها كل ليلة ثلاث وراقات كان يدفعها لها بطيئة خاطر ، مقابل عشاء

نحو جميع الناس الآخرين ، نحو المجتمع الذي اعتقدت بأنه مجتمع جبان وظالم لانه لم يتبين براءتها، ويكشف عن المؤامرة التي كانت ضحيتها ، اولانه عرف الحقيقة ولم يجزأ على اعلانها . وكانت اليان كارول لا تزال جميلة رائدة الجمال .

وكانت ذكية متقدمة الذهن وقد علمتها التجارب التي عانتها المكر والدهاء .

وكانت حاقدة على الناس تتوهم ان هؤلاء الناس، لا انظمتهم المباشرة وعلاقاتهم الاجتماعية ، هم السبب في كاريتها وكل كارثة اخرى . .

فيعمل منها الجمال والذكاء . والتجربة والحقد مجرمة خطيرة، ولم تنقض بضع سنوات حتى غدت اكبر امرأة مفسدة في الولايات المتحدة وبات كثير من المجرمين انفسهم يخشون بأسها ويسبون سطوتها .

وتألفت الأنوار التي انطلقت في مرصق اليان مدى عامين ، وفُتحت ابوابه المغلقة على مصاريها ، ولكنه لم يعاود خطته القديمة التي كانت لا تختلف عن خطط المراقص الأخرى، بل تطور هو ايضاً مثلاً تطورت صاحبته ، فتحول من مرصق عادي الى نادٍ ليلي تشاه الطبقة الارستوقراطية المترفعة، واطلق عليه اسم « القطة السوداء » وأسمى أشهر دور اللهي في نيويورك . أما شهرته فكانت تعود الى ضرب الحب الحمر وألوان الشذوذ وأشباه الحرام، التي تورد تحت ستفه وتحاك بين جدرانها، بحماية الشرطة ورجال القضاء الذين كانت اليان كارول تغدق عليهم هباتها بسخاء . .

لقد خبرت هذه المرأة فنون اللهي والأجرام ، ودرستها ، ونظمتها ، وأحاطتها بظواهر الارستوقراطية الباقية ، وجندت لمحايتها عدداً غير قليل من كبار الرجال الرعيين الذين كانوا يتحيفون أمامها مثلاً ويتجنبون مستخدم صغير امام رئيس خطي . .

وقد اكتشفت في « نادي القطة السوداء » ، فيا بعداً، اضراراً خاصة بجميع الاشخاص الذين كانوا يتنافون اليه، نساء ورجالاً، فاذا هنالك النا رجل من زبائن النادي ، وخمسمائة امرأة من المشتلات فيه . وأقل هؤلاء النساء كن من المومسات ، واكثرهن من نساء الطبقة الراقية اللواتي كن يتعاطين البغاء لا كمورد للرزق بل لروا ليهوئن وانحرافاتهن . . وقد سجل في الاضبارة الخاصة بكل واحدة منهن معلومات غاية في الطرافة وغاية في الجون . .

وتؤكد اليان كارول في رسالة وجدت بين أوراقها ، انها لم تكن تنصب شركتها لرجل طاهر بري . ، واذا كانت العصابة

بسيط ، مؤمنة بأن الامر اذا استمر على هذه الحال ، فانها تستطيع ابتزاز قسم كبير من ثروة هذا الرجل .

وقد استمرت هذه الحال فعلاً خمسة وخمسين يوماً ، قبضت فيها اليان من العاشق المتهدم مائة وخمسة وستين ألف دولار ، وكان يمكن ان تستمر شهوراً او اعواماً لولا ان شركاء اليان كارول قد ذكروها يوماً ، بهذه المبالغ التي تفردت بقبضها ولم تشاركهم فيها ، وبأنهم يكونون شاكرين لها اذا اعطتهم ثلثها ، وهو المقدار المخصص لهم من كل ربح يجنيه النادي . . .

واخطأت المرأة هذه المرة ايضاً مثلما اخطأت في مقاومة العصابة الاولى وعدم الاذعان لمشيئتها . . . لقد كان جامسون على استعداد للزواج بها لدى أول اشارة تصدر عنها حول هذا الموضوع ، فتستولي بذلك على ثروته الضخمة كلها . . . وماذا يؤثر في هذه الثروة زيادة خمسين ألف دولار او نقصانها ؟

ولكن العناد سيطر على اليان كارول في هذه المرة مثلاً سيطر عليها في المرة السابقة ، فرفضت طلب شركائها ، لانها اعتقدت بان

جامسون صيد خاص بها ، هي التي جاءت به ، ومن اجلها وحدها انفق ، وهي بعد لا تخشى منه خطراً ، ولا تريد الابتعاد . معه الى طريقها المألوفة في النصب فأما هي الحجة التي يتذرع بها افراد عصابتها من المجرمين والشرطيين والقضاة لمشاركتها في ثروته . لقد قامت بهذه الصفقة ، ان كان يصح تسميتها كذلك ، بفردتها وهي تريد الاستثمار بالقيمة بفردتها ايضاً .

واصر الشركاء على نيل حصتهم ، واصرت اليان على الرفض . وحين شاهدت غضبهم ، خامرها سروو غامض بتعديدهم وتحقيرهم والاستهانة بهم . فلم تنقض ايام معدودة حتى شوهدت جثة اليان كارول في حديقة كورتلاند وقد اخترق ظهرها خنجر ماض فأودى بها .

لقد قتلها عصابتها ، وعسير جداً تعيين للشخص الذي قتلها منهم ، فليس بينهم من يتورع عن هذه الجريمة . . . هكذا اعلن المحققون حين ازاحت المصادفة ستار التموض الذي احاط بقضية اليان كارول بعد ان انقضت على مصرعها عشر سنوات كاملة .

وحيث شاهدت غضبهم خامرها سروو غامض
تحتج وتقدم والاستهانة
http://ArchiveBeta.Sakhril.com



الشاعر السامي

رثاء إمام المجددين خليل مطران بك

ألقي في حفلة تأييده ببيويورك يوم ١٠ أغسطس ١٩٤٩

الهة الشعراء عاد الشاعر السامي الى عوالم لم تحصر بأجرام
الى عوالم غناها واسكرها كأن أضواءها اصداء انغام
الى نبي لم تكبر في منازلها ولم تحدد بأنفاس واجسام
الى منابع الانعام صافية فاضت على الشمس والدنيا باقلام
الانبياء الى عليائها انتسبوا والشاعرية في وحيي والهام
الى منارك، فاستعلت كواكبها ونحن في وهدة هانت وظلام
تدورلا ملجئ علي مساربها ونحن ما بين اسراج والحلم
وتبعث الشعر في خفق اشعتها جم الفضاحة ان يوصف بهاهم

الهة الشعراء عاد الشاعر السامي الى عوالم لم تحصر بأجرام
لم يتزع الموت اكلياً خصصت به ذاك الجين ولم يظفر بأغنام
وان يكن قد اثار الهول في مهج وبعمق الزهر من بالي ومن دام
أسري به في بروج لا كواكبنا تدري مداها ولا انوارها اجرام
وخلف الفن مكبوتاً على وجل لم يرزاً بقصد الكركب «الرامي»؟

طار النعي، وبس الطير روعنا وهو الجريح بأحزاني وآلامي
القي علينا الالاسى نكلاً ومسغبة مبدداً ذخر آمالي واحلامي
زاد المهجير لئياً فرط حرقتنا ليس حرقتنا انفس أيتام؟
كأننا لم يت قبلاً بعلته الفاتحون لدولات وافهام
كأننا عيشه حام لفكرتهم والفكر ليس له كالفكر من حام
ما افدح الخطب للعائين، ما نعموا فكل جرح جديد غير مثالم
وما اشق الناسي للشعوب متى تدولت بين احبا. واعدام!

هل يعلم الناس اي الناس قد فقدوا ام لا يزالون في نوم واوهام؟
وهل بكت بردي والنيل واضربا كالارز من نوح اعلام؟ اعلام؟
اصالة من جلال ليس يرفعه عال من المدح او دان من الهام
من ساير النهضة الكبرى وهذا بالنن والرأي اعواماً باعوام
وما تردد في تكييف مبدئه ولا تذبذب في نقض وابرام
ولا تلغم يوماً في رسالته ولا تعو في تحطيم اضنام

كاننا رشده الصصام في فرق وشعره بره فأفناء. وتتمسك
اجزت شجاعة الاحرار عن خدع في عالم زاهر بالآؤم لوأم
وقاض شؤويه رياً لمن عشقوا انفسا (طيبة) او احاطوا آرام
واشرفت (بعلبك) من خرابها عرائس المجد في (لبنان) و (الشام)
اليسها حللاً ما نال مشرقها اعراس (كسرى) ولا افراح (بهرام)
ما (البحترى) من الايون موقفه وانت في (بعلبك) العابد السامي؟
منازل لك لم يتزل بساحتها الا النبوغ، فما هانت لاقوام
شعر كثر به الارواح صافية وتستقل به، لا نظم نظام
وشاعر لم يهد قبله يهدى مثل (المسيح) اتى من بعد اخلام
جم المروءة، وفي الخلق، ذمه ليست مطية احباب واخصام
يندو اليه ذوو الحاجات في هف ويشنون وكل جد بمسام
وما تعاطم يوماً في تقوقه بل في تواضعه آيات اعظام
كانت زعامته ركناً يلاذ به دون ادعاء لاجزأ واحزام
كالنور ليس لارض ان تحصى به ولن يقاس بابعاد وارقام!
قد ضن بالنن الا للبعير به كالكثرة خبي. في حرز بأخنام
وحان تفكيره عن عرض مبتذل كأنها هو حصن بين أسلام
والفكر كالدين حي في قداسه مل. العصور بآيات وآرام^(١)

لا كخرائب والاطلال تسكنها شبح الفناء وتستغذي لا يوم
ما عززت امة ولدت بعزته ولا اعتدت دونه في عد آثارم
اذا تهاون شعب في صكرامته عز الادم عليه عند آدام
وان اسى. الى الاسي يعالج لم يرام الجرح او يتغذ بارام^(٢)
ما حاربت امة اخيارها ونجت او اودعت امرها او هام رجام
هذا هو الخالد الموهوب ارفعه عن ان تشير اليه اي ايهاهم!

قنعت بالخط في النجوى، ومررتي نعمى حنانك في عودي واسكرامي
يا من اصاح له قلبي فهذبني طفلاً وكهلاً، وأحيا كل ايامي
يا من سكنت اليه العمر ملتجأ ضافي الغراء، فلما عاباً بأخصامي
صحبته في خيالاتي، وفي مثلي وفي حياتي، وفي سعي واقدامي
ولم يزل.. ما لهذا الموت بعضني كما يبعثر تأويلي واحكامي؟
وما لبهرة عام كنت ارقبها حالت ابوداً وردتني لاجرامي؟
اولى به ساعة تنكيس اروسنا خزاناً عليه وتنكيس لاعلام
لا ان تخفض للطافوت صاغرة او ان تطاطي. في يؤس واعدام
لئن تجرد عن القاب مملكة زانت جباناً وما كانت لمقدام

(١) الآرام : النصب التي يستهدى بها.

(٢) الارام : معالجة الجرح.

فألذنب يرح في ثوب لسيده وما يبذل غنا ثوب ضرعام !

لم يبق لي من غراء غير ما وهبت عناك للخلد من آيات رسام
ومن مزامير جلت في تسلسها وفي تسلسها عن اي ادغام
ومن تساييح مطران ارددها كأنها هي من اركان اسلامي
ومن اغاريد للعشاق ارسفتها راح الشباب فأنسى جذب أيامي
ما الراح في الخلد موعوداً بها ادبي ارضي بجاماتها عن هذه الجلم
ومن اهازيخ في معنى وفي صور هي (الطبيعة) في روحي والمامي
ومن غظلات وامثال وفلسفة جاءت اناجيل فوق المدح والذام
ومن تهاويل للتاريخ تسردها فخلع الدهر احتساباً بأيام
ومن صنائع المعروف سابعة ساوت ببر تخدوم وخدم
ومن احاديث مع الشهد مبدعها وان توارت بأزهار وأكام
تم عن عبقرى الفن معجزة والفن كالحب يحيا جد غام
ولا انيس سوى الذكري لصحبتنا وك تمور على بأسى واحجامي،

رحلت في زمن عز الحكم به والناس الحر، بله الشاعر السامي،
عن امة حفظها الشكوى بلا خطر فما تمور على اسواط ظلام
يخشي افاضها الارغاد ان سلوا ويركعون لارغاد وانغام
ويحفظون على مثلي ليقظته اذ عيرون، ويحكي الشاعر الرامي !
لا يستقرون من روع ومن قلق ولا يلجأون الى عزمهم
اذا ارتدوا لها استقلالها نفرت وما كرامة ذي عزد لقوام ؟
كأنما نسيت تاريخ عزتها ولم تطوف باهرام واهرام !
قالوا : قطع من الاغنام يشبهها ! يا ليتها كقطع بين اغنام !
يصطاد ارزاقها من لا اكيدهم ويستباح ركوباً عند اجرام
ولا يقومها نصح ، ولا عبر ولا سداد ، وتبوى لهم هدام
كم خودت وصروف الدهر ضاحكة فخلطت بين احباب واخصام
ما يارم الجبل في اعواد مشنقة كرافع لينود النصر برام
فانقضت جراحات بلا عدد واسلمتها لولات واسقام
وما ينال وفي حين يرشدها الالعاب والاوط اقدم
المزل ما زال من اسمى شائرها والجمل معبودها في ملكة النامي
احرارها غريب لا تميزهم في حين تمنو لاشباب واصحاب
لم تتعظ وصروف الدهر تطلتها ولم تزل رهن انصاب وازلام
وتقتل الوقت اسفاً ومنقصة وثأرها عند بطريق وحاخام
ولم ازل وأنا العاني بتجذمتها شبيها في ضلالي وليامي
احنو عليها وان جارت على ادبي وعابقتي على بري وانعامي

وطاردتني الى متغاي جسانية وعددت صفو آتاري كآثام !

من لي بقربك حياً ذا ثلثاً مقة عني ، وحارس وجدان واقلام
يؤرخ الادب العالي بسيرته وباسمه يهتف الوافي بأقسام ؟
ليك من صفوة الاحرار من عرفوا من انت واغترفوا من بحرك الطامي
ومن أبوا ان يعدوا في محبتهم بين المغالين ، لو قيسوا بستان
ومن يقدون اوطسناً نغمت بها روح الاباء فلم تدعن لهوام
ان كانت اليوم نهياً بعد تضحية فلن تسام دواماً سوم انعام !

عسى الرياض التي ناحيتها شغفاً تروح بالوحي للساعي وللظامي
عسى الرياح السقي شائقك نائرة تفك عني اغلاي وارغامي
عسى المهدى على الامواج ينفضنا بلحنك الحر لم يقرن باعجام
عسى ترانيم هذا الطلل تنمنا فرائداً منك في شؤبهه الهامي
عسى المساء الذي غيخته صورا من الجمال يغذي حلو انعامي
عسى الجداول في ابيى وداعتها تسيل منك حناناً حول آكام
عسى المروج ورابي النحل يلشها ترف بالشهد علفاً بعد اجهام
عسى (الطبيعة) في اسنى مقفاتها تجود لي بسنا. منك بسم !
أنت تأملت في حسن اهم به رأيت لطفك في ذهني وتيامي
في شتة الطير ، الوفي النور ختلتها في ثورة البحر ، او في روع اجام
وفي مشاهد لا تحصى ذقاتها انت وغنت على زممار غسام
ورسخت كل عشب في تصوفه كأننا اهل اشواق وراحام
ازجي رثائي صلاة انت ملهمها وان تكن من حناي قلبي الدامي !

ابو بكر احمد زكي ابو سادي

نوبور

السماع الكريم

فجع الروض بالكنار العميد وبسكت طيره امير التشيد
واشغى الزهر فوقه سافحاً بعض الذي ضم من شذاه الغريد
سكت الببلل الامير فيجودي يا عين الروض المروع جودي
هل دنته الجور الملاح على الكثر غرقى ما بين كأس وعود ؟
فاستجاب النداء كالنسة الغداز ، كالنجر باصاً حين نودي
حضته الهة الشعر شكلي وبسكت غير ولدها في الفريد

ونعته الى السماء . فحفت آلهات الفنون سود العبود

شاعت النبتة المريوة في الشرق فقصت بها لهاة المعيد
وفضعت القطرين يا شاعر القطرين واحتجت من وراء الحدود
خلق لا الصباح اسنى ولا الروضة اذكى ولا ابنة العقود
وجلال وعفة وحياة . فيك عزت على كواعب رود
يا شهيد الجبال اي جمال هو حتي غدوت خير شهيد ؟
واخليلي ! واين بعدك للشعر خليلي في ودك المعهود ؟
اطلعتك السماء نجماً فويبدأ رمقته النجوم رمق الحدود
يا هزاراً تحت جناجر دنياك وما زلت ساحر التفريد
من مشي في الحرف بعدك روحاً وجالاً يا مناطق الجلود ؟
حكم كالأضياء . سلسلت شعراً هو ابقى على الزمان الجلود
ومعان كأنها وشوشات الورد حيناً ووسوسات النهود
صور كالحسان كهرمين اللاحن فاندحن ما نجت القدود
تلك تشدو وهذه ترش الصدر على شهقة الضياء الشرود

يا ابا الثورة الصوف على الظلم وهادي الشعوب التوحيد
علموا منك انهم خالقو الاصنام عابها وضحايا الجود
هم ارادوا كسرى وقصر العرش وتجاوزوا للقضاء المعيد
كم خدمت البلاد تدعو مهيباً بيننا العلم والنشيد
حسبوا الشعب سلعة واماني الشعب ملهاة حاكم عريبد
يا نصير الشعوب من لطاوغيت يريهم عواقب التشديد ؟
ان للشعب غصبة تسحق الطاغوت ، تري بوعده والوعيد

اي فتى بملك ما لشموس الكون فيها تجمعت للسجود ؟
حين اسرت بك العذارى الى «البرناس» يمولن لاطبات الحدود
اصلاة لروحك الطير تتلو كالتى حين انبتت بالوليد ؟
ام تراها في ماتم الشعر تكل كالبات الاضواء . حبرى الكبود
سر هنياً يا راهب الهيكل السبح الى هيكل السماء المرصود
كنت فيه تنهل قربان نور وصاله على مساء الوجود
وقد الشوع باللهب الاقدس من روحك الذي التوي التجيد

ايها الساكب النشيد على الارواح خراً عزت على العقود
فتنقذ الضاد الخلوب فكنت الوتر البكر في القديم الجلود
ونداما لم يزلوا على العهد سكارى من ذلك المعبود

فهم كلما احسوا فراغاً واشتاقاً طافوا به للورود
واحة انت في الهجير قلبي اتقيه في ظلك المحدود
يا معبر الشمس بعض سنائه ودليل السور في التصعيد
لك ارجوحة الخلود على السدرة ترهى بعقري الخلود
مع «شوقي» و«حافظ» في الاعلى فيسر الثالوث بالتوحيد

هذه دعة الوفاء . دعاها نيب بيننا كريم المعهود
كانتساب اللحن للوتر الملهم ، كالعطرين ند وعد
جنت دنياك كالشعاع كرمياً ثم فارقتها كنفخ الورد
طرابلس علي مقارفة
من ندوة عفر

الشاعر الطليبي

ويلك يا صاحبي ، امات الخليل وثوى الشاعر الوقود الجليل ؟
ليس بدءاً في ان يوت ولكن صدى الموت للاتاسي غول
وفراق الآلاف يحترم الانفس حزناً ، فيعتريها الدهول
والنابا واوصلودوان ما لدينا الى التكاك سبيل
سنة الكون ما لها تبديل : ذا مقيم ، وغديره محمول
انما يصعد القلوب من الموت فراغ المكان بمن يزول ،
وقد الشاعر الذي كان بالامس لالحان شعره ترتيل
وسد الهيكل المحطم من القبر ، ووارثه ظلمة وسدول
واستقلت بروحه الحسور تحتاز الى حيث تحتليه العقول
يذهب الناس للغناء وسيبقى بعدهم في الوجود ذاك المهديل
ويناجيه في القود وفي الاصال من وحيه الملم رسول
بارزاً كالحيا في كل شي . حاضرأ عنه ذكره الموصول
فهو آناً تراه في القسم الشم ، وآناً بين الربوع يحول
أو تراه مع الربيع اذا اقبل بالحب والحياة عيل
او خلال السحاب يعبر في الافق ، وللبرق ومضة وصليل
ايناهمت في الفضاء تراه خاطراً يستعد فيا يقول
ذلك الشاعر الطليق فامات ، وليكنه طيوف تحول
خالداً بالقرىض يطفو على الدهر ، وعياه بالخلود مثول
فليكن منه للجيل غزا . فجيبيل الغزا . نعم الجيل ! !

عبر السلام رسنم

انفاضة

دفاع خير منه الاتهام

بسم امين يوسف غراب

تفضل

حضرة الاديب الاستاذ « انور المداوي » وهو من كتاب الرسالة الدائنين في هذه الايام ، فرد علينا في الرسالة الغراء رداً كريماً مهذباً نشكره عليه ونحفظه له ونشره مرة اخرى ليطلع عليه من لم يطلع . اذ لا يهيم « الاديب » على ما نعتقد سوى ان يقرأ - ادبه - اكبر عدد ممكن من القراء . قال حفظه الله وزاد في ادبه .

« قيل ان الذبابة هبطت يوماً على رأس الفيل ، فلما يستشمن ان تشعه بوجودها قالت له يا عزيزي اني طائرة عنك . ونظر اليها الفيل ضاحكاً ثم قال . والله ما احسست بك طائفة حتى احس بك هابطة . تذكرت هذه القصة الطريفة وانما استعملت لنقل اي خبر فيناه ان قصاصاً من القصصين العوام اجتمع في احدى الصحف اليومية بالسلو على احد الافكار من قصصه لتزدان بها قصتي » من وراء الابد « اما هذا القصص العالمي النابغ الذي اراد ان يشعرني بوجوده كما فعلت الذبابة الخالدة فهو السيد امين يوسف غراب . . . واد ان اقول لهذا القصص الذي لا اشك لحظة في انه درس فن القصة في كتاب القرة . اود ان اقول له انه لو قدر له ان يعاصر المشال الفرنسي العظيم رودان لانه لاهمه الابداع في صنع تمثال يمثل الغباء النادر . . . ذاك لانه لو خطر لي ان انتقل فكرة عن اجد القصصين ، فان الذوق يفرض على ان اجد الى اعلام القصة في ادب القرب . عندي مثلاً في الادب الفرنسي بلزاك ودياس وفلوبير وزولا ومويسان . وعندي مثلاً في الادب الروسي تولستوي ودستوفسكي وترجينيف وتشيكوف وجوركي . وعندي مثلاً في الاديين الانجليزيين والامريكيين ديكستر ولويس ولورنس ويوموم فن يصدق انني اترك تلك القمم حيث يحلق السمور لاهبط الى السفوح حيث يحلق القراب .

هذا ما تفضل به « الاديب الكبير » رداً على الخطاب الآتي

الذي بعثنا به الى الاستاذ صاحب الرسالة عندما وضع لنا ان « الفيل » الكبير ، او النسر القدير الاستاذ انور المداوي « سرق » قصة لنا كنا قد نشرناها في مجلة السينا المصرية في العدد رقم ١٠٠ الصادر في ٦ فبراير سنة ١٩٤٧ بعنوان - فيوليت - ونشرها باسمه الكريم في مجلة الرسالة الغراء العدد رقم ٨٢٨ الصادر في ١٦-٥-٤٩ بعنوان « من وراء الابد » بعد ان قدمها بمقدمة لا نظن ان كاتباً من كتاب القرب الذين تفضل بذكرهم واطهر انه يحفظ جيداً اسماؤهم ، قدم قصة لنفسه يمثل مقدمة الاستاذ الكبير لقصة المروقة . ولكننا - امية المتعلمين - كما قال اديب من الادياء . وهذا هو الخطاب الذي ارسلناه الى الاستاذ صاحب الرسالة بطريق البريد المسجل تحت رقم ٩٥٥ بتاريخ ٦-٦-٤٩ .

حضرة الاديب الكبير والاستاذ الجليل صاحب الرسالة :

تحياتي واحترامي . . . لفت نظري في عدد الرسالة الغراء رقم ٨٢٨ الصادر في ١٦-٥-٤٩ مقدمة لقصة بعنوان « من وراء الابد » للاديب الفاضل الاستاذ انور المداوي يقول فيها - الى الذين يفهمون القصة على خير ما تفهم القصة ، على انها لوحة نفسية وظلال انسانية وفكرة من اعماق الحياة - فاقبلت عليها اول ما قرأت في الرسالة ولكن لا اطيل عليك ، ولا انا ايضاً بجمل على نفسي . فقد وجدت القصة ويوسفى جد الاسف ان اقرر لك ذلك ، صورة مشوهة لقصة نشرت لنا بمجلة السينا المصرية العدد رقم ١٠٠ الصادر في ١٦-٢-٤٩ تحت عنوان « فيوليت » وقد رأيت ان اوفر عليكم جهد البحث فارتقت مع هذا لحضرتكم اصل القصة المنشور واعني به العدد الذي نشرت فيه قصصنا التي سرقتها الاستاذ المداوي . او يعني اصح جسدها الفني السليم الذي تناوله الاستاذ المداوي بالتزيق واحاله خلقاً مشوهاً آخر . وصدقني اذا قلت لكم انني دعشت لهذا التصرف الشاذ . اذ كيف يلقي

الاستاذ درساً على تلاميذه ، بينما الدرس نفسه لتلميذ من التلاميذ .
وهل ذنبنا اننا لم نعاظمه ولم يركبنا الغرور فقدم قصة لنا بقدمه
كقدمه الاستاذ الكبير . . ونعني به - انور المعداوي - ولا نعي
كما قد يظن موبسان رحمه الله ، او تشيكوف طيب الله ثراه ، او
جوركي حشره الله حشراً في زمرة التلاميذ لا الاساتذة . ولذلك
اود ان تصدقني اذا قلت لكم مرة اخرى انني راجعت نفسي
كثيراً قبل ان اتعرف بالكتابة اليكم لعل العكس يكون هو
الحقيقة ، ويكون الاديب الكبير الاستاذ انور المعداوي هو الذي
نشر قصته في مجلة السينا من عامين او اكثر ، وانا الذي سرقتها
منه من اسبوع او اقل ونشرتها في الرسالة الغراء . ونقلتها هكذا
دمية مشوهة تؤذي بدعائها العين ونجح الضيف ولكن رغم انني
كان العكس ان صح هذا التعبير .

واخيراً فقد جئت الى شيخ الادب محتكماً في اعتداء احد
الاساتذة على احد التلاميذ واملي ان يتغلب عدله على عطفه فيأخذ
التلميذ بحقه من الاستاذ الكبير .

هذا هو نص الخطاب الذي بعثنا به الى الرسالة ، ولما لم تفضل علينا
بالرد او الاشارة الى هذا الخطاب او حتى اعادة الدليل المادي على السرعة
الذي ارسلناه اليها وهو العدد الذي نشرت فيه قصتنا . وانا نقول
ونشرت للاديب الكبير عدة رسائل يقول حضرته اني وصلت اليه مع
انحاء المعمورة ومنها طبعاً بلاد تركب الافال والخيال والخيال
ادبه ، وتساله الكثير المزيد من هذا القصص الخالد ، وقد تفضل حضرته ،
استغفر الله بل حضرة - المؤلف العظيم - و - عتب - على هذه الرسائل
في غير مبالاة انه حفظ للمادحين مدحهم وشكرهم ، وراينا من ناحية اخرى
بعض الصحف تعلق على هذه - السرعة - وتحدث عنها . اضطررنا الى
نشر هذا الخطاب في احدى الصحف اليومية - جريدة صوت الامة العدد
٨٩٧ الصادر في ٣ يوليو سنة ١٩٩٠ ، وعلقنا عليه بما يفيد اننا لم نقصد
من وراء كتابة هذا الخطاب اصلاً سوى ان يقف الاستاذ صاحب
الرسالة على بعض ما يميل على صفحات مجلته باسم الادب والنقد ،

وان نقول للاديب الكبير الاستاذ انور المعداوي ، انه ظلم نفسه
بسرقة اول قصة نشرها في حياته واخر قصة ايضاً ، ونقول آخر
قصة لانه لو كان في استطاعته ان (يوافق) لما تورط فيها لتحسدر
اليه . ونحن نحاسب هذا الحساب لنحفظ لهذا الفن قدسيته ، ولنقول
له ايضاً انه من الخير له ان يعتمد على قلبه ان كان لا بد له من ان
يكتب ، وان كان لا بد له من ان ينشر ، واخيراً ان كان لا بد له
من ان يشتم الناس .

وبطبيعة الحال نحن لا نستطيع ان نخاري الاديب الكبير في
ادبه فنجتري . ونزد على رده الكريم ، لان الكتاب الذي نخرجنا
فيه وعلنا فن القصه ، لم يعلنا « عريشه » كيف نخس الرد على فئة
من الناس او نتأذب معها . وانا علنا حقيقة كيف نمت بهذا الفن
ونحرس عليه ، ولا نسح لدخيل من الدخلاء ان يتناول عليه بده
يسرقه وينسبه الى نفسه وينشره مشوهاً ميتوراً .

ولاننا لا نريد ان نرجع مرة اخرى الى هذا الموضوع فنحن
ننشر قصتنا التي سرقتها منا هذا الاستاذ الخالق الكبير لانه من
المستحيل على - القاري - وهو الذي يهتما في الامر ان يطلع عليها
ولا سيما وان المجلة التي نشرت فيها توقفت عن الصدور - وان كان
يمكن طلبها على العنوان الآتي - ٢٥ شارع توفيق القاهرة . الاستاذ
كامل الخناوي - اما قصة الاستاذ الكبير فهي في الرسالة
ويمكن الحصول عليها . وليس ذلك لكي نؤكد الاتهام فهو
يكتفي في عالمنا الحديث ، ونسكن لرد الى قصة عزيزة علينا ،
ما فقدته من قبة بعد ان شوها قلم من الاقلام . وبترها كاتب
من الكتاب ، وتناول عليها اديب ناشئ لا يعرف عن هذا الفن
اكثر من احماء اعلامه الذين ينقل عنهم ويسرق منهم .

ولعل الذبابة بذلك تكون قد اخذت بجفها من - القيل -
الكبير ، وليس هذا بعجيب ، وليس هو ايضاً على الله يعزى « الم »
تركيف فعل ربك باصحاب القيل . الم يجعل كيدهم في تضليل ،
وارسل عليهم طيارا ابائيل ترميهم ببجارة من سجيل . فجعلهم
كعصف مأكول « صدق الله العظيم » .

وكنتم دائماً اتروء على - كافيه دي لامار - وكانت هي ايضاً
تتردد على هذا المقهى الزاخر بالارواد الغراء . وقد تمت نظري اول
ما رايتها اشياء . واشياء . وحديثها الدافئة التي لا تسمح لاحد بان
يجتري . عليها . . شوبها الاسود الحزين دائماً الذي كان لا يختلف

ذلك قبل الحرب العالمية الثانية . وكانت باريس
هي باريس غانية الدنيا وعروسها البكر ، تصطبغ
جمالا وتفرض رواء ، وتجري في عروقها مفسات
الحياة ومباهج الدنيا ، وكنتم اذ ذاك اطلب العلم في السربون .

كان

لونه ان اصبغت او امست .. جمالها الزاهر الفياض يباهج الفتنة والاغراء ، والسجن في ذلك الثوب الاسود الحزين حتى ليخيل اليك وانت تتحسسه بعينيك وترى سهره ووجوهه انه اغنايفكر في الانطلاق من هذا الاسر ليساب معربداً في القلوب ، او هو يفكر في ماضيه الحبيب قبل ان يقع في غياهب هذا السجن الاسود الذي يحيط به . وكثيراً ما فكرت في ذلك كله كلما اختلست عيني نظرة اليها . وفكرت في ان اعمل على اكتشاف سر هذه المرأة صاحبة الجمال الحزين - التي تتردد كل يوم على هذا المقهى وتجلس منفردة الى احدى الموائد كسرب كأساً من الوجة تحرق عليه عدة لفائف من التبغ ، ثم تتصرف صامتة كما تقبل صامتة لاتكلم احداً ولا يكلمها احد - بان اتبعها مثلاً حتى اعرف اين تقسم او اقتعم عليها وحدتها يوماً واسألها ان كسرب معي كأساً من الوجة التي قمها او تشاركني حرق لفافة من التبغ ، ولكن مجرد تفكيري في اقتحام سياج هذه الوحدة او تمزيق حجب هذا الصمت ، وما

قد يسببه لها هذا من ضيق ، كان يشيني عن هذه الرغبة ، ويحذلقي اكثفي بالنظرة اختلسها اليها كلما جاءت دون ان اعرف عنها اكثر من ان اسمها - فيوليت -

وانها تتردد على هذا المقهى منذ عام مضى ، وانها تحبني اليه كل يوم لتجلس منفردة الى هذه المائدة التي تجلس

عليها ، كسرب كأساً من الوجة ، وتحرق عدة لفائف من التبغ وتنصرف . وظللت كذلك وكل يوم ير وارى فيه هذه المرأة الغامضة والمخ فيه جمالها الحزين السجين في اغلال من السواد . يزود تفكيري فيها وانشغالي بها . الى ان جاء يوم ذهبت فيه الى المقهى وجلست الى مائدة تصادف انها كانت قريبة من مائدتها الحالية . وضعت امامي باقة جميلة من زهر البنفسج كان قد اهداها الي صديق شرقي يشتغل ببيع الزهور في باريس ويقع جانوته في مكان قريب من كافيه دي لامار ، وكنت اكثر من التردد عليه والجلوس عنده الساعات الطوال وبعد حين اقبلت صاحبة الثوب

الاسود والجمال الحزين وجلست في مكانها المعتاد . وطلبت الوجة وراحت تحرق عليها الفائف . وانفلتت من عيني نظرة الى وجهها فالتفتها تنظر اليي بقود سري في هذا بطبيعة الحال لانها اول مرة

نظرت اليي فيها . وارتدت ان احتفظ لنفسي بهذا السرور الذي غمرني وهذا الربيع الذي ظفرت به ، فوجعت بصري سريعاً حتى لا اسبب لها احراجاً ان كانت حقيقة تنظر اليي ، فاخرجت علبة لفائفي واشعلت واحدة وعلى الرغم مني اختلست عيني نظرة اخرى اليها ، فاذا بها ما زالت تنظر اليي وتحملق في وجهي حتى لكأنها تريد ان تلتهمه التهاماً بعينها . ولا تسأل عن فرحتي عندما وضع لي ذلك وتحقق هذا الحلم الجميل ، ورحلت كطفل اطلقم اليها انا الآخر واغمرها بنظراتي التي تكالبت على وجهها وكأنها شبكة محكمة الاتقان حول صيد جميل . غير ان ذلك لم يدم طويلاً فقد تركت مكانها فجأة وجاءت اليي واصفايني في حرارة كالواكنت تعرفني من قبل ثم جلست بجواري من المائدة تقول وهي تنظر اليي باقة البنفسج .

- انجب انت زهرة الفيوليت ؟؟

فقلت متلعثاً من فرط ما ألم لي من هناءة .

- كل الحب !

فقال وهي ما تزال تنظر اليي الباقية التي امامنا على المائدة .

- ولكن تري من اهدى اليك هذه

الباقة الجميلة . لمن انت يا ترى ستهديها ؟

فقلت وكنت قد تعلت من نساء

باريس كيف اكون لبقاً مع النساء الجميلات .

- انني سأهديها لمن تحمل اسم هذه الزهرة الجميلة .

وكأنني قلت لها شيئاً طيباً جداً . فتبهرت وجهها واشرقت اساريره فجاءة وقالت في صفاء جهم اضفى على الوجه الكثير من التأنق والنور .

- اتعرف انت .. ان اسمي فيوليت .

- ومن اجل هذا احببت صيكتك في الزهور . وجئت بنفسي لاهديا لك .

فصتت قليلاً كمن يفكر في شي . كبير ، ثم رفعت هدفاً طويلاً كان مسترخياً وتمتت وهي تتجسس بآلامها في حنان اخاذ زهرة منتقحة من ازهار الباقية .

- ولكن هل تعرف بانك اغنا

تقدم الي الدنيا بلسرها .

فأجبت سريعاً في نشوة المتصرع .

- انني لم افعل اكثر من انني



قدمت زهرة الى زهرة .

شكرت لي هذا الثناء ، الذي يسرها ان تسمعه مني بالذات كما شكرت لي هذا الجمل الذي لن تنساه وهو هديتي اليها ، واستأذنت منصرفه ولكن بعد ان تواعدنا على اللقاء .

وكان اللقاء ، الثاني في بيتها . وهناك عرفت حقيقة كيف تحب هذه المرأة زهرة البنفسج ، وكيف انها كانت صادقة عندما قالت انني قدمت اليها الدنيا عندما قدمت لها باقة من هذه الزهور . فقد استقبلتني في بيتها استقبالا جميلاً لا زلت اذكره ، واكرمتني - فيوليت - الى حدانها اشعرتني من اول لقاء ان ينيها بيتي وانها صديقة خاصة لي ، وانني انما اعرفها من زمن يرجع الى سنوات لا الى ساعات هي التي تفصل بين النهار والليل او بين اللقاء الاول واللقاء الثاني . وما لقت نظري ذوقها الجميل وسلامته في تنسيق بيتها الجميل الذي تقطعه بفردتها والذي زينته كل غرفاته برسوم متعددة تمثل زهرة الفيوليت التي تحبها . حتى غدا البيت في مجموعته وكأنه باقة خالدة من هذه الزهرة . ولقد حالفني التوفيق في هذا اللقاء ،

الثاني ، كما حالفني الحظ في اللقاء الاول لانني حرصت على ان آخذ لها باقة اخرى من هذه الزهور تعاونت مع صديقي الشرقي في تسميتها وتجميلها حتى غدت فعلاً باقة جميلة جميلة . وماذا تغير في اذا قدمت اليها في كل يوم - دنيا - جديداً لا يكلفني شيئاً غير قروش معدودات . والغرير انما فرحت بهذه الباقة الثانية اكثر من فوحتها بالباقة الاولى . فقد لاحظت وهي تتناولها من يدي ان كل شيء فيها يتأق كأنه النور . نظراتها التي غمرتني بهسا حتى لكأنها السيل . . ضحكاتها التي كانت توقعها الحاناً شجية .

ابتناساما التي كانت تسلمها التابعات فتومض مضئبة في عيني حتى لكأنها انعكاسات القمر فوق القدير . . حتى ثوبها الجميل الذي استقبلتني به والذي حلت صدره بزهرة بالغة من زهور البنفسج كان هو الآخر يتأق على جسدها الذي انساب فيه كالجلدول النشوان في ليالي الربيع ثم راحت وسط هذه النشوة التي تفيض عليها تتعسس كل زهرة في الباقة التي وضعتها على صدرها وتقبلها بشغف وكأنها تقبل انساناً تحبه .

وهكذا وبسبب - باقة من زهر البنفسج - احببني غانية من اجل الغانيات اللواتي عرفتهن باريس ، وفتحت لي قلبها ودارها ليلاً في الاسرع ، كنت اذهب اليها فيها ولا اغادرها الا في الصباح ، دون ان يكلفني ذلك كله سوى ثلاث معدودة هي ثمن باقة جميلة

من زهر البنفسج اقدمها اليها ، فقد كانت هذه الباقة عندها هي اثنان ما يقدم اليها في الوجود لا يعدها شيء . ولا حتى حياتها كما قالت لي ذات مرة . اذ اذكر انها ، في ذات ليلة وكنا في نشوة من نشوات الهوس وغمرة من غمرات الهيام ، تركتني فجأة وغادرت المخرج سريعاً . ولم تمكث غير بعيد حتى عادت تحمل على صدرها العاري المعربد الذي يتغير شباباً وانوثة طائشة ، باقة البنفسج التي احضرتها معي في المساء ، وتقول وهي تنظر اليها ذاهلة من فرط نشوتها . . انظر . . انظر الى الزهرة . . زهرة الفيوليت . لكم هي جميلة . . لكم هي رائعة . . كم هي حبيرة الى القلب ، اثيرة على الفؤاد ، عزيزة على الروح . . ما ضر لو قبلتها معي . . الم احبك من اجلها . . فلماذا لا تحبها انت من اجلي ؟ ثم القت بها على صدري ومن ثم لقت ذراعيها العاريتين حول عنقي فانطرح شعرا اللامع المستقر على رأسيها وغدا كغمامة تظلل قبلاتنا للزهر ، ومكثنا كذلك حيناً حتى تعبت شفاها فاستلقتنا ثلاثتنا انا وهي وزهرة البنفسج .

واذكر ايضاً انني ذهبت اليها ذات ليلة وكانت ليلة اللقاء . وكان قد شغلي شغل عن اخذ الباقة معي ، فغضبت لذلك غضباً شديداً وانقضت باطني لا احبها وانني لا اخلص اليها والا كنت احضرت اليها معي الشيء الذي تحبه . . ولولا بقية من حياء تحفظ العريضة التي وافي في لحظات اشتعال التبدل ، لطردتني فيوليت من بيتها شر طردة ولردتني عنها رداً غير حيد ، ولكنها ملكت زمام نفسها وان كانت من شدة الغيظ تهاكت على نفسها وارقت على صدري باكية . وظلت كذلك الى حين حتى اخذتني سنة من النوم فاستلمت الى الفراش ذابلة الحذب منطفئة الجبين ، ولا يعلم سوى من عرف الحب قلبه كيف قضيت الليل بجوارها مسهداً احاسب نفسي حساباً عسيراً .

ومن ذلك حرصت على ان آخذ لها معي زهرة البنفسج حتى ولو كلفني ذلك حياتي . . وهل حياتي تقاس بشيء . اذا ما فقدت - فيوليت - يوماً . . ومكثنا على ذلك زمناً لا اعرف اطال ام قصر . حتى حدث ذات ليلة وكنت معها على ميعاد ان نجث عن زهرة البنفسج في كل الحما . باريس فلم اجدها ، واسقط في يدي ووقعت في حيرة كبيرة . اذ لا بد من ان اذهب اليها ولا بد من ان يكون معي الشيء الذي تحبه ، وإلا سببت لها آلاماً لا حد لها . وفكرت في الامر وماذا اصنع . . ورحت مرة ثانية وثالثة اسر

على حوانيت يبيع الزهور ولكن من سوء الحظ الذي لازمني في ذلك اليوم ان كانت زهرة القبوليت لا اثر لها في باريس من يومين وذهبت حزوئاً الى صديقتي الشرقي الذي يبيع الزهور للمرة العاشرة او العشرين لا ادري وحث اشرح له في ثورة العاشق وتوق الحب ما انا فيه من ارتباك وما سأصيب من احزان ان لم اظفر بهذه الزهرة الليلية . فافهني بانني انما اتعب نفسي بلا طائل ان انا عاودت البحث عنها . ولكن علي بان ارمي بآخر سهم . وهو ان اذهب الى حانوت - شارل - الذي يبيع الزهور عند المقابر . واسأله عن هذه الزهرة فان لم اجدها عنده فبعثاً احاول الحصول عليها في مكان آخر .

وركبت العربية في ذلك المساء . التائم المطر ، ومكثت حوالي الساعة لا اسمع غير قرقعة العجلات على الثلج الى ان بلغت حانوت شارل القائم هناك في طريق المقبرة النائية لبيع الزهور اللواتي ، واسرعت اليه وكل متسائي ان لا يودني خائباً حتى اريح القلب الذي كان شوقه الى الحبيب هو شغله الشاغل . وما ان سأله عن باقة من زهر القبوليت والبنفسج الذي يريد حتى اجابني ذلك النعس وهو يبتسم ساخراً من هذا المطلب الغريب المثال من يومين .

ورجعت بالعربة كسبر القلب حزوئاً كعادتي الضيق الذي ألمّ بي وجثم على صدري ويبدو انفاسي . وسكان يقتلني النطق من الحظ المنكود الذي يريد حرمانني من هذه الزهرة الجميلة . من زهور البنفسج . غير انه حدث وكثيراً ما ينبثق النور فيجاءوني بطريق التمساء من الناس ، انه عندما كانت العربية تسير الهويئسا غترة الطريق الذي على جانبيه اقيست المقابر وعليها التآليل والصلبان كأنها محاريب الازل ، ان لحث مصادفة باقة من زهر البنفسج جميلة الرواء . رائحة التمسك كأنها من نضارته موضوعة لساعتها على قبر من القبور كان في زيتنه وجمال زخرفته شبه يتحف من متاحف الفن . وما ان رأيتها حتى تعلق عيني بها . وطراوت علي فكرة ومضت في خاطري وميض البرق في ليالي الشتاء . فنجاة سرح عني لحظة ثم عاد سريعاً وهو اشد ما يكون ابتهاجاً بهذه المصادفة الجميلة وهذه الفكرة الصائبة التي اختبرت في رأسي ، وعلى حين بغتة امرت السائق فوقفت العربية ، ثم غادرتها وابتعدت عنها قليلاً ، ومن ثم اسللت خلسة وانتزعت الباقة من مكانها على القبر وخبأتها سريعاً في طيات المعطف ، ثم رجعت الى الحوزي مسروراً لانني عثت على علة لغائفي الذهبية التي سقطت مني في الطريق كما غررت بالحوزي الساذج وافهنته . ثم انطلقت بنا العربية وانا اسعد

ما اكون انساناً بالخط الذي يعرف كيف يدسم فجأة وعلى غير انتظار . وفي قلب العربية اخرجت الباقة الجميلة ورحلت انسقتها من جديد وظللت بها حتى خلتها خلقاً آخر . ثم ذهبت تواراً الى فيوليت التي استقبلتني رائحة الجمال في ذلك - الروب - البنفسجي الذي عرفت كيف تصنع منه زهرة ياتعة راحت تتألق على جسدها الجليل . وسألتني طروبة عن سبب تأخري عليها هذا المساء . على غير العادة وكانت لم تر الباقة بعد لانني اعطيتهما للخادم التي وضعتها في البهو فافهنتها مبتهجة بان اعداد اجمل باقة من زهر البنفسج ستقدم اليها ، هو الذي سبب لي هذا التأخير ، ثم تركتها وركضت الى البهو كطفل سعيد ، وعدت سريعاً احمل اليها على صدري الباقة الجميلة ، وما ان رأيتها حتى اردت فجأة رتعة مأخوذة مكفهرة الوجه تقول :

- من اين احضرت هذه الباقة ؟ ؟

فقلت مأخوذاً من هول المناجاة غير المنتظرة .

- من عند بائع الزهور الشرقي الذي كثيراً ما حدثتكم عنه .

فنبهت عيناها واربدت ملاحظها وقالت وهي تقبل علي كلمة مفترسة مكشعة عن عيني تنغذف منها النار .

- ان زهرة القبوليت لا وجود لها في باريس من يومين .

ثم اتفقت خيرة اخرى وعقبت بصوت ما زلت اذكر حرقه

قل من اين جئت بها .

- من عند بائع الزهور . . صدقيني .

وما ان قلت ذلك حتى صرخت صرخة مدوية وهي تقذف

بالباقة في وجهي .

- هذه الباقة انا التي احضرتها اليوم من - ليون - بالطائرة .

ثم امسكت بتلابي صارخة مرة اخرى وهي تنشب اظفارها

في شعري لتلقي في خارج الدار .

- قل من الذي ذهب بك الى المقبرة ايتها الوغد .

ثم سقطت على الارض تتلوى وتبكي فيميتها في الباقة التي

كانت قد وضعتها بيديها عند المساء على قبر حبيبها « ريون » الذي

كان يحب القبوليت ومن اجل ذكره امنت نفسها فيوليت وعبدت

هذه الزهرة ، وعدت من يحيا الى هذا الحد . . حد احترق

الجسد على مذبح ذكري من نجب .

امين يوسف غراب

القاهرة

الى اربع سنين خاون، حين جلست استمع، مسجوراً، الى شي. من موسيقاه السوفونية في «فيلم اغنية اروسيا». وخرجت وأنا همس لنفسي بقوله «شيار» : «أيها الواجب اعدك ! ولكن اصح لي ان احبك !» وحقت نجواي ، فوصلت اسبابي !ا وصلت اليه يدي من آيات هذا الانسان العظيم . من السوفونيات الست . الى «الكونسرتات» . الى « اوبرا جان دارك» . . الى « روميو وجوليت» ، حملت ، فرانسسكا، العاصفة . . الى « باليه بحيرة البط» ، الجمل النائم» ، فأولف زاذني طول العهد به الاحبا واكباراً !

اعظم آثار هذا الفنان المبدع، السوفونياتن الرابعة والسادة . وللتعريف بها ، ارى لزماً ان اعرض الاسباب العاطفية ، والمتاعب الروحية والالام الفكرية التي بعثت على وضعها وتأليفها :

كان «تشايفوفسكي» سراًحي اطراف انامله- ان صح هذا التعبير- كان جميل الخلق والخلق، يمين في الخمر والحديث بدماثة اصيلة، دون ان تلحظ عليه رعونته، او تؤخذ عليه بحجاة. ولم تكن الشهرة لتستهويه، ولا الجدل ليغيره، بل كان يهيم حصره على ادا. رسالته، ومع ذلك آتته العظمة بمقادة. لكن نزوعه الى الانهائي جعله ذا مزاج مكتئب؟ فدينا كانت احياناً قلائد الدنيا اريجحة ونبلأ، كان هو يتلوى في غربة سعيقة، لا تصبو الى الياف ولا تحن الى همس حب او نجوى غرام. قال مرة لاحد اصدقائه : «لا تعجب اذا رأيت امرأ، دانت له الشهرة : يشكو البث . النجاح لا يطوي الألم» !

كان غريباً ، لانه كان عظيماً ، هو كاتشمال المرفوع على قاعدة ، كسبو به فيرمي بصره فوق رؤوس القطيع ، دون ان يسف مرة الى موضع يدها مثل هذا يطلب عبادة ، لا يستجدي حباً ! مفتاح شخصيته ، حياؤه العميق . غير ان الناس لم يروا غرته القائمة وعزله الفاجعة، فرومه بالضعف الجنسي ، واكرهه اخوه على الزواج ، دفعاً لقالة السوء . فترجس . لكن اي زواج ؟ !

لقد اورثه حياؤه وأرجاف الناس ، تلك العاهة حقاً ، فهو مع زوجه رجل غير سوي . ورضيت الزوجة بحظها المقسوم ، ومنحته رعايتها وعظمتها . لكن ألمه النفسي ، كان اقوى من ان يتأففه وفاؤها واخلاصها ، فأوسعها مقناً ، وود لو خففها بيديه ،

يعني نفسه من سماع الآخرين الموكلين بإيذائه ، يسألونه : « كيف انتونينا ؟ الزوجة الصغيرة الجميلة » .

وضاق به رجب القضاء ، فضى مع شقائه ، بطوف الشوارع على غير هدى ، في الاماسي الرطبة ، رجاة ان يصاب بمرض ، فيريح ويستريح . وجاءه المرض كما اشتهى فأرسله ذروه للاستشفاء في مكان قصي . . وهكذا قدر له اخيراً ، ان يفر من حقيقة وجوده المزعجة ، على غير نية في معاودة زوجه .

وهنا ، خلا بأشجانه وفنه . واعانته موهبة خارقة وحساسية مرهقة على تنسيق النغم المنبثق من اشواق قلبه المعنى ، وندألت روحه الحنون ، فوضع « مخفونيته » الرابعة التي تصف وصفاً موضوعياً دقيقاً ، نضاله مع القدر الطافي ، متقللاً بين الخيال المجنح والواقع السيخف . بين السعادة المشرقة والياس المظلم بين الخلق السمج وهو يعيش مع آياته ، والخلق القاتم حين يصحو من رؤى ناله العاوي ليلقى الحوادث وجهاً لوجه !!

وتفسير الانفعالات والحواليج

التي يوحى بها البناء الفني الكامل في هذه السوفونية هو : انه، عندما يشند بأسنانه لملجأ الى خيالات الاحلام، وشيئاً فشيئاً تتسلل الاحلام ارواحاً فتعزق لنا ساداتنا ثم لا نلبث ان نقتبط على صوت الملاهبسات والاضواء ، فنهض بصدمة المهبوط من اعلى الارض الواقع الصلدة لكن ليس صواباً ان يظل الفنان مغلفاً بالآلمه.

هناك لحظات السمو والاشراق . لحظات الاستفراق في الابداع، حيث تملو الذات الفنانة الخالقة على الذاتية . وعلى الزمان والمكان، فتتسنى مضمونها المادي، وتحيى برهة وجدانية مجردة، هي اشبه بهيئة العقل، جلته بوادر سكر، وتقرق الروح في خدر مسعد لذيق، يتسع للتناقضات فلا فراوح لا اتراح، بل امتداد واقسام وشجول . وفي أفترد على الحاضر صورة طارئة . صورة فلاح ساذج ملثا سكرأ، تداعب خياله نغمت اغنية بعيدة الصدى من اغنيات الشوارع ، يوافق ذلك صوت داخلي يهيب بنا : اذا لم نجدوا السعادة في انفسكم فاطلبوها في الآخرين . . وامتنعوها للآخرين . . انظروا الى القطيع السادر كيف يغتم الصفو ويغمتم بالمسرات ؟ اذا غرر القدر « بتشايفوفسكي» وعزوه الصبر ، فليطلع نفسه من مجال حسراته السود وايراقب الناس كيف تستهويهم المباح ؟ ! . . أرايت الى افراحهم ؟ . . أرايت الى بساطتهم الخفية ؟ . الا كم هم



شيء في الوجود. اغفر لي ان اذاك هذا القول . انه وحي حركتك
الالهية المقدسة ايها الحبيب !!

لكن اطمئنانه الروحي ارث آلامه الرفيعة . آلام الوجد
بالاصم ! وأعين خيال الالم بوفرة الاحساس ، فشكا الارق والمرض ،
وشقاء الفكر والعاطفة ، ولم يكن يجد البرء الزر في غير خر ذنه
وزهر لحنه . الخمر والموسيقى هما سلاواه . وكان يلقى الوحي ، فتنال
عليه المعاني حتى لا يجد الوقت المسعد لتقيد شواردها ، لقد كان في
لحظات ابداعه ، ينسى نفسه وما يحيط به ، وينتفض كن بهمس ،
وتنقله الهرة الى اجواء سحرية ، يتخلى فيها عن تجسده ليصبح آلة
في يد قوة عليا . وهنا لا بد ان تتساءل : هل نجد في فن
« تشايكوفسكي » صدى لحياته الخفية ؟

لقد أنكر هو نفسه ذلك فقال : ان نشاطه الخلاق نشاط
موضوعي لا ذاتي ، فهو لا يخضع للظروف ، ويحطون اولئك الذين
يحسبون ان الفنان الحق يفرغ الى مهته الخطرة لينفص عن مشاعره
الذاتية الفردية في لحظة ما ! قد أضاع اعذب أنفامي في اشقي ايامي ،
وقد اطعم أنفم آياتي في اسعد اوقاتي . . ان الفنان رجل مزدوج
الشخصية ، والشخصيتان لا تتداخلان .

ولقد وصل « تشايكوفسكي » الى ذرى المجد ، فطلعت شهرته
الاقا . لكنه كان فضيل على ذلك كله همسة حانية من ملاكته
الحلوس . من صدقة روحه ، « مدام فون مك » .

وفي لحظة واحدة مفاجئة انتهى كل شيء . لقد قطعت صديقته
وغدرت به . فكانت تلك القطيعة ايداناً بانقضاء هدوءه الروحي ،
وفقدان صباة الثقة في الدنيا والناس . وعاش سنين الثلاث الباقيات
في كآبة خرسا . لا يطوف بها طائف من رجا . !!

في هذه البرهة اليائسة ، وضع سمفونيته السادسة ، وضمها لحنا
جانثريا يودع به صداقة ذاهبة ، ويسكي عهد ود لا يعود . لقد
سكب في ذلك اللحن ، قلبه ، قطعاً مفجعة ، مدماة ، تنساب
مفسولة بدمعه ، في حرقه وبأس والتبايع !!

كانت هذه السمفونية آخر ما كتب واعظم ما كتب ، فأودعها
رسالته الخالدة رسالة البقريّة المشعة والدموع المظاهرة والآلام الرفيعة
ولم يكده ينتهي منها حتى طفت على روسيا ، موجة من « الهبضة »
فلقي حتفه فبين لقي ، وانقضت حياة ذلك العبقري الذي منحه
الرب . قدرة الله وحرمته قوة انسان ! ومر غايده فنه بجثمانه المسجى
يحجونه تحية الوداع الاخير وينسألون في شجن ولوعة : ما هي يا ترى
الافكار والعواطف التي تجاوبت اصداؤها في صدر هذا الانسان

سعداء باستجابتهم لتلك المشاعر الساذجة . فلندوب آلامنا في افراح
الآخرين تجلداً وفضلا ، ولنش في سلام مع انفسنا ومع الناس .
وهكذا تأتي السمفونية التي ما يتاياها المفرحة المتأفلة ، بعد ان يتنصر
الانسان بشرف ضحيته وروح الاثيار فيه على القدر الجائع بقسوته
وجبروته . . يتنصر بطاقة عظيمة الهرة جليلة الانجاء . من النعم الدافئ .
المعيق . هذا تحليل مرر مركز لموضوع هذه الطرفة الخالدة ، والقول غير
المع ! ولعل القراء يدركون المعنى الفلسفي الذي يقوم عليه ذلك
البناء الفني الذهني الروحي التابع من المعين المعطى . الذي صدر عنه
علاقة الانسانيين امثال « روسو . وتولستوي . وطاغور » واضرابهم .

والسمفونية السادسة تشبه الرابعة في اتجاهها وموضوعها وطريقة
تأليفها ، مع اختلاف في الدواعي والاسباب .

كان هناك مخلوق واحد على علاقة ودية بمحضهم « تشايكوفسكي »
لكنه كان ودأ خيالياً مثالياً تقياً ، ود مراسلة ، لا ود لقاء .
ذلك المخلوق الطبيب . بل تلك الانسانة الفاضلة ، هي « مدام فون
مك » . كانت امرأة نصفاً حنوناً . ارملة ثرية محافظة ام بنين . .
مشغوفة بالموسيقى شغفاً يبلغ حد الهوس . سميت صدقة احد اصحابه
فعدلت نفسها : « يا الهي ! اي نبل ، وابة عظيمة ؟ هذه الانعام
الآتية من شرفات القرب والالهام » . وكشبت اليه في الحسالى :
تستجدي صداقته ، وتحننه ودها ورفدها .

وكان هو حينذاك في السادسة والثلاثين تقادفه امواج النعم
دون ان يجد شاطئاً اميناً قيد الرؤية ، وهذا هو اخيراً يجد الدف .
في ذلك الاتصال الروحي المثالي العجيب ، الذي ذلل متاعبه
المادية ، وكفاه ذل الحاجة ومشاكل العيش !

واطمأنت روحه الجارى ، فقد كانت لمسة واحدة من حنان تلك
المرأة كفيّة بأن تقبل جراحه وتطامن من لوعته وتدفعه الى الامام . .
ولم يكن اللقاء يشوقها . كانت ينجشيان تولاقيا ، ان يصدها
الواقع القاسي : فيتاركا على غير شيء . رجته يوماً أن يزور دارها
في غيابها ليعيش في جوها المطر بانفاسها ، ويترك لها اقباساً من
انفاسه تحيا عليها !! مرة واحدة ، التقيا على غير موعد ، فنظرت
اليه ، ونظرت ، وتطارحت العيون حديث الشجون ، ثم فطسا الى
الهرة ، فالتحنى والحنن ومضيا !!

وعين ارسل اليها سمفونيته الرابعة العظيمة ، بقيت ثمان واربعين
ساعة تنعم بموجة سحرها الدفينة المسكرة ، لا تقطع ولا تنام
وكشبت الى الروح الحبي اعترافها : « انني احبك . احبك فوق كل

أثر ادب جوته في الموسيقى



خبره وأمره، ثم تضيق به آثامه، فيحاول استرجاع ما باعه للشيطان، فلا يستطيع ذلك، والقصة عقلية أكثر منها روحية، وهي شيقة جداً. ويصور الفالس المذكور رؤية فاوست لعروس جميلة ترتدي ثياباً ناعمة البياض فيدفعه مغنوس لاغرائها واغوائها، ويساعده على ذلك بأن يعزف لحناً جميلاً على كمانه فتستلم اليه العروس ذاهلة ويرقصان معاً حتى يغيبا عن الأنظار في الغابة المجاورة. ولقد عرض ليست لنا هذه الفكرة بوضوح وبساطة يلصقها كل من استمع إليها.

لقد لعبت هذه القصة الخالدة في حياة الموسيقيين دوراً هاماً، فآلف مندلسون الموسيقي اليهودي الألماني قطعة موسيقية عنها. كما أن شومان الموسيقي المجرى، وضع أوبرا بعنوان فاوست تعد من أعظم الأوبرات العالمية، ولقد اندثرت هذه الأوبرا مع مرور الزمن بكل أسف ولكنهم يحاولون في هذه الأيام لم شعثها المتناثر من هنا وهناك لأجوارها من جديد.

والعالمكتور برولز، هذا الومزي المتطرف، فقد ألف هو الآخر أوبرا سماها «لجنة فاوست أو لعنة الموت» وهي أيضاً مقتبسة عن القصة الأصلية، وقصائدها الشعرية منقولة عن شاعر سويدي وهنغاري لا تسعني ذاكرتي باسمه.

بقي أخيراً «صاحب كلروليل» فراتر شوبرت، التي يقال إنها دفعته لتحليل أناشيد وأشعار «الارلكنج» لمؤلفها جوته وهي تدور على أسطورة من أساطير الألمان، فكانت آية في الإبداع، وروعة في الغناء حتى جعلت جوته يقول حين سمعها: (لو كانت الموسيقى نهراست فكري لكنت صفتها في قالبها الموسيقي الذي وضعها فيه شوبرت.

هذا هو بعض تأثير مؤلفات جوته الأدبية في الموسيقى عامة والموسيقيين خاصة الذين فهموا جوته من وراء مؤلفاته فاستطاعوا أن يسوا إليه بأحائهم ويخلقوا في الجبر الذي اراد جوته أن تخلق فيه قصصه وأشعاره.

احتفل العالم في الشهر الماضي في شتّى أقطاره وأمصاره بذكرى مرور مائتي عام على ولادة النبوغ والعبقريّة بولادة الشاعر والأديب الكبير (جوته) ولا بد لنا من الوقوف قليلاً في هذه العجالة أمام تراثه الأدبي، أمام مؤلفاته التي تأثر بها الموسيقيون الذين عاصروه والذين أتوا من بعده. ولقد كان لمؤلفاته صدى نغمي عميق تفجر فيما بعد ينابيع غزيرة في الموسيقى الشعرية الموضوعية العالمية التي ساعدت على التهوؤ بالموسيقى إلى الأوج. وأول من تأثر بكتابات جوته، بتهوفن وقد ظهر تأثره جلياً بقصة كتبها جوته عن الحروب الدينية في مطلع القرون الحديثة بين إسبانيا والبلاد الواطئة (هولندا) وفيها يروي قصة «اغوننت» وهو بطال هولندي تقاضى في خدمة وطنه بطلوته الحارقة وشجاعته الملهية إلى أن قتل اثنا ذلك وهو يؤدي عملاً خارقاً رائعاً.

حاول «رب الموسيقى» حين قرأ هذه القصة أن يؤلف مسرحية غنائية «أوبرا» حول موضوعها، ولكنه لم يستطع ولا كفى بوضع افتتاحية اغمونت التي تروي قصة ذلك البطال، وفي هذا المقام لا بد من ملاحظة بتصوير مشاهد البطولة المثالية المتفانية التي كان بتهوفن نفسه يلحها. على أن بتهوفن لم يكن الوحيد الذي تأثر بمؤلفات «من تروج خادمته» فهناك شوبرت وشومان ولبست ومندلسون وبرليوز.

وأكثر هؤلاء الموسيقيين ملكت عليهم الباهيم، وارهفت مشاعرهم، ونفخت فيهم روح السمو، ونفخت مفاهيمهم، قصة «فاوست» ففدى كيف أن فراتر ليست ألف فالسا سماه «فالس ميفستو» وميفستو هذا هو الشيطان الذي اشتري روح فاوست. وتتلخص هذه القصة، بأن فاوست يهب روحه للشيطان لقاء. لذاذاات الحياة ومباهجها الغانية، فيشتد فجيوره ومجونه، ويعظم

العظم، ولم يطل تساؤلهم، فقد جلسوا بعد أسبوعين اثنين من وفاته يستمعون مأخوذين إلى «مجنونيته» السادسة بكامل روعتها وجلالها فتحو رؤوسهم وبكوا... لقد عرفوا...

صبر شرف

دس

سعد محمد

عماد

عشرة انشاد لشكسبير

نقلها الى العربية

جيرار ابراهيم جيرا

استاذ في الآداب من جامعة كمبرج

(اخترت هذه الانشاد Sonnets من السنة ١٥٤٠ نشيدا التي نظمها شاعر الانكليز الاكبر ، واهداه الى مجهول لا تعرف من اسمه الا الحرفين الاولين وهما و. س. والمتقد انه الاول اوف سالونجيتون. وهي تقسم اجمالاً الى قسمين ، اولها (وهو القسم الاكبر) يخاطب فيه الشاعر و. س. ويتبنى بتناقه وعاشته وتلقه به ، وثانيها يخاطب فيه سيدة مجهولة تدعى « سيدة الانشاد السراء » Dark Lady of the Sonnets ، ويمتد اذا كانت احدى وصفات الملكة اليبابات : والنشيدان الاخيران هنا موجهان اليها. وغنى عن البيان ان هذه الانشاد من عبون الشعر الانكليزي ، كما ان المترجمة هنا هي اشهرها . لما تأريخها فالارجح انه يقع بين ١٥٩٢ و ١٥٩٨) ج. ١ ج.



أبيوم من ايام الصيف اشبهك
من يد او قلم او شفة او عيون او جبين ،

أرى اقلادهم القديمة انما قد وصفت

ما تملك الآن من حسن وجمال .

فما مدحهم إذن الا تنبؤ

بيومنا هذا ، وتكهّن بشئائك ،

ولكن اذ ما نظروك الابعيون تحاول رؤية الغيب ،

عجزوا عن الوفاء بالتعني بكل ما لديك .

فصن الذين الآن تشهد بيومنا بين يديك ،

لنا عيون للعجب ولكن يعوزنا اللسان الذي بالمدح فيك .

حين يحيط بي القدر وتعرض عني اعين الناس ،

فانذب وحشتي وابكي حالي المنبذ ،

واقرق اذان الدياء الصماء بصراخ ليس يجدي ،

وانظر الى نفسي والعلن حظي

متمتياً نفسي امرأ اكثر مني املاً ،

لي محيا كصباه ، ولي ما له من الصحب الكثير ،

مشتياً لنفسي في هذا وقدرة ذاك ،

غير قانع بما انا اتع به

أبيوم من ايام الصيف اشبهك
انك اكثر جالا واشد اعتدالاً

فالرياح العتية في ايار تجني على براعم الطبيعة
وعقد الصيف ما اقصر أجله !

وعين الماء أنا حشرق بقطر ملتهب

وأنأ في صفحتها الذهبية يجبو البريق ،

وكل حسن عن الحسن يوماً يفترق

بصرف الدهر او يجرى الطبيعة القلب :

اما صيفك الابدني فلن ييري فيه الذبول

ولن يفقد الحسن الذي تتلكه ،

ولن يفغر الموت بأنك تطوف في ظله ،

حين تعاصر الازمان في هذه الايات الخالدة :

فا دام في الناس رمق وفي العيون بصر ،

سيحيا هذا القصيد ، وينفخ فيك الحياة .

حين أرى في سجل الازمان العايرة

أوصاف اجمل من عاش من الوري ،

وأرى الحسن يبتدع القوافي الحسان

في مدح غيد طوئتم النية واجمل الفرسان ،

وفيا انا في هذه الافكار اكاد احقر نفسي

تخطر انت ببالي ، واذا بجالي
(تفجرة عند انفلاق الصبح تحت)

من على حضيف الارض تنطلق لتخرج عند ابواب السماء :

لان هواك الشهي يثري حين اذكركه
فازدري استبدال حالي بالملوك .

حين استحضر ذكريات حوادث الايام

في مجمع الافكار العذاب الصامتات ،

اتنهذ حسرة على الكثير بما خاب فآلي في نواله ،

واجدد الاخزان بالخزن القديم على ضيعة وقتي الشمين :

حينئذ اغرق عيناً لم تكن تعرف سيل الدموع

على حمم الصبح اخفاهم من الموت ليل لا ينجلي ،

وابكي من جديد على احزان الهوى التي انتهت منذ بعيد ،

واتلوع على فقدان مشاهد حمة نحتت عن ناظري .

حينئذ اتوجع لاوجاع تلاشت ،

واقص متأسياً ، منتقلاً من شجن الى شجن ،

سيرة الاشجان التي فرغت من النواح عليها في القدم ،

آسى عليها من جديد ، كأنني من قبل لم احزن .

ولكن اياها اخل العزيز ، اذا خطرت ببالي عندها ،

كل ما فقدته يعود الي ، ويقضي الالم ،

لا الزخام ولا نصب الامراء . مطلة بالسماء

سوف تعمر اكثر من هذا الشعر الملتين .

بل سيبقى ذكرك ساطعاً في هذه الكلمات

اكثر من حجر ينسج ، وصر الزمان العاهر يطلعه .

وحين تحطم التاتيل حروب ضرور ،

وتجتث يد النزاع مباني الجبارة من اصولها ،

فلن يترك السيف ، لا ولن تحرق نيران الوغى

سجل ذكرالك الذي سيحيا ابداً .

رغم انف الموت والنسيان عدو الملا

ستخطو الى الامام ، ولدحك دوماً مكان

في عين الاجيال المقبلة التي

ستسكن الارض الى ان تلاقي حفتها المحتوم

فالى يوم القيامة حين تبعث من ترابك

ستحيا في هذا القصيد ، وفي عين العشاق سوف تقيم .

لما رأيت يد الزمان العاتية تقضي على

خيلاء الشباب وتدنيه من اجل العمر مهلهلاً ،

والقلاع الشاهقات رأيتها تندك ارضا ،

والنحاس الخالد عبداً لعنف المنايا ،

ولما رأيت المحيط الطانع يهوي على

دولة الشيطان جائراً مقتناً ،

والتراب الثابت يكسب ارضا من لمج البحار ،

زائداً ما لديه بالنقص ، والنقص بالازدياد ،

ولما رأيت تبادل الحالات هذا ،

وكل حال تتحطم ثم يغزوها الفساد ،

تعلت من الدمار ان اتأمل فأقول :

ان الزمان سيأتي ويأخذ حبيبي مني .

يا له خاطراً كالموت يجدو باقي الى البكاء .

على أني الآن املك ما اخشى سوف يطويه الغناء .

لا تدعني في سبيل تراوج الالباب الوفية

اقر بالعراقيل : فليس الحب جأ

ان يتحول عندما يحل التحول له ،

او يذعن راضياً للزوال عند من يبغي زواله .

كلانا انما الحب اشارة قد تبنت

توقب الزواجيع العاتيات دون ان تتزعزع ؟

هو نجم تستدل به السفن الهالكة ،

لا يفرق قدره وان يقس الجبارة علوه ،

وليس الحب اضوكة الزمن ، وان يقع خداه ونفوره الوردي

في مدى منجبه المنجي ،

ولا يتحول الحب في وجيز ساعات الزمن او لياليه ،

بل رغم الحطوب يدوم ما دام في الدنيا رمت .

فان اكن بهذا قد ارتكبت الشطط ،

فلا نظمت يوماً ، ولا رجل احب ا

الشهوة في ابائها ضياع النفس

في قفر من العار والشهوة قبل مجيئها

تسب ؛ تلام وتلعن ، فتاكة دموية ،

وحشية متطرفة ، كريمة ، قاسية لا توقن ،

وما نكاد نفرغ من لذتها حتى تزدريها

نسمى وراءها بعنف الجنون ، نناها وسرعان ما

تقتتها بعنف الجنون ، كطعم استقر في حلقنا

انزله لنا يد تجدو بنا الى الجنون .

الاريب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدونها شهر
كانون الثاني (يناير)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً أو ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنطين ٥٥ ريالاً

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة
في الخارج : ١٤ جنيه مصرياً أو اسبانياً
أو ٦٠ دولاراً كندا



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر



للإعلان تراجع ادارة المجلة



ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع اكبوشية

تليفون { الادارة : ٩٢ - ٩٢ Direct. : 92 - 47
المقر : ٩٨ - ٩٨ Dcle. : 48 - 37 T61. }



صاحب المجلة ورئيس تحريرها : امير ادب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

جنوناً نالقتها وجنوناً في اجسامنا محتويها ،
ولا حد يصدنا عندما نبحث عنها ونقضي بها الوطر ،
فهي السعادة اذ نستع النفس فيها ، وهي الويل وهي الشقاء ،
وهي من قبل سرا ، وعدتنا بها ، وهي من بعد حلم :
كل هذا يعلمه الناس ، ولكن ليس فيهم من يعلم
كيف تجتنب النعيم الذي يسوق الناس الى الجحيم .
عيننا خليتي ليستا كالشمس في شي .
والموجان اشد احمراراً بكثير من شفتيها .
وان يكن الثلج ابيض ، فهذا خليتي بلون الطين .
وان يكن الشعر اسلاكاً ، فالاسلاك في رأسها تنمو ،
ولقد رأيت الورود الدمشقية ، حمراً وبيضاء ،
غير اني لا ارى وروداً كتلك في خديها ،
وفي بعض الطيور شذا اطيب
من الانفاس التي بين فكيها ،
وانا احب جماعها تسكلم ولكنني واثق علما
ان اللوسيقى انغاماً اروع في النفس وقماً بكثير ،
ولست بدع بانني رأيت لهُة قمشي اهامني ،
ولكن حين قمشي خليتي قدمها تطلان على الثرى
ولكنني لم ارحق السماء ، خليتي اندر روعة
من كل ما يتصور عنه حين به قد تشبه عينا .
لست واثم الحق اهاوك بناظري
لانها يريان الف عيب فيك ،
ولكنه قلبي ، يهوى ما يؤدرياته
ويذله التوله بالرغم عن النظر ا
وما تطرب لانعام لسانك اذني
وما ميل مني الحس الرقيق الى اللبس الديني .
لا الذوق ولا الشم منفردين يشتهيان
الاقبال على وليمة الشهوة فيك :
ولكن لا المواهب الحس ولا الحواس الحس تستطيع
ان تغري قلباً احق واحداً على البعد عنك ،
قلماً يقضي على الاياه الخليق بالزجال ،
فيجعل مني لتبلك لثائه كبراً عبداً وبش الرقيق
وما احسب مصيبيتي الا ربحاً لنفسي
حييتي الى الخطيئة تدفعني ، وعنّها تجازيني بالالم .
نربل بغداد امير ادب

التي

خائف من التعبير. اني خائف من العالم ومن نفسي، اريد أن احصل على أكبر معرفة ممكنة من خلال التجارب التي خلفها لي الآخرون، ومن خلال تجاربي، وهذه الرغبة هي التي تحفي من العالم ومن نفسي.

أريد أن أحصل، وأنا انظر الى أقصى الطرف، فأرى لآنية ممتدة، فأحس الدوار. وهذه الرغبة التي لا تنطفئ، وهذا البحث المرمق عن نهاية في اللانهاية، هو الذي يشقيني. وأنظر الى عمق اعماق نفسي الى العالم المتسع، فأرتش.

أنا أشد المهود. وسط الضحك والضحج، وأود لو أحصل على السعادة العيقة المنتشرة خلال العدر المحنون، ورا. أفاق ما تنفك تتسع حتى لتبتلني. أنا احاول الحصول على المستحيل من خلال الممكن، ومن هذه المحاولة ينبثق خوفى.

وعندما نلقي نظرة على ما حسبنا عدواً مرهقاً مجنوناً، نرى انه ليس الا خطوات بطيئة بالنسبة لحركة الانسانية العامة. ومع ذلك فنحن غضي، ونحن ندرك ان عدونا ليس الا حركة بليدة، وهذا الادراك يصبح منبعاً آخر من منابع الشقاء.

وقد خس ذات لحظة اننا ضحايا العالم وضحايا أنفسنا، لكننا ما نلبث ان نتصور

أنفسنا ابطالا وعماقته. ولهذا وحده نقبل العب. الذي يبدو للآخرين أنه تضحية. بل قد يبلغ بنا الامر أن نموت على الآخرين بأننا نضحي حقاً ونحن نعلم في قهقهة نفوسنا أننا لسنا نستطيع ان نحيا الا هذا الماون من الحياة. وليست الهزيمة مبرراً للرجوع، بل هي على العكس من ذلك، باعث على اقتحام أكثر خطورة ورأشد. هولا لكي نثبت لانفسنا وللعالم أننا اهل للانتصار. ولذلك فنحن نمى. كل قوائنا ونشجع كل ذكائنا من اجل المعركة الجديدة.

٩ من يناير عام . . .

كيف

نصنع حياتنا؟ هذا هو السؤال الذي يلح على، ويزداد الاطاح حتى يقارب الارقاق.

هذا الضجيج التثافي المائل يزداد ضخماً كلما أوغلت فيه، وتتسبب مساكنه حتى لأحس أنني لست قادراً على ان احصل على المعرفة التي نالها البشرية خلال تجربتها التاريخية القصيرة، فضلاً عن الكشف عن آفاق اخرى أكثر غنى وخصوصية.

وأنا وقد وطئت نفسي على ان أشارك الانسانية أقصى ما بلغته من معارف وعلوم لأحس اني اريد أن استوعب كل شي، وأن هذا الاحساس بضيقى ولو أنني أجد لذته في كل اكتشاف جديد احصل عليه، وفي كل منقطة بكر أجول متباً عما اختبأ فيها من كنوز وجواهر.

في هذه اللحظة، في تلك المرحلة التي أحس فيها بهذا اليه الضخم وقد وطدت نفسي على ان أجوسه بغير أن أقف ولا ان اتردد. . . في هذه اللحظة أتساءل عن السبيل الذي اطرقة من بين هذه السبل المتشابكة المتكاثرة أمامي.

ومن قبل عانى أوغسطين والغزالي هذه المشكلة في الحضارتين المسيحية والاسلامية، ثم عانى مثيها الكثيرون في عصر النهضة، بل كل هؤلاء الذين يحسون في لحظة انهم بازاء. رحلة عليهم ان يكونوا على وعي بالجماع. ولكنني احسن المشكلة اليوم أعقد من تلك التي غاناها هؤلاء جميعاً لأنها ليست مشكلة ايمان ولا الحاد. فحضارتنا

لا تكاد تتيح لنا هذا التسم الساذج الى طريقين نؤمن بالواحد ونكفر بالآخر. انما تعرض علينا كل صورها وتوجهاتها وتطلب منا ان نعيش في شتاتنا ومتناقضاتها اذ اكننا نحرس على ألا يفترق شي. ولم نعد نؤمن بأن الطريق الذي سنهجه في الحياة يمكننا ان نكشف عنه قبل ان نطوقه، بل هو طريق صوفي لا يبدو لنا منه الا بالقدر الذي نخطو

فيه، فدقائق حياتنا هي وحدها التي تكون الطريق وتدفعنا اليه وفيه. وفي وسط هذا الضجيج والصخب والاحساس المتناهي بضالة الفرد وبلاذة حر كته يتسأل الواحد منا «كيف نصنع حياتنا؟» وانه لسؤال عجيب، قد يغرينا ما يسببه لنا من حيرة بأن نرفضه ونعلن سخافته، ولكنه يظل يلح علينا كما بدت هذه المتناقضات التي تجمعها حضارتنا في لحظة زمنية واحدة، حتى ليضئ الانسان ان يفقد نفسه وسط هذا الصخب والضجيج، وأنا احرص على ان اقمع نفسي في كل حال والا يفترق شي. مما يعرض في هذا المعرض المزدحم: من آثار كاد يعنى عليها النسيان الى اكتشافات عبقريه ستبقى في اللحظة التالية.

في وسط هذا الخلل المتناقض الحجب يطلب من الفرد ان يجد نفسه. اين هو من هذا الزحام؟ فيتحرك داخل مجال معين، ويتسكى.

على ذراع انسان معين، وتسرى في روحه رسالة معينة.

ان في نفسي الصغيرة يتأور هذا الصراع والصخب المتسدا أمامي حتى اللانهاية الشاردة.



<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

هنا

الفراغ الذي فرع منه . كمن يجرى يحاول ان ينشأ بشي . لا يراه . وهذا الاحساس بالفراغ احسه ينبلور بنفسه شيئاً فشيئاً ، حتى بت أتشوق الى اللحظة الحاسمة ، تلك اللحظة التي طالما تشوقت اليها منذ بدأ عقلي يستيقظ ، والتي ابدأ لانجي . احساس بالفراغ ، وكل ما يحمله الفراغ من فزع . اود لو استجيب الى إله ، ان يستوعبي الفعل الذي من القوة بحيث يلغي من نفسي كل احساس بالثاقه والسخيف . اني ابحث في جنون عن هذا العمل ، عن هذا الفعل العبقري الذي يستوعبي . فعل عظيم عفيف هو وحده الذي يستطيع ان يستوعبي ، فيذوب فيه هذا الاحساس اللامتناهي بالثقة ، وينسرب في جوانبه كحركة حية ايجابية . رسالة في الحياة اركز عليها كل جوانب نشاطي ، فنتهي عهد هذا التشتت ، وتلك العريضة الوحيدة المحبونة . رسالة أداب على تنميتها في صبر وجهد وأناة ، وأسخر كل جوانب حياتي الاخرى في سبيلها ، بهذا وحده احس بوجودي . وهذا الفراغ يدفعني على ان اضرب في مسالك معتبة على احصل منها على شي ، ما لي ، فلجذني قد قفزت قفزة اخرى في الفراغ ، فارتدت مذعوراً ، انني في قمة من التوتر الروحي ، احس كأنما اتأرجح في عنف . اريد ان اندفع في انتظام ، ان اتحرك نحو هدف ، ان اعلق بشي ، ففعلنا القدرة على ان نحصل على

٢٥ من يناير

أنا

وحدي وواجه الفراغ ، اواجه بصيوني الرجالية . اني اواجه الحاضر وجهاً لوجه بلا امل يشد ازري . انا هنا مصلوب ، اريد ان اعبر ولكنني عاجز . انا اموت في بطن ، في الثانية والعشرين من عري اصبحت قوة مصطلة لا نفع فيها ، ككائن ادرك انه يتفرق فاستسلم للتيار . عند هبوط كل ليل تتلى نفسي كتابة ، وعند طلوع كل فجر اواجه مازقاً جديداً ، وماذا عساني افعل بالساعات الطوال المقبلة ؟ والزمن بطي ، بطي ، جداً ، لا ازال فقط في الثانية والعشرين ، تراني متى ابلغ الثلاثين ؟ متى ابلغ نهايتي فانتهي ؟ ماذا عساني افعل بكل ما امامي من لحظات ؟ انا انسان غريب في ارض غريبة . عندما كنت طفلاً كنت انتظر . اما الآن فالايام تمر ، كل يوم مثل سابقه ، تكرار تكرار تكرار ، لا تغير ولا جديد . روحي مزدهرة بالخرائب ، اني اصطنع كل شي . اصطنع الحب كما يصنعون الكوكاكولا في المصانع ، واجامل فرداً اوفردين لان الصداقة صحية للروح كجواب الاسييين صحية لكل من يشكو الصداق . ليس

امامي الا طريق طويل دامس اخوضه وحدي حتى أبلغ الهوة الطيفية في الليل الكبير المتسع ، اني راحل نحو العدم الكبير ، نحو عدم العدم . ٦ من فبراير

اني

اعلم انني اقامر بحياتي ، بل لقد قارمت بها . ان الحياة مصاورة ، اذا آمننا بها نسير ، فاذا داخلنا الريب ذات لحظة فلان كل شي . عييد تحت اقدامنا . مثلاً في ذلك مثل بطرس الذي استطاع ان يعيش على الماء . طالما كلن يتحرك بالايان ، فلما ساوره الشك كاد يتعلمه الموج . ان كل من ينظر في الطريق الذي تسير فوقه قدماء ولا يعود ينظر الى الامام ، انما يعرض نفسه للغرق . لهذا قلت ان الحياة مصاورة . وانها حياة واحدة . ولقد قارمت بحياتي منذ اليوم الذي امسكت قلما لآكتب بعض اشعار ركيكة متكسرة ، وقارمت بها يوم رضيت ان ادرس الفلسفة ، وها انا اليوم امضي في هذه المقامرة وانا اعلم انني لم اقامر بحياتي عبثاً . ان الطريق الذي غارمت بالسير فيه قد وهبني اليوم قوى شيطانية لان اسخر واتهمكم واصبح واهزاً بل واعلم نفسي والآخرين . وانا اعلم في وضوح ان طريقي اليوم هو العمل الفني ، العمل الفني ، الذي اخلص له بكل روحي وكل حياتي وكل كياني ، وانني قد القيت بنفسي في هذا الموضع من التراث البشري ، وقارمت بكل ثروتي بغني ان احتفظ بأي رصيد .

وانا ادرك ان هذا يعني كثيراً من المستويات ، وهذا ما اريدته تماماً . اريد ان اكون انساناً مسئولاً امام نفسي وامام العالم والتاريخ ، ولن يكون ان يتم هذا الا بان اتبلور حول شي . تسمية نحن الناس بالسلوب حياتنا انه نافع ، وربما جميل وغير عظيم . انني ادرك انني اعيش في بأس كبير لكنني اعلم ايضاً انني احل في داخلي روحاً فنية وتمكناً كبيراً ومشاركة تدعيني مع الانسانية جميعها ، فيستحيل هذا اليأس الكبير الى طرقات عذبة متروكة تؤذن بالنور الجديد وانا اعلم ان الريح لن يكون عاجلاً ، بل قد يكلفني كثيراً من راحتي واستقراي . ومع ذلك فلست اريد ان اكون ذلك الشاعر الذي يقف معجباً بالبلل لانه لا يستطيع ان يكونه . ان المعجزة الحقيقية في التاريخ هي قيام الشاعر البطل ، لهذا يعجبني كثيراً هؤلاء الملوك الذين كانوا يكتبون الشعر مثل ابن المعتز وفريدريك الاكبر . ولهذا تجد المؤرخين يحاولون دائماً ان يبرزوا الناحية الشعرية والعاطفية في سير الملوك والقواد وابطال الحروب ، ومن ناحية اخرى يحاولون ان يجربوا حياة الفنان الذي يتناولونه الى سلسلة من اعمال البطولة الضخمة . ذلك لان الشاعر البطل هو معجزة التاريخ .

يوسف الشاروني

الفاخرة

الغرفة الزرقاء

للكاتب الفرنسي بروسيير مريميه Mérimée ١٨٠٣ - ١٨٧٠

ترجمته السيدة ماهرة القسبري

« مريميه صورة واضحة السات لكل ما اشتهرت به اسرته الادبية ، التي تمثل في كثير من افرادها للماسبين ، الفن الافرنسي الرومانتيكي ، بكل ما فيه من طلاقة وسحر وجمال ، ام التمثيل . كان شاعرا مجيدا ، الى جانب آثاره الرائعة المتعددة التي طافت بأقافى التاريخ ، وباغوار النفس الانسانية ، وبالطبيعة ، وبالمح والمجون . وقصته العظيمة (كارمن) اشهر من فار على علم . لقد كانت القصة القصيرة الميدان الذي ظهرت فيه براعته الفنية طهورا منقطع النظير . وقصة « الغرفة الزرقاء » التي نقلتها عن الانكليزية لغراء « الاديب » تمدن ازوع القصص القصيرة في لغات العالم ، وقد ظهرت فيها الخصائص الفنية الجذابة لاسلوبه الرائع الذي فتح به قراء اللسان الافرنسي »



ARCHIVE

سار

وبعد ان نظارت بعض اقبلت من باب جانبي سيدة منسجة بالسواد على رجلها حجابها الكثيف ، تجلد في يدها حقيبة من الجلد البني فيها (كما اكتشفت بعد ذلك) ثوب رائع للنوم وخف ازرق من الاطلس الجميل . ففضأ الى بعضها ينظران بينا وشمالا وتصافحا وبقيا يلتهيان بضلع دقائق وقد بان عليها الانفعال الشديد الذي يجتاجني مائة عام من التأمل الفلسفي .

قالت السيدة التي نسيت ان اخبركم انها كانت شابة فانتة . - ليون ، ماذا حدث ؟ لم اعرفك لاول وهلة وانت بهذه النظارة الزرقاء . - وانا الآخر لم اعرفك خلف حجابك الكثيف . - دعنا نأخذ اماكننا والا راحل القطار دوننا « وضغطت على ذراعها » لن يعرف احد ماذا يحدث . . فلغفروض اني الآن مع كلارا وزوجها ذاهبة الى بيتهم الريفية حيث يجيبان اودعهما غدا .

واضافت ضاحكة وهي تخفض رأسها ، منذ ساعة قطرحلت مع كلارا وغدا بعد ان اقضي آخر امسية معها « تضعط على يده مرة اخرى » ستأخذني الى المحطة حيث اجسد اورسول الذي ارسلته

الشاب مضطرب الحطلى نحو محطة القطار ، وكانت تحفى عينيه نظارة زرقاء . ويضع حجابها على وجهه غدا . عن انه لم يكن مصابا بركام . وكان يحمل في يده اليسرى حقيبة صغيرة سوداء تحتوي (كما علمت بعدئذ) على ملابس النوم . وكان يذهب بين وقت وآخر الى المدخل يبحث هنا وهناك ثم ينظر الى ساعته قلقلًا . . كانت لا تزال هنالك ساعة باقية على قيام القطار لكن بعض الناس كثيرا ما يخافون التأخير . ولم يكن ذلك النوع الذي يستقل رجال الاعمال وانا كان يتألف من بضلع عربات من الدرجة الاولى ولم يكن موعد قيامه بالموعد الذي يسمح لرجال الاعمال ان يأخذوه بجهد الانتهاء . من اعظامه ليصاروا الى يوتهم الريفية في وقت العشاء . وكان سهلا على الباريسي ان يعرف من سياره الركاب انهم من ذراع وتجار الضواحي .

كان قلب الفتى ذي النظارة الزرقاء . مضطرب وكانت رجلاه تصطلكان كلما دخل المحطة احد او اقبلت عربة . . وكانت النظارة تهتز فوق عينيه فيخيل لمن يراها انها وضعت في غير موضعها الطبيعي

قصته

قبلي الى عمي . . اوه لقد فكرت في كل شي. دعنا نبتاع تذاكرنا .
من المستحيل ان يكتشف وجودنا احد . . . لكن اذا ارادوا ان
يعرفوا احمانا . . . لقد نسيت ان افكر في هذا الامر !
- مسيو ومدام دور - . لا . لا اريد هذا الاسم فقد كان
في المدرسة الداخلية صانع احذية بهذا الاسم . - اذن ديومونت .
- ديومونت . - حسناً . لكنهم لن يسلأوا .

ودق جرس وفتحت باب غرفة الانتظار . . واسرعت المرأة
الى عربة القطار مع رفيقها ، ودق الجرس للمرة الثانية ، ثم اغلق
البواب باب عربتها ، فصاحا بسرور نحن وحيدان ! ولكن في تلك
اللحظة دخل العربة رجل يناهز الخمسين عاماً عليه ثياب سوداء ،
ذو وجه عريض وقور ، جلس في الزاوية ثم تحرك القطار ، وانسحب
الرفيقتان الشابان من جانبا المزمع واخذتا يتهايمسان بالانجليزية زيادة
في الاحتياط . فقال لهما بالانجليزية سليمة .

- اذا اردتا ان تتكلمتا بلسار فالأفضل ان تتكلمتا بنفسين
اللغة الانجليزية لانني انجليزي . آسف على ازعاجكما ايس في
العربة الثانية سوى رجل واحد وكبداً ادين به لن اسافر مع رجل
مفرد ينظر الى كاثني يهودي وقد يغريه ذلك في فيض ما معي
واشار الى حقيبة سفره التي القى بها على الاربكة و اضاف قائلاً :
- لكنني اذا لم استطع النوم فسأقفل . وقد حاول بالخاص
ان ينام ، ففتش الحقيبة واخرج غطاء للرأس ولبسه واغض عينيه
بضع دقائق . . ثم فتحها بفداح صر والتمس نظارته من الحقيبة
واخذ يقرأ في كتاب يوناني بالقباه شديد . وعندما اخرج الكتاب
بعثر اشياء كثيرة كيفما اتفق وكان من ضمنها رزمة كبيرة من
الاوراق المالية الانجليزية وضعا بجانبها وقبل ان يرجعها الى
الحقيبة عرضها على الشاب وسأله ان كان في استطاعته ابدالها في
مدينة ما . فأجابها ليون - رباً . . انها في الطريق الذهاب الى إنجلترا .
وكانت تلك المدينة هي التي يقصدها العاشقان . فهناك فندق
صغير بالغ النظافة يتزل فيه عادة المسافرين في اماسي السبت . .
وقد زاره ليون مراراً حيناً لم يكن يستعمل النظارة الزرقاء . وقد
وصفه لحيته فوجئت في ان تراه . وسار القطار والرجل الانجليزي
يقرأ في كتابه اليوناني من غير ان ينظر الى رفيقيه اللذين كانا يتهايمسان
بلغة لا يفهما الا المغمومون المدهون . ربما لا يتجيب قرائي اذا
علموا انها عاشقان قاران ، ومن المخرن حقاً انها لم يتزوجا ، وكانت
تقوم في سبيل ذلك الزواج عقبات كثيرة .
ووصولاً الى نهاية الرحلة وكان الانجليزي اول من ترك القطار

من المعروف في فرنسا ان كل مسافر اسعده الحظا بطعاب
سيدة انيقة يكون وثاقاً من الحصول على احسن غرفة في الفندق .
ولذا عرف عنا اننا اكثر شوب اوربا تهدياً . فاذا كانت الغرفة
التي اعطيت لي ليون هي خير ما في الفندق من غرف فانه سخافة
من هذا الاستغناء انما غرفة ممتازة . كان فيها ، سرير خشبي كبير ،
وسيف رومعة تمسك عليها بلون بنفسجي قصة بلاموس وتيسب
السحرة . وكانت الجدران مغطاة بورق رسم عليه منظر يمثل
مدينة نابلي وقد ازدحمت بالناس ولسو . الحظ رسم بعض المسافرين
عديبي الاذواق شوارب وغالابين لكل الاشخاص من رجال
ونساء . وكتب بعض الاعيان عبارات نثرية وابات شعرية فوق
البحر والياء . وعلقت فيها بعض الصور تمثل لويس فيليب يقسم
بالله على اتباع القانون سنة ١٨٣٠ ، وأول لقاء بين جوليا والقدس
بركيس ، والدم والامل في السعادة لفنان ديويوف . وقد اطلق
عليها الغرفة الزرقاء . لان المقدمين الموضوعين لي جانبي المدفأة كانتا
من القطيفة الهولندية الزرقاء . ثم اخبنا منذ ستين عديدة تحت
اغلبية رمادية اللون من القماش المطبوع المهدل الاطراف .

وبينا كانت السيدة الفتية محاطة بالخدمات يعرض عليها
خدامن ، ذهب ليون الى المطبخ يطلب عشاء . خصوصاً جيداً ،
وكان عليه ان يستعمل كل ما اوتي من فصاحة ولباقة وان يلجأ الى
الرشوة ليحصل على وعد بذلك . . وقد ارتبك اشد الارتباك حينما

علم ان في غرفة العشاء الكبرى المجاورة لغرفة الزرقاء ستقام ليلة عشاء وداعية لضباط فرقة المشاة الخفيفة التي سيحل محلها ضباط فرقة الموسار الثالثة .

وقد اقسم صاحب الفندق بكل مقدساته انه بالاضافة الى ما عرف عن الجنود الفرنسيين من مرح فان فرقة الموسار وفرقة المشاة الخفيفة معروفتان بدمائة الحلق ، وحسن السلوك في المدينة وان حضورهم لن يزعج السيدة مطلقاً ، والعشاء عادة ينتهي قبل منتصف الليل .

عاد ليون الى الغرفة قلقاً شارد القلب من هذا الامر . فوجد الرجل الانجليزي قد احتل الغرفة المجاورة لها وكان الباب مفتوحاً فوثق جالساً وامامه مائدة عليها كأس وزجاجة خمر وهو ينظر الى السقف بانتباه وكأنه يمد الذئب الذي يرعاه . فقال ليون يحدث نفسه ويطنشها . ماذا يهم من يكون جارنا . فان هذا سيقدر عليه بعد قليل من الحمر وسيحل الضباط قبل منتصف الليل .

وعندما ولىح الغرفة كان اول همه التأكد من ان الابواب المزدودة الى الغرف المجاورة موصدة جيداً . فقد كان الغرفة من جهة الانجليزي يابان وكان الحائط متيناً . اما من جهة الموسار فان الحائط كان رقيقاً لكن الباب له مفتاح يودعه . عزاز ان هذا الحائط يمكن ان يفتح في واقع الامر غير ستار يخفي فضول العيون كما يخفي ستار العربة الركابيين ، وهل بين الناس من يتبعونه بعدد من الصالحين وهو وراء ستار من هذا النوع .

ان اخصب الخيالات في الواقع ، ليس في مقدورها ان تصور سعادة اكل من سعادة شابين يرحبهما الهوى ، والتقاء بعد طول النوى : فلقبها وبقربه وحيدتين بعيدتين عن قلوب غاذلة وعيون مستطلعة . فيقص عليها وتقص عليه ما تجرعه من غصص البعاد ثم ينبلان من نبع السعادة نبله الفلأسي . . لكن اني للدهر ان يغفل عن سكب قطرات من مرارة الشقاء في كأس السعادة حلوة .

وبينا كنا يتناولان عشاء خفيفاً سرق من مائدة الضباط كلنا يعانيان الشيء الكثير مما يصك سمعهما من احاديث هؤلاء الضباط . كان حديثهم لا يث الى الخطط الحربية والحركات العسكرية بصفة . . وكان عبارة عن حكايات خشنة متلاحقة تراقبها قهقهات سبحة ، صعب على العاشقين سماعها . لم تكن جنية ليون من السيدات المحشحات لكن هنالك اشياء لا تود النساء سماعها حتى ولو كن مع عشاقهن وعندما بدأ الضباط في اكل الحلوى ، ذهب ليون الى صاحب الفندق وطلب منه ان يخرج السادة ان في

الغرفة المجاورة سيدة مريضة يلزموا جانب الادب في احاديثهم ويقبلوا من جلستهم فصار صاحب الفندق في امره واضطرب ولم يعرف ماذا يقول ، وفي نفس اللحظة جاء احد النادل طالباً زجاجة شامبانيا لفرقة الموسار وجاءت احدى الوصيفات طالبة خمر للرجل الانكليزي وهي تقول لقد ابغيت ان ليس لدينا خمر . فصاح بها : هل انت مجنونة ؟ اني احتفظ بكل انواع الخمر وسأجده له ما يريد . وراح ينج انواعاً من الخمر . وبعد ذلك ذهب الى غرفة الطعام وابلغ الضباط رجاء ليون ، فسب ذلك في اول لحظة عاصفة شديدة ، وارتفع صوت عقيق طغى على كل الاصوات سائلاً عن المرأة ومن اي نوع من النساء تكون . فأجاب الرجل قائلاً . - في ذهني ايا السادة . . انها سيدة رائعة ، شديدة الحياء . وقد قالت ماريا جان انها رأت في اصبعها خاتم زواج ، واظن انها عروس جاءت لتقضاء شهر العسل هنا . . فارتفع اربعون صوتاً صارخاً عروس ! يجب ان تأتي وتشرب معنا . . نشرب نخب صحتنا ، ونعلم زوجها واجباته نوحها . وارتفع صليل مهاميزهم ، فارتفعت العاشقان خوفاً وهماً ظانين ان العاصفة ستحتل غرفتهما . ولكن صوتاً ارتفع فهدأت العاصفة ، كان واضحاً انه احد القواد قد وضعهم على سوء اذبيهم وطلب منهم الجلوس والكف عن الضحك والتعجب والاضاف بضع كلمات بصوت خافت لم يسمع في الغرفة الزرقاء ، تقاوها بعدم ارتياح لكنها كبتت شيئاً من مرحهم وضجيجهم .

وساد الصمت غرفة الضباط فشكل العاشقان الله على تلك النتيجة وبدأ يتحدثان بحرية واغتباط . وأخذ الهدوء يتسل الى اعصابها المرهقة المكسودة من عناء السفر . وزال عنها ماساورهما من قلق وازعاج سببه مرح جيرانها . . وهكذا ينسى كل من كان في عزمها ما يعاني من المجازفات والمخاطر . ويستسهل كل صعب ويبدأ بالتشبع بجلاوة اللحظة التي هو فيها .

وخيل لهما ان المتاعب قد انتهت لكنها كانت هدنة قصيرة الامد . ففي اللحظة التي كتا فيها ابعاد توفاً لما حدث ، وقد حملها الحب بعيداً عن هذا العالم . . دورى اربعة وعشرون بوقاً في الفضاء يعزف النغمة المعروفة لكل فرنسي « النصر لنا » . . فقد العاشقان في حالة تستدر الرحمة والشفقة واخيراً خرج الضباط ووقفوا بباب الغرفة الزرقاء بصليبي سيوفهم وقمعة مهاميزهم واخذوا يصيحون الليلة سعيدة ايها العروس ثم رحلوا وتلاشت الاصوات . . وخرج الرجل الانجليزي الى المرواح يطلب زجاجة اخرى من الشراب

وساد الصمت في الفندق . وكان الليل ساجياً والبدر يفيض على الكون فيملاه سحراً وفنونا . ولد للماشقين ان يتما فاعزبها بهذا المنظر الخلاب ففتحوا النافذة واخذوا يستشقان عير الزهور ويستجليون جمال الليل المشير . ولم يكتف فيها طويلا فقد مر في الحديقة رجل محني الرأس عقد ذراعيه فوق صدره وفي فمه سيجار مشعل وخيل الى ليون انه ابن اخ الرجل الانجليزي . ولما كنت اكوه كثرة التفاصيل فاذني لست مجبراً على ان اقص على القارى كل شي . حدث في الفندق ساعة بعد ساعة . لكنني اقول ان الشعة التي كانت تضيء الغرفة الزرقاء . كان نصفها قد احترق عندما سمع من غرفة الرجل الانجليزي صوت سقوط جسم على الارض ممزوجاً بقرقرة لا تقل عنه غرابة تبعها صرخة مكتومة وبعض كلمات مبهمه تشبه الالمنة فاستيقظ الشايف مذعورين وفي نفس كل منهما شعور من الشوم من هذا الصوت الغامض ، فقال ليون يطمئن صاحبة : - انه الرجل الانجليزي يحلم . . لكنه كان يطمئن وغماً عنه . . وبعد دقيقتين او ثلاث فتح باب في الممر بكل عناية ثم اغلق بسرعة . . وصمعا صوت خطوات شخص يسير ببطء واضطراب محاولاً ان يمر دون ان يشعر به احد . . فتم ليون : - لعله على هذا المكان . .

انه كالفردوس . . وانا في غاية النعاس . . قال الشاب هذه الكلمات وهي تلقي برأسها على كتف صاحبها وتسلم الى النوم . اما ليون فان الافكار السوداء التي بدأت تأت به لم تدعها تسبيلاً الى حقيقته . فرت امام ناظره صررة ابن اخ الرجل الانجليزي ونظرة القعد التي حدجها بها . لا شك في انه يطلب نقوداً . وليس اسهل على شاب قوي يائس من تسلق النافذة من الحديقة . وقد رآه منذ لحظات يحوم تحتها . ومن المحقق انه يعرف بوجود حزمة الاوراق الماوية في حقيقه عمه . . ثم ذلك الصوت الذي يشبه صوت هراوة تسقط على رأس فتشمه وتلك الصرخة المكتومة . . والكلمات المبهمة . . والخطوات المتسللة . . ان ذلك الرجل سيأه القتل لكنه فندق مملو بالضباط وليس بالمكان الملائم لطرية قتل . . لا شك في ان الرجل الانجليزي كأي رجل فطن قد اغلق عليه بابه لعله ينوع الرجل الذي يلاحقه ويدور هنا وهناك . . انه لا يأمن منه ما دام قد ذهب اليه من غير حقية . . لكن لما اذا التفكير باشيا . بشعة وانت سعيد ؟ . . بذلك كاد ليون ينساجي نفسه خلال تصوراته التي كانت تراوده كما تراوده الاحلام التي لا اود تحليلها . . كانت عيناه مكررتين في الباب المؤدي الى غرفة الانجليزي . . ان كل الابواب في فرانسا لا تغلق جيداً فكان بين

ذلك الباب والارض فتحة تقارب نصف القسدم وفجأة ظهر من خلال هذه الفتحة التي ينيرها ضوء ضئيل ينمكس من ارض الغرفة ، شي . اسود مسطح يشبه نصل السكين وخينا انعكس عليه ضوء الشعة بان كخط لاصع براق وتحرك هذا ببطء نحو الخلف الازرق الذي كان ملقى بلا عناية على بعد قليل من الباب . هل كان ذلك حشرة من فصيلة الزحافات ؟ كلاً انها ليست بحشرة اذ ليس لها شكل معلوم . ثم رأى خطين او ثلاثة من هذه الخطوط اللامعة تحترق الغرفة وتسير فيها مسرعة ، فتحلق على الارض المساء حتى لامست الحف . لم يبق شك في انه سائل ولونه الآن يظهر بوضوح على ضوء الشعة انها دماء . . وبينما كان ليون يحس في ذلك الشي متجهد الاطراف كانت السيدة تقف في نوم هادى . عيق . لم يتحرك وراح يستجمع كل قواه الفكرية ليجد جلاً يقفده مما يهدده . . واني لاتصور القسم الاعظم من قرأني وخصوصاً السيدات قد ملأن ارواحهن بالبطولة واخذن يلمن ليون على ضعفه وحجته . . فهن يردن ان يسرع الى غرفة الانجليزي ليلقي القبض على القاتل ، وقل ما يجب عليه ان يفعله هو ان يندى الجرس ليوقظ النائين في الفندق واجابني على ذلك هي ان الاجراس في الفنادق الفرنسية ليست الا للزينة اذ ليس لها جهاز مربوط في نهاية الحبل واضف الى ذلك احترام ولكن يحزم انه اذا كان من الخطأ ان تدع رجلاً انجليزي يموت في الغرفة المجاورة فانه من الفظاظة ان تضحي بقتلة جميلة لا يزال رأسها الرائع مسنداً الى كتفك . ماذا سيحدث لو خرج ليون وايقظ كل من في الفندق ؟ سيحضر الشرطة والحاكم . . سيسأل عما رأى وسمع فان هؤلاء الرجال الكثيري الاسئلة يحكمهم مهنتهم سيدأون يسواله عن اسمه وعن اوراقه وعن السيدة ولماذا هما معاً في الغرفة الزرقاء . . وعليها ان يوضحا امام محكمة الجنائيات انها في اليوم التالي وفي ساعة معينة وفي ليلة كذا قد شهدا كذا وكذا .

لقد كانت هذه الفكرة التي مزت بخاطر ليون عن الحاكم والشرطة مضبوطة تماماً . . وان في الحياة اموراً من الصعب حلها . فن الحيو اذن ان يترك رجل غريب مقتولاً او ضائعاً بدلاً من ان يفضح سيدة جميلة . وقد فعل ليون ما يفعله اكثر الرجال لو كانوا في مكانه .

لم يتحرك وبقيت عيناه مشبتين بالحق والسائل الاحمر الذي سال تحته وبقي مدة ما وهو كلسجور وقد بلل العرق البارد جبينه وكان قلبه يدق بعنف كاف لان يحطه . وتراحت في رأسه

وخلال آلاف القبل قررا ان خير مخرج هو اخذ قطار الساعة الثامنة الى باريس ، لكن كانت لا تزال ، حتى تحين تلك الساعة ساعتان مبيتان من الانتظار القاتل . فلكل خطوة في المس يرتجفان وصوت كل حذاء . يعلن لها قدوم الشرطة . وحزما امتعتها في طرفة عين . وسمعت السيدة يجرى الخف في الموقد ، لكن ليون اخذه ونظفه باغشية السري الداخلية ثم قبله ووضعه في جيبه وقد عجب لمطر الفانيليا الذي كان يفوح منه . وكانت السيدة تحب هذا الطر كلابراطورة يوجيني .

واستقظ كل من في الحانة فملت ضحكات الدل وغناء الخادومات واصوات الجلود وهم ينظفون ثياب الضباط . ودقت الساعة تعلن الساعة وطلب ليون من صديقه ان كسب قدحا من القهوة فرفضت . لبس ليون نظارته وتزل يدفع الحساب فاستقبله صاحب الفندق واستأخه العذر عما أحدث الضباط من اصوات . فاكد له ليون انه لم يسمع شيئا وقد نام نوما هادئا عميقا .

وجارك لا شك انه لم يضابقك لانه لم يحدث صوتا وراهن على انه لا يزال نائما كلاموات . فاتسكا ليون على الطاولة لينعم نفسه من السقوط . اما السيدة التي اصرت على الذهاب معه فقد امسكت بذراعه واحسكت وضع قناعها على وجهها وواصل صاحب الفندق قوله . - انه لورد انجليزي ، يطلب دائما خير الاشياء . وهو سيد مذهب . لكن ليس كل الانجليز مثله . فهنا رجل آخر لكنه غدا سريري ويجد كل شي . عندنا غالبا ، الغرف والطعام . وقد طلب مني ان اعطيه مائة وخمسين فونكا بدل ورقة انكليزية من فئة الخمسة جنيهات كانت في احدى زواياها بقعة حمراء عرفها ليون . . .

فاجابه بصوت مخنوق : انظنها جيدة تماما

- اوده لا يزال على قدوم القطار وقت طويل . فلن ينجي . قبل الثامنة وغالبا ما يتأخر . هلا جلست يا سيدتي . يلوحي انك متعبة وفي تلك اللحظة دخلت خادمة بدنية وقالت : - اريد ماء دافئا لشاي سيدني الورد ، واسفينة ايضا فقد كسر زجاجة الشراب وغرفته الآن غارقة به . فسقط ليون على الكرسي وكذلكرقيقته ، واستولت عليها رغبة شديدة في الضحك وقد وجدا صعوبة في كبحها . وضغلت السيدة على يده مجذلة فقال لصاحب الفندق . - سوف لا نرحل حتى بعد الظهر . . حضر لنا غداء جيدا في الثانية عشرة .

ماهرة التفسير

بصرا

الا فكار المرعبة واحاطت به التصورات الغريبة . وظل في اعماقه صوت يتردد ويقول : - بعد ساعة سيخرج كل شي . وهذا هو ذنبك واستمر هذا الصوت يسأل : - ماذا سافعل في هذه الحالة ؟ وغالبا ما يفتح الرجل ذكبا لمجاد شعاع من الامل . قال يحدث نفسه : لو تركت هذا الفندق الملعون قبل ان يكتشفوا ما حدث للرجل فلربما استطعنا محو آثارنا ، فليس هناك من يعرفنا وهم لم يروني بغير نظارتي الزرقاء . ولم يروها بغير حجابي الكثيف وليس بيننا وبين اللحظة سوى بضعة خطوات . وبعد ساعة سنغدو بعيدين جدا عن هذه المدينة . وقد ذكر ان القطار الذاهب الى باريس يمر في الساعة الثامنة . وحالا يضيان في زحام تلك المدينة التي تخفي كثيرا من المجرمين . ومن يشك بعد ذلك في شخصين بريئين ؟ لكن لو دخل احد غرفة الانجليزي ؟ كل القضية متوقفة على هذه النقطة . واقع نفسه انه ليس هنالك شي . آخر يستطيع فعله . وحاول بمجد الياس ان يطرد عن عينه الوسن الذي اخذ يستولي عليه وعند حركته الاولى استعقلت صاحبه وقلبه وعندما لامست خده البارد صرخت بقلق : ماذا حدث ان جيبك بارد كالرخام ؟ فاجابها بصوت مرتجف : لا شي . وانما سمعت صوتا من الغرفة المجاورة . وقام من السرير والعدا الخف وسحب الكرسي ووضعه خلف الباب الموصول بين الغرفتين الخفي السائل المربع الذي ازداد وكون بركة خضراء على ارضهم فتح الباب واخذ يصغي لما قديدورفي المسر ، ويكررا وجوب باب الانجليزي فوجده مغلقا . . واخذت الحياة تدب في الفندق فقد اقتبل الفجر وكان بعض رجال الاسطبل ينظفون الخيل في الساحة ، وفي الدور الثاني كان احد الضباط يزل السلم بصليل سيفه ليتأكد من اعداد الخيل للرجل .

رجع ليون واخذ يجره ويقتبه بكل ما اوتي من لطف وحيطة بما هما فيه من حرج . ان في البقاء خطرا وفي الرجل العاجل خطرا . . واشد خطرا من هذا كله الانتظار حتى يكتشف ما في الغرفة المجاورة . من اللعب وصف ما سببت هذه التفاصيل من فزع في نفس الشابة . وما سكبه من دموع . وما افترحته من الاقتراحات الخفية . وكيف رمى هذان الخاقان الثمان نفسيهما في احضان بعضهما ، يسأل كل منهما الآخر الصفح والمغفرة ، ويومان نفسيهما ويقمان على الاخلاص والموت معا لانهما كلا متأكدين من انهاهما بقتل الرجل . . ولما كانا واثقين من عدم السماح لهما بتقيل بعضهما عند المقصلة فقد راحا في عناق عنيف وقبل جنونية وبكا . بل وجهيهما بالدموع . . وبعد كثير من الاقوال السخيفة وكلمات التذليل والحب

الروح والجسد

يا ابنة الليل طوانا الصمت فاصغبي لي ملياً
انت ظمأى ، وأنا يا اخت ظمآن فهيا
نصر الليل بكاسيتا ، فيندى القلب ريا
ما علينا لو مزجنا الروح بالجسم سويا
افليس العطر من زهر طواه القرب طيا
ها انا يا معبد النيران احيا وثنيا
قد عبت النار في حي .. فهل آتيت غيا
يا حبيبي انا حي .. غنتي ما دمت حيا
غنتي قانور افراح تنافي مقلتي
غنتي فالطير لي غنى .. واضع لي نجيا
انت رجع الكون في حي ، بدا طيفاً شيا
يا حبيبي انا حي .. غنتي ما دمت حيا

الفاخرة

محمد الجليل

ضحك الهوى مني وخيمت الكتابة فوق كأس
تذرو هيامي حول مشكلة تكاد تكون بؤسي
حمره تجمع بي على ايقاعها نبرات ياسي
هي فكرة ما زلت اغرها بأشواق وهسي
لي في حواشيتها انطلاق الزغرادات بيوم عرس
اطعمتها قلبي وما ابقيت من عقلي وحسي
حتى انسجت بها وضاع بلحنها الوضاء جوسي

جل يا شقا بروضة الاحلام واقطع كل غرس
الا الهوى العذري واطرد عنه كل اذى ورجس
انا من صدى فأس العذاب عشقت رنة كل فأس
وسهرت اغوار الحياة وكدت افقه سر رمسي

رياه اما ذنب الحنين اذا تدفق فوق طرسي
تعوده مشكلة فيعيق بالتأوه والتأسي
مرغت اهرائي على شق الرؤى ورفعت رأسي
فتبركت لغة الشعور وضعت بين غدي وامسي

معتق عبده

ARCHIVE شوق
http://Archivebeta.Sakhril.com

نغم

الى ذلك النغم العذب الذي تغلغل في اعماقي

نغم حبيب في الفؤاد أجبه واخاف منه
ويدغدغ القلب السوي ولم ينب القلب عنه
يبكي ويضعك في الضيق ولم ينحني او أخنه

نغم رقيق ساحر النغمات يلهني غراما
فيفيض عطر انوثتي واذوب في الحب احتشاما
نغم شربت به الطلى وسقيته نفسي مداما
نغم عشقت به الصفاء ولم ابادله الزماما

يا سر قلبي في الترام فذيت دربك يا حبيبي

اهواك احلاماً ترف
اهواك شوقاً مضرماً
فاذا صدرت فظلاماً
واذا وردت فهسائاً
اهواك نهلة ظامى
فلات يا ليلاني في
جاءت به مقل الدما
ورؤى تشوق وتشتغف
يذكى من خديك رشف
يصبو لمنهله ويهفو ..
طلب الرب وما يكف
ابداً على فقه تجف
صحراء هذا العروكف
وجرت به لله كف

وربع ديب

من وحي مشكلة

انا كلما آويت احلامي الى اعماق نفسي

اتريد ان اهدي الهوى والشوك بكمين في دروبي
التجني وتودني ويميل قلبك من ذنوبي
تلك الذنوب خضية التمسى موفقة الطيوب

اواه يا نغمي المثار على الهوى قلبي ينفي
ابكي عليك تلهفاً وتريد نفسي في التجني
وأصد عنك ومهيجي الحسرى تذوب على التمني
واعود اسأل عن هواك وانت في قلبي تنفي
لولا الهوى وطيفه الزرقاء كنت أسأت ظني
نغمي اجبك وادعاً في القلب عربوناً لغني

نغمي فذيت شروقتك الجذاب في قلبي ونفسي
لا تكتب رهماك ان طوحت عن شفتيك كأسني
أجنت في يا لاهوى يرمي الحوادث فوق رأسي
ما حاضري الا هواك وجبك المخور أنسي

يا مقامي في المعاني
يا منى بعد الاماني
ويح قلبي في المسير
موحشاً ما من مبير !!

ايه يا حلم الازل والابد !
يا ابتسام الخلد هل من مرد ؟
يا حثيني للخلود ..
يا هيامي في الوجود ..
اي معنى للرجوع ؟
بعدان تطفأ شموعي ؟

بولس اسعد الشرتوني

من اغاني العزلة

- لعتة - والقضاء
وما تقول الهباء
وفي ضميري أثر ..
في ظلك الهادي
من عالم هازي

يا وحدى .. والقدر
وما يحبك البشر
فيك استجالت هباء
شئت حتى التشديد
والانفلاق الرغيد

فكل ليل مديد

يخط هولاً جديد
لا شيء غير انتحاب
لا كأس غير السراب
اقول ، لو تملك الاقدار رد الجواب :

يا من وراء الحجاب !

الم يجن لي مآب ؟

وحزن هذا الزباب
بلى ، انا والردى
كنا على موعد

من قبل ان اولدا

فكنت في مجهل ! وكان ، لا سكن ، لي

من عالم اسود

قبر سحيق المدى . !

محمود البربطا

بدراد

عزيرة هارون الحامي

مص

الحلم الضائع !

يا منى عباد الغروب والسمير ..
لم يفع عرف الطيوب ما الخير ؟ !

لم يلع طيف الجمال

عبر هاتيك التلال ! ..

والقمامات الرفاع

لم يطرزها الشعاع ! ..

يا منى عباد الاصيل والضحي ..

هل قضى حلمي الجبل وامعي

كيف لم يرجع الريا

من سبا حلمي الفتيا

هل بذأ الافق يحوم

هل سبت حلمي النجوم

هامد الشوق غريق في ذمهل

هالتي وعمر الطريق هل يطول

خواتمه جميع تأثرات الحداثة وذكريات الماضي . فإذا افكاره كلها مصوبة نحوها

ولم يكلف نفسه اذ علم بعودتها ان ينهض من قبلته ليستقبلها مع المستبشرين . . حتى ولم تصاوغه نفسه ان ينساق النظر اليها وهي غشي الى منزل ذويها المجاور . بل قبع يستمرى على مهل ما ترسمه خيلته عنها من صور لذبة .

ولم يفض طويل وقت على وصولها ، خيل اليه فيه انها ارتوت من ترحيات اهليها وقبلاتهم ، حتى كان صبره قد نفذ فهب واقفاً على قدميه واسرع كالبرق الى منزل الجيران .

— الحمد لله على السلامة يا امها .

— الله يسلمك يا توفيق .

— ما شاء الله . . أصبحت صبية قارعة العود .

— وانت أيضاً صرت شاباً عموماً .

— لقد اطلت غياباك عنا . وكنا

نذكرك دوماً .

— شكراً . ها انذا قد عدت اخيراً . .

لقد تركت رؤيته لها في نفسه اعظم الاثر وابغى الاعجاب لما هي عليه من الحاذية وتناسق القوام والوداعة . . فاستفاقت في ذهنه احلام الماضي واذا بكومة صورها المتجمعة في خزانة الذاكرة ، والمدفونة في احدي زوايا النسيان تشمل وتندافع وتنفذ عنها غبار الاهدال ، وكأنها تريد ان تجدد صلتها مع الحاضر العتيق ، والمستقبل البعيد .

غير انه وقف امام ثورة الذكريات وقفة المتريث الحكيم ، وأخذ غرامها الى حد من الزمن . . مستشعراً نحو قناته بادي الامر ببعض الانكسار والنفرة . نظراً لما احسه هذه المرة من وجود حدود وهيئة بينهما ما كانت لتقوم من قبل ، ولم يكن ليعرف لها سبباً . . او هي نتجت بطبيعة الحال من ان كليهما اصبح في عنوان الصبا والشباب ، ولم يعد ينظر الى صاحبه نظره الاولى التي كانت تعتمد على برادة الطفولة ومرح الصبا الخالص . .

وراح يسترخي فضول احاسيسه المكبوتة بقوله : « انها الآن جديدة بكل ما فيها من عواطف ومبرل . فلا ينفقه لها كتباً . ولا يوقن بما اذا كانت على عهدا القابر ام لا ؟ » لقد تغيرت

عادت الى منزلها بعد غيابها الطويل . . كان توفيق مستلقياً على سريره اصبل ذلك النهار ، ونفسه تنفوس لان تأخذها سنة من نوم فلا تستحوذ عليها ، او هي بين اليقظة والالغاف . نور ، وقد شامت الطبيعة ان تستكين الى قليل من الدعة في مثل هذا الوقت من الصيف ، فليس من ضرور هزج ، ولا من دوري يسقسق حتى ولا من دابة تنبس . . بيد ان عودة تلك الساعة اخلت بنظام قيلولته المعتادة ، واقدته متعة الاستغراق مع الكون في بحران من الراحة والسكون ، فانشغل ذهنه بالانصات الى ترحيب اهليها البالغ واظهار غبطتهم الشديدة بعودتها ولقائها . احس توفيق لذلك بشي . من الجدول والانشراح الخفي ينسرب الى قورارة نفسه ويقتح امام ذاكرته المطوية صفحات ماض عذب الاحداث عاشه معاً في الطفولة واليغوة ، اذ نشأ جنباً الى جنب ، يلعبان ويمرحان في اعطاف دار واحدة ويستترسان في تسلق

دربات العمر وكأنها توأمان في اسرة . تجعها الى ذلك رابطة جوار وألفة اهليين . . ثم غابت ولم يرها وجهاً منذ ست سنوات . غابت واضحت لديها طيفاً لتلفعات الالام ، على الرغم من ان امها ما انفكت التناثر ذلك عن الاثيان على ذكرها في كل مناسبة . انها امامه او امام اهلها قائلة : بنفسني اسماء . . الآن في المدرسة . تلك مشيئة اخيها الاكبر ، اراد لها ان تتعلم تحت اشرافه حيث يقيم في المدينة . . آه لو تتصورون كم هي ذكية مجدة . . عطف خلق . . فانت صوب . .»

وهكذا ما كانت صورة رفيقة الصبا لترسم في خيال توفيق الا مثلاً للفتاة الراقية والعاذة الحسنة . الالينة البارة . . فتدفع نظره الى اقدس المراتب ولا يحس نحوها عن بعدا بكل تقدير واحترام . وطغى مر الالام على ذكرها . . وحول صاحبنا فكره عنها ، لينصرف بدوره الى تلقي علومه في مدرسة بعيدة عن قريته ، وليغيب هو ايضاً عن بيت الذكريات فترات متقطعة من الزمن ، فاذا هي لديه في عالم النسيان او تكاد ، واذا هو لا يعلم من

امرها شيئاً . الى ان عاد هذا الصيف الى قريته لتضيئة العطللة المدرسية الكبرى بين اهله وذويه كجاري عادته كل عام . فاذا بوصولها تلك اللحظة . . وعلى هذه الصورة المفاجئة ، يوقظ في



الحب ؟ ام ان ذلك لا يخرج عن كونه مظهراً من مظاهر الصداقة
البرية التي تبت بين خدينين اليقين لفتها وشائج محسنة من صداقة
جوار ، ومثمر وطفولة وتقارب اعمار ؟

على انه مع استسلامه لهذه الافكار المترجعة بين الشكوك
والظنون كان لا يدرى بأنها يرقن والى ايها يركن .

وكانه ازاء ما يعاني من خوالج محضة استراح اخيراً الى فكرة
مرضية اعجبته ، فقد عزم وقد رأى نفسه متراً بغرامها العنيف ،
وتأجج قلبه نحوها بغضب من العواطف الصارخة والاحاسيس الثائرة
على مكاشفتها بحبه ، اذ بان له لديه كنزاً ثميناً يجب الا يفوته ،
وثررة نادرة يجب ان يقطفها هو وحده .. فهي التي تقدر على انقاذه
ما يحيط به من فراغ يجذب وسأم يائس ..

انها ، بكلمة صغيرة ، فتاة احلامه التي طالما بحث عنها .
ولكن كيف به الى بهذا الواقع قلبه ومصارحته ما بنفسه ؟

انه لا يجوز على ذلك وهو من موقفها تجاهه في شك وريبة .. اذ
ربما تدرجه وهي التي تتمتع الحب ضرباً من التلهف والسفك . وربما
ايضاً تتلقى تصريحه بالقبول والرضا . ولكن ما العمل ؟ ايدفن
عواطفه في مهدها ويكبتها عنها حتى يرى من امرها سبيلاً الى
الافضاء .. وهو يستعمل من جراء ذلك من الجهد والكبت
ما يرهق نفسه ويكدها .. ام يقفها بحبه ويقنع لها عن شفاف
قلبه ولكن بعد ذلك من امرها ما يكون ؟ هذا هو الامر
الذي يحزونه ويبحث له عن مخرج منه ..

اما هي فع تدفق الايام وتوافر العشرة ، وقد وجدت في رفيقتها
ما وجده بها .. فحننت اليه بعواطفها ومالت اليه بروحها الطامئة
ولكنها وقفت عند الوازع الذي وقف هو عنده ، وكبتت ما
بنفسها منتظرة ان يبدأها هو بخارحته .. وقد قوي دافع الاعتداد
بالنفس عندها الى حد طغى معه على كل ما سواه من دوافع وميول ،
وقد رأته بعواطفها ان ينالها الحذلان والفشل ، وهكذا اصيب
الاثنان بكبر النفس والانفة ما جعل كلا منهما يأبى ان يفتاح
صاحبه بحبه او يخرجوا على مكاشفته بميوله ، محتملين في ذلك اشد
اللقب واصعب المض .

وقادته عواطفه المتأججة التي لم تعد تحتل الكبت الى صديقتها
الاخرى هند التي وجد فيها تفرجاً لاوار غرامه ، وسبيلاً سهل
المثال لقضاء اهنأ ساعات الهوى والتضاني معها ، فجدد صلته بها ،
فاذا هي فتحة جل عواطفها وتندفع نحوه باقصى ما في نفسها من

كثيراً وللايام اسرارها تكشف عنها ما غرض وما استخفى .
وتبعاً لما فرضته ظروف الجوار والالفة بين الصديقين القديين
من تعدد اللقاءات ، فقد استراحت موقفه المتحفظ منها ، وجهدت
هي بدورها على الا تعرض امامه سوى جانب واحد من حياتها .
فما تجدته الا حديث العلم والثقافة . او حديث المتخرج حديثاً من
المدرسة والذي لا ينظر الى الحياة الاعمالجات من النظريات والقيم .
وشاقها ان تسخر منه يوماً بعد نقاش حاد بينها حول مشكلة
من المشاكل الاجتماعية فقالت له :

— اصحيح انك احببت هنداً يا توفيق ؟

فاستغرب منها هذا السؤال كما دهش لطرقها موضوعاً كهذا
طالما تحاشت الخوض فيه ، ولكنه اسرع بالاجابة :

— انا ؟ ومن قال لك ذلك ؟

— لا تذكر .. سمعته من كثيرين .

فانتفض كمن اصابته رعدة وقال :

— تلك فتاة ساذجة .. لاطفها يوماً .. فظننت اني احبها .

بيد انها لم تدخل قلبي هي ولا غيرها حتى الآن ..

— اذن لم تعرف الحب بعد !

قالتا باستغفاف ومكر وقد قصدت احداً غير انه اجاب :

— هيهات ان يتاح لي .

— او تؤمن بالحب ؟

— كل الايمان .. ولماذا لا ؟

— كنت اعتقد بك غير ذلك .. فالحب ليس الا اهواء
وميولاً ساذجة تتقاذف القلوب الطرية .. فاذا بالمرء اسير شهواته
وعبد رغباته . اما الحب الطاهر الشريف او ما يسونه بالحب العذري
فهذا شيء نادر الوجود . ولا سياً في هذه الايام .

ما كان موقفها هذا الا ليزيده دهشة واستغراباً .. ويختار
فيها بينه وبين نفسه لهذه الآراء المزمته والتي لا يمكنه الا التسليم
بها ويستغرق مع خواطره مستقصياً غوامض هذه الفتاة فلا يصطدم
الا بطلاسم والغاز .

وكان كلما خاطبها او خاطبته في مسألة من المسائل وكثيراً
ما كان يحدث ذلك عدة مرات في النهار ، يحيل اليه انه يستشف
من خلال نظراتها الساعمة اليه ، شيئاً من الوله والانديفاع . او
يخس بانها تكن له بعض العطف والميل .. ولكنه لا يستطيع
تفسيراً لهذه المعالم !! .. ويتساءل : ترى تحفظ له في قلبها شيئاً من

واضرمتم في نفسها ثورة عاتبة اخذت تضج في اعماقها وتقلق افكارها وخوارطها وهي التي كانت تنتظر على يد ما يلي زنادا عواطفها المتأججة ، ويستجيب لرغبات صباها المنفتح .

وتطلعت الى نفسها فاذا هي الفتاة الناهد التي لا ينقصها جالوقد صدمها جفاً . وألتهها غيرة . بينا لانوثتها عليها حقوق ولقلبها واجبات . وهي بين حقوق الانوثة التي تفرض عليها الاجابة والمجاراة وبين واجبات القلب التي تدفعها الى الانفة وعنفوان الشباب ، وتأبى عليها الرضوخ والاستسلام . . اضحت في حيرة قسالة وفي صراع نفسي عنيف . ولقد كان بإمكانها ان تحافظ على توازن هذين الدافعين القويين في نفسها بالامل والرجاء . . ولكن دخول تلك الفتاة الاخرى بينها وبين فتاها قضى على ذلك التوازن واجبر تار المعركة في صدرها . .

وبينا كان توفيق مستسلماً الى قياولته اصيل يوم صيف وهو يتقلب بين السبات واليقظة سمع حفيف ثوب ناعم هفاف يقترب منه ، وفتح عينيه قليلاً فاذا باسماء . منجنية عليه وقد طفرت الحمرة من وجنتيها وتدانتي نهذاها المضطربان الى صدره . والثقت عيونها ففجرت عن كل شي . . وما وسعها ازا . ذلك الا ان اعلنا تفاهيها بقبلة عجيقة اغلبها بها شغافها دون ان ينبسا بكلفة .

ابوب مروة

رقيات وميرل هي اقرب الى السذاجة منها الى العمق . . ووجدت مشاعره المثوبة لديها منصرفاً فانشغل بها بعض الوقت وخلص الى نوع من المتعة والنشوة أفسأه . ولو مؤقتاً مواصلة التفكير بصاحبه اسماء رغم ان قلبه ما فتى . عامراً بمجها . . ولكنه حب اصبح اقرب الى الاعجاب والتقدير منه الى المناجاة والتشاكى .

وكان اسماء شعرت بهذا الانقلاب الذي طرأ على مجرى حياته واحسنت بشي . من التغير اعترى عواطفه فحوها ، وبقليل من التحمس اصاب رغبة في الاجتماع بها كجاري العادة ، فخطبته يوماً :

— اما زلت مصرأ على انك لم تعرف الحب بعد ؟

— وماذا تقصدين بسؤالك هذا ؟

— لا شي . . افما بدأ الناس يتهايمسون عن علاقتك بهند !

— ايسوؤك ذلك ؟

— ابدأ . (قالتها بشي . من الضيق وقد شعرت بأنه أخرجها) .

— كلا يا عزيزتي . . اني كفرت بالحب .

— لماذا ؟

— لقد نعتني تعاليك !

فكان ذلك انبهاراً لا مألها الطرية وحسية صدمت ميرل قلبها الفص فوقعت في حيرة . ولم ، وقد افسدت العيرة توازنها الطامحة . .



جندري في معسكر الوليد الاموي
فلم عيسى بمبايل سابا

كتب الاداب والتاريخ متعة وسأوى ، وحكمة وعبرة ، تقص علينا احاديث النبيل والشرف ، وتروي لنا مفاخر الوجد والمجد ، وتظهر لنا من صفحات الغاير ما تتردد بين سطوره اصدية مكارم الاخلاق ، وما كان عليه الجندي العربي من اباة وشيم ، تشام منها يوارث العزة والفخر ، في اغانة الملهوف ونصرة الضعيف .

تراث مجيد خلفه الاقدمون وهم غرة في جبين الدهر ، وبسمة حائرة في نعر الابد ، تريك جمال الاعمال ، وكبر النفس ، وتبعث فيك الهمة ، وتحملك على البحث والتفتيش عن ذلك الاثر المحمود .



من ذلك ما جرى في خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي يوم
انفذ اخاه مسلمة الى بلاد الروم فاتحاً ، فسار بجيش كامل العدد
والعدد ، وكتب له النصر ، وكان فحشه ميئاً ، وكان فيمن عرض
عليه من السي رجل شيخ ، رسم الدهر على تقاسيم وجهه سلوراً
تطلعك على افراحه واتراحه ، فامر الامير بقتله لعله حورية . فقال
الشيخ : ايد الله الامير وما حاجتك بقتلي وأنا شيخ قد دلفت الى
سن تنظريني بها الارض ، لتظليني ، فان انت تركتي وغفرت عني
جنتك ياسيرين من المسلمين .

— الامير : ومن لي بن يضمن قولك ؟

الشيخ : انا ايها الامير ، اذا وعدت وفيت .

— مسلمة : لست اثق بك وانت اسيري ، وقد ابليت في
في الحرب ، وأسأت الى جندنا ، وما اسفقت .

— الشيخ : انه الواجب لي مولاي وانت اعرف بذلك مني .

— مسلمة : يا شيخ ! أمن كفييل يضمنك وتقبل ضمانته عندي ؟

— الشيخ : دعني ابحث في معسكرك لاسلي أنصفح الوجوه
فأتعرف الى من يكفلني لديك ، ثم امضي وأبنيك بالأسيرين .

فوكل مسلمة من امره بالطواف معه والاحتفاظ به ، فزال

الشيخ ، يتصفح الوجوه ، حتى مر بقى من بني كلاب ، فالتفت اليه
فرسه ، قرأ عن وجهه صحيفة الرجا ، وحسن الوفاء ، فقدم منه

الشيخ وقال : يا فتى اتضمني لدى الامير وقبيل عليه ما عقره له
فقال الفتى : ليك يا شيخ ، انك ما اخترتني من بين القوم

الا ثقة ، فاخيبت لك املاً ، ومضى معه الى الامير ، وضمنه لديه
ولما برح الشيخ المكان ، التفت مسلمة الى الجندي الفتى وقال :

اتعرف الرجل يا فتى ؟

— الفتى : والله ايها الامير ما وقع لي خبر من اخبصاره
قبل اليوم ، وما رأيت له صورة قط .

— مسلمة : اذن كيف تضمنته وانت لا تعرف من امره خبراً ؟

— الفتى : رأيته ايها الامير يتصفح الوجوه ، فاوقع اختياره

الا علي فكرهت ان اخلف له طناً وقد انتخبني من بين القوم ،
فا اردت ان اخيب له املاً ، لتلا يقال ان المروءة فقدت اصحابها ،
وان اسيراً استغاثت فاعلى ، ودعا فما أجيب .

— الامير : او تعلم انك مسؤول عن ضمانك ؟

— الفتى : نعم ايها الامير اعلم ذلك ولا اجعله .

فلما كان من الغد الباكر ، جاء الشيخ بالأسيرين ودفعهما الى الامير ،
وسأله ان يأذن للفتى الضامن ان يسير معه الى حصنه ليقدم له شيئاً

جزاء معروفه . فقال الامير : ان شاء فليضرب ودرج الشيخ والفتى
الى حصن كأنه على مرقب النجم يحرس دونه الناظر . ولما استقر
بهما المقام ، التفت الشيخ وقال للفتى : أو علم انك ابني ؟ فاسقط
في يد الفتى واخذته دهشة وقال : كيف ذلك يا شيخ ؟ وانا
عربي مسلم وانت رومي .

— الشيخ رويدك بني فلا تعجب ، اخبرني عن امك .

— الفتى : امي رومية ، ففارس فيه الشيخ ملياً وقال : اليك
صفتها ، واستحلفك ان صدقت الا صدقتي ، وشرع يصف ام
الفتى فما يجزم منها شيئاً ، وقال : كيف رأيت يا بني ؟

— الفتى : اي والله انها لكذلك ومن عرفك اتى ابنها ؟

— الشيخ : بالشبه وتقارب الارواح وصدق الفراسة ، ثم
اخرج اليه من الحصن امرأة فلما رآها لم يشك في انها امه ، وخرجت
معه عجوز ، وأقبلت على الفتى يقبلان رأسه ثم ان الشيخ التفت اليه

وقال : يا بني هذه جدتك لامك وهذه خالتك اخت امك ، وخرج
من الحصن ودعا شبان أقبلوا معه ، وعرفهم بالفتى العربي فنهاتوا
عليه بقبولته وعلم خواله وبنو خالته ، واخرج الشيخ اليه حلياً وثياباً

فاخرة وقال : هذه كلها اولدتك قد حفظتها منذ سبت ، فغذاها
معلك وادفع بها اليها فاني استعفه واعطاه لنفسه مالا وثياباً وحمله

على دواب واسقه بمسك مسلمة ، ورجع الفتى الى منزله ، واخذ يخرج
الشئ بعد الشئ ، بما عرقه الشيخ انه لامه ، فكانت تراه وتبكي .

وقالت لولدها : قد وهبتك هذا كله ، ولكن قل لي . اي
بلد دخلت حتى صارت اليك هذه الثياب ، وهل قتلتم اهل ذلك الحصن .

فقال : رويدك يا اماء واسمعي الخبر ، وساقه اليها كما وقع له ،
فكانت جوزيت خيراً يا بني ، ان الشيخ ابني والعجوز امي والصبية

اختي والشبان اخوتي وبينهم ابنا اختي .

هذا خبر صغير قرأته في كتاب خلاصة الذهب المسبوك ، تصرفت
في روايته ، وما اكثر امثال هذه المرويات ، وفيها ما شئت من

كرم وما شئت من خلق عال تستقي من غيرهما الصافي ، وتحيل
الطرف في ثابت الفضل :

فان لنا قري وبعش مودة وميرات آباء مشوا بالناصل

ان الشيخ اعطى مالا وثياباً فنيبت ولما الجندي العربي فقد
ابقي أثراً يروى وثنا يذكر فيشكر :

ولا شيء يودم فكن حديثاً جميل الذكر فالدنيا حديث

عيسى صحابيل سابا

ليست الافراح .. ولا الاتراح
طريقتنا ، أو نهايتنا المحزنة
وافنا علينا أن نعمل ، لكي نجدنا كل غد
ونحن أبعد منا اليوم .

الحيلة واسعة ، والزمن يضي مسرعاً
وقلوبنا ، ولو انها قوية باسلة ،
لا زالت تدق — كالطبول الخافقة —
أحان المسير الجنائزي .. الى القبر !

في ميدان معركة العالم — الواسع
وفي أثناء صفر الحياة وطمانيتها
لا تكن كالأخرس .. قطعاً مسيراً
بل كن صنديداً في قلب المعركة .

لا تتق بالمستقبل مهما كان بهيجاً !
ودع الماضي الميت يدفن ميته
واعمل .. اعمل في الحاضر الحي
وحي من قلبك .. ومن الاله في السماء .

ان حياة العظماء من الرجال
تذكرنا بأننا نستطيع ان نخلق حياة سامية
ونفسي تاركين وراءنا
آثار أقدامنا على رمال الزمن .

آثار أقدام
قد يراها يائس تحطمت سفينته
في خضم الحياة المظلم
فيعاده الأمل .

دعنا اذن نسو .. ونعمل
وحي من قلوبنا أيأ كان المصير
فلنحضر .. ننل ..
ونتعلم كيف نعمل .. وكيف ننظر .

نسيم الحياة

لشاعر الامريكى لونكفلو

١٨٠٧ — ١٨٨٢

H. W. Longfellow

ترجمته

مرضى شرارة

بدراد

لا تردد على مسعبي في صوت نائح :
ليست الحياة سوى حلم فارغ !
وأن الروح الهاجمة لا حياة فيها
والاشياء ليست كما تبدو .

الحياة حقيقة ! الحياة جهاد !
وليس القبر غايتها المنشودة
« انكم من التراب واليه ترجعون »
لم تقل عن الروح .

عنوان القصة الاولى «الحطيئة الطاهرة»

وتدور فكرتها حول شاب فقد ايمانه بالمرأة

والتي فكرت هذه القصة حين يمرض عليها هذا الشاب الزواج
بعد ان طلقها زوجها امله بخيانتها ويقول لها في اخلاص : لا تقولي
شيئا يا ناديا . . انها امرأة شريفة تلك التي تشمر بخجلتيها ومرض
صبرها وراحتها حتى الموت . . لقد كنت أشك في ان للمرأة
التي تحفظ خيبرأ حتى التفت بك ، وأنت اول امرأة ادنى بها
والزوج بأمر الزنا فقط .

أما القصة الثانية فهي «القصص». الأستاذ عاطف رمزي
قصص مصري ربطته بآثر لبناني بروابط المودة والاعجاب المتبادل
فأخذنا يتراسلان ويحملان رسائلهما شئون حياتهما. وتوالى رسائل
القصص المصري على صديقه اللبناني تحمل له أنباء غرامه بفتاة
تعرف بها في قاعة فندق هيلبوليس، وبينهما في إحدى تلك الرسائل
أنه سيخطبها لثلاثة أعيان منها أن تصحب شريكة حياته، ويوقع
الصديق اللبناني بتوفيق صديقه المصري في حبه ولكنه لا يلبث
حتى يتلقى منه رسالة مختصرة يخبره فيها أن صديقته قدمت له
خيراً شأناً حملاً بصفة خلسها وسألته أن يكتب عن حبها قصة.

ألا ترى أن فكرة هذه القصة على شيء من السطحية والتفاهة؟
ولكن علائها حظي بنصب موفور من الجمال.

للاستاذ سبيل ادریس - ۹۵ صفحہ - دار العلم للملایین - بیروت

من بين أتهاء كتاب القصة في لبنان يبرز اسم الأستاذ سهيل ادریس بن الطلیعة بقته الرفیع وأقاصیصه الممتعة وأدبه المتین. وإذا قلنا ان اسم سهیل ناصع فی سما، القصة اللبنانية فإن هذا المعنى المحدد الخاص یتمد ویتمتع حتى یشمل سما، القصة العربیة بمعناها العام. وقد طلع علینا الأستاذ ادریس بمجموعته الأولى المسماة «أشواق» فی عام ١٩٤٧، وأردفها بالمجموعة الثانیة المعنونة بـ «نیران وثلوج» فی عام ١٩٤٨. وأها هذا یحتفنا هذا العام بمجموعته الثالثة «كاهل نساء».

وتمتاز قصص مؤلفنا على العموم بتوافر العناصر الفنية فيها
وبعدنا عن الأسفاف ، كما يمتاز أسلوبه ببنوعية اللفظ وعلم التعبير
وحسن الاداء . اقول هذا في الوقت الذي يطغى فيه على الاسواق
ليل من الاقاصيص التي لا توصف بشئ سوى انها محاولات موفقة
لافساد ذوق القارى . واضاعة وقته وماله . ولعل من الواجب علي
ان اقرر حقيقة تواجه كل من يعنى بإنتاج الأستاذ ادريس ويتبعه ،
هي أن صاحبنا يتقدم بفنه القصصي تتقدماً مضطرباً . فمن الواضح أن
مجموعته الثانية أقوى من الاولى ، ومجموعته الثالثة أقوى من الثانية .
هذا من حيث الاداء . القصصي ، أما من حيث « الفكرة » فيفضل
الي أن صديقنا يسير بطريق عكسي . فقد لاحظت ان العبق في
أقاصيص « أسواق » أبعد غوراً مما هو في المجموعتين الاخرتين ،
ولا أعالي ان قلت ان « السطحية » تغلب على أقاصيص المجموعة
الاخيرة « كلهن نساء » . صحيح أن سهيل ادريس قد قطع شوطاً
طويلاً بأقاصيصه نحو الكمال الفني ، وصحيح ان تصوير العواطف
قد تقدم فيها وارتقت وأصبح بوسع المؤلف ان يعبر أصدق التعبير
عن الخلدات النفسية التي تترتي أبطالها ، لكنه انحدر نوعاً ما في
اختيار الافكار وانتقاء الشخص . أما التبرع في الموضوعات فيؤسفني
كل الاسف أن اقول انه يكاد يكون معدوماً ، فلاستاذ ادريس
ينظر الى الحماة بمظار ذي عذسة واحدة . . . منظار لا يعكس سوى

النفسى الرائع ، وعلى قسط لا بأس به من الطرافة بفكرتيهما الشائقتين . تصور قصة « آثانية » نفسية معقدة لشابة تحاول ان تفرض رغباتها الخاصة على الآخرين ، حتى في الحب ، وتقع في غرام فتى ويقع في غرامها ولكنها لا تسمح له بتقبلها او ضمها الى صدره لانها رغبة لم تصدر من ذات نفسها ، وتذبذب حبيها مدة عامين لا تسمح له خلالها بلبس شفتيها الى ان تقاضيه هي بتلك الرغبة . قصة جميلة ولا شك يوفق فيها الاستاذ ادریس الى تصوير مشاعر المرأة الانانية التي تنشد الاستقلال في الحب .

وتصور قصة « لعنة الحب » حالة نفسية شاذة تعترى عاشقين واهسين . اذا ابتعدا عن بعضها احس كل منهما نحو الآخر بحب جارف ، واذا التقيا حب الى نفسها السأم والعذاب . في هذه القصة يبدع الاستاذ ادریس بتصور العواطف المضطربة والاحاسيس الجياشة شأنه في كل حين ، ولكن مما آخذ عليه هو شيئاً من المبالغة والبعد عن الواقع في رسم صورة العذاب الذي يصيب العاشقين ساعات البقاء .

اما القصة الاخيرة « شر ما فيها » فلاول مرة في هذه المجموعة يقدم لنا الاستاذ ادریس نموذجاً حياً من تلك الناذج البشرية التي يفرح بها المجتمع . فلحداد ابو زهرة شاب في الثلاثين من عمره ولكنه لم يتزوج بعد فهو يتخذ قول الامام علي : (المرأة شر كاهن) شعاراً له ويعتدل ان البعد عن المرأة ضروري لكل انسان عاقل . ولكن الأقدار تلعب لعبتها فيفتح ملهى ليلى امام دكانه . ويثور ابو زهرة ويعلم رغبته بالانتقال الى مكان آخر ، ولكن مما ان تمضي الايام حتى يصبح من رواد الملهى المدميين . ويقع في غرام راقصة شقراء . فيهجر دكانه ويدمن الحمر متخذاً من ذلك الملهى موئلاً دائماً . ثم ينتهي به المصير الى السجن حين يحاول ان يعطن تلك الراقصة بعد ان طلب اليها الزواج فسحرت منه . ولست بحاجة الى القول ان الاستاذ ادریس كان موفقاً كل التوفيق في تصوير شخصية ابو زهرة وتحليل مقوماته النفسية .

قبل ان اتمم كتابتي في هذا الكتاب اريد ان الفت نظر صديقي الاستاذ سهيل ادریس الى تلك الهوة السحيقة التي تحفرها « مئة الصحافة لادبه . اجل يا سهيل ، ان علك الصغني يجنح بأقاصيصك نحو تفاهة الموزوعات وسطحية التفكير وضعف المعالجة ، فان لم تتحرر من قيوده فسيتعذر بأدبك الى درك لا يرضيه عشاقه له . اني في نيتك بذرة القصاص الممتاز يا سهيل وباستطاعتك ان تقدم لنا ناذج بشرة خالدة من تلك التي يعجب بها مجتمعات . اجل

والقصة الثالثة المعنونة بـ « عودة الماضي » قصة جيدة وان كان في فكرتها شذوذ خاطير ، فراهية قد احبت في صباها شاباً وتزوجت منه ، ودام زواجها ستة عشر عاماً حتى التفت بشقيق زوجها فضعفها حباً . لقد رأت فيه ماضي شباب زوجها الرائع . وهجرت زوجها واولادها وفرت معه الى باريس لتستعيد ماضيها . وقد بلغ الاستاذ ادریس الجودة فيها بتصوره النفسي الرائع وتحليله الدقيق لحلجات القلب وتهاويل الضيق ، كما قدم لنا صورة حية للمرأة ذات العاطفة الدفاقة والمشاعر الزهيفة .

ونلج في القصة الرابعة « دموع في الكونتنشال » بريفاً من فكرة قصة « الحطينة الطاهرة » ولكن هذه القصة تمتاز بسطحية المعالجة وتفاهة العرض على العكس من القصة الاولى ، احبت ابنة الباشا في صباها فتى جميلاً قريباً يسكن كوخاً مجاوراً لقصر ابيها . وكانت تلتقي به وراء القصر فيمضتنيها ويقبلها فتستشعر لذة كبيرة ، لكنها تحس نحوه بالازدراء حين تتفقق عنه لفرقه وغناها وضعته ونيلها . ومضت الايام وتزوجت من شاب جميل ثري فنسيت صاحبها القديم . ثم جاءها في يوم من الايام يطلب منها مالا ، حين ذرته انبعث في نفسها حشد من المذاذات الفاتنة ، فضعفت وضعف ، وفاجأها زوجها وهما مستلزمان للحطينة ففجح ولم يعد ولكنها كتبت له رسالة تعترف له فيها بكل شيء . وتطلب منه الصفر والغفران ، فضعف عنها وغفرا سفلتها وعاد اليها من جديد . وفي القصة التالية « الامواج الجائئة » تتدهور الفكرة الى الخضيض تفاهة وسطحية ومعالجة . فوداد شابة لعوب لا هم لها سوى اصطلياد الشبان على شاطئ البحر بلعبة ساذجة ، فهي تتظاهر بالفرق امام الشاب الذي يقع عليه اختيارها فيخف الى تجذبتها وبذلك تعند بينها صلة الصداقة ، لكن حياة هذه الفتاة العابطة ما تلبث حتى تنتهي بالفرق .

وما قلته عن قصة « الامواج الجائئة » اقله عن قصة « الحائبة » وان كان التحليل النفسي في الثانية اقوى مما هو في الاولى ، فهي قصة فتاة حائرة في عواطفها مضطربة في حياتها الغرامية . تعرفت بأخوين جميلين وبأدلهما كل منهما الحب . ولم تكن تعلم اول الامر لاي منهما تلبث ، ولكنها ادركت انها تحب الشقيق الاصغر عندما تقدم الشقيق الاكبر لحظيتها . ورضت بالحطبة على امل ان ينفسح لها المجال للاتصال بالشقيق الاصغر ، فلما خيب هذا املها فسحفت الحطبة . وتقف قصتا « آثانية » و « لعنة الحب » على قدم المساواة في قيمتها الفنية . وعندي انها على حظ موفور من الجودة بتعليقها

ان يوسعك ان تصفنا بصورة خالدة من حياة مواطنيك، ولا تحتاج لكي تقدم لنا تلك الصور الا الى شي. من التركيز والنظر الى الحياة بمظار متعدد العدسات .

افاهرة

شاعر فصحك

تبر الورد

للاستاذ عدنان الذهبي - ٨٨ صفحة - دار الفكر العربي - القاهرة

مسرحية مزجة يطالعنا بها الأستاذ عدنان الذهبي بعد مباحث عميقة قرأناها له في «الاديب» و«علم النفس»، إبطاها قليلة، ولكن كل كلامهم يرمز الى فكرة بعينها ويؤدي رسالة لا يقصد سواها. فهناك «شليت» وهي راعية تهوى حبياً بجولاها الطبيعية في انطلاقتها، والبيداء في جبالها والبحر في سحره، والباقي في زرقها الدائكة الفاتنة، انها تحب بلا مطيع، تحب للحب نفسه.

وهناك «الملك سلجان» صاحب الدور والقصور والامسا، والجواري، انه طالب اللذة يريد اقتناصها. فيطارد الراحية عساه يظفر منها يا يثمن غليل فؤاده الصادي. فهو ساعه يداهنها ويدعها وتارة يعرض عليها المغاات والمغريات، وتارة يأمرها ويستبد بها، وتارة ينسى سطوته وجاهه ويكاد يقبل قدمها. ولكنها هي التي لا تتغير ولا تتحول، فالطبيعة هواها، والانطلاق عشقها والادب والرحية مجالها، اما القصور والعازر فهي قيود وسجون الانساني. نفسها المدرجة لهاقة. فسلجان يمثل الحب النفعي او الوصلي والانانية. وهناك شخص ثانوي، ولكنها تؤدي ما طلب منها ادائه، فأم الراحية ترمز للتراث الديني، ومرتبة سلجان تمثل المعرفة وكبير الامنا. يدل على الحكم والجاه، وهكذا.

وابرز ما تلحظه في مسرحية «نشد الانشاد» هو ازمة الشك التي تستبد بالراحية، فهي ترى حبيبها رأي العين، ولكنه كالمراب الحذاع. وهي تضرب في بيدا. تاحلة تريد ان تبلغ اثر نفسها، ولكنها لن تبلغ شيئاً لانها على غير هدى تسير، وفي اسار الواقع تكبل قدمها. وتذكرنا هذه المسرحية من حيث الاوهام التي يسير وراءها ابطاها «بمسرحية» البطلة المتوحشة The Wild Duck للكاتب النرويجي الكبير ايسن. فطل هذه المسرحية ضابط متقاعد راح عنه محب الخيش وبطلوته واصبح صريعاً لحباله يكلف بالعظمة ويدعها ويطلبها ولكن بلا جدوى.

ولكن مسرحية الأستاذ الذهبي اقل تعقيداً أو تشابكاً من مسرحية «ايسن»، بل انه لم يحفل كثيراً بالمسرح وكيف يكون

تنسيق الاثاث فيه والمناظر التي يوحى بها. وهو بهذا يدع للزج مجالاً كبيراً يستطيع فيه ان يصور الرسوم التي يراها مطابقة لواقع الحال، ويستعين بما يعوزه من اثاث ومستلزمات.

اما الحوار الذي يدور على ألسنة التبايرين في هذه المسرحية، فهو اقرب الى السليقة والطبيعة منه الى التصنع والكلف. ولكن تقطعه في بعض فصول الرواية يزيد مهمة القارئ. عسراً، وهو عسر قصير الامد على كل حال.

هذه محاولة اولى للاستاذ عدنان الذهبي، وإحاطة بمحاولة موفقة وبداية طيبة. وهو يباحث في الرمية انما يترادافاً جديداً في الادب العربي يوشق لنفسه، وتغيره، طريقاً غير مطروقة. وإذا كان مجال المسرحية لا يسمح بالتعرض للباحث العلمية المستفيضة، فان عكوفه على الدراسات الرمية سيجد له منفذاً آخر مما قريب.

افاهرة

وربع فلسطين

الكواكب السائرة بإعياه الله العاشر

كتاب نواضع الشيخ نجيم الدين التري- الشافعي- وهو اديب ينحدر من بيت علم وجاهه. والظاهر انه اراد في عمله هذا ان يحنو هذه جلد- رضي الدين التري- الذي سبق بدوره الى وضع كتاب في تراجم اعيان القرن التاسع رتبته على حروف المعجم بلسان الحمدني والاحدين الذين زعم الصفحات الاولى من مؤلفه تبركا وتيسنا. وهكذا فعل حفيده نجيم الدين. وعنوان الكتاب الذي نحن بصدده كاف للتدليل على محتوياته. فقد عني واضعه باعيان الملة العاشر- وبين هؤلاء من الفقهاء والادباء والشعراء- من هو جدير بالدراسة. ولقد احسن استاخذنا الدكتور جبرائيل جيور في تحقيق هذا السفر الادبي النفيس الذي يلقى ضوءاً على معالم تلك الحقبة القاتمة من تاريخنا الادبي. فلقد درج المحقق في عمله هذا على طرق علمية جامعية دقيقة بحيث انهم يعتقد نسخة واحدة بل نسخة مختلفة مما وقع في متناول يده من ذلك نسخة الازهر ونسخة جامعة بيروت ونسخة المكتبة الفاهرية وهي التي اعتمدها للتأريخ لوضوحها وضبطها. وهذا هو يضع بين ايدي الادباء. الجزء الثاني من كتاب الكواكب السائرة- طبع هذا الجزء- منذ شهرين تقريباً في مطبعة المسلمين اللبنانيين- جونبة- في حين ان الجزء الاول طبع في المطبعة الامورية- بيروت- وهذا الاخير يقع في نحو ٢٦٠ صفحة من الحجم المتوسط. وهذا ولاد كبر جبرور جولا متوقفة في ميدان البحث الادبي العلمي، حسبنا من ذلك دراسته كتاب العقد لابن عبدربه

وربع دب



جولة للفكر في شهر

كفر السفينة سائنا كروز

جهاز لم يسبق اليه ، كانت جميع الدلائل تشير الى انه ضالته المنشودة .

وقد بادروا الى تسجيل اختراعه ، وعكفت انا على دراسة هذا

الاختراع ، فلم اجد فيه نقصاً واحداً ، بل وجدت جميع الشروط اللازمة متوافرة فيه ثم عدنا الى تجربته في بوميت سوند تحت اشراف وزارة البحرية ، فوضعنا في الجهاز قطة وانزلناه الى عمق خمسة آلاف قدم ، وما كنا نشد به ونفتح بابه لئلا نرى ما حل بالقطة حتى وثبت بكامل صحتها وحيويتها . فذهلت لهذه النتيجة ، لاني كنت اعرف ان ضغط الماء تحت هذا العمق السحيق حري يان يحطم كل جهاز على هذا الشكل . . . وتجلب الرقيق في في وانا اتصور الكنوز التي بات في وسعي الحصول عليها بواسطة هذا الجهاز العجيب .

ولكن ما ان عاودت بجثي مع رومانو ، حتى بدا لي انه عدل عن استخدام جهازه بصورة فورية ، وان ينوي بيع اختراعه للحكومة بشن ضم ، فلاحقته بطلي والاحمي حتى قبل اعطاني الجهاز لاستخدامه مرة واحدة كجربة لكنه اشترط مقابل ذلك ان اصنع له تسديد النفقات التي كلفه اياها هذا الجهاز ومنها نفقات التجارب الأولية التي قلم بها ونفقات التسجيل ، وقدرها خمسة آلاف دولار . اذا تعطل جهازه اثناء تجربتي ، وان ادفع له مبلغاً كبيراً من المال اجراً للجهاز فلم ترد في قبول شروطه ولكنني شعرت بعد دفع المبلغ الذي طلبه بان ما بقي لدي من مال قد لا يكفي للقيام بمقامتي الكبرى .

وجلس ذات ضعى ادوس الخرائط التي لدي لالعين المكان الذي ينبغي لي القيام فيه بهذه التجربة الخطرة ، والذي يجب ان اخرج منه بثروة عظيمة . وكان الى جانبي مساعدتي الريان لوش يمدني بنصائحه الشئمة ، فدخل علينا شاب يدعى جورج كينان كنت قد تعرفت عليه منذ سنوات عدة ولم اجتمع به بعد ذلك ، وقال لي انه يريد مرافقتي في مقامتي ، فأجبتني قد اتفقت مع جميع المساعدين والنوتية الذين انا في حاجة اليهم ، ولدي مائتة طلب جديد وليس ينقصني غير غواص ماهر ، فقال انه قد ورت بعض المال وهو يريد ان يكون شريكاً لي .

واسألني كنت في حاجة الى شريك تلك بعض المال لاني بت صفر الدين وكنت اخشى ان تنجم نفقات جديدة لا استطع

زفر

في اعماق البحار آلاف السفن ، ويحتوي بعض هذه السفن كنوزاً تكاد تشبه كنوز الاساطير ، ولكن الوصول اليها صعب جداً ان لم نقل انه ضرب من المستحيل ، فقد استطاع بعض السباحين الماهرين الغوص في غور اليم الى عمق ثلاثمائة قدم ، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون تجاوز هذا الرقم لشدة ما يتعرضون له من اخطار .

واذا تخيل القاري ضخامة تلك الكنوز التي غرستها المساء واحتجوتها في اعماقها ، فلن يتحمله اي دهن حين يعلم انه كثيراً من المهندسين والعلماء والمغامرين كانوا لا يفتأون يبحثون عن طريقة يستطيع المرم بواسطة المبوط الى اعلى السحيق في غور الماء ، والعمل هنالك في امان ، لاجراء تلك التفتت الخرافية .

الشروع في المغامرة

من هؤلاء المغامرين شاب اميركي يدعى هاري . أ. ريزبرغ كان يغوص الى عمق ثلاثمائة قدم ، ثم بدا له ان يقتحم الاخطار التي تكمن فيها وراء هذا العمق ، طمعاً بالكنوز الدفينة . وقد سجل هاري ريزبرغ تفاصيل مغامرته بنفسه ، ونحن نلخصها عنه في ايلي : اختارت اوجين . ج. رومانو لاحداثه برغيتي ولم يكن رومانو نوتياً ولا رائداً من رواد البحر ، ولم يسبق له ان مارس مهنتي ، مهنة البحث عن الثروات الدفينة في اعماق اليم ، ولكنه كان من الشبان اللاتبين وقد سجل اختراعات صناعية عدة ، وكان الى ذلك مولعاً بمطالعة ما يكتب عن هذه الثروات ، شغوقاً بتسبع انباء الباحثين عنها ، وقد اطلعت على تجارتي كلها ، وقلت له ان المبوط الى الاعماق متعبداً انتج التشكيل حتى الآن من وسائل الغوص . وكان رومانو صاحب مرأب ، فأخذ يحاول صنع جهاز جديد للغوص ، وبعد تصاميم عدة وتجارب كثيرة ، استطاع ابداع

تأميمها فأفقد كل شيء ، فقلت له :

— اصعب يا جورج . اني اقبل مشاركتك على ان تدفع ثلثي النفقات ، اما الارباح فنقسم بيننا مناصفة .

فوافق جورج كينان على اقتراحي دون تردد ، وما هي الا اسابيع حتى كنا ننقل الجهاز الى الباخرة التي اعدناها لرحلتنا ، وكان هذا الجهاز كتلة ضخمة من الحديد والفولاذ تزن ثلاثة آلاف وتسعمائة ليبره ، وتشبه انبوباً عظيماً ، وقد بلغت سماكة جدرانها اصعباً ونصف الاصبع لمقاومة ضغط الماء . وله ذراعان يتحركان بالقوة الكهربائية في جميع الاتجاهات وفي نهاية كل منها ملزمة دقيقة حتى تستطيع التقاط قطعة النقد الصغيرة ، وقوية حتى لتبلغ قوة ضغطها خمسمائة ليبره ، وحين ينظر المرء الى ضخامة رأس الجهاز والى الطاقين الواسعتين في هذا الرأس اللتين تشبهان عيني كبرتين لا اهداب لهما ، فيحس اليه انه يرى حيواناً جباراً من تلك الحيوانات البحرية التي تحدث عنها الكاتب الانكليزي ه. ج. ولز .

وبديهي ان هذه الآلة كانت متصلة بانابيب عظيمة تصلها بسطح البحر وتؤمن لمن يكون فيها الهواء النقي ، ومنه وتصل الى كهربائية خارجية كثيرة كلفة . بان تنير امامه اعماق البحر ، اما داخلها فكان رجباً وقد توافرت فيه جميع الوسائل اللازمة لتسيير الآلة وتحريك ذراعيها وفق ما يشاء الرجل الذي في داخلها ، كأنه يقود سيارة في البر كما وضع تحت ستار هذا الرجل جهاز تلفون للاتصال بالسفينة ، وجهاز لتكييف الهواء ، واحتياطي من الاوكسجين يكفي لمدة ست عشرة ساعة .

وقد قت بتجربة الجهاز بنفسي في مياه البورتومالك فوجدته يختلف تماماً عن الروبوت المصنوع من الكاوتشوك ، وحريراً حقاً بأصول ين فيه الى الاعماق دون ان يتأثر هذا بضغط الماء ، ولكني كنت اخشى شيئاً واحداً ، هو ان يتعرض الروبوت الحديدي في تلك الانحاء المجهولة من قعر البحر الى دواماتي يتلف جميع الانابيب والاجهزة التي تصله بالباخرة ، لان هذه الانابيب والاجهزة معها كانت قوية فانها لا تستطيع الصمود لدواماتي عظم مثلاً تصمد صفائح الروبوت الفولاذية السمكة .

لقد ارتعت لهذه الفكرة وتصورت الغواص المسكين وقد انقطعت صلته بالباخرة ، بل بالدنيا كلها ، فلبث ينتظر في سجنه حتى نفد زاده من الاوكسجين .. ولكني لم اتوقف كثيراً عند هذه الصورة المروعة ، لثلاثتني عن المضي في معامري ، وتابعتا طريقنا في غزم واصرار .

واقترحت على شريكاني ان تكون وجهتنا الى شمالي جزيرة سانت هيلانة حيث غرفت السفينة سانتا كروز بينا كانت تحمل مقداراً كبيراً من الذهب والنقد لمساعدة ملك انكلترا شارل الاول ، اثناء الثورة التي ذهبت بعرشه وطوحت برأسه . واطلعه على الوثائق التي لدي بصدد هذه السفينة والموضع الصحيح الذي غرقت فيه ، ولكني اضفت قائلاً ان هنالك فيا يقال لعنة حول حطام هذه السفينة ، فما حاول غواص قط المبروط اليها الا ولقي حتفه ، وقد هبت في خليج مانتا ربيع عاصفة على بعشرين شخصاً الى تلك المنطقة للبحث عن بقايا السانتا كروز فأغرقت مركبها وأودت بجميع من فيها .

فضحك صاحبي وقال : — هيا بنا الى خليج مانتا .. الى حطام السانتا كروز !

لغز خليج مانتا

وكننت قد تعاقدت مع غواص ماهر واحضرته معي ، ولكننا لم نؤكد نبلغ بناما حتى التفتنا هناك بالقواص الاسباني سبيك ، وهو من امهر غواصي العالم فتفألت بذلك وتعاقدت مع سبيك للعمل معنا . وتابعتا رحيلنا حتى بلغنا خليج مانتا حيث يوقد حطام السفينة سانتا كروز وفي جوفه من الكنوز ما يبلغ قيمته ثلاثة عشر مليون دولار ولا يدعنا من ان زوي قصة هذه السفينة الغريق . لقد ظلت انكلترا واسبانيا تتنازعا طوال القرن الثامن عشر ولكن بين كل حربين كانت تقوم بينهما هدنة طويلة ، وحين ثار الشعب الانكليزي على ملكه بقيادة اوليفر كرومويل ، وخلعه من العرش ، هبت اسبانيا لمساعدة الملك الطريد ، واخذت تعد في سبيل ذلك حملة عسكرية ، وارسل ملك اسبانيا رسالة الى بيرو يطلب فيها من كبار التجار والمزارعين في ليا المساعدة في نفقات هذه الحملة ، فبجع الاسبانيون في بيرو مقداراً كبيراً من المال وارسلوه على ظهر السفينة سانتا كروز ، وغادرت هذه السفينة المرفأ في صبيحة اليوم السادس عشر من كانون الاول سنة ١٦٨٠ متجهة الى اسبانيا ، فتمرس لها القرصان ، وخشي الزبان مواجهتهم ، فانجى بالسانتا كروز شطر بناما ولحق به مركب القرصان . ولكن السفينة المثقلة بالاحمال ما كانت تستطيع الهرب من مطاردة المركب الخفيف السريع ، فما لبث هذا ان ادركها واخذ يهددها ، ولم يعد هنالك بد من خوض المعركة .

تفقد الزبان سفينته فوجد رجاله عن استعداد للقتال ، ولكنه وجد ايضاً حشداً من النساء والاطفال قد تجمعوا خلف كاهن السفينة

وكانهم يلتصقون النجاة على يديه . فنفق قلبه رعباً ولم يحراً على القتال لانه لمع بين هذا الحشد المروع وزوجه وولديه . . وهجس في خيال الرجل خاطر خيل اليه انه سينقذ هؤلاء . الاجزاء الذين يقتديهم بكل شي . فأعلن استسلام السفينة ، وقال لكبير القراصن اذ جاء مع رجاله ان يحمل مقداراً كبيراً من الذهب ، وهو على استعداد لتسليمهم اياه ولا يرجو مقابل ذلك الا ان يذهب بسفينته ومن فيها بأمان ، فكان جواب القراصن له انهم حاولوا والقوا به في العم . . ثم انقضوا على السفينة ينهبونها ويأسرون رجالها ويفتشكون بكل من يحاول المقاومة منهم . وجاء دور النساء ، فاذا بالسكاهن صامد امامهن يريد ان يدفع عنهن شر القتل . . فضحك هؤلاء . وتقدموا نحو فرانسهم في شرارة ووحشية . وذعر السكاهن لهذا المشهد وصرخ فيهم :

— ايها السفاكون الاشرار . من اجل المال تقتلون وتنهبون وترتكبون المحرمات . لقد شوهدت عباداً للمال نفوسكم وجعلتكم عبيداً لاحاط غرائكم فما عدتم تكتفون به ولما تريدون ان نخدوا ايديكم المجرمة الى هؤلاء النساء البريئات . خدوا ما لكم وافهوا من حيث جئتم والا حلت اللعنة عليه وعلىكم .

فاستمر القراصن في الضحك . واحدهم يمسك بالزبل وماذا يبيع عاتية تب فجأة فتدفع بالسفينة نحو خليج سانتا . وترتطم بالصخر هناك ، فتسحق وتقيب في الاعماق .

بلغنا خليج سانتا واخذنا نستعد للغامرة الكبرى . وكانت الرياح عاصفة فانظرتنا حتى هذات ، ثم تحمربنا عن حطام السفينة وتركنا باخرتنا ترسو حيث خيل اليها ان ضاللتنا هناك .

السفينة الضيقة

تم الاستعداد للتجربة الخطرة ، ونهبا كل شي . واخذ كل شخص مكانه لاداء المهمة التي انيطت به . وارتدبت انا ثياباً صوفية اتقا للبرد الذي لا بد ان اشعر به في غور البحر حيث يكون الماء اكثر برودة ، ودخلت في الروبوت ، واغلقت بابي علي ، وبدأت اهبط الى الاعماق :

لم اشعر بضيق ، واخذت اخاطب مدير القوة الكهربائية بالتلفون وسألته ما هو العنق الذي وصلت اليه ، فاجاب : — انني عشر باعاً . وسألني بدوره هل ارى شيئاً غير الماء . فاجبته بالنفي ، ثم قال : — انت الآن على عمق ٢٠ باعاً ، فهل تلاحظ شيئاً ؟

— كلا . وقد بدأ الظلام يسود شيئاً فشيئاً .

— هل تستطيع رؤية القاع ؟ — كلا .

— كيف ترى الماء فوقك ؟ هل هو صاف ؟

— انما ليس كثير الصفاء ، فهو قليل الخضرة في اعلاها وقاتم في اسفله وصمعت من خلال جهاز التلفون صوتاً يصرخ — خمسة وعشرون باعاً !

وفي تلك اللحظة نفسها شعرت بان الروبوت يلامس قعر البحر ويقف ، فبادرت الى ائارة المصابيح فتشقت النور ضالة الماء . وامتد الى مسافة بعيدة منيراً قاع اليه الذي بدا لي على جمال اخاذ . ويبدو اني قد ارسلت صيحة اعجاب ، لان المدير الكهربائي سأني : — ماذا هناك يا هاري ؟ — لست استطيع الجزم بشي . . اني ارى شيئاً امامي ولكن ربما كان صغيرة . ادفعوا بي الى امام . فتقدم بي الروبوت الى الامام مرة ومرة ، ثم هتفت . — هذا هو الحطام !

واضحت لي اني قد رأيت السفينة القريق ، وقد غرزت مقدمتها في البحر وارتفعت مؤخرتها ، فدنوت منها فرحاً واخذت اتأمل فيها . لم اكن على يقين بانها السانثا كروز ولكني ماكدت اراها من كسب ، حتى ايقنت بانها ان لم تكن هي نفسها فهي سفينة اسبانية اخرى من سفن القرن الثامن عشر ايضاً .

وبدأت يداي ، اويدا الروبوت القولاذيتان على الاصح ، لتتحريان في السفينة . وكان اول ما وقمت عليه مدفعان جميلان من مراحق ذلك الزمان . وقعدت الروبوت الى سطح السفينة ، بينما كانت يداه تحيطان بالعتبات التي تقري وتزيلان الانقاض . وشد ما شاهدت من حطام السفينة ، ووجدت في احدى العتبات صندوقاً من الحديد . كنت ابحث عن الصناديق الحديدية التي اودع المال فيها ، ولم اوفق في العثور عليها ، وقد تعذر على الوصول الى قسم كبير من السفينة لان هذا القسم قد انغمس بين صخرتين كبيرتين ، فخطر لي ان الجأ الى الطريقة الشائعة في انتشال حطام السفن بالديناميت ، ولكنني خشيت ان تتسحق بذلك الصناديق الحديدية التي ابحت عنهما ، فاكثفت بهذا القدر من النجاح واجلت مواصلة البحث الى غد ، وطلبت من رفاقي اعادتي الى السفينة ، فاكادت بلغها حتى فرحوا بي واخذوا يسألوني عما رأيت ، فوصفت لهم ما شاهدته ، فقال لوش : — هل تعتقد بانها السانثا كروز ؟

— لست ادري ، ولكن السفينة اسبانية وهي من سفن القرن الثامن عشر وقد عثرنا عليه في نفس المكان الذي تؤكد الوثائق التي لدينا ان السفينة سانت كروز قد غرقت فيه .

وبدا على شريككي كياناً كأنه تذكر شيئاً ، فقال : — هل تعرضت في القاع لحطام ؟ — اي نوع من الاخطار تعني ؟ فتردد قليلاً ثم قال مبتسماً : — الا تذكر حكاية اللعنة التي حدثتني

عنها ؟ حسناً . يبدو ان الارواح مضربة هذا اليوم .
ثم ضحك وقال : سرنا وجدنا الكثير غداً .

الكنز

عدت في اليوم التالي لمتابعة عمي وانا اكثر اطمئناناً واعظم ثقة بالنجاح ، وفيما اناضع اصابع الديناميت في الامكنة التي عينتها لها في جوانب السفينة ، رأيت حوتاً كبير الحجم يدنو من الروبوت فيلامس بغمه الانابيب التي تصله بسطح السفينة ثم يضي في طريقه فيفرخز الجهاز الحديدي من مكانه شيئاً ما ، وما كاد يغيب عن نظري حتى عدت الى عمي فأخبرته وهممت بإبلاغ ذلك الى رفاقي ليصعدوني الى سطح الباخرة ، واذا بالحوت يعود وهو يتراى ويتجه شمالاً ثم يعود فيتجه شيئاً ما ، ويصعد قليلاً ثم يعود الى الهبوط فادركت انه يعساني ازمة ما ، وايقنت بان الروبوت الساكن لا يمكن ان يكون هو الذي اثاره على هذا الشكل ، ونظرت من الطلاقة الخلفية فاذا هنالك اخطبوط عظيم الحجم تتراى اذرع المتعددة وتتقد عيناه الغريبتان بصورة مرعبة . واشتبك الحيوانان الحياران في صراع وهيب لم يسبق لآسان انراه . وكان الحوت هو البادئ .
بالهجوم بالرغم مما بدا عليه من ذعر ، فانقض على الاخطبوط مرات عدة محاولاً ان ينهشه بسانته المائلة ، والاخطبوط يتحاشى الوقوع بين فكليه ولكنه يدنو منه مع ذلك شيئاً فشيئاً حتى اذا خيل اليه ان الوقت قد اذف للانتقال الى الهجوم ، اطلق عليه باذرع القوية واخذ يصصره محاولاً القضاء عليه ، والحوت يتضبط دون ان يستطيع الافلات من هذه الملازم القاتلة القوة والمرونة حتى لكانها مطاط وحديد في آن واحد . ثم حله ومضى به .

وعدت الى السفينة فأذنت للمدير الكهربائي بتفجير الاقلام ، واذا بحطام السانكا كروز يتطاير ويتناثر على سطح البحر .
وحين هممت بالهبوط في اليوم الثالث ، دعوت سيبك الى مرافقتي ليكون شاهداً على التجربة ، فاستوى في آلة الملاحة بالجهاز وخاصة بالتصوير ، واستويت انا في الروبوت ، وتزلنا الى الاعماق ، ومضيت الى عمي فما هو الا قليل حتى طلبت من رفاقي ان يرسلوا الي آلحل الصندوق لاني وقمت على الكثير .

صعد الصندوق الى ظهر السفينة وبقيت انتظر في جوف الماء ، واذا بصاحبي يتنقون بعد قليل : - انها اوان ذهبية !
ثم تعالت ضجعتهم ، واخذوا يقرأضون ، وسمعت من خلال جهاز التلفون ضريات مطارق واصوات لاغطة ، فسألت : ماذا هناك ؟
فأجابني المدير الكهربائي بكآبة : - انها ليست آوان ذهبية

ولكنها مغطاة بقشرة يقيتمن الذهب على طريقة القرن السابع عشر .
فتولاني الجرع ، وعاودت البحث في أنحاء السفينة ، وفيما انا اقوم بعمل في كثير من الام وقليل من الرجا ، رأيت وحشاً رهيباً يتقدم نحوي وما كاد يدنو مني حتى عرفت انه اخطبوط ولكنه اضخم اخطبوط يمكن ان يتصوره المرء . لقد اقبل هذا الوحش وهو يتأوى مسرعاً لى ما نضع انا في الزاوت وسيبك في آتله الثانية ، فتذكرت شريكى جورج واللوحات التي رأيتها في طفولتي لوحوش ترصد الكنوز ، وقلت ان كانت هنالك لعنة ترصد كنوز السانكا كروز حقاً ، فان هذا الوحش هو اشنع لعنة واكثرها رهبة !

واحاط الاخطبوط بالآلة التي جلس فيها زميلي سيبك وقبض عليها بأذرع الجبارة واخذ يمزها ويحاول تحطيمها . فاستولى علي الذكر ودنوت منه ومددت يدي الروبوت الفولاذيتين وقبضت بهما على احدى الاذرع الوحشية وضغطت عليها بقوة خميالة ليبره فانقطعت ولكن الاخطبوط لم يتخلع مع ذلك عن فريسته ، واكتفى بأن ارسل حواله مادة سوداء صبغت الماء . واحاطته الى ظلام .

وتأملت رفاقي بالتلفون ان يصعدوا بنا حالاً وعاودت هجومي على الحيوان المريع فقطعت ذراعاً ثانية من اذرعته ثم ثالثة ، وهو يابى التخلي عن الآلة الجبارة التي حسبها صيداً نفيساً ، ولم يفعل ذلك ويلاذ بالفرار الا عندما انطفأ سطح الماء ولم يبق من اذرعته الا سوي ثلث .
وكان سيبك فاقداً وعيه ، فلما افاق صرخ دهشاً : - يا الهي ان هذا الاخطبوط في حجم باخرة !

فقلت مؤكداً : - وباخرة كبيرة ايضاً !

وعيناً عدت في الايام التالية الى بقايا السفينة ابحت فيها عن ضالتي ، فاني لم اجد اثرأ للنفود الذهبية . ولكن فيما انا اتحرى المرة الاخيرة وقد قطعت الرجا . وقع نظري على صندوق . صندوق حديدي فاستديت في الفرح واخرجت الصندوق الى الباخرة . واذا به مفعم بالنفود الذهبية .

واحتلنا تلك الليلة باكتشافنا ، ولكنني كنت في شك من اننا قد اكتشفنا حطام السانكا كروز ، لان الوثائق التي لاريد في صحتها تؤكد ان صندوق هذه السفينة كان يجتري اضاف المال الذي وجدناه في الصندوق الذي عثرنا عليه .

قال شريكى جورج : - اذا كان ما نقوله حقاً فلنجدد البحث اذن عن بقايا السانكا كروز !

فقلت : نعم . لسوف اجدد البحث عنها ، ولكن في وقت آخر ، اما الآن فيكفي اننا لم نعد من رحلتنا خائبين !

أبناء القتال في استعرا

بأنشاء ليبيا موحدة ذات سيادة ، على أن تسم بريطانيا زمام الحكم إلى الليبيين في أول كانون الثاني عام ١٩٥٣ .

١٤ - أصبح الخطر محققاً جوهرياً المستعمرة البريطانية الصينية وقد صرح قائد الجيش فيها أن بريطانيا مصصة على الدفاع ضد أي كان .

١٥ - احتلت مصر احتلالاً رسمياً بالغاء المحاكم المختلطة وهي التي أنشئت في عهد الخديوي إسماعيل والتي تقتضى مهادنة مغرور وقد تسلم مقاليدها وفي العهد نائباً عن الملك فاروق .

١٦ - نفذ في بوداوست حكم الإعدام شتقاً بالسيور راجك وزر خارجية البحر السابق وأثنى آخرين وهم الذين ادبوا بتهمة التجسس والمخانة العظمى والتعاون مع المارشال تيتو .

١٧ - أخفق جول موك ثانية في مشروعه لتأليف حكومة فرنسية انتلافية .

١٨ - أذرت المارشال تيتو روسيا بأنه إذا نشبت الحرب في يوغسلافيا فذلك لا يعني أنها ستعصر فيها ولكنها تكون حرباً عالمية .

١٩ - توفي مارشال الاتحاد السوفياتي فيدور ايفانوفيتش تروبيوخين أحد الأبطال المشاهير في الحرب الأخيرة .

٢٠ - فازت يوغسلافيا بعضوية مجلس الامن الدولي ضد تشيكوسلوفاكيا ، وقد احتج وزير خارجية السوفيات فيشنكي قائلاً بأن حكومتها لا يمكن أن تعتبر هذا الانتخاب .

٢١ - نفتت الحكومة المجرية الانبا، التي اذاعتها يوغسلافيا عن احتشاد قوات مجرية على الحدود .

٢٢ - اشاعت المصادر الدبلوماسية الغربية بأن روسيا شيدت مراكز للصواريخ على الحدود الرومانية اليوغسلافية - وولت تعددا من الجزر الابالانية الى قواعد للقوات والطوييد .

٢٣ - وعد وزير الدفاع الأميركي مجلس الشيوخ بأن أي امر عسكري أميركي لن يفضى به الى أي بلد يثور وراثته أحد الاعضاء الشيوعيين .

٢٤ - تجسم شركات الانبا العالمية على أن الياناف أصبح في الأسابيع الأخيرة أخطر منطقة في أوروبا ، فقد كثرت فيه الحوادث الداخلية والمخارجية وأصبح حدوث الانفجار امراً متوقفاً بسبب توتر العلاقات بين دوله .

٢٥ - أذرت المارشال تيتو روسيا بتحمل مسؤولية العواقب التي قد تترتب عن إلغاء معاهدة الصداقة والمساعدة المتبادلة مع يوغسلافيا وعن تقلات الجيوش الروسية على الحدود اليوغسلافية .

٢٦ - أحم راديو موسكو الدول الغربية بتجزئة ألمانيا بحجة السير بها الى الديمقراطية . - أذاع راديو بلغراد أن تخمين فرقة روسية قد أحدثت في البلدان للتاخمة ليوغسلافيا .

٢٧ - نقضت تشيكوسلوفاكيا معاهدة الصداقة المعقودة بينها وبين يوغسلافيا .

٢٨ - قدمت روسيا مذكرة احتجاج الى الدول الغربية الثلاث على تأليف حكومة منفصلة لتيج تسم ألمانيا .

٢٩ - أذاع الروس أنهم سوف يعرضون معاهدة صلح مع الحكومة المجرية الألمانية الشيوعية التي ستألف في ألمانيا الشرقية ويصبحون بعد ذلك جيوش الاحتلال الأجنبي .

٣٠ - قبل السيو روبرول رئيس الجمهورية الفرنسية استقالة السيو كروي رئيس الوزارة . - برزت في أوروبا دولة جديدة .

٣١ - الشرقية وقد قرر مجلس الشعب الألماني في للمنطقة السوفياتية أن يحول قسمة الى مجلس نواب .

٣٢ - حجاج القوات الشيوعية الصينية بحطة « فان سيانغ » للسكة الحديدية وهي تبعد ١٢٠ كيلومتراً عن كاتون عاصمة الوطنيين .

٣٣ - وقد قررت الحكومة الوطنية اعتقال مدام سان بات من ازملة مونس الجهورية الصينية .

٣٤ - صرحت المصادر الشيوعية التشكوسلوفاكية في براغ بأن حركة نظير واسعة النطاق تجري الآن في تشكوسلوفاكيا .

٣٥ - انتخب ويلهلم بيك رئيساً لدولة ألمانيا الشرقية .

٣٦ - صرح المارشال مونتومري بأن تقدموا ملحوظاً في الوصول اليه في تنظيم دول غربي أوروبا .

٣٧ - وافقت اللجنة الفرعية التسابعة للجنة السياسة لفيئة الامم على البدء الفاعل

٣٨ - نشر الرئيس ترومان بياناً خاصاً قال فيه ان الولايات المتحدة جمعت من الأدلة ما يثبت ان انفجاراً ذرياً قد حصل في روسيا منذ اسابيع قليلة . وان هذا التطور الجديد في الحقل الذري يؤكد مرة ثانية ان من الواجب فرض رقابة دولية على النشاط الذري . - التقى السيو فيشنكي خطافاً في هيئة الامم المتحدة دعا فيه الدول الخمس الكبرى الى عقد ميثاق لتعزيز السلم ونفاذ الجمعية العمومية ان تقرر منع استعمال القنبلة الذرية .

٣٩ - اعان رئيس لجنة المخصصات في مجلس النواب الاميركي ان القوات الاميركية مستعدة لصد أي عدوان يقع عليها . وأكاد ان اعتلاك روسيا للقنبلة لا يعني اقتراب الحرب . - هاجم وزير خارجية يوغسلافيا

السياسة الروسية اذا حكومة بلغراد وقال اذا كانت روسيا تريد السلام فعليها ان تشرع حالا بالغاء التزاع القائم بينها وبين المارشال تيتو .

٤٠ - توفي الاساذ ايسل اده رئيس الجمهورية الليتوانية سابقاً وعميد الكتلة الوطنية - كذب السيو اسلي في مجلس العموم

المزاعم القائلة ان روسيا قد فاقت الولايات المتحدة في صنع القنابل الذرية ونفاذ روسيا ان توافق على مشروع الاشراف الدولي على الذرة .

٤١ - صرح السيو مكاوون رئيس لجنة الطاقة الذرية المختلطة في مجلس النواب والشيوخ الاميركيين انه بات من المرجح ان يطلب الى مجلس الكونغرس اتخاذ مبالغ أخرى من المال لبرنامج التسليح الاميركي كمنجبة

لاحتلال رومانيا للقنبلة الذرية .

٤٢ - التت روسيا معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء للمجرية في ١٩٥٥ بينها وبين يوغسلافيا .

٤٣ - نقضت المجر وبولندا معاهدة الصداقة المعقودة بينها وبين يوغسلافيا .

٤٤ - انتخب ماركسي نونفج زعيم الحزب الشيوعي لتصبح رئيسة الحكومة المركزية

الصينية الشيوعية . وقد انتخبت ارملة الزعيم الصيني صن يات صن نائباً للرئيس .

٤٥ - اول تشرين الاول - نقضت بلغاريا معاهدة الصداقة بينها وبين يوغسلافيا .



ريب في ان قراء «الاديب» وانصارها الكثيرين ، سواء منهم من كانوا في لبنان ، او في الاقطار العربية والمهاجر ، قد عرفوا ما تعانیه مجلّتهم في جهادها الادبي من ازمة متعاطية في بلد لا يفتأ المسؤولون من رجالنا يتغنون فيه برعايتهم للقيم الروحية والفكرية .

والحق انه ليس ادعى الى الضحك ، بل الى الاشفاق والرتاء ، من هذه الاسطورة التي يقول بها هؤلاء المسؤولون ، امام البلدان العربية والاجنبية ، ليجبوا ما تحفي وراها من كفر بالقيم الروحية والفكرية ، وتهاقت على كل ما عداها وتشجيع للسلطي والرخيص والتافه . . . فيتنا تبدل الرعاية والمساعدة بسخا . المظاهر الكاذبة ، وترصد الاموال الطائلة للعلقات والمآذب ، وتعطى المنح الكبيرة للوصوليين والمترفين والمهرجين . . . يحرم رجال الفكر في هذا البلد من كل عطف ، ويهمل الكتاب العربي كل اهمال ، ويضن على مجلة كالاديب حتى يشترك واحد في وزارة المعارف ، وهي المجلة التي تساهم بقسط موفور في تثقيف الجيل الطالع وتعهده ذوقه الادبي وتوجيهه نحو مبادئ الوطنية والحرية ، وتجاهل وزارة الخارجية وجودها وهي المجلة التي تتلاقى على صفحاتها اقلام الاعلام من كل قطر عربي ، والتي تجمع حول اسم لبنان النخبة الواعية من شباب العرب .

ويؤسفنا ان نقول ان هذا الاهمال من جانب المسؤولين الذين كان ينتظر منهم قبل غيرهم العمل على تشجيع الفكر والتمييز بين الصحيح والارائف من المثل والقيم ، يرافقه الخطأ عام في مستوى القارئ العربي الذي افسدت ذوقه وشوشت تفكيره الصحف الخفيفة المصورة ، فبات يقل على الادب السلطي التافه ويهمل الادب العميق الذي يحمل له الفائدة ولا يخلو مع ذلك من المتعة . . .

وقد كان لهذا وذاك ، وتغيرا من العوامل كحواش مستوحى من الغمضة او الجوراء اليد العاملة والمواد الاولى في لبنان ارتفاعاً كبيراً بالنسبة الى ما هو عليه في مصر مثلاً والصعوبات الناشئة عن اختلاف اسعار النقد في لبنان عنه في الاقطار الاخرى ، أثر كبير في هذه الازمة المادية المتعاطية التي تعانينا «الاديب» والتي لم تستطع مع ذلك ان تؤثر في مستواها الادبي وفي امانتها للرسالة التي تؤدّيها ، وان كانت قد استطاعت ان تسد امامها طريق التقدم والتطور بلوغ المستوى الذي كنا نطمح برفعها اليه . . .

اننا نعرض هذه الحقيقة المرة لقراء «الاديب» وانصارها وليس في نيتنا ان نطلب منهم القيام بتضحيات جسيمة في سبيلها . ان كل ما يزيد من هؤلاء القراء ، والانصار الذين نشق كل الثقة بنا بمحاولته مجلّتهم من محبة ، وما يتحاجلهم نحوها من عطف وغيرة وحساسة ، هو ان يضع كل واحد منهم بين اهدافه الادبية والقومية هدفاً جديداً يسعى اليه ويعمل من اجله وهو ايجاد مشتركين جدد لمجلة «الاديب» ، بوان يحرص كل واحد من هؤلاء المشتركين على ان لا يعير نسخة من المجلة لمن يستطيع شرائها او الاشتراك بها ، مذكراً اياه بواجبه في مساعدة المشاريع الادبية والقومية بدلا من الاستفادة منها والاستمتاع بها . دون اية مشاركة في حياتها المادية التي هي قوام حياتها الفكرية .

يمثل هذا الروح محيا الادب التوجيهي والفكر الرفيع .

وبمثل هذه الروح تظهر «الاديب» على ازمتهما وتبلغ المستوى الذي تطمح اليه .



صرصر الرياح العاتية. وولولة الزوابع الصاخبة، تناثرت اكثية الرمال،
وانسكفت من فوقها قصور الاحلام وصروح الآمال ، حيث شاهدها
اشياء الرجال. احلامهم آمالهم ..! وزعموا اننا اوتضينا هذه الحش،
هذه الاحمال دنثاراً نحتي به عارهم، ونطمس جنبهم ؟! خاب زعم المقاتين !
ويجهم ! ان هي الا فضيحة واهن عيام .. حى الهلاك تفتك بالعوازم الحائرة ،
والنفوس الذائرة ، تفزعها المقاومة وتهولها الشدة ، فتسابق نحو الفناء ، وتقضي
شقية مرذولة ، ويذهب ريجها .

ولكن نفوسنا نحن ، نحن الذين ادر كنا ان الهدنة هزيمة والفكرة نقيصة ، وعينا
ان الحياة قوة ، نفوسنا نحن ؟ لم تمت ، ولن تموت !
قيل اننا خضنا معركة - معركة الحياة - وخسرناها ! لا ما خسرناها ! انما خسرنا
عناصر الهمم في وجودنا ، وذرايع الفساد في مجتمعنا ، ولذلك كانت خسارتنا رجيحاً ،
وكانت تجربتنا غنياً ، وكانت دماؤنا ردياً !

لقد ماتت الاحياء الاموات ، وتعلمنا نحن كيف يجب ان نحيا ذئاباً ، حيث ترخر
الدروب بالذئاب ، وهملاناً ، حيث تنفر الحملان آمنة الى الدروب .. المراعي .
بعد اليوم ، لن نؤمن « بالضمير العالمي » ولن نكن لختل الانسانية وتحايلها ..!
لا بد لنا نحن - ابناء الحياة - من وثبة ، ووثبة جريئة ، نصرع فيها اي ضهير
مائل ، واية انسانية مغتالة !!

« .. سيطلم المجدل ، رغم ليل الحنة العربية ، فجر القد :
« سيطلمه زعم كيد الخناة » ولنح البياط ، وقيد اليد
« سيطلمه زعم كيد الخناة » وسنخر بالمعاصف الريد
« سيطلمه زعم كيد الخناة » وندفع ليقين من التحصيل
« سيطلمه زعم كيد الخناة » ونطوي السباب منها نطل
« سيطلمه زعم كيد الخناة » ومهما ستلفحنا الجاهات
« سيطلمه زعم كيد الخناة » ولا بد من ساعة اللتي
« سيطلمه زعم كيد الخناة » فنور، اذا شئت ، او انجد

http://archivebeta.sakhrit.com

فلم سلواه آموره

بعد اليوم ، نحن قوم ، نزيد الحياة على حجاجم البشر ، على رفات الاموات . الانزال !
لا بد لنا نحن - ابناء الحياة - في ارضنا ، هذا السيار الكروي ، ان نحيا ،
ونبقى شرفاً ، أبة ؟ .

قبل اليوم ، الارض كانت مجاهل للوحوش البشرية ، فتأنتت البشرية المتوحشة بوجودنا .
والها . كانت افضية تعج بالآلهة عبدها البشر ! فتعالت نفوسنا وقتلنا : « هو
الله احد » كلمة الاخلاص ..

دلم - السفال

والنفوس المنطلقة ، المنفلتة ، المغفلة بالايان ، والعزم والقوة ، لن تفتّر ، لن تهن ،
لن ينضب زيت العبقريه . سر الخلود ؟!
ايها الجبناء ! اي جباه تغفر ؟ اي رؤوس تنكس ؟ اي بنود تلوي ؟ اي صمم يطعن ؟!
انهم اميون انتم ، اشباه رجال كنتم ! اذهبوا الى حتفكم ، موتوا صعايليك ، لستم
منا ، اننا نذكركم . نحن شرفاء .. نحن أبة ..

* الايات للشاعر سكاظم الساي

سرفانتس

Michel Cervantes

فلم فدرى فلمي

ونر

بالخطة التي تقه إليها من نابولي ، تقع في ايدي قرصان جزائري
فيأسره مع ركاب السفينة وينقلهم الى الجزائر ليسيهم في سوق
الرقيق .

شغل سرفانتس هذا المصير الذي ساقته الاقدار اليه ، ووضع
خطة الهرب مع رفاقه الارقاء ، وكادت هذه الخطة تنجح فيستعيد
الشاب المصاب بمرض الفيلج من موهبة الشعر
الاحيرة ، ووقف النحاس يمزج بصوته وسوطه متوعداً اولئك
المساكين بأقوى العقاب . واذا بسرفانتس يبرز من بين صفوفهم
ليعلن له انه هو وحده المسؤول عن تلك المحاولة التي لم يقدر لها
النجاح ، فيصفق النحاس ويهم بقتله ، ولكنه يتذكر الشمن
الموفور الذي يستطيع ان يبيع به شاباً يتمتع بهذه الصلبة والقوة .
فيكتفي بالهاب ظهره بسوطه ، ثم يشغل من قيده ، ويشدد
الرقابة عليه .

ويطول الزمن على أسر سرفانتس ، ويقتل نفسه بالعذاب :
عذابه وعذاب رفاقه الارقاء ، فيضع خطة ثالثة لمؤامرة واسعة
التطابق تربى الى تحرير جميع من في المدينة من الرقيق والاستيلاء عليها .
ويبلغ حاكم المدينة نبأ هذه المؤامرة ، فيتولاه الذعر ويسادر الى
النحاس فيشتري منه هذا العبد الخطر ، ويضاعف من قيوده ،
ويضعه تحت مراقبته المباشرة ليأمن جانبه ويتقي شره .

وتنفرط من سلسلة الزمن عشرة اعوام ، وسرفانتس لا يزال

ميشال دوسرفانتس مؤلف « دون كيشوت » سنة
١٥٤٧ في مدينة الكالا بقاطعة قسطنطين الجديدة
من اسيرة نبيلة محدودة الثراء ، ومال في حادثة سنه الى الشعر ،
واشتركت الروح السائدة في عصره ، والقوة التي اخذها عن كبار
معاصريه ، وجزالة اللغة الاسبانية التي تهيئ الى التاشين بسهولة
قرض الشعر ، في تميز الوهم الذي قام في فؤاده من موهبة الشعر
فنهذ الى ايطاليا سعياً وراء الثروة والمجد . . والتحق بجاشية
الكردينال أكافيفا ، فابلشت الحرب ان اشعلت نارها بينه وبين
ابناء البندقية ، فوجد فيها مسرحاً جديراً بنبهه وشجاعته ، وخاض
غارها تحت لواء دوق دوبايلانو مارك انطوان كولون قائد الجيش
الملكي الذي ارسل لنجدة جزيرة قبرص .

بيد ان هذه البعثة منيت بالهزيمة في معارك عدة ، وظلت
خسائرها تتعاقب طوال عام كامل ، ثم اعاد انتصار موقعة ليبانت
في السنة التالية ، للجيش المسيحية ، شرفها العسكري ، وكان
لسرفانتس في هذه الموقعة اثره المجيد ، الا انه خرج منها بجرح في
ذراعه اليسرى تركه مشوهاً طول حياته ، وقد نوه بهذه الذكرى
في مؤلفاته غير مرة .

وعلى الرغم من هذا الجرح ، بل هذه العاهة ، ظل سرفانتس
ملازماً للجيش بضع سنوات ، ثم قرر العودة الى اسبانيا فاذا

الحالد ، لم يلاق من معاصريه غير الجفا . والتقطيع والمقوق ، فماش
بالأسأ مذبذباً وقضى كثنياً مضطهداً .

ظبرت مؤلفات سرفانتس الأولى قبل ان يتبر فيليب الثاني
غير مأسوف عليه . وفي ظل هذا الملك العاظم كانت المواهب
الادبية والآثار الفكرية تحارب بنظام وتضطهد بقسوة ورعونة .
ثم خلفه فيليب الثالث ولم يكن اقل جهلاً من سلفه ولا أكثر
تسامحاً ، وفي عهده صدر كتاب «دون كيشوت» فكان اجد صفحات
هذا العهد ، بل لعله اجد الوحيد الذي سجلته اسبانيا في هذا الحقة .

ويؤكد المؤرخون ان فيليب الثالث قد قرأ «دون كيشوت»
فلم يفهم مغزاه الاجتماعي العميق ، ولكنه ضحك كثيراً لمغامرات
فارس المانش ، بالرغم من مزاجه السوداوي وكتبه الدافئة وطابع
الوقار المفرط الذي ورثه عن جده وابيه .

وبنينا كان فيليب الثالث يضحك ، ويستغرق في الضحك ، وهو
يطالع «دون كيشوت» مرة بعد اخرى ، كان سرفانتس يوت
في عاصمة اسبانيا ، تحت وطأة المرض والبؤس ، وعلى مرأى الملك
الذي لا لام لما عرف الضحك .

لقد ترجمت مغامرات فارس المانش الى جميع اللغات الحية ،
وعلى الرغم من ان مضحكات ذلك العصر قد حلت محلها مضحكات
اخرى ، فان الكتاب الذي صورها بروعة واعجاز لا يزال يشير
اهتمام المفكرين في جميع البلدان وجميع العصور ، لانه افاد صدى
الانسانية البشرية ، فطوره ببراعة وصدق ، وعبر عن خلال مأساة
فرد من الناس عن مأساة عصر بأسره .

وقد بلغ من ظلم مواطني سرفانتس له ، انهم قارنوا كتابه
الحالد بكتاب تفة وضعه كاتب من معاصريه يدعى افيلانيدا ،
وان هذا المقارنة الجائرة قد شجعت هذا الكاتب الضعيف على انتقاد
«دون كيشوت» انتقاداً بذنباً تعجب كيف وجد من يصغي اليه .
ولكن سرفانتس كان يعرف قوة الاثر الذي وضعه ، وكان
مطسطن الضيى الى انه قد اعطى الانسانية شيئاً ثميناً ، فاحذبتعد
لمبارحة هذا العالم موقناً بأن حياته لم تذهب عبثاً .

وكان الاديب الكبير قد رزق ابنة غير شرعية من تلك
الفتاة التي احبها قبل زواجه ، فتبناها وجاء بها الى بيته ، وكان تزوجته
التي لا تقل عنه فقراً اختان عائستان لا مورد لها ، فاشترهن جميعاً
رغيفه الذي لم يكن يوجهه الا بكثير من الناء .

ولا بد من ان يعجب الانسان كيف استطاع هذا الاديب
ابداع اثره الفني العظيم وهريمانى هذا البؤس المرق ، ولعل العجب

يعاني من عذاب الاسر هو لا شديداً متعاضداً عبر عنه في قصته
«الاسير» التي احدثت برواية «دون كيشوت» . ثم يعتم امير
الجزائر السفر الى القسطنطينية ، ويساوره الخوف من بقاء هذا الاسير
العديد في قصره وان كان مكبلاً بالديد ، فيستجيب الى رجاء
اسرته ومساعدى رجال الكنيسة ، ويسلمهم اياه مقابل فدية كبيرة
ويعود سرفانتس الى منزله بعد غياب طويل الامد حائل بالآلام
والتجارب ، وهو في سن الرابعة والثلاثين .

وكما شغله الشعر والحرب والاسر ، في السنين الحالية ، عن
السعي وراء الثروة ، فقد شغله عنها في حياته الجديدة الحب والقصه ،
وبرحى تلك العاطفة وضع مؤلفاته الأولى ، وبدأها برواية رقيقة
بعنوان «غالاته» التي لم يكتبها الا ليعبر فيها عن شعوره نحو فتاة
هام بها ، ولكن ما كانت تصدر هذه الرواية حتى تروح فتاة
اخرى تدعى كاترين بالاشيوس .

لم يكن لدى سرفانتس من مورد سوى قلمه ، وهو مورد
شحيح الرزق . وقد ساعده بعض النبلاء والكهان ولكن مساعدتهم
له ما كانت تكفي الا لانقاذه من الموت جوعاً .

وفي تلك الايام نشر مجموعة قصصية بعنوان «جيتانيل» صور
فيها البوهيين الذين يتنكرون في كثير من احوال ادربا ، ويعيشون
منعزلين عن جميع الشعوب وفي عدا . مستتريع خطاه ، وهو يقول
على لسان كبيرهم معبراً عن شرعهم الجيد : نحن نسياد الحقول
والغابات ، والمضارب والسواقي ، نخطم الاشجار عدا ، ونصطب
الثار والحضار من الجنائن والبساتين ، والغلب من الكروم ،
ونشرب من اصفى القدران . من الانهار نأخذ اصاكننا ، ومن
الحدائق نقتنص الطيور . اننا نستريح في خاليل الصخور ، ونلوذ
بالكهوف لننام . لا فرق عندنا بين لانومع . وليس النسر والاصقر
بأسرع منا الى الفريسة . وما جعلنا يوماً لكلمة الشرف او الجداي
اهتمام . هكذا نعيش نحن في الغلاة ، احراراً من كل قيد ، لانخضع
لشرعة الناس التي تقضي عليهم بان يكونوا اما كهاناً او جنوداً .
ثم تعددت كتبه ومن هذه الكتب مسرحية بعنوان «رانكانيت
وكوستاديل» تحدث فيها عن جماعة من الناس اتخذوا التسول حرفة
لهم ، وجعلوا له نظاماً ، ووزعوا على انفسهم بحسب هذا النظام
مختلف الرتب والاقاب .

ولكن طرفة سرفانتس الكبرى هي «دون كيشوت» بل
ان هذه الرواية العظيمة هي راعمة من روائع الادب العالمي ومفخرة
من مفاخر الادب الاسباني . ومن اسف ان مؤلف هذا الكتاب

عدد من النبلاء ، فشهد شاباً يسير على ضفة النهر وقد غطى رأسه وحمل في يده كتاباً ، وهو يقف بين حين وآخر ليضحك من اعماق قلبه . فقال الملك لمن معه : « ان هذا الشاب اما ان يكون مجنوناً او انه يقرأ في كتاب » دون كشوت » وذهب احد رجال الحاشية ليتحقق الامر ثم عاد يؤكد للملك ان الشاب « شاب يقرأ دون كيشوت » . فضحك فيليب الثالث ، وضحك من معه من النبلاء . ! . وكان الملك والنبلاء يعرفون جميعاً ان سرفانتس يعاني المرض ولا يملك ثمن العلاج ، وانه يوشك ان يموت وأسرته جوعاً . ومع ذلك فان احداً منهم لم يرحس في ضيقه ان من واجب الدولة ان تحس بعنايتهم ، بقسط يسير من عنايتهم ، هذا الاديب العظيم الذي اكسبها مجداً باقياً على الزمان ! .

فدري فلمجي

يتعاضد ، او يتضال ، حين نعلم ان سرفانتس انما تعضض بموضوع الرواية وهو في السجن . وقد اشار هو الى ذلك بقوله « ان هذا الولد اليابس ، المزبل ، الشاحب ، القريب . انما ولد في سجن » . ويذهب بعض المؤرخين الى انه سجن قوية توبوزو ، ويقول آخرون انه سجن بلدة ارغاماسيلا حيث اشترك الاديب في مشاجرة افضت به الى السجن . وتحليداً لهذه الذكرى ، بدأ سرفانتس كتابه بقوله : « في مكان من المانش لا اريد ان اسميه » .

ولم يبدل صدور « دون كيشوت » شيئاً من وضع مؤلفه المادي ، فظل يكابد الفقر المدقع ، بينما كانت شبه الجزيرة الاسبانية تحفل بالثروات الباذخة واشتات المتارف ، وقصر الملك يعج بالنعماء والمهرجين القارقين في التعمير .

ويروى ان فيليب الثالث كان يطل يوماً من شرفة قصره وسمعه

ميشل سرفانتس في الاسر بالجزائر



خريف ومساء



لقد نمت فدروى عبر الضاح طوفانه

نابلس



ها هي الروضة قد عانت بها ايدي الحريف
عصفت بالسجف الحضر وألوت بالوفيف
تس الاعصار ، كم جار على اشراقها
جردتها كفه الزنبا من اوراقها
عريت ، لا زهر ، لا افياء ، لا همس حفيف
ها هي الريح مضت تحسر عن وجه الشتاء
وعروق النور آلت لظهور والطفاء ..
القضاء الحالد اربد وغشاء السحاب
وينفسي ، مثله ، يحجم غيم وضباب
وظلال عكستها في اشباح المساء !
وأنا في شرفتي اصغي الى اللحن الاخير
وقمته في وداع النور اجواق الطيور
فيثير اللحن في نفسي غما واكتئابا ..
ويشبع اللحن في روحي ارتباكاً واضطرابا ..
اي اصداء له تصدم اغوار شعوري !
الحريف الجهم ، والريح ، واشجان الغروب
ووداع الطير للنور وللروض الكتيب
كلها تمثل في نفسي رمزاً لانهائي !
رمز عمر يتهاوى غارياً نحو الفناء ..
فترة ، ثم تلف العمر استار الغيب
سعود الروض للنضرة والحصب السري

سعود النور رفافاً مع الفجر الطري
غبر اني حيناً اذوي وتذوي زهراتي
غير اني حيناً يحبو غداً نور حياتي
كيف يعني من ذوبلي ، وانطفائي الابدي !
آه يا موت ! ترى ما انت ؟ قاس ام حنون ؟
أبشوش انت ام جهم ؟ وفيّ ام خوون ؟
يا ترى ما كنته كأس سوف ترجيها اليه !
قل ، اين ، ما لوننا ؟ ما طعمها ؟ كيف تكون ؟

ذاك جسمي ، تأكل الأيام منه والليالي
وغداً تلقى الى القبر بقاياها العوالي !
ويّ ، كأني الملح الدود وقد غشى رفاقي
ساعياً فوق حطام كان يوماً بعض ذاتي
عائشاً في الهيكل النافر ، يا تس المال !

كله يأكل ، لا يشبع ، من جسمي المذاب
من جفوني ، من شفاقي ، من عروقي ، من اهالي ..
وأنا في ضجعتي الكبرى ، وحضن الارض مهددي
لا شعور ، لا انفصالات ، ولا نبضات وبعد
حمة تنحل في صحت تنغي في التراب
لت شبري ما مصير الروح والجسم هباء ؟
اتراها سوف تبلى ويلاشيها الفناء ؟
ام تراها سوف تنجو من دياجير العدم
حيث قضى حرة خالدة عبر السدم
وبساط النور مرقاها ومأواها السماء ؟
عجياً ، ما قصة البعث ، وما لنز الخلود ؟
هل تعود الروح للجسم الملقى في اللحد
ذلك الجسم الذي كان لها يوماً حجابا !
ذلك الجسم الذي في الارض قد حال ترابا !
او تهوى الروح بعد الموت عوداً للقيود
حرة حائرة ، كم خالطت ظني وهجسي
عكست الوانها السود على فكري وحسي
كم تطلعت ، وكما سألت : من اين ابتدائي ؟
ولكم ناديت بالتب : الى اين انتهائي ؟
قلست شوش في نفسي طائفة نفسي !

الفن او الدين . ولا نستطيع ابدأ ان نجمع هذه الاشاعات المتفرقة التي هي كل ما زاه من المطلق .

وهكذا ننتمي الى الفشل الذي هو نوع من الفرق . ونحن نشعر بهذا الفشل في الحالات القصوى التي يتجدد فيها وجودنا حتى الغاية . ونحن نتكامل حقاً في وعينا لفشلنا وعدم تكاملنا . ويعتقد هيديجر انه يجب علينا بادى . ذي بدء ان نتجاوز المستوى العادي لوجودنا كي نتكامل . فحين نعيش فيه بصورة خاطئة تحت تأثير كسلنا وما تدافع عليه المجتمع من عادات وتقاليده ونحن لا نستطيع السير نحو الوجود الحق الا بواسطة بعض التجارب كتجربة « القلق » التي تضعنا امام « العدم » الذي يقوم عليه الوجود . ولقد اشار كبير كجاراد الى العدم ملجأً كئيباً . لنسا عن المسكنات التي لا تزال تعري بنا . غير ان هيديجر يعتقد اننا لسنا بصد العدم النسبي الذي يتجلى في المسكنات بل عن امام اللاوجود .

وانما وابن الحق لمن ادوع محاولات هيديجر تلك المحاولة التي يحاول بها ان يحقق العدم المطلق . انه عدم فعال (actif) وهذا الفعل الذي يقوم به على ذاته وعلى العالم في مجموعه لطابق عليه هيديجر اسم التديم « néantification » فاللاوجود يعدم ذاته كما يعدم كل شيء . فهو الاساس السلبى للوجود وقد انفصل عنه الوجود بنوع من القطع « rupture » .

وتجربة القلق هذه هي تجربة وجودية يمكننا من فهم بعض الصفات الاساسية لطبيعتنا . نحن في هذا العالم متروكون « délaissés » دون ما معين او ملجأ . ونحن نجد انفسنا كوقائع لا ندرى كنهها او علتها . وهذا عنصر اساسي من عناصر الفلسفة الوجودية فهو تأكيد باننا وجود بدون ماهية على عكس ما تقولوه الفلسفة الكلاسيكية منذ افلاطون الى هيجل تلك الفلسفة التي تعتبر الوجود متفرعاً عن الماهية ووجودنا في اساسه وجود محدود بالموت ووجود الموت يفسر لنا تجربة القلق التي تحدثنا عنها . غير اننا في هذا العالم المحدود نقوم بحركة متعالية ليست نحو الله بل نحو العالم ، نحو المستقبل ونحو سائر الناس .

وهكذا فان فكرة « التعالي » تفقد طابعها الديني وترتدي طابعاً حياً « immanent »

وهناك اولاً تعاليان نحو العالم . نحن موجودون في العالم ويجب

الحديث في الآونة الاخيرة حول الوجودية . وسنحاول هنا ان نعرض امام القراء تاريخاً موجزاً للنظريات الوجودية . فهي ترجع الى الميول الذي عارض فيه « كبير كجاراد » نظريات هيجل . اذ كان هذا قد برهن على ان الحقيقة هي في « الكليات » . فاذا ما اردت مثلاً ان اتهم احدي عواظمي او افكارتي فما على الا ان اربطها بهذا « الكل » الذي هو عبارة عن شخصيتي . ولكن هذا « الكل » ايضاً لا تقوم حقيقته الا على مجموع الجماعة التي يعيش بينها . وهذه الجماعة بدورها لا يمكن فصلها عن بقية الجماعات التي تعاشها او التي سبقتها في الوجود .

واخيراً يصل بنا المطاف الى فكرة « الانسانية » و« الكل المطلق » الذي تقوم فيه الانسانية . ليس هناك من حقيقة الا في « الكل » والكليات النسبية المتحققة في الآثار الفنية والاجتماعات الخاصة لا تقوم الا في الكليات المطلقة . غير ان كبير كجاراد يرفض ان يكون « جزءاً » من « كل » اذ ان اعتباره « جزءاً » او « مقطعاً » من المجموع ان هو الا انكار لوجوده . فما هو اذن ؟ انه يحدد ذاته كقوة عاطفية متصلة بكائن آخر يسميه باسم « الآخر المطلق » الا وهو الله الذي تتجه اليه دائماً معرفته دون ان يستطيع تحديده . ترى هنا اذن الصلة التي يقيمها كبير كجاراد بين الوجود وعالم الغيب La Transcendence ، بينا حدد هيجل الوجود كوجود داخلي في الكلية .

« immanence dans une Totalité »

وهناك مأخذ آخر بأخذه كبير كجاراد على مذهب هيجل العقلي الذي يقضي على الامكانية ولا يظهرنا الا على تطاور ضروري . والحقيقة اننا لا نستطيع ان ننفس الا في عالم نسموه الامكانية والحركة .

وجاءت المرحلة الثانية في الوجودية حينما اصحت تأملات كبير كجاراد حول ذاته نظرية عامة على يد فلاسفة المان كجسبرز وهيديجر . اما فلسفة جسبرز فهي لا تطلعننا ، فلسفة كبير كجاراد على صلتنا بالله او يسوع بل هي تطلعننا على صلتنا بهيجل غامض من موجودنا . هذا المجال الذي نشعر به دون ان نستطيع تبينه الا في لحظات جزئية عابرة .

وعليتنا دائماً ان نختار احد مظاهر المطلق في العلم او الفلسفة او



عليه ان يظل في مرحلة القلق او حالة (الشيان) La nauxa كما قال سارتر ولغرياس . ويتدور الإنسان ان يتصر على هذه التجربة وهو يستعلم ان يأخذ على عاتقه امر مصيره . وهذا ما يسميه هيديجر « بقرار النهائي » La decision résolue الذي يشبه ما يسميه كيركجارد répétition او « القول التعال » الذي تنتهي به فلسفة نيتشه .

لقد اعتبرت فلسفة هيديجر غالباً فلسفة للوجود اذ انه يبدأ بالوجود الانساني في كشفه عن الوجود . غير انه يجب التنويه بان هيديجر قد اعلن بان له يهتم بشكلة الوجود L'existence بل هو يهتم بشكلة الكون L'être .

وليس الوجود شكلاً من اشكال « الكون » L'être الاساسية والشكلان الآخران هما : (١) الاشياء ، كما تبدولانظارتنا في مناظر ولوحات (٢) الادوات التي نستخدمها والمصنوعات التي تصنعها ايدينا . غير ان هذين الشكلين لا يتحققان الا بالوجود الانساني للقلق ، المطروري على ذاته يسيء المشاريع وهو دائم الوجود في العالم . ويجادل هيديجر ان يصل من تجارب هذا الوجود الى شروط التجربة في ذاتها ، وهي الشروط التي يسميها « وجودية » « existantiales » . وينتد انه يستطيع ان يصل منها الى الوجود اي الى الزمن في اشكاله الثلاثة . المستقبل والماضي والحاضر .

تلك هي الفلسفة التي تكون المرحلة الثانية في تاريخ الوجودية فهي تضيف الى فكرة الوجود التي اخذتها عن كيركجارد فكرة الكون L'être في العالم التي ظهرت عند هوسرل .

وسرى ان امتزاج هاتين الفكرتين يضاف اليه امتزاج ثمة نحو الفردية العضوي بترعة نحو الشعور بىكلية العالم هو الذي سيطبع فلسفة هيديجر بطابع خاص . فالوجود قلق ليس فقط لانه يهفو نحو المستقبل بل لانه كالئن في العالم . والكون في العالم يتخذ صورة الترك délaissement لان الوجود يمتريه القلق . وهذا ينبني بنا الى البحث عن تأثير الافكار الدينية التي نبذها هيديجر في فكرته . الا تحتوي هذه الفلسفة على نظرة الى العالم ينكرها الفيلسوف نفسه ؟ نحن في موقف يجعلنا نمتد ان هيديجر لو تخلى عن معتداته الدينية لما كان هيديجر . فالعواطف الاساسية في فلسفته وهذا الطابع الآسي الذي تتصف به ان هي الا نتيجة للنظريات التي تخلى عنها . في هيديجر يقف في منتصف الطريق بين كيركجارد ونيتشه . فهو في عالم نيتشه تلاه عواطف كيركجارد وهو في عالم كيركجارد تلاه عواطف نيتشه .

ومن جهة ثانية الا يمكننا ان نتصور فلسفة وجودية لاتتصف

عليها الا نفكر كما لو كنا خارج هذا العالم ووجدنا في العالم حقيقة لا تحتاج لبرهان . وقليل من الفلاسفة الى هذه الفكرة . وكان « ديكارت » يشك في حقيقة العالم و« كانت » شك في فكره بالمعنى واما هيديجر فهو يعتقد باننا دائماً مفتتحون للعالم .

وهو يعارض ، في صفحة رائعة من صفحات محاضراته ، فكرة لينتز عن الجواهر الفردية Les monades اذ ليس لهذه الجواهر الفردية ابواب او نوافذ تطلع منها على العالم بل هي مغلفة على ذاتها تماماً . وكذلك هيديجر فهو يعتقد ان ليس للأفراد ابواب او نوافذ . ولكن ليس هذا لانهم في عزلة بل انهم في الخارج ، في الشارع وعلى اتصال وثيق بعضهم ببعض كما انهم على اتصال بالعالم .

وهكذا نرى ان هناك « تعالياً » آخر عند هيديجر وهو ناتج عن اتصال الفرد بالآخرين . ونحن لا يمكن ان ننصل عن الآخرين حتى ولو كنا مع وعينا الشخصي : وهذا عنصر محدد من ذاتية هيديجر . وكذلك نحن نسو دائماً نحو المستقبل ، اذ ان الانسانية مخلوق يتجه دائماً نحو امكانياته ، ونوجدنا هنا امام العالم عليه كيركجارد فالانسان متقدم دائماً على ذاته . والوجود هو ما يجب ان يوجد عليه . وهكذا نستطيع القول بان زمن الوجود يبدأ بالمستقبل . ولهذا كان الانسان دائم القلق على ذاته . فالوجود قلق في ذاته . والمستقبل الذي نتحدثنا عنه محدود بل هو عبارة عن استحالة كل ممكن . وهناك طريقة اخرى نتحدث من مستقبلنا : ذلك ان امكانياتنا ليست امكانيات مجردة بل هي محاطة بشروط خاصة لم يجترها الشخص فهو بهذا متصل بالماضي اتصاله بالمستقبل . وهذه الصلة المزدوجة مع الماضي والمستقبل وهذا الواقع الذي يجعل الفرد متأخراً عن ذاته كما يجعله متقدماً عليها هما اللذان يكونان الحاضر . ولما كان الانسان على اتصال بالعالم المستقبل فانه يفهم العالم والمستقبل فهما طبيعياً ولكنهما في نفس الوقت يشك فيهما .

الانسان هو الموجود الذي يشك بوجوده الخاص وبهذا يعرض هذا الوجود للحظ . هذا الموجود متفلسف بوجوده الخاص . وهو حين يشك بذاته يشك في نفس الوقت بالعالم المتصل به . في كل مشكلة فلسفة نرى العالم باجمه يشترك فيها كما يشترك وجود الشخص ويتعرض للحظ .

وهكذا نرى فكرتي الذاتية والكلية تتحدان دائماً اذ ان فلسفة هيديجر حين تريد ان تكون وصفاً للتجربة الفردية تريد ان تكون وصفاً للوجود الانساني عامة وللعالم ايضاً . وعلى الكائن ان يرد على جميع الاسئلة التي تصدر عن الكائن . وليس

بصفات الانفصال والترك والكآبة فقط بل تتصف أيضاً بمواطف
الامل والثقة ؟

لا شك في ان هذا يتصل بفكرة النهاية والموت عند هيديجر
واكن لم تكون فكرة الموت اكثر ايجاماً من فكرة الحياة ؟
ويمكننا ان نلاحظ من جهة ثالثة ان هذه الفلسفة تتضمن
بعض الافكار التي لم تحل تماماً عند كيركجارد او جسرز او
هيديجر كفكرة الامكان مثلاً وان كان سارتر قد قام بهذا
التحليل وكانت له فكرة ادق منها .

ولنا ان نتساءل ما اذا كانت فكرة « الكون » يمكن
تجديدها بصورة مرضية ام انها فكرة كلامية اكثر منها حقيقة ؟
فيجب علينا اذن امام هذه النقاط ان نغير جيذاً بين مختلف
العناصر الغير المتألفة في هذه العقيدة .

وعدم التألف هذا اكثر ما يبدو في شرة لهيديجر ظهرت سنة
١٩٤٣ حول ماهية الحقيقة يحاول فيها ان يعرض ان الحقيقة هي
دقة الاشياء في ذاتها وانها نتيجة طويتنا .

ومن جهة ثانية فان الافكار الميتافيزيقية في هذه العقيدة وان
بدت قيمة فان من الممكن ان يساورنا الشك في نتائجها
الاخلاقية . الا تظل هذه النتائج شكلية ؟
نصل هنا الى المرحلة الثالثة . ولقد وجد بعض الفلاسفة الشباب
الفرنسيين المتأثرين في هذه الافكار شيئاً جديداً غير متادسجست
لقلعهم الشخصي .

وكان في فرنسا ولا سيما عند جبريل ماسريل شي . يمكن
تشبيهه بالوجودية . غير ان اثر هيديجر لم يظهر الا في السنوات
الاخيرة السابقة للحرب . وهذه هي الظاهرة التي بدت قبل الحرب
والتي تطورت اليوم في الدوائر الفلسفية والادبية ، ليس هنا مجال
الحديث عن فلسفة سارتر التي تكمل وتعبر فلسفة هيديجر وفي
بعض الاحيان تتعقها او ترجع القهري بنظريات هيديجر الى بعض
نظريات هيجل . كما انه ليس هنا مجال القول في نظريات « كامرس »
Camus الذي يجمع بين ايمانه بالعبث absurde وبين ايمانه بالعمل ،
او الحديث عن « باتاي » الذي يرى في نيتشه استاذاً له هو يحاول ان
يصوغ ما يسميه « اخلاقية الذروة » l'ethique du sommet ، لويبدو
ان هذين الفيلسوفين لا يرغبان في ان نعددهما بين فلاسفة الوجود .
ولنضع هنا بعض القواعد الفاصلة بين الوجودية وغير الوجودية ،
فانت حين تقول : ان الانسان في هذا العالم محدود بالموت باعتريه
القلق . وهو يفهم ذاته كوجود قلق منطو على عزله في افق الزمنية

temporalité فانك تنضم بهذا الى وجودية هيديجر .
اما اذا قلت . ان الانسان هو لذاته pour soi يعكس الاشياء
التي هي في ذاتها « en soi » وهو دائم الحركة يحاول عبثاً ان
يوجد بين ما هو « لذاته » ما هو في « ذاته » فانك امام وجودية سارتر .
اما اذا قلت : انا جوهر مفكر كما قال ديكارت او قلت : ان
الاشياء هي الافكار كما قال افلاطون او قلت : ان « الانا »
يصحب كل تصوراته كما قال « كانت » فانك بهذا لست وجودياً .
فالوجودية تعلمنا مرة اخرى ما علمتنا اياه كل فلسفة كبرى
وهو : ان هناك نظرات في الحقيقة غير النظرات العلية ومن الطبيعي
ان يحاول المعارضون لهذا الرأي ان يفسروا الوجودية تفسيراً علياً
يرجع بها الى اسباب اقتصادية او تاريخية .
وهذا فيه شيء . من الصواب ولكنه لا يكفي .

وبفضل الوجودية عادت مشكلة : ان اكون او لا اكون
être ou ne pas être وهذا يجرنا الى القول بأنه وجد وجوديون
يدون عليهم . فليد اشترنا ان « علمت » كان وجودياً وكذلك
يكننا القول عن « باسكال » و « كير » و « كارليل » و « ملفيل »
و « ليم جيس » . ولقد قال كيركجارد ان سقراط كان وجودياً
وكذلك يمكننا القول عن الد اعداء سقراط الا وهو نيتشه .
ولنلق هنا اخيراً يمكننا ان نعرض على اصول الفلسفات الكبرى
كفلسفة « افلاطون » و « ديكارت » و « كانت » موجودة
في الاشهر العاتكة الوجودية .

ونحن هنا امام مشكلة يمكن ان نقولها . ليست معرفة الوجودية
وجودها يمكن ان تعرض الى الخطر هذا الوجود الذي تريد ان تحافظ
عليه ؟ تلك هي مشكلة الوجودية . ولربما كان لنا ان نخشع بين
الوجودية او بين بعض اشكالها على الاقل وبين الوجود ذاته .
ومن نتائج هذه الحركة الوجودية انه يتحتم علينا ان نقضي
على اكثر الافكار التي تواضع عليها الرأي العام الفلسفي والتي سميت
بالفلسفة الخالدة ولا سيما فكرة الماهية والوجود . ولقد اخطأ افلاطون
ومن تبعه من الفلاسفة حين جعلوا الماهية تسبق الوجود او حين
فصلوا بين الاثنين .

وعلى الفلسفة ان تقنع عن كونها فلسفة الماهية لتصبح فلسفة
الوجود . وهكذا فاننا نشهد بفضل هيديجر حركة تشكك بالتصورات
الفلسفية لكي تريد من حدة ذاتيتها وتجعلنا نشعر باتحادنا مع العالم .
نحن نشهد اليوم مطلع طريقة جديدة في التفلسف .

سبحان برلات

الاخوان كارامازوف

ليودور ميخالوفتش دوستوفسكي ١٨٢١ - ١٨٨١

ترجمته البيرة ماهرة النقبيري

قصص روسي من الطراز الاول ويعتبر في نظر القراء ، القصص الاول في روسيا . مال الى الادب بمدح حياة الجندية وحكم عليه بالاعدام عام ١٨٨٩ ثم عفي عنه ونقل الى سيبيريا . لقد اصدر مجلة ادبية منعت السلطات صدورها ، وقد تأثر بفن القصص الانجليزي شالز دكنز ، وتأثر الروسيون بأدبه في العشرين سنة التي سبقت الثورة التي حدث بعيد . وكانت رواية الاخوان كارامازوف آخر ما كتب ١٨٨٠ ومات بعدها بسنة واحده عام ١٨٨١ .



ثالث

اسيرة كارامازوف* من الاسر الروسية التي طالما حيرت واغضبت جيرانها بساوك افرادها الكثير .

فالاب (فيودور) ماجن ومفروق في قلة الحياء ، والنصرفات الخرفاء ، ولكنه بالرغم من ذلك لم يكن جاهلاً ، وكان بينه وبين ولديه الاكبرين عدا مستحكم .

فالابن الاكبر ميكا كان من ضابط الجيش ، سكير عريضة ، وكثيراً ما صمغ يقول : نحن آل كارامازوف جشرون . وقد زاد الشرب المتواصل نفسه حقارة ومهانة .

اما ايفان الابن الثاني فكان لمجداً واسع الاطلاع ، كثير الجدل في الامور الفكرية والدينية .

وكان اليوشا الابن الثالث شاباً في مقتبل العمر ظريفاً حسن الاخلاق ليس على شيء . من صفات ابيه واخويه السيئة . وكان عند الاب خادمان مخلصان جريجوري ومارفا وثالث مصاب بداء الصرع قيل انه ابنه من امرأه بلها . يسمى صرديكوف .

كان ينظر ان يتزوج ميكا من كاتيا الشابة ابنة الزعيم ايفانوف وقد اخبر اخاه اليوشا عن سر ذلك فقد انقذ والداه الذي كان

ضابطاً كبيراً في الجيش من فضيحة سرقة اموال الفرقة التي يقودها باعطائها اربعة آلاف وخمسةائة روبل . . فودعته بالزواج لكنها ورثت مالا فاستطاعت ان ترجع له

* عن الانجليزية من كتاب Famous Love Scenes, Masson

الدين . وكان يعلم ان اخاه ايفان يجها واماكانه ان يكون خير زوج لها . ومن جهة اخرى فقد كان ميكا يحب كروشنكا الفتية ذات السبعة الحسنات ، وقد زاد عداؤه لوالده حينما اتصل بعلمه انه يريد بها لنفسه . اعطت كاتيا ثلاثة آلاف روبل الى ميكا ليرسلها الى صديق ولكنها لم تحصل الى صاحبها وانما بذورها على الفجور .

وقد قالت كاتيا بعد ذلك ان هذا لم يكن الانجوبة له وان التقود لا تساهل اما ان تصرف على كروشنكا فهذه اكبر اهانة .

ويشعر ميكا بذنبه ويؤنبه ضميره فيذهب الى والده طالباً منه مالا لما تركته له امه ، فينشب بينها شجار وحشي عنيف ينقلب الى ما يشبه الجنون حينما يمر بخفاظه ان كروشنكا قد ترور والده ، ثم يعود الى البيت .

وفي احدي المرات تقتص عليه الشرطة وهو غل بتهمة قتل والده الذي وجد محطم الرأس وقد غرق في بحر من الدماء . واتخذت في المحاكمة اجراءات غير مألوفة لدينا ، فلقد ادلى الشهود بشهاداتهم كل على طريقته الخاصة . وانكر ميكا انه قتل والده في سبيل الحصول على الثلاثة آلاف روبل التي وجدت مسروقة ، وأكد ان ما وجد معه من النقود ليس الا النصف الباقي من مال كاتيا .

ويظهر ايفان في المحاكمة بعد ذلك ومعه الثلاثة آلاف روبل ويشهد ان صيرديكوف الخادم قد اعترف بالجرمة



واعطاء النقود لكن انتجار الحادوم جعل انئاب هذه التهمة عسيراً
جداً ، فتعدت الشهادات وثرثر ايمان قائلان ان سمير ديكوف قد
اقتوف الجرم ، لكنني بجرم ايضاً لانني كنت اتقي موت والدي .
ثم يسقط مشعياً عليه ويؤخذ الى بيت كاتيا مصاباً بجوى الدماغ ،
ثم تجبي . كاتيا وتقدم رسالة جأتها من ميتا قبل الحادوم يعرب فيها
عن عزمه على قتل والده . اما اليوشا فلا يؤمن بشي . سوى براءة اخيه .
يدافع المحامون دفاعاً طويلاً بتركرر في العمل الذي يمكن ان
يصدر عن اخلاق روسي صميم ، ويقرر المحلفون الحاضرون ان ميتا
مجرم بالسرقة والقتل وينحكم عليه بالاشغال الشاقمة عشرين سنة
في سيبيريا (حكماً لا يختلف عن الاعدام في شي) .

وبعد بضعة ايام في مستشفى السجن يخرج ميتا اخاه اليوشا انه
يشئ ان يهرب بوساطة الرشوة (التي كانت منتشرة في ذلك الوقت)
عن طريق ايفان وكاتيا . وانه وكروشنكا سيحلان الى اميركا
بصورة مؤقتة ثم يعود متنكرين لانه يريد ان يعيش ويوت في مسقط
رأسه . وهو ينتظر زيارة كاتيا بفارغ الصبر .

مشهد الحب في القصة

قال اليوشا لـ اخيه وهو ينظر اليه خجلاً .

— لقد قالت انها ستاتي . . لكنني الاعم ان كانت ستاتي
هذا اليوم ، فانه من الامور الصعبة عليها كما لا يخفى عليك .

— نعم ان ذلك صعب بالنسبة اليها يا اليوشا ، واما كاتيا
سأفقد صوابي . يخجل اني ان كروشنكا تنظر اليي باستمرار . .

لقد فهمت . . اللهم هدي قلبي التلق الحائر ! لا اعرف ماذا اريد ؟

اريد كاتيا ! فهل فهمت الآن ماذا اريد ؟ انه عناد روح

كلرامازوف الشريرة . . لا . . انا لست ممن يتجملون الالم والعذاب .

انا وغد . . وهذا اقل ما يمكن ان يقال في صاح اليوشا — ها هي

ذاتي اقبلت . وظهرت في هذه اللحظة كاتيا واقفة في الباب بلا حراك

تحليني في ميتا بذهول فقفز واقفاً وفي عينيه نظرة خوف وقدغاض

اللون من وجهه . ثم ارتسمت على وجهه بسمة كاهيا توسل وخراعة .

وبدافع لا يقاوم مد يديه اليها فاندفعت اليه وضخته بين ذراعيها

فوقع من قوة الصدمة جالساً على السرير . وجلست بجانبه وهي

تضغط على يديه بقوة . . وقد حاول مراراً ان يقول شيئاً لكنها

نسي الكلام وبقيا يلتهم بعضهما صامتين وعلى شفتيها ابتسامة

غريبة ، وممرت دقيقتان على هذه الحال . واخيراً تم ميتا قائلاً :

.. هل عفوت غني والنتت الى اليوشا ووجهه يطفح بالشر

وراح يردد . هل سمعت ماذا سألت ؟ هل سمعت ؟ فأجابته وقلتها

يسكاد يشب من بين ضلوعه . — ان قلبك المتناهي في الطيبة هو
الذي حببك الي ، لكن ليس في غفراني خير لك ولا في غفرانك
خير لي . وانك ان صفحت او لم تصفح . . فان هذا ان يبري . جراح
قلبي التي نكأتها ولن تشفى . . ولن تطفى . نيران قلبك مها
حاولت ان تخفيها تحت الرماد . . وسكنت لتسترد انفساسها ثم
عاودت الكلام بسرعة وعصية .

— لماذا جئت اليوم ؟ لاصحك الى صديري . ولاخفظ على يدبك
حتى احطمها . ؟ (لا شك انك تذكر كيف شددت عليها في
موسكو) لاصحك مرة اخرى انك لا زلت ألهي . وان سعادتي
وحيايتي بين يدبك وانني احبك مجنون . . واخذت تنن بلوعة .
وفجأة رفعت يديه الى شفتيها الجائعتين الى قبل الحب ، وتدفقت
الدموع من مآقيها بغزارة . فوقف اليوشا مرتبكاً لا يعرف ماذا يعمل
وهل يصدق ما لم يتوقع ان يراه . . وعاد صوتها المرتعش الى البكاء .

— ان الحب قد انتهى يا ميتا . لكن الماضي عزيز رغم ما
فيه من آلام وعذاب وسيبقى دائماً هكذا بالنسبة لي . لكن دعنا
نعترف بالحقيقة ولو للحظة واحدة . ونظرت الى وجهه وقد عاد اليها
البشر ثانية . انك تحب امرأة اخرى وانا احب رجلاً آخر . لكن
بالرغم عن ذلك ساجد الى الابد . وستعجبني ما وسعك الحب .
هل تعلم ماذا وهل تحب ما اقول ؟ انك تحبني وستعجبني دائماً . .
وطول حداثتك . واهتزاز باكية وكان صوتها يغازجه مني من التهديد .
فاجابها ميتا وهو يسحب نفساً عميقاً في كل كلمة يفوه بها .

— نعم ساجدك دائماً والى الابد . هل تذكرين ذلك اليوم .
وقبل خمسة ايام مضت . في ذلك المساء الحزين عندما سقطت
وحملوك خارجاً لقد امتزج حبك بدمي وسأظل هكذا طول حياتي .
وهكذا همس كلامها بكلمات جنونية مجردة من المعنى بل
خالية من الحقيقة . لكننها في تلك اللحظة كالها يمينان ما يقولان
ويؤمنان بكل حرف فاها به .

وعاد ميتا ففجأة الى الكلام فقال : — كاتيا . هل ظننت حقيقة
انني قتلت والدي ؟ انا واتقياك الآن لا تصديق ذلك ، لكن في ذلك
الوقت وحينما شهدت ضدي . . لا لا انا واتقياك انك لم تؤمني بذلك .

— لكي لم انا انك بك الظنون حتى في ذلك الوقت . . وانما كرهتك
فحاولت ان اقنع نفسي . . وقد افلحت في اقناعها حين ادبت الشهادة
وحينما انتهيت منها رجعت الي ايتاني بك وثقتي ببراءتك . . ارجو ان
لا تشك في قولي هذا . . وما اتيت اليوم الى هنا الا لاعاب نفسي
على ما اقترفت تحوكم من جرم . قالت هذا بنبرة لا تشبه مطلقاً تلك

وأنا بعضك .. لكن هذا لا يمنع ان نسامع احداًنا الأخرى .
فصاح ميتا بغضب : - لا تريدان ان تغفري لهما ! فاجابت
كاتيا وهي تتفارق الترفة بسرعة :- لا تتلقي سائقه لاجلك !
فقال ميتا بمرارة :- رفضت ان تسامحها وهي تستجدي غفرك
فصاح اليوشا :

- ليس لك حق في ان تلومها . وقالت كروشنكا بلهجة كلها ازدراء
- انما قالته ليس الا من سقنيها المتكبرتين وليس من قلبها الطيب . .
سأغفر لها كل شيء . اذا انقذتك . وتوقفت عن الكلام و كأنها تحاول
ان تكبت شيئاً . . و كأنها لم تشف غليلها بعد وقد اتضح فيما بعد
انها دخلت عرضاً ودون شك ، ولم تكن تتوقع ما صادفته .

صاح ميتا - اليوشا اتبعها وقل لها انني لا اعلم . . لا تدعها
تذهب هكذا ، فركض اليوشا خلفها وهو يقول له :- سأعود اليك
في الليل ، واسرع خلف كاتيا فلقق بها خارج
المستشفى ، وكانت تمشي بسرعة وعندما رآته
قالت له بعصبية :

- لا استطيع ان اعاقب نفسي امام هذه المرأة .
لقد سألتها المغفرة لاعاقب نفسي الى اقصى حد
ممكناً واضافت بصوت غير طبيعي وقد وضعت
عينها بالشراسة والغضب . - لكنني لم تسامحني . .
وقد لعجت بها من اجل ذلك .

فتمتم اليوشا :- لكن اخي لم يتوقع ذلك مطلقاً ،
وكان متأكداً من عدم قدومها . - بلا شك . . دعنا
من هذا الحديث . . استمع الي لا استطيع ان
اذهب معك الآن الى حفلة الدفن وقد ارسلت لهم
الورود ، اظن انما عندهم من المال كاف ، اذا كان من
الضروري فاخبرهم انني ان تركهم والان اتركني
ارجوك . . لقد جئت متأخراً . . وها هي ذي
الاجراس تدق داعية للصلاة - اتركني ارجوك .
الحفلة

وهكذا بان قصد دستوفسكي بعد ان اوصل
القصة الى هذا الحد . فقد انتهت بقول اليوشا
لاولاد المدرسة في حفلة دفن شاب تعيش (كما تكون
الحياة جميلة عندما يعمل فيها الانسان الخير والعدل)
وقد اجابها الاولاد هاتفين : مرحى لك امارازوف

بغداد ماهرة القيسري

النبذة الهامسة المألوفة بالعاطفة المشبوبة بالحلم الجنوني التي قالتها
منذ لحظة ، فأجابها وكأنه يتكلم قسراً عنه - لست الا امرأة . .
وان ما تحلمينه لعب . ثقيل فبمست قاللة :- دعني اذهب . .
وسأعود ثانية . . ان هذا شما ما تستطيع انصلي المتعبة ان تحمله
الآن . وقامت لتخرج فاذا بها تصرخ وتترجع الى الوراء اذا دخلت
كروشنكا الى الغرفة فجأة وبسكون ومن غير ان يتوقع مجيئها
احد ، وخفت كاتيا الى الباب . . وعندما وصلت الى كروشنكا
توقفت وادارت اليها وجهاً ابيض كالشمع وقالت لها بصوت
ناعم خفيض :

- سامحيني . . فاطالت كروشنكا النظر اليها واجابتها بصوت
يغيب بالحد والتشفي :

- ان قلبنا يا فتاتي مملوء بالكره اهلوالغل . انت تكرهيني

الكتاب النسخة بالبنية العربية


تاريخ العرب

المطبعة

المرجع العلمي الأول لنواحي التاريخ العربي المختلفة
وهو مبني على أسس التحقيقات التي أجراها المؤلف بالطبعة الانكليزية لا مبرية

يصدر في حلة طباعية فاخرة
عن دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع

اطلبه من
رئيس سائر المكتبات في العالم العربي



الثلث : ٤٠٠ ق . ل . او ٥٠٠ مليم او فلس

أزاهير من الغرب

كلمة غاباً ما دنت

للثلي

كلمة* غالباً ما دنت امامي ، لادنسها

وشعور حقو خطأ لك . تآردويه

وامل كاليسأس ..

للطفنة ان تحنقه

والطفن منك ،

اعز لدي من حب الآخرين

لا استطيع ان امنع ما يدعونه حباً ،

ولكن .. اترفضين :

الصلاة يرفعه القلب ، فتتقبلها السماء ،

توق الفراشة للنجم ،

تطلع الليل الى الصباح ،

التكوير التي . بعد عن مجال احزاننا ؟

على الجدار

لشكبير

عندما تعلق قطرات الثلج على الجدار

(و لك) الراعي يتنق على اطفاله

(و توم) يحسب الحطب الى البهو

والحبيب يحلب جامداً بانائه ،

عندما يتدفق الدم ،

ويحمي الوحل في الطرق

حينئذ تنفي اليوم المبصرة ليلاً :

توديت .. تهود - لحناً مرحاً

عندما تعبد (جوان) القدر الفائر

وتهب الرياح من كل صوب

ويقطع السعال مواظ القس

* الحب

ونجم الطيور ناشرة اجنحتها في الجليلد ،

ويبدو انف (مارين) احمر ، مسلوخاً .

ويسمع نشيش التناح المسلوخ في القدر .

حينئذ تنفي اليوم المبصرة ليلاً :

توديت .. تهود - لحناً مرحاً

وتوالي (جوان) تعبد القدر !

الى سبيلها

ابن جونسون

اشربي لي بعينيك فقط .

وبعيني ساشرب تحبكِ .

او فاتركي قبلة في الكأس ،

فلن ابحت عن الحجر

القلدا الذي يرتفع من الروح ،

ينشد شربة علوية ،

فاو تيسرت لي حمرة « جوف »

لما اعتضت بها عن رحيقك

لقد بعثت اليك مؤخرأ اكيلاً من الورد ،

لا يشرفك كثيراً

ولكن لي امل :

انه عندك لا يذبل .

ومع انك ،

تنفست عليه

وبعته الي ،

اقسم ، انه لم يعد ينو ويژه

من تلقاء نفسه .

بل بتأثيرك انت . !

عبد الملك نوري

بدر

اسمر في عيني سمر

اتواها

في غفلة الملاك انجلت من الفردوس ؟

ام ترى النجوم الحارسات حابتها

وابصرتها حين انفلتت فأرجتها

وتركتها لجاذبية دنيا فاجذبها ؟

على الضفة الخضراء في ظل صفافة

استندت الى معصها لتفتن الجدول

وبح السهم اجراه :

رخياً يدغدغ التهدين ، وهماً يتنزل !

في معاهد شعرها ذبل الهوى

مسكين ، راد المقلتين ، فناه وما اهتدى

وعلى المبسم الحالم تغفو مناعم

تنداح دنيا ، وتطل عولم

وتتلمت كانها رفيف امان او براعم !!

ترف هديها فينفس الوادي

سمراء ، فتون سميتها حلم البوادي

ان رنت ، فالفتنة توالي رجاء

وضراعة عابد ، او تثارب سامر !

يا جدول :

جعدت فارويت غرس الاماني

اين الرؤى تهبي الهائآت

اين الليالي ننترها رعشات

اين صمت العيون نصبه كلمات

نذروه شعراً ، ونعبه قبلات

وغدائر القمر علينا حواني

كمتقودين استكننا في حضن الدولي

يا جدول :

يا ذؤابة منمز حله الليل ، والسفح لواه

فهب خضرة ، وسال فضة ، وأن « آه »

اي معصية اتاهها الهوى

وما صب يوماً في هذي المحاجر

صبابة عابث ، او غواية فساجر ؟

علام ترون الي هكذا يا جدول

وتجعدات وجهك لمزات ساخر ؟

لم يبق للامس وأنسه ، على حفاك ، بقايا
 عفت عليها الفنون ، وثارتها السواقي
 وهواي ، لم يعد يلهم الشجور
 وبالربيع يكسو منفي الرابية .
 وبيع هواي ، هكذا يكون ماله ؟
 عقوق يعلم الزهور الذبول
 والساقية ، يلقتها كيف تنوح الساقية ؟
 من فجوة الوادي كان يطل
 اسمر في عينيه سر
 ظل ، ليس له ظل ،
 علام صد يا جدول ؟
 أراودته المصيات وراء دنيانا ؟
 وانسته الاذائد الحمر براءة لمهاننا ؟
 والبعث العاهر طهر مغنا ؟
 بالله يا جدول :
 قل له اذا عبر
 ومن سلسيلك عب نهلة
 ثم طفر يشم ازهار الضفاف
 تقول اقصوانة رواها العاف
 وسقتها الذكرى دموع « مي »
 كم من جناح حطته الفرقة
 وفراسة احرق جناحيها النفي
 احمد سويد

مرثاة عذراء

لشاعر الانكليزي لاندرد

ما احبته قط !! ولكن ، ها هو يتواري
 فاحس بالتي وحيدة !!
 كم صددته عندما كان يتكلم ،
 أبسطاهته الآن ، ان يتحدث ؟؟ فلاصده
 ما ساءلت نفسي يوماً ، من سبب عدم حيي له
 ولكم اعلمت الفكر في سبيل

اقلاقه واقلاق نفسي .
 اني ابذل حيي الآن ،
 لو عاد ذلك الذي عاش من اجلي .
 ولكن عندما غمره اليأس وارى
 نفسه ظلال الموت .
 اني لاهرق انفاسي من اجله . .
 اجله هو . . ذلك الذي اهرق انفاسه من اجلي
 ولكن ها هي انفاسي تعود الي . .
 يصعدا صديري المهجور
 وقد اعياه الالمات . يوقظني . . ويهزني
 لاذرف الدموع
 التي اذابت قلبه الرقيق .
 اذ طالما بكى اوعاماً . دموعاً مريرة .
 « يا اله الحنان » هكذا كانت صلاته الاخيرة
 « ليتها لا تشاركني دموعي !! »

لقد هدأت انفاسه . وسرت العودة في صدره
 وها هو الاخوان . ينسو فوق رأسه
 حيث يقرأ الصغار ، في احة الكنيسة
 (اسمه . . . وتوالت حياته القصيرة)
 اينها الارواح الطهور !! صلي من اجله
 وصلي !! . . صلي ايضا !! من اجلي . .

محمود عيسى

دماء الانتقام

لشاعر الارمني ميباك ميبازيتس

اختاه ! تقدمي الي النار ،
 ونجري هذا الغصن العطر ،
 لان كل شي . من جديد ،
 يعيد الي رائحة الدماء
 اختاه ! تقدمي نحو الحرازة ،
 واتيني بالشراب المعصور ،
 لان كل شي . من جديد ،

يعيد الي طعم الدماء .
 اختاه تقدمي نحو المصباح ،
 واطنفيه واركبني والقمر ،
 لان كل شي . من جديد ،
 يعيد الي لون الدماء .
 اختاه ! تقدمي نحو المعزف ،
 واعزفي الحان السهول والودية ،
 لان كل شي من جديد ،
 يعيد الي صوت الدماء .
 اختاه ! قدمي الي
 البنقدية ذات النار الالهية ،
 لان كل شي . من جديد ،
 يذكرك في بدماء الانتقام .

مطلب

ترجمته سائو باه

يوم ماطر

النهار بارد ، ومظلم ، وكتيب ،
 تقطر ، والرياح ابدلاً لا تكل ،
 ما زال الكرم متعلقاً بالجدار المتداعي ،
 بيدان الاوراق الداوية في كل عصفه تنساقط
 والنهار مظلم وكتيب .

حياتي باردة ، ومظلمة وكتيبة ،
 ممطرة ، والرياح ابدلاً لا تكل ،
 ما زالت افكارتي متعلقة بالماضي المتناثر ،
 بيد ان آمال الشباب تنساقط

بغزارة في العاصفة ،

والايام مظلمة وكتيبة .

اهدأ ايها القلب الحزين وضع حداً لسأمك ،
 ما زالت الشمس متألمة وراء الغمام ،
 حفظك هو حفظ الجميع بالتساوي ،
 في كل حياة يجب ان تسقط بعض امطار ،

ويجب ان تكون بعض الايام مظلمة وكثيية .
عن الانجليزية يوسف بدره

الكأس

عيت هو الليل ، والناس توقد
فوق الارض وتحتها يا حبيبي ،
فاشرب كأسك عاجلاً قبل ان
يتغلب علينا الناس .

انظر الى الريح في ضوء القمر والتلال
والخراب ، والبحر والادوية والقري
المتهادية في الليالي البعاد ، فلن يسمع
تواتيلها العذبة ، الا السكان
بجدة سكوتها يا حبيبي .
فاشرب كأسك عاجلاً قبل ان يتغلب
علينا الناس .

والظلال المرتجفة تحت النور المتتهبة
بظلمها ، الجنونة بليتها ، لن يسمع انت
العبيقة الا النشوان بجدة جنونها يا حبيبي .
فاشرب كأسك عاجلاً قبل ان يتغلب
علينا الناس .

وقد العالم وسكنت الامواج ، فالدهور
تنشد في الدهور ، والقبور تهمس في القبور
والاجسام تحرق في الاجسام . ولم يسمع
نشيد الدهور ، وهمس القبور ، وتكسك
الاجسام ، الا السكان بجدة
الدهر والقبر والجسم يا حبيبي .

لتنهب شفتاك بجدة الانزلي ، فارمد بها شفتي
وليفرع كأسك حتى التالة يا اخري ،
فاروي به عطشي .

عيت هو الليل والناس توقد فوق الارض ،
وتحتها . فاشرب كأسك عاجلاً قبل ان
يتغلب علينا الناس .

منبر دهن

محروم

يا دنياي - يا دنياي اسمي شكواي
انا من قدفته الحياة في خضك
اعمى لا دليل له

وضعيلاً لانصير له
فتلقفتني امواجك
امواجك الصاخبة المزججة
تدفعني ميتاً مرة وشمالاً اخرى
ثم زارت في وجهي اعاصيرك
وتناهيتي عواصفك
اهبط القيعان المظلمة الرهيبة
واعاو الذرى الشائعة المشجورة
فأدمنت يدي صورك

وتقررت في المسالك الوعرة اوصالي
وتقطعت الناس من حولي ما قاسيت !
خيل لي انك مشرفة لي على وادي مسجور
نبيه الى قرياق يطحن طيناً
وظلاله الوارفات ..

والندى .. والحضرة والعطر يفوح .
والزهور المبقات والمشب الطري الفض
ونار نضجت ، سحر حلال وجنان
وتراوت لي الاحلام . عذابا ناعمت
غمرتني .. فتناست الاعصار
ورحت ! رحت في سبات عميق
ضجة المتهوك - اضناه المسير

جريح القلب - دامي الجسد مزق الشنتين
جفت دمومه وتلفظت دماؤه في حرمة الظل
لم يعرف الليل الا انه ظلام ويرد
وقرع يسكن في كل نامق من القبر الراهب !
ولم يعرف النهار الا انه جوع وحومان !
ولم وطول عتاء .

وشدة ولا امل في خير ا

يخاف اذا اقبل المساء اين اين ؟
ياوي اواني يطمئن ؟
يقضي الليل وكل نفس من انفاسه جزع وقلق
يزقان احشائه . ويجسدان اطرافه
ويجشى اذا دنا الفجر والقي بشعاعه
يكره السكون ولا يطيقه بل ويفزع !
وجراحه تنزف وتئن . ولا يقوى على المضي
واذا مضى ؟ قالى اين ؟ الى اين ؟
يا دنياي - يا دنياي اسمي شكواي
وفي آخر القافلة مضى الجريح الظالم .
يؤحف - والقوم يسرعون - زحفاً ثقيلاً
ولولا ان الحياة تدفعه دفعاً لما خطا !
ولولا ان الموت يجذبه جذباً لما دنا !
وفي آخر القافلة كان يؤحف نحو الغيب
لم يكن يدري لماذا ؟ ولكنه كان يضي
قوة خفية كانت تدفعه وما يدري من الغيب تجذبه
مضى ! وبعينه الكليلتين كان يرى

صرعى هنا وصرعى هناك
والقافلة تسرع وقوماً يتلفتون
ونظراتهم تصرخ في جزع خفيف
وكل الجريح - وفي الحلم رأى
ويا لسرماً رأى . رأى نوراً دافئاً
وظلاً رحيماً .
ورأى بلسماً شافياً وايدي حنون
ويا لسرماً رأى .. امانيه كلها
فوافرحتاه !

ومضى ليل . وانبتق فجر جديد
والقافلة تمضي ولا تدري
وتخلف قوم وتقدم قوم آخرون
وتعثر بعضهم بالجريح الراق
انتهى !! والقي عصاه
فدفعوه .. ومضوا مسرعين

ليخلفوا هم كما تخلف .. في بعض الطريق
وتضي القافلة ولا تصكف عن المسير !
فدعوا

« الربا »

الادب العربي*، في شهر واحد بانطواء اثنين من كبار اعلامه، كان لها ابغ الاثر في توجيهه الى دنيا جديدة من النور، تجمع بين سحر القديم وروعة الحديث اولها الشاعر الملمح خليل مطران، كبير مدرسة الابتداعيين التي خرجت على التقليد وضعت اسس نهضة تحريرية ساوقت الشعر العلمي، ومنحته الكثير من ذخائرها. . وفاتها الكاتب المترسل البليغ ابراهيم عبدالقادر المازني، الذي شارك في جميع مظاهر النشاط الادبي، فكتب في المقالة والقصة والنقد والصحافة والاجتماع، واوفى في ذلك كله على النفاة التي لا مطمع وراءها مستزدي في اسلوب من السهل الممتنع الذي لا عوج فيه. . وكان كلا القائدين الغالين غاية الغايات في الشهامة والكرامة والارحمية، مع رقة ودماعة وتواضع، لم تؤخذ عليها قط مجانحة ولم يوصف بجمل بل كان يجلي للصدق والاخلاص والوفاء، ومثلاً لا ينبغي ان يكون عليه الاديب، صفاء نفس

ورعافة حس، وكرم شامل، وعفة قلم ولسان كان المازني رحمه الله، تسج وحده في مزاي عدة، تفرد فيها بين الادباء المعاصرين، منها فلسفته في احتقار كل ما هو مادي، واعتقاده الجبرية اعتقاد عميقاً موجهاً، وهذا فيما احبب هو الذي جنب به الى السخر من كل شيء حتى من نفسه سخرها معنياً بتسقط المفوات

وكشف نقائص الانسانية بمقابلة الواقع باعتبار ما فيه من النقص بصورة الكمال باعتبارها اسمى الحالات التي ينبغي ان يكون عليه الواقع. . ولون يكون. . ومثل المازني حين يسخر، لا يبعد الى الفكاهة النازلة، تعبد الى الاثارة التي لا جد وراءها، بل كأنه يريد ان يتنعم بالحقيقة الواضحة في وعيه من الباطل المحيط به والمنطق المائل في فكره من السفسطة التي تغلب على واقع الحياة. وكانت لا آبايته الساخرة هذه صارمة لا تتخلى عن مسؤولياتها وواجباتها، فلم يسلمه شكه قط الى اليأس المريع، يدفع المرء الى التخلي والسكون بل كان يرى في عمله الفني شيئاً مقدساً، لا ينصرف عنه الا ليفكر فيه.

ومن مزاياه، انه كان احد ثلاثة نفر، سنوا للادب العربي سبيلاً جديداً، مهدوه بجدهم وابعانهم اما رفيقاه فيها، العقاد، وشكري. . فقد ألفوا الشعر العربي المعاصر مستغرقاً في سبات * حديث اذيع من محطة الاذاعة الاردنية.

التقليد فهاجوا اصنامه وعلى رأسهم شوقي وحافظ، هجوماً عنيفاً لا هوادة فيه، حتى لفتوا الانظار اليهم فانشأوا مدرسة التجديد في الشعر الحديث وألفوا النثر العربي نثراً انشائياً يبيح بالتشعر الممزوجة والزينة المخادعة. فهاجوا اصنامهم ايضاً وعلى رأسهم الراعي والمفلوطي حتى انقذوا البيان من زيف الاستبداد للصياغة المقلية، واهتموا قبل كل شيء بجلاء الفكرة وروعة الموضوع، دون ان يقصروا في طريقة الاداء.

ومن مزاياه ان له اسلوباً متبشراً هو صورة دقيقة من نفسه، ولذهنه التفاتاته الخاصة وطريقته في تناول المسائل وعرضها، ورأية في الاسلوب رأي واضح جليل، فهو يقول - « ان الفرض الاول من الكتابة هو الاهتمام، نقل الحاضر من رأس الى رأس، والحاجة من نفس الى نفس. . والالفاظ هي رموز المعاني، وتلك محصورة أما هذه فلا نهاية لها. . ولذا وجب على الكاتب ان يحسن انتقاء

اشف الالفاظ عن المراد، واحكمها اداء المقصود. هذا غرض الكتابة اطلاقاً، وهي طبقة اولى فوقها طبقة اسمى يحاول من يسهم الناس ادياء وشعراء ان يرقوا اليها، وهي طبقة الكتابة الفنية التي ليس المطلوب فيها، مجرد الاهتمام، بل التأنيب والايحاء. . » وكان اسلوبه العف الصريح صورة لعفته وتواضعه وصبر خلقه،

وتصديقاً لهذه اللقطة الباهرة، فيجاء المعاملة والغوض وهجر التزيين ونبا عن الاقتعال، مع مهارة لا تجاري في الغرض على المعاني وتوليدتها. . كما تنجز بمجدة اخرى دفعته اليها سليلته الفصيحة، فاعاد الى حضيرة اللغة العربية كثيراً من الالفاظ العامة، بعد ردها الى مصادرها الاولى. وفي الحق، لم تطع اللغة القرآنية لاديب كما طاعت له حتى اصبحت في يده، اداة صميحة للتعبير عن اعق الخواص وادق الاحاسيس، ومن خصائص اسلوبه، مساوقته للفكرة ليناً وغناً، فكان على رفته ووضوحه وانسيابه يميل احياناً الى الغريب الجاسي، ليعطيك اللون والظل للملايين للصوره. اصبح اليه يقول في تصوير وقدة الشر ولظلي المركة - « لاوقد لن تارأ ترغرد شماليها، ويسطع مريجها، ويضرب لظها عليه مثل الحباء، وكما تفرق عنها ما يسعها او خبا شواظها، حششت لها حتى تعود ذات معصية وقرقرة » واختصه الله الى ذلك كله، بملكة نادرة هي قدرته العجيبة في الترجمة، حتى ليقول عنه صديقه وصنوه العقاد -

صور ادبية: المازني



http://ArchiveData.Sakhrat.com

«انني لا اعرف في آداب الشرق والمغرب نظيراً للماضي في هذه الملكة التي اسميها عبقرية الترجمة» .

ومن مزاياه - رحمه الله - قوة الشخصية ، فكان على ظلهه وقامته ، ملي العين والنفس والحاطر جسيماً وتروى عنه ، اثناء اشتغاله بالتدريس في مسهل شابه ، قصص تبدل على اعتزاز بالهوية الساطعة ، والذهن المباح ، وتقوم على فهم سلم للنفس الانسانية ووسائل امتلاكها وتوجيهها وكسبها . ولعل مرد ذلك الى العادة المستديرة التي اصيب بها في مستأنف صباه فالجأته الى الاستعاضة بالتورق وتوفر الحس وفورة العاطفة واستنارة البصيرة .

ومن مزاياه ، جمعه بين الادب والصحافة دون ان يحور جانب على جانب ، فالصحافة من شأنها ان تجني على الادب ، وتقضي على فنيته - كما يقول الرافعي - لما تتطلبه من السرعة وترك التجويد ، والتبسيط الملازم لاذواق العامة ، لكن المازني ، خالف القاعدة ، فادى اسلوبه السجع الخاصة ولم يستعص على العامة ، وادخل في المقالة السياسية الخزية معنى لم تعرفه في تاريخها الطويل ، فكتب ما كتب دون ان ييل ، الا في القليل النادر ، الى التجرع المقتض والعذف البذي .

ومن مزاياه ، ايمانه الصادق العميق بالعرزية كفكرة مقدسة ، والدعوة اليها في كل مجال . فكان رحمه الله من اخلص اعوان الجامعة العربية ، وبناء صرحها ، فكتب المقالات الطوال ناصحاً هادياً ، وكان من الجنود الجمهوريين في الحرب الفلسطينية ، حتى اذا آلت الى ختامها الحزين لم يستسلم للكسارثة ولم يقطع ، بل مضى على طيبته ، محذراً مبصراً اميناً لمبدئه باقياً على عهده .

ومن مزاياه ، حبه للصحراء واستغراقه الطويل في محرابها الازلي ، فاتيج له ان يأخذ منها ويعطيها من ذاته ، في تجسيد ظريف تشع منه العذوبة والفكاهة في ثنانيا الفكرة العميقة والحاطرة الرشقة واللغة النادرة في معالجة احاجي الكون ، قال رحمه الله « سبب اثاري الصحراء ان بي مشابهتها وانني اجتلي في انبساط رقعتها وترامي اطرافها ، وتتأقذ ارجائها ، ووجدتها وعربها وتجردتها من كل زينة تحفل بها رقع الارض الاخرى ؛ صورة من نفسي التي تبسط للحياة ولا تريد الحياة بها ، وللدنيا ، لتعجب عليها ومنها ، ولا تريد الدنيا بها عمراً » .

وكان اول ما دفع به الى تلك الحياة الزهية ، ادمانه القراءة وانقطاعها وطول عكوفه على الكتب حتى اوشك ذلك ان يصرفه عن الدنيا ، اذ صارت مجالس الناس واحاديثهم عنده غثة

باردة ، قد بعد ما بينها وبين مسأغ الذوق . فهرب من حدود كتبه الى فسحة الدنيا الواسعة ، ولم يجد أثنى عليه من صدر الصحراء الروم ، يطلب في صراحتها وعربها السولة والعزاء .

وبعث ما اهمله اياه الصحراء الى التحسر على ضياع الصبا وارقة مائه تحت اضواء المصاييح ، ينشئ عن الحياة بين الكتب التي تعين العقل - فيما حسب وقدر - « على الاستمتاع بتدبر عظلة الجلال والابد والحق ، وتعين القلب على تعرف الهول والقزء ، والبلدة والسرور » . واسلمه طول السرى وقلة الزاد الى الشك في قيمة نفسه وجدوى علمه ، دون ان يتخلى عن واجبات مهنته الحظيرة . وكان رحمه الله ، يستترح طعم الامن لعلمه الطلعة من كلام « الجامعة بن داود » .

« الكل باطل ، ما الفائدة من تعب الانسان تحت الشمس ، دور يضي ودور يجي . والارض قائمة الى الابد . كل الاتهار تجري الى البحر ، والبحر ليس بلاق ، كل الكلام يقصر ، لا يستطيع الانسان ان يجبر بالكل ، الصين لا تشبع من النظر ، والاذن لا تمتلئ . من السمع ما كان فهو ما يكون ، وما صنع فهو الذي يصنع ، فليس تحت الشمس جديد . واذا الكل باطل وقبض الريح » . ويعقب المازني على هذا الشين الأسر بقوله « وانا ايضاً كائن داود ، وجهت قلبي الى المعرفة امتحنت نفسي بالسؤال ، عللت روحي بالتفتيش ، وكان نصيبي من كل تعبي « قبض الريح » ما جدوى هذه المساعي ؟ ما خير ان تفرح الدنيا بالحياة ؟ ، لاية غاية ؟ في اي سبيل ارهاقي وكدي واماني ؟ »

فرت بغير الصخور والحجر
حسبه ددة من الددر
مع الصبي سورة من السور
اذ رأيك صباي ذو الطرد
كانني لم اسكنه في عمري
في الدش ان اثبت الذكر
من مازن غيره على الاثر

كم غصت في لجة الحياة فما
وكم تفضت البدين من حجر
الجاراني قد حلت وانتسخت
وصرت غيري فليس يعرفني
ولو بسدا لي ليت انكره
كنا اثنان ليس يحسنا
مات الفق المازني ثم انى

اجل لقد مات الفقي المازني ، وهيأت ان يجد الزمن يقف مثله ، اجل لقد مات المازني الفنان الانسان الذي كان عالماً في شرف النفس وادب الوجدان ، وكان عالماً في خفة الروح وعذوبة النكتة ولما حية الدعاة ورقة الحديث . وكان عالماً في الاستخفاف بكل ما تطفح به الدنيا من آلام .

« رحمك الله ابا محمد ، لقد كنت افضل ما تكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً » .

سعد محمد

عماد

ساشا

ساشا

البحر اينا وليت وجهك وتطل عليها الجبال من
كل صوب ، ونفوس فيها الرديان خضراء
ناصرة ، ويعيش فيها شعب ودود ساذج مخلص
عقيق الايمان بالمعنويات بأخذ من الشرق كثيرا
وبأخذ كذلك من الغرب كثيرا ولكنه يصر
كيف يأخذ وكيف يفتنر .

من تلك الفتنة التي تضيقها الطبيعة سابقه على
هاته البلاد ، ومن ذلك السهم الرقراق الذي
يب على اليونان ذات البهاء ، ومن هذه البيئة
التي لا هي بشرق ولا هي غرب ، جاءت ثناء
يائنة شاعرية الجمال ، شاعرية الحركات ، عش
ونش ، غرح ونفرح ، فيها عذبة نستقيها من
هذه الأراس التي اخضت الجفم ، تنطق بالأسنة
ككار ولغات شق ، ولكن جفم تلك البنات
وتناظر بعض الفاعظم يسوع في فها الدقيق الثمان .

وجه ابيض ناصع (البياض) ميثان عليلتان
سحرها نفاذ / شعر يهيجك ان تراه مندفا
ويبرك ايضا ان تراه مندلا في غير حبيب
لا تشبيب / فأيا صفته و وكيف عذته
واض عليها من سلاته جلا باهر / البدان
رقيقتان / بحيث لو شئت لعصرها بين كفيك
والعوام مياس كنصن البان / والتحر مشوق
فيه كبرياء / والحرص ضام كانه واد غير
غاز / والحياة فيها دفاقة / والبشر يسيم في
سماها .

«ساشا» هو اسمها، وهو اسم شاعري
النغم والجرس، فإذا قيل إن للاسم في
مسيماها صدى، كانت ساشا مصداقاً لهذا
القول، لأنها أغرودة تنشدنا بلابل، وقصيدة
وحدانية تحش بالعاطفة النسلة.

رأيت هذا الوجه الملائكي الفاضل بالبراءة، فلم أجروا لأول وهلة إن أجاره بالنظرات وكيف ذلك واليمينان تحثمان إمام هذا الحرم

وذاات يوم قالت ساشا : اني راحلة .
- الى اين يا ساشا ؟

19

- اتحدك .. لن تعود ..

فضحت

كبريائي وغفمت .. مسكينة

وتحسست ملء ذاتي عملاقاً تهافت عواطف الناس دونه

مر بالجد فاستهان ذراه

وقسمت في سكينه نفسي

واذا الافق مطرح لحياي

ان ترائي الوجود يوماً بدري

صرت اهوى الفناء في كل شي

صرت كلوت لا يجد خطاه

صرت كلوت عابثاً اتزى

ينسج الصمت في جوانب نفسي

عالمًا شامخ الذرى يتأبى



مدفن الظل

مدفن الظل يستعيد رسومه

وينهل في الظلال المنيه

مر فيها فساد رؤيا قديمه

حملته السنون روحاً لثيمه

وبقايا من امنيات عقيقه

صحوه النابض السنا وغيومه

شاء حسي ان لا تكون وسيمه

يرعش الدور في شفاهك الواناً

تتلون صرخه مكرومه

ايه صمراي قد رجعت وهذا

هذه غرقي بغض بها الهدى

كلما مر هاجس في خيالي

ها هنا .. ها هنا تلت وجه

وهنا تيمث الظلال خيفاً

وغدا يشرق اخدار هوانا

ثم انت .. سترجعين خطوطاً

ثم تضيئ مثلما اتقي

ثم تضيئ مثلما اتقي

واستفاق الزمان في مدفن الظل

كان صمت وكان ثمة نفس

- ثم ماذا .. ؟

وتكبرياء تأيت

- ثم ماذا .. ؟

وصوتها يتحدى

- ثم ماذا .. ؟

وكان موت بقلبي

سوف تمضين مثلما جئت يوماً

شدها الله فاستحالت سكينه

وتحسست قبضة في ضلوعي

لبنان الجديد

بغداد

م

كلاسوف

بسم عبد الرزاق الشيع علي

كنا

ثلاثة: شاعر، ورسام، وأنا. نتجاذب اطراف الحديث، ونغني اقداح « البرنو » وتأمل الخارجين والداخلين في مقهى « الديو » الحلي اللاتيني بباريس. وكان المقهى يجمع بزائنه كالعتاد عندما تتجاوز الساعة السادسة من مساء كل يوم، فيلفت نظر غربا. الحلي بكثرة الواقيات والواقفين وهم يتهايمسون، ويتصايحون، ويضربون موعد اللقاء... ويتبادلون القبل، ويتحشرون بالجديدات على ذلك الجو العجيب، والمقهى الغريب في الحلي اللاتيني بباريس. وكمن مرة اعيام الوقوف، وانهمكهم التعب، واضطربم التحرش والمغازلة، وتضايقوا من نظرات الحاسلين الوجوه، فجلسوا... فيأتي الخادم وينحني بأدب، ويسأل برقة: - سيدي! ماذا تشتهون؟ فيتغامزون ويتشاورون، ويتبادلون النظرات بحجية امسل، ويقولون شافهم الدقيقة باستلام، ويوفون رؤوسهم المتوجة بشعر كالضمار.

- لا شيء. ايها الفتى! لستنا عطاشاً. فيشير الخادم الى باب المقهى بكل ادب... فينهضون ويخرجون وقد تضرجت وجوههم بحيرة الحجل والحيا. ولكن هناك من يتجاهل اشارة الخادم فلا يتحرك من مكانه ولا يرغب في الخروج! فلا يقول الخادم شيئاً، بل يغيب لحظة ويعود بعد ذلك برقة رئيس الخدم العلام الذي يتأمل « المرد » بكل برود، ويهتف به بصوت مرتفع: « سيدي! ماذا تريد؟ ». فلا تفض دقيقة حتى يكون ذلك « المفلس » قد اطلق ساقيه للريح.

كان صديقي الشاعر يحلم في ذلك الجو العجيب، فتلاعب على شفثيه كلمات، فذكرته لالم شعره غير المحدود، وانشيت نحو صديقي الرسام، فالفثيه قد عقد ما بين حاجبيه وانحس عينه اليسرى، وراح ير بقلمه فوق القرطاس فيترك خطوطاً مشتبكة، بعضها ببعض، فددت بصري الى المكان الذي كان يحدث فيه، فرأت فتاة جميلة الحيا قد دفتت رأسها في صدر حبيبها، وراحت تلغمه الغيب حبة فجأة.

كان الشاعر يعرض شمرأ. وكان الفنان يرسم وجهاً. اما انا، فكانت أجعل ناظري بين تلك الرؤوس المتقاربة، والايدي المشابكة، والاقسام المتنقة، والشفاة التي تنطبق على الشفاة بجرارة، وتنقل بين العيون والحُدود يرفق، وتتحول الى الاذن لتقول شيئاً جميلاً ولذيذاً، فأقرأ في تلك الوجوه الشاحبة جوعاً الى الحبز، وفي تلك العيون الحاملة، جوعاً الى الحب... ورفعت كأسني لاشرب نخب تلك البطون الجائعة، والثغور الضاحكة، غير انني ارجعت كأسني الى مكانه دون ان اصيب منه شيئاً... فلقد نفذ الى قلبي صوت موسيقي يقول لصاحبه بحنان:

- لا تجزع يا حبيبي! لن تنام بدون عشاء كالبارحة. سأعمل المستحيل لاجلك.

- ما انبلك يا صغيرتي! لا زلت سليم الاطراف قوي البنية على تحمل الجوع اكثر من هذا... ولكن انت. اواه يا ماري... لماذا تركنا... وانقطع الصوت. فالتفت الى مصدره. فرأيت فتاة صغيرة الجسم، ذهبية الشعر، فضية البشرة، قد اسندت رأسها على



كُتف صاحبها المكتتب الخزين .. وبينما كنت استرق السمع واختلس النظر منها ، شعرت بن يقرص خدي ، فالتفت حانقاً فرأيت ميشلين مع صويجاتها يكدن ينفجرن من الضحك .
- طاب مساؤك ! كيف انت ؟ لقد بحثت عنك كلويلاً حتى وجدتك ..

- ما شاء الله ! انك تعمريني بلطفك .. لماذا بحثت عني ؟ وماذا تريد مني ؟

فتضاحكت مع صويجاتها وانحنت علي تربت على خدي :
- ماذا بك يا حبيبي ؟

- لا شيء ، اسوى اني اموت من النعم عندما امع كلمة « جيني » من بين شفتيك !

فقال بجنان غير مصطنع :
- ولماذا تغار يا عزيزي عندما تراني مع غيرك ! انني اريد ان اعيش ..

وانشئت صاحبتهما السرا . قائلة :
- كن لطيفاً معها ! انها تحبك وان لم تعرف معنى الحب ..

فتوسلت اليها :
- يا سيدتي ! لا شيء . بيننا يستحق هذا القاب وانفعاع .. لا

حب ولا غيرة عندنا . اليس كذلك ؟
فدنت ميشلين خدها وهي تقول :

- قبلي اذن !
ولم اكدها قبلها حتى مدت يدها بجرعة مسرحية :

- الآنسة جانيت . الآنسة سيمون .
- كسرفنا ! كسرفنا يا آنسة ! اهلاً وسهلاً . تفضلوا . لماذا

لا تجلسون ؟
- شكراً ! اننا في عجلة من امرنا .

- فلماذا لا تذهبون ؟
فتضاحكن بصوت واحد قائلات :

- لاننا بحاجة اليك !
- اهلاً وسهلاً . ماذا هناك يا ميشلين ؟

فقاتت بترارة :
- لا اتدري لماذا ايجت عنك يا صاحبي ! لانني جامعة !

فشعرت بان قلبي يكاد يسيل بين ضلوعي من فرط التأثر ، فقلت لها بصوت متهدج :

- لا اكتر من مائة فونك ؟ خذي . شبة طيبة .

وانشئت نعر جانيت وسيمون :

وانتا الا اكتر من خزين فرنكاً لكل واحدة منكما .
الى اللقاء . شبة طيبة . ولكن ، تعالي يا ميشلين (ومهمت في

اخذها) اتوسل اليك . لست بحاجة للتعرف على وجوه جديدة !
اذهي . الى اللقاء يا قطي الصغيرة .

والثقت نحو الشاعر الذي كان قد توقف عن النظم ، والى الفنان الذي كان قد انتهى من الرسم ، وكأني في حلم مربع .

قال الشاعر مازحاً :
- الا ترغب في العشاء . وقد جاوزت الساعة السابعة مساء . ؟

فاجبته وانا اربع رأسي على يدي :
- لا ! فلقد شعيت . واحتاج الى وقت طويل حتى اهضم ما

رأيت وما سمعت . كم احب هذا المقهى ، وكم ابغضه .
- يا للسر الحلال ! ان ابغض الاشياء الى نفسي هو الابتعاد

عن هذا المقهى والجلوس في غيره في بعض الاحايين .. انك ان تجد مثل هذه الوجوه الجميلة في غير هذا المقهى من مقاهي الحي

اللاتيني .
فالتفت الرسام اليه وقال بجفاء :

- والوجوه الشابة ، والبطون الضامرة من الجوع . انك ان تجد مثل هذه الصور في غير هذا المكان ايضاً !

الشاعر - (في حكم خفيف) - نعم . زدتني !
الرسام - (بجرارة وحساس) - يجب ان ترى وجه باريس

الآخر . وجهها الدامي . وجهها الجائع الثائر !
الشاعر - (في سخرية مرة) - صحيح ! نعم ! زدتني . انصعني

روحي فذاك .
الرسام - (في تأثر وانفعال) - اقول لك الحقيقة .. انه

لما يجزني حقاً ان اراك تعتقد بانك ترى باريس من خلال مقهى « الديبو » ، وان « كايك » و « بيكال » هما باريس بكل ما

فيها ! ان ذلك يدعو الى الاسف قدر ما يدعو الى العجب والدهشة .
فلميت باريس كما تعلم .

الشاعر - (مقاطعاً) - انا لا اعلم ولا اعرف شيئاً !
الرسام - (مستمراً) - انت تعلم ذلك حتى العلم . ان

باريس ما عكست صورتها في يوم ما في مقهى « الديبو » .. فلو راينا الحق وانصفنا قليلاً ، لقلنا ان بعض ما في باريس ، وهو قليل

من كثير ، قد نراه فقط في هذه المحلات .. والويل كل الويل لمن يسير في قافلة اولئك الذين ادعوا انهم رأوا باريس في سهرة حمراء .

بكليشي، او امسية في بيكال، او جلسة في موفارت او الشاتز يلزة .
ان باريس كما قلت هي غير تلك الاماكن والحلات (يلتقط انفاسه
ويسكت فجأة) .

الشاعر - (باهتمام ساخر) - اهذا كل ما عندك ؟ زدي
اصلحك الله !

الرسام - (يتعب وابعاء) - اقول لك الحقيقة !! انا لا احب
الصدر الحالم ، والسيقان الثائرة في الشعر . .

الشاعر - (يضحك بصوت عال ويقول بازدراء) - بيج، بيج
لك يا سيدي الفنان. لقد تفضر العلم من فك ، وسالت المعرفة من
انفك ، وحط الفن ساقيه على شاربك الجليل . . كنت احتاج الى
تمريفك ، وكنت انتظر ارشادك حتى ارى وجه باريس الآخر
المختل بالدموع . (ينظر الالم على وجهه ، وتشع المראה في صورته)
اذهب يا سيدي وتعلم ! تعلم تصريف الحديث . . أنت رجل بلا قلب !
انت جسد بلا احساس ! أنت كالبيعا، تردد ما تسمع من هنا وهناك
دائماً . لا تحزن يا صديقي، فاني صريح ومخلص مع كل الناس. انت
لست بفنان ! انت رجل مقلد وكفى ! يعوزك الخلق والابداع . .

الرسام - (مقالماً بتأثر) - ولكن . . يا سيدي الشاعر !
الشاعر - (مستهزئاً) - لا تجد علي اخذها نصيحة علي الا تقل
ما لا تعرف. ولا ترشد من كرس حياته للفن الانساني والادب
الرفيع . فلو سألتك عرضاً ، ما معنى هذه الخطوط المتداخلة
والالوان المتنافرة، لاصابك العمي ولاجيتي بكل بساطة « لا أدري !
هكذا يجب ان يكون ! » ولو قلت لك « ان هذا آية في القبح . . »
لاجيتي في الحال وبشي . من الخيال ! « انه آية في الجمال ! » واذا سألتك
بهذو . . « لماذا تراه أنت جيلاً ، واره انا قبيحاً ؟ » فيكون جوابك
القاطع : « هذا هو الفن ! وأنت لا تفهم هذا الضرب من الفنون ! »
ارأيت يا صاحبي ! انك لا تقدر على شرح دقائق فنك العميق . .
(يربت على كتف الرسام بلطف ومودة) أنت تجهل حتى صنعتك !
يعوزك روح فنان . وذوق أديب . وعقل مفكر، حتى ترى ما أرى
في هذا المنهى وفي غيره من الاماكن . . ولكن لا تذهب . . ارجوك !
اشرب معي ، نخب الجلال . . والدلال . .

أما انا الذي لم اكن افهم شيئاً في الشعر والتصوير ، فلم اقل
شيئاً . . بل انشغلت في التطلع الى وجه ذلك « الفوضوي » الوقور . .
بلجيته الكتحة ، وشعر رأسه الجليل المستوسل على كتفيه . . وقبعته
القدرة ، وملابسه الرثة المهلهلة . .

دخل المنهى في تلك اللحظة وهو ينادي على صحيفة « الفوضويين »

بصوته الهادي، العميق . انه دكتور في الفلسفة !! ولكن الحياة في
باريس تدفعه الى بيع صحيفة لا يقبل عليها الا كل فوضوي وفوضوية،
او مفكر حر قد انطلق من جميع المقاييس والمفاهيم القديمة المظلمة .
وانتهت على من يربت على كتفي بلطف ، فالتفت ورأني
لمواجهة الفتاة الصغيرة ذات الشعر الذهبي ، والصوت الموسيقي . .
- عفواً يا سيدي ! ارجوان لا اكون قد ضايقتك . . هل ترغب
في شراء آلة تصوير ؟ . .

فعلقت الدهشة لمانتي، ورحت انقل نظري بين وجهها الجليل
وآلة التصوير المعلقة بيدها . . فلما لاحظت ترددي ، قالت بجميا .
وقد تضرع وجهها بحمرة الحجل :

- انما الحاجة التي تدفني الى بيعها ! اعرضها على رفاقك
فلعلمهم يرغبون في شرائها . .

فأخذتها منها ونظرت الى رفيقها ، فاذا به يشيح بوجهه، فخيّل
الي انني قد فهمت شيئاً . . وانتهالت علي عشرات الاسئلة من
صديقي الشاعر - : ماذا تريد ؟ عن أي شيء تتحدث هذه
الحلقة ؟ اسرع بالترجمة ! لماذا اخذت منها آلة التصوير ؟ . .
فاجبت بكل هدوء :

- انها حائنة ! ان صاحبها لم يبلغ بشي . منذ مساء أمس ! انها
تريد بيع هذه الآلة . . فهل ترغب في شرائها . . للذكوري ؟
كتر تريد غفلاً ؟

فالتفت نحو الشقراء مستفسراً :

- بكم تريد ان يبعها يا أئمة ؟

- ألف وخمسة فرنك .

الشاعر - (بعد ان يقلبها بين يديه طويلاً) لا ! هل تظنني
غنياً لهذه الدرجة . . قل لها : سبعة وخمسون فرنكاً . .
المترجم - انها تساوي اكثر مما دفعت . .

الشاعر - (بعيد النظر الى الآلة) - لماذا تدافع عنها ! ولماذا لا
تترجم بدقة واخلاص . . هل اثبتك ببطرها ، وسحرتك بنظراتها ؟
الشقراء - اؤكد لك يا سيدي انها صالحة للاستعمال ، وانني
بأمس الحاجة الى تمثها . . فها لا رغبت في مساعدتي .

المترجم (بمرارة) - دقيقة واحدة من فضلك (للشاعر) واخيراً
الا ترغب فيها ؟

الشاعر - (بلهجة ذات مغزى) - فيها ؟ اؤكد لك انني اذوب فيها .

الرسام - (فجأة) اشتريا بالنال فرنك .

الشاعر - (بانفعال) ، لقد اشتريتها بالنال فرنك وانتهى الامر .

واخرج صديقي الشاعر محفظته من جيبه وسلمني المبلغ قائلاً:
— قل لها : اني لست بحاجة لآلة التصوير . ولكن ارضا
لخاطرها . . لاجل مساعدتها .

فسلت المبلغ بدوري للشقراء وترجعت لها حرفياً ما قاله
صديقي . — ان صديقي يبلغك تحياتي . انه يتألم لاجلك .
— لست ادري كيف اشكرك على مساعدتك اياي . شكراً
اصديقك . انه طيب القلب جداً .

الرسام — (يضحك) — جداً . . جداً .
الشاعر — (مجدة) — ولماذا تتدخل دائماً فيا لينييك .
الرسام — (يبرود) — نعم . بلي ! اتركها . لا . لن اتركها .
المترجم — (للشاعر) — ناولي علبة سكاكزك الامريكية
(يأخذها منه ويلتفت نحو الفتاة) . الا تدخين يا آنسة ؟
الشقراء — (بلطف) — شكراً . ان زوجي هو الذي يدخن !
المترجم — (فاغر الفم) — زوجك ! .

الشقراء — (تنظر الى زوجها بجمان بالغ) — اقدمه اليك .
نيكولا . طالب في الصف الرابع في كلية الطب . اراك متعجباً !
انني ام لطفل صغير ايضاً ! (تخرج من محفظتها صورة شخصية)
انظر اليه كم هو جميل في مهدته .

المترجم — (بارتباك ظاهر) — كنت . . كنت اظن ان
الشقراء — (بأدب جم) — ان بعض الناس انما
الشاعر — انني لا افهم ماذا تتحدثون ! الا ترغبين في الترجمة ؟
المترجم — ان الفتى الذي يجلس بجانبها هو زوجها . وانها والدة !
الرسام — يا الهي ! .

الشاعر — من الذي يتصور ان هذه الزنقة قد تحملك آلام
الحمل تسعة أشهر .

الشقراء — (تتأمل الثلاثة) — فن اين انتم ؟
المترجم — من الشرق ! الا تعرفين بغداد يا صديقي ؟
الشقراء — (بتعجب) — بغداد !! مدينة السحر والحيال !
الف لية و لية ! .

المترجم — (بخبرة مرة) — نعم . بلي . مدينة السحر
والنحاس . الف مصيبة ومصيبة . وأنت ؟
الشقراء — (بصوت عقيق) — رومانية يا سيدي !
(فترة سكون)

الشقراء — (المترجم بصوت خافت) اجد نفسي مدفوعة
الى التحدث معك بكل صراحة . لست ادري لماذا . لعلها الحاجة

(بجملة واثقة) ان زوجي كثير الحياء . انظر اليه انه يكاد
يذوب من الحجل لانه يريد ان يبيعكم معطفه اذارغبتم في شرائه !
المترجم — وأسفاه ! لست بحاجة اليه ولكن انتظري (يلتفت
نحو الشاعر والرسام) هناك من يريد بيع معطفه ، فهل ترغبان في شرائه ؟
الرسام — (ببراءة) انني بحاجة اليه ، ولكنني لا املك ثمنه .
الشاعر — (يبدو الاهتمام على وجهه ، فيمد شفتيه ، ويفرك
جبينه ، ويدعك عينيه براحتيه) — انني اتألم ! (يطيل النظر الى
معطف الشاب) اما اللون ، فلا بأس به .

المترجم — انك بحاجة الى معطف سميك للشتاء ، وهذا يناسبك
في اللون والشكل . الشاعر — صحيح ! نعم ! ولكن حدثني عن الثمن .
المترجم — (للباكمة) — ان صديقي يريد ان يعرف .
الشقراء — (تقاطعه بخوف) — تأكد يا سيدي انه ليس
قديماً . لقد اشتراه زوجي في العام الماضي . وهو يفضل قرص البورد
على قرص الجوق . المترجم — انه يريد ان يعرف ثمنه !
الشقراء — (بعد تردد قصير) — اربعة آلاف فرنك !

الشاعر — ارجو ان لا تظن هذه الحسنة انني من الموسرين .
قل لها : لو كنت غنيا لما ترددت في شراء المعطف بالمبلغ الذي تقدره
ولكن الآن لا اكتر من الفين فرنك .

الشقراء — (يتوسل) — لا ! يا سيدي . ثلاثة آلاف وخمسةائة .
لا يرضك هذا ايضاً ! . تأكد يا سيدي ان طفلي يكاد يموت من
الجوع . الا تريد ان تشتري ؟ كما ترغب يا سيدي . (تمسح دموعها)
ولكن ، اعطني ثلاثة آلاف فرنك .
(فترة سكون)

الزوج — (يخلع معطفه وحمرة الحجل تضرج وجهه ، ودعمة
الكبرياء تكاد تنجس من عينه) .

الزوجة — (تتشغل بالنظر في فينجان القهوة) .
الرسام — (يعبث بقلمه ويقتل شاربه) — آه . انني لا استطيع
البقاء ، طابت ليلتكم والى اللقاء . (يخرج) .
الشاعر — (يتشغل بشعال سيكارتة) — انني اتألم !

المترجم — (يدس قن المعطف في يد الزوجة ، ويناول الشاعر
المعطف) — الا تخرج انت ؟ .

هيا بنا اذن (الى الزوجين) طابت ليلتكم . والى اللقاء .
وخرجت مع صديقي الشاعر الذي جعل يشعل في سيره
ليلبس معطفه الجديد . .

بغداد عبر الرزاز السبخ علي

مسز دومينيك سافينو

هل

انك نيا ما قامت به مدينة شيكاغو العظمى في الولايات المتحدة الاميركية مؤخرا؟ ان هذه الحاضرة التي ينف عدد سكانها على اربعة ملايين نسمة اجتمعت بمحافظتها وزعماء السياسة والتجارة وقادة الفكر فيها على اكرام امرأة متوسطة الحال اجنبية المولد استبقوا عليها في حفلة شائعة لعب « ام شيكاغو لسنة ١٩٨٨ ».

مسز دومينيك سافينو امرأة ايطالية مسرعة اللون قصيرة القامة مكتنترة الضل عمرها ٥٩ سنة لا يراها جيرانها الا منتفلة بشايط وخفة عبيبين لم يد للعونة للجنات اليها في ذلك الحى الذي تقوم فيه وهو كسائر الاجباء الفقيرة في المدن الكبرى منغ خصب للويفات في ذوايا وظلمات الفقر والمخاصمة حيث يتعذر على الاحداث ان يجدوا منفرجا سلبا للتسلط او مرحهم .

كان عمر هذه المرأة عشرين سنة عندما هاجرت من قربها قرب نابولي في ايطاليا واقامت اولامع انسيا لها في مزرعة في شبلي ولاية انديانا . وهناك التفت باين قربتها دومينيك فترجوا واتقلا الى شيكاغو وورقها اربعة اولاد . واعادت هذه الاسرة ان تذهب في صباح كل احد الى كنيسة ايطالية تجتاز اليها مسافة طويلة في الحر والبرد في الصحو والمطر .

وفي صباح احد اطلت المرأة من النافذة وقالت لزوجها « تعال انظر » هذه كنيسة قريبة عبر الشارع فلتجرب الذهاب اليها » .

ولما دخلا الكنيسة وجدوا اضالا تختص بطلاقة من الطوائف المسيحية واعجبتهما حقارة القوم بما رايها في النادي التابع للكنيسة من وسائل الترفيه والتثيف فواتبا على الحضور كل احد .

وكانت هذه الكنيسة جزءا من مشروع خيرى اصلاحى لذلك الحى فشرعت مسز سافينو

بتخصيص ساعة او اكثر كل يوم للمواظنة في الكنيسة وغسل الصجون واعداد الخفلات للولاد والاحداث . على انها لم تحصل شيئا من واجبات الام في النهاية التامة باولادها الاربعة لاعتقادها الوثيق بان على الام ان تبى مع اولادها في البيت الى ان يكبروا ويستقروا عن حياتها واذ ذلك لا يبقى ما يعينها عن مساعدة الجيران .

ان كل فرد من الكبير الى الطفل الصغير في ذلك الحى كان يعرف مسز سافينو التي كانت تجد وقتا للاطفة كل من نفاها في طريقها بتحية او كلمة او تربية على الكفف . وقد حسب القاطنون بالمشروع الاصلاحي في ذلك الحى ان مسز سافينو ضمت من وقتها ١٥٨٩ ساعة سنة ١٩٨٨ لمساعدة جيرانها دون ان تغبل ابرار او مكافأة . وكانت ترى معظم الاوقات متفلة من بيت الى آخر تبحث هذه المسالمة المتشاكفة في مسكنها عن مسكن ارباب وافضل ولقد اذنت لزوجها ان يتركها لتقوم بتعليم ابنتها غريتها وترتيب فراشها واعطائها الدواء والغذاء والاعمال بما حاجت اولادها الصغار المسبلين . وعلى الرغم من كثرة تنقلها ماشية على قدميها وتل ما تقوم به من الاعمال لا يبدو عليها شيء من آثار الكد والتعب .

وكانت كما سئلت كيف يمكنها ان تقوم بكل هذه الاعمال لمساعدة الجيران وما يهددها الى ذلك تجيب ببساطة متناهية : اما عليك ان تعيش الى ان تموت ؟ فيجب اذن ان تعيش عيشة صالحة .

انتقلت عائلة نغية الى ذلك الحى تألأب بعض اشقيائه حول البيت الخفيف واخذوا برشوق نوافذه بالحجارة حتى تعذر على افراد العائلة الخروج من البيت . وسومت مسز سافينو بالجر فاسرعت الى حيث علا صرير النواظ . واخذت تدعو كل شخص منهم باسمه وتأممه بالانصاف ثم اعطت ان المرأة في ذلك البيت

صديقة لها ، وما اسرع ما تفرق القوم مطيعين امرها الحازم وصاروا مثلها اصدقاء للعائلة الزغية لانهم اقرروا لها بالفضل والرعاية بينهم لا للثروة ولا لحسب او رتبة عالية بل لان لها على كل واحد منهم ايدي يضاء .

اما ما الذي دعاها الى اتقاد جانب الدفاع عن العائلة الزغية فذلك اسر في غاية البساطة عندنا لا يحتاج الى ايصاح ان يسوع لا يكبره الزنوج . فباذا تكريم نحن ؟ ه هذا المثل كانت تحل كل مشكلة اجتماعية عمرة الحل فتسأل نفسها هذا السؤال البسيط : ماذا يفعل يسوع لو كان في محلي ؟ وتقول بما يوحى اليها ضميرها النقي .

ان هذه المرأة الساذجة بالنسبة الى غريبات المدارس الثانوية فضلا عن الكليات ، الاجنبية المولود للثقافة مبدا الديمقراطية بصورة عملية يصر عن ادراكها عن الحقائق بما معظم المتخبرين المثقفين بدمقراطيتهم ، والفقيرة اذا قولت بعشرات الالف من اغنياء مدينة شيكاغو العظمى قدحها . اجماع زعماء هذه الحاضرة على اكرامها . ان الفضيلة شعة الهية لا ينفى نورها في اي محيط انبثقت وما اشبه مسز سافينو بالارملة التي خلدت كرضيها السيد المسيح عندما قال : هذه الارملة الفقيرة قد القت أكثر من كل الذين القوا في الخزانة . لان الجميع القوا بما فضل عدم . واما هذه فبغير عزرها الفت كل ما لها تكل مبيتها » .

ولم الذين ينظرون الى بلاد العم سام نظرم الى قطر قد شئت للمادة عن كل مزية روحية او فضيلة انسانية يرون في مثل هذه المرأة واقبال كبراء القوم على الاعتراف بفضلا واكرامها ما يبدل من رأيهم في الشعب الاميركي الذي فيه كما في كل شعب آخر على سطح الارض الصالحون والطالحون .

توليدواوايوا - الولايات المتحدة

الدكتور ميريت غانايا كساب

جوزيف كزافي والنحت البارز

بلمر جميل حمودي

لانت

زيارتي اليوم مخصصة لستوديو النحات Joseph Csaky* وكان صديقي النحات جويل مارتيل J. Martel هو الذي لفت نظري الى هذا النحات فقد قال لي عنه يوماً وهو يحادثني : « كنت يوماً ما اقني ان اصنع ما يصنع في النحت ، اعجب لوقتها ، نحأت النصب التذكاري العظيم للموسيقار ديبوسي Debussy يقول هذا عن نحات معاصر آخر ؟! وكنت قد تعودت سماع بعض الفنانين الفرنسيين يتحدثون فان وصل بهم الحديث الى اجني شهر دمدموا بغير اكرات Ce n'est pas Français ثم اكتفوا بهذا كحكم يبدو غريباً لمن لا يفهمه .

وعندما زرت مسيو كزافي وجدت نفسي حقاً امام الرجل الطيب والقنان الاصيل ، واحسنت باثر كونا انفحص انتاجه الفني ، في نفسي رغبة ملحة في تعريفه الى جمهور القراء العرب . على انني سأختار في مقالتي المختصر هذا ناحية واحدة فقط من فنه لم تظهر للعلن الباربي وهي طريقته الجديدة في النحت

البارز : Bas relief ، والنحت البارز اكثر الانواع صعوبة وأقلها تبسيراً للفنان ان يتحرر من القيود والقواعد الموروثة . فهو يمكنه مثلاً ان يستبدل في هذا الميدان مواد مختلفة : الخشب بدل البرونز او الجليس او الحجر او حتى الزجاج . لكن المسألة تختلف عن هذا ، انها تدخل في العمل الفني نفسه : في الاسلوب . ولو استعرضنا تاريخ النحت البارز منذ العصور القديمة لما رأينا فيه بصورة عامة ومن حيث اسلوب العمل الاطريقتين عامتين : الاولى هي طريقة التجميع النصف الكامل relief . والثانية هي طريقة التجميع المسطح : Bas relief وفي الاولى يجعل الفنان الهيئات المقصود عملها تعجز الى بعد غير

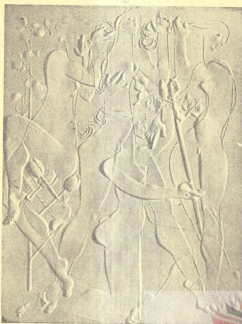
محدود عن سطح القاعدة ويتخذ من الشكل (la forme) شيئاً أساسياً كما هي الحال في النحت المجسم الاعتيادي تقريباً . بعكس الطريقة الثانية التي تتخذ من الخط شيئاً أساسياً فيبدل الفنان جهده في ابقاء جميع نواحي القطعة على ارتفاع واحد منخفض ثم يجعل من الخط أساساً للتعبير عن العاطفة والفكرة من جهة ، وعن الابعاد والتجسيمات المختلفة من جهة اخرى .. وخارج نطاق هاتين الطريقتين لم نزالا محاولات متفرقة لم تجوهر فيها شي . خاص مهم . على اننا ، في مطالعاتنا المختلفة لتاريخ الفن نعثراً على ملح عذبة وهيئات رائعة مررت بهذا الفن - اقصد النحت البارز - وذلك في الفن الصيني والاشوري والابلي والمصري والروماني والفينيقي واليوناني وغيرها من النعوت القديمة . على ان النحت البارز الاشوري كان قد حقق أكثر من غيره الصفاء الكامل واشتلت على المميزات التي تجعله على مسافة اقرب الى ذوقنا الفني الحديث . فالفنان الاشوري ، بصرف النظر عن نوع ثقافته ومحدودية حريته الموضوعية لالتحاقه كلياً بالملك والالهة والابطال ، فقد استغنى بشكاله الانسانية والحيوانية وما يحويها من حركة او عاطفة او قصة ، عن الكثير من الزخارف والملتويات ، ووجد في قوة خطوطه وبساطتها واكتال تعبيرها كفاية وغنى .

وقبل ان اتيه في موضوع لا طائل تحته ، اعود الى الحديث عن زيارتي لمسيو كزافي ، فقد استقبلتني ، اول ما دخلت ، بحبوسته الجديدة من النعوت البارزة التي ما يزال في نشوة اخراجها وتبسيطها للظهور :

- أتعلم يا مسيو حمودي ، انت اول من يطلع من النقاد على هذه المجموعة الجديدة واول من سيكتب عنها . لو رغبت في ذلك!

حزوف كزافي بريشة جبل حمودي





أوربيل جيس من مجموعة الفنان الخاصة

ولا أنكر أنني شعرت بمثل هذا عند بعض الفنانين الآخرين مثل النحات مارتيال Martel والسيراميست^(١) دو كوير Decœur والمهندس الخزف^(٢) Jallot وبعض غيرهم. . على أن المثقفين الحقيقيين الذين يفهمون الحقيقة الفنية ويتعمقون في ذلك قليلون بين النحاتين والمصورين كما أرى .

يعتمد كراكي في النحت البارز على رسومه (Dessins) التي يتخذ منها فناً خالصاً مستقلاً كل الاستقلال عن نحت الجسم ، وقد نحا في رسومه هذه - كما في نحتوه البارزة - نحو خلق نوع جديد من التعبير عن النفس الانسانية وصبغاتها المختلفة بخطوط تتعرج وتنبعث باتساق واطراد دون أن يقطعها كالعادة ما يقارب منها في التباعد perspectives قائلة عنده أين ما كانت في المسكن أن تتكامل خطوطها متقاطعة مع الخطوط الأخرى التي يقال عنها أنها غير مرئية فهو يراها بفكره ويرى كيف تنطوي وتتعرج حتى تظهر للعين ظهوراً فيزيائياً كالعادة . وهو يرسم موضوعه دون تحديد جامد لفكرته . يأخذ وقتَه وقلقه ثم يجمع ما في الذاكرة من

قال لي هذا وهو يتسم بصفاء وطيبة . فأخبرته أنني لا اكتب بصفة الناقد المستعِن وأُتني فنان أيضاً . لذا اشعر بواجب تعريف الفنون المعاصرة في العالم بين حين وآخر إلى القارئ العربي الذي يجهل الحركات الفنية في العالم جهلاً تاماً والذي حرم - مع الأسف - من يتخصص قلبه من بين الكتاب العرب للفن والنقد الفني فينشله من جفاف الذوق وببوسة العاطفة .

لقد تعرفت على كثير من الفنانين الفرنسيين المشهورين وتحدثت الي الكثير منهم ، الا أنني لفتت نظري صراحة كراكي وثقافته الخالصة أكثر بكثير من اعتداد زاد كين Zadkinn مثلاً ، بنفسه ولقد وجدت أكثر الفنانين يسبحون في خضم من التفاهات الفكرية التي لا يكاد يصدقها العقل ، حتى أولئك منهم الذين هم أعضاء في المعهد الفرنسي . ولكنني أحسست امام كراكي بأني امام فنان يفهم نفسه جيداً ، امام فنان تقف يده ودرس الحياة دراسة عميقة لا لحديثه والظهور بها امام المجتمع فحسب بل لفته وعمله . .

✽ ولد جوزف كراكي سنة ١٨٨٨ في مدينة صغيرة في هنغاريا تسمى Rszged ونشأ واكمل دراساته الأولية في وطنه هنغاريا وكان مولماً منذ صغره بالعمل الفني حتى إذا ما صار عمره عشرين سنة سافر الى باريس متخصاً من جو لم يكن ليسمح له ان يعالج مشكلة كانت تشغل رأسه الفني ، وهي مشكلة الفن الحديث الذي كان يريد أن يجيبه على كل وقتهم ووجوده . وباريس كانت - وما تزال - هي المركز الذي يفتن أماله من الحارثين من المجدود او من الفنانين . . . وبعد قدومه الى باريس سنة ١٩٠٨ وشوهره بالخبرة الفكرية والانطلاق من جميع القيود التي كان يرى بها الخطر الأكبر على فنه وعلى روحه المتساقطة في فضاء الخلق والانشاء الفني الجديد ، رأى ان في نفسه ، في احمق نفسه ، وثبة صارخة لا تسمح له بالمودة الى الوطن . فبقي في باريس عاملاً مجداً في خدمة النهضة الفنية الحديثة في فرنسا في مطلع القرن العشرين الى جانب بيكسو وبراك وإعالمها منتقلاً من اسلوب الى آخر ومن تجربة الى أخرى ، فكان مثلاً ، اول من أدخل النظرية التكعيبة على فن النحت ، حتى حصلت له الشهرة التي يستحقها فأصبح له شأنه الكبير في مجموعة الفنانين الكبار في العالم .

وقد تجنس كراكي بالجنسية الفرنسية وتزوج - الا أن زواجه لم يكن موثقاً على الزعم من أنه كثيراً ما يمين الى الاستقرار المائي الذي لم يذقه طوال حياته التي بدأت في بيت ابيه وامرأة ابيه التي خلفت امة في إدارة البيت ، والحيث نفسه بسوط من المذاب ضائع اسباب هربه من وطنه الى غير عوده ، ان لم يكن من الاسباب الاساسية لذلك . وهو يعيش الآن مع ابنته الوحيدة رينيه (Renée) وهي مصورة شابة ، في بيت متواضع الى جانب منجته (Atelier) في الشال من باريس مجداً في بيته عن مميزات جديدة يضفيها الي مجده الفني .

ملاحظة : اقتبست هذه النبذة القصيرة عن حياة الفنان كراكي عن كتابي (الفن المعاصر في فرنسا) فهو من الشخصيات التي تحدثت عنها في الجزء الاول « النحت » .

(١) Céramiste أين صانع الفخار . (٢) Décorateur .

ان الارابيسك^(١) تكون ضئيلة جداً او معدومة . اما كراكي فانه يعتمد بوضوح دراسة تلك الصلة العميقة للزخرفة مع المادة الموضوعية الاصلية وهو بذلك يحقق لنا مثلاً عظيماً في ربط موضوعاته بسلاسل متساوقة بجبال وروعة من الزخرفة النباتية التي تذكرنا بعصور الفن العربي الذهبية والتي تضع امامنا حللاً كاملاً جديداً للشككة التي يظن وجودها الكثير من النقاد في اوروبا وهي محدودية التعبير عن الطبيعة في فن النحت .

اما الموضوعات التي يشغل فناننا نحت البازر بها فكمما قدمت موضوعات تخلقها يده التي كرست شبابها في دراسة الجسم الانساني في حر كاته وسكناته المختلفة ولكن على الرغم من كل هذا فحين نرى بين قطعه مواضيعها اهميتها الخاصة من الناحية التاريخية والاجتماعية والحضارية فنجد مثلاً لوحة عن جيش المقاومة الفرنسية ضد الاسبان سنة ١٩٤٨ . واخرى عن قصة دافنيس وكلويه (Daphnis et Chloé) سنة ١٩٤٨ وغير هاتين القطعتين كثير . وفي نهاية هذه الكلفة المختصرة التي اردتها عرضاً سريعاً لناحية واحدة من فن المسيو كراكي وهي نحت البازر ، احب ان اخبر

القادري الكريم

ان لي على فناننا مأخذ بسيطة تتعلق بمسألة الصياغة فاني أرى في خطوطه على الرغم من موسيقاها وانسياقها الجميل نوعة وتردداً لا يستجبان في فن النحت لان رقة الخطوط ليست

من صفاته الاساسية وخاصة في الوقت الحاضر . ان القرة والبساطة هما اساس النحت .

جميل عودي

باريس

(١) L'Arabesque أي الزخرفة .

دراسات عميقة للجسم الانساني الذي امضى شبابه في فهم تسميته : وحر كاته فهماً اكيداً كاملاً ، ثم يترك ليده المفكرة ان تخلق ما تريد لا يكلفها بوضوح معين ولا يحددها الا بأسلوب متسق متجدد هو نتيجة دراسة وبحث طويل . وهكذا تزوج يده تكتشف في كل لحظة من لحظات الخلق اشياء كان يبحث عنها في حنايا نفسه . نعم ان كراكي يعتمد في نحته البازر على رسومه . ولعل الفرق الوحيد الذي اراه بينها هو ان الاول نحت في المادة والثاني رسم على الورق . ويزي في كل هذا انه اعطى اهمية كبرى يشيئين نحتها ضائمين في كثير من الانتاج الفني الحديثها : الكفان والقدمان ، فنذ صغر فناننا النهضة الاوربية لم نجد في الفن — بصورة عامة — العناية الكاملة برسم الكفين والقدمين كما كان يفعل الكلاسيكيون مثلاً . اما الآن فنجد الكثيرين جداً من الفنانين الكبار وقد تركوا اليدين والقدمين في نوع من الصياغة الضعيفة التي تسمح لنا ان نقول أحياناً انهم لا يعرفون عملها . اما فناننا فقد استطاع ان يفهم بمعنى حركة اليد والاصابع والقدمين وادرك جيداً كيف يمكن ان يعطيها في فنه الحياة والحركة .

ومن صفات

هذا النحت

البازر خطوط

رقيقة بارزة

تجدد مشكلات

الموضوع او

تنطلق حرة

في التعبير

بدقة وصفاء

عن ارق

الاحاسيس

والمشاعر التي

يريد ان يهبها

لموضوعه مكونة

في القطعة

عنصرأ زخرفياً هاماً ، وهكذا وانت تتمتع بنظرك ترى نفسك وقد اخذتها هزة من الهارموني المتباين بين الصياغة التشكيلية والمعنى الرفيع المنسجم انسجاماً عميقاً بروح الزخرفة الجميلة التي يبتها فناننا في انحاء لوحاته على عكس ما نجد في الفن الاكاديمي الرسمي حيث

في الليل

أبتاه ، لا تعب أكفك
وتصدأ المزلاج من
وعتاض شياكي الصغير
أنا في نوي ، وأنت في

لذات طيشك ، لم تحان
شهمت به الشهوات فامتد
وتلاطمت أمواجه الحمر
هذا الرماد طلاؤهما

القيتي نغماً ، يؤثر في
فضيت ، تحملي دروب
فأذا بكيت على ضياعك ،
فلقد نسيت ، وما نسيت

نفسى ينفقها السكون
عامسان مرأ ، فترك
أني اجبت على نذاك
أيتيتي طفل لا ، ولم

مأذا أتيت تريد من
أنا ، فترك
لم ترع يا ابتاه احلامي
وأنا اليتيم ، قنعت من

النار ما ابقث من
تتناوب الاشباح في
شوهي ، مرمدة الجياه
وأنا الحزين ، فراؤه

قد كنت اصبر للسماء
فموت للارض الخزون
فطويت احلامي ، واسدلت
لم أدر انك خلف باب

خذ طيفك المخزون عن باي
الذكريات قلاود بالاحد
ذاك الصغير ، سقاطة

أحكم النسيان باي
سكب المدامع والسحاب
عن الزجاجه بالتراب
مشواك ، مطلول الروابي.

لي سوى قتال طيني
اللهيب الى جنوني
أه ، تلهث في عيوني
تنسوا ذراه على جبيني

دماء ، لظي التياح
مضيت ، كالافاعي
ما بكيت على ضياعي
شجوب ساعات الوداع

فلا تهجها باللقاء
الاعوام ، تضي بالثاني
وما اجبت على نداي
تعباً ييتي وانطفائي

طلل ، يدوم بالياب
كاليت ، من نعم الشاب
فلم تبدو بباني
التي التائم بالساب

الماضي ، سوى طلل يثن
ليالته ، يوم وجن
كأنا دود مسن
الثلجي ، اكواب ودن

فقت الدنيا جنجاعي
تعصب الذكرى صاحي
الستار على جماعي
الليل ، تنكأ لي جراحي

فقد صدأ الحديد
الكثيب ، وتستعيد
عري ، يبطنها الصديد

لم يكن يلوح لي كل مرة . ولكنه أطل علي هذه الليلة ،
وفي هذه الليلة بالذات ، كأنه تذكر تلك الساعة فقط ، الخفة
الصغيرة التي مسخها في ساعة من ساعات الضجر الفارغة

نصفا الجبري

شهاد

حاجة العرب الى الاسلوب العلمي

بنم قري عافظ طرفانه

عضو الجمعية الملكية الاسيوية في لندن وجميعات العلوم الرياضية في انكلترا وامريكا

مجموع

والذي لا ريب فيه ان جهل العرب بالطريقة العلمية وابتعادهم عن العلم قد ممكن الاعداء منهم واكسبهم الجولة الاولى على العرب. وكيف لا يتضرر الاعداء وقد تسلحوا بالعلم ولجأوا الى أساليبه وطرقه فاستعملوها على نطاق عريض بينما سار العرب على المقاييس الماضية وبأساليب تحطه الفوضى من كل جانب خالياً من الرقم والدقة، فلم ينجأوا الى الاستقراء في معالجة المشاكل والقضايا كما انهم لم يعمدوا على البحث والدرس والرقم في اعمالهم وتعيين اتجاهاتهم وأهدافهم ولا شك ان هذه الأوضاع والفوضى وهذا البعد عن الاسلوب العلمي قد تسببت في الجهل والتقييد بالماضي ومقاييسه وعدم تقدير العلم وأسأله وأهميته في الحياة والعمران.

يجب ان يدخل العلم في السياسة وان يتشبع الذين يشتغلون بها بروحه ليكون نتائجهم مشرراً وفي مصلحة المجموع. فالسياسي الذي يسير على الاسلوب العلمي ويعتمد على الاحصاءات والرقم في حل القضايا ومعالجة المشاكل لا يرتجل ولا يتقيد بالاساليب الماضية وينظر دائماً الى الامام ويكون في نشاطه واعماله متجدداً ناعياً يعتمد على الوجدان والمقتل لا على العواطف والارتيال.

والعرب في حاجة قسوى الى هذا الطراز من السياسيين الذين يمحولون عقلية احصائية وروحاً علمية ولا يعجزون عن المعالجات العلمية للمشاكل. وقد قال المستر ايدن سنة ١٩٤١ في خطاب الافتتاح الذي ألقاه في مؤتمر العلم والتنظيم العالمي: «... ان من الخير ان تتعاون السياسة مع العلم وان من الخير للامم ان يكون بيد العلماء الكثير من المناصب العليا فيها لترجيحها توجيهاً علمياً...»

ان هذا العصر هو عصر العلم فمن لم يأخذ بالعلم ويسر على طريقه ويتبع أساليبه فقد تشكر لروح العصر وحاد عن التقدم وقاوم تيار

ان يتحور العرب في هذا العصر من الماضي ومقاييسه، ويجرروا عقولهم من التقيد بالاعراض المألوفة ويعملوا على تكوين اغراض جديدة. وبذلك يمكنهم ان يتقدموا ويسايروا الحضارة في ركبها كما يصبح في مقدورهم ان يتساموا مع التيارات المعاكسة لتقدمهم وغفم فيحفظوا عليهم كيانهم ويعيشوا في صميم الحياة لا على هامشها عاملين متجنين سائرين في طريق النور المستمر والارتقاء المتواصل. والعرب لا يمحاولون على شيء من التطور من المقاييس الماضية ولا يستطيعون تحرير العقل الا اذا اخلدوا بالعلم واسأله، وعاشوا بالعلم واستخدموه في الطريقة العلمية اذ تفهم الطلاب معناها وتشربوا روحها فانها قد تهم على فهم الحياة كما يتوصلون اليه من العلم والوثوق منه، فتشأ عندهم عقيدة راسخة وهي انهم يستطيعون السيطرة على الطبيعة سيطرة نافعة للبشر فينظرون الى المستقبل بدلا من الماضي ويتحررون من المقاييس الماضية والمقاييس غير المضبوطة ويكون غفم متصلاً ومستمراً.

لقد تولت كارثة فلسطين على العرب اجمعين، وكانت نتيجة حتمية للاوضاع والاساليب التي اتبعها العرب في الجهاد والحياة فهي بعيدة عن العلم، لم تقم على اساس، بل تقيدت بتقاييس الماضي واغراض الماضي، فكانت الفوضى في الاعمال وكان الارتجال في السياسة والحركات ان عدم اتباع الطريقة العلمية في الحياة وفي حل القضايا الاجتماعية والمشاكل السياسية قد ادى الى الارتجال الذي زاه متغفلاً في اعمال العرب ونواحي نشاطهم. فلو كان المسؤولون هنا وفي البلاد العربية متشبعين بالروح العلمية مدركين لاهمية الاسلوب العلمي واثره في الحضارة الحالية لساروا في الحياة على اسس من الارقام ولأعدوا امكانياتهم ونشاطهم على دعائم من العلم والدقة.

الخصارة وعندئذ ينتهي به المطاف الى الخوّل والموت. والامانة التي تبني حياتهم تريد المحافظة على كيانها وبناء مجتمع فعال منتج عليها ان تستخدم العلم في التربية لينشأ جيل ذو عقلية مرنة تؤمن بقدرتها على تسير الامور واحداث تقدم في ميادين الصناعة والاجتماع والتقدم لا يكون حيوياً ومتنبهاً فعلاً الا اذا قام على اساس من الاسلوب العلمي الحديث الذي يساعد على السيطرة على وسائل العمل ويجهد للاختراع والاكتشاف.

ولهذا وجب على المسؤولين التشديد على الطريقة العلمية وادخالها في المناهج التعليمية والاهتمام بالنواحي التجريبية من العلوم الطبيعية وعلوم الحياة لينشع الجيل بروح العلم ويتبصر بمغاني الطريقة العلمية فتتروى العزلة عن التقيد بالاغراض المأفوة ومن المعاييس غير المضبوطة فتنتقل في عالم النور والتقدم وتفتش بصيرة الانسان لفهم المشكلات القائمة ويستبدل ذهنه وتتكشف امامه الحقائق التي تساعده على ادراك ما يجري حوله في عالم الاقتصاد والعمران، وان الثورة الصناعية هي ثورة العلم التجريبي، والاختراعات ليست سوى شواهد على تطبيق العلم على الحياة وقد خرجت من الاسلوب العلمي ونبتت من الحقائق التي كشف عنها هذا الاسلوب.

ولا تقتف نزاي الطريقة العلمية عند هذه الحدود، بل ان هذه الطريقة تساعد على ازالة آثار التقاليد والمعتقدات التي تقيد التفكير

والتطور المتواصل فتجذب المتشعب بروحه العلم كثيراً من الارتباك الذهني في السياسة والاقتصاد مما يساعد على حل المشكلات والقضايا حلاً سليماً يقوم على الاستقراء والرقم والتجربة والتشليل. وفوق ذلك فالاسلوب العلمي - او الطريقة العلمية - هي في عميمها مدرسة للتخلق العلمي، وذلك لان قواعدها التجرد عن الهوى، والانصاف بين الآراء، والصبر والمثابرة في التجربة والامتحان، ونكران النفس في سبيل الحقيقة. وهذه الصفات التي يجب توفرها في الباحث هي في الواقع الصفات التي تسير مع الحقن العالي.

ومن هنا تتجلى القوائد المادية والمعنوية التي يجنيها الطلاب من تشبعهم بالروح العلمية وتذوقهم للاساليب العلمية وتبصرهم بعمانيه وادراك اثره في تقدم الفرد والمجتمع.

وخلاصة القول: اذا اراد العرب ان يعيشوا في القرن العشرين في بلادهم احراراً متجهين عاملين فعليهم ان يعيشوا بالعلم وعلى اسس من الارقام ويتبصروا بمغاني الاساليب العلمية ويسلوا زمام امورهم لعقليات علمية تتألف من ذلك حكومات علمية تقدر اهمية العلم والنظام والارقام وتعرف كيف تسير بالمجتمع العربي في طريق النور والارتقاء وتخرج به من الظلمات والخبول الى النور والحياة.

فربي مافظ طوفان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

شاعر العلم

الفريبر دي فيني

اعلام الفكر الفرنسي

بنم خليل عزيز سطا

ليسانس في الآداب من جامعة فواد الاول، استاذ للغة الفرنسية بكلية الآداب السودية

ان حياة فيني لم تكن سوى سلسلة من الصدمات القاسية والمآسي المبرحة. ولئن كان عربياً في نسبه فانه كان فقيراً ومضطرباً للعامل المتواصل في سبيل القوت. وقد نه ذلك، ورغم نشاطه وشجاعته، اجبافاً بجمته وتحقيراً لامثاله. وقد ظن انه تخلف من الفقر والمذلة بواجهه من فتاة المجلبة

فيني بعمق تفكيره وبفلسفته التي تقوم على التشاؤم اللاذع، ولكنه تشاؤم لا يؤدي به الى اليأس والقنوط، بل هو الى الرواقية والشفقة اقرب. وذلك لما امتاز به الشاعر من نفس ابية جبارة تحتمل الآلام بعبر وصمت. فاستطاع بذلك ان يحس بالآلام البشرية ويصورها بريشة الفن اربع تصوير.

غنية تدعى (إيدبايونيري) . ولكن عمه كان ، لسوء حظله غريب الطباع شحيح النفس ، فحرم ابنته من حق الارث . ولم تستطع ان تحصل بعد الدعاوى الطويلة الاعلى القليل من المال . ولم يبق لهذا الشاب الا ان ينفذ للسجد وباب لغزاء الا عن طريق شرف المهنة ونداذات الحب . وهنا ايضاً لشد ما كان ينتظره . من الاخلاق وخيبة الامل !

وقد علق آمالاً جساماً على خدمة العلم والمجد العسكري ، لما اوتي من همه واقدام . ولكنه لم يذق في مهنته الجديدة سوى طعم العبودية ، ولم يشعر الا بالسأم والملل .

ولم يكن اكثر توفيقاً في حياته الزوجية . فقد مرضت زوجته منذ ان تعرف اليها واصيبت تقريباً بشلل في جسمها . فذبلت نضارة وجهها وصارت عرضة لنوبات عصبية مخيفة .

ثم حاول ان يروي ضلماً فؤاده للحب بتعرفه الى الممثلة (ماري دورفال) . فكانت تلك المأساة التي ادمت فؤاد ذلك الشاعر الخالص في حبه لتلك الممثلة الخائنة القاسية .

وهكذا تحدى فني شعر بخيبة امل آتية في جميع مراحل حياته ، فلا عجب اذا قامت فلسفته على التشاؤم ، وقد كتب في يومياته : « انما الحياة ياس وقوط . وخير المراء ان يكون بلا امل . »

واذا قدر للانسان ان يعيش في عزلة آتية ، فان يجد القلبية ملجأ وعزاء . هل يجد ذلك في الروح المطلق ؟ ولكن الروح المطلق في نظر الشاعر لا يصني لشكاة البشر وانينهم ، كما نشاهد ذلك في قصيدة « جبل الزيتون » . وكلما ارتقى الانسان في سلم المخلوقات وعلا شأنه وجد نفسه وحيداً منفرداً : تلك هي العبرة التي نستجيبها من قصيدة « موسى » الرائعة .

وكذلك ليست الطبيعة اكثر حذباً عليه وعطفاً من الخالق . فان جامها الذي هو متعة النازحين ، واختلاف مناظرها ، وامتداد ظلها ، كل ذلك انما هو احتقار ومذلة لضعفتنا الزائل . ولئن تبدت الطبيعة ببهة وجميلة في قصيدة « بيت الراعي » ، فانها فاقدة الشعور قاسية على الانسان الذي تحرك عواطفه وتثقل همومه وآلامه .

اما الحب ، فانه خيبة امل ومصدر حزن وأسى ، ففي قصيدة « غضب شمشون » انتقم فني من المرأة شر انتقام . فهو يراها « دنسة بجسمها ونفسها » ولا عجب اذا سمعناه يصب عليها جام غضبه لان قلبه لا يزال يدمى بسبب خيانة خليلته الفاجرة القاسية . والانسان الرقيق الشعور الطيب القلب هو دوماً بحاجة للحب ، ولكن الشاعر يعتقد بان المرأة لا تحجم عن خيانتها ، كلما وجدت الى ذلك سبيلاً ،

وهي تتخذ من طبيعتها الضعيفة سلاحاً ماضياً اليأس . نستطيع الآن ان نفهم عظم تشاؤم فني ، ولكن الشاعر لم يلق سلاحه امام الآلام والمصائب ، بل انتهى به تشاؤمه الى الرواقية التي تستقبل نوايب الدهر وآلامه بصبر وشهم . اما ترى الذئب في قصيدة « مقتل الذئب » لا يحجب لطلعات الحناجر حساباً ، بل هو يتلقاها راضياً مطمئناً ، دون ان يصرخ او يضطرب ؟

« الصمت وحده عظيم ، وكل شيء سواء خور ! » ولكن هذا الشاعر المتأمل لم ينس اخوانه المعذبين في البشرية ، فهو يرثي لحلمهم ويشاركهم آلامهم واحزانهم . فالمرأة الصالحة ، وقد دعاها « اينا » جلدية بأن تسكب بلسم الغراء على همومنا وآلامنا وانما تقوم رسالتها في هذه الحياة بالحب والالم والتعزية .

ولئن كانت الشفقة تستطيع ان تنفذ العالم المذهب وتخفف من بلاؤه وشقائه ، فان الفكر ايضاً خير مرشد له ومعين . ولذا زوى القبطان الشاب وقد أشرف على الفرق يلقي « القديسة في البحر » . ويعتقد انه بعمله هذا قد انقذ تراث العلم والجمال ، وعمل على ايجاد مستقبل زاهر . اذ لا بد ان يضحي الانسان الغاني في سبيل البشرية الدائمة ، ولن يحس الشاعر بالمدو . كون يعمر قلبه الايمان بمستقبل الانسانية الزاهر الايمان . شأن الفكر وتقديره حتى قدره . ولذا فان قصيدة فني « الفكر المحض » التي نظمها قبيل مائة تعد بحق وصية الشاعر للبشرية .

وان شاعراً ذاق من العيش مره ، وعبر عن آلام البشر اصدق تعبير ، ان شاعراً كهذا الشاعر لجدير بأن يقول : « اني احب عظلة الآلام البشرية » وهو لم يخطئ . حين قال : « ان هذا البيت يتضمن معنى كل قضائدي الفلسفية . »

واخيراً ، هل يعد فني اكبر شعراء فرنسا ؟ لربما كان من خطئ الرأي ان نلقي سؤالاً بهذه الصورة فانه من الصعب ان نقارن بين رجال الفن المبدعين ، وكل ما نستطيع ان نقوله هو ان الوجداني لا ينقص فني ولكن الاسلوب يخطئه احياناً فلا تبرز الصورة الفنية فكرته حبة اخادة . ومع ذلك فان له قصائد تعد من الشعر الرائع وقلما تجد لها مثيلاً وهي (موسى ، ايلويا ، جبل الزيتون ، القديسة في البحر) . اما قصيدته : « غضب شمشون » و « بيت الراعي » فانهما كثرافان من عل على كل ما جادت به قرائح الشعراء الفرنسيين .

دمش

فيل عزير سلا

المجد إليها الإنسان » .

٣٠ مارس

أحسن

الليلة خطورة ما اكتب ...

الاولان تعود الى عالمي المتطفي. كما هي الف الظلمة وألقتة ، وجد نفسه فجأة مفتوح العينين ، فانبعث امامه الصور والموتيات كأنها من العدم ومن اللازمان . ان العالم يزدحم امامي فجأة بكل ما هو غريب ورائع ومريع .

ان حياتي كانت حتى الآن ، وستكون حتى موتي ، محاولة طويلة قاسية لتوضيحيها . وانني لاحس الليلة انه ينبغي ان ابذل جهداً أكثر حتى تتضح لي نفسي أكثر وأكثر وان ينكشف هذا العالم من حولي .

انني احصل على كل حقيقة شعورية بعد معاناة الم هائل ، وان اول خطورة اخطوها في صراحة وقسوة نحو توضيح ذاتي هو انني يجب ان احمل التبر ، وان اتألم . تلك هي المقولة الاولى ...

انني اعيش بأعصابي ، وان هذا يكلفني الكثير ، حتى لارعتي اشد الارهاق ، ثم اداني منبعثاً في نشيد صاحب مجنون .

احب ان اري الناس سعداء احراراً ، في غير عوز ولا هم ولا ضيق . احب ان يجد الناس اقواتهم ، وتحلوا حياتهم من الآلام الحسية . المحضة . احب ان يفرح الناس وان يبتسوا بعضهم بعضاً وان ترسم الابتسامات على شفاههم .

واعلم من جديد انه يجب ان نعلم وجودنا في قوة وصراحة وصراحة . يجب ان نرى الآخرين في انفسنا وان نرى انفسنا في الآخرين . ان نعيش كل شيء ، مهماً كلفنا ذلك ، بأعصابنا ودمائنا . . . الفرح والقوة والخزن والقائم والانكسار والمجد والشهوة والكبر والحب ، كل شيء ، كل شيء . في الوجود يجب ان توجد فيه ، وهذا ان يتم الا بالآلم . يجب ان نحمل خشبة الآلم . يجب ان تكون خشبة الآلم نقطة بدايتنا ونقطة نهايتنا .

يجب ان نعيش مع الاحياء . جميعهم ، مع الوجود كله . وان نعرف كل ما يمكن للبشرية ان تعانیه من قذارة وطهارة ، والدرجات الكثيرة التي تربض بين كل متضادين ، وان نقفز الموت التي تفصل بين كل متناقضين ، ونعبر البهار ونجوز القفار ، ونوغل في القاع والافوال ، ونزف حتى السها . والضباب . يجب ان نعيش وان نندفع بجيائنا في خضم الوجود المضطرب حيناً الهادي . حيناً . يجب ان نحيا ونتمتع ونألم . نخلص حيناً ولا نكثر حيناً ، نأكل حتى

جيداً : ارسلته وزواياه كما تعرف مدنه وطرقه وميادينه . لم يعد ثمه شيء . يفجؤك او يتربص بك في زاوية هنا او ركن هناك . وستقرب الاطفال الصغار وهم يشون في غير حذر ، والقرى . وهم يحيطون في وجل ، سترقبهم وانت تشفق عليهم حيناً وتحاول ان تنبهم حيناً آخر ، لكن ستغلب عليك في لحظات ابتسامة من السخرة المريزة حين تراهم يصطدمون مثلاً اصطدمت منذ أكثر من ثلاثين اواربعين سنة ، حين كنت طفلاً وغريباً .

أول مارس

عنبراً

نكون في معركة مع عدو حسباننا سنهزمه في سهولة ، ثم وجدناه يقاوم ويظل يقاوم ، فأنسا نضطر أخيراً - مها بلغت عداوتنا له - ان نقف امامه في احترام واجلال .

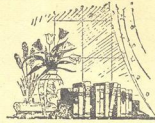
هكذا يكون شأننا مع عواطفنا التي ظلمنا نقاومها ونحاول وأدعها ، ومع هذا فانها تظل تصارع في سبيل وجودها ... ذلك انه تأتي أخيراً اللحظة التي لا غلغ فيها الا ان تكف عن الصراع ثم نقف مأخوذين امام هذه العواطف الانسانية الحية ، في احترام واجلال .

اننا حين نرى هذه العواطف التي ظلمنا نقاومها ويقاومها الآخر الذي اثارها ويقاومها الجميع ، وتتضافر كل العوامل الداخلية والخارجية على تحطيمها ، ورغم هذا فانها تظل في شئبها بنا . . . حين نرى هذا لا غلغ الا ان نحس فجأة باحترام عميق نحو نفوسنا البشرية ، وبقداسة لا حد لها .

واذا كنا قرأنا من قبل قصة ذلك القاضي الذي كان لا يخاف الهماً ولا انساناً ومع ذلك فان ارملة ظلت تلح عليه حتى اضارته ان ينصفها ، فلا بالنا نحن امام عواطفنا للملاحظة التي تظل متشبته بنا بغير معين ، فلا العقل ولا منطق الحوادث ولا التزام يقف الى جانبها ومع ذلك فانها تظل في صراعها التليل لا تعرف راحة ولا تهادن . تتحين كل لحظة ، لا من اجل ان تعلم بوجودها في اعماقنا فصب ، بل من اجل ان يكون لها السيطرة علينا ايضاً ، غير عابئة بقسوتنا وتوحشنا ولا يارهاقنا وانتفاضنا .

فبعد ان يدوم هذا الصراع اكبر مدة ممكنة ، نجد انفسنا فجأة وقد وقفنا مشدوين امامها ، وبغمرنا احساسا بقداسة الانسان وايمان عميق بنبالة الطبيعة البشرية ، ونبدأ نعيش لحظات كلها دشة ، نخدق في نور باهر ، ونغمم هاتين « لك المجد ايها الانسان ، لك

الاريب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوها شهر
كانون الثاني (يناير)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً أو ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الاجنتين ٥٠ ريالاً

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٢ جنياً مصرياً أو استرالياً
أو ٦٠ دولاراً كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●
ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع اككوشية

تليفون { الادارة : ٩٢ - ٩٢ Direct : 92 - 47
المقر : ٣٧ - ٩٨ Dcle. : 48 - 37 } Tel.

●
صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

تقرضنا التهمة ونجوع حتى يهددنا الموت ، ثم نجتمع هذا كله في صور
ذات اطارات او بلا اطارات - حسبنا نحس وضع نفوسنا - وزاعي
ترتيب الالوان ووضعها حيناً ، ولا زاعي شيئاً حيناً . ينبغي ان
نعلم وجودنا .

ونقدم للناس هذا جميعه ، بلا وجل ولا خوف ، وبلا احساس
بالخطيئة ايضاً . في الناس نواجر طيبة ونواجر سيئة ، هذه جميعها
ينبغي ان نعرفها وان تكون فينا ، نحب حتى الابد ونكره حتى
الموت . يجب ان نعيش الحلم والاسطورة ، والواقع والحقيقي واللامعقول
وان نحطم كل ما نعرف من حدود كي نعاني آلام حدود من جديد
وان نشغف في نظر الآخرين حتى نتألم اروع الالم وان نعظم في نظريهم
حتى يطالبونا بأكثر مما نملك . وأن نبارك وان نلعن . . . بهذا سترضي
جوانب الناس الطيبة والسيئة ، وكل ما يعرفونه جيداً فينا بينهم
وبين انفسهم وينكرونه تماماً امام اشد الناس قرباً لهم . لكننا
سنكون قد وضعتا نفوسنا وأعلنا وجودنا ونحن نضعهم هاتفين
« لك الحمد ايها الانسان ، لك الحمد ايها الالفان » .

٣٦ مارس

أعني الفرق بين أن تقرد في نفسك أصداء انكسار ،
وان تقرد في نفسك اصداء انتصار . ان الحركة الاخيرة
في التجربة يجب ان تكون الانتصار ، لان الفرح هو وحده علامة
النهاية كما يقول برنجتون بيجي .

انك لا تستعيد النهاية المبررة الا من اجل ان تألف الاحساس
بالانكسار فيقل - بعض الشيء - رد الفعل . وانك لتبحث عن
التبرير اثناً . ذلك من اجل ان تجد تفسيراً يبدو لك معقولاً ليحل
من الآخر والآخرين مخطئين او سخفاء . ولكنك تحس في النهاية
ان الحركة التي كنت تريد ان تبلغ بها نهايتها قد تعطلت .

اما الانتصار ، هذا التحقق الارادي الرائع ، فهو وحده الذي
يصلح ان يكون نهاية بيجي . وعندما تحبوك القصة ان البطالين قد
تزوجا ، اعلم ان تلك نهايتها . فالسعادة لا يتحدث عنها ، ان الفرح
سر . اما التاريخ فلا يكتب الا بالدماء ، والابطال لا تكلمهم
الا الاشواك . ولهذا لم يبق المسيح في التاريخ ، ولا انبثى في كل
قلب انساني ، الا بالآلام . اما الفرح فهو علامة النهاية ، وهذا هو
ما حرص بيشهوفن العظيم على ان يعلنه للعالم ، فحصل اشودة الفرح
هي الحركة الاخيرة في سينفونته الاخيرة .

يوسف الشاروني

القاهرة

من البرد ابرد.. برود.. أينما أسير تطرق اذني عبارات الشكوى من البرد.. ما هذا الموت الاخر.. ما هذا البلاء.. شش.. شش.. باردة.. باردة.. لكان الارض استجالت قطعة من جليد!

في مطلع هذا العام بلغت الخامسة والعشرين من عمري. وفي خلال هذا الربع القرن الذي سألته لم يهبط على «الحلة» مثل هذا البرد القارس الا مرة واحدة. وهذه هي المرة الثانية.. آه.. ما أقسى البرد! اختفى انفي وطارت اذناي وتصلبت شفتاي واستعر الألم في اصابعي وأصبحت قدماي قالين من الشلج!

— حمود! يربك املا لي هذا الصحن ناراً.. سأموث من البرد. وهرع الي حمود بصحن ملي. بقطع الجمر تشع كأنها احجار زمرود دسه تحت منضدة الكتابة. انكسبت عليه بوجهي وكفني ثم خلعت حذاءي لادفي. قديمي المشايخين.

— اتدري يا حمود؟ لو لم تنجدي بيمنه النار لندمت طيلة حياتك فقد اوشكت ان اذهب شهيداً للبرد. لاحظت على وجه حمود ابتسامة شاحبة، وسرعان ما اختفت

لتأخذ الكتابة موضعها الدائم. حمود مهسوم هذه الايام. لا ادري ماذا اصابه فطرح حجر حويبهجه واحالها غماً واسبى.. ماذا بك يا حمود؟ لماذا تبدو حزيباً على غير عادتك يا حمود؟ ما الذي يقلقك ويكدر عليك صوفك يا حمود؟ لا شيء.. وليس هذا طبعه. كان يروح لي بكل شيء. هل انقلب علي اخيراً ولم يعد يأتيني على اسراره؟ هراء.. ما زلت صديقه الاول. لقد اختارني من بين عمال «المسبك» وموظفيه جميعهم صديقاً له وغرني بحبة نادرة. اقول صديقاً له وانا فخور بصداقته. فليسرني اصدقائي ما تشاء لهم السخرة فانها لا تبهني في شيء. اكثير او قليل... مجنون! ما شأنك وهذا العامل الحقير؟ انت شاب متعلم وهو جاهل لا يفقه شيئاً. انت سكرتير صاحب «المسبك» وهو عامل صغير وظيفته اشغال النار. فاذا دعاك الى اختياره صديقاً لك؟ هيه! انتم

الجانين انا لست مجنوناً. لقد احسنت اختيار صديقي، فليست القلوب الكريمة والعواطف الصادقة مقدورة على طائفة من الناس ذوي مراكز معينة وثقافة خاصة. وان حمود لينتاز بقلب نبيل وعاطفة نقية فلما يستمع بها الآخرون. انه يجيني اعظم الحب كما لو كنت شقيقاً له لا مجرد صديق.

— اسمع يا ابا جواد، انت تعلم ان الله لم يمنحني سوى بنت واحدة ولكني اقسم لك ان حبا لا يفوق ما اكنه لك من حب.

وانا اعلم كم يحب ابنته حميدة، فهي جملة رأسماله في الحياة. لقد تزوج منذ عشرين عاماً وحملت زوجته سبع مرات. لكنها لم تحلف له سوى بنتها البكر عندما توفيت قبل خمسة اعوام، ولم يتسن له الزواج مرة ثانية، فأخذت حميدة على عاتقها القيام بشئون البيت. واصبح كل همه ان يجيها ويحبها ويحجبها، لا سيما وانها صورة مصغرة لأمها الراحلة. ومع كل ذلك فلست اشك في قسمه. كيف ينسرب الي الشك في صدقه وهو ما يقتا بغربي بفيض من عواطفه السامية؟!

منذ اسبوعين سألتني ان انتظروه في «قهوة كافم سراج» في الساعة الثامنة مساءً. قلت له انني اتناول طعام العشاء في المنزل تلك الساعة فالحظ علي في طلبه حتى اضطرت الى الرضوخ. وفي الساعة الثامنة اقبل علي طلق الوجه منبسط الاسارير وهتف فرحاً: هيا بنا. — الى اين؟! — الى منزلي. انت مدعو لتناول طعام العشاء. حملت فيه دهشاً فلم يسبق له ان انبأني بالمناسبة السيدة التي استوجبت تلك الولية.

— خير ان شاء الله. لاية مناسبة أولت هذه الولية؟! — ارجوك الا تلقني علي اسئلة لا موضع لها. ايعجبك ان تحقق رغبة لي بتناول طعام عشاءك في منزلي؟ — كما تشاء.. وانطلقنا في دروب «محلة الجامعين» الضيقة، خرج من درب لنج آخر واليوت القديمة الواطئة تحاصرتنا على الجانبين. واخيراً وقف حمود امام منزل متداع وطرق باب الحشيشة بالمطرق الحديدية الصدئة المعلقة على صدره. دقيقة، ودقيقتان، ثم انفتح الباب.



تطلق وجهه ولعل عيناه يبريق بهجة وسألني ضاحكاً :
أعجبتي الى هذا الحد ؟

قلت في اندفاع : ولم لا ؟ انها كف.. ماذا يشترط المرء في
زوجته سوى خلق حسن ومنبت طيب وقسط من الجمال ؟

فاجابني بهجة مشوبة بالاسى : هذا صحيح .
وبدا لي ان اغير موضوع الحديث فسألته بعد لحظة صمت

قصيرة : كيف حالك مع الحلاج خضير ؟
— على خير ما يرام . انه معجب بالتهوه التي اعلمها كل الاعجاب .

وان اصحابه الذين يترددون على داره يشاركونه اعجابه .
ثم استطرد يخاطبني في الحاح . لماذا لا تصحبني في احدى

الامسيات يا كاخلم ؟ استعجب بظرفه وخالقه غاية الاعجاب .
وستتاح لك الفرصة للاجتماع برجال البلدة المحترمين ، حقاً ان

احاديثهم ممتعة جداً .
فسألته في تردد : ومتى يقيم تلك السهرات ؟

— في امسيات الجمعة والاثنين والاربعاء ، ما رأيك في مرافقتي
مساء الاثنين القادم ؟ فترددت في الجواب قليلاً ثم اجبته بهجة

قاطعة : حسناً . اتفقنا .
امضيا السهرة ينتقل من موضوع الى آخر « والاستكاثات »

تتلى ، بالشاي المنوع في بطوننا ثم تتلى . لتفرغ من جديد ، ولما
انصرفت الى منزلي كان حمود في منتهى السعادة والجور .

مضى اسبوع الى تلك الليلة كان حمود خلاله فياض النفس
بالغبطة والهناء وفي صباح السبت الماضي تغيرت حاله تغيراً عجباً ،

فطلق المرح والسرور واستبدل بها الحزن والاسى ، وانقلبت
بشاشة وجهه الى تجهم واكتئاب ، حاولت ان اكتشف سبب

تغيره فأبى ان يعترف بشي .، جربت ستى الوسائل لاحمله على
الافشاء الي بتابعه ، فلم تنجح اية وسيلة منها . ولبث يردد دائماً

انه على سابق عهده ، ولكي يقنعني بادعائه راح يتكلف المرح
والسرور ، ولكن اين الاصاله من التكلف والحقيقة من الادعاء ؟

انني واثق كل الثقة بأن هناك شيئاً يخفيه عني . . شيئاً يضايقه
ويسكدر عليه حياته . ولكن ما ذلك الشيء ؟! ما هو ؟! ولماذا

يخفيه عني ؟!
نبتت النار بقضيب الى جانبي وقد بدأت حرارتها تضعف

ولون الجمر الاحمر يميل الى الاسوداد . وفركت قدمي وانا احركهما
على النار ، واتبعت حمود بنظرائي وهو ينتقل بجرعة آتية من

خزن الحطب المجاور الى موقد النار في صمت وهدوء ، بوسائله فجأة
يخفيه عني ؟!

فأجبته في لهجة حذرة : الواقع ان منظرهما مؤلم حقاً . لا بد
من مداواتها لعلها تشفيان .

ثم ابستمت ابستماء عريضة وقلت مازحاً : لولا هذا المرض
الحديث الذي استقر في عينيها لتهاوت على خطبتها العزب . وانا

على رأسهم بالطبع !
احنيت قامتي لاستطيع المرور من فتحة الباب وهبطت ثلاث درجات

ثم عبرت ساحة الدار الصغيرة الى الترفة الموصدة . اجلت نظري في

الترفة فاحصاً فاذا هي منخفضة السقف متوسطة السعة ، خصص احد

اركانها لوضع اثاث البيت البسيط ، وامتد في الركن الثاني حصير

طويل قد فرش ببساط قطني . تربعت على البساط وترع حود بازائي

ولسانه لا يكمل عن ترديد عبارات الترحيب ، وما عم ان نادى

بالطعام . مرت فترة قصيرة قبل ان تظهر امامنا شابة رشيقة القامة

ملبسة القمصان ، تحمل بين يديها صينية مملأى بالأطباق المعدنية .

ووضعت امامنا الصينية بارتباك وعبرت وجهي بنظرة سريعة وهي

تلف عباءتها الصوفية حول جسدها باحكام فلا يظهر منه سوى

الوجه . رميتها بنظرة عاجلة فراغني احرار عينيها وانتفاخ اجفانها

وارتجائها . واسفت ان يتد المرض الى عينيها بهذه البشاعة فيشوه جمال

وجهها انما تشويه . ونظر اليها حمود في حنو وهي تهم بالانسحاب

وقال لها يائساً : سامي على كاخلم يا حميدة . انه في موضع شقيقك .
طفر اندم الى وجنتيها الناصتين قتلت وجهها بفنته اخاذة ربتقص

من سحرها منظر اجفانها المتفتحة . وحيثي في خفر وسارعت
بالانسحاب .

امتلأت خياشيمي برائحة السمك الملي والطيب . ولبثت
حتى وجدت نفسي مقبلاً عليه بأصابعي الخسة في شبة غادر .

وسر حمود من اقبالتي على الطعام غاية السرور ، وقاضت نفسه بالعبلة

حينما شرعت امتدح الطهي في لهجة تتدفق حماساً . مسكين .

كم يجب ابنته ! لقد انطلق يتحدث عنها بهجة تفيض حباً وحناناً

متخذاً اعجابي بالطهي محوراً لحديثه . وارتد ان اشاركه عواطفه

فقلت امتدح جمالها : ولكنك نسيت يا حمود ان تذكر حسنة عظيمة

من الحسنات التي وهبها الله ايهاا . . جمالها الرائع .
فضحك جلاً واجاب في تواضع : قد يكون قولك صحيحاً ،

لكنها على حال حال لم ترث هذا الجمال عني .
وضحك ثانية فضحكت ، ثم اكنتى وجهه بالاسى فجأة

وقفة في مراة : ولكن عينيها . . الا ترى انها يشوهان وجهها
بنظرهما المؤلم ؟!

فأجبته في لهجة حذرة : الواقع ان منظرهما مؤلم حقاً . لا بد
من مداواتها لعلها تشفيان .

ثم ابستمت ابستماء عريضة وقلت مازحاً : لولا هذا المرض
الحديث الذي استقر في عينيها لتهاوت على خطبتها العزب . وانا

على رأسهم بالطبع !

بلهجة تدبض بالرجاء : حمد ! يربك اخبرني ما بك ، لماذا يتسلط عليك هذا الحزن العميق ؟ ما الذي يكدر عليك صفوك ؟ !
فاستدار نحوّي وتأمّلي هنيهة ثم انكب على عمله ثانية وهو يتمم بلهجة جامدة : سأنتي للمرة المائة هذا السؤال واجيب للمرة المائة ايضاً انني في حالي الطبيعية . ايروق لك ان ابدو ضاحكاً ؟
حسناً .. ها .. ها .. ها .

انطلقت الضحكات تحسّر في صدره ، وتناهت الى اذني قصيرة جافة سخيفة ، فأحسست بالضيق والحلق وصحت ساخطاً :
كفى . كفى . اعدك الا القي عليك هذا السؤال مرة اخرى .
فوراني بنظرات تفيض بالحزن والالم وانكب على الناد يغمّيا بالحطب في صحت .

قصدت في المساء الى منزل الحاج خضير لقضاء السهرة ، ودار الحديث حول البرد وتبارى الحاضرون في قص ما تعيه ذكرياتهم عن حوادث البرد ، وراح الكبار يستعيدون ذكريات شبابه المرقونة بسنوات البرد الشديد . ثم تطور الحديث الى نقاش محترم بين الحاج عبد علي الدهان والحاج خضير الاول يدعي ان السباحة في النهر في مطلع الصباح امر متعذر لا يستطيع الاقدام عليه فرد من الاشخاص العاديين لم يمتنع عن اللوم ، والتساوي بزعمه ان الامر سهل بسيط ليس فيه خطر . وادّعى فيها النقاش الى رهاق غريب ، فالتفت الاثنان على اذاعة الامر في المدينة لتقدم شخص يتخذ على عاتقه القيام بالمحاولة ، فاذا استطاع هذا الشخص ان يعبر النهر سباحة رواحاً ومجيشاً فعلى الحاج خضير ان يدفع له عشرة

دنانير ، وان فشل في محاولته فالحاج عبد علي يقوم بدفع المبلغ ، وهان خفيف ولا شك ليس له اي معنى أو مبرر ، لكن الجميع سروا له سروراً عظيماً واعتبروه لونا من التسلية الطريفة . وكنّت استمع الى النقاش في صمت وانا اعجب في نفسي من سخافة الفكرة ، فالغرض ان يدفع احدهما عشرة دنانير بينما لن ينال الثاني منها شيئاً . ثم لماذا يوسطون احد الانبياء ، فيحاطل بحياته من اجل عشرة دنانير ؟ ! وعلى اية حال فقد ابرم الاتفاق دون ان يظن احد الحاضرين لسخافته وخطره ، او لعل احداً منهم قد فطن للامر شائئاً لكنه فضل السكوت . والسبب واضح بطبيعة الحال .

وفرت عيني غير مصدق ما أرى حين ابصرت حمود يتقدم بقدم ثابتة من الحاج خضير ويقول في حزم : انني مستعد للقيام بالمحاولة يا حاج خضير .

هذا هو حمود بلحمه ودمه . ان عيني لا تخدعاني ، وها هو

يعلم ثانية استعدادده للقيام بالمحاولة ، أحسست بسياس الغضب تلهب عواطفني ، وكذت أقفز على قدمي صائحاً : لا تصعوا الى هذا المحزون ، لكنني عضضت على شفتي وجدت في متعدي . واتجهت اليه الانظار في دهشة ، وسرت بين الجالسين همهمة عجب . ثم ارتفع صوت الحاج عبد علي ليخاطبه في استغراب : انت تعرض نفسك للوت بهذا القرار الخطير يا حمود .

فأجابه حمود في ثبات وبأسامة هادئة تعلو شفتيه : انني موقن ان باستطاعتي القيام بالمحاولة يا حاج عبد علي .

وحاول بعض الحاضرين ان يشبهه عن قراره لكنه لم يرضخ . اما أنا فحرث أرقه بنظرات شريرة دون ان أنطق بحرف . كنت أخشى ان انفجر غيظاً ان تكلمت فأصعب جام غضبي على الثوبين الكبيرين وعلى رهاقها الضيف . ولما سكن حمود مصرّاً على عزمه فقد اتفق الجميع ان ينفذوا الرهان في الساعة السادسة والنصف من صباح الغد ، واختراروا الشاطئ . المحاور المدرسة الشرقية موضعاً للقيام بالمحاولة . وتم كل شيء . فانصرف حمود الى المطبخ ليعمل مقداراً آخرّاً من القهوة وانسلت وراءه . ونفسي تقور غيظاً . وما ان وجدتني أمامه وجهاً لوجه حتى صحت غاضباً : ماذا دهاك ايها الاحمق ؟ !
أصابتك ميس من الحزن ؟ !

فصمت في ارتباك وربت على كتفي في مودة واجابني بسرور : لا تخش شيئاً ، ان عيني الاذي .

— اوافقك انت انك في كمل قواك العقلية يا حمود ؟ !
— لا تحاول ان تثني عن عزمي فلن تقنع في مسعاك ، سأنازل عشرة دنانير بدون مقابل . . . عشرة دنانير !

— وحياتك ؟ ! وحياتك ايها الرجل ؟ ! اتظن انك ستخرج من الماء سائياً بهذا الجسم السقيم ؟ !
— اطش . لن اصاب بمكره .

— الحق معك . لا بد ان احاذد ملائكة الله الصالحين تعهد بمجراستك .
— قلت لك انني لن اصاب بشكروه ، انني واثق من نجاحي كل الثقة ولن تستطيع ان ترجزني عن قرارتي .

— أمصر ! انت اذن عن القل . نفسك في التهلكة ؟ !
— انها ليست تهلكة ، وانا مصر على قرارتي .

— حسناً . هذه نهاية علاقتنا يا حمود . انا لا ارتضي لنفسني مصاحبة مجنون .

غادته مضطرباً ونفسي يتوزعها الحق والاشفاق . ثم تركت دار الحاج خضير وانا استمطر عليه اللعنات . وسرت في الطريق

يتسم في اسف : انه مصاب بضعف القلب ، وقد انتحر باقدامه على هذه المغامرة الخطا .

فسأته في بأس : أليس من امل في شفائه يا دكتور ؟
فاجاب وهو يقفل حقيقته ويتجه الى الباب : المصائب بيد الله حين رجعت الى العرفة بعد ذهاب الطيب كنت قد فقدت آخر امل في حياته . وجلست ازاء رأسه وانا احس بانقباض فظيع . كل ما في الحياة كتيب مؤلم يدعو الى البكاء . واتوبت ابنته حميدة في ركن من العرفة تذرف الدمع في صمت أليم .

انقضت ساعة والعرفة غارقة في الصمت لا يعكره سوى شقيق حميدة الحاقف ، وحمود متندد على فراشه بدون حراك . ان الموت يفرق مجنانيه الكبيرين في جو العرفة فيضفي على محتوياتها لونا قاتما ووحشة غريبة . وفتح حمود عينيه اخيرا واجال انظاره فيا حواله ، ولما التفت نظراته بنظر اتي طافت على نغره ابتسامة حزينة . ورأيتة يومئذ الي بعينه كأنه يريد محادثتي ، فاذنيت منه رأسي حتى كادت اذني تلامس شفتيه . وهمس في صوت متقطع لا يكاد يسمع : انت الوحيد الذي اعتمد عليه يا كاتلم ، ولذلك سأكلفك قضاء هذه الرغبة لقد وعدني والدكتور عبد السلام الطارق قبل اسبوع ان يعيد لحميدة عينيها كما كانت بجرا . علمية جراحة مقابل عشرة دنائير فرجائي اليك ان تصحبها اليه بعد موتي وتسلمه المبلغ كي ينفذ وعده .

والقطم عن تشمة كلامه هنيئة وجعل يتأملني بنظرات حائرة وكأني يوم ان يفيض الي بأسر لا يحسر على التصريح به . ثم بان العزم في عينيه وواصل همسه قائلا : واذا شغيت عيناها وعادتا الى حالتها الطبيعية ورغبت في الزواج منها كما صرحت لي بذلك من قبل فهي لك منذ الآن .

وشمرت بالدم يندفع في شراييني لاهبا وبقلي يخفق في عنف وشدة . ايعتقد انني راقب في الزواج من ابنته ؟ حميدة ، ذات العينين الزرق . اعوذ بالله ! وارتد ان اصيح في وجهه انني كنت امزح تارك اليلة ، لكنني احسست بخوار في قوتي ، وخيل الي ان لساني يلتصق في سقف حلقي والكلمات تتجمد على شفتي وانا اقرب شيخ الموت مرتسما على وجهه .

التجهت الى حميدة انظر اليها في حيرة ، وبوليت اتأملها مليا دون ان استطع حصر افكارتي او تقييد عواطفني ، ولما التفت الي حمود ثانية كانت عيناها شاخصتان الي وجهي في جود ، بينما ارتسمت على شفتيه ابتسامة ذابلة !

شاكراً ههناك

الفاهرة

وافكارتي الهائلة تأخذ بجناحي . . . سميت حمود ولا شك فهو لا يتنعم بجسم صحيح يعينه على القيام للمغامرة . فلماذا يصمم على الموت ولماذا ؟ ؟ ؟ ولماذا يقابل رجائي بنظرات تتدفق بالهبة كأنه يستشعر سروري عظيما ؟ أجل ، انه لامر غريب ان تنبسط اسارير وجهه ويعود اليه مرحة القديم ويغادره العوس والتجهم مع انه مقدم على الموت . اي جنون هذا الذي اصابك يا حمود ؟ !

قصدت الى مقربي وانا احس بالسخف على كل شيء . على البرد والحر ، والحياة والموت ، والفقر والغنى . ولم يمتض اعيني جفن ، منظر واحد ظل متشكلا في مخيالي ، حمود منطرح على الشاطئ . نجمة السقيم يعالج سكرات الموت .

في الساعة السادسة تماماً كنت اذرع بخطوات قلقة الساحة الممتدة امام شاطي . النهر بجانب المدرسة الشرقية . وان جسدي لا يرتعش بشدة رغم الالبسة الثقيلة التي تدرت بها . والهوا يهب باردا وطبا يلفح وجهي فاستشعر له وقعا كوقع البساط . مضى الوقت واشكت الساعة ان تشير الى السادسة والنصف ، وتقاطر الصباح على المكان وعلى رأسهم الحاج خضير والحاج عبد علي . الجميع يتجهون واستانهم تعلقوا بصوت مسوع . لواح حمود اخيرا مجسدا لا يعنف ووجهه يفيض بالبشاشة والحبور . ماذا جرى له ؟ هل جن ؟ ! هزعت اليه كالحكوم وطلقت اتوسل اليه ان يعيد علي قراره لكنه لم يجفل بتوسلاتي .

ثم حانت الساعة السادسة والنصف وانطلق بعد العشاء وبعد تنفيذ الوهان . خلع حمود لباسه وهو يرتعش بشدة وقفز الى المياه وانطلق يسبح بقوة . مضت بضعة دقائق واذا بقوته تتلاشى فلا يستطيع ان يسبح الماء الا بصعوبة كبيرة . ولما بلغ الضفة الثانية كان العجز قد بلغ به منتهاه . ولبت خارج الماء قليلا ثم عاد الى الضفة الاولى يسبح في عناد . كان يجاهد للحكوم عليه بالموت الذي سحنت له فرصة للفرار . وكنت ارقبه بعينين تكادان تقتران من مجهرهما لتبتاع من قرب . ثم وصل اخيرا الى الشاطي . بين تهليل الحاضرين واستحسانهم . وهتف بصوت متقطع مبهور : « سلموا المبلغ لكاتلم » ثم ترنح وجهه وهوى على الارض .

كان وجهه قد ازرق لونه وجسده قد تصلب وانكسح . واخذ صدره يعال ويهبط بشدة اول الامر ثم تباطأت حركته فجأة حتى باتت في حكم المدم . دثرته با معي من لباس وبادرت بنقله الى اقرب حمام . لكن حالته ازدادت سوءا . فعدت به الى المنزل وسارعت بخضار الطيب . واطال الدكتور فحوص جسده ثم جمع ادواته وهو

سيادة النظام

بقلم الدكتور محمد عيسى الراسمي

نكلم

تترك لها خلفاً يتابع تناحره على الوجود، أم عالم الجاد الذي أبطأ في التطور من العالم الماضي، ولكن تسري عليه سنة الكون الحكيمة، فأجدد العناصر مع بعضها وتنافرها عن بعضها وسيادة الحب والبغض، من توق شديد الى لامبالاة الى تنابذ فطيع، ومن قرابة الى بعد جاف، كل ذلك يجري ضمن قانون رياضي ثابت، فحيثما ولينا وجهنا فاننا ننتقل دوماً من العمى والفوضى في العالم السفلي والعالم العادي الى الترتيب والترايط. وان وجود هذا الضبط الرياضي في العالم الكبير وعالم الذرة الصغير هو معجزة المعجزات الذي حير اوبي الالاباب :

بربك اجعل الفلك الدار
مسيرك قل لنا في اي شي ؟
اقصد ذا السير ام اضطرار
ففي افهامنا منك انهار !

نعم ان اسرار الحياة والحوادث النفسية الخفية لتظهر لنا غير خاضعة لقانون محكم، ولكن الفطرة الانسانية تأبى الا ان يكون هناك نظام يسود هذا العالم غير الواضح ايضاً، ويطمح الانسان المنقب على كشف غوامضه في يوم من الايام. ومما هذه النتيجة التي نستنتجها الا وليدة استقرار حوادث الكون المختلفة ومشاهدة نظامه الدقيق المتين. واذا كان الاحتمال الرياضي في تنسيق عشرة اشياء بترتيب معين على سبيل المصادفة والاتفاق احتمالاً لا يكاد لا يصدق، لانه يبلغ واحداً من عشرة ملايين، فاقولنا في نظام الافلاك والعناصر مع ترتيب بعضها مع بعض، عدا عوالم الحياة المعقدة، الظاهر منها والباطن.

في حديث سابق* عن ثورة الطبيعة وثورة المجتمع، بينت فيه الوثبة العجائية التي تشهها، سواء الطبيعة او المجتمع بانقلاب آتي لتبديل الاوضاع. وفي الحقيقة لا فوضى في العالم، فان هناك نظاماً محكماً متيناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يسود العالم اجمع، الوعي منه وهو الانسان، وغير الوعي وهو الحيوان والنبات والجماد، وان تراءى لنا في كثير من الاحيان وفي احوال غير مستقرة سيادة الفوضى، فامام النظر الطبيعي المدقق يتلأش كل ما لا نظام له وتتجلى العدالة في الكون وانها هي المسيطرة، وان مال الميزان نحو كفة في وقت من الاوقات، فلا تلبث تغيرات الاوضاع ان تقيله نحو الكفة الاخرى لتعادل الميل الثاني، فكل تطرف نحو جهة من الجهات يعقبه تطرف نحو الجهة الاخرى.

اي شي. في هذا الكون لا نجد فيه نظاماً ؟ عالم الافلاك الكبير وظهور الكواكب المختلفة في ابراجها المتباينة وسمائها الشاسعة المتباعدة، ام عالم الذر الصغير بنواته وبكهاربه والقوى العجيبة التي تربط بعضه ببعض، ام العناصر التي كشف ماهيتها البحث والتدقيق المتواصلان الاذان لا يعرفان الملل والكلل، ام عالم الحياة الغريب ذو القدرة على تحويل العناصر غير المتصفة بالحياة الى عناصر حية، تتعاون فيها العضوية على اختلاف تراكيبها وتباين وظائفها لغاية واحدة وهدف معين، وتكافح في سبيل بقائها فرداً وجماعة، ولا تريد ان تتنازل عن الخصائص الحيوية الا بعد ان

* ادب هذا الحديث من مجلة الاذاعة السورية بدمشق.

اذا كان هذا هو حظ الكائنات الحية فما نصيب الانسان منها

لنا ان تكون اعمالنا ظاهرة بنية ، فلتكن خفية مستورة ، غير متظنن اجراً او تقديراً او مكافأة ، متخذين ايا العلام قدوة لنا في قوله :

قلعتل نفس الجليل لانه غير واحسن لا لاجل ثوابا

ما ابداع ما ضربته لنا الطبيعة من الامثال : فذلك المساء الذي يسقط مطراً من الغيوم يسير بطريقتين في هذه الارض : منه ما يتفجر من الاحجار فيصكون الصيون واليتايص وبشكل الانهار الكبار التي تصب في البحار فتسمع لحري ماها دويماً هائلاً، ومنه ما يبقى في جوف الارض فيسقي المزارع والنبات ويحل كثيراً من الاملاح ويكون عاملاً عظيماً في غو الحياة . فخط هذا الماء الاخير السكوت ، فلا تسمع له صوتاً ولا خيراً . حتى هذا الماء الذي يجري على ظهر الارض ، قد تجمع ايضاً في بطنها نقطة فقطرة وقطرة فقطرة ولم يظهر فجأة الا بعد ان قطع طريقاً طويلاً في الخفاء .

هناك ايضاً نوعان من الرجال في هذا العالم : رجل دون التاريخ الجارية وراك آثاره واعماله ، حيث ظهرت افعاله جليلة للعيان ، لا يقدر ان يتكرها جاحد ولا يعاند بها معاند ، ورجل سكتت الاخبار عنه لان اعماله كانت مستترة ، ولكنه ساعد في تكوين هذا العالم ، كما ساعد ذلك الماء المستتر في تكوين الجهاد وغو النبات وتهيئة غذاء الحيوان . وربما كان الاستتار في الحياة امرأ ضرورياً ، لا سيما في المظهر الجاهل . فلو اننا لم نكن نرى في الارض ما نرى من الظواهر والحيات لا يتكون مخلوقاً كاملاً الا بعد ان يقضي زمناً طويلاً وهو محجوب عن الانظار في ظلمات بعضها فوق بعض . هذا هو قانون الطبيعة زاه في كل ظاهرة من ظواهر الحياة . وكثيراً ما كانت المظاهر الخارجية جوفاء . تسمع الناس جمجمة ولا تـُرى طحناً .

انك اتري ذلك الناموس الطبيعي من الاستتار والظهور في تطور المجتمع ايضاً ، فالابطال المربيون دون فيهم كثير من الناس اما الابطال غير المربين فقد سكت البشر عنهم سكوتاً ممتناً . وقد يعثر بعض المتبين احياناً بأثر من الآثار ، فيستدل بذلك على نبوغ المؤلف ، فيبسطه من الموت الى الحياة . ليست كل الحكمة التي نتلقاها هي الحكمة الناطقة ، بل لاشد عمقاً منها الحكمة الصامتة . ولقد قال احد البغاة : « سل الارض ، من شق انهارك ، وانبث اشجارك ، وانضج ثمارك ، فان لم تجبك حواراً ، اجابتك اعتباراً » .

محمد مجي الرهايمي

حلب

ان في الانسان من حرية الارادة والعقل المدبر ما يدعنا نعتقد ان في مقدوره الشذوذ عن الطبيعة ونظامها . والسامي على الكون وقوانينه ، ولكن ، لا ، ليس ثمّة خرق للقوانين ، فهذا المخلوق العجيب ، الضعيف بجسمه والجبار ببله وجنانه ، خاضع ايضاً للنواميس العليا التي يخضع لها اتفه كائن في هذا الوجود . وهذا هو سر التناقض والتضارب في ماهية الانسان . ان في ادراكه لانسانيته لسوا عطفاً ونبلاً شامخاً وكرامة تتعالى على الجزاء صعداً ، ولكن في شذوذه عن السن الحكيمة والشرائع الطبيعية مجازاة صارمة له وبروزاً لجهله وضعته . اذا ادرك الانسان ذلك ، وفهم فيها جيداً ذلك الانسجام بين رغائبه وتدابير الطبيعة الحكيمة عاش في هانة وسعادة ، وان هو نقض العهد وخان الامانة الكبرى وجعل في اذنيه وقرأ عن سماع صوت الحق واطلق العنان لشهوته البهيمية واهوائه الدنيئة ، ذك ذلك الطود الشامخ وخر الى اسفل السافلين صريعاً . وهكذا حين يدرك الانسان قيمة انسانيته ويحموه ويعرف نظام الكون محققاً الانسجام بين نفسه والطبيعة ، يعيش في امان واطمئنان ، والا كان مهدداً بفناءه والاضغلال . وامامنا التاريخ اكبر شاهد عدل على ذلك ، فكل من درسه بامعان يعلم قام العلم ، ان سبب انقراض الشعوب هو ميلها عن الطريق السوي ، فتفتكك اجزاؤها وتصل خيالاتها ، مهملات العناصر الحية التي تبث املاً جديداً يساعدهم في تدفق دم جديد يجري في العروق .

اذا عرفنا كيفية التعاون بعضنا مع بعض مشتركين في النشاط والتبادل ، في الخدمة والمساهمة الفعالة ، لتأمين شروط الحياة التي نقيمها علينا الطبيعة ، فت دورة الحياة فينا ضمن نطاق الاستمرار والاطمئنان والامن والتسهيلات التي تضمن العمل المشترك للبشر العام ، والا ذهب ربحنا وفشلنا ومزقنا شرمق . واننا لنصل الى هذه الغاية لا بد لنا عن طريقتين : اولاهما ، قاعدة القراض الاجتماعي وهي المحبة والاخا . والتعاون والسعي لتأمين خير المجموع والثانية : هي مساواة افراد المجتمع في الوضع العام اي مساواتهم في الحقوق والواجبات . ونعلم ان كل شذوذ منا وابتعاد عن قافلة المجموع يكون خرقاً في بعض اجزائنا اذا لم تتلافه قد يسري الى الاجزاء . الاخر والعاقبة لا يعلمها الا الله . من اجل ذلك بدلا من ان نكتم بعض قضايانا التي نعتقد انها الحق في قرارة نفوسنا ، ينبغي ان نجهر بها كي لا ندع ثلثة يتدخل منها مغرض لتفريق صفوفنا ، بل لنكن كالنباتان المروض يشد بعضه بعضاً ، غير مقتلعين اي لبنة من اللبنة مما كان شأننا ضيقاً . واذا لم يتح

نشأة التانجو

الرقص

فن جميل بل هو أقدم الفنون على الإطلاق، وهو طبيعي في الكائنات الحية. وانك ترى الطفل الصغير يرقص فرحاً عند رؤيته أمه بعد عودتها من غيبة طويلة. والكلب يهز ذيله عند رؤيته صاحبه أو قطعة من اللحم. وترى أيضاً الراقصة فوق خشبة المسرح تخرج لك حزنها تارة وسرورها تارة أخرى وتُحكي لك رقصة الوجة وتقلد الطير والحيوان.

وزي من هذا الرقصة وسيلة من وسائل التعبير عن الاحساسات الداخلية، بل هو أقوى الوسائل وأقدرها. وهو أنواع فيه القديم وفيه الحديث فن التقديم ورقص الجنائز والرقص الرمزي والرقص الشعري... ومن الحديث السامبا والفوكس والرومبا. وسأقصر حديثي في هذه المرة على التانجو ونشأته. والسبب في اختياري لرقصة التانجو أنها جمعت بين القديم والحديث كما أنها اختلفت الرقصات دماً وأهيجها منظرًا وألذها مذاقًا بعد التانجو ملك الرقص الحديث كما كان ملك الرقص القديم. فقد حدثت كسوفات وخسوفات للفلسا الخاص ولغيره من الرقصات، ولكن التانجو ظل ينبجي من تلك الكسوفات والخسوفات، ويلعب دوراً هاماً في الوقت الحاضر، ويظهر أنه سيستفظ به الى الاجيال القادمة. ويذهب المؤرخون مذاهب شتى في البحث عن اصله.

ويرجع بعضهم اصله الى مقاطعة المهند الصينية تدعى تانجو (Tang-Hô) لتشابه الاسم (Homonymie). وقد ظهر هذا الرقص في اوربا لأول مرة في نهاية القرن السادس عشر، نقله اليها بوهيميو او خيتانوس الذين كانوا يقطنون الهند ثم طردوا منها.

ويؤكد بعض الباحثين والسواح حضورهم معرضاً للتانجو اقيم بعصر جورج ملك الاغريق بمناسبة العيد وذلك في ٢٤ ديسمبر عام ١٨٠٠. وقد ظهر بالعرض بعض الممحات الراقصات. ويقولون بأن الموسيقى التي أحييت تلك الليلة تشبه الى حد كبير موسيقى التانجو الحديث.

وظهرت رقصة أخرى اندلسية تشبه رقصة الفلامنكو (Flamenco) حملها الى أرجنتين بعض الحنانوس (Gitanos). وترجمت كلمة فلامنكو بكلمة "Solo" لأن الذي يقدم الرقصة فرد واحد بلبس السمبريرو (Sombrero) الاندلسي. ولا بد لكي تنجح هذه الرقصة من تعاون النظارة او المتفرجين مع الراقص او الراقصة فالراقص يستعمل الصنوج (Castanetas) والنظارة يكفكفون ويهالون أولى-أولى-أولى. ورقصة الفلامنكو هذه -وقد أطلق عليها في امريكا الجنوبية تانجفي (Tangfi)- ليس لها أية علاقة مع التانجو الأرجنتيني أبو التانجو الحديث.

ويحكي لنا التاريخ انه في عام ١٦٣٧ استدعى القديس Frai Xporal رئيس الحكومة الأرجنتينية Nrendo لحضور حفل ديني عالمي، فأجاب هذا دعوة القديس. ولما حضر الحفل رقص رقصة التانجو. ونفهم من هذا الحادث التاريخي ان رقصة التانجو يرجع عهد نشأتها الى ما قبل التاريخ المذكور. ولعل رقصة الكرنول (Creol) التي نشأت في شبه جزيرة ابريا - وتشبه رقص السود والهنود - تحولت شيئاً فشيئاً الى ان صارت التانجو الأرجنتيني الحديث.

وقد تسربت رقصة التانجو الحديث الى اوربا بواسطة طلبة أرجنتينيين كانوا يدرسون بجامعة باريس. وقد رقصوا التانجو لأول مرة في صالونات مدينة النور. وأول كازينو اهتم به هو كازينو Deauville وكان يديره الاستاذ مايو Mayo .

وظهر بعد الاستاذ مايو أساتذة آخرون دفعوا بهذا الفن الى الامام ففقلوه الى المسرح وادخلوا عليه التحسينات حتى بات من أروع المسليات بلذة الحديثة حيث يدخل السرور على راقصيه ويبعث في نفوسهم النشاط وينسيهم متاع العمل.

فالتانجو كما رأيت، سيقى رغم ما يحيط منابعه من الفوض - سيقى أحسن الرقصات واجملها.

طبعة المهرس عبد السلام المبروري

فان كوخ

فلم اندره بلكرك André Leclerc

ترجمها عن الانجليزية: عزيز صالح علي العربي



أصالة فان كوخ Van Gogh (١٨٥٣-١٨٩٠) ترحل في خياله المباشر المفرط وفي استمالة الرمزي للالوان كاداة « تفسر بنفسها شيئاً ما » كما اعتاد ان يقول، وفي بناءه صورته بناء استوحاه من الفن الياباني. ولقد كان تلميذ رمبراندت وروبنز ودولاكروا فيه مع فنانين آخرين، ان اندمج في عمله الذي يعد - بالإضافة الى عمل سيزان - اعظم ابداع فودي في عصرنا هذا .

تاجر بالصور ويملك فروعاً لها في لندن وباريس - ليوظف كاتباً في تلك الشركة . وفي عامه العشرين وفي فتقل الى فرع الشركة في لندن ، فبدأ يرسم هناك ترحية للوقت احياناً ، وقد دفعه الى ذلك بعض التي منقلبه زهور الصور بين يديه كثيراً . وبعد ذلك بستين وقع في حب ابنة زبنة البيت الذي يسكنه، ولكن الفتاة الصغيرة صرفته عنها فخلقت الحبة في نفسه شعوراً بالنقص اثر في حياته كلها وكان العامل الرئيسي في نشوء فنه .

وهكذا كان التبدل في طليعة فنسنت نتيجة لجه غير السعيد مما جعل رؤسائه لا يطبقونه فطرده من العمل كعمل مساعد في رامس كيت وآيل وورث وبعد اشهر قليلة من العمل كعمل مساعد في رامس كيت وآيل وورث صمم على ان يغدو واعظاً ، ولكن ثقافته ومقدرته في الالتقاء لم تؤهله لهذا العمل ، فلم يسمح له بمواصلة . وبعد ذلك حاول التحضير لامتحان الدخول في جامعة أمستردام ، ولكنه اقلع عن هذه المحاولة حالا لعدم اعتياده الدرس والبحث . ثم ذهب بعدئذ واعظاً الى منطقة المناجم في بلجيكا بمرءة احدى الجمعيات التبشيرية التي لا تشترط في منتسبيها ان يكونوا من ذوي الشهادات . وهناك ، بجهده الذي بذله لتخليص نفوس المعدنين الحشنة اصاب شهرة بعيشه وفقاً لعقيدته تماماً ، باذلا راتبه التز للعمال ، ومتوسداً الارض في كوخ قديم ذي سقف ناضج ، معترفاً بذنوبه علانية من غير اهتمام بالسخرية التي قد تصيبه من ذلك ، فكانت النتيجة في النهاية طرده

ولد فنسنت فان كوخ ببلدة كروت زندرت في هولندا في اليوم الثلاثين من آذار سنة ١٨٥٣ ، وهو الاكبر بين ستة اطفال ايوهم قسيس . ولقد قطعت نشأته ، في جو من الحاجة والتزمت على المثل العليا ، شوقاً بعيداً في سبك شخصيته النبيلة . وفي طفولته وحداته لم يبد شيئاً من الذكاء . بل بدت فيه بوادر طبيعة شاذة غير سوية ، فكان يتحاشى الاختلاط باخوته جميعاً ما عدا تيودور أوثيو Theo - الذي يصغره بأربع سنوات - والذي عبد اخاه الاكبر ولم يخذله في حياته فيما بعد . وقد قضى فنسنت معظم اوقاته - حتى الثانية عشرة من عمره - متمسكاً في الضواحي والارياف ، ولم يصب نجاحاً ملحوظاً في دراسته ببلدة زيغفركن الصغيرة القريبة من بلدته والتي قضى فيها السنوات الاربع التالية . وفي السادسة عشرة من عمره ارسل الى مدينة هيك Hague بتوصية من عمه وكان شريكاً قديماً في شركة كوپل Goupil - التي

من عمله هذا .

ان الفترة التي قضاها فنسنت بين المناجم ، وان كانت في الظاهر اخفاً آخر اصابه ، فانها كانت نقطة الابتداء لتشونه كرسام . فهناك بدأ يرسم بحس حقيقي منتجاً فناً . كان حتى ذلك الوقت بدائياً ، الا انه ملي بالقوة ، واعتبره وسيلة من وسائل الاله المعلم لتشر الانجيل ، بشرحه حياة الكد والفاقة المواكبة للمحيطين به من الناس . وحتى ذلك الوقت لم يحاول الرسم بالوان ، بل جاءت هذه المحاولة فيما بعد .

انتقاد فنسنت بعد طرده ، الى حياة التسكع متجولاً على قدميه حول منطقة المناجم والضواحي ، يرسم ويخط ثم يعود لقره احياناً . اما اخوه ثيو فهو الذي كان يوفر من ارباحه القليلة مرتباً صغيراً يعيشه لاخيه الشارد .

وأخيراً صممت أسرته على منحه فرصة ليبدأ من جديد في عمله الذي اختاره كما يبدو ، فأرسل الى بروكسل باعانة ماله قليلة ليدرس الفن فيها .

سارت الامور على ما يرام قرابة سنة ، فانهز فنسنت تقدماً وقابل اناساً مفيدين ، فحضر بازدياد سعادته عن ذي قبل . ثم عاد الى والدیه بترج العمل الشاق ، فأقام في ايتن Etten حيث بدا له والده

جذابين اكثر من اي وقت مضى ، فأظهر ما يدل على استقواه هناك . ولكن الكارثة كانت قد خبثت له ، اذ وقع في حب ابنة عم له رفضت عروضة ، فحصل قترني في محطه فقاد اهله الى هيك . وهناك التحصن مع استاذة الرسام موف Mauve . ولبتوج شذوذه الخلقى بشي . التقط امرأة من نساء الشوارع اصحابا سين Sein واختصه لنفسه . ولقد وصف جسمها المرهف الهزيل بمجن جسده هي بدورها بعينه الحالين كما يبدو لنا . ومع ان هذه المرأة برهنت على انها لاقيمة لها فانه لبث معها قرابة سنتين ، لكن أخاه تيودور

الذي كان ضد مشيئة أخيه تماماً اغراها برشوة على ترك هذا الرجل الفقير المريض قترنته ، بينما ادخل هو المستشفى بعد ذلك نتيجة لسوء التغذية والاعمال .

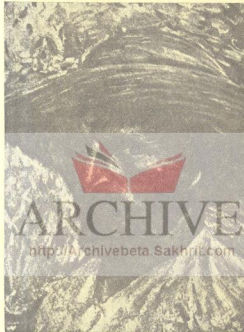
ابل فنسنت بما به ببطء ، ففضى الصيف اول الامر في دوينت Drenthe وحيداً سوى الطباع يرسم المناظر الطبيعية ، ثم في نوبين Nuenen حيث وجد فيها ملجأ له في الشتاء ، اذ كان ابوه قسيس تلك البلدة الصغيرة .

والمرة الثالثة قلبت امرأة ميزان حياته المتأرجح ، ولكن وجه الغريبة هذه المرة انها هي التي وقعت في حب هذا الرجل المشوبه الخحول ذي الخلق السي ، ووجدته في اول الانتحار من غير اكتراث . انغمس فنسنت في العمل ، فرسم بعضاً من اجل لوحاته ، منها : « اكارا الطراد » حيث جذبته الرواة التي ترمز اليها هذه الثمرة ، بعض النظر عن شكلها الغريب ، ومنها : « الاحذية » ، وبعض اللوحات المختلفة التي استمد مواضيعها من القرويين ذوي العمل الشاق . وكان يرسم بالوان غامقة غير براقة ، وفكرته من ذلك ان ينقل رائحة الفقر بعينها والحسنة والكمد المتواصل .

وفي انتويرب Antwerp

اكتشف فنسنت اكتشافين كل منهما

لا يشاكل الآخر كما يبدو - اثرأ معاً في فنه تأثيراً عميقاً . فالاكتشاف الاول كان روبز ، اما الثاني فكان جديداً تماماً ، والا وهو الفن الياباني الذي كان قد نشرته حديثاً روايات الاخوة كونكورت Goncourt . فألوان روبز المضية المشبعة ورسومه البراقة الحمراء بدلت نظرة فنسنت تماماً ، بينما لم تشجعه صور هوكوساي Hokusai وهيروشاغ Hiroshige على استعمال الوان بدائية قوية متباينة بقوة فحسب ، بل على ان يستعمل اسلوباً متناسباً * وعما رسامان يابانيان . (المترجم)



من روائع فان كوخ

حرأ في التركيب. وهناك بدا عليه انه استقر في العمل مطمئناً ، لكنه بعد بضعة أشهر من الدراسة في أكاديمية انتويرب ، اقنع اخاه ثيو بأن من الارخص له ان يدعه يعيش في باريس حيث كان اخوه في وظيفة ثابتة .

وهنا يبدو لنا انه لم يكن هناك جو خيراً لفنست من جو باريس بتأحفها ومقاهيها ، فحاول ان يدرس الفن مرة أخرى عند الأستاذ كورمون Cormon ، لكنه بغداد صده المتأد هجره وضمه على ان لا يحتاج الى اي استاذ فيما بعد ، وتأثر على ذلك . وعندما قابل كوكان Gauguin ولوتريك Lautrec وسورا Seurat ، قابلهم باحساس اللد الند .

وهناك رسم فنست مونترار وضاوي باريس ، ورسم اشد الاشياء تفاهة ما يقع تحت بصره ، فمن كراسي متداعية الى علب الاسماك كما كان يفعل في ايامه السافقة حيث كانت الاحذية والبطاطا من مواضيع رسمه . وهناك أيضاً قابل بيرونكي Pere Tanguy تاجر الصور والالوان ذا الاطوار الغريبة ، الذي وضع سيزان في طريق الشهرة ببيع صوره ، لكن صوره لم تبع ، فارتاح سيزان لذلك قليلاً ، ونفر من فنست نفوراً شديداً .

وكما رأينا فيما مضى ، نجد فنست قد سئم بوليس الا فصار يختلف مع كل فرد ، فحصل نفسه غير محسب . وفي سنة ١٨٨٧ غادرها الى جنوبي فرنسا عملاً بنصيحة «لوتريك» ، فبم اخوانه خاص بذلك كثيراً ، لتخلصه منه بسبب مزاجه الحاد المتقلب . اما هو فاستمر من هناك على كتابة الرسائل الطويلة المؤثرة ، الملاى بالرسوم المخططة المعلة بالالوان . وهناك اذهلته اشعة الشمس والريف المضيء في أرل Arles - ذلك الريف الذي يختلف تماماً عن الريف الرمادي في وطنه هولندة - فرسم الامتدادات الشاسعة من الحقول المشمسة والمروج في سهل كرو Grau ، معطياً احساساً غريباً بالضا. الظاهر في قطعة التماثل على ضيق حدودها . ومع ذلك فقد ظل يهوى رسم الاشخاص والناس ، وهو حين يرسم الشخص ، لا يعبر بتباين الالوان الشديد بينه وبين ارضية الصورة مثلاً عن صفاته فحسب ، بل يعبر أيضاً متعمداً عن مشاعره الخاصة نحو ذلك الشخص سواء اكان ساعي البريد او فلاحاً او صديقاً وقد جرب أيضاً رسم ما لا يرسم ، فرسم الليل والسماء بنجومها ، بدوائر ملثقة من الاصفر والأزرق .

اما نصيبه غير السعيد مما قدر له فلم يكن قد تحرك بعد ، اذ بدأ يشروع جيل - وفقاً لمثاليته القديمة - وهو ان يكون مجموعة

من الرسامين يعملون كلهم معاً بالنسجام ويتعاونون في اخراج روائع من الفن . فدعا كوكان قلى الدعوة ولبث معه شهرين ، حيث وقعت في نهايتها المأساة المضحكة التي تتشمل امام الفكر حالا كلنا ذكر اسم فان كوخ ، اذ تشاجر الصديقان حول فهمهما فرمى فنست صديقه فجأة بزعاجة ، وفي اليوم التالي ، بعد فترة من الهدوء ، هدهد بوليس . وبعد ذلك ، وبدافع الاقتصاص من النفس ، قطع فنست احدى اذنيه .

أدخل فنست - بعد هذه الحادثة - مصحة عقلية في سانت ريمي حيث رسم اراضيها ، ورسم الحراس والاطباء ، فصار عديم الاذى . ومهما يكن ، فان المعاملة التي لقيها هناك حسنت حاله قليلاً ، فغادر المصحة بعد سنة من ادخاله فيها . فذهب ليعيش في اوفر Auvers قرب باريس حيث رسم الدكتور كاشيه Gachet وهو احد محبي الفنون والذي فهم في الحقيقة حالة فنست ، وعلمه فن الحفر . وفي اوفر بدا فنست سعيداً وهادئاً .

وفي غضون العام الذي قضاه في سانت ريمي ، ظهرت في مجلة Mercure de France مقالة لالبرت اوريه Albert Aurier جلبت الانتباه الى عمل فان كوخ فكانت اعترافاً له . لكن فنست في الحقيقة لم يكن بذلك طويلاً ، اذ ان صحته الرقيقة كانت قد قوضت بالأسس وتآكلت الضيق . وفي اليوم السابع والعشرين من تموز سنة ١٨٩٠ ، توفي فان كوخ في اوفر ، بعد ان عانى من مرض عاقل . ما عدا اندفاعه بلا شك وراء صوت داخلي في نفسه ، اطلق على نفسه الرصاص ، فبحر ومات بعد الجرح بيومين .

اما اخوه ثيو فلم يلبث بعده غير سنة مات بعدها بالشلل الذي سببته له صدمته بانتحار اخيه * .

ان الفن الذي يصدر من براعت الاثار الشجية ما زال في النهاية فتناً لا هو بالعاطفي المستغرب ولا بالفن المتعارف عليه ادبياً ، بل هو تقرير عادل مفرط في الخيال لا يحتاج تفسيراً . وكذلك كان ولا يزال فان كوخ الذي مات مجنوناً لامعاً بعد ان عاش كقدس مخبول .

عزير صالح العلي العربي

تريل بيروت

* يقول ارنست ستون Irving Stone في كتابه « شهوة الحياة » Lust For Life - وهو ترجمة متصلة لحياة فان كوخ - يقول ان ثيو مات بعد انتحار اخيه سنة اشر قاماً .

(المترجم)

النفحة الشاردة

مهدة الى العلامة الشيخ عبدالعلاي

يا نفحة من حنايا الكأس شاردة عودي فقد عادت الآلام للجد
هذي خيالات روعي في كآبتها تمتد من شاطئ. الذكرى الى الابد
عودي الى الكأس ان الكأس واجدة تنو اليك بعين الحزن والكمد
عودي الى ارض مغنا فقد رجعت عيني تعربد في خسارة السهد
عودي فذلك خيالاتي نبت معاً لمن الهوى من اماني الشاعر الفرد
في كل نجم لنا عرس ومثكاً فلا تبالي بريح الحقد والحسد
الليل مسرحنا والحب شاعرنا والجو مرقصنا المروح فانتدي ..
واسرعني نحو كاسي كلما صرخت جنية الكأس في احلامك الجدد

لا تنفري من شجوب الروح ان يدي تمس في سوحة النذكار غريدي
طوراً يالوح لعيني طيف زنبقة تنو اليي يوجد جد متقد
ونارة اشعر الاشباح تجملني حتى اغيب عن الاصفاء والرشد
كأننا من جعم التيب عاصفة حمر. تسأل عن قلبي وعن كبدي
فأفتح الصدر للتيان مبتساً لثورة ما احياها علي جسدي !!
مصطفى محمود

رغم

والفضاء المأسور في ملعب الدهر اغان توجت في اغاني
اي روح معربد في شطاي قصة حاكها الردى من دخان
لملم الزهر من ربيع التعلات والقاه .. في خضم الزمان ؟
واستفاق الاصداء في خدع الوهم يشل ابتسامة الاوان
فتهاديت فوق اشلاء دنيا من عبر مجرح التحنان
استنز الرجاء في مدفن القلب ، فتنفو خطاه غب التداني
واتادي فيشرب الكون أهائي .. وينحل في دجى النسيان
يال موت الرؤى . يرن الصدى القاسي فتحنو على المدى مقتلا !

قد يعود الربيع ، من سجنه البالي . عبق الخطى ، طليق الاماني
وتعود الاسعار تندى على الدرب وتنداح في الغد النشوان
فتنز الانسام اسطورة التجوى على معبر من الاكفان
ويلم الظلام اشباحه الجوى . ويضي .. فيلتي تآهنا ..
خلفاً للطريق انشودة الذكرى ، وللرب قصة الحرام ؟

سميرة احمد العلي

اشربي كأس

Drink to my

تألا من الانكليزية للشاعر بن جونسون وهي
من اشهر القطع الغنائية في الادب الانكليزي

اشربي كأس بعينيك اذا ما
او اذا شئت اتركي لي قبلة
ظلاً الارواح لا يروى با ..
فاسقي من حمة قدسية
خمرة الثمر وما ابدا
هاجك الشوق وقد خفت الملاما
في قرار الكأس تنسيني المداما
تحسينه في لسانها الدامى
ليس يشكو بعدها القلب الاواما
بالتى غنى بها الله وهاما

انني ارسلت بالورد اليك
الندى العذب ما ينشده
فانفضه بالاماني انه
واعيديه لروحي حاملاً
ما اريج الروض الا عبق
ظامناً كي يوتري من شفتيك
اي ورد لم يفتح في يديك
لرسول القلب يا ليلي لديك
نفحة سحرية من وجنتك
حملته الربيع منك واليك

وربع دب

انتفاضة خريف

اصدا اسطورة ذابلة : مهدة الى « متردة » اليراديب

هجمات ذابت على حلم ميت ، ورفت في خاطر وسنان
قاذ بالخريف ارجوحة جذلي .. تمتت لو هدهدتها يدان

رحيل ونظرة

عند النوى حيثها
فودعت بكلمة
يارب . ما الطفها
اوالثقت عندالنوى

الي قد تطلعت
فرفر القلب لها
كأنه فراشة
كاد اللظى يحرقها
فراشة مسحورة
فيا لها من رقصة
قد دغدغت اخيلتي
حتى انجلى لي عالم

يا نظرة تحذتها
في يقظتي في حلمي
هل انت الافق
اهدايا الوطف على
لكل هذب سحره

يا نظرة قد اخلقت
وأغرت اكويوبيدي
فضضبت قلبي الذي
ظلمآن لكن ربه
الحسن قد حوره

العراق

ابراهيم عوبريا

أنشودة

مترجمة عن الشاعرة الانكليزية كريستينا روزوي

يا حبيبي ، اذا طرقتي المنية وتلاشى الضياء من مقلتيه
لا تتوج ، بالورد رأسي ، ولا تبك هوانا باغنيات شجيه

لا تطوق بالسرو لحدي فيبدو
باسطاً ضلله الكئيب عليه
كن ، على القبر ، يا منى الروح شبا
متوفاً بالندى ودمع الغمام
واذا شئت فاذكر الماضي العذب ، وان شئت فانسي وغرامي !
انا لن ابصر الظلال ، ولن اسمع وقع الامطار ، بعد هوجومي ،
انا لن اسمع الهزار ، يذيب الهم لحناً من قلبه المنفجوع
انا لن ابصر الوجود ، ولكن سوف ابقى اتيه في احلام
تحتوي غلالة السحر الحائر بين السنا وبين الظلام
فاعلي ، هناك ، اذكر ماضيتا .. وعلى انسى عهد غرامي ا
بغرام

رؤيد باسين

في ظلال الحياة

في ظلال الحياة كفنت آلا
وسقيت الزهور من جرة الافراح ماء
ورأيت الصباح جهم التقاطيع فأهديته ربيع حياتي
ومحنت الرياح تقول في الليل فطلعت في غزاها سباتي
ثم كونت واحدة من ازاهم
ولحت الالام تنحدر في الار
ثم هابت للشقيين كرحا
ثم وقفت من حبيباتي انفا
هكذا صفت للخالق من رو
ومجوداً من الهناء ، وانها
لم ادع من كياتي اليوم شيئاً
انا بددت في الحياة شعوري
انا بددت مهجتي وضيري
انا بددتها .. فلم يبق مني
قد تناثرت ، واندبجت مع الكو
فلسطين

صنا جاسر

يا شرعى

.. وزها الروض فلاكت زهره ربيع السوم !
فاذا الصفو عبوساً من زرافات اليوم
فبكى الزروق في اليم هتافات النعم ...

أنا انسان

.. انا انسان، وعى الدنيا، وأمعن في المسير
غره النور، وما اعطى من عقل بصير
وقادى، فضى يحلم، محبوم الضير
بحياة، في مدى الافق .. بحضرات العطور

.. انا انسان .. جمعت الحير والشر بقلبي
بي روح، وحياة .. بي بغضي .. بي حي
زورق تاه قديماً .. بين شيطان ورب
تمت نفسي ولكن لم اجد لليوم دربي

انا انسان .. ابيت العيش من مهد للحد
شئت ان اخلق دنيا «من وجود» لي وحدي
فتلاشت أمنياتي .. بين آلام .. ووجد
كلما شديت مجداً .. هزأ الدهر بمجدي

انا انسان ضعيف .. غره العيش .. فضاء
ابصر اللذات تترى .. ظنّها خيراً مشاعا
شا .. ان ينسج دنياه .. ربا .. وخداعا
مدكفيه ليحيي .. لم تطل كفاه .. باعا

انا انسان .. عبدت الله .. ليلاً .. ونهارا
غير اني .. لم اجد .. في الله الارض احتقارا
خلق الكون نعيماً .. هل ترى يرصد نارا
كي يجازي «بعض شيء» .. شاه يوماً فصارا

انا انسان .. وعيري .. يقظة النفس المقيمه
كنت قبل .. في فضاء .. طائراً او شبه دية
كنت احياً .. قبل ان اقذف في دنيا النسيمة
وسأضي .. بعد موتي .. نحو آفاق القديمة

باسم الجبر

ومآتي المجرر الذاهل غامت بالمحسوم ..

.. ثم جس الدقة الحيرى واحلام الشراع
وارواح الرأس في كفيه رعديد الدراع
.. واذا في الجو غنى الورد الحان الوداع !
رفع الطرف ورعشات تولت نغره غب التاع

.. ها هنا كانت له في ذروة الموجة الحان سرور
ها هنا .. في لثمة النسمة نادى ضاحكاً مل الشعور
وهنا .. في صفقة الاجنحة البيضاء الوان غرور
.. وهناك الحلم في الشاطيء هزأ بالدهور !

يا منى الرقصة في النور .. وارواح المياه ..
يا رؤى الفرحة في السير على همس الشفاه
واغاريد الذداري .. ، واناشيد تباهي
نشوة الاحلام في اغوار آياد التناسلي

يا دما الافق الا خضيت بالنور حثيثي
وترققت فأنبت بأوهامي سني
.. واذا خفت الثرى الملعون .. اولقو السنين
لا تخافيني ، واني شئت في الدنيا دنيي
.. فانا قلبي شراعي ... وجناحي جنوني !

علي الجبري

سليمة سوريا

ليلى ويراغ

ليالي، طولي واقصري، لست حافلاً غدوت ستيلاً، أم غدوت ثواني !
وكوني مناسياً، او فكوني جهناً فلست برعديد ولا بجهان
هلمي احشدي حولي مأسيك، وانظري شباة وراغ، لا شباة سنان
اذا رعت ابدت مرادي، وجسدت فيصبح ملموساً بكل بنان !
عدى الدهر، فاجتاحته منها جوانح وما زال يلقي عندها بجران !
ارغني اليها بالساع، ولقيت فما كل آن تسمع الاذان
فان الذي انشأ اللوات والثرى يراها لاآلم النوى ويراني ا

محمد يوسف مفرد

نور - النغال

مكتبة الاديب



القافية، وانا اعرف شعراء يختارون القافية،
ثم يكتبون البيت وفقاً لها .

ماساء اوديب

عرض جديد لتبليغ سوفوكليس
المائدة - للاستاذ علي احمد باكثير -
لجنة النشر للجامعيين القاهرة - مطبعة

دار اكتاب العربي القاهرة - حجم متوسط - ١٨٥ صفحة

اوديب : انا الماضي يا ترزياس فلاأخل الطريق للمستقبل
وانا اليأس يا ترزياس فلاأض ليحيي الامل

الكتاب الثاني

للاستاذ جبران مسوح - بونس ابرسالا جنتين - حجم متوسط - ١٠٦ صفحة

جاء في هذا الكتاب : من اروع النتائج وافظها في مسألة
الفضائح ان الحكومة في كل مكان لم تعد قادرة ان تطرد موظفاً
كبيراً مهما ارتكب من الجرائم لانه يدهدها حالا بنشر فضائحه .
وهكذا تعيش الفضائح وتنمو وتتكاثر بحماية الامة وكرامتها وشرفها
ومستقبلها خوفاً من نشر الفضائح . ثم تنتقل هذه العدوى الى كل من
دوائر الحكومة . ثم تنتقل الى الشعب . فتصير البلاد كلها فضائح .
اعرب احد المفكرين عن الحقيقة المؤلمة المرة بقوله : « صار
صعباً علي شبلنا ان نعرفوا الفضائل الصحيحة لانهم لا يجدون من
يتكلمون عنها »

لذة الحرمان

تأليف الاستاذ خليل الاشرف - منشورات مطابع صادر دهباني
بيروت - حجم متوسط ١٥٣ صفحة

جاء في كلمة الإهداء للمؤلف : احببت فا تذوقت لذة الحب بل
تذوقت لذة الحرمان ، فالي التي احببتها ، وما عرفتها ، واحبتي وما
عرفتي ، ووالي اذاقتني بحوربا اذقتها لذة الحرمان اكتب هذه السطور .

الغمر الرمحي

او تاريخ الحرب العالمية الثانية - الجزء الثاني - للاستاذ داود
الضاهر - ريو دي جنيرو ، البرازيل

يقول الكاتب في الفصل الاول بعنوان « الشرق في مهبط
العواصف » انا الشرق . . . انا حجر الزاوية لاول هيكل من عروش
الانسان . لذلك تراني محني الظهر ، قديم الزمان . . . انا اول القافلة .
اما اليوم فلست ادرى اين هي !!

حدثت في الامم واستهوى شحوني الغزاة ، وما زلت وانا

رأينا الاجتماعي واره في الزراعة

بحث القضايا الاجتماعية ألكبري ودرس اثرها في القرية - بقلم الاستاذ حلم غمار
استاذ في العلوم الزراعية في جامعة كاثوليونيا والخبير الفني لوزارة الزراعة
السورية - دار الكشف - بيروت - حجم متوسط - ورق صلب - ١٦٠ صفحة

يقول المؤلف الفاضل في ختام الكتاب :

افتحوا عين الفلاح قبل ان تفتحوا له طريقاً .

اصقلو عقله قبل ان تصقلوا محراثه

هذبوه قبل ان تشذبوا الشجرة

وانعشوه قبل ان تعشوا الزراعة

ان عقلية الفلاح هي اهم عقبة في سبيل النهضة الزراعية .

ولن تنهض الزراعة الى المستوى الذي نشده ما دامت حالة
الفلاح ونفسه على ما هما عليه .

واني اختتم ، كما افتتحت هذه الرسالة ، بآية الكرعة :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا » بالتفصيل

سُطُوباً ورماد

مجموعة شعرية - لآلثة نازك الملائكة - مطبعة المعارف بغداد
حجم متوسط - ورق صلب - ١٧٦ صفحة

تقول الشاعرة في المقدمة : . . . ثم نتحدث عن القافية ، ذلك
الحجر الذي تلقمه الطريقة القديمة كل بيت . . .

. . . وهذه الفردة قابلة للشخوذ لدى اول عائق يعترض سبيل

اندفاعها ، فهي شبه مجلم سرعان ما يفيق منه النائم ، والقافية

الموحدة قد كانت دائماً هي « العائق » ، فإ يكاد الشاعر يفعل ،

وتعثر به الحالة الشعرية ، وبسك بالعلم فيكتب بضعة أبيات ، حتي

يبدأ محصله في التواني يتقلص فروع يوزع ذهنه بين التعبير عن

انفعاله ، والتفكير في القافية وسرعان ما تنفض الحالة الشعرية وتهبط

فوريتها ويضيئ الشاعر بصف الكلمات ويرى القوافي دوغاً حراً ولذلك

قلما نجد في ادبنا التقدم قصائد موحدة الفكرة ، يسيطر عليها جو

تعبيري واحد منذ مطلعها الى ختامها . فالشاعر يضطر الى مصانعة

احمل في اعماقي مأساة الاجيال حتي عصفت ببقية امالي عواصف الغرب .

المصنف

تاريخ وبث - للاستاذ محمد رضا المنظر - مطبعة الزهراء
النجف - حجم متوسط - ورق صقل - ١٢٨ صفحة

يقول المؤلف للقارى : حرر فكرك ، ولطف ذوقك ،
وجرد عنك خمر التصبب البالي ، ثم اقرأ رسالي اليك . والا فيخير
لي ولك ان تردّها على صاحبها ، اما له أو عليه .

ثم يتولّى في «تأثير العقيدة على المؤلف» : من اسبق الفروض
على المؤرخ ان ينفّض عن ردائه غبار التصبب لتزعاته الشخصية من
دينية او قومية او وطنية ونحوها . بل لعله من شبه المستحيل ان
يتزع من قلعه حياء عقائده واهوائه . فان النفس تلهم عقل صاحبها
التصديق بميولها وعواطفها ، وكثيراً ما تغف بين بضيض عقله
والحقيقة ، وان حاول ان يخرج من نفسه التي ورثها ونشأ عليها .
ويتجمل فكره من اسرها وسجنها ليطلق في جوه الحق الطليق . واذا
رأيت طائرًا اسداه الحظ فتحرر من سجنه فالتفت اذا كنت حراً مثله ،
فستجد ان جناحه مثقل بغبار السجن ، وارجله لا تزال متأثرة
بالقيود ، فيحتاج في رفيفه ويتثاقل في طيانه . وقد يهوي احياناً
الى الهوة غير مختار .

عمر الجلام

الحكيم الفلكي التيسابوري ، حياته ، علمه ، ديانته ، تأليف وتحريره
الاستاذ احمد حامد الصراف عضو المجمع العلمي العربي في دمشق وعضو
مؤتمر الفردوسي في طهران - طبعة ثانية - مطبعة الشعب «دار الاخبار»
بغداد - حجم كبير - ورق صقل - ٣٠٠ صفحة

يقول المؤلف في المقدمة : . . وقد ذهب الباحثون في فلسفته
مذاهب شتى ، فصوره ناس بانه مادي محض ، وقال الآخرون انه
شاعر زنديق لا يعرف غير الله ، فشبهوه بآبقير الفيلسوف
اليوناني صاحب نظرية اللذة . وذهب جماعة من الباحثين الى انهم
الروائيين الصديقين ، وانه حكيم الهي مثل جمرة الحب المقدس .
والناحية العلمية فيه اعظم واخطر من الناحية الشعرية ، فهو
في الذرة من كمال العلم ، وقد الف في علم الجبر وتضلع منه ، فهو
صاحب المعادلة الجبرية ذات المجهولات الثلاثة ، وقد بين الصدمع جماعة
من الفلكيين وبرز في الهندسة واتقن الطب وتولى معالجة الملوك
في عصره ، وقد تخرج عليه جمهور من الفلاسفة والعلماء .
كل ذلك دل على ان عمر الحيام كان من افضل علماء عصره وابعدهم
شهرة واكبرهم قدرا .

الادب الاجتماعي والتربية الوطنية

تأليف الاب استفانوس الياس المخلصي - اكتب الثاني - طبعة
جديدة منقحة ومزدانة بالرسوم - مطبعة دير المخلص صيدا ، لبنان
حجم صغير - ١٥٢ صفحة

من المقدمة : الادب الاجتماعي ! . هو صلة القلوب ، وجاذبية
النفس ، واثلاف الاطباع ، تحت جو من اللطف والظرف . هو
شعاع من الجلال الداخلي ، يتسوج في كلام المرء ، وحرركاته
وسكنتاته ، كما تتسوج اشعة الشمس على قطرات الندى ، فاذا هو
كاللؤلؤ المنشور على اكام الزهور وصفحات الرياض . هو الادب . في
الوداعة ، وضعة الجانب في ترفع الاخلاق . هو الاخوة الشاملة بين
جميع الناس ، يصقل اخلاقهم ويهذيبهم ويقرب بينهم ليكون منهم
ذلك التجمع المرصوف البنيان ، الوثيق الاركان ، وثقه در امير
الشعراء اذ قال :

وانا الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

نحت المصنع

نقد للشعراء عمر ابو ريشة ، بدوي الجبل ، شقيق جبيري ، محمد
اليزم ، مهدي الجواهري - للاستاذ محمد روي فيصل رئيس قلم الطليعات
في حمص وصاحب كتاب «من النقد الفرنسي» - منشورات دار الحكمة
حمص - حجم كبير - ٨٤ صفحة

يقول الاستاذ قدردي العمر كاتب المقدمة : يظهر الادباء
ويختبئون ، وتضفي الشهرة والسنون ، وتصير ايها الحدث فتي ،
وتتقلب انت ايها الفتي كهلاً ، وقد يضحك حظك قبل ان تبلغ الشيخوخة
وتدرك الهرم ، ويتغير عليك في سفارك هذا كل ما تعرض الدنيا
من حلو ومر ، وجيل وديميم ، وقاس ولين ! يتغير عليك كل شيء ،
ما حبيت ، ولكن حديثاً واحداً لا يتغير ولا يتبدل ، ويبقى على
ما كان يوم قيل ، ويوم صار ، ويوم كان ! .

هذا الحديث هو كلمة الادباء . في الادب ، اذ يقولون .

الادبي في بلادنا والقنون الجميلة جميعها ليست سوى همود وركود
وكساد ، ذلك المعلن القائم الخرين ، تسمعه في كل بلد من بلادنا
وفي كل مصر من امصارنا ! .

الشعاع

صحائف الصباية والوجدان - مجموعة شعرية - للاستاذ مصطفى
خريّف - مطبعة النارتونسي - حجم متوسط - ورق صقل - ١٤٠ صفحة

يقول الشاعر : اكثر هذه الاشعار نظم قبل الحرب الاخيرة وفي
انثائها . ولم اعن في ترتيبها بتبويب الموضوعات ولا بتواريخ

مجلة علم النفس

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب هي من أم مكملات ثقافة الفارسي. العربي تريدك علماً بنفسك وتبكر

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية

باشتراكك في مجلة علم النفس تنفث نفسك ثقافة ممتازة وتسام في مجهود علمي عظيم الاثر في النهوض بالشرق العربي

تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيساً التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زويور

الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان و١٢ شللاً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان

يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٨٨ شارع دوش الفرج شبرا ، مصر

مجموعات الادب

لدى الادارة مجموعات من الادب تطلب بالمثل التالي:

| السنة | ليرات | جنيهاً | دولارات |
|--------------|-------|--------|---------|
| الاولى ١٩٦٢ | ٣٥ | او ٤ | او ١٦ |
| الثانية ١٩٦٣ | ٢٥ | ٣ | ١٢ |
| الثالثة ١٩٦٤ | ١٥ | ٢ | ٧ |
| الرابعة ١٩٦٥ | ١٥ | ٢ | ٧ |
| الخامسة ١٩٦٦ | ١٥ | ٢ | ٧ |
| السادسة ١٩٦٧ | ١٥ | ٢ | ٧ |
| السابعة ١٩٦٨ | ١٥ | ٢ | ٧ |
| الثامنة ١٩٦٩ | ١٥ | ٢ | ٧ |

انشائها، بل تعدت انتشارها، لان ذلك اقرب الى تشييل وحدة الطبع ولا يفي لا اسمح لقاري. ان يتبع منرجاتي في سبيل نشأة ونمو مدواكي. والذي اسمح به ويستطيع القاري. ان يعرفه هو اني نشأت وتعلمت على غير نظام ، بل كانت حياتي ومشاعري مثلاً رائعاً للفوضى واجتماع النقائض والتلايف الاضداد ، فلتست اصلح ان اكون قدوة على ما ارى .

اما المجموعة فيقدمها الشاعر: « الى الروح الملهم . الى الطيف المرتسم امام بصيرتي . الى بدعة الجمال والفن . الى من احب اهدي ورقاتي » .

الفضاء العربي العراقي

مجموعة قرارات مدنية لمحكمة تميز العراق من سنة ١٩٢٠ حتى منتصف سنة ١٩٦٩ ترتيب وتلخيص الاستاذ فريد خيان - الجزء الاول - قانون اصول المحاكمات المخوقية وتعديلاته وذبوله - طبع بمطبعة شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ببغداد - حجم كبير - ورق مقبل - ٣١٨ صفحة

اوراق الخريف

ديوان شعر - للاستاذ نذرة حداد - مطبعة طويلا - بروكنا الولايات المتحدة - حجم متوسط - ورق فاخر - ٢٠٨ صفحة

يقول الاستاذ وليام كاتسلفيلس في «مقدمة لاوراق الخريف»: « شعر نذرة ممتاز عن سواه لان فيه شيئاً لا يستطيع تخديده ولا وصفه . يدخل النفوس بلا عتا . فانك لا تجهد نفسك بقراءته كما انك لا تجهد بها بنفسه . وهو مع ذلك من عيون الشعر ومن اعذبه . ونفسه الحساسة تتألم من الجمل والظلم وعمادة الانسان الذي بدل نعيم الحياة وهي هبة الله بجحيم التنافر والتحاسد والطبع والتعدي والحروب الدامية .

.. وهو كثير الختان لبلاده - ليماء العاصي التي انبتته ، وانك لتجس بشيء في حلقك ورطوبة في عينيك عندما تسعه يقول :

ايما الاكي من الاوطان والايوطان حلوه
لم اجد عنها وان طال زمان البعد سلوه
وطن اوجد منذ فارقت في القلب جذوه

.. ان ديوان « اوراق الخريف » هو مرآة نفس نذرة حداد وصور لاختلاجاتها في طريق الحياة وما شعرت به من عواطف وانفعالات فهو تاريخ يجري فضلاً عن كونه كترأ من اثنى كنوزها الادبية . واجمل ما فيه هو تلك البساطة في الشعور والتعبير التي لا يدركها الا المبرزون الذين منجهم السماء شلعة علوية . والديوان خطوة هامة في حياتنا المعنوية في الدليل الاميركية .

عزرائي

مجموعة شعرية - للاستاذ عمر موسى باشا - مطبعة الاصلاح حمص
سوريا - ورق صقيل - حجم صغير ١١٢ صفحة

يقدم الشاعر مجموعته : الى كل من يهوى الطبيعة والجمال ،
الى كل من تله في بيدا ، الحب الطاهر ، الى كل قلب صوته
صروف الحياة ، الى كل نفس تحترق لتتبر طريق الناس . الى كل
عذراء تجهمت في وجهها الخطوب ، اقدم هذه الاناشيد .

اجوا

تأليف اندرو موروا عضو للمجمع العلمي الفرنسي - تعريب الاستاذ
سيد القاضي - مع مقدمة للاستاذ فؤاد الشاب - مطبعة النضال بدمشق
حجم متوسط - ١٣٩ صفحة

خليل مطران

الرجل والشاعر - للاستاذ مصطفى عيد الطيف السجري مطبعة
القطف القاهرة - رسالة بحجم كبير - ٢٠ صفحة

لانسجا

مجموعة اقاصيص - لمراد الباعلي - مطبعة الشرق حمص سوريا
حجم متوسط - ٥٤ صفحة

فرانز ليست

للاستاذ خليل هندوي - في سلسلة اقراء رقم ٨٢
شهر ديسمبر ١٩٤٩ - دار المؤلف بدمشق

دراسة قيمة عن ليست اعتمد فيها كالمناظر المصاحف
التالية : عدد خاص من المجلة الموسيقية بحياة ليست - رسائل مسافر
لجورج صائد - مراسلات ليست ومدام اجوات - مراسلات ليست
مع ابنته - ليست واولاده اروبير بوري - ليست لجودي بورتاليس -
ليست مع العشاق الرومانتيقيين لبول ريبو - تاريخ الموسيقى العالمية
طبعة لاروس - تاريخ الموسيقى لكونوبارو - حياة شوبان لليست .

خليفة النبي

في عيد الغدير - بقلم الأستاذ السيد صدر الدين شرف الدين - منشورات
نادي الامام الصادق صور لبنان - حجم صغير - ورق صقيل - ٥٥ صفحة

الاوليات

مجموعة قصائد لاهدي السويح البصري - مطبعة العدل في النجف
الراق - ٣٦ صفحة

سكلمة الوطنية

مجموعة مقالات واجبات وخواطر وطنية ونظرات اصلاحية -
للاستاذ يوسف مجلة مجلة الوحدة العربية التي تصدر في تونس
ايرس الاربعين حجم متوسط - ١٤٢ صفحة

عزرة سمير اميس

مصرية صغيرة لعبد الطيف الشهابي - منشورات مكتبة السامرائي
بغداد - حجم صغير - ٤٧ صفحة

هذه هي الحرب

مجموعة قصائد لحسن شكر الهاشمي - المطبعة العلمية بيروت - ٢٠ صفحة

العالم العربي

مقالات وبحوث ، في بعض شئون السياسة والعلمية - لكتاب الاول -
منشورات الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية - مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر القاهرة - حجم كبير - ١٦٢ صفحة

الفقه العربي

قواعد اعلام - لغة - توصف انشاء - الجزء الرابع وضعته لجنة من اساتذة
المدرسة البولسية - المطبعة البولسية بدمشق - لبنان - حجم كبير - ٢٢٣ صفحة

مجلة المستقبل

عدد ممتاز « العدد الثامن السنة الاولى » من مجلة المستقبل
الراقية التي تصدر في عدن في اول كل شهر . والمستقبل مجلة ادبية
اجتماعية ، هي مجلة الفكر والجداد والشباب تصدرها نخبة
من الشباب الواعي الناضج وتلاقى هذه المجلة حرباً شعواء يقودها
« بعض الاجلاف الاميين المأجورين » فتنتهي لها الصود والنجاح
مع انخراط النشائي لاداء التابيين الذين يصدرونها خدمة لبلادهم
التي هي بحاجة ماسة لرسالتهم النيرة .

مجلة المنبر

عدد ممتاز « مجلد ٩ عدد ١١ - ١٢ » من مجلة المنبر الزاهرة التي
تصدر شهرية في مكة ، لصاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ الكريم
عبد القدوس الانصاري . وقد زين العدد الممتاز بالرسوم واشترك
في تحريره نخبة من رجالات المملكة العربية السعودية في طليعتهم
حضرة صاحب السمو الملكي الامير سعود ولي العهد الذي قالت
عنه المنبر « ان سموه اعظم شخصية بعد جلالة الملك المعظم وهو
نسخة من جلالة ابيه سياسة وحكمة ودرباً وكراماً واخلاقاً
وحداً على المسلمين كافة والعرب خاصة حفظ الله سموه ذخراً للبلاد » .
وهذا العدد الممتاز من المنبر خاص « بتطور المملكة العربية
السعودية في مدى ربع قرن » .

وقد تناول الكتاب فيه شتى شؤون البلاد الاجتماعية والاقتصادية
والثقافية بالبحث والدرس والعرض والاحصاء ، فجاها عددًا تاريخيًا
وسجلًا حادًا ، فنهى المنبر على جهودها الموقفة ونسنت لها دوام
النجاح والازدهار .

أبناء العالم في استعصاء

الغربيين بخرق اتفاق بالما والترويج للحرب .
١٥ - نذح حكم الأعداء شتقاً بقاتل المهاغا
غاندي وزميلة في الزمارة وظل القاتل حتى
ال لحظة الأخيرة غدير أنف على جريحته فلم
يستقر ولم يندم .

١٦ - حذر رئيس الوزارة اليابانية إبناء
بلادته من استعمال عقد معاهدة الصلح وقال على
اليابان أن تفض موقفاً محايداً من جميع الحلفاء
والأقارن الضرر يعود عليها وحدها .

١٧ - أعلنت الحكومة التركية انصاراً
اكتشفت مؤامرة حاكها حزب الأمة للماوض
لاختيال عصمت إينونو وجلال برابار رئيس
الوزارة المراسم وزعيم الحزب الديوقراطي
ويهود الألبانية الجندال صادق الدوغان وكاوي
برشجون الرشال فوزي جائق لرئاسة
الجمهورية وقد ألقى القبض عليه .

١٨ - حكمت محكمة الدولة في براغ
على ٣٥ شخصاً بتهمة التجسس لصالح دولة
أجنبية وتنظم فرقة سرية ترمي لقب نظام
الحكم في تشكوسلواكيا .

١٩ - رفضت اللجنة المدنية البريطانية في
اتقراء الموافقة على ترم الحصانة من الجفرال
صادق الدوغان لانه وجدته أن أدلة الادانة
غير متوفرة وظلّت من النائب العام أن يقدم
اليها عناصر اعام أكثر قوة .

٢٠ - وقعت ثورة بوليسية سلمية في
باناما انتهت باعتقال رئيس الجمهورية وتعيين
نائب الرئيس مكانه والسبب في هذه الثورة
اختلاف وقع بين وزير الداخلية وباقي اعضاء
الحكومة .

٢١ - صادقت الجمعية العامة لفرقة الامم
على توصية اللجنة السياسية بمنح ليبيا استقلالها
في عام ١٩٥٢ ، ووضع الصومال تحت الادارة
الايطالية على أن يمنح الاستقلال بعد عشر سنوات .
- قبل رئيس جمهورية فرنسا والسيدة
قريته الدعوة التي تلقاها من الملك جورج
السادس والملكة إليصابات لزيارة بريطانيا في
مارس القادم .

٢٢ - عاد الوصي على عرش العراق
فكلفت السيد نوري السعيد مجدداً لتأليف
الوزارة الائتلافية . وقد بدأ استشاراته .

الاتحادية الالمانية .

٥ - اجل لياقت إسمان رئيس دولة
الباكستان زيارته الى موسكو لنية لدعوة
الاريشال ستالين .

٦ - انقروا لتكوف رئيس مجلس النواب
في موسكو خطاباً بمناسبة الذكرى الثانية
والثلاثين للثورة الروسية خص فيه برنامج
الحكومة في الميدان الدولي بما يلي : التعاون
مع الدول الكبرى ، وتقويض السلاح . نحرى
السلاح السدي ، وتطبيق مقررات بوندم
وعقد معاهدة الصلح مع اليابان وإنهاء العلاقات
بين بلاد العالم .

٧ - حلت الحكومة المصرية مجلس
النواب وستجري الانتخابات في ٣ يناير
ويعد البرلمان الجديد في ١٦ يناير ١٩٥٥ .
- قدم نوري السيد استقالة وزارته الى
الوصي على عرش العراق .

٨ - قدمت الحكومة الألبانية احتجاجاً
الى الحكومة الروسية على اعتماد الجنود
الروس على حدودها وقد قتل جنديان ألبانيان
في الحادثة التي وقعت في الحدود .

٩ - رفضت اللجنة السياسية في هيئة الامم
للمتحدة ما اوصت به اللجنة الفرعية من اعطاء
ليبيا استقلالها في اول يناير ١٩٥٢ وذكرّت أن
ليبيا تضم بركة وطرابلس وفزان .

١٠ - أعلن الرئيس ترومان في مؤتمر
صحفي أن حكومته دائمة على تحسين العلاقات
مع روسيا بالطرق الدبلوماسية العادية .

١١ - اسفر اجتماع وزراء خارجية أمريكا
وانجلترا وفرنسا على منح جمهورية المانية الغربية
حرية اوسع لتبث في ادارة شؤونها وإيقاف
تفكيك المصانع الالمانية ومساعدة يوغسلافيا
وضمان سلامة اوربوا .

١٢ - أعلن رئيس الوزارة اليابانية أنه
سحب يانه الذي ألغاه امس في مجلس البرلمان
وقال فيه إن اليابان الحق في رفض توقيع معاهدة
الصلح إذا كانت شروطها قاسية بصورة تبطئها .

١٣ - خطب السيد فيشنكي في اللجنة
السياسية فدعا الى اقرار اقتراحه بحريم القنبلة
الذرية وعقد معاهدة بين الدول الكبرى واهم

٢٥ تشرين الاول - صرح رئيس الحكومة
اليابانية أنه بعد تفجير روسيا للقنبلة الذرية
يعتبر تسليم اليابان سعيها للسلام .

٢٦ - سلم الاتحاد السوفياتي مذكرة الى
السفارة اليوغسلافية في موسكو طالبا فيها
استدعاء السفير اليوغسلافي الى بلاده لانه
تجسس على روسيا .

٢٧ - وصل الى مستعمرة مونغ كونغ برحلة
تفتيشية للمراكز الدفاعية بالجزيرة الارشال
وبلهم سلم رئيس اركان الحرب البريطانية يرافقه
كبار رجال وزارة الدفاع .

٢٨ - وفق السيد جورج يدو بتأليف
الوزارة الفرنسية بعد ائتمنة وزارته دامت ٢٨ يوماً
٢٩ - وقع اتفاق بين حكومة هولندا
واندونسيا اعترفت فيه لاهاي بجمهورية
الولايات الاندونيسية المتحدة .

- اقترت اللجنة السياسية لجامعة الدول
العربية مشروع الضمان الجماعي الذي تقدمت به
مصر وهو تحالف عسكري دفاعي لعشر سنوات
وقررت تأليف لجنة فنية مشتركة لوضعه
في صيغته النهائية .

٣١ - توفي المستر ادوار ستانيسلو ناظر
المخارجية الاميركية سابقاً .
اول تشرين الثاني - وافق مجلس الوزراء
المصري على « مبدأ » إلغاء الاحكام العرفية .
وقد صرح النحاس باشا رئيس حزب الوفد
المصري بان الوفد يطالب إلغاء حالة الحصار
بصورة تامة كاملة .

٢ - اتخذ مجلس الوصاية الدولية قراراً في
لجنة الوصاية لا يسمح للدول المستعمرة أن
تشكل وحدة بين الوطن الام والمستعمرات ،
وقد عارضت فرنسا هذا القرار وابدته روسيا
ودول امريكا اللاتينية .

٣ - قدم حسين سري باشا رئيس الوزارة
المصرية استقالة وزارته الائتلافية وعاد فالف
وزارة حيادية .

٤ - اجتمعت لجنة وزراء اوربا ووافقت
على قبول المائيا الفرعية عضوا مشتركاً في
المجلس الاوربي .

- وقع الاختيار على بون عاصمة للجمهورية

فهرست الموضوعات

لغة الادب التاسع [١٩٤٩]

راجع بريد الادب تحت مادة « بريد » . والمصائد تحت مادة « شعر » . والاخبار العلمية تحت مادة « علم »
والقصص تحت مادة « قصة » . ومكتبة الادب تحت مادة « كتاب »

| الموضوع | الجزء | الصفحة | الموضوع | الجزء | الصفحة | الموضوع | الجزء | الصفحة |
|-------------------------------|-------|--------|-----------------------------|-------|--------|--------------------------------|-------|--------|
| ١ | | | الباس خليل زخريا | ٤ | ٥٨ | الى بولس سلامة | ١٠ | ٥٧ |
| | | | اليان كارول امرأة | | | اندونيسيا الثائرة - شعر | ٣ | ٥٤ |
| الآلات الموسيقية في الفلبينية | ٨ | ٣٠ | انتفعت من الرجال | ١١ | ١٧ | ابن بالوسيفي الشرقية | ١٠ | ٥٦ |
| أمن بالناس | ٤ | ٢٢ | المائة بخصائص الاسلوب | | | ابن هي الرجل | ٥ | ٥٣ |
| أيسة . . الجارية الاسبوية | ١٠ | ٤٦ | في العصر العباسي | ١ | ٤١ | الباهرة - سيرينا | ٢ | ٥٦ |
| ايشر ولا تعبس | ٣ | ١٣ | امنعوا هذه الموسيقى | ٨ | ٥٧ | البيل والوردة - شعر | ٢ | ٥٦ |
| ابطال الرواية | ١ | ١٦ | امومة الطبيعة | ٦ | ٣٨ | بين الموضوع والمادة | ٨ | ٥٤ |
| انجاء الفكر والبحث عن المعرفة | ٥ | ٤٢ | اقتضار الشيطان | ١ | ٨ | تمة قصيدة وفاء - شعر | ٨ | ٥٤ |
| اثر ادب جوته في الموسيقى | ١١ | ٣١ | انشودة التحلة | ١١ | ١٤ | تعقيب من وديع فلسطين | ٥ | ٥٢ |
| اثر العطاء في التاريخ | ٥ | ٢٠ | انطون دي بورتغوس اومس | ٤ | ١٦ | تعليقات ادبية حول المدد الماضي | ٣ | ٥٣ |
| احزان | ١١ | ١٣ | ايزادورا دنكان وفلسفة الرقص | ٨ | ٣٩ | جبران خليل جبران | ١٢ | ٥٨ |
| احلام عروس | ٤ | ١١ | الادي الملوثة لاساتر | ٣ | ٣ | حرية . . . وحرية | ٧ | ٦٣ |
| اختطاف الانسة دوسانت كروا | ١٠ | ١٧ | الايان بالحياء | ١ | ٢ | حظ العراق من ادب المرأة | ٨ | ٥٥ |
| ادب الرسالة | ٥ | ٢٢ | اجا البلياء | ١٢ | ٣ | حق المارضة | ٧ | ٦١ |
| الادب العربي في الاربعين | ١١ | ١٢ | | | | حول قصة عودة الغائب | | |
| ادب ولادة ابنه المستكفي | ١٠ | ٢٢ | بوشكين والادب الكلاسيكي | ٧ | ٣٨ | وكتاب القصة العربية | ٢ | ٥٥ |
| الراغبين فيها | ١٠ | ٥ | بين الحلم والتجربة | ٢ | ٣٣ | حول قصيدة «انت. من انت» | ١ | ٥٥ |
| اريج غريب | | | | | | حول كلية الاستاذ سليمان آتون | ٦ | ٦٨ |
| ازاهير من الغرب لشالي | | | | | | حول بحالي الوجودية | | |
| وشكسبير وجونسون | ١٢ | ١٤ | | | | في فلسفة فيثس | ٧ | ٦٣ |
| أزمة الروح في حضارة الخوف | ١ | ٣٧ | | | | حول مدارس بيت | | |
| أزمة الفتاة العراقية | ١٠ | ٦ | بين الشعر والموسيقى | ٦ | ٢٨ | المقدس ومعادها | ٦ | ٦٦ |
| استغان زفايج | ١٠ | ٢٤ | بيني وبين شيرازد | ٣ | ٤٠ | حول الموسيقى الشرقية ايضا | ١٢ | ٥٧ |
| اسمر في عيشه سر | ١٢ | ١٤ | « بريد » | | | خصوصا | ٣ | ٥٤ |
| اصبح بولس على نثار | ٧ | ٦٧ | ابو ماضي في الجامعة | | | خليل مطران كما عرفته | ١١ | ٥٥ |
| اصل كلمة « الناس » | ٥ | ٣٢ | الاميركية ببيروت | ٢ | ٥٧ | دفاع عن الشعراء | ٥ | ٥٢ |
| اصل كلمة « عالم » | ٣ | ٢٢ | اصبح القدم ! - شعر | ١٢ | ٥٩ | ذكرى الوطن - شعر | ٨ | ٥٦ |
| اصبتي | ٦ | ١٥ | اعداد الغري الخاصة بمدينة | | | راي في الادب | ١ | ٥٤ |
| الى قرائنا الاعزاء | ١١ | ٢ | البصرة وغيرها | ١٠ | ٥٨ | رد على نقد حول ديوان الجبوي | ٤ | ٥٦ |
| الدوس مكسلي وفنه الروائي | ٦ | ٣٦ | الى الشاعر القروي : | | | سجن طيب لكل حر | ٩ | ٥٧ |
| الفرد دي فيني | ١٢ | ٣١ | البنت الحبيب | ٩ | ٥٧ | شاعر من بيروت يشكر | | |
| الله سبحانه في الادب والفلسفة | ٦ | ٤٠ | الى الصديق الياس خليل زخريا | ٦ | ٦٧ | شاعرا من مكة | ١٢ | ٥٩ |
| الله عند دلوكه | ٤ | ٣ | الى الصديق امين يوسف غراب | ٩ | ٥٧ | شعب البحرين واللاجئون | ٢ | ٥٦ |

| الجزء | الصفحة | الموضوع | الجزء | الصفحة | الموضوع | الجزء | الصفحة | الموضوع |
|-------|--------|-----------------------------|-------|--------|--------------------------------|-------|--------|---------------|
| ٦ | ٦٨ | الشعر عاطفة | ٣ | ٥٦ | ج | ٦ | ٦٨ | الشعر عاطفة |
| ١٢ | ٥٩ | شعر لروح حيدر | ١١ | ٤٦ | جامعة اوبسالة ومكتبتها | ١ | ٥٩ | شعر لروح حيدر |
| ١ | ٥٤ | في جلسة توتوم مغنطيسي ! | ١٢ | ٢٦ | جندبي في معسكر الوليد الاموي | ١ | ٥٤ | شعر لروح حيدر |
| ١ | ٥٣ | الشعر والمجتمع | ١٠ | ١٤ | جوزف كراكي والنحت البارز | ١ | ٥٣ | شعر لروح حيدر |
| ٢ | ٥٤ | ضمير الشباب في ازمة | ١١ | ٤ | جون كينس والجمال والموت | ١ | ٥٤ | شعر لروح حيدر |
| ١ | ٥٥ | على رصيف المرفأ | ٥ | ٢٤ | جون ميلتون البطل الجريح | ١ | ٥٥ | شعر لروح حيدر |
| ٨ | ٥٦ | على هامش الادب الرخيص | ١٢ | ١٣ | جيني وينغ | ١ | ٥٦ | شعر لروح حيدر |
| ٤ | ٥٧ | غاية النقد | ١٢ | ١٣ | حاجة العرب الى الاسلوب العلمي | ١ | ٥٧ | شعر لروح حيدر |
| ٤ | ٥٧ | قصة فتان | ٨ | ٣٦ | حادث في حارثا | ١ | ٥٧ | شعر لروح حيدر |
| ٢ | ٥٤ | قليل من الرحلة ... يا شعراء | ١٢ | ٣٠ | الحبكة الروائية | ١ | ٥٤ | شعر لروح حيدر |
| ٧ | ٦٢ | | ٨ | ٣٦ | لغزة الفرسان الثلاثة | ١ | ٦٢ | شعر لروح حيدر |
| ٥ | ٥٣ | كبرياء - شعر | ١١ | ٨ | الحضارة في الميزان | ١ | ٥٣ | شعر لروح حيدر |
| ٥ | ٥٤ | كتاب القصة أيضاً | ٧ | ٢٣ | الحكومة | ١ | ٥٤ | شعر لروح حيدر |
| ٦ | ٦٦ | البيان الذي لفتة جيف مطرقة | ١٠ | ٢ | الحلاج | ١ | ٦٦ | شعر لروح حيدر |
| ٦ | ٦٨ | لبنان - شعر | ٥ | ١٥ | حياة لاييس سرجنت | ١ | ٦٨ | شعر لروح حيدر |
| ١ | ٥٣ | مؤلف فطومة | ٤ | ٢١ | خالد الرحال | ١ | ٥٣ | شعر لروح حيدر |
| ٦ | ٦٧ | مغذوب نطوان - شعر | ١ | ٥٦ | خليل مطران | ١ | ٦٧ | شعر لروح حيدر |
| ١٠ | ٥٨ | مستقبل الشعر العربي | ٨ | ٢ | خليل مطران الذي امره | ١ | ٥٨ | شعر لروح حيدر |
| ١١ | ٥٦ | مشكلة العصر | ٩ | ٤٥ | خبرة ونغم | ١ | ٥٦ | شعر لروح حيدر |
| ٥ | ٥٥ | من الادارة | ١ | ١٥ | الحمل | ١ | ٥٥ | شعر لروح حيدر |
| ٨ | ٥٦ | من انت - شعر | ٨ | ٢ | الدبلوماسية | ١ | ٥٦ | شعر لروح حيدر |
| ٨ | ٥٦ | من كامل محمود حبيب الى | ٧ | ٢٥ | دراسات في الادب الميجري | ١ | ٥٦ | شعر لروح حيدر |
| ٥ | ٥٣ | عبد اللطيف شرادة | ٢ | ١٧ | الدروس العربية في ايطاليا | ١ | ٥٣ | شعر لروح حيدر |
| ٣ | ٥٣ | من تراء قباني الى | ١١ | ٢٤ | دفاع خير منه الامام | ١ | ٥٣ | شعر لروح حيدر |
| ٨ | ٥٥ | عبد اللطيف شرادة | ١٢ | ١٥ | دعاء الانتقام | ١ | ٥٥ | شعر لروح حيدر |
| ٨ | ٥٥ | من وحي الريح | ١١ | ١٥ | الدعوى | ١ | ٥٥ | شعر لروح حيدر |
| ٣ | ٥٥ | موسوعة الفن الاسلامي | ١١ | ١٥ | دوامة | ١ | ٥٥ | شعر لروح حيدر |
| ١٠ | ٥٧ | موسيقانا في الميزان | ٧ | ٢٥ | الديبلوماسية | ١ | ٥٧ | شعر لروح حيدر |
| ١٢ | ٥٧ | موطن الجلال | ٢ | ١٧ | دراسات في الادب الميجري | ١ | ٥٧ | شعر لروح حيدر |
| ٧ | ٦٣ | نداء الى الزمريين | ١١ | ٢٤ | الدروس العربية في ايطاليا | ١ | ٦٣ | شعر لروح حيدر |
| ١١ | ٥٥ | ندوة الرماحي | ١٢ | ١٥ | دفاع خير منه الامام | ١ | ٥٥ | شعر لروح حيدر |
| ٢ | ٥٥ | غاية حب - شعر | ١١ | ١٥ | دعاء الانتقام | ١ | ٥٥ | شعر لروح حيدر |
| ٢ | ٢١ | التربية وتطور البشر | ١٠ | ٣٦ | ذكريات عن اطول تشيخوف | ١ | ٢١ | شعر لروح حيدر |
| ١٠ | ٥٩ | تطور المعمران في | ٧ | ١٢ | رسالة الكاتب | ١ | ٥٩ | شعر لروح حيدر |
| ٦ | ٤٥ | المملكة العربية السعودية | ٣ | ٣ | ركله شاعر الفقر والموت | ١ | ٤٥ | شعر لروح حيدر |
| ٨ | ٢٠ | التعارف الروحي بين الشعوب | ٩ | ٢٩ | الروح العربية في الحضارة والفن | ١ | ٢٠ | شعر لروح حيدر |
| ١٠ | ٧ | واثره في توجيه الانسانية | ٩ | ٣٨ | ريشة ديكرت | ١ | ٧ | شعر لروح حيدر |
| ١٠ | ٧ | التكافل الادبي | ٩ | ٣٨ | ريشة ديكرت | ١ | ٧ | شعر لروح حيدر |
| ١٠ | ٧ | توماس كسبانيل المفسر الثائر | ٩ | ٣٨ | ريشة ديكرت | ١ | ٧ | شعر لروح حيدر |

| الموضوع | الجزء | الصفحة | الموضوع | الجزء | الصفحة | الموضوع | الجزء | الصفحة |
|--------------------------|-------|--------|----------------------|-------|--------|----------------------------------|-------|--------|
| اشودة النواصي | ٦ | ٥٠ | عودة شراع | ٨ | ٣٨ | يا نعماني | ٧ | ٦٦ |
| انوار | ٥ | ٤٤ | غذ ميهيم | ٧ | ٥٠ | بطقة الضمير | ٣ | ٤١ |
| اوام | ٧ | ٤١ | الفرشة | ٤ | ١٥ | ص | | |
| يث الخنيز | ٧ | ٦٥ | فورة الامس | ٩ | ٥١ | صديق الموج بيبير فلوري | ١٠ | ٣٠ |
| البرعم المادي | ٧ | ٤٩ | في ظلال الحياة | ١٢ | ٤٧ | صناعة الموسيقى في الف ليلة وليلة | ٩ | ٢٩ |
| بين احضان تدمر | ٧ | ٥٠ | في الليل | ١٢ | ٢٩ | سور اديبة : سميرت موم | ٩ | ٣ |
| تراب | ٩ | ٥١ | في القوي | ٦ | ٢٥ | المازني | ١٢ | ١٧ |
| تميد | ٤ | ٤٣ | قصة عينين | ١ | ٤٣ | سور فنية : تشابكوفسكي | ١١ | ٢٩ |
| الحسونة الفبري | ٦ | ٨ | قر | ٧ | ٤٨ | صيف وشتاء | ١ | ٢٨ |
| حلم | ٤ | ٤٢ | كبرياء الام | ٤ | ٤٢ | ط | | |
| الحلم الضائع | ١١ | ٤٣ | كلمات | ٢ | ٣٨ | طريق الى الخلاص : | | |
| حلوقة انت | ٣ | ١٩ | لمحة | ٧ | ٤٩ | الايان بالانسان | ٦ | ٢ |
| غريف | ١ | ٢٤ | لولا القريض | ٧ | ٧ | التحرد من الانانية | ٧ | ٢ |
| غريف وماء | ١٢ | ٧ | ليلة وبراغ | ١٢ | ٤٨ | طريق الحكم | ١١ | ٣ |
| خليل مطران الشاعر السامي | ١١ | ٢١ | ما اغنى سماء الكواكب | ١ | ٤٣ | طقولة مكسيم غوركي | ٢ | ٢٠ |
| دق الجسد | ٤ | ٢٥ | بحال يعود | ٧ | ٥١ | ع | | |
| دمشق | ٧ | ٥٠ | مدفن الظل | ١٢ | ٢٠ | عائرة | ٨ | ٢٧ |
| دمعات من شعر | ٦ | ٨ | الد والجور | ٢ | ٥١ | عاصفة | ٦ | ٣٠ |
| دنيا شاعر | ٧ | ٤٨ | المستعجمات | ٧ | ٥٨ | العالم المتأرجح | ٣ | ١٦ |
| ذلك الطريق | ٦ | ٤٩ | مع تنابيل الحفل | ١١ | ١١ | تجربة براك في مراحل حياته | ٨ | ١٦ |
| الراعي | ٧ | ٤٨ | مشكاة الروح للروح | ١ | ٤٤ | عشره انشاد لشكسبير | ١١ | ٣٢ |
| الربيع | ٤ | ٤٢ | من اثنائي التوبة | ١١ | ٤٣ | المشق في الادب | ٩ | ١٧ |
| رجاء | ١٤ | ١٥ | من الاعمان | ١٠ | ١٣ | عشيق الليدي تشارلي | ١٠ | ٤١ |
| رحيل ونظرة | ١٢ | ٤٧ | من انت | ١١ | ٤٢ | على وصيف المرقا | ٤ | ٥٩ |
| رغبة | ١٢ | ٤٦ | من وحى مشكلة | ١١ | ٤٢ | عن روبرت بروك | ٤ | ١٩ |
| رقية | ٨ | ٢٨ | موت الفوات | ٧ | ٦٥ | عندما افرقنا | ٤ | ٣٩ |
| الروح والجسد | ١١ | ٤٢ | غوي | ٥ | ٣١ | عندنا موسيقى | ٨ | ٥٩ |
| سكرات في رماد | ٢ | ٤١ | النصب اخالد | ٢ | ٤١ | عنا بروت | ١٠ | ٥ |
| الشاعر الطليق | ١١ | ٢٣ | فضال | ٦ | ٤٩ | العين الحمراء | ٨ | ٢١ |
| الشعاع الكروي | ١١ | ٢٢ | نظرة منك | ٧ | ٥١ | « علم » | | |
| شفاء | ٨ | ١٢ | نغم | ١١ | ٤٢ | استخراج البترين من الفحم | | |
| شمعة | ٢ | ٢٩ | التفتحة الشاردة | ١٢ | ٤٦ | قريب التحقيق | ٢ | ٤٤ |
| الشيد | ٣ | ١٩ | عروب | ٩ | ٢٨ | اصل الانسان | ٩ | ٥٣ |
| شوق | ١١ | ٤٢ | عمر الخلود | ٣ | ٢٨ | اثنائي الحياة على الارض | ١ | ٤٥ |
| طباينة الدنيا | ١ | ٢٩ | هبة الشاطيء | ٦ | ٥٠ | ترويض جماع التيل | ٥ | ٤٥ |
| طيف | ٩ | ٥ | الوداي | ٩ | ٣٧ | جولان التائم | ٢ | ٤٣ |
| ظل | ٧ | ٤٨ | وحي العيد | ١١ | ٧ | جراحة بسيطة نندد الماشية | ٢ | ٤٥ |
| الظفر الصيغ | ١٠ | ٢٩ | وقا | ٧ | ١٦ | الحياة | ٣ | ٤٥ |
| عجبا لقومي | ٢ | ٥٩ | الولادة الجديدة | ٦ | ٨ | خطورة جديده ومكثفة السرطان | ٧ | ٥٥ |
| عرفت السر | ٧ | ٤٧ | ياشراعي | ١٢ | ٤٧ | اللذة مفتاح دراسة السرطان | ١ | ٤٦ |
| على الباب | ٤ | ٤٣ | يا مقبدا | ٧ | ٦ | | | |
| على موكب الامواج | ١ | ٤٣ | يا موت | ٥ | ٣١ | | | |

| الموضوع | الجزء | الصفحة | الموضوع | الجزء | الصفحة | الموضوع | الجزء | الصفحة |
|---------------------------------|-------|--------|------------------------------|-------|--------|-----------------------------------|-------|--------|
| الطاقة الذرية في خدمة السلام | ١٢ | ٤٩ | قضية ماري لافارج | ٨ | ٧ | لح | | |
| عالم جديد | ١١ | ٤٩ | قلب | ١١ | ١٣ | الكأس | ١٢ | ١٦ |
| ماذا يجري في الريح | ٥ | ٤٥ | قلب الانسان | ٢ | ١٣ | كاثرتين الثانية في حياتها النامية | ٨ | ١٠ |
| الملاريا في السلطنة | | | قلق الجبل | ١ | ٢٣ | كتابان. نافعان | ١ | ٦ |
| العربية السعودية | ١١ | ٤٩ | قصة الكلمة | ٤ | ٤٥ | الكرم العربي في مواكب الزمن | ٣ | ٢١ |
| من قضية الحياة : اصل الانواع | ٦ | ٥٢ | قيود الزمن | ١ | ٣٩ | كثر السفينة سانتا كروز | ١١ | ٥٧ |
| التطورية الجديدة | ٨ | ٤٦ | « قصة » | | | « كتاب » | | |
| | ١٠ | ٤٩ | اثر فني | ٦ | ١٠ | اجواء | ١٢ | ٥٦ |
| الحوان والنبات | ٤ | ٤٦ | اديب الجبل | ٣ | ٢٤ | الادب الاجتماعي والتمرية الوطنية | ١٢ | ٥٤ |
| الدارونية | ٧ | ٥٢ | الاخوان كرامازوف | ١٢ | ١١ | اقاصيص شئ | ٦ | ٦٥ |
| من هو بور | ٣ | ٤٦ | الاستطلاع | ٧ | ٤٢ | اوراق الخريف | ١٢ | ٥٥ |
| من هو ييكوديل | ٣ | ٤٦ | افروديت | ١٠ | ٢٣ | الاوليات | ١٢ | ٥٦ |
| من هو جورج لومير | ٤ | ٤٩ | الاكذوبة | ٨ | ٢٥ | بنت الساحرة | ٤ | ٥١ |
| من هو روتشجن | ٦ | ٥٦ | امراة تاددة | ٤ | ١٠ | بيان الكلية الجمهورية | ١٠ | ٥٥ |
| من هو لورنر | ٣ | ٤٦ | بائمة الحب | ٢ | ٣٩ | تأليف جديدة للاب | | |
| من هو مورس | ٦ | ٥٧ | بنايا رمداد | ٢ | ٢٣ | مسرر جي الدوميني | ٤ | ٥٥ |
| المواد الكيكية في الجسم البشري | ٧ | ٥٥ | بلا نين | ٧ | ٩ | تحت المصح | ١٢ | ٥٤ |
| التاقد العلمي | ٣ | ٤٣ | تقرير المصير | ٤ | ٣٧ | تراثنا الاجتماعي وأثره في الزراعة | ١٢ | ٥٣ |
| نظرية جديدة في نشوء الكون | ١ | ٤٦ | جيف مطهرة | ٢ | ٢٣ | التطور الخالق | ٧ | ٥٨ |
| التلف الاصطناعي | ٩ | ٥٢ | حن | ٩ | ٤٨ | تلاون عام في سوريا ولبنان | ٥ | ٤٨ |
| هل الحياة والكهربائية | | | الحياة الزهراء جنبها وجمالها | ٨ | ٤٨ | غليظة التي | ١٢ | ٥٦ |
| من مدن واحد | ٣ | ٤٢ | ذبول الخريف | ٦ | ١٤ | تحليل مطران | ١٢ | ٥٦ |
| الوضع الصحيح لجهاز الاستقبال | ٢ | ٤٣ | بهاية نوح | ٣ | ٤٣ | رحاني الى منطقة القطب الشمالي | ٨ | ٥٢ |
| يبحثون عن سفينة نوح | ٧ | ٥٤ | زواج موفق | ٥ | ٤٠ | السفينة | ١٢ | ٥٤ |
| غ | | | زوجة وفية | ٣ | ٦ | شظايا ورماد | ١٢ | ٥٣ |
| غراترنا اليوم | ٩ | ٢ | زبطه صانع المعات | ٦ | ٢١ | الشاع | ١٢ | ٥٤ |
| نقاء وموسيقى | ٨ | ٥٨ | سر الطحان | ٨ | ١٣ | الشعر الماصر على | | |
| غيوم | ٤ | ٩ | سديني حمود | ١٢ | ٣٦ | ضوء النقد الحديث | ٣ | ٤٨ |
| ف | | | الطريق | ٧ | ١٩ | شعلة الوطنية | ١٢ | ٥٦ |
| فان كوخ | ١٢ | ٤٣ | عيد الزمن | ٨ | ٤٢ | صراع | ٧ | ٥١ |
| الفكر المبدع | ١٠ | ١١ | عش الدبابير | ٦ | ٤٧ | صدر حديثاً | ٨ | ٥٢ |
| الفلسفة ازاء العلم والدين والذن | ١٠ | ٣ | عتفوان | ١١ | ٤٤ | ظفولة خد | ١ | ٤٩ |
| فن التراجم | ٧ | ٣ | الفرقة الزرقاء | ١١ | ٣٧ | العالم العربي | ١٢ | ٤٩ |
| في الادب الميجري | ٤ | ٥ | فيولتي | ١١ | ٢٤ | عذارى | ١٢ | ٥٦ |
| في اللاب ولا يمترق | ٢ | ٢ | قاتل امه | ١ | ١٨ | عشعروت وادونيس | ١ | ٥٠ |
| في تكريم الشاعر بولس سلامة | ٧ | ٦ | قارع الطبل | ٣ | ٥ | العصر الذري | ١ | ٥٢ |
| في سبيل الحق وحده | ٢ | ١٢ | كوف | ١٢ | ٢١ | عمر الحيام | ١٢ | ٥٤ |
| في ساء غاندي - غاندي والمرأة | ٢ | ١٤ | مجد الجنون | ٤ | ٢٦ | عودة سميراميس | ١٢ | ٥٦ |
| ق | | | مجموعة أسطوانات | ٩ | ١٣ | عيد الغدير | ٤ | ٥٤ |
| قراءة اسبانية لبنانية | ٤ | ١٦ | من دم القلب | ٣ | ٣٨ | النجر الدامي | ١٢ | ٥٣ |
| | | | موت متوقع | ٧ | ٣٢ | فراتر ليست | ١٢ | ٥٦ |
| | | | النخلة الحزينة | ٦ | ٤٣ | قربان الاغاني | ٣ | ٥١ |

| الموضوع | الجزء | الصفحة | الموضوع | الجزء | الصفحة | الموضوع | الجزء | الصفحة |
|-------------------------------|-------|--------|-----------------------------------|-------|--------|---------------------------|-------|--------|
| القضاء المدني | ١٢ | ٥٥ | محرم | ١٢ | ١٦ | موجة الوجودية | ١٢ | ٨ |
| قالب لبنان | ٢ | ٦٩ | حنة المرأة العربية | ٦ | ١٢ | الموسيقى والموسيقيون | | |
| كاستيجا | ١٢ | ٥٦ | مدى | ٦ | ١٩ | في الف ليلة وليلة | ٢ | ٣٠ |
| كتاب وقف القاضي ابن النجا | ١٠ | ٥٦ | مدارس بيت المقدس ومعاهدها | ٣ | ٣٢ | هـ | | |
| الكتاب الثاني | ١٢ | ٥٣ | | ٦ | ٣١ | | | |
| كتب جديدة صدرت في القاهرة | ٨ | ٥٣ | | ٧ | ٣٦ | | | |
| كاهن نساء | ١٠ | ٥٣ | مدينة فلورنسا | ٥ | ٣ | نجوى | ٧ | ٣١ |
| الكواكب السائرة بأعيان | ١١ | ٥٢ | مر الربيع | ٦ | ٣٩ | نشأة الشاغور | ١٢ | ٦٢ |
| المئة العاشرة | ١١ | ٥٦ | مرثاة عذرا | ١٢ | ١٥ | تشيد الحياة | ١١ | ٦٨ |
| الكومديا البشريّة | ٧ | ٥٩ | مساهمة المرأة في المجتمع العربي | ٥ | ٥ | نظرات في نقد الفن | ٧ | ٢٩ |
| لذة الخمران | ١٢ | ٥٣ | مستقبل الشعر العربي | ٨ | ٢٢ | النوم والارقيّة | ٩ | ٦ |
| اللغة العربية | ١٢ | ٥٦ | مسز دومينيك سافينو | ١٢ | ٢٥ | هـ | | |
| مأساة اوديب | ١٢ | ٥٣ | المشهورون | ٦ | ٣١ | | | |
| مباحث عراقية في التاريخ | | | مصرع اللوحة دويراسلان | ٩ | ٨ | هزني لانام | ١١ | ١٣ |
| والجغرافية والآثار | | | المعارف الجيولوجية عند ابن سينا | ١ | ٢٠ | هل الشقاق طبع في العرب | ٩ | ٣٦ |
| وخطوط بغداد | ٦ | ٥٣ | معنى القومية العربية في الامتحان | ٢ | ٣٧ | هل في مصر مثقفون | ٥ | ٥٧ |
| مجلة المستقبل | ١٢ | ٥٦ | المكتنبات العامة دعامّة | ٦ | ٦٠ | هتترن او مثل فان كبير | ٢ | ٩ |
| مجلة المنهل | ١٢ | ٥٦ | للقرية الشعبية | ٦ | ٦٢ | و | | |
| مرآة الضمير الحديث | ٦ | ٥٩ | من الادارة | ٦ | ٦٢ | | | |
| المذكرات | ١٠ | ٥٣ | | ٧ | ٣٣ | واحدة | ١١ | ١٦ |
| الموجز في الادب العربي | ٦ | ٥٦ | | ٨ | ٦٩ | وجه | ٧ | ٦٦ |
| نشيد الانشاد | ١١ | ٥٦ | | ٩ | ٣٣ | وجه التطور | ٣ | ٢ |
| هذه هي الحرب | ١٢ | ٥٦ | | ١١ | ٣٦ | وجه التطور :وحدة | | |
| مس الجنون | ٥ | ٦٩ | | ١٢ | ٣٥ | الانانية ونكود الكون | ٥ | ٢ |
| ولاة دمشق في العهد العثماني | ١٠ | ٥٣ | من الغبور | ٦ | ٢٠ | وجه التطور :التجمع البشري | ٦ | ٢ |
| ل | | | من النساء الاخير | ٣ | ١٥ | الوجود العربي المعاصر | ٨ | ٦٦ |
| لاترافيانا تحت النجوم | ١٠ | ٣٨ | | ٥ | ٢٦ | وحدة الحضارة الاوروبية | ٥ | ٣٣ |
| لشاعر شلي | ١١ | ١٦ | من باريس الى سولوى : | | | ولك الساعة التي اتت فيها | ١٠ | ٢١ |
| ليوباء فان غات الصين والغرب | ٥ | ١١ | من باريس الى سولوى : | | | الوم | ٦ | ٣٥ |
| م | | | من باريس الى سولوى : | | | وير ، صفحة من حياة | | |
| ماناهاوي | ٩ | ١٩ | من حصاد الذكريات - | ١ | ٣ | كبار الفنانين | ٥ | ٢٩ |
| مأساة روجه دوليل | ٨ | ٣ | نيويورك منذ ٥٥ عاماً | ١ | ١٣ | في | | |
| المثل في الادب | ١ | ٣٠ | من مجالي الثنائية في الشعر العربي | ٣ | ٣٠ | | | |
| مجالي الوجودية في فلسفة نيتشه | ٦ | ٣ | مهرجيات افريقية | ٩ | ٥٨ | يوم في الخريف | ١ | ٣٠ |
| | | | ادباء ، ولكنهم معداء | ٦ | ٦٦ | يوم ماطر | ١٢ | ١٥ |

فهرست الكتاب

لبنه الادب الثامن [١٩٤٩]

| الكتاب | الجزء | الصفحة | الكتاب | الجزء | الصفحة | الكتاب | الجزء | الصفحة |
|-----------------------------|-------|--------|---------------------------|-------|--------|-----------------------------|-------|--------|
| ١ | | | ايوب - فؤاد | ٣ | ٤٣ | جبريلي - المشرق فرثسكو | ٢ | ١٧ |
| آل حبال - مصطفى | ٢ | ٥ | | ٤ | ٤٦ | الجلي | ٤ | ١٦ |
| | ٤ | ١٠ | | ٦ | ٥٢ | جحا - جوزيف | ٩ | ٥ |
| آمون - سلطان | ٢ | ٥٤ | | ٧ | ٥٢ | الجزائري - عبد السلام | ٣ | ٥٤ |
| | ٥ | ٤٠ | | ٨ | ٤٦ | الجرس - باسم | ١٢ | ٤٨ |
| | ٧ | ٦٢ | | ١٠ | ٤٩ | جمال الدين - محسن | ٧ | ٥٩ |
| | ١٢ | ٣ | ٣ | | | | ٨ | ٥٤ |
| ابراهيم - مبارك | ٣ | ٦ | البحري - حمد | ٢ | ٥٦ | جمال الدين - يحيى | ١١ | ٥٥ |
| | ٥ | ٨ | بركات - شعيان | ١٢ | ٨ | جمعة - سعد | ٨ | ٣٩ |
| | ٧ | ٢٣ | بدران - يوسف | ١٢ | ١٥ | | ٩ | ٣ |
| | ٩ | ١٥ | بدوي - الدكتور عبد الرحمن | ٣ | ٣ | جنبلط - كمال | ١٢ | ١٧ |
| | ١٠ | ٢١ | | ٣ | ٣ | | ١ | ٢ |
| | ١١ | ٨ | | ٣ | ٣ | | ٣ | ٢ |
| ابن نوح - عياد | ١٢ | ٥٧ | البيداني - مصطفى | ١٠ | ٢ | | ٤ | ٢ |
| ابو خليل - يوسف | ٥ | ٥٣ | بري - عياد | ٣ | ٢٠ | | ٥ | ٢ |
| ابو سعد - احمد | ٤ | ٥٣ | البريكان - محمود | ٧ | ٤٨ | الجندي - سامي | ٧ | ٢ |
| ابو شادي - الدكتور احمد زكي | ١١ | ٢١ | | ٩ | ٥١ | الجندي - علي | ١١ | ١٤ |
| ابو عز الدين - امين | ٩ | ٢ | | ١١ | ٤٣ | الحيار - محمد | ١٢ | ٤٨ |
| ابو ملهم - نجيب | ٦ | ٦٧ | بندادي - شوقي | ٤ | ٤٣ | | ١ | ٤٣ |
| ا | ٨ | ٥٦ | | ٤ | ٤٣ | | ١١ | ٤٣ |
| ابي ماضي - ايليا | ٢ | ٥٩ | ٤ | | | ح | | |
| الاختيار - نسيب | ٥ | ١٥ | نقي الدين - بدیع | ٤ | ٢٦ | حيب - كامل محمود | ٥ | ٥٢ |
| ادريس - سويل | ٤ | ٥١ | | ٦ | ٤٧ | الحداد - نقولا | ١ | ٤٥ |
| الاديب | ١١ | ٢ | | | | الحامي - السيدة عزيزة هارون | ١١ | ٤٢ |
| ازوتين - محمد | ١١ | ١٥ | ٤ | | | الحبشي - الدكتور اسحق موسى | ٦ | ٦٦ |
| اسماعيل - مدحت | ١ | ١٥ | الثريا | ١٢ | ١٦ | الحفني - الدكتور محمد احمد | ٨ | ٥٩ |
| الامام - حنيد | ٦ | ١٥ | ح | | | حقي - بدیع | ٨ | ١٢ |
| انثولين - الكسندر | ٧ | ٣٨ | جاسر - جنا | ١٢ | ٤٧ | حلي - صر | ٧ | ٥٠ |
| يوب - سويل | ٦ | ١٠ | جبرا - جبرا ابراهيم | ٦ | ٣٦ | الحلو - جوزيف كسمان | ٤ | ٢٠ |
| | ٨ | ١٣ | | ١٠ | ١٤ | الحلاج - مصطفى صبحي | ١١ | ٥٦ |
| | ٩ | ٤٨ | | ١١ | ٣٢ | الحمود - عبد الكريم | ٣ | ١٦ |
| ايوب - فؤاد | ١ | ٤٦ | | | | | | |

| الكتاب | الجزء | الصفحة | الكتاب | الجزء | الصفحة | الكتاب | الجزء | الصفحة |
|-----------------------------|-------|--------|------------------------------|-------|--------|------------------------|-------|--------|
| الحمد - عبد الكريم | ٥ | ٣٣ | الديوري - المهندس عبد السلام | ٢ | ٤٣ | ثانويان | ١٢ | ١٥ |
| | ٨ | ٤٤ | | ١٢ | ٤٢ | الشاروني - يوسف | ١ | ٣٠ |
| حمودي - جميل | ١٠ | ٣٠ | و | | | | ٢ | ٣٣ |
| | ١٢ | ٢٦ | الذهبي - عدنان | ٧ | ٥٩ | | ٣ | ١٥ |
| حمودي - نجم الدين | ٥ | ٢٠ | | ٧ | ٦٣ | | ٤ | ٢٤ |
| | ٦ | ٢٨ | | | | | ٥ | ٢٣ |
| | ٧ | ٢٩ | | | | | ٦ | ٢١ |
| الحيدري - بلند | ٦ | ٣٩ | الرامي - علي | ٣ | ٤٨ | | ٧ | ١٩ |
| | ١٢ | ٢٠ | الراوي - غارث طه | ٤ | ٥٧ | | ١٠ | ٢٦ |
| الحيدري - صفاء | ١٢ | ٢٩ | رستم - عبد السلام | ١١ | ٢٣ | | ١١ | ٣٥ |
| | | | رضا - يوسف محمد | ٨ | ٢١ | | ١٢ | ٣٣ |
| خ | | | القاضي - عبدالعزيز | ٧ | ٤٨ | ثاشة - عبدالله | ٦ | ٦٦ |
| الحالدي - احمد سامح | ٣ | ٣٢ | روزنامجي - محمد | ٨ | ٤٢ | الشاعر - القروي | ٥ | ٢٢ |
| | ٤ | ٣١ | ز | | | | ٦ | ٨ |
| | ٧ | ٣٤ | زكريا - الياس خليل | ٤ | ٥٩ | الشافعي - ابو مدين | ٤ | ٣٥ |
| الحالدي - السيدة منيرة سلام | ٥ | ٥ | | ٧ | ٦٥ | شاكر - فؤاد | ٨ | ٥٢ |
| الحسن - فؤاد | ٥ | ٣١ | | | | شرادة - عبد اللطيف | ١ | ٤٩ |
| | ١١ | ٥٢ | سابا - غيس ميخائيل | ١ | ٣٥ | | ٢ | ١٤ |
| خصاك - شاكر | ١٢ | ٣٣ | | ٣ | ٢١ | | ٣ | ٥١ |
| الحضري - عبد الكريم | ١٠ | ٣٨ | | ٦ | ٤٠ | | ٥ | ٤٨ |
| خلف - فاضل | ٥ | ٤٥ | | ٧ | ٤٧ | شرادة - مرقص | ٦ | ٦٣ |
| الختبري - محمد سعيد | ٨ | ٤٦ | | | | | ٤ | ١٩ |
| | ١٢ | ٥٨ | | ١١ | ٤٦ | | ١١ | ٤٨ |
| و | | | الصحري - مصطفى عبد اللطيف | ١ | ٢٥ | الشروني | ١١ | ٤٣ |
| دارغوث - رشاد المغربي | ٤ | ٣٧ | | ٧ | ٣ | شرف الدين - صدر الدين | ٧ | ٦٧ |
| داغر - الدكتور يوسف اسعد | ٤ | ٤٠ | السعد - رشيد | ٨ | ٥٦ | شرف الدين - محمد رضا | ٩ | ٥١ |
| داوود - الدكتور ملهان | ١ | ٤٤ | سمو - خالد احمد | ١٢ | ٥٩ | شريف - اذهر | ١٠ | ٥٦ |
| | ٢ | ٤١ | السدي - فريد | ١ | ٥٣ | الشريف - جلال فاروق | ٥ | ٣٤ |
| ديس - منير | ١٢ | ١٦ | سكاكيتي - السيدة وداد | ١ | ٢٣ | | ٧ | ٥٨ |
| | ١ | ٤٣ | سلامة - بولس | ٧ | ٧ | | ١٠ | ٤١ |
| الدخيلي - ضياء | ٣ | ٢٢ | سلامان - علي | ٧ | ٤٧ | شريف صميم | ٥ | ٢٩ |
| الدومني - الاب مرجعي | ٣ | ٢٢ | سلم - تراد | ٩ | ١٣ | | ١١ | ٣١ |
| | ٤ | ٥٣ | الباوي - كاتم | ٦ | ٥٠ | شطا - خليل عزيز | ١٢ | ٣١ |
| | ٥ | ٣٢ | السان - عبد الكريم | ٧ | ٤٨ | شلق - علي محمد | ١ | ٢٨ |
| | ٨ | ٩ | سويد - احمد | ٦ | ٤٥ | | ٢ | ١٣ |
| ديب - وديع | ٢ | ٥٧ | | ٨ | ٢٧ | | ٤ | ٢٥ |
| | ٣ | ١٩ | | ١٢ | ١٤ | | ٨ | ٣٨ |
| | ٦ | ٥٠ | سيبي - عدنان | ١ | ٣٧ | الشاع - ضياء | ١١ | ١٣ |
| | ١١ | ٤٢ | | | | شمس الدين - عبد الستار | ٧ | ٦٣ |
| | ١١ | ٥٤ | س | | | شمس الدين - محمد | ٧ | ٥٠ |
| | ١٢ | ٤٦ | ثانويان - ثاتو | ٤ | ٢١ | شيخ الارض - تيسير | ٧ | ٤٨ |

| الكتاب | الجزء | الصفحة | الكتاب | الجزء | الصفحة | الكتاب | الجزء | الصفحة |
|------------------------------|-------|--------|------------------------------|-------|--------|--------------------|-------|--------|
| الشيخ علي - عبد الرزاق | ٢ | ٣٩ | العالم - محمود أمين | ٦ | ٢٥ | عويذات - احمد | ٣ | ٤٠ |
| | ١٢ | ٢١ | | ٨ | ٢٢ | | ٦ | ٦٧ |
| ص | | | | ١٠ | ٥٨ | عبد - محمد احمد | ٢ | ٤١ |
| صابر - خليل | ٤ | ٥٤ | العامري - محمد اديب | ٩ | ٣٤ | العيسى - سليمان | ٣ | ١٩ |
| صباح - نصيب | ٢ | ٥٥ | الغالي - الائمة سميرة احمد | ١٢ | ٤٦ | عيسى - محمود | ٤ | ٤٢ |
| صروف - فؤاد | ١ | ٦ | عبود - منير | ٨ | ٢٥ | | ٧ | ٥٠ |
| الصغير - الائمة انعام | ٣ | ٥٦ | عبود - يوسف بشارة | ٤ | ٢١ | | ١٢ | ١٥ |
| الصقر - مهدي عيسى | ١٠ | ٢٤ | عبد الرحمن - عبد الخالق | ٢ | ٤٣ | ع | | |
| صار - نيه | ٢ | ٩ | | ٣ | ٤٢ | غام - يوسف | ١ | ٥٥ |
| | ٣ | ٩ | | ٣ | ٥٤ | غراب - امين يوسف | ١ | ٩ |
| | ٤ | ١٦ | | ٩ | ٦ | | ٣ | ٢٤ |
| | ٥ | ١١ | عبد العزيز - فريد | ١٢ | ٥٧ | | ٧ | ٩ |
| | ٦ | ١٦ | عبدالله - الائمة - سوسن | ٦ | ١٢ | | ١١ | ٢٤ |
| الصلاح - ربيع | ١١ | ١٦ | | ١٠ | ٦ | الغريب - امين | ١ | ٥٠ |
| صباح - محمد العربي | ٢ | ٥٦ | عبدالله - فيصل | ٨ | ٣٦ | غطاس - نيه | ١ | ٥٤ |
| صديق - جورج | ١ | ٤٣ | عبدالله - كامل | ٦ | ٤٢ | ف | | |
| | ٢ | ٥٤ | | ٦ | ٤٩ | فاخوري - نصح | ٤ | ٤٣ |
| | ٣ | ٥٨ | | ٧ | ٥١ | فارس - الدكتور بشر | ٥ | ٣ |
| | ٤ | ٥٨ | عبد الواحد - عبد الرزاق | ٧ | ٥١ | | ٨ | ٢ |
| | ٧ | ٦٦ | | ٩ | ٥١ | | ٥ | ٤٩ |
| | ٩ | ٥٧ | عبدربه - مصطفى | ٢ | ٢٩ | فرحان - غائب طعمة | ٥ | ١٢ |
| | ١١ | ٧ | | ٤ | ٤٢ | فروخ - مصطفى | ٢ | ١٢ |
| ض | | | | ٥ | ٥٣ | | ٤ | ٢٥ |
| ضحية - محمد | ١٢ | ٥٤ | | ٩ | ٣٧ | فلسطين - وديع | ١ | ١٣ |
| ط | | | | ١١ | ٤٢ | | ٣ | ٥٥ |
| طه - رياض | ١ | ١٨ | المجيلي - الدكتور عبد السلام | ٤ | ٢٩ | | ٤ | ٤٤ |
| | ١١ | ٣ | العريض - ابراهيم | ٥ | ٣٥ | | ٥ | ٥٢ |
| طه - عبد الخالق | ٤ | ٤٣ | | ٧ | ١٦ | | ٧ | ٤٦ |
| طوقان - الائمة فدوى عبدالتاح | ١ | ٢٩ | عزام - عبد الوهاب | ١٠ | ٥٩ | | ٨ | ٢٠ |
| | ٨ | ٢٨ | الزوي - عزيز صالح العلي | ١٢ | ٤٣ | | ٩ | ٥٧ |
| | ٩ | ٢٨ | المسكري - فالح | ١١ | ١٣ | | ١٠ | ١١ |
| | ١١ | ١١ | اللابلي - عبدالله | ٢ | ٢ | | ١١ | ٥٤ |
| | ١٢ | ٧ | | ٧ | ٦ | | ١٢ | ١٩ |
| طوقان - قدرى حافظ | ١٢ | ٣٠ | عفر اوي - احمد | ٨ | ٥٥ | الثيل - يحيى الدين | ٦ | ٦٨ |
| ظ | | | عقل - سعيد | ٧ | ٦ | ق | | |
| ظاهر - راجي | ٤ | ٢٢ | عويديا - ابراهيم | ٢ | ٤١ | قباي - تزار | ٣ | ٥٣ |
| ع | | | | ٦ | ٤٩ | | ١٠ | ٢٩ |
| عاصم - احمد | ١ | ٥٤ | | ٦ | ٦٨ | قرنفلي - وصفي | ١ | ٢٤ |
| العالم - عبد المنعم | ١١ | ١٦ | | ٧ | ٤٩ | قطب - الائمة امينة | ٦ | ٤٣ |
| | | | | ١٢ | ٤٢ | | | |

| الكتاب | الجزء | الصفحة | الكتاب | الجزء | الصفحة | الكتاب | الجزء | الصفحة |
|--------------------------|-------|--------|---------------------------|-------|--------|----------------------------|-------|--------|
| قلمجي - قدري | ٢ | ٢٠ | المطوقة | ١٠ | ١٣ | نمرة - محمود | ٧ | ٤٩ |
| | ٦ | ٥٩ | المعروف - عبد | ٩ | ٣٨ | الثمرة - خليل ابراهيم | ١١ | ٥٥ |
| | ٨ | ٣ | مؤلف - رياض | ٤ | ٩ | التفدي - محمد | ٢ | ٥٥ |
| | ٩ | ٨ | مقلد - محمد يوسف | ٥ | ٥٢ | التفتيدي - السيدة ماهرة | ١٠ | ٣٣ |
| | ١٠ | ٧ | | ٧ | ٥١ | | ١١ | ٣٧ |
| | ١١ | ٤ | | ٩ | ٥٨ | | ١٢ | ١١ |
| | ١٢ | ٤ | | ١٠ | ٥٧ | النسري - فؤاد | ٧ | ٤٠ |
| قصص - آلباس | ١١ | ١٢ | | ١٢ | ٤٨ | نوري - عبد المللك | ٢ | ٢٣ |
| ل | | | مكتب الغري | ١٠ | ٥٨ | | ٤ | ٣٩ |
| كاتفلس - وليم | ١ | ١٣ | ملحق - الآلة ثريا | ٤ | ١٩ | | ٦ | ١٤ |
| الكرمي - حسين حاتم | ٦ | ٥٠ | | ٦ | ٣٠ | | ٩ | ٢٣ |
| كبة - محمد صدي | ١ | ٣٩ | | ٧ | ٣١ | | ١٢ | ١٤ |
| كساب - الارشندريت حنايا | ١٢ | ٢٥ | للتجد - صلاح الدين | ١٠ | ٥٣ | هـ | | |
| كورليك - ناتيانا شينكيئا | ١٠ | ٣٦ | منصور - يعقوب فرام | ٧ | ٦١ | | | |
| أكياي - غنار | ٥ | ٢٨ | | ١٠ | ٥٧ | هارون - السيدة عزيزة | ٦ | ٥١ |
| | ١٠ | ٥ | مقارة - علي | ١١ | ٢٢ | الحاشي - الدكتور محمد يحيى | ١ | ٢٠ |
| ل | | | منفريوس - فليم يني | ٧ | ٣٢ | | | |
| لمازري - الاب فريد جبر | ٢ | ٤٩ | منكلو - ريون | ٣ | ٤٥ | | ٩ | ٥٢ |
| اللغاني - احمد | ٢ | ٤٢ | موسي - سلامة | ٥ | ٥٦ | | ١٢ | ٤٠ |
| | ٨ | ٥٥ | | ٨ | ٥٧ | هنداوي - خليل | ٦ | ٣١ |
| م | | | مومة - السيدة سوكى محصاني | ٧ | ١٢ | و | | |
| ماديني - الدكتور فؤاد | ٢ | ٢١ | ناجي - الدكتور ابراهيم | ٥ | ٤٤ | الوترى - اكرم | ٢ | ٣٨ |
| | ٥ | ٤٢ | | ٥ | ٥٧ | | ٦ | ٤٩ |
| | ٧ | ٦١ | ناجي - زهير | ١١ | ١٥ | | ٩ | ٥١ |
| متولي - هشام | ١ | ٥٣ | الناهوري - عيسى ابراهيم | ٧ | ٢٥ | الوندواي - فؤاد | ١ | ٨ |
| المجاسني - الدكتور زكي | ١ | ١٦ | ناقي - حمام الدين | ١ | ٥٦ | وهي - محمد | ٢ | ٣٧ |
| محمود - عبد القادر | ٣ | ٢٨ | التجار - يحيى علي | ١ | ١٥ | | ٦ | ٣ |
| محمود (قمعور) - مصطفى | ١٢ | ٤٦ | نجيم - جوزيف | ٤ | ٥٤ | | ٨ | ١٦ |
| | ١٢ | ٥٩ | نحوي - محمد اديب | ٣ | ٣٨ | ي | | |
| المختار - عبد الصاحب | ٤ | ٥٦ | نصر - سليمان | ٧ | ٥٠ | | | |
| مرحبا - محمد عبد الرحمن | ١٢ | ٤٩ | نصر - نسيم | ٣ | ٣٠ | | | |
| مررة - اديب | ٧ | ٦٣ | | ٦ | ٣٨ | اليازجي - توفيق | ١١ | ١٥ |
| مسعود - حبيب | ٤ | ٥٠ | نصار - حسين | ٢ | ٣٠ | ياسين - رشيد | ٦ | ٥١ |
| المسلم - محمد سعيد | ١ | ٥٥ | | ٦ | ١٣ | | ٧ | ٥١ |
| منونق - عديف | ٢ | ٤٢ | | ٨ | ٣٠ | يحيى - سليم | ١٢ | ٤٧ |
| | ٨ | ٥٨ | نظامي - شعور | ٣ | ١٩ | يونس - منوال | ١٠ | ٣ |

في اللهب ولا يحرق !

✱

عنوانه

وقم عند المرحوم « الزافني » ، واستمعه ولكن في قصد غير قصده .
 « هو به : عن راقصة كانت على رقصها ، ذات مكانة من فضيلة نفسها . . لأعجب به
 عن رجل أو رجال ، لا يعدون بيننا امرها فيما حملوا من امانة ، الا بأنهم ليسوا على حط من فضيلة انفسهم .
 ومع ذلك - ونحن الجائعين هم - نطعمهم من قلوبنا لاننا نمنحهم من ثقتنا . . وهنا هنا قل معي ،
 الاحبية التي لا تفسد الا باننا شعب مريض . . شعب لم يتعرف الى حقيقته بعد ، وان شئخ بأنه استوعب
 في رأسه كل الحقائق . . فوجوده - مها تحيل وتباغ - لنو .
 كذلك امرؤ يطالب الثورة ، فكم كيف يتعرف على منابع النفط في كل مكان من الارض ، وهو بعد
 يجهل نبأ - لو اراده - تحت قدميه . . فأمره مها استوعب واحصى ، في فقر .
 فن الجوع ان لا نكتب لهذا الشعب بعد اليوم « شكر الله » فما عثر عن انه يحل للشكري ، بينا عثر
 ويده عن ان الشكري انما كانت به .

كفنا نعرف ان الظاهرة الاولى للحياة ، الغاي في « ردود الفعل » . . وشعب يوطأ به كل موطن .
 ويسلم الحصف على كل الرواة ، بل على شر الرواة ، ثم لا تصيب عنده ردة فعل ايجابية لكل هذا . . لا تقل
 لي عنه شعب حي ، لانك حينئذ تجدف على الحياة في اوسط قواعد الايمان بها . . ثم لا تقل لي في الشعب
 استياء ظاهراً ، فنحن نعرف ان ردة الفعل الجي . في عمقها على مقدار عرق الفعل نفسه .
 يؤثني ذلك ، ويؤثني ايضاً ان اقله . . ولكن يؤثني اكثر فاكثر ان نشوب في الناس بكل ادلال الى
 انسانيتنا ، ونحن بعد لم نعرف الطريق الى الحياة ، وهي هي الاصل ، وهي هي القاعدة .
 فأية انسانية اخن ؟ هذه الانسانية التي ندل بها ونرشح انفسنا لها ، وهي مركبة في حياة ممسوخة
 مشوهة . . قل لي : الا تكون مصدر لتثوية انساني ، مصدر لا يبطال حرارة المعاني الخن والقيم السامية .
 من الاثم بعد اليوم ، ان نقرر بالشعب فنقول : كُن انسانياً ، قبل ان نقول له : كن حياً ، كن
 جهورياً ، كن قوي تنفجر ، ثم كن جرأة ، بل قحة تتحدى وتنتصر . . والا فانه سيخسر حياً المعنين ،
 ان يدرك حياة وان يظفر بالانسانية .

قلت لصديق يوماً : فلان احترق . . فرد ساخراً :

انظن ؟ . . ففي مجتمعنا هذا الحذر ، من يحترق يضي . . من يحترق ، باعجوبة كالسحر لا يحول رماداً .
 بعد حادث التفتة والزعيم باسم الشعب ايضاً لا اريد ان افكر كثيراً . . لتلا تبطل وتتهار كل معاني
 لالفاظ في نفسي ، وانا اطل عليها من افق مجتمع لا أدري كيف احميه .

عبد الله العدالي

* بمناسبة جلسة اللغة في مجلس النواب اللبناني *

المسرحية*، التي تمثل هذه الأيام في ملعب انطوان بياريس، هي خير ما أنتج سادتر أحكام صنعة فنية، وبراعة حوار، وابداع تسلسل. بيد أن هذا كله كان على حساب التضحية بالجانب الفكري الذي ظل يذو حتى الآن ما أبدعه من قصص وتجليات على السواء، فضلاً عما في موضوعه من ميل صاحبها في العهد الأخير إلى معالجة أمور تتصل بالمشاكل المصرية الحية، والسياسية منها على وجه الخصوص، وهو ما يشاهد كذلك في المسرحيتين اللتين سبقتا هذه، بإشارة: وهما «موتى بلا قبور» *Morts sans sépulture* و«المأمر المهيبة» *La Putain Respectueuse*، ففي الأولى عرض لموضوع المغاومة، وما تستلزمه من قيم تتصل بالالتزام (engagement) نحو الجماعة والرابطة العامة التي يتدرج الفرد فيها، وفي الثانية تصوير أخاذ لتلك المشكلة الالابية التي يندى لها جبين الإنسانية، مشكلة معاملة الزوج والشعوب الملونة عامة. ولهذا فليس لنا أن نتنظر من مسرحيتنا هذه تلك العبارات المنحوتة الملية بالمعارفات في أغلب الأحيان،

زاد واضحاً في بقية قصص سادتر وتجلياته. وإذا كان لنا أن نشهد فيها أفكاراً فلننتسبها حية في أشخاص تجسدها، وكانت قصصهم - أكثر من اقوالهم - خير تعبير عنها. وما من مراة في أن هذا النحو

هو الاوفق انطباقاً على فن المسرح، بوصفه فناً خالصاً.

وخلاصة هذه المسرحية أنه حدث في بلد غريب، على الظن أنه من بلاد البلقان، أن كان فيه صراع بين فريقين من أبنائه: فريق - يزعمه الوصي على العرش - يدهو إلى التفاهم مع الدولة المحتلة (ألمانيا)، والآخر اشتراكي التوجه يقوم بمنظراً للحلص نفسه ولبلاده على يد الدولة المعادية لتلك الدولة المحتلة (روسيا)، وعلى رأسه هيدر. فلما

Jean-Paul Sartre: Les Mains sales. Paris 1948 وقد ظهرت أولاً في مدي مارس وأبريل من عامه «الأزمنة الحديثة» *Les Temps Modernes* ثم ظهرت في بلد الناشر جالار Gallimard. ويجب أن ننوه هنا ببراعة تمثيل فرانسوا برييه الذي مثل دور هوجو غير قتيل، ولولا اشتغال هذا الفنان الشاب بالجننا لد من مغاير التمثيل المسرحي في المالمكة، بل في تاريخ المسرح في فرنسا، فقد كان الحركة كلها وليكن لي غير تصنع اندرافراط، كما لا يقولنا أن تنوه بفضل اندريه ليجيه André Lugnet الذي مثل دور هيدر فيرم في تصوير بروده وترته الواقعية ومكره التلمي، وهو ينسب إلى أسرة ليجيه المشهورة في تاريخ المسرح الفرنسي.

بدأ نجم الدولة المحتلة في الإفول وبدأت المعززة تدب إلى دولتها الوافقة رأى الفريق الأول أن يدور مع الشمس فيرضى الدولة للمادية (روسيا). هناك كان عليه أن يستجلب رضا الفريق الاشتراكي المعتمد على معونة الدولة المعادية والمؤتمر بأمرها، ففرض عليه التحالف مما في وجه الدولة المحتلة. وهنا وقع الخلاف في الرأي بين أبناء الفريق الاشتراكي. فنفر رأى أن الظروف تدعو إلى المسالمة في هذه اللحظة مع الفريق الآخر حتى يتم النصر للدولة المحالفة لحزبهم، وهناك يكون أصحاب الأمر المطابق فيتحكون في الآخرين كما يشاؤون، كونفر آخر يرى الحيانة كل الحيانة في هذه المسألة، لانهم يرون أن الأمر أمر مبادئ، لا تحقيق. نافع عملية أو بلوغ قصد. وادي محدود. والنفر الأول عقد لوائه لهيدر Hoederer. لهذا رأى النفر الآخر أنه لا بد من القضاء عليه حتى لا تقيم تلك الحيانة، فقدوا الزعم على اقتياله، ووجدوا أن هذا الأمر يمكن أن يوئل إلى احدهم وهو هوجو Hugo، وأن توجسوا منه خيفة لأنه شاب نظري من رجال الفكر لا العمل، «لا هم له إلا اتخاذ مواقف خاصة، ولأنه يرددوازي لا يعمل إلا إذا لده له العمل، ويهجر العمل من أجل نعم أو لا» (ص ٢٧) «وهو فوضي، لكنه مع ذلك رجل يائس» كما نتمتع خصومه، أعني خلانه ورفقاؤه

في الحزب، وهو في نظر نفسه «ليس من رجال النظر والفكر»، بل هو قد يرمي بالكتابة ويريد أن يقوم بأفعال، أفعال رائعة فيها مخاطرة، وهو يريد أن يتحمل عبء مسئولية هائلة، إلى درجة التضحية بحياته في سبيل انتفاذ كرامته وعدم المساومة على مبادئه. وهو في نظر زوجه «طفل عاقل. لكن الأطفال العقلاء... هم أولئك الذين يتكلمون منهم ثوريون كأخطار، ما يكون الثوريون. انهم لا يقولون شيئاً، ولا يمتنعون تحت المضدة، ولا يأكلون من الحلوى إلا حبة قسمة، بيد انهم يملكون المجتمع بدفعهم من هذا غالياً» (ص ٧٠).

صدر الأمر إلى هوجو اذن باقتياله هيدر الزعيم الخائن في نظر أولئك النظريين المطرفين الخالين. فاحتال على القرض حتى وجدها سائحة لا عرف أن هيدر في حاجة إلى شباب المتزوج ليتخذ منه كاتماً. وهو المتزوج وهو الشاب، فلم يعرض نفسه للعمل عند ذلك الزعيم الذي تولى حراسته، في مسكنه البعيد قليلاً عن الساحة، رجال أشداء، ووضي عهد دون أن يتجر ما أمر به، ورفاقه قائلون لأن أمر التحالف بين

«الديري الملوثة» لسادتر

فلم الدكتور عبد الرحمن برودي

مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الأول

http://Archive.Sakhr.com

القائل المتخلف فيه طبع الاجرام ، لكن لاسباب فكرية روحية او مبادئ ، معينة) واذا قبلت ان ادفع الثمن الواجب اداؤه ، هناك يكون هيدر قد ظفر بآرت اللائق به » (ص ٢٥٩) .
ومن اجل هذا يرى هوجو أنه لم يقتل هيدر (الحقيقي اي رمز الحياة للبداية) ، بعد ، « لا » لم يقتله بعد ، انما الآن فحسب سأفقد القتل وقتل نفسي معه » (ص ٢٥٩) ويضي هوجو قدماً ليلقى اولئك « الافاق » الذين اصاهم « الثقل » والذين قردوا قتله ان لم يرضخ للتوجيه الجديد . فليقتلوه او ليقتلهم جميعاً ، فهو الحق الايني الذي لا يقبل في المبادئ اية مساواة مهما تزد اليه من نجاح علمي في الحياة . ونتم المسرحية بقوله بكل اياه : « لا » ، لت قابلاً للاسترداد » (ص ٢٦٠) اي للانحراف في سلك هذه الجملة بعد ان ضربت بالمبادئ عرض الحائط .

وفي هذا العرض الموزع يقبدي لنا لب المسرحية وهو الصراع بين النرد للتوحيد ببادته ، الضمني في افاله ، الايني في موافقه ، وبين ما يسميهم سارتر باسم « الانتم » او « الاوغاد » Salauds هؤلاء « متناقضون ، مشايرون للقاعدة العامة والعرف المألوف ، مساومون على مبادئ الشرف والكرامة في سبيل الظفر بنجاح مادي رخيص ، يسلكون حياة آلية رتيبة ، مطردة المجرى ، بحيث يمكن ان تستبدل اي واحد منهم بالآخر دون ان يتغير شيء » ، لانهم يضررون جميعاً على قالب واحد ، ومثلهم مثل المصنوعات ذات الانتاج بالجملة . اما الشخص الفردي فهو ذلك الذي يعزف عن « شخصيته » ، اي عما هو قالب ثابت ، كما يفسح المجال امام تلقائية الفعل وخوبة الابتاق وهو ذلك الذي يطرح ما يسمونه « الراجبات » ، اعني تلك الاوامر التي تفرض على افكارنا وعواطفنا نظاماً صناعياً وتقسماً على الشغل في قوالب تمسقية . وهو ذلك الذي يدع ذاته ومنطقها الخاص . وكما قال هوجو في هذه المسرحية : « اما الناس فلا ينبغي منهم ما هم » ، بل ما يمكن ان يصورونه » (ص ٢٦٢) .

وفي هذا تركيز لمنى الحرية التي لا يجدها اي حد . فأفاننا نفسها تتطابق من ذاتها دون ان يقرها على ذلك ولا مجرد البائع . فكل فعل هو مجاني تلقائي والوجود خال من الضرورة . والمهم هو الحدوث والامكان . ذلك ان « كل موجود يولد بلا سبب » ويستطيع بل العمر ضعفاً منه ، ويعت بعض المصادفة » (سارتر : « الترف » La Nausée ص ١٩٣) . ومغزى هذه المسرحية كلها تتلخص في قول سان جوست Saint-Just : « بنفس الاحجار تستطيع ان تبني للحرية مبدأ او قهراً » .
عبد الرحمن بدوي

الفريقين المتنازعين صار قاب قوسين او أدنى ، فعثوه على الانجاز ، وحتمه كذلك زوجه الموب التي زهاها على المسرح ترتدي زياً هو المدح الخاص بالوجوديين والوجوديات على السواء . في باريس اليوم في « ماهي ومواخير » سان جرمان دي بريه والحلي اللاتيني . لكنه استمر يتردد ويطلق ، حتى طالب به الزمن واستطال ، الى ان حدث ان دخل مكتب رئيس هيدر ذات يوم فوجده يقتل زوجه . هناك لم يمالك نفسه فأطلق عليه عبارات ثائرة أردت هيدر قتلاً .

وهنا العقدة في المسرحية كلها : هل قتل هوجو هيدر تنفيذاً لذلك الامر ، او غيرة في شرفه ؟ وفي هذا نجد في المسرحية عبارات بعضها في داخل الحوار بعضها اشبه ، يكون بالحديث النفسي وان كان جواً عن سؤال ، تدور حول هذه العقدة التي هي عصب التمثيلية كلها . فهو حيناً يقول : « لست انا القاتل ، انما الصدقة » ، هي التي اطلقت ثلاث طلقات ثائرة » (ص ٢٦٥) ، ويستمر في بيان حقيقة فعل الانسان ، والى اي مدى هو مسئول عنه ، وتحت اي تأثير يخضع الانسان في فعله لما يصدر منه . « فالقتل يضي بسرعة مفوطة . يصدر منك فجأة دون ان تعرف ما اذا كان ذلك لانك اردته او لانك لم تستطع امساكه » (ص ٣٤) نعم انه صدر اليه الامر من الحزب . لكنه حيناً فعل ما فعل في هذا الامر « فلما يكن تحت امر اذ الامر يتركك وحدك ابتداءً من لحظة معينة . لقد تخلف الامر عني بينما تقدمت انا وحدي وقتلت وحدي » ، لست اعلم بعد لماذا قتلت » (ص ٢٢) . وهو حيناً آخر يستعرض رأي رفاقه في عمله وقد انحازوا من بعد الى الفريق الاول الذي حمل لواء دعوته هيدر ، بعد ان كانوا يرون فيهم خونة ، لكنه النجاح العملي قد غشي على عيونهم فصاروا ينكرون فعله هوجو وهم الذين امروه بما اوبأ بهم الامر حداً جعلهم يريدون اغتيال هوجو نفسه اذا لم يخضع نتمه « النظرية الحياية » « المتطورة » ، « لحكمتهم الصائبة » هذه . لكن هوجو رجل مبادئ ، وهو لا يخل بكل هذه المساومات الرخيصة التي تؤدي الى النجاح العملي في الحياة ، بل يندها ويمتدح كل من يلجأ اليها . فليقلوا به اذن ، يا شاؤون . هناك تجلي له نبالة هيدر القتل ، لانه شهيد مبادئ آمن بها حقاً . ولهذا بدأ هوجو يحبه منذ تلك اللحظة التي رأى فيها من رفاقه مسا رأى ، « فشخص مثل هيدر لا يموت صدفة ، انما يموت في سبيل افكاره ، في سبيل سياسته ، انه مسئول من موته . فاذا انما اعرفت مجربتي على رؤوس الشهداء ، واذا طالبت ان الق بقلب راسكول لينكوف » (وهو بطل رواية « الجوع والقباب » لدوستوفسكي ويرمز الى

قارع الطبل

لادندرو دا اميتس* Edmondo De Amieis ترجمها عن الايطالية : مصطفى آل عبال



اليوم الاول لمركة «كوستوز Custoz» ٢٤ تموز سنة ١٨٤٨ وكُن الى ستين جندياً من كتية المشاة في جيشنا، احتلال بيت منزل على احدى الروابي . وبقتة هاجتهم فرقتان من الجنود النمساويين وامطرتهم بوابل من الرصاص من جميع الجهات . ويجهد جيداً تكتنوا من الوصول الى البيت، وما كادوا يلبغونه حتى احكموا قفل الابواب من الداخل . بسرعة بعد ان تركوا في الخارج بضعة جنود بون قتيل وجريح .

وضعوا وراء الابواب كل شي . تناوله ايديهم من اناث البيت ومحتوياته، ثم تسابقوا سباقاً جنونياً الى شاييك الفسابق الارضي والطابق الذي فوقه وشرعوا يصلون المهاجمين ناراً حامية . اما هؤلاء فكانوا يتقدمون تدريجياً بشكل نصف دائرة ويردون على تلك النيران الحامية بنار مثلها او اشد منها . وعلى رأس الجنود الايطاليين الستين ملازمان شابان وقائد هرم طويل القامة تحيف الجليم عبوس وقور، وقد ابيض شعر رأسه وشارباه . وكان بين الجنود ولد في الرابعة عشرة من سنه من جزيرة سردينيا اصر الوجه غائر البين السرداوين ولكنها تشعان بالهيج والحياء، كان قارع طبل يثني وسط الصفوف .

وكان القائد يدير الدفاع من احدى غرف الطابق العلوي وكانت اوامره التي يقذفها بوجه جنوده كأنها طاق الرصاص الداري . وما كان الناظر الى وجهه يتبين فيه اقل علامة من التأثر . اما قارع الطبل فكان وجهه مصغراً * راجع الاديب عدد تشرين الثاني ١٩٨٨ .

ولكنه رابط الجأش وقد اراد مشاهدة المعركة عن كثب، فألقى بطاولة وصعد عليها واشرب بمنقه وتمسك بالجدار ونظر خارج النافذة رأى من خلال الدخان الصاعد من الحطول في الاسفل الغزاة البيضاء التي يرتديها الجنود النمساويون وهم يتقدمون ببطء . وقبل . وكان مركز البيت على قمة رابية شديدة الانحدار من ناحية حيث تطل عليها نافذة صغيرة ومن فوقها كرة تؤدي الى غرفة فوق السطح . ولم تكن هذه الجهة مهددة بالنمساويين . فليس يوسع احد ان يتسلق ذلك المنحدر ، فكان الرصاص ينصب فقط على واجهة الدار والجناحين .

وكان ابواب الجليم قد فُتحت . كان الرصاص كالطر الممهم ، ما ترك جداراً من الخارج الا ومزقه . كانت قطع القرميد تتطاير في الفضاء . ثم يطل منها رذاذ على الارض فينطليا بقشرة حمراء رقيقة . اما في الداخل فما ترك الرصاص شيئاً على حاله : شظايا الزجاج تتناثر في ارجاء الغرف، درف التوافذ الحشوية تتكسر، الاثاث يتحطم ويحترق، قطع من الطين تنفصل من السقف والجدران فتملاء الغرف غباراً ابيض يغزو الليون فيعميها . حركة متواصلة ، صراخ ، تأوهات ، ضجة ، ققعة ، ازير ، بلبل ، مما كان لا يترك لانسان راحة ولا تفكيراً ولا هدوءاً . وقد فقدت الرؤوس ارتانها وكابت المزائم تحور والتغوس تبأس . فن حين لا آخر كان بعض المدافعين من على التوافذ يتراجعون الى الوراء خطوة او خطوتين ثم يسقطون على الارض جثة هامدة فيسرع رفاقهم الى احتلال مراكزهم .

وبعضهم يستأجسون وايديهم على جروحهم يطوفون من غرفة



الى اخرى يتألمون ويتعذبون ويصرغون ويستعبدون وليس من منجس . وكانوا كالسكارى يترنحون وهم يقصدون المطبخ لان فيه بعض الدود . وحيث كانت جودهم تنكث ان جهم وسعيها لا تخف على هؤلاء الجند بما هم فيه . اما في الخارج فان الدود كان يضيئ نصف الدائرة التي يهاجم بحسبها . وقد روي قائدنا - وهو الذي بقي حتى الآن رابط الجأش - يظهر بعض علامات القتلى ويجرح مسرماً من غرفة المراقبة وقد طلى به الملازم الاول . وبعد ثلاث دقائق رجع هذا الاخير راكضاً ونادى قارع الطبل و اشار له بأن يقيم . فامثل الولد ارامره و تبعه راكضاً على درج خشبي ، ودخل بصحبته الى تلك الترفة تحت السقف حيث رأى القائد يكتب بقلم من رصاص على ورقة وهو يستند بظهره الى النافذة وكان على الارض قرب قدميه حبل بتر .

طوى القائد الورقة وقال فجأة وبسرعة وهو يتحدث في عني الولد بعينه الرماديين الباردتين اللتين يرتجف امامها الجنود كلهم .

يا قارع الطبل !

وقف قارع الطبل ورقة عسكرية ورفع يده محياً .

قال القائد : - هل انت شجاع ايها الولد .

- اجل يا سيدي .

- انظر الى الاسفل ! قال له القائد وهو يدفعه الى الشباك :

في ذلك السهل قوب بيوت تلك القوية حيث ترى لمان حراب ثم تجد جنودنا واقفين في مكانهم لا يتحركون . خذ هذه الرقعة وتسلك هذا الجبل واتخذ من هذه النافذة والتهم بما لك من السرعة منعدر الراية هذه ثم سر في الحقول دائماً بخط مستقيم واجتذ المعبات فترأ حتى تصل بين جنودنا ، وادفع بالرقعة التي تحملها الى اول ضابط تلتقي به ، والآن الى هذا الخزام والكيس من على ظهرك .

امثل الولد لاوامر قائده بسرعة مذهشة ودس الرقعة في جيب داخلي من قبضه . وما كاد يرمي الملازم باطل الى الخارج ويسلك بالعرف الآخر حتى كان الولد يقفز الى النافذة ويساعده القائد على الخروج منها . كان ظهروا الى الحقول الممتدة تحته .

- انتبه جيداً . ان انقاذ رجالنا متعلق بشجاعتك وبسرعة رجلك .

- ثقي يا سيدي القائد ! اجابه الغلام وهو يتدلى الى الخارج .

- لا تنس بان نحن ظهرك وانت تنعذر . قال القائد ومد

يده لمساعد الملازم .

- اطمئن الي .

- سر رعاك الله .

وبعد ان بلغ قارع الطبل الارض رفع الملازم الجبل وتوارى . واندم القائد نحو النافذة وتطلع منها فرأى الغلام يكاد يطير وهو ينحدر . وكان يأمل بأن لا يراه الدود وهو يمدو كالطلي . ولكن سرعان ما غاب امله لا رأى بضغ سحب من التبار ترتفع من امام الغلام ومن ورائه ما دل على ان الجنود المتساوين قد رأوه وبدأوا يطلقون النار عليه من اعالي القمة التي كانوا مسيطرين عليها ، وما تلك السحب الا التراب والتبار التي كان يتبعها الرصاص ، اما قارع الطبل فقد كان جاداً في ركضه لا يلاوي على شي . وبغثة سقط على الارض دفعة واحدة .

- قتله ازار القائد وهو يعض على ناخذه . وما كاد يلفظ هذه الكلمة حتى رأى الولد ينهض ثانية .

- آه ! لقد سقط فقط ، قال لنفسه متفناً الصعداء ، وفلاً ان قارع الطبل تابع سيره وضاعف ركضه ولكنه كان يعود .

- زلة قدم بسيطة اظنها ، قال القائد مفكراً . ثم بدأت بعض السحب تتصاعد من كل جهة حول الغلام ولكنها بعدة عنه ، لقد اصبح في مأمن منها . تبعد ارتياحاً وفرك يديه فوكة المتنصر . ولم يفارق بانظاره الغلام وكان لا يزال قلقاً على مصيره . انهمالة بضغ دقائق ، فأدلم يصل الى حيث ارسله في اقرب وقت ممكن وهو يحمل الرقعة التي ارسل يطلب فيها الثوث ، اما ان يقتل جميع جنوده ، او سيضطرون يستسلم للدود ويذهب اسيراً بصحبة جنوده .

كان الغلام يركض باقصى سرعته . تارة تتضائل سرعته ويسرع . وطوراً يعود الى الركض ولكنه ركض ينم من التعب الشديد ، وكان من حين لآخر يتعثر فيقف برهة من الزمن ليستريح .

- أأنكون اصابته رصاصة اصابة خفيفة ؟ - فكر القائد وكان يلاحظه كل حركاته وهو يرتجف . كان يحسسه ويكلمه ويخشع على الماضي كما لو انه يسمعه . كان لا يتفك يقين تلك المسافة التي تفصل الغلام عن تلك الحروب اللامعة التي كان يراها هناك في السهل في وسط حقول القمح وقد لوحها الشمس واصبحت بلون الذهب . وكان ايزر الرصاص في الطابق الاسفل وصراخ الملازمين واعطائها الاوامر وانين الجنود المجارين وتهدم الجدران وتحطيم ما بقي من الاثاث كان ذلك لا يزال على اشده .

- هيا ايها الغلام اركض اركض . . . كان القائد يصرخ وهو

يرافق بنظراته قارع الطبل وقد اصبح بعيداً . - هيا اسرع
اركض . لعنة الله عليه . لقد توقف عن المسير . . حسناً هيا هو
يمود الى المدور .

وبينا هو كذلك اذ اتاه احد الملازمين وهو يلهث واخبره بان
الاعداء لم ينقطعوا عن اطلاق الرصاص ومع ذلك فقد رفعوا خرقه
بيضا . يلوحون بها ويطلبون اليهم ان يستسلموه .

- لا تجيبوهم ! صاح القائد دون ان يحول نظره عن النافذة
حيث كان بأثر الغلام الذي اصبح الآن في السهل وقد توقف عن
الركض وكان يلوح كأنه يجور رجله جواً .

- نكثتلك امك ؟ اركض . اسرع . تبأ لك ايها الفسل .
عجل . عجل . آه لقد جلس ، انه له . . كان لا يزال يرى رأس
الولد عالياً من خلال سنابل القمح في الحقول . اما الآن فقد
اختفى فكأنه سقط على الارض ، ثم بعد برهة ظهر رأسه ثانية ثم
عاد واختفى فجأة وراسياج احد الحقول ولم يعد القائد يرى له أثراً .
حينئذ غادر النافذة وانحدر مسرعاً الى الطابق الذي تحته وكان
الرصاص كالطوف المنهم ينفذ من كل مكان ، وكانت التوف
تبع بالجاريج . فالبعض منهم كانوا يدورون حول انفسهم
كالكساري يتسكون بكل ما تصل اليه ايديهم ، والجدران
والارض قد فوشت ببقع من الدماء . ووضعت جثث الموتى وراء
الابواب كالترايس ، وقد اصاب رصاصة الملازم الاول في ذراعه
فكسرتها . فالدهان المتصاعد والغبار المثير والضجيج المصم كها
قلاً ذاك المكان فتجعله شديد الوطء على كل من فيه .

- تشجعوا ايها الابطال ! صاح القائد ، مكانكم ، سيصلنا
المدد صبراً ، قليلاً وستنتصرون .

كان النمساويون يقتربون اكثر فاكثروا . وكانت وجوههم ترى
من خلال الدخان ، وجوه وجوش ضاربة ، كان صراخهم الشبيه
بصراخ الحيرانات المجاء يوق أحياناً أزيز الرصاص ، كانوا يشتبون
اولئك الجنود الشجعان ويأمروهم بالاستسلام ، ويهددونهم ان لم يفعلوا
بإيديهم عن بكورة ايهم والتمثيل بجثثهم . خاف بعض جنودنا
وانسحبوا من النافذة الى الداخل . فدفعهم الملازمان الى مراكزهم
ثانية . ومع كل هذا فقد بدأت نار الدفاع تهدد وتسرب الذعر
الى قلوب الاكثريين ولاح ذلك في وجوههم ، واصبح من الصعب
متابعة المقاومة . وفجأة همد ايضاً رصاص النمساويين وصوت كالعند
من الاسفل صاح اولاً بالانانية ثم بالايطالية :

- استسلموا .

- كلا ! اجابه القائد بصوت اشد من الصاعقة ، عندئذ عادت
النيران من كلا الطرفين اشد مما كانت عليه ، وسقط جنود آخرون ،
واصبحت بعض النوافذ خالية منهم ، ان الساعة الزهية المقدرة لا
مفر منها . كان القائد يصرخ ويصيح بصوت متقطع النبرات يخرج
كفحيح الافعى من بين اسنانه :

- انهم لا يأتون ، انهم لا يأتون ، كان يركض من حجرة
الى اخرى ومن نافذة الى ثانية ، شاهراً سيفه بيده المضطربة وقد
عزم ان يموت كجنوده وهو يدافع عن آخر واحد منهم . وبينا هو
كذلك اذ باللازم الثاني يذلل من النوبة التي على السطح ويصرخ
بل ، خنجرته صيحة دوى لها المكان :- لقد وصلوا .

- لقد وصلوا - ردد القائد بصوت شابه الفرح .
- لقد وصلوا - ردد كل من صمم هذه العبارة ،
حينئذ اهابت هذه الصيحة بالجميع فهربوا مجاريج واصحاب ضباط وجنوداً
دفعة واحدة واستبقوا الى النوافذ واشتدت مقاومتهم اشتداداً لم
يمرفه المدو من ذي قبل . وبهيرة لوحظ شبه تردد وابتسداً
التشكك واللاانظام في صفوف المدو ، وسرعان ما جمع القائد في
الطابق الاسفل ثلة من اشد رجاله ليخرج بهم من البيت ويهاجم المدو
بالسلاح الابيض . ثم طار الى الطابق الاعلى ، واكاد يصل حتى صمم
هو وجنوده وقم حوافر خيل مسرعة كالرياح يرافق ذلك صيحة
هائلة كلها خرجت من حنجرة واحدة . فقطعلوا من النوافذ قزواً
متجهاً صوبهم ، بين الدخان الكثيف ، القناعات الطويلة الشكل التي
يرتديها الشرطة الايطاليون الذين سرعان ما ترجلوا وزحفوا على
بطونهم وايديهم على سيقهم ثم شبروها وكان لها امان يحظف
الابصار . كانت تدور في الهواء فوق الرؤوس مخيفة تحمل في حدها
الموت الزؤام ، حينئذ هجمت ثلة الجنود التي اعددها القائد تقدمهم
حوابهم ونصالحهم الحادة . رأى المدو كل هذا كصع البصر فترعزت
صفوفه وتفرقت حذائق وولت الادبار .

لقد خأت تلك السفوح منهم وناقض البيت بن فيه وشم ات
فوقتنا ايطاليين من الرجال ومما مدفعان واحتملوا تلك الرابية .
اما القائد فقد انضم الى كتبيته هو ومن بقي معه من الجنود
وحارب طيلة ذلك النهار وقد اصابته رصاصة في ذراعه اليسرى اثنا
هجومه الاخير بالسلاح الابيض .

انتهى النهار بانتصار جنودنا .

في اليوم التالي ذهب القائد الى احد المستشفيات ليعالج ذراعه

الولد على فك العقدة وربطها ثانية. وما كاد الغلام ينفض قليلاً عن الوسادة حتى امتنع لونه واصفر وجهه واضطرب الى طرح رأسه ثانية على الوسادة .

- حسبك ايها الغلام ! قال له القائد وهو يحده . ثم سحب يده وقد اراد الغلام ان يسكها له :- عليك بنفسك . ولا تفكر باحد ، ان اتفه الاشياء . لو املت لربما اصبحت مضرتها عظيمة جداً .

هو قارع الطبل رأسه هزات متوالية ولم يجر جواباً . نظر الى القائد طويلاً ثم قال له :- بلوح لي بانك فقدت دماً كثيراً والا لا كنت بهذا الضعف .

فابتسم الغلام وقال :- فقدت دماً كثيراً واي دم . انظروا ! وسحب النطا . منه دفعة واحدة .

ترجع القائد خطوة الى الوراء . وكأن ذلك المنظر اخافه او بالاحرى ما كان ليتصور ان يرى ذلك . اصبح الغلام برجل واحدة . لقد قطعت له رجل الشمال . فوق الركبة وكان الفخذ ملفوفاً بالقطن والشفاف مع كل ذلك كان الدم لا ينقطع عن السيلان .

في هذه اللحظة مر بالقرب منها طبيب عسكري قصير القامة ضخيم بدين يلبس قبضاً ابيض . التفت الى القائد وقال له على عجل مشعراً الى قارع الطبل :- هذا حادث يؤسف له ، كان بالامكان ان تنقذ له رجله لو لم يتسبب بذلك الركن الجنوبي ، التهاب سريع ما . دفع الاطباء الى ان يقطعوها حالاً . ولكن لو رأيتيه . . . ياله من غلام شجاع ! لم تتحدر من عينيه حتى دفعة واحدة . ولم تخرج من بين شفتيه حتى نامة . كنت فخوراً به كابطالي وانا اجري له العملية . اقم لك بشرفي انه من دم نبيل . - قال هذا وتركها بسرعة واختفى كما ظهر فجأة . زوى القائد ما بين عينيه وحده قارع الطبل الصغير ورفع له النطا الى اعلى صدره . ثم بجر حركة آلية ودبها هو يشعر بها هو نفسه مد يده الى قبضته ورفعها .

- سيدي القائد ماذا تفعلون ؟ عفوكم اتفرون قبعتكم لي ؟ وحينئذ هتف هذا القائد الهندي الجانف ، الذي ما فاه قط بكلمة لينة الى من هم ذئبه ، بصوت عطوف لا يوصف بذوب حناناً ورقة :

- لست انا غير قائد جندي ، اما انت فبطل .

ثم فتح ذراعيه ورمى بنفسه على قارع الطبل الصغير وقبلة ثلاث قبلات فوق قلبه .

مصطفى آل جمال

اولاً ثم ليتفقد الملازم الاول الذي كُسر ذراعه اليعني .

حوأت كنيسة القرية الى مستشفى وقد غص بالجرى فادرجوا على صفيين من الاسرّة والقراش الموضوعة على الارض . كان طبيبان وبعض الممرضين لا يتوقفون لحظة حية وذعاباً وقد نحت اجسامهم واصحابا نصب شديد .

كان منظر أيقنت الاكباد : عويل . تالم . تأوه . انين . بكاء . حشرجة . ما كاد القائد يدخل حتى اجال طرفه فيما حوله يمشي على الملازم الاول . وبينما هو كذلك اذ جمع صوتاً ضعيفاً قريباً جداً منه يناديه :- يا حشرة القائد .

التفت ، فرأى قارع الطبل .

كان ممدداً على فراش من القش فوق الواح خشبية تملو بضعة اشبار عن الارض . منطى الى ما فوق صدره باسجاف كانت فيها بعض لبعض التوافذ مزركشة بجرمات حمراء . ويضاء . وكانت ذراعه فقط خارج النطا . صفو الوجه ضامره وقد غارت عيناه في وجهه ولم يبق منها غير ذلك الهيبق واللعمان كأنها جوهرة تان سوداوان .

- أعذا هو انت هنا ؟ سألته القائد فجأة مندشاً .

- نعماً لك لقد فعلت واجبك .

لقد فعلت ما كان بإمكانني ان افعله - اجابه قارع الطبل . - لقد جرحت أليس كذلك - قال له القائد وهو يفتش بعينه من الملازم بين الاسرة القورية .

- وماذا تريدون غير ذلك ، قال الغلام وهو فخور بأن يجرح لاول مرة في سبيل وطنه ، والا لا كان يتجاسر على التفوه وكلمة واحدة .

- لقد ركضت كثيراً منعتي الظهور وسرعان ما رأوني ولولم يصيبوني لكنت وصلت قبل الوقت بمشرين دقيقة . ولحسن الحظ التقيت حالاً بضابط من ار كان الحرب فاسلخته الرقعة . كان المنعذر صعباً جداً . كنت انتظر من وقت لآخر ان اتمر واندهور واعبط دفعة واحدة الى الاسفل محطماً . وكاد الطش يسكني . كنت اخشى ان لا اصل . كنت حائفاً على نفسي فبكيت . بكيت لاني كنت اعلم بأن في كل دقيقة من تأخيري موت جندي من جنودنا البراسل . كفى لقد فعلت ما كان بوسعي . اني مسرور . عفوكم يا سيدي اري السماء تسيل على ثوبك من ذراعك .

وفعلاً كان الدم يسري من ذراعه المويطة ربطاً غير محكم . - أيسمح لي سيدي بان اشد له الرباط . عفوكم لحظة ممدوا لي ذراعكم . قدم القائد ذراعه اليسرى ومد يده اليعني ليسانده

هنتزن

او ممثل فنان كبير

بنلم امل شوب - كوخ زميمه نيمه صفر

ظاهراً يظهر التأثير على التقاليد، فهبطت به. فأمته هذه الى درجة سحيقة من الانحطاط. هذا ما حدا بإسليمي التفكير الى التوقف عند هذا الحد والرجوع الى الكلاسيكية الواقعية. ومن المعلوم ان هذه الواقعية هي ذاتها الابنة الثانية للتأثير، لان ابنتها البكر قد ماتت وهي لم تشب بعد عن الطوق. وبينما كانت هذه الاحداث تتوالى كان هنتزن قد بلغ فناً راسخاً، مميّناً ولكنه كان يعيش مستغرقاً في العمل الصابر، باحثاً بلا انقطاع عن حقيقة واهبه حتى ظهر أخيراً في الوقت المناسب الذي وصفناه. مسا من احد يشك في كلاسيكية هنتزن، الا انها تستقر بهذه الصفة الاساسية وهي كونها نتيجة تطور فن وغرة انصباب على العمل لا سائلة

صور منقولة وتقليد، مبتذل، يستقي من دروس معلمين مكولين. ان هنتزن الرسام الدقيق السرياني قد استوحى في صورته زعماً. التصوير التأثري ونحس منهم كلارد مونه وريبنار. ولكننا نخطئ. اذا نحن ذهبنا الى انه قد لهم في فنه تقليداً مستملاً اذ انهم لم يكونوا له سوى نقطة انطلاق في مضمار الشخصي، ولم يبق له، منهم اليوم الا كل، امن شأنه ان يجمل من شخصيته الفذة في الوقت الحاضر أحد زعماً. الطبيعة المتسلقة، المنسقة، التي حبت التصوير الحديث باجل لوحاته. يظهر هنتزن للآلة هذه الوسائل التكنيكية كصور ذيردوية شخصية رفيعة ويبدو في تصويره للطبيعة كزعم

المعلم امل شوب - كوخ بالذكورة لدى نخبة الادباء. اللبانيين فهو مدير مجلة « پرو آربي » وعضو اكاديميات الفنون الجميلة في جنوا وورشونة وسيفيل وسارافوس وغرناطية وفالانس وفالادوليد وعضو اكاديمية السلام في مودين وعضو اكاديمية كويجا وبروجيا وويل النغ. . . وقد ترجمت كتاباته الى جميع اللغات وفاز بتقدير عدد من اللبانيين المجددين بأنواع تفكيره الشامل وبثغرد انجانه التجاليلية وعمقها وبصحة معلوماته ووفرتها. ويسرنا ان نفتتح صفحاتنا الفنية بهذا النرس عن احد مشهورى المصورين السوريرين المعاصرين .



امل شوب كوخ ممثل لعني للين ياه-فان

يعرف هؤلاء المصورين الذين حلوا. باكتساب الشهرة دفعة واحدة. فمنهم من اكمل على الشذوذ بلوغ غايته، ومنهم وهم الاكثية - من عكف على العمل بصبر وانتباه وشغف مستنداً الى افكار كان يظنها صالحة، سواء. اكانت تلك الافكار خارجة على الكلاسيكية ام جسات على اتفاق معها، فاكسب عملهم التصوير الفرنسي اقصى زخارفه. اما الجيل الجديد فقد اراد ان يغير كل ذلك وان يخلق روح طليعة يتسم بطابعه العجالة متوخياً الجدة والتحدق والاهاء فحذف - او اراد ان يحذف - قنون العمل الوجداني، المتقن، الناضج



الملكة كا يراها ورثر هنزن

التصوير عند هنزن لان فنه هسذا قد اصبح معروفاً لدى السواد
الاعظم من العامة وليست غايتنا منها سوى الدلالة فقط على
اسباب نجاحه .

لقد عمل هنزن بلا كمال وخلق شخصيته بايمان وثبات وبعد
نظار ثم اظهر ذاته للدلا في الوقت الانسب من الوجهة البسيكولوجية
لنجاحه . يضاف الى هذا ، الظروف الملائمة ، تلك التي اوجدتها

من زعماء المدى والنور بصفتها مستقلين يشكلان العناصر
الاساسية للوحة، ويبدو في رسومه كصور خلقي له فهم ببيكولوجي
عميق لنفسية من يرسمهم ، والدقة الفنية اللازمة لابلاغ هذا الحس
الى نفوس المشاهدين . وبهذه المناسبة يجدر بنا ان نذكر له لوحات
داخلية فاتنة واخرى طبيعية موفقة التركيب على الطريقة السوفياتية .
من الفضول ان نتوخى في مقالاتنا هذه درساً مفصلاً عن فن

كل شيء بين اثماله حسب ما يشاء ، حتى يدفع بنا الى ان نهتف
 مع الشاعر اللبناني : « ايها الشمس ، يا ينبوع الحياة » .
 ان هنتون ليجعل كل معالجة للعادة منفردة ويتعاضى التحكم
 الكيفي في الجعم ، فهو رجل الاسباب الكهري والبسيطة . ما
 وفو الشعور الموهف الذي يتبع فيه التدويع والمشهد رد فعل له
 طابع موسيقي . ان هذه الموسيقى الداخلية العميقة لم تكن لتتالك
 عن ان تهز منصة هنتون هزاً عنيفاً لان هنتون هو شاعر ومسن
 هؤلاء المصورين الذين تنحصر شاعريتهم في رأس ريشتهم . وهذه
 هي الطريقة المثلى للاحتفاظ بالكلاسيكية ، موطن الفن الخالد
 ترجمة : فريد صفر

حرب عالمية محتاجة اثارت عاصفة جنون على العالم فساهم هذا
 عاجلاً عن اندفاعه المتهور واستقر على تصوير واقعي ، متزن ، لا
 يحمل اية صيغة للجهال ولا اية وسيلة للبلوغ اليه حتى تحمد التزعة
 المدرسية ولا تزال في غمود مطرد . فتحن نعيش اليوم في جو
 رحب من التساهل الجمالي الذي يثله هنتون اصدق بتثيل . نسير ان
 هذا التساهل لا ينم عن فتح نوافذ مشرقة على هياكل الخلائق
 والاشياء . بالرغم من تزوعه بوجه عام الى فرض رؤيته المشعة عليها .
 ان الدور الخلاق الذي يغير التالوين اللطيف الخاذق الذي تتلاعب
 به ريشة هنتون الساحرة هو العنصر الاساسي في تكوين هذا الفن
 المتزن ، وهذا الدور هو الذي يوحى اليه بالرائعة ويحكمها ويحول





اليوم الذي شرب فيه سقراط قُدح السم ، كان في الواقع النذير الصامت بسقوط حضارة أثينا العظيمة .
وتزيد الآن ، وقد انحسر الستر عن حقيقة الغرب السياسية وغيرها ، ان زُجِم الى ما كنا كتبنا في الماضي ونادينا به من منابر الصحافة : ان الاصلاح يجب ان يبدأ من قلب الامة وليس من خارجها ، وان الاصلاح الحق هو اصلاح النفس وتطهيرها من اردان الرذيلة والاثانية الفردية والحيانة ، وليس الاصلاح في ترقيم الرداء . وتزيين الثوب الخارجي . لقد ثبت بالبرهان لكل ملاحظ دقيق ان نهضتنا الحاضرة بدأت وشبت على الزيا والحداثة وتشتبت بالاثانية والطعم الفردي ، وان مظهرها هو غير باطنها وان الذين قاموا بها وتمدها منذ بدئها يروء في فن السلا . وانتقروا الاخراج ، وثبت ايضا وخاصة لمن قدر لهم السفر الى بلاد الناس ، اننا نتقن دهن (الفونيش) واننا اذا عدنا البارعون في هذه الصناعة

جنبا في الطبيعة . ولكن الامتحان كشاف وليس اعظم من الحوادث القاسية فاحصاً وملمأ من يفهم ويدرك ويتنظ .
قلنا ان سنن النهضة معروفة ومبادئ البناء لا تتبدل ، وهذا شيء يعرفه رجال الاختصاص من اهل العلم والفكر الذين لا يؤخذون بالمظاهر ولا يتخدعون بالهورات الشعبية العابرة ، بل يراقبون ويدققون ثم يمدون المناهج الصحيحة للتوجيه والانشاء .

والباحث المذقق ليس ان نهضتنا خلو من ارباب التخصص والتوجيه وليست في واقعها شاملة لعناصر التشديد الحق بل انها في جملتها متعصرة على لون واحد من النشاط ، هو النشاط السياسي . وهذا ليس بكاف للقيام بنهضة قوية يطمئن لها المنطق السليم وترضى عنها سنن الحياة الحقة .

ان النهضات مقومات جمة وعوامل عدة من الحق ان تضادوا جميعا تأتي بالعمل المجهدي ، وهذه العوامل كثيرة في طليعتها الفكر والتهديب وتمدهما ، لا سيما ونحن امة راضخة اجيالاً طوالاً تحت سلطان اجنبي ترك في نفوسنا كثيراً من السموم والامراض الخلقية والاجتماعية ، لذلك وجب على من يبدؤ تغيير الامور ، توجيه الكثير من العناية لهذه الناحية والا جاء بناؤهم بغير اسس لا يلبث عند اول عاصفة تهب ان يهوي الى الحضيض .

ولست بحاجة لكثرة التذليل لبيان اهمية الفكر والتربية في دور الانسان ، والبحث ومنها نبش تراثنا الادبي وما يتفرع عنه من ثقافة وتربية وفن ، لانه المنصر النابه الذي يرمز عن روح الامة وعن فكورها . ومتى كان روح الامة سليماً واعياً وعزيراً ، كبروا سهلت الطريق وأمن العثار .

ان ايماننا بحق الفكر والروح يجعلنا نلج في الدعوة الى الاهتمام بامر الفكر واحلاله المكانة اللائقة به في حياتنا الحاضرة ، اذا صح ان ندعي انه يمكن ان تكون هناك نهضة اوحياة بنفوس وروح . واننا سنتابع الصرخة تلو الصرخة في هذا السبيل ونحن نعلم اننا في ذلك نهو عن شعور المؤمنين برسالة الفكر وهمة التهديب في حياتنا . اننا سنتابع الصرخات داوية حتى تبلغ سامع الماملين الذين يدركون ان الفكر مقدس ويملون ان الدولة وزخارفها امر عابر ولكن آثار الفكر وحقه باقيان على الدهر .

وما هذا التهديب الذي نتحدث عنه؟ وما هو هذا الفكر الذي اذكره؟ وما فائدة ذلك؟

التهديب هو عدو الفوضى ، هذه الفوضى السائدة بيننا والتي لم نزلنا نرى هدفنا بل ستقودنا حتماً الى الدمار . ان النظام - وهو وليد التهديب وحده - كفيل بان يخلق لنا امة منسجمة خليقة

بالحياة . وعندما اذكر النظام الذي هو ربيب الجمال لا بد من ذكر اثره في النفس وما يخلق فيها من حب للنظام وتقدير لكل امر واحترام لكل عمل .

ان العمل الفني هو الذي يهي . هذه التربية الجمالية كما قال في ذلك المربي الكبير (آلن) Alain : فان مستقبل الامم يتوقف على التهديب وهذا مرتبط بالتربية الفنية منذ الطفولة هذه التربية التي تهذب النفس وتنمي فيها قوة الملاحظة وحب الجمال ، وبدفاني اتساءل : كيف يمكن قيام عمل ما على اساس الفوضى ؟ ان الامة يجب ان تهذب وتحس وتحمي ثم تنهض واني لائمة ان تنهض وتعيش وتحواس الجمال وما ينبعث عن فضائله من مزايا لا تزال غافية في نفسها ؟

نحن نعلم ان معاني الحياة وحده لا تجتبر لا سياً والجمال هو رأس هذه الوحدة ومنه يصدر سائر معانيها ولا يمكن ان تكون حياة اجتماعية انسانية صحيحة بغيره . ولو اننا تصفحنا حياة عظماء



✱

قلب الانسان



من

المجد الساري في غش الضباب ؟ المثل بأسانيه وإعاده ،
واحزانه ، اي اعتقاد في حله المرزح تثبت به وهو يشذ
السير في مجاهل العابر الزقاء ، دون رفيق او معين !!

وكما تدرجرت عليه الصخور من حالي ، وعصفت ببنائه الريح من
كل جانب ، وصبت عليه السماء صواعقها ، وانفجرت الارض بأخايدها
واوحالها ، وغمره الليل بظباب الوحشة والحلم الاسود ، رأيت انا بين
الوجود ، يسبح العرق للتلعثم من على جبهته العارمة ، وعيناه تكدحان
بشر الزينة الرجيب ، ثم برمي ما حوله بنظرة عابرة ساهرة ، متحسماً
موضعا في صدره وثقة ، ثم هو يضي متحدراً الى غاباته ،
وعلى منكبيه حمله التثليل من هوم وإدغام وإحلام .

بالامس ، قت الى المدينة في زحمة الوجوه الكادحة ، بعد أن شئت
نفس الزلة والوحشة ، علي املا جوانب دوشي بأنس المجتمع ، وإذا
بتجاذلي نهار كساداً وغيبه ، وبالأنس يتبدل ضيقاً وضجراً ، وبالأمل
يذوب مع جثم الناس وحقيهم ، وإذا في التفت الى افائي والشامري ، وكنتي
واسفاري خفياً متبجلاً إحداول سحفا وتبديدها .

أنال في قانون الناس وبذاهيهم ، جهم وبضهم ، ضطهم وسطوهم ،
فانتفض مفعولاً التيب بالثورة على كل ما عرفت وما لم اعرف ، غير أن
يداً ناعمة قد أتت مكسرة غني في نفسي فيتحرك قلبي بلطف ، ثم تلتاش
نورتي شيئاً فشيئاً حتى يبدري الرضا عن الحياة والناس .

واليوم ، يقف هذا الجبار على رابية مشرقة من دواي الزمان . ومع
سلاحه من مدافع وصواريخ ، وعل . ومع سلاحه من جور ، وخسداق
وحيل . ومع سلاحه من فكر مبدع ، وفعل منظم ، وتجارب خصبة ، ثم
يتحدر الى السهل فيتمالي الاين والهراخ ويشتد الويل والمويل ، فتتجمل
آمال ، وتتهار مدنيات ، ويذوب حلم جميل .

ضباب ضباب على السفح الحزون المنيوك لتبر الانسانية لتكلى مقجوعة ،
تندب ابتداء اهرص وتراثها الولود ، وحضارعا الحطبية ، متفجرة
بدموعها وجراحها .

غير ان صوناً يتعالى من بين هذه الجبوع ، يتوحد مع التضيضات
والخفقات ، تتناق صوبه الجبوع الزائرة الزاحفة ، فتستلن حراهم ،
وتفردق عيوضهم ، وتفتح بهشة الالدرع المشوقة ابيهم ، ذلك ان انسانا
له قلب فني لهم ، فأيقظ في حناياهم الاجنحة اللغوية فتتحركت الزهو
والفتاء ، فتواكبت الجبوع عاقلة المتناسر بنم ورفض حيث الجبهة
الثانية ، فألقى هؤلاء سلاحهم ، وفتفخوا صدورهم واخذوا يرقصون .

على محمد سليم

مصطفى فروخ

الرجال الذين قاموا بأعمال جليلة للعالم لوجدنا ان نفوسهم كانت تطفح
بالجمال السامي ، جمال النفس وجمال الروح لذلك علوا للانسانية اشياء
عظيمة وجيلة . اما اولئك الذين غاض في قلوبهم ماء الجبال وخلت
نفوسهم من نعم هذا الجبال فلم يقدموا للعالم الا قبيحاً وشرراً ، فهم
كالشجرة الحبيثة لا تثمر الا خبيثاً ولا تعطي الا قبيحاً ولذلك قال
افلاطون : « ان العمل المفيد هو العمل الجميل »

والآن يزيد ان نقول ، وقد بات القول الجلي واجباً محتماً على
كل مواطن اعطي صدق الشعور بالواجب واعطي حسن النظر في
حقائق الامور ، ان يعلن بوضوح وقد انكشف الامر عن نتائجه
المداورات والاحاييل والتلفيق وعن اغفاق رجالها ، ان يجمع
بالعلاج الى ما رجعت اليه الامم في مجها ، وهو العمل في الحقائق الحياتي
والتربوي ، والى اصلاح النفس .

ان الامة التي بلغ من تربيتها الاجتماعية ان تظهر فورها باطلاق
الرصاص وغيره ثم تبدي غضبها وثورتها في البكاء ، والشكاية
والحرب من المعركة فهي بحاجة الى تهذيب جديد وعقلية جديدة
تسمح لها بالعيش مع العالم ، وان هي ظلت على تفكيرها المتأخر
فلا شك بان هذا العالم ايضاً سيلفظها من سجله لانها لا تتسجم معه
ولا ينسجم معها .

لقد ادرك رجال الفكر في الغرب بعد الحرب الاخيرة ان الحضارة
في خطر وان الازمة المستحكمة اليوم هي ازمة اخلاقية نفسية
لذلك راحوا يعالجونها من طريق الفنون الرفيعة لانها وحدها تلطف
من وحشية الانسان وتضعف من انانيته وجشعه وترقي فيه حب
الجمال باوسم معانيه حتى يتصل بالمثل العليا حيث تتبدد فيه روح
الشعر وتتقلص منه روح الانانية الفردية والمادية البغيضة .

اما نحن هنا ، وبعد كل ما اصابنا من نكبات يصعب وجود
نمت لها ، فلا يزال رجال السياسة ماضين في اساليبهم كأن شيئاً
لم يحصل .

وقد اتى اليوم دور رجال الفكر ورجال التربية كي يقيموا
البناء على اسس خلقية تبدأ بمعالجة النفس وتهذيبها عن طريق الثقافة
الصحيحة وليست تلك الثقافة المزيقة المؤذية .

ان البناء على بقايا متلاشية عفة تحترق في معظمها السوس هو
عمل فاسد لن تكتب له الحياة .

في سماء غاندي

بملم عبد الملقف شرارة



٤ - غاندي والمرأة*

أرايت

الى المرأة كيف تتصرف حين تقم في ازمة من الازمات ؟ أرايت الى اساليبها الشخصية الخاصة في ادارة عمل ، او استقبال حادث ، او توجيه شخصي ؟ أرايت الى قوتها النفسية الحارقة ، الى عنادها المر ، الى الاحساس في تحدي المصابحين تستهدف غاية من التسايات ، او تروم غرضاً من الاغراض ؟

- انها ، في الاعم الاغلب من موافقتها ، تأخذ القضايا بالرفق والالفة ، وتواجه المشاكل التي تعترض سيرها اهدافها ، يصير وتحفظ وحذر ، ثم تستعرق ، وهي بمنزلة عن الاعسين الساهرة والاذان المرفعة ، في تبين السلس وملاحظة الظواهر وتأويل الحوادث ، ولذا تجددها مستعدة ابدأ ، دائماً لاستئناف البحث ، والاخذ والرد ، والدفع والجذب ، والجسول والمداورة دون ان تتنازل قيد شمرة من « نيتها » الراسبة الراسخة في اقصى ضميرها ، تلك اللبنة التي لا يدر كما الآخرون ، ولا يعطشون ، بحال من الاحوال ، الى انهم مدركوها على حقيقتها ، مهاب ففكروا واقتضوا واوغلوا في مجال الحساب .

تلك هي طبيعة المرأة في علاقتها الانسانية ، فقد خلقت غامضة وستظل غامضة لكل من يراها من الخارج كومن الخارج ففصب . اما هي فانها تنكر هذه النظرة ، وتأبى ان تقرها ، وتسخو من تأكدت له ، واكدتها في سلوكها معها ، وتذهب الى اعتبارها ابلة ، لانها تطل على نفسها ، خلاف الرجل ، من الداخل ، وتعرف منها ما لا يعرفه هو ، وتحس ما يحول في حناياها وما يضطرب في

محيطها من الحواطر والمواقف والانفعالات ، وتعرف اكثر من تعرف ماضيها الذي عاشته وحدها ، بيد انها لا تكشف بمحض ارادتها الاشياء التي تعرفها عن نفسها !!

والواقع ان المرأة ليست غامضة ولا هي بلنر ، الا انها في تميزاتها العامة عن روحها لم تلجأ يوماً من الايام ، اذ ليس من طبيعتها ان تلجأ ، الى « العنف » . فالمرأة كانت ، منذ وجدت ، اي قبل غاندي بألاف السنين ، فيلسوفة السلاعف ، وكانت ولا تزال ، تطبق هذه الفلسفة دون ان تبحث فيها او تضع لها صيغة نظرية .

الحب ، كي تستقيم لك هذه الفكرة وتبلغ قوارتها السحيقة ، ان تتأمل سيرة فتاة او امرأة احابها حيف واضح ، او نالها التير بظلمة قاسية من الظالمات - وما اكثر الامثلة على ذلك ! - حيث نجد ان رد الفعل عند المرأة لا يمثل بأعمال عتيقة تؤذي بها الظالم ابداء مادياً مباشراً ، وانما تقف في وجه الظلم لتدفعه بروحها ، بمجرد روحها ، كأن تتلقى الضربة بالصبر بنية احوال الضارب امام ضميرها ، او ان تضرب اضرباً تلاماً من التعاون مع الجاني فتبتد عنه ، او ان تقوض على نفسها اشياء من شأنها ان ترده الى صوابه كالجرع المقصود ، او ان تثير عليه الرأي العام في محيطه ، او ان تنشر حين تضيق بها الحيلة .. فبهذه كلها احوال ، هي اساليب ، تمسرت بها المرأة ، منذ القدم ، لدفع العدوان ، وتبيل الحقوق . وقد وفقت ، او كادت الى تحقيق ما تصبو اليه .

هنا ، يلتقي غاندي مع المرأة ، لالقاء حب ، ولالقاء شوق ، ولالقاء تقاطع ، وانما لقاؤه وحدة بالروح ، فاذا هي هو ، واذا هو هي في كل ما ففكر وابدع وانشأ واقام ، حتى لتعجب ان غاندي روح امرأة حلت في جسد رجل ، وانثارت في ذلك الهيكل الناحل

* راجع « الاديب » اعداد اذاره نيسان ، ونوار ١٩٦٨ .

عاصفة من «التدرد» ما انفكت تشتد وتشتد الى ان قضى نجباء صريع الرصاص ، لا صريع الامعاء ، على رغم السبعين وما زاد على السبعين ! ولكن ، اهي هذه الوحدة الروحية بين المرأة وغاندي؟ الامها سلكا سبيل «اللائعنف» كانا وحدة ، ام تلك نتيجة لمقدمات نخبها؟ - الظاهر ان الهند لم تعرف في تاريخها الاجتماعي خلافاً بين المرأة والرجل ، من حيث الواجبات والحقوق ، فليست هناك مشكلة مساواة ، وانما كانت قضية توحيد بينهما ، حاول الفلاسفة والمفكرون ان يجدوا لها الحل العملي بعد ان اتضحت لهم خطوطها الفكرية الدقيقة * والعقيدة ليست قانونية بضطرب لها العقل القضائي ، وانما كانت فلسفية خالصة ، على المرأة ان تجد لها الحل المقبول من جانبها كما على الرجل ان يجد لها حلها المقبول من جانبه ، لتألف الوحدة منها ، كما تألف اللغة والفكرة والحاسة والعقل الخ ..

واذا علمت ان غاندي كان يمثل التراث الهندي في ارقى مبادئه ، وانه كان يسعى بكل ما اوتي من نفوذ وسلطان الى بث الروح الهندية الاصلية ، وانه كان يطبق ما يؤمن بعقائده وصحته من عقائد وافكار ، ادر كنت كيف تأخذ بالمرءة ذلك الاتحاد الروحي المعبود . ولكن الاتحاد ، مطلق الاتحاد ، بين كائنين انسانيين ، لا يتم الا اذا كان ثمة ما يوحدهما ويصيرهما في بوتقة واحدة ، ويوجبهما وحدة واحدة ، سواء كان توحيدهما سلبياً ام ايجابياً . فكل اثنين يشتركان في بعض شخص او مبدء يؤلفان وحدة ، وكذلك الامر ، حين يشتركان في حب لموضوع واحد ، اي انه لا بد - بتعبير آخر - من عامل ذاتي مشترك يخلق التجاذب بين طرفين ويقربهما من بعضهما ، ولا يزال يقربهما الى ان يتحدوا . غير ان الاتحاد السليبي احط في سأم القوم من الاتحاد الايمالي ، يعني ان اللذين يجمعهما حب الوطن مثلاً ، ارقى من اللذين يجتمعان في بغض وطن آخر ، واللذين يتحدان لدفع ظلامة عاقرى يمن يتعاونان على ظلامة هولم جوا . نستطيع الآن ان نلقي هذه الاسئلة : « ما هي العوامل التي

تجعل من غاندي والمرأة وحدة روحية ؟ ثم ما نوع هذه الوحدة : اسلبية هي ام ايجابية ؟ وما كان اثرها في غاندي نفسه وفي بيئته ؟ - ابرز ما في المرأة ، في كيانها النفسي ، في حياتها ، في سيرتها العامة ظاهرتان : الميل الى الألم ، الى المذاب ، والاضطلاح الحلب ، بالجانب القوي من النفس البشرية .

تقول الدكتورة جينا لومبروزو الإيطالية ، وهي من ارقى سيدات هذا العصر ، في كتابها التحليلي الرائع * ما يلي : « حقل الألم هو الميدان الذي تحوض فيه المرأة معركة حياتها ، فاذا راحت تبحث كالرجل ، عما يجنبها الانفعالات المؤلمة ، غيضت يدها معين ثقافتها العاطفية ، لانها مدعوة هنا ، وهنا على الاخص ، للعمل ، لانتظار مواهبها وعقربتها ، ولان الانفعالات المؤلمة هي اعنف الينايم واكثرها تنوعاً وغزارة ، فنها وحدها تستقي المرأة مآرناً من كل جنس ولون » .

وجاء في يوميات ماري بشكيب بنفس : « الاوصاب والاحزان هي ذاتها افراحنا ، فليتنا ان نقبلها على انها العناصر الضرورية للحياة » .

وتذهب ماري لينور هذا المذهب ، ولكن على شكل اوضح واقرى الى القلب حيث تقول : « احب مسا كان حزينا ، لاني احب الألم ، وانما احبه لاني اتدب به وأتألم من اجله ، والانسان لا يتألم الا عند ما يجب ، وهو لا يكون شيئاً الا اذا احب . ولذا ، كانت الذكريات الحزينة عزيزة علي ، بل هي اعز من الذكريات المفرحة » .

وللحياة في نظر غاندي دعامتان لا تقوم الا عليهما وهما : الحب والعذاب ، وهو لا يواجه الامر من زاوية ادبية ، كما هي الحال عند المرأة ، وانما يأخذها بالنظر العلمي الصرف ، الخالص من شوائب الانفعال : « نحن كلنا مرتبطون برابط الحب ، فان في جميع الاشياء قوة مركزية لولاهما لما كان كائن . يحددنا رجال العلم ان قوة التماسك Force de cohésion التي تشد القرات الى بعضها ، فاذا انحلت تلك القوة تحللت الارض الى قطع صغيرة ، وانبتت بنا الحياة . وكما اوجدت هذه القوة في الطبيعة الموت ، فقد اوجدت ايضاً في الكائنات الحية . وقوة التماسك في الكائنات الحية هي

L'âme de la femme par Gina Lombroso, traduit de * l'italien par François Le Hénaff P. 111.

* يكاد الادب الانساني العربي يبري كما ايضا في جري واحد هو « المذاب » من شاعرات العصر الجاهلي ، ماراً بالخشع الى ان يصل للاكسمة نازك للاكسمة في يومنا هذا .

* هذا ما جاء في احد كتبهم المقدسة عن الرجل والمرأة : « هي لغة وهو فكرة . هي فطنة وهو قانون . هي حاسة وهو عقل . هي واجب وهو حق . هي عمل وهو مؤلف . هي سلام وهو صبر . هي أمنية وهو ارادة . هي رحمة وهو عفة . هي بيرة وهو الشئد . هي الوفرة وهو النار . هي المجد وهو الشمس . هي الحركة وهو الريح . هي الثروة وهو المال . هي الحركة وهي القوة . هو الفاعل وهو القوة . هو العدل وهي الرأفة . هو التبر وهي البر . هو الجبري وهي التبر . هي الجلال وهو القوة . هي الروح وهو البدن » .

الحب ، فحيث وجد الحب وجد الحياة ، اما البيض فانه يسوق الى الخراب .

وهذا شأنه في موضوع العذاب : « ما من بلد نهض وارتقى دون ان تظهره نيران العذاب ، فلي الحب ان يهلك كي يثبت منها الفصح . الحياة تخرج من الموت . وهسل للهند ان تخرج من الرق والعبودية دون ان تطيع القانون الابدی : تعذب فتظهر ١٩ » . وفي مقام آخر : « التقدم معلن على كية الالم الذي تقاسيه الضحية . كلما كان الالم طاهراً ، كان التقدم اعظم ا » .

أرأيت كيف اتخذ غاندي بالمرأة ، وابن التحد على غير علم منها ؟ لقد وحدهما اشتراكهما في الحب ، وميلهما للعذاب او كلاهما انتبيا الى اللعانف في نيل الحق والوصول الى العدالة ، كل في حيز مطاعه واطار وجوده .

فاذا جئت الآن تدرس حياة غاندي اليومية تجد المرأة القسطن الاكبر في تكوينه الروحي ، في نشاطه ، في لسانه نجمة وذبيوع صيته ، وتجد انه اعتمد على المرأة اكثر ما اعتمد في تطبيق مبادئه واخراجها من عالم الفكر الى ميدان العمل ، حتى لتجسب ان غاندي « بضاعة نسائية » خرجت من معمل نسائي وراحت اول ما راجت عند النساء ، الى ان طفت على السوق الروحي ، ومن ثمة فرضت نفسها على العالم كله .

تأمل هذا التأييد المطلق ، وهذا الاعجاب ، وهذه الخدمات الجلى التي نالها غاندي من نساء الارض قاطبة تدرك مدى انسجامه كروح مع روح الانوثة ، فقد كان ، وهو في لندن مقرباً الى النساء اللواتي يحتمل هن ، وكن يولينه من العطف والرعاية ما لم يحلم به ، حتى اذا جاء الى افريقيا الجنوبية وبدأ يمارس رسالته الاصلاحية الاجتماعية كان النساء اول المجندات لخدمتها ، ومنهن من قضت شهيدة في طاعته* . ولما عاد الى الهند وترعم احركة الوطنية فيها اقبل النساء عليه يحطنه بالتأييد ويدندنه بالزعم مما اضطر الحكومة الى سجن قسم كبير منهن في مختلف الادوار التي مرت بها حركته يوم قاطع السلطة ودعا الى اللاتعاون ، وكان يومئذ مسروراً بهذه الظاهرة اذ كتب في صحيفة « الهند الفتاة » هذه الفقرة التي اقتطفها من مقال طويل : « كنت آمل ان توفر السلطة النساء على الاقل ،

* بلغ غاندي في كتابه « تجارتي في البحث عن الحقيقة » على قرائه ان يعطوا اسم الآسة « فالبا » وهي فتاة سجنها السلطة الانكليزية مع من سجنن ، وماتت يومئذ لانها اصرت على انضمام غاندي ومسايرة حركانه التحريرية .

وان تحررهن شرف السجن ، فقد كان معلوماً لديها ان المصيان المدني لا يحمل صمة عدائية ، ولكن حكومة البنغال لا تفارق ، في حماسها للقانون ، بين الحسنين فأولت هذا الشرف ثلاث نساء ، كلكوتا . ارجو ان تستقبل البلاد هذا التجديد بكل سرور ، فان على النساء ان يقعن بقسطهن كالرجال ، في تحقيق الاستقلال . ذلك في اطار الجهود المحلية والقومية ، فاذا انتقلت الى محيط الفكر الانساني العام ، وجدت النساء ايضاً وابضاً هن اللواتي تطعون لنصرة غاندي ونشر مبادئه ، فقد كتبت الآسة ايليني ساميوس - وهي فتاة يونانية - « حياة غاندي القدسية » وتزجت السيدة هيلين هارت مقالاته في جريدة « الهند الفتاة » الى الافرنسية كما عنيت الآسة جورجيت كاميل بترجمة سيرة حياته التي كتبها بيده الى الافرنسية ايضاً . اما الانكليزيات اللواتي اشتركن في خدمته واعتنقن رسالته وتلدنن له فانهن كثرات لا يستع المحال لذكرهن ووصف ما قن به في سبيله .

وليس في هذا الاعجاب الشديد من قبل النساء بغاندي ما يدعوا الى الدهشة والاستراب فقد رأيناهن يحضن احركة المسيحية ويتبنينها بحماسة هائلتين ، فالتقيست فيها اكثر من القديسين والشهيدات دونها اضعاف اضعاف الشداء ، حتى لتجد اجمعاً عند الباحثين في ترويج النصرانية على ان « المسيح افتتح العالم بالنساء » ، وبالنساء فحسب (١) .

وكذلك هي الحال مع الرسول العربي محمد ، فالمرأة هي التي اكتشفته قبل ان يبعث نبياً ، وهي التي آوته ونصرته وكانت معه بالزعم والقررة كلما وقع في مأزق ، او اضطربت به الايام في حادث ، فهو مدني لها ، الى حد بعيد ، بنشاطه وصره وبطولته في كثير من المواقف (٢) .

هكذا ، نجد ان قيمة المرأة في حياة الرجال العظام ليست بما يمكن اغفاله ، حتى ولا يمكن تقديره ولا فرق بين ان يكون العظيم رجل فكير او علم او ادب او دين .

ولقد ضربت سيرة غاندي مثلاً على هذه الحقيقة يبلغ من النضاعة والقررة درجة لا قبل لاحد بانكاره او اضعاف اثره .

ايقيد نساءنا من ذلك ؟ لا . هل يدرك الرجال ؟ ؟

عبر اللطف سرادة

(١) راجع الوسوعة الافرنسية الكبرى مادة Femme .

(٢) أجم مؤرخو السيرة النبوية على ان خديجة بنت خويلد هي التي كاشفت الرسول بجهها وإياها هي التي امتته اول ما تزل عليه الوحي .

وسادتي : دعوني * استمعكم عذراً لأجنبي يتحدث بلنتكم دون ان يتاح له ابداً طول الإقامة في بلادكم ، فلا هو يترن على لغة الحديث ولا هو يترن بلغة الكتابة ، وكلا الامرين لازم لتعصير المسافات بين الناس . على ان احذركم ليس بغريب بينكم قلباً وان كان غريباً عنكم ولادة ولغة ، لانه منذ زمان شعربا شعر به الشاعر القديم Jauré Rudel من اشياق وتزوع الى « ارض قاصية » وهذه الارض ان هي الا ارضكم ، ارض العروبة ، التي بذل في سبيل درس ثقافتها وتاريخها كل جهوده منذ الصبا . اما لبنان وبيروت بنوع خاص فقد تعرف اليها منذ ايام التلمذة على صفحات « المشرق » . ولا تزال بيروت ولبنان لها في ذكرياته حتى اليوم وقم اللقاء الاول الذي تجبى له فيه وجه العروبة العزيز .

يودي ان احذركم اليوم عما يشته لتتكم وثقافتكم في ايطالية من ميل الى الدرس ، وان احذركم عن الايطاليين العظام الذين اتصرفوا وينصرفون الى البحث في العربية ، وعن المؤسسات والمآثر التي تجسد فيها هذا الميل . اجل ان يتناول الحديث الانجليزية من رجال الثقافة قليلة العدد في ايطالية ، مثلاً في سائر البلدان الاوربية . ولكننا نجبة ضمت وجوهاً من وجود المعرفة ، ذامت

شهرتها يحن في العالم العربي نفسه وضمت لبلادها مركزاً من المراكز الاولى في تاريخ الاستشراق . وقد توه العلامة والنقاد المصري الشهير طه حسين - جنوباً - مشعباً بالغب والاجال - بفضل الاساتذة الايطاليين - اساتذة نفسه على حد قوله - الذين ترددت اصماؤهم محاطة هالة من الاحترام والاعجاب خيماً سمعت رنة لغة الضاد : اساتذة من Amari, Santillana, Nallino, Ignazio, Guidi وبغزيمي اليوم ان اشعن ذكر هؤلاء الدواب المشهورين بذكر بعض شخصيات اخرى من مستشرقينا ليس لهم ما لمن ذكرت من صيت عريض لقله اقتصاهم بالعلم العربي الحاضر وان كانوا هم ايضاً من البكواكب الساطعة في سما الاستعراب .

ان الابحاث الاستشراقية عندنا ترقى الى عهد النهضة الايطالية في القرن السادس عشر بل لها جذور تبليغ العصور الوسطى وان هدفت عهد ذلك الى مرام دينية رسولية اكثر مما هي علمية ، لكنها * محاضرة أليت ضمن سلسلة محاضرات لجنة شهر البولونكو ببيروت .

لم تبليغ درجة رفيعة الا في النصف الثاني من القرن الماضي فكانت سبنتها حتى تلك الحقبة جمع المعلومات اكثر مما نسيه علماً حقيقياً . ومن اشهر المنصرفين اليها في القرن السابع عشر Marracci تأثر القرآن وناقله الى اللاتينية . وفي اوائل التاسع عشر Ludovico Rampoldi صاحب Annali Musulmani ومحمد السبيل I Caetani العظيم وما ان انصرف الى الدروس العربية رجال من امثال Michele Amari و I. Guidi حتى اخذت هذه الدروس باساليب العلم الحديث وتقدمت على سبيله اشواطاً بعيدة . وانني ان اتوقف طويلاً عند Guidi اذ لا يخفى عليكم مكانه من السلم الراسخ القدم في عالم الشرق والاستشراق على السواء . بل اقول كلمة في Amari ، وقد لا تعرفون منه غير الاسم ، وان كان من اجل الناس عندنا ، لانه جمع بين العلم والعمل في ايام نهضة ايطاليا السياسية اي في عصر Risorgimento ، ولد Michele Amari في جزيرة صقلية في اوائل

القرن الماضي ، الجزيرة الإيطالية الجميلة والتي ظلت سحابة قرنين تدخل ضمن « دار الاسلام » ولم تزل العربية فيها قرناً ثالثاً لانه اتحدث والكتابة ينظم فيها الشعر وترسم بها الكتابات على قصور الملوك النصارى ، انفسهم كما تشهد به حتى الآن بعض الآثار الباقية في

الدروس العربية في ايطاليا

علم المشرق الإيطالي فرنسكو جبريلي

http://Archive.ta.Sakhrit.com

مدينة (بلومه) عاصمة صقلية . وقد دفع Amari حب الوطن فضلاً عن الاستطلاع العلمي الى درس هذا العهد البعيد المجهول من تاريخ بلاده . وان مؤلفه العظيم « تاريخ مسلي صقلية » الذي جدد طبعه اخيراً بزيد من التعليقات ان ابرز آثار القرن التاسع عشر ليس في علم الاستشراق فحسب بل في علم التاريخ عامة . ولئن لم يتطرق Amari الى غير التاريخ العربي الصقلي فانه اصبح حجة في هذا الباب وقفا زاد عليه المحدثون .

قلت ان Amari جمع بين العلم والعمل ومن اجل ما تراه تنظيم الدروس الشرقية في ايطاليا يوم تولي وزارة المعارف بعد اتحاد وطننا فقد اسس مدارس وكرامى مختلفة للدروس الشرقية لم تبق جميع السوء الطالع الى ايماننا هذه ، حبينا ان نذكر كرمها مدرسة فلورنس المزمرة في اوائل القرن التاسع عشر التي علم فيها Amari وفيها مات والتي ضمت قبل تالاشيا فروعاً للعربية والسنسكريتية والعوية ولغات الشرق الاقصى . وان اقتصر Amari على درس علاقات العرب بجزيرة فقد

اول المؤرخ الايطالي الثاني الكبير Leone Caetani التاريخ الاسلامي القديم برمته : وقد كان له فيه من سعة الاطلاع وسعة النظر ما لم يبقه وربما لم يبلغه غيره بعده . وليس في الشرق من يحمل اسم الامير Caetani وقد عرفه الى الشرقين الاساذ محمد كرد علي في كتابه المفيد « غرائب الغرب » ذاكرة بأعجاب اعراضه - وهو امير مقرر ذوال - وضياح - عن عمر امثاله من الانبيا ، وانقطاعه للبحث العلمي الخلد اسمه الكريم . وان مؤلفه Annali dell'Islam الذي نشرت منه عشرة مجلدات ضخمة في العقود الاولى من هذا القرن لمو اكل وادق مجموعة لما بلغ اليها من الاخبار عن صدر الاسلام عن الرسول محمد والحلفاء الراشدين (اذ لم يجاوز المؤلف خلافة علي) ترجمها وحلها وعلق عليها وخصها بنظرات نقدية شاملة واستطرادات علمية هامة فقد كانت فتوح الرب في نظره آخر - ووجه من موجات الشعوب السامية الزاحقة في العالم القديم ، بيد انه قد استرعى انتباهه في هذا الزحف ما انطوى عليه من قوى سياسية واجتماعية واقتصادية ولم يقدر حق تقديره (شأن سائر زخمي عصره) العامل الديني نفسه . ولا شك انه بوسننا اليوم ان نمعن النظر فيما فاتته فنكسل ما نقص في نظره من تقدير هذا العامل الى ما استنبطه Caetani نفسه من تأثير العوامل السياسية والاقتصادية . وقد نبه Caetani في تحليل الشخصيات العظمى من الصحابة والحلفاء كتابي بكور وعمرو عثمان وعلي وان فاتته شخصية الرسول كما قلنا من قلة استمداده لتقدير العوامل الدينية .

على ان تجرور Caetani من كل تركة دينية لم يحمل دون مصادقته العرب ، صادقة خاصة عيقة جلبت عليه نعمة اهل وطنه يوم لم يرض عن احتلال ايطاليا لايبيا . وقد كُتِبَ لمؤرخ الاسلام العظيم ، الساخط على كل عتف ، السامع للديمقراطية الحقنة ، ان يموت في كندا عام ١٩٢٥ بعيداً عن بلاده متغياً بارادته بعد ان وهب مكتبته لحجم Lyncei ووقف ثروته للدروس الاسلامية وفقاً لا يزال قائماً يحمل اسمه . وفي بقيتي لني اجماع عن عواطفكم ان حبيبت هنا ذكراء تحية الاجلال من هذه الارض العربية التي لم يضرها الا الحب والاخلاص . الى جانب هذين المؤرخين Amari وCaetani الذين تمتاز تأليفها بشمول النظر وطول النفس سلسلة من العلماء وليسوا دونها شهرة ، وان اختلفوا عنها مزاياء سلسلة من العلماء عاشوا في اواخر القرن الماضي وبدء القرن الحاضر وانصرفوا الى درس اللغة وفقها وادبها اكثر منهم الى درس التاريخ نذكر بينهم Celestino Schiaparelli تلميذ Amari ناشر الشاعر ابن حمديس

الصقلي وناقل خلة ابن جبير القيسية الى الايطالية . ومنهم ايضاً وفي الطليعة C. A. Nallino وIgnazio Guidi اللذان نالا في العالم العربي الاسلامي كل ودية اجلال . ولنا اتبع لي ان ادرك I. Guidi في اواخر حياته فقط ولم يتبحر لي الارتباط بعلاقات خاصة مع شيخ المستشرقين الايطاليين واسامهم هذا الذي بذل جهده طول عمره للدروس الشرقية ولا سيما التورنية . فاما ذكرواني الشخصية المملوءة باعجاب التلميذ ومودة الصديق فهي لنجل Ignazio الكريم ، Michelan-gelo الذي سار باستقلال الاسلوب والري على طويق والده المشهور فلم في جسامته روما للغة العربية وادابها ثم خلف تاليوني في كرسي ترويج الاعلام والانظمة الى ان اغتومه الموت قبل الاروان منذ ستين فكان المهول على قدر الماغتابة . ولا يخال ان « الجويديين » تسلموا صولجان الاستشراق طوال ثلاثة ارباع من قرن فكان الولد اللغوي المدقق الذي وقف جهده على نشر النصوص القديمة (فاشترك مثلاً في نشر تاريخ الوصل والملك للطبري) ووضع الابحاث اللغوية ، وكان الولد المؤرخ البصير الذي وجه اهتمامه الى المبدع الاسلامية ومسا اليها (كالمقرلة والحوارج والمزدكية والفيزيدية) مشبهاً آثارها بنظر ثاقب شغوف يعينه على فهمها ليس مجرد العقل والاستطلاع العلمي فحسب بل وشؤون ديني عريق طبعت به شخصياته الفردية ، ولا شك ان بينكنم غيبي بمن يذكرو Michelangelo Guidi ويشاركني في الشرق والحمان الى ذلك العقل النير والجد البصير تصفاً قصفاً في تمام نشاط الرجولة .

ولا اطيل الكلام على مستشرق آخر من كبار المستشرقين الايطاليين عنت به C. A. Nallino الذي ذاعت شهرته وهو حي حتى اطراف العالم العربي الذي تعرفه خصوصاً بفضل دراسات المفكر المصري صديقي الدكتور عبد الرحمن بدوي وترجماته لبعض الجماحة والذي كان يريد على حد تعبيره ان « يعرف عن العرب كل شيء » فكان يبلغ ما يقني وضار في سنة علمه مجراً زائراً قضى العمر متقشفاً وادماً ، منصرفاً الى التنقيب في شتى مواضيع الادب والثقافة الاسلامية من علم النجوم الى علم الكلام ، من الفقه الى التصوف ، وما طرقت باباً الا التي عليه نوراً ولم يكنف بالتنقيب في الكتب بل قطع في طلب العلم بلاد العرب كلها من اقضاه الى اقضاه - فتروغل الى متبة الحرمين في جزيرة العرب نفسها - حتى ادركه الموت المفاجئ . وهو يعمل في مكتبته للشمعة في الاسلام والشعوب العربية فكان تأسف الشرق والترب لتقدانه شاهداً له بالرائسة المطلقة في عالم الاستشراق الاوربي الدرجة الاولى بين المستشرقين الايطاليين .

مكانة لم تفقدوا حتى بعد وفاة مؤسسيها .

ولا يفوتنا ان نذكر ان هذا المهد قد نشر في ستة مجلدات الآثار العلمية لنيلينو Nallino في السنوات العشر بعد موته فصار هذا المجموع من المجلدات الستة (التي ظهر الاخير منها في الصيف المنصرم) من انفسها نتج الاستشراق الايطالي منذ اوائل هذا القرن . وكذلك نشر المهد للشرق المذکور تأليف Laubilliana في الشرع الاسلامي الذي سبق الكلام عليه كما نشر خير كتاب عندنا في قواعد العربية وهو V. Vagliari J Gram. teor. prat. della ling. Araba الذي جرى طبعه هنا في لبنان .

ولم تقو هذه الحرب العالمية الثانية المنيع على نحو المعاهد الشرقية المنزه عنها فهي لا تزال قائمة كما ان مجموعات المخطوطات لا تزال - والحديث - سليمة اذ لا ينبغي عليكم ان بعض مكاتبنا سيما الفاتيكاني في روما والاوروبية في ميلانو تحفظ كنزاً عن المخطوطات العربية وهي بعيدة من ان تنفذ على كثرة ما استقبلنا من النشرات والابحاث . ايها السيدات والسادة ، آمل ان تكون هذه المجلة قد اطلعتكم ، ولو بعض الاطلاع ، على الجهود الايطالية في الاستشراق منذ قرن بالتقريب ولكن ما ذكرت على مسامعكم من اسماء وعناوين لم يمكن ان يفي امامكم اولئك الاشخاص وان يعرفكم الى ما اضمروا في قلوبهم من الحمى وفي نفوسهم من الظلم الى هذه الدروس ، اعني ما كان في تلك النفوس من سعي الى استقصاء حضارتكم والى ادراك الحق المجرد . ولعل بلادنا تقدرت هنا من غيرنا بان البحث العلمي لم يتبع فيها المصالح المادية والسياسية واغراضها بل سبقتها . فقد بحث Amari في تاريخ حقبة العربي رغبة في اضافة صفحة غامضة من تاريخ وطنه . وبحث Caetani وهو عدو عنيد لكل استعمار واضطهاد فرأى في التاريخ الاسلامي عاملاً مهماً من عوامل حضارة البحر المتوسط وقد بحث في بحثاً علمياً مستقلاً بمحض بلا غير ولا تمصب . وبعد ان استعمرت ايطاليا مستعمراتها لم يسخر مستشرقوها علمهم لجذمة مصالح مادية مآرة وان افادوا بلادهم من علمهم (كما كان من حقهم) وواجباً عليهم ، فما تسامحوا يوماً واحداً في سبيل هذه الافادة بل برزاة العلم ولا بكرامة الانسان . فحق لنا نحن العلماء المستشرقين في ايطاليا ان نصدق ان تجدنا عن صداقتنا للعرب وسعيها الى التفاهم بين شعبينا حتى لا اظن واحداً منكم يشك في اخلاصنا او يبتسمنا بالراء . وها انا ذا آخر هؤلاء المستشرقين وقد وفقت في هذه الايام بوطء ارضكم الفريضة وتشرفت بهذا التحدث

- البنية في صفحة ٤٨ -

ولا ينبغي وقد ذكرت Nallino ان انجازوا من ذكر مستشرق آخر كان من ماصريه ولم يقل عنه نبوغاً على عزله وطيب خلقه الا وهو Dr. Santillana الذي انصرف الى البحث في الشرع الاسلامي ووضع فيه كتاباً جاء فريداً لم يضاعفه فيه ، ولقد اوردني عمياً واتساعاً . وان من ذكرت من كبار معلمينا قد طارهم الموت جميعاً ولم يبق منهم في قيد الحياة الا G. Levi della Vida الباحثة الشهيرة الذي علم اننا الحرب في جامعة Philadelphia الا بركية ثم عاد بعدها الى روما . ولكن نشأ مستفيداً هؤلاء الاساتذة جيل جديد من المستشرقين لا يزال يحاول في بلادنا حفظ مستوى رفيع لهذه الدروس .

اما مركز الابحاث العربية الشرقية التي كانت في اواخر القرن الماضي . وزعة في مدن مختلفة من البلاد (كنارنسة وتورينو وبارنو) فقد تجمعت الآن كلها تقريباً في نابولي وروما ولا يزال قائماً في نابولي المعهد الشرقي المؤسس في القرن التاسع عشر لتبينة المراسين على انه تحول اليوم الى معهد عال درس فيه اغلب المستشرقين ولم يزل الى اليوم مركزاً مستقلاً عن روما . لكن روما ما لبثت ان اصبحت مركز الاستشراق الاكبر نظراً لجامعتها الكبرى ومكاتبها ومتاحفها ولسكني العلماء وعلمهم فيها . فان المدرسة الشرقية من كلية الآداب في جامعة روما تضم اليوم اساتذة لتعليم معظم اللغات الشرقية . فبها فيا خصل الدروس العربية فروع لتدريس اللغة والادب والتاريخ والادب الاسلامي واللغات العربية الدارجة كالعربية والطرابلسية وفروع تكميلية اخرى . وفي روما الى جانب المدرسة الشرقية في الجامعة التي تنشر منذ ٤٠ سنة « مجلة الآداب الشرقية » ، مراكز اخرى مزدهرة منها « المعهد البابوي للكتاب المقدس » الذي درس فيه اعداء طوبيلة مستشرق انهي عمره بين ظهرانيكم عنت به الاب Lammens وهنساك « المعهد لدرس الشرق » الذي اسسه منذ ٢٥ سنة المستشرق Nallino والذي تصدر عنه مجلة لا اخالكتم لجلولها هي مجلة « الشرق الحديث » وهي بمثابة سجل شهري للحركة السياسية والاقتصادية والثقافية في الشرق الاسلامي تستقي معلوماتها مباشرة من الصحافة العربية والايرانية والتركية) وتنتشر الى جانب هذه المعلومات ابحاثاً قيمة حتى اصبحت غزوباً لما انشئ على مثالها من مجلات من هذا النوع في ألمانيا وفرنسا واميركا . وان اعداد هذه المجلة لتؤلف مجموعة من الوثائق لا يستغني عنها مؤرخ العالم العربي الحديث منذ انتفاة الجرب العالمية الاولى ، فبعد الانتدابات ، الى ايامنا هذه . وان ما اتصف به مؤسس هذه المجلة من صفات الدقة في التحقيق العلمي قد حصل لها

الحياة الى الادب العالمي كمسح غوري منذ طفولته ،
وفي سني شبابه ، ضربات شديدة ما كان يستطيع التغلب
عليها والتهرض من كبوها ، فولا الوعرة الادبية النظيفة التي فطر عليها ،
ولولا خلة الرقيق الذي ابرع عليه ان يذل أو يستكين ، ولولا قوة ملاحظته
ودأبه الحاذق على المطالعة المستمرة ، بعد أن تعلم مبادئ القراءة والكتابة ،
في أشد ايام ناسته وفي أحفائها بالعمل الجسدي الرهق .
ولد غوري ، واسمه الصحيح الكسي بشكوف ، في ٢٨ آذار (مارس)
سنة ١٨٦٨ في مدينة قديمة على الفولغا تدعى نيجني نوفنودود . وكان أبوه
تجاراً قديراً قوياً وابنه لا يزال في اراية من عمره ، فانتقل الطفل الى
كنف جده ، حيث عاش حياة مظلمة مفرقة في البؤس والمذابح .

وقد روى انه ما كان يتنقل الى هذا البيت الجديد ، حتى امر جده
بتعليقه الصلاة ، وتذكيره عنه ناتالي للقيام بتلك المهمة ، فجعلته :
« أبانا الذي في السموات . . . » فإذا سأله عن معنى هذه الكلمة أو تلك
من الدماء ، الروع بلفظ ملائمة متعددة قديمة ، ألقت فينا حولها نظرة
خائفة ، واجابت بلهجة الناصح المنقذ :

لا تسلم شيئاً . هذا أفضل . اكتب باعادهما أقول . هيأ أبانا الذي .
فكان يضطرب ويغلي ، وكانت تصرفاتها اليها ، وحركاها المتكلمة ،
تكرره وتثقله ، فلا يستطيع حفظ ما تفتهه اياه . . . وقد سأل جده بعد ايام :

— هل تعرف « أبانا » ؟
فاجابته العمة : — ان ذاكرته رديئة !
فقال الجد بابتهاج : — اذن فيجب جلدوا .
وسأله ما كان أبوه يضربه به ، فقالت
امه ان اباه لم يضربه قط وكان ينها من ضربه
لانه كان يعتقد بأن الضرب لا يفيد شيئاً . .
فضحك الجد من غياوبة الزحوم ، ثم قال وهو يذأب شره بغملة : — انني
سأجلد ساشكا يوم السبت !

لم يفهم الكسي ماذا تعني كلمة الجلد ، واتزوى في دكن مظلم ليفكر . .
لقد كان يرى الجيوب والكلاب ضُرب ومُجلد ، وقد رأى مرة في مدينة
استراخان جنوداً يضربون الاهلين . ولكنه لم يكن ليعلم ان الاطفال
ايضاً يضربون . على انه لم يلبث أن شهد ذلك حين جلد الجد ساشكا يوم
السبت ، بل انه ما لبث ان اختبره بنفسه اذ تحول اليه الجد ليعاقبه على
هفوة بدت منه . .

وقد وصف تلك المفاجعة في ذكرياته بأسلوب شائق مؤثر ، فزوى ان
جده ارتقت عليه وطوقته بذراعيها محاولة انتافذه من السياط ، فانقض الجد
عليها وضربها واتهمه منها ، فطلق يتخطب بين يديه محاولاً الانذلات من
قبضته ، يشد لحيته تارة ويضض اصبعه تارة أخرى ، وهو يمدد مزجراً ،
ضامطاً اياه على صدره ، حتى استطاع ان يثني عنقه ، فدفذ به الى القعد
وصرخ بحسنية : — اربطوه . . اربد ان أدخه . . .

فباع قلب الطفل تلك الصرخة التي قال فيها انه سيذكرها الى الابد ،
واتضح الجد عليه بيلده ، وانه تزود من حوله ، وقد شحب لوناً وجعجت
عينها ، متوسلة ان يبق عليه ، وهو ماض في جلد الطفل لا يرم حتى فقد الوعي .

لبث الكسي بعد ذلك مريضاً بضعة ايام ، مستلقياً على السرير في غرفة
ليس فيها غير نافذة واحدة ، وفيها قديلاً أحمر يشتمل خادراً وليلاً أمامه

تكدست عليه نقائيل القديسين . فكانت تلك الايام الرهيبة من أفسر ايام
حياته ، فشب وكبر وذكرها ماثلة في نفسه ملازمة لها ، وقد تركت فيها
أثرأ قوياً جديماً . قال : « ومنذ ذلك اليوم ، ولد في نفسي هذا الاهتمام
الغلق بالكنائس البشرية جيماً ، وكان قلبي قد انظر فظدا أكثر ردة
وأشد احساساً بآلام الناس ! »

ولم تكن معاملة الام لابنها خيراً من معاملة الجد . . . فقد تركت حياة
البؤس والذل في نفس هذه المرأة جراحاً عميقة كان لها جمع قوي في
سلوكها ، فحدثت حادثة الطبع شرسة الحلق ثائرة العصب ، تنقص من ولدها
لأوهي الاسباب . . .

وذات يوم عاد الكسي من لبيه ، فهرت امه اليه تسأله أين كان ، وقبل
ان يهد وقتاً للجابة على سؤالها ، بادرت الى الامساك به من شروء وتناولت
بيدها الاخرى ممددة ، وجعلت تشر به بسلطتها حتى ألقت منها ، وأمرته ان
يتاولها اياها ، فأطاعها ، ولكنها ما لبثت ان أقصته عنها ، فجالس أمام الولقد
يراقب حركاتها برعب . ونفضت هي فانجبت الى الركن الذي كان من عادها
الجلوس فيه ، واستلقت على السرير ، ثم اخذت بتدليلها لتجفف به عرقها ، الا ان
بدها سعلت مرتين متواليتين قبل ان يبلغ اللندبل وجهها . ثم صاحت :

— اربد ماء !
فلا الكسي الكأس وتناولها اياها ، فرفعت رأسها بقاء وشرب جرعة
واحدة ، ثم دفعت يده عنهما ، وتردد
في صدرها نفس عميق ، وأخذ يصرفها
يتنقل بين صور القديسين ، ثم استمر
على نطها . . . واقضى وقت طويل والكسي
الصغير مستسر الى جانب السرير
والكأس في يده ، يمدق في ذراعي امه وهما
يتصافان بجسدهما بقوة ، وفي دجها وهما تحاولان ان ترحقا على صدرها فلا
تستطيعان ، وفي وجهها الشاحب وهو يمدد ويتصلب وبظلم ، وفي فها الذي
انكشك ثم انفتح فجأة ولكن الطفل لم يسمع منه نفساً . . .
فبعد ايام من وفاة الام ، ناداه جده وقال له على انفراد :

— الكسي ، يا ولدي ، انك لست وساماً فاعطك في شفتي . وليس من
الممكن ان تقل هكذا عائلي . اذهب فاشرب في مناكب الاراض ،
فذلك خير لك . . .
قال غوري : فذهبت أنزرب في مناكب الاراض !
لقد كان في ذلك البيت خادم تقدمت به السن لا يقتأ يحسن في اذن
الكسي يشكوف :

— اذا ما فعدت بصري ، فاني سأذهب في اغاء العالم مستجدياً ، ول سوف
اكون أكثر سعادة مني الآن !
ولطالما قل في الصبي ، في سذاجة الطفولة وغرة العذاب ، ان يفقد ذلك
الشبح بصري سريعاً ليكون دليله ويحجب منه اغاء العالم . .

وهما هوذا ، وقد فقد أبويه وطرده جده ، يشرف في رحلة شاققة قلب
الحياة ، يكون فيها دليل نفسه ، ومرييسا ، وهو لا يزال في حدود
العاشرة من عمره .



http://Archivebeta.Sakhril.com

التربية وتطور البشر

بفلم الدكتور فؤاد ماردوني



فالتربية تسمى اذن الى خلق اخصائين في الاعمال، والمعرفة هي التي تجعلهم اخصائين . ولكننا نجد في مقاومة الطبيعة واخضاعها ، وتشر الإنسانية شعوباً قوية وشعوباً ضعيفة . فيبدأ هنا الصراع بين القوي والضعيف ، فيقضي القوي على الضعيف بحكم الطبيعة ، وتصبح قضية جماعات تسعى الى القضاء على الجماعات التي تتضاربها في العمل . فتنتج عن ذلك عواطف عدائية بين الجماعات المتجاورة ، ولا تظهر هذه العواطف الى الوجود الا اذا شعر القوي بظهور اعمال الضعيف . فكيف تكون اذن صفات اخلاق مجتمع مؤسس على مثل هذه العواطف ؟

اعتقد ان صفة اخلاق مجتمع مثل هذا هي النظام . لان العمل يتطلب نظاماً دقيقاً واختصاصاً ينتج نتيجة حسنة . فتكون الطاعة الفضيلة الاساسية لبناء مجتمع قوي، والتربية تقوي في الانسان حب النظام ، وتجمعه عملياً وذاتية صناعية . او ليس هذا المفهوم ضيقاً محدوداً للحياة الانسانية؟ كيف استطاع الانسان اخضاع الطبيعة؟ او ليس بفضل غر ذاكرته وسعة خياله؟ او لم ينشأ عن قوة تفكيره وتقدم معارفه؟ وبكلمة واحدة ألم ينشأ عن قواه العقلية .

فما لا شك فيه ان الذكاء . يسبغ على الانسان هذه الصفات الخاصة التي هي اثرن شي . عنده . ويتقن بفضلها ، ويحل لنفسه . مكانة في المجتمع ، وتقوى شخصيته ، وينمو فيه جميع ما يجب ان يتصف به الانسان . وان العمل الذي كان يظهر لاول وهلة مثلاً اعلى ، يحل الذكاء . محله ويعمل في تكوين الفرد . فيصبح الانسان بفضلها عاقلاً ذا جرأة وتفكير عميق ، والتربية تنمي عقله وتقوي فيه محاكمته . فالفضيلة التي يتبعها الانسان اثرن شي . في الحياة، تمثل الاخلاق العالية ، والتفرد في الحكم على نفسه ، والعمل الجيد . وهذا ما يدل على تغلب الانسان على عاطفته وغريزته وعواطفه للعقل فقط . فينشأ عن ذلك فكرة النقد الحز والدراسة الحرة . وللتعاقب في التربية

استقرت ثقافات الحياة الاجتماعية التي اوجت القواعد التربوية بأساليب متنوعة ، غير اننا نستطيع ان نغير من بين هذه الأساليب ، ورغم اختلاف المدنيات والحضارات ، ورغم اختلاف المنظمات الاجتماعية ، ثلاثة عوامل لها تأثيرات الاوضاع الاجتماعية، والسياسية ، والاقتصادية ، ومنها تنبع الزمان والمكان .

وقد نجد هذه العوامل الثلاثة في بعض الاحيان معاً ، ولكننا نجد في الوف من المرات ، بحكم الماديات والتقاليد ، عاملاً واحداً يتفوق على العاملين الآخرين ، ويوجه التربية . وان هذا العامل هو الاخلاق . الا ان العامل الذي يظهر لاول وهلة هو العمل .

لقد تكاثر البشر في هذا الكوكب الارضي، وتعدوا اقاليمه، وصارعوا البرد باختراهم النار، وجفوا المستنقعات، ورووا الاراضي الصحراوية، واخضعوا الطبيعة رويداً رويداً محترمين قوانينها على رأي «باكون»، واكتشفوا قوانينها التي زادت من قوتهم وبأسهم، واستعملوا قواهم الطبيعية لآتقفيه عن نفوسهم ، وتساقطوا اخيراً على الكون .

لا شك في ان الانسان بذل جهوداً جبارة لتأمين راحته، وفكر ملياً، قبل ان يبذل تلك الجهود، في ان العمل غاية، وهذا ما دفعه الى متابعة جهوده علماً انه ان الانسان لم يتحلق الا ليعمل . فالرجل الكبير هو رجل العمل . والشعوب التي تسير في مقدمة الامم حاملة مشعل الحرية والانسانية هي الشعوب القوية التي تعمل بجزم واقدام . فربية الطفل اذن معناها ان نجعل منه رجلاً قوياً يملك الصفات الخاصة للعمل . ومن جملة هذه الصفات ، الجسم الصحيح والقوي، خاصة في الامم الابتدائية . كذلك يتطلب العمل في الامم المتحضرة التوازن في الاعضاء . ويتطلب الى جانب ذلك ايضاً اشياء اخرى ، كفكرة التأسيس ، وفكرة التنظيم ، والاختراع ، والارادة . وان من شروط تقدم الادوات الصناعية الاختصاص في الاعمال

تظهر أكثر دقة في بعض الاحيان من ذكاء الرجل .

صفة الانسان هي حياته العاطفية التي لا توجد عند الحيوانات الا بشكل غريزي محدود لغرض تأمين ولمدة قصيرة . غير ان هذه العاطفة تلذّب عند الانسان امام عاطفة الشفقة ، والرحمة ، وحب الخير . والمعرفة التي يستطيع الانسان ان يفر بها بين الخير والشر ، هي ما يختلف به عن سائر الحيوانات . فهي احسن من القوة ، والذكاء . لان الرجل مخلوق فاضل ، فالصفة المهمة ليست القوة ولا الحكمة ، بل هي الصلاح والتوجع من آلام بقية الناس والمشاركة في شعورهم ليخفف عن آلامهم . وان زهرة الفضيلة هي الانسانية . وليست كما يعتقد بعض الفلاسفة والمربين حب الطاعة ، ومعرفة حكم النفس ، وانما هي معرفة التعادلي ، والتضحية ، وبذل النفس . وهذه من خصائص التربية .

فالقوة ، والحكمة ، والنشاط ، والذكاء ، والطاعة ، وقهر النفس لا تعادل التضحية ، والاسعاف ، وعمل الخير . ولا شك ان التمييز بين هذه الصفات صعب جداً لو لم نستطع ان نفر ذلك علماً منا ان الاخلاق هو العامل الذي يبرز في جميع الانظمة الاجتماعية . يتضح لنا من هذا الشرح ان العامل الاول يوحى اصول التربية التي تتم بتربية الجسم والطبع ، ويستند العامل الثاني على الثقافة ، ويعتمد العامل الثالث بالاخلاق .

تتشكل مبادئ الاخلاق كما بين ذلك « دور كايم » من ثلاث قواعد اساسية . تبني القاعدة الاولى على النظام والاستقلال بالطبع ، وتبني القاعدة الثانية على التفكير العقلي ، وتبني القاعدة الثالثة على الصفات العاطفية . فتتلام هذه العوامل الثلاثة مع العوامل النفسية الموجودة في الانسان . غير ان التربية تفرق بين هذه العوامل الثلاثة وفقاً للعامل الذي تختاره . وقد نشاهد مراراً هذه التفرقة بين العوامل الثلاثة ، ففى ان فكرة الاستقلال بالطبع تجدد وقد تهتم فكرة النظام ، وان فكرة التضحية الزائدة قد تؤدي الى احتقار العمل والمعرفة . وان هذه التفرقة لا تدل على عدم امتزاج هذه العوامل الا اننا اذا اردنا ان نفرق بينها يجب علينا ان نفعل ذلك بصورة واضحة . والجدل الطويل في هذا الموضوع قد يحيد بالمرء عن الهدف الذي يبينه . ولهذا نسعى الى اجتناب هذا الخطأ الذي يرتكبه الكثيرون في دراسة العناصر القوية والضعيفة في كل عامل من هذه العوامل ثم نظهر كيف امتزجت هذه العوامل في عهود مختلفة ونستنبط منها الافكار التي توحي وتقرّد التربية الحديثة .

فؤاد ماربني

عبد

المطر الضائع

من ديوان النتن الحالم

يا انت

اني لن اعود

وسوف يتبعك انتظاري

سيضيع عطرك في الفراغ وما غوى غير احتقاري

واذا بعينيك اللتين عبت ، ماؤهما انتصاري

تستجديان هواجساً تومي لفكرك باصطبار

فتطول وقتك السخية - وبها - ويطول شاري

ويظل يحملك الحيسال ولن يقر على قرار

غل الزمان بامنياتك واستباح حتى المدار

فاذا بدتلك الطليقة تستغيث على اسار

ويكاد يربط كل شي . في وجودك بانتظاري

يا انت

اني قد عشت

ولم ازل طرباً بمباري

وغداً امر عليك معتذراً فيخذلك اعتذاري

بلند الجبري

بفرد

المكانة الاولى . والدراسة يجب ان لا توسع في الطفل افقه العقلي ، وانما تقوي فيه المعلومات العامة عن اعمال الانسانية التي قام بها الباقرة لتجمل منه في المستقبل رجلاً ذكياً ، مفكراً ، يقظاً يستطيع ان يعقد الانسانية على ضوء الحقيقة الزائنة . غير ان هناك مثلاً على آخر اعظم من رجل العمل ورجل العقل . لان بين سلطة الانسان والحيران وبين نشاط قواه العقلية فرقاً كبيراً . الا ان الفرق في الجوهر والخصائص لا في الحكم . فيتقارب شبه بعض الحيوانات مع الانسان في نشاطه الاجتماعي ، كالنمل ذي الغريزة الحثية والمهولة

ريبع باردة تخفق في حنايا الليل ، فتنود رؤوس الاشجار
السامقة نحو شرفات التصر وتوافذه . وتتراقص
الظلال المتشابكة المظلمة على الجدران الشائعة ، وتختلج السناجر
الحملية الرقيقة في النوافذ الملبية بنبت من ورائها نور راعش رقيق
يتهاف فوق رؤوس الاشجار الضاربة بأنين الريح .

وتروض بين طباق الاحم المحمد في وجه (ام بديعة) يؤذنان
صغيرتان تطفوان بخما . البهو اللانيق ورياشه النالية ، وتخطان هنية
على اذيال السناجر المضطربة الماربة الى داخل البهو من وجه الرياح .
البلاء ، آه لم ينتضر بعد ! رجفة في ظفري ، اين مشلي
الصوفي ؟ رائحة التفاتين ، بديعة افتحي هذا الدرج ، اقول هذا
الدرج ، كهنا يا ابنتي ، عجنوا . اين بطرس ؟ اشعل النار في الموقد ،
نعم يكفني ، يكفني ، لا تضع حطباً كثيراً . النار تشتعل ، المهرب
الاحمر ، السنة الشياطين ، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . اقول

يكفني ، لمن اتحدث ؟ آه ، يا كلب ، كأنه
ينفق من مال ابيه . تزاح ، وبصوته العالي
المبحوح : تزاح ، تزاح اخارج من الكينف .
إف ، رائحة المراحض ، والفأس في يمينه
والمسبار الاسود الطويل على كتفه وذيل ثوبه
. . . ملق في حزامه ، وقدماه قطبعان على
الارض شبيههما الاسودين . تزاح ابن تزاح
ابن تزاح .

وتلمح « جاريتها » تدرثر بعباءتها وتلفها بأحكام حول ساقيها .
- ام سهام ، بردت ؟ عيب عليك . . . الدنيا ربيع . . .
- عاد الورد والله يا ام بديعة ! - هذه هبة عابرة ، الدنيا ربيع .
وتقسم ام سهام : ربيع هه ، الدنيا زهور ، ولكن البخل ،
البخل ، خابية ابن ستركاين كل هذا المال ، رجلك في باب القهر ،
وليس عندك غير بديعة ، وبديعة من فضل الله في رفاة ، زوجها ينهب
مال الله وعباد الله ، هه . . . سكتة ، اذا لم تنعمي في حياتك الآن ،
ففي سنتين ؟ وتصيح ام بديعة : - بطرس ، بطرس !
النار تتأجج في الموقد رجفة في ظفري ! الدف . يشبع في العرفة
المثل الصوفي في الدرج ، رجلاي قلابان
من الثلج .

« نعم » مطولة ، ووقع اقدام
بطيئة ، وبطل وجه الخادم الشاب في
شق الباب . - نعم !

- قل لبديعة عندنا ام سهام 1 - امرك .

بديعة مضطجعة في فراشها الوثير تقرأ رواية خلية .
ام سهام ام سخام ، حسناً ، آتني . انا آتية . . . فمت .
- ماذا اقول للاخام الكبيرة ؟

ويحدق بطرس في الجسد القائن الرشيق ، في القسم الترمزي
الصغير ، في الحيد الاثلام والصدر الناهد ، في القدمين المساجيتين
الصغيرتين ، ويمارد النظار مراراً الى الساق البضة العارية وقد انحسرت
عنها الغلالة الحريرية الرقيقة الناعمة . . . وتحضي بديعة في مطالعتها
الصامتة : « ثم احتضنها . . . احتضنها بشدة » .
- ماذا اقول للاخام الكبيرة ؟ - فمت !
ويلقي نظرة اخيرة على القدمين المساجيتين والساق البضة
العارية ، ويتأوه مولياً الادبار . . .

« ثم احتضنها ، احتضنها بشدة ، فاحست
بجسدها يضطرم بين ذراعيه الجبارتين ، ورفعت
اليه وجهها اللامع تريد ان تقصص نظراته
بمهبها المشرقتين ، فوجدت مهبته ترغان
وتوسلان وتهمسان : اريدك ، اريدك !
ثم احست فجأة بشعلة ناعمة تطبق على شفتيها
الظالمتين ، ولم تدرك في هذا العالم . لقد
تفتحت لها ابواب عالم آخر » .

وتضع بديعة الكتاب جسانياً ، وتحلم : اريدك ، اريدك
يا حبيبي . . . اي مدحجة . هنا ، هاهنا على الحائط ، ادفعيني
بجسدك المحذوم ، ضمي يديك حولي ، هكذا هكذا . . . وهاتي
شفتيك . كل شي . . . كل شي . . . كل شي . . . اجل . . . اجل
كل شي . . . على كل شي . . . ششني .
الساعة تدق تسعاً ، ام بديعة تنود برأسها : اين انت يا رجل ؟
ألست تريد ان تنود ؟ الا تلت عندي بيت ، عندي امرأة ، عندي
ولد ! من الصباح حتى الآن يقبل طلال ويعطيه القسط المدرسي
اثنا . الفادر . النجاش ، هه ، مثل هذا الحمار ينبح ؟ مثله السكر
والقادر والرخص وراء البنات انت
افسدته ، اي والله انت افسدته ،
تحشر جيبه كل يوم بالذناجر .

وتلف ام سهام لفافة ، ثم قبلها
باسانها ، وتنتظر الى ام بديعة



http://Archive.Ita.Sakhril.com



من وراء زجاجتين حبيبتين : - هل الف لك واحدة ؟

- لا ، رميتها الآن . دخنت كثيراً . قلبي يقل اليوم . الحنة شديدة والهم كبير ، لو كان كل اصهار الناس مثل صهري . يحك رأسه ويطل من النافذة ، قامته الضخمة وكوشه المندلق وعينه الجاحظتان ، قبل تسعة عشر عاماً . لا ، لا ، قبل ثمانية عشر بالتام ، اول سنة له مع بديعة ، كان يقبل يدي صباح ، مساء .

وتشمل ام سهام لقاتها : - تأخر اليوم ابو طلال !

- نعم . . . (وتتحسر) . . .

بيت الصهراني . تتلوى وتتضاحك ، آه يا عاهرة . الماهرات اشرف . وجوه مطيبة بالاحمر والاييض ؛ اعجاز القردود ، تمر في غربة . المبني الملم والشرطة وقوف في بابهِ والناس يدخلون فيه افواجا ، عيد ، عيد الحثالات ، والاطفال في ملابسهم اللونقوية كضون في الشارع والاراجيح ودوار شديد وقبي . . . والمربات المحملة بالنساء والاطفال ، واغانيم ترتفع الى السماء ، وضجيج ، ضجيج في كل مكان ، وفرق الموسيقى تنفخ عني يا بيع الورد . عني يا بيع الورد بطوس اعظم درهماً ، انزعجونا ، اصرفهم . !

وتسأل ام سهام : - اظن ابا طلال في بيت .

- بيت الصخاني بك ، نعم !

خليل بك الصهراني ماها هاه ، قوادين القواد ، الافضل لو كان قد تزوج واحدة من المبني . انا لو كنت رجلاً لأبقي هذه الماهرة يوماً في بيتي ؟ ولكن اين الفيرة والشرف . اين الرجال ، هل بقي في العالم رجال ؟

وتنظر الى صورة ابيها المعلقة على الجدار ، وتبتسم ام سهام :

- سبحان الله ، مذ عرفنا هؤلاء وعرفونا اضطربت الاحوال .

- قصة . . . اشرون سنة ثم يتركها . هذه الوردة الشدية ، لير كض وراء الشيخة المتصاية ، آه يا عاهرة . كلاب كاهم كلاب ، اين يا بلقرا الاثنى يشوا عقباء ، بديعة ، بطرس نادها قتل لها ام سهام عندنا . . . بطرس !

« نعم » من بعيد ، ثم يطل وجهه . - نعم خانم .

- اين بديعة ، نادها مرة اخرى ! - امرك .

تعال افرك قدمي ابحمر وجهه وترمش يدها ، خايب ماذا اصابك ؟ لا ، على مهل ، من قلطني ، مريم ؟ كحيل اصغر قاعدة في المطبخ تصنع رقائق الخبز ، حمار ، اهذه امرأة ، انت اجمل منها . وتقفز بديعة من فراشها الوثير : - بطرس ، زدر ثوبي من

الحلف ، واعطني المطف الايض !

ام وجه الغراب وكل يوم ، كل يوم ، تاركه يبيتها ولاصقة بنا ، البهو المظلم والاثاث العتيق ، وصورة ابي سهام معلقة على الحائط في اطارها الاثري ، خنزيرتين الرقبة ، صورته في شبابه . كيف كانت ام عيني الغراب - وراء الزجاجتين - ايام شبابه ؟ والله تبتنا . هلكنا من رؤية هذا الوجه المنحوس ، كل يوم كل يوم . آه يا امي لو اعلم ماذا ترين فيها ؟ امي قاعدة تنفخ بصوبة ، حلم وشحم ، خطر على القلب ، والدكتور ناصر .

وتتقدم يدا الخادم الشاب الى فتحة ثوبها عند العنق ، وتلامسان الازرار الباردة وتسري فيها رعدة : اهو زيد ؟ يا الله هذا الهم الايض الناصع ، هذه النعومة ، هذه الحرارة ، ومشد الصدر الطوري ، رمانتان بيضاوان ناعمان . وطابا صدر مريم ، وهي مكومة في الفراش الدافئ . . في الصباح الباكر - تعال . - لا ، لا ، الخاتم تصيح اقبلة كايوة حمار في الحد ، جيفة فيها ، ساقان ضخمتان محموران تنادران الفراش ، وحناك فوق حناك وتنتاب . . - نغسانة ؟ الكنيسة غارقة في ظلة العنق والقس بشبابه المبية يعقد الزواج . آه لا تقربي !

- عيب ، عيب تنتابين . - اطالها ، متى ينتهي ؟ - صه ، عيب ! باسم الاب والابن وروح القدس باسم الاب والابن ، خادمة الله ، وروح القدس ، خادمة الله مريم مريم يوحنا في الصحوة المرض في القفر والفتي ، اطيمي زوجك عبدالله المسعى بطوس ميسا ، وانجي وانجي له ذرية صالحة . .

وتصيح بديعة فجأة : - يكفي ، ألم تنته ؟

- انتهى ! - هات المطف الايض ! يسرع الى الخزانة ، ثم يضم المطف بيد ممتوجة فوق كتفها .

دوي قهقهة يتلاشى . وتختلج البورتان الصغيرتان بين طباق اللحم المحمد وترششان نظوة عجبلى على وجه الساعة الاثرية المثبتة في الجدار .

- اما تخابرين زوجك ؟ - واين هو ؟

- في بيت الصخاني . اين كان يكون في غير بيت ؟

- هي هي هي هه . وتحظر بديعة في البهو رشيقه مياسة ، ينبعث من اعطافها عطر فاغم شدي ، يروح ورائها كحلهم سحري شفاف يحضن كل شي . وترفع سماعة التلفون وتدير القرص اربع مرات وتنتظر . .

ام وجه الثواب تجلج في كمامتها . . حسودة ، غمامة ،

جوة الشر ، هل ابقيت على حالنا شيئاً ؟ الله يبقأ عينها ويقتد العالم منها ، امي منحنية تقفأها على الورقة بالدبوس ، جعلتها غريباً .
الفرجال الصغير في المطبخ ، والطبخ يصنع فخريه ، وامي ترمي الورقة في نار الموقد وتقرأ آية الكرسي . - هالو اريد بمدوح !
ويدهم ام سهام شعور بالقطعة ، فتدرد رجليها وتنش بسل رثتها نفحات من العطر الحالم الشائع في البهر : غال جداً ولاشك .
امس في مخزن عبد الحميد المظالم ، سهام تشتري قنبلة عطر صغيرة بنصف دينار ، حرام يا ابنتي والله حرام تبدين نفودك في هذه التوافه . - كل الناس انعم ، اولئك يبهبون ، اين منهم ليوك المسكين . يشد رباط رقبته امام المرأة ، وسيارة محملة بصافائح السمن تقف امام بيت بمدوح بك والظلام والحاسم يصغر ويقترب والحالون يصعدون ويترلون في ضجيج ، وبديعة تصرخ وتشتتم .
وتتسلل ام بديعة في مكانها بازعاج ، وتسلم بضم سلات وتخط في مندبها بصوت مسرع : آه يا بنت ، ليس يحملك شي ، حتى ولا صعة امك . كم مرة نهيتك ان تتركي هذا العطر . انه يؤذني الاثرين ؟ انا عندي « احتوران » ، ألم يقل امامك - عندي « احتوران » ! الدكتور الحائب - يمنح بفحص صدي وتظهر . مسكين يكاد يرحف على الارض . قمي . صغير هزيل . معاذ الله ، يا جوج ومأجوج ، ونيران الجحيم تتلظى ، والنار تشتعل في الموقد كالسنة الشياطين ، اللهم عفوك وعفوانك ، اللهم عفوك وعفوانك . اللهم عفوك وعفو . . . والبلاء ، آه لم ينقض . بعد ! الدنيا زهير رجة في ظهري ، عجزنا يا ابنتي ، والمثل الصوفي الاحمر فوق كتفي ، ماذا ماذا يقول بمدوح ، لن يأتي ؟

- نعم ، زيد ان تمشي ، متى يأتي ؟
وتضم بديعة الساعة بجنتي ، وتود الى مجلسها : - سيأتي « البك » بعد نصف ساعة !
وتحتلج البرزتان الصغيرتان ثانية ، لترشقا نظرة اخرى على وجه الساعة الاثرية المثبتة في الجدار ، وتحدق ام سهام في وجهها المستطيل يطل عليها من مرآة جانبية قريبة من مجلسها وتلمع الشعر المتناثر فوق ذقنها وعلى سطح شفتها العليا ، وتطيل النظر :
وحدي في الزفة وابو سهام في الحمام وارجلي بمدودة على الفراش ، والمرآة الصغيرة في يدي ، والملقط باليد الاخرى ، وانتها واحدة واحدة - آخ آخ شش إلف آخ آخ ، نفاظته ، النظافة . من الايمان ، والتي عليه الصلاة والسلام ، وسهام بثوبها الازرق في الباب - اماء اعتم ان يثبت الكحل المعجزة على وشواب كالرجال ؟

- من ؟ - جارتكم القديرة !
- خديجة ، اين تسكن الآن ؟ - في الفضل .
- آه ، يا تاكورة الجليل ، تأتي الى هنا ، ولا تنطف قدمها الى بيتنا . . . مسكينة ، تكبها الدهر بعد كل ذلك العز والرفاه .
- هكذا شأن الدنيا . . . وتتحصر ام بديعة ، وتقص ام سهام نفساً طويلاً من لافاتها :
- لقد مات زوجها ولم يبق لها ولا طفلانها غير راتبه التقاعدي .
- مسكينة ! - تريدان الحقيقة يا ام بديعة كل الناس مساكين هذه الايام . . . صحيح .

ان المرء لم يعد يعرف ما يصنع مع هذا الغلاء الفاحش . يرتق من هنا ينبتق من هناك ، صحيفة السمن ب ١٥ ديناراً وكبس الارز ب ١٨ ديناراً . في اي زمن كان الغلاء . هذه الغظامة ! والله ،

قبل ساعة ، لا بأس . ستسكت مثل كل مرة ، وينقلب العبوس الى سرور . اي اي انا اعرف . ، بدمية جالسة في استرخاء شهيم على الكرسي المريح ، قدمها الصغيرتان تطلان من تحت ذيل الثوب الوردي الطويل . تقرأ مجلة .

ويتحسس طلبة مخملة صغيرة في جيبه ، ويتسم : بيت الصهواني وضجيج الاطفال ومائدة القمار ومخاضات الكبار وسعيد يضرب نهلة والام تبسم بهود - اطفال ، بما يزلون اطفالاً ، ويخدق في اللعبة المخملة الزرقاء . غيرة المسكينة غيرة ، امرأة ، ماذا تصنع ؟ وزوجها - عاطل ومغلس . خليل بك يتنشق شيئاً من السموط - هل اعطيك ؟ - لا ، لا ، انما اشغ بد ها ها ها هاهه قه قه قه قه . . . ليت كل الزواجا مثلك . وتتضاحك الاعمية . امرأة فائقة ، انوثة انوثة ، صارخة ، دودة في يد فحام ، قه قه قه - لكل مقام مقال ، هذه اللعبة تقتلع الماصقة من جذورها - الماصقة في القلب يا بمدوح بك ، تلك لا تقتلع يا نبيته هانم . . . كما تخمدون عواصف الناس بالراض ؟ - هذه المرة بالانسان ها هاهه قه قه قه ، وتشفي الى الباب ويدها الدافئة في يدي وتضغط عليا ضغطاً قوياً . - تشكرك بمدوح بك - ا - على م ؟ - لانها . قضية سعيد . اوه في اليوم ادخل عشرات الناس في الوظائف واكثروهم غرياب ، سعيد مثل طلال ، كنت اريدك ان تشكركني شكراً حقيقياً . - كيف . وتبسم - ا - اقول كيف . - ذلك عندما يعاد خليل بك الى وظيفته ، ليس كذلك ؟ - انت اعلم قبله طويلاً ندبة للندبة وتدفعني بكلماتي يديسا برفق - الاولاد الاولاد ، ارجوك ليس هنا ، ليس هنا .

- في ذلك المكان اذن ، غداً بعد الظهر . - نعم نعم ، اذهب الآن ، اذهب ! . . . وتقف السيارة الفارغة امام القصر المنيف ، ويعرج مدوح بك بتؤدة ، ويسير في بحر طويل لاجب ، بين الاشجار الباسقة . يحف به جمع من الحدم والحراس ، ثم يدلف الى البهو الدافئ . ذي الرياش التالية . . .

ثلاثة حراس وقوف عند باب القصر الخارجي : كاظم - عاد الهد يا جماعة (وينفخ على اصابعه) . حسن - برد ، اين الهد (ويضحك) فيصطك فكاه . محمود - يبدو انك لا تشمر بالهد ، يا بليد ، انا اكاد اجد . كاظم - ها اجمعوا بعض الحطب من الحديقة . اذهب محمودا محمود - ان اذهب اكاظم - ولم لا تذهب ؟ انت حارس

لو تدوين بأي مشقة ادبر امور البيت كل يوم . من الصباح حتى المساء ، اكفر مرة مرة . مع ان ابا سهام والله الحمد ليسر الحال ، فكيف يا ترى يعيش بقية الناس ؟ .

- كل الناس في ضيق هذه الايام . الامر لله الواحد القهار . التني في ضيق والفقر في ضيق ، تصوري كل عام في مثل هذا الشهر بيتنا يمتلئ بالذخيرة من صفائح السنن واكياس الحنطة والارز والماش والعدس وكل شيء حتى الفقم والحطب . اما السنة ، فلا ندري ما نصنع . كل شيء غال . مثل النار ، والراتب مها كمه كيف يكفني مثل هذا البيت ؟

وتهمز ابا سهام رأسها مبتسمة ، صحيح ، صحيح ، انت تقولين وانا اصدق ! اذن اين ذهب الثوب واللب ؟ ولولم ار بيبي كل شيء . ا السيارات المحملة ، واصحاب الرشوة والهدايا . - هذه ثلاثة اكياس ارز وكيس حنطة من الشيخ سلمان . - هناك ، هناك بيت بمدوح بك ، ليس هنا ، وتتحرك سيارة الشيخ . ومدوح بك قاعد فوق الكرسي المريح يتر - والله ام سهام ، بشر في مقتداسي ، انا لا اجد فرصة ارتاح فيها من مطاليب الناس ، هذا يريد وظيفة وهذا يريد اجازة استبعاد ، وهذا يريد ان ينقل اخاه الى بغداد ، وهذا يريد ادخال ابنه الى احدى الكليات ، وهكذا وهكذا ، وانا اركض والمشاء خباز اصبح صحيح ها ها ها ها اذن من اين كل هذه السجايد الغالية كل واحدة بدينار ، ومن اين عقود الماس والذهب ، واكداس المنادير التي تصرف في القمار والمعارات والاراضي والانفاق ليل نهار ؟ لو كانت ساقية من فلوس لضربت الآن . ولكننا بجر من جلود الناس المساكين . زوجة عبد الجبار تقتحب وتضرب صدرها بيدها - اخذ مني منتي دينار ، الظالم اين الظالم ، ولم يد زوجي للوظيفة ، آه بأي شيء . بأي شيء . ادعوك يا كافر ، جلادون ، قساء القلوب ، كفرة . . . وقصص نفساً آخر من لغافتها ، وتطل فخرية مرتبكة حبية ، مطرقة : - الشا . حاضر ! وتبض بدمية بجرمة رشيقية : - تقضلي ابا سهام ، ها هي امي . . . ام تريدان ان ابعث اليك طعماكم ؟ - لا ، لا . . . انا آتية .

عقب لفاة يومض في ظلام السيارة الفارغة الانيقة . ثم يجبو ليومض من جديد . وكلما اومض ، بدا جزء من الوجه المنتفخ ذي العينين الجاحظتين والافند المهدل والانت المستقيم . وقمر السيارة تحت مصباح من مصابيح الشارع ، فيظهر مدوح بك في ساعته : الماشرة والنصف ، متى خابرت ؟ قبل ساعة ، هاه

قديم هنا ، وتعرف كل المداخل والمخارج . محمود - اخشى ان تعلم ام الخاتم ا كلهم - واذا علمت ، هل نحن مقفون جريمة ؟ محمود - اعظم من جريمة ! اذا علمت ام الخاتم ان تبقي هنا ساعة واحدة - انا ذاهب اجمع الخطب اذن دهما تعلم انك جبان .
إش اش برد ، لو ادري لم ابرد بعد المشا ، لا عني لا ، هي الدنيا باردة الليلة . وتلف ام سهام الباعة حول ساقها بأحكام ، وتجتأ ام بديعة ويلوح في وجه بديعة الغضب ، وتنفذ شزراً الى زوجها : - اما قلت بعد نصف ساعة ؟

- انت السب ، والله انت السب ، بديعة ! - بل قل اولئك الناس هم السب !

- اي ناس ، انا ليس لدي سوى بديعتي - اي نعم .
- انت اخوتني من المحبي . صدقي ! بشرني . - صحيح ، صدقت ! - مساذا اصنع مطالب لاتنتهي ، وانا مضطر ان اركض وراء الناس في الليل . - والله كاتلة ! اي مطالب ، اي ناس ؟ - ولرسلان الصائم ، لقد ذهبت الى بيته واخذته معي بالسيارة ، وفتح الدكان امامي في هذا الليل الهم . كل ذلك من اجل من ؟ من اجلك انت !

- حقاً او يفتح العلية المظلمة الزرقاء ، يألق في قامها خاتم الماسي دقيق الصنع ، وتبتجج بديعة وتبشع في ملاف وجهها النبطية : - آه ، هو بالذات .

- نعم ، اخوتي عنه امس ، وارطان . - اشكرك بمدح .
- هذا اقل ما يجب ان اقدمه لبديعتي ! وتحسرم ام سهام : نعم ، كل الناس في ضيق هذه الايام . النبي في ضيق والفقير في ضيق ، ها ها هاه ، - والله يا ام سهام ، اركض والعشاء خباز ! نعم نعم ، وبقية قهقهته العميقة ، لم لا تقول اركض والعشاء خواتم الماس . هاه ، خواتم الماس ؟ الخاتم الالاسي في اصبع بديعة تزينه للحاضرين ، يوم القبول ، والبهو مكتظ بالنساء وثلاثمائة واثنان للاقار وبديعة تسار مديحة في زاوية وتضاحكان وتلوحان باليديهما . وتبسم ام سهام لنفسها ، وتجتأ ام بديعة مرة اخرى : الاكل دسم . والبطاطا طافية فوق السن . اوه كم مودة اوصيته . الحمار ابن الحمار . والطباخ في مئزره الابيض القدر ، ورائحة المطبخ ، والجحرفة في يده - انت لا تفهم ؟ انا مع من اكلم ؟ الحمار ايضاً مرة موتين ثلاث مرات يتعلم الطلوق . كم مرة قلنا لك نحن لا نأكل الدسم . قلل من السن ! ولكن من يسمع ومن يفهم . ولم يهتم ، نعم لم يهتم ! امر يفتن من كبسه ؟ ها هو واقف مجسم

البغل يكشر في وجهي . اوباش ، اوباش ، لا تحذو قلوبهم على اموال غيرهم . آه الهرد البلاد ، عاد ايضاً ، انا لله وانا اليه راجعون . السار تتأجج في الموقد والمثل الصوفي فوق كتفي ، لا لا ، في فراشي الداني . اوه . رجلاي تلج تلج . زهير .

وتلتفت ام سهام علية لفائفها وعبة الكهوية ، وتضعها في حقيبتها اليدوية السوداء ، ويسأل بمدوح بك ، باهتمام : - اين طلال ؟ لم يأت بعد ؟ فتجيبه زوجته : - لا ! لقد ذهب الى السينما . - هاي هاي ، الظهر يلعب كرة ، والصبر مع اصدقائه عند معلم الرقص كوالليل في السينما متى يحضر دروسه ، فقط لو اعلم متى ؟ - اوه ، وهل انا مسؤولة عنه وحدي ؟ - بالطبع ، انت امه ! - وانت ابوه ، كن رجلاً حقاً في يوم من الايام ، وامسك في البيت ، وحاسبه ، وتتدخل امها :

- صحيح ، يجب ان يرى الولد من ابيه عيئاً حراً ، والا فانه يبقى حبله على غاريه ، لان الولد

- اوه ، ام بديعة ، كأن الاب ليس له شغل او عمل سوى مراقبة ولده ، اذن ما شغلكما انتما في البيت ؟ تربية الاولاد من واجب المرأة .

- والله ، الولد ولد كما ، وانما المسؤولان عن تربيته ، انا لا ايتدخل في هذه الشؤون . انا امرأة مريضة عاجزة وبسكت بمدوح بك على مضض ، وتعلم ام سهام عيائها وتنفض ، قترنوا اليها ام بديعة ، متسائلة : - الى اين ؟

- الى البيت ، والله ، يا ام بديعة ! - ولكنك مبكرة الليلة بالذهاب .

- لا ، ام بديعة . حان وقت ذهائي . ابو سهام على وشك المحبي . تصبحون على خير .

- اجمعين . - اجمعين . ! وتخرج متمهلة في شيتها الوقور . الحراس يصلطون حول كومة من الخطب المشتل ، واحدهم يردد مقاطع من اغنية شعبية بصوت حنون مؤثر .

- اقول ، انك عاشق يا حسن ! - اقول انك بطر يا محمود ! - قل ما تريد . انك عاشق .

- حقاً ؟ أوجد عشق في هذا الزمان ؟ كل امرء لاربعائه . - صحيح ، ولكن الشق موجود بارادة الله في كل زمان ، وهو لا يعرف النبي من الفقير .

- انا اجل ، وتزوج ، كل ما يجني ان استر امرأتى بحجرة واسد افواه اطعاني بالخمر ، حتى هذا لم يعد مستبشراً لنا هذه الايام .

- والمماش ، ماذا تصنع به ؟

- هاه ، هكذا يتكلم الزباب . الماش ! كانك لا تعرف ما هو الماش . اهو معاش وزير ام مدير ؟ نصفه يذهب لاجرة الحجره ، والباقي لا يكتفي حتى للخبز وحده . ألم اقل انك بطرا ! ويتدخل كاطم بمحبة : - اوه ، اخروا اخروا ، كفى ثروة اهايا حسن غننا اغنية اخرى !

ويتكى . حسن بمرقفه على الارض ، وتندفق من قلبه الحزن - بعد لحظة تأمل طويلة - اغنية شعبية يرتفع بها صوته الحنون . والسنة اللهم امامهم في رقصها المهنون ، تهب بها الرياح الخرافق . وتطوي ام بديعة على نفسها في الفراش ، تحت الدثار الثمين : محنة ، والله محنة ، لن اخلص منها الا في القهر . - والى القهر تبغوني في الى القهر . تصوروا اني مت ! - اوه من اعمارنا على عمرك المديد . - لا لا ، هذا لئلا القهر المظلم المروع ، يا الهي ! الباب اليبين الى الجنة ، والحديقة الخضراء ، والاشجار المالية ، وقرن تحما انهار السبل والخرق الباب الثمالي الى الجحيم ، والنار تشتعل وتلتهم الاجساد والجلود تحترق ، وتتعذب الارواح ، اللهم عفوك وغفرانك ، اللهم عفوك وغفرانك ، وبني آدم يتقاتلون على التافه والقيم ، نعم نعم مساكين بلا روية . الدنيا قسوى شيئاً فلساً اجراً ؟ خابئين غداً موت ، وكل ما تملكون يذهب معكم الى القهر ، واليه ترجع الامور ، الله الواحد القهار ، اوه غداً ايضاً . كل يعلم غداً . انا كهنت ، عجبت . لم تبقي في مرة ، خذوا مصرفكم ، خذوا حسابكم ، دموني بسلام . - اوه امي لم تكونين قاسية - والله عجب ، البت يبتكم ام بيتي ؟ - بيتك ، وكلنا ملك بيدك ! - نعم نعم صحيح قه قه قه ، قه قه . اوه هالي المنديل بديعة ، قه قه قه ، المنديل المنديل ، اريدان ابصق ، لا استطيع الكلام ، اما ترين . قه قه قه قه . احتراقان احتراقان .

وتتناول منديلها ، وتبصق فيه ، وتدسه تحت الوسادة ، وتعود الى تبويها : كل يوم كل يوم ، اقدي فكوري ماذا يجب ان نقدمي لهم في الند . اليوم بطاطا والامس طماطم وقبل الامس قرنايط ، وماذا تصنع غداً ؟ وكل يوم عند العجبر يقف بجسم البذل في باب البهو ، ممقوت كرويه قدر ، وبصوته المنكر - خانم - ماذا تريدون اليوم ؟ ذو الوجه المشؤم ، لايز يوم دون نزاع ، آه لو استطيع فقط ان اصغعه على ذلك الوجه الصفيق بضع صفعات ، طراق طراق طراق ، ويهرد قلبي - هيا خذ حوائجك واخرج ، لا تريني هذا الوجه بد اليوم ! وجه اليوم ، وجه الشؤم ، ولكن اين الطباخون ؟ كلهم اسياء ،

من يحرق ويكلمهم . - خانم ، ماذا تقولين ؟ وابسامةه المتقية الصغراء . - اوه ، اصبر لا ترعيني ! اشتر ربم كيلو لحم ، نصف كيلو . ربم لا يكتفي ، وكيلا طماطم ، كثير ؟ لا لا ، نعم نعم وممكرونة ، عندنا غلبة لا تطبخها كلها صحت ؟ لا لا كبسة يرغل ، احسن احسن ، من زمان لم نأكل كبسة يرغل ، فواصوليا يابسة فهمت ؟ - نعم اروح ؟ - هاك ديندار وروح ، راحت روحك . وتثقل في فراشها .

- هيا بديتي ، اعطني قباتي بسرعة ، يجب ان انام لانهض مبكراً . غداً اشغالي كثيرة !

وتقلس بديعة في الترفة بنلالة النوم الرقيقة الشفافة ، وتماثق زوجها الواقف بيناذله الحريرية عند الباب الموصل بين خديسيها ، ويتبادلان قبلة تقليدية باردة ، ويذهب كل منهما الى فراشه . ويتربع طلال في دهايق مظلم طويل من دهايق القصر المنيف ، ويتحسس الجدران الباردة للمسا ، في طريقه الى غرفته : شش ، شش ينام ، الكل ينام كالجدجج ، شش شش ، - كم الساعة الآن ؟ - لا ادري ! اوه هؤلاء الحراس الانبياء - مثل البارحة في مثل هذه الساعة بالذات ايقضون كل عمرهم في متابعة عقارب الساعة ، ها ها ها هاه ، ماذا تفعلكم معرفة الوقت ؟ الليل ليل ويطول حتى الصباح ها ها هاه حتى الصباح ، لا اكثر ولا اقل . - مساكين يعددون ، وفخيرة قابضة في زاوية من البهو ترتجف ، مسكينة ، مساكين ، كلهم مساكين الفقراء ، فخيرة ، عيناها الدعجاوان وقامت الفارعة وشعرها الاسود السبط ، اين فخيرة ؟ ألم تنتظري ؟

- لو تعلمين اين كنت الآن ؟ في احضانها ، نعم في احضانها هي غريبتك الجليلة الشقراء ، بندها العاجيان وعليها آثار في حراء ، بقع حمراء ، بقع حمراء كلسماث الزنايون ، - اوه لا تضني ، لا تضني ! ها ها هاه ، فك يدغدغ يا الله تعالي فخيرة ، تعالي اخلمي ملاسي ، تعالي معي ، انت نظيفة وانا احبك وحدك ، انا احب الفقراء جميعهم ، انا لا احب ليلي ولا غير ليلي ، استعراطيات فارغات . ها ها هاه اتصدقين اني احبها ؟ ابدأ ابدأ ، اقسم لك برأس والدي المديم الرأس ، برأسه الفارغ الاجوف . ها ها هاه .

وتعجز فخيرة من الظلمات كالبشع ، فيضطر طلال ثم يضحك : - شش شش ينام ، الكل ينام ها ها هاه كالجدجج ، شش شش ، تعالي فخيرة ، تعالي معي ، تعالي الى غرفتي .

وتقبسه فخيرة مطوقة ، مرتبكة . تتعثر في الظلام .

عبر الملك نوري

بغداد

لشمة

الى الاستاذ البهر أديب

ذوبي مع الآهات ذوبي يا شمة العمر الكئيب
الليل حولك جاثم يلهو بأوتار النعيب ..
والذكريات مسواكب تسترق تطل مع الغروب
فيصدها النسيان ثم تعود في شك مريب
تجئو على آفاق نفسي مثل أحلام الغروب

يا فكرة صفراء تمرني بأنفاس المغيب
لون الحنين الغامض المجهول في هذا الشحوب ..
ومضاتك النعبي تذكرني بالحاسن الرقيب
وشبك الرضاء ينغمني بالسنة الهيب ..
اين الشاع التجسبي ؟ واين انفاس الطيوب
وقصيدة الذكرى تترى خطوط على بال الحبيب ؟
بحث أناشيد الهوى وانشق صدر المتدليب
وبكاد شاعوك الطروب ينسب في الصمت الزهيب ..

ذوبي فهذا الوجد مطوي على سر غريب
ما انت الا رشة المجهول في افق رحيب
انت ابتهالات الحيارى وابتهامات القلوب ..
خيط المني يزداد طولاً لا تبالي بالخطوب
فالنجمة العذراء لا تخشى من الوحش الغضوب
حسب الشموع البيض ان تغني مع همس الطروب
وتغيب في التجري لتلمع فوق ابراج النيوب ..

ذوبي وعمودي الوجود بذلك الومج الزئيب
وتدققي نوراً على نور وحسبك ان تدوبي
واذا سئلت عن الكوامن والالواعج لا تجيبي
لا تأهبي ابدأ لعيمان المفسارق والدروب ..

مصطفى عبد رب

الموسيقى والموسيقيون في الف ليلة وليلة

ترجمه من نصار

ليسانسيه في الآداب

تأثير الموسيقى

لأن

اعظم صفة يمدح بها الفنان العربي هي تشبهه بموسيقاه
بزمير النبي دأود . وكانت العبارة الجارية على
الاسنة في « ألف ليلة وليلة » هي : « صوته يشبه زمير آل داود »
وانها لعبارة تبين مدى تقديرهم لتلك الزمير .

وكانت العبارة الثانية التي يمدح بها المغنون تشبيه غنائهم
« بالتغريد » وان روعته « توقف الطير في كبد السماء » . ويصرح
القرآن بأن الطير كان يرافقه داود في النبي بدائع الله وتبجيلاته،
وبهذه الصورة اعتبروا تغريد الطير موسيقى شبيهة بموسيقى داود
مؤلف الزمير ، واستدلوا بآية الطير في أثناء جماعها الموسيقي على
« سحرها القاتل » ، وشاعت عبارة « يقتل طيراً » في هدد الكلام
عن الموسيقى في الادب العربي .

وليس الموت مند جماع الموسيقى بنادر في القصص العربية ،
ولقد وقع فعلاً في « ألف ليلة وليلة » في « حكاية البائسين الثلاثة »
التي يدعى ان راويها هو النبي . اما الانغصاء فكثير ، وقد ظهر
هذا في حكايتي « عشاق المدينة » و « مغلس بغداد » .

ولن نستطيع ان نغم هذه اللمة المبالغة في « ألف ليلة وليلة »
وغيرها من الكتب عن تأثير الموسيقى ، الا اذا فهمنا الهم كله ما
سبق لنا قوله . فقد صرحوا بأن احد الموسيقيين كان يستطيع ان
يوقف المتحرك ويحرك الساكن وأن آخر كان يحمل من النبي ذكياً ،
وهي اشارات ومبالغات لطيفة . ومع ذلك فليس الخيال المحض
او المجاز هو الذي دفع الراوي ليقول : « انها ترقص الجبر الجلود »
او ان الهجرة رقصت من فرط السرور ، ولكن ذلك القول
يرجع الى نوع من تقدير الموسيقى . وينتشر هذا التصور في
الادب العربي الذي يتناول الموسيقى ، كما يظهر في « ألف ليلة وليلة »
في غالب الاحيان . ولعل اجل تلك التخييلات ما يدور حول الآلات
الموسيقية ويضفي عليها الموهب الانسانية .

فكلمة « العود » تدل على انه مأخوذ من الحشب ، ولكن العرب
ارتضوا بالرأي القائل ان صوته يرجع الى ان الحشب امتص تغريد
بعض الطيور التي وقفت عليه حين كان غصناً في احدى الاشجار .
ولذلك السبب ينفي شاعر « ألف ليلة وليلة » قائلاً :
لقد كنتُ عوداً للبلبل ، بل ابلبل به وجداً وفريه اغصن
ينحون من فوق فملئت نوحهم ومن اجل ذلك النوح حري بهير
دماني بلا ذنب على الارض قاطمي . وسيرني عوداً غيلاً كما تروا
ولكن ضربي بالانامل غير باني قتييل في الانامل مصير
او ايصرح في موضع آخر : « أن العود ورد » ، ولما سكته
القديعة قدحاً ، وقد تذكر المياه التي قد سقته ، والارض السقي
نبت منها وترى فيها .

وكان الفلاسفة والماء العرب يتصورون الموسيقى جزءاً من
النظام الكوني ، فويطرحها بتصوراتهم اللطيفة عن « الرباعيات
المجتمعة » التي تفتت بها الغنية في « حكاية نور الدين ومرمى العوادة » .
وهذه الفكرة قديمة جداً ، ولكن الكندي (المتوفى عام
٨٧٤ م) في المصدر الاسلامية وصل بها الى نظام شامل . اما
« ألف ليلة وليلة » فلا تريد على الاشارة اليها ، وان كان يوجد في
« حكاية ابي الحسن وجاريتته تودد » من المادة ما يسمح لنا برسم
تخطيط يبين لنا ارتباط الموسيقى بالامور الكونية ارتباطاً ثابتاً غير
الرباعيات للمجتمعة

| أدوات العود | الهم | الثلاث | الثنى | الوزير |
|-------------|---------------------------|--------------------------|-----------------------------|--------------------------|
| العناصر | الماء | التراب | الهواء | النار |
| الازجعة | بارد رطب | بارد جاف | حار رطب | حار جاف |
| الكواكب | الفر | زحل | - | الشمس |
| الابرار | السرطان العرب الحوت | الثور الحيلة الجدي | الجوزاء الميزان الدلو | الحمل الاسد العقرب |
| الزوائج | - | الورد | الريحان | - |

متنوع . وليس تصنيف الإبراج يتسق في « ألف ليلة وليلة » ، وإنما هو امر مسل في نظر تردد الفخور بملوماتها .

وغنا من هذا التصور نظام خاص وأخذ كل صوت ابقاها او ننمي صورة خاصة به . وسيطو هذا النظام على الموسيقى الملاحية ، ولكن لا بد ان نسبة العمليات المحففة كانت مرتفعة في الجداول الكثيرة المتعارضة التي وصلتنا .

الموسيقى في ألف ليلة وليلة

للموسيقى

الذين ذكرتهم « ألف ليلة » يحترفون اتخذوا الموسيقى مهنة لهم ، وتستطيع ان نصفهم في اربعة اقسام : المثنون ، والمطربون ، الغنيات ، والقيان . وكانوا يحضرون في البلاط في ساعات خاصة تعرف باسم « النوبة » ، فيزفون من وراء ستار في حجرة خاصة ، كما يقول لين . وتذكر « ألف ليلة » ان احدى هذه الستائر كانت من « الديباج وشرارها من الابريسم وحلقاتها من الذهب » .

ومعني « ألف ليلة » معنى ما هو موسيقى باوع كان ينتظرونه ان يتحلى ببعض المواهب الاخرى ، كالمواهب المطلوبة في النديم ، مثله في ذلك مثل المنى الاوربي في العصور الوسطى . وقد نال معظم المغنين الذين قدمتهم لنا « ألف ليلة » - ان لم يكن كاملاً - حظوة كبيرة في البلاط ، مما جاب لهم مؤبناً ثاباً ، وهبات متكررة تشبه ثروة صغيرة في ذاتها في اغلب الاحيان . وصي المطرب « الآلاقي » بهذا الاسم في اللغة العربية لانه يزف على « آلة الطرب » او « آلة الهار » فاستمالوا ذلك الانظ لتمييز الموسيقى الذين كانوا مطربين « الآلانية » في مهتم حياتهم وقد ظهر المطربون في قصور الاشراف ايضاً ، ولكن اسم « المطرب » لم يكن وفقاً عليهم ، وإنما أطلق على من هو اقل درجة منهم من الموسيقيين المدنيين او المتجولين الذين كانوا يزفون خارج المنازل في الافراح والاطليل والزم . اما الغنية فكانت في الثالب حرة او متيقة تلقت مبادى . فنها عندما كانت قبية ، او التعتت تلك المبادى . من مكان ما . وكانت المنية تحمي الحفلات الخاصة والعامه في الاعياد المدنية والدينية بالزف على الطنبور .

وكذلك كانت القينة مغنية ، ولكنها ما زالت جارية . ويندر ان تطلق عليها « ألف ليلة » لفظ « قينة » وإنما تسميها في غالب الاحيان « مغنية » او « جارية » . وكانت تتلقى تدريبات خاصة في الغناء ثم تشق طريقها الى عائلات الاشراف والعلقات الثنية سواء من طريق التجارة الخاصة او من طريق سوق الرقيق .

وكان ما يحدد ثمنها مواهبها وجمالها الجسدي ، ولكننا يجب ان نذكر قول سمدى : « الصوت الذب احسن من الوجه الجميل » . وتدل « الاغاني » و « ألف ليلة » على ان بعض هؤلاء الممنيات كن يأخذن هبات عظيمة . فساتن وجدن الاحترام والتقدير السامين ، خاصة اللاتي لم يتلقين دروسهن في سوق الرقيق ، وإنما نشأن في بيوت الموالين . وقد كانت صور هذه الغنيات تزين قصود واليهن على الرغم من تحريم الاسلام لذلك .

وتاريخ بعض هؤلاء الموسيقيين المحترفين ذو اهمية عظيمة ، اذ يكشف لنا عن الدور الكبير الذي لعبوه في حياة الشرق العربي العائلية والاجتماعية . ولهذا السبب اورد هنا بعض التفاصيل الواردة في « ألف ليلة » . وقد تبين لي بعد جمع القصص ان كل الموسيقيين الرجال المذكورين في « ألف ليلة » تاريخيون وليسوا بخرافين . واول هؤلاء الموسيقيين يونس الكاتب (المتوفي ٧٦٥ م تقريباً) بطل « حكاية يونس الكاتب » والويلد بن سهل « التي بنى فيها مع تلميذته امام الامير الوليد . ويطلب يونس ٥٠٠٠ درهم في مقابل التنازل عن جاريته ، فيعطيه ايها الامير متعة هبة مالية اخرى . ولما صار الامير خليفة عام ٧٤٣ غنى يونس في بلاطه بدهش .

وناسيم ابو اسحاق ابراهيم الموصلي (المتوفي ٨٠٩) معني بلاط الهادي وهارون ، ويظهر ابراهيم في « ألف ليلة » في « حكاية ابراهيم الموصلي والشيطان » ، اذ يزوره الشيطان ويكنى « هارمة » ويثني له غناء حبيباً ، كأن « الابواب والحيطان وكل ما في البيت تحببه وتغني معه من حسن صوته » . فيذهب ابراهيم الى القصر فوراً ، ويردد الموسيقى التي سمعها للخليفة هارون . اما كتاب « الاغاني » - الذي اشار ايضاً الى القصة - فصهر باسم الاثر العجيب ، وصماه « ابليس » . ونقرأ عن ابراهيم في بعض المواضع الاخرى ، فهو مؤلف « محي المدينة » ، وهو في « حكاية نور الدين علي وأنيس الجليل » ، وهو رسول الخليفة هارون في « حكاية عبد الله بن فاضل واخوته » تلك القصة التي تبين مدى التقدير الذي تمتع به هذا المنى في البلاط .

ثم نصل الى ابي اسحاق ابراهيم بن المهدي (المتوفي عام ٨٥٩) الاخ الاصغر للخليفة هارون . وكان ابراهيم ذا مهارة ماهرة في ذلك الفن ، على الرغم من عدم احترام المسلمين للاشراف الذين يندمجون في الموسيقى . ونقرأ عن مخاطراته في « حكاية ابراهيم ابن المهدي واغت التاجر » حيث يهرن بالزف على المود على خطأ احدى القيان في عزف « طربقة » خاصة . ونختوي « حكاية

ALPHA
BETA
Sakhr.it

ابراهيم بن المهدي والحجاء « على قصة القبض عليه ثم اطلاق سراحه بسبب محاولته اغتصاب الخلافة . ولكن الحكاية تخلى ، فتدعي ان سبب القبض على الامير عام ابراهيم الموصلي ، اذ توفي المنفي العظيم قبل ذلك بعشرين عاماً .

اما اسحاق بن ابراهيم الموصلي (المتوفي ٨٥٠) فكان اعظم الموسيقيين الذين ظهوروا في العصر الذهبي ، وتصفه « ألف ليلة » بأنه « بارع هذا الشأن (اي الموسيقى) » . وتصوره لنا « حكاية اسحاق الموصلي » التي تروي قصة هروبه مع خديجة قينة الحسن ابن سهل والزنبيل المشهور بعض التصوير . وينسب كتابه « الاغاني » و « مطالع البدر » نفس القصة لايه ، ولكن ابن بذر بنسبها لاسحاق . وكذلك يثل اسحاق واحدى التيان دور البطولة في مغامرة اخرى في « حكاية اسحاق الموصلي والتاجر » . واخيراً توجد « حكاية اسحاق الموصلي والجارية وابليس » التي تعتبر قطعة موسيقية اخرى مع الشيطان .

ومن الموسيقيين المشهورين المذكورين عبيد الله بن سريج (المتوفي عام ٧٢٦ تقريباً) ومعيد بن وهب (المتوفي عام ٧١٣) اللذان اشتهرا بتأليف الاغاني . ويظهر في « ألف ليلة » كذلك مغنيان آخران قايلاً للاهمية ، ولكنها تشبه اليها اشارة عرضية ، هذان المغنيان هما صدقة بن صدقة وزرور الصغير . وورد اسم الاول في « حكاية ابي الحسن الخراساني » حيث يقال ان صدقة كان مع الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خافان عندما قتل المتوكل عام ٨٦١ . ولم يرد اسم هذا المنفي في كتاب الاغاني « او ما شابه من كتب ، ولله من افعاد ابي صدقة مسكين ، احد مغني بلاط هارون ، واخر اجد بن صدقة الذي كان مغنياً ثيراً لدى المتوكل . وكذلك لا يذكر كتاب « الاغاني » زروراً الصغير ، لكن وجود زرور الكبير في بسلام الخليفة المعتصم (المتوفي ٨٤٣) يرجع وجود زرور الصغير ، الذي لا تذكر « ألف ليلة » عنه الا انه غني اغنية .

اما الموسيقىات في « ألف ليلة » فلم يذكرهن التاريخ ، اللهم الا واحدة . ومع ذلك لا يوجد ما يدعونا لعدم التعرض لمن مخصصة وانهم يقدمون لنا صورة جميلة عن مواهب هؤلاء الفنانين المختلفة ، وعما كان ينتظرون منهن في تلك الايام ، بل يمكننا ايضاً من معرفة كيفية اطلاق لقب « عالمة » (الجلم : عوالم) على القينة في مصر الحديثة . واليك أبرز الموسيقىات في « ألف ليلة » .

اول هؤلاء الموسيقىات « نعم » التي باعها طفلة مع امها كوفي يسمى الربيع ، وكان نشأوا مع ابنه نعمة الله . وعني بتثقيفها وقرأت

القرآن والعلوم ، وعرفت انواع الالعاب والآلات ، وبرزت في المنفى وآلات الملاهي ، وكانت النتيجة زواجها من نعمة الله . ولكن جعلها التادور مواهبها الفذة جعلت الحجاج حاكم العراق العربي الداعية يمثال في الاستيلاء عليها لاهدائها الى الحليّة عبد الملك (المتوفي عام ٧٠٥) . ولكن حسن حظ زوجها جاب لها خاتمة سعيدة .

وتأتيهن « البدر الكبير » جارية مثقفة ايضاً ، ولكنها نشئت في قصر جعفر بن الحليفة ، وسمى الهادي (المتوفي ٧٨٦) وكانت في غاية الجمال ، لا يوجد في عصرها أحد « أعرف (منها) بصناعة الغناء وضرب الاوتار » . ثم وقع محمد الأمين - الذي صار خليفة فيما بعد - في غرامها ، فاخذها رغم أنف جعفر ، ثم منعه الأمين زوراً فحلاً . بالذهب والقضة ترضية له ، فصنع عن قربة الحامل .

والثالثة « قوت القلوب » التي اشترها رجل يدعى ابن القراض بخمسة آلاف دينار من سوق الرقيق ، ثم باعها للخليفة هارون في مقابل ضعف ذلك المبلغ . وكانت « تعرف جميع العلوم والفنون ، وتنظم الاشعار ، وتضرب على جميع آلات الطرب » .

أما « أنيس الجليس » فكلفت ملك البصرة عشرة آلاف دينار ولها كانت تستحق كل ما في هذا المبلغ ، اذ يؤكدون لنا أنها « تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير والفقه والدين والطب والتفكير والضرب بالآلات المطربة » . والافضل من ذلك كله أن لها كان كالبحر الخنوم .

وأخيراً من نذكرهن « تودد » التي قامت كل الموسيقىات الأخرى في مواهبها لو صدقنا « ألف ليلة » . وكانت « تودد » قينة أبي الحسن البغدادي ، فأذهلت مواهبها العجيبة وثقافتها العالية الخليفة هارون اذ ادعت انها « تتبحر في النحو والشعر والفقه والتفسير واللغة وفن الموسيقى وعلم الفرائض والحساب والتسعة والمساواة واساطير الاولين والقرآن المنظوم الاحاديث الشريفة وعلم الرياسة والهندسة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والبلاغة ، بارعة في الغناء والرقص » .

أما محبوبة ، وهي الشخصية التاريخية من بين مغنيات وقبان « ألف ليلة » تنسب الى البصرة . وتذكر « ألف ليلة » أن عبيد الله (ابن عبيد الله) بن طاهر (المتوفي حوالي ٩١٢) أخذ للموسيقين العززين ، اهداها الى الخليفة المتوكل (المتوفي ٨٩٦) . ومن المرجح ان عبيد الله ابن طاهر (المتوفي ٨٩٤) هو الذي اهداها كما يذكر كتاب « الاغاني » وتذكر « ألف ليلة » أنها « كانت فائقة في الحسن والجمال وكانت تضرب بالعود وتحسن الغناء . وتنظم الشعر وتكتب خطأ جيداً » .

صبي نصار

افاهرة

مساء الاحد ٩ من سبتمبر (ايلول) عام ١٩٠٠

هذا

هو موقف كبير كجورد من ابراهيم؟ موقف الشاعر من
البطل كضرورة كل منها للأخضر. فالشاعر يظن ينتظر
حتى يقبل البطل فيبدأ اغانيه حول موضوع يكون الغناء ضرورة له،
والبطل في حاجة الى الشاعر كضرورة من ضرورات بطولته .
وهنا يربط الفارق العميق بين موقف الشاعر وموقف البطل .
فوقف الشاعر موقف تعبيري فقط قائم على الاعجاب ، اما موقف
البطل فهو موقف الفعل الحائس القائم على الايمان . ان الفعل
مرتبط بالايمان ، والبطل هو وحده رجل الايمان ، وكل من يؤمن
فقد استحال الى بطل .

ان الشاعر لا يستطيع ان يكون البطل ، لان موقفه كشاعر بازا .
البطل ناتج من الاعجاب الذي هو مبنى ادق ، الاحساس بأن آخر يفعل ما
لا يستطيع هو ان يفعله . كذلك كان موقف كبير كجورد من ابراهيم .
فاذا عرفنا ان موقف البطل مرتبط
بالايمان ، عرفنا ان موقف الشاعر
مرتبط بعدم القدرة على الايمان .
ان الشاعر يلبس الايمان بعبق منه
ويدور حوله لكنه لا يؤمن . وموقفه
التعبيري من الوجود قائم على هذا الاساس
فليس لحظات تعبيرة سوى لحظات
اعجاب او دهشة وانفعال ، وهذا كله
ليس في مجال الايمان ، لان المعجزة توجد
في قانون الايمان وهي لا تثير دهشة ولا فرحاً . مفاجئة الالعب المؤمن .

مساء الاربعاء ١٢ من سبتمبر

انني

اريد التعبير ، التعبير الفني بأي ثمن . وليس التعبير
الذي مجرد كلمات ولا اعترافات ، بل هو وجود
الصور والمعاني والغالب الى جانب اللفظ . كل ما لدي احساس ليست
تستطيع ان تتنظم ، كوناً اجاهد عبتاً في ان اجعلها حول قالب او معنى .
انها تتطابق من مكانها الاشورية في زحمة لغوي في الحيث لا ادري .
اريد التعبير الفني لان الجهد الذي اعانيه وقت تكامل العمل
الفني هو الذي يطعنني على ان حيائي لم تصب خراباً تداً بعد .
ورغم هذه الرغبة الشديدة ، ورغم ان الاشهر تقو سراعاً ، فانا
لا ازال جالساً فارغاً انتظر . وقر امامي اشباح تنربني بالعدو
وراءها لكنها ما تلبث ان تخفي . لم تعد في روعي قدرة على تجسيد
انفعالي ولا على السيطرة عليها واخضاعها لقالب منتظم . واصبح

الطريق السهل امامي هو ان اترك نفسي الى اعترافات في يومياني ،
وهذا لا يتطلب انتظاماً ولا جهداً ارادياً لحلق قالب ما .

لكن في حاجة تدفني الى عدم الاكتفاء بهذا النوع من السرد
المنطقي الذي يضاهي مجرد تقيؤه .
اني احسن ان هناك ثروة تضيق مني وكان يمكن «استغلالها»
كردا لاعمال فنية ناجحة . ثم حاجة تدفني دفناً ملحاحاً الى
الحصول على المنتظم من خلال المبتدئ والمفكك في نفسي الحياة
ابداً ، والمنفصلة ابداً . لكنني لا احصل على غير الرغبة في ذلك ،
ثم الاحساس العميق بالعجز والتعطل .

مساء الاحد ٢٣ سبتمبر

كنت

استمع بالامس الى الاله يتوهفن . كنت استمع
الى السينفونية التاسعة لخامس مرة في مدى اسبوعين ،
وكلمة سمعتها اشدت في الظلم الى استماعي ثانية وثالثة وما لنهاية له
من المرات . هذا الانسان عاش حياته
كاملة وعاش حياة الآخرين والانسانية
والوجود كله . ان كل من عاش تجربته
كاملة استطاع ان يعبر عنها كاملاً ، ان
التعبير هو كمال الوعي بالتجربة .

ففي التعبير نحن ، نأخذ كل فصول
التجربة التي تلقيناها ، وفي التعبير نقوم
بمحاولة الحياة ضمنية : ذلك اننا نحمل
الآخرين على ان يعيشوا تجاربهم ايضاً .
وعلى الفنان ان يتعلم من ممارسته الفنية كيف يارس الواقع ،
فلا خلاف بين ممارسة الفنان لعمله الفني وممارسة الانسان الواقع
الحقيقي ، من حيث المنهج على الاقل . الفنان المحجوب - كالرجل
المحجوب - يعلم انه قد ينتظر اسابيع بل شهوراً من اجل ان يحس
تلك الحاسة الدافقة التي تحيل العالم امامه مفاجأة الى قصص واساطير ،
وهو قد يتأمل لهذا الانتظار ، لكن هل عليه الا ان يرغب ويرجو
ويتنظر ؟ وهو يعلم ان الفكرة الشاردة التي قد لا يكون لها
كبير خطر في وقت ما قد تصبح فيما بعد موضوعاً رئيسياً من
مواضيع ابداعه ، كما انه يدرك قاطماً انه حين يبدأ عمله الفني فهو
معرض لتغييره وتبديله . وغندما يريد ان يحجم افكاره وعواطفه
في اداة ما فان امكانيات جديدة ما كان ينتظرها تنبثق من اتحاد
الفكر والباطنة بالاداة الحسية ، فهو يعدل ويبدل من اجل اخراج
الوضع الملائم الذي يهدف اليه .



وهذا التغير والتبدل لا يزججه كثيراً ، بسـل انه يعقبه في قلق و فرح . كذلك لا يزججه كثيراً ان ينشل ، فاذا احس انه انتهى الى غير النتيجة التي يرضيها فهو لا يتردد في ان يحطم عمله لعله يبدأ من جديد .

وهو مؤمن بالزمن ايماناً لا حـد له ، فالزمن يحـدل له منسابم حياته التي يحياها ، وفي المستقبل يكتنـز ثـروته التي لا تقدر . فاذا بدأ عمله الفني اخلص له كل الاخلاص ، وانضم كل شـئ في حياته سواء كان تافهاً ام خطيراً من اجل التأدي الذي لنجاح عمله الذي بدأه . ولا تعود الاشياء تنتمى امامه الا بقدر ما تؤديه من نفع لآسام هذه الفكرة او نضج ذاك البناء . حتى اذا ما بلغ نهاية الطريق نظر مرة الى ما قام به فاذا احسـه فاشلاً حطه ، واذا احسـه ناجحاً فرح به واحبه ، ليس ذاك الحب الذي يوحى بالقناعة والاكتمال ، بل ذاك الحب المندفـم . ولا يلبث ان ينسى انتصاره الاخير ليبحت عن انتصار جديد . لهذا كان الفنان هو ذاك الغاري الاكبر .

مساء الاحد ٣٠ من سبتمبر

اخطلو اعتبار العالم المتأسك امام الفـسان ، الفنان الذي تعود ان يرى من الجمادات الصامتة حتى الحفقات والحاجبات تقاسكاً وترابطاً . وفجأة انهار من امام منيته هذا النوع من التأسك القائم بين الاشياء . وبين الافكار وبين الاشياء والافكار معاً . انه يحس كأنها القلم قد منقطه ، وكأنها التمدت المائي التي تحيا من اجلها . وهنا يحتاج الفنان الى جهد بالغ لكي يدرك - ولو في غرض -

ان هذا الترابط الذي يراه بين الاشياء ليس هو جوهر الحساسة بل هو جانب من جوانبها امتاز هو بمواجهة ومراثة ان يلحـه ويكشف عنه ويعبر لنا عنه ، وان في الحياة جوانب اخرى غير مجرد اكتشاف الانتماء والالوان التي تربط بين الاحداث والاشخاص والاشياء . والفنان الذي لم يكن قد عود عينيه على ان تشهد شيئاً غير القصص والاساطير خلال العالم المزدهم الصلـاطب ، يرى نفسه قد اقترت فجأة اذا هو فقد في لحظة ما هذه الميزة ، فهبت الاشياء جميعها امامه ولم يستطع ان يدرك ان الفعل نفسه هناك والحر كقول الحياة . عليه ان يقاسي وان يقا في حق يتعلم كيف يرى الاشياء ، متفككة احياناً ، وان الترابط القائم بينها ليس دائماً . وعليه ان يعرف ان هذا الانسجام والتسلسل والشكلية التي تقوم عليها الاشياء . ليس الا انكساراً لروح الحساسة التي تحتاج هذا الانسجام والتسلسل والشكلية وانه اذا تفككت روحه وتحلت تفككت كل الصور والانتماء . انه يعلم ان الابداع الفني ضروري له ضرورة الطعام للناس ،

لكن عليه ان يعرد نفسه الجوع والصمت أليماً بل أشهراً اذا هو اضطر الى ذلك . وعليه الا يجزع ويستعجل خلق قوته من جديد . وعليه ان يمارس أشياء اخرى بنفس الاستمتاع الذي كان يمارسه عمله الفني عندما تنضب مواد انتمائه وصوره حيناً من الزمان وأن يخاف عملاً آخر بنفس السرعة حين يحس ان « البطالة الوجدانية » تحتاج فترة من فترات حياته . فاذا لم يستطع ان يأخذ نفسه بهذا الفهم الصميم لحياته كائنات الى جانب حياته كفنان ، فانه سيتمرض لأزمات روحية شـد ما يكون خطرها عليه .

نحن نسمع الكثيرين يتحدثون عن الآلام التي يعانيها كل فنان وهو يقوم بعمله الفني ، وعن التجارب القاسية التي تربض وراء هذه الثروة الضخمة التي يكونها الفنان بنفسه من كل لحظة من لحظات حياته ، وعن المماناة المبررة التي يمارسها الفنان قبلما يخلق عمله وأثناء خلقه وبعد هذا الخلق . وهذا صحيح الى حد كبير . لكن ثمة ألماً اخطر يعانيه الفنان ، ذلك حين يحس بالجلب في روحه ، وحين يجزع اذا يرى العالم يتفكك امامه ، فينظر الى الملاحظات السابقة وكأنه فعل فيها المعجزات حيث هو اليوم لا يستطيع ان يؤلف بين صوتين او كلمتين . واذا كانوا قد شبهوا الفنان بالأم كثيراً ، فانا نستطيع الاستفادة هنا من هذا التشبيه فنقول ان الام تلم وفي تلك طفلاً ، لكننا نعلم أيضاً كم من سيدات يكونن المن اعظم وأمر لانهن لا يتجنبن اطفالاً لأنهم من محاولات يذلنها في سبيل ان يثقلن ألم الولادة . ان ألم القلم اهل الآلام وانظمها جميعاً .

ان الفنان احياناً ما يمر به لحظات فيها يفقد قدرته على القيام بعمل فني ، لكن عليه ان يأخذ نفسه بالصبر والناة حين يجد نفسه متجهاً نحو هذه الفترة الصعبة . ان احساسه بالضيق ضروري للتخلص من هذه الفترة ومن اجل التأدي الى حياته الاولى حياة الخلق والتعبير ، لكن عليه ان يستغل هذه الفرصة فيعيش الحياة كما يعيش الآخرون في تـمـرها وتـكـسـكـها وانـيـارها . وعليه ان يتذوق في مثل هذه الملاحظات علم الحياة اللاتعبيرية التي تكاد تكون فلماً خالصاً وممارسة مباشرة للآخرين والاشياء . والاحداث ، فوجود الهوة بين الحياة التي يحياها الملايين وبين حياة الفنان هي خطر حقيقي على الفنان وعلى عمله ، كذلك ان عليه أن يأخذ نفسه بممارسة الحياة في صورها الاخرى ، حيث هي ليست مجرد التعبير الفني . بسـل هي حركة ورغبة وتحقق .

والفنان يعلم انه يقوم بصقعة خاسرة دافاً ، فهو يبذل اكثر مما يحصل . انه يبذل من عواطفه وخلجاته في الوقت الذي تنوهم فيه

انه يحصل على ممان او اثارا . وفي الوقت الذي نحسب فيه انه قد حصل على التعبير يكون في واقف الامر قد بذل من جديد لهذه المواقف والحجبات . وهو حين يخفني وراء قناع التعبير ، ويقدم نفسه للناس ليحس احساس البني التي تعرض انفس ما تلك المرأة على المارين عسى ان يعجب واحد او اثنان بهذا المكان من جسدها او ذاك . . . ذلك ان الفنان بعدما يتألم ألما اقوى من التعبير ويخرج للناس ما كتبه ، زاهم يهزون رؤوسهم وفي خير الحالات يصيحون : ما ابرعه ! نعم ما ابرع تأله ! وهو يعلم ان هذه هي طبيعة العمل الفني بل « يقتره » . انه يحيل الالم الصارخ الى الم ناعم ، وما ابد الفرق بين الاثنين : ان الفنان يعاني الالم الاول ، الالم المول المزيج لكنه حين يقدم فنه للناس فانه لا يقدم هذا النوع ابدأ . انه يحس حاجته وحاجتهم الى المشاركة ، لكنه في سبيل ذلك يفقد الالم لديه أصله ويستحيل الى نوع آخر . ويدرك ان الناس لم تشاركه آلامه ابدأ بل شاركته « العمل الفني » وشاركته العناصر الجمالية التي لم يعرفها قط في تجربته اللحظة الراقية . وهو بادراكه هذا يزداد تأله في نفسه ، ويزداد تبسماً للآخرين .

ماء الجمعة • من أكتوبر

١٥

كل فنان في حاجة الى الذكريات . الى التجارب الفنية والى التراث البشري معه . وهذا هو الخطر على كل من له طبيعة الفنان وليست لديه ادوات الفنان وضروراته الخارجية ، فهو يقرب من وضع قريب من الجنون ، لانه بعطيته لا بد ان يفكر وان يتخيل وان ينتج فاذا لم تساعده ادواته على الانطلاق الذي يبتغيه ويعلم ضرورته له فانه يجد نفسه في آخر الامر يدور حول نفسه . والكتب قد تعطيه الناحية الشكلية لتعبيره لكن تجاربه هي التي تعطيه المادة والشخصيات . فاذا لم تكن لديه القدرة على الانطلاق فسيبسه عجلة ترام او سيارة ظلت تدور حول نفسها بنوع ان تدفع المركبة او السيارة الى المسير . ومها كانت طبيعته من القوة فانه لن ينتج لنا في النهاية ادباً واقياً يلاص الحياة بل سيخلق عالمه الخاص . ومها كانت طبيعته من الفنى بحيث تستطيع ان تخيل ما يبدو للناس تألماً الى موضوعات حية خصبة ، فانه سيبدع نفسه في آخر الامر شديد الشوق الى ان يعيش تجارب جديدة ويرى بسلاماً جديدة ويتعرف على افكار جديدة ، فلئن كانت طبيعته خصبة فهو يدرك انه سيصبح اكثر خصوبة وغنى . وفنان اليوم ، مها كان ذا طبيعة علاقية ، هو في اشد الحاجة الى التراث الانساني حاجته الى التجارب الحية المتجددة ، والا انتج لنا ادباً متخلفاً من حضارتنا بضع مئات

من السنين حيث يضيع بين زحام الفكر في القرن العشرين ، واذا كان لدى الفنان احساس دائم بالنقص في قدرته على التمتع والتعبير ، واحساس اشد بالنقص في استيعابه للتراث الانساني وفيما لديه من تجارب ، فانه يستطيع ان يتحمل هذا الاحساس طالما هو يعلم ان ذلك يدفعه الى ان يكون اكثر جهداً في تمتع الامور واكثر حرصاً واقل غروراً في محاولاته التعبيرية ، ويشعره ذلك بان احسن اعماله انما هو العمل المقبل دائماً ، وان كل عمل هو مقبل عليه ان هو الا محاولة للدفاع عن النفس بما تنهها به النفس . ان الفعل يستوعب الجزء الاكبر من حياة الغالبية العظمى من الناس ، والفكر مرتبط لديهم اشد الارتباط بأفعالهم ، فهم لا يفكرون الا لفظة الفعل : للزعم عليه قبل وقوعه او لتعديده بعد وقوعه . لكن الامر ليس هكذا تماماً مع الفنان . فهو مها احس بنفي تجربته الراقية الدافئة فهو لن يراها فعلاً وحركة فحسب ، بل سيرى - بحكم حساساته واتجاهه - جوانب فكرية وتعبيرية ورمزية هي اجزاء ضرورية مكسلة للتجربة لديه . والفنانون المظلماء قد استطاعوا ان يسيطروا على جوانب الظلام في حياتهم وان يطوخوا تحت اجنتهم وهم يعلنون انتصار الارادة الانسانية والرغبة الانسانية بمختلف الطرق وشتى التعابير : فها قدموه للانسانية من صور وافكار ، في فرحهم المجنون وبأسهم المريض ، وفي اعمالهم التي قد بداوها ولم يمتوها لان الحياة صرفتهم عنها بضائقتها ومشاكلها لان ألوت اخدها . ان سينفونية شرويت التي لم تتم وقصة اخوان كارامازوف للدستوفسكي واعمال فرائز كافكا وامثالها هي الاعمال الانسانية التي كان فيها الصراع واقياً ربوطاً بين الرغبة في الحياة وظل الموت .

صباح الجمعة ١٢ من أكتوبر

بورمان

وسأتم عامي الحادي والعشرين . . يومان وسأحتفل مع اصدقائي بعيد الخريف . سيقبلون الواحد بعد الآخر وعلى وجوههم ابتسامة رغم ما تحمل الحياة من ذكريات واعاء . ومجاهيل . سيقبلون يا صديقي الواحد بعد الآخر ، اما انت فلن تقبل . وسيسلمون جميعهم حولي يتحدثون ويتضحكون ، وانا جالس معهم ألتحدث واتضحك ، وسأفتقدك يا صديقي فلن اجدك . سأحس قدك واضعاً قاسياً ومولماً للغاية ، سأريدك ولن توجد . سنحتفل بالخريف يا صديقي وسنفرح . سنستمع الى انغام عذبة واشعار عبقرية كوسيفمونا ضوء القمر في تربيته الثاني وياقننا

هوا، الحوريف النعام الذي . لكن فرحتي مبتورة يا صديقتي . كلما علوت درجة ، كلما حصلت على جديد ، أحسست ان فرحتي ناقصة ، ان ثمة انساناً كان يجب ان يشاركني كل خطوة من خطواتي حتى تكتمل السعادة التي انتشدها في هذي الحياة . لكنك مضيت عني والسعادة ما استمتعت بها واحد يا حبيبتي .

وكما خلصت من هذه التغاهاات التي تهرب اليها من كل ما هو عميق رهيب ، تبذرت امامي الحياة كوحدة رائدة ابدأ ان تعود وتذكرك يا صديقتي وانت توجدين في نفس المكان وفي نفس الزمان ، وقد مددنا الدم بيننا قبل ان يتدهون نفسه اليانا . وتذكرك وانت تسير مع الثريا ، وانا اسير في طريق اعرف انه ضمنى معك ذات يوم ، ثم تفرقنا يا صديقتي وما عدنا نلتقي ، والحياة واحدة ثم بعدها ان تعود توجد .

وفي آخر الليل سيصرفون يا صديقتي ، الواحد بعد الآخر كما اقبلوا . الى ان يصرف القمر مني ايضاً . واجلس وحيداً في حديقتي الصغيرة القفراء ، وفي هذا الصمت سأذكر كل شيء . سأذكر انني لا استطيع ان افعل شيئاً لقاسي وهو يحرق في عنف كلما رآك ، بل كلما كنت اسير في طريق او اجلس في مكان ثم لمحت انساناً يشبهك خفت قلبي فاذا تبينت انه آخر سأذكر كيف تردت خفت قلبي تريد ان تعود الى انتظامها المألوف .

وعندما يحل في الثوب ، ويرهقني الاحساس بالدم والصلب والفقد ، سأذهب كي انام ، ستمو لي صبور عجيب مضطربة وانا مقبل على عالم النوم . ثم تنقل اجفاني . وقد ادى حلماً اولحين ، وقد اذكر منها شيئاً وقد لا اذكر ، حتى افيق مع الصبح . وسأفتقدك يا حبيبتي لكنك لن تمودي توجدين . سأذكر انني قد فتدك في هذه الرحة ، فأعضي وانا احس ان ثمة شيئاً دائماً ناقصاً مني وأبدأ ان يكتمل .

وسيمر عام في اثره عام ، وقد يحدث ان اعيش وقد يحدث ان تعيش . وسأحتفل مع اصدقائي بعيد في اثر عيد . وقد يحدث ان تبته صورتك على مر السنين بل قد تحترق تحت دفن ذكريات جديدة ، وينكمش ذكرياتنا وقسوة فراقنا بين هذه الزمقمن الذكريات والاحداث الجديدة . وقد لا ترين يا صديقتي سوى ان هذا انتصاراً للحاضر الجديد على الماضي العتيق ، وقد يكون هذا حقاً . لكنه في الآن نفسه يعني هذه الحقيقة المزعجة الستي انتفض من مجرد ذكرها الآن : ذاك ان الدم ينسج نفسه حول الوجود النزي الذي كان مني ومنك . وحين يلف الدم آخر خيط

على هذا الوجود ان يعود يرهقنا ضمت ولا فقد ولا حب ولا كره ، حتى ننام مل . جفونا عبر الدم الكبير .

مساء السبت ٢٠ اكتوبر

واذا

كان على الفنان ان يتخذ موقفاً اخلاقياً ، فليكن موقفاً بلا حقد ولا كره من الاشخاص الذين يتلقهم في اعماله الفنية . واذا كانت لدى الفنان مهمة اخلاقية فليكن هذه المهمة هو ان يجعل كل شخص - في عله الفني - مقبولاً سواء أكان مجنوناً ام قاتلاً ام متعجرفاً ام مجاكراً . ان كل تصرف يحمل معه وثيقة تهدير . ولنا نفعاً ، ولنا نكره ، ولنا نخقد ، الا لاننا لم نطعم على وثيقة التهدير هذه . واذا وجدنا في قصصه او مسرحياته اشخاصاً يكرهم او يخاف منهم او يحملنا نكرهم ونحاف منهم ففني هذا انه لم يوضح لنا بالقدر الكافي وبالنسبة اليه انه قصر في ادائه الفني . فالفنان مطالب بمهمة اخلاقية : ذاك الا يحملنا بحب شخصية من شخصياته الا بالقدر الذي به تسجم مع نفوسنا ، بحيث لا نخقد - بالرغم من ذلك - على الآخرين لاننا ندرك لماذا تأدوا الى اعمالهم وحيواتهم حيث ان الحياة المادية لا تتيح لنا ان نطعم على هذه التفصيلات . ان كبروا من الكره والحقد يزول من العالم وانا تصفنا وثيقة الاعتراف لكل ما يحدث ، ان كل فعل يحمل وثيقة تهدير ، وكل كراهية منسا الآخرين ان هي الا تكاسل وبلادة .

تلك خطرات طافت بذهني هذا الحوريف ، ذاك الفصل الذي هو اروع الفصول جميعها . ان الصيف في مصر فصل الموت والارتياح والكلل ، استوعب فيه اكبر مقدار من الكتب حتى اذا مسا اقبل الشتاء ، ذاك الفصل الحلي النابض ، بدأ العالم يتحول امامي الى اساطير وقصص ، وتنبعث الذكريات فيه كأنها هو اليوم الاخير . وابدأ ارى واصم في كل لحظة وفي كل مكان ابطال ملاهم . فالشتاء لم يعد في وجودي ذاك الفصل الميت من العام ، ولا الحوريف ذاك الفصل الذي تتساقط فيه الاوراق وتجف . بل الحوريف عندي هو مدخل الى الحياة ، الحياة القوية المائدة التي يشبها الشتاء في نفوسنا بعدودته وعواصفه وامطاره وعوده ان كل شيء يتحول امامي من جديد الى الزان ذهبية واخرى في روعة الشفق . ان العالم يستيقظ في نفسي من جديد ، ان نفسي تردم باشياً . غريبة وعديدة ، ان ثمة اصوات وكائنات تتسرب الى اعماقي كأنها في خفية ، انها تردم في نفسي وتندفن فيها مختلطة في منتظرة يوم ميلادها .

الفائقة

يوسف الساروني

معنى القومية العربية في الامتحان

بسم محمد وهبي

✱

شيئاً ، ولم تكن له بذور او مقومات حقيقية تذكر . فكم وكمر رأينا في التاريخ من قوميات تخلى ، وتظهر فجأة للوجود بفعل التكتل والاتحاد والتضامن التي كانت تفرضها الازمات والاعدات الاجتماعية الخطيرة كالحروب . ومعظم القوميات الاوروبية التي نشأت على أثر حروب نابليون ، مثال حي على هذه الحال .

وهذا الامتحان - او هذا « الكشاف » ، حسب لغة الكيميائيين - ، يتمثل في التيارات الخارجية العاكسة التي تقدم هذه القوميات وهي في وضعها الاول البدائي ، فاما ان تتغلب عليها بسهولة فتسحقها وتذفها في حيز الدم ، واما ان تتكسر على حدودها وتضطرم ، فتزد قلوبها بالخسارة معلنة وجود هذه القوميات ، وحقيقة كيانها وجدارتها بالبقاء .

وهذه الاعاصير التي نعيشها هي الازمات والمشاكل الجماعية المشتركة التي تولدها الحروب ، كما توجد لها جميع انواع الطغيان والتجدي والاعتداء القائمة في معاني الاستعباد والانتداب والاستعمار ، او التهديد مثل هذه الاخطار الخارجية .

والقومية العربية عانت في العصر الحديث محناً وازمات جمعة من هذا القبيل ، فخرجت من اغلبها سايمة في مجمل كيانها ، ولكنها لم تسلم في الواقع من الاصابة ببعض الوضوض البليغة ، وبعض آثار التهميش والتشويه : فمن وطأة الطغيان العثماني الذي خلف التفكك القومي والتعمر الفكري لدى عشرات السنين الى الورد ، الى الانتداب او بالاحرى الاستعمار الغربي ، الذي لم يترك غير التفريق والتشتيت بين ابناء الوطن الواحد ، وغير تسميع الافكار والقيادات ، وخلق الازمات المتضاربة والمنازعات المحلية الوضعية ، وغير اضماف الاخلاق التي هي المقومات الاولى لحياة الانام والافراد ، بما دعوه تمديناً ، ولم يكن في حد ذاته سوى تفوير . ضلل بقتور الحضارة الحقيقية ، وقد اجتاز الوعي العربي هذه الازمات والاضطراب التي قاومتها وجشت على صدره كالكايس رداً طويلاً من الزمن ، وتوصل اليوم الى الخلاص منها والتغلب على معظم آثارها . غير انه لم ينبج من هذه الحروب الحقيقية في اعتم معناها ، الا ليقم في اذعة هي شر منها جميعاً ، والا ليجد امامه خطراً هائلاً يهدد كيانها بالافضاء .

« القومية العربية » : هل هي حقيقة واقعة ؟ هل لها وجود فعلي ؟ . هذا موضوع طرقة كتاب كثيرون وعالجه بوسائل وبراهين مختلفة منذ عهد مضى ، حين كان الانتداب او الاستعمار الغربي في الاقطار العربية على أشده ، وحين كان النهوض القومي في هذه البلاد في فجره . وقد أفضى معظم تلك الآراء الى الرد على هذا السؤال بالاجاب ، استناداً الى ثبوت وجود المقومات المرجية لهذه القومية ، بما يتصل بروابط الماضي والحاضر والمستقبل ، التي تعقد باتصالها السيق وحدة حقيقة لا يمكن الشك فيها . فتعالينا وعرفنا وعادتنا التي تؤلف الدعامة والحجارة الاولى لبناء مجتمعنا الراهن ، والتي لا حياة ولا طابع خاص بغير كياننا بدونها ، ما هي الا من صنم الآباء والاجداد الذين أنشأوها مع الزمن وخلفوها لنا ، وحاضرنا عامر بروابط التفاهم القومي ، وبالصلح والحق والآدم والمهوم المشتركة ، كما ان مستقبلنا لا يشكل في واقع تفكيرنا واحساسنا سوى طريق مستقيم واحد ، ودمته آمال واحدة وراثة واحدة ، وهذا بالرغم من جميع الازمات الانكماشية الرجعية التي لا تؤثر في اتجاه هذا الطريق وانما تزيد وضوحاً وبروزاً لآمن الواجبة .

نعم ، لقد عالج الكتاب العرب هذا الموضوع وأفاضوا فيه وأطنبوا ، مقدمين هذه الادلة القوية ، وكثيراً مثلاً . . . على اننا نحب الآن ان ننظر في الموضوع من جهة اخرى ، ونعني بالنسبة لقضية فلسطين بعد تطورها الاخيرة .

زيد أن نعرف ما اذا كانت هذه القومية التي كنا اثبتنا حقيقة وجودها بالادلة العلمية ، قادرة على البقاء والصمود في وجه تيارات الالام واعاصير الاحداث ، وماذا لسننا من كفاحها هذا حتى الساعة ؟ فالحقيقة ان واقم القوميات لا يثبت ويتأكد الا بالامتحان والتجريب . فالامتحان يثبت الوعي الحامد من رقدته ، والامتحان يبارر النزعات والميول والافكار المتلبدة ، والمنطوية في عالم اللاوعي ، وينقلها الى دائرة الوعي الواضح ، بحيث تستقطب وتندمج بالامتحان وحده . فتنفع هذه النزعات الدفينة الراسدة ، وتتضافر على تكوين الارادة الحاققة المبدعة . بل ان الامتحان يؤدي احساناً الى انشاء الوعي القومي وتكوينه ، واطلاقه في حيز الواقع بعد ان لم يكن

كلمات



كلماتٌ همت على ثمرها سكري ، وحارت قلم تحس الشفاها
وسرت دمنة على صدرها الواهي فرقت هل يدي يداعها
وتسلاشت وراء ستر من الليل فباحت بسرهما هينها
أي دنيا من أنجم واجبات شاردات عيم في دنياها !
صمتها في دمي قصيدة شعر .. كيف تدري قصيدة صمتها ؟
كلماتٌ همت وأغضت على ثورك ظلت روحي تحس صداعها
إيه .. لا توقظني الذي نام منها أنا أدري بما غفولي سواها !
بفرداء
الكرم الرنزي

من غير أن يتفتح هذا الوعي بجلاء وشمول ، ومن غير أن يبرز بما
يكن فيه من طاقة تضالية عاملة ، فيثور ثورة لا بد منها ولا
يحيد عنها ، تأكيد الذات وإثبات الوجود .

ولسا نفي بهذا الوعي مجرد المدلول العاطفي القائم على الإحساس
والشعور ، لأن وعياً كهذا يبدأ ناقصاً في تكوينه ، ومن ثم غير
جدير بالبقاء ، وانفا نفي وعياً كاملاً تدخل في تأليفه جميع المقومات
التي هي من عاطفية وفكرية وإرادية ، وبكلمة أوجز يجب أن
يعترف شعورنا القومي بالكفاءة ، وبالقدرة على العمل المركز ، وحتى
على النجاح في كفاحه ولو إلى مدى محدود ، والا فانه ، إذ يبرز
عن ذلك ، يقدم الدليل على نقصانه في التكوين ، أي على أن وجوده
أو وجود القومية العربية ، لا يعدوان يكون مجرد وجود وهمي
كاذب ، لا يستطيع ولا يستحق الحياة والبقاء .

لم ينجح الوعي القومي العربي بعد في مناضلة المؤامرة الصهيونية ،
ولم يفلح بعد في إبراز طاقة جبارة من شأنها أن تثبت كيانها ، وأن
تزهله الحياة الكريمة ، ولكنه مع ذلك ، لم ينبج حتى الآن في
كسب المعركة والفوز بالضر الحاسم ، لانه لم يعلق بعد سائر
طاقاته الخزونة ، حتى يضمن سلامة عدته في النضال .

ففي القومية العربية ، وحقيقة وجودها ، بل معنى قيمة وجودنا
نحن ، ومدى جدارتنا بالبقاء . كل هذا لن يتحدد ، ولن يتقرر
الا بالنتيجة الفاصلة لمعركة الحياة والفناء . هذه التي نخوضها من
اجل فلسطين .

محمد وهبي

الى غير رجعة ، وهو خطر الصهيونية بجميع مواهاها الدامية ، وما
انتبت اليه من التطورات الحزنة الاخيرة .

فالיום ، وازاء الوضع الراهن لقضية فلسطين ، يخضع العرب
قاطبة لامتحان صعب وعيب ، قد يكون آخر امتحان عرفوه ،
وقد لا يكون ، ولكنه على التحقيق أخطر امتحان وادق تجربة
عرفوها ، لانه يتناول كيانهم ذاته على شكل واسع النطاق ،
وبأسباب واساليب خفية ، معاطلة ، تستخدم الوقت والزمن البطيء ،
للوصول الى بنيتها من القضاء المبرم ، فاما تسامح بالامر الواقع الذي
فرضه اليهود ومن يسانداه من دول الطغيان والرشوة ، ومن ثم
تدهور مؤكدهو الأخطاء فالعدم في اجلي معانيه ، واسا قبول
بالحلل النصفية التي لا تغيد غير التخدير وإطالة فترة الاحتضار ،
واما حزم وعزم ، وثورة للكرامة والبقاء ، وسحق الناصب
المتندي مها كانت الظروف والملايسات !

وعلى الاختيار بين احد هذه الاوضاع ، يتوقف تحديد معنى
قيمة وجودنا ، وتنجلي حقيقة وعينا ومدى قدرة قوميتنا التي ندميها
على الحياة وجدارتها بالبقاء . كما نريد اوجب بين القوميات المحترمة .
نعم كهذا امتحان عسير يتناول معنى القومية العربية في اوسع
نطاقها ، لانه يتجن الوعي العربي ذاته ، وعلى نتيجته تتوقف معرفة
نصيب هذه القومية من الصحة والواقع ، وما اذا كانت حقيقة
بالقول لم خيالية ا فليس من المقبول ولا القبول مجال من الاحوال ،
ان تمر بنا ازمة بل عاصفة شديدة كالتى نعانينا اليوم بفلسطين وتهدد
كياننا برمته ، وان يكون لدينا في الوقت ذاته وعي قومي حقيقي ،

والقيت بالندريه جيد في «سيمفونيته الرعوية» جانباً واقبلت عليها سرحباً مبتهماً .

قالت وقد زمت شنتيها : - انني ضجرة من هذه الحياة !
فهرشت رأسي وقالت : - وكيف عرف السأم طويقه الى قلبك يا آنسة ؟ ان عهدي بك باحة الثمر ، منطلقه الوجه دائماً .
- انت ؟ وهو . . . وكلكم . - لا لا اعوذ بالله . انا لست منهم .
- وكيف ؟ ا لم تخاف في ومدك باصطحابي الى السينما قبل ثلاثة ايام .

فاجروبي من الحجل وقالت مدافماً : - لقد كنت مفلساً !
- وهو . . . يجيل الي انه قد افلس في آخر لحظة . . . و
وضربت المنضدة بقضبة يدها بنف واسترسلت غاضبة .

- لقد «تلفن» لي في الساعة السادسة
من هذا المساء ، ورجاني ان اتبأ
للخروج لاننا سنتناول طعام المشاء .
في احد مطاعم الشاترلوت . فرقص
قالي من الفرح لذكر المشاء البسم ،
ووقفت امام المراتة طويلاً وها رمتني
بنظرة تشع فتنة ودلالاً . وانتظرت ،
وانتظرت طويلاً حتى رقصت
امعائي من الجوع . . وبعد ذلك .

يا له من كلب حقيق ! لقد اعتذر بدون حياء : فلقد جات امه من
الريف ١٠٠ ياربي ا ما هذي الحنازير - ١١

فدنت يدي بملبة السكاير مطروق الرأس من الحجل والحواف
امام اعصابها الثائرة فتناولات الملبه مبني بكل هدوء ، وقذفتني
بها بكل عنف وهي ترحب - اريد حلوى ا اماذا عندك من
القطاير . . ؟ قتلنا لها قاعر النعم - ابحجونة انت ١١

- ماذا عندك من المشروبات ؟ فحنايا ؟ كونيكا ؟ نبيذ بوردو ؟
فنامتها طويلاً وهزنت رأسي مشفقاً : - لقد بدأت اشك في

سلامة تواء العقيلة . . واذا استمورت
في هذه الطلبات الحيايلة ، فسأقذف
بنفسي من النافذة ولا شك .

فدنت شفتيها قائلة : - الى جهنم ١٠٠
- كفاني ا فلقد قضيت نهسا
امس في جسمي بسبب الاضراب

العالم . . فلا ما ، ولا كهريا ، ولا مترو ولا « البيت الاصم »
الذي اتناول فيه غدائي . لقد كان اضراب الامس كارثة حلت بي .
فانطلقت ضاحكة : - واين تناولت طعامك اذن ليسا
الحقير الصغير . - حقير صغير اا شكراً . انك تختارين الالفاظ
الرشيقة في تدليلي . - اوه . . لو لم احبك ، لا دلتك .
واخذت يدي بين يديها وضغطها برفق ومودة .

قلت لها وانا اتأمل شعرها الاثيل ، وخدها الاسيل ، وعيونها
الدعج ، واهداها الرواب ، وفها الرقيق وانفها الدقيق ، ونحوها القضي :
- اما اللداء . فلقد كان سندويشاً في احد المقاهي ، واما المشاء .
فكان رغباً من الحجز ، وقطعة من الجبن ، وفنجان شاي . فاقوت
شفتها عن ابتسامة رقيقة : - لقد كان عشائي فخماً مساء الامس ا
فنظرت اليها مستهتماً ، فدت يدها تدغدغ وجهي باناملها

الحساسة قائلة : - سمع احدكم في احد
مطاعم الشاترلوت . تصور . لقد تناولت
طبقاً من الحساء ، وآخر من الدجاج
والخضار ، وفطائر . وفاكهة . . ونبيذ
يردو وقدحاً من «الكلاس» . لقد
كان مشاء فخماً كما ترى ، ولكن
اضراب جمال المذكور . .
فقاطعتها قائلة : - وعلاقة

الاضراب بالشاء ؟

- لماذا تسجل يا صاحبي . فلقد اخذت ألترو من الشاترلوت
الى ساحة الجمهورية ، وهناك وجدت بقية الخطوط مقلعة ، فاضطرت
على السير ماشية من هناك حتى (بورت اورليان) . ولما وصلت
غرفتي ، كانت عاصفو بطني ترتوق من الجوع . فبحثت طويلاً في
زوايا الغرفة انشد قطعة من الحجز . . وهكذا قضيت ليلاتي جالمة
وكأنني لم اتناول مشاء في الشاترلوت .

وخيم علينا صمت طويل . فكل واحد منا راح يفكر فيما
صمم ، وفيما سيسمع من جديد . كل منا راح يفكر فيما حوله .
رحب افكر فيها وفي عالمها الذي تعيش
فيه . عالم الحب الرخيص ، والبضاعة
المزجاة ، والسوق الرقيق . انها قصة
تتكرر في كل يوم وفي كل مكان . لقد
بحثت عن العمل الذي يقبها غائلة الجوع
ومغبة الاتلاق ، فلم ترفق فيا طلبت

بائعة الحب

بقلم عبد الرحمن الشيخ علي

http://Archive.Zeta.Sakhril.com

قصّة

هداة الى وليد صفوة سعيد

ويجث عنه . ولما اعياها البحث - ولست ادري اكان البحث طويلاً ام قصيراً - انضمت الى بانمات الحب في الشاترايزة .

وهي لا تتبع الهوى وجمع المال ، بل لتسبع بطنها فقط ! اذا ما ذهبت - وتادراً ما تذهب - واسفها الحظ للحصول على بضعة آلاف من الفونكات ، تعود الى البانسيون ولا تخرج منه الا بعد نفاذ آخر فونك عندها . واحياناً لا تخرج الى « العمل » على الرغم من خلو يدها من المال . وانا احترمها واجلها ، لانها تستحق التقدير والاجلال بما اتصفت به من طيبة في الخلق وسحر في النفس .

في الطابق الذي يفصل بيني وبينها يقيم احد الاميركان . من اولئك الذين يعمرون الذهب اينما ذهبوا وحيثما حلوا في سبيل ارضاء شهواتهم . وفي ليلة ما دعاهم لتناول العشاء في غرفته بواسطة الخادام ، فلبت ذواته في الحال . وهناك اكلت وشربت كثيراً . ولكننا لاحظت خلال الاكل والشرب ، سوءاً في الادب ، وفظاظة في الخلق ، وشراسة في المعاملة . فاذا رغب في تقبيلها ، اهوى على شفتيها وكأنه ينش فخذ دجاجة مقلية . . . واذا راق له ان يداعب شعرها ، او يلامس خدها ، غيل اليه ان هذا الشر وذالك الخدوها اوراق مالية . اما اسلوب حديثه معها فكان سخيفاً ، فلقد كان يخجل اليه انه يخاطب احد العبيد ! !

وانما لتأتي على كآسها ، وتطفئ سيكارتها ، وتزعم على امر ووقت قصده بنظرانها من تحت الى فوق - ما مقدار المبلغ فاجابا باحتقار :- عشرة آلاف فرنك ! !

فقات بازدراء . وهي تضم يدها على مقبض الباب :- ضم درامك في جيبيك يا سيدي . والى اللقاء . وانفعلت كالظلي النافر امام وحش كالمر ، تنفض من النفيظ وتبكي من الحنق .

وانتهبت على قفلة حادة تطعمني على جيني المتهب .

- لماذا لم تحلق ذقتك في هذا اليوم ؟

فاجبتها مبتسماً :- لقد نفذت شغلات الخلاقة يا عزيزتي .

فقات ضاحكة :- وقضيت بهار الاحد في غرفتك . اليس كذلك ؟

- لا يا صديقتي . لقد خرجت بذقتي الطويل وشعري المنهر .

- واكلت ايضاً ؟ ! . ومن قال لك انني اضرب عن الطعام

في باريس . لقد تناولت غذائي في احد مطاعم (فوجيوار) لقاء

٢١٠ فرنكات . ومن هناك ذهبت الى ساحة (الكونكورد) حيث

دفنت ثمانية فرنكات ودخلت « المتحف » المدرسة الانطباعية »

حيث لوحات Degas و Renoir الحداثات . كم احب Degas

في الكاويات ، الانحيمه يا لوسيان ؟

فلاحت على شفتيها ابتسامة غامضة : لقد بدأت تهذي يا

صاحبي . لقد ذكرتني باري الطوانيت حيث طلبت من قائدها طرس

اطعام نساء باريس الجائعات « البسكوت » . اين انا و Degas .

اين انا من دنيا الفن والعبقورية والحالود . ما قيمة هذه الالوان

وتلك الخطوط بالنسبة لفنانة تبحث عن الحظ وتفكر في العيش . دع

« المار ، وني » في الالوان يا صاحبي ، مرحتني هل تمسيت في هذا المساء ايضاً .

واستندت رأسها الى الجدار بسام ، واسترست قائلة بمل :

- انني ضجرة . اريد ان اخرج ، لنخرج معاً بعد ان نحلق ذقتك .

- الآن ، وقد اوشك الليل ان ينتصف ! وكيف تخرج والى

اين تذهب وانا خالي الوفاض كما تدلين .

فضربت الارض بقدمها الصغيرة :- لست ادري متى تمثلي .

محفظتك بالدرهم ؟ تخيل لي ان اهلك قد نسوك كإبني اهلي من قبل .

فقلت مدافعة : لقد استلمت منهم رسالة قبل يومين ، يرمونني

فيها انهم سيعيئون لي المال اللازم بعد يومين .

فانفجرت ضاحكة . وانتبهت على الخطأ الذي وقعت فيه

فاخرجت وجني من الحجل ولزمت جنانب الصمت . . فلقد سمعت

بني قصة الوسالة اكثر من مرة . وطلبت مني بعد حين ان

اطعمها بما مئدي فعدتها من قطعة من الحبز ، واخرى من الجبن .

بقايا عندي منذ مساء امس . فاشاحت بوجهها قائلة :

- انا لا احب الجبن يا صاحبي . سأذهب الى ابون الخادمة .

لماني احد عندها شيئاً اسد به روقي . - وستعودين يا لوسيان ؟ ؟

فاسبستم بدلال :- اجل يا علي . لايمت الحرارة في

اطرافك المتعبة . وذهبت كالنسيم .

فلما خلوت الى نفسي شممت مجموع شميم ينش امعاني . .

فلقد قضيتنا وقتاً طويلاً في التحدث عن الفطائر والحلوى فانهضت

على الخبز والجبن كالجنون ، ومرت التهمها بشراة ونهم . وعندما

مددت يدي بأخر قطعة من الخبز الى فمي ، سمعت طوقاً خفيفاً على

الباب ، واطل رأسها الجبل منه . ولما رأني اجمع فقات الخبز من

على المائدة شحبت لونها وتسمرت في مكانها .

قلت لها وقد رايتني اصفرار لونها :- ماذا حل بك يا عزيزتي ؟ !

فاندفت بخوي ناجية وهي تقول :- اقد اكلتها . ! ١٩٠ اكلتها يا علي .

ودفنت رأسها الصغير في صدري وهي تجش باليساء . - لقد

سألت ابون ان تطعمني فابت . انني جائعة يا صاحبي . ! !

الفاهرة

عبد الرزاق الشيخ علي

سكرات في رمد

« ان للموت لسكرات » (حديث)

كيف هذا الناس لا يموتون عني كيف لا يموتون اني من هوا.
بعد ما يسمون هذا الداء مني هكذا كلني وجزني. والرخاء
حرقتي النار حقاً لامراً.
جملت جسمي رماًداً وهباء.
بل انا اليوم هوا في الهواء.

اذرأوا كأسي امامي والمدام ورأوني غبت في واد سحيق
همسوا جن، وغشاة الظلام تبعم الارهام، هيات، يفيق
كفروا بالكأس كفر الاولين
ارجعوا لله رجعي النادمين
كأسه. لا كأس شيطان لعين

قلت ان يطلق بالآه لساني كيف لا اكتمها بين الضانوع
وانا للمارد ما هذ كياني سورة الحزن ولا الداء الوجيع
فإذا بالداء يطعن بقواه
يقتل الانفاس مني والحياه
قلتها بالارغم من عزبي آه
مثل هذا الليل ينوي بي سقامي آه من ليالي، ومن هذا السكون
إيه ماذا بين طيات الظلام يضمور الليل فيفري في الظنون
انا يا ليل غريب في دجائك
ولقد مر على نفسي سواك..
آه يا ليل وآه من رؤاك

ذقت يا ليل رمد الندم وانا اليوم رمد نادم
لو سمعت تبنيه كف العدم بين اسدافك ضل الزاعم
انفسا ساورني حس غريب
شدها ارب ما تحفي العيوب
والدمى الصبا. والصمت المريب

بيننا روحي في الافاق تسري تنشد الايمان في جوف الدجاء
ذبت في نور شفيف. لست ادري ذبت ام ذا كان او هاماً هو اند
غير اني موقن اني رأيتسه
وتأملت لديه وهو يته
وعصرت التي دماً وسقيته

لا تصدوني عن كأسي فالي سلة عنها وقلبي في صمم
واتركوني لذابي ونكالي انفسا ذقت لذافات الالم

بيننا جسمي في النار يعاني
تستشف الحطب عيني فأراني
تحت ظل الله ما بين الجنان
وعلى جرحي منه بلم
وامامي جدول او برعم
ونجم قد عداه الالم

محمد احمد عبد

كفر المبصرة - مصر

النصب الخالد

الى روح امي النافذة على ضفاف « النهر العظيم » تحت جناحي
حرمون المهجر - مونت فرنكلين - الياسو تكسس

أهمُ بذكرها وامضي مردداً
كان فراق الروح لقا احبة
لها حلل العليا ولي حفنة الترى
لكن ينفخ القلب الشجي فتعمة
فياطيف من اهوى ارتقب لي دمة
هنيئاً لورقاء تقيم بقرعها
تحيال بديجور الياي يذورني
ويهمس في اذني آيا تقدمت
ويوقفني من عقلي وسكيتي
كأنني وهي روحان في جسم واحد
فيا لك من حلم لذيق مروع
مردت على حي بنباء مرمع
نداء. ولكن لا مجيب لطارق
اني احلي يقظان اذا مر عابر
« فيا دارها بالخيف ان مزارها »
غداً الهم « النهر العظيم » وشطه
ولي نصب يحمي طرد مجنح
تسامي له فرع على غرة التلي
يباكر آس الروض طيب عواره
الولبات النخرة

بقطة ضميم

على قيصي اثر صاخر ذكرني ليلتي الحما

وأرى سر الآله
محمد سعيد الملم

الامل الباسم

وخذ بحظي المتعب العائر
زهراء، تاهت بالسنا الزاهر
لي المني من كونها الساحر
وما شدت حنجرة الطائر
رناها من نالي الزاهر
ارشف من ساعها الزاهر
بشوية تنساب من خاطري
واخطر بها في روضها الناضر
فوق الدنا، والزمن العابر
من عمره في بؤسه الساهر
كأنها من ليله الحاضر
في دجها بلواه... كالنادر
سوط عذاب مرهق قاهر
سوى رنين لدى المسافر
رحمة من دمه الساهر
تحنو على ريعانه الحائر
بنفحة من جها الطاهر
فينشي من نغمه العاطر
زينة في عمرها الباكر
اضراها في فجرها السافر
وشد من بنيانه الدائر
ومل شكوى الموجد الساهر
حديثي منذ الضحى الطافر
اوراقه ربيع الشتاء النابر
على هبوب السجسج السائر
على هتاف الببليل الحادر
ويبسط الاقياء للرائر
واجف مني للمغمض الرافر
رداء طيل الامل المسافر
دل بنا للشامل السامر
في جبرها المنقش الشائر
احمد الشماقي

واميط الستار عني
البحريرة

ابسم قلبي الزاهر الفائر
واجعل لي الايام امسية
وانثر بها الافراح ما اومأت
وما هفت للهن قيشارة
ابسم!! وهات العيش افرودة
وهات مسانجوة من فرحة
وهات ما قلبه من خطرة
وطف بروحني في مروج المني
واعبر بها الايام في لحظة
ابسم لمحروم قضى دحمة
يستقبل الايام مسودة
فحت على الآلام وانطوت
صبت عليه من تباريحها
ان قال: آه!! لم ينج صوته
او ذاب دما لم تفكف يد
علم الموت في الامسية مهجة
تضمد الجرح الذي شفه
وتبعت الافراح في كونه
تجاول له العيش والآله
ار لحة مخطوفة فارقت
أبسم! اونصر عمر هذا الفتي
قد مل في الدنيا تباريحهم
يا قلب! لا تحزن فقد أزهرت
وأورق الدوح الذي جردت
فالزهر في افسانه ماتس
ضاني الرواء في غصنه راقص
والنخل يوتي ثرة أينمت
يا قلب! لا تحزن ولا تبئنس
أهتفسي! العيش بخوضر
يا قلب! اقدنا من موم السرى
ولنترك الاموال صخابة
فونس

قد طبعته شقة سكرى
دنيا الجمال الشهوة السكرى
الفت فيه القدس والطهرا
مثلي ولو لم يذق الحرا
كم غور الحسن وكم غرا
حسناؤه كالنور اذا افترا
اشداؤه أنستني العطرا
وبي عرام الشهوة استغرى
حسبت ما استمراته استعرا
ما كان من امري وما جرا
مسدودة تستغلم الامرا
وابتمت لحظتي الدهرا
نفسى كان لم تقترق وزرا
ما بال طليق قد ازورا
ماسأل... فامتقت حيرى
ما ارحص الحسن اذا يمرى
لا كانت الاولى ولا الاخرى
ابرهيم غورنيا

يا اثر! ما انت الا دمي
في ليلة قد اسمرت في دمي
عبث بالحسن كان لم اكس
قلت بالحسن وقد ينشي
غوربي الحسن فطاعوته
حتى تراميت على مضجع
يفوح منها عبق مبهم
فجعتها في طرب فتنة
فهب مرقاها ضحوي الذي
واستوفز الهاجس مستكرا
فانقضت نفسي على صوته
ومادت الارض كأن زلزلت
ضاق بي الخدع فاستوحشت
فضاحت الحسناء ماذا دهى
جانبها غير مصبح الى
تركها ثمة عريانة
من زلتى عدت الى عفتي
فردا

انت !!

هداة اليه انت!! لانتاد الير أديب المشورة في عدد كانون الاول ١٩٧٧

انت في عيني اطياف وفي قلبي نور
أتمنى فيك دنيا من نعم وجور
ورؤى حالية تندی كأعلام الزهور
حينما يسيم فجر
ويغني فيه طير
انت افق لشعوري ولا حلامي مثال
اقل فيك دنيا من فتون وجمال
ورؤى حاملة سكرى يتافها الحيال
عندما يشرق بدر
ويغني سامر الليل
انت قيشارة شعري اتقني هواك
اقل فيك شيطاناً واحساناً ملاك
انت معبودي اقبل في الكون معبود سواك
حينما افتح جفني
على سحر الحياه

مكتبة الاديب



واغر والحدثة ، وما كنت ابداً ، اثنا .
مراقبتي للرياحاني في جولاته لادجم الى
تذكرات ساعات من حياتي قضيتها وياه ،
استحضرها روحه ، وامري على هذه
الحال التي اشترت اليها بالإضافة الى ادبيتنا .
بل كنت اجتهد في ان اتين هذه الروح
واوضح لي بذاتها فازداد معرفة بالرجل الذي كان يحيا بها شيئاً
فشيئاً ، بقدر ما كانت تمتد بنا الطريق وما كان يطول بنا السير
عليها جنباً الى جنب .

قلب لبنان

لايين الريحاني - ٦٢٥ صفحة - مطابع صادر وريحاني - بيروت

مع روح الربيعاني في قلب لبنان

ولعنوا في هذا غائبان ، او انشئت قفل ان له معنى ذو وجين ،
كما انه كان لي ، اثنا . مطالعتي الكتاب ، غرضان .
فان الامين اصبح اليوم في عالم غير الذي نحن فيه ، واصبح
الحديث عنه كأنه لا يقضي الا عن سبيل . مناجاة روح نستحضرها
بالذكر ، فنستعير بذلك من وجود الشخص المادي الذي كانت
تحويه . هذا من ناحية ، واما الناحية الثانية فهي بحاجة الى بعض
الاطالة والاسترسال .

وكل هذا دفني ان اسلف ما اسلفت من عنوان ومن كلام
في اول مقدمتي ومن انه كان يجودني في مطالعتي الكتاب غرضان :
غرض اول وهو هذا الدخول الى قلب لبنان وهذا النظر اليه بعين
غير ميني . وغرض ثان وهو هذه المحاولة في ان اتعرف باستنتاجي
بذات روحه ونفسه الى الشخص الذي اتخذته الدليل والرفيق في
عملي ، والذي كنت اجهله حال مباشر في هذا العمل اذ شامت الاقدار
الا اجتماع به حياً والتحدث اليه وجهاً الى وجه .

فما اشاراته المادية من انعماء قامة واتلاف عضلات ، واما
خطوط وجهه وتكويناته العامة من لون ونور في البيوت وبريق في
الابتسام وامرأة ومحات بشرة في الوجه الى ما سواها من الامارات
الجسدية ، فجلبي لها تقص لا يزال في ولن يتلافى عندي . اما
روح الكتاب ، هذه الروح التي غشها جميعاً منبهم الشخصية وقوامها ،
فما كنت اشعر بنفسي قاصراً عن الحديث عنها ، فود انتهائي من
مطالعتي الاولى للكتاب . كيف لا وهذا الكتاب الذي حال
الموت بينه وبين ان يعرض مؤلفه مكتلاً تماماً ، لم يكن من القليلة
الفنية والادبية يمكن ان كثير من نواحيه وفصوله خلع عليها
ادبيتنا طابعم الخاص وصفته بصنفته الشخصية الفريدة ، بل كان
ايضاً خلاصة ما انطبع في نفسه من سياحاته الصغيرة في لبنان
المحبوبة . « وهل مثل الطريق في كشف تجارب الرقيق » - ولا
سيا اذا كان السفر مشياً لا ركوباً في سيارة ترك بك « كالسهم »
في المدينة الجبلية ، وقد دخل بك في القرية وتخرجك منها كالقنبلة
وقد اطلقت من مدفع جبار . « وكان الريحاني قد اصبح » ابن
بجدة « السير على الاقدام بعد الممارسة والترويض ، فاختار يصعد
في مقربات الجبال لا رغبة بالثرة فقط بل حباً بالاستكشاف عن
جال الطبيعة في مشاهدتها ومكوناتها » . ول الرجال التي

لست بالرغم من انني من قرية مجاورة للفيلسفة ، من عاشوا مع
الريحاني وخالطوه ، بل انني لم اشاهد الامرقة واحدة ، عن بعد ،
ولا ابلم ، على ما اتذكر ، الاربعة عشرة من سني . فابست الصورة
المادية التي انطبعتم في عنه اذ ذاك ان استعالت الى ذكر انطوري
مع ما انطوري في وجداني من ذكريات سواء ، يطغو ويشرق بين
الحين والحين على صفحة ضياعي ، فغبط هكذا ماضي مجازري ،
ولا يشيخه الا بعض المقطوعات من آثار مفكرنا الادبية ، طالعها
في كتب المنتخب ، ودرستها مع اتراني خلال دروسي الثانوية .
حق انني لست من الذين اقبلوا على شتى مؤلفاته بالبحث الطويل
المدقق ، محاولة منهم ان يكونوا لهم صورة وافية وافرة قوية من
شخصية ليذيموها بعدئذ على جمهور القراء . لست من هؤلاء جميعاً بشي .
وانا اعترف للقاري . بنقصي هذا اذ ان له الحق على بذلك . واعترف
له الى كل هذا الذي سبق بانني نظرت الى الريحاني بعين كواشكوفسكي
الروسي وباراس الافرنسي وجيب الانجليزي وبروكلمان الالماني قبل
ان اقبل مباشرة على مؤلفاته والدراسات العربية فيها .

فما كنت اذا ، اثنا . تولجني في قلب لبنان في مية شخص قد
اخص الحب للبنانه . لا حاول مجرد الاستطلاع على هذا الوطن
الصغير شعباً وارضاً جبلاً وادوية ، وهي امور كان عندي بها الملم

يذكرها في كتابه : الى الارض، الى الصين وزحلة عن طريق وادي الجاهم وبسكتنا ، الى بلاد جيل حيث كان الشريك ، الى ارز جاج ، الى اللاؤء ، الى افقا ، كل هذه الرحلات لم يكن للسير فيها الا الحظ السير ، كان توصله الى مركز يتخذونه كخط الرحل له ، منه يخرج واليه يرجع لتجولاته في القرى المجاورة والاماكن الوحشة «للمجهولة الامن يقيمون مجرارها .. وقد لا يكون بينهم من زارها غير الصياد والملازم والفلاح الذي لا يزال يصيق الارض وعشيقها .

كان الريحاني حقاً اذاً ، اثناء رحلاته هذه ، في جالة نفسية السائح المتجول ، بكل مسا تقضيته من رغبة عن المألوف عند الحواجات وضمن النباتات الرقيقة في تلويحها ، المتخلفة بتقاليدها ، المتقدمة بآدابها في الحياة حلا وتراحلا ، بكل ما تقضيته هذه الحالة من اعلمثان وارتساح في الاسترسال الى الحديث الودي الذي لا يقف بالصاحب عند باب النفس وسلطيتها ، بل يتغذى به ويقبله الى قدس اقداسها المنيع ، الى ثنائها الحفية حيث يبدو المرو على ما هو في حقيقة امره كلها . وقد يذهب هذا الانبساط بالمؤلف ، حتى الى الحديث عن دخيلة اموره العاطفية ، عن شعور الحب الذي قد يتنجع المرو عن اذاعته للصديق ، خشية الانبساطية اللطيفة الحادة ، او يشع متاكلاً ، مجبياً ، خوفاً من ان يلدس من مهارته ، او يكدرك من صفاته الساري .. الى هذا الحد انتهى الريحاني في صدقه في الحديث الودي .

فبدت في روحه ، اول ما بدت لي ، ظهورية ، انيقة ، طيبة ، مرحلة ، طورياً ، مداعبة ، متبهكة ، لبقه في تهكمها ومداعبتها فالريحاني يروي بخفة ولطف صمويات المقربات وعقباتها وما تكلفه من جهد وعناء ، وما يجري بينه وبين مكاريه او بين المكارين انفسهم من امر وحديث ، ولا يتخرج عما يحمل كل ذلك من خشونة ، وحتى من بذاعة بعض الاحيان . وهو يتهكم برفقة ويسخر بعبوية الاجتامية ، وقد يكون لاذعاً في سخره على نومة ولباقة دائماً ، شأنه مع «الحي حنا» . ولطالما التمس الكتنة واوردها ولو كانت على نفسه ، فيعيب بها الانبساطية حيناً ويثير الضحك حيناً آخر . والشواهد في ذلك كثيرة نختار منها سيرة اديتنا مع مكاريه محبوب في رحلته الاولى .

وما كان مثلاً من ابتلاع تحذيري دليله له من الخوف حصال ملوه البقلة او استوائه على متنها ، او قصته مع «الحي حنا» للسكين في السفرة الثانية ، او روايته للمهارشة والسابة التي يهيم بها بين

قرويين في صفاء الفجر قبل بزوغ الشمس على ملو **** قلم من حضيض البشرية ، في اعالي الجبال ، في مهد السكينة والنور ، او حديث المكارين الذين سار برفقتهم الى زحلة .. وما اريك في وصفه للصحير والبنال وسائر المركوبات ، وفي وصفه للسويمات التي قضاها مع اصحاب له من اديبا . واديات معروفين ومجهولين تحت ظلال ارز جاج ، وفي مناقشته للذوبة لكلمة متزده وتقضيل مثزده علبسا ، وفيما يتقده من زاد ادبي وتلويحي وسياسي والفكر النابه اثناء تجولاته في قرانا . فان لم يكن كل ذلك وفي سواء تفككه لطيف ناعم وظرف وناققة ، تم جميعاً عن نفس موحدة مطروب تواقفة الى السحاب ، لم تكن مطبوعة على التهمك والسخر ، فانا لا افقه لكل هذه الكلمات لا معنى ولا مرمى .

والاناقة في الحديث والحقة في الروح يعترقان دائماً بطبيعة الحال الى بساطة وسذاجة في النفس يجعلها اشبه شي . بالاء . التفرق على محرى من الرمل المنقى الصافي . ويبدو الريحاني بسيطاً وديماً حقاً في كتابه . عاد من نيويورك الى مسقط رأسه في لبنان بنشد حقائق الوجود الكبرى ، فوجدتها في البساطة او وجد البساطة اللطفاحية من نواحيها ، ووجدتها في الرذاعة بل وجد الرذاعة صورتها الساحرة ، فكانت كل حركة تبين فيها الرذاعة تترك في نفسه اثرأ قوياً ، وانقلب يحاول الاندماج فيها هو مرآة البساطة وصورتها الصادقة ، في الطيبة ، وما تشكل به من حيوان ونبات ، وارتاح الى مناجاتها في مختلف ظواهرها متشاكلاً بقرنيس الاسيسي قديسه الاطهر . فراء الناس «يقف مأخوذاً عند ذكر ترقزق فيه صفاء الطيور ، او عند زهرة تنور بين الصخور ، او عند قندولة ينفخ عليها من بين الادغال ، او على رابية خضراء فوق جبل اجرد اصم» .

وقديكون هذا الالتصاق بحياة الطبيعة وهذه الحارة للاندماج فيها نتيجة دافع فطري بكر عند صاحبه دافع البساطة والسذاجة الطاهرة المدرا ، وقديكون نتيجة فرار من الحياة العملية الصاخبة اختزازاً من موبقاتها بعد ان ذاق المرو طوها ومرها ، واختبر ظاهرها وباطنها . ولربما كان هذه هو الرأي المرجح في شأن من نحن برفقته ، اذ انه يشي الى كل ذلك ، كالى ارتداد ورجوع عنده الى شي . كان قد غفل عنه فيما سبق . ومما يمكن من امر فنحن امام واقع لا بد من تسجيله وهو ان الريحاني يظهر لنا بسيطاً ساذجاً في حديثه ووصف نفسه وحب هذا الطبيعة وحبها .

والبساطة ، ان كان فيها وداعة الحبل وحياء . النفاة فهي تتسم للصرحة في القول اذا ما دعت اليه الحاجة فتشدد وتقوى وتذكر

قد زاء قاصراً أحياناً في هذه الناحية العلمية^(١)، ولقد يشعر هو نفسه بذلك ويعترف لنا بشي. من الجبل لها فيجلنا الى صديقه شارل قرم او رفيقه الحلو، الا ان كتابه فوق وورا، البحث العلمي المحض غرضاً وغاية، غرض الكتاب محاولة الانسجام مع حياة لبنان طليعة وشعباً، ومحاولة النخول الى قلب لبنان، والقلب لا ينتمي اليه ويدركه الا القلب مم ما يصعبه من عاطفة وشعور، فيجاريه في خفقانه ويشاركه خلجاته وترواته. وان كان الماضي ولقد قدم شأن في كل ذلك، ولا سيما من حيث الشعب، فمريضاً، ولا تتجاوز خطورة هذا الشأن ما نعتد به ونحسب له حساباً في ماضي الانسان لفهم شخصه الحي الحاضر الآن امامنا. وفي هذا العمل المقتضى عليه بطبيعة حاله ان يؤلف بين البحث العلمي المجرد والانفعالات الناشئة عن الواقع الحيوي، في هذا العمل التأليفي لاستيعاب حياة لبنان بكل نواحيها، كان يخشى على الرجزاني التورط في جفاف الكلام والبعد عن طلائع الجملة وحلاوتها. الا ان القاري. لا يلتصق بطنين الى سلاسة العبارة ورونقها وسهولة اقتياد البيان، لمسا استطاع الكاتب ان يحسن في اداء فكرته وصوره «مزج العلم والفن مزجاً ادبياً فنياً». فليس عنده في كتابه سمة اطلاع العالم وسداد تفكير الفيلسوف يجمع اليها سمو خيال الشاعر في وصفه المشاهد الطبيعية من جبال وديان وغابات وصخور وبساتين، ودقة تحليل الاديب الناعم للعواطف والفنوس، وتاميك بنظرة الرسام الفني البصري هذه التي تهدية الى الامكنة الكشافة اللاتق الوقوف فيها للاستمتاع الفريد التام بجبال المناظر الى حده الابدع ومداه الاقصى، وانه الى كل ذلك، يرى مهمة المنكر والاديب هذه كدعوة له يشرف بها فيضن ويتفرع بها ويخشي عليها من ان تبس قيمتها اذا ما هبط بها الى مستوى العواطف الانسانية السطحية المبتذلة التي قد تحصرها وتضييق من رحب آفاقها.

هذه هي الثقافة التامة في جوهرها الحقيقي، الثقافة التي لا ترمي الى مجرد ما في العقل من غذاء فكري، علمي محض وفي الخيال من مادة وصور تقوم وتعلم حسائياً، بل ترمي الى تثقيف العقل والخيال

(٢) كما هو الامر في ذكر من نشيد عيد اوديس عن صاحبه الشاعر الاميري. (ماريون ملار) ص ٢٩٥ وتابع. اما النص الانجليزي فلم نأثر عليه، وهو «دون شك» يحزن الآن في مكتبة الرجزاني. اما النص اليوناني فليقلد اثنته التحسين الحاسي على غير الشكل الذي اوردته فيه الابن جباري. راي صديقه الاميري. راجع في هذا العدد «Bucoliques Grecs» - Vol I - Théorite. Coll. Guillaume Budé من ١٢٥ - ١٢٢.

حيثن اقصى حدها. وكان الرجزاني صريح الكلام. فجاهر بما يراه مثلاً من شأن الاصطفا، ووجه الى زحلة «المروس المزيبة» التي شوهت المقاهي جبال واديا الطليبي القديم «كلمة قساية صافية مجردة عن كل شي. غير الحب والصدق» والاخلاص وما كان لشدة اخلاص الرجزاني لاصحابه واحبائه اشياء. واشخاصاً مجهولين كانوا ام معروفين مشهورين.

الا ان هذه الحفة واللباقة المقتزتين الى بساطة وديمة قوية، لم تكن لتشف عن نفس قريبة القعر، ولتم عن عقل سطحي التفكير، كما هو الشأن عند جمهور الناس ممن تعرف عنهم التفكير وبساطة القلب، فنستحب الاجتماع اليهم الجرد المبازحة والتوزيع عن النفس. بل ان رفيق الرجزاني يشعر بنفسه الى جانب رجل يحب للسكينة والاطمئنان والهدوء. ولا يرى النعمة الا فيها. وعمل السكينة في المرء، التمتع في التفكير وبعد القور في النفس، بقلان بصاحبها على الامور والاشياء، فينفذان به الى صميمها سيراً وتحليلاً، ويولدان فينا نحوه الاحترام والاجلال. ولا بد من ان نؤذي لقياسوف الفريضة هذا الاجلال وهذا الاحترام عند شتى مواقفه امام مشاهد لبنان، وعندما يولد فيه رد فعل «اندماجه في الشعب اللبناني واجتماعه الى لبنانيين ولبنانيات او تذكره لبنانيين ولبنانيات، وعندما تمت فيه من عواطف وصور عاداتنا اللبنانية وتقاليدنا اللبنانية، وكل هذا الذي يقوم به وعليه تراثنا المنوي اللبناني الذي لا يرى المؤلف حفظ كيان التام الا بالحياة المقرونة بالعمل» وبالعامل المكمل بالحياة.

وقد لا يتقبل القاري. بعض آراءه في هذا القليل بعين الموافقة والرضا، غير انه لا بد له من ان يتقبلها جميعاً بشي. من الانسراح والاعتباط لما يرى فيها من الاطلاع الوافر والاختيار الواسع، ولاته يراها غنية الحواشي طيبة الاربج. وبكلمة اصح واوضح لا يبدو الرجزاني في كتابه كرجل مشغوف بالكتب والمكتبات فحسب، بل ايضاً كرجل تحليه ثقافة انسانية حية غربية وشرقية^(١). ولا نعمل في كلامنا هذا على الفصول التي فردها الكاتب لتاريخ لبنان القديم ولا سيما العهد الفنيقي منه. ولقد ترى انفسنا في غنى من مطالعة قصة الرحلة الاعيرة الخيالية التي قام بها في «غياض الزمان»، لا بل

(١) من برزكان: Das grösste Verdienst um die Erschliessung des Orients für der Geist der westlichen Kultur erwarb sich «Amin ar-Raihanis» كان الرجزاني اعلماً لا طيب الثناء. (برزكان) تاريخ الادب العربي. بفتح الشرح لروح ثقافة الغرب. (برزكان) تاريخ الادب العربي. للمعن الثالث، ص ٣٩٩. لندن، بريل، ١٩٦٤.

اي تفرعها وتصلح ما فيها من اعوجاج في حبال انفاها ، والى تسديد العواطف والشعور وتضيها وتوجيهها الممتاز يقتضي اختبارات الحياة ينفذها الاطلاع العلمي .

فانزى بها اذ ذاك واكرم بها من روح اجتمعت فيها كل هذه الحسنات الانسانية واسعد بلبانها من وطن احبها صاحب هذه الروح ومحض له الحب واعده جبل المقدس . ولا سبيل لنا ان نذكر هذه العاطفة عند الامين ولا نتردد قط في ان نحول مليه ما قاله عن داود بركات « حمل لبنايته في قلبه وعلى كتفيه فامدى يوما بها ولا آثر خيراً على خيراً » . وكتابه ، حتى في عنوانه « قلب لبنان » دليل قاطع على هذا الذي قدمنا ، فيه يحقق ادبنا رغبة كل حبيب محبوه وهو لا يكتفي بما يسمعه من التعر في شأن هذا المحبوب ، بل يقبل عليه هو بنفسه يدرس ميقاته ويحلل محاسنه ويعبوه ويزداد بعد ذلك شغفا به وحبا له . فالطرق الجبلية والطواحين القروية والاشجار السنديانة الاخضرار والقرى المنتشرة على جفن الوادي وشفا الهادية ، والينابيع وصوت جري مائها بين الصخور وشذا النباتات والازهار ووصف البساتين النضرة في السهول والبقاع ، كل هذه الاشياء السافرة الشأن عند جمهور الناس ، حظت في كتاب الرجاوي بسطور لا بل بصفحات ناعمة لطيفة تليق بها . واما الظواهر الطبيعية الخاطرة الشأن ، فحدث عن وصفها ولا حرج . اعالي الجبال حيث ياطن الجوار ويصفو الجو وتخف حرارة الشمس فيلذ المشي عليها بعد ما صرف السائح من مجهود قوي للوصول اليها ، البوادي الصغيرة القاحلة ومسا تحتوي عليه من متاحف في تذكيرات صخورها ، الارز ، ارز الرب وارز جاج ، وادي الجاجم ، نهر ابراهيم وعمل النسج في مائه وواديه ، القمم والوادي في اهج ، اللؤلؤ ، اراضه وجوه واقافة ، صخر اليندر وقمه الجرداء ، وكرومه الخضراء ، الماقدرة وزحفاتها وخسفتها وهمة الماقدري في مقاومة هذه العوامل الطبيعية الباطشة ، الهرم المدرج « والنابة المغضوب عليها » المجاورة له وطريق التروحات بين هذا وتلك ، مقاور افقا وتلويح تكوينها الطبيعي واهميتها القديمة ، الروس ، ومنزهره ، يحشوش واقفا الضيق مادة ومعنى ، المناظر الطبيعية التي يشرف عليها من سطح مار شربل ، وفوق كل ذلك هذا التحليل السامي الشعري لتاريخ جبال لبنان وما عرت فيه من اطوار جيولوجية . كل هذه الظواهر يمرض لها المفكر في صفحات ممتعة رائقة قوية يجب على الناشئ اللبناني مطالعتها وحفظها غيباً من الناحيتين الادبية والوطنية ، ويجمل حتى بالسائح قراءتها حين

وجوده في الاماكن التي تبحث عنها . نعماً يزيد تلك الصفحات قيمة وروعة ومتمعة هو ان الرجاوي لم يغفرد فيها بوصف الطبيعة دون الكلام عن الشعب الذي يحيى ضمنها فالشعب اللبناني لضيق صغوره وصروده وهو مثله في « اخشيائنا ونسيما وبنائينا » ، فكيف يفضل الانسان بين ما كان الله قد جمع . وما هي طبقات الشعب اللبناني تستعرض امامنا من اقحوا الى امحاهم تحلقوا خلفهم كل ميوبها وكل حسنتها : الماز وبساطته الجبلية وجلده ومثانة عضلاته ، المكاري وحديثه وفلسفته في الحياة وما هو جدير به من وقار واحترام ، الشريك الرواغ الذي يستلوك ارضك ويمل خيراتك كانه يمل ماء في انا ، « اللبناني الوسط الخفيف الظل المفلعل الحديث ، الطيب القديم الخالص في فنه البسيط المعاملات والادوات الطيبة ، المرأة والنساء اللبنانيات ، سواء كانت تدب على العمل في مرقها وتقوم بقتضيات الضائفة اللبنانية ، او كانت تظهر مع الرجل في الملاهي الثلاثة الوديمة تشاركه فيها وتحلبها بثقاتها ولباقتها ، الحوري والراهب اخيراً وجميعنا يعلم رأي فيلسوف الفريكة فيها ، الا انه يخص بذكر طيب عطر خوري الارز واخواتنا القنات في دير كفيفان . وما اشد ما كانت عاطفة الامين على زملائه ممن رفعوا عالياً اسم لبنان في عالم الفكر والادب والشعر وغلوا اسماءهم على صفحات الادب المعاصر شأن ميخائيل نعيمة ، وداود بركات وآل ملوف ، وسلي صائغ وشاول قرم وغيرهم ممن يصب علمي ذكرهم جميعاً هنا .

وللشعب اللبناني عاداته وتقاليد ، منها ما فقد والرجائي بأسف عليه كالخرف والصناعات في الضيعة ، زالت بعد ان عدل الناس عنها للهجرة الى « افريقيا السوداء » او اميركا ، ومنها ما احتفظ به ولو طراً عليه بعض التطور كالحياة العائلية في القرية ، والاجتماع تحت السنديانة ، والضيافة خاصة تلك الضيافة التي طبعها الفطرة الطيبة اللبنانية بطابع خاص ممتاز فبدت كسيرة دائمة في روحها ، واذا ما كانت دديمة حيناً فهي اذ ذاك جملة في دواعيها والامين يجب في التنايل اللبنانية حتي الظواهر التي تتنافى بطبيعة حالها وبمده عن الايمان المسيحي الذي فطر الشعب اللبناني على فطراً وفرد بقراته واميله ، يجب اجراس القرى والاديرة اللبنانية ويطرب لاصواتها في الاصل لما ترسيه فيه من عالم شعري ساحر ويجب سندية الكنيسة اللبنانية ويرى لها حرمة قوية فيستترز لنة الله على من يسها بسوء قط ، كما انه يستسبغ رحمته تعالى

على كل من يحسن المألة نحوها والاعتناء بها ، ويريد ان تنفياً
عظامه ابد الدهر في ظله .

نعم قد لا يروق بعض اللبنانيين لون لبنانيته وطابع حبه للبنان
فهو شأن جهور وشأن كثيرين من المهاجرين اللبنانيين ، يرى نفسه
شريعياً ، يرى انه عربي الايمان كما انه لبناني المواطن . وكانت روحه
منذ عودته الاولى من اميركا ، لا بل اثنا . وجوده في العالم الجديد ،
تتجاوز في خباياها ووثباتها حدود لبنان وتراكم في كل تلك
البلاد الممتدة من قلب الهند الى جزائر العرب ، المنبسطة من الخليج
الفارسي الى جبال القوقاز . فلبنان كان في رأي الريجاني جزءاً ، مصراً
من كل تلك الاصدار التي تتكلم بلغة الضاد . وكان قلبه ينقسم
لكل تلك الاقطار وكان يعمل في توحيد كلمة سكانها جميعاً .
وان لم تكن هذه الروح ، روحه ، لتردد ، شأن بعض زملائه من
المجاهدين الاول في سبيل تحقيق الجامعة العربية ، اغاني مجد قديم
مشترك تديمه ، فما كانت لتألو جهداً في تحديقها بالافق لتري طلائع
مجد جديد مقبل يجمع ويؤلف فيما بين الناصر جميعاً ، سواء كانت
تختلف جنسياً ام دينياً ام طائفيّاً . وكان عمله في سبيل هذه الفكرة
مستمرّاً خلاصاً ، وحسيناً وحسب كل لبناني من هذه المجاهدة ومن
هذا الاخلاص لتعترف لصاحبها بالواقار والاحترام ، ولا سيما بعد ان
سجاء الموت بجلالته .

هذه هي الروح الطوفانية المتهككة النشاعة البسيطة الوديمة
الصريحة البعيدة الثور في التأمل ، والتفكير الجامعة العلم والاطلاع
الوافو ، الدقة في البحث ، الى ثقافة انسانية واسعة حية ، الخلفة الجب
لبنان عربي ، هذه هي الروح التي تراءت لي اثنا . مرافقتي للامير في
رحلاته ، فكنت ازداد بها معرفة ولها حبا بقدر ما كنت اتجاوز
معها توطناً في قلب لبنان . وكنت وانا جالس الى طاولتي ، سجين
غرفتي ، لاميها بالذكر والخيال الريجاني السائح فاقست معه مقربات
جبالنا واجتاز اياه قرانا اللبنانية واشترك معه في حديثه الى اللبنانيين
والبنانيات واجلس الى جانبه ، مستنداً الى جذوع سندياقاتنا واشجار
غاباتنا . فاشعل اذ ذاك غلبومي معه وارسل دخانه عمداً وحلقات
تصاعد في الفضاء . وكنت اتبعها نظري وارادها رمزاً ، ادياً لكل
هذا الذي كان يولده حديثه عن لبنان طبيعة وشعباً في عالم اللاوعي
عندي من صور كالمه تتناوب وتقسلس بعضها عن بعض بشكل مبهم
غامض ، معقد ، يعي القلب ضبطها ، وايضاها له في حياتها الوجدانية
الغنية . وجل ما يسعني القول فيها هو انني كنت اشعر في تبعمي لها

بشيء . من الاتراج يفسد علمي ارتياحي الى قراءة الكتاب في
بعض فصوله . تذكرت ، اثنا . مطالعتي هذا الكتاب كتاب وريسي
باريس (Enquête au pays du Levant (Maurice Barrès)
ان كلا المؤلفين حاول ان ينفذ الى صميم لبنان في ماضيها وحاضرها
مع فاروق مهم ، اللهم ، وهو ان اديتنا اللبناني فرق الاديب الفرنسي
تأهلاً وجدارة بالتولج في « قلب لبنان » لما يتبش به من لبنانية
حية ميلاً وتربية وطبعاً . وهما يمكن من امر فان هذه المقارنة
دفعتني الا اطلب من الامين ما قد اطلب من الاختصاصي الفني من
بحث دقيق وواضح في امكانيات لبنان من حيث الاقتصاد الطبيعي
والعمراني ومن حيث التطور الفكري الملائم لقطرته . فكل هذا
كان في وحدة الحياة التي استوعبها الامير واداهنا بكل مطاوعها ،
كما ان نقطة الماء المنيعة المحدودة كاتمة في سيل تيار النهر الجارف .
الا ان هناك ناحية لم اكن لارضى من الريجاني تتناقل عنها الا وهي
مكانة الدين المسيحي في « قلب لبنان » . وكلامي هذا لا لاستنكر
منه إلهاده ونحوه المكرر على التقاليد الدينية المسيحية في لبنان
ولو كان يحرج بذلك مواطن كل مسيحي لبناني . فن الناحية
الدينية كل حور وآرائه وكل يستطيع ان يحاور بها خلاصاً بعد ان
يندته طائفته ورفض هر سلاطنتها ، مع اننا نستطيع ان ندين في
كتاب الريجاني الادلة القاطعة على ان الروح المسيحية جبلته جبالاً في
اتصفي فطرته وعلى انه مسيحي يحل نفسه او يشكر دخيلة نفسه
بكلامه . فان اترض لهذا البحث اذاً وقد اخذت نفسي بانابرز
ما فاز به الكتاب من قيمة انسانية اديية ، وانا اشعر بما اشعر به
جميعاً نحن الترقين وهو اننا في حاجة ماسة الى الاقبسال على
الموضوعات الادبية والعلمية من ناحية انسانية محضة مجردة عن كل
هدف وغاية . شرطاً الا يمتنا هذا التوجيه الذي نأزم به انفسنا عن
ان تكون نظرتنا الى موضوع بحثنا شاملة وافية . ولكان يجدر
بالامير ليتوسع تكوين ليساننا ونشأته حتى من ناحية القومية
الجنسية ، ان يندكر او بالاحرى ان يذكر (وعهدنا بذاك كرت
خير من ان نظنها تنسى ما سجله التاريخ) في كتابه وادي قادش
ومفادها وعماها في الشعب اللبناني . ولو فعل ، لكانت نظرتة
الى لبنان كاملة حقاً لا يعيبها نقص قط ، ولكانت نظرة سديدة
انسانية شاملة مجردة عن كل هدف وغاية ولكان نفذ حقاً الى
صميم « قلب لبنان » .

الدب فربير جبر اللعازري

دمش

مدير الدروس العربية في مدرسة الآله البازاريين



جولة للدكتور في شعر

المستحبات

تلقينا بالبريد الجوي من الارجنتين هذه المساجلة الغريبة :

شاعر مجهول تعرف انه في البرازيل ولكن لا تعرف من هو بيت الينا بكتاب ضمه ابياتاً من قصيدة عنوانها (المتحبات) يتحدى بها الشاعر جورج صيدح ويطلب منه ، بلزنها . وما كنا نعتقد بأن هناك شاعراً يتجرأ على اقتحام شاعرنا ومنزلته .

قال الشاعر المجهول في كتابه : ساقتي الظروف منذ عشر سنوات او تزيد الى شواطئ كوبيوكايتا في ديو جاسبرو ورايت المتحبات يلين ، او تلبس من الازواج في عمرها فتطقت فبين قصيدة ادرست اليك قلمة منها لكي نشرعها ونقولوا للشاعر ك صيدح الذي تقاضون به بالي اغداه وامالب منه معارضته . . . اذا استعاض !

هذا ما قاله الشاعر المجهول في كتابه . ولما الايات التي اشار اليها في هذه :

يخامن عنهن الدمع كأغسا في الروض فتقت الزود كامها
ويرحن ، قد جردن ، الا فضلة حبيب الحيا من الهوى اجرامها
متعجات في مساجيحها على متمجات ضيقت احلامها
ملك الهياج زمامها فتواثبت غضيبي كاساد طرقت اكلامها
يلعبن كالاطفال فوق ظهورها موحاً وتبدي غيظها وعوامها
وينون تحت بطونها حتى اذا ما ردن اسفلها لون اكلامها
في متن كل حرونة حردانة ترغي مروضه تدبر لحامها
يسمعن في تهديدها ووعيدها صوت النذير ولا يمين كلامها
في حين تخفي النفس غائلة الردى وتخاف ان تلتقي هناك حمامها

وكان شاعرنا صيدح ، موجوداً في مونتيفيديو . وكان البحر هناك قد اشرع ابوابه للمستحبات عند شواطئ كلاسكو . فأي الا ان يبل المتجدي دأب الا ان يكون الظاهر . وهذه عملاء للمستحبات :

افذي الحامم باكرت حمائمها في شاطئ . فرش الميون امامها
مستعرض فوق الرمال هيامنا مستعرض فوق المياه هيامها
الكاسيات العساريات تزومه بنلائل ما غلفت اجسامها
تركت الى عبث النسيم شقوقها ففضا النسيم عن النجوم غمامها
تقري ولا تعطي الذي تقري به لو انصفت ما نصفت احوامها
ضربت نواظرنا نطقاً حولها ودمت على الرغب المريب ضمامها

ألت تكون وشاحها وحزامها

او ان تقد وشاحها وحزامها .

يا موكب الطوفان ما بال الفبا

نصبت على مرأى الاسود خيامها ؟

متحديات في الهوى ضرغامها

لجت كوكلم تقض اليهود مرامها . .

وقبت فيه شرقها وضرغامها .

متقدماً يتعمد استقدامها

من بعدما كشفت له هندامها

بعد التردد ثبتت اقدامها

ضم الهوام أطبقت اكلامها

ام تلك اقدها الجوى واقامها ؟

بعضاً لصد الماتكاتك ذسامها

ان الحياة بسرهما قدامها

كرومى لها ، كرومى ليعين يامها !

واطال في ترجيحها قاضها

كنا زاعي في الباب صدامها

وارتدت الازواج تحني هامها

بندى الجسم الناضعت خزما

اشراقه ، ومن التيوم قتاما

متوالدات مزقت ارحامها

سعي الوشاة لالمت اقوامها

فوق الصخور فأنثت لوامها

بعد الهدير ، ورخت اقلامها

كفشف الشواطئ ، ودعت احلامها

رجواعة ، شنت عليه عارها

ابدأ تفر وتستعيد نظامها !

بعد الشبية ان تلم حطامها

لشعر في نفسي ، وددت منامها

في عزلة القت عليه سلامها ؟

سأفرض ان صبح الزمان ختامها

لما نظري اصداقها ورمامها .

تفتيك ، لوما سكبت يدك رغامها !

الفت جوار الصيد في سرحاتها

وترغرت في الرمل ، تحدى شهوة

تقضى منه وهجه وضرغامه

البحر ناداها وقلقل في الحصى

فحننت عليه وارتقت في احضنه

دخلت على الازواج راجعة الحطلى

وتوقلت في الالج حتى ضمها

لم ندر - اقلده الجوى واقامه

ام ثارت الاحساك يمحض بعضها

تأبى الحياقة لم الحسان كواءد رت

البحر غشاها وفضض موجه

الرى عليها ، لا يمل عناقها

نوتاع ان غاصت ، وغابت اذرع

واذا باجنحة الملائك صفقت

متنوغرات ، طيبت اشداقها

ملتويات ، تستعير من الضضى

متلاطمت ، وهي في مجبوحة

لولا الرياح المرح تسمى بينها

ولما تناثر لها من عظمها

جئنت بحسن الساجات فقهرت

حتى اذا عادت فرائسها الى

وتساقبت نحو المحيط ، كثنائب

ابدأ تكر وتستجيش قلوبها

رعنا ، كالنفس الحليمة ، همها

يا من تحمدي فينا يقط فتنة

ما كان ضرك لو رقت بجنب

الذكريات على الشواطئ . جمه

واغرض في بحر اللاكى ، تراكا

عندي وربك للقرىض مناجم

بونس ايرس - الارجنتين

جورج صيدح

عجبا للقومي



دعت الحكومة السودانية الشاعر ابيها ابي ماضي لزيارة دمشق . واقام له وزير المعارف معالي حسن بك البرازي حفلة تكريمية كبرى ، فذكر معاليه في جلوسا مبهجاً اديباً فوجّه لذلك الدعوة الى بعض كبار الادباء ومنهم منشئ الاديب الذي تلقى دعوة برقية باسم وزير المعارف السودانية ثم دعوة هاتفية من معالي حسن بك البرازي بصفة شخصية . ثم مدد معاليه عن فكرة اقامة المهرجان والذيت معظم الدعوات ومنها دعوتنا وكان ان اكتفت الحكومة السودانية باقامة حفلة تكريمية كبرى للشاعر . وقد لاقى ابر ماضي من فخامة رئيس الجمهورية السودانية شكرى بك الفوتى ومن الحكومة السودانية الرعاية والتقدير واقيمت على شرفه عدة حفلات تكريمية رسمية . ونشر فيما يلي القصيدة الرائعة التي القاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي اقامها له معالي وزير المعارف :

حي الشأم ، مهنذا وكنايا
ليست قبايا ما رأيت وثقا
فالم بروح ارضها تلم
عصوراً لالمى سكنت حصى وترايا
واضطعل بردى يصفق ضاحكاً
يستعطف التلمات والاعشابا
روح اطل من السماء عشية
فرأى الجمال هنا فغن فذبا
وصفاوشف فلو شكت صفاته
تنساب من وجه به منسابا
بل ادمع حور الجنان ذرفت
شوتاً ولم تترك لمى ابا
بردى ذكرك لمطاشى فاروتوا وبني
المرى فوشفوك رضا
مرت بك الادهار لم تحب ولم
تفسد وك خبت الزمان وطايا

بابي وامى في العراء موسد
بم الحياه مطامعاً ورجابا
لما قوى في ميسلون ترخت
هضباتها وتنفست اطيابا
وانى النجوم حديته فتحاتت
لتقوم جراساً له حجابا
ما كان يوسف واحداً بل موكباً
للتور غفل في الشمس فغابا
هذا الذي اشتاق الكرى تحت
الثرى لا يرى في جلق الاغرابا
واذا نبا العيش الكريم باجد
حر رأى الموت الكريم صوابا
اني لازهى بالقسقى واحبه
يهوى الحياه مشقة وصعابا
ويضوع عطراً كلما شد الامى
بيديه يرمك قلبه الوثابا
ويسيل ماء ان حواء فدغد
واذا طواه الليل شع شهابا
واذا العواصف حجبت وجهها
جدل العواصف لسا اسبابا
واذا تقوض صرح آمال بنى
املاً جديداً من رجا خابا
فاين الكواكب كل افق افقه
واين الضرام لم يسعدم غابا

عجبا لقومي والمدو بياهم
وتخاذلت اسياهم عن سحقه
تركوا الحسام الى الكلام تملأ
دينك يا وطن العروبة غابة
فالبس لها ماء الحديد مطارفاً
فالبس لها ماء الحديد مطارفاً
لاشرع في الغابات الاشرعها
هذي هي الدنيا التي احببتها
وضحكت مع احلامها وبكيت
واضل روحك في السرى واضلها
ونظرت والارصاب تنهش قلبها
فرأيت كل لفاضة اوصابا
لا يصبرون سوى نهم اخوابا
فاستجمع الانساب والاحسابا
ينشئ الصور ويفر الاحقابا
والخبر ما زانت به الاوابا
مجداً يضاهي مجدها الحلأبا
مجداً يضاهي مجدها الحلأبا
تلتفت الدنيا له اعصابا
أفلا تنفي الروضة المخصابا
فأنس الليالي غربة وعذابا
واشتر جتناك قالعضا منور
كؤوسك قد وجدت شرابا
فأشددومثلك كونت ولمثلا
خلق الاله البلب المطرابا

ليت الرياض تعيرني الوثابا
لاصوغ منها للرئيس خطابا
واقول لاني عاجز عن شكوه
عجز الاثامل ان لم تلم عيابا
اشكو الى نفسي السياء فتشتكي
مثلي وقصمت لا تحجب جوابا
فلقد رأيت البحر حين رأيت
فوقفت مضطرب الرؤى هبابا
أعبد سوريا وكاشف ضرها
خلقت يدك من الشيخين شبابا
وبلايل كانت تنن سجينه
اطلقتها واطرتها اسرابا
يا صاحب الحق المصطفى كالندى
لوم تكن بشراً لكانت سحابا
ال شبيهة في يديك وديمة
لوم تكن بشراً لكانت سحابا
فالجهل أتى كان فهو عقوبة
فارفع لها الاخلاق والآدابا
يا ويح نفسي كم تطاردني التوى
والعلم انى كان ، كان ثوابا
ودعت خلف البحر امس احبة
وتهد مني القلب والاعصابا
وغدا اودع هاهنا احبابا

ابها ابي ماضي

وجهة التطور

☆



كلمة السنة الجديدة أوضحتنا ضرورة إيماننا بالحياة ، « وأن الإيمان بالحياة هو الإيمان بالتطور : فلو لا التطور لما كانت الحياة ... التطور على إطلاقه : تطور الكون والجاد والمادة الحية والانسان والجماعة مجبب من عناصرها الروحية والمادية » . « وان كلمة الساعة هي في لبنان (وفي البلدان العربية) وفي كل بلد من بلاد العالم : علينا أن نكون في مقدمة التطور فنصير به ويصير منا ... »

ولا يمكن في الواقع فصل التطور عن جذوره العميقة وعن أهدافه الكونية البعيدة والشاملة . من حيث انه مظهر ووسيلة لانشاء . وبقاء . وصحورة الكون بأسره - وعلى الاقل عالم الكائنات الحية ..

يقول برغسون : الحائق يحتم ظهور الحياة ... اي أن فكرة الحائق وتزعمته تقرض وتحم مولد ونشوء الحياة .. « La vie est une exigence de la création » وحتى اذا ما تجردنا عن كل فكرة ميتافيزيقية للخلق ولما وراء الطبيعة وتمسكنا بالتحديد الوضعي والعلمي لتطور الكائنات الحية وجدنا : « انه يجب ان نمتدح التطور كحدث شامل تقديمي وغير قابل للارتداد الى ما قبل ، ينجم عن عمل مشترك (وتفاعل) تقوم به اجزءه بدائية كالتكيف (لمارك) وسنة الترقى والتقية الطبيعية (داروين) والتحوليات الفجائية (نودان ودو فري) ... » وان « التطور يبدأ بالمادة الحية الاشكلية او بكائنات شبيهة بالكائنات ينقصها النكوين الخلوي ، وينتهي (التطور) الى الانسان المفكر والواعي » (Le Comte de Noüy) . ويظهر لنا كأن الحياة تنزع من قصد او من غير قصد - في إحدى اتجاهات تطورها الكبرى - الى الزيادة المضطردة في مقدار وهي الكائن الحي وحده هذا الوعي ، والى الزيادة في الحرية في الظرف وفي التخلص من قيود وسنن المادة ، كلما ارتقى في سلم الاجناس والفصائل والفروع التي تتطور باتجاه الدوحة الحيوانية التي يتوجها ويختصها الانسان ..

ويظهر لنا انه ، بنتيجة هذا الوعي وهذه الحرية في الانسان ، كأن التطور قد عدل عن نزعتة البيولوجية الظاهرة وعلى الاقل باتجاه الدوحة التي ختمها الكائن البشري منذ بضع مئات الالوف من السنين - والرامية الى التحقق والامتداد والتنوع بأجناس وفروع وفصائل جديدة ؟ . وان تطور الحياة هذا قد تحول بفضل هذا الوعي وهذه الحرية الى تطور اجتماعي واخلاقي ونفسي ، هدفه نشر . وبنان واستنباط القيم والانظمة الاجتماعية والاخلاقية والروحية - وهذا هو الفاصل الوضعي بين عالم النبات والحيوان وبين العالم البشري ..

اذا ما ادر كسنا هذا تمام الادراك واكتنهننا غرض الحياة والتطور ووجهتها منا وفينا وانسا في الواقع أداة مكلفة بتحويل التيار الحي ، الزاخر بالامكانيات منذ فجر الحياة ، الى فكر وشعور وإشراق وقيم حق ومحبة وجمال ، توضحت لنا اي قيمة هي الشخصية البشرية واي قيمة هي حياة كل كائن بشري ورسالته - وذلك بالاستقلال التام عن اي مبدأ ميتافيزيقي ولاهوتي كان ... وانه يتوجب علينا ان نصير هذا الوعي وهذه الحرية وان نتنظم بها وبالتالي بصحورة التطور والحياة ..

ويبدو لنا اذ ذاك على حد تعبير البيولوجي جوليان هكسلي « ان الحياة خليفة بأن نحيها ! »

كامل منبسط

رلكه شاعر الفقر والموت

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول



وترأ مرهف الاحساس ، قرعته انامل الليل الفليضة
فراح يموي ، لسكرته عواء العليق الجويح .
اما الوتر فروحه الشاعرة ، ووجه العنواء التي تلتست
الحياة بين اسراب الاحلام المخبضة بأكاليل الورد ، الرفافة في سحبات
الفجر ، الخضلة بالاندا ، الصافية للوجدان الاسيان . فامس شيئاً ،
مها يكن تغبلاً كثيفاً ، الا استحال شعراً .

اما تلك الانامل الفليضة ، انامل « تلك الالية الكهرى » ، كما
نعتها ، فانامل المدينة العظمى الممتدة بمخالبها الحادة تشبها في
لحم النضارة الاولى ، وان طلتها وزينتها كالفاجرة الرهيبة ، مدينة
باريس وقد هوى في اعماق هاويتها كالشهاب الساقط .

هب يصرخ من تلك الاعماق ، يشكو هباء الى رب الفقراء
والمساكين الذين تسحقهم تلك المدن الكهرى ، فكأن من شكواه
تلك الزمائر التي دعاها : « سفر الفقر والموت » .
كان عرقاً من المحدث الصافي دفيناً وحيداً في احضان الجبال ، وكان
مهجوراً في هاوية لا نهاية لها ولا قوار ، مشربداً في ليل عميقة نفوت منه
الافاق . فاستشعر كأن كل ما هناك يحوشه ويحاصره ، ثم يستحيل حجراً
وخزونه شائمة الالم وهو الغريب الضال في فم هذا التنين الهائل
الذي يسمونه المدينة الكهرى ، وخزوه قطاب المزيد لان الالم الاعمي
هو المحرر الوحيد لهذه الحساسة المشبوبة .

ازعجته « تلك الالية الكهرى » ، فلتد من ازعاجه ، لتثقل
عليه ، بل لتسحقه ، ولتضغط بكل يدها الثقيلة الوحشية على نفسه
الاطيفة البريئة ، حتى ينفني فيها صارخاً من اعماق الهاوية .
اصطدم بقساوتها اينما حل ، واستشعر الجزع حيثما سار ، الجزع
الكروفي المنتشر عن انفاس المدن المائلة .

هذه المدن ، من ذا الذي يقدر على وصف ما فيها من هقاعة
وما لها من رهبة ؟ بربك ايها الباصفة الكهرى ، هبي واذهبي
واجعليني شيئاً ينساق امامك كالتراب .

« الاليتي كنت الساهر على كل آفاسك .. دع نظرتي ،

جسوراً شاملة ، تشمل مدى البحار . هبي . لي ان اتابع مسارا الانهار ،
حتى استطيع ان اسمع ، من وراء ضوضاء شطانتها ، صوت
الابل الصامت يرتفع . خذ بقيادي خلال سهولك التي تقصف فيها
الارواح حيث تقهر اديرة خشنة احبا ، لم يحبوا ، تقهرها بين اسوارها
التي تشبه الاسكان .

« لان المدن الكهرى ، يا الهي ، رحمة ، وفي حضنها يغوخ
الفرع من الحدائق ، وليس لها ان ترجو فرناً ، وأجلها عذود » .

« في هذه المدن يشقى بالحياة اناس ساحطون ، يموتون ولا يدرون
لماذا تموتوا ، ولم ير واحد منهم الا تلك التقطية البائسة التي حامت
في اعماق الليالي المحبوة التسمية محل الانتماسة السعيدة لشعب ملي .

اللاتين . انهم ماتون على وجوههم ، امتهنهم المجهود الذي يبذلونه
في خدمة امور غالية من كل معنى ، يجدهم فيها في غير حساسة ، وفيهاهم
التيكبير . ترجمهم السابلة وتقر عابرة من غير اكتراث ، وان كانوا
مترددن ضعفاء ، وليس غير الكلاب الهبابة التي لا مأوى لها هي
التي تدبهم لحظة في صحت .

« انهم يسلون الى جلائين عديدين ، وضربة كل ساعة
تؤلمهم ، انهم يتسكسون ، وحدهم ، حول المستشفيات ، منتظرين ان
يسمح لهم بالدخول جازعين مبهومين » .

اولئك المبهودون ، الذين تلتحت عنهم الحياة ، اولئك الفقراء
المجلودون بسياسات الجرمات ، اولئك الزبوا النفوس ، فيهم يبيع
الموت ، « لا الموت الذي مسمهم صوته المعجز ايان طفولتهم ، وانما
الموت الصغير كما يفهم هناك » ، الموت الملقى في اعماقهم شيئاً بشرة
فجة ، غصه ، خضراء . ان تنضج ابداً . هذا الموت الرهيب هو
موتهم ، هذا الموت بالجملة الذي يصيب اولئك بلا تقويم وبطريقة
آلية كأنه مصنع واحد .

اما الموت الآخر ، « الموت الكبير » فهو تلك الثمرة الكاملة
في مركز الكل . واسنانا نحن غير النباح ، غير الاوراق التي تنفطيا ،

هو الموت الخاص بكل انسان ويتشكل وفقاً لظهوره :

« إلهي ! هب كلاً منا موته الخاص ، هبه الموت المتولد من حياته الخاصة ، التي عرف فيها الحب والشقاء . » لان كلاً منا انما يحيا لينتهي ذلك الموت الخاص ، يتمهده بالسقيا والرعاية حتى يزهر ثم يشمر ثم ينضج ، فمن اجله تفتتح براعم المذارى ، ويحلم الاطفال بان يصبحوا رجالا كسباداً ومن اجله يعمل المراقبون يعملون من النسوة مواضع لسرهم ، سر جزمهم الذي لا يستطيع ان يتلقاه منهم احد غيرهم . . وفي هذه الشورة يمكن ان تنفذ كل حرارة القلوب ويريق الافكار الرفاف .

لكن هذا الموت ويا حسرتاه لا يظفر به احد ، فقبل ان تنضج هذه الثمار تنتقل ملائكة الموت كأسراب من العليور وتتخطف كل هذه الثمار وهي لا تزال فجة خضراء .

« إلهي ! اغن اشقي من الدواب الشقية ، فبهذه تكمل موتها الخاص حتى وهي حياء . اواه ! هبنا القدرة والعلم حتى نضفر حياتنا كالدريش ، وبأي الربيع حوالينا في وقت مبكر . لان مسا يحمل الموت غريباً رهيباً هوانه ليس النهاية اللاتقة بنا ، وانما تلك الاخرى تلك التي تنقض علينا قبل ان يصبح موتنا الخاص ناضجاً فينا . »

نهاية تلك المبكرة ، تجعل موتنا بمثابة جرح ، فلا نلذ على فواش الحشرة الاسخا ، مسخاً ميتاً ، مسخاً لموتنا الحق ، ولذا يخرج الجذبن يلتوي بضه على بعض كالمزقون ، فيترجفون فيلتيقون كأن شيئاً رهيباً يتهدهدهم على جبين هذا المسخ الوليد ترسم علام الخزع من كل ما اصابه من عذاب .

فنتنهي هكذا جيماً ، مثلنا مثل فتيات ممزقات البطون ، عيتن وهن يلدن . . ناكسكم هي الافة التي حلت بانسان المدينة الكهري . افلا لنا من خلاص ؟

لا خلاص منذ شاعرنا رلكه الا بالضراعة والاتباع الى الله حتى يخاف انساناً ولياً عقاباً يهبه الله ليلاً لا نهاية لعمقه ، يوغل فيه الى ابد ما اوغل حتى الآن ، ليلاً تفتتح فيه كل الهامم ، وينتشر العطار الفاغف . وها هوذا يدعو الله الى خلق ذلك الانسان ومنحه في النهاية قام النضج ، وجعله من السمة بحيث لا يكاد الكون كله يكفي ليكون له رداً ، والماح له بان يكون وحيداً كالنجم حتى لا تقبأه اية نظرة في الساعة التي يتغير فيها وجهه . ولجعل زمان طفولته يبعث من جديد حياً في قلبه ، وليفتح له دنيا المعائب ، عجائب سنه الاولى العامرة بالاحلام . ليدهم يسر حتى الساعة التي يلد فيها موته الخاص ، موته الحق ، مليئاً بالاصدا كالاروضة الفناء ،

او الرحالة العائد من سفر بعيد .

« الهنا ! دلنا على حقيقة الانسان :

الانسان الذي يحمل في نفسه موته الخاص ،

اهدنا الصراط الذي يقاود اليه

ونحننا من الايدي المزرعة بهلاكه »

لكن ، لماذا كل هذا السخط على المدن الكهري ؟

« لان المدن الكهري عادية من كل حق وصدق

تريف الليل وتفسد النهار

تحمل امل الطفل ، بل وحياء الدواب

في صحتها كذب وفي ضوضائها خداع

ولا شيء يربطها بعد بالحركة الشاملة

التي تدور الى الابد حول ذلك المركز الذي هو انت .

والايرايح المعزقة عند ثنايا الدروب

تشئت ضجيجها الضخم وتزقه همسات من الكراهية والحقد

فطوبى للارايح التي تتساق لواذاً الى البساتين .

لان البساتين هيئت من اجل الملوك ،

الذين تاهوا فيها زمناً ،

تاهوا بفادات يحنضن الازهار

على الصوت الساحر لضحكائهن .

لقد كن نقطة هذه الحداثي الالافية

كن يقدن هامسات كزفورات النسم في الخائل ،

وكان لوسواس حورير ثيابهن ، ثياب الصباح ،

صوت على مخاريف الحصى يحاكي خورير الجدول

اما الآن فالبساتين تبكي ذكراهن .

انها ترتدي اصباغاً زاهية حينما تأتي اربعة اخرى

وتحترق ببطء على لهب الخوريف

خلال اغصانها المتناغمة

كأنها الاريسك المصنوعة من حديد الاسوار

وفي غور البساتين يقبدي قصر

مغمور في الرؤية الباطلة

لايائه العامرة بصور الاجدار الثقيلة !

قصر لا يعبأ بشيء ، ولا يذكر شيئاً من حفلات الماضي ،

فيظل صامتاً صابراً كالضيف »

واطلالاً حاتم رلكه بأمثال هذه التصور الفارغة في اعماق الغابات

او الشريدة الوحيدة على قن الجبال ، حتى عاش فيها وتحققت احلامه :

أولاً في قصر دوينو Duino حيث دعتة صاحبته اميرة تورنوتاكسيس Prinzessin von Thurn und Taxis الى ذلك القصر العتيق المشرف على بحر الأدرياتي قرب فينيسيا فنهم فيه بجلال الوحشة وورقة الصمت المرحي الذي ينمو في ظلاله سخي الاحلام ثم في قصر موزوت Muzot في اقليم الفاليس Wallis بجنوبي سويسرة حيث قضى ذلك المتوحد الشارد البقية الاخيرة من عمره القصير . اما القصور التي يراها في المدن الكبرى الآن فتدعو الى الحسرة الباهية :

« فهي تباهي مخاللة كاطلواويس ذوات الزئبق المتفاخر ، لكن لها صوتاً أجش رهيباً . آه ! الاغنياء كثر ، وكبرياؤهم ضخمة . فما تفكر ولكم من المدن الكبرى اشد التنفير اولئك الاغنياء ، العالقن من كبار رجال الاعمال الذين يتبذرون ويستيطون عجباً با هم فيه من ثراء فاحش يكفي الانسان يحس بمقداره حتى يشعر بأن فيه التحدي والغلبة في المنازلة المستعيلة . وولئك الفقير الذي كان نجياً ، آنذاك ، حياة الطلاب الفقراء ، كيف لا يستمر بصولة هذا الثراء الجبار الذي يصفه اينا ولى بصره في تلك المدن الكبرى انعم في الريف غني ، وفي القرية ثراء من نوع آخر . انه النقي الحق لانه ينطوي على معنى البذل الشامل والمطف المنتظم لكل ما حواله . اغنياء المدن هم طغاة جبارة لا يشعرون بأية صلة تربطهم بالوسط الذي يحيون فيه ، بل هم فضوليون عليه ، طغاييل مستاصلون ، كل ما فعلوه ان امتصوا دماء الآخرين واكتثروها في ابدانهم الكالحة ، اما اغنياء الريف فالثراء ينبت منهم وكأنه ينبت من باطنهم ثم يبيض على الآخرين ، انه انتشار وامتداد يحضن النور ويسري في عروق الآخرين ، مثله مثل الشجرة الضخمة

تمتد اغصانها وترسل الظل الوريف يحتمي به اللاجئون اليها من غيب القيط ، قيط الفقر . اغنياء المدن غناهم من الخارج يأتي لينصب في مركز نفوسهم الملية بالاثرية ، اما اغنياء الريف فنناهم من الذات يخرج عنها باذلاً ما لديه فائضاً به على الغير في اثار مجاني كريم . واغنياء الريف هم الاغنياء حقاً ، ولهذا يصرح ولكم قائلاً :

« لكن ! اولئك الاغنياء ليسوا اغنياء . . انهم ليسوا كأولئك الرعاة ، رعاة تلك الشعوب الرحالة التي تمر خلال السهول الحضر الناصعة ومن خلفها اسراب مختلطة من قطعانها مثلها مثل السحب التي تمر في سما الصباح . فان ضربوا خيامهم للمبيت في المساء هناك تفرغ الروح الشاردة للسهول وتتلصق الابل من جديد كأنها سلاسل من جبال .

اهم (اي اولئك الاغنياء) ، اغنياء الملمن) ليسوا كمشيوخ القبايل في الصحراء . نحن ، قدرون في الليل على بسط خاتمة لكنهم يصنعون حلياً من الباقوت اللامع في الامشاط الفضية الخاصة بأفواسهم الاثيرة . - انهم ليسوا كأولئك الامراء شم الانوف الذين كانوا يرون في الذهب شيئاً تافهاً لا اغراء فيه ويقضون كل يوم من عمرهم في نشوة بالنهر والوزر والصدل - انهم ليسوا كأرباب السفن في المرافى التجارية القديمة بمن كانوا يحيطون انفسهم بروائع الفن العالمي وينجحون ، بفضل الاصرار والجلد طوال مجيائهم ،

في ان يجعلوا من احوالهم رائنة اشد جمالاً - انهم لا يشبهون اولئك الابداح القدماء الذين كانوا يبنون على حقائق خدودهم البيض مدثرين بالثائر الذهبي ، شعاع مدثرتهم

كأنهم الاوراق في الهوام « تلك الران من الاغنياء . الحقيقين الذين كان غناهم نتيجة ضرورية لبنالة اصولهم وطهاره مدبرهم ، وفيهم زى تفني ولكم بالعاجز الإنسانية العليا في اليهود المتقية وفي المصور الوسطى ذات النباله ، وهو اذن لا يكره النقي لانه غني ، بل يكره النقي لانه ليس غنياً حقاً ، بذائعب الاغنياء حقاً :

« فأولئك كانوا اغنياء ، عندهم تدوم الحياة بغير نهاية ، تدوم انسانية حلي بالمعاني » اما اغنياء اليوم ، اغنياء الصناعة والتجارة ، فأولئك اولياء الشيطان حقاً ، ولهذا :

« فان زمان الاغنياء قد ولى وان يدعو امرؤ بعد عودتهم لهذا فان كل ما يشتمل الشاعر من الله هو : . . ان يجعل الفقراء يظنون فقراء . بيد انهم ليسوا فقراء بالمعنى الوضع : « فقراء ! كلا ليسوا فقراء ، فما هم الا محرومون من الحريات الرئيسية .

عبد الرحمن ابروي

غادرت القطار الذي اقلني الى محطة المواصلات .
«مواصلات والفورد» لقيت عنثاً شديداً ، ذلك ان
الريح كانت ريحا عاصفة . وكان المطر ينهر كأنه افواه القرب .
فاُسُرعَت الحُطَي التمس ، ملجأً يصغي من الماء . وكنت اقم
فوق متاع احد المسافرين . فلما يصيح كلها لا تكاد تضي .

وبعد لحظة احسست اني قد بانث الباب . فسمعت رجلاً يقول :
ان المدينة كلها قد غاب عنها الضوء . مذ هبت العاصفة ليلة امس !
ثم نظرت فوايت سيارتين من سيارات الاجرة قد تفضل
صاحباهما سلفاً ، مصابيحهما على نوافذ المحطة فشاغ الضوء . فيارجائنا .
وهذا فضل منها يستحق الشكر ويستأهل الثناء .

ثم اذا في اجد جهازاً تلفوياً . والى جانبه «الدليل» فاستعنت
بعود الثقاب ، وتحسست ارقام المشتركين بأبهامي حتى عثرت برقم
صديقي «جون لارشر» ثم ادرت القرص
فجاوبني صوت امرأة ، فكنت - وانا انصت
اليه - كأني اسمع رنين اوتار مود . حلوا النفاث .
قلقت لالسيدة : إن التلكم «جورج
ويلكوكس» . فان صمت اسمي حتى بادرت
بترديد ذلك الاسم . فاستحال هذا اللفظ
مجموعة انغام موسيقية حلوة .

ثم زادت فقالت : وانغبرأ سمعت بهاج
صوتك ، اني انا «ريي» ولقد جاءتنا برقيتك ، وكنا في شوق
الى لقاءك منذ زمن بعيد . قلت : لقد تأخر في القطار اربع ساعات .
والآن انا هنا في المحطة ، ولا يزال عندي فترة من الوقت برين
قطارين ، وان شئت الدقة فأن عندي خسين دقيقة . فأن اذنت لي
بالحضور اضطلعيت «سيارة» . وجئت أؤدي واجب الزيارة .

قالت : وكيف لا وانت في هذه المنعم المنفضل ، وانني لجد
مشوقة للتعرف بك !

ولم تمض الا دقيقتان حتى رأيته في طريقي الى بيت ذلك الصديق .
ولقد كان نذراً علي وعلى زوجتي ان اذهب لادى
«جون لارشر» و«ريي» .

وكانت البيوت في طريقي ينشاهها
ظلام دامس . الا بضعة بيوت متفرقة
كانت تضئها الشوع .

وقال السائق : انك ان تستطيع

في هذه المدينة ان تحصل على شئمة . سواء بطريق الشر .
او بطريق الحبة .

ولكن التعلية برؤية «جون» بعد ذلك البعاد الطويل وبلقاء
زوجته ، وبالكشف عن العالم الغريب الذي يعيش فيه هذان
الزوجان ، قد انمش كامن احاسبي . ولقد وعدت زوجتي بان
اقدم لها تقريراً مفصلاً .

فقد كنا نعمل - زوجتي وانا - في مكتب الجريدة بدينة
«نيويورك» يوم جانا نبأ زواج «لارشر» . وقد مضى على ذلك
قراءة عام .

وقد تولتنا الف نوبة ونوبة من العجب . ونحن نساأل انفسنا
اي فتاة هي تلك الفتاة التي تزوجها «جون» .

وقد كان كلما جا . ذكرها في خطابات ووصفها بالجيلة
وبالظريقة . وباللمحة . وهي الصفات التي
يصف بها الرجال المبصرون الذين يرون
جمال حبيباتهم وملاحظتهم رأي العين .

وهذا ما كان يملأنا دهشة ، ذلك لان
«جون لارشر» كان اعمى . فقد فقد بصره
اليوم الحرب . ولم يلتق «بريري» الا بعد سنتين
من فقدته بصره . وكان ذلك يوم ذهب الى

http://Archivebeta.Sakhrit.com
ومن ثم عرفنا انه لم يزوجه من قبل ابداً فهي . اذاً
جزء . من ذلك الظلام الابدي الذي احاط به . وعلى الرغم من هذا
فقد كان يتحدث عن جمالها حديث الائق الذي شاعت القبلة في
جوانب نفسه . فكيف استطاع «جون» ان يعرف هذا ؟

ولم البث الا قليلاً حتى صاح السائق يقول : ها نحن قد وصلنا
وسوف انبهك بزمارتي في الساعة التاسعة الاربعاً . ثم جريت
انتبه الحطلى الى بيت صاحبي . فجاء «جون لارشر» بنفسه يفتح
الباب . . ثم وقفت لحظة تشيخي اشعة مصابيح السيارة حتى بانث
الرعدة . وعندئذ حيته تحية ضاحكة ، وربت كلانا كنف

صاحبه ، وهز كلانا يد صديقه في
فرح بالغ . واذا رأيتنا ساعنتذ حسبنا
اطفالاً ناهو ونلعب . ونعود بذكرتنا
الى الايام الحالية . ايام صحيفة «باريس
هرالد» حيث قضينا معاً سبع سنوات .



ثم اقبل « جون » الباب ، واخذ معطفي وعلقه فوق مشجب ، ثم قادني بذراعي وهو يمشي في مسرحاً في ظلمة الليل . فأيقنت انه اعتاد السير في الظلمتين : ظلمة الليل ، وظلمة فقد البصر . وتبينت اني انا الاعمى في تلك اللحظة وليس هو . ثم وقف في واجلسني على كرسي كدت اتمر بها . ولم استطع انا رؤية « ريدي » عندها جاءت الي حيث كنا ولكنني سمعت صوتها وصمت وقم اقدامها وصممت خفيف ثوبها وصممت ربيع زهرة توضع من اردائها .

ثم طفقت يدي تلمس طريق يدها حتى التقت اليدين فشدت هي على يدي موحجة بقدمي . وقالت : لقد كنت جد مشوقة للقاءك يا جورج ! وطالما تحدث « جون » عنك وعن زوجتك وكان صوتها لطيفاً ندياً .

فأجبته : ان لقاءك يا سيدتي كان منتهى مسأ صبر اليه في رحلتي هذه . فقد كانت احاديث « جون » في خطاباته عنك مدائح تستحق ان تفتى وتقدس .

فضحكت « ريدي » ضحكاً مبتهماً القاب ، وحاولت - ما وسعني الجهد - ان اراها في الظلام محرراً رأسي . ذات اليمين وذات الشمال ، فلم اتبين منها الا صورة لا تكاد تبين .

ثم قالت : وددت لو استطعت ان احييك بشمعاً يا جورج ولكنني قد استهلكت آخر شمعة عندي في المطبخ .

ثم قال « جون » : انك يا صاحبي من شاربي البوسكي بم الصدام وهناك احدي الزجاجات على آخر منضدة على بين هذا الكورسي .

ثم جلسنا كالنا في الظلام . ثم جثت بالكراب وظلانا هنيهة نتحدث عن اشياء كان علينا ان نطيل القول فيها . فقلت لها كيف اني كنت في تجارتها في مهمة سياسية . وظللت طوال الوقت اسائل نفسي الحاي مدى استطاع رؤية « ريدي » لو اسلمت عود ثقاب ، واذا في اعتر في جيب من جيوبه على علبه من عيدان الثقاب . ثم سألت « ريدي » - والامل يائس - ان كانت تريد ان تدخن ، فرفضت وهي ضاحكة . وعلى الرغم مما بذلته من محاولة وجهد لم استطع - وأنا استضيء بعود الثقاب - ان ارى وجهها .

وحدثني « جون » حديث صحيفته فقال : انها استنفدت منه كل ما كان له من راتب متأخر وكل ما كان عنده من مال مدخر ، بل كل مال استطاع ان يقترضه .

ولكنها بدأت تعود عليه ببعض الكسب وتعوذه بعض الحسادة . والحق ان « ريدي » هي التي تمنى بشؤون الصحيفه لان « قالت « ريدي » في لهجة فيها عتب وفيها حنان وحب : هذا قول

هراء . وسخف . بل انت يا حبيبي صاحب الصحيفه والتاعلم على تنظيمها وتحجدها .

قال الزوج : بل ان « ريدي » هي عياني اللتان انظر بها . وكيف استطاع ان اعمل بنوع عياني ثم اتم هذا القول بضحكة هادئة . وكان اذا تحدث عن عي عييه . لا يتحدث عن مصيبة حلت به وكذلك كان حديث زوجته .

ويبدو انها قد تلقيا المصيبة ، وكان طعمها ليس مرأ . بل كأنها لون من الوان حياتها .

وصح عندي ان « ريدي » كانت تعمل في تلك الصحيفه واسمها والفرد ويكلي داكيل . يوم اشترها زوجها ثم استمرت تعمل عملها . ثم اذا هي تقول - في ضحكة ناعمة - : بالطبع لقد احببت زوجي بل ان شئت فقل لقد احببت رئيسي . منذ البداية .

وبدا لي من امزاج صوتها وتقاربها انها لا بد كانت جالسة على ذراع الكورسي الذي كان يجلس عليه زوجها .

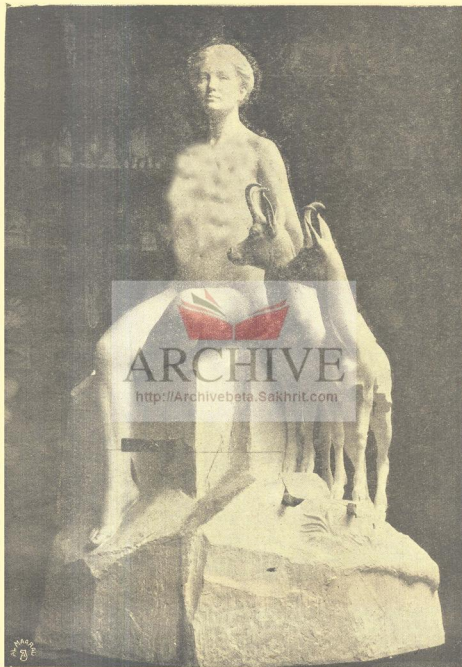
وحدثني « ريدي » فقالت كيف كانا يبعلمان ، وكيف كان « جون » مشغولاً بان يتتبع احداث العالم وان يمشي في كتاب تلك الحوادث . و اضافت الى ذلك قولها : اني اتلقى كل يوم ستاً من صف المدينة الكورسي . وانا اقرؤها كلها لزوجي ، ثم هو يستمع - بالطبع - الى الرايو . وقد خصصت اسميات كل يوم لقراءة المجلات والكتب . وفي اصول كل يوم علي ما يريد املاءه . واتولى انا كتابة ما يليه على الآلة الكاتبة .

ثم قالت : واني انصح لك يا جورج ان تقرأ مقالاته الانتاحية فأنها - في الحق - اشياء . يجب ان تقرأ . فقد ايقظ بقلاته وعي القوم في هذه المدينة واني لاشعر بفخر هو كل يوم في ازدياد . ثم ظلانا نتحدث نصف ساعة وقد تبينت من انشاء حديثها العذب مقدار يروا بزوجه وجهها وحديثها عليه واحسنت انها زوجة وفيه فيها كرم وفيها سخاء ، وقد فهمت زوجها فأحسنت الفهم .

ثم تبينت اننا من حديث الزوج . . انه يبادل زوجته الرضا والثقة ، وكان خفها به قد اشاع فيه دنف الكبرياء .

ثم سمعت زمارة التاكسي قبل ان اكون متأهباً مستعداً . ولكنها الساعة . . وقد بلغت التاسعة الاربعاً .

وتهضنا جميعاً وقالت « ريدي » : لقد اصبح واجباً مفروضاً عليك ان ترونا مرة اخرى « يا جورج » على ان تكون الزيارة في - البقية في صفحة ٦٠ -



الملكيا لساندوز

ساندوز

بضم المعلم ابل شوب - كوخ زميله نبيه صفر

بمدان طالعت مجلة الاديب في عددها الفائت ببحث عن المصور
هنتون تقدم اليوم قراءتها درساً لم ينشر بعد ارسله اليها من سويسرا
المعلم الاشهر اميل شوب - كوخ عن «النعثات التي تنقن الهائل» ساندوز .

الطبيعي جداً - حين نرى فناناً من هذا الطراز خصباً في
جهده السليم ، المكثف ، لا يتكرر في انتاجه بل ينوع

صفر

مظاهر عبقريته - ان نحس ذلك منه
اثباتاً لقدرة الذي يعترف له به
الجميع ، اما حين يهيكل كل يوم لقدرة
الحلاقة تماثيل جديدة وصغافاً يحققها
بالسرعة التي يتخيّل بها ، وان يتتبعها
صعداً في شئ سبها فيناك تستقر
المعجزة . ان الجهد لا يكفي وحده
لمثل هذا العمل بل يقتضي له دوهبة
خارقة ربما لم تكن شيئاً آخر سوى
العقوبة المطبقة . ان الذي يدعش حقاً
عند ساندوز هو ان هذا التقن الهائل
ليس له تقنية مقررة ، سابقة ، بل
تدعن له جميع التقنيات فيؤلف منها
جميعها وحدة منسجمة . ان
ساندوز بجائة ، مخترع ، وابن الجائة
الحاصة ، اي عجب في ان يني رجل
كهذا عالماً من المواد الاشد صلابة
والاكثر ندوراً وتشويهاً ، او في ان
ينحت المرمر والبلور ويقطع الشب

وبصير الهوتز ؟ اي عجب في ان ياجأ الى جميع انواع الصيغ ليحقق
عمله هذا الواسع ، المتنوع . ليس العجب هو الذي يستبد بنا في الامر
بل الدعش ، لان هذه الظاهرة ربما كانت هي الفريدة من نوعها . من
الحق ان الفنانين يظهرون في عصرنا هذا انحرافاً متزايداً الى التخصص ،
سواء كان هذا التخصص في المواضيع ، ام في التقنيات ، ام في المواد
المعالجة . لا عرض يومون ، هذا العبقرى الآخر في تحت تماثيل الحيوانات ،

تتأثلاً نصفياً رائداً لاحد اصدقائه
هتف ناقده مندهلاً : « كيف يمكن
لهذا الرجل الذي ينحت تماثيل
للحيوانات ان ينحت تماثيل بشرية ؟
عد يا يومون الى ادبارك وطيرورك »
واغرب من ذلك ، ما فرضه هذا الناقد
على النحاتة عنه بوبله ، فقد الزمها بان
تختار بين تمثيل الجسم النسائي وبين
تمثيل الحيوان ، وقد كانت تجيد
التمثيلين على السواء . واليوم يذهب
فنانونا الى ابعد من ذلك ، فربما ادعى
احد محسائي تماثيل الحيوانات الحق
باحتمكار التأسيس والسلاحف .
فاني مثل صالح يقدمه لنا ساندوز
وليس يمارسه جميع المواضيع
والتقنيات فقط وينجاحه في كل ذلك
كرب صناعة . لقد بث ساندوز
الحياة في فن كوفي ، شامل ، غير
مقتصر على رؤيا او نوع او مادة او



الطروب



ARCHIVE

مجال خاصي لساندوز

<http://ArchiveBeta.Sakhrit.com>

ان يقرأ فنهجا في توازن الهندسة العالمية . نحن نعرف من ساندوز ،
فيا نعرفه ، قارئ كلاب صيد لا ينقصها شي . من دينامية رودان .
ان عبقرية ساندوز البناء تتمسك درس ما تعالج وتولم بالانسجامات
السامية والاجاث العلمية وبالتصاميم المنطقية غير المنتظرة والهندسات
البنيوية الاخافة . ويلاحظ القراء ان الامثلة الاربعة التي نعرضها
لهم اليوم تختلف اختلافاً كبيراً بعضها عن بعض ، غير ان كلاً منها يدل
على نزعات فنه الخاص ، هذا الفن الذي مجتاه في موضع آخر بحثاً
مسهياً ، وتشهد هذه الامثلة في مجموعها على موهبة متميزة تلك اقصى
وسائلها ويقتضى الفنان فيها على ناصية فنه . لننظر مثلاً ، الى قتال
هلفيسيا هذه الرائعة الفنية الدقيقة الوضع ، بالرغم من ان الطريقة
الكلاسيكية تلجأ في مثل هذا الموقف الحالف العري يستارشافان
واخضاعه لحصائص تقليدية ، نرى ان ساندوز قد رمى بهذه الطريقة
جانباً وحاول ان يحمل من قتاله رمزاً بطولياً مجسماً لوطنه فنظر الى
عمله نظرة الفنان الكبير ، الصافي . اما هذا الرمز فقد صبه في قالب

موضوع ، وهذا ما يفرض فنه عابثاً بادی . ذي بد ، فليس فن
ساندوز نوعاً من دائرة معارف نحتية فحسب بل لا نستطيع ان
نبخل عليه بصفة الشمول ، ففنه يت بصلة وثقى الى فن تيتان ولا
ينحط فيه العامل قيمة عن العبقرى الخلاق .

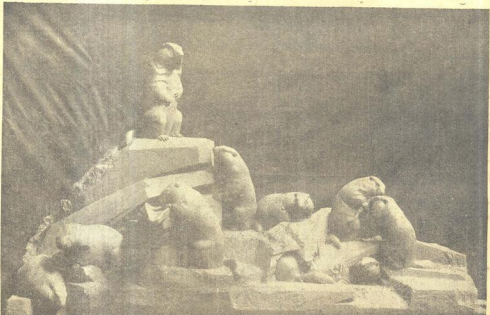
لقد فهم ساندوز ان عبقرية رودان لم يكن ممكناً ان تكون
الافريدة ، وان التأثرية النحتية لم يكن يتاح لها ان توجد الا بواسطة
رودان ، وان الاثر الذي ستركه هذا المعلم من الرودنية ان يلبث
ان ينهار بعد موته . وهذا ما حدث تماماً . لم يتطربوردل ولا ريبستيد
مايول موت رودان لكي يتحررا ، وليس من الاعجاب به او من
تبجيله ، بل من سيطرته . لقد كانت هذه السيطرة مروعة ، هائلة
ولما رأى ساندوز الى اين انتهت هذه السيطرة بعض المثاليين لم
يشأ هو احواج ، موقفه ولا تبديل ممسكرة بل تجنب كل عدوى
وبصره شاخص الى الحمى الرودنية . وقد اعلن بوردل ومايول
انها سوف يجمدان النحتية وهذا ما يعني بالغة الهزيمة ، انها ارادا

ساندوز من احدى المواد التي تحول له معالجتها وهي الرخام الاسود لا تتألك العين التي الفت الرخام الابيض والهورز من ان تعجب بالمعنى الرزين الذي يكمنه تمثال قائم حيث يذر النور مشعاته المضادة بينما هي لا ترى في الرخام الابيض ، باىء ذي بدء ، الاطلائع الظلال . يتخلق هذا الاحساس غير المنتظر حياة فياضة ، نترع نحن الى تعليق شيء مما فوق الطبيعة عليها وذلك لمدم الفنا ايها . هذا ما حققه هنا الفنان في التمثال النصفي الطروب الذي يتخلل لنا انه رأس شيطان غابت مع انه لا شيء يصله به . هو بشري في انفجار فرحه بالحياة ، وهذا الفرح المنبجس من قطعة الصخر ، جرياً على الطريقة التي الفنا رودان . ان هذه الوسيلة تلقي على الاثر الفني شيئاً من البديعية العقلية . فاذا كان رأس شيطان الغابت هذا ليس سوى تمثال نصفي لرجل فان الدلالة التي يدلي بها على نهم التمتع بالحياة لا تبعد عن ان تكون صفة من صفات ذلك الشيطان المرح . هنا يلجأ ساندوز الى وسائل تناقض وسائله في هلفنسيا ويبان الى التعبير عن موضوعه ان لم يكن عن طريق غرابة الخطوط فمسل على الاقل بواسطة النشوء المتيق الذي يقوم مقامها . فالانسان والحلي الماعز يتمايان كلاهما هنا الى الحيوان في الفرح الوجود وفي رد الفعل الاول ، الفطري ، امام النور وفنون الحياة المشعب ، القوي لم يكن يمكن ساندوز ألا يكون ذلك المهة المحساروق وهو البسيكولوجي والنفسولوجي البارع والفنان الذي بمله الاتقاني .

امرأة فنية تتجلى امامنا بغضاه واعتزاز في عري عفيف ، شامخ ، دقيق الخطوط بفعل مهارة ونقاوة شعور الفنان الساحرتين . ان الذين يفهمون الفن بجميع امكانياته ان يتساءلوا كيف امكن ساندوز ان يسبغ على هذا العري الحقيقي ، البليغ ، غمراً من الجمال البكر والاشماع الروحي ، لان الجواب ، بالرغم من دعائره ، لا يقبل الاعتراض اذ انه يعبر عن على ان حشمة العري لا تتوقف على اخفاء بعض المواضع فيه بل على طريقة تحقيقه . ليس ما تخشى عاقبته هو اظهار الجمال عارياً بل القصد المتلوي من هذا الاظهار وذلك عندما يسلك الفنان الى تحقيق قصده هذا طريق توضح الخطوط الحقيقية ، الحية . اما ملامح تمثال هلفنسيا فانها تمت بصلة الى الخطوط المثالية وتتحرر فيها المواصل والمفاصل من النفور الطبيعي وقد افترت في مدارات لمساء مع بعض النواقي . التي لا مفر منها . بهذه الوسيلة استطاع كانوفا ان يحرر اوعر مشاريعه بطابع مثالي . اما ساندوز فيذهب الى ابعد من ذلك فهو يرفع التعبير عن العري الى الدرجة الروحية ويحصره في فكرة اللطف المقتن بالصحة . يقف عن يسار القاعدة الى جانب هذا الرمز التساقي الجالس وعلان متحاذيان يذكران بحبال الالب وهذا الاثر هو اجل الآثار التي تحفنا بها ساندوز ولا يقيم تحت تأثير ابتذال الموضوع الكلاسيكي بل هو بها . صاف لا تنطبق فيه تحيط به هالة من هذا التعبير الروحي المهيمن الذي يحسد فكرة الوطن . كنا تحدثنا سابقاً عن الامكانيات العقلية التي يستخرجها

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

البرابع



الحطوط، المصوب في بروتو دقيق لا توزع الشمس ضوءها الا بالقدار الذي اتاحه الطائي للثال ، لان ما يجب تحاشيه هو فيض ضوء النهار كالماء وبصورة متساوية . اما هنا فالضوء ينير التمثال بمشعات فسحة مشرقة تتعاكس تأثيراتها كما يشاء الفنان ، بفعل عمق تفكيره وحذقه مما في جميع اظهاراته بدون استثناء الهوتز وأنواع طلائه . اما الاثر الرابع الذي نتحدث عنه هنا فهو صفحة جديدة اضافها فنائنا الى هذا القسم العظيم من تآليله الحيوانية الذي هو القسم الاضخم من آثاره . هو لا يكتفي بالدلالة على اوصاف الحيوان بل يدرسه في خصاله ويفرسه تفسيراً شعرياً ويضعه في مكانه الطبيعي . يعرض ساندوز امامنا بشعور أخاذ من الحقيقة عائله يرايع يستسلم سبعة من اعضائها الى تقارين مختلفة امام انظار الثامن الذي يخيل لنا انه رئيس القبيلة وهو قابض فوق موقع . من الصخر . لا تنحصر قيمة هذا الاثر في تحقيقه الكامل ، العميق المغزى ، بل تأسر أيضاً من الصيغ الجديدة التي توحيها الينا هذه الحيوانات الفضولية والغريبة الاطوار . لقد قل من يجمل الصور المدهشة التي اخذها هذا الفنان عن الحيوانات المختلفة التي ألفها ككلاب الصيد والنفادع والطير والاصماك والسباع على انواعها وكيف حقق من هذه الصور روايته الخالدة ، وما هو اليوم نتجتنا بهذا الاثر الذي مثل به الجوايع وهو صفحة لا تقل بلاغة عن سابقتها وتجرهن مجلاء على خصب نتاجات التآليل الحيوانية في فنائنا البصري فضلاً عن شتى التآليل الأخرى التي اظهر فيها نبوغه .

ترجمة : نبيه صفر



قارورة اخفاء

•

انما يؤثر عنده ليس نتيجة لتحوير في الشكل بل لمفاجأة الحقيقة ، على غرار ميكلائنج ، وهي في اقصى حالاتها النفسية بدون اللجوء الى تحوير شكلها .

يعود بنا تثال المرافة الجائبة الى التثال الهوتزي . يدخل الهوتز تماماً في تقافية الطلاء . ونحن نعلم ان ساندوز يخذ هذه الطريقة فلا يقتصر في معالجة الهوتز ، كما في معالجة الرخام ، على تقدير نتائج الانوار والظلال في التثال المصنوع بفيض من الضياء بل يدخل المادة ذاتها في التأثير بحسب الكيفية التي تعالج او تطلى بها . اننا نجهل طلائت الاقدمين الذين وصلت الينا تآليلهم عند ما تكون تلك التآليل المغطاة بالطلاء من الهوتز الصلبي . ونحن نتم بالملمعين الاقدمين خاصة لان عباقرة النهضة الإيطالية اخذوا عنهم من غير ان يطلوا الى فيدياس وميرون وبراكسيل . مثاقق تآليلهم ، اذ انهم فسروا هم كل شيء . حتى ان بعض صفحات من فازاري وميكلائنج وليونارد دي فنشي لا تتروك اي شك في ذلك وقد وقف احدهم خاصة

على مختلف تكسر الاشعة الشمسية فوق الهوتز ، تبعاً لطريقة معالجته ، وهو بنفانيوتز شلبي التثال الهوتزي الاكبر اذ كنا لا نستطيع ان نثبت كونه اب هذه الصناعة فالجميع يمتدحونه بانهم المعلم الاكبر في فن طلاء الهوتز ، هذا الفن الذي ادر ك ساندوز ادق اسرارها .

ان تثال هذه المرأة الجائبة الذي عاجله ساندوز بالفصحيات النساء ، اي بالطريقة التي لم يكن يستعملها سوى نحائي الرخام ، تدلنا على ان ساندوز اراد بهذه المحاولة ان يثبت لنا انه اقدر طال في عصره . على هذا المري القليل التور . والمقتصر فيه على انسجام

عرض

لي في قرا، اتي كتاب نفيس اصدره كاتب اميركي اسمه لويس بيتش Louis E. Bisch اتخذ له عنواناً « أبشر فانك منصرف الحلق »^(١) . والكتاب من ألفه الى يائه دعوة الى البشر ، وحث على التفاؤل ، وادخال لاطمأنينة على نفوس الذين اصابتهم الطبيعة بشذوذ او انحراف جاوز تأثيره الناحية الفسيولوجية وامتد نطاقه الى ناحية العقل والنفس .

وال مؤلف طبيب نفسي ، عمل في معالجة كثيرين ممن طرأ على ملوكمهم العقلي اضطراب او خلل ، ولذلك يقام لرأيه وزن ايام وزن ، وتحتزم كلماته احتراماً هو اهل له . وسأحاول في هذه الكلمة ان ابسط جانباً من الشؤون التي تعرض لها الباحث مترخياً للايجاز ما استطاعت . هناك خمس نصائح يزجها الدكتور بيتش لقرائه : - حلوا انفسكم . - كفوا عن الشعور بالامامة والذنب . - أشلوا الحجة في ذوائكم . - احلوا نقائصكم الى ذوائكم بها . - اتفموا بانحرف خلقكم ثم أبشروا ولا تتجمروا .

وهي وصايا مطبوعة بطابع الحديث الودي الجود من كل تكلف واصطناع ، وفي السير بهديها وقسا ، من غرات النفس ، وشفا . من منغصات الحياة . اتبعوا هذه الوصايا اليسيرة ، تذكروها ليل نهار ، وانقشوها اذا امكن في داخل قباعتكم ، يسهلكم الحال ، وترتاح النفس من اضطراباتها .

- أرك نقص او قصور عاجله بالجد والدأب ، فيها تستطيع ان تذلل كل ما يعترض حياتك من علل : تذكر ان فتاة عشقت الرقص ، وودت لو استطاعت ان تصرف ساعات يومها منتقلة من ذراع الى ذراع ، ولكن عرجها حال دون ذلك . فكان منها الا ان عرضت هذا القصور بأن دربت نفسها على ممارسة الغف على البيان ، وسرعان ما اصبحت ماهرة في اللعب على اولته لا يجاريها

(١) اسمي المؤلف كتابه Be Glad You're Neurotic ، وآثرت ان أصف كلمة Neurotic بانحرف الحلق لان هذا هو المعنى المستعمل في سياق كلام المؤلف ، ولان كلمة « المصوب » التي ابتدعتها مدرسة علم النفس لم تعد مألوفة مشاهة بعد .

فيه احد . وهكذا استطاعت ان تنفس عن نفسها ، وان تنسى العلة التي طالما عرضتها لثرابية ، وان تكون قبله انظار الراصين في حركات الرقص يأتمرون بأمرها ان عزفت ، ويصدون عن هوايتهم اذا كفت .

تذكر هيلين كيلر ، تلك الفتاة التي حرمتها الطبيعة من البصر والسمع والنطق ، ولكنها مع ذلك تطلت القراءة والكتابة فكانت بدعاً في حياتها ، وكانت افردجاً لما تستطيعه العزفة الصادقة اذا ارادت تسم قبة المستحيل^(٢) .

تذكر فرنسكان روزفلت الذي اقصده شلل الاطفال في صدر حياته ، ولكنه أبى الا ان يصارعه فيصرعه ، واستطاع وهو قعيد داره ان يلير اكبر حرب عرفتها الدنيا وان يحقق فيها ظفراً كبيراً . فقد اخرج اميركا من عزلتها وساق ابنائها الى الحرب مع انهم كانوا عنها عاوفين ، وعرف كيف يسوس امة كبيرة اكبر من عشر سنوات سياسة حكيمة حازمة .

تذكر سينتورا وروسو وجود سميت ومارك توين واوجين أونيل فهؤلاء جميعاً اصابتهم الوان من علل النفس والبدن ، ولكنهم قدروا على مغالبتها وتعويض نقائصهم بفوائد خلقت اسماءهم في سجلات التاريخ .

ان القدرة على التعويض ، بل على المبالغة فيه ، تجعل الضعيف قوياً ، والقاصر مقتدراً ، والمستضعف مستعياً ، والخاذل مقدماً ، والمريض صحيحاً ، واليائس مفعماً بالامل . . . انها تجعل منصرف الحلق سيداً مقلداً على الدنيا مستبشراً . فكل نقيصة تصيب المرء ، اذا تضمنه له تحدياً ، تتحدها ان يقضي عليها ويلافي اسبابها ، ووسيلاته الى تحقيق ذلك هي التعويض .

- أنكره نفسك وتفتتها ؟ لا عجب ، فانت اعدى اعداء نفسك حتى وان كنت جاءلاً من نفسك محموراً لحياتك . فانت قفرط في الشراب ، وتسرف في التدخين ، وتجمع في فراشك متأخراً ظناً

(٢) قد لا يصدر هذا الدد الا وتكون هيلين كيلر دائرة للشرق الاوسط .

منك ان هذه تجلب عليك لذاذات ، ولكنك متى استيقظت ادرت ما انت فيه من خمول ووهن ، وعرفت حقيقة كانت عنك مجهولة ، فن هو المزمع مما اصابك؟؟ ومن هو الذي افنى بك الى حالك تلك ؟ الجواب هو : أنا ، أنا ، أنا... وهنا تبدأ في كرة نفسك والنعمة اعياها .

وليس افضل في تخويض المزمع على نفسه من تلك الافكار الجنسية السود ، وتلك الملامح السرية الجنسية التي تجمل آلافاً - بدافع من الجهالة - يفتنون انفسهم ويحجلون من ذواتهم فضلاً عن استحيائهم من الآخرين .

وما تكن كرهاتك لنفسك ، فني وسعك بشي . من البصر وغير قليل من الفطنة ان تأمل ذاتك فترى الى جانب نقائص فضائل كثيرة ترجعها ، وترى كم كانت اذا استملت احالتك من موغل في الملامة الى معتدل في تقدير قدر نفسك .

- انقدر انت لاخطاؤك ؟ ان عجزت فانت والهيمه سوا... فالخطأ يقرب عليه شعور بالحيا . مما يفضي الى الشعور بالضعف والنقص . ولكن تعام كيف تتنعم بأعطائك انتفاعاً انشائياً ولا تجمل منها عنصر مدم في حياتك وعامل تقويض في دعائم خلقك .

ويقول الدكتور بيشان دينونة النفس هي العنصر الذي يسبق معظم ما يطرأ على المرء من اعراض الخراف الحلق ، وهي المصيبة الاساسية للبالغة في اظهار العاطفة ، وهي العامل الذي يترك عليه القنوط والسخط والشك ثم الاخفاق . فلا تجمل من نفسك قاضياً دياناً يعترف في غير رحمة ولا اشفاق ، ويعذب النفس لذنب ربما اقرضت عن غير قصد . واذكر ان الفتاة في اول نضجها ترددي نفسها لا لشي . الا لاعتقادها ان الطمأنينة جارية تستحق عليها تعذيب النفس . ومن اسف ان موضوع « الجنس » لا يزال حتى في المجتمع المتحضر يذكر معتبراً باعتقاد خاطئ . هو « الجرم » ولو عرف الناس ولا سيما الفتيات والصبيات ان هذا الظن مغرب ، وان الدنيا افسحت مجالاً لهذه العاطفة ، لكانوا اراؤف على انفسهم واكثر شفقة في كبريائهم لها . فادرك خطأك ، ولكن لا تتكلم من ان يتطور الى دينونة للنفس يتلوها شعور بالحيا . ثم شعور بالضعف .

- اتجنب ان سن اليأس مقتصرة على النساء ؟ كلا ، فالرجال كذلك يعرفون اليأس ويختارون مراحل تحول وتطور تهرب كثيرين منهم . فالذين يشغلون انفسهم بالتفكير في الحائقة والنهاية المحترمة انما يوطنون لخالل العقلي ان يصيب منهم مقتلاً ، والذين يفكرون في المستقبل كثيراً يسط بهم الدهن الى حيث لا تصعب حياتهم في مأمن من العطب .

هاك رجلاً يدير ادارة صناعية كبيرة ، ويكسب في العام لا يقل عن خمسين ألف دولار ، ويشتمل رأسه ذكاً . وألعية ، وترتقه الميونة جيداً مقدرة ما أحرزه في عمله من نجاح وتبريز . بل ان الحكومة الاميركية ما فتئت تدعوه في خلال الحرب العالمية الاولى لتطابق شورتة وتسميته في ما يستغلق عليها . من مشكلات وكانت له شخصية قوية اكتسبها من قامة المشدودة المشقة وعزلاته القوية المقتولة ، وزفته الشديدة بنفسه . ولكن ، وعلى حين فجأة ، رأينا الرجل يتحرك من النقيض الى النقيض ، فقد روت عنه زوجه ان طارئاً أقض عليه ضجعه ، فقد ايشكو صداقاً مستمراً ، ويشكو زيف بصره ، ويطلب النوم فلا يناله . كان قبل يحب الأطفال ، ويحلى حفيديه يلعبها ويداعبها ولكنه انقلب كارهاً للاطفال زاهداً في حفيديه . اما صهره ، فقد فقدته ، واما علمه ، فقد اعتراه خمول حتى بات على الدوام ينازع . موظفيه ويحاجهم بالهجة الشديدة ، واما شهوده تجاه نفسه فهو شعور الراغب في القضاء عليها والتخلص من الدنيا .

ولما عرض امر هذا الرجل على الطبيب العقلي ، قال ان الطاريء الوحيد هو الاسراف في التفكير والاسراف في الفائق على المستقبل . ولو مضى الرجل في عمله لا يسأل نفسه كم السن بلغ ، وكم من الاحفاد انجب ، وكم من السن يعيش ، وكم من النساء يجب ، لماش حياة هنيئة لا يمشكو صونها معكرو .

ويصحح الدكتور بيشان دينونة قراءه بأن يكونوا انفسهم ، فلا يقبلون الهدايا ولا يجادلون ان يرضوا انفسهم في ظروف الآخرين . كفوا عن الامام بما يفكر فيه الآخرون ، وحرروا انفسكم من تلك العقائد الراسخة البالية التي ورثوها من الجيل السالف ورسبت في اذهانكم منذ الطفولة . كونوا راشدين ، وقفوا على اقدامكم ولا تجادلوا يوم تلبسون سناً متقدمة ان تلبسوا ما كنتم تلبسون يوم كنتم في سن المراهقة او ان تتصرفوا مثل ذاك التصرف . فليدبر كل واحد نفسه على الاستقلال بلون خاص من الذي يحيل منه جزءاً مكتملاً لشخصيته ، وهكذا يستطعم المرء ان يجتنب الملل العقلية .

ان كتاب « أبشر » فانك منصرف الحلق كتاب يدخل السكنينة على نفس المرء ، ويغني عن ذلك الذين يحسبون انفسهم متصرفين الى ضلال مبين . والكتاب حديث من النفس الى النفس ، ومن القلب الى القلب وهو معني بوجه خاص بالمنحى العملي التجريبي ، نزاع الى استقاء الحقائق من الحياة اليومية المألوفة . ولذلك يعد تحفة رائعة ، ووثيقة فاعلة لمن اراد ان يختار المجلس المفيد .

وديع فلسطين

الفاخرة

من المساء الأخير

الإناس

يحسبونني لا اعرف الرسم ،
وما يدرون انني دائماً ارسم .

حين كنت اجلس الى جوارها كنت
كثيراً ما امسك قلماً واعبث به على ورقة
من اوراقها البيضاء ، وفي نهاية الجلسة
تسألني : ما هذه الرسوم ؟ فأجيبها : لست
ادري .

وحين كنت في وحدتي استعيد صورتها ،
كنت امسك القلم محالاً لأن ارسم وجهها
فتخرج صورة ما قصدت اليها ابداً ، لهذا
انجح هنا فقط في تمزيق ما فعلت بغير ان
اريد لها .

وكثيراً ما امسكت قلبي محاولاً ان
اعبر به في خطوط وزوايا ، في صور لاتواع
من الحيوان لم يرها احد في حياته ، في مله
بياض الورق بسواد كثيف كثيف ، اعبر
به عن احساسيس غامضة تجيش في نفسي
اكاد لا افهمها كما لا افهم ما ارسم .

ان سألني قد امتلأت بهذه الوراق
ذات الرسوم التورية ، وانسي لارسم في
ارتياح ، في حرية ، وفي متعة ايضاً .

لهذا فأزني ارسم ، ودائفاً ارسم ،
وسأظل ارسم .

عندما يستحيل الحلم الى جنون ،
يتصطب مثال أسود داخل الروح ، وتهز
فجأة شطآن بلورية تطوف بها جماسجم
الاحياء ، وتمتد تحتها - في الجدار عنيف -
بجار متعسة من الجليد .
وتستيقظ المطور والضحكات ،

وتفتتح الكهوف الخرافية بعدما تكون
الكهوف قد ضاعت ، فتزدحم النايات بهود
من نخاس ، وتحتل الشفاه وهي تبتسم .
وتسمع اصوات القبل آتية خلال الناس .

ويقف ظل امام ظل ،

وتفادر الفلول الميدان ، ويسمع في
السراديب السحرية قرع الطبول ، وتبدأ
معركة بين الاشلاء ، من اجل الحصول
على ذراع او ساق .

ويجترق المس في الهدير ،

وتنداح دوائر في المياه ، من مكان
غير معروف ، قاصدة في سفرها المرتشم
الممتوه النقاء اللانهاية بالعدم .

مضى يعدو مجنوناً

في طريقه الى الحلم الذي ضاع ،

وتحتته هوات غير منظورة

ظلماتها المغزقة تغويه بالارقاء .

وبدت من خلال القضبان

وجوه من الشمع

وظلال من الابنوس

تتحرك في الفراغ

وحذقت عينوه الزجاجية

وتقاصت شفاته

آه ما اربب الماضي بغير ابتسامات

ثم مضى يحطم الحلم الذي ضاع .

فجأة بين الحواب

تنشق الالوان الخضراء في كل مكان

وتتلاشي الاطلال التي كانت قد

ضغمتها الظلال والارهام .

احذر لئلا تكون المجزة وهماً من

هاته الارهام ،

وارقب بنفسك الظلال وهي تستحيل

الى اضواء ،

والمس بجسدهك الاضواء والالوان .

ثم ابدأ رقص الريد النشوان ،

مع الاضواء ، مع الالوان ، مع الانعام ،

فقد التفت اللانهاية بالعدم .

يوسف الشاروني

القاهرة

رجال الشارع او الاكثريّة الساقطة من الناس انهم يعيشون بين موجودات يتجسسونها ويشعرون بها ، يتفاعلون معها في حياتهم اليومية وتتفاعل هي بدورها معهم ، ولا يشك مطلقاً بان وجوده ووجودها من حيث الوجود سواء ، لذلك نرى ان عالمه عالم موجودات منفصلة عنه ، ولا يتمدد وجودها على وعيه لها وما عقله في الواقع الا مرآة تنعكس عليها صور الطبيعة والحياة المحيطية به .

على ان هذه النظرة البسيطة للعالم لم تستطع الثبات بكمليتها امام التفكير الفلسفي وتقد الفلاسفة ، لانها لا تنظر للوجودات الا من حيث ظواهرها . واذا كانت جميع افكارنا مستقاة من العالم الخارجي كما يعتقد بعض المفكرين الاختباريين والاغلبية الساحقة من الناس فإين نضع احلامنا ومشاهدتنا الاشياء ، مضاعفة وفكرة

الحب والارادة وغير ذلك من الظواهر التي نختبرها ؟ لا شك انها في عقل المختبر لها . اذن فيمكننا والحالة هذه ان نختبر اشياء او موجودات او امتثالات دون اي وجود مادي لها في الخارج . ومن هنا نرى امكانية الخطأ في نظرة رجل الشارع للعالم الخارجي .

يتسمك المثاليون بهذه الامكانية ويتدرجون منها الى انكار العالم

الخارجي الذي يتقبله - الرجل العادي . ولكن هذه الامكانية لم تأخذ مكانها الواضح في فكر الفلاسفة حول مشكلة العالم الخارجي الا عند «لوك» الذي فرق بين نوعين من الكيفيات في الاشياء : نوع وجود فعلاً في الشيء كالحجم والصلابة والقوة ونوع اخر يتقبله عقلنا ويسبغه على الاشياء كاللون والطعم ، هذا وفي كلا النوعين من الكيفيات في الاشياء لا يعي العقل الاشياء الحسية نفسها وانما يعي الانطباعات التي يحدثها العالم الخارجي في اطوار ، ومن هنا تظهر فسادية الذات في الفلسفة الحديثة في خلق موضوعها .

ولكن موقف «لوك» لم يكن بالموقف الثابت ، لان الانسان يجد نفسه عند هذا التقسيم بين كيفيات اولية وكيفيات ثانوية امام امرين كما قال «باركلي» . فاما ان نرجع الى النظرية العامية للاشياء ونعتقد بوجود جميع صفاتها فيها وجوداً فعلياً ، واما ان

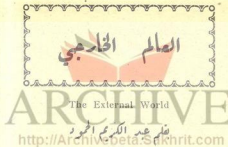
نمتد ان جميع الكيفيات سواء كانت الاولى منها او الثانوية لا تنفصل عن العقل الواعي لها . هذا واذا كان العقل لا يستطيع ان يعرف العالم الخارجي وانما يعرف الانطباعات التي يحدثها كما قال «لوك» فكيف له ان يعرف ان له خاصية احداث الانطباعات في عقلنا ؟ ولو سلمنا جدلاً مع «لوك» بهذا التقسيم لكيفيات الاشياء . فكيف وعلى اي اساس نضع قسماً منها في وعي الانسان والقسم الآخر في الشيء . نفسه ، اذن ليس هنالك من يميز بين صفات اولية وثانوية بالنسبة للشيء . نفسه ، القضية لا تحتمل الا امرين فاما ان تكون هذه الكيفيات كلها موجودة فعلاً في الشيء ذاته واما ان تكون من خلق العقل .

ان هذا الموقف الذي وقفه باركلي من مشكلة العالم الخارجي وتقدمه الشديد لنظرية «لوك» لا بد ان ينتهي الى انكار العالم الخارجي انكاراً باتاً والاكتفاء بالعقل الواعي لحالاته ووضعياته .

الا ان هذه النسبية التي لا بد من الوصول اليها بعد هذا الموقف من العالم الخارجي قد فصلت بفترة من الزمن تجسدت خلالها فلسفة «كانت» التي حاولت ان تنقذ الفيلسوف المثالي من مثاليته وتعيد الى العالم الخارجي مكانته من حيث الوجود الفعلي . ولكن هذه الفلسفة

كانت بالنسبة الى نظرية وجود العالم الخارجي التزع الاخير التي لفظت به انفاسها . فـ «كانت» حرصاً على العالم الخارجي قال بوجود «شيء في ذاته» «The Thing in it self» . يتبوأ فينا هذه الامتثالات التي نعيشها . وان وجود هذا الشيء في ذاته عند «كانت» واجب ، لان قوى الوعي الكامنة فينا لا تتحيز الى العمل الا ببعث او محرك . ولكن هذا الشيء في ذاته مجهول ولا يعرف عنه شيء ، ويمثل وجوده في الواقع كمثل مادة لا حجم ولا صلابة ولا ثقل لها تصنيفها المقولات Catégories القبلية فتصير منها امتثالات كالشجرة والتفاحة والجبل الى آخر ذلك من الامتثالات الحسية . ويتوضع من موقف «كانت» هذا ان العالم من خلقي اي من التراكيب والقوانين القبلية التي تكون ماهية فهمي .

الا ان هذا «الشيء في ذاته» الذي فوض «كانت» وجوده



ان هذا الشك الذي اعتدى الرجل الحديث لا بد ان يتجه بروحه نحو التجاهين من التفكير. فاما ان يتجه نحو الموضوعات الخارجية واما ان يتجه الى الذات. فان اتجه الى الذات وشك في قوتها وفاعليتها لمعرفة الحقيقة فلا بد له من انكار وجود امكانية معرفة. لانه لا بد من وجود ذات عارفة. واما ان اتجه نحو الموضوعات فليست هناك حتمية لانكار الذات لهذا زى ان هذه الروح المشككة التي لا بد لها من الوصول الى موقف الجاهلي، قد اكتفت بالذات وصيرت منها الحقيقة الاولى والاخرى، لانها لا تستطيع ان تقف موقفاً سليماً من اتجاهي التفكير. وهذا فعلاً، وصل اليه «ديكارت» ومن جاءوا بعده. ان ديكارت بعد ان اتخذ الشك كنقطة بدء. في التفكير الفلسفي وانكسر على عالم الموضوعات الحقائق الحسية لم ير الا حقيقة ذاته .

ولنسال هنا المثاليين: اذا كان العالم الخارجي ليس موجوداً فعلاً ومنفصلاً عنا فلماذا نتبدى بالشك فيه. ان الشك في شيء ما دالة على وجوده ولا يعني عدم وجوده وانما يعني ان هناك امكانية الخطأ ويجب تصحيحها. كان على المثاليين بعد ان اتخذوا هذا الموقف من عالم الموضوعات ان لا يتلفظوا باهمها ويمددوا منها الشجرة والتفاحة وقطعة الشمع التي اتخذها ديكارت بعد صهرها كهرمان على عدم الثقة بالحسنة. وعلى فرض ان قضية الشك بالعالم الخارجي صحيحة فلماذا لا يتبدى هذا الشك الى حقيقة الذات وامثالها. ان عالم الموضوعات قطع قينا امتثالات وعالم الذات كما يعتقد المثاليون تخلق امتثالها لنفسها وبفسها فما الفرق بين هذين النوعين من الامتثالات؟ ولماذا نشك في احدها ونعتقد في الثانية. ان امكانية الشك في امتثالات عالم الموضوعات هي نفس امكانية الشك في امتثالات الذات ولكن المثالي لا يستطيع الا ان يشك في امتثالات عالم الموضوعات ما دام لا يستطيع ان ينكر الطرفين وما دام لا يستطيع الا الاخذ بالذات كحقيقة ان اراد ان يكون فيلسوفاً يجابياً ويصل بهذا الشك الذي يعتمده الى حيز الطمانينة والهدوء .

على ان هذه الذات التي كونت الحقيقة النهائية في العصر الحديث والتي أصبحت اللازمة والاحن الاساسي في الفكر الحديث ليست موجودة فحسب بل لها خاصية او ميزة اخرى وهي وعيها انها تعي وهذه الميزة قد اخذها مفكرو العصر الحديث بالتعجيد والاجلال . ولكن لو بحثنا في ماهية هذا الوعي لوجدنا انه وعي لشيء ما ، وهذا الشيء سابق في وجوده لوعي الذات لانه هو نفسه الذي يشع الوعي . لذلك فان الشيء او الامتثال من حيث الزمن

حوصاً من الوقوع في الذاتية لم يستطع الثبوت امام الماصفة التي اثبت عليه. كيف لنا ان نقول بوجود شيء في ذاته ما دمنا لا نعرف عنه شيئاً وما دمنا لا نستطيع الا لفظ اسمه فقط ؟ لقد كان على الفلاسفة الذين جاءوا بعد «كانت» ان يزيلوا فكرة الشيء في ذاته من تفكيرهم لكي ينتشلوا فلسفته من المأزق الحرج الذي وقفت فيه . لهذا فقد اكتفى الفلاسفة المثاليون بعد «كانت» بالعقل الواعي لحالاته والمكون لعالمه واصبح بذلك عالم الاشياء عند رجل الشارع عالم فكر يتخلقه العقل وفقاً لقوانينه القبلية. ان «الاثنا» كما يقول «فخته» وجود تخليق موضوعه بنفسه. وبذلك اصبح «الشيء» في ذاته «الذي» قال به «كانت» الموضوع الذي تصيره وتخلقه «الاثنا» في خلقه المستمر .

انتهت الفلاسفة التي شككت بنظرة الرجل العادي الى انكار العالم الخارجي والاكتفاء بذات واعية تعي ما تفكر وتخلق موضوعها وفق القوانين القبلية التي تكون ماعية الفهم . ان هذه النظرة الحديثة الوجود لم تكن معروفة عند اليونان والرومان والقرون الوسطى في الشرق والغرب فالروح اليونانية اذا توصلت الى هذه الفكرة اعني وعي الذات لنفسها تراها غريبة عنها وتأخذ الحذر والحيلة لتجاهها حتى ان ارسطو الذي لم يح عنها بكتابه « ما وراء الطبيعة » لم يستطع الا ان يمزوها لله فقط . فانه وحده هو الذي يعي انعمي وهو كذا فان الظاهرة التي استقبلها اليونان بجذو وتمسك اختلافها عن اهل الجيل الحديث بكل قوتها وصيرتها منها مقولة الوجود . يا ترى ما السبب في ذلك ؟ هل يرجع هذا الاتجاه في التفكير الحديث الى نزوب الحوية في التفكير اليوناني او الى الاختلاف في الاتجاهين من حيث نقطة البدء في التفكير ؟

لا شك ان هذه النظرة والاتجاه الحديث لشككة العالم الخارجي قد نتجت عن اختلاف في الاسس التي بني عليها التفكير الفلسفي وهذه الاسس هي روح الشك المبعث الذي ساد اوروبا منذ عصر النهضة . ان المفكرين من اليونان والرومان ، وهم الفيثيون من نظرية رجل الشارع ، ابتدأوا تفكيرهم من الموضوع اي من الاشياء المادية التي يتفعلون معها فيؤثرون فيها وتؤثر هي بدورها فيهم وهم يشكروا مطلقاً في امكانية الوصول الى حقيقة هذه الموضوعات ، لهذا كانت نفوسهم مطمئنة ، فيها العزم القوي والامل البعيد . اما التفكير الحديث فيستقبل عالم الموضوعات التي تقتل بوعيه ، بنفس قلقه منهوكة القوى تعمل في وثبات متقطعة ولا ترى في الوجود الا نفسها . وهذا بالطبع نتيجة حتمية لاشك الذي يضر روح العصر الحديث والذي يكون الزاوية الاساسية او نقطة البدء في التفكير .

سابق للوعي الذي يتبدى . به مفكرو العصر الحديث . ان الشيء الذي كان عليهم ان يتوصلوا اليه قد ابتدأوا فيه . وهذه هي خطيئتهم . عندما تعي الذات انها تعي انما تعي انها تعي موضوعاً . وهذا الموضوع لا بد وان يكون موجوداً اذا وعينا اننا نعي ، لهذا فانه من الخطأ ايضاً ان نعتقد ان الذات والموضوع شيء واحد والا فاما معنى وجود الموضوع في وعينا عندما نعي اننا نعي وما معنى هذا التفريق بين الموضوع والذات في تفكيرنا سواء كان هذا التفكير فلسفياً ام عادياً ؟ . أليس ذلك دليلاً واضحاً على ان الذات والموضوع طرفان مختلفان كل الاختلاف في عملية التفكير .

اضف الى ذلك انه لو دققنا في هذه الامثالات التي يتخض بها وعينا لوجدنا ان هناك فرقاً كبيراً في قوة الامثالات التي نعيا . فامثال الشجرة في وعينا يختلف تمام الاختلاف من حيث قوة الامثال ووضوحه عن امثال فكرة الله والحربة والجره . فلو كانت جميع هذه الامثالات من خلق الذات لما وجد فيها هذا الفرق ما دامت الذات هي نفسها في جميع حالات خلق امثالها كما يعتقد المثاليون . لا شك في ان الامثالات التي نعيا تختلف من حيث موضوعها فالشجرة من حيث موضوعها تختلف عن فكرة الحرية سواء كانت هذه الفكرة من خلق الذات او من انطباعات الموضوعات الخارجية . ولكنها يجب ان لا تختلف في قوة امثالها ما دامت الذات هي نفسها في جميع حالات خلقها لموضوعاتها ، وما دامت هي نفسها التي تخلق النوعين من الامثالات ولهذا فانا اعتقد ان الموضوعات التي نعياها الذات لا يمكن ان تكون كلها من خلقها . لانه لو كان الامر كذلك لما وجدنا هذا الاختلاف في الحيوية والوضوح بين النوعين من الامثالات ولما وجدنا التمييز بين الموضوع والذات التي تصحب عملية التفكير عندها .

هذا ويعتقد المثاليون ان مقولة السببية Causality هي من مقولات الفهم التقليدية التي تربط الامثالات بعضها ببعض بحيث نحولها القول بان هذا الشيء نتيجة حتمية لذلك . ولكن لو فحصنا هذه المقولة لوجدناها تحوي على علة ومولود يختلفان في الزمان والمكان فن حيث الزمن يرى ان العلة تسبق المولود اي ان تلك الظاهرتين تسيران الواحدة تلو الاخرى ضمن الزمن كما دامت هاتان الظاهرتان تختلفان من حيث وضعهما في الزمن فلا بد وان تختلفا من حيث وضعهما في المكان ، لان تتابعهما ضمن الزمن لا يعني الا اختلافهما في المكان . لهذا ارى ان غلة امثالاتنا يجب ان تحتل مكاناً غير مكان الامثال وزماناً غير زمن الامثال ولكن اين المكان

الذي يكون امثالاتنا . هل يكون هذا المصدر مطلقاً متالياً او موضوعات خارجية او حواسنا الحس . اما ان يكون مصدر هذه الامثالات مطلقاً فلا يمكن ذلك لان المطلق لا يمكن ان يتناقض فينا امثالات تماكس جوهره ، ولو كان الامر كذلك لاصبح المطلق في صيورة مستمرة وهذا ما يتناقض مع جوهره . والحواس الحس بطبيعتها تركيها لا يمكن ان تكون مصدراً لموضوعات اديبة ما دامت وظيفتها ليست الا قبول الانطباعات تطبعها عليها موضوعات خارجية عنها فالعين مثلاً لا تخلق امثال شجرة ولكنها تستقبل انطباعات الشجرة عليها . اذا لم يبق اماننا الا عالم موضوعات خارج عنا له وجود خاص به لا يتشكل على وعينا له . فهو موجودهناك سواء وعاه الانسان او لم يره .

ورب معترض يقول بانه لا يمكن إلزام بوجود موضوعات خارجية عنا ما دمتنا لا نعيا وان وعينا لها هو الذي يكون وجودها . ولكن لو سلطنا جدلاً مع هذا الاعتراض وفرضنا ان وجود الموضوعات يتشكل في النهاية على وعينا لها فلماذا افترض وجودها منفصلة عني في حياتي اليومية والعملية . ان حياتي العملية في تفاعلاتي تفترض وجود شيء خارج عني وهذا الاقتراض في الواقع هو المسبب لحركة الانسان وفاعليته . فلو افترضنا من ان صديقي موجود بمكان ما لما تحفزت وعزمت على زيارته . انا لا استطيع ان اتصور حياة خبيثة لعملة بدون هذا الافتراض .

على ان المثاليين عند ما يجابهون بهذا الافتراض للموضوعات يقولون بان نظرية المعرفة والحياة العملية طرفان من حياتنا مختلفان كل الاختلاف : فن حيث الناحية العملية لحياة الفرد يمكننا معرفة الشيء في ذاته ولكن من حيث نظرية المعرفة يبقى هذا « الشيء » في ذاته مجهولاً لدينا ولا يسمن الا انكاره انكاراً باتاً . ولكي اسأل هؤلاء المثاليين اذا كانت الناحية العملية من حياتنا تقودنا الى معرفة الشيء في ذاته فلماذا لا نتخذ الجانب العملي من الحياة كنقطة بدء في تفكيرنا ؟ ليست معظم الحياة التي نعيشها الآن ، ان لم تكن كلها ، عملية . . ليست حياتنا من حيث الزمن سابقة لتفكيرنا بذاتنا ؟ ليست الحياة نفسها التي نعيشها هي البرهان على وجود الحقيقة واي برهان غير حياتي ؟ اني على اعتقاد جازم بان حياتنا التأملية بذاتنا ثانوية بالنسبة لحياتنا العملية ، ولهذا كان البدء فيها كزواية للتفكير خطأ عند المثاليين .

عبد الكريم الحمود

عمان - شرقي الاردن

انت

انت من دنيا الرغاب والشباب ...
 'سكر الحب المذاب في شرابي ...
 انت خمر ... رשתه شفتايه
 انت نور ... قبسته مقلتيه
 انت من دنيا التي ليلي روايه
 صفتها عند انبثاق الحب في اعماق نفسي
 وسألتوها عليك قبلما تفرغ كأسي
 رنقت عيني بنوم شبه سحر ...
 فأنحنى الله بجلم فوق صدري ...
 سل ضلماً ... من ضلوعي وراه
 جل صنماً ... انت ما صاغت يداه
 انت خمر الروح والكأس الشفاء

وربع ربيب

حلاوة ... انت !

حلاوة انت ... كلاً، الصباح
 كالندي ... كالعطر في ثمر الاقاصي
 عذبة ، كالشمر رفاف الجناح
 فوق دنيا من فتون .. ومراح ..
 لست الا حلم اكواني ، وراحي
 فأغزي لخي .. وهزي ما خبا
 في الحنايا .. من لهبي ، وصداحي .
 ايقظنيها ... نعمة في صدر عودي
 تنساقها ... على شط الحارود
 ذُكر الفن .. نشيداً ، بنشيد
 فاذا روعي .. امواج قصيد
 واذا انت : ابتسامات صبا
 تترك الفقر .. بساطاً من ورود
 سأوافيك .. على صدر النجوم
 تاركاً خلفي .. عذابي وهمومي
 كل ومض .. من محياك الوسيم

جنة غرقى .. بالوان النسيم
 أفأخشى بعد ذا .. ان نضبا
 في يدي كأسي ؟ .. وضعت نديمي ؟
 لا تحاري ... ان تلتك السماء
 فبلاً .. يسكو فيهن اللقاء
 والدجى حولك : شعر ، وغناء
 ونجوم الليل : أنراب ظلماء
 لم تكوني غير نجم .. سلبا
 فلتداعبك الدراري .. ما تشاء .
 هاك يا حسناء .. نُبضاً من رباني !
 عربدت فيه ... غوايات الشباب
 فاذا هزك وحدي ، وانكسابي
 رعشات .. من حنين .. وعذاب
 فانقلبي من نغمي .. ما التها
 للسموات .. وخليتي ومسا بي !
 ليتنا .. في مهجة التيب بريق
 يتلى القرب منه .. والشروق
 ليتنا .. لمن من الناي .. رقيق
 يلمس القمم .. فيصفو ، ويروق
 سوف يبقى الكون مهما رجبا
 عن جيلات امانينا ... يضيّق
 ابسمي « ريمانة الشعر » وسيري
 في سماء الحب .. انسام عبيد !
 ارسلها .. عاصفات من شمر
 ستظلين ... على مر العصور
 عمقة الورد ... والحنان الطيور
 ستظلين .. الهوى ، والطربا
 وندي « الواحة » في قلب المهجور

سليمه العيسى

محب

الشعر

روح الليل فألقى بوشاحه واستفاق الفجر من تحت جناحه
 فاقشمرت مقلته ، وقادى جفنه همساً الى اذن صباحه
 مخب داهم واشلاطاحات يبقاها ردى هوج رياحه

بطل في موكب الهيجا يعدو مهرة والموت في ثني وشاحه
طاف كالصقر على هذب المنايا يستقي من حوضها حرجراحه
فتوى كالتجهم وضاء الحيا وسقى منه الثرى خضربطاحه

ما لم يجعل على نعش ولكن لفسه المجد بريان اقاحه
ياثم الطل المذاب شقيقه ويحييه الندى حين رواحه
عربي، قل، وحسب المجد منه انه من دمه ثوب كفاحه

دمش

سحر د نظامي

الاكليل

الى كل نسيم للحياة ومورد ..
سعت ، وما زالت تبكتني نفسي !
وما برحت تشكر الي من الظما ..
وتنفث في صدري دغساناً من الياس
تريق .. على نعش الليالي .. دماءها .
وتدفن يومي الطفل في ماتم الامس !
واحيا وايها غريب .. لا انا
عرفت طواياها .. ولا عرفت نفسي !

غرفت لها من منبج النور حفنة ..
وقلت لها : نخب السجاوات فاشربي !
قبلك ، هذي الكأس ، كم اشرفت على
حكيم سعيد ، واستهلت على نبي ..
وكم فجرت ينبوع وحي لشاعر ..
وأحيت رجاء في ضمير معذب ..
فصاحت : بل اسفكها ! ولا تشقني بها .
فليس بها ري لشوقي الملهب .. !

ومن هيكل الحب اقتبست شعاعة ..
وذوبتها .. في ادعبي .. ودمائي ..
وقلت لنفسي : دونك الدن ، فانجلي
مذوبة اطياب ، وصفو ضياء ..
فهذا هو الاكسر ! ظل .. رأيت ..

عسلى بوعم الاحلام .. ذات مساء .
فا ثملت بالحب .. حتى تزلزلت ..
من الظما الطافي .. وضع شقائي .

واعددت من سم الحطيشات جرعة
بها حم من شهوة الحس والجسد
وقلت لنفسي : دونك الموت ، فاكرعي !
وخلي فؤادي يستريح الى الابد !
فقلت وقد كادت تقص بياها :
رويداً .. فا زالت لنا فسحة وغدا !
وداعبها حالم الكمال .. فأغضت
عن الكأس .. وانداح الحنين بلا أمد !

واردخت من حولي ستائر وحدتي ..
فاجت لحولي السرد في ليلسي الراسي
ورقرقت أنشادي .. بكأس من اللظى
وقلت لنفسي : ها عصارة احساسي .
هلبي اشربي هذي الثلاث .. واسكري
بقعدة اعراقي ، ولقحة انفاسي ،
وفؤدي من التمه الزهيب الى الرؤى
وغني .. فقد يأتي لك القدر العاسي !

.. وغام بعيني الوجود ... وعندمأ
افقت .. رأيت الزهر في دربي الماري
وابصرت واحات الخلود ، كأنها
سراب ، خلال الفيض من دمي الناري
ومست بسد المجهول قلبي .. وباركت
جراحي .. بأكليل من الورد والفسار !
واطرقت .. والاوصاب قنصل خاطري .
وسوط الصدى المجنون يلبب اوتري
فأدركت اني في يد البؤس مزهر ،
تجرکه ، في مسح القدر الضاري .
وقلت لنفسي : ليس لي بعد مأمل
بري ، فصمعي ان اعيش بأشعاري !

محمود البربطه

البصرة

الكرم العربي في مواكب الزمن

بقلم عيسى مقابيل سابع

✱



فسحة الزمن وفي مطاوي الايام اخبار واصلتنا بطريق التواتر، مكتوبة ومروية عن رجل عجاوبت اصدائها في مل البلاد ومرضا، وما من كبير او صغير الا سمع ذلك الصدى واتصل به اسم حاتم الطائي، والكرم الحافتي.

فن هو ذلك الرجل الذي ملأ اسمه الافواه، واطلأت اليه الاسماع، ورويت عنه الاخبار، وفي بعضها يقول ابو عبدالله الزبير ابن بكار المتوفي سنة ٢٥٦ هـ احد رواة ابني الفرج الاصبهاني صاحب الاغانى: «والعرب تتحدث باشياء هي عندها صحيحة» وقد نطقت بذلك اشعارها، وتثقت، ولا تكاد النفس تصدق بها، واحسب امر حاتم حيلة من ورنته ويقول: «ان اخباره باساطير الجن اشبه، ولم يقل هذا الا لما تراسى اليه من اخبار كرمه التي تكاد لا تصدق، والانسان يميل بطبعه الى المبالغة في كل شيء، ولا سيما اذا اتصل به خبر جليل عن رجل جليل، فيقارب ذلك الخبر على وجوه ليسوق بطريق الاستغراب، فما يزال به ينمقه ويجوي به على اساليب التشويق والتزيغ حتى تضيق الحقيقة، ويصبح الخبر اسطورة في مظنة التجريح».

وما اكثر الاخبار المروية التي بين ايدينا وفيها كثير من التخليط، كاخبار سيف بن ذي يزن وعنترة، وبالتخليط الذي يتعمده الرواة تضيق الحقائق، ويساء الى الزمن فينتطرق الشك في كل منقول او مروى، وبما نحن في صده من الاخبار، ما روي عن حاتم الطائي من الروايات التي هي بمجرايات الجن الصق، منها مجرايات الانس كممنها ما يزعمون: ان رجلاً يقال له ابو الحثير، هو مسافر في نفر من قومه، بقهر حاتم، في مكان يقال له «تنفة» او «عوارض» حوله انصاب من حجارة متقابلات، كاهن نساء نوائم، فقلوا به، وبات ابو الحثير ليلته يناديه اقر اضيفك يا حاتم اقر اضيفك وقد اراد

بذلك في ما زعوا انه يريد ان يبخله ويشهر امره في العرب، فلما كان السحر هب فزعاً وهو يصيح، وراحلتاه!! وراحلتاه!! فقال له اصحابه: وبلك ما هناك؟

قال: خرج والله حاتم من قهره بالسيف ولنا انظار اليه حتى عرفنا قتي.

- قالوا: كذبت لا يخرج ميت من قهر موموس عليه.

- قال: وبلي والله قد فعل.

ثم ان اصحابه نظروا الى راحلته فوجدوها عقرى لا تقبض.

فقالوا له: والله لقد قراك حاتم ثم عمدوا اليها فنحروها وظلوا

يؤمهم مومسين عليها، يا كلون من لحمها، ثم انهم رحلوا واردفه

احدهم وراعه.

وما جازوا قليلاً حتى لحق بهم ركب يصيح، الا اربعوا

اليها الركب، فظفروا فسادا عدي بن حاتم وصعبه، بقود راحلة

مجنوبة، وزعم لهم، ان حاتم اتاه في مناه وخبره خبرهم، وامره

ان يلحق بهم ليخلف على صاحبهم راحلته، وقد زعمت الرواية ان

حاتم انشد ابنه ابياتا هي:

ابا الحيري وانت امرؤ حود المشيرة شتابها

اتيت بصحبي ثبي اقرى لدى رمة صحت هامها

اتنبي لي الدم عند المبيت وحولك غوث وانامها

فانسا شبع اضفانسا وناني العلي فتابها

والناظر بمثل هذه الاخبار، يرى فيها الاسطورة او الخرافة التي

آسى الى حاتم اكثر مما تنفعه، ثم لا بد لها ولا مثالا من ان تحمل

الرجل المتحري الحقائق الى ان يشكر وجود من روي عنه الخبر.

والاديب الحق لا يقدر ان يصدق امثال هذه النوادر التي

اكتبها كتب الادب من غير تحور، وكان جسامي الكتب كانوا

يسرون بنقل الاخبار القريبة، ولعلمهم عدلوا بما شحوا به كتبهم

ليعرفونا بمبلغ التحري في كتب الادب وهي على كثرتها وطول باع

جامعها لا تخلو من امثال الرواية التي نقلناها، مما يحذل الاديب الناقد

اصل كلمة « عالم »



غضون زيارتنا وطننا بغداد ، في الحريف الغابر ، اتبعت لنا الفرصة الاطلاع على معجم العلامة الكبير الاب انستاس الكرمل ، ذلك المعجم الموسوم بـ « المساعد » والقائم على « محيط المحيط » لطرس البستاني ، مع ما زاد وعاق عليه الاب المرحوم بما جمعه مدة خمسين سنة من المذكرات والمعلومات الضافية مجتهد يده . فتضاعف حجم الكتاب فنشأ عن ذلك خمسة مجلدات ضخمة قارب مجموع صفحاتها ستة آلاف صفحة .

وقد طالعناه وفحصناه بايمان ، نحو شهر ، فوجدناه مجموعة حاوية كل صنف من المواضيع المعجمية ، وغيرها من المواضيع

على الشك في كثير من رواياتهم ويمتد إلى الشك في بطلان رواياتهم . على ان امثال هذه الحكايات لا غنى عنها في ان نتعرف الى من رويت عنه كحاتم مثلاً ، فننتعرف اليه ولا سبيل الى نكرانه ، ولدينا تنف من اخباره الصادقة تعرفنا انه نشأ في كنف امه ، وكانت كثره المال نفاعة الدين بالنوال ، لا تليق بما تمكك شيئاً ، فحجر عليها اخوتها وحبسوها سنة ، لعلمها تذوق طعم البؤس وتذكر فضل النبي ، فلما فكروا اسارها ملكوها قطعة من مالها ، فوفدت عليها امرأة من هوازن مستجدية ، فتمتحنها ايها وقالت : « لقد مسني من الجوع ما آليت معه الا امنع سائلاً شيئاً » وان ولدأ ينشأ في كنف ام نفاعة الدين بالنوال ، لا بد من ان يشب والكرم مل . ورويه ، يتر له ، ويغلو فيه حتى يبلغ مبلغاً عظيماً ، يعطي ولا يتن . وينجر لاضيقان راحته ، وليس عنده غيرها ، على انه لم يكن مبدراً متلافياً . ينهب امواله الناس ليصبح مدققاً ، كما يزعم غير رواية ، وقد حدثنا عنه ابن الاعرابي قال : « كان حاتم مظفراً ، اذا قاتل غلب ، واذا سابق سبق ، واذا ضرب بالقداح فاز ، وكان اذا اهل الشهر الاصح « رجب » وهو الشهر الذي كانت تعظمه (ضر) في الجاهلية ، فحرق يوم عسراً من الابل ، فاطعم الناس واجتمعوا اليه » .

وقد وصفته ابنته سقانة يوم قامت بين يدي الرسول ترجو ان

علم الاب مرمرعي الموسمي

احد اساتذة العهد الكتاني والآثاري الفرنسي بالقدس
ومؤلف الجمع العلمي العربي بدمشق

التربية المختلفة . وهو والحق يقال ، سفر ثمين ، حري بان ينشر لمنفعة ارباب العربية ، بيد انه ليس بمنظم تنظيماً يجعله معداً للطبع لان واضعه لم يقيم بهذه المهمة . لذا يقتضي قبل طبعه ان يتمده من هم من طبقة اللغويين المتضامين الواقفين في الوقت عينه على اللغات السامية ومقارنتها ، وعلى الاسن الاجنبية كال يونانية واللاتينية . فعسى ان يتبها لهذا الكثر النفيس من يقف على تحريره وتنسيقه ، ثم من يقوم بنفقات نشره ، على اننا اثناء مطالعنا هذا المعجم القيم ، وقع نظرنا عرساً على لبذة في اصل كلمة « عالم » وهذا نصها الحرفي الواقفي في الصفحة ٤٢ من ملحق المجلد الرابع من الكتاب . « العالم ومعناه واشتقاقه - لا صلة لهذه الكلمة توجه معناها

يخلى عنها وهي سمية قالت : « اني بنت سيد قومي ، كان يفك العاني ويحكي النمل ، ويقرى الضيف ، ويفرح عن الكروب ، ويطعم الطعام ويرفئ السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط انا بنت حاتم طي » . قال لها الرسول : « هذه صفة المؤمن لو كان ابوك اسلامياً

ترحمنا عليه ، خلوا عنها فان ايهاا كان يجب مكارم الاخلاق » . وشهادة كردها قيمتها العظمى ، تدعونا الى القول ان حاتمًا كان كريماً مجزاً ، يعطي ولا يتن ، وينهب من ماله ما هو قصادر عليه

يضمن بما تبقى له العيش ، ويدلنا على ذلك قوله :
ففسك اكربها فاك ان عن عليك فلن تلبي لها الدمر مكربا
امن الذي غوى التلاد فانسا اذا مت كان المال ضحاً .

هذا هو الرجل الذي ما زال الى يوم الناس مضرب المثل بالكرم في العالم العربي على انه لم يكن الرجل الاوحد فقد قال عبد الملك : « من زعم ان حاتمًا اصبح العرب فقد ظلم عروة بن الورد » وان بعض اشعار حاتم تروى لعمرو ويضاف بعضها الى غيره من شعراء الحماسة .

وحاتم ديوان شعر اعنتى باخواجه المستشرق « فردريك شولنيمس » .

عيسى صباييل سبابا

توجيهاً معقولاً بصل المادة (ع ل م) والكلمة التي تقابلها في اليونانية (Cosmos) معناها الحسن، لأن العالم بديهي في ذهنه وخلقه وترتيبه على الجملة . وعلى ذلك يكون أصل العالم «القاسم» بمعنى الحسن، وهو من قسم أي حسن . فنجعل العين في مكان القاف على لثة من يقلبها هذا القلب ، كتحويل الجبل في قوله ، وانباع في انباق ، واندمج السين في اندمج . وهو كثير في اسانهم . وجعلت السين لاماً ، كما قالوا في السوء الملوثة ، والسقاط للقاط ، والعجوس في العجول ، الى غيرها . ولا غربة في وقوع ابدالين في الكلمة الواحدة ، فقد جاء مثل هذا كثير . ومنه قولهم : خنوه في غدره وخدعه . والمنى واحد . وقالوا : سما وصحى وصمغ ، اي علا .

انتهى كلام العلامة الكرملية . لكن يؤسفنا القول بان الاستاذ المرحوم لم يوفق في تأصيل هذه المفردة . لان اصلاً ليس من «القاسم» ولا من Cosmos اليونانية . ولا حاجة الى كل هذه التخيلات في افتراض المبدلات ، ونكسر الظن ان الاستاذ توهم هذا عهد كان يذهب الى ان كثيراً من المفردات العلمية آتية من اليونانية . وفي اخر حياته افوط في الرأي فأخذ يزعم بان اغلب الالفاظ اليونانية او اللاتينية الموحدة المعجم ، اصلها عربي . مهما يكن من امر ، نقول نحن ان كلمة «عالم» مشتقة من مادة (ع ل م) اذ هي عربية لا بل سامية ، لوجودها في كل اللسان السامية باصروها ومشتقاتها الكثيرة ، وان ظهرت اللفظة غير متناسبة لللاحقة مع المادة الاصلية بيد ان هذا ليس من المتعذر تلافيه .

اجل ان التضارب بين افر بين مداليل «علم» او «علم» و«مشتقاتها» سواء كان ذلك في لثة واحدة من اللغات السامية ، ام بالمقابلة باخواتها . اما التوفيق في الموضوع الحاضر فلا يتم بمجرد رد الثلاثي الى ثنائي واحد وحسب ، مما لا يفي بالمرام ، بل برده تارة الى ثنائي آخر طبقاً لتضارب المدلولات . اما الثنائيات التي يرد اليها الثلاثي «علم او علم» لاظهار تناسق المعاني ، فهي ثلاثة : «علم» و«علم» و«علم» . ثم من المعلوم عند اللسنيين المستسيين ان العين والسين المختلفتين في العربية هما موحدةتان في السريانية والعبرية والحشية ، وقد استحوذت العين ذاتها همزة في الاكدية .

ان اهم مفاهيم مادة «علم او علم» هي هذه «وسم» ، «علم» ، «سجل» ، «عرف» ، «فهم» ، «شئ» ، «دخل» ، «تفاعل» ، «خفي» ، «هرب جهل» ، «علم» : بمعنى رسم وختم ، مشتق من الثنائي «علم» ، «علم المراد به عرف وفهم» ، صادر من الثنائي «علم» من ذلك ألم بالمعنى : عرفه . وعلم الدال على الشئ ، آت من «علم او علم» المطلق على الدخول

والولوج والتغلغل . من ذلك الحفاء والتواري .

فاذا قرر هذا نقول ان لفظة «عالم» سامية . وعي في العربية «عالم» وفي السريانية «عالم» ، وفي العبرية «عولام» وفي الحشية «عالم» ، واما اشتقاقها فنرى الاصول فيه ان يؤخذ من العبرية الدال فيها فعل «علم» على الحفاء . وهذا الثلاثي صادر عن «علم» . ويقابله في الامية «علم» . ولكليهما معنى الدخول . لان الحفي والمستور هو الداخل دخولاً يتمتع رؤيته . والمقابل لهذين الحرفين في العربية هو الثنائي «علم» المراد به الولوج ، ومن ثم الاختفاء .

النتيجة : (١) اول معنى لكلمة «عالم» هو معنى الزمان الحفي ، او الجيولوجي ، اي المتوغل في القريب ، هو هو الازلية - الابدية . (٢) من باب التوسع اطلق لفظ «عالم» على الزمان الذي نحن فيه ، اي الدهر . (٣) ثم يعمي هذا الاسم الكائنات الموجودة في هذا الزمان ، او الكون من باب الاطلاق .

(٤) اشعر اي يفهم بـ «العالم» جمهور الناس ، والخلق كله ، وكل صنف من اصنافه .

الاما الاكدية فخالية من الثلاثي المنتهي بالميم . انما ورد فيها الثنائي «علم» . وهذا دليل على وجود الثنائي منذ العصور الواجهة في القدم في اللغات السامية . و«علم» يظهر في «علا» المراد به الارتقاء والصعود في سلم الازمان ، او تقادم العهد . من ذلك جاءت الالفاظ الآتية التي اصل الفاها فيها عين . وقد سقطت طبقاً لحواضن الاكدية ، لانها حلقية ، فبقيت عوضها الهزة : ullāni (الفظل علاني) و ullā (عللا) و ullāni (عللاني) . وكلها تطلق على الازمان الصاعدة ، القاصية القديمة اي على الدهر ، او الازلية - الابدية .

وانت ترى ان هذا الاسلوب في التحقيق اسلوب وضعي ، او تحسسي ، مستند الى الشواهد الواقعية ، ولا الى الافتراضات الخيالية وذلك دون الخروج من عالم الساميات ، لانتهاج في مجال الآريات . وهذه هي طريقتنا المألوفة ، اي طريقة بدء الاشتقاق من الاس الثنائي ، والتخطي منه الى الثلاثي وما فوقه ، ثم مقارنة الالفاظ العربية بما ينظر اليها من المفردات في اخواتها الساميات اي بوسيلة اللسانية السامية .

هنا ما اردنا تبيان به بإيجاز في أصل كلمة «عالم» والالفاظ المشتق منها . ومن احب الوقوف على المزيد من ذلك ، فليراجع كتابنا «المعجمية العربية» صفحة ١٢٩ الى ي .

الاب مرمرجي الدونمكي

الاستاذ عبد المعين الجليجوني ، استاذ الادب والفلسفة في كلية الحياة الدنيا ، كما كان يطلق على نفسه ، بعد ان تخرج من كلية اللغة العربية ، وعاش عاطلاً في القرية ، لا عمل له سوى قرض الشعر ، وتسويد بعض الصفحات ، على شاطئ الترع تحت الجبيرة المعجزة الكبيرة ، التي يجلس اليها كل يوم الساعات الطوال ، يشها شكواه ، ويشكو اليها حاله . . دلف الى غرفته المظلمة الكائنة في منزل خالته الست ام عباس « داية القرية » المشهورة ، مبتهجاً لأول مرة في حياته ، فقد استجاب الساء الى دعائه ، ووصاته الرسالة المنشودة بعد تجم وانتظار ، والتي تحققت بها آماله التي اوقف العمر مجاهداً في سبيل تحقيقها ، وهي الحصول على عمل في إحدى المجلات الادبية ، حتى يستطيع ان يزدي رسالته على الوجه الاكمل ، ويخلص من هذا

البؤس الذي عاش فيه اعواماً ، فقص طابته مجلة « الفكر الحديث » ليعمل محرراً بها ، وبذلك ستفتح امامه آفاق السعادة ، وتتاح له اسباب الثراء الذي حرّمه عليه القدر ، وغير ذلك مما يفسد شخص من هذا الشر المحيط به ، او ذلك الثمت الذي نعمته به القدر وأقصه به ،

حتى اصبح لا يذكر الا اذا ذكر الاستاذ الجليجوني ، وهو ضيق ذات اليد . . ذلك الثمت اللعين ، او المني البائس الذي اصطلمح علماء الفلسفة والادب على ان يعنونوا به كتاب الشقاء الدنيوي . ومن سوء حظ الاستاذ الجليجوني ، او من حسن حظ هؤلاء الذين الفوا هذا الكتاب ، وخمنوه بؤس الحياة ، وشقها ، الدنيا ، انهم اتخذوا من حياة الاستاذ الجليجوني مداداً لهم يكتبون به هذا السفر الخالد ، فقد كانت حياته - كما يصفها هو - هي تلك المحنة التي كلما فرغ معينها الاسود ، مدها البؤس بمداد من عنده الى ان خلاص ذلك الكتاب الاسود - كتاب ضيق ذات اليد .

ولكن ها هو القدر قد آن له ان يرحمه وان يريحه من هذا العذاب الذي تحبب فيه كل سني حياته . . وها هي المحنة قد آن

لمعينا ان ينضب ، بل آن لها ان تتحطم على مذبح الفقر نفسه . وما ان أحس بذلك واطمان اليه حتى شعر بشيء من الرضا ينعمره ويفض عليه . لذلك ذهب ، مبتهجاً الى ركن من اركان الغرفة الرطبة الممتمة ، وتلس عليه الثقاب التي حوص ذاتاً على ان يضعها في مكان معين ، واشعل مصباحه الزيتي الصغير ، وراح على ضوءه الخافت يطالع الرسالة المرة المريرة المتأكلة الملقاة في جانب الغرفة في جيبه ، والقي نظرة على المرتبة المتأكلة الملقاة في جانب الغرفة على حصير من القش متآكل ايضاً ، ورأها رثة بالية كالنظام الصوف الذي عليها ، والذي تأكلت اطرافه وتناثرت فتائل حول المرتبة . ثم رأى سقفاً به فضلات من خبز قديم جاف ، وبجانبه قدر اسود انتثر الديدان حول غطائه الخشبي الملوث بسائل السن القديم الذي ارتسخت خطوطه حول عتق القدر فشوت منظره . ثم حانت

منه التفاتة اخرى فرأى على الحائط مسجراً قد علق به جلابيب من غبار كأم ومن غير لون ايضاً ، لان الرطوبة انت عليه ، والزمن اتى على لونه ، هو الذي ينم فيه . . نظرو الى هذا كله وقام له كأنه لم يره من قبل ، ثم أسف ان تكون هذه هي حياته ، وان تكون هذه هي منامته . بيد انه

عاد فتذكر الرسالة التي في جيبه فابتسم ، وادفق الابتسامة يبيت من قصيدة - عصاء - كان قد نظمها في الزيف البائس . وكان لا يني يردد هذا البيت من وقت نحيي . الرسالة اليه وهو :

لا تسكن الارباب ان رمت الملا ان المذلة في الفرى يبرأت

.. ثم حول وجهه من هذه المنظر الكريمة ، وذهب الى صندوق من الخشب اصفر اللون قد نشئت عليه عدة رسوم تمثل الهالكي سلامه شامراً سيفه ، والزناقي خاليفة غمطياً صهوة جواده ، كان قد ورثه عن ابيه ، ويضع فيه ثيابه . ثم تقعد هذه الثياب التي اعدها من يومين فوجدتها كما نظمها بالامس ، فالبلدة قد عادت من عند الكواء

بعد ان اخذ يدها قليلاً ، والحذاء قد عاد اليه نظيفاً بعد ان رتقه له الشيخ عليل حذاء . القرية . اما الطربوش فقد استطاع



ان يظفر من صديق له بطربوش غير هذا الذي بدلت الاجواء اللعينة لونه، وصبرته الى هذه الصغرة الشاحبة كما استطاع ان يظفر من صديق آخر - يقدر فيه فنه وأدبه - يبلغ من المال لا بأس به يستين به على الإقامة في القاهرة نايماً، الى ان يصرف له راتبه، ويستأجر مسكناً، ويستقر في حياته الجديدة. ثم تفقد الحليقة التي ورثها عن جده لأمه، وازال ما عليها من تراب متراكم، ثم وضع فيها بقية ثيابه، وبعض الكتب التي سيحتاج اليها في عمله الجديد ككتاب الحيوان للجاحظ، وحي بن يقظان لابن طفيل، وسقط الزند العمري. ورسالة في علم التوحيد لكاظم فحل، اكلت الصراصر اسمه الذي كان على الغلاف، وبذلك اصبح الكاتب الفعل مجهول الاسم. وقد غاظ هذا الاستاذ الجاحظ في غيظاً شديداً لان هذه لم تكن اول مرة تأكل فيها الصراصر غلاف كتاب من كتبه، الامر الذي جعله يكتب ذات يوم رسالة مطولة عن الصراصر وخطرها على الادب، وجنابيتها على حقوق الادياب.

ولما رتب كل شيء، واطمان اليه، ذهب لينام... بيد انه خطر له خاطر أزعجه، وجعله يرتد عن الفراش خائفاً: ان عليه ان يرحل غداً بمشيئة الله الى القاهرة في اول قطار يتبادر «البندر» مع الفجر، ولهذا يتحتم عليه ان يستيقظ مبكراً، وهو لا يملك في الدنيا غير هذا الاستيقاظ المبكر الذي يرهقه ويحمل خالته، لا لتطبيق «لان» لو نام واستغرق في النوم، فلا بد له من قوة خارقة لكي يستيقظ. ولهذا فهو يعتبر ايقاظ خالته له كل صباح حسنة من الحسنات الكبيرة، ان لم يكن لها في الدنيا سواها، فهي كقضية بأن تدخلها الجنة بلا قيد ولا شرط. وخالته هذه الليلة لم تكن في الدار، فقد ذهبت لتبيت في دار العمدة لان زوجها قد اتفاه الخاض من فجر امس. وزوج العمدة اذا جاءها الخاض فلا بد لخالته ولغير خالته ان يبيت عندها، ويقمن على خدمتها ليل نهار. واذا ن فلماذا يضع لو نام وفاته اول قطار، وقد حدد له الاستاذ رئيس التحرير العاشرة من صباح الغد موعداً للقاء... وهل يظل مستيقظاً طوال الليل؟ ام ينام، ويعتمد على نفسه. ان الاعتماد على النفس في مثل هذه الاحوال ضرب من الجنون، ولون من الحبل لانه كثير ما يعود بالضرب على النفس بالذات، ولذلك قال ابن سينا في كتاب من كتبه: «ذا قالت لك نفسك في أمر ما اعتمد علي فيه فاعلم بأن هذا ضرب من ضروب تقرير النفس بصاحبها، لان النفس يحلو لها احياناً ان تمزج... وقد لا تمزج النفس الا مع صاحبها... وقد لا تمزج... مما لا في جسام الامور» ونظر الى ساعته فألفاهها الواحدة صباحاً، وهو يريد ان يتبادر

الدار في الرابعة والنصف فاذا بضربه لو ظل مستيقظاً هذه الساعات القلائل، ولما اقتنم بذلك فكر في شيء. يشغله هذه الساعات، فذهب الى (الترايبنة) المتأكلة التي عليها المصباح الزجاجي الخفاف، وبعدة كتب قديمة متناثرة هنا وهناك، وجلس اليها، وراح يسود المقال الذي سيفتتح به حياته الجديدة في المجلة وكان عنوانه - وداعاً أيها الفقر - وما ان خلس منه حتى كانت الساعة قد بلغت الرابعة، فتناول حقيقته وغادر الغرفة بعد ان أغلق بابها ووضع مفتاحها الجديد فوق «خنة» الارانب، وهو المكان الذي تعارف مع خالته على ان يحتفي فيه المفتاح كلما غاب احدهما. ومن ثم انصرف الى الطريق فاستقبله نسم الفجر الندي فلما منه رثتيه، وما ان بلغ جسر القنطرة حتى حاذاه الى ان بلغ المدينة التي منها سير كعب قطار الحكومة الى القاهرة. ولم ينس قبل ان يذهب الى المحطة ان ير ببائع الفول، وابتاع منه شقة من رغيف ملا قلبها بالفول مع قطعتين من الطعمية، وكية لا بأس بها من الطرشي ثم انصرف الى الطريق يقضم من نصيب الزيف، ويلا فقه من هذه الاكلة التي يجيها، فقد كان يحب الفول ويعدده آثره، حتى انه نظم فيه قصيدة من جيد الشعر كان عنوانها «جان الحقل» صدقها بالفول الى مكان التقديس، وذكر فيها جانب المدرس، وافضال الثابت، ومآثر الطعمية ونسمة البصائر. الى ان بلغ المحطة فابتاع تذكرة «خضراء» الى القاهرة. وجاء القطار وهم بان يركب، ولكن تعذر عليه ان يحضر جسمه النحيل الضئيل المكثود بين هذه الاجسام التي حشرت حشراً في قلب عربات الدرجة الثالثة. وهاله الامر، وصفر القطار فامتنع لونه، وتدهورت انفساه، وراح كالجنون يبحث له عن منفذ ينفذ منه الى قلب احسدى العربات، وهو يركض ادباراً واقبالاً يتطلع الى منافذ القطار، ومنافذ ابوابه، وهم القطار بان يتحرك، فأسقط في يده، وارتعدت فرائضه وشعب لونه وكاد يسقط مذهولاً تحت المعجلات لولا ان احسد الركاب اشفق عليه، فخاص نفسه اولاً من الزحام الذي هو فيه ثم مد له يده والتقطه، من النافذة هو وحقيقته، كما يلتقط الاسد قطعة من اللحم وهو داخل قفصه. وما ان اطمان الاستاذ الجاحظ الى انه ركب القطار فملأ حتى عادت اليه انفساه، وارتد اليه لونه، وحمد الله الذي رفع عنه هذا البلاء. فيالو كان القطار قد قاته. بيد انه بعد ان سار القطار قليلاً شعر بشيء من الضيق بسببه له الزحام الشديد، والانتفاخ الحارة المزاككة في قلب العربات، ثم ضايقته ايضاً قذارة المكان الذي تصادف ان وقف فيه، فقد رأى امرأة ريفية تقضي لطفها حاجته على نفس

ولا يوجد به معها، وكل الذي حدث أنه عندما جلس امامها حركت
 يدها المسترخي ونقلت عنها الدعجوين من على صفحات الكتاب
 الذي كانت تقرأ فيه ، ونظرت اليه نظرة عابرة ، كما ينظر الانسان
 الى حشرة حقيرة . ثم عادت فودت الطرف الى الكتاب واصلت
 القراءة كأن هذه الحشرة التي امامها من الحشرات الاليفة التي
 امتادت ان تراها كل يوم .

وآلم هذا الاستاذ الجليوني، كله ان تحترق امرأة على هذا الوضع المهن، مع ان الله فضله عليها - وللرجال على النساء - درجة - كما قالت كتب السما والارض، فأياك اذا كان هو يحتاج عن الرجال بصفة الادب والشر. لذلك فالوضع الصحيح يحتم عليه ان يرد اقتباره فلان في هذه الفتاة الجميلة حقاً، الرائحة الانثوية حقيقة، وجدت من يحمل فيها هذا الجمال، وازدري هذه الانثوية، لما جرؤت على ان تحترق الرجال، مثلما اعتقته الآن. ولما أمثلته هذا الإهمال الذي أذى نفسه. وعلى هذا فلا بد لمن ان يحترقها، لا لأنها اعتقته فحسب، لكن لجمالها كيف تحترق الرجال، حتى ولو كانوا من ركب الدرجة الثالثة في قطار الحكومة. . . لذلك استبدل بجاسته المؤدية أخرى فيها قليل من الفضة، ووضع ساقاً على ساق، وتعمد أن يواجه رجل عذابه فيها الحريزي الغفان لم يكن وجهها الجليل السام، يبدأها ان فعل هذا حتى عاد فارتدت عنه سريعاً، ومن تلقاء نفسه وقبل ان يحترق هي اليه، أو تقطن الى ما فكر فيه، فقد تذكر ان نعل الحذاء به ثقب كبير لولا ورقة صميكة من اوراق علب الفلافاف وضها بين الجيوب والثقب، للاح جوربه العن متديلاً من ثقب الحذاء. . . ولو حدث هذا لأوجب احتقاره فعلاً، وهو الذي يريد ان يجبرها على احترامه لذلك قبح في مكانه مهوماً بعض الشيء. لان ثقب الحذاء، ذكره بجالته وبؤسه، وما هو عليه من تفاوت عجيب في الازراق، اذا ما قورن جوربه هذا العن، وحذافه هذا المتقرب، بهذا الجوب النايلون الذي يكاد يؤكل أكلاً من ساق هذه الفتاة، وهذا الحذاء اللامع الذي يزين قدمها، والذي هو اغنى ثمناً من كل ثروته مجتمعة، حتى ولو أضيف اليها الصندوق الموسوم عليه الزناتي خليفة، وأبو زيد الهالتي سلامه الذي ورثه عن جده لأمه. . . ففكر في هذا كله، يبدأن هذا لم يعمه ايضاً من التفكير في كرامته التي أهدرتها هذه المتطرفة. . . لذلك فضل طريقة أخرى، وهي ان يبدأها هو الحديث، ويقول لها شيئاً، ثم بعد ذلك يعطيها درساً في الاخلاق، وجوب احترام الرجل الذي من الله على المرأة. . . ولكن شيئاً آخر حدث فجأة، جعله يتردد

- وكان يجب عليك أيضاً أن تعرف قدر نفسك ، وتعرف ان الذي يتمثل هذا النمل المثلث ، ويرتدي هذا الجوزب الكوريه الرائحة ، ليس مكانه الدرجة الاولى .

- وحز ذلك في نفسه ، وغاظته منها هذه القحة ، فقال محمداً :
- وكان يجب ان تعرفي ان انه لو استقامت الامور ، لما كان هذا الفرق بين جردبك هذا النابلون ، وجوربي المتآكل ، ولا كان هذا الفرق بين حذاءك هذا اللامع ، وحذاءي المثلث . ولو استقامت الامور ايضاً يا انسي ، لما كان هذا الفرق بين قيمي البالي ، وهذا « الهروش » الذي يتلأأ على صدرك ، والذي هو قائماً كالفرق بين مقعدك الوثير الذي تجلسين عليه ، وتلك المركبات التي اعدت للقراء في قطار « الميري » . فقات ساخرة لتثير غضبه :
- لو لم تكن اهلاً لهذا الفرق ، لما خلقت فقيراً .

فقال محمداً والشرر يتطاير من عينيه :
- تعي انني لم اكن اهلاً لهذا الفرق ، ولم اكن فقيراً يوم ان كان « محمد » يرتدي السجدة ويأكل التريد ، ولكنني افترقت يوم ان ارتدي « هارون » الدمشق وأكل « الفالوج » .

ثم احتدم غيظه ، وراح يتغوه بألفاظ هو نفسه لم يعرف لها رداً ولا معنى ، ولكن الفتاة ثارت لها ، واعتجبتها اهانة خلقت بها وبكرامتها ، فتركته غاضبة ، وانصرفت . وبعد حين غادت ومعهما جندي من جنود القطار ، وامرته ان يقض على هذا « الاستاذ » الذي اعتدى عليها باليد واللسان بعد ان طلب منها امرأ يعاقب عليه القانون . وهنا تار الاستاذ الجليجوني ثورة هائلة ، وراح كاليث يذود عن كرامته المهتمة . وعلا صوته ، وهم ان يقدم عنه هذه التهمة بسرد حقيقة الذي حدث ، ولكن القطار كان قد وقف في احدى المحطات ، فساقه الجندي الى مكتب بوليس المحطة ، وارعه ارغاماً على التخلف .

ولما لم القطار بأن يتحرك ، قامت الفتاة الجميلة للجندي بعدان حيتها بانسامة تسيل عدوية ورقة : - اذا احتجتم الي ، فمتواني على ألي ، صاحب ورئيس تحرير مجلة الفكر الحديث .

.. شي . واحد هو الذي كتم الاستاذ الجليجوني كوارث حقيقته ، وجعله يسخط على الشرائع والقوانين ، ذلك انه لما ثبتت ادانته ، وحكم عليه بشهرين ، وساقوه الى السجن ، حالت ادارة السجن على الباب بينه وبين سقط الزند العمري ، والحيوان الجاحظ ، وتلك الرسالة في علم الترحيد ، التي آتت الصراخ اسم مؤلفها .

امين يوسف غراب

الفاخرة

زائغ البصر ، مبهور الانفاس ، مرتعب النفس ، فقد نهم دقاً حيناً يترامى الى اذنيه من بعيد ، فتذكر الكمساري ، والورقة الخضراء . المائنة التي في جيبه ، والمصير الذي سيؤول اليه في نظرها ، فيا لو أتى اليه الكمساري ، وعرفت أنه يجلس في مكان السادة وهو يحمل هذه التذكرة الخضراء ، الشبيهة بلون الرخصة التي تعطىها وزارة الداخلية للكلاب التي تحمل ترخيصاً بالاقامة في قصور الاغنياء . انها لا بد ستحققه اكثر مما كانت ستحققه لو انبها رأيت النمل والثعب والجورب . اذن يهرب حتى يري الكمساري ثم يعود فيجلس في مكانه . ولكنه ان فعل هذا ، فستفهم هي من غير شك ، وهذا ادعى الى احتقاره اكثر . اذن يترك هذه العربة ويذهب الى مكانه في الدرجة التي خصصت له ولا مثاله ، وان فعل هذا ايضاً فسيلقي هناك الموت كامناً في وشاح ذلك الامراني ، وهو لا يريد ان يموت . وسيلقي ايضاً المرأة التي تقضي لطفها حاجته على نفس المقعد الذي تجلس عليه ، وهو لا يحمل هذا الاذى ، وحتى لو احتمله ، فكيف يحرم نفسه من هذا الجمال الرائع الذي نفذ الى قلبه من النظرة الاولى وان كان في قوادة نفسه يفوق بين الجمال الذي يريد ان يستمتع به ، وصاحبه التي يريد ان يرد لها السهم الذي جرح كرامته . اذن فاعل الوحيد هو ان يبقى في مكانه ، ولما استصوب هذه الفكرة اسرع بالانصراف والتقى خارج الديوان بالكمساري قبل ان يجي ، وتفاهم معه على فرق الثمن في التذكرتين ، وانتبيا الى حل تأذي له جيبه تأذياً كبيراً . ثم عاد الى مكانه مبتهجاً ، لانه استطاع ان يكون انساناً ولو الى ساعة واحدة ، هي الباقية على وصول القطار الى القاهرة . وحاول بعد ان جلس قبالتها ان يلفت نظرها اليه ، ولكن ذعبت كل محاولاته سدى ، فقد كانت الفتاة اثبت من ان تستميلها حركة من حركاته ، او لفتة من لفتاته . ولما نفذ صبره ، تشجع وسأله في تطفل عن الكتاب الذي تقرأ فيه ، فأجابته دون ان تنظر اليه بأنه الليالي لالفريد دي موسيه ، وكان يعرف شيئاً من حياة هذا الشاعر ، فقال لها في الغرور : - الرجل الذي قتلته امرأة !

ولكنها لم تجب ولم تنظر اليه ، بسل واصلت القراءة ، كأن شيئاً في هذا السكون المحيط بها لم يحدث ، وغاظه هذا الاهمال المقصود فقال شبه غاضب :

- اظن ان من قرأ الفريد دي موسيه ، وبلغته ، كان يجب عليها ان تعرف ابط قواعد الجمالة مع زميل لها في السفر .

فمرته بنظرة ادمت نفسه وقالت في قحة لم يكن ينتظرها :

في وادي الموت

همس الخلود

لعبد القادر محمود

الى روح الشاعر ابراهيم بن محمد
بتأسيب الذكرى الثانية لوفاته

تلك الروح العظيمة التي هربت الى الجوزاء
بعد ان عرفت سر الارض
ها أنا أكتب اليك وليس امامي الا شواهد قبور
في شجوب الساء تتأوج على امواج السيفغولية
الثامنة ليهووفن الذي اعيش معه الان
فاستمتع في ممى حق نتغني

ها أنا جئت الى الدنيا مجي
ليس ذنبي اتني احل قاي
قلت لأيل وقد ران الظلام
فأجاب الليل لا تلق الملام
لا تساني كيف غيبت نشيدي
وأفاعي الهم ان رامت وجودي
سرت والشك طريقي للحياة
غير أني لم اجد خر الشفاه
قلت للنور تمهل انما
فاشرأب النور طيفاً حالمًا
كل ما بقيه أنا نشتهي
غير ان الحلم فينسا ينتهي
نحن في سجن الاماني كالندى
غير ان الورد ظمان الصدى
دقت الاجراس في الافق البعيد
والضجى والليل نحر وقصيد
أيها الساري تأمل في الرمال
سر ولا تعجل فقد ساء المآل
خلف احزانك فانظروا ايها
واذا شئت حياء رمتها
ما وراء الحائط البالي اجبي
وأرى في الافق من اشباح حزني
انني انظر حولي يا ابن امي
وارى في الوهم امسي قبل يومي
نحن لا نملك في الدنيا الحيا لا
واذا رمنا الهوى رمنا ضللا
فجعتني دودة الارض وقالت
كلنا في الكون ظل، وتوارت !!
ايها الاحزان مهلاً ١٠ الذي
والى اين ؟ اجبي فالذي
ولمن تحمل هذي الامنيات ؟
لظلام الارض ؟! وبع البسات
ذلك المحمول في النمش فدا
وهو للديسدان ري وغذاء
ان للاحلام عينسا لا ترى
اسأل الليل عن السر الدفين
فضباب الليل مباح الشجون
ها أنا يا ليل روح لا يطير
انسني مثلك في القيد اسير
فأنا الان هنسا غسري أنا
فنشيد الحلد كان « الأرغنا »
فرايت الافق ضحيان الجبين
غير جور منه شهد الحنين
هذه الدنيا ضياء من ظلام
وتواري في جلايب العلم
قبة الجوزاء موعى ومسا
وهو لم يدع خيالا او سرا
بنشر السحر على ثمر الورد
وضياء الشمس قتال حقوق
وموايا الناس في الكهف ظلام
غير ان القيد حر لا يضام !!
ان تحت الرمل من خطوك شعرا
ومواد النفس ان تحمل ذكرى !!
ترحم الافق نشيجا ونواها
فابتعد عنها ولا تسق الجراحا
انسني اصمم أناني بأذني
وجه الاهوال لا تنفك عني
فأرى الدنيا جنانا في جحيم
كمذاوى النور في شط السديم
فلساذا نحب الالام جيلا
ورأينا السفح كالافعى اكولا !
انني كالشمس في حضن الاله
فاجبت الدودة للمساء ... آه
يحمل النعش من الدنيا الماعوب ؟
خلف احلامي فضاء لا يذوب
ولمن تلقى ؟ اجري اضلعي
كلها راحت كذوب الادمع
لدم الارض الذي حن اليها
وفناء الطين محتوم عليها
غير ظلاما، تعرت في الفضاء

ويرى الإنسان فيها ما يرى
يا نشيد الغاب ما خطب اليايالي
قال لي الغاب تمهل في الحبال
حين يسي الليل صديان الامي
وتراه كسحابات المساء
... صه فاما انت براء ههنا
والصباح النضر ريان السنا
والعيون النجل تبكي وتسيل
والدماء المحر تهجمي وتقول
يا شمع العقل في نهر الجنون
او تظن الفجر في صبح اليقين
ما الذي تبغيه من دمع صيب
خلة للطين يحميا ويذوب
قد شكنا الطين لماذا انا افنى؟
نحن جثنا لا تسلمنا كيف جثنا
اصنع الانسان زهراً للجلال
واصنع الموت حياة كالخيال
قال لي الطين قلقت في العراء
عطر هذا الرود من حر الدماء
نحن نبوي الرود هل نبوي الغرام
والغذاري البيض في الماحد رمام
ان هذا الموت لون وكساء
ليس في الحق ثبات او فناء
امسك الحفسار بالمزول حتى
وانتهى يردم في الحفرة ميتاً
وعلى الجحيز في هس الغروب
ومن البسوم نيب ونحيب
غرد المعصور في الوكر وغنى
والسكون الزهر في الوديان آناً
انه يلحس اطراف الجذور
ويحس الهول في ليل القبور
لا تقل اعنى من اظلمت عيونه
ويراه النعش ميتاً فيخونه
اترى يسمع اصوات الشجر؟
ام ترى هو في ثلج الحفر؟

من خيال وهو لا يدري الفناء
حين موت ونجوم الليل تبكي
نحن اصداء بصوت الموت يحكي
لن يرى الزارع بل ينكر زرع
في غروب الشمس لا يرحم دمه
غير نعش يدخل الارض ليفنى
لا يبالى النعش ان ذاب وأناً
وعيون الانعم تهفو للعذاب
ايها الانسان رفقا بالحراب
لا تظن الصخر لا يعرف ربه
فتستار الليل لا يعرف ذنبه
وعزيف الموج خفاق حنون
وارور الارض من غيث الشجون
ولماذا ترجم الموتى الينا ؟
رب طين صار كاساً في يدينا
ومن الثغر ورودا كالشفق
وانشر الاضواء في ليل الافق
او تدري كنه حو لا يضرم
والمشيب النضر من جسم الانعم
انه طيف تغور وحدود
غير ان الثغر كرم وورود
وسنا الروح كأضواء العيون
ايها الطين سوى طيف المنون
فتح الهوة للفازي المأم
اخذ الاجر عليه وابنتهم
شمة الاحلام تذوي في الشفق
يسمع الاكوان اشجان التسق
بين اشباح الدجى غول الفناء
بيسنا الميت مقرر الرداء
تحرق التابوت في هس كتيب
ويرى عيبيه في التب تذوب
انه يزنو ولكن بهاء !!!
ويذوب النعش لكن في دماء
حين تغفو ونعيب البوم يحكي
كشموع في مهب النار تبكي

ايها الاحياء غنوا وارقصوا
وغداً يذوي ويغنى المرقص
يا عذارى الحسن يا نعيم الفتون
كل ما قد كان في الدنيا يهون
ان سحر المهد من طيف الضريح
غير ان الورم طب للجرح يسح
ايها المحزون رفقا بالجراح
او ترجو الامس في مسرى الرياح
اين نفع العطر والامواج تسري
لا تساني فانا ادرى بسرّي
هل رايت الليل والقيلان تجو
لا تظن الورم وهماً وهو كرب
في نعام الليل لا الموتى نيام
انما القبر شجون وكلام
انهم يشرون ليلاً في الحفناء
والصلبي المحجور يسري للفناء
كل ما في الكون حلم وخيال
وهو في الشيطان هس وظلال
انه في القبر والتسار سواه
وهو للانسان روح وغزاء
وهو في الشمتا ضياء خافق
وهو في النجوم شعاع دافق
وهو في الصبح عير وجمال
وهو في الانهار شعر وجلال
وهو في الروح شعاع مقدر
وهو في الصمت بيان اكبر
ويح اص الليل من عمق الحفر
هو يذوي من يراني؟ ما القدر؟
لا تقل لي انا الدنيا فناء ...
انت لا تدري وقد رمت الشقاء ...
لا تقل لا ... ان عمق البشر يدري
لا تقل لا ... ان روح الله تسري
إيه «الياس» على هام الماء
انت في الافق نشيد وضياء

نافاهرة

فضياء الفجر لا يرحم دمعاً
ويعود القبر للاهوال نبعاً
ويح سيف الموت من سهم العيون
غير سحر مسه برد المنون
وكئوس الزاح من طين وماء
منه يروي وبه يسقى الفناء
كل شيء قد تولى سوف ينسى
خلّ عنك الهم لا تجمله رسماً
اين ضوء البدر والليل شجون
سل شمع العقل عن نهر الجنون
وعلى الشيطان تجري وتطير ؟
ينثر الاشباح في هول القبور
لا ولا القبر غريق في السكون
ورمام حولها رسم السنين
لنشيد الغاب في الكهف العميق
مثلاً ولوا الى القور السحيق
غير ضوء خالد في الافق غنى
وهو في الجزاء روح ليس يغنى
وهو في الصحراء ترنيم الخلود
وهو للاكوان عنوان الوجود
يفعم الوردة بانور العليل
ينثر الاضواء والظل اظليل
وهو في الليل ستار وغطاء
وهو في الموج نشيد وضياء
وهو في الارض فداء للحياة
وهو في الدنيا وفي الاخرى إله
حين يسري وافاعي الشر تسري
والدجى الساري كمشب فوق بحر
فاعبد اللذات في سحر الحياة
نحن نحيا؟؟ لا فنحن الحلم ... آه
بالذي توحيه ذرات الزمزال
في سماه البيد في صمت الجبال
سبح النور ودمدم بالنعساء
ليس غير الموت من يلقي الفناء

عبد الفادر محمود

من مجالي الفنائية في الشعر العربي

من تألّفه هني الفرهار الدولة العباسية

بقلم نسيم نصر

استاذ الادب العربي بالكلية الوطنية بالشويفات



الفنائية

هي المدى الرحب الذي طوّفت فيه جماعات عديدة من شعراء العالم ، وخاصة شعراء الشرق السامي ، مجتعي البيان رشيقي الايقاع ، يستلهمون حمارة الخيال ، ويستندون نوافح الفكر راضين مطمئنين ويستهبون زعازع الغيب مغضبين نادين ، وبين هذه وتلك يجذبون ابياتهم بروائهم الالوان ويعصرونها بأحلياب القلب أو يغمرونها بأهواء النفس الجائشة .

وهكذا ارتوى هؤلاء الشعراء من منابع الانسان كغمسوا شخصياتهم على مرآيا نفوسهم بأمانة ، أو صعدوا على مشاعر من حولهم بعناية ، أو صودروا بعض ما يحيط بهم بالثقل . ولئن قصروا من الناحيتين الابداعية والبطولية ، فإنهم أغصوا الشعر عنهما بما جاش أو استدق من التزوات الداخلية في الانسان واحكموا صنيها في منسجم من التعبير ، افضل ما يقال فيه انه صور يشبه اشعاع الذات واستعراض البيئة واستمقاء الحوادث والواح الرؤى الخالدة في حدود القافية المساقاة بالايقاع الموسيقي .

ويظهر في الصف الاول من الفنائيين العالميين شعراء العرب في فجر عصورهم . ومن تناول الشعر الجاهلي بالدرس احسن بترأخي الوحدة الموضوعية أو بققادنا ، فأنشئ الى ذاته يسألنا : « اين هؤلاء من الادب الموضوعي » ؟ انهم لم يكونوا ، في تلك المرحلة من عمر الآداب ، منصبين على توجيه معين من الفكر اولون مفروض من الصورة أو تحليل مروض من الحكمة ، بل كانوا يجملون من شعرهم مذكورات يجمعونها ، رغبة منهم في اذخارها وعرضها عند الحاجة . وانت ان قرأت معلقة عمرو بن كلثوم مثلاً ، رأيت فيها احتكامها الى ابن هند ، صاحب الحجة آنذاك الى جانب افتخاره بمجدف رأس ذلك الملك الحكم . وإذا أخذت معلقة

طرفة بن العبد باعثاً فيها أوشكت ان تفس الفنى الجاهلي اللاهبي مروحياً الثعان التزوات الفتوة ماثلاً له الشباسب ، وصياً بالمرودة ما عاشت الفتوة . وإذا عكفت على مطولة زهير ترى لك الرجل الحكيم يتناول اموره بعميار ويخاطب الناس بقدر ويوسط لك دنيا من الفهم توشك ان ترقى الى محاولة في رسم الخطوط الاولى لادب الاجتماع .

وبعد ان تطلمن الى المنفعة الايمان البكر في شعر ابيد وقدمهم بقي . التزوية الزاعمة في عرض الحياة الزائلة ، ممة تعال نمر مرافقين حسناً بن ثابت ، شاعر الرسول وبخار التحول الجزئي ، بين الجاهلية وصدر الاسلام الاول ، فتعمر بفيض الركون ونستهوى بهم الايمان الموحد .

وإذا جئت الصدر الثاني للاسلام اطل عليك ، من عاصمة الامويين ، الاخطل النفاي ، بحامي السدة الجديدة وشاعر البلاط ونافع ربيع الحجرة ، حاملة عقب الفلاسفة « الدهولية » (١) ، في الشعر العربي . وان لم يحس اصحاب القراءات الخاطئة في « مناقضات » الاخطل وجدير والفرزدق غير هراش وسباب ، وان لم ير بعض المطلعين على مساجلات العصبية والاحزاب الشعرية السني كان ابطالها بعض كبار شعراء بني امية من جهة ومقدمي شعراء الشيعة من جهة اخرى يومئذ ، غير النفاح بنجيث القول ولاذع التهم ، فاني لاستطلم فيها ، على ضرورتها ، ان صنع التعبير ، دنيا من التزامات وارجوحة من الميول ومعرضاً لمراحل حاتمة في التاريخ ، فالشاعر كان في ذلك العهد خطيب زمامه وصحفي حواضره واحزابه وصانعة باديته ومبذيع دعوته . ولقد كان الشاعر الاموي ،

(١) اصطفا تعبير إيجازي يفسر غاية المسكر التروجية .

فوق ذلك كان «مفتوحاً» الخلافة بالارث وموجه السياسة بالشعر، ولئن نسبنا ان نضع الى جانب ما تقدم ثروة الشعر في النزل او فيض الحب في الشعر فقد اصبنا الغنائية بسهم في الصبح، فمن حب بني عذرة شمت خيوط النور في جوانح الانسان المنجذب الدافئة ومن روائح عروين الي ربيعة لبست ابتكار عرائس القاب لباسها الموقر وهفت الى ملاقات الاحباب مزينة بهجة عطية سائرة تزوات الاباحية بطرف الفن الغنائي.

اجل ان الغنائية المؤرخة المدافعة عن الدين المرافعة في سبيل الملك المترجمة عن تزوات القاب في ميوله واهوائه وابائه، لمي غنائية تحيي العصر الادوي ما استمر القاب البشري نابضاً بالحلب وتنسى الى البقاء ما بقيت اساليب الكلام المنظوم المنشودة الاسماع في البلاغة.

وما بال الامم تستعرض تاريخها وذكورياتها الحافظة وتبث حية مجادها وابداعها في نقش على حجر او بقية من وسماء او اشارة باقية فوق جدار. بينما يستوهنا قفهم هذا الفناء في لغة الوحي ووسيقى الاجيال لنضع انفسنا وضمم المواقف خلفي هذا الارث الادي احياء في انشيدهم تنحس فيها وجوه احياء وخبايا صدور فكانها موقوفة السلي لحي.

وما ان بانمت غنائية الشعر العربي ظلال الوحدة العباسية حتى انصهرت فيها احساسات طوائف كثيرة من الالي اقوام البدان العربي من الامم التي شملتها بغداد بسيطرتها او الذين اوهسا وولي او مستترفين نعم البلاط العباسي. وما الشعراء العرب جنساً واصلأ اقلامهم فلقوها المذاهب الادبية الجديدة في ذنباهم وزينوا نتائجهم بنى لم يكن لهم قبلاً اذ كانوا ما يزالون محافظين على صفات البداية متأثرين بالطبع وحده، وذلك الطبع كثيراً ما كانت تقاب عليه السذاجة، ولكنها السذاجة الحارة المستعجة النابية من التخبث والمترفة من المتع والظنون التي اصبحت مألوفة في هذا العصر. ولكن ما لنا وللنقد المسلكي، ونحن نقصد الى اعلان المهد العباسي مبلغ الاوج في طريق الغنائية العربية؟

أليس بشار بن برد، وهو من ابعد الشعراء عن التقيد بواجبات الاجتاع في مختلف مفاريضه وتذرع ضوابطه يطلم على آفاق الشعر من عهد الفن الغنائي مدالاً بشعرية هي من الحصب والروعة، في مواكب الخلود؟ ولكنه الشعر المستحدث من معادن اللذة

(١) اشارة الى الايثار السري الذي قول مسكين الشاعر في عباس معاوية الاول: «اذما ما التبر العربي غلاه ربه فان ابر المؤمنين يزيد

ومزيج الالهوا. والمنازع ينفحك بهطر من نياهم الفن، كما تفعل الطبيعة في تكييف عناصر السباد لتتملاً المشام بالشذا والبرون بالهبة والمجالس بروائح الالوان والمزاهر.

وربما اناسات للغنائية بعض شوارد الفلسفة وفتحت لها بعض مغاليق الفكر كما حدث لابي نواس. وانه لمن العجب ان يت رسم هذا الحديث الماتم للماجن «مالك النفس ويستبيح مكنوناتها بضروب من الشعر خلدت متحفاً أثرياً وسجلاً صادقاً حتى الوقاحة في استعراض زمانه، فهو في مخزياته «خيام» العرب يغوف من تلك الفاسفة الذهولية التي حمل لواءها في الشعر العربي. وهسي فلسفة ترافق الصحة والشباب غالباً تختصر طريق الانسان في مدارج الحياة فلا تصله با قبل الرحم ولا تشغله با خالف القهر، وتجزئه ناعماً با تيسر رخي البال يجني ورود الحياة غير ما يبي ويقود الاخلاق.

ألست غنائية العرب السامعين هي التي تقاعات في نفوس بعض شعرائهم المثقفين فكانت جناحاً آخر للشعر العربي نسجته النفس المؤمنة وحلقت به في جو خاص فكانت الصوفية، فطام لب القارض وابن عربي وابن سينا في هيئته، رسل روح رمزية في البيان الشعري العربي، ومالت ببعض اعلامها الى الحكمة وطوفت في اجواء الفكر والتجارب واستناقت من ضروب الفاسفة والروائية جلاها فكان ابو تمام والمثنوي وابو العلاء المبري؟ هذا الاثر استحق على عمام ان نسجيه ابصر الشعراء في ظلمات النفس واهداهم الى اساليب الانشاد الساخر من الحياة والموهو بكبرياء الانسان عن اوجها الى حضضي الضمة والاستخفاف حتى القول بانقراض الجنس البشري.

اما الغنائية التي كانت تصدر عن منابع النفس مختلطة بتأثرات الحواس، والتي بدأت تنفع الادب العربي بروائها، منذ اقدم عصوره، فقد كان راسخو خطوطها الاول اوساً وزهيراً وكباً ولطيفة فعرّف هؤلاء. ومن نسج على منوالهم بشراء «المدرسة الاوسية والزهيرية» المشورة في الغاب، بتصويرها الحلي.

وضف شأن هذه «المدرسة» في صدر الاسلام الثاني خاصة، لانصراف الشعراء في تلك المرحلة الى خدمة السياسة الاحزاب والخلافة انصرافاً أفاهم عن الغاية بهذه الناحية المصدرة، فلم يستمر فيها بارزاً الا في النزل الناهض، على عذريته واباحيته، الى تمثيل المواطنين والمحاسن والمفامرات تصويراً بلغ حدود الزوعة فبقي، حتى اليوم، مثلاً يرمى اليه في بدائم جميل وعمو وغيرهما من القرائن القديمين.

مدارس بيت المقدس ومآثرها

المقدمة: من القرن الاول الى القرن الرابع عشر الهجري

بقلم احمـد سامـح الحانـدي

معيد الكلية العربية بالقدس



كلمة عامة

تبتأز

البلاد المقدسة الآن دوراً عصياً يشبه ما قاسته على ايدي التار في القرن السابع الهجري . والذي يظهر ان حرباً كالغروب الصليبية قد نشبت في هذا الجزء من العالم وما يرى الآن ليس سوى البداية .

وقد ردد الحصور، وبعض المفرضين ان التوربيين ان القدس هي مدينة يهودية، بحجة ان عدد سكانها من اليهود يزيد على سكانها العرب . واقترحت اللجنة الدولية جمل القدس وما حولها منطقة دولية ، وتصرّ الاحزاب الصهيونية المتطرفة على ان تحمل من القدس عاصمة « لاسرائيل » .

والحقيقة الراهنة ان القدس ، كانت وما زالت مدينة عربية مئة في المئة ، وان الاحياء اليهودية في الاقسام الشمالية والغربية والجنوبية من القدس الجديدة هي ، احياء خارجة عن القدس ، بل هي اشبه « بضواحي » منها باجزاء من المدينة المقدسة . وقد شاعت سياسة الوطن القرمي ان تظم هذه « الضواحي » الى المدينة ،

وكان على خزانة الشعر العربي ان تنتظر البعدي واين الرومي لنعرض الثنائية لوحسات دقيقة الالوان واضحة الوجوه مستطرفة الفن ، فتبدو فيها على شرف من الحلود ملائمة بين الجمال والموسيقى وبين الايقاعين اللفظي والمعنوي ، وعن محاسن هذا الوصف اخذ كثير من شعراء العرب ، الى ان طلع الشعر الاندلسي موسوماً بفنّان الطبيعة مسترخياً للعواطف يلين بليتها ويأسي لاساها ويتفلسف ، من قيرد القافية الموحدة لايقاع الابات فكانت الموسحات وكان بعضها « قلم الرياض » .

لاغراض سياسية تمثياً مع السياسة في عهد الانتداب البائد . على ان بجثنا هنا انما يتناول ناحية خاصة من بيت المقدس ، وهي ناحية المدارس والمعاهد والمؤسسات العامة التي وجدت في القدس من القرن الاول الى القرن الرابع عشر الهجري . وقد احصينا ١١٢ معبداً عاماً عاماً في هذه العصور ، حاشا ١٢ مبدءاً او يزيد في العصر العثماني المتأخر في القرن الرابع عشر الهجري . وقصدنا من هذا البحث ان نطرح ان بيت المقدس هي مدينة عربية ، في تاريخها وآثارها ومآثرها وقد كانت كذلك وما تزال منذ القرن الاول الهجري . وقبل الشروع في وصف هذه المعاهد ، وبيان مؤسستها ومن درس فيها ، رايانا ان نأتي على مقدمة تاريخية مختصرة تصف لتقاريء الكريم الحوادث الكبرى التي حدثت في كل قرن ، وتبين علاقة هذه الحوادث ببيت المقدس ، ثم ذكر اصحاء كبار رجال العلم ، والفقه ، والتصوف الخ . . . في العالم الاسلامي ، في مختلف العصور ، كي يستطيع المرء ان يربط هذه الاصحاء بتاريخ المدينة وما قام فيها من المعاهد العامة . ويمكننا القول انه اذا استثنينا المسجد الاقصى ، الذي كان

وجماع القول ان العرب لم يستقم لهم سبيل الى الملحة في نظامها الراسع فحصلوا الزوال . الفناء في لغة خلقت طبعاً لتمثيل حالات النفس البشرية وقروضا شعرهم في اوزان لها من موسيقاها وانسجام قصيدها ما ارتفع بخلود ايقاعها الى مرتبة ابداع الملاحم ، ووشيت على العصور الطويلة تخضن ما تستحدثه الحواضر من انعام ، وهي وليدة الحداء في البادية ، وهكذا باهت الصحراء بابداع النساء . أخاً للوحي وجناحين للخلود .

نعم نحرص

وما زال تلقى فيه دروس الدين والعربية ، فان المؤسسات ابتدأت تنشر في القرنين الرابع والخامس ، وكثرت في القرن السادس (العهد الصالح) وزادت في القرن السابع ، وتضاعفت في الثامن ، وقأت في التاسع والعاشر ، واخذت تتلاشى فيما بعد الفتح العثماني (١٦٢٢ هـ - ١٥١٧ م) ، وصارت تكثر في بلاد الروم (الترك) . هذا ولا يزال القسم الاكبر من هذه المعاهد قائماً حتى الآن يستطيع ان يشاهده كل من يزور بيت المقدس .

وبديهي ان يكون اعتمادنا في البحث عن مدارس القدس ومعاهدها بحجر الدين الحنبلي المقدسي^(١) ، مؤرخ بيت المقدس الحليبة والذي يرجع الفضل اليه دون سواه في تدوين المذكرات التفصيلية عن حوادث عصره (التاسع الهجري) ووصف هذه المعاهد وبيان مؤسساتها ومدارسها ، فهو الذي يعطينا صورة واضحة جلية ، عن القدس ، والخليل ، بل وعن فلسطين عامة ، حتى نهاية عصره ، القرن التاسع . ولقد استطننا ان نضيف الى هذه المعاهد بعضاً مما لم يذكره بحجر الدين ، كما ارجعنا البعض الآخر الى مؤسساتها لم يتعرض له بحجر الدين ايضاً .

مقدمة تاريخية : القرن الاول

ان مصادرتنا عن بيت المقدس في القرن الاول حشنة ومكتوبة ان زجعت الى هذا القرن ثلاث مؤسسات هي :

- (١) مسجد عمر في المسجد الاقصى .
- (٢) مسجد الحيات العمري ، في حارة النصرى .
- (٣) المسجد الاقصى وقبة الصخرة .

ولقد كانت غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩م) وهي مبدأ الفتح العربي للاردن وفلسطين بل للشام قاطبة ، وتوفي الرسول في السنة الحادية عشرة (٦٣٣م) وكانت واقعة الجملوك في السنة الخامسة عشرة^(٢) (٦٣٦م) وفتح بيت المقدس صاحبا في السنة السادسة عشرة (٦٣٧م) على يد عمر بن الخطاب وهكذا دخلت هذه المدينة المقدسة في حوزة العرب والاسلام .

ثم فتحت مصر سنة احدى وعشرين (٦٤١م) وتوفي عمر بن الخطاب بعد ذلك بستين ، وغزا المسلمون قهرص (قهرس) في سنة ٢٧ للهجرة (٦٤٧م) ، كسا غزوا افريقية وفتحت الاندلس في سنة ٩٢ هـ (٧١٠م) .

وامتاز القرن الاول ، قرن الحلفاء الراشدين بالفتوحات العويبة

- (١) صاحب كتاب الانس الجليل ألفه سنة (٩٠١ هـ ١٤٩٥ م) .
- (٢) او الثالثة عشرة .

وتوطيد الملك العربي وتوسيعه من قبل بني امية .

ومن اشهر في هذا القرن عدا ابا بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب (رضوان الله عليهم) والصحابه الاكبرين ، حسان بن ثابت (٥٤ هـ - ٦٧٣ م) وعمر بن ابى ربيعة (٩٣ - ٧١١ م) والاخطل (٩٦ هـ - ٧١٩ م) وابو الاسود الدؤلي (٩٨ هـ - ٧١٧ م)^(١) واضع علم النحو ، وذو الرمة الشاعر (١٠١ هـ - ٧١٩ م) والفقهاء .

قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم لما مات العبادلة عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، صار الفقه في جميع البلدان الى الموالي ، وفقهه مكة عطاة ، وفقهه اليمن طاووس ، وفقهه اليمامة يحيى بن ابي كثير ، وفقهه البصرة الحسن البصري ، وفقهه الكوفة ابراهيم النخعي ، وفقهه الشام مكحول وفقهه خراسان عطاة الخراساني ، الا المدينة فان الله تعالى حرسها بقريش فقيه غير مدافع هو سعيد بن المسيب الخزرومي (شذرات الذهب ج ١ - ص ١٠٣) .

وقد تم على يد الامويين اقامة بناوين من اضمم واجمل وافضم اضية الاسلام ، اصبحا على بحر السنين من اشهر مراكز العلم : الاول المسجد الاقصى وقبة الصخرة في عهد عبد الملك بن مروان (٦٩ هـ - ٧٢ هـ - ٦٨٨ م - ٦٩١ م) على يد يزيد بن سلام ودراج بن حياة ، والثاني جامع دمشق الذي بديء به سنة ٨٧ هـ (٧٠٧ م) في خلافة الوليد بن عبد الملك .

القرن الثاني

وقد تغير هذا القرن بشعرائه ، وفقهائه ، وانتباه دولة بني امية في المشرق ، وقيام الدولة العباسية في سنة (١٣٢ هـ - ٧٤٩ م) وظهور التصوف والمتصوفين .

ومن الشعراء ورجال الادب كثيرون عزة (١٠٥ هـ - ٧٢٣ م) وجريو (١١٠ هـ - ٧٢٨ م) والفورزدق (١١٠ هـ - ٧٢٨ م) وابن المقفع (١٢٢ هـ - ٧٥٩ م) وحماد الراوية (١٥٥ هـ - ٧٧١ م) وابو دلامة (١٦١ هـ - ٧٧٧ م) ومجنون ليلى (١٧٠ هـ - ٧٨٦ م) والعباس بن الاحنف (١٩٣ هـ - ٨٠٨ م) وابو نواس (١٩٦ هـ - ٨١١ م) وغيرهم .

ومن رجال الفقه والدين والتصوف ، واصل بن عطاة المعتزلي (١٣٢ هـ - ٧٤٩ م)^(٢) والامام الاوزاعي (١٥٧ هـ - ٧٧٣ م) .

- (١) وضعه يار علي بن ابي طالب ، وهو اول من نقط المصاحف النقط الاول على الاعراب (صبح الاثنى ج ١ - ٦٣٠) .
- (٢) هو اول من صنف في علم الكلام (صبح الاثنى ج ١ - ٦٣٠) .

دفين ساحل بيروت وصاحب المذهب الذي ظل سائداً في الشام حتى القرن الثالث. ورابعة العدوية (١٣٥ هـ ٧٥٢ م) والامام ابو حنيفة (١٥٠ هـ ٧٦٨ م) وابو سفيان الثوري (١٦١ هـ ٧٧٧ م) والامام مالك بن انس^(١) (١٧٦ هـ ٧٧٥ م) وابو علي الفضل ابن عيسا بن منصور (١٨٧ هـ ٨٠٢ م) ومعروف الكرخي الصوفي (٢٠٠ هـ ٨١٥ م). ومن رجال اللغة سيويه (١٦١ هـ ٧٧٧ م) في النحو، والحليل بن احمد^(٢) (١٧٠ هـ ٧٨٦ م) مستنبط علم العروض، والكسائي (١٩٨ هـ ٨٠٤ م). وابتدأوا في هذا القرن بتدوين الكتب والرسائل.

واسس المنصور بغداد سنة (١٤٥ هـ ٧٦٢ م) وتوسع الملك العربي، وازدهرت الآداب والعلوم، وزاد نقس الكتب الى العربية، وكان قد بدأ بذلك في عهد بني امية، وتوفي هرون الرشيد (١٩٣ هـ ٨٠٨ م) وقتل الامين، وفتح هرون الرشيد في هذا القرن بيت الحكمة في بغداد، ولا تعرف تاريخ افتتاحها. وهي مؤسسة علمية فيها مكتبة، تمرب فيها الكتب وتسخن وتلقى فيها الدروس، وقد سبقت هذه المؤسسة دور العلم العباسية والفاطمية التي كثرت في القرن الرابع خاصة.

وليس فيما نعلم ما يدل على اي اثر للعباسيين في القدس كعاشا كتابة في قبة الصخرة، نقشها بالفلسفة، مثل المأمون، وذهبي التاريخ، واصلاح المسجد في عهد المنصور ثم المهدي على اثر الزلزال كما لا نعلم انهم تركوا اية مؤسسة علمية او اي اثر اخر في بيت المقدس. القرن الثالث

يستهل هذا القرن بقياس المأمون فتوحاته، وتأسيسه دار حكمة، وقد سبقه والده هرون الى تأسيس مؤسسة شبيهة بذلك، ثم قيامه بامتجان العالم. في مسألة خلق القرآن، مما كان له ابعاد الاثر في تطور التفكير الاسلامي في هذا القرن وما بعده.

ومن فقهاء هذا القرن الامام الشافعي^(٣) (١٨٢ هـ ٢٤٠ م) وابو مبيدة معمر بن المثنى (٢١١ هـ ٢٦٨ م)^(٤) والامام احمد بن حنبل^(٥)

- (١) هو اول من صنف في الفقه، صنف كتابه الموطأ (صبح الامش ج ١ - ٢٣٠). هو اول من صنف اللغة مرتبة على حروف المعجم صنف كتابه (العين) صبح الامش ج ١ - ٢٣٠. هو اول من صنف في اصول الفقه، صنف فيه كتابه الرسالة. (صبح الامش ج ١ - ٢٣٠).
- (٢) هو اول من صنف في غريب القرآن (صبح الامش ج ١ - ٢٣٠).
- (٣) في ابن التميمي ص ١٠١ ان ابا عمرو الشيباني كان يردب في احياء بني شيبان فغضب اليهم بالولاء، ويقال بالجاردة والتعلم لاولادهم وكان راوية واسم العلم باللغة لغة بلخديت. كان يرمي مجلس ابي عمر الشيباني احمد بن حنبل (توفي ٢٤١ هـ).

(٢٤١ هـ ٨٥٥ م) والبخاري (٢٥٦ هـ ٨٦٩ م) ومسلم بن الحجاج بن مسلم صاحب الصحيح (٢٦١ هـ ٨٧٤ م) وابن ماجه صاحب السنن (٢٧٣ هـ ٨٨٦ م) وابو داود السجستاني صاحب السنن (٢٧٥ هـ ٨٨٨ م) والترمذي صاحب السنن (٢٧٩ هـ ٨٩٢ م) والدارمي صاحب السنن (٢٨٠ هـ ٨٩٣ م) ويصعب ان يمتد هذا القرن، ويوصف بقرون الفقه، وتنظيمه وتدوين الحديث وتبويبها وترتيبها وتنقيحها، كما ظهر فيه عدد من المتصوفين والفلاسفة.

ومن رجال الادب والشعر فيه ابو العتاهية (٢١١ هـ ٢٦٦ م) والاصمعي (٢١٦ هـ ٨٣١ م) وابو تمام الطائي (٢٣١ هـ ٨٤٥ م) وابن الاعرابي (٢٣١ هـ ٨٤٥ م) ودعبل الشاعر (٢٤٦ هـ ٨٦٠ م) ولجأ حظ (٢٤٠ هـ ٨٦٤ م) والبحتري (٢٨١ هـ ٨٩٧ م) وابن الرومي (٢٨١ هـ ٨٩٧ م) وعبدالله بن المعتز (٢٩٦ هـ -^(١)).

ومن رجال التصوف والفلسفة ابو نصر الحافى (٢٢٧ هـ ٨٤١ م) وثوبان بن ابراهيم ابو الفيز المصري (٢٤٥ هـ ٨٥٩ م) والسري السقطي (٢٥٣ هـ ٨٦٧ م) وابو يوسف الكندي البصري الفيلسوف (٢٥٨ هـ ٨٧١ م) وابو يزيد بن عمار البسطامي (٢٦١ هـ ٨٧٤ م) وابو القاسم الجنيدي. وفي هذا القرن ظهر القرامطة، وضعت الدولة العباسية، وابتدأ الفرس يسيطرون على الدولة. ولا نعلم بوجود اثر اي للعباسيين في هذا القرن في بيت المقدس.

القرن الرابع

تضطرب الأمور في الدولة العباسية في هذا القرن، من الناحية السياسية، والاجتماعية والفكرية، وتقوم الدولة الاخشيدية في مصر والشام سنة (٣٥١ هـ ٩٦٢)، ثم الدولة الفاطمية في افريقية وبسوتولي المنز الفاطمي على مصر سنة (٣٦٢ هـ ٩٧٢ م) وبني جوهر القائد الفاطمي الجامع الازهر سنة (٣٥٩ هـ ٩٦٩ م). فكان هذا الجامع ولا يزال اعظم مؤسسة اسلامية علمية دينية، ويمتد ملك الفاطميين الى فسطاطين والشام، وتدخل القدس في حوزتهم، حتى سقوطها بيد الصليبيين سنة (٤٩٢ هـ ١٠٩٨ م).

واشتهر هذا القرن بكثرة رجال العلم والفقه والفلسفة والادب وقيام المنشآت كالمدارس ودور العلم والبيئات كالتنات، وخزائن الكتب رغم اضطراب الجو السياسي.

وتكتنفها بهذا ذكر الحلاج (٣٠٩ هـ ٩٢١ م) والراج النجدي (٣١٠ هـ ٩٢٢ م) ومحمد بن جرير الطبري (٣١١ هـ ٩٢٣ م) وابن دريد (٣٢١ هـ ٩٣٣ م) وابو الحسن الاشعري (٣٢٤ هـ ٩٣٥ م) وابو

- (١) اول من صنف في علم البديع (صبح الامش ج ١ - ٢٤٠).

نصر الفارابي (٢٣٩هـ - ٩٥٠م) والمصري المؤرخ (٣٤٥هـ - ٩٥٦م) والمنيني (٣٥٤هـ - ٩٦٥م) وابو الفرج الاصفهاني (٣٥٦هـ - ٩٦٦م) وابو علي الغالي (٣٥٦هـ - ٩٦٦م) وابو فراس (٣٥٧هـ - ٩٦٧م) وكشاجم الرمي الشاعر (٣٦٠هـ - ٩٧٠م) والمصري (٣٦٥هـ - ٩٧٥م) وابو الحسن الجرجاني (٣٦٦هـ - ٩٧٦م) والامدي (٣٧١هـ - ٩٨١م) والبديع الهمداني (٣٩٨هـ - ١٠٠٧م).

ولسنا نعرف اية مؤسسة انشئت في القدس في هذا القرن، الا اذا اعتبرنا ان الفاطميين اسسوا دار العلم في القدس قبل (١٠٠هـ) وكذلك البيارستان الفاطمي ولكننا نرجح انها تأسست بعد (١٠٠هـ) اي في القرن الخامس.

القرن الخامس

في مستهل هذا القرن يقوم الحاكم بأمر الله الفاطمي بالدور الرئيسي في مصر، وفلسطين، والشام، ويؤسس دار العلم في القاهرة (١٠٠هـ) ويشعنها بالكتب النفيسة ويفدق عليها الاموال وتظل هذه المؤسسة عامرة، حاشا فترات قصيرة، اغلقت فيها ثم اعيد فتحها، حتى استيلاء صلاح الدين على مصر سنة (٥٦٨هـ - ١١٧٣م) واقفاله هذه الدار وامره ببيع كتبها للقضاء على مركز من اهم مراكز التشيع في العالم الاسلامي.

ونحن نرجح استنادا على رواية المقرئ في بيان هذه المؤسسة كانت شائعة في سائر بلاد الفاطميين « انظر الحطيط المقرئ ج ٢٦٦-٢٦٧ » وهولندا فدار العلم الفاطمية في القدس هي فرع من دار العلم في القاهرة (١) على هذا الاعتبار.

كما اسس الفاطميون في بيت المقدس في هذا القرن، البيارستان الفاطمي، وقد وصفه لنس الرحالة الايراني ناصر خسرو في رحلته « سفر نامه » (٩٣٣هـ - ١٤٤٤هـ).

ويؤسس نصر المقدسي استاذ الغزالي، مدرسته الناصرية «او النصرية على الاصح» سنة «١٤٥٠» وفي هذه المدرسة يقيم الامام الغزالي. ونصر المقدسي هو استاذ الغزالي.

وفي سنة «١٠٦٩هـ - ١٠٦٦م» اسس نظام الملك الوزير، المدرسة النظامية في بغداد، وهي اول مدرسة اسلامية اصولية في المشرق، رتب لها المدرسين والمعلمين لطلاب، ونظام الملك يتبع بحق من اقدر رجال الادارة والحكم في جميع عصور الاسلام، وقد اسس غيرها من المدارس النظامية في سائر المملكة العباسية. وقد قامت هذه

(١) كان في طرابلس الشام دار علم فاطمية بناها بنو عمار، وقد احرقها الصليبيون سنة (٥٥٣هـ).

المدرسة بشهر المذهبين الشافعي والاشعري، ومحاربة الدعوة الفاطمية، وقد نمت بها بثابة رد فعل للجامع الازهر الشيعي، وكانت تعد الموظفين والعاملين للدولة العباسية. اما نظام الملك (١) فسقط قتيلا سنة ٤٨٥هـ بيد صبي باطني.

ومن رجال هذا القرن ابن جني «٤٠٢هـ - ١٠١١م» والبالقاني «٤٠٢هـ - ١٠١١م» والثريفي الرضي «٤٠٦هـ - ١٠١٥م» وابن مسكويه «٤٢١هـ - ١٠٣٨م» وابن سينا «٤٢٨هـ - ١٠٣٦م» وابن الهيثم البصري «٤٣٠هـ - ١٠٣٨م» ابو العلا المعري «٤٤٩هـ - ١٠٥٧م» والماوردي «٤٥٠هـ - ١٠٥٨م» وابن حزم «٤٥٦هـ - ١٠٦٣م» وابن زيدون «٤٦٣هـ - ١٠٧٠م» والباخوزي الشاعر «٤٦٧هـ - ١٠٧٤م» ونصر المقدسي (٢) «٤٩٠هـ - ١٠٩٦هـ» استاذ الامام الغزالي.

وفي سنة «٤٩٢هـ - ١٠٩٨م» استولى الافرنج على بيت المقدس، وظل يدهم حتى «٥٨٣هـ - ١١٨٧م» عندما فتحها صلاح الدين الايوبي.

وجدير بالذكر ان بيت المقدس اصبح في هذا القرن مركزا لتدريس الفقه، ومجما لطلاب. فقد جاء في طبقات السبكي «ج ٢» «٢٠٢» ان اندريس بن حمزة الرمي فقهه في بيت المقدس على الفقيه نصر بن ابراهيم المقدسي ثم ببغداد وتوفي سنة «٥٠٣هـ». وفي طبقات السبكي «ج ٢» «٢٠٨» ان الامام الغزالي اجتمع واصحابه في طرابلس (٣) «٥٢٩هـ» وابو الحسن البصري، وابراهيم الجرجاني وجاعة غيرهم في مهد عيسى في بيت المقدس. وفي ترجمة ابو الفتح المقدسي المعروف بابي رشاد ولد بالقدس «٤٤٢هـ» فقهه على الفقيه نصر المقدسي ومعه بالقدس ابا بكر الحطيط وابا عثمان بن ورقاء. مات «٥٣٥هـ».

القرن السادس

في مستهل هذا القرن توفي الامام الغزالي «٥٠٥هـ - ١١١١م» وقد اقام قبل سفره الى الشام في المدرسة «الزاوية» الناصرية بالقدس مدة من الزمن، والفت فيها كتابه احيا العلوم وغيره في بعض الروايات، وعرفت هذه الزاوية قسما بعد الغزالية، نسبة اليه، وهي المؤسسة العلمية الثانية بعد دار العلم الفاطمية في بيت المقدس.

(١) هو رفيق كل من عمر الحاتم «وحسن الصباح صاحب (ألوت)».

(٢) درس ببيت المقدس، واسس المدرسة (الزاوية) النصرية، وانتقل الى صور، ثم دمشق.

ويسيطر الافرنج في هذا القرن على القسم الاكبر من سواحل سوريا وفلسطين ، ويمتد نفوذ الاسماعيليين ويقوم الملك نور الدين ابن محمود بن زنكي ويقاتل الافرنج وينشئ المؤسسات ، الثلاث المدارس ، والحانقات والبيارات ، ويظهر صلاح الدين ، ويقتني اثر نور الدين ، ويستولي على مصر « ٦٨ هـ - ١١٧٢ م » ، وقتلهم بذلك الدولة الفاطمية ، في مصر ، ويسترد القدس من الافرنج سنة « ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م » . وتقوم المنشآت في مصر والشام وفلسطين ويتوفى صلاح الدين سنة « ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م » . والى هذا القرن يمكن ارجاع المؤسسات الآتية في بيت المقدس :

- « ١ » المدرسة الصلاحية .
- « ٢ » الحانقاه الصلاحية .
- « ٣ » البيارات الصلاحية .
- « ٤ » الزاوية الخشنية « الخشنية » .
- « ٥ » الزاوية الجراحية « الشيخ جراح اليوم » .
- « ٦ » المدرسة الميسونية .

وتتقدم الدولة بعد صلاح الدين بين اولاده واخوته ، ومن رجال هذا القرن اليبوردي الشاعر « ٥٠٧ هـ - ١١١٣ م » وابن عقيل « ٥١٣ هـ - ١١١٩ م » والطبري صاحب المقامات « ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م » والميداني صاحب الامثال « ١١٨ هـ - ١١٢٤ م » وابن باجه الاندلسي « ٥٣٢ هـ - ١١٣٨ م » والزمخشري « ٥٣٨ هـ - ١١٤٣ م » والقاضي بن عياض « ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م » وابن طفيل الاندلسي « ٥٨١ هـ - ٦١٨ م » والسيوطي « ٥٨٧ هـ - ١١٩١ م » وابو الوليد ابن رشد الاندلسي « ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م » والقاضي الفاضل البيسان « ٥٩٦ هـ - ١١٩٩ م » وابن الجوزي « ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م » .

الفصل السابع

يشتمل هذا القرن على انتضاء الدولة الايوبية ، وقيام دولة المماليك الاتراك « ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م » وهجوم التتار بقيادة هولاكو على بغداد « ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م » وقتل المستقيم بالله آخر خلفاء الباسيين في بغداد ، واعادة الخلافة الباسية من قبل الظاهر بيبرس البندقداري « ٦٦١ هـ - ١٢٦٢ م » وارجاع التتار عن فلسطين ومصر ، وكسرهم في معركة عين الجالوت بموج بني عامر « ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م » .

ومن الحوادث الكبرى في هذا القرن تسليم القدس للافرنج من قبل الملك الكامل « ٦٦٦ هـ - ١٢٦٨ م » واستردادها على يد الناصر داود « ٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م » ثم تسليمها من قبله وقبل

الصالح اسماعيل الى الافرنج ثانية « ٦٦١ هـ - ١٢٤٣ م » واسترجاعها من قبل نجم الدين ايوب « ٦٦٢ هـ - ٦٦٤ م » وتملك الظاهر بيبرس حصون الاسماعيلية .

ويجب ان نشير هنا الى اقام بنا المدرسة المستنصرية في بغداد سنة « ٦٣١ هـ - ١٢٣٤ م » وقد شرع في بنائها سنة « ٦٢٥ هـ - ١٢٢٧ م » وهي من المدارس الكبرى التي تفتت في القرنين السابع والثامن خاصة ، وكانت تعنى بالقرآن والحديث والمذاهب الاربعة ، وكان بها مكتبة ، وكانت تدرس الرياضيات والطب والصيدلة ، فاختلفت بذلك عن المدرسة النظامية التي اقتصت بتدريس العلوم الفقهية الشافعية ، ولما دخل التتار بغداد « ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م » هدم قسم من المدرسة ، ومزقت بعض كتبها ، ودميت في النار ، واعيد بناؤها وظلت عامرة حتي الفتح التركي في القرن العاشر ، ثم اصبحت خاناً . وعادت الحكومة العراقية الآن ترمم بقاياها .

ومن رجال هذا العصر ابن الساعاتي الشاعر « ٦٠١ هـ - ١٢٠٧ م » وفخر الدين الرازي « ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م » وابن جبير الرحالة « ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م » وابن الاثير صاحب الكامل « ٦٣٠ هـ - ١٢٣٢ م » وبها . الدين بن شداد « ٦٣١ هـ - ١٢٣٣ م » وهو مؤرخ صلاح الدين ، وابن الاثير صاحب المثل السائر « ٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م » ومحيي الدين بن عربي الاندلسي « ٦٣٨ هـ - ١٢٤٠ م » وابن البيطار صاحب المفردات « ٦٤٩ هـ - ١٢٤٨ م » وابن تيمية « ٦٥٨ هـ - ١٢٥٩ م » والها . زهير الشاعر « ٦٥٥ هـ - ١٢٥٢ م » والعز بن عبد السلام « ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م » وابن الرقاء الشاعر « ٦٦٢ هـ - ١٢٦٣ م » وابن خلكان . وامثال هذا القرن بتأسيس عدد من المدارس والربط والزوايا في بيت المقدس ، كما تأسست دار حديث ، ومن اشهر هذه المدارس .

(١) المدرسة النحوية .

(٢) المدرسة العظمية .

(٣) دار الحديث .

(٤) الرباط المنصوري .

(٥) الزاوية الكتبية الخ .

القرن الثامن

يظهر عثمان الاول اول ملوك آل عثمان « ٧٢٥ هـ - ١٣٢٤ م » وتنفرض دولة المماليك الاتراك ، ويحل مكانهم المماليك العجميون « الجراكسة » « ٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ م » . وتقام المنشآت في بيت المقدس بكثرة ملحوظة على اختلافها ومن اشهرها :

« ١ » المدرسة التنكزية .

١٤١٢م « واحد القلقشندي صاحب كتاب صبح الاعشى » ٨٢١
 ١٤١٨م « وجل الدين يوسف بن تقري بردي صاحب النجوم
 الزاهرة » ٨٧٤ ١٤٦٩م « وحاجي خليفة صاحب كشف الظنون
 » ٨٩٤-١٤٨٨ « وقطب الدين الجبيلي المتوفى » ٨٢٦ ١٤٢٢م
 والفيني ، وابن بطوطة ، والمقرئزي وابن حجر العسقلاني الخ الخ .
 القرن الماشر وما بعده الى الرابع عشر

في القرن الماشر ترول دولة المماليك الجراكسة ٩٢٣ هـ -
 ١٥١٧م « ويستولي العثمانيون على مصر وفلسطين والشام والعراق
 الخ . . . وتصبح فلسطين جزءاً من الامبراطورية العثمانية حتى سنة
 ١٩١٧م - ١٣٢٦ هـ » وتزول وتنحل اكثر المنشآت العلمية
 والمؤسسات في بيت المقدس ، ولا يبقى الا رسومها في القرون
 المتأخرة ، ويبقى البعض منها عامراً في مصر والشام ، اما في فلسطين
 ففرد ذكر بعضها في القرن الثاني عشر ، وتكثر المدارس والربط
 والتكايا في القسطنطينية وادرنه وبروسه وانقرة ، والاناضول
 والروميلي ، وتنتمى الحركة العلمية الى دار السلطنة .

ويرجع الى هذا العهد في القدس تكتية خاصكي سلطان
 ٩٥٩ هـ ١٥٥١م « وهي لا تزال عامرة حتى اليوم ، والزوايا المملوكية
 والزوايا النخبوية ، وزاوية بايعم جاويش ، والزوايا التجارية
 النخبوية ، الخ كعروض المدارس الحديثة كمسيرة المدرسة
 السنية والمدرسة المملوكية ، وبعض التكايا ، وست سبل وبركة
 السلطان وسور المدينة المنيم وبرج باب الخليل والمستشفى البلدي .

ومن الذين اشتهروا في القرن الماشر وما بعده الحفاظ السخاوي
 مؤلف كتاب الضوء اللامع ٩٠٢ ١٤٩٦م « والجلال السيوطي
 » ٩١١ هـ ١٥٠٥م « وعجوة الدين الحنبلي مؤرخ القدس » ٩١٤ هـ
 ١٥٠٨م « وابن التماس الحلي » ١٥٠٢ هـ ١٤٦٢م « الشاعر ،
 وعبدالله بن شرف الدين الشراوي » ١١٧٢-١٧٥٨م « وشباب
 الدين الحفاجي » ١٠٦٩ هـ ١٦٥٨م « وعبد القادر البغدادي
 » ١٠٩٣ هـ ١٦٦٢م « ومرقضى الزبيدي » ١٢٠٥ هـ ١٧٩٠م «
 وابن ايلس المؤرخ ، والحجي والمرادي الخ الخ ، وقد ضربنا صفحاً
 عن بعض رجال القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر
 لان ذلك يحتاج الى مقال خاص وهو ليس من متناول هذا المقال
 لتلاشي المعاهد .

وسنبحث في الاعداد الآتية عن هذه المنشآت العامة مبتدئين
 من عهد الراشدين .

احمد سامع الحادري

- ٢٥ « الحفقاء النخوية .
- ٣٥ « المدرسة الجبلية .
- ٤٥ « المدرسة الفارسية .
- ٥٥ « المدرسة الحانونية .
- ٦٥ « دار القرآن السلاوية .
- ٧٥ « الرباط المارديني .
- ٨٥ « المدرسة الاثوية .
- ٩٥ « زاوية القروي .
- ١٠٥ « تربة بركة خان .
- ١١٥ « الزاوية القلندرية الخ الخ الخ .

ومن رجال هذا القرن في العلم والادب والتاريخ ابن الفوطي
 ٧٢٣ هـ - ١٣٢٣ « صاحب حوادث المئة السابقة ، وبها الدين
 ابن عساكر » ٧٢٣ ١٣٢٣م « وتقي الدين بن تيمية » ٧٢٨ هـ -
 ١٣٢٧م « والمملك المؤيد صاحب حماء المؤرخ » ٧٣٢ هـ ١٣٣١ «
 والذهبي مؤرخ الاسلام » ٧٤٨ هـ ١٣٤٧م « وابن فضل الله العمري
 صاحب المسالك » ٧٤٩ هـ ١٣٤٨م « وتاج الدين الشاذلي المتوفى
 » ٧٥٩ هـ ١٣٠٩م « وجمال الدين الكشاشي المتوفى » ٧٣٠ هـ
 ١٣٢٩م « وابن قيم الجوزية » ٧٥١ هـ - ١٣٥٠م « وعجوة الدين
 بن نباتة الشاعر » ٧٤٨ هـ ١٣٦٦م « وابن عقيل النحوي شارح
 الفية ابن مالك » ٧٦٩ هـ ١٣٦٧م « وتاج الدين السبكي صاحب
 طبقات الشافعية .

القرن التاسع

يستمر المماليك الهجويون « الجراكسة » في مصر وفلسطين
 والشام ، ويقع السلطان محمد بن مراد خان القماني القسطنطينية
 ٨٥٢ هـ ١٤٤٣م « ويؤسس فيها المدارس الثمان^(١) ويستمر انشاء
 المؤسسات في فلسطين والشام ومصر .

ومن المعاهد التي ترجع لهذا القرن في القدس .

- ١ « المدرسة الباسطية » ٢ « المدرسة الحسنية .
- ٣ « المدرسة النادرية . » ٤ « المدرسة القانية .
- ٥ « الرباط الرمي . » ٦ « المدرسة الباطانية الاشرفية .
- ومن رجال هذا القرن المؤرخ ابن القزويني » ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤م «
 والعلامة ابن خلدون » ٨٠٨ هـ ١٤٠٥م « والذهبي صاحب حياة
 الحيوان » ٨٠٨ هـ ١٤٠٥م « وابن الهائم المقدسي الرياضي » ٨١٥ هـ

(١) هي ثمان مدارس بنحها السلطان محمد في القسطنطينية وهي اشهر
 المدارس العثمانية على الاطلاق .

لنا - انا وزوجتي - ونحن شيخان اشرف كل منا على الحُسين من عمره ، ان نحلس كل صباح الى شرفة منزلنا المطل على المدينة ، لنستقبل الفجر المقبل من بعيد . وتحدث بهدوء .. عما ليل الشيخ عادة التحدث فيه عن اولادنا . وان حسان ولو انه ولدنا الوحيد . الا انه كان احد اولاد ثلاثة ، رزقنا بهم في اوج شبابنا .. فانت الدولى - وهي انتى - قبل ان تكمل التاسعة من عمرها . ومات فتحي ، وهو ولدنا الثانى . في الربيع الثامن عشر من عمره . مات على يد المستعمرين في الوقت الذي كانت قائمه فيه . قد طالت حتى قاربت قامي ، وعرض منكباها حتى انه شاركني في ملاذي . واشتد ساعده ، حتى انه كثيراً ما كان يحمل امه يلهجا - كلما تحاصنا .. انا .. وهي - ويصعد بها الدرج الحجرى نحو غرفتي ، ثم يتركها الى جانبي .. ويقفل علينا الباب . ثم يقف وراءه ليعلم علينا نصاحبه .

- قلوبنا الجريحة يا ابني ، ما زالت تقطر دماً منذ اليوم الاول الذي احتل فيه المستعمر ارضنا . انظر حولك ، الا ترى هذه الوردة الحمراء .. انتفكر يا ابني ان الوردة لا تقم آلامنا .. انها تتزبد ، احمر وانظر الى هذا الطير الذي يصدر .. بل يبكي .. على شجرة البرتقال ، الا ترى هذه النقط الحمراء التي تناثرت على جناحيه الصغيرين ، انه .. دمنا يا ابني ، دمنا الذي ينساب من عروقنا الجريحة .. لينسكب في برعم الوردة . وعلى جناحي هذا الصغور ثم يلتدح بالشمس المشرقة ويصبح الفجر المقبل من بعيد . بلون الاجوان . - فتحي .. الا ترى انك تنطرف فيا تذهب اليه . ان لى غيرنا من الامم مثل هذه الورود الحمراء ومثل هذه الصافى .. ومثل هذا الفجر كرم هذا فانهم لا يتكلمون عنها . كما نتكلم ! - ذلك انهم لا يقاسون مرارة البودية يا ابني . قد يشبه الفرنسي حرارة الوردة يوجني حسنا ، يحبها ، او تذكر اجنحة الصغور رجلاً الخفيفاً باعلامه التي تملأ سما ، حياته ويذكر الفجر الاحمر شاباً أمريكياً بحياة مرحة خالية من الغم ، والذل . ولكننا بالنسبة اليها لا نذكرنا الا بهذه البودية المقيتة التي تنتظرننا كل صباح على ابواب بيوتنا ، الا بهذا الدل يحي لنا التامة ويوحى الجبين . اين اماتنا يطمئن من التوافد ليستقبلن فجر اجديد مأوؤ . السادة والشوة والاماني ..



أفندي محمد ادب غوي

http://ArchiveBeta.Sakhril.com

- ايها السيدة . وايها السيد . انا تعرف لماذا تحتلفان كثيراً ، انكما تحصنان من اجلي . كلا كما يريد ان يخصني ببنائه وتدليله .. ثم تصطلدان .. كأنكما طفلان صغوان . يا ابي العزيزين . انا لم اعد متحاجاً لرعايتكما ، لقد اصبحت رجلاً ، هل تفهمان ؟ ! ليتكما رأياني بالاس وانا اتحاصم مع احد جنود المستعمرين فأصرعه ارضاً بضربة واحدة . وعند ذلك .. كنا نعدو الى الباب . مذعورين . - لا يا فتحي .. لا تفعل هذا مرة اخرى . - لا يا فتحي .. ارجوك يا ولدي .

كان فتحي .. شاباً .. من نوع غريب .. لم نألفه نحن الرجال المسنين ! كان يمتدح بنار الماطقة الجاحدة التي تلتهم في اعماقه .. وكنت ارى ذلك عندما احدث النظر اليه .. كل مساء بعد عودته من احدى المظاهرات الصاخبة . وكلما زرت في الصباح ، فرائيته . وقد اعتمد رأسه بسين ذراعيه وجلس في نافذته الصغيرة المشرفة على حديقة المنزل . وراح يقرب الافق المصبوغ بحمرة الشفق .

- لا .. انا لست ضعيفاً .. ولن اكون .. ابداً .. ابداً . وكان فتحي يرفع يده .. ويهوي بها على منضدته مرة ومرتين .. ثم ينفجر باكياً .. مسكين انت يا ولدي ، لقد كان ابوك مثلك هادئاً وكنت في طفولتك كأيك في هدوءه ومسامته فن اذكى في شبابك كل هذه الثورة الطاغية ! كيف فقدنا فتحي ؟ كان ذلك في احد ايام الربيع . امام مدرسة تجفيف البنات . وكانت استاذة التاريخ تلقى على قلميذاتها درسها المقرر .. بهدوء واطمئنان ، والطالبات مضيئات البهجة ، فلقد اشتهرت هذه السيدة في المدرسة .. بأنها كانت محبوبة من كل من عرفها ذلك لانها



- انظر يا ابني . .. انا اجل الفجر ! عندما ينساب بين هذه الاشعة الحمراء الممزوجة بلون البنفسج كأن هذا الفجر يالي يحمل على سعاباته البيض دماً . قلوبنا - قلوبنا .. لماذا يا فتحي ؟

خرجت عن التقاليد التي وضعتها وزارة المعارف للدراسات امثالها فكانت في كل درس من دروسها .. تشمل في صدور طالباتها ، نازرة جديدة .. ولتحدث عن هذه السيدة قليلاً فلها بعض الشأن في قصتنا .. هي سيدة عطف .. رقيقة الطبع ، فتاة الملامح ، مرهقة الحس فكأنها ولدت وعلى شفتيها طيف ابتسامة . وفي عينيها بريق من دموع .. اذا ما تحدثت فالكلم مضغ اليها ، واذا ما سكنت ، رققت على اجفانها نظرات يشع منها الايمان المتقد والثورة الطاغية ، عرفتها الطالبات في بادى الامر ، سيدة مبرزة كل الاثران ، الى ان اقبل على المدرسة يوم كانت الطالبات مجتمعات فيه للخروج في احدى المظاهرات احتجاجاً على ظلم المستعمرين . واذا بها .. تطل علينا من شرفة غرفة المعلمات . وساد السكون وكتمت كل فتاة انفسها تنتظر كوارتقم صوت الاستاذة فجأة . يتأفف داور يسقوط المستعمرين وتحركت المدرسة كلها دفعة واحدة . ماذا ؟ استاذة تحرض طالباتها على الاضراب والتظاهر والشغب .. شيء عجيب لم يألفته من قبل ، ثم ساد السكون وانطلقت هذه السيدة تشرح لطالباتها واجب المرأة في حل عب النضال الى جانب الرجال . وكانت آخر عبارة هتفت بها وهي تترك الشرفة :

— فليحمل الرجال البنادق للدفاع عن حرية الوطن ، ولتوقد نحن الثياب البيضاء ، ونذهب الى ساحات القتال ، لنحمي جراح اشرارنا واخواننا . وغمر المدرسة كلها .. هاتف جنوني اهتز له الجدران . خطبت هذه السيدة في ذلك اليوم مرتين امام الجماهير في الشوارع العامة ، والهبث الحاس في صدر كل من سمعها وكنت انا . استمع اليها بين المستمعين واهتفت لها كل مرة .. مع الهاهفين .

ولمعد الآن الى المدرسة التي تحدثنا عنها سابقاً ، الى استاذتنا هذه وهي تلقي درسها .. فلقد مزقت السكون فجأة ، ضجة ارتفعت من الشارع المجاور ، تلتها هتافات داوية تشق عنان السماء ، فمرف الجميع ان احدى مظاهرات الطلاب تم امام باب المدرسة . وبغثة سكنت الهتافات وقوات احدى الفتيات وهي تطل من النافذة : — ان احد الطلاب يخطف في الجمهور ، من شرفة المزل المقابل . وتذافع الكل ، وتحركت استاذتنا يهدو . الى ان وقفت امام النافذة ، وشاهدت الطالبات يدها وهي تنقل على الزجاج . وممرت بضم دقاتي ، كان الطالب الشاب يتابع فيها خطابها بحس وقوة . الى ان ارتقم صوت بين الجماهير .. محذراً : الجند قادم . فدوى الرصاص من بعيد ، واقتربت من آخر الشارع سيارة مصفحة كانت تطلق مدافعها الراشقة في كل مكان ، ورأت

ولمعد الآن الى المدرسة التي تحدثنا عنها سابقاً ، الى استاذتنا هذه وهي تلقي درسها .. فلقد مزقت السكون فجأة ، ضجة ارتفعت من الشارع المجاور ، تلتها هتافات داوية تشق عنان السماء ، فمرف الجميع ان احدى مظاهرات الطلاب تم امام باب المدرسة . وبغثة سكنت الهتافات وقوات احدى الفتيات وهي تطل من النافذة : — ان احد الطلاب يخطف في الجمهور ، من شرفة المزل المقابل . وتذافع الكل ، وتحركت استاذتنا يهدو . الى ان وقفت امام النافذة ، وشاهدت الطالبات يدها وهي تنقل على الزجاج . وممرت بضم دقاتي ، كان الطالب الشاب يتابع فيها خطابها بحس وقوة . الى ان ارتقم صوت بين الجماهير .. محذراً : الجند قادم . فدوى الرصاص من بعيد ، واقتربت من آخر الشارع سيارة مصفحة كانت تطلق مدافعها الراشقة في كل مكان ، ورأت

ولمعد الآن الى المدرسة التي تحدثنا عنها سابقاً ، الى استاذتنا هذه وهي تلقي درسها .. فلقد مزقت السكون فجأة ، ضجة ارتفعت من الشارع المجاور ، تلتها هتافات داوية تشق عنان السماء ، فمرف الجميع ان احدى مظاهرات الطلاب تم امام باب المدرسة . وبغثة سكنت الهتافات وقوات احدى الفتيات وهي تطل من النافذة : — ان احد الطلاب يخطف في الجمهور ، من شرفة المزل المقابل . وتذافع الكل ، وتحركت استاذتنا يهدو . الى ان وقفت امام النافذة ، وشاهدت الطالبات يدها وهي تنقل على الزجاج . وممرت بضم دقاتي ، كان الطالب الشاب يتابع فيها خطابها بحس وقوة . الى ان ارتقم صوت بين الجماهير .. محذراً : الجند قادم . فدوى الرصاص من بعيد ، واقتربت من آخر الشارع سيارة مصفحة كانت تطلق مدافعها الراشقة في كل مكان ، ورأت

٢٠ نوفمبر ...

لم

أعيش ؟ سؤالي يطرح في ذهني

فيلتأثر بها وحده . ومبشراً حاول

دفعه بعيداً عني فهو أشبه بريح العاصفة تركض

أثر «إنسان» تائه بلا حقه صغيرها الحاد من

بيني وبينه شهرزاد

بفلم عمر عوبريات

✱

هل نطلب المثالية التي يرتئسها أصحاب

الظهوريات ذوي النواقد المعلقة: أهل يزيدان

نعيش مرفهين قانمين بعيدين عن كل صغب

وشذوذ ! أم ما تزال كنفونا نحلم بالفرش

الروث ننعيم في فلسه ودغدغة نخاف ان نحرق

اثامنا انداء الصباح ! انعيش لكل هذا أو لشيء من هذا ؟

انني لم اثق بشيء . تقني بهذا الذي اسطره ، ولم اشعر بالارتياح

صادق ارتياحي لهذا الصدى العميق الذي يلي علي ما انا وانت

نشر به . نحن لا نبغي السعادة لانها بين ايدينا نصرها من قوايين

الآلم والحمرمان التي تقطعنا من حبات قلوبنا ، ولا نطلب المثالية

لأننا في غير استقرار وما اردنا لحياتنا استقراراً .

اصبحت اكبره السكون ، اكبره الوحدة ، لم تمد ترصيسي

تأملاتي الحائلة ما لم اتزل بها الى حياة الصغب والمغامرات . واي

كتاب اروع من هذه الصفحات التي تطوي حياة المعبدين والمستضعفين

كشأ ألامية حية يدعي المجتمع انه نبذها وتسخر هي به فتستعالي

عليه وهي في الواقع انبل مثال واصدقه لـ «جودية» الكائن الحي .

أمنت بالقاء بحجري ، ويعطيني ، يسعدني ويشعني ، يدفعني هنا

وهناك على الزمالات وبين الضخور ، تحت الشمس المحرقة يلسني

نارها وبين امواج كائنه تصعب وتولد وهي نائرة حاقدة فضي .

أمنت بالقاء بحجري ، ولم يعطيني ، لو يعبس ويطول عوبسه . فانا

ضنين به راغب فيه داع اليه . انا اقرء فانا سعيد .

نحن الاثنان نعيش نلتهمد وحسبنا هذه الرسالة .

٢٩ منه ...

اصبحت

كأنني وحدي اتلقى من صروف القدر ما تنوء

بجمله الجبال . كل شيء لي بالمرصاد ، اي شيء . هذا

الذي يسهر على تسديد ضرباته اثر ضربة وموجة اثر اخرى ؟ .

فانسابت على خدي من عينها دمعان دافئتان . . همست في اذنها

بصوت تحفقه المعرات . - ارفعي وجهك يا عزيزتي . . تطلعي الى الفجر .

لاول مرة . . منذ سنين طويلة ! نستقبل الفجر وحيدين . . بدون

فتحي وبدون حسان . . لقد مضى معاً . . ولم يبق لنا من آثارهما سوى

هذا الفجر الاحمر . . المثلثي . . على صدر الكون . . في اغافة هائلة . .

محمد ادب غوي

حلب

الحجر . . لانه لا يحرق على مواجهتك . . به .

فانتفضت في مكاني . . وهمت بها . . ماذا تقولين ؟ اعني :

اين هو . . اين حسان . فأشارت بيدها الى الجنوب وهي تبسم :

- لقد ذهب منذ ساعة . . ودعك وانت نائم في فراشك .

ثم رأيتها وهي تنفض وتستند الى سياج الشرفة الحجرية . واقلت

ربيع باردة من الشمال تعبت مجحولات شعرها ، فنهضت ودرت نرسا

بمعاني ، فالتفتت الي ثم انسابت فوق صدي دفة واحدة ،

له صديق فليدلي عليه .

ومن يشكو عدواً أقول له قش عنه بين اصدقائك .

لا صديق لي بعد اليوم ، فقد رحل صديقي .

الى الى ؟ اين انت يا صديقي المبدع المتسرد !

لقد حملت قلبك على يدك ومضيت ، فلم تركني هنا تصهرني عبردية الوظيفة واؤمها ! اخفت ان لاسير . مك وانت الذي حملتي مرة في يوم عطلة ، من يعود الى الشام لا شيء . الا تعلم الجنرال انيا ! ام ظننت اني رضي هذه الطابينة المتبلدة ! ام انني هنا الى جانب شهر زاد اعرف من نفسها الكبيرة لاساو الانطلاق والتحرر يا من ترددت ونحرت ! كأنك لم تعرف ان ما يلحقها يلحق بي وانها اخت لانني التسرد والقلق ، وغريبة عن هذا البلد الذي يكفر بالقيم الانسانية المبدعة .

في اي بقعة من الارض انت لاجل اليك قلبي وقلبا .

كل هذه الاطراف مرت بجساطولي وانا جالس وحدي الى مكتب غير كرسي الوظيفة ، فقلت من فوري ووقفت بالقرب من جندي مجهول غامر بجناحه في دنيا الواقع فهو الان في صراع مع القلق الحلي . سألته وكان قلبي يدي - : اليس عندك عنوان الياس ؟ فنظر الى نظارة لم فيها . وتابع عمله . وليست واقفا انتظر ، ومهمت بطرح السؤال مرة ثانية ، فالتفت الي كمن لم يسمع شيئاً ، فبادرته بشيء من الثورة العنيفة تحول في اعماقي .

- اريد ان الحق به ، اعطني عنوانه .

- الياس زخوريا ! !

- نعم ، ارجوك . مصر ، اوزبا ، اميركا ، القطب الشمالي ،

اريد ان الحق به .

- هل جنت يا احمد ؟

- انا اتق اني املك جيداً قواي العقلية .

- وتساءل عن الياس ؟

وسادت هتية صمت . وكأنه اشتق علي فرفع ابصاره الي وهو يقول - : لم يعطني عنوانه ، وانما انا اعطيك اياه .

قلت بلهفة - : هات وانت الكوريم .

- كان من يطاب عنوان هنري هابني في باريس يقول له : اسأل

السك ، اما انا فاصيك ان تكتب عنوان الياس : العالم !

احمر عوبرات

ماذا ؟ اين هو الوجه الآخر من الحياة ؟ اليس في طريقي غير تادريج ضيقة ترخر بالاشواك الهربية والحصى ذات الحدود الجارحة ؟ افهم انني لا امشي وراء الناس على ذلك الطريق المبدع من الاطمئنان والذل والنفاق ، ولكنني اتلفت من هنا وهناك فلا ارى غير ضباب ، ضباب ابيض ينفجر عن غسالات رقيقة ثم يتجمص كشيء كسوح الرهبان ، وارهف الاذن فلا اتبين غير صدى اصواتهم . لم يألف السمع . اما قلت لك اني اكره الوحشة فلم تلاحظني ابنا حملت ؟ وافهم اني رضي هذا لا اتهم . منه ولكن اترى بعيني . لي القدر ضربات اقصى من هذه ؟ هل انزلته ، اقف في وجهه ، وهل اربع للمركبة ام يطوييني الدم في الجولة الاولى ؟

وترددت ، ولماها المرة الاولى التي اشمر فيها بجففات شديدة تشبه الذعر . ولماني تهيت الموقف ، هل قللكي الحرف ، ربما ، وراودني الاحجام اغطار ام اراجع ان ابض شي . الى نفسي ان اقف كالجامد لا حراك به . ان الانتظار من المصائب الكبرى التي تافها نفسي ويحتد ازدرائي وكهني لن يصوي بالانتظار . ولكن آه . انني اردو الى هذا الواقع المذبذبة وقلت وابصاري شاردة الى بعيد . انني اتبنا بجداث سوف يهزني ولا اظن انه شر كله ولكنه سيكون بعيد المدى بليغ الاثر ولا استكثك بانني اتقرب هذا الحدث ، ولكن اهذا يكفني ؟

يا شهر زادي !

ليس اكوه من شي . عندي كالشفقة . لا استطيع تصور من يتفاهر لي بالثراء . والشفقة لا اذا كان الحقد يأكل قلبه والاؤم طبع في جبينه . ولا بأس ، فمندي من الارادة ما يحطم هذه الاعتبار الوهمية التي يجترها ابنا الجيل .

اتراي ابالغم ان انبها ارادة خفية تدفني دفعا الى تسليح هذه المعميات ! ام انه جنح شاذ لا ييسر تجني العواقب ! ان اخفي عنك بانني صمت من اكثر من « صديق » بانني مريض . ولكن ايعرف احد مرضي بله علة هذا المرض ؟

لديك . وحك الجواب يا . . . شهرزاد . كلمة واحدة . منك كفيلا ان تشخذ همتي لاقتحام الدنيا بأسرها . وها انا اليوم اهي . نفسي لا تضال . نعم ، كلمة واحدة . منك ، فالجهد الحقيقي عب . تقبل طويلا واحياناً لا يطاق لأن له صدى بارداً ، وحشاً لا تقحمه الا نفوس نادرة . فلتكن كلمتك نقطة الابتداء . تكلمي يا شهر زاد لانني اضن على هذه « الحياة » حيائي ان لا تجد منفذاً تواجه منه الشمس ، الشمس الصافية ذات الاشعة الذهبية .

مكتبة الاديب



اللغة الواحدة المشتركة بين الناقد والقارىء،
الى الادب العربي. وهذا في حد ذاته عمل
ضخم. ذلك انه ليس من السهل على باحث
في مثل مركز الاستاذ مصطفى عبد اللطيف
السحري ان ينهض بهذا العبء وحده، فما
بالك، وهو لم ينهض به فقط، بل سار به
قدماً، واوغل في الطريق، نحو صياغة عقلية علمية، في النقد
العربي، عقلية لا تكفي بأن تقرأ عن مدارس النقد المعروفة في
الغرب، بل تضم هذه القراءة وتثليها، وتخرج منها نتاجاً جديداً،
هو هذا الروح العلمي المنصف الذي امتاز به بتقدير الاستاذ السحري
لناذج الشعرية العديدة التي اوردها في كتابه الكبير.

ولنحاول ان نتفهم اكثر من هذا معنى عبارة «عقلية علمية في
النقد العربي» وهي عبارة قد يجد فيها غير قليل من الادباء ما
يحتجون عليه. ذلك ان النقد في رأيه لا يمكن ان يكون علماً،
بل هو عمل شخصي بحث يعتمد على صفات شخصية، كذوق
الناقد، واطلاعه، ومكانته... وما الى هذا من رصيد خاص،
لا يمكن نقله للقارىء او المشتغل بالادب. هذه العقلية العلمية هي
بالضبط المقابل للرصيد الخاص... هي الرصيد العام للادب، وهي
مجموعة الحقائق الموضوعية التي يمكن للناقد ان يحيل القارىء عليها
في تقديره للعمل الفني، فنكون بذلك القدر الثابت المشترك بين الناقد
والقارىء، وتصبح اساساً للتفاهم يمكن بناء النقد عليه، بضافة
الرصيد الخاص للناقد، من ذوق وتجارب واطلاع الخ... وبدون
هذا القدر الثابت لا يمكن لاي نقد جدي ان يقوم، بل تظهر كل
محاولة لتقييم العمل الفني بظهور الحكم الشخصي التعسفي عليه.

من هذا تتضح للقارىء اهمية كتاب الاستاذ السحري، فهو
يتصدى لتوفير هذا الرصيد العام، في ادب لم يكن له مثل هذا
الرصيد قسط، وهو بهذا لا يخرج كتاباً في النقد، كسا يخرج اي
ناقد اجنبي كتاباً في النقد، يعتمد فيه على مشات الكتب التي
خروجت من قبل، ويستخدم فيه اقيسة ومعايير مفهومة لديه ولدى
قرائه، بل هو في الواقع يشترع او ينبت طريقاً في جبل كوهو
يستحق منا نفس المديح ونفس التهنئة التي يصح ان توجه الى كل
من يختط سبيلاً جديدة.

وليس ادل على اهمية كتاب الاستاذ السحري، من انه وقد
عرف قراء العربية بالإقيسة النقدية الجديدة قد اتاح لنا ان نستخدم

السمر المعاصر على ضوء الفكر الحبري

اصطفى عبد اللطيف السحري - ٢٦٦ صفحة - مطبعة المتن والمقطع - مصر

أخوت المطبعة العربية في الايام الاخيرة هذا الكتاب البالغ
الاهمية للشغافين بالادب العربي خاصة، ولشغافين بوجه عام، كوترجم
اهمية الكتاب - في المحل الاول - الى انه يستعرض المرة الاولى
في تاريخ الادب العربي مدارس النقد المعروفة في الغرب، فيعرف
بها القارىء، ويدرسها معه ثم يسمي الى تطبيقها على نماذج عديدة
من الشعر العربي المعاصر، تطبيقاً أميناً عالياً لا تحرفه ولا اجفاف،
ثم هو بعد تطبيق الشاعر المستذوق، والفنان الراعي، الى جانب
الباحث المحايد، الذي يضم الاقيسة والمعايير امامه ويجب ان ينساها.

والكتاب - من هذه الناحية - ملاحظة كبرى، ميزة من علامات
الطريق في الادب العربي على اطلاقه، وفي الادب العربي المعاصر
بوجه خاص، ذلك انه ليس خافياً ان النقد العربي - بالمفهوم المعاصر
لكلمة نقد - لم يكن له وجود قبل السنوات الخمس عشرة او
الشرين الاخيرة. وحتى في هذه السنوات، لم يكن هناك «نقد»
بالمعنى الذي ينصرف اليه الذهن في اللغات الاجنبية الحية... كان
تم كسر ريع لفظي وتجري لانيات الشعر، ومحاولة لتسقط الاخطاء،
اللغوية والنحوية، ثم تقدير شخصي متسرف للقصيد، بقصد التقيل
من شأن صاحبها، اذا كان المراد التهويل، والارتفاع به الى
«الماكين» اذا كان المراد التهويل، وفي احوال قليلة، وفي آخر
تلك السنوات الشرين، ظهرت محاولات متناقضة، تهدف
الى تقييم الشعر بعيداً عن الفرى والغرض، ولكن هذه المحاولات
كانت تصدر عن اساس شخصي، اكثر مما تصدر عن مقاييس
موضوعية، يمكن ان تغدو محورا للبحث، بحيث يكون للناقد
والقارىء مفهوم واحد مشترك للهمة التي هما بصدها، فيستطيع
الناقد ان يتكلم لغة مفهومة، ويمكن للقارىء ان يفهم عنده هذه اللغة.

اهمية كتاب الشعر المعاصر، اذن هي انه يقدم هذه المقاييس، هذه

هذه الإقسية بالذات في نقد كتابه دون خوف من أن يكون هذا النقد كمن يتحدث إلى قوم بأقلام لا يعرفونها، فصبح كلامه ضرباً من العث .
بدأ الأستاذ السحرتي كتابه بمقدمة أوضع فيها حال النقد في النصف الأول من القرن العشرين وكيف أنه « سائر المذهب الاتباعي الجامد، الذي سار عليه بعض القدامى من قرون وقرون . »
« فما كان الأدباء ينتقدون على منهج قويم ، وإن كان يهدم بعضهم بعضاً . . وكان أكثر النقد - ولا يزال - زوراً وعيشاً ، هو في أغلب الأمر ، رأي يصدر عن جمالة أو جهالة ، ثم ينتقل من فهم إلى فهم . . » وخلص الباحث من مقدمته هذه إلى بحث مذاهب النقد كما هو معروف في الآداب الأجنبية ، فتحدث عن المذهب الفني « هو المذهب الذي ينظر في العمل الفني المروحه ، وصدقته وإصااته وأسلوبه بدون اعتبار يذكر موضوعه أو لونه وصرفه . »
وبعد أن طبق هذا التعريف العام على الشعر ، وتحدث عن التجربة الشعرية ، ومثل لها من بعض شعراء المهجر ومصر والشرق العربي ، انتقل إلى الحديث عن المذهب الواقعي ، وهو ثاني المقاييس السقي تستخدم في تقدير العمل الفني في النقد الحديث .

يقول الأستاذ السحرتي أن « المذهب الواقعي في النقد لا يختلف مع المذهب الفني إلا في شيء واحد ، هو موضوع القصيدة فهو لا ينظر ، كما ينظر المذهب الفني ، إلى التجربة الشعرية والصياغة والإنفعال والفكر وأخيل فقط ، وإنما ينظر في اعتبار الموضوع ، فإن كان الموضوع لا يهتم بالحياة وأحداثها ، والأمم الناس وأشواقهم وآمالهم ، فهو فن ردي . » فن نخلخل للعواهب ، نجد للناس ، فن لا غاية من ورائه إلا تسليية جماعة ضئيلة مترفة . والفن الجيد هو المعبر عن أشواق الناس وآمالهم وديناميه .

« ورجال المذهب الواقعي يضعون للفن نمازل ، فالفن الذي يعبر عن الواقع المأبرة أقل مثالة من الفن الذي يضم الحقائق المعمرة الباقية ، وهذا الفن الأخير يعد في رأيهم فناً عظيماً إذا صيغ بأسلوب قوي مقنع . »

ومضي المؤلف - بعد هذا العرض الواضح للمذهب الواقعي في النقد - فطبق هذه الآراء على شعر بعض شعراء الشرق من أمثال محمد رشاد راضي وتازر قباني وحافظ إبراهيم وغيرهم ، فيسمى ما يورده من شعر الأولين ، وما يذهب مذهبه من الشعر ، شعراً « مطبوعاً بطابع التدهور والانحلال » ، فأذا خلاص من هذا إلى شعر حافظ ، فهو عنده - على ضوء المذهب الواقعي - شعر « يصف واقع المجتمع ، الذي نعال منه على حوادث الجاهل ، وزأها رأى

العين . . » وبعد أن يشير إلى شعر أبي القاسم الشابي وأبي شادي وبدوي الجبل وبعض الأدباء الآخرين من يجد أن شعرهم حافل « بواقعات الحياة » ، واناشيد الحريية والديموقراطية « يستلطف إلى الحديث عن المذهب الفقهي في النقد يقول :

« النقد الفقهي ، أو المدرسي ، أو الجسامي ، أن صحت التسمية . . هو النقد الذي سار عليه أغلب النقاد القدامى ، وهو ينظر في الشعر إلى نحوه ، وصرفه ، وعروضه ، وبيانه ، وبديعه ، وفي بعض الأحيان إلى معانيه ، وهو النقد الذي سار عليه جل نقاد العرب ، من قرون وقرون ، ولا يزال محوراً لنقدات كثير من نقاد اليوم . »

ولا ينسرك المؤلف ضرورة هذا النوع من النقد ، « على أن يكون تابلاً للنقد الفني أو الواقعي ، لا أن يكون مفرداً ، إذا لا يجوز مجال أن يضع الفن تحت مشرحة اللغوي والنحوي والعروضي ولا يجوز أن يكون نقاد اليوم أيقاً لنقاد الأمس النابز فيقتصروا في نقداتهم على النقدرات الشكلية ، كما فعل الرافعي مثلاً في نقد المقاد ، أو كما فعل أحمد محرم في نقد اسماعيل صهري وحافظ إبراهيم . »

ثم يلعب الأستاذ السحرتي إلى بعض نقسده العرب الاقدمين كقدامة بن جعفر ، وابن قتبية ، من نقاد القرن الثالث الهجري ، وكان نقبيلها « أعجب هزلاً ملاً ، عليه مسحة من الصفرة والشعوب . » ومثل ابن الأعرابي وحاده ، وهما تلوين أحدهما نفسيهما على الأدب ، وأغلب نقدهما كان يدور حول فقه اللغة . ومثل الأمدى ، من كبار نقاد العرب ، ونقده ذاتي في جلته ، وبعد العزيز الجرجاني ، الذي كان « يهتم كل الإهتمام بالناحية البيانية ، من تشبيه أو استعارة ، أو مجاز ، أو كناية ، كما كان يفتي بتبسم سرقات الشعراء ، ما كان منسوخاً أو مملوخاً ، أو مسرخواً . »

وبعد أن بين المؤلف كيف أن هذا النقد الذاتي الشكلية كان سبباً في تضارب آراء نقاد العرب القدامى في العمل الفني الواحد انتهى هذا البحث الأول من كتابه التعميق بقوله : « لهذا نجد النقد الأدبي في الشرق بين شد وجذب ، وبلبله وتلد ، كحال الأدب قماً . » ولقد أض في ذمة العالمين المحصلين للأدب أن يوجهوا النقد إلى الطريق الأمثل ، وغير سبيل ، هو التوحيد بين المذاهب الثلاثة ، وذلك بمسيرة المذهب الفقهي في سلامة اللغة واحترام قواعدها ، ومتابعة المذهب الفني في النظر إلى فنية العمل الأدبي ، ومجاراة المذهب الواقعي في موضوعه وغاياته الحميدة . »

وهذه في الواقع هي السياسة التي يسير عليها الأستاذ السحرتي في تحليله للنماذج الكثيرة التي يوردها من الشعر العربي المعاصر .

وهو تحليل يتنازع - كما قلت من قبل - بالحييدة العلمية اللازمة ، وان كان ما خفت من انغام التحليل يحدث عن نفس فنانة واعية ، تحس الجمال احساساً ، في الوقت الذي نجعله ، وضع الدرس ، ولا نجد في الحالين تناقضاً ولا حرجاً . .

وفيما نتلو من بحوث حتى البحث الخامس ، يتحدث الاستاذ السحرتي عن اشياء هي من صميم الصناعة الشعرية : يتحدث عن التجربة الشعرية ويمثل لها ، وعن الصياغة الشعرية وعلاقتها بنوع التجربة الشعرية ، ثم ينتقل الى الحديث عن الالفاظ الشعرية وعلاقة الاسلوب الشعري من حيث موسيقيته او تنافره الصوتي بشخصية الشاعر ، ويتناول عديداً من الشعراء بالبحث والتحليل ، ويخلص من هذا الى الكلام عن الوحدة الشعرية ، او وحدة التجربة وعناصر هذه الوحدة من التسلسل المنطقي في السرد ، والصور الحية ، والموسيقى المتوافقة مع المعنى ، وحرية حركة الالفاظ من التصيد ويذكر ما جاء من اعراض بعض شعراء العرب المحدثين عن الاهتمام بالوحدة في القصيدة ، بمثالا لهذا من شعر الشاعر الابرلندي المعاصر جيمس جويس .

ثم يترك المؤلف هذا الحديث ليتكلم عن الانفعالات الشعرية ، الموضوعية ، وقيم الانفعالات المختلفة ، فلسفي بعضها انفعالات ذاتية واخرى موضوعية ، ويفرق بين الانفعال الزمعي الرقي ذي القيمة الإيجابية ، والانفعال السبي التيهاني ذي القيمة السطحية . ولعل هذا الفصل ، من اتمم فصول الكتاب ، كوسمود للحديث عنه بعد الفراغ من استعراض البحث .

وفي البحث الرابع ، يتحدث الاستاذ السحرتي عن الفكر في الشعر ، ويفرق بين الشعر والنظم ، ويؤيد جانب الشعر ذي الفكرة في مقابلة الشعر الذي يضم فكرة عادية ، او لا يضم فكرة ما . ثم يعود في البحث الخامس الى الحديث عن الموسيقى الشعرية ، فيرى ان الموسيقى الشعرية ليست كل شيء في التصيد كما يرى الكلاسييون من امثال المفلاوطي ، ويضم الموسيقى الشعرية موضعها الصحيح بوصفها « جندياً من جنود التعبير الشعري » . وبعد ما يفرق بين الوان الموسيقى المختلفة وعلاقتها بالمعنى الذي يريده الشاعر التعبير عنه ، يتحدث حديثاً متمماً في البحث السادس عن الشعر الرمزي والسريالية الشعرية ، فيؤيدهما تأييداً عاماً بوصفهما مصدرين جديدين لزيادة ثروة الشعر العربي ، وان كان ينكر على السريالية خروجها عن كل قواعد التأليف الشعري ، ولا ينكر مع ذلك الهوة الغليظة التي تحدثها في الجملد الشعري المتراكم على بعض تأليف شعرائنا .

وفي البحث السابع ، وهو اطول بحوث الكتاب ، يتحدث الاستاذ السحرتي عن نقد الشعر في مصر . ولعل اروع ما جاء بهذا الفصل الصفحات التي تكلم فيها المؤلف عن شعر ابي شادي ، فجلا فيها نواحي كثيرة عظيمة من شعر هذا الاديب المقنوط الحق ، وعرف به ابنا ، احليل الجديد من الادباء والمتأدبين الذين لم يكن لهم حظ معاصرتهم قراءة ودراسة ، في سن تسمح لهم بصدق الحكم واصله الرأي .

والبحث الثامن والاخير ، يخصه الباحث للذهاب الادبية والنقدية . ويكاد هذا الفصل يكون استطراداً على بعض مسا جاء في الفصول الاولى للكتاب ، لولا ما جاء فيه من عرض لنماذج من الشعر الواقعي في العالم . وهنا يتيح الاستاذ السحرتي لقراء العربية ان يقرأوا ترجمة امينة لاشعار ٥٠ اودين الانجائيزي وفساليوي بريسوف ونيكولاى ينكرواسوف ، ويوشكين وماياكوفسكي من الادباء الروس ، واحمد بيرم التكري .

وفي هذا الفصل يفصح المؤلف افصاحاً تاماً عن آرائه ، فاذا هو يناصر المذهب الواقعي في النقد ، ويقتف وقفة لا شك فيها الى جانب الادب الذي ينجز عن آمال الناس وآلامهم ، ويدعو الى الاصلاح والتغيير ، ويدفع بالانسانية الى الامام ، في نفس الوقت الذي لا ينكر فيه التعبير عن الفردية تعبيراً صادقاً خالصاً .

وبعد هذا التمهيد السريع لبعض ما جاء في سفر الاستاذ السحرتي ، نحب ان نخلص الى مناقشة ما استلفت نظر الناقد فاحب ان يعطلم فيه برأى مع الاستاذ المؤلف : في الفقرة الاولى من ص ٢٢ يقول الاستاذ السحرتي : « وانا لنجد بعض القوائد ذات الطاقة الشعرية القوية ، يند عنها بعض جمالها لاحتوائها على الفاظ غير شعرية » . ولا احسب المؤلف يصر على هذا التعبير « الفاظ غير شعرية » فالالفاظ خارج نطاق المعنى العام للقصيدة لا تكون شعرية ولا غير شعرية ، وانما يضفي عليها التصيد الشعرية او لا يضفي ، حسب جودته صناعة ومعنى وكان الاصر ان يقال : « الفاظ لم تنسق مع المعنى العام للقصيدة . فلم يسبق عليها التصيد صفة الشعرية » (راجع في هذا الرأي كتاب الناقد الانجائيزي وينشاردز : فلسفة الخطابة) .

وفي ص ٦٢ - الفقرة الاولى ، يتحدث الاستاذ السحرتي عن قصيدة للشاعر السوداني يوسف بشير التيجاني فيقول انه بالرغم من ان التجربة في القصيدة غير واضحة ، فان هيمنة الالفاظ وانسجامها تتحدى التحليل ، وتقف في وجه الناقد فلا يملك الا التأنسبحرها الناقد . هنا يكشف المؤلف عن بعض الايمان الراسب بالشعر كالفاظ

وسيقية مستقلة عن التجربة وعن المعنى. ولما كان الكتاب كله يدل على انه في جانب الشعر المفهوم تجربة والفاظاً ومعنى، فما احسب هذا الا تناقضاً سها عنه المؤلفين في غمرة الجبار الذي بذله في الكتاب. على ان هذا يشبه تعليقاً عارضاً فالشعر «ككل الفنون الاخرى» له جذور تمتدة في السحر، وإيمان بعض النقاد بوسيقية الانفاظ بوصفها اشياء في حد ذاتها، او وحدات مغلفة تستعصي على الفهم وتتحدى التحليل، انما هو ايمان بدور بدائي للشعر كان القصيدة فيه تراتيم سحرية وطلاسم مغلفة يرددوها الساحر، او الصاي، قصد استحداث تغيير خارجي في البيئة، عن طريق تغيير داخلي يحدث في نفس الساحر او الصاي، ويحمله اقدر من ذي قبل على تغيير البيئة (راجع كتاب جورج طومسون في الشعر) وهذا الدور القوي، او الملاجيبي يشبه الحد ما نظرية ارسطو في الاثر الذي تركه المأساة في نفوس المتفرجين، فتخلصهم من همومهم الحاصلة عن طريق عرض مأس كهرى امامهم. وبما لا شك فيه ان الفنون لها ناحية علاجية واضحة قلبه لها العلماء من زمن، واستخدموها فعلاً في الاعراض العلاجية. وتقطعة اخرى لهم اهم ما سبق هي نظرة المؤلف الى «الانفعالات السئية او النازلة» والانفعالات الرقيقة. هذه النظرة لا تبدو واضحة في الكتاب، وعرض المؤلف لما خلق من شعر يشبه من الخلاف في الرأي، يقول الاستاذ السحري في ص ٩٥. «اما الانفعالات السئية او النازلة، والتي ترمي الى الاثارة بقول، فهي مادة غير صالحة للادب، والشعر، ولا جرة بإجادة التعبير عنها، لان الفن مهما انفصل عن الاخلاق، فهو ان يسمو بأثارة الحواطر المابتة، والرواطف المنعقدة الشاذة». هذا حكم اخلاقي على الانفعالات وكان من الواجب الحكم عليها حكماً فنياً عقلياً.

والصحيح ان يقال ان كل الانفعالات مادة صالحة للادب والفن ولكن تقيم هذه الانفعالات هو الذي يدمغ بعضها بطابع السطحية ويدمغ بعضها الآخر بطابع الخلود. فحدث الشاعر تزار قباني عن الئدي حديث فني، به جودة في التعبير وبه خيال وتأنق ولكن قيمة هذا الحديث، قيمة مؤقتة، لانه يتناول ناحية عابرة في تاريخ الفرد، وتاريخ الانسانية، ولو انه اختار انفعالات أخرى كانهضال الفرح، او الحب، او التوبة، اكان حفظه من البقاء اكبر، لان حفظ هذه الانفعالات نفسها من البقاء اكبر واعم.

اما عن انفصال الاخلاق عن الفن فهو انفصال عابر، والحقيقة ان الفن والاخلاق يلتقيان في ان كليهما تعبير عن الشخصية الانسانية، مع هذا الاعتراض، وهو ان الاخلاق تعبير مؤقت عن الشخصية

الانسانية، وحظه من التعبير اعظم. من حفظ الفن الجيد، الذي يربط نفسه بالحقائق الاولى للحياة، ويدخل في حسابها ان هذه الحقائق تتطور على المدى.

الفن اذن لا يمكن ان يفض الطرف عن الاخلاق، كما يذهب بعض النقاد والفتاين المنحايين، ولكنه ينظر اليها نظرة محلاة فاحصة، ويمرر عنها على هذا الاساس المدق.

بقيت ملاحظة اخيرة على الفصل الممتون «نقد الشعر في مصر» فقد اغفل فيه المؤلف كتابين هامين الاول «الشعراء» وبيناتهم في الجليل الماضي» للاستاذ عباس محمود العقاد، والثاني ديوان شعر للاستاذ لويس عوض بعنوان: «بلوتولاند وقصائد اخرى».

واهمية الكتاب الاول ان به محاولة لربط شعراء القرن التاسع عشر في مصر بالبيئات الاجتماعية والاقتصادية التي نشأوا فيها، وهذه خطوة متقدمة في النقد كان من الواجب الإشارة إليها.

اما الثاني، وهو ديوان الاستاذ لويس عوض فيه مقدمة رائعة - وان كانت الناحية الماطفية تغلب عليها - عرض فيها المؤلف خلال الشعر العربي وأثار فيه قضية الشعر العربي الكلاسي، والشعر المصري المكتوب باللغة الدارجة، ثم اتبع المؤلف هذه المقدمة بمحاولات شعرية قصد فيها ان يصدم الجورد الشعري الذي نعا في منه بقصائد من تأليفه لا تخلو من جمال جديد قريب وهي خلقية بدواسة عميقة من نقد النقاد.

مرة اخرى بنى. الاستاذ السحري وتزوج ان يأخذ كتابه المكان اللائق به في مكتبتنا العربية الحديثة.

الفاهرة

علي الراهبي

قربانه الاغاني

رابندرانات طاغور - ترجمة الاب يوحنا قير ١٩٣٣ صفحات مطبعة المرسلين اللبنانيين - جونية - لبنان

أعتقد ان اسم «طاغور» معروف لدى كل مثقف واديب وشاعر ومفكر، في كل بقعة من بقاع الارض المتحضرة.

واعتقد ان المؤسسات الادبية والثقافية، بما فيها الصحف والمجلات، واعني العربية منها، لم تقم بعد بما يجب عليها تجاه ذلك العلم الحقائق من اعلام الفكر والروح. فدراسات العرب عنه ما تزال ضئيلة، وترجمة آثاره لم يمن بها العناية التي تستحقها، وبالتالي الاثر الذي يجده ادب طاغور في نفوس الجماهير والافراد. ما زال بعيداً عنا، وتلك خساسة كهرى لا تموض، اذ لاجل لان تموض.

ان نطبق القواعد التي ذكرها الاب قيّم بجذافيتها في نقل الشعر .
 بيد اني اريد ان اترجم لك ، ما اغفل الاب قيّم ترجمته من
 مقدمة الاصل الانكليزي التي وضعا . ب . بيتس وهو من اعلام
 الشعر والادب الانكليزي المعاصر قال : « لا اعرف شاعراً ألمانياً
 هنري ، فيما لو كان لترجمة شاعر ألماني ان تهزني ، الا اذا ذهبت الى المتحف
 الهيرطاني ووجدت فيه ما يجذني بعض الشيء . عن حياته وتاريخ
 فكره ولكن على الرغم من ذلك ، فان هذه الترجمات النظرية لطاغور
 استغرقت في الدم استفزازاً لم يحققه شيء غيرها منذ اعوام متطاولة ،
 هذا ، على اني لم اكن لاعرف شيئاً عن حياة صاحبها ، ولا عن الحركات
 الفكرية التي انتجتها ، لو لم يجذني عنها ، احد الرحالة الهنود » .

هذه شهادة في قيمة الديوان لشاعر انكليزي يعرف لغة قومه
 ويعرف ان الديوان مترجم الى لغة قومه ، فهو يدل على روعة الجواهر
 الشعرية عند طاغور بالاث الذي تركته في نفسه ، ولو كانت مترجمة .
 ولقد قمت بتجربة ما كان لييس ان يقوم بها ، وهي اني
 قرأت « قربان الاغاني » بعزبة الاب قيّم ، فأنارت في من الفواجر
 والصور والحوار ما لا قبل لي بوصفه وذكره ، وتقاني الى اجواء
 فيها من الصفاء والاشراق والروحانية ما لا عدي لي به في ادبنا
 العربي ، ولا في ادب غيتا من الانكليز والفرنسيين والاميركان .
 وطولت هذه الزن في ترجمة بسيطة .

ثم عدت بعد هذا لقولته ، بالانكليزية ، بالاصل الذي وضه
 طاغور في مقدمة الديوان ، انتم انفسها والصور نفسها والشعر نفسه :
 لكن الروحانية التي استشرفتها في النص العربي لم اشارفها هذه المرة .
 أليكون الاب قيّم قد وفق الى هذه الدرجة في ترجمة طاغور
 حتى اخارق ان يفوقه ؟

- لا ادري . ولكن هذا هو شعوري واكمل ما لحظته انه
 لم يبالغ في مقدمته التي وضها للترجمة ، اصول طاغور الفكرية
 والروحانية ولا دورنا شيئاً عن مذهب المفكرين الهنود الاقدمين
 لتتجلى امامنا عبقرية طاغور في اعين اعماقها . وهو اذ كتب لنسا
 موجزاً لسيرته . لم يفتح مغالقات النساء التي يتبعها « الديوان » ولا
 اتار المجهل التي تبني ان تثار كقد كان خليقاً به ان يفعل كل ذلك ،
 سيما و « قربان الاغاني » يحمل في تضاعيفه الروا من الحياة الروحية
 الهندية القديمة ، فلا يتاح للقارئ العربي ان يتخبرها ويتذوق جمالها .
 الا ان هذا الامر من السهولة بحيث يستطيع الاب قيّم ان يعيد
 فيه النظر لدى الطبعة الثانية ، وتبقى ترجمته ، على كل حال ، جيداً
 رائعاً قل من يأتي بثله .
 عبر اللطيف سرارة

لقد بذل بعض الافراد الاماني المخلصين جهوداً مشكورة في
 إبراز النواحي الفكرية الجلية من تلك الشخصية الانسانية الغضة ،
 فقام الاستاذ اسماعيل مظهر بترجمة روايته الحوارية « الضحية » ،
 وعرب المرحوم « طانيوس عبده » روايته الاجتماعية « البيت والعالم »
 كما ترجم السيد ابراهيم ابو الفتوح مجموعته الشعرية « زوارق
 الاحلام » . اضف الى ذلك نتفاً من مقالاته وقصائده التي كانت
 تنشرها الصحف السيارة هنا وهناك ، تضع معها قيمة فكره
 وشاعريته معاً . لان مثل تلك « التفت » لا تظهر وحدة الشخصية
 الادبية ولا تكشف عن اغوار استقلالها وتفردا .

ولكن أحد من ادباء العرب المعاصرين لم يفكر في نقل ديوانه
 الاعظم « قربان الاغاني » الذي سما فيه طاغور الى اعلى ذروة يستطيع
 ان يبلنها شاعر ، ان في الحس المرهف ، وان في الحكمة الصافية ،
 وان في روعة التعبير عن اغرب الاجواء الروحية والصوفية .
 دام الامر كذلك الى ان جاء الاب يوحنا قيّم - وهو من عني
 بفلاسفة العرب ومفكرينهم - فسد ذلك الفراغ ونقل « قربان
 الاغاني » الى لسان العرب .

نقله وهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى تبيهاً لجلال العمل الذي
 اقدم عليه . وهو لم يتعب الى لاهافة حسه بالتمه ، ومن كان
 بهذه المثالة من الامانة وهو الخلق جاء ، عمل على عمل يعمله ، وعلى
 طابع الدقة والاعتقان ، وروعة الطهر والحدة ، وما كان اختياره ،
 مجرد اختياره لذلك الديوان ، الا تعبيراً عن هذه الشائكة النبيلة .

هاك ما يقوله في بداية كتابه : « . والنقل ، حين يعرب مثل
 هذا الديوان ، يحتاج الى بصيرة بجو الالفاظ ، ونهم التقطيع ، كي
 لا يفقد الاصل ايماء البعيد ، وايقاعه السوي ، ويحتاج الى فهم
 المومي ، ونقل الالهام دون ان يشوه اصلاً ، او يفرض تأويلات » .
 اتراه وفق الى السبيل على هذه القواعد التي وضها هو لنفسه ؟

المشكلة هنا ليست - على ما اعتقد - في فهم واجباتنا حيال عمل
 محاوله . ولا في ادراك القاعدة ولا في القدرة على تطبيقها . المشكلة في
 « امكانية » العمل ذاته حين نحصره في مثل تلك الحدود ، أي في ترجمة
 الشعر من اساسها ، و ترجمة شعر طاغور ، على الاخص ، كفزع .

ولكن طاغور نفسه كفنان مؤونة هذه المشكلة ، ويسر
 علينا حلها ، وقد وضع هذا الديوان الذي نتحدث عنه باللغة البنغالية ،
 ثم نقله هو بنفسه الى الانكليزية ، فان يفقد كثيراً من روعته ،
 حين ينقله الاب قيّم من الانكليزية الى العربية . ولا اظن ان الفرق
 بين انكليزيتيه وعربيته اكثير مما هو بين انكليزيتيه وبنغاليته ، إذ من الحال

جريدة الهدى في شهر

جامعة اوبسالة ومكتبتها

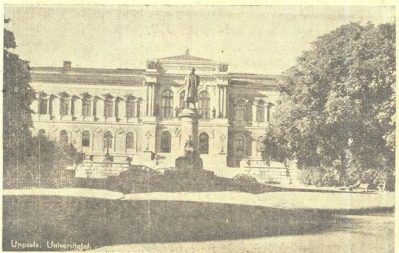
بقلم الأستاذ العالم الصغير

ليسانسيه في الآداب من جامعة فؤاد الاول



رسالة

العلم وهذوئه تندرجان مع روعة الايمان وبركته
ويتردد صداهما ما في جو اوبسالة - تلك المدينة
السائنة الصاخبة، والقديمة الحديثة. تقم في شمالي عاصمة السويد وقد
لبست دوراً رئيسياً في تاريخ تلك البلاد النائية منذ القرن الثالث عشر
حيث كانت ميناء هاماً وسوقاً رئيسية - غوها - مستر - وتقدمها
داخ. وكانت قديماً عاصمة السويد ومقر الأبنية فقاومت الكاثوليكية
في اول الامر ثم حاربتها ابعد انها اصحت اليوم مركز السويد الديني
«ديانة اهل هذه البلاد الرسمية هي البروتستانتية» والادي والتاريخي.
ومن اهم مبانيها كاتدرائيتها وبعض مقابر الملوك والنظار. وجامعتها
الشهرة وقصرها الذي شيده الملك جوستاف الاول فازا عام ١٥٤٨



Uppsala, Universitetet

ذلك بجانب ما فيها من المطابع القديمة
والحدثة والعربية ومصانع الاثاث والاحذية
البحر ١٠٠٠. وكان تطوّر اوبسالة اهميتها تزداد
سنة عن سنة ولكن الحريق الهائل الذي
اصابها سنة ١٧٠٢ اخر غورها ولم يسلم من مبانيها سوى الجامعة
القديمة والجوستافيانوم الذي اصبح الآن متحف الآثار السكندنافية
القديمة ومجموعات الجامعة العلمية - بجانب عدد قليل من الابنية
الاخرى. وعادت المدينة الى الحياة بعد تلك الكارثة تدريجياً
ولكنها لم تصل الى ذروة النشأة الا في اواخر القرن التاسع عشر.
وتعد الآن « حسب آخر احصاء سنة ١٩١٨ » ما يقارب ٦٠٠٠
نسمة وفيها من البنائات الحديثة والمعامل والمصانع العدد الكثير.
وهناك طابع خاص لهذه المدينة الراقية على نهر فيريس حيث تشمل
المعامل الحديثة والمخلات الجديدة الجانب الشرقي من النهر بينما تتجمع
على الضفة الغربية منه المؤسسات المدينة التابعة للكنيسة او الجامعة.
وانشئت جامعة اوبسالة التي حملت اسمها واوسعت شهرتها في
جميع أنحاء العالم - في سنة ١٢٧٧ وهي اقدم جامعة في السويد التي
تضم الآن جامعتين - هذه التي نحن بصدها واخرى في مدينة لوند
الواقعة في الجنوب الغربي من البلاد كما توجد كليات متفرقة للحقوق
والعلوم والآداب في استوكهولم - في العاصمة واخرى بمدينة جوتنبورج
الواقعة غربي السويد وتحتوي على كلية للآداب فقط. وفي كل من
هاتين الجامعتين كلية للدين وثالثة للحقوق وثالثة للطب ورابعة للفلسفة
تشمل قسمين احدهما للآداب واخر
للاعلوم. والتعليم الجامعي في السويد
يقرب من المجاني لقلة المصاريف التي
يدفعها الطلبة.

اما الجامعة نفسها وابنيها فقد
اقامت في القرن الحامس عشر كما
ذكرنا ولكن توقفت نشاطها نوعاً ما
اثنا فترة طوبية من القرن السادس
عشر. وعندما اهتت سنة ١٥٩٥
كانت هناك عوامل مختلفة ساعدت
على احيائها من جديد خاصة عندما

جامعة اوبسالة

وهذه مدخلها مثال جويج

الاعتراف بمجمل الملك كارل يوهان الرابع عشر « Kung Karl » Johan XIV الذي تبرع بالمال لبنائها. وتحتوي هذه المكتبة على اكبر واثن مجموعة من الكتب في السويد. ففيها ما يقارب المليون كتاب مطبوع وما يقارب الثمانية عشر الف مجلد من المخطوطات ولو صغرت هذه المجموعات من المخطوطات والمجلدات شغلت مسافة خمسة وثلاثين كيلو متراً .

اما نوع بنائها الفني فهو من النوع النيوكلاسيك وقد انتهى في سنة ١٨١١ اي في عهد اول ملك من اسرة برنادوت الحالية. والبنائية طبق الاصل للقصر الملكي الترويجي في اسوا العاصمة ، اذ ان المهندس الفرنسي هو نفسه الذي وضع تصميم البنائيتين العظيمتين. وتحتوي المكتبة على ثلاث قاعات كبرى للمطالعة وست غرف للدرس وواحدة لقراءة الصحف بجانب ثلاث قاعات للآلات الكتابية وواحدة للمجلات الدورية واخرى للمطالعة مخصصة لاضاء رابطة الاطباء في اوبسالة. ومن بين مئتين وتسع وعشرون طاولة فردية للمطالعة هناك مئتان وسبع وعشرون طاولة بادراجها مخصصة للعلماء والطالبة الدراسات العليا. اما الطاولات الكبيرة فتتسع كل واحدة منها لاثنتين وثلاثين طالباً ، وهكذا مهزاد عدد الحضور في تلك القاعات. وكان كاف لهم ومعهم ما دخلت مرة تلك القاعة الرهيبة الا وجدناهم قد غفوتوا كرت حينئذ مكتباتنا الجامعية والعامية في لبنان وعدد روادها

وهناك ٣٢٥٠٠ مجلد تحت تصرف الزائرين في المطالعة في مختلف القاعات كما انه بإمكان الفرد الاحتفاظ بالكتاب الذي

تبرع لها الملك جوستافوس ادفولوس اما البناية الاصالية الحالية فيمورد تاريخ افتتاحها الى ايار سنة ١٨٨٧ وقد كانت قبل هذا التاريخ تشغل بناية الجوستافيانوم وفي قاعة المجلس القديم وفي البناية الرئيسية في الجامعة مجموعات رسوم قيمة وصور ثمينة . وفي الدور الاول في قاعة

المجلس يزين الجدران عدد من صور الملوك اجملها صورة الملك جوستاف فاسا من رسم جاكوت بينك . اما باقي الغرف فتحتوي على صور اخرى لعدد من الفنانين السويديين والاعراب ومن بين طلابها الاربعة آلاف وخمسمائة كانت هناك التسوية واندانوسيون طالبة في العام الدراسي المنصرم وهناك عدد من الماسنل والطالبة والطالبات على احدث طراز بجانب الابنية المختلفة التي تشغلها الجمعيات المدبدة والتي تلعب دوراً هاماً في حياة اوبسالة المدرسية .

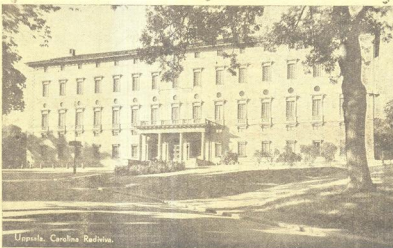


الاستاذ هنرك سامويل نيجرج

والمكتبة قلب اية مؤسسة ، فكم بالحري لو كانت جامعة فنلندتقل اذا الى تلك البناية الضخمة - قصر الكتاب - وهي بناية مستقلة وخارج فناء الجامعة وتسمى باسم « كارولين رديفغا » « Carolina Rediva » تقع على رابية جميلة تطل على المدينة بجمعها وتضمها كلها تحت نفوذها . اما السبب في تسميتها بذلك الاسم فيمورد الى

كارولينا رديفغا

وهي مكتبة جامعة اوبسالة



Uppsala, Carolina Rediva.

الراهب فولفيل (Diflas) في القرن الرابع الميلادي «التوفي سنة ٣٨٣». ويرجع ان هذه المخطوطة كتبت في شمالي ايطاليا-رنا في رافين في عهد ثيودوريك الكبير ملك الجوت الغربيين التوفي سنة ٥٢٦ م- وفي عام ١٦٤٨ اخذها السويديون كغنائم كثر كذا نصر عندما احتلوا براغ. وبعدها في سنة ١٦٦٩ قدمت للجامعة الملكية في اوبسالا من قبل كبير الامناء الملكيين ماجنوس جابرلدي لاجاردي.

٢ - مخطوطة ايسلندية جميلة وذات قيمة لمدينة اوبسالة
معد تاريخها الى سنة ١٣٠٠ .

٣- الكتاب المقدس الإمبراطوري أو المسمى «بالكودكس
كيساريوس» «Codex Coesareus» ويحتوي على الإنجيل في
اللاتينية مزينة برسوم لامعة ورواية وقد كتب في ألمانيا في منتصف
القرن الحادي عشر للإمبراطور هرتي الثالث وفيها بعد اصبح هذا
الكتاب من ممتلكات كنيسة جوسلار .

۱ - خارطة مدينة مكسيكو وضواحيها من رسم الونسو دي سانتا كروز سنة ۱۵۵۵.

«Libro de modo bene Vivendi» كتاب الحياه السعيده
 انسان برنارد دي كايرو. وكانت هذه المخطوطة تخص سانت ريجينايت
 والابويديه على يدك على ذلك الملاحظه المكتوبه باللاتينية الموجوده
 على الغلافه ١٩٠٠ هـ من المؤكد ان هذا الكتاب كانت تحمله أمنا
 العلواموه القدسه برحمتها دائما تحت انظار ابن الآثار النفسه » .

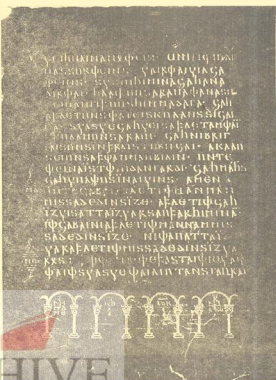
٦ - خريطة الصين مطبوعة في اواخر القرن السابع عشر
ورسمها الماسوعي فرديناند فويست .

٧ - خط الموسيقى لموزارت وهي قطعة من الفصل الاول
من « المزمور السحري ».

٨ - رسالة الملك جوستاف - ادولف الى والدته بخط يده .
٩ - رسالة الملك شارل الثاني عشر الى شقيقته هديج - صوفي
بقوة هولشتين .

١٠ - إحدى المخطوطات الثلاث المكتوبة على سعف النخيل
المهداة للكتابة من والد الكونت فولك برنادوت الوسيط الدولي
السابق الذي اغتاله اليهود منذ مدة وجيزة .

ولا بد من ذكر العدد الكبير من المخطوطات العربية التي شغل قلباً محترماً من مجموعة المخطوطات في مكتبة جامعة أوبسالة. كما أنه لا بد من ذكر الجهود الحثيثة التي بذلها المستشرق الكبير



صفحة من الكتاب المقدس العتيق

يرغب فيه على الطاولة لمدة من الزمن غير محدودة الى حين الانتهاء منه والطبع يحق لغيره اخذها اذا احتاج له. وقد ذلت الاحصاءات الاخوة ان هناك بمعدل عشرين الف كتاب تكون بين ايدي القراء بصفة دائمة.

أما مخازن الكتب فلا يسمح بدخولها إلا للأستاذة وطالبة الدراسات العليا وعند المدخل عسلي بين الزائر توجد قاعة عرض دائمة فيها كتب ومخطوطات ذات قيمة خاصة. وقد جذب نظري اهتمامي المجموعة التالية :

١ - كتاب «كودكس أرجانتوريوس» (Codex Argenteus) أو «الكتاب المقدس الفضي» وسمي كذلك لانه مخطوط بماء الذهب والفضة على جلد بنفجي وهو عبارة عن الترجمة الوحيدة للانجيل بلغة الهلوت التي قام بها مستند احرف هجاء المائة الهلوتية



من مناظر جامعة اوبسالة

ثقافي وتاريخي جيد وهذا المستشرق الكبير لا يعترى يكتب ويحاضر عن العرب والحضارة العربية والشرقية عامة ويدحض اقوال مسن يحاول ان ينكر على العروبة التقدم العلمي والرفي الثقافي والاجتماعي ولم يتأخر عن الوقوف في جمع حافل ويصنع ما حاول تنمسيه احدى اللبثانيات التي لا يتعدى حدود فهمها وافق ثقافتها معرفة امجاد العرب تكلمت بانسة الفينيقيين لبث دعايتها لهم

ومحاولة ارجاع اصلها اليهم وكفى ..

ولقد سعدت جداً عندما توثقت عرى الصداقة بهذا الاستاذ الكريم فاطمأننت الى اننا عوضاً عن تقصيرنا في افهام حقيقتنا لثرونا والدعاية لبلادنا اذ انه احسن رسول واصدق داعية لوطننا العربي في بلاده الشمالية يبني معرفته على العلم وينشر معلوماته بعد نبشها من قلب التاريخ .

من مناظر جامعة اوبسالة

الاستاذ هنريك سامويل تيهرج المولود سنة ١٨٨٩ وهو خريج هذه الجامعة العظيمة حيث بدأ دراسته سنة ١٩٠٨ وانتهى بشهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٢٠. ويشغل الآن كورسي الاستاذية لثلاث السامية منذ عام ١٩٣١ وقد انتخب عضواً في الجمع العلمي اللغوي السويدي سنة ١٩٤٨. اما مؤلفاته الهامة بما يتعلق بقرائنا العربي القيم فهي اولاً نشر المخطوطة العربية « انشاء الدوائر-عقلة المستوفى-التدبيرات الالهية » لابن العربي « Kleinere Schrif- ten des Ibn al-Arabi — Leiden, Bull 1919 كما نشر كتاب الانتصار والد على ابن الروندي للمحدث للخطاط في القاهرة سنة ١٣٤٤هـ الموافقة سنة ١٩٢٥م. وقد عرف الشعب السويدي واصحاب الرأي منهم خاصة بتاريخ الاسلام والعالم الاسلامي في مؤلفات مختلفة

باللغة السويدية مثلاً في « تاريخ العالم » لنورستد Norstedt's: « History of the World » وآخر بهذا الاسم لمؤلفه بونيز Bounier's : « Hist. of the World » . له دراسات وافية ودقيقة كذلك عن يهودي والديانة الايرانية ككتاب « الاديان المتبعة في ايران » Trans « Foralida religioner » وقد ترجم هذا الاخير الى اللسان الالمانية وظهر الاصل في استوكهلم سنة ١٩٣٧ .

والاستاذ تيهرج هو رئيس الجمعية السويدية الشرقية (Swedish-Oriental Institute) وهي الجمعية الكبرى التي تضم الافراد الذين لهم ميل خاص في الشرق وما يتعلق به من تراث



من مناظر جامعة اوبسالة



بحر القادسية

داربوس تجلت الآن في وضوح بالغ وأصبحت اعرف من اربعة اعمدة ضخمة نقش عليها هذه الكتابات التي لم يسبق لاحد قراءتها لها قائمة في بقعة يتعذر الوصول اليها وهذا غايب في بيتي ان ابوح بهذه الاسرار الا بعد ان تناح لي الفرصة لدراستها من جديد .

وكتبت هذه القوش بثلاث لغات وتعد من اشهر الآثار التي من نوعها في آسيا الغربية .

● من الكتب التي ظفرت بها المكتبة المصرية اخيراً ما يلي : « ديوان الخليل » الجزء الثاني ، لخليل مطران ، و « عصر اسماعيل » وهو طبعة ثانية في جزئين ضخمين للاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك والطبعة الثانية من الجزء الاول من كتاب « الجانب الاثري من التفكير الاسلامي » للدكتور محمد البهي ، والطبعة الثانية من كتاب « فن القصص » للاستاذ محمد تيسير بك و « الدستور القومي » لثوادة محمد شبل ، و « فن التجميل » لاحد الانباري ، و « روضات الفردوس » لعلي ادم و « الراحة النفسية » للدكتور ابو مدين الشافعي ، و « اروي بنت الخطوب » للسيدة وداد سكاكيني ، و « حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين » للدكتور راشد البرادي ، و « المعسكرات » لاحد الانباري و « محمد فضالي » و « العيون في العلم » لعدي حافظ طوقان ، و « عثرون قرناً » لحبيب سعيد ، و « سياسة

جديدة لوطان جديد » لسيد مصطفى و « امرأة في كاس نجر » لبدي الحفيد باز ، و « لا جديد في الحياة » كتاب بالفرنسية للاستاذ مصوب و « الجماعة والحرية » لحامي ميخائيل ، و « حياة داود » للنس جرجس هابيل ، و « سيرة الرسول » في جزئين لمحمد حمزة درودة ، و « شخصيات صوفية » لعه عبد الباقي سرور ،

● قدم المسير وايسان وزير التربية في الحكومة البلجيكية ورئيس الوفد البلجيكي الى مؤتمر اليونسكو الذي عقد في لبنان اقترافاً الى حكومته بانشاء كرسي في احدى الجامعات البلجيكية الكبرى لتدريس تاربخ الحضارة العربية .

● قرر مجلس معارف العراق فتح ٣٠ مدرسة ابتدائية جديدة ببغداد و ١٥ مدرسة بالموصل و ١٥ مدرسة بالصرة وثلاث مدارس بكر كوك و ثلاث باديل وثلاث بالسليمانية على ان يتم فتح هذه المدارس وتجهيزها لقبول الطلاب في اول افتتاح السنة الدراسية القادمة .

● كتب الاستاذ جورج كامبرون من جماعة مثنيجان والاستاذ في مدرسة الابحاث الشرقية ورئيس هيئة الآثار الاسيركية التي تزور ايران الآن تقريراً قال فيه انه كشف عن سر الكتابات التي نقشها الملك داربوس الفارسي على جبل بيسيتون منذ الفين وأربعمائة عام وهو السر الذي أطلق عليه « سر حجر رشيد الجديد » وقد حير علماء الآثار سنوات عديدة لوجوده في بقعة بعيدة المثال يصعب الوصول اليها . وقد ظل الاستاذ كامبرون ثلاثة اشهر يحلج ويحمر في معرض اللوت كل يوم ليتمكن من الحصول على نسخة دقيقة لهذه الكتابات المنقوشة على الصخر وعلى ملق في الهواء على بعد ١٩٠ قدماً من سفح جبلي وعلى مائة قدم فوق الارض الصخرية الواقعة شرقي كرمشاه في غربي ايران .

ويقول الاستاذ كامبرون « ان قصة حياة

● قررت حكومة الباكستان استعجال الاحرف العربية في لغتها الرسمية « الاوردو » ويعتبر هذا القرار انقلاباً خطيراً في عالم الطباعة والصحافة الباكستانية .

● قررت وزارة المعارف السورية انشاء دائرة تكون مسؤولة عن التعاون الثقافي في البلدان العربية ومنظمة الامم المتحدة للتربية والتعليم « اليونسكو » وتكون في الوقت نفسه اداة اتصال مع الملحقين الثقافيين في المفوضيات العربية وغيرها بمدن . وقد طالب رأي وزارة المعارف اللبنانية في التواحي الواجب اتباعها بالتامين هذا التعاون بشكل واسع مع لبنان وما اذا كانت توافق على احداث دائرة كهذه في وزارها .

● يقوم الشاعر اللبناني الاستاذ شارل قرم بتل بعض روائع جبران خليل جبران الى اللغة الفرنسية وقد ترجم حتى الآن كتابي « النبي » و « يسوع ابن الانسان » .

● كان من المتفق ان فتح جائزة نوبل لاسلام هذا العام ، ولكنها لم تفتح لاحد وذلك لعدم وجود هذه الشخصية الكبرى التي تستحق الجائزة . وقد ذكرت بعض المصادر غير الرسمية ان فتح الجائزة للسلفا غاندي رسول السلام غير ان غاندي قتل . و جرت المسألة على ان لا تفتح الجائزة لاحد بعد وفاته .

● كتبت المفوضية السورية في ٢ ابرير دجانبرو الى وزارة المعارف تقول ان المجمع البرازيلي للفنون الجبيلة رغبة منه في جعل اعماله الفنية ذات نطاق عالمي يطلب تسمية اربعة الفنانين المشهورين في سورية لترشيحهم لعضوية هذا المجمع بصفة اعضاء مراسلين ، ويشمل ذلك الرسم والتصوير والنحت والفخار والبناء .

— بآية المنشور في صفحة ٧ —

انبتك انه لم يبالغ قط في مدحها والثناء عليها ، فلقد وجدتها فوق ما كان يصف جلالاً وفتنة وملاحة .

واني لاقف عن المضي في الوصف ذلك لاني لم ارها الا بطريق السم . وكذلك قد راها « جون » من قبل وهو ما تستطيعين ان تسميه « شهوداً في الظلام » .

ومع ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، وأنت الجمال كله . ٩

مبارك ابراهيم

القاهرة

وقت قريب ، وان لك ان تختار ميعاد الزيارة .

فلما ركبت القطار بدأت اكتب خطاباً الى زوجتي تاركاً كلماتي ان تناسب فوق الورق انسياً ، لا اختار كلمة ولا ابدل اخرى . بل ولا اتردد في انتخاب الكلمات بل ولا افكر فيها .

فقلت لامراتي عفو الحاطر : يا اعز الناس عندي لقد عدت من فوري من زيارتي « ليري » و « جون » وادى لزماً علي ان

أبناء العالم في استكهولم

بين المصريين واليهود سائرة في طريق النجاح.
- توجت لجنة التوفيق إلى جدة بعد أن
أضحت محادثاتها في القاهرة .

١٦ - انسحب روسيا وإسرائيل وروسيا
البيضاء من منظمة الصحة العالمية .

- رفضت روسيا دخول هيئة دولية
أراضيها لتحقيق حول الفتح الأميركي القاتل
بضرورة إجراء التفقيقات اللازمة حول إمكانية
وجود ٨-١٥ مليون عامل رقيق في روسيا
ومن المنتظر أن تقرر الأمم المتحدة إحالة
القضية إلى مجلس نقابات العمال العالمي .

١٨ - قدم الممثلون إلى اللجنة
الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي
ميشال الحلف الأطلسي .

- جددت هيئة الأمم المتحدة إيمانها في
قضية الأشراف الدولي على العلاقة الذرية بالرغم
من رفض روسيا الاشتراك بالبحث .

١٩ - رفضت تركيا الانضمام إلى الحلف
الأطلسي المقترح .

٢٠ - عُثِرَ الجوليس المصري أثناء قياده
بالتفتيش في منازل أعضاء جماعة الإخوان
المسلمين على وثائق تكشف عن خطط لاعلان
مصر جمهورية .

٢١ - أذيع أن اللجنة السياسية للجامعة
العربية ستدخل - بإجتماعها في الشهر القادم -
تعدلات جوهرية على ميثاق الجامعة .

- وصلت لجنة التوفيق الثلاثية الدولية
إلى دمشق قاعدة من جدة .

- تقرر صرف ٥ ملايين دولار لتسليح
البيض الأبيض لمقاومة الغارات الذرية .

٢٢ - وصلت لجنة التوفيق الثلاثية
الدولية إلى بيروت .

- أصبح الاتفاق بين المصريين وإسرائيل
على عقد هدنة دافئة في حكم نهائي ، وستوقع
الاتفاقية قريباً .

- تنظر دوائر هيئة الأمم برفض ورود
جواب الحكومة السودانية بالقبول على دعوة
الدكتور بانث لإجراء مفاوضات الهدنة الدافئة
بينها وبين إسرائيل .

- قررت شرقي الأردن النساء النظام
العسكري في فلسطين والاستبدال به نظاماً مدنياً .

فصاحتها رسالتان إصابة طائفة وقد أعلنت على
الأثر الأحكام الرقبة وإعلان نظام منع التجول .
٥ - أعلن رئيس أركان حرب الجيش
الأميركي إن أميركا ستستخدم القنبلة الذرية إذا
وقعت الحرب .

- حلت الحكومة الإيرانية حزب ثودا
الذي ينتمي إليه مطلق الرصاص على الشاه .

٧ - وقعت الحكومة السورية إنفاقية
التقدم مع فرنسا .

٨ - قبلت حكومة شرقي الأردن رسمياً
دعوة الدكتور بانث لحضور محادثات السلام
الدائرة بين مصر واليهود .

- أصدرت محكمة بودابست حكماً على
الكرديتال مندزني بالسجن مدى الحياة .

١٠ - حكم بالأعدام على قاتل غاندي .

١٢ - وصلت لجنة التوفيق الثلاثية الدولية
إلى القاهرة ونشأت مع الحكومة المصرية
بشأن لمصادرة اللاجئين إلى بلادهم ومستقبل
النفس .

- استعفى الجنرال إيزنهور عن جلسته
كمجلس أمناء الإتحاد العام لعمال أمريكا الجنوبية
الأميركية المشتركة لقرار ستراليجية
عسكرية عامة للولايات المتحدة .

- أصدر البابا أمراً بحظر جميع الأشخاص
الذين كانت لهم علاقة بمحاكمة الكاردينال
مندزني من حقوقهم الدينية .

- اغتيل الشيخ حسن البنا مرشد جمعية
الأخوان المسلمين بالقاهرة .

١٤ - استقال المسيو اندرو ماري وزير
العدل الفرنسي .

- اتصل ثوري السيد باشا بساسة العراق
وشخصياتها الكثيرة للتعاون فيما بينهم بمقصد
وضع سياسة قوية موحدة للشؤون الداخلية
والخارجية .

- عقد مجمع الكرادلة لأول مرة منذ سنة
سنة جلسة سرية للتوفيق بمسألة الصراع القائم
بين الكنيسة والشوعية في المجر . وقد صرح
البابا بسان قصد الشويعيين هو قلب الكنيسة
الكلوكية فيها .

١٥ - أعلن في رودس إن المحادثات

٢٧ كانون الثاني ١٩٤٩ - أكد إيفرل
كلاري أن المحادثات الغربية ستتم تسليح
المالبا مجدداً .

- دعا المستر بسافش لجنة التوفيق الثلاثية
للاشتراك بمحادثات رودس بين إسرائيل ومصر
بعد أن عثرت للمحادثات بالاختلاف .

- أعلن الثوار اليونان إستعدادهم لإجراء
مفاوضات (صلح) مع الحكومة .

٢٩ - اعترفت بريطانيا بدولة إسرائيل
إعترافاً واثقاً ، وقامت الهند وباكستان
وسيلان .

- أقر مجلس الأمن المشروع الذي قدمته
الولايات المتحدة والصين والزوج وكوبا
بأنشاء ولايات إندونيسيا المتحدة .

٣١ - وافق الزعماء الشيوعيون على عقد
صلح منفرد مع السلطات الصينية في منطقتي
نانكين وشنغاي .

- أخفقت ثانياً المفاوضات الدائرة بين
السويد والنرويج والدنمارك لإنشاء الحلف
السكراندينافي .

١ شباط - اعترفت الولايات المتحدة
بدولة إسرائيل والملكة الأردنية الهاشمية
إعترافاً كاملاً .

٢ - دعا إرنست سالتين المستر ترومان
للإجتماع في إحدى بلدان أوروبا الشرقية .
- اعترفت كولومبيا بدولة إسرائيل .

- قُتل سلطان عدن غيلة بيد الثوار .

٣ - أرسلت مصر احتجاجاً إلى الدول
التي اعترفت بإسرائيل .

- وافقت لجنة الخارجية بمجلس الشيوخ
الأميركي على رصد ١٦ مليون دولار للاجئين
الفاشستيين .

٤ - رفضت الولايات المتحدة المشروع
السوفياتي العام لإنهاء الحرب الباردة بين
الشرق والغرب .

- بحثت اللجنة الدافئة لاتحاد غربي أوروبا
تفاصيل إنشاء المجلس الأوروبي الذي وافق على
إنشائه وزراء خارجية الاتحاد في اجتماعهم
الآخر بلندن .

- أطلق صحافي النار على شاه إيران

وجهة التطور : التجمع البشري



نيس

لنا مما سبق : « كأن التطور - في احدى اتجاهاته الكبرى - قد عدل عن ترمته البيولوجية الظاهرة ، وعلى الاقل باتجاه الدوحة التي ختمها الكائن البشري منذ بضع مئات الالوف من السنين - والرامية الى التحقق والامتداد والتنوع بأجناس وفروع وخصائل جديدة » . وان تطور الحياة قد تحول ، بفضل الوعي والحرية البشريين ، الى تطور اجتماعي واخلاقي ونفسي ، هدفه نشوء وبنیان واستنباط القيم والانظمة الاجتماعية والاخلاقية والروحية .

وهذه الانظمة الاجتماعية والاخلاقية والروحية تنجلي اليوم بظهور للتطور جديد - من اسبابه الظاهرة والمباشرة : سرعة تكاثر البشر وكثافة السكان المتزايدة والتقدم والتشابك الاقتصادي المتزايد ، والكثافة الاجتماعية والمنوية المتوضحة بتقوية العلاقات الاجتماعية والمنوية بين البشر بحيث يصبح المجتمع اكثر واكثر كلاً عضوياً - : مظهر التجمع البشري : La Socialisation Humaine . .

فكلما أن علم الفلك بعد درس ومقابلة الاجرام السماوية ، يمكناً من معرفة اطوار حياة النجوم - كذلك علم البيولوجيا ، بدرس ومقابلة الاشكال الحية ، قد توصل الى تحديد المراحل والاطوار التي تمر بها الجماعات والفضائل الحيوانية والنباتية في دور تطورها . فالعلماء الطبيعيون هم اليوم على يقين ان العناصر الحيوانية والنباتية تظهر ثم تنمو وتكبر وتشيع وتموت .

ويبدو من الدرس والمقابلة ان العصر البشري في تطوره الطبيعي خاضع بكيفية العناصر الحيوانية لهذا التطور المحتوم . ويبدو ايضاً ان البشرية وصلت الى درجة من غوها السلافي يمكن تسميتها : الجمعية او التجمع البشري ، ونعني بذلك ان الكائن الحي ، عندما تأتاف في هيكله وعضائه الخلايا وجماعات الخلايا ، على تشابكها ، بعد الى التناسل . ولكن حركة التطور لا تقف عند هذا الحد ، فاذا ما بلغ هذا التناسل حداً معيناً يترفع الفرد الى التجمع في وحدة عضوية مبرزة ، وهكذا تظهر النباتات والحيوانات العليا من تألف الخلايا المنفردة - يقول المرجان من الكائنات الصغيرة المسماة او المستقرة ، جماعة النيل . وقف الزبل من كائنات الـ Hyménoptères المستقرة . . فملي كل فروع زوولوجي وعلى فترات متعاقبة لعبت قوة التجمع هذه دورها وفي ازمة مختلفة من حياة الارض .

واذا رجعنا الى الانسان ماذا نرى ؟ . اول ما يظهر الى الوجود يعيش الانسان ضمن جماعات صغيرة مستقرة على ذاتها . ثم تتورث العلاقات بين المائلات ومن ثم بين القبائل . . وفي العصر الحجري تظهر فكرة ارتباط الانسان بالارض مؤذنة ببدء المدنية . . وظل الانسان على هذه الحال مدة آلاف السنين من التاريخ . . واذا بنا اليوم نشاهد ، منذ جيل تقريباً ، انقلاباً واسعاً في حياة البشر .

فالانظمة الكلية او الاجتماعية - الفاشية منها والنازية والشيوعية - والتي سيعبدل المستعقل من حدتها وتطرفها ، قد تفلقت تدريجياً مركز الثقل في التجمع من الفرد الى الجماعة القومية والاثنية ، وذلك ضمن وضع تتنظم فيه الجماهير الشعبية ويتولى كل مواطن مهمة وظيفة معينة . ويقول في ذلك تاليد دي شاردان : « ان الاضطرابات الاجتماعية الكبيرة التي تهب العالم اليوم تعني في الظاهر ان البشرية بدورها قد بلغت اليوم السن الذي تنزع فيه كل فصيلة ، بضرورة بيولوجية ، الى انتظام اعضائها . ففينا يظهر ان البشرية تقرب من دور تجمعها الحقيقي » . على مدى ما تصيبه المؤسسات البشرية من الترفيق والتأليف بين الحرية والوعي المتزايد ، من جهة وبين الروح الاجتماعية المتوضحة اكثر فأكثر ، يقوم نجاحنا في تكوين العالم الجديد والانسان الجديد الذي هو في نظونا وبالنسبة لاقوى المادية والنفسية الهائلة المسخرة لبنائه احدى محاولات الطبيعة والبشرية الكبرى .

ويستعمل علينا النجاح ولا يتم هذا التوفيق وهذا التأليف اذا ما اعتمدنا ، في تكوين الانسان والمجتمع ، قوى التقارب التي تنزع الحياة نفسها الى تفويتها وتوضيحها ، فنسجم اذ ذاك الفرد - باختيار وبفهم كلي وشامل وبارادة وحرية اسبابها وهدفها التضحية والمجبة والحق - بالجماعة وبطورها وبالتالي بتيار الحياة الخلاق .

كمال منوط

الشعر العالي تتناوح أنسام الاوتار قبل الوجد المتقد بقبس من جنبات القدس ، او الشهوة الفارقة في حماسنون يرسب في قاع الحياة ، لكنها في كلا الاتجاهين انما تعبر عن قشيرة أذات الخالقة في تجاوبها النابض بدم الوجود .

فالشعر العالي يقتنع على صوفية إلهية ، لكنها صوفية تأليه الأنا الفان وهو ينطلق بكلمة « كن ! » ليدع ما تركه الفنان الاول ، او ليجدد شباب ما أبدع من قبل ثم سحب الزمان عليه طلاءه الباهت ، او ليخلع على الحاضر التافه جلال القدم المتيق الرقيق . تراه يتغنى بالله الناس ، بلغة الناس ، فتكون من اموره في التباس ، ويدفك الوسواس ، الى قلبس نوايا هذا الماكر الخناس ، المتحدث بلسان الاحساس ، فلا تلبث ان تعود خائلاً ترتد عنه مهبور الانفاس . فصاحبنا ولكم قد قد قلمت دون اكتناه اسرار شعره اعناق الشراح اناب الى الله في ابتهاجات تخرق فترها حجب الاحدية لتنعيم

من وراء الرسوم بين الجم ، ونجاه بأناشيد تصاعد انفاسها الحارة لتذيب نقاب الحضرة الخديدي ، تاشدأ ايها في مشاهد الحسن الصاخر في كل مكان وزمان : انا انت ا

فألهو المستقبل المبسوط على طريق الزمان الابدي « وهو العجز الكبير البازغ من سهول السردية وهو صيحة الديك بعد ليل الزمان

» انت الندى ، وصلاة الصبح ، بل انت غادة انت الرحالة ، والموت ، بل انت ام -

انت الصورة المتغيرة ابدأ

الصورة التي تنبثق وحيدة عن المصير ،

ومالنا ان نغجلها ولان نشكرها ،

اذ لم يصفك احد ، ابتها النابعة الموحدة -

انت الانس والجواهر لكل الاشياء ،

الانس الذي يكتم كلمة سره الاخيرة ،

والذي يبدى الآخرين شيئاً آخر على الدوام :

يبدى للسفينة برأ وللفلك ساحلاً »

هذا الإله هو إله الفقراء والمساكين من ذوي الايمان الساذج المستقيم الذين لا يسألون ، فان « اولئك الذين يسألون لا يعينهم امرهم كثيراً » ، اما هؤلاء البسطاء الذين يحلمون اعباء الحياة في رضا وتسليم كريم « فانك تراهم بجنسان . ذلك ان « الذين يبعثون عنك يتحننونك ، والذين يحذونك يقيدونك بأغلال الصورة والحوكة » .

ولهذا فان ولكم يريد ان ينهم الله كما تقفمه الارض : ينضج وينضجه ينضج ملكوت الرب . فلا يطلب بينة او معجزة عابثة تهرهن عليه وتحتاج له . لهذا يبيب به الا يصنع معجزة لاقتناعه ، لانه ليس في حاجة الى امثال هذه الآيات التي من شأن المتفقيين الثرثارين . وفي هذا ليس هو بعيد من مذهب اولئك الذين تعاملوا شعارهم كلمة ترتليان Tertullian : « أومن لانه غير معقول » .

ذلك ان الباحثين عن الادلة المتعلقة بالآيات يتهمون وجود الله ، ويثيرون الشكوك لطمس . انهم يطلبون من الجبال ان تدعى كيا . يؤمنوا به ، لكنه يجني وجهه ، لانه لا يريد ان يرى اولئك الخالمين عذار الحياء .

اما هو فيريد ان يكون مثل ناطور الكرم له كوخ منه يجرس ، ويسهر فيه ، فهو كوخ بين يدي الرب ، فيه تقطن بضعة الالوهية التي يتلها ومنه يسهر على الدنيا . بل هو ليل ليله ، لانه فناء في الفناء الذي هو الله .

وهنا نجد شياً عجيباً بين ذلك وبين الصوفية

المسلمين في تصورهم جميعاً فله على انه الفقر الكامل .

فقد قيل في كتب التصوف الاسلامي : « اذا تم

الفقر فهو الله ^(١) » . وركله في « سفر الفقر والموت »

انما يجيد الله بوصفه الفقير المعمد المحروم من كل

شيء . حتى ليقول عنه في عبارات تبدو غير مألوفة :

« انت الفقير المحسوم من كل شيء . »

انت الحجير الدائب الدوران دون ان يجد الراحة ،

انت الارض الكورة الطلعة الذي

تنبو من منظره الاحداق

والذي يحوم حول المسدن حاملاً شبحها .

مثلك مثل الربيع لا مستقر لك ولا مكان

وجالك لا يكداد يستر انك عار

والثوب الذي يلبسه اليتيم ايام الاعمال ادوع مما تلبس

لانها ، على الاقل ، مملكة .

انت فقير فقر حاجة طفل الى الميلاد

طفل تحصيل امه ان تكون أمأ

وتضعط على بطنها الى حد يجثى معه ان تخنق

الحياة الاخرى التي تحملها في داخلها وترتعد في رحما

انت فقير فقر مطر ربيعي ،

(١) ضياء الدين الكمشخاني : « جامع الاصول في الاولياء » ص ٣٥١
طبعة سنة ١٣٣٨ هـ - ١٩١٠ م .

فقر الرسمي المتناقص يهدو . على سقف المدينة ،
وفقر الامنية الوحيدة التي يتمناها سجين
وهو في اعماق مظلومته وقد قطع بينه وبين العالم الى ابد الدهر
انت فقير فقر المرضى الذين يتقبلون
طوال الليل على قوشرهم ولا يتخلون من الهناء ،
انت كالازهار بين القضايا
الحزينة في الرياح المختاطة للاسفار
وكاليد التي ترتفع الى الميون لتستر عبرات بالغة الاحزان .
ما الطيور المنتفضة ، اذا قورنت بك ؟
ما الكلاب الجائمة ، لو ووزن بك ؟
وكم تساوي ، قلبك ، احزان الدواب ، المهجورة من الجميع في اسرها ،
الاحزان الطويلة الصامتة !
وامامك وامام شقائقك ،
ماذا يكون جميع الفقراء في ملاحي . الليل ؟
انهم ليسوا الاحصى متواضعا ،
ولكنهم مع ذلك يقدمون بعضاً من الجود
كسبحر الطعن في طاحون . .
اما انت فأنت الفقير حقاً ، المجرد من كل شيء .
انت السائل المحروم الذي يستر وجهه
انت نور الفقر العظيم
الذي يبدى الذهب باهتاً لو قورن به
انت في المنفى ولا وطن لك
ولا مكان هاهنا يدم مكانك
قامتك تسحقنا ، فأنت كبير علينا
انت تنسحب في الرياح ،
انت كالقثارة التي تحطمها
كل يد تمس او تلها .

تلك صور ونموت يتخلها ولكه على الالهية في جوة منقطعة
النظير تذكروا بطلمات الصوفية المسلمين وبخاصة بكلمات الحلاج^(١)
بيد انها ايرع في التصوير وامر سحراً بالشعر الخاص ، في غير تدل ولا
ادعاء مريض بما هو مشاهد في تلك الشطحات . وقد يجمل الى الناظر
الباير ان فيها تجديفاً واضحاً ، لكن التأمل المتعمق يستطوع ان
يستشف منها غير تعب عن معاني الله في نفوس الناس المؤمنين به حقاً .
فصاحبنا ولكه شاعر يريد ان يتلصص معاني الله في نفوس المؤمنين
(١) راجع كتابنا : « شجحات الصوفية » ، الجزء الاول ، القاهرة سنة ١٩٨٩

الحقيقيين ، وليس رجل لاهوت . ولهذا حرصنا على نتقدم بين يدي
هذه المقاطع الشعرية من « سفر الفقر والموت » بمقاطع أخرى من
اسفار كتابه المدمر « سفر الاوقات » الذي يتكون من « سفر
الفقر والموت » هذا ، ومن « سفر الحياة الدنيوية » و « سفر الحج »
وهذان الاخيران قد ألفهما بين سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠١ ، أما
السفر الذي نحن بصدد تحليله فقد ألفه في الفترة من ١٣ الى ٢٠
أبريل (نيسان) سنة ١٩٠١ في مدينة فياردجيرو Viareggio
المشهورة على ساحل البحر في ايطاليا .

لهذا لنا نرى 'جناحاً على رلكه ان ياجأ الى تلك الصور التي
قد تبدو شاذة في نظر اوساط الناس ، اذا سلمنا بأن الله هو المعنى
الكامن وراء المشاهد والرسوم ، وأنه الاحساس الذي يستشعره المعاني
العميقة لمظاهر الوجود ، وأنه الاواني التي تطوف بنفوس من يحسون
به وتمتلي أفئدتهم بحضرة . فبنا عملية تصوير من نوع تلك التي
يهر عنها يبدأ المعرفة المشهورة عند افلاطون وبعض اسلافه من اليونان
وهو المبدأ القائل بأن « الشبه يدرك الشبه » . فإذا كان الله
هو الشعور العامر لقلب المؤمنين ، وإذا كان الايمان الحق هو ايمان
المحرومين والاشقياء . والمؤمنين من كل الانواع ، فأله الحق هو ذلك
المتشبه في شاعر هؤلاء ، ولي يتشبه لهم الا على انه من اشباههم .
أفمنع بعد هذا ادراكاً ، ولكه يجتمع عليه تلك النوت ؟ !

لكنه يفتقر الى اقتران به لابعاد بين اهداف الصوفية المسلمين
في قولهم : « اذا تم الفقر فهو الله » ، وبين اهداف رلكه في هذه
الارصاف . لان هؤلاء الصوفية انما يقصدون بالفقر هنا التجرد من كل
رسوم الذاتية ، والطمس في عين الجمع الاحدية بالكلية ، فيستحيل
الفتقر الى الالهية نفسها بوصفها المدم الصافي الاصيل ، انني المجرد
المطلق من كل تميز ، او للاعحدود المتأري عن كل حد ، لان
في الحد سلباً وقيداً وتوقفاً .

أما الفقر عند رلكه حيناً يطلقه على الله ، فيقصد به الشعور
بالفقر عند المحرومين ، والاحساس بالشقاء لدى البائسين ، وفي هذا
الاحساس وذلك الشعور مصدر ادراكهم الالهية .

لكننا نرى عند احد شراح رلكه المحدثين ، وهو فرنز 'جنتر
Werner Gunther في كتابه « ملكوت الباطن ، شعر دينر مايرا رلكه »
Weltinnenraum, Die Dichtung R. M. Rilkes ، تفسير آخر
له عند رلكه بوصفه الفقر الكامل . فهو يقول ان رلكه يقصد من
هذا القول أن يرمز الى الفنان الحائق لا تارة الفنية ، كما انه في كل
أحاديثه عن الله انما يريد ان يتخذ منه رمزاً قد قل كها على الفنان

في الادب المهجري

فلم عبيب سمود

رئيس تحرير مجلة العصبه الاندلسية بالبرازيل

من شأنه* في هذا الحديث ان
اعرض لكم صورة عن الادب
العربي في كل انحاء العالم الجديد، فذلك يقتضي
وقتاً طويلاً ودراسة « مستفيضة » وانما اقتصر
في حديثي على ادبنا في البرازيل ومتى ذكرت
هذا القطر الكبير بساحته وشبهه فلا يعني
الا ان احبي فيه رمز الكرامة والساحة ،
وموطن الحرية والضيافة . فقد فتح صدره
لقومنا وغمرهم بمطعمهم وبشارعهم الحرة فأصابوا فيه من نعمه
ما اصابوا وكان لهم هذا المقام الذي يحتلون .
لقد بلغكم ولا شك الشيء الكثير عن آتني قوماً في البرازيل

* هو احد اعلام الادب البري في المهاجر الامريكي واحد اعضاء العصبه
الاندلسية في سان بولو بالبرازيل وعمره جنتا الراقية « العصبه » وقد جاء
لبنان بدعوة من حكومته ليحضر المؤتمر الثقافي العالمي اليونيسكو الذي انعقد
منذ شهر بيروت . والحديث الذي نشره هنا الفاء في حفلة اقامتها لجمعية
العروة الوثقى في منتدى « وست هول » بجامعة الابريكية سنة ١٩٦٩ .
والاستاذ عبيب سمود هو صاحب كتاب (جيران حياً وميتاً) وكلاهما من
بشري وله مؤلف آخر مدد لطبع موضوعه العرب في الاندلس .

وصمت عن المكانة المادية والادبية التي وصلوا
اليها بعد جهاد سبعة عقود من الزمن وفروا له من
المزقة والجلاد ما تضول عنده بطولية الاساطير .
ولست مبيداً على مسامعكم فصول المأساة
والبطولة في حياتهم المهجورية فهي ابد من ان
تستوعبها الكلمة المعجلى فأحسر كلاسي في الناحية
الادبية لعل فيها جليلة الذين يستقدون ان
المقربين اصحاب بيع وشراء وحسب ، او ان
الادب العربي المهجري ادب مسيخ لا يت الى الفصحى بنسب .

الاندلس الجديدة لقب اطلقوه على البيئات العربية ، وكلمها
من سوريا ولبنان وفلسطين، التي تكتلت في العالم الجديد وكونت
عنصرأ له قواه المادية والمعنوية تشبها بالاندلس القديمة التي فتحتها
العرب وانشأوا فيها تلك الدولة التي لم يجل ما قيل فيها حتى الآن
حقيقة كيانها ، فان كل ما كتب في التاريخ الاندلسي من دوزي
وكونده ودلوي الى بروفنسال وكوديرا وديبرا وبالا يوس وغيرهم
من الافرنج والعرب لم يسهر فور تلك الحقبة الطويلة من الزمن
وهي تناهز الثمانية من السنين اما نحن فاننا نستقي تاريخ الاندلس

الانفط Communion في المسيحية، حتى انسه ليهتمي الى نوع من
وحدة الوجود المألوفة لدى الشراء ذوي المنزق الصوفي . فهو في
« سفر الحج » يعطينا هذا المعنى على نحو يذكركنا بأشباعه لدى جيته
وبيرن وشلي والحلاج وجلال الدين الرومي ، وذلك حين يقول :

« الهى ا يودي لو كنت حشداً مسن الحجيج

يسمى اليك في موكب يشي على رسله

كيا يصبح بضعة عظمى منك :

يا من انت بستان ذو مخارف عامرة بالحياة .

فان سرت كما اسير ، وحيداً فريداً ،

فن ذا الذي يلاحظ ذلك ؟ ومن ذا الذي سيراني اسمى اليك ؟
فهو هنا يصور نفسه نسيماً يسري في مناهي الخليفة في سفر
صوفي الى حضرة الحق ، حاملاً على اجنحته الوردية اولئك المعذبين
في الدنيا ، الذين استغلوا وحدهم ان يستشعروا الله حقاً ، ذلك
أنهم هم مشاهد الالوهية على الارض .

عبد الرحمن بدرى

(١) نشره في كتابه « الانسان ارحل » ص ٣١٨ ، باريس سنة ١٩٦٦
G. Marcel : Homo Viator

نفسه وهو بسبيل الحلقى الفني . ذلك أن الفنان شبيه بالله في أنه خالي
ينو عمله أبداً ، ولا يمكن ان يتم أبداً ، انما هو في نضج مستمر ،
وغو يسير في منحناه التوثب بين مد وجزر . وهو يحنو على عمله الفني
حنو الرحمن الرحيم على الخليفة .

وهذا تفسير لا يخلو من وجاهة كما أشرنا الى مدلول هذا في
مستهل هذا الحديث ، إذ الشعر العالمي يعبر دائماً عن ذات الفنان مهما
اتخذ من الخارج موضوعات للعمل الفني والصور وطرائق الاداء .
لكن هذا التفسير يظل قاصراً عن ادراك المرمى العمالي لشعر
رلكه . فدون ان نذهب الى ما يوحى به حديث جهيل مارسل
في بحثه عن « رلكه » شاهد الروحي (١) « من امكان تفسير الله
عند رلكه بالمعنى الديني المؤلف سوان لم يصرح مرسل بهذا بوضوح
فعبارة في هذا الموضوع مائة تماماً لا تكاد تستبين منها رأياً بلزاً -
فان الاصح ان نفسر الله كما يفهمه رلكه هنا بما ذهبت اليه منذ قليل
وهو انه الشعور العام القامض الذي يلا نفوس المؤمنين الصادقين ،
وهو الفقراء والحرور ، واولالبائسون . وتباً لهذا فان تعجيدهم لهم هو
في الوقت نفسه تعجيد لله ، وتعجيد الله هو تعجيد الفقراء سواء بسواء .
وهذا التعجيد يتخذ صورة « مشاركة » بالمعنى الديني لهذا

لادرك ان في المهجر عناصر لها مكانتها الرفيعة في اللغة والادب والشعر وان امثالها قليل في اي قطر من الاقطار العربية . لست مغفراً ولا مفرقاً فساوود لكم بعد قليل اثلة من نتاج ادبائنا المنموطين ولكم ان تتخذوا منها حجة في او علي .

تقلب الادب العربي في البرازيل بين مد وجزر ، وتنساعته عوامل البقاء والفناء مراراً . ولد قهراً بين حفنة من البشر ترحت من وطنها طلباً للرزق ، ودرج هزلاً لسوء غذائه المادي والادبي ، وشب نشيطاً يجري في عروقه دم استمدته من قافلة ادبية جديدة لحقت بالقافلة الاولى ، وتعتف عليه بيئة ارفع من مستواها العقلي وباتت تتذوق الادب وتقبل على جبينه . اما اليوم فقد دخل في طور كونه فأنتمت ثمرة وطاب شرابه . عندنا اللوني المدقق ، والشاعر المنطلق في اجواء الابداع ، والمثني الناصم الديباجة ، والكاتب الذي يجعم بين دوعة الاسلوب وعق التفكير .

وعندنا المدارس التي تلم العربية وقد طالما اخرجت الالف من نشئنا وعلى السنتهم لغة قحطان ، وفي قلوبهم صبرة لوط انهم وعندنا الاندية التي ما رحلت سوقاً ينباري فيها فرسان الشعر والادب ، ما انطوى علم من اعلام الادب او الوطنية الا وجدت ذكواهم بمرحان ادبي . في تلك الاندية شهر فضل محمد عبده ، وفرح انطون ، وسليمان البستاني ، ومصطفى المنفلوطي ، والحسين ، وفصل وعبدالله البستاني ، وفوزي الملوغ ، وجبران ، ورشيد ايوب ، والريحاني ، ورشيد نخلة ، وميشال الملوغ ، وقمص يافث ، وشكري الحوري وعقل الجر ، وغيرهم ممن تفوقوا اسيادهم . اما الحلقة الكبرى التي اقامتها العصبة الاندلسية للذكرى المئني الالفية فقد برزت بروعتها وبما قيل فيها من غرر الشعر كل ما بقي في الحفلات الاخرى ، ولقد حاشى شراؤها في عماء الابداع حتى جاوروا شاعر العرب الاكبر .

اما الصحف العربية التي ظهرت في البرازيل منذ بدء الهجرة حتى يومنا فتجاوزوا الخمسين وقد بلغ عددها عييل الحرب العالمية نحواً ، خمس وعشرين صحيفة بين مجلة وجريدة لم يبق منها الا مجتات وثلاث جرائد . لم تكن الصحافة العربية في المهجر الا مدارس نقالة تحمل الى قوما الثقافة والادب كورسولا ينقل اليهم اخبار اوطانهم وذويهم ويوقاً يذيع مآثرهم ، وصديقاً يؤاسيهم في اترامهم ويشاركهم في افراحهم ، ومعلماً يلقنهم القراءة والكتابة .

بيد ان ظهور العصبة الاندلسية كان اكبر اثر ادبي في تاريخ الادب العربي بالبرازيل . ففي عام ١٩٣٣ وقد استغفلت فوزي الاقلام ، شعر نغز من ادبائنا على رأسهم الطيب الذكو ميشال بك

من مناهل ومؤرخي العرب وعلمائه وتعمدهم في دروسهم الاستقرائية ومباحثهم التعليمية فنشئد با قاله دوزي الهولندي وريبييرا الاسباني . ان بين الاندلس القديمة والاندلس الجديدة فرقاً من وجهة وشبهاً من وجهة اخرى ، فالفرق هو ان العرب دخلوا الاندلس فاتحين ففرضوا سلطانهم ونشروا هيبتهم وحجوا بسروهم مؤسساتهم ومعابدهم ولتتهم فدرج الادب والعلم في ظلال اعلامهم وزها الشعر في خاتل مجددهم ، في حين ان قوما دخلوا ارض كولمبس مستزقين طالبين عطفاً وسائلين عدلاً . اما وجهة الشبه ففي هذه الدولة الادبية التي بناها قوما هناك شأن العرب في الاندلس .

ان لانتقال العربية الى الوطن البرازيلي ونشرها بين عشرينا المعتمدة بالصحف والكتب حكايات لا تقل غرابة عن حكايات الف ليلة وليلة ، فالصحافة العربية كانت في اول عهدها ضرباً من الاستشهاد ، ومزاولة الادب العربي في تلك البيئة العربية كانت نوعاً من الانتحار . ذلك لان مقربينا الاوائل كانوا في معظمهم اميين او شبه اميين ، ولم يكن همهم الا اقتصار الرزق وادخار الكسب . فما قولكم في صحيفة عربية تنشأ بين جماعة شابها ما وصفت ٩ انها مغامرة ولا جدال . لكن حب المغامرة يجري في عروقنا وقد ورثناه عن اولئك الذين قذفوا بابل قارب الى البحر وعرفوا العالم الجديد قبل كولمبس واميركو بولاف من الصين وعن اولئك الذين توغلو في قلب آسأ وقبحوا بلاد القوط . من مغامرة مقربنا الاول الذي ركب البحر الى ديار بعيدة يحمل حتى امها أسست دولة ضيقة بصناعتها وتجارتها لا يدرك عظمها الا من خبرها ، ومن مجازفة ذلك الاديب الذي انشأ اول نشرة عربية قامت عليها الدولة الادبية التي دعيت الاندلس الجديدة .

فالاندلس الجديدة يا سامعي الكرام ، هي نشيئة الاديب المقترب الذي استشهد في سبيل قومه ومن اجل لغته ، زهد في كل شيء . ما خلا وطنه ، وقمع باللغة لكي يحافظ ، على لسانه . وليس الفضل ان تصون لتلك وانت قابع في ديارك وبين شعيرتك ، وانما الفضل كل الفضل ان تصونها وتحضنها وتثقي من اجلها وانت في بلاد غريبة عنك لساناً وعادة وعرفاً .

على ان هذا المناضل الذي ذكرت لم يسلم من افتراء بعضهم حتى ان احدهم وهو من ادباء دمشق عرض بادب المهجر عامة وتنقص شمراده . وقد يكون عذره الوحيد انه التي كلامه جزافاً او انه وقع عرضاً لبضاعة تافهة ومثل هذه البضاعة كثيرة هنا وهناك وفي كل مكان . ولو تروى ومحض وكشف الرغبة عن الصريح

وحصة الشيطان العالم المربوب. بالمعاصي والشرور الذي لا يثبت الا
الموسم ولا يلد سوى الاقاعي والتبلا. وخرج الشيطان مرة من
وكره النازل بالعاريت وصعد الى السماء حيث يرتكز عرش الاله.
وفيا هو يتهادى مخلوباً يتناظر النعم شاهد حوا. مستلقية بمجسمها
المادي في ضوء القفوف حبسها في اول الامرطة من الممر الشفاف.
ولكنه دهش اذ علم ان صاحب هذا افهكل البض امرأة تنمش في
في اعضائها حرارة مبهمة ، هي حرارة كل كائن حي .

وما كاد يفكر قليلاً حتى تجسدت في مخيلته صورة اختراعه
الفذ فاقرب من حوا. وسكب في فها الوردى الجليل كأساً من السم
عند ذلك تبسم بنجث ودهاء ومضى مسروراً لانه اخترع قلة المرأة!
ولا ازيدكم فني ما اوردت كفاية للدلالة على بدائمه الادب الهازلي.

وقمت اخيراً على بحث لاحدهم في ادب المهجر عزاً فيه روح
التجدد الى ادياه الشمال يوم كان جسدان يزعمهم . وانهم اخوان
العصبة الاندلسية بالمحافظة على الاساليب القديمة . اقول اذا كان
جسدان وبعض اخوان الرابطة القلمية قد فتحوا بتفكيرهم اجواء
جديدة فهذا لا يعني ان كل اديب في اميركا الشمالية بلغ شأهم ، او
ان ادياء العصبة محافظون لانهم لم يسبحوا في تلك الجواء ، اما اذا
كان المراد من الاساليب القديمة الصيغة اللغوية والمحافظة على ضوابط
اللغة فليس في ذلك موضع لغز والامز . ألم يجئ جراً جديداً
غويي الماويل في سبيل رايحه ، واخسره شقيق في عبقره ، والشاعر
القروري في حزن الام . اما اذا كان التفكير الجديد يقضي اسلوباً
جديداً والاسلوب الجديد يقتضي خروجاً على اللغة وبلبله في التركيب
ورطانة في التعبير فاست . مجرداً اخواني من التهمة بل اعان على
رؤوس الاشهاد انهم محافظون اكثر من تشرشل واعوانه .

ثم لا ادري ، ما يقصد بعضهم بالتجدد وقصة التجدد طويلة تناولتها
مناقشات عنيفة بين من يقدسون الماضي ولا يرون الكمال الا في
ادب الاقدمين ، وآخرون يزودون تراث الفسايين ويتخيّلون فيه
هيكلاً بلا روح . وكلا الرأيين في شرعي خطي . اذ ليس في الادب
قديم ولا حديث وانما فيه نقيض وتافه ، والنقيض لا يبرح كترأ في
خزانة الفكر البشري مها تقاقت عليه الايام ، والتسافه سقط لا
يؤبه له سواء كان قديماً او حديثاً . الف عام مضت على المنجي فها
هرمت حسانه . واحد عشر قرناً مرت على ابن المقفع والجاحظ وما
زال صاحب كلمته ودمنة امير القلم كونه شئ . والبيان التبيين امام الكتاب .
والتجدد ليس علماً بلقن او قواعد تدرس وانما هو نزعة خلاقه
في الفكر ، وصورة في النفس الى الابداع ، ومملكة في الطبع

معول بالفقار هم الى رابطة تجمع شملهم وتصون ادهم فتصادوا
وتماقدوا واجموا على انشاء مؤسسة ادبية دعوها العصبة الاندلسية
تيمناً بالمصر الاندلسي الزاهر . وفي عام ١٩٣٥ قر رايهم على اصدار
مجلة تنقل نتاجهم الادبي وعهدوا الى هذا الحق الواقف امامكم
رئاسة تحريرها . وليس لي ان اقول شيئاً في هذه المجلة فالأري
والحكم لمن رافق حياتها وبينكم كثيرون ، وانما لي كلمة اقولها
وفاء لحكمة الادب وهي ان «العصبة» كانت وما ترحح الصيغة
التي لم تكن لتأثير شخصي مهما كان حوله وطوله ، ولم تكن بغير الادب
والثقافة ، فمن الادب الذي لا يؤمن بالاالكفاءة والزهادة والصراحة
والتضحية نشأت ، ولجل هذا الادب وحده تعيش .

تحمل «العصبة» شهرياً في المائة والعشرين من الصفحات نتاج
الادباء المنضيين تحت لوائها وغيرهم . ورسالة «العصبة» ان تنقل الى
الشرق العربي ادب المهجر ، والى المهجر ادب الشرق . وهي رسالة وقفنا لها
قلوبنا ودفعنا اليها هيما بهذه اللغة التي خضناها في جوارحنا . ورسالة
«العصبة» ايضاً ان تطلع العالم العربي على بدائمه الفكر العربي لا سيما
الهازلي . هاهنا تالاً هذا المقطع للشاعر الهازلي الكبير كاسر والنفس
وقد قلدهم شقيق معول فريديس العصبة الاندلسية وعنوانه «البقري» :

هو لوط في الدنيا وجايا
بُدن الارض ذهاباً وإياباً
لفضى العمر بيد الناس حط

كفّه فارغة ، والارض ملأى
ولئن قربت ، والاحشاء ظمأى

فنه لنهر ، قرب لنهر منسه

لم يصب مأوى ، على وسع الغفارى
لا ولا ظلاً ، وظل الغاب ضاف

لا ولا ضمة تخنا عطف

ولئن لوح في عرض الطريق
بيديه ناشداً كف صديق

لم يفرّ الا بتفريق الاكف

سار في قعر بريد الدرب وعمر
ينقل الخطوات من نصر لنصر

حاملاً من مجده زاد وقوتاً

قبيل هذا عبرني لا يموت
فضى يسأل : هل يوماً حببت

يا بني قومي لأخشى أن أموتا

ودونكم هذه القطعة للشاعر الهازلي فيسنتي دى كارفالو
وقد ترجمها نثرأ اخوانا في العصبة الاندلسية يوسف البعني وعنوانها
« اختراع الشيطان » .

« تقاسم الله والشيطان هذا العالم فكانت حصة الله الافلاك

كان كل غلاف منك ملتصقاً .
 باین الى صدر تلك الامم مردود
 وهذه قطعة لشاعرتا رشيدسيام خوري المعروف بالشاعر القروي
 هتوانها « الغفوان » .

قلت قبل الطيور اشدو حويدوا
 لا ارى باعاً لفرط حبوري
 مؤنساً وحشة الفضاء كاني
 نبأ طيب سري في الانشير
 احدى بين الصنوف كقصص
 وانساني المصنوع كالصنوبر
 وعلى وجنتي للورد ظل
 عائم فوق موجة من نور
 قلت دني ازال عهد شفتاني
 لم اراني في عالم مسجور
 واذا زهرة كوجنة طفل
 جنبها شوكة كتاب مصور
 فتذكرت ليلة الالاس رؤيا
 باح لي ورددها بسر مروري
 ان كف الرحمن تحت سكون
 الليل بالقو غلظت في سريري
 فرمت نغمة من العطر في قلبي
 وعادت بشوكة من ضميري

واقطف هذه الابيات من قصيدة نظمها شاعرتا نصر سمعان
 في « المصنوع » :

ترقب دم ادرت به شبائك
 اصاب الارض منه ما اصابك
 اقبل الموت نثرته وتعي
 به في كل اكنسة ترابك
 ملأت سامع الدنيا انبساط
 اذعت .. به على الدنيا مصابك
 وما لك يا حليف الياس الا
 حديث الياس عن ام اذالك
 حشر الكف كف الموت فيها
 اذا لمسك او مست ثيابك

واخيراً ها هم هذه الابيات من قصيدة لتقيد الادب العربي
 عقل الجرمي بعنوان « امي » :

ذكرت ولكن كلامي قدير
 اموراً قضت زمان الصغر
 غداً ادب يصيب الغال
 وحولي تدب صروف القدر
 انتشع لا مفتح وكلمة
 فتجيب امي كلامي درو
 واجبت في البيت مستمسكاً
 فسأى انشاء أصبت انكسر
 وابسكي فيضجري في والدي
 وليس 'يسم' بأبي الضجر
 فتلعب خدي في لثمتها
 وقبح من مدني ما ضمير
 فديشكراً أما تسام العذاب
 التهاور في الليل ضحك الدهر

هذا مشال خطيف من ادب الاندلس الجديدة اقتضرت فيه
 على النظم دون النثر . هذا من شعر المهجر الذي ابي ادهم ان يتعرف
 اليه لانه ليس شعراً عربياً . وقد قال فيه آخر أنه من طراز الجاهلية .
 لا هذا ولا ذاك بل هو شعر جمع الى فخامة الديباجة دنيامن
 الالوان والقصور والركة والفتنة .

اقول بجواهر في هذا المهد العالمي الذي يحتم حوية الرأي ان
 ادب المهجر ممنوعاً حق وان ادب الاندلس الجديدة ممنوع
 فضله . ولكن ان لم تقدر الاقوام العربية اليوم شأنه فسوف تقدره
 غداً بعد ان تقدر الاندلس الثانية وتقيم له ضريحاً رمزياً يحمل هذه
 الكلمات : « هنا يرقد الاديب العربي المجهول » .

عيب مصور

تأبى الاقتياد . والمجددون هم صنف من العابرة اوتوا موهبة الفهم
 والمقدرة على الحلق وليس في طاقه كل احد ان يكون مجدداً وانما
 في طاقته ان لا يكون مقلداً .

وسأني بعضهم هل لأدب الصبة الاندلسية انجاء خاص او
 طابع يبرق به فكنت احيى لا اعرف للادب انجاءاً واحداً ولا
 طابعاً خاصاً وانما اعرف ان الادب في كسائر الفنون الجميلة يمكنك
 منه التعبير عن مشاعرك وتصوير ما يترسم بافكارك وتدين مسا
 يجري في ايامك وتعرف ما يقع تحت نظرك من المشاهد وغير ذلك
 من الاغراض ، واعرف ايضاً ان لكل اديب انجاءاً وطابعاً تبعاً
 لميوله وثقافته وببشوة . اما هذه الاغاط التي يعرفونها تارة بالندسية
 وطوراً بالوجدانية ومرة بالرمزية فهي شبه شي . بالازياء ، التي يستعدها
 هواة الطرافة يقبل عليها الناس زمناً ثم يسلونها . قالوا ان هينوا جماعته
 ابتدعوا المذهب الرومانطيق الذي يمتد المشاعر والخيالات والصور
 الطبيعية ، والواقع ان هذا المذهب قديم جداً نفاه في الثروة وفي
 ادب الهند والاندلس ، كما ان الرمزية التي يريد دعائها اليوم ان
 يرفعوا عليها على اقتاض الرومانطيقية ليست سوى الصوفية ببشوة .

اننا لا استنكر المذاهب الكتابية . مما كان شأنها لانها تحمل
 روح الابتكار ودلائل الحياة فالرود الهرة الفخ والجدد معناه
 الموت ، لكني لا اعتبرها من الادب اسمها واركانه بل المذاهب تنمو
 اما الادب فيبقى . لقد كانت الموشحات في عصرها بدعة استجرت
 الاباب ثم غل شأنها مع الزمن حتى كادت تحمل في ايامنا على انتشار
 الغناء ، وهي في اصلها ابتدعت للثنا . والطرب اما ادب اموي القيس
 وعمر بن ابي ربيعة والمتنبي وابن المقفع والجاحظ وابن خلدون
 وازهارهم فراسخ كالطود بها تنوعت المذاهب وتجددت طرق التعبير .
 واصبحوا في الآن ان اسمعكم بعض مقاطع لشرائنا لم اخترها
 وانما وقعت عليها هنا في بضعة اجزاء من « العصة » . ابتدى .
 بقصيدة في « ساعي الهريد » وقد نظمها شاعرتا شفيق معلوف في
 اثنا الحرب الاخيرة تحيل فيها امأ في وطننا تترقب ساعي الهريد
 لعله يحمل اليها خبراً من ابنتي في المهجر .

ساعي الهريد وما ينثك منطلق
 وكى باب عليه غير موصوف
 يسى بأكداس اوراق مظلمة
 تقوح منهن اطياب المواعد
 خلف الازفاد اجفان مشوقة
 اليه تتحقق من وجد وقصيد
 بدا فزف مفرد القصيد مقدمه
 هز النسيم خبسات العنسايد
 كم قبله من ذم الشان يحداها
 على يديه ويصديا الى النيد
 يا ساعياً بايتسمات توضعها
 هل الشفاء بلا من وترديد
 كم وجه ام عجوز ان برزت له
 لم تبق من اثر فيه لتجسيد
 تلقي اليها كتاباً ان يصيب يدها
 شدته باليد بين البحر والجيد

النسب

.. وكانت القصة الحضراء
تمكس ظل الشبابة السوداء.

موسيقى

في شرايين أوتار القيثارة
تسيل وترتجف وتغني
دماء الشجاذير الهريشة
شبهدة اصواتها الجميلة !
كان في اصابع
مدير الفرقة الشرة
عشرة عصفير ..
فيده المضطربة
ترسم في الهواء الحاناً
يعزفها موسيقو الفرقة
فيمنونه حاملة ، وقامته ملتوية راجفة
كالقصة . في هذه الفرقة العاصفة
حتى خيل الي انه لم يبق منه
سوى ظل النطل .

معزوفة الحسن

في كل كلمة من كلماتك
وحركة من حركاتك
يشمل لون ونغم
من معزوفة حسنك الحناد
لكل الناس ملكوت السموات
وانا لي فقط ملكوت عيونك
عندما اقبلك واضحك الي صدي
احس انني المس السماء باصبعي ا
انني اغشى ان يسود الليل
احلامنا .. هذه الطيور البيضاء ..
شعورك الشقر تضحك من الشمس
وعيونك الزرق من السماء
في كل طرفة من جفونك
يتطاير حلم من اهدائك ...

غيسوم

غيسوم اسم مجموعة شعرية للاستاذ رياض
معلوف صدرت باللغة الفرنسية في البرازيل ١٩٨٣
وفيها مقدمة باللغة البرتغالية لـ موني دل بيكيلا
عضو للمجمع العلمي البرازيلي وترجمت ايضاً
الى اللغة الانكليزية بقلم المستر سدر الدكتور في
الآداب من جامعة اكسفورد وصدرت في ١٩٨٨
وبقدمها ناظمها باللغة العربية الى قراء الاديب



نأملوت

كل ورقة منتثرة مائتة
هي صفحة من صفحات كتاب الحوريف

التي تقوّمها الريح

ما هذه الاشجار النارية

سوى حوريف الحوريف

شعور البحر الجميلة

في هذه الاوج

التي يحملها النسيم

لو كنت آدم

لارتكبت الخطيئة ذاتها

ألم نداعب احياناً صفحات الكتاب

كمن يداعب امراً جميلة

ليس من العجب ،

ان تكون هذه القطرة الطائفة

ابنة البحر الهائج

الذي اذا ثار ثارته

طغى على القارة وغمرها كلها

اكل هذا الكد والجد والنعمة

لهذه اللقمة ..

ليس المحيط مرآة الافق

المائتة ؟

من حبة رمل

تعرف كل اسرار الصحراء ..

ظهور

وداع النور يعو

ما يرسمه النطل

ايها الظل ،

ايها النور الاسود

والفحم الذي لم تلتهمه الشمس بعد

والحجرة السوداء

المهركة في كوب النهار

الحمام

ايتمها الورد

الراقصات بالاساق واتفاق ..

ما انت ايها العطر ،

سكرو ، دعابة ، لحن ، نور

دم ، بسة ام زفرة الورد

التي ذهبت ضحية عطرها ؟

غيسوم

ماذا اقول لك ؟

فراشة ؟ دمية ؟

ام غيمة شقراء ..

لحت صورة غيمة بيضاء.

على صفحة الماء.

فاجعل النيمة

التي تمكس ملامحها

على ملامح المياه

ايها النيمة الحداة

يا سراب الافق

ايها المجنونة المجنحة المتطايرة

أأنت رعشة

ام انشودة ؟

ام زفرة النجمة

ام ريشة عصفور ازرق

هارب .. منفلت

من السموات

رباض معلوف

ARCHIVE
http://Archive.khrit.com

امراة نادرة

لادومرو دا امبش Edmondo De Amicis ترجمها عن الايطالية: مصطفى آل عبال

وعيناها لا تفارقان الارض . كان النور الضئيل المنبعث من امام صورة العذراء . يلف الفتاة بشعاعه الشاحب فيظهر وجهها الخجول . بين راحتيها وتبرز حول عينيها آثار بكاء . دام طويلا . اما الجندي فكان اغزل من السلاح ولا يتمتعنق بمزمائه فكانه في اجازة . وقد تلقى دعوة منذ ايام قلائل لحمل السلاح ، ولم يبق لديه غير هذه اللبقة . كان عليه الحضور في صباح الغد الى اقرب مدينة من قريته . واقرب مدينة تبعد عشرة اميال او ما يقارب ذلك . والمتطلع اليها باعنا يفهم من سكوتها الطويل الذي كان يشغل كلماتها بانها منذ دح وهما في هذا المكان . كان السكون الكلبي يشمالها برهبتها ، لا انسان ولا حيوان يعكرو عليها عزلتها فقد كان من حين لآخر تصلها بعض الاصوات كالهس من البيوت والاكواخ القاغة على سفح الجبل المطل على القرية . وكذلك تصلها بعض الانوار الضئيلة آتية من ابواب تلك البيوت وهي تفتتح وتغلق لتستقبل اربابها او بعض الزوار .

وبشة اقرب الفتي من فتاته وامسكها بكلتا يديه وقد وقفت هي ايضا ثم قال لها بصوت يشبه الحجل والرافة والحشية ، هذه الصفات التي طالما تزين بها حورتنا منذما يزيد مناجاة شخص عزيز علينا . قال لها كلمات فيها شيء . من الحزن - لقد تأخرنا يا عزيزتي . علي ان اذهب الآن . علي ان اكون في المدينة في صباح الغد الباكر والشقة بعيدة كما تعرفين .

قال هذا وسكت وفطر الى وجه فتاته . لم تحو جواباً بل

تكداد الشمس ترسل آخر نحيمة لها فوق الهاري والحقول حتى تشعر الروح بمجن عقيق صامت يزحف اليها . وما اشبهه بذلك الحزن المزوج بالحرف الذي يهاجم قلوب اولئك الاولاد الذين هربوا في صبيحة احد الايام من بيوتهم وقد دامهم المساء وهم يسمعون على وجوههم في الحقول . ومما يزيد الطبيعة حزناً فتيق الضفادع المبل ، ومما يزيد رغبة نباح الكلاب المتواصل . كل ذلك مجتمعا لا يخفف السائلة بل يشعروهم بالعزلة وحشة المكان فتتقض اصابع وجوههم ويتلذدون مسامح ان يروا شيئاً ما يبد لهم ما خامر نفوسهم .

اجل ان تلك الساعة من المساء في الهاري لمهي ساعة حزينة ، حتى ولو كان الفتي بجانب فتاته التي يهيم بها حباً ويظن انه بلغ اوج السعادة بقربها فلا بد له ان يعترض خياله صور محزنة وتنتطق شفتاه بكلام شابه الحزن وربما الغزع .

في هذه الاسمية وفي احدى الممرات المنعزلة التي تسير سفح الجبل وقد اقيم في وسطها بيت القربان المقدس للاندرا ، كان شخصان فتاة وجندي ، يتنايان بصوت منخفض ومتواضع . هي جلست على حجر وركزت مرفقيها على فخذيهما واستندت ذقنها على راحتيها ، وهو وقف امامها ووضع ذراعيه فوق صدره .

كان يلبس فوق رأسه قبعة الجندي النير الرسمية والتي يسميها الجنود قبعة العمل او الكدخ وعلى ظهره معطف ثقيل طويل وامام قدميه كيس وفوقه صرة . كان منظر الفتاة يوحى بالاسترخاء والتعب

قصّة

فنهضت واقفة وليتها لم تفعل . لقد اختفى وراء المنطف وكان يسير مسرعاً في الطريق على عبدة الوادي المؤذي الى المدينة .

بلغ فيلقه في اوائل نوار ومن ثم كان يكتب تقريباً رسالة كل يوم الى اهله ويتلقى تقريباً كل يوم رسالة اما من امه اوابيه او خطيبته . كانت كل الرسائل التي ترده محمودة بيد هذه الاخيرة لان لا احد من اهله قادر على ان يحيط ولو جملة واحدة بسيطة مفهومة .

اشترك في المعركة المساة بمركة الرابع والعشرين من حزيران . وبعد هذا التاريخ مضى على اهله اسبوعان دون ان يتلقوا ولو كلمة واحدة منه . ما اشد ما كان قلقهم ونبضات قلوبهم . انهم لم يعرفوا طعم الراحة طيلة هذه المدة ، وقد اراد الله ان تصل منه في احد الايام رسالة . ياله من عيد . كانت الايدي ترتجف وهي تقتطعها . . . اواه . لم تكن مكتوبة بيده . . . لقد امتنع لولهم واصفارت وجوههم . ولكن بعد ان قرأوها ارتدت اليهم بعض الطمانينة . انهم في الرسالة عن جرح طفيف جداً اصابه في يده بعد تلك المعركة والتي استبسل فيها هو ورفاقه كل الاستبسال ، سرعان ما يبرأ ويؤزل كل اثر الجرح بعد بضعة ايام . وانه كاد يقادر المستشفى لو لم تعد اليه الحى على اثر المعركة التي خسرها من جراء ذلك الجرح .

وهكذا بقيت يد البشر الى اولئك الناس وعذروا ولدتهم لعدم كتابة الرسالة بيده هو لان يده اليمنى هي المصابة وكانت اصابته تؤلمه ألماً خفيفاً جداً على زعمه .

بعد مضي اسبوع على الرسالة الاولى تلقوا الرسالة الثانية وكانت مكتوبة بيده هو هذه المرة . وعرفوا بأنه قد التحق ثانية بفيلقه وهكذا ما عادا حد يتكلم عن ذلك الجرح البسيط وشكروا الله مراراً على نعمته وطفه .

ما كين هؤلاء لو كان الامر بسيطاً كما اعتقدوا خلق لهم ان يشكروا السماء كثيراً ولكنهم يجهاون حقيقة الواقع . ان ولدتهم اصابته رصاصة في رجله من بعد مئة متر عن العدو وهو يهجم عليه هجوم الاسبال فقل على اثر ذلك الى المستشفى وحكم الاطباء بقطعه من الفخذ .

وبعد مضي اربعين يوماً صنعوا له رجلاً من خشب وعكازين واعطوه برادة عند خروجه من المستشفى وقال له احد الاطباء المتفلسفين : - عد الى امالك ايها الشاب البطل المسكين . لقد قتلت ايضاً بقطعة في هذا التنازع في الحياة والذي لا ولن ينتهي . .

اقربت منه ووضعت يديها برفق على كتفه وانكألت فوقها برأسها واجهشت بالبكاء .

- تشجعي يا امي ، ستكون ثباتة تزهة لي سأطلس بضة رصاصات على العدو القادر واعود كما اذهب .

- ستعود . . . ومن يدري . . . قالتها وقد خفتها المهرات وموت لحظة صمت . ثم اردف الجندي قائلاً : - الى اللقاء ، اذاً - وتناول رأسها بين راحتيه المريضتين ورفعها وقبلها فوق جبهتها . ثم انحنى والنقط كيسه ووضعها على ظهره واحكم ربطه بالحزام والنقط الصرة ومديده مودعاً . كانت هي تقطعي وجهها يوزرتها وكان ألم الفراق افقدها صواباً ، كانت واقفة كالتثال ، ثم بقية عادت اليها انفسها وامسكت يدي الجندي بكلتا يديها وقالت له بلهفة : - ستكتب لنا ؟ قالتها بصوت فيه لهجة الجسد والامر والمستعطف وهي تقصد تأخيره عن فراقها ولو لحظة اخرى :

- ستكتب لنا كل يوم ، ليس كذلك ؟

- هذا محال يا عزيزتي - اجابها بنبرات يفلها الحنو .

- ولماذا ؟ سألته وفي صوتها شي . . . من الاستعطف والتوبيخ .

- اذا مشيتا طول النهار وطرفاً من الليل كيف يتشئ لي ان

اكتب اليك مثلاً . - اجل . . . لم افكر بذلك . . . ولكن . . . الاقل هلاً كتبت لنا كل مرة تشجكون والمغوى في معركة . . .

ياله من سؤال ساذج ، فلو قالت له قبل ان يتركها ان يدمى الى حمل السلاح لكان ضحك كثيراً . اما الآن فلا يدري ما هذا الشعور القاصف الحزون الذي دامه واحس يسد تقبض له على قلبه فتضيق انفاسه ، وما عليه الا ان يتخلص من هذا المأزق بأسرع ما يستطيع . هجم عليها وعانقها وقبلها بسرعة الجرق واسرع الخطى راكضاً دون ان يلتفت الى ورائه .

- احبها صاحبت بصوت مأوه اليأس والاستعطفان راضة وراه فاتحة ذراعيها : - استحلفك بالله هلاً عدت لاقول لك كلمة اخرى تهلك .

لم يتوقف ولم يلتفت . اما هي فقد غطت وجهها براحتيهما وبقيت جامدة كاصم في وسط الطريق . ثم عادت ادراجها وسقطت جاثية امام العذراء والدموع تسح من عينها وسحاشقت وتأوهت وزدبت حظاً كما يفعل الاطفال .

تابع الجندي سيره مسرعاً بدون ان يلتفت حتى وصل الى مفرق فوقف وبعد لحظة من التردد التفت فنحوها فراها . وكانت هي ايضاً في هذه اللحظة قد رفعت رأسها ولاح لها بأنها تراه

واصحابه حين يلتفتون حوله ويساعدونه على النزول ساعة وصوله ،
 ربه ! ماذا يقول لهم ؟ وكيف ينظر الى وجوههم الغريزة ؟ من
 الحتم انهم يتطورونه الآن جماعات جماعات في الطوبى امام بيته او
 في باحة الكنيسة . لاح له بأنه يسمعونهم يسمعون في بينهم باصوات
 منخفضة وهم يشعرون اليه كانه يبتين صوتاً حياً عزيزاً عذباً حاولاً
 من بيننا فيشعر بالقباض وحزن . كان يتنى لو ان تكون تلك
 البيوت بعيدة وبعيدة جداً . . ولكن والأسفاه . كانت
 تقترب منه او يقترب منها لا يدري بسرعة هائلة خفيفة فيطأطيء .

رأسه ويغمض عينيه كي لا يراها . وليته لم يفعل لانه لا يكاد
 يفتتحها بعد برهة حتى يراها وكأنها أصبحت امامه ، كانت تنهب اليه
 الارض نهياً . غير جلسته وولى ظهره الحصان كي لا ترى عيناه ما
 امامه ، وكانت النتيجة بالعكس . فانه كان يلوي عنقه من حين
 لآخر ليلقي نظرة خاطفة على القرية بما كان يسبب له ازعاجاً في كل
 جسمه أولاً في رجله المبتورة . عاد الى جلسته الاولى والى القاء
 النظر عن بين وفحال ، فلا قرب به شجرة او صخرة او رابية الا
 وكان لها ذكراها في رأسه . كم حضر الى تلك السندانية المتشعبة
 الانفان ذات الجذع المتشعب المشقق وكما استعنت الى تجوهره وحبيته
 خصوصاً في تلك الليلة عندما اوصته والدته بالابتعاد كثيراً عن
 القرية . كانت ليلة مقمرة والسماء صافية الاديهم والهواء مليلاً
 والكبريت شاولاً وبشدا الاعشاب والازهار منعشاً . كل شيء
 يغري بتلك الزهرة وقد توسل الى غطيتها كي تصعب الى تلك
 السندانية ولم تذهن الى توصلاتها الى بعد الجبل الجبل . انها قروية
 والقروية تخشى الحورج ليلاً بعيداً عن بيتها حتى ولو كانت بصحة
 خطيبها . لقد جلسا الى ذلك الجذع وكانت مناجاتها بضم كلمات
 خاطفة ترتجف فيها العاطفة المشبوبة وامتدت يده تقفش عن يدها
 فاطبقتها فتناول قبضتها براحتة فسحبها منه بعنف لطيف فشد
 عليها وبدأ يفتح لها اصابعها الواحدة تلو الاخرى وما يكاد يفتح
 الثانية حتى تنطبق الاولى وهكذا دواليك حتى كادت اليد الناعمة
 فانفتحت كلها واستسلمت . .

ان هذه الذكرى الحلو أذنته ما هو فيه ، انسته الحرب وما
 لاقاه من الألم والحزن وساقه المبتورة . تصور ذلك الوجه الحبيب
 وساعة لقاءه والسعادة التي تنتظره ، انبسطت اسارير وجهه وهزه
 الفرح من رأسه الى اخمصه فأسكره وانما كل شيء وشعر برأقه
 يهيب له يقفز من هذه العربة البسيطة فدعس برجله المبتورة على الحشب
 واراد النهوض بدون ان يستعين بيديه ، وما كاد يفعل حتى احس

كأنب الى امه يعلها بقدومه ويمدد لها يوم وساعة وصوله ، ثم
 اراد ان يقص عليها بضم كلمات ما اصابه حقيقة وما لاقاه وفي
 اية حالة هو . امسك بالريشة وابتدأ فملاً يخط اول كلمة ، ولكن
 سقطت يده ولم يدر كيف . . . لقد هاله ان يرى اهله في دعر
 والم وبأس من اجله . وهاله ايضاً ان يجذع والدته . فكر بخطيبته
 واصحابه وخلاته عندما يرونه على تلك الحالة ، أينفرون منه ام
 يرثون له . تصور الذعر والتأثر على وجوههم فافكر ذلك وامسك
 بشعره يشده يائساً ثم بكى وبكى . .

وصل الى المدينة القريبة من قريته . بات ليلته في احدى
 الخانات وفي اليوم الثاني ساعده صاحب الخانة على الصعود الى
 عربة محملة باكياس الدقيق وكانت ستمر من قريته .

كانت الطريق طويلة مملة وهي تنحدر الى اسفل الوادي ثم
 ترتفع الى اعلى القن . في تلك الساعة كان جندينا ممدداً والسماس
 يغالبه . لم تغمض له عين في الخانة . لقد كان قلقاً . . . والان قد
 هاجم رأسه مئات من الافكار والافراضات والمواجس والارهام
 والشعور المؤلم ، فكر بان ليس له خلاص من كل هذه الرزايا الا
 باستسلامه الى الكرى وقد ساعده على ذلك وحشة الطريق وطولها
 وبطء العربة في اخدارها وصعودها . وما كان يمكر عليه غفوة
 من حين لآخر غير الحفر البديدة التي قلاط الطوبى فكانت العربة
 تهبط فيها ثم تنهض متشاقة ولها انين المستندين المألوم . . . وما كادت
 تنتهي من صعودها وتحرق من بين الادغال التي كانت تحرق فوقها
 حتى شملها نور الشمس من كل جهة . فتح جندينا عينيه وليته لم
 يفعل لقد رأى تلك التلة ذاتها وتلك الطريق التي شهدت الوداع
 بينه وبين خطيبته ثم تلك البيوت ، بيوت القرية . اغض عينيه
 بسرعة والقي برأسه الى الورا . غطى وجهه براحتيه ، لقد قلماكه
 دعر واي دعر . ان دقائق قلبه اسرعت واشتد دوران الدم في
 عروقه ، وكان في رأسه طنين قوي كأن هراوة غليظة رقت على
 امه . وبقي هكذا برهة ، ثم اراد ان يتخلص من هذه الحالة
 تدريجياً . فابتدأ بان يرفع رأسه رويداً رويداً وولى ظهره تلك
 الزاوية وأشاح بوجهه الى الجهة الثانية . واول ما ابتدأ بالنظر الى
 الحصان ثم رفع عينيه قليلاً ودفعها امامه نحو الطريق والتفت بينة
 وبسرة ثم رفع نظره اكثر فأكثر . اللهم عفوك .

ها هي تلك البيوت ذاتها تلو له ، وبنته خفق قلبه خفقة
 قوية كسأنه اصيب بمكره . كانت البيوت والاكوخ لا تزال
 بعيدة عنه ومع ذلك كان يراها كأنها بقرية . كان يتصور والدته

النواحي فابتنمت ابتسامه الرضا والارتياح وغوجت الى حيث
اتراها وصريحاتها .

كان الكل في حركة مستمرة . هذه نقص نكتة تضحك من
حولها . واخرى تذكر اياماً حارة مضت وثالثة تفتخر ببنامراتها
ورابعة وخامسة . . . والحطية غرامها من جديماً وتآيل كالنصن
الاملود الغصي . كان اخوها يداعبها وما اخف مداعبته . كان
يقصرها في ذراعيها ويستمتع بصراخها من شدة الالم . اما صريحاتها
فكأن يشدن لها اطراف ثوبها او يحسن لها في اخنها بعض
الكلمات فتضحك تارة وتحمار اخرى . . . اما والد الجندي فكان
يظهر من حين لآخر واقفاً على مقبة الباب وهو يقول بوجه عبوس
مجد : - انه لن يأتي .

فتسرع اليه الفتاة وتستفسره : كيف ولماذا ومن اخبرك
بذلك ؟

وتتبع الوانها ويخفق صدرها ، فيجيبها بسهل .
- هذا ما استنتجته ، قالها وابتسم . وما رأته يفعل حتى عادت
الطائفة الى قلبها وقالت :

- اجل لقد حدثت نفسي بانك تفرح ، انه ما تأخر قطعن موعد
ضربه لانه موعده عرفت ، ثم التفتت الى الام وسألتها :
- هل تزين شيئاً على الطريق ؟

اجل عروبة بعيدة جداً ؟

رجعت الى حديثها مع الشيخ . كانت حيرة لا تدري ماذا
تفعل ، لقد اقتربت العروبة وكان الجندي لا يحول نظره عن بيته
منذ ان رآه . كان سادراً من كل ما يحيط به الا بيته فكانه نسي
حتى محبته : ان علامات البله كانت بادية في نظراته . كان يقرب من
بيته كأنه يقرب من مكان مجهول وكأنه انطلقاً كل شعور في نفسه
هذه هي طبيعة الانسان . زاه غالباً يفكر ويظن ان ما اصابه من
مصيبة لن يقوى على حمله ابداً ثم ما تكاد تضي برهة على ذلك حتى
زاه ساكناً راكناً مستلياً . أتكون شدة الالم او كثرة هي التي
تسبب تخدير الاعصاب . ربما ، وكان صاحبا قد نسي تماماً ، سا
يحمل لاهله من الذعر والحزن والالم . فقد فتح عينيه وفقر فواه
واستعج الى مقمة الدواليب وهي تسير فوق الحصى . كان يلهو
بمركات آية اقرب منها الى حركات الاطفال الذين يبدون يدغم
الى كل شي . تقع عليه ثم يودعونه اقراهم ، كان ير باصابعه مراً
خفيفاً فوق ساقه المبتورة على يسكن ذاك الالم الخفيف المستدالي
كان يشعر به . . . وبقعة انتفض وصرخ ومد يده متوسلاً .

بالم الجرح الذي لم يندمل بعد . وكان المأ قوياً جعله يصرخ ويسقط
مكباً على وجهه فوق الاكياس . ان شدة الوجع ردت الى عالم
الحقيقة فأسلت بشعره بشدة وبكى وانتحب .

- انها لن ترضي في على هذه الحالة الشنعاء ، انها لن ترضي
في بعلاًها :

آه . . . - بقي كما سقط لا حراك به والاحسن له ان يتحرك
وينظر ما حوله كي لا يرى شيئاً يثير له الذكريات فالالم .

كان بيته يوج موجاً بالاهل والاصدقاء والاصحاب الذين اتوا
لاستقباله على احسن ما يجب .

ما كاد النار يطلع حتى هب والداه واسرعا الى ارتداد احسن
ما عندهما من الثياب كما يفعل الاولاد ليلة العيد . ثم قام كل واحد
منها بفتح الابواب والنوافذ على مصاريها وبدأ ايصقان بأيديهما
ليوقظا اولادهما ، فكان هؤلاء يستيقظون مثقلين كارهين لهذه
الضجة التي كانت تمكسر عليهم نومهم الغني . ولكنهم لا يكادون
يتبينون السبب حتى يهبوا دفعة واحدة رافعين ارجلهم الصغيرة
ملك الكرى ثم يسرعون هم ايضاً ويرتدون احسن ما عندهم
ويخرجون الى الحنية ثم الى الطريق ومنها الى الساحة فحين طريق
يؤدون بدقة وسرعة وطاعة عيماً . ما يطلب اليهم .

واتت الحطية ايضاً ركضة لاهنة وكان يصيحها جديراً
وكاهن لابساً (فساطينين) الفضفاضة المزركشة الالوان الفاخرة
وقد ازدان رأس الحطية بياقة من زهر الحقول المشمشة النادرة .
وابتنمت لها والدة الجندي فاحار وجهها وعلاه الحجل ورمت
بنفسها بين ذراعيها ثم تمصت منها بلطف وبدأت هي ايضاً تجول في
البيت وتساعد على تنظيف المفروشات وترتيبها وتنظيفها . وهكذا
ما كاد ينتصف النهار حتى اصبح البيت كالعروس المجاورة مسعداً
لاستقبال جندي يأسل يعود من ساحة الوغى جريحاً . هذا ما كانت
تقوله والدته للنساء اللواتي كن حولها .

دعت ام الجندي الحطية واجلستها امام المرأة وبدأت تصلم
لها ما تشوه من هنداها وكانت كالدمية بين يديها تفعل بها ما تشاء .
ولما تم كل شي . ولم يعد فيها موضع انتقاد لناقد قبلتها بين عينيها
وتركتها وشأنها . قامت الفتاة خفيفة ووقفت امام المرأة ورفعت
احدى رجلها واحكمت كعب القدم الثانية على الارض ورفعت
ذراعيها الى علو كتفيها ودارت دورة او اثنتين فارتفعت اطراف
ثيابها من حولها وهكذا استطاعت ان ترى نفسها في المرآة من جميع

— عطفاء عطفاء ارحمني . .

لقد مرت به العربة بقرب بيت جسد الرب وتذكر الابليلة
الاخيرة ليلة الوداع، تذكر فتاته ونحوها، لقد ردت هذه الذكرى
الى عالمه الخيالي . وفي هذه اللحظة طرقت سمعه صيحة عالية جعلت
الدم يجري في عروقه بسرعة . رفع رأسه وتطلع ورأى . . اسرع
الى ساقه الخشبية يربطها في مكانها فلم يستطع . جوب وجوب
وعثا حاول . رياه . ما العمل ؟ انهم يقتربون منه فانحنى اذرعهم
له وافواهم متأهبة اصيحة الفرح . كان المسكين يفرك ساقه
المبتورة بكتلات يديه كن اصابه من الجنون . آه ! ها هم
اصبحوا على قاب قوسين من اوداني . كانت امه على رأس القافلة
فدلت له يديها وقد علا حياها ابتسامة ملائكية . صعدت الى ابنتها
وصوبت فرأت ويا لمول ما رأته ! صرخت من اعماق نفسها صيحة
كها يناس وافت ذراعيها حول عنقه وبكت بكاء مرأ وقد غطى
الحاضرون وجوههم بأيديهم ودعوا اشارة الصليب عليها .

ترجل الابن بعد دقائق . . . كان تمكبراً واحداً يخالف نفوس
الحاضرين كلهم : ابتكرونه يشي لوحده ام يحلونه اجل يجب ان
يحلونه . كلا . . كلا . الاموات فقط تحمل .

مر هذا الحاطر كالحرق وكان الجنبي في لقائه يتوسل على
عكازيه . وكي يفور على ذويه هذا النظر المزمع جعل يقترق قفراً
حتى وصل الى البيت ، وحده الجيم ويفعل ذلك ما عدا امه
والفتاة خطيبته فقد طلعت الواحدة وجهها في صدر الاخرى .

وما كاد يلبح البيت حتى احدثوا به من كل جهة واجلسوه الى الطاولة
فجمع ذراعيه فوق بعضها وانكأ على الطاولة واسند رأسه فوقها .
ولم يشعر الاويد مرتجفة تحط على جبهته . رفع رأسه فرأى صدراً
حنوناً هابطاً صاعداً يلبث لها من شدة تأثره وسرعان ما طروجه
فيه ، كان السكون رهيباً شاملاً . ما كان احد يحجر على الابتداء
بالكلام ، وبنته انفجر بكاء حار . تقاص الجسدي باطلف من
ذراعي والدته واجال الطرف فيا حوله وصاح وكانت عيناه
تتألان بالدموع . — اهذا هو انت يا عطفاء ؟

ثم فتح ذراعيه . فما كان من الفتاة ان االت بنفسها على
صدره بحركة عنيفة تم عن الشوق والحسرة .

لقد طرأ على الام فكرة عاجلة ، التفتت الى النظارة حولها
واشارت لهم اشارة اختفوا على اثارها ، ثم تبعتهم هي ايضاً .

رفعت الفتاة رأسها واجالت طرفها ولما تيقنت ان الدار غلت
الا منها اتت بكوسى ووضعت بجانب فتاها وقعدت بقربه وامسكت

له يداً يسراها ووضعت ينها على كتفه وشرعت تحده . وكان
الكلام يسابق بعضه بعضاً متقطع النبرات احياناً ، وكانت تاهت
تارة وتنهت اخرى وتارة تتوقف لتلتفت الى السباب خشية ان
يسمعا احد .

— اسمع يا كارلو . اسمع الي وصدقني . صدقي انا التي اكلك
من صميم قلبي ، اني احبك اكثر مما كنت احبك فيا مضى .
واتزوجك الآن بل خاطري وارادتي وانت . . كما انت وك
اقتنى الموت لنفسني في هذه اللحظة اذا انا اكلك بغير ما اشعر به .
اما اذا كنت انت الذي . . اسمع يا كارلو لا تبك على هذا
الشكل . . اقول اذا كنت انت الذي لا تريدني فاني ابتك الآن
لاستطعك كي تقبلي ولاقول لك بانني بدونك لن يطيب لي عيش
ولا حياة ، فاذا اجبت توسلاتي بالرفض فاني سوف امرض مرضاً لا
شفا له حسرة والمأ . هيه الآن ودع اليأس عنك . ولو قدر ، لاصبح
الله ، بانك ما رجعت من الحرب فبل تصدق بانني لن اتزوج رجلاً
آخر . اي وربي حتى ولو كان ملك الملوك . تأمل . واذا كنت
تقل بانني كنت احبك قبل ان فارقنا فالآن (وهنا غطت وجهها
براحتها وانفجرت بكاء حار .) اجث على ركبتي امامك .

هكذا قالت وهكذا فعت .

اما هو فقد كاد لا يصدق ما يسمعه ويرى . لقد تهوس عليه الامر
واضطر الى التراجع وتبليل لسانه وانرجحت شفتاه . فلم يعد يستطيع
ان يفوه ولو بكلمة عما كان يحول في خاطره . لقد عقد الفرح لسانه
وجنانه ، كان يتسلل في مكانه ولا يقوى على النهوض والكلام .
كان يريد ان يقول لها كلمة واحدة وقد انطبعت على اسار ووجهه
المنبسطة وظلر معناها واضحاً جلياً . ومع ذلك فقد اجتهد بان
يلفظها ولكن انفاسه كانت متقطعة فصر نفسه ما استطاع حتى
خروجت منه الكلمة كالصاعقة تشع شعاعاً خاطفاً :

— آه . عفوك . شكراً لك . شكراً لك . شكراً .

وامسكها من ذراعيها واراد ان ينفضها .

— لا لا لا — قالت له بلهجة الحازم الامر وبنغمة يشوبها كل

ما تقلكه من الحزن العذري الاوثي .

— دعني هكذا اريد ان يراني الجميع جانية على قدميك — ثم
مسحت عينها واردف قائلة :

— لن يفارق واحدنا الآخر . لن اذهب الى اعمال الحقن ،
سأبقى بقربك نهاداً وليلاً : لن أدمك ولو لحظة وحده . سأعمل في
البيت وانا جالسة بجانبك كما افعل الآن . . رياه ما بك يا كارلو ؟

لماذا تبكي هذا الشكل ؟ الا قات لي ما بك ؟

كان صوته يرنفخ ويشوبه الخوف : - وانا ..

- واثت . وما تقصد بسؤالك هذا . قل لي كل ما يدور
بجذلك يا كارلو .

- وانا .. وانا كيف استطيع ان اشتمل وما هي الوسيلة
لكي افعل ذلك ؟ والقي برأسه بين يديه يهزه عنيقاً يائساً .

- كارلو حبيبي ما هذا الكلام . ألسنت اكفيك مؤونة العمل
السنا كنا هنا نعمل لراحتك . اني صرت خياطة ماهرة . ولا اقول
هذا امامك متفخرة .. كلا كلا . وتلك السيدة التي تسكن في
تلك الدار الجميلة ذات الجنيبة الغنا قد عرضت علي مراراً عملاً ارتق
منه وكنت دائماً ارفض . اما الآن .. وهي متى عرفت يرجوعك ،
وسأتي باعمال الخياطة الى البيت واعمل هنا بقربك بينا انت تقص
علي ما رأيت من بلدان وبرايري ووديان وصحاري واين ضربتم
الحيام وكيف كنت تنام وهل كنت تذكريني كثيراً وماذا كنت
تعمل طيلة يومك وهل اذا كان معك زملاء من القرية وعن ماذا
كنتم تتحدثون فيما بينكم ..

ودامت هكذا بومة على ترثتها هذه الحلوة وما اعذبها وما
السبب بالليل الصدام باكراً جداً والذي يرتفع صوته بارتفاع النهار
وتتدفق انماؤه في حنجرة صافية عذبة مواتنة هي السحر الخالص
والنشوة السكونية .

هكذا كانت عطفاً فقد تورد خداهما من كثرة ما تكلمت
وكانت الهواة تشع من يريق عينيها والكلام يسابق بعضه البعض
وهو يخرج من بين شفتيها حاراً دافئاً منشأً تحيط به هالة من
الانتماء الملائكية . كان في جنبها امام الجندي وعيشها بأزوار
معتطفة واتكأه رأسها على صدره نعمة وتواضع وانوثة مما جعل
الفتى يصني اليها مشدوهاً وكأنه نسي هامته وكاد يغمض عينيها
ليستسلم الى هذا الحلم واي حلم . وفنشى على كلمة تعجز عما كان يحتاج
به صدره من الشكر ان فمثر عليها وقالها وما كانت فتاتنا لتطمع
بأكثر من ذلك :

- عطفاً لقد كدت ان تسنيي محنتي !

- ولن ادعك تذكرها أو تتذكرها ، صاحت من اعماق قلبها
وانتصت وافقة .

وكان عناق وكان بكاء .

مصطفى آل عبال

الفراشة

من الشاعر الفرنسي لامرتين



وُلدت مع العبق المرفرف فوق ازهار الربيع
وقضت مع الورد الملوّن قبل مُنْهَرُ الغُزيم
تضي على خفق النسيم الرخو في الجو الوسيم ...
فتذر من ذهب الجناح الطفل في الافق النجم
وتنام فوق الزهر ترشف مسا يشاء فم الولوع
سكروى على دفق الشذا وتراقص النور البديع ا
وهاً لمع فراشة الحقل المحضّل بالدموع
هي كالغائب ! لا تزال تضح في قصص الضامع
وتروح تطلب كل ما في الارض ... تهوّا بالبحر
فيسودّ القدر الرجاء بظلمة الفشل المريع
لثمود تشد في السماء لاذة العيش الوضع !

رجاء !

من الشاعر البلجيكي فارهاردي



واذا مت فاغضني لي جفوني بينانر عبيها عيني
والشمس لدى الفراق طويلاً فهي ترعك من وراء المنون !
وهي في النظرة الاخيرة اعطتك هولها مضحاً بالحين
تحت ضوء الصباح يشق ليلاً فوق نعشي بلهفة الحزون
اذ في الدمع اولوا من جفون اذبلتها مبرحات الشجون
كي تطاي في الخلد آخر طيف ابرصته على التراب عيوني !
آه لو يعطف القضاء فنغفر كلاكين في السرير الضنين
فاحس الشفاء قرب شفاهي واحس الجبين قوب جبيني
قبل ان يطبق الضريح وتطفو فوق ثغري سحابة من سكون !

ترجمة : فؤاد الحسن

انطوان دي بورغوس اومس

بفلم ابل سوب - كوخ

قاربة إسبانية لبنانية

بفلم الجيلي

زمنه نفيه صفر



نرفع

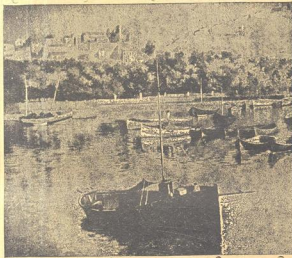
بنا آثار بورغوس - اومس الفنية، باتقانها ودقة ترتيبها وحكمتها ودرزانتها، الى ان نحي فيه مباشرة فناً كبيراً. ان اومس هو مصدر نوراني وهو اعلم من اي امرى. آخر بما يستطيع ان يفيد من النور وأبرع من استل من اضالع الضياء اشد الاشياء فتوراً بدون ان يلجأ الى عنف او مفاجأة .

يرسم اومس مناظره الطبيعية وفقاً للقاعدة الكلاسيكية ويحفظها بلباقة ويلونها تلويناً مطلقاً يزيد في سطوعها وهذا ما يدعو الى الدهش عند مصور مدينة « معلقه » الدافئة ، موطن الالوان المنيعة والزرقة الخالصة والحمة القرمزية والتورد وكل ما تجو به ملاون الفنان الخلاق ، وهو يحصر مناظره الطبيعية ضمن خطوط متزنة ، متقنة ، يوزع فيها سافاً قم الانوار والالوان التي تنفجرها لوحته ، ويضئ تصايمه بدقة نادرة كصور تبهمة عمله ويعرف كيف

يلئم هذه المثانة بالرغم من خفة ريشته . تشهد له بذلك لوحته « ميناء معلقه » حيث البساطة الكلية ومعرفة توزيع الالوان والانوار والظلال تظهر غرابتها . لا شي اجمالي عند اومس فكل شجرة وكل زورق وكل منطقة من الماء او السماء وكل بيت وحجر هي جميعاً قيمة من نور او ظل او لون وعنصر تركيب في اللاحه . اما « شارع سانت - جاك في معلقه » فانه يُظهر عيقات فنانياً فيها يختص بالخطوط

والمدى : فالشارع مسقوف يرسمه الفنان من اعالي السطوح غير ان هذا السقف له فائدته اذ انه يتيح لاروس ان يرسم في مستوى لوحته الاقصى مشهداً من الاشجار والابنية البيضاء والسماء الفسيحة ينجلي تحت فيض من النور ويهيم على كل اللوحة حتى يبدو شارع سانت - جاك كأنه مشاد في هوة عميقة . وتشهد له بذات الرعاية لوحته الدقيقة « الريدردرس معلقه » حيث يتدفق النور من الجهة القصوى ويتوزع على كل اللوحة الا على مجموعة من الشجر والنبات قائمة في الزاوية العليا اليسارية فيدور النور حول اقدام الشجر ويفيض على المستوى الثاني فيضاه على المستوى الاول المؤلفين من تلال تشورها اشعة الشمس وينخفض خطها الخلفي كي يتبع للفنان ان يرسم البحر ان البلوغ الى مثل هذه النتيجة يقتضيه تفكناً عميقاً من الصناعة وبراعة تامة في الانجاء . وتنبه هذه اللوحة بكثير من النعافة والوضوح الشفاف والجد

المزج بالغرابة وهو طابع الانقسام الشعري والمبقوية الخلاقة . لقد فتن « جبل طارق معلقه » اومس واتاح له ان يصور تصويراً اجمالياً تلاماً فخمة تتحدر نحو البحر من اعلى اللوحة ومن اليسار الى اليمين وتنتشر على سفوحها المنازل ويخاق التثو . فيها خلقاً وافياً تتلاعب فيه الانوار والظلال . ويخيل الينا ان اومس قد وقف جهده على تصوير القيم متوخياً انجاء فكرتها وعاطفتها اكثر من



« ميناء معلقه » المعرضة في متحف الفنون الجميلة بمدينة « معلقه »



أولاً ما به « قرابة إسبانية -
لبنانية » زبادة في الفساد ،
وأظهاراً لما في ازدياد الروابط
والملاصق الفكرية والروحية من
أثر حقيقي في توجيه العالم وجهته
الإنسانية الموحدة .

•

كل ما يحاوله السياسيون
لتقريب الشعوب بعضها من
بعض يظل بلا جدوى
إذا لم يسم الفئسانون
والشعراء والفلاسفة الى ان
يتفاهروا ويتحابوا الى ابد من
حدودهم القومية والشخصية ،

انطونيو دي بورغوس اومس

فهؤلاء وحدهم الذين يستطيعون ان يزيلوا الحواجز التي تفرق بين
الامم وان يجلبوا كلاً منها لفهم لغة الاخرى ويبادها شعورها لاعداد
الاتفاق الختام الذي يستطيع ان يضم العائلة البشرية ان غاندي ،
الذي لايت الى السياسة بصفة كما يفهمها السياسيون والذي هو اكثر
من شاعر وراه بصوفي ، قد عمل في بضع سنين على تقربنا من
الهند اكثر مما عملته تقارب الدبلوماسيين ورجال الدولة الذين
اوفقت انكساراً خلال الاجيال العديدة من حكمها ، وقد انار لنا
دائمي وميكيلانجيل وفوته

صورة الروائي الشهير
دون غوتز الس انابيا بريشة اومس



وبتهوفن وتولستوي وبافلوف
واينس وسياليوس ،
باشعاع مائيل ، طريق
النفس الايطالية والاسمانية
والروسية والسكندنافية
اكثر مما انارها جميع سفراء هذه
الدول ووزرائها المفوضين .
لذلك زانا نفسج بقصر
وسرور اعمدة هذه الحملة للجميع
رسائل الفن الخارجي التي تردنا
ونحاول ، بدون ان نتنازل
عن شخصيتنا بل بالاحرى كي
تزيدنا غنى ، ان نصلها بآيات
الشعور الكوني وهكذا ،

اظهار ماديتهما ، تفسر لنا ذلك الحقة القصوى في صناعته
اذ يظل ، حتى في تصويره الاجمالي ، مصوراً ثورانياً . وتنطبق هذه
الملاحظة على لوحته القريبة « اثر مورو روندا » ففي المستوى
الاول - وهو مستوى قائم - يتعالى حتى السماء ، كقوس نصر ،
رتاج من حجر اسود ، بارزاً من كتلة حجارة سوداء ، ومشكلاً
مستوى اللاحه الاول بكامله ، وفي العمق يتد منظر طبيعي لمنازل
بيضاء ، متسلقا رابية ترتدي لوناً رمادياً فاتحاً . ان لوحة كهذه تبدو
وهماً ، عنيفة المتضادات . لا يطالب اومس من النور ان يبهو بسل
يتوخيه تاطيف التأثير والتضاد مع الاحتفاظ بحقة ريشة امنيته من
نفسه . لم نشهد رسوماً لاومس بل نتخيلها بمنزلة فالصفت التي
تجيب الينا تصوير اومس لا تستقر في الرسم بل تتجسم في التصوير
بواسطة الخطوط وهذا التمييز هو الذي يشي اعجاب الاقد . من

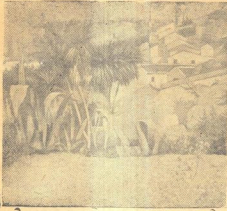


نكون دى لاكاريا

المواقف الفنية ما هو اريستوقراطي ، لطيف ، منظم ، محتم الاغواء .
يستطيع اومس ، لائقه من وجود هذه الصفة فيه ، ان يستخدم
جميع الالوان وجميع الخطوط ، المستقيمة منها والمستديرة ، وان
يعمد الى تصوير المشاهد الاكثر جرأة وهو واثق من نجاحه لان
النجاح لا تحققه حتى الافراط في المضادات العنيفة بل الاقتصاد في
هذه المضادات مع الاحتفاظ بنوع من المراقبة الذاتية . ان هذه المراقبة
هي جد تادرة وعلى الناقد ان يحجبها ابنا وجدها . كان ستران يقول :
« ان ينبوع الفن هو حب الطبيعة » واليوم يقدم لنا اومس برهاناً
جديداً على صحة هذا القول .

فرابنر اسبانية - لبنانية

وقف صديقنا البعثة الأستاذ « الجليل » على الحال المثبت عن فن
« بورغوس - اومس » وهو قيد الطبع فشاء التنايق عليه بعد مشاهدة



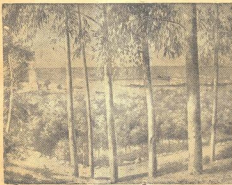
الامبارادو

الفينيقي على شواطئ. ترشيش التي خلدها حزقيال النبي، ولا تاريخ الفتح العربي الذي ترك في الاندلس خاصة آثاراً مجيدة تدل على تعاون البلدين، اسنا بحاجة الى شي. من ذلك لكي نحن الى تلك الروابط التي يوفقنا ان فصل بين وطننا كل هذه الاجيال والامال. لكن روائع فنانينا قلبي حواجز الزمن والمدي بيتنا لكي تضمننا في حضن شعور واحد خدمة حضارة واحدة. لذلك ان تترك لاهل السياسة ان يهدموا جدران المحبة التي تشيدها الفنون والآداب بين شعبينا والتي بدونها ليس من سلام ولا ازدهار يرجى، وليس من عالم فكري يكون ممكن التحقيق.

اذا صح ان لبنان يحوي عالماً كاملاً فلا ينبغي لنا مع ذلك ان نرضى بانفصالنا عن العالم.

ترجمة: نعيم صفر

لاكوراشا



بعد ان نشرنا سلسلة مقالات عن الفنون، اردنا هنادراً شيئاً لصديقنا الكبير المعلم اميل شوب - كوخ الجيني في عن المصور الاسباني الشهير انطوان دي يورغوس - اموس.

لا شك في انه لم يفت قراءنا، بعد ان اجبروا بالصور التي نقلناها اليهم دون شك، ان يفسوا القرابة الروحية التي تربط المعلم الاندلسي بمعلم فناني لبنان. الا يذكرنا ذلك الوجه النبيل الذي صورده يورغوس - اموس لاروائي الاسباني الاشهر، غوتزالس ارايا، بالنفسيه الراسخة، البليغة، المتجلية في الصور الكلاسيكية التي اتخفت بها داود قزم؟ الا يكن بين «ميناء معلقه» التي ألهمت يورغوس - اموس تشابه ساطع يتفق بالميزات وبين «ميناء بيروت» التي ألهمت مصطفى فروخ.

وها هي صور اخرى من ريشة يورغوس - اموس نسارع الى نقلها لما تقدمه لنا من براهين جديدة على القرابة ذات الطابع الخاص التي



لادرناس دل جبرلقارو

تصل بين البلدين. الا تشبه «لاكوراشا» بصارها المتهدل امام احدى القرى الرملية بعضاً من الرسوم الفاتنة التي تفتتها ريشة عمر الانسي؟ أليست «رنكون دي لاكازبا» الاخت الحميمة لتلك الانوار الداخلة التي لها صلبا الدويهي خلف احد الارتمجة الفروية. الاتوحي الينا «امبارادو» بعض المناظر الطبيعية التجميلية لجورج - بول خوري؟ الا ترىنا اخيراً «لادرناس دل جبرلقارو» مظهرأ أخاذاً من شاعرية قصر الجبل المحتاجة مع كل ورقة من اوراق شجاره، وبيي زغبي التي تتالم وتشدو مع كل زهرة من ازهار باقاتها؟ الا نجد ايضاً شيئاً شديداً بين الفنان النابية التي تجلوا لنا ريشة ماري حداد وبلاش عمون وبين معلم مناظر يورغوس - اموس الطبيعية؟ تقع اسبانيا تجاه لبنان في الطرف المقابل من شاطئ البحر الابيض المتوسط المشترك. اسنا بحاجة الى استعادة ذكرى جهود التوسع

عن روبرت بروك

ترجمته مريضى شرارة

« ولد الشاعر الانكليزي » Rupert Brooke « سنة ١٨٨٧ » وطبع اول مجموعته من شعره سنة ١٩١١ ولم يسبقه شاعر في عصره الى مثلها روعة وغياًلاً . التحق بالخدمة العسكرية بعد اعلان الحرب العالمية الاولى مباشرة ، ومات في مستشفى سفينة فرنسية في جزيرة سكروس Skros قرب اليونان في ٢٣ ايلول سنة ١٩١٥ بمرض التسمم الدموي « Septicæmia » وفي سنة ١٩٣١ أقيم للشاعر تمثال نحاسي كبير يشرف على بحر ايجيه . »

وذلك الكوكب الفضى الذى يتوقد من بعيد
ربما كان قد خبا وعاد تراباً وظلاماً
قبل عشر من السنين او عشرين
قبل ان يشرق على وجهه حيدتي ا

آه . في عالمنا الارضى ، بين زحام البشر
كثيراً ما يتنادى قلبان
استحال واحد منهما الى تراب منذ سنين
قبل ان يسمع الآخر نداءه
والقلب بعيد عن القلب - فؤيا
بعد الكوكب عن الكوكب ا
مريضى شرارة

مري

المهاجر جراح
والامد يستسرق منها مدي
والزمان على بابها جاش
يستوي
والاكوان على افنانها
انتظار ..
عشق وتنافس
وعلى جذوعها امواج الالم
جود

ستسخر شفتاك بكل قديم وورزين
وستملأ ضحكك العالم بالاييب
وسأكتب اسمك بحروف من تار
على رقعة السماء الباردة المنكشة ا

الى ان تفرق السماء
وقوت الجحيم في نارها المجردة الصاخبة
ويهرب الظلام بعود مساحقة
على الماني الرجال وحلالمهم
ويخيل ان في تلك الاماكن الحارة
سوف يرتعد الموت فوقاً
- وهو يسترق الحطى -
عندما يلعب وجبيننا
خلال الانهابة المظلمة ا

وهكذا سوف تدركنا النهاية الحالكة
- مكلاين بالحلب المطلق -
شخصاً واحداً .. وروحاً واحدة
وحيدين فوق ظلام الليل
فوق رقعات الآلهة الهالكين - وحيدين ا

فؤيا

ان النجوم التي تبدو لامعة متقاربة ،
يرقبها العاشقون طوال الليل ،
تسبح في الفراغ ..
لتفصل بينها مئات الاميال والسنين

الغراء ..

العود تدوي في الاعناق ،
خارجة من ظلمة الزقاد ،
والاحلام الثقيلة في الابدية
وها انذا قد جئت .. لائك ناديتني ا

لقد حطمت القضبان في سجن الليل
وتحديت لعنة الظلام القديسة
واندفعت كالاييب بين مجموع
الكواكب المذعورة
فجأة على الكون ا

وتحطم السكون الابدي
واستعالت الجحيم فردوساً
تحت اقدامي العابرة
فما عساني احمل اليك من هدية
لتدل على اننا تلاقينا أخيراً ؟

سأشتت النجوم وانظلمها من جديد ا
وابعث السجاوات بأغنية ا
وسوف ابقى - الى الابد -
على عهدي القديم
لان حبي لك .. عتيق .. عتيق ،

التوا.ات .. جبال ووديان

ومنها سرور العيون

مهموم ..

فاسارتوا الزمان

حيث الآفاق

.. وكان اعاصير

تضرج السلام

والوغي لؤم ..

وهن ثوبها المديد

وانبثت اوراقها الصفرة

هيا ..

براهها النوى

هدم وبناء

تقلص الامسد خجلاً

ومر الزمان قهقهة ..

ونسيم حلو

صعد من قلبها المنعني

خيوط خضر

الى المجهول

ولحن مما

دموع تمر

وفي الاغوار ذواب

لماذا التلون

لماذا الشقاء

هناك نور ، هناك ضياء

ربما ملحن

من القبور

الى كوكب المربة « المرء »

•

سأصعد يوماً الى امنيتي ..

الى ما وراء النجوم .. عالياً

الى ما وراء الانثى .. بعيداً

سأصعد حيث أبعث بالنور ..

لا الى حيث استمد النور ..

سأترك الارض ما للارض ..

والقي بنفسي على الصخور

في ساعة من ظلام الليل ..

فليستيقظ الفارقون في احلامهم

على اصوات السلاسل .. الداوية

المسابطة بي الى الهاوية ..

افرحي يا نفسي وتمللي .. فليعتقك الناس

وليأخذوا وزرهم .. يكلوا به من يستسلم

ولتفرح بلقائك

اشباح الليل ..

سأموت في سبيل الحرية ..

سأعاني الابدية .. وسيف الحق في يدي ..

ما اشرف الموت في سبيل الحرية

وما احقر الحياة في ظل الاستسلام

الموت لاشرف ما اسعدني ..

سأرتقي على اجنحة سوداء .. خفية

اسم خفي في سكتة الليل ..

سأجيء الى ذلك الشيخ الخفي

الكرامات بين الاعاصير والواصفاء

فلتفض بي العاصفة الى حيث شامت

انها حرة

ما اسعد من رافق تيارها في هبوبه

سأهجر عملاً

يطاردوني فيه ليعتقوني ، ليزيلوا

بجسدي ظل الموت عن اجسادهم ..

اذا فرغ جهي ..

اجعل من النجوم المتوجة في الفضاء

رمزاً لافكارتي ..

فليحلبها من استطاع ..

ومن حل رموزي .. يسلك طريقي ويتبعني

الى اللقاء ..

الى عالم الحرية ..

الى الكوكب العالي

الى الخلود ..

سأرافق الضباب يوماً ..

واتزل تحت ستاره المتوج رويداً ، رويداً ..

واضاً لكم اسراري

في بسم الزهر المسترخة

على قم الحبال ..

اني اسمع انديكم

بمزجاً بجزير السواقي

اني ارى حاكمكم .. وظلمه

ذلك الصخرة التي تساقط عليها دموعكم

انها صبا ، بكما ..

لا قبالي باستغاثتكم .. وانيتكم ..

اني ارى آسالككم

تصاعد مع دخان سراج

نوره ضئيل ..

تغيب عني وجوهكم الصفراء ..

مساكين اتم ..

ايها المكبلون بسلاسل .. الطمع

الراحتون تحت رحمة حكام ظلام ..

هلوا .. هلوا .. حلوا رموزي

اسلكوا طريقي .. واتبعوني ..

الى الموت

الى الحرية

الى الكوكب العالي

الى الخلود ..

ادخلوا القبور طوعاً لارادة ربكم ..

ولا تهابوا الموت

ثم اهجروها في سكتة الليل

افرحوا واضحكوا عالياً

ارسلوا الانعام الى اولئك المساكين

الراقدن في السجون

نادوهم وايظفروهم ..

انهم نيام ..

فليسلخوا طريقكم ويتبعكم

حياة

فوق امواج المحيط

لشاعر ابيس سرجنت

حياة فوق امواج المحيط المتعانة
ومثل على المياه المتلاطمة الصاخبة
حيث تهدر وتجول المياه المتفارقة
وتتراقص فوقها برشاقة الرياح المرحمة
اما انا فعزير كسسر اسير مقيد
على شاطئ منمنزل عمل
إلهي! انجني البجسار المشرقة
ورذاذ الماء الناعم
وصوت العاصفة الخفيف
واخيراً أني اقف مرة أخرى
على ظهر سفيتي الحفيضة السريعة
وقد رفعت شرعتها البيضاء
ودعة الشاطئ الكتيب
والزوجة المتربعة تذبذب عن كتب
مختقة خلال الزبد المتلالي
كطير المحيط اطلق سراحه
سنجد مأوى لنا في مكان بعيد
على امواج المياه الشاسعة
لقد اخفت اليابسة عن انظارنا
واخذت الغيوم السوداء تتجهم في السماء
وستعدي بسفيتنا العاتية ومجارتنا الجارية
هجوم الزوابع وهبوب الاعاصير
وستكون انشودة قلوبنا
يلها تصفر الرياح المزبجرة
وتزأر العواصف القاصدة
بيت على البحر المتلاطم
وحياة على امواج المحيط المتواتة

ترجمة: يوسف بشارة عبود

ودموع انتظاري ، تحت هطول
السنين ، جرت من عيني غزيرة ، كالنجوم
على خدي ،
ويا لهفتاه ! ، قد احترق وردتيها .
كفالك ، ان شدة تعطشي اليك يدفعني
الى هزيمة شعري ، ومن شراب كاسك ،
لا ازال ثمة ...

ومن غياب قامتك الزاهرة ، لا ازال
في ثياب الحداد ...
وعلى اثر ذكراك ، تحمس كالرياح .
ومن قروح ركبتني ، على ابواب
المعابد ، الفت نحو المغرب متضرعة :
آه ! لو يست البهار ، ولو يوماً
واحداً ، والتقى المان ، ولو طرفه عين ،
لاستنبتت عن الشمس والنسيم .

ارجع ، انني انتظارك على عتبة دارنا .
ويدي الخاليتان من يديك ، تجملاني
احلم بك ، وانا في حداثي .
ارجع ، ان عيني الحلو ككافور يستأثنا
يحفظ لك حلالة قبلاقة .
واو ! ان اجني ، لم اتعرفك . بعد

الى الامومة
ولم اتكن بعد بجملة زفاني ، ذات الحويوط
النهبية ، ان احلي رضيعاً ! ...
وامام مهد طفل لم اغن . بعد ، لم اغن ،
غناء الامهات ، السجاوي .
ارجع ، لم يبق لاشراقي من قفة .
وعندما يحل الليل الظالم ليسط
اكفائه ، تأخذ البوم ، في ساحة الدار ،
تغنايب .

وعندما تنفذ نهداتي وتدمى دموعي ،
وانا منفردة في احلام عروسي المجهور ،
اراني كالجنية ، اغربل تراب قهري
الداني ، على رأسي ...

هلب ترجمة: سائو سائو باه

الى سالم الحرية
الى الكوكب العالي
الى الخلود ...
**

اذا هزأ بتوكم الحكام
فمناك ... نسأت رطبية ... تفرح بلقاكم
تقلكم على اكتافها وتصعد
بكم الي حيث انتظركم
الى الالقاء
الى عالم الحرية
الى الكوكب العالي
الى
الخلود ...

بيدا - لبنان جوزف كنعان الطول

احلام عروس

لشاعر النورني سباماتو

لم يمس على زفافها اسبوع حتى هجرها الى البلاد
الناحية طالباً للرزق . وطال غيابه وطالت احلامها .

... اعرام ، واعوام ! ، وانا جالسة منفردة ،
امام نافذتي ، انظر الى طريق رجوعك ،
انت المغترب ، يا فلة من كبدي .
اريد ان اغني لك هنا - مرقاخرى -
لواعج ، روحي وجسمي ، المنتمة ...
آه ! ألم تذكر شمس يوم سفوك ؟ غزيرة
كدموعي ، وحارة الانفاس كقبلاقي ! ،
حالة كوعودك كسريرة كرجوعك الموعودا .
ألم تذكر شمس يوم سفوك وادعيتي ؟
لما سكبت ماء جرتني فوق خيال حصانك ...
لكي تتراجع البهار من امامك ، ويژهو
اليس تحت قدميك ...
اه ! ان شمس يوم سفوك انقلب
الى ليلة مظلمة ...

آمن بالناس

بفلم راجي ظاهر

الذكريات المتردة



الناس ، والكتباب منهم بوجه خاص ، ميل غريب الى توديع السنة الماضية ، التي استردها الزمان من حياتهم ليعطيها الاجيال التي لم تولد بعد ، بالرجوع اليها والتمسك باذيالها رغبة في استبقائها قليلاً قبل الزوال . ولكنهم لا يلبثون ان يدركوا انها من حيث دروا وما دروا قد افلثت من ايديهم واخذت معها قسماً من احلامهم وولدها انهم . وعندها يستجمعون قطرات السنة المنصرمة قطرة قطرة فيقولون انها نهر ثم يصنعون لانفسهم قارباً مسجوراً صغيراً يبنونه من الرؤى والخيال المتنجس . ثم يركبون فيه يجولون ويهمون على صحيفة مياه هذا النهر الفاتن .

يجولون ويهمون ثم يرجعون : منهم من يحصر العالم كله في ذاته فلا يحصل من جولاته وهياته في ماضيه الا على ذكرى تبهج وتفرح وما هي سوى نتاج خياله المعطر . او عهدة تحزن وترجع وما هي سوى نتاج الهم المخدر . ومنهم وهم قلائل يعرفون مكانهم من الكون فهؤلاء يرجعون من تجوالهم بحكمة جديدة توسع آفاقهم وتغير سبلهم في الحياة الدنيا . حكمة تجعلهم ينظرون الى بنات الزمان ، السنين ، كأنها قطرات من نهر الحياة الذي يخرج مسن بحر الروح الكهري الخالدة ليعود اليها . وانه نهر « كل قطرة فيه اغاها » آخر القطرات التي سبقتها واول القطرات التي ستاتي بعدها « واكنها كلها » كلها ، تؤلف وحدة تامة . فأجل القطرات ما تقم على قفر فتحييه ، او تبت فتحميه ، واجل حياة الانسان ما ينطق منها

لاجل خير الانسان لاسعاده وتجميل دنياه وكشف النقاب عن اسرار الوجود التي يقف العقلاء حيالها حيارى حزانى .

في القارب المسجور

صعدت لي اليوم بما اخي القاري ، قارباً مسجوراً وركبت فيه واخذت انظر في مياه نهر سنتي الماضية : في ايامها . واتأمل نفسي تتقاذفي الامواج وتلقي بي على صخور الحياة : هنا وهناك . هكذا يوم ارايني فيه مكسداً مجدداً لرفع تمثال ، ظننته ، لجلي ميل زعامة واعية تحيى عباد امتي . حتى اذا حصص الزمان وجدت تمثالي : بلا رأس !

.. ومررت في الايام تباعداً دراكاً توابكها رسوم الحوادث التي تركت في ذاكرتي اثرأ وهي مرسومة بمختلف الاشكال والالوان . فتارة تمثاني اعنست الارض في ظلام مدغم . وطوراً سائرأ جبورأ كأنني ارى بصيصاً من بارق امل . كل رسوم السنة الماضية مرت وولت الاربحاً واحداً بقي يلازميني وهو رسم زائر غريب زارني مرة على غير موعد في اواخر السنة المنصرمة والقي علي دون ان اسأله غظة تركت في نفسي اعمق اثر واجل ذكرى .

الغظة

اذكر انني كنت في غروفتي . وكان الوقت ، اذا كان لا بد لي من تحديده ، عند الساعة الثانية صباحاً . وكنت قد قضيت معظم ليلتي اكتب مقالاً اركب في كل كلمة منه رأس حربة واسقيها بالحدق والثقة على الناس والدهر . وكانت افكاراي اسود من ليلتي . فلقد زعمت ، وكنت قد زعمت ، ان الناس اغليبتهم

الساحقة على الاقل ، مغفلون تغفلاً ، مطبقاً فلم يكونوا كذلك
لفسوفي ومقصدي النبيل في الحياة . وان الدهر احق من الطراز
الممتاز لا يقدر قيمة خياره حتى قدرهم . فتراه يقيم الحواجز والعراقيل
امام الحكماء ، والمقلاويزيها من امام الجاهلاء والاغبياء . واندفعت
اجري وراء هذه الافكار السوداء حتى احسست بريح الشتاء في
مقلبي وآنتت بانه خير لي ان اعيد الى صاحب الارواح نسخته التي
استودعني اياها وانا شاكر معتذر : فساني قد كرهت العيش في
« وادي العقوق والشقاء » كما يصف عالمنا بعض رجال الدين ، وان
كانت كلمة « عقوق » من عندياتي .

وبينا انا في هذه الحال اذا بباب غرقتي يطلو ويدخل حضرة
الزائر الكريم الذي ذكرته . ولم تكن مينائي قد بصرت بها سابقاً
وعلى الرغم من ذلك فقد خاطبني مخاطبة الصديق الحميم الواقف على
حقيقة سري وامري وقال لي :

« صمتك تشكو من الناس ومن دهرك فأنك في ذلك شأن
ابناء جنسك ، فاصبح لي ان امحضك النصح .

« ان الناس ، يا صاحبي ، لا يريدون لك شراً ولا خيراً . وهم لا
يتخذون ايامهم ينكسرون في اهلاكك والحؤول دون نجاحك وفلاحك
كما تظن . ان لهم من مشاغلهم وشؤونهم ما يكفهم .

« والناس ، يا صاحبي ، يريدون مساحتك متى عرفت ذاتك
اليهم واظهروا لهم انك واحد منهم ترغب ان انقل منهم دورك
في الحياة بكل ما في هذا الدور من المآسي والسخافات والمتاعب .
وصدقتي فيا انا قائل لك . ان قلوب الناس حتى النيبوركيين منهم ،
وهؤلاء من غير شك في الدرك الاسفل بين البشر ، ليست قطعاً من
صخور الصوان التي بنوا منازلهم عليها . بل قلوب فيها جميع متناقضات
الحياة فيها الحب والبغضاء . الاخاء والعداء . انهم اقوال مجني
الانسان منها ما يزرعه . فكأن انت ، يا صاحبي ، من زراع الحب
والاخاء والرحمة في قلوب الناس ا .

ومضى فقال : « ليس الناس خادعاً او عذوفاً . وانك تأبى
ان تكون احد الاثنين كما تقول في نفسك . بل هم
مزيج منها وفي الغالب دون ان يعلموا او يشعروا . فأود ان تحبهم
على الرغم من ضعفهم ومسكرهم وخبيثهم .
هذا هو حكم الرجولة . هذا هو الايمان الحقيقي بالله . وان
تسمى الى خيبرم وهم يطعنونك بالهبة ، مدوسة بالالم والشقاء . ولا
تقل ، يا صاحبي ، ان يسوع الناصري جاءهم قديماً يسمى الى خيبرم

فصلوه . وانك انت لا ترغب في الموت - صلباً ! ان الموت صلباً
لا يرغب فيه احد حتى الذين لا يموتون - كرسوع .

« على انني اود ان الفت نظرك الى امر اراد خافياً عليك وهو
انه اذا كان الناس قد صلبوا يسوع فان الناس ايضاً قد رفعوه الى
قمة الالوهية وغرورا امامه سيداً .

« واذا كان الناس قد قتلوا وحرقوا كثيرون من حماوا اليهم
. مشاعلم والم والعرفان فان الناس ايضاً قد نصبوا لبعضهم التائيل في
المكان نفسه الذي حرقوهم فيه . واعتبروا لهم بالاسبقية في
الحكمة والنبوغ وانصفوهم من اهل ازمتهم الحقى .
واستعزذوا قائلاً :

« والذي اراد ، يا صاحبي ، هو ان الناس ليسوا ملائكة ولا
شياطين . ليسوا محلاتاً ودعة ولا ذئاباً ضارية . انما هم كالطين
الخوفي في يد الفنان . فان كان الفنان (واعني به طبعاً - الزعيم
الروحي والسياسي) رجلاً عاقلاً حكيماً صنع منه التائيل الجليلة
التي ترفع النفوس الى الملائ الاعلى . وان كان جاهلاً شريراً صنع
منه وجوهاً ضارية تقسد على الدنيا جمالها وبهاها .

« فكأن ، يا صاحبي ، من رسل الحكمة والعرفان . آمن بالناس .
آمن بشمك . فان ايمانك به جزء متمم لايمانك بالله . وحسب الحياة .
الحياة المولدة لثقافة الانسانية . واياك والاصفا . الى الذين يزهدونك
في الدنيا انهم يتناقضون في الحق ويتاجرون بالضلال . فساني ما
رأيت احداً منهم الا حاليماً لدنياه بكتلتا يديه .

« وهو ما يكن من شر الظلام الذي يضيق عليك انفسك الآن .
فانه من الخوف لك وللناس ان تشمل شمة صغيرة من ان تلمن الظلام
كما يقول الصينيون .

« فاشمل شمعتك واحسن من هذا اجمل حياطة شمعة تشتمل
تنتشر امام الناس الشماع الذي يضئ . لهم ظلمات الحياة .
« وسواء . انجبت مماؤك ام بقيت كما هو حالها الآن دكنساء .
مكشورة ابق مجاهداً لاحقاق القيم الخالدة التي وحدها تجعل للحياة
قيمة ومعنى . ابق مجاهداً مؤمناً بعدالة ربك وبفسك ورسالة
امتك الى نهاية الطاف ا .

بعض ما قاله زائري الكريم ذكرته للقراء .
قبل ان تنسج عليه العنساكب نسج النسيان
لعل فيه فائدة لمن كان مثلي .

هذا

نوبوروك
رامي ظاهر

من المساء الأخير

أعدك، اني سأطأ سائرًا الى الامام دائماً ، الى فوق دائماً ، الى الاعماق دائماً ،
ولن تعرف نفسي الموت ، بل دائماً ساقدم لك وجهي بضيء بالنور والدموع .

في الافراح ... في الاحزان ، وفيما
يلد لها الزمان .
انها بئسمة يا الهي فلتكن لها
الاب والشقيق ، وفي الدجى الحاطر
الرفيق .
وهي وحيدة يا الهي فلا تدها
بلا دف . بلا رفيق ، بلا نور في
الطريق .

عندما اقبل المربع الرابع كنت قد
اقتمت صورتها ، متألقة كألمها ، مشتعلة
كحنينها ، ورقيقة كحنانها . وبغير ما
انتظار للفجر ذهبت في لفة اسدو نحو
دارها ، وفي برودة السحر ايقظتها وأنا
اطرق بابها ، فقامت ، وفتحت لي قليباً ،
تطلعت الى هذا النرب الذي سيراها
وحدها .

وفي فرجة الباب رأيتها ملففة في ثوبها
الليلي ، تقدمت اليها اللوحة في فرح وانا
اهمى : تالك صورتك يا سيدتي ! فاشتعلت
شفتاها بانسامة حزينه وهي تأخذها ،
وطظلت في انتظار وقات وانا اراها تاملها
كأنها في دشة ، بينما كان عطرها المختلط
بعوده السحر ينفو مع أنها ما عرفتني .
ومن فرجة الباب اعطيتي ما اعطيت ،

في انكسار . وينتشر منها اريج عفيف حين
اصابي امام هيكلك كل صباح وكل مساء .
انت قد لا تعرفني يا الهي لكنني
واثق من حبك لي .
فأنا جزء منتشر في ضباب الكل ،
وانا واثق من حبك الكل .
وانا لا استطيع ان اعرفك يا الهي ،
فهب لي حبك .

انت تعلم اننا فسانون ، فهب لي ان
احبك حتى يحوييني الحلود ،
وانت تعلم اننا ناقصون ، فهب لي ان
احبك حتى يحوييني الكمال .
وانت تعلم اننا محدودون ، فهب
لقلبي يا الهي ان ييم باللا محدود .
وقلبي سيعيد الممكن حين يبلغ الايمان .

انها بئسمة يا الهي فلا تتركها .
بلا دف . بلا رفيق ، بلا نور في الطريق .
وهي عابثة يا الهي فاغفر لها .
صياحها وقفزها في الهيكل الرهيب .
انها بئسمة يا الهي فامسح علي
أنثائها . . . آلامها . . . وكل دمة في روحها .
وهي صغرة يا الهي فاحتضنها .

كنت في احضانك كالنجم بين
الجبال ، لم اكن ادري انك
تظليتي فا عرفت من قبل العراء . وذات
يوم اقبلت غيوم أذنت لها ان تسيل حتى
دفعتي منك وحين رحلت اذتقي في الهاري
والسهول ذكرت الاحضان التي ظلمتني .
اننا نحن حين نتعرب ، ونضع مسافة
بيننا وبين كل جميل زيدان تامله ، وعندما
نلحد نستمتع بما يحنفي وراء غشاوة الايمان
واسألك يا الهي ان تهني القساسة حتى
استطيع ان احصل عليك وانا اقرب منك .

اغفر لي جرأتي . .
فعين خرجت ، هذا النجر ، الى حديقة
ابحث عن وردة اضمها على هيكلك
كمادتي كل صباح ، وجدت الجفاف قد
اخذى كل الورود ، والماءسة السني تهب
منذ اعماق الليل لا تزال تذري الاوراق
الشاحبة الصفراء فجتك الآن الهي
ويدي فارقتك .
واغفر لي جرأتي . .

حين اسألك ان تمجد قلبي التعبودة
لا يصيبها الجفاف ، تزيدها المواقف جلالاً
وازدهاراً ، ارفعها اليك كما خفت نفسي خفة
وهي فرحة بك في انتصار او لاجلة اليك

دف الجمر

كنت في طريقي الى الصمت الكبير ،
وانا أرسل انغام نائي كي يلقى حسا
اصداقائي احوال الطريق .
وحين مررت بها حسبت اصوات نائي
ازعجبتها ، فأخضتها وهزلت .
ولما أردت ان اعود اخبروني انها
سبقتنا في الطريق .

في كل شتا يحدث ان ينهمر المطر
في قلوبنا ذات ليلة فيزعج الناس .
وفي الصباح تهب العاصفة لكن بلا
الوحل الطرقات . ثم ترسل الشمس شعاعها
يخفف آثار العاصفة . وفي الظهيرة يعود الناس
يشون في الطرقات .

الليلة أعددت وليتي الكهوى .
فاذا مررت امام دارى في المساء ان
اناديك كما تعودت في طفولتي .
بل اذا كنت في جوع ورائتك رائحة
الطعام ، فأرحب بك وانت تدخين .
اما اذا كانت نمة مباحج في الطريق
تشغلك عن طعامي فأدعك قرين .
متشمتاً بوحدي وانا انهم وليتي
الكهوى .

تقدم ولتأخذ ، والا عدت فارغاً ؟
فلن يتصدق احد عليك .
وحين تأخذ ستطلب المزيد ، والا
فانك ستسحب الجوع من جديد .
ولا تتصدق اذا ما سرى الدف . فيك ،
لئلا يصدومك حين يرفضون .
بل امسك تاك وانفع فيه افواحك
عالم ينشرون .
فيتقدمون هم ايضا يأخذون .
بوسف الكاروفي القاهرة

في دف سار لدى قم شطاء .
اي نجوى ؟ غير ارتساش دم الموت ؟ مهلاً لدى جليد العصور
يتعلاه خاطار ، يا لوهم
يتطلى الضياء ، في سفويات
عدم ازرق النيوب ، وفع
انا وحدي هنا اجلل في الصمت ذيولي بلاهة المقدور ،
كم سؤال يكاد ينجح ذعراً ؟ عن حدود تكسرت عن مصير
اسعبي شالوك المزعج يا ارض سأختار مطروحاً لمسعبي
عربي يلهو برقص رهيب فوق دنيا اضحكة من قبور
من هنا تحت موطني ، تنفض الاجداث اوعاد مارد من سبيع
واكراً هم جناحه أفيات دولاً نسجها حطام شرور
لعباً من لداثن ، يحطم الزمان هياكل جلالته في الجبور
ن تنوي يا وحدة العرب السمراء ما دمنا رجباً في شموري
علي محمد سق

محم

الضل جميل الوجه . وكانت تفخر به
قائلة : هذا خلاصة من نور عيني ودعوى
ليالي . ثم جملة تبعتها لي في فرح قان
عن شريكة حسنا .
لكن حدث ذات يوم ان غرق الشاب
في نهر قوبتنا ، قلت لهم : لا تنزوها بل
اسكبوا معها احزانكم ودموعكم .
لكننا شاهدناها تصيح : لن يموت بعد
هذا ، لن يموت بعد هذا ثم راحت تضحك
وهي لا تزال تحيك بايرتها ، لهذا يجب
الناس ان جارتنا مجنونة .

وعيناها المنفورتان تهسان : لقد اخطأت
المكان ، ليست صورتني يا سيدي ، فرجعت
اقتري في خجل وانا اصنع تنهات خلف بابها
المردود . ورحلت انشرد في الطرقات
اتأمل في حيرة صورتها على ضوء السحر
واقفاً اني لم اخطئ المكان .
حتى اذا ما انبثق العجر رأيتني يا الهي
اتأمل صورتني !

لنا جادة يحسبونها مجنونة ، ترمات يوم
ولدت وحيدها فجعلت تسهر الليالي تحيك
بايرتها كي تربيه ، حتى اصبح شاباً قوي

مجد الجنون

بلم برع نهي الدبره

كاد

مسعود بك يصبح اضحكة قويمه اللبنانيه «عين اللوز» مسكين مسعود بك الي اي هوة سحيقة هوى بعد ذاك العز القديم! الا يدعي انه كان بالامس من مقوفي السلطان؟ الا يروي انه كان اذا مر في شوارع اسطبول مرتدياً لباسه العسكري وقف الناس اجلالاً له وحياء الجنود على مسافة عشر خطوات ؟ . مسكين مسعود بك لقد زلق به الدهر كما زلق بالسلطان ومقوفي السلطان فانزوى في عين اللوز .

بلى ! بقي له من عزه النابر تلك القائمة للمدينة الحبارة وشاربله المعقوفان . . وقصره في اعل القوية على ارفع قمة في ذلك الجوار ، قصره المشرف على البحر وعلى الوديان التي تفصل بين عين اللوز وجبال « نبحا » . بلى بقيت له على اهل القوية بقية من هيبة ورنها عن جده ملحم بك العالمي زعم المنطقة وابع فرسانها على الاطلاق ثم عن ابيه فارس بك الذي لم يفتأ اهالي عين اللوز وجوارها يذكرون حداثته التاريخية يوم صفع والي بيروت واستدعي الى اسطبول ثم عاد منها ممزراً مكروماً .

كل هذا لم ينس اهالي عين اللوز ولو انهم نسوه لتكفل مسعود بك بتذكيرهم اياه . مسعود بك سجل تاريخي يعرف عن عائلات لبنان الارسطوقراطية والبيوتات كما يسميها ما لا يعرفه احد غيره ويحفظ عدداً من التوارد والحوادث لو التفت اليها التاريخ لوجد فيها اثن الكنوز . صحيح ان اكثر ما يرويه وليد تخيلته ، ولكن ما يصفه المؤرخين - على حد تعبهم - لو زادوا على التاريخ ما يجعله جيلاً جذاباً . .

لم يكن في عين اللوز من يجمل ان مسعود بك لم يقادر لبنان يوماً من الايام وان اطول سفره قام بها في حياته سفرته الى عكار يوم قبله ان احد الاغوات يقتني ميراً يساوي ملك الارض فقصده راغاً في المهر فلم يحصل عليه فعاد الى عين اللوز مساراً في بيروت مكتئباً بأن يشتري منها سرجاً وعناناً لاحد مهاديه . ولم يكن احد يجمل ان مسعود بك لم ير اسطبول الا في خياله وفي الصورة المعلقة في قاعة الاستقبال في قصره ، فوق الباب ، بين رسم ابيه فارس بك متروكاً على دكة عالية وقد نظر في الرسام نظوة يقدح منها الشرر وبين رسمه هو نفسه وقد امتطى ميراً اشقر امسك عنانه بيدها وسهر في ناته سيقاً ولكن الحصان كأنه ينقض على عدو جبار .

لم يكن احد يجمل اذن ان قصص مسعود بك وليدة تخيلته الحضيبة ولكنهم كانوا يستعيدونه اياها لما فيسا من المتعة وجبل الرواية . كانوا يجتمعون عنده في اكثر السهرات تدار عليهم القهوة ويتسامرون . ويبقى هو صامتاً يصفى الى احاديثهم حتى اذا وصلوا - ودافعا كانوا يتعمدون الوصول - الى ذكر الحيل او الى ذكر العهد المماني سمحت الحضور وتسلم مسعود بك الحديث لا ينقطع عنه الا متى غاب عليه الناس . وتلك القصص كان بطراً عليها في كل يوم تعديل جديد فتتجول مع الزمان وتتخذ اشكالاً متنوعة ، متناقضة في اغاب الاحيان . . الا قصة واحدة كان يرويها دائماً بلا تحوير ، تقاصيلها واحدة في كل مرة والتواريخ نفسها والارقام ثابتة بمخاضها لا يتغير فيها حرف واحد من يوم الى يوم . تلك كانت قصة « ممركة » شنه قلعة » حتى لقد كاد اهالي عين اللوز

قصّة

يصدقونها ويؤمنون بها .

« مرة شنه قلعه كان . مسود بك يتجنح دائماً قبل ان يبدأ روايتاً ويؤد على نفسه في مقعده نصف دورة وقد تربع كما تربع ابوه امام الرسام ، ويشرب من الابريق جرعة صغيرة وير قفا يده على شفتيه وشاربه ويقول « اي نعم افندم . . » . « اي نعم افندم » تلك تعني ان مسود بك وصل الى الحادثة التي يمشق ذكرها ، تعني انه وصل الى موضوع حياته ، وانه لو لم يكن هناك شنه قلعه لما كان هناك مسود بك . . . وتعني كذلك ان الحضور سينصرفون بعد انتهائه من قصته لان مسود بك لا يستطيع ان يروي شيئاً بعد ان يروي شنه قلعه .

« - اي نعم افندم . . . كانت الحرب على اشدها بين الدولة العثمانية العلية والحكومة الباغارية . وكان لابد للجيش العثماني القادم لاجدة اسطبول المحاصرة من الاستيلاء على قلعة موقفة تشرف على سهل فسيح وتدعى شنه قلعه ، احتلتها فرقة من الجيش الباغاري واخذت تصب على كل من يقرب من السهل والبلد من الرصاص وكانت يومئذ قائداً لكتيبة من الفرسان وعضواً في اركان حرب الجيش الزاحف الى نجدة اسطبول . وفي إحدى الحوادث التي قدناها الشدرة اقترحت ان نقصف القلعة بالمدافع الثقيلة ونهاجمها كتيبة الفرسان واناعى رأسها . وبعد اخذ ورد وجدال ونقاش قبل اقتراحي بالاجازة وقرروا ان نقوم بالهجوم عند منتصف الليل .

« اي نعم افندم . . . بدأت مدفعيتنا في اول الليل تصدق القلعة بشكل متواصل فتجيبها مدفعية العدو بلا انقطاع . وعند منتصف الليل صدرت اموري بالهجوم فهجمنا . . . هجمننا لا تبالي بالرصاصة المنصب علينا وكنت استحث الفرسان فيلبون نذاني حتى وصلنا الى ابواب القلعة وانطلقنا عليها . عندها خوست مدفعيتنا وخوست مدفعية العدو . ودخلنا القلعة من الفوهات التي فتحتها المدفعية في السور وتقدمت وحدة من كتيبتنا فاضربت النار في مستودع الذخيرة والتجمننا نحن مع العدو بالسلاح الابيض . كانت ليلة من ليالي العمر ، النار مندلة في ارجاء القلعة تلتهمها السهام . ومستودع الذخيرة يتطاير في الجو فندسم للانفجارات المتواصلة دوي رافع . وكنت تارة اقاتل وطوراً ادور على الفرسان الضخيم وابحث فيهم روح الثقة حتى تصلبت نفوسهم وآمنوا بالنصر . وما ان بزغ الفجر حتى كان الظفر مجانبنا . قتل من قتل من الحامية واستسلم الباقون . »

كان يبلغ الحماس بمسود بك هنا اعلى الدروات فينهض من مقعده ويدور في ارجاء القاعة كأنه في القلعة ينخي الفرسان ويقوم بحركات عصبية متمدة كأنه « شبتك في براز وينظر الى حيطان القاعة كأنه يرى من خلالها النار المنذلة من مستودع الذخيرة ثم يروق قليلاً قليلاً وتهدأ اعصابه وينهي قصته : « - اي نعم افندم . . فتحتا خيشنا طريق اسطبول وفككنا عنها الحصار ودخلناها بين زغرة النساء وهتافات الرجال . وكانت اخبار المعركة قد سبقتنا فرايت الناس يشيرون الي والى فوقتي ويتهاسون : هؤلاء منقذونا . وكم من امرأة انكبت على قدمي قفلتها في الركاب » .

كان يقف مسود بك من قصته هنا وينام بعدها قویر العين . ولكنه في إحدى السهرات عندما انتهى من قصته وهم الزائرون بالانصراف استوقفهم على غير عادة وعاد يتحدثهم عن يوم النصر ، عن يوم دخوله الى اسطبول . راح يعظم ذلك اليوم وينغم الملقى ثم فاجأهم بحديث هائل . اخبرهم انه سيدخل اسطبول مرة ثانية على رأس فرقته دخول الظافرين وانه سيسمع من جديد زغرة النساء وهتافات الرجال وير تحت اقواس النصر يننا تلعلع الاسهم النارية في الفضاء . وتطلق المدافع ابتهاجاً باليوم التاريخي الكبير .

منذ ذلك اليوم ألف أهل عين الازر ذكر يوم النصر المنتظر واخذ مسود بك يعد المدللة . يتزل الى بيروت مرتين او ثلاثاً في الاسبوع ويعود باليارق المزر كشة وبالاسهم النارية وصفائح البترول . وكان من شهر الى شهر يبيع قطعة مما بقي من املاكه او فرساً من اسطبله ويشترى ما تقع عينه عليه من ادوات الانارة والتزيين حتى حشيت بها اقبية القصر حشواً .

وموت الاليم في انتظار يوم النصر ولم يأت وثقلت على مسود بك المصاريف ولم يبق من املاكه ما يقيه شر العوز فوهن قصره واستدان ثم اضطر اخيراً الى بيع قصره قباعة .

فكر مسود بك كثيراً قبل ان يقدم على التخلي عن آخر حلقة تربطه بابيه واجداده ، ذلك القصر الذي تحفظ كل زاوية من زواياه ذكرى من ذكريات آل العاملي . . . ففكر كثيراً ولكنه اقدم على البيع .

كان مسود بك يشرف على نقل ما لم يبيعه من متاع القصر الى بيته الجديد في اسفل القرية والدمعة في مينيبة والقصبة في قلبه وكاد ينفضر باكياً وهم ينقلون صورة ابيه من قاعة الاستقبال في

القصر الى غرفة نومه البسيطة في البيت الجديد . ثم اخذ منديل
ومسح عن الصورة نقطة سائلة لم يدر اهي نقطة عرق انصبت من
جبين احد الحالين ام دمة سالت على خد ابيه . ونظر الى مهره
« طيار » وهو سليل « النهار » فوس جده ملحم بك ومفخرته
فاذا هو يرفض العلف ويهمهم غاضباً في اسطبله الجديد . والتفت
الى سيف ابيه المعلق بجانب صورته في غرفة النوم مقابل السرير
فراى كأن حده فقد بريقه ولم يعد قاطعاً . وأوى مسعود بك الى
فراشه في تلك الليلة وهو كسير النفس مسكين .

تقلب كثيراً في فراشه الجديد لا يستطيع النوم . وكلسا
اغض عينيه لحظة استفاق مذموراً على صورة خيطة تقراى ليعينه .
وما هو ان غفا رأى فيا يرى النائم كأن صورة ابيه تتحرك في اطارها
ثم تخرج منه وتجسم واقفة امامه . ونظر مسعود بك الى ابيه فراى
معالم الحنية على جبينه وأثر اليأس في نظراته وبقي الطيف مدة واقفاً
امام السرير لا ينطق بكلمة ومسعود بك وجل مرتعب ، يتصب
العرق البارد على جميع انحاء جسده . ثم اخذ يتخف ويفوه
بكلمات غامضة متفككة حتى عاد الطيف ينكش على نفسه
ويدخل رويداً رويداً في الاطار .

وبقي ذلك الحلم يماوده في كل يوم على غف واحد واذا به يرى
في احدى الليالي طيف ابيه يقتب من السرير ويهزه هزاً خفيفاً ثم
يعد يديه ويحمل النائم كالريشة على كفيه ويخرج به من البيت
ويذهب فيلقيه على الارض وسط ساحة كبيرة . ثم رأى اطيافاً
كثيرة تتجمع حواليه وتقرس بها قتبين منها الى جانب طيف ابيه
طيف جده ملحم بك وقد اعلى فوسه النهار . فراحت تنهب الارض
تحت فارسها وتقطع الكون ثم تعود بطرفة عين . رأى حواليه
عشرات الاطياف وعلى وجوها كل شي . من ملامح آل العمامي .
واذا بهم كلهم يصيحون بصوت واحد : « انت خائن يا مسعود .
وتقدم منه طيف ضخم ، طيف علاق وقال له : « اما عرفتي ؟
انا جدك آل العمامي انا مؤسس كيانهم وباني كبرياتهم ، واني لاخليل
بك لم يكفك انك لم تتزوج وتحفظ نسل آل العمامي حتى جئت تبسم
القصر ، آخر أثر من آثارهم ؟ انت خائن يا مسعود . » وتقدم منه
طيف آخر وقال : « لقد بمت القصر ، وكل حجر فيه يمدح الناس
من المجادات ، لقد خنت آل العمامي . انت خائن يا مسعود . » وتقدمت
طيوف كثيرة وتكلمت وتقدم طيف ملحم بك وقد ترجل من النهار .
ثم قال : « لم يردك يا مسعود ان ترى مشقري القصر وهو ابن أحد
خدامك جددك يجلس حيث جلستنا ، وان ترى سيارته واقفة حيث

هممت خيولنا ؟ » وصاح طيف من الطيوف : « لنصق عليه هذا
جزء الخائن » ووضع مسعود بك يديه على عينيه بدفع عنها تلك
الرؤيا الموحية ، واذا طيف ابيه فارس بك يتقدم منه وقد سالت على
خده دمة كذلك التي سالت على صورته يوم نقلوها من القصر
وصاح بابنه : « قم الآن يا مسعود وانتظر مهرك وتقدم بسيفك
وهاجم القصر واطرد منه تزليه المقتصب » قم يا مسعود ، ان آل
العمامي باجهم ينظرون اليك الليلة ويضعون المجادهم بين يديك .
قم يا مسعود . . . قم يا مسعود » ورددت الطيوف بصوت واحد :
« قم يا مسعود ، قم يا مسعود . . . » ودوت الاودية والجبال
وكلمها تصيح : « قم يا مسعود ، قم يا مسعود . . . » وقام
مسعود . . . قام من فراشه كأن محرماً جباراً يدفعه دفأ . . . قام
والنار تشتعل في احشائه والرؤى تتناور امام عينيه وسل سيفه من
جانب صورة ابيه ودس سلسله في جيبه ثم نزل وأسرجه مهره
« طيار » وامتطاه وتوجه نحو القصر . . .

مع اهالي عين الورع وقع حوافر حصان يندفع طالوعاً في ذلك
الليل وأمل بعضهم فشاهدوا فارماً يقتحم التهمة في الطاريق المؤدية
الى القصر . وقد كرم مسعود بك يوم النصر فدخل القبية واطلق
الخاص على صفائح المحرقات فاذا النار تشتب في تلك الارجاء .
واذا الانفجار ينشأ الانهجار . وعاد مسعود بك الى مهاجمة القصر
فاقتحمه كما اقتحم « شنه قلعه » من قبل ورأى حوله طيوف ابيه
واجدادته تنخبه فلكن احصان ودخل الى قاعة الاستقبال لا يعبأ
بالنيران المحيطة به . وصاح ساكنو القصر مذعورين وفروا من امامه
كما فر البناويون فيا مضى امام فورسان كتيسته . وتعالى الصباح في
الخارج من شباب القوية وهم يتنادون لاطفاء الحريق . فكانت
صيحاتهم تصل الى اذني مسعود بك هتافات كذلك التي سمها في
اسطبله يوم النصر ولولت نساء القوية من الرعب فسمعن ولولتها
زغردات وصياحها دعاء . له ولغورسانه . وحاول حصانه الفرار من
النار فترجل عنه وصار يهوي بسيفه ذات اليمين وذات اليسار حتى
كادت يدها ولحقت به النار . وعندما ادركه بعض قتيان القوية
وانشلوه على آخر رمق من الحياة كانت يماه لا تزال مطبقة على
قبضة السيف وعلى جبينه المتفحم لحة من نور وفي عينيه بريق الغرة
والجد وراوه بيتهم ويحبل عينيه فيمن حوله قبل ان يغمضها الى
الابد ويتيم : « لم اقل لكم ان يوم النصر سيعود ؟ »

بربع قتي الدرهم

الروح العربية في الحضارة والفن

بفلم الدكتور عبد السلام النحيلي



انبع

وعايسنا حقبة من الزمن ولكنه لم يذكرها الا في بيت واحد حين قال :

ابن الذي ؟ الفرمان من بنيانه ما قومه ؟ ما يويه ؟ ما المصرع ؟

لقد حسم المتنبئ ليلة فحركت من شاعريته الحمى بما لم تحركه الاهرام في مجامها آلاف السنين . ذلك لان الحمى حركة وانتفاض اما الاهرام فجمود وسكون مجذبان ، ولم يكن المجدد من طبع العربي ، فقد كانت الحركة في طراز حياته لا كان بدوياً ، فلما استقر ظلت اساساً من اسس ذوقه . وليست كل حركة ، بل الحركة المجدية التي تعطي فائدة وتترك أثراً .

هذا هو التفسير الصحيح ، على ما اعتقد ، خاصة من خصائص الحضارة العربية بعينها . بعض الناس نقصاً فيها واعتبره انا من زبائها المصرية ، ذلك حين يزعم ان العرب لم يتخلفوا على الحجارة ما خلفته الامم الاخرى فزاعة ويونان ورومان من قنايل وهياكل . فاولاد الحضارة العربية لم تنتهت من حجارة او تسجلها بالصخور بل سجلتها بالاعمال الحية ، فان السيرة التي سارها العرب بعد انبعاثهم من جزيرة العرب ، سيرتهم في انفسهم وفي البلاد التي فتحوها والامم التي سادوها تتفق كل ابدية خلقتها الامم المنقرضة والتي لا تزال حية . ولقد بحث احد عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر يستأذنه في ان يبني لدينته سوراً يحصنها به فكتب اليه ان حصن مدينتك بالعدل . وذلك ضرب من الحصون بديع ، واملنا لولا كتاب عمر بن عبد العزيز ذلك زى اليوم في تلك المدينة سوراً يزوره السائحون ويمجسون به ولكنه مبني على اسس من الظلم والجور قاسامها الرعية قبل الف وثلاثمائة سنة من الزمن مثل الذين قاسامها ببناء اهرام مصر وهياكل الرومانية ، الصبيد الذين تحطمت بناكهم تحت افعال الصغور وتمزقت ظهورهم تحت سياط الجلادين .

اتهم ابن خلدون العرب بفراغهم على الاوابد القافة والمدن العامرة وتخويرهم ما قام من مبانيها لاتخاذ حجاراتها اثافي للقدروما

لي في عام مضى ان ازور القاهرة ، وكنت اتحرق شوقاً الى رؤية الاهرام ، التحيل الروعة التي ستمتلكني حينما تقع عيني على اوابد كرت عليها العصور فلم تزل منها شيئاً ، وتغر بخاطري اقوال المؤرخين واساطير الزواة التي تسجت حصول هذه القبور الخالدة ، فارتقب لنفسي برويتي متعة قل ان تجود بها الايام . فلما حصلت عندها راعني انها لم ترعني ، وان الاحاسيس التي كنت اترقبها لم تملكني . ورغم ما حاولته من تحيل وما كسب الفزاعة التي سمت اليها وجيوش الامم التي توالى عليها ، واحداث الاجيال المتعاقبة التي تلاشت على احجارها ، فان الاهرام لم تبدي غير اكروام جافية من الصخور ، مهندسة هندسة بسيطة لا متعسة فيها ولا رواء .

وقد دعمتي هذه الحادثة الى التفكير في ان التماثل بالاثار او الاوابد ميل ذخيل على الذوق العربي ، وما اجتبت بهذا من حاداني الفردية مع الاهرام ، فليس عبثاً ان تعج بالادنا بالاوابد امشال هياكل تدمر وبمبلك والرافعة ثم لا تؤثر في اذواقنا الفنية الا قليلاً ، وليس عبثاً ان تكون المساجد القديمة والقلاع الحصينة بين ظهرائنا فلا نهتم بها الا بقدر ما تصلي فيها او نقيم فيها تكتلات للاجند ، وليس عبثاً ان تقفر متاحف الآثار من ناشئتنا ومثقفينا وهي في بلاد الغرب محجة ومسترد لهم . سبب كل هذا على ما اعتقد ان العامل المسيطر في الذوق العربي هو عامل الحياة الطبيعية ، وهذا العامل هو الذي رسم حضارة العرب وكل ما اشتق منها من فنون عيسمه ، والاراييد الملمنى الذي يفهمه الغربيون وبعض الشعوب الشرقية لا نصيب فيها للحبوبة ولذلك فليس لها نصيب من الروح العربية . وقبل ان تعجز الاهرام عن استنارة مشاعري ولنا فرد عربي عاش في القرن الرابع عشر الهجري عجزت في القرن الرابع ، منذ الف سنة عن استنارة المتنبئ الذي اقام في مصر يصاحبها

* حديث اذيع من مجلة دمشق للاذاعة اللاسلكية .

شاهبا . وهذه تهمة يرددها الشويون في كل وقت ومكان . ولعل أحداً قبل الأستاذ ساطع الحصري لم ينتبه الى ما يعنيه ابن خلدون بلفظة « العرب » فهو حين يذكروها يريد بها ما يريد العامة من اهل الحضرة حين يقولون « العرب » ويعنون الاعراب . وحتى اذا امتنعنا هذا الامر فإن ابن خلدون يبقى متجنباً على الاعراب . متجنباً عليهم في تهمة لم يتخوهمهم العامر الاهل وفي النتيجة التي يخرجها انهم اعداء للامران . فالعربي ، والاعرابي . نه بوجه خاص ، قد عيده الى العامر اذا كان مهجوراً ، فما هيكل . مهجور في عوفه الابناء . فارقته الحركة فلا حيوية فيه . ولا حياة وبالتالي فانه من العيب ان يظل قائماً تلعب فيه الارباع وتعب بالاشباح اذا كان هناك محل للاستفادة منه على وجه جديد ، ولو كان وجهاً هزيلاً . واذا قارنا بين بدائيين اعرابي بدوي وهندي احمر مثلاً وقفا امام هيكل مهجور فما لا شك فيه ان الهندي سيطيف حول ذلك الهيكل دون ان يجروا على مسه ، يعجزه مكنناً لاحدى القوى المسيطرة او الالهة القادرة ، اما العربي فانه يمجئ منه حينذاك انه يتناول بعض حجارة الهيكل بكل بساطة ليجعل اقية لقلده وهو يضجك من اوهام صاحبه ويقول لنفسه كاب حي غير . اسد ميت . وهذه هي الروح العملية التي تسيطر على العرب في نظرتهم الى العمران والادباء ، واحسب انه كان عملياً جداً ذلك الاعرابي الذي صنع وثنه الذي كان يتعبد اليه من قر ، فلما جاء اكله .

قد يعترض ، بل قد حدث واعترض بعض الناس على قولي بعدم تعلق العرب بالآثار محتجاً ببيكا . الشعراء على الاطلاق وذكروهم لها في كل قصيد . والحق ان ليس لاطلال الشعراء من القيمة عندهم الا انها تحمل بقية من ريع الاحباب تذكروهم بها . فهم يسيكون احبابهم ولا يكونها ، بل انهم مثلما قلت آنفاً يعجزونها كائنات فارقت الحياة لما هجرها اهملها كما قال المتنبي :

لا تحسبوا ربكم ولا طلة ادل حي فراقكم تسله

ثم ما تلك الاطال ؟ انها ليست الا كما قال زهير بن ابي سلمى :

اثاني سقا في ممرس وجل ونؤيا كجذم الخوض لم يثلم

بقايا الاخبة لا بناء فيها عامراً ولا آثار بناء . واذا رماد وشظايا اوتاد ، يسيكونها مرة ثم عر عليها الرياح فلا توصف بدهار ولا نذكر . ان عامل الحركة والحيوية والروح العملية الذي طبع الحضارة العربية بطابعه قد قال كلمته ايضاً في فنون تلك الحضارة . وفن الهارة العربي لم يتميز بالضخامة والرسوخ مثلما تميز بالجمال والدقة وخفة الظل ، وما تلك الرسوم الدقيقة المتشابهة والتخاريف الناعمة

المتداخلة كانها وشي على ثوب ، التي امتازت بها العاثر العربية في الشرق وفي الاندلس الا محاولة لتقليد الطبيعة الحية لا في شكلها الجامد بل في حركتها وتفاعلها وفي روحها ، ان العاثر العربية لم يقصد بها ان تطلو الدهر في الرسوخ واذا اريد بها ان تكون متممة للامين والروح . وسواء ثبتت او لم تثبت فان الاجيال التي ستجي . قادرة دوماً على ان تخلق لها مئة جديدة في عاثر جديدة . ولهذا فاننا لازي للندن العربية التي ملأت اجماع التاريخ وصحافه بمحدث حضارتها عاثر تنطق بتلك الحضارة مثلما تنطق بها مدن اليونان والرومان الباقية آثارها حتى اليوم . فابن دمشق وبغداد اليوم من دمشق وبغداد العصور الغابرة ، فسان الاشكال الفنية قد تغيرت وان الذي بقي هي الروح الحية ، وهذا ما يهم الحضارة العربية وما يوافق الروح العربية .

ولمثل هذا نجد ان الذوق العربي لم يتناق بالتصوير كفن من الفنون الجميلة ، ليس ذات لان الدين قد نهى عنه واستكرهه فحسب بل لان الروح العربية لا تقبل اليه كفن يمسح الاشكال الحية الجميلة محيوا الى صور جامدة ، وهكذا نجد انه رغم ان سلطان الدين واحد عند الامم الاسلامية كلها فان فارس والهند قد تاملت بالرمس ونفقت به بنما ظل العرب يعرضون عنه ويتجاسفون حتى العصور الحديثة حيث جاء به اليهم الذوق الغربي الدخيل مثل كثير من الفنون التي لم تقطع عليها جيلتهم .

اما الفن الذي تعلق به العرب واخلصوا له فهو الشعر ذلك لانه ارضى نزعتهم في الحيوية والاستثارة . وليست الموسيقى دون الشعر في اذواق العرب بل هي امتداد للشعر واتصال به والفارق بينهما هو الفارق بين السذاجة وبين الترف ، ولقد طرب العرب الموسيقى والفناني ايام عز حضارتهم ثم انحطت مع انحطاطهم ، وظل الشعر حياً لانه اعرق اتصالاً بأرواحهم ، ولعل الموسيقى العربية حياة جديدة بعد ان نفخ العرب غبار الزمن عن روحهم وعن حضارتهم او كادوا . وهكذا نجد ان الطابع العربي في الفن والحضارة هو طابع الحيوية والروح العملية . حضارتهم حضارة اعمال خبالة لا آثار خالدة وفنوتهم فنون عواطف ثانوية جياشلاً فنون الاخيلة الجالمة . وهم يؤثرون دوماً ان يصنعوا عملاً عظيماً على ان يتركوا اثرأ باقياً ذلك ان العمل عندهم وعند كل صحيح التفكير اصل والآخر صدى ، واذا لم يكن الاصل سامياً فان الاصداء لا قيمة لها مهما رددتها الدهور او وضعتها ايوان العصور .

دوس

عبد السلام العجيل

مدارس بيت المقدس ومعاهدها

في عهد الخلفاء الراشدين والامويين الى اليوم

بقلم احمد سامع الحادري

عيد الكلية العربية بالقدس



مختصر

يبحثنا في هذا المقال على المؤسسات التعليمية كالمكتاتب والكتاتيب والمدارس ودور العلم ودور القرآن ودور الحديث من يوم انشائها الى يومنا هذا .

ويتناول بحثنا ايضاً المنشآت العامة الاخرى التي وان كانت انشئت لتقوم باهداف خاصة ، الا انها كانت في الوقت ذاته مراكز علمية ، كالبيوتات (الاصبات) ودور المروزي) فانها انشئت لخدمة المرضى ، ولكن رئيس الاطباء كان يلقى دروس الطب فيها نظرياً وعملياً وعلى هذا الاعتبار يصح ان ننظر اليها كمعاهد علمية عامة .

وسنبحث في الاربطة والروايا والخانات ، وهي بيوت لاصوفية ، وكان القصد الاول من تأسيس الاربطة ايواء الموابطين والمجاهدين في الثغور ثم تطورت الى بيوت زهد ومباداة ، تلقى فيها الدروس ومنها علم التصوف ، ثم اصبحت فيما بعد مراكز لتفريغ عن المجاهدين في ايام الحروب ، وخاصة في ايام الحروب الصليبية ولكنها بالإضافة الى ذلك كانت مراكز علمية تنشر العلم ، فقد جاء في شذرات الذهب للحنبلي (ج ٥ - ٢٨) في ترجمة ناصر الدين الاجري الحنبلي (٦٠٩ هـ) « انه ولد في بغداد وكان يجلس في رباطه للوعظ ، وكان رباطه مجماً للفقراء واهل الدين والفقهاء الثرياء الذين يرحلون الى ابي الفتح ابن المني . وكان الاشتغال في رباطه بالعلم اكثر من الاشتغال في سائر المدارس » .

بل ان الاربطة كان يدرس فيها المنطق ، والرياضي والطبيعي وحتى اللغة اليونانية ! فقد جاء في الشقائق النعمانية « انه توفي سنة (٩٨٩ هـ) داود بن عمر الانطاكي الطبيب كان والده رئيس قربة حبيب النجار (قرب انطاكية) واتخذ قرب سيدي حبيب رباطاً

للوادرين وبني فيه حجرات للمجاورين ورتبها في كل يوم من الطعام من يحمله اليه بعض الخدام ، وكان يحمل الى الرباط فيقيم فيه سحابة يومه وقد وفد رجل الى الرباط ، من بلاد المعجم ، فاقرأه المنطق ، والرياضي والطبيعي ، ثم افاده اللغة اليونانية » .

وسنبحث ايضاً في المساجد ، على اعتبار انها مراكز علمية كانت تدرس فيها علوم الدين واللغة العربية وما اشبه . وقد ظهرت في العهد العثماني مؤسسة عرفت (بالتيكية) وهي اشبه بالزاوية ، وكانت تتولى اعطاء الطعام للوافدين اليها وتقرأ فيها الايراد ، ويأتي فيها القرآن وتقام فيها الاذكار وحلقات الوعظ والارشاد .

وهناك مؤسسة اخرى عرفت (بالقربة) وهي عبارة عن بناء يقام على ضريح الراقف ، وتلقى به في احيان كثيرة ، غرفة لقراءة القرآن ، وتجويده وتعليمه ، وقد يلقى الراقف به عدد من المكفرين يتعلمون تلاوة القرآن ، او بعض الايتام يتعلمون القرآن ، ويمدون قوتهم بالواقف .

وسنبتدي ، بصري الخلفاء الراشدين والامويين ، ولنسنا نعرف ان العباسيين تركوا اية مؤسسة علمية في بيت المقدس ، ثم نعود على الفاطميين والايوبيين فالملك الاتراك ، والجراسكة ثم الممانيين الى القرون المتأخرة ، اي القرن الرابع عشر . وعلى هذا ستعالج هذه المؤسسات واحدة واحدة ، وسنبحث مساقمت به هذه المعاهد من خدمات ، ونذكر شيئاً عن واقفها ، وتاريخها ووقفها ، واشهر من درس فيها ، الخ . . . وما آلت اليه الآن .

مسجد عمر ببيت القدس

لما دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس سنة ١٦ للهجرة ، دخل

مسجد بيت المقدس حبراً، حتى ظهر الى صحته، وتقدم الى مقدمه
ما يلي القرب، فقال «تخذ هنا مسجداً»^(١).

ولما ارد تميين القبة، وكشف موضع الصخرة قال لابي اسحق
اي كعب «خير المساجد مقدماً» فبناها في مقدم المسجد. ويروي
الاسقف اركولف وقد زار البلاد المقدسة سنة ٧٢٠م (١٥٠٠) ما
يأتي من جامع عوفي بيت المقدس: «ولكن في ذلك المكان
المشهور حديث شيد، مرة الهيكل بابداع على مقربة من السور الشرقي
يتردد المسلمون على بيت ذي اربعة جوانب للصلاة بنوه بناء خشبياً
وركبه من الخشب على شي من بقايا الخرائب. ويقال ان هذا
البيت يسم ثلاثة آلاف رجل دفعة واحدة». ويستدل من هذا
ان عمر بن الخطاب بنى مسجداً في موقع المسجد الاقصى الآن،
لناحية القرب في مقدمه.

مسجد الحيات

ومن المساجد العموية الاخرى المنسوبة لعمر بن الخطاب
(مسجد الحيات) وقد جاء ذكره في الانس الجليل قال كان به
طلسم حيات وهو يقرب كنيسة القيامة، وهو مسجد عظيم من
المساجد العموية. ويقع الى غرب القيامة على بين السالك الى
الحائقاء الصلاحية، وقد عمر مؤخرأ.
المسجد الاقصى

هو من ابداع الآثار الاسلامية الخالدة، وبنيها عبد الملك بن
مروان باجماع المؤرخين. وفي الرقيم التاريخي المحيط بثمان قبة
الصخرة الداخلية، اشارة الى ان البناء قد تم سنة (٧٢٢هـ).

وهذا هو نص الرقيم (بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده
لا شريك له، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنى هذه
القبة المباركة، عبدالله (الملك بن مروان) امير المؤمنين سنة اثنتي
وسبعين، تقبل الله منه ورضي الله عنه).

وقد استبدل بكلمات (للملك بن مروان) في زمن المأمون
العباسي كلمات (فه الامام المأمون) عند ما قام ببعض العبارة في
المسجد سنة (٢١٦هـ) وقد ابقت اليد التي احدثت هذا التوير
في الرقيم على حرفي الالف والنون من عبد الملك ومروان، وجعلتهما
(عبد الله والمأمون) وابتقت التاريخ الاصلي اي (٧٢٢هـ).

وفي اوراق البردي المحفوظة في المتحف البريطاني «ما يدل على
ان الوليد بن عبد الملك قد اشترك في البناء» كما ورد في تحرير
رسمي لقوة بن شريك عامل الامويين على مصر الى احد حكام الصعيد

(١) شبر الغرام - مخطوط في حوزة كاتب الخال ص (٦١).

بين سنتي ٨٠٠ و٨١١. وفي الوليد سنة (٨٦٦هـ) وتوفي سنة (٩٢٢هـ).
ويقول المؤرخون ان عبد الملك استشار المسلمين في امر بنسا.
المسجد وقبة الصخرة سنة (٨٦٦هـ) فوردت عليه الكتب بالوافقة،
وباشر البناء تلك السنة، واستمر العمل وتم سنة ٨٧٢هـ. وتولى
الاشراف عليه رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام القديسي.

ويقول الحنبلي في الانس الجليل «ثم بعد انتقال الخلافة الى
المنتقم فه الوليد بن عبد الملك اتهم شرقي المسجد. فقد يكون
والحالة هذه انه اعاد بناء القسم الشرقي الذي هدم. او اتم بعض
نواقص العبارة او زاد في ذلك».

والمعروف ان الغرض الاساسي من بناء المسجد وزخرفة القبة
هو تحويل الحاجاج الى القبلة الاولى، والبيت الثاني، والمسجد الثالث
اي المسجد الاقصى، عندما اهتم على المسلمين اداء الفريضة، بسبب
ادعاء عبدالله بن الزبير الخلافة ونشوب الخلاف بينه وبين عبد
الملك. وقد جاء في رسالة مخطوطة للامام احمد بن حنبل محفوظة
بندار المسجد الاقصى عند زيارته بيت المقدس ما يأتي:

«اما الصخرة فلم يصل عندها عمر رضي الله عنه ولا الصحابة»
ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة
في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية وي زيد ومروان، ولكن لما
تولى ابنه عبد الملك الخلع وقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة، وكان
الذي يجهلون فيقتلون باين الزبير فساداد عبد الملك ان يصرف
الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة، وكساها في الشتاء
والصيف، ليعجب الناس في زيارة البيت المقدس ويستغلوا بذلك
عن اجتماعهم باين الزبير».

واخذ الخلفاء والمروك والولاطين والامراء والاميرات يشنون
دور العلم والمدارس والربط وما الى ذلك في باحات المسجد وحوله.
وكانت هذه المدارس تحتوي على علماء ومدرسين ومعيدين ومتفقيين.

وقد ورد كثير من الصحابة الى بيت المقدس، وسكنها
منهم فئة كابي ذر القفاري، والي امامة، وعبادة بن الصامت
وشداد بن اوس والاخير عقب ببيت المقدس.

ويظهر ان بعضهم وعظ في المسجد الاقصى كلني ريسانة،
وتيم الداري، وفي حديث عن ذي الاصابع البني وقد سكن بيت
المقدس قال لرسول الله «ارأيت ان ابتليت بالبقاء بعدك اين تأمرني،
قال عليك ببيت المقدس لعل الله يرزقك ذرية يقدون ويروحون
اليه يعني مسجد بيت المقدس».

والمعروف ان عمر بن الخطاب وجه عبادة بن الصامت الى الشام

قاضياً وعلماً ، وقد سكن عبادة في بيت المقدس .

وفي كتاب السنن عن يعلی بن شداد بن اوس قال شهدت مع «موية» فحضرت الجمعة فاذا جلّ من في المسجد من اصحاب رسول الله فوايتهم محتبين والامام يحطّط .

وفي (مشيخ الغرام) ان عبد الرحمن بن غنم الاشوري الفقيه ، قدم بيت المقدس وهو الذي تقفقه عليه عامة التابعين في الشام .
قراء المسجد الاقصى

ويظهر انه كان في المسجد قراء يملكون الناس القرآن فقد جاء في (مشيخ الغرام) ان ابراهيم بن عتبة يقول «رحم الله الوليد بن عبد الملك كان يعطيني قصاص الفضة اقسماً على قراء مسجد بيت المقدس» .
مقاتل بن سايان يفسر القرآن والناس يكتبون

وفي المثير ايضاً «ان مقاتل بن سلمان المفسد قدم بيت المقدس فجلس فيه وجلس عند باب الصخرة القبلي ، فاجتمع اليه خلق كثير يكتبون عنه ويسمعون منه .

المسجد الاقصى مركز من مراكز تدريس الحديث

والظاهر ان المسجد الاقصى كان مركزاً هاماً لتدريس الحديث في القرن الخامس خاصة . فقد جاء في نفع الطيب الجزء الاول ص ٣٤١ ومنها قوله تذاكرت بالمسجد الاقصى مع شيخنا ابي بكر الفهري الطاروشي حديث ابي ثعلبة (والقاتل هو القاطن ابو بكر ابن الزبي الذي زار الشرق سنة ٤٨٥ اياه حكى القاطنين لمصر وفلسطين والشام . وقد جاء في ص ٣٤٣ ايضاً «فنها قوله كان ابن الكازروني يأوي الى المسجد الاقصى ثم يمتنعنا به ثلاث سنوات ولقد كان يقرأ في مهد عيسى عليه السلام (في الجبل الشرقية الجنوبية من المسجد) فيسمع من الطور (اي طور زيتا او جبل الزيتون) فصلاً يقدر احد ان يصنع شيئاً دون قراءته الا الاصفاء اليه^(١) .

وهذا الامام حافظ ابو الفضل علي بن محمد بن طاهر المقدسي (القرن الخامس) ولد ببيت المقدس ، وهو استاذ نصر المقدسي الذي هو استاذ الامام النزال .

وهذا الامام محمد بن الوليد الطاروشي الاندلسي تلميذ ابن حزم رحل للشرق (٤٧٦ هـ) وقدم بيت المقدس وتقفه معلى ابي بكر الشاشي ، كما ان الامام ابا حسانم النزال انتقل الى بيت المقدس واخذ في التصانيف المشهورة .

ومن انتقل الى بيت المقدس وسمع الحديث فيه ابو الفانم محمد

(١) وهذا الامام الشافعي (٤٢٠ هـ) قدم بيت المقدس وصلى فيه وقال : «سألوني عما شئتم به انزعجكم من كتاب الله وسنة رسوله» .

ابن ميمون (توفي ٥١٦ هـ) . ويروي لنا الامام ابو بكر بن العربي المافري الاندلسي الرحالة انه لقي الطاروشي في المسجد الاقصى بالقدس ، وتقفه عليه ، وصحب الشاشي والنزالي ، ورأى في بيت المقدس خلقاً كثيراً من العلماء .

وهذا ابو عبد الله الديباجي المغانمي اقام ببيت المقدس ، وكتب الاحاديث بها ، وسمعا ، وتقفه على ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي توفي (٥٢٩ هـ) .

وهذا ابو الحسن المافري الملقب بمحدث مجد سمع المستقضي للحافظ بن عساكر بقراءته على مؤلفه في المسجد الاقصى (مشيخ الغرام - ص ٢٥) .

الوظائف المرتبة والمدرسون والمليدون (بخ في المسجد الاقصى في القرن التاسع الهجري

ويقول محيي الدين في الانس الجليل ج ٢ - ص ٣٨٥ «واما الوظائف المرتبة فيه (اي المسجد الاقصى) والمدربين والمليدين والخدام والمؤذنين والقراء وغيرهم فكثير جداً ولم يكن فيهم من يباشر الا وحب عليه الا بعض الناس (هذا في القرن التاسع) .

التدريس ، واللغة العربية وتاديب الاطفال في المسجد الاقصى

وقد ذكر محيي الدين في مكان آخر اسماء بعض العلماء الذين تصدوا للتدريس في المسجد الاقصى منهم الشيخ شمس الدين خضر الرومي توفي (٨٩٠ هـ) الانس الجليل ج ٢ - ص ٥٦٥ .

على ان التدريس لم يقتصر على الحديث والفقه وعلوم القرآن بل تناول اللغة العربية ، وتاديب الاطفال اي تعليمهم القراءة والكتابة ، ومجالس الوعظ ايضاً .

فمنهم العلامة ابو العزم محمد الخلاوي الذي كان له اليد الطولى في الدورية ، وصنف شرحاً على الاجرومية وكان يقرى العربية وغيرها في المسجد الاقصى ، وقد انتفع عليه كثير من الفقهاء ببيت المقدس وبابلس واعاد بالمدسة الصلاحية في زمن الكليفي بن ابي شريف وتوفي سنة (٨٨٣ هـ) الانس الجليل (ج ٢ - ص ٥٣٨) .

وكان الشيخ عمر بن اسماعيل الحنبلي مؤيد الاطفال يحفظ القرآن ويؤدب الاطفال بالمسجد الاقصى بالمكان الجاور لجامع المناربة من جهة القبلة توفي سنة ٨٨٠ هـ (ج ٢ - ص ٦٠٣ الانس الجليل) وقد جاء ذكره في شذرات الذهب (ج ٧ - ص ٣٣٠ ولقبه بالمؤدب . ويحدثنا المحبي في (الجزء الثالث ص ٢٦٦) في ترجمة المعري

فخر الدين انه (انقطع آخر اموره للتدريس والافتاء . هجرة بالمسجد الاقصى قرب رواق الشيخ منصور فاشتهرت الآن بخلاوة المعوي وصار

اماماً بالسلطانية بالمسجد الاقصى توفي (١٠٢٠هـ).

كما يجدرنا ان نذكر أيضاً في ج (٤-١٧٢) في ترجمة يحيى المصري انه كان قتيلاً محباً يقرأ، بالخلوة النحوية بطرف سطح الصخرة القبلي، حكى بعض طلبته ان كان يدرس في الجامع الصغير في آخر امه بين المغرب والمساء فكان آخر امه بين المغرب والمساء فكان آخر عهده انه وقف على حديث «من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الا لله لا عيش الا عيش الآخرة» ، اوصى بجميع كتبه الى طلبته (١٠٨٣هـ).

هذا ويستدل من رحلات كل من عبد الغني النابلسي الى القدس (١١٠١هـ) والسيد مصطفى البركي (١١٢٦هـ) والشيخ مصطفى اسعد القيسي الديلمي (١١٢٦هـ) ان الدروس الدينية كانت تلتقى في المسجد الاقصى (راجع رحلات ابي ديار الشام - لكتاب هذا المقال). وفي مخطوط لحسن بن عبد اللطيف الحسيني^(١) تراجم اهل القدس في القرن الثاني عشر وهو احد تراجم اعيان القرن الثاني عشر الهجري، عدد من شيوخ القدس فمن درسوا في المسجد الاقصى في قبة (بيغ) في حجرته في صحن الصخرة المشرفة، الشيخ محمد الحلياني توفي (١١٤٧هـ) وقد كان يلقي دروس الحديث والتفسير والوعظ والتقرير.

وممنهم الشيخ عبد المعطي الحلياني الذي كان محلوياً في حجرته في المسجد الاقصى المعروفة بالخلوة على سطح الصخرة، ولم يكن يخرج منها شتاء او صيفاً، وكان يشتمل بالافتاء والتدريس وقراءة الحديث، وعلم التفسير، وكان يأكل من عمل يديه من كتابة كتب الحديث بعد قراءة الدروس. توفي (١١٥٤هـ).

وممنهم الشيخ محمد بن ابراهيم بن حافظ الدين، كان له معرفة بعلوم الفلك، وكان شيخ القراء بالمسجد الاقصى، توفي (١١٦١هـ) وخلفه ولده الشيخ محفوظ وكان مبيداً لوالده وتولى مشيخة القراء بعد والده توفي (١١٨٦هـ).

وممنهم الشيخ محمد التافلاقي المغربي، مفتي القدس، حضر اليها وسكن بها (١١٧٢هـ) وكان يقرأ الدرس بالحرم القدسي داخل الصخرة المشرفة، توفي (١١٩٢هـ).

ومن الذين درسوا في المسجد الاقصى في القرن الثالث عشر الشيخ اسعد الامام، مفتي الشافعية، وكان مراد افندي المصري يعلم الخط في الغرف الشمالية من صحن الصخرة، في المسجد الاقصى، وعلوم الفقه في اواخر هذا القرن.

وكان الشيخ الحزندار الغزي يقرأ الاولاد القراءة والقرآن

(١) مخطوط لدى كاتب هذا المقال

والنحو والعرف والفقه في احدى الغرف الشمالية أيضاً، في صحن الصخرة في اواخر هذا القرن.

وكان الشيخ عبد الرزاق العففي يدرس الفقه، وعلوم الدين على المصطبة في المسجد الاقصى تجاه باب الحديد في سنة (١٢٨٧هـ) وما قبلها وما بعدها.

وكان الشيخ يعقوب البديري يدرس علوم الدين تحت شجرة الميس في صحن المسجد الاقصى قرب بساب الناطور، أيضاً في سنة (١٢٨٧هـ) وما قبلها وما بعدها.

ومن الذين اشتهروا في التدريس في المسجد الاقصى الشيخ عبد القادر ابو السعود، فقد كان يدرس في زاويته في الحانقاه الفخريه، وفي احدى الغرف الغربية في صحن الصخرة، وهو من رجال القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

ومن مدرسي الحرم القدسي في القرن الرابع عشر الشيخ محمود الراعي، والشيخ علي العوري، والشيخ سعود العوري، والشيخ يوسف الامام، والشيخ امين العوري، والشيخ موسى البديري، والشيخ طاهر ابو السعود، والشيخ علي الخطيب الجماعي وغيرهم من لا تحصى في احوالهم الآن.

المصلا

ان في هذه الصور التي اوردها ما لا يترك مجالاً للقول ان المسجد الاقصى كان على قداسته وعلو مرتبته مركزاً هاماً من مراكز نشر العلوم الدينية وفروعها واستمر العمل بذلك طيلة القرون منذ القرن الاول الى يومنا هذا.

وكانت فيه وظائف مرتبة من المدرسين والمعيدين والقراء كما ذكر جبر الدين (القرن التاسع) ولكن المباشرة في العمل من قبل اولئك المدرسين والمعيدين والقراء كانت تقوى او تضاف بحسب الظروف والاحوال. ويظهر ان الدروس لم تكن منتظمة في القرن التاسع، مما ادى جبر الدين الى ذكر ذلك.

وعلى كل فان المسجد الاقصى سواء في داخله او صحنه، او ما يحيط به كان مركزاً من اهم المراكز العلمية الدينية الاسلامية، تلبثت منه الدعوة الاسلامية وتنتشر بواسطته العلوم الدينية والفقه العربية بين جميع الواردين من جميع الاقطار، ولم تخل المدينة المقدسة من العلماء والمحدثين والعقلاء في اي عصر من العصور الاسلامية، ما تقدم منها وما تأخر.

تنبيه : (المقال القادم - في عهد الفاطميين)

احمد سامع الخالدي

ذلك من الوظائف المهمة التي تتوقف عليها الحياة .

ان اغلب الناس يؤدي بهم الحوف بعد مشاهدة مريض الى الموت امراض باطنية مختلفة . وكثيراً ما ينقلب الهم الى حقيقة ان استمرار الشخص في تفكيره . واغاب الاوهام الموجهة نحو الحياة الداخلية تكون متعلقة بالقلب . ذلك لان الشخص يعلم ان ضربات القلب قابلة لاسرعة والبطء . ويكسبها ان تقف فجأة . ومن جهة اخرى يشعر كل شخص بعيظه عن التحكم الارادي في افعال القلب . ولذلك نجد اغلب حالات المرض الهمي تنفرع من التفكير في حركات القلب . فكأن الانسان لم يرض بالجال الارادي في افعاله وكان يتمنى لو اتسم هذا المجال ليشمل كل الحركات التي يقوم بها . فالعجز عن التحكم في هذه الحركات المهمة يجعل الشخص يخاف على سيرها لمدام طمئنانه على خضوعها لرغبته . ويعتبر هذا الهم ناشئاً عن الحوف من الموت وهو خوف كامن في كل النفوس وتظهره بعض الحوادث والتغيرات . ولو درسنا كل الاوهام التي ظهرت عند مختلف الاشخاص لوجدناها تتصل بانفعال . وقد يكون الهم طبيعياً وهو اتجاه مؤقت يتجه اليه الشخص اتجاهاً خفيفاً لينصرف بعد ذلك الى الواقع تاركاً وهمه بسهولة ويسر . ولكن بعض الحالات يتعمق فيها الامر ويصعب على الشخص ان يخرج من اتجاهه الخاطئ . وتحقق كل المحاولات لمحاولة الشخص ليتخلص من اتجاهه واغلبهم يدرك خطأ اتجاهه ويقاوم بكل قواه هذا الاتجاه ولكنه يجد في نفسه ميلاً قوياً الى الرجوع الى اتجاهه الفكري . وكثيراً ما يكون التخلص مقصوراً

على وقت النوم فقط وبعد الصبح مباشرة يواجه الشخص الموقف الهمي بكل مشاكه . ففي هذه الحالة يكون الهم مريضاً ، ويحدث اضطراباً واضعاً في سلوك الشخص ويؤثر على مركزه الاجتماعي كما انه يجعل المريض يشعر بالضعف لانه عاجز عن التغلب على افكاره كان في استطاعته بالانس التغلب عليها .

واصب حالات الهم المرضي هي حالة الشخص الموهوم الذي يدرك خطأ افكاره ومع ذلك لا يستطيع التخلص من افكاره بسهولة التي يتوقعها كل شخص . ولهذا يعجب الاشخاص الذين يمشون حول المرضى اذ يحاولون ان يخلصوا الموهوم بواسطة النصح والوعظ والنهي . وفي الحقيقة فان كل هذه المحاولات اللغظية تحدث تأنيؤاً عكسياً وتجعل الشخص يشعر بقلق لان عجزه يتضح في كثير من الحالات التي يقدر عليها كل شخص .

وهناك حالات من الهم لا يشعر الشخص الموهوم بشذوذها بل يعتقد انه على صواب ويحاول ان يقنع غيره بما يعتقد هو .

وتتعدى العقيدة في اغلب الاحيان الى سلوك وافعال . وكثيراً ما يكون اتجاه الشخص الموهوم . متغلغلاً في كل افعال حياته ولذلك نرى العقيدة الهمية تؤثر احياناً في الوظائف الفسيولوجية الاولى والافعال الحشوية اللاإرادية .

لهذا السبب نجد المرض الهمي ينقلب الى مرض حقيقي اذا طال اعتقاد الشخص بوجهه . وقد حاول الناس القيام بالتجربة التي تؤيد هذا الرأي في الحياة اليومية . فكثيراً ما يكرر اشخاص لزبل لهم انهم يشاهدون عليه علامات المرض والضعف ، وبعد تكرار الملاحظة يعجز الشخص عن المقاومة ويتبهي به الامر الى الاعتقاد بالمرض ، فالشخص مهما كان قوي المقاومة ومتبصراً بأمر الايحاء فانه لا يستطيع التخلص من آثار الهم الذي يأتي عن طريق الايحاء . وهذه الملاحظة تظهر لنا قيمة سلوك الشخص الموهوم الذي يلجأ الى الآخرين ليساعده على طرد الهم . فأغلب الموهومين يصايون بالاحاط في السؤال حول الموضوع الهمي الذي يشغل بالهم . والمقصود من ذلك هو الاستعانة على ضغط الفكرة الهمية التي يحاول الشخص الموهوم طردها .

وكان موضوع الهم يتجه من المشكلات النفسية المحدودة . واعتقد انه من الواجب ادخله في البحوث النفسية الجسمية . لانا نلاحظ ظهوره بعد حدوث الضعف الجسمي . ومما كانت اسبابه فاعتقد ان الهم راجع الى ضعف عملة الضغط والمراقبة . وفقدان الضغط يؤدي الى حدوث الهبوط النفسي وظهور الاوهام .

ودراسة الهم دراسة علمية على اساس منهج علم النفس تشرح لنا حقائق نفسية عديدة وتوضح لنا صلتها بالتغيرات البيولوجية . فالثابت ان الهم صلة وثيقة بالانفعال والتعب . وان ظهوره عند الشخص مشروط بظروف جسمية نفسية واجتماعية . ويمكننا معرفة الهم بالوقوف على شروطه . كما انه في امكاننا علاج الهم بابعاد الشخص عن الظروف التي احدثت ظهوره . ويكون من الصعب محاولة القضاء على الهم عند الشخص بواسطة الاقتناع وحدها دون القيام بتغيير شامل في ظروف حياته .

ويجب دراسة الظروف التي يمكنها ان تحدث الافكار الهمية وهنا يفيدنا علم النفس التكامل الذي يبيننا الى الاسباب الخفية التي تجعل الشخص يعتقد اعتقادات خاصة به لاساس لها من الصحة ولا يشاركه فيها غيره ويقول عن تلك الاعتقادات اوهاماً .

الفاهرة

ابو صديقه الشافعي

« نعم - اريد زوجة لا خادماً ، ورفيقة لا اسيرة »

هذه الكلمات انبثج رضى الساحلي لحد احاديثه مع امه ، التي لا تنفك عن ملاحظته في امر زواجه . فقد بلغ الحادية والعشرين من عمره ، وهو عماد البيت في كسب المعيشة ، وامل الانسة في تحليد نسائها القليل .

ولكن رضى لا يؤمن بضرورة الزواج في هذه السن المبكرة . فيقول لامه : - انني لم أنه دراستي ، وعملي الحالي لا يدر علي ما يكفيني ويكفيكم ! فتلح امه - مستدركة :

- ولكن البيت يا ابني مفتوح ، ان امرأتك لا تريد في نفقات المعيشة ا طعام خمسة يكفي ستة ! تزوج يا ابني وزرنا على الله ! فيحار رضى باية لجة يفهم امه ان الحياة اليوم هي غير الحياة التي عدها هي منذ اربعين سنة ، وان تكاليف الزواج وحدها كافية لاغراقه في دين لا يتخاص منه ابداً .

وكان رضى بكرامه مات ابوه في الجبهة وهو طفل في الخامسة ،

فتفتح عينيه ، بعد الحروب العالمية الاولى على دنيا من الآلام والحزن . واذا به ينو . يحمل اليم ويتأهب العيش ، دون حام يتكفل البيت ومن فيه . ويرغم ذلك دخل المدرسة الجانية فكان يدرسه في نصف النهار كي يعمل في النصف الثاني لكسب القوت ، فترقه هو وقوت اخويه وابنته وامه ! غير ان هذه الظروف القاسية لم تدم اكثر من ست سنوات ، انفجرت بعدها هذه الضائقة المستحكة .

وصادف ان الانتداب الذي فرضته عصبة الامم على البلاد قد تضائل لغزوه بسبب الثورة القائمة في الداخل . فانصرفت الجيوش عن المدن الى قمع تلك الثورة في الارياض البعيدة ، وتوفر للناس الغذاء . والكساء . باثان معقولة . ولا سببا ان العملة لم تكن قد تدنت قيمتها بتدني قيمة النقد الورقي الذي شاع استعماله وتضخم عدده .

حينئذ اتبع لبيت الساحلي ان يقنع الصدا ، فبفضل ما يكسبه رضى ، وبفضل الواردات القليلة التي تدرها الاوقاف الموروثية ، يظهر لائق ، اطمع في ربة البيت بعض الشبان الذين يرغبون في الارامل ، فتلخص من المهر ونفقات الاعراس .

وكانت امه - ام رضى - في اواخر العقد الثالث من عمرها . فلم ترفض الاقتراح بعبد الله الجبلي ، وكان كان اصغر منها سناً ، وهو المولف المرموق في قلم الدين العمومية .

وهكذا اتبع للشاب ان يلقى من كتفيه ابناء ينو . يحملها الرجال . هذه الذكريات كانت تتجسم في خيلة رضى ، كلما حدثته امه بامر زواجه ، فينفر من الفكرة نفوره من الاقتراح بقسالة لم يرها ، ولم يتبادل معها حديثاً . فالتقاليد التي كانت تقضي بالحجاب لم تعجز مرعية حتى اليوم في البيئات الوسط .

فيقول الفتى متأففاً :

- كيف اتزوج فتاة لا اعرفها ، ولا اعرف عنها سوى ما تصفيه لي انت واخوتي ؟ ثم يقول الشاب ليصرف امه عنه :

- طيب ! ولكنني اضطر ان لا تكنس البيت ابداً اسماءه يا امي . لا تكنس ابداً .

فتعترض ام رضى على هذا الشرط اعتراضاً جازماً ، وكما أنها تدافع عن نفسها : - يا ابني الكناسة لا تغي عنها في المنزل ! الكناسة في يد الزوجة كالسوار في معصمها ، كلاهما زينة لها ، وثروة للبيت ! ! وتنقضي الايام بل الاعوام ، وام رضى لا تفي تبحث لابنتها عن

عروس كوامهات العواش لا ينفك عن زيارته رضى والتعجب منها : فهي ام لثلاثة شبان ، لا بد ان يكون لاحد هم نصيب في احدى بناتها . ورضي مصر على الرضا بشئ الاصدار . - دعها هذه فتاة جاهلة ! وانا اريد زوجتي فتاة مثقلة ! - سألني ! هذه ابنة مستهزئة لا تصالح ربة للبيت ! .

- هند ! هذه فتاة مستهزئة لا يمكن ان تكون أما رحيمة ! وكانت طليعة الحياة التي يجيهاها رضى في المدنية كفيلاً بان تمكنه من اختيار الزوجة التي يريد ، لولا هذه التقاليد . فهو اذا اعجبته فتاة لم يعجب اباه ، واذا اعجب اباه لم يجد لديه ما يؤيده مهراً ونفقات اخرى قبلتم مثل نصف المهر او تزيد !

وقد يغالي الآباء في هذه المهور والبائات ، حينما اثرى فريق من الناس على حساب الطبقات المتوسطة والعامة ، حتى صارت المهور والبائات للتفاخر ، لا لتأمين الرفاهة لملش الجديد الذي يؤلفه الزوجان ، ورضي مستخدم بكادراته لا يفي بضروريات شاب مثله يعيش في مدينة كبيرة ، فتدفع فيها وجوه الاتفاق كي يود ان تكون حياته في مستوى ثقافته ووعيه الاجتماعي ، وشخصيته النامية .

ولئن كان زوج امه قد تحمل عنه كثيراً من نفقات البيت ، فانه بقي مجبراً على دفع اجرة هذا البيت ، فضلاً عن ثمن الماء والنور



بقلم: د. محمد المصطفى د. مصطفى
http://Archivebeta.Sakhrat.com



وخرج اخته الشهري، والمؤمنة المترتبة لآخره، والمهايا الواجبة لاه. وفي ذات يوم استيقظ رضى متأخراً على غير عادته فلما خرج الى الدار وجد (العيلة) في شبه مؤتمر مجتمعة تتناقش في امر زواجه، وتقرر وجوب ذلك الزواج. ولا سيما ان اخويه قد بلغا السن الملائمة ايضاً. وهما لا يطيدان الا ان يفسح لهما المجال، عملاً بالتقاليد وقال رضى مباسطاً اعضاء هذا المؤتمر.

— خير ان شاء الله! هل تفسرون الاحلام ام تتأمرون على السلطان؟ فأثار سؤال الشاب الساخر مختلف الانفعالات في الحضور فامه الثقيلة لا تجب له ان يسخر من تفسير الاحلام. وكذلك زوجها الذي يتابعها في الايمان بعالم الرؤيا واخوه سعيد يرى رأي رضى في ان الاحلام انما هي رجع ما في النفوس من رغبات وآمال، سواء انبثقت منها او انبعثت فيها بآثار خارجي. ولكنه يؤثر كأخيه الثاني خليل، ان يسرع رضى بالزواج، ليتخلص من الامتيازات التي يتمتع بها هذا الاخ البكر. لذلك يادر سعيد الى القول، وهو لا يخفي هذه العاطفة: — لا مؤتمر ولا مؤتمر! نحن هنا حتى نتخلص من... قصة زواجك!

ويكمل الاخ الثاني شارحاً القرار الذي اتخذوه بصيغة ظاهرة: — والوالدة تقول ان سعدى بنت الربيعي هي انصب فتاة رأيتها. ليس كذلك يا خوله، ولذلك ستخطبها لك ويهني الامر! وكان سكوت رضى ابلسج رد الا ان والدة اخته هي وسائر اعضاء المؤتمر بثابة القول والرضا.

وبدأت المفاوضات التقليدية في اليوم نفسه، بين بيت الساحلي وبيت الربيعي! ولم يكن منظرهما ان تطول هذه المفاوضات اكثر من ثمان واربعين ساعة، لولا حادث بسيط عرض، هو ان ام الفتاة المطلوبة اقترحت الاستبدال بسعدى اختها دنيا، مواءمة للتقاليد، وغشية ان ينجح قلب الاخت البكر... وقالت للاخطابات:

— دنيا اجمل من سعدى، واحلى، وهي لا تكبرها الا بستين! وابوها سيخصها بحصة اكبر من الميراث! فسكت رضى ايضاً عن هذا الاستبدال. ولا سيما انه لا يعرف لا هذه ولا تلك، ولم ير لا وجه سعدى ولا وجه دنيا، وان قيل له ان الاولى اعلى ثقافة، لانها تحمل الشهادة الابتدائية! ولكنه اشترط شرطاً واحداً، هو ان لا تكس زوجته القبيلة ارض البيت، كما تفتي امنية واحدة هي ان تكون طبيعية في زيتها، او اقرب الى الطبيعية. وقال:

— الكناسة رمز اعطاط في البيوت وعنوان جهل الموة فيه!

والنصنع اعلان صارخ عن قلة الذوق!

وما جأ، يوم المقدس حتى كان رضى قد تخلى عن كل شيء حتى عن امنيته الاخيرة، متابعاً الناس حوله، والتقاليد القاهرة. واكتفى من كل ما رصمه لنفسه في الحياة بان رأى دنيا... ولكن من شق باب في بيت جارة لها. فخيّل لرضي، في تلك اللحظة من الليل ان هذه الفتاة الضليلة الجسم، فتاة شقراء متناسبة الاعضاء، وهو ممن يؤثرون الجلال الاشقر الغريب على هذا الجلال الاسمر البدلي الشائم. ولكن هذا اليقين كان افتنائاً على الحقيقة وخدعة للابصار، اذا انطلت على الناظر العجل فلا ينطلي عليه اذا قبل. فشقة دنيا صباغ مصطنع. وتناقش اعضائها ترور آخر اشترك فيه الحياطة ومصانم الاحدية. انها فتاة عادية اصيبت احدى ساقها بكسر فابرئت من هذه العاهة قلاماً. بل اصيبت فوقها بمرض آخر، هو هذا النصنع البغيض، ومركبات من القصد تلازمها. فتركت العاهات في جسدها وخلقها وعقلها آثاراً هي جميع ما ينفر منه رضى في المرأة، على الاطلاق، وفي رفيقة حياته على وجه الخصوص! اسودت الدنيا في نظر الشاب فاككس على نفسه. لقد

ايأسه هذا المصير.

— فتاة عرجاء، شوهاء! وجاهلة بتكاليف حقها. فوق ذلك فتقول له لغة واحدة: لا تخزن يا بني اذا اشئت الازمة انفجرت! الم اقول لك ذلك يوم كنت طفلاً صغيراً!

ورضى لا يجيب بكلمة، ولا يلوم احداً! فقد انصرف الى معالجة الموقف بنفسه في هذه المرحلة الحرجة، بعد ان ترك الآخرين معالجته في المراحل السابقة. والزواج من الاحوال الشخصية على كل حال، لا يهيم هؤلاء الآخرين بقدر ما يهيم الشخص الذي يعنيه الامر. وجاء اضطراب الحالة الدولية في العالم يجربد في احكام الازمة الاقتصادية التي يعانيها سكان هذه البلاد، وخاصة الموظفون والمستخدمون وسواهم من ارباب الدخايل المحدودة. في حين كان زملاؤهم في البلاد العربية المجاورة يعمدون بجدوة موهقة ويدير محروس. ولكن هذه الشدة نفسها كانت بداية الفرح الذي شق لرضي طريق الخلاص.

فالي دنيا قد اثرى بما احتكره من مواد الزينة واصبقة الوجوه والشفا، وتضاعفت اثار فقراته بفضل غلاء الاجور المتعاظم، ولوفرة المهاجرين من القرى الى المدينة. فكان لهذا الاثر. العاجي في نفس الفتاة ونفس ذويم! لم يشك رضى لحظة في انه مفتاح التحرر المشود. ثم اشعلت الاضطرابات في فلسطين، عقيب صدور الكتاب

عندما افترقنا

لباربر

عندما افترقنا

بصمت ودود ،
وقلوب شبه كسيرة
انتمد من بعضنا سنين ،
امس وجهك شاحباً ، بارداً ..
واربد منه كانت قلبك .
حقاً ، تلك الساعة نبات
عن ألم هذه !

لقد انحدرت ندى الصباح
مرتبلاً على جبيني
وكان كالنظير
لا احس به الآن :
عذوبتك كلها تقش
ونافذة اضحت سميتك
اسمع اسمك تلوكة الاقلاء ،
فلشارك في عاره

يتحدثون منك امامي ،
حديثهم يصل في اذني كجرس الجناز
وتنروني رهشة ...
آه ، كُنت هكذا عزيزة !
لا يدرون انني اعرفك ،
انا الذي اعرفك جيداً ،
وانتذب طويلاً من اجلك ،
غداً اعنى من ان استطيع التعبير عنه

بالمر التفتينا ، وبصمت أناة .
واذا ادعى قلبك النسيان ،
فضعته روحك .
فاذا التفتيك بعد ايام طويوة ،
كيف احببك ؟
بصمت ودود

بغداد عبد الملك نوري

الايض لسنة ١٩٤٦ ، وما تضمنه من حارل ، لم يرض عنها لا
العرب ولا اليهود المتنازعون . فاتيح لاني دنيا الريفي ان يكسب
. ثبات الالوف من الايوات الاسترلينية ، با هربه الى الصهيونيين . من
. مواد غذائية . فتم لرضي بذلك تهديد السبيل الى تخومه من حبال
النش التي وقم فيها .

وفي ذات صباح ، قبيل حفلة العرس بايام معدودة ، جلس
الشاب خلف مكتبه في المصنع ، وسطر الى خطيبته الكتاب الثاني .
عزيزتي دنيا !

انت تعلمين انني من ارباب المدخول المحدود . وتعلمين ان
استنجاز منزل خاص بنا يقتضي الان كامل مرتباتي عن نصف سنة .
ثم هذه القضية الخطيرة التي حدثت مراراً عنها ، قضية الكناسة . .
لا استطيع ان اتساهل فيها ، كما لا استطيع ان اتساهل في امر
هذه المرأة المشبوهة التي تلازم بيتكم ، وتشارك بصورة خاصة
. معاشره الصديقة ! وانا كما اخبرتك مراراً اريد ان اتزوج رفيقة
لا خادمة و اريد فوق ذلك ان تكون هذه الرفيقة لا تحسن كناسة
البيت ، فلا تقتلي بجھلها ، ولا تقتل الآخرين بالبار !

لذلك فانت تعلمين اني اذا اخبرتك انني اجبت حفلة العرس
المجالج غير مسمي . وعلى امل ان اراك بمجرع ، ساجرب نسيان ما لقيته
في الحياة ، فتنسج و خداعهما من بضائع بعض التجار ، في هذا
اللد التجاري ، حتى في عقود الزواج !

اودع رضى هذا الكتاب صندوق العهيد ، ولم يشأ ان ينتظر
جواباً ، لانه كان يعلم ذلك الجواب . بل ذهب توأ الى اقرب شركة
نقل ، واستأجر سيارة لمحمله الى فلسطين حيث يناضل العرب للاحتفاظ
ببلادهم ، فينسج هناك في ميدان الجهاد ما لقيه هنا في الميدان الآخر .
ولم يحل بين رضى وبين تحقيق هذه الامنية سوى . . . تدخل الإنجليز .
فقد طلبت بريطانيا الى العرب ان يتروثوا ويهادنوا ، بعد ان
اجتاحت كتاب النازية حصون الديمقراطية في اوروبا الوسطى .
فقرل العرب عند طلب صديقتهم التقليدية . . . واداروا فوهات
بنادقهم نحو صدور العدو المشترك .

وهكذا عاد رضى الى استئناف عمله المتواضع ، وحياته الرتيبة ،
في مكتبه القديم ، وبيته الهادئ . فكان البيت هذه المرة هادئاً
. حقاً ، برغم الحرب التي اشعلت نيرانها اطراف المعمور . لقد أثر كل
من فيه ان يتروكوا لهذا الشاب حورية تقرير المصير . . . هذه الحرية
التي تناضل الشعوب في سبيلها ، ويواصل الفرد ، منذ ولادته حتى يوت
رساد المغربي دارغوث

الأونسكو والمكتبات العامة: انبثقت منظمة الأونسكو عن رغبات ٩٣ دولة حرة مستقلة في دول الأمم المتحدة. والقصد من هذه المنظمة القيام بكل ما من شأنه ان يساعد على اقرار السلام وتوطيد اركانه وتكريف دماغه في العالم، مما يؤول الى حلول التفاهم العقلي والروحي والاجتماعي بين البشر، مما اختلفت اجناسهم وتباينت ادبياتهم وتباعدت لغاتهم. ولعل الاداة الطليعة المثل لتحقيق هذه الاهداف السامية هو بث انوار العلم والمعرفة بين الجماهير عن طريق الكتاب لتيسير سبل التفاهم فالتعاون بين الامم والشعوب. وقد عنيت منظمة الأونسكو في الاجتماعات الدورية والمؤتمرات العامة التي عقدتها منذ نشأتها حتى اليوم، عنابة ملهوسة بالمكتبات العامة بوصفها خير اداة لتنوير الجماهير، معربة في ذلك كله عن ايمانها الوثيق بما لهذه المؤسسات العلمية من شأن خطير في تحقيق ما تشهده المنظمة من اهداف وترمي اليه من اغراض: وقد رأت مقتنعة، انه من اقدس واجبات المنظمة العمل على بث الدعوة لانشاء المكتبات

الحديثة والنموض بها والاكتثار منها في الاقطار والبلدان التي لا تزال الآن مفتقرة اليها لتذلل جهدها ووسائلها ما استطاعت الى ذلك سبيلاً، لتعمل الدول والشعوب على انشاء اكبر عدد من المكتبات.

وقد رأينا ان نسط هنا بإيجاز المنافع التي تلقها منظمة الأونسكو على المكتبات الشعبية، فنعرض عن ايمانها بها وبفعاليتها كخير اداة للقرية الشعبية وانما الشعور بالتفاهم الدولي، مما يؤول الى استنباب السلام في العالم اجمع.

نظرة الفعالية الى المكتبة العامة نظرها الى امثل الوسائل للتنوير والتهيئة: تمثل المكتبة العامة خير ما تفتحت عنه مثل الديمقراطية الحديثة. ففيها يتلور ايمان الهيئة الاجتماعية وفيها يتغير اعتقادها بما للآتية من قيم مثلى وبأنها عملية يتد الاخذ بها الحياة بكاملها، وتبتدى منذ الساعة الاولى بالمرو. وبدي فيهم الغيب وتنتهي بانتها اجل الحياة.

قد يكون القصد الاول من المكتبة العامة اشباع حاجات المرحقين التربوية والعلمية. فعمل المكتبة من هذه الناحية تنمة لعمل المدرسة. فهي تساعد جدياً والى حد كبير، على اشباع حب الفضول والروح الطامعة للكامنين في اغوار النفس البشرية، ممن الصغار الى الكبار على السواء وشغفهم بالقراءة والمطالعة، فالمكتبة

تهدف كما هدف المدرسة من قبل الى مساعدتهم في استكمال مقومات الرجولة والمزيد من هذه المقومات، بالاستفادة من الكتاب وبما يثله الكتاب من قيم وكفايات كأداة غير اداة اشباع. ولما كانت المكتبة العامة مؤسسة ديمقراطية في اصلها وطبيعتها، يقوم بها الشعب وينهض فيهاها لمنفعة الشعب واصالحه وغيره، فقد وجب على المكتبة العامة ان تستجعم المقومات التالية:

— ان تنشأ وتدار تحت سلطة حكومية واعية، باعتبارها غلية هامة من غلايا جسم الدولة.

— ان تكفل الدولة، كلياً او جزئياً، قوامها واودها، وذلك بان يرصدها سنوياً ما هي بحاجة اليه من اعبادات مالية.

— ان تفتح ابوابها للموم لاستفيد منها على السواء كل اعضاء الهيئة البشرية مهما تباعدت اشغالهم وتضاربت عقائدهم واجناسهم. ما الذي يجب على المكتبة العامة ان تقدمه للجماهير؟ يجب على كل مكتبة عامة تستحق ان تحمل هذا الاسم، ان توفر لكل من يرجع اليها، الوسائل التي من شأنها

ان تحرك الفكر وتحمل على التفكير وترتظ في المرو. القرائح، كالكتب والوثائق، والوسائل والمباحث، الجرائد والمجلات والحواسط والمصورات، والرسوم اي كل ما يساعد على التنوير.

ان قيمة المكتبة وتيسير رسالتها على الوجه الصحيح، انما يقومون اصلاً، وقبل كل شيء، على ادارة فنية، مسلكية تستجعم خير عدة علمية ادبية ثقافية، كما تقوم، من ناحية ثانية، على ما تتحلى به مجاميعها من التنوير والانتقاء. فالكيف قبل الكم، والنوع قبل العدد. لا يبطي المرو الا ما تملك يسدها، والانا لا ينضج الا بما فيه. فلا تنتظر، والحالة هذه يا قارئ العزيز، ان يخرج من الموضع تبين ولا من الشوك عمل. فالتأنيث مرهونة ابداً بقوامها. فلا تنتظرن علماً من اخي جهالة، ولا نوراً من انصاف المعرفة هؤلاء الذين، في غفلة من الدهر وفي مهازل الحكم والحكومات، جي هم لادارة هذه المؤسسات. فجاميع المكتبة وموضوعات الموم والفنون فيها، يجب ان تتكلم من نفسها مجرد وجودها وتم، من حيث انها ممثلة او غير ممثلة لافانين العلوم، عن المجاري الفكرية والتيارات العلمية والادبية والفنية التي ترعر بها الامة وينهض بها واقفا الموضوعي الحيز.

المكتبات العامة دعامة التربية الشعبية

يتم المكون يوسف اسعد داغر
امين دار الكتب اللبنانية، خريج معهد المكتبات بباريس
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

المكتبات العامة هي الجامعات الشعبية بينها : اذا ما توفرت المكتبة العامة ادارة فنية متخصصة تحسن الابتكار ولا ترددي فائزين الوصول في عملها ، وتتركز على موازنة دقيقة تضمن يد رقيقة ، استطاعت المكتبة العامة ان تحقق ما يجب ان تكونه بالفعل ، فتصبح جامعة شعبية بالجامعة من امتيازات كلها ما للجامعة من غم دون ان ينالها الترميم فالتفتيش ، مسؤولية الادارة من متطلبات التسجيل والانساب والنهوض باعباء الدرجات العلمية ، فبوسع المكتبة ان تمد روادها بقوية رشيدة حرة صحة . ان جميع مواطني الديمقراطية ورعاياها الكثير ، يجب ان تتوفر لهم في يومنا هذا ، كل الامكانيات ، ليدرسوا على انفسهم كل ما يرغبون في درسه واقتناباه . فالحياة القاسية ومتطلباتها المتسببة للمشابكة وعدم استقرار حبلها ونهرها يجعل هذا المطالب ضرورة ملحة وامراً لا مفر منه ولا مهرب .

ماذا يجب عليك بعد هذا الذي قرأت ؟ اطعمك ايها القاري . العزيز ، في ما مر بنا من بحث ، على الامكانيات العظيمة المنوية التي تكمن تحت كل مكتبة عامة تجعل منها ، مبدئياً او بالقوة كما تقول الفلاسفة المدرسية ، جامعة شعبية تقوم بآود تقفيف الجماعات فمليك يتوقف الى حد كبير ، بتحقيق هذه الامكانيات وتحجيرها في الزمان والمكان لحيز الجامعة التي تعيش فيها وتعمل لها .

فما عليك فاعلم انك ، في محيطك الذي لم ينعم بعد ، حتى اليوم ، بمكتبة عامة ؟
استفت في أمورك ومصيرك ومصير الجماعة التي تعيش وايها نقابة امناء المكتبات في وطنك ، ان كان ثمة من نقابة ، او ادارة المكتبة الاهلية ، ان كان ثمة من مكتبة او وزارة التربية الوطنية فتفنيك بما يسد خطاك في المسمى الكريم والمطالب النبيل الذي تهدف اليه من انشاء مكتبة عامة والخروج بمشروعك الى حيز الوجود ، وان كنت صادقاً مع نفسك ونحو وطنك الاصفر ، تدبر الصبح والارشاد بالعمل السوي الرشيد .

اما اذا كان في المحلة خزانة قائمة فاقبل بلديها بأمانيها ، واعمل على توثيق صلاتك به وبين جيداً الاغراض المشدودة ودقات العمل المبسوط لديك في الخزانة الثقافية وحقن الصورة المرتسمة ، وسر في عملك الانشائي ونحن ان تسير عدوى عملك الى اكبر عدد من النواحي والاقضية فترتفع المكتبات الشعبية وتوزع غيث السلم والتربية والثقافة على الافرنج من النفوس العطشى الى العلم والمعرفة لحيز العباد واسعاد البلاد .

يوسف اسعد داغر

يجب على المكتبة العامة ان تقبل للجميع : للكبار والصغار ، الرفيع والضيع ، لسري ، والخطوك ، للنساء والرجال :
- الانصراف الى استكمال مقومات تربيتهم وثقافتهم من اي درجة كانت دون انقطاع .

- التفتح الذهني للاخذ بتطورات العلم في شتى مناحيه .
- حوية الضمير والتفكير والتعبير عن رأيهم الصريح بما يراهم من مواقف تتصل بالحياة العامة التي تلاعبهم .
- تجهيز انفسهم ، في الحلال والاستقبال بما يضاهي فعاليتهم في الاعمال التي يزاولون . - تقوية طاقة امكانياتهم واستعداداتهم للمساهمة في احلث الثقافي على نسبة تقديروهم لقيم الاشياء .
- الاستفادة من اوقات الفراغ ، اتي وقتت ، على صورة تعود على صاحبها بالرفاه والاسعاد .

المكتبة قوة حيوية للجماعة : على المكتبة ان تكون حية واقعية باعثة على النشاط ، متصلة بحياة الجماعة باوثق الاسباب وان تقع منها .
موقع القاب من الجسم فهي ، اي المكتبة ، لا ترمي قط ولا تتطلم الى تعليم الناس ما الذي يجب ان يفكروا به ، وجل غايتها ان تكون مثاراً لفضولهم العلمي ولروح الاستمراق والتطلم الى ما يحيط بهم او تقع عليه منهم العين ، فتوقظ منهم الانتباه فالخافضة فالتفكير فالخافضة العقلية . يجب على المكتبة ان تجتذب انظار النظارة او المارة وتوجه انتباه الجماهير الى القيم من محاصيل الفكر ونتائج البقل ومسكيات القرائع ومخترعات العلم والفن ، وذلك عن طريق مساهمة تقية من المعارض والمتاحف الدورية وما تضمنه من الفهارس المخدومة ، والنقد والمحاضرات والاحاديث العلمية والاحترام والالوانع الدقيقة ، الى غير ذلك من اساليب التنوير والاستصباح الفكري التي تهديم الى مواضع الادب الرفيع والعلم المصنف والفن العالي .

يجب على وسائل تنوير الجماهير بما تحسن الدولة تحريكها او توجيهها ، كالطرائد والاذاعة مثلاً وغير ذلك من ادوات التاثير ان تضع بالاشتراك ، مجتمعة متضانة ، منهجاً محكم الوضع يرمي الى اثار الرغبة والتشويق الى المطالعة وارتياح المكتبات .

على المكتبة العامة ان تنسق عملها وتحكم ربطه احكاماً وثيقاً بكل ما يتصل بآركان التربية والثقافة والعلم ومصانمها الكبرى كالمدراس والجامعات والمعاهد الدراسية والجماعات العلم والزوادي العلمية والادبية والمواطن الثقافية الاخرى ، تعمل ممأ بالتعاون المشترك في كل ما يؤول الى توطيد المكتبات في البلاد وتعزيز مآها وتوسيع مداها .

الربيع

درفوف ودرفوف على آفاق غروبنا وافرش دروب الصبا ورداً ومجاناً
واضرب عصا السحر فوق الصخور متبسماً وفجر الارض انهاراً وفقد رنا
تلك البراعم في اعناقنا اختومت بذورها ونمت في روض ذكرونا
سكنت فيها عبر الوجد فابنحت سكينه الوحي في اهداب رؤيتنا
وغلغلت في حنايا النفس هينة زادت مواطننا بالحب ايماننا
ضعنا وعدنا التقينا في مراتنا فمال الغاب والوادي للقياننا ...
افوقت قارورة الاحلام فالتأتأت اجوارنا منك يا قوتنا ومرجاننا
والنجر موع بالاضواء جهته فأنشرك الاقوى مقتوناً بمرآتنا
والنهر قد اصبح الوادي قصيدته فصنع القصب المروح لمهانا
ورددت باسقات الحور هسته فاغرورق السفع بالاهام نشواننا ..

الطير فوق غصون الايك حائرة ارجع لها يا ربيع الحب ما كانا
قد هزنا البث في الاكفان فالتفتت ولهي تفرق اغلالاً واكفاننا
تذرو انشيدنا في كل منعطف وتقدم السمع آنا والذرى آنا ..
اما الفرس على الاسك، ينتشر نخاله من الدهور وسيلنا
يضي الى الروض مدفوعاً بنشوته حتى يبدغ اوراقاً وتبججنا ..
والبلبل فوق كوكوس الزهر منغمس بحسرو ويحمر ويهيج في العيون
ينبت فوق المضارب الشم، وتلقا يحدرك بين ضلوع الغاب جذلانا ..
وعند كل مطل صوت راعية يدوي فتحتلى الغابات رعياننا
كل مع النعمة المذرا، منطلق لامر، يبدد اوهاماً واشجانا ..
فلا تعي غير انعام مجنحة تربتها نورات الشوق تحننا ..
وشاعر الحب جاثر طي عزله يسي في لزقة الارواح اوزانا
تشدو بنات القوى من حوله طرباً فينتي لانتقاط الاعم هيانا
قد ذوب الروح شعراً في تصديته واترع الكون انغاماً والحانا ..
هذي مواكبنا في كل رابية تكسو الطليعة احلاماً والوانا
فيض من اللأ الامل قد انتشرت منسا اشتبه شوقاً ووجدنا
عطر وهمس واصدا، مرجعة ترفض منك وتزو من محبنا ..
موت بالسهل فانسابت جداوله من راحتك وشع المرح وازدانا
ورحت للروض فافترت برامه وقيمت بشذاها ما احيلنا !!
نفخت في الارض روح الحب فالتفتت مروتها وجمت العمر فثانا ..
هل انت عرس الصبا في كل مرحلة ترهب بجلتك الخضرا، ريانا
ام انت نفس الاله كلما سطعت اشراقه الوحي نحيها ونحيانا . ٩

درفوف ربيع الصبا ، في كل رفوفة تكسو شباباً قضى الايام عرياناً
ما انت الا انشاق من صباينا وما اغانيك الا فيض ديسانا .

مصحفي عبر ربه

حالم

على شفتي « حالم » قد غفوت
واطبقت قلبي على نوره
وخضبت بالآه ، ظل الشفاء
تقنيت ، لو طال غفو الحبيب
ويضي هزيع ، وبأني هزيع
ويغني الزمان ، ويغني الورد ،
وابقى ، على نوره ، غافياً ،
صافياً - سوربا

محمود عيسى

كبرياء العلم

مصحفي من انيك اجتاح
لم يبدل يوم القصة افرا
انا ما شققت اقاتن بالصبر
ابداً اساس الشفاء لايماني
فساهحي يا بين ربي دوائي
والاזהري ترنسي فوق الا
هو عطر الرب رسول من الورد
انا ما بكيت بسكي المدي الرب
واذا طفت في الحسية طروباً
انا احيا وكل دربي اشوك
انا احيا ، لا الهل لآخر اهلي
لم اثر بساعتنا صراخي بأساً
انا طبع جناسه من خلود
فقداري الخلود بين يسدي
والصافي في الحقول تناولي
وصبايا الاحلام تنهوا نشاوي
فساغضي يا هموم است ابالي

واخجلي من تجلدي يا جواحي
حي ، ولا نال ليه من صاحبي
والتي ، ممزني ... بالساح
واحد الافواح من اتواحي
ودعي الكون ينتهي من صداحي
مي وشاحاً ، يا حسنه بالوشاح
المثدي ، ومن زهر الاقايحي
وتبه من نواحي الزواحي
سكرك الكون من غالات راحي
وما حد وزخها من صحاحي
لاولاصحب في الشفاء سلاحي
انا لم اطور في اصاب جناحي
الله واسب ، من دنى الارواح
شموي سكارى ، تب من اقداحي
جائعات تقنات من افراحي
حالمات ، تسقي الهانم من مزاحي
واصفني يا جواح است بلاحي

اتحدى الدنيا اذا هي ثارت في مدائي ، وامضت في كفاهي
ساذل الجراح حتى اراها ومضت الانوار في مصباحي
فاخجلني من جراتي يا جواحي انت لن تسعي صدى لنواحي
للمس العبد الله

تعبير

هناك بين الانوار والاحلال ، اطل على النور ، فابقظ في موات الايمان

ايها النور ، يا جناحي اذا ما جند الكون ، من حوالي ، طرا
اشرب الوجد ، من يتابعك الابكار ، اندي من الغمام وطوى
ايها النور ، زد ما في ، ازدد منك صفوا ، وانطلق بك حرا
انا لولا سنائك ، ما انمرحت نفسي ، ولا نمت في المناهات مسرى
انت سر الحياة ، تهو له الآيات ، في مجده ، تباركت سرا .
جذوة النور ، جذوة الفرح الاسنى ، ملاذ الالهيب ايان امرى
مس وجهي شذاك ، يا جذوة النور ، فني جبهتي تلامس بشرى
كيف انا كافر الحياة ، والطافك تهني ، فتدثر الميت نضرا ؟
تلم العين من ظلالك ، الوانا ، تهادى على صداري عطرا
كل افق ، ظلاله بوايك ، علمته رباح حبي فخر ا
احسنت حموك المصمخ ، اكون ، وصلى لوجيك النور شكرا
وكشفت السر المحي . ان ضل ، فأعيا روحا ، قلبا ، وكبرا
زد حنيني ، يا نور ، وانفع محاني ، من نضار الاشراق فنا وسعرا
انت صغري ، ولو ترنح ايمانتي ، وطهري ولو تسربت كفوا
مصنوع فاغوري

على الباب

افتحي لي . . انا هنا اقرب الباب ، عظيم الرجا . ان فتحي لي .
دميت قبضتي ، وبع ندائي تحت ستر من الظلام ، ثقيل .
والرياح الموحاه تصف في اذ في وتعي بلعنبا المجهول
افتحي لي ، هذا هو الحشب الاخرس يصني للزائر الممول
اي ذنب جنيت يا فتنة العمر لتمرين شوكة في سبيلي ؟
انا سغرت في غرامك ايمبا في ! وسورته بقلب قتيل !
وفرشت الورد في فسحة الكور خ ، وغيبته خلال الحقول .
انصتي للرياح . . تدعوك تأ تين ، هيا . . تهيشي للرحيل .

لا تقولي : انا اخاف افكركم بذاك
لا تنهني الجبال ، نعلك يوقا
وثقي بي في حياك رب
افتحي لي . . الباب ضج من الدا
افتحي لي غدا سيستيقظ الكور
والصبح الجليل يلثم خديك ،
وكلانا في حضن صاحبه يغفو
يا لعينيك في عروني ، مرآة
فيها تنطوي حياتي وآمالي ،
افتحي لي اني اخاف اذا ما
فخذني اليك تزدهر الار
دربنا زنبق ، وايفاء واحات ، فدوسي على ظلال النخيل !
من فؤادي سقيتها . . فارحي فيها وطوي على جناح الاصيل
انا اولاك . . تطامت للانجم فكفوني عبد المايالي دليلي !
شوقي بقدرادي

اباطيل

هيهات من الاماني جواسم
هذه هيهات من الشبال المعني
علم من مطاعم وطموح
كذبتي الآمال قصداً فقصرأ
ما ارى في الحياة الا سرايا
نام حظي عن كاسه ونداماه
انا في الكون حفنة من رمد
يا دموع الوفاء في ماتم الحق اعيدي ما رددته الماتم
كهيا . الآمال سهرها الزيل فغارت لدى العقوق تسالم
كلما طاولت مناي الزوايا
يا تدامي الاوهام حطمت كأني
لم يعد يلحم السراب بعيني
ايقظني كذ الحقيقة فانسل خفيها حلم مجفني حاسم
فأريت الانام انفاس شيطان تلظى والمهين طلاس
ورأيت الحياة ملهى اباطيل وان القباء ارحم راحم
عبر الحاشي طه الموص

الموازين المختلطة

نجلس

في مجتمع ادبي، كل من فيه ادب له مؤلفات ومتراجم ومجربات طوال، وكل يصير من الدمار له معجبون ومقلدون. ثم تدور كاس الحديث، فيتماطساها الحاضرون جميعاً لا يشذ منهم احد، ولا يرفضها احد، ويكون محور النقاش كما هو متوقع، حال الاديب في الغابر وفي الحاضر وفي القد المجهول. وتجري على أسنة الحاضرين اسماء لادبا. معاصرين وشعراء، محضرين وباحثين مدققين. ثم تصفي الى مسا يقولون، فيمهلك ما تسمع.

ذلك ان ميزان النقد مختل على الأغلب، لا يُجمل الحكم بمد انعام ونظر وامعان تفكير، بل يصدر فطيراً فجاً يذهب الى الدهشة، ويستثير الغضب.

فهذا يزعم ان شوقي ليس شاعراً. وذلك يدعي ان حافظاً لم يكن قط شاعراً، وقائل يقول ان طه حسين ما كان عمود ادبية، وآخرون يؤكد ان سلامة موسى صفر على السائر، وسائل يسأل: من قال ان رامى شاعر، ومن زعم ان احمد ابن ادب؟ ويقنع واحد من الجالسين فيقول: لقد ارخ عبد الرحمن الرفاعي تاليف مصر تاريخاً كله خطأ.

واو ان اولئك «القضاة» اصدروا احكامهم بعد روية وتفكير، وبعد استقصاء. وتجو، وبعد مقابلة ومقارنة، قلنا: مرحى بشيعةאתكم الادبية، ونعم ما صنعتم لتوجيه النظر الى «خطأ شائم» وقع فيه الشرق قاطبة.

ولكن اولئك يلقون الكلام على عواهنه اما لضعف شخصي، او لحسد كامن، او لرغبة في قلب الحقائق، او لتقصير في النظرة الادبية، او لاحتضار ما يسمونه «الضمير الادبي».

ومن عجب ان مثل هذه الاحكام المطلقة العامة تجد سبيلها الى مجلات الادب، فتنتشرها مقرونة باعمالا، كاتبها، واذا شئت ان تصدى بالرد، حومت هذا الحق، واواصد الباب في وجهك بحجة ان المجال لا يتسع للنقاش والاخذ والرد.

وهذه الظاهرة ليس لها مثل الا في الشرق، لان الغربيين يتوخون بقدر ما تسعهم العدالة البشرية، ان يكونوا حكاماً

يتعلمون الى العدل حتى وان لم يبالغوه فيقولون: تلك مشالبه، وهاته حسناته، ورجحان احدى الكفتين على الاخرى يتحكم في ما يقررونه من رأي.

وما قصد بهذه الكلمة ان اخرج أحداً، ولا ان اداقم عن احد، وانما مقصدي ان انبه الى ضرورة الثاني في اصدار الاحكام، فليس هناك من تسن مرتبة الكمال، وليس هناك من لا يخطئ. وليس هناك من استطاع ان يستحوذ على مرضاة الجميع واعجابهم، ولكن الامانة الادبية تقتضي ان نعطي لكل ذي حقه، فنقول الرأي ونعززه بأسانيد وحججياته وتقاصيله، مقدرين لكل احتمال قدره محاسبين لكل شيء حساباً.

قديراً صديقان قصة لكتاب ممين، فيقول الاول انها بلات اوج مراتب الفن، وينكفي. الثاني يجردها من كل صفة من صفات الادب وخصائص القصة وروائع الفن. وليس في هذا عيب اذا ابدى كل من الصديقين وجهة نظره مزينة بالحجة والبرهان فلا ينتظر ان تنفق الاذواق الادبية وتتألف المشارب الفنية، وانما العيب ان يقتضي كل منهما منعي بدافع من التعصب المصوب اليه، فلا يقبل الصديقان جدلاً ولا يذعنان لمنطق المناقشة ولا يباينان التبغلي عن الرأي مهايكن دوافع تكوينه. ويبلغ العجب منتهاه اذا ما عرف صاحب الرأي ان في رأيه شذوذاً لا يقره عاقل، واذا استبان انه يخطئ سادح في الخطأ ولكنه مع ذلك يابى الارتداد مؤثراً الماضي في الضلال على العودة الى الحق.

هذا دليل على تعدد قاب موازين النقد وعلى الحكم مع سبق الاحرار، ومعناه كما يقول رجال القانون الحكم في قضية قبل الاطلاع على تفاصيلها، ومعناه في عرف اطباء. قتل المريض قبل تشخيص دائه. ولست ازعم بان مثل هذه الاحكام السارطة ستخلد على مدى الايام، وانما اقصد ان التورط في الافضاء ببيانات من هذا اللون سواء في مجتمعات الادب او في دورياته. من شأنه ان يبطل افكار الناس، ويشكك القراء في مدى نزاهة حملة مشال النقد، وبالتالي يدخل عليهم الريبة في مدى ما يستمتع به اولئك النقاد من امانة ادبية وذوق يطاوع المنطق السليم.

وهناك فرق بين حكم يصدر على ادب، وحكم يصدر على كتاب بعينه من كتب ذلك الادب. فالحكم الاول ينبغي ان يظل مطوياً محجوراً حتى تم الباحث دراسة كل ما انتجته ذلك الادب من اسفار ومصنفات، دراسة موضوعية مجردة من الاهواء. طبقاً للنهج العلمي السليم. ومتى اكتملت للباحث مقومات هذه الدراسة

فيرة الكلمة

والحكمة (العاقل) : « المرء باصفيره قلبه ولسانه » هي صورة رائعة لتلك النفس الكبيرة التي بنيت عليها الحضارة العربية (الثالثة) يوم كان للكلمة قدرها واعتبارها وللنفس كرامتها وعزتها ولذلك قال شاعرهم :
جراحات السهام لها التآم ولا ينام ما جرح اللسان
وعلى ذكر الكلمة يستحسن سرد هذه الحادثة الطريفة التي تدل بجلد على قيمة الكلمة عند الامة الناضجة :

جاءني في جملة من كان يتردد عليّ خلال الحرب من الانكليز واحد منهم وقد اخذ يتأمل ويدقق لوحات مدة ساعة دون ان ينس بكلمة واحدة واخيراً التفت اليّ وهو يحد يده مصافحاً وقال : « اهتكت انك فنان » وبالمعنى فانا شكرته ، فما ان سمع شكري له حتى انتفض غاضباً وقال : « ولماذا تشكرني ، انا لم اصانك بل دفعت لك حقك » فابست لهذا الكلام وانا افكر في قيمة الكلمة عند هؤلاء الناس طبعا (السياسيين منهم) هؤلاء الناس الذين لا يقولوا الا بعد درس وتفكير ساعة ودون اية غايه سوى الحفيظة .
وفي هذه المناسبة لا نذكر اننا اكثرنا (يخلّق) باحدهم وبشكره وله في معرفته دقائق ممدودة ، فبرفقه الى السحاب ، ثم بعد دقائق يموي به ايضا الى اسفل الدركات ، ولكن في الاخلاق ...

مصطفى فروخ

ولى الوقت الذي كانت مهمة مخادعة القراء امراً يسيراً سهل المأل ، واصبح الاستعداد للنقاش العلمي بين جبهة القارئ اظهر من ان يستطيع اخفاء معالمة . فاذا قال قائل - كما حدث وكما يحدث - ان شرقي نائر ثوراً موزوناً ، فاقروا ، ليسوا من النبلاء والمحافة بحيث يهضون مثل هذا القول مؤمنين مصدقين . واذا افترى مقتر بأن سلامة موسى قد عن ركب النهضة الفكرية وتحلف في مضارها فهو يفاط نفسه قبل ان يخذل سامعيه . واذا انهرى لتجيب محفوظ من يسلبه موهبة التأليف القصصي ، فهو يفاط في افتراض سذاجة القراء . واذا هب متمتع يمتثل من توفيق الحكيم مزياه في الخلق والتأليف ، فهو يمتثل بنفسه حاقد على مقبرة الحكيم . واذا زعم كاتب - مهما بلغ قدره - ان نقولا الحداد ليس عالماً ولا فيلسوفاً فهو بجانب الحق ممتد عليه .

اعدلوا الموازين التي شأت اهرام احقاد ان قلبها هو استقواء الضمير الادبي الذي كثيماً ما تعتمدون قتله ، وسايروا المنطق وحكموا العقل ، واهدتوا هدي قواعد النقد الادبي التي تزددان بتناجها العلمي الصحيح .

الناظرة

وديع فلسطين

ان للكلمة عند الانسان الحكم ، كما لها عند الامة الواعية ، وزناً وقيمة كالكلمة والالاس او لشدها صورة من خاتما وقوة طباعها ، وعنى تفكيرها وعزة نفسها . ولكن الكلمة في نظر بعض الناس اليوم ، لغة من الالفاظ ترسل غفواً ، قد نصيب منى وقد تحدث صوتاً فحسب . لكن كلما اكتمل الوعي وعنى الفكر واحترمت النفس ، اصبح للكلمة صداما وقها بالموجب . لان هذه الكلمة ، لا تخرج من القم لتضج مع الهواء ، بل لتترجل الى القلب او لتجثل مكاناً من الفكر الباطن الذي . وقد كان للكلمة هذا الكيان والقوة ، ولها هذا اثر ، لاشك يصح لها قدسية وجلال ، ويصح لها قدر وعظم ، فلا ترسل جزافاً ولا تقى عبثاً . ولقد رأينا اثر هذا في الامم وفي الافراد في ايمان النضج والرقى ، حيث يكثّر التأمل وبسل الكلام ، اذ تصبح الكلمة الواحدة نتيجة عهود كبير وتفكير طويل وتأمل هادى حكيم .
وليس هذا هو اثر الكلمة فحسب بل اثرها في الاخلاق اشد واعظم ، فهي تحد من نزوات النفس وتمككها من الغلو والشطط ، وتثبت فيها الكثير من الكرامة والفرقة والاحترام . فالمرء عندما يتخلق بذلك لا يستطيع ارسال الكلام على هواه ، ولا يتكلم الشطط والشرعية فهو يدرك الثمرة ومدى خطر الكلمة فيحاسب نفسه عليها قبل ان يرساها . ولقد قيل في قديم الحكم : « من كثر كلامه كثرت غلظه ومن كثر غلظه مات قلبه ومن مات قلبه فقد هلك »

وسائلها ومبايرها ، اصبح في موقف يطولع له ان يصدر رأيه على الكتاب متصلاً وزر هذا الرأي ان كان خالفاً للرأي .
واما الحكم الثاني ، اي الذي يصدر على كتاب مستقل من كتب الاديب ، فلا يصح تعميمه بحيث ينسحب على ما سبقه من مؤلفات وما قد يتلو من بحوث ، لان كل كاتب تتعارضه عوامل متقلبة ، فقد تواتره تفتير عليه سبيل الاجادة ، وقد تتفكر له فتسلبه التوفيق مرة في العمر او مرات . وبذلك يجب ان يقتصر الحكم على الكتاب وحده منفرداً مستقلاً ابقاء على سلامة المنهج العلمي .
وهناك شعراء يكتبون القصة ، فلا يصح الاقتصاد على شعرهم عند ابداء الرأي فيهم كأدباء ، وهناك باحثون يتعرضون للشعر ، فلا يحق الاكتفاء ببحوثهم للحكم عليهم حكماً عاماً ، والقصيصة الواحدة قد تكون جيدة في مجموعها ولكنها مخلقة في بعض فقراتها ومهمة الناقد ان يبين هذه الميوب بحيث لا يغاب القليل الردي . وعلى الكثير الجيد ، ومجموعة الاقاصيص قد تشتمل على فائز متفجرة الزومة ، وتشتمل في الوقت عينه على قصص دون المستوى الوسيط ، فعلى الناقد ان يشير الى هاته متبذراً الى تلك متبذراً وجباً .

وليعلم الناقدون ان القراء ذوو حساسية ادبية مرهفة ، وقد

مكتبة الاديب



الكتاب في التحليل النفسي العميق، وهي في الواقع مشكلة سيكولوجية ياملها المؤلف بشيخ من التشويق والتوفيق، وتتماز بقوة عنصر المفاجأة فيها. و«المعجزة» قصة لطيفة ولذيذة ينراها وسردها، وان لم تكن بقوة حداثتها كسالفاتها.

اما قصة «حى» فجديدة حقاً في نوعها: مشاعر انسان وافكاره وتحليلاته وفقاً لدرجة حواراته. وهذه المشاعر والتخيلات تدور حول حبه لفتاة هي ابنة عمه يريد ذويه ان يزوجوها اخاه المريض. اما هو فيتحدث عن هذا الحب بين ارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها في حى اصعب بها... وهو في هذه الاناثا، يهذي ويقوم ببعض الاعمال، او يحيل اليه انه قائم بها، حتى لا يدري آخر الامر، حين تنجلي عنه الحجة، وهو الذي قتل اخاه الذي كان ينافسها على حب ابنة عمه، ام انه المرض قد اودى بأخيه؟

وأجل ما في هذه القصة ولا ريب غرض خائفتها، وترك القارىء في حيرة من امره، ومن معرفة حل العقدة.

على ان القارىء، هذه المجموعة، لا بد ان يتبين لدى المؤلفات زعة ظاهرة تكشف عنها عدة قصص، هي انه يحلّل الواقع والحياة كروايات خيالية، وان في قصصه من جملة الحوادث واقتضابها قسراً ما يبعدها عن حس الواقع وحقيقة الحياة. وما يزيد في قوة هذه الزعة وشدة ظهورها، هذا الجو العلمي الذي يحيط به المؤلف حوادث قصصه، حتى ليكاد القارىء يشعر بالتناقض بين زعمتين المؤلف نحو العلم والخيال في وقت واحد...

ودليل ذلك تجد في ثلاث قصص على الاقل من قصص المجموعة، هي «قطرات دم» و«آلام» و«قيام الموتى».

«قطرات دم» قصة فتاة تقدم على الانتحار من اجل صيانة قطرات دم نقلت الى جسدها من جسد شاب... ويفهم القارىء ان هذه القطرات قد انقذت حياة الفتاة فعلاً... ولكن لا شيء في القصة يجعله يفهم ان هذه الفتاة قد احبت ذلك الشاب الحب القوي العظيم الذي يدفعها الى مثل تلك التضحية الجسيمة (الانتحار) لصيانة تلك القطرات من شرور التدينس... ثم ان المؤلف لم يذكر السبب الذي من اجله اقدمت الفتاة على الانتحار، وان كان القارىء يفهم «من بعيد» ان الفتاة لا بد قد تعرضت للاضطراب والجنون... وربما

بنت الساحرة

للدكتور عبد السلام العجيلي - ١٣٨ صفحة - منشورات دار مجلة الاديب

علق اسم عبد السلام العجيلي في ذهني منذ اكثر من سبع سنوات يوم قرأت له في صحيفة اسبوعية سورية قصة فازت بالجائزة الاولى في المسابقة القصصية التي اقامتها تلك الصحيفة. ولعل رسوخ تلك القصة في ذهني، عائد الى انها انزعجت مقاماً كنت اطعم في ان تحتله قصة لي اشركتها في تلك المسابقة... فلم يرد لها ذكر في جلمة المتبارين!

واذكر اني وقفت طويلاً امام قصة العجيلي تلك، واذكر ان رأسي ثقل بها، فشتاني التفكير بها رسداً من الزمن. كانت جديدة في القصص التي قرأتها، وكانت تتناول اطرافاً من النظريات العلمية، تحيلها نحو من التخيل والتصور والتحليل، فاذا القارىء يخرج من تلاوتها برواسب ثابتة في اعماقه، ورواسب من الفكر والخيال والعاطفة جميعاً، ليس من السهولة على الزمن - منها تطاول - ان يحورها...

ذلك كان انطباعي الاول لدى قراءتي تلك القصة، ومثله الآن انطباعي اثر قراءتي مجموعة الدكتور عبد السلام العجيلي «بنت الساحرة».

فالجو الذي تترك فيه هذه القصص يصدي بقرعة الآلات الطبية، ويؤخر بتطبيق النظريات العلمية، ولكنه لا يخلو كذلك من اوهام التخيلات وتحليل العواطف. ومهما يكن من امر، فانت لن تفلح في نسيان ذلك الجو او محوه، بل هو يدعوك دائماً الى التفكير والتأمل.

ذلك هو الاثر الذي ينطبع في نفسك لدى قراءتك قصص «النوبة القاتلة» و«انتقام محلول الكينا» و«المعجزة» و«حى». فالاولى قصة قوية رائدة تعالج مشكلة علمية طبية نفسية في وقت واحد، والحادثة فيها قوية بمفاجأتها، وهي تكاد تزهق اعصاب القارىء برهبة الوقائع. و«انتقام محلول الكينا» من غير قصص

ليس نوعاً من الخيال ان يطبق الطبيب نظريته تلك في الحياة على احب الناس اليه : خطيبته ، وأكثر الاصدقاء . اليه والزملاء : . عه الطبيب ؟ ان المؤلف لم يقل ان الطبيب قتل خطيبته وعه ، ولكن ذلك واضح لا شك فيه ، ليست هذه فظاعة غير معقولة ان يسهل في عملية خطيبته ما من شأنه ان يؤدي بحياتها ، ويقطع شريان المعدة في جوف عه ليموت ؟

لقد انهى المؤلف قصته بمخافة تختلف كل الاختلاف من وقائع الحادثة . . خالقة طبيعية واقعية واثمة تدل على الصدق في الرواية عن الحياة . . عجز الشاب عن ان يؤذي نفسه وجنبه عن ان يضر حداً لحاته ، رغم شدة ايمانه بنظريته واعتقاده . . افلس في هذين الموقفين تناقض ومفارقة واضحة بين نزعة للخيال ونزعة للحقيقة ؟ لقد كانت تلك الحادثة تكون اقرب الى الواقع وابعد عن الرجم لو ان الطبيب حاول ان يطبق نظريته على غير خطيبته وعه ، وتبقى القضية مع ذلك موضع شك واستغهام . .

اما قصتنا «قيام الموتى» و«الضفادع» فيها مجموعة من الخيالات والالوهام والاشباح لا تساغ ، وليس من شأنها الا ان تعزز مساهمة ذهنية اليه .

بقيت لنا ملاحظتان على قصتي «مجرأ» و« بنت الساحرة » في الحديث التفصيلي عن كل قصة . فالاولى قصة جميلة بنهايتها وسموها ، ولكنها ضعيفة من حيث الفن القصصي ، وهي في سردها ، شبه مجرأ صحفي سريع ليست فيه عناية الفنان القصص . واما «بنت الساحرة» قصة جذابة بمجادتها وسردها وسلاستها وهي من هذه النواحي تأتي في الطليعة ، ولكن ضعفها في خاتمتها ، اذا قيسَت هذه الحلقة بمخزواتيم سائر قصص الكتاب التي هي في الحلق «ضربات» معلم مرفقة . . فان القارئ يخرج من هذه القصة وهو يطلب المزيد ويستشعر الضيق والحاجة .

وبعد ، فقد وقفت على ملاحظة اتى عليها غير كاتب واحد من تناولوا هذا الكتاب بالندق او التعليق ، هي ان المؤلف لا يكاد يخرج من نطاق محدود في طرق لون خاص من ألوان المواضيع بقصصه ، هو اللون العلمي الطلي التحليلي . وهذه ملاحظة في محلها ، ولكننا لا نرى فيها مأخذاً كما رأى بعضهم ، فلمهم في نظرنا ان يجيد الكاتب في الميدان الذي يدخله ، وقد اجاد الدكتور المعجبي ولا ريب في هذا الميدان ، بل لعله بين قصاصي العرب المحدثين القصص الوحيد الذي استثمر هذه المنطقة من مناطق القصص

يكن من امره ، فان انتحار الفتاة عمل لا يتحمله «الواقع» وهو اقرب الى الخيال ، ما دامت لم تحب منقذها الحب الذي يدفع الى هذا العمل ، ان اهين .

ولا بد لي ، ان اورد تلخيصاً لقصة «آلام» لأجل هذه الترة وان كنت اخشى كثيراً ان اسره القصة بتأخيها :

طبيب شاب يعتقد ان الحياة كلها آلام ، هي محورها الثابت ، وان اللذة والسعادة اطياف زائلة في جو حقائقه الشقاء والمذاب . اما عه الطبيب الشيخ ، والد خطيبته ، فيناقض نظرياته . ثم ان الشاب يعتقد ان واجب الاطباء تخفيف آلام الانسانية ، ولكنهم لا يمحرون على تنفيذ ذلك دائماً ، انهم لا يقدمون مثلاً على وضع حد لحياة مثل بالسرطان لا يرجى برؤه . . ويرد الشيخ الطبيب والد خطيبته الشاب متحدياً : « انتم شبان اليوم اجهن من ان تعملوا بما تعتقدون » . . عبارة تذل كبرياء الطبيب الشاب ، وتخز ضميره ثم يتبين ان خطيبته مصابة بالزائدة ، فتبشيراً لاجراء عملية الاستئصال ، وهنا تعارده عقيدته ونظرياته في الحياة : ان خطيبته تتألم ، وانه لن يفعل الا ان يسكن نوبة من نوبات آلامها ، اما الداء الذي الالم من اعراضه ، « فيشك له هو يعضه أفعاً جديداً يستفعل فيه ، ستقوم من تحت مضغه لتتصلب وليزورها وتصلب منه فيهدى اليها ينبوع ألم جديد . . ومع ذلك فانه يدهي حياء . وهنا يرذعن الطبيب الشاب ان امحلاً يسراً في اجراء العملية . يودي بحياة خطيبته . . ويجري العملية ، وتزوت الحظية ! ثم يظهر ان عه والد خطيبته مصاب ، هو الآخر ، بسرطان المعدة . . وهو يأبى ان يجري عملية ما ، طلباً في ان يتعذب ويقضي بالآلم ، بعد ان فقد ابنته ويس من الدنيا ، وهو يأبى على خطيب ابنته السابق ان يجري له عملية الا بعد ان يرحي له بان يقطع شريان المعدة في العملية .

وموت الطبيب الشيخ ايضاً بمسد اجراء العملية . . ويخاور الشاب الى نفسه يتساءل : ماذا بقي له من الحياة ؟ ولا يجد اخيراً الا ان يعزم على الانتحار بان يقطع شريان زنده بالشرط . . ولكن سن الشرط يتقاسم حين التنفيذ ، ويأبى ان يسير على الحيلة النابضة في الزند المكشوف . . وهوى عزم الطبيب الشاب ، وسقط الشرط من يده ، فراح يبيكي بكاء مريراً . .

هذه هي قصة «آلام» ، وهي كما يرى القارئ ، رائعة غنية باعاقب النفسية والفكرية ، ولكن ليتأمل قليلاً في وقائنها : أليست هي محملة بالكثير مما تطبق الحياة ، من قسوة وبشاعة وقبح ؟

المؤلفين العرب والمشتشرقين ، مما جعل هذه المكتبة حوية بان تسمى « الخزانة العراقية » لاحتوائها على اجل واثير الاسفار الباحثة عن العراق القديم والعربي .

وما زال الاستاذ منذ مدة مديدة يبحث ويكتب ويدقق في شتى المواضيع المهمة ، فنشر نتائج تقصياته بشكل مقالات متنوعة ظهرت في مجلات وجرائد كثيرة ، ولا سيما في مجلة « لغة العرب » لصاحبها فقيه العراق والعرب والعربية ، الاب انتاس مساري الكرملي السيد الذكر . وكان السيد يعقوب سر كس قد آلفه وباحته وآزره مدة طويلة .

وفي هذه الآونة قد تزل الاستاذ عند رغبة والاح الاصداقا والمعجبين بعلمه والمقدرين جهده في سبيل الوطن فجمع كل مسا نشره من المقالات القيمة في مجلة « لغة العرب » ، وضمها هذا السفر المنون « مباحث عراقية » .

والشخص الجليل الذي كان في طليعة ادباء العراق المقدرين علم الاستاذ سر كس تفضل بتقديم تأليفه الى العلماء وجهور المثقفين ، هو ذاك العراقي الكبير العلامة محمد رضا الشبيبي وزير ومسارف العراق سابقاً ، وعضو الجمعية الانثوين المصري والسوري ، ورئيس الجمع العلمي العراقي ، المتوفى حوله كعضاء للجمع نخبة من علماء العراق الاجلاء ، ارباب الاختصاص في مختلف العلوم العربية والاجنبية . فنحن جريئة المثقفين في عراقنا خاصة ، وفي بقية البلاد العربية على اقتناء هذا السفر ومطالعة مطالعة تأليف عالم محقق ، بارع في اختصاصه ، وسامع وراء الحقيقة العلمية بامانة واخلاص ، فلا يبيدي رأيه الا بعد قتل الموضوع بحثاً وتعميقاً مما يجمل قوله حجة .

هذا وقد ورد في مطلع كتابه انه اهداء : « الى روح العلامة الفتوي المرحوم الاب انتاس ماري الكرملي ذكرى خدماته الجليلة للغة الضاد » فقد احسن المؤلف بهذا صنماً ، اذ جاءت الغفيدة لائحة بالمهدي اليه . لكن ليسمح لي الاستاذ سر كس بالقول - وان جرح قولتي تواضعه وزهده في المديح والشهرة - انه ان كان هو قد انتفع بعلم الاب الكرملي الرائع ، فانا على يقين ان الاستاذ المرحوم قد استفاد منه بدوره في امور كثيرة غفبت عنه معرفتها . ثم ان كان علامتنا الراحل قد فاتت بفرادة المادة ، وخصب الانتاج الفكري ، فان وطنينا وصديقنا الكريم السيد يعقوب سر كس مزدان ، من الناحية العلمية والحقيقية ، جزايا حميدة فريدة ، منها التزوي في التقصيات وعدم التهور في الاحكام ، والابتعاد في ميدان البحث عن التخييلات والمغالاة والتجلي بالنبل والاناس والدماسة في

الشاسعة . وما دام هو طلياً ، فان خير ما يعالجه في قصصه الواقعية التي يشهداها ويحيهاها ، وليس مطاولاً في التخصاص ان يكون « دائرة معارف » ولا ان يعالج من مشاكل الحياة ما لا يشهد ولا يعيش . . ولا يحق للنساق في رأيي ان يعبر كاتباً بالتقصير اذا لم يطرق موضوعاً بيمينه ، وانسا يحق له ان يعبره بالتقصير اذا خاتته الاجادة في طرق هذا الموضوع . فلا نطالب من قصاص ان يعيش حياة سواء ليعرض نزعات القراء المختلفة ، ولكن هذا لا يعني اننا نطلب منه ان يظل في ميدان واحد اذا تبين لنا ان يوسمه ان يدخل ميداناً آخر ويجيد فيه . . ونحن اذ نتمنى على المؤلف الآن ان يعالج ، الى القصة العلمية الطبية القصة العاطفية التحليلية ، فلاننا على يقين من ان يوسمه الاجادة ، كسادال على ذلك في قصته « بنت الساحرة » وسواها .

واذا كان لا بد لنا اخيراً من كلمة في اسلوب المؤلف ولنته ، فهي انه اسلوب صاف متين رائع لا تنقصه جزالة ، ولنته سائفة جميلة لا تعزها قوة ، وهو الى ذلك بارع في التحليل النفسي والوصف الدقيق ينفذ بها الى اعماق النفس . على اننا قد وقفنا على بضعة اغلاط نحوية وصرفية ولا سيما في قواعد العدد والموزن ، سيئني المؤلف بازالة امثالها ولا ريب في انتاجه المتكامل .

وبعد فان الدكتور عبد السلام العجيلي قصاص سوري جديد تكسبه القصة العربية الحديثة وتأمل على يديه ويدي زملائه من كتاب القصة في سورية قفزة ابداع وخلق وابتكار ، قفزة الى لامام بالقصة الفنية الرائقة تقيم لها كياناً خاصاً في دنيا القصص العالمي .

سريسل ادريس

مباحث عراقية في التاريخ والجغرافيا والاسرار وخط بغداد

للاستاذ يعقوب سر كس - ١١٣ صفحة - بغداد

حضرة الاستاذ يعقوب سر كس بغدادي سليل اسرة سر كس الشهيرة في عراقنا العزيز ، وهو اليوم عيدها الجليل . ولشدة حبه لوطننا المقدس قد اطلع منذ سن الشبوبة بكل ما يموذ الى تاريخه وجغرافيته وخطوط مدنه وآثاره القديمة ، ولا سيما ببغداد مدينة السلام وعاصمة العباسيين .

ولبلوغ هذه الغاية ، قد سعى فتوصل الى انشاء خزانة كتب في داره العامة ، جمع فيها كل نفيس من المطبوعات والمخطوطات

العلاقات الاجتماعية .

وإذا اتى مثن على عمل الأستاذ العلمي، ألقى له ان يتمكن من
فشر الجزء الثاني من مجلته الممتعة مع الباقي من مقالاته المخطوطة،
لكي يستمد من منها كل حب للعلم وساع في خدمته .

الفردس

الاب مرصحي الروماني

غير الغريب

للاستاذ بولس سلامة - ٣٢٠ صفحة - مطبعة النسر - بيروت

القول في عيد القدير قولان : واحد في الجراح ، وواحد في
سعاده الشعر . وما كانت الجراح الامنافذ الشاعر الى ذاته ،
ومنافذ الذات الى نعم الجراح . بولس سلامة يتلم ويعتل : يتلم
ليحيا ويعتل ليخلق . تطل عليه في غرفته الوداعة ، فيسقط ذهناً ترفاً
وحلاوة منطق ، وتقوس على نفسه فيفيض مرحك ، وتكاد تشق
في حضرة الام . الام واحد في الجوهر ولكن التلم موهبة . ذلك
لان من طبيعة الام ان يخلق ويمزي ويلم . فلا عجب ، اذا راح بولس
سلامه ، في هنيات صحو الحاضر ، ينتقل على رياض الشؤون من
واحة الى واحة ، من علي والحسين الى فلسطين الى الامير بشير
الى عيد القدير .

والمؤلف هذا حدث وفتح :

حدث لانه تاريخ في حلة النغم . والتاريخ هو كنه الهدى
وعنوان الوثيقة الى امام . يحبه الفرد ، لانه فلذة من انسانه
ويصره ليبنى عليه انسان المستقبل . فكيف به اذا كان شراً ؟
ليس الشعر اقل اداء من النثر ، واكثر احوال الى بناء ، وادعى الى اعزاز ؟
هذا ، الى مرونة في الشعر اسلحس اقتبالاً وافنى عطاء .

وفتح لانه ملحمة . والملحمة في عرف القومية ، كشيء بالباطال ،
وتوله البطولات ، وترقى بانسان الامة الى الجير . اليس هو ميموس
موني اليونان ؟ اليس الالاذة شرعة النهضة الاغريقية ، اليس اغيل
علم التضحية والاقدام على الحلى ؟ اليس « اوليس » قدوة الخنكين في
معدان السياسة الفاضلة ؟ وماذا يقال في الالاذة سجل المجد الروماني ،
وفي المهزلة الالهية مرأة العصر الوسيط ومنتهى التبرع عن فطائنه ؟
اما العرب ، فليس لهم ، على فتوحاتهم ، ملحمة . وما كانت
عيد القدير الا لتسد فراغاً في ادب ، وتختصر جلالاً في قومية .
اساسها العوب ، ومحورها البيت الماشي . والهاشيون سررة القومية
واساطين الدين . منهم محمد بن عبدالله موحد العرب وخسامته
الانبياء ، ومنهم علي امام التقي ، وعنوان البطولة والاخلاق .

يستهل الشاعر ملحمة بهلوحات صافية عن النفس الجاهلية الضاربة
في مارج العفورة والبض ومبادة الاناث . ثم ينتقل الى الاسلام ،
فيتننى برسالة محمد في مظهرها : السباوي والقومي . وعلاً يروح
الملاحم بصور المارك التي نشت بين انصار الهد الجديد وخصومه .
وهنا يتدرج في غط الصياغة الملحمة فيركز قصائده على دعامتين :
القصة والتصوير الحربي . فاذا أنت تراقف الشعر دون ان تأخذك
بهوجته فتدنى طوية السياق . اليس احدى خصائص الملاحم ان
تغنى بالشعر والقصة على حد سواء ؟ هذا ، فضلاً عن الاحتدام
الذي لا ينقطع خطه . فالمارك تتوالى عنيفة في جلباب من الصور
الملونة العميقة الوقع . ولم يغفل بولس سلامة عن « البطل - مدار
الملحمة » ذلك لان شخصية البطل ركن من اركانها . فعلى في عيد
القدير كآخيل في الالاذة وايته في الالاذة ومن الطبيعي ، والبطل
علي ، ان يتطرق الشاعر الى ما قبله وما بعده الحسين ، مجسداً بطولات
البيت الماوي وعطف النبي على زوج ابنته .

وفي النهاية ، ان عيد القدير مجهود جبار : بقياس الشعر ،
وبالأسبة الى صاحبه المريض الذي ، انما يتطلع الى الدنيا من نافذة
بيته ، ويرود الابدان باله وتخاله .

فليل صابر

الموجز في الادب العربي

للاستاذ عيسى ميخائيل سايا - ٣٨٥ صفحة - منشورات مكتبة صفيير - بيروت
يوم تلح رغبة الانسان في اكتناه رسالته وتتاب جهوده بحثاً
ودراسة وتقياً ، ويوفه فيه الشعور بالحاجة الى العطاء ، فيفتح
اعماقه لتستورب ثم تغرق تحتها راضية عن البذل ، اذ ذلك تكتمل
مهمة التعليم في العلم .

وبهذه الضرورات المتتابة سعى الاستاذ العالم عيسى ميخائيل
سايا ، صاحب الموجز في الادب العربي وهو عملية جهد تضاف الى
ممين مذهب يستغند الش . جناء العلمي بين التاريخ والقراءة المحكمة
والقصص الشائق ، وكأني بالاستاذ المجهد سايا يقف معظم حياته
الترقية على افتقار الحاجة عند التليذ ، ومتى عثر عليها حفرتة العزوة
الى سدها بشعم علمي كافر ، والبيئة على ذلك سلسلة من كتب
التاريخ والتحقفة المدرسية ومروج الاحداث وغيرها .

وهذا الموجز الجديلا تقاس قيمته الا بقدر الحاجة اليه ، ونحن
نعلم ان كتب الادب التي تدرس حالياً قد وضعت للصغوف العليا ،
اما الصغوف الدنيا فكان لها ان تنتظر من يسهل مأخذ الادب
وتاريخه فاذا ما تمته تجهدا وقد نالته . وقد حرص المؤلف الاديب

وتخصه المقارنة الاسنية فيا . ولذا ينجم عن اتجاهه وتقنياته
العميقة نتائج مهمة مائدة على العربية ومعجميتها بالفوائد الجمة ،
يحتاج ان يستفيد منها المشتغلون ، داخل المجامع اللغوية وخساراً
عنها ، في وضع معاجم مستوفاة الشروط العلمية العصرية .

٢ - محاضرات خنارات - ٢٥٠ صفحة

هذا كتاب ثامن للاستاذ الجليل الاب مروجي . اذا انه ليس
من المتخصصين المتضلعين باللغويات والاسنيات السامية وحسب ،
بل هو من الخطباء والمحاضرين المصريين الواقفين على العلوم
اللاهوتية والفلسفية والاجتماعية .

وما هذه الطائفة من المحاضرات سوى امثلة على شتى المواضيع
التي طرقت بابها من علو المنابر ، منابر الخطابة التي زاوها لمدة سنتين
عديدة ، في الاديبة والاجتماعات الرسمية . وكل هذه الخطب تم من
قريحة وقادة ، وفكر ثاقب ، وعلم واسع ، وجميعها مستندة الى البراهين
العقلية وبمبسطة طبقاً لاساليب المنطقية . وقد حورت بإنشاء عربي
سلس متين . فهي جوية بان يطالعها لفتن المتقنين الراغبين في الاطلاع
على الحقائق الضرورية معرفتها في الحياة العقلية والادبية والاجتماعية .
٣ - بلادانية فلسطين العربية - ٣٠٠ صفحة

هذا الكتاب هو الثالث من تاليف الاب مروجي الحديثة .
قد وضعه بخدمة للبلاد الفلسطينية في هذه الايام العصية . كثيرة هي
التأليف المبحوث فيها عن فلسطين في شتى اللغات ، وعلى لغات العصور ،
وذلك لوفعة مقامها الديني . وقد كتب عنها العرب في كل زمان منذ
عهد الفتح . بيد ان موضوعه متفرق في بطون اسفار عديدة ضخمة ،
يتعذر على الكثيرين اقتناؤها ومطالعتها . وعليه قصد الاب الاستاذ
جمعها وتنظيمها حسب الانجيدية . ويعوجب النظام التوثيقي لمصنفات
المؤلفين التي اقتضت منها النصوص المجموعة ، وبغية تعريفها وتعميم
قائمتها بين الاجانب المشتغلين بالدروس الفلسطينية ، وقد ترجم الاستاذ
هذه النصوص العربية الى اللغة الفرنسية وهذه الترجمة مزمنة ان
تتشر في باريس . وقد جاء هذا السفر بمثابة معجم بلداني وتاريخي
قريب المتناول لجميع الباحثين عن فلسطين ، وعن تاريخها ، ووصف
واقعا . وهي الحق يقال ، خدمة جلي تذكر تشكر ، اداها
الاب الجليل في الحقل العلمي لفلسطين . اذ ان هذه النصوص المجموعة
في مختلف كتب المؤلفين المتأخرين طوال هذه القرون الكثيرة لا طعم
لدليل ، واقرى حجة على تأريخ هذه الروع العربي المتواصل . فيجدر
بساتر المتقنين في بلادنا العربية ان يطالعوا هذا السفر الثمين ،
مستفيدين من مضامينه الفوائد الجمة لمرافعة خدمة الاراضي المقدسة .

على سلامة الانياز ونوع الكلام ما قل ودل ، فملوماته المذكورة
روضة حافلة باطاليب الثار البانعة ، ينتقل فيها الدارس مدارج متتالية ،
فيقف على شيء من تزيين الشاعر والنثر واثرها متعديدين عن
ميرة العصر الرئيسية ، وقد ذلل صعوبة الفهم في ماق و استوحش
من الكلام بشروح تلي المعنى ، وامل هذا الموجز وحيد في محتوياته
الجديدة التي انفرد بها وفقاً للبرنامج الرسمي ، بعد ان حرم النش .
سعاية مدة طويلة الاطلاع على جهنم والخيالي و صروف وغيرهم
من دعايم النهضة المصرية واجوائها المنفتحة على العالم ، وجملة القول :
ان الموجز ذوو فر وقيل يربب جاء كوال نعم الاخذ والفضل لمن اعطى .

جوزف نجيم

تأليف جريدة لادب مرموجي الرسنكي

١ - هل العربية منطقية ؟ - ١٦٠ صفحة

نما يلاحظه * كل متفرغ لدرس اللغة العربية هو ان معجميتها ،
مع غزارة مادتها وكثرة ما وضع فيها من الاسفار قديماً وحديثاً ، لم
تصل بعد الى الدرجة الكاملة التي بلغتها معجميات اللغات الارورية
في عصرنا . اذ ان معاجمتنا مشوبة بنقصات عديدة ، منها انها ليست
بنظمة تنظيمياً تنطبق على طبيعة الاشتقاق المعنوي ، واللسل المنطقي
« فلا هناك دقة في التحديد ، ولا وضوح في التفرع ، ولا تناسق
في الالفاظ ، ولا تناسب في المشتقات ، ولا تناسق في التطورات » .

الاستاذ العلامة الاب مروجي من الذين اهتموا بالبحث في
وقد نشر سابقاً كتاباً عنوانه « المعجمية العربية على ضوء الثنائية
والاسنية السامية » . وهذا هو ذا قد اشغفه بسفر ثامن متوخياً فيه لما كان
قد قصده من سابقه ، أي السعي في تلافي هذا الخلل اللامنتطقية
في المعجمية العربية . ووسيلته هي بدء الاشتقاق لا من المادة الثلاثية
بل من الاصل الثنائي ، ومقارنة الالفاظ العربية بما ينظر اليها من
الكلم في بقية اللسن السامية .

بالحقيقة ان جميع المفردات المطروحة للبحث في هذا السفر
يظهر فيها التضارب والتنافر لا بل التضاد في حلقها الثلاثية المبسطة
في المعاجم ، تتجلى فيها المنطقة اي التلاحم والتناسق المعنوي بين الالفاظ
الاصلية ومشتقاتها ، حين يؤخذ في البحث فيها ، من الاس الثنائي .
والاستاذ مروجي من العلماء النادرين بين ابناء العربية المعجزين
في هذا الميدان ، لوقوفه حق الوقوف على اسرار اللغات السامية ،

* هذه الكتب الثلاثة الجديدة وراها « المعجمية العربية » من تصانيف
الاب مرموجي يمكن الراغبين في مشورتها ان يتابعوها في لبنان من حفرة
الحوري برنار مرموجي ، في جنوة .



جريدة للفدح في نسف

« صرخة دامية هي صرخة كل ادب
في المدينة العربية . يعطي روحه غذاء
لابناء امته ويبتد على الحرمان » .
وعلى اثره كتب الاستاذ سعيد
تقي الدين اصاحب المقال :

« لو اعطي لي ضمانة الابداع بثل هذا النثر لما ترددت في ان
اقف على رصيف المرفأ ثانية » .

بهذه القطعة الادبية الرائعة تزين اليوم صدر السلام ونجعلها
وسيلة تعارف بين كاتبها وبين القراء من ابناء الجوالي العربية .
وكفني بيان الشيخ زخريا تعريفاً عنه يفيننا عن كل بيان . ثم نجعل
مسك الحاتم تحية شعوية وجهها اليه صديقنا الشاعر جورج صيدح
وقد وصلتنا اثناء احتجاب السلام فتأخرو نشرها واننا ننضها امام
انظار المواطنين لمعلم يقرأون بين سطورها صورة الواجب الذي
تفرضه عليهم الاياقة وحسن الضيافة نحو الاديب النسابم الشيخ
الياس خليل زخويا .

الياس خليل زخريا



تلقينا بالبريد الجوي من الاجنتين عدداً من جريدة
السلام الغراء وفيها احاديث شتى عن رفيقنا وصديقنا
الاستاذ الشيخ الياس خليل زخريا تناسبه وصوله الى
الاجنتين قرأنا ان نطلع بعضها الى قراء « الاديب »
مع امسادة نشر الراجعة الادبية « على رصيف المرفأ »



الاستاذ زخريا هذه الصاحبة بلاطيل ولا زمر كاليفسجة
التواضعة الحاجبة رأسها بين الاوراق . ولكن عطر

هبط

البفسج يرم عليه ويضع مكانه . ولو علم الشيخ اننا اروع ما
نكون لثل هذا العطر تاطيلاً للانفاس المروية المتردة في محطتنا لما
ضن علينا بنشره ولهد من عزله الاختيارية الحكيم الذي يهتبه
لروحية السامية !

ايتمسكو امير القلم لاماراته ويتنقض سيد الحرف على مولاه ؟
ان ثورة الغضب ساعة . وثورة الادب الى قيام الساعة !

قال لي صديق من الصحافيين زار الشيخ زخويا « لو وضعتنا
ادب جميع كتاب الارخنتين في كفة وادب الشيخ زخويا في كفة
لرجعت كفة الشيخ . . »
فاجبت بقولي :

وليس على الله بمنسكتر ان يجمع الآداب في واحد

واني اقول لمن يحسبني مغالياً في حكمي غد مجلة الاديب عدد
شهر تشرين الثاني ١٩٤٨ وقرأ افتتاحيته بعنوان (على رصيف
المرفأ - اجل قلمي على يدي واسير) تعرف من هو الشيخ الياس
خليل زخويا وما هو ادبه .

هذا المقال الذي ودع به صاحبه لبنان هز الاوساط الادبية في
كل قطر عربي وادامي النفوس الابية في كل مهجر . فقال عنه
الاستاذ البير ادب :

الى الاديب المخترب

الشيخ الياس خليل زخريا



يا حاملاً في يديه قلبه العالي
كم وقفة في (رصيف المرفأ) انسحقت فيها القلوب على صحت واذهان
لكن شكواك تقزيل صدمت به
من عالم الروح في محراب اوثان
اطلقتها صرخة شعواء دامية
اجهزت فيها على آمال طمأن
ان الجراح التي استلمتها كتبت
ما ليس يكتب الا بالدم القاني
ودعت موطنك الجاني عليك فلم
اشفق عليك كاشفاً في على الجاني
بعبوت ، ان نفو الغربان بلبلها
فا لتزأحها عود الى البسان
ارثي لكفك ، قد نادت بما حملت :
قلب الاديب وفيه قلب لبنان !

رب الجناحين من خلق ومن ادب ان ضاق وروض ما ضاق الجناحان
لك الفضاء فدع للارز ريشها وطور بعظمها لعالم الثاني
الشان شاذك ، والاطوان تعرفه هل في المهاجر من يعني بذى شان ؟

جورج صبرح

على رصيف المرفأ

أحمل

قلبي على يدي واسير لقد تركتنا المدينة العربية غرباء
على ابواب السور مشردين عند مظاف الميكل نشتم
من البعيد دخان المباحو وانفاس النبيذ ورائحة القرايين .

أحمل قلبي في مدينة عابثة هازئة تدوس على الواح القلوب
ومطالع الجباء وتقدس في الإبتهاال الجاحم الحفيفة التي ملاها
الزمن باكداس الاوهام واشباح الغرور .

.. امضي اشق بجناحي اجواز الفضاء وآفاق العباب ورشة
الاجبات البعيدة لا كرهأ بالتراب الطيب الذي نبت فيه ولا بنضأ
بالشمس اليقظى التي سكنت اربعين خريفأ في ابراج اضوائها
الكثيفة ولكن، ولا قل دوغا وجل، هربأ من هذه الجاحم، جاحم
الكان الذين اضاعوا رقة السمع ودقة البصر ومبقوية الكلمة
ونبل الرجولية وشمم انوف وروح انسان يعرف في التأمل قدر
انسان على عظمة الاكباد لا رحمة الشفقة .

والمدينة التي تسقط فيها قيمة الانسان مثلنا ويصبح في ولاية
العيش في كنف الانسان العادي للمتعب الذي لا يصلح ليكون
من فواصل الكلمات في بيانه ولا من حبات البغور في مجامر اياته
مدينة عابثة هازئة تراث بها وبنا النكبة وسيطرو على مقدساتها
الغرفا. وانحطت قيم الفكر المبدع لتختلج القلوب الواعية اختلاجها
المخفي وهج الفصاات واذين الجراح الدامية .

والغربة صفة من صفات الرجولية والانتقام يعان فيها اصحاب
الاشرعة والزوارق ومسالك البحار ان المرفأ البشري الذي رسوا
فيه مرفأ عكر البحارة ماء لا زرقه تحلم لا اعماق تسخر لارصيف
مطمئن يرسل من فم المنارات اشعة الهداية .

أحمل قلبي على كسفي وامضي .
ايها الخافق بين جبني سافجر من جنبك الدم اسقي به في كل
واحة الطيور الغربية والاعصان الغربية والاشواك الغربية والشواطى.
الموحشة الغربية والنخيل، النخيل الذي احببنا اسمه وساقه وغصنه
وتتزل في ضيغنا تتزل الكلمة فد لنا في واحاتنا يوم العيد اصابع
الشوك يدمي مقلنا ويخدش وجوهنا ويملأنا ان نخرج من بيوتنا

كورؤوس الافاعي في لهب النفط .

لم نولد جنباء ولكننا تعلمنا الخوف وصرنا في الاسراء نظن
اشباحنا اناسأ يتحركون وقطاع طرق يمشون . وخفنسا من ان
يصبح الجبن طبعا في طبيعتنا . ليقنا لم نعط ... الهبة نكبة .
واشد ما يؤلم انك وانت تبحر او ترسو تحمل قلبك في قبضة
يدك القاسية المتسودة تريد ان تضرب به وجه القدرلا وجه الجبنا..
والعفو وداعة من شيم الاقوياء .

المدينة العربية مدينة من غير ابداع ولا ايمان تكوه البحر لانه
دائم الحركة، والصحراء لانها دافئة الحركة، والنور لانه ايضأ دائم
الحركة، ونحب ليتك تعرف ما تحب جاحم الطواويس والسنة
الحداجد وجياها تنمض بالغبية واجفانأ تتمرغ في المدارج وقلوبأ
من غير ضائر وضائر من غير حناجر وحناجر من غير الحان والحانا
من غير روح وروحاً من غير عسس وعسساً من غير سلاح وسلاحأ
من غير آخرة .
أحمل قلبي واسير .

اقول للنبوع تدفق من ضلعي الشمال وللنسم تهدل من ضلعي
اليمين وللغصن ولكل غصن مل على الفجر ينبت فيك الريم .
ان اشرب بعد اليوم حبة ماء من تراب وطني ان اكحل عيني
بعد اليوم بذؤابات شمسه الصاحبة ، ان اصمم هذا الليل المبكرو
يرتل على نافذة بيتنا الاخضر .. صدئت ادوات الهبة .. خشنت
اصابع الحنان كل شي . في المدينة العربية قائم ما اشبهها بالمسابر
الواسعة التي يعيش فيها على اشباح الجاحم وعناقيد الدوالي الثعالب
الجامعة .

شرع رتاجك ايها المرفأ الموحش اننسا زيد ان نمشي ان
نقذف وجوهنا في وجوه البحر العميق الموحش لقد سدت امسام
اعيننا في وطننا مطالع الجبال ومساقط الثلوج ومسالك الجوزاء
الناتية .. فلنبهر ما دمنا غرباء .

اباس غليل زغربا

انباء العالم

المحتل مهاجمتها بحال نشوب حرب معلقة
ويهدد عددها بنحو سيهين مركزاً .

- أصدرت حكومة بورما عفواً عاماً من
قبائل الكارين الثائرة إذا هم الفوا سلاحهم قبل

يوم الخميس القادم .

١٥ - تكلم مندوب اندونيسيا في مجلس
الامن معزداً الامم المتحدة بان الجمهورية

الاندونيسية متعني حسابها في ساحات القتال مع
الهولنديين اذ لم يطلق سراح اعضاء الجمهوريين

او يتخذ تدابير ثأدية بحق الهولنديين .

- خطب تريتني في فقال يجب العمل السريع
لوقف التراجع العائمين الشرق والغرب في السياسة

الدولية والا فان المايسود المساعدة حرب
عالية جديدة تعني على جميع معالم المدينة .

٢٦ - اذيع في واشنطن ان الجمعية السوفية
للأمم المتحدة ستقو في دورة نيسان المقبلة

رفع للمعاملة بالادوليسية من اسبانيا .

١٧ - توصل الدريون والاسرائيليون الى
اتفاق حول تحطيط الحدود لمدينة القدس .

١٨ - نشر في سبع عوام اندونيسية نص الوثائق
الاسلامية وكانت ام مواده المادة الخامسة التي

نص على ان الانتداء على أية دولة بالخلف يتعبر
اعتداء على دول الحلف كلها .

- زادت بريطانيا قيمة المساعدات لشرقي
الاردن مليون جنيه .

- لا يزال مجلس النواب الايطالي منتقداً
منذ ٣٨ ساعة لمناقشة الاضام للحلف الايطالي .

١٩ - هاجم الاتحاد السوفياتي الحلف الايطالي
واعلنت الاذاعة السوفياتية انه مفارعة عسكرية

تقوم بها الولايات المتحدة لتعطيها الاستمارة
- دعا رئيس جمهورية الفلبين الولايات

المتحدة لتيسر اذلى انتهاء حلف بين دول
الفيليفين شيه بالخلف الايطالي .

٢١ - وزير خارطة العراق يكذب نياً
انسحاب العراق من الجامعة العربية .

٢٢ - قدمت اسرائيل احتجاجاً الى مجلس
الامن لوجود قوات بريطانية في البقية .

٢٣ - نشر في بيروت نص اتفاقية
الهدنة بين لبنان واسرائيل .

٢٤ - انتهت في بيروت لجنة التوفيق من
الاستماع لوفود الدول العربية والفلبين غير

الرسمية بصدد مشكلة اللاجئين .

- اعني المستر مولوتوف من الفيام بايباء
وزير الخارجية الروسية وعين مكانه

المسيو فينسكي .

٢٥ - قرر مجلس الامن توصية الجمعية
العربية بقبول اسرائيل في هيئة الامم .

- رفض الدكتور سوكارنو دعوة هولندا
لحضور مؤتمر الدائرة المستديرة قبل ان تشكل

الجمهورية الاندونيسية بيو كجا كارتو .

٢٧ - نفى نوري السيد نياً تحويل الوفد
الاردني صلاحية التفاوض باسم العراق .

- شرعت بريطانيا بالقيام بتبادلات واسعة
في منطقة جبل طلاق .

٢٨ - أعلن السيد نورو في لجنة الشؤون
الخارجية البريطانية ان الهند ستعظم علاقها مع

أكونموتل البريطاني لتصبح جمهورية مستقلة .

٢٩ - قام اليهود بهجوم لدمع الضفحات
على القوات الاردنية بمنطقة البقية .

- أعلن السرائييون العسكريون الكبار
في اميركا انهم على اقتحام امم بان روسيا

لا تملك قوة كافية الال لمواجهة الولايات
المتحدة بجرأ أو جواً .

٣٠ - اشارت الدوائر الاميركية الرسمية
الى ان ايران ستحصل على المساعدات العسكرية

الاميركية اذا ما ظهر ان هناك إمكانية لتجدد
الضبط الشيوعي على ايران وبلدان الشرق الاوسط .

٣١ - مرع وزيراً الخارجية الاميركي
والبريطاني بان اميركا وبريطانيا لا تريدان محاربة

روسيا ولكنها ستجعين مصالحها .

- وصلت الهند وباكستان الى اتفاق عام
حول حدود الهدنة المؤقتة في كشمير .

٣٢ - دعا مجلس الامن هولندا الى وجوب تطبيق
قراره بالافراج عن الزعماء الاندونيسيين .

- تم الاتفاق على نص الحلف الايطالي
وسيداع يوم الجمعة القادم .

٣٣ - يشتري بريطانيا بذكرة الى اسرائيل
تهددها بان قواها ستطلق النار على أية قوة

تبرر الحدود الاردنية للفلسطينية .

- علم ان السرائييين العسكريين قد
اعدوا خريطة للمراكز السرائيية الروسية

٣٤ شباط ١٩٤٦ - وقعت اتفاقية الهدنة
برودس بين الفلوفيين المصريين واليهود .

- اصدر وزير افواات المسلحة السوفياتية
امراً بومياً الى الجيش الروسي دعاه فيه لان

يكون على استعداد للحرب ما دامت اميركا
تتني السيطرة على العالم .

- قررت دول اميركا اللاتينية طرح
قضية مندزني في الامم المتحدة .

٣٥ - اصدر رئيس الوزارة المصرية ياناً
بند توقيع اتفاقية الهدنة الدافقة أكد فيه ان

الاتفاق لا يتعرض لاستغلال فلسطين السياسي .

٣٦ - بدأت حامية الفالوجة المصرية
بالانسحاب الى الاراضي المصرية .

- أطلق سراح عدد من زعماء الجمهورية
الاندونيسية .

- نأخذ رئيس امالقة نيويورك الامم المتحدة
اعادة اللاجئين العرب للفلسطين ، قائلاً ان

شرطهم جريمة ضد الانسانية .

٣٨ - صدر بلاغ رسمي في لبنان عن اجراء
المفاوضات بين لبنان واليهود في دواسلناقورة .

- عين احمد خشيبة باشا وزيراً للخارجية
المصرية بدلاً من السيد دسوقي اباطة باشا الذي

عين وزيراً للمواصلات .

٣٩ - ابتدأت المفاوضات الاردنية
اليهودية في رودس وستستأول الابعث

وضع القدس ووجود البريطانيين بالبقية .

٤٠ - عاد الجنرال مارشال الى الجيش الاميركي .

٤١ - ايد الشيوعيون في الولايات المتحدة
والتمسا تعريجات تولياني وتوديز الغائلة ان

فرنسا لن تحارب روسيا .

٤٢ - يمر وفد المفاوضات الاردني بروتس على
وضع قضية اللاجئين برأس جدول الاعمال

بينما يرفض اليهود ذلك .

٤٣ - استقال المستر فورستال وزير
الدفاع الاميركي وحل محله لويس جونسون .

٤٤ - رفضت الترحم فقد مساعدة عدم الانتداء
مع روسيا ، واخذت من رغبتهما بالاضمان

للحلف الايطالي .

٤٥ - قررت سوريا قبول دعوة الدكتور
انثس لمفاوضة اليهود .

مطابع صادر رهباني - تلفون ٦٨ - ٦٣

وجهة التطور :

وحدة الانسانية وتسكور الكون



أُسْرًا في بحث سابق الى « أن الاضطرابات الاجتماعية التي تهرز العالم اليوم تعني في الظاهر - على حد تعبير أحد البيولوجيين - ان البشرية بدورها قد بلغت اليوم السن التي تترع فيها كل فصيلة ، بضرورة بيولوجية ، الى انتظام اعضائها .. وفيما يظهر ان البشرية تقترب من دور تجمعها الخطير . »

وهذه البادرة لتجمع البشري تستقطبها وتذكيا وتدفع بها وجهة للتطور تبرز وتتهافت في تيار كونى شامل يفعل خارج نطاق الجماعة القومية والاثنية : مظهر وحدة الانسانية وتكورها La Planétisation Humaine والتجسس اكثر فأكثر بوحدة السيار الذي نعيش عليه .

وليس ينكر ما كان لاكتشافات العلم وتطبيقها من اثر في توضيح هذه الوحدة الانسانية وتقويتها (تقصير مدى الاتصال المادي والفكري بين البشر وسرعته وتشابكه) ، وما كان لازيادة المضطربة في عدد سكان الكرة الارضية التي ، مها اتسعت ، فلها حد وفاصل .

وقد تقوت هذه الظاهرة إبان الحرب العالمية الثانية وبعدها لاسباب مباشرة نذكر منها : - من الوجهة الجغرافية ، خروص قطاعات واسعة وهائلة من عزلتها والاندماج في تيار المدنية الغائمة والتطور ، ونعني منها دول وامم الاوقيانوس الباسفيكي ، من الوجهة الاثنية ، تعرض الارض في الوقت نفسه لحركات واسعة من البشر ولما حركات غفيرة (تنقلات الجيوش الكاملة والكبيرة ، وتحركات الجهاهير النازحة واللاجئة كالمذ والجزر) . - ومن الوجهة الاقتصادية والنفسية ، اضطراب جماعات كبيرة من البشر بل ، وهو الواقع ، جماعات العالم كله للعيش مدة غير يسيرة ضمن نطاقات وأنظمة وفي قوالب معينة تجتمعها منظمات وتكتلات دولية هي اوسع ما شاهده التاريخ . وتضمها وحدة من الآمال والمخاوف والمشاكل واشتراك في المصير . - ولا بد اخيراً - بالاستناد الى الاثر المعنوي العميق الذي خلفه اختراع الاسلحة الذرية - من تضامنية بشرية كونية ستذكيا في المستقبل الامكانيات المفتحة امام الانسان لاستغلال هذه القوة الذرية الهائلة ..

هذا التيار الموحد للجماعات البشرية والرامي الى الانسجام في حركة تعاونها وصيرها وهذه الوجهة للتطور الموحدة للعصر البشري وللكون ، بات يتجسس بها - كأخوة جامعة وفائمة - جماعة من الناس يتزايد عددها اكثر فأكثر : جماعة الانسان التطوري او الانسان التقدمي Homo progressions وهؤلاء يتلاقون على تعارف وتفاهم وعلى تعاون عميق كامل لاول بادرة اتصال فيما بينهم ، كأنهم يتلمسون حياة تربط وتشد . صيرهم بصير العنصر البشري وبحياة الكون ..

كوال جنياد

مدينة فلورنسة

بفلم الكونور بشر فارس

فتضيع موال اصحابها الى غير رجعة وتشوه الضفان على ان يذهب
الجسر الزائغ الزاخر بالحوادث الجامع للذكر . وليس هذا من باب
حب القديم لوجه القديم ، ولكن لوجه الفن ولوجه الوطن .

ما اجل هذا الشعور وما ارفعه ! انه الدليل الساطع على
استقرار الثقافة في الانفس مع الاستمسك بانوار العبقريّة التي انبتتها
الارض المزهرة من مئات السنين . والحق اني لا اعرف مدينة من
مدن العالم تضم الآيات التي ترددهم في دور فلورنسه وكنائسها
وقصورها وطرقاتها . ولو اراد الايطاليون ان يبيعوا احد القصور
او احدى البيع اسدودا دين الدولة وعرفوا الرخاء من جديد .
كاشفت بعضهم بهذا وانا بين المازح واجاد فنظري نظرة المطعون
وفزع الى الصمت ، وخجبات انا .

بفضل هذا البلد اخذت اوروبا منذ خمسمائة سنة تنفض عنها
غبار العصور الوسطى وتدخل في العهد الجديد . ههنا استوى عصر
النهضة ، وههنا كسل التصوير والنحت فطعت النجوم وسطعت
الشموس ، نحو جيوتو ، دوناتلو ، فرا المجلكو ، جوتسلي ، بوتشالي ،
تشليني ، ميكال أنجلو . كيف نشأوا ، كيف نبغوا ؟ وكيف
سطع لمعانهم الادبا . والشعراء والافانوين ؟ تلك هي المعرة .
ان المديسلي الذين حكموا المدينة ونظروا لهم من الكهلاء

في فلورنسة هذا الصيف ، ومن نعم الله ان يكون
احد من الناس في فلورنسة ، غريب امر تلك
المدينة المترعة بالحياة الخائبة لا تأخذك اول ما تصلها

ثم تستولي عليك شيئاً فشيئاً وتذوق شعورك وهي تلبسهم السانك
انت فيها مستعبد سعيد .

زرت فلورنسة من سنوات اتبع آثارها مجتهداً ، وهذا الصيف
أقمت بها متأملاً متراخياً كالذي يقضي نهاره وليله في جامع ومن
حوله جلال الله منبث سائد . تطل نافذتي على الجسر العتيق ،
وهو من مستطرفات المدينة ومن يواقي زمن كانت فيه فلورنسة
باريس أوربة . على انه ضليل ، دقيق ، قصير . ولكن حوانيته
الضيقة والمنازل القائمة في جانبيه - كأنها معلقة مع نوافذها
المتلاصقة - تنعكس في الماء ساعة الغروب ، تفنسل وتلّين فتلقى
بالسحر في جو ناعم تنساب فيه غيوم بيض رقاق . ومن حصول
الجسر الآن انقاض واحلال . فكان الجسر سيد الزمان الجائر .

وقد اخبرني بعضهم ان الالمان ساعة ارتدادهم في الحرب الاخيرة
نسفوا جميع الجسور ثم تهيّبوا عند الجسر العتيق . فسألوا اصحاب
الامر اي شي . ينسفون حتى يمرقلوا سحر الحافا . : الجسر العتيق
ام المنار القائمة على ضفتي النهر . فأثر الفلورنسيون ان تحرب المنازل

ومن سبق هؤلاء وارثك كانوا تجاراً وصيارفة . ولكن المادة في ذلك العهد لم تكن على الجفاء والافراط اللذين تعانيهما الآن ، ولم يكن اصحابها رفاق جمل واستخفاف وحوص . لم ترعهم المادة قط انها غاية ولم يفكروا اصحابها يوماً ان يقلبوها على الراس . فتباروا في اعانة الفنانين على طباعتهم ، ورجعوا اليهم ان يهبوا عن شكرهم لله على نعمه بنشيد الكنائس وترويقها ، ثم عرفوا ان المال الى الفناء . وان ما يصنعه الصانع الماهر باق الى ما شاء . الله ، فأقاروا تلك التصور وحشروا فيها الطوائف والاطائف من تصاوير وقائيل ، ورفعوا ايضاً قدر العلم وشأن الشر .

في ذلك العهد كان الفن سيد النيات والاذواق ، ولم يكن الدين سوى وسيلة من وسائل اخراجه في اجل مظهر . ولحق ان فلورنسه كانت ملتقى المسيحية بالوثنية ، وهي الآن كذلك : من المسيحية ورع اهلها ولكنه ورع يحدوه الولع بالجمال على الوانه من هذا ان المصور القس فيلبولي كان في القرن الخامس عشر يتعشق المرأة التي توحى اليه وجه العذراء . وان كانت راهبة . والفطريف ان اهل فلورنسه جميعهم لم يشمتروا من ذلك ولم يصيحروا . فليس المشق سوى مظهر من مظاهر الجمال ، واذا هو يمكن فيلبولي من تصوير وجه للعذراء كله سماعة وتقاسوة وبراعة . فأهلاً بالمشق وشكراً له .

الجمال ذلك هو عنوان تلك المدينة الفريدة التي تدعوك بأنفسها وسهولتها الى الاستمتاع بها . ومن اجل الجمال بقي الجسر العتيق على حساب المنازل المدمرة . ومن اجله ايضاً لا يحق لاحد ان يبني في فلورنسه داراً على غير طراز « النهضة » . وهذه دلالة جديدة على الذوق السليم والاستمساك بالماضي الرفيع . وفي هذا درس لمصالح التنظيم والبهديات التي لا تفقه شيئاً ولا تحسب حساباً ولا تهتز لروعة الآثار ولا تقيم وزناً للحسن المنسق . فقد ضاع اكثر معالم القاهرة وسطاً على آثارها المتساقطة اعمال الوزارات . واجهز على احيائها الفريدة غرق التنظيم . وهؤلاء الهندسون المتفنجون المقلدون الذين لا يحسون ولا يتخيّلون ولا يستطيعون التوليد او الاستلham الباطن يتعاونون على تشويه مدينة شرقية عربية اسلامية .

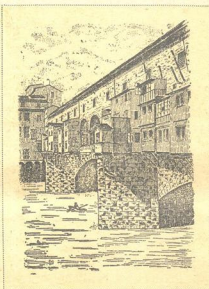
اما دمشق فهي اقرب المدن العربية من فلورنسه : آثار قائمة واحياء سليمة وطراقت عتيقة مع شعور السكان بعز فنههم الماضي . ان اهل فلورنسه يعرفون هذا العز ، ففي ينشرون في بلادنا .

بئر فارس

ARCHIVE

http://Archivebeja.Sakhrit.com

الجسر العتيق في فلورنسه





حديثي * اليكم هذا المساء يتناول بحثاً عاماً عن مساهمة المرأة في المجتمع العربي، وتقبل الهيئة العربية لهذه المساهمة .

فقد رأيت المؤتمرات النسوية يتألى انعقادها بنشاط عجيب في هذا البلد الطيب فتزوما النتيجة الممتازة من نساء العالمين ، الشرقي والغربي ، يبحث فيها مشاكلهن ويسوين شؤونهن فيرحمن الحظي ، ويتخذن القرارات ، فتسائل : الى اي مدى يستقبل المجتمع العربي هذا الامر ؟ والى اي حد تنقسم العقليات العربية للاخذ بهذه الخطوات وهضم هذه القرارات ؟ فوصلت الى نتيجة احاول بسطها امامكم الآن وهي تبين ان الهيئة الاجتماعية العربية ، والعقليات العربية قد تقبلتا ، منذ الازمان البعيدة ، مساهمة المرأة مع الرجل مساهمة فعالة في نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية . وان نهضتها الحديثة وان اختلفت مسالكها باختلاف العصر ، وتشعبت سبلها بنشوب حاجاته ومطالبه ، تقوم على تقليد ثابت يرجع الى بدء الحضارة العربية ، اذ ان المرأة

قد اقبلت على الاشتراك في تكوين هذه الحضارة اقبالاً لم تنقطع اسبابه ، والفت في سلسلة تاريخ الامة حلقات وثيقة العرى ، قوية المبنى فلم

يفكر عليها ذلك منكرو ولا استهجن نهضتها مستهجن . ثم انني اسعى الى اظهار خطأ الزعم بان تاريخ المرأة

العربية لم يكن الا التاريخ الذي يصورها فيه بعض كتاب الفرنجة بل بعض كتاب الشرق لا امرأة مشاولة القوى ، محرومة الحقوق ، عديمة الثقافة تعيش في حياة الحرمان عيشة ترف ورخاء ، او عيشة تافهة لا معنى لها ولا غاية وراها . فان حياة الحرمان هذه لا تصور الا ناحية واحدة من نواحي حياة المرأة العربية ، كما ان حياة المصايف والملاهي لا تمثل الا صورة واحدة من صور حياة المرأة في القرب .

فصاحبوا لي اذن ان اورد بكم الى الزوا . قليلاً - اي الى القرن السابع الميلادي - وان اسرد عليكم تاريخاً طويلاً قد يدخل المثل على نفوسكم ، بل سأجوب ان اعطيكم لوحات مشرقا رائعات عن مساهمة المرأة في المجتمع العربي ، وقد كان

* نص المحاضرة القيمة التي ألقاها الادبية السيدة عبيرة سلام الخالدي في مؤتمر الاتحاد النسائي الذي انعقد مؤخراً في بيروت في بناية اليونسكو .

بوسعي ان افعل ذلك دون ذكر اسماء او اثبات تواريخ ، ولكنني اريد ان اضما امامكم حقيقة جليلة لا صوراً غامضة ، ولذلك سأنتقي من هنا وهناك اسماء نساء يبرزن في حلبة المساهمة بتكوين المجتمع العربي ، ومن لسن كل من ساهم ، بل انهن لجزء يسير من تدريج مساهمة المرأة . وقد احببت ان آتي على ذكرهن كنموذج لمئات من مثيلتهن واعتقد بأنني في ذلك لا اكون قد بعلت عن الغاية الاساسية لهذه المؤتمرات وهذه الاجتماعات .

بدأت النهضة العربية بالرسالة الروحية التي حملها النبي محمد بن عبد الله الى قومه في القرن السابع والعرب في بدو شاملة وجعل عم فكانت رسالته هزة عنيفة ابطقت مشاعرهم ، ونهبت حواسهم ، وسنت لهم شريعة اولت المرأة ، حقوقاً ثابتة في التملك والشخصية القانونية والعلم ووصانت لها حقوقها في الزواج فباحث لها ان تشتط في عقده ما تشاء . وخلقتم الامة خلقاً جديداً . فكان من الطبيعي ان تنبته المرأة كما تنبته الرجل ، وان تثور فيها العزة والكرامة كما ثارت فيه ا

وانما لقي الرجل بمجموع جومه ويؤلف احزابه واذا بالرجال يقدون افواجا يباليون هذا الرسول الكريم ، فلم تقف هي من دونهم لا تبدي حراكاً ، ولا تعهن عن

وجودها ؟ ان النساء ليذهبن اليه الواحدة تلو الاخرى ، انهن يسألنه لما يلقيه عليهن ايضاحاً ، ولكن هذا لا يرضي عزة فيهن ، فاذا بين ينسادين الى التكتل ويؤلفن وقدأ منهن يذهب اليه ويبسايه على شروط معلومة ، وتسمى « بيعة النساء » . وانما لسابقة فريدة في سجل المرأة العربية ، اذ شاركت الرجال في هذا الحدث الاجتماعي الخطير . وقد تقبل المجتمع العربي هذه البادرة وقبلتها عقيلة العربي ، ولم يسمع لذلك صوت احتجاج او صرخة استنكار ولا قول قائل ما دخل النساء بالسياسة والمباينة ؟ وهكذا استت المرأة لنفسها باشتراكها العملي في سياسة الحكم سنة منذ اول تأسيسه مكنتها من ان تساهم فيها بعد مساهمة قيمة في الحياة العربية في مختلف نواحيها .

وهذا الحدث التاريخي العظيم تلاه بعد سنوات قليلة حدث لم يكن اقل منه شأنًا ، ذلك ان السيدة عائشة التي كانت ع شهادة معاصريها ، تشتم بقسط وفير من الثقافة اذ يقول فيها عروة احد



الثقات^١ ما جالست أحداً قط أعلم بقريضة ولا يطلب من عائشة .
ولا أروى لأشعر ولا أعلم بقريضة ولا يطلب من عائشة .

هذه السيدة التي كانت حجة في الحديث وهو أصل هام من أصول التشريع اضطلمت بدور سياسي رئيسي فقاتت بنفسها حملة عسكرية مؤيدة خليفة على آخر وكان لعمليها أثر خطي في تغيير مجرى الحوادث إبان ذلك العصر . فخطأها بعض ، وشايمها آخرون ولكن أحداً لم يقل ما شأن المرأة بالسياسة . ولا انتقص منتقص حقها في إبداء رأيها وتنفيذ أرائها .

ولكن السيدة عائشة لم تغرد دون سواها من النساء بالحوكات السياسية العسكرية بل كانت في جيشها زينب بنت العوام ، كما كانت في الطرف الآخر هند بنت زيد التي شهدت وقائع علي بن أبي طالب وكانت تحرض القوم على اتباع خطه ومثلها عكرشة بنت رواحة وسلى الملقبة بقرعة العين لجال طلعتها وقد جيشت جيشاً وقادته بنفسها .

ثم توالى الأيام وانتقل الملك العربي إلى دمشق فبنداد القاهرة . فلم تقطع للمرأة جهود ان في السياسة او في الاجتماعيات ، وظلت تعد على الحلفاء متقدمة طوراً ، زاجرة أحياناً ، معاتبة أخرى وقد تعد منشدة محدثة ، والمجتمع يتقبل منها بكل ذلك على أن الباحث يرى أن القسم الأعظم من جهدها بدأ ينصرف إلى العلم وخاصة في علم الحديث والتفسير ، فصار تعد الجالية العلمية تقري فبها الكتاب وتشرح الحديث وتنبؤ مكانها من نفوس ذوي السلطان حتى أن المحدث الصحابية أم الدرداء وفدت على بيت المقدس تعد حلقات التدريس فيحضرها الخليفة سليمان بن عبد الملك بنفسه تحت قبة الصخرة فإذا حانت الصلاة قام الخليفة من مكانه وقدم إليها يده تتوكأ عليها إلى ان يصل بها إلى المسجد الاقصى .

وتقدر ان ثبت ان اشتراك المرأة في علم الحديث وتفوقها في هذه الناحية بقي بارزاً بروزاً مستمراً عشرة قرون متوالية لم ينقطع لها فيها صوت ولا اغلق من دونها باب ، وكسب التاريخ تعجيبات منهن بأخذ عتبن العلماء ويروون عن فيمنعهم الاجازات لا يرين في ذلك غشاضة ، ولا يحسبونه منهن ادعاء حتى ان الامام الشافعي المشرع العظيم ، وهو احد ائمة الاسلام الاربعة اخذ عن السيدة نفيسة وختمه لقلتها في القاهرة ، بل انها قامت بالصلاة عليه بعد موته ، وهذه الصلاة هي من المراسم الدينية ، التي استل بارها الرجال .

وبلغت شهدة الدينورية بين علماء القرن الثاني عشر مقولة في

استناد الحديث لم يباينها احد حتى لقيت بمسند العراق ولها رسائل عديدة في هذا العلم .

بل ان ابن خلكان المؤرخ الشهير - وهو من رجال القرن الثالث عشر - ليدرس على ام المؤيد فتجنيده . وكانت عائشة الخبيلية من اهل القرن الرابع عشر احدي استاذات المؤرخ ابن حجر السقلافي في الحديث ومن اللواتي أجزته فيه ، وقد كرس مجلداً خاصاً من مؤلفه الضخم للمالط عصره فقط ، وتقر قسم كبير منهن في هذا العلم . كما افرد ابن المقرئ فصلاً خاصاً بنساء الاندلس اللواتي كانت البلاغة فيهن طبيعة ثانية حسب قوله .

ويذكر السنجاري مؤرخ القرن الخامس عشر اسما مشرات المالط والمحدثات في ايامه ، وقد اخذ هو نفسه عن الكثيرات منهن كما تلمذ عليهن ابن الاثير والحافظ الذهبي مؤرخ الشام وغيره وغيره كثيرين .

وبلغ من تعظيم شأنهن وعلو مكانتهن ان يروي لنا ابن العباد الخبيلي في شذراته عن ام الحبر ومخصصها في البخاري وعلم الحديث ويقول في رثائها : « ان اهل الارض تولوا خرجة في العلم بجمتها » .

هذه امثلة قليلة من مساهمتين في علم الحديث وروايته ، ومعلوم ان هذا العلم هو أحد اركان التشريع الاسلامي ، وهو في المرتبة العليا بين حوالب العلوم الدينية ، وقد ساهمت فيه المرأة من حيث روايته وتفسيره وتعليمه وتعليمه حتى بات من المألوف في المصادر العربية ان ترد هذه الاحاديث إلى كهيات المالط كما ترد إلى اكابر العلماء .

دون ان تخامر العقل العربي اية خليعة من التردد او الاستنواب .

وننتقل الآن إلى مجال آخر ساهمت فيه المرأة العربية اجل مساهمة ، ذلك هو التصوف . وهو الفلسفة الروحية التي هي مزيج من الفلسفة والعقائد الدينية ، وهي يجموعها تربية ترمي إلى تنقية الروح والنفس ، والتقرب إلى الله ، والتعشق في الحياة ، واعتبار المجلس الانساني اسرة كبرى ، بل مظهرًا من مظاهر عظلة الخالق . فلهذه

التربية التي نشأت في القرن الثامن الميلادي بتأثير الفلسفة على الفكر العربي وكرد فعل لحياة الترف اشتركت فيها المرأة اشتراكاً بارزاً ملحوساً ، ولعل الصفات الحلقية الرفيعة التي تستوجبها هذه التربية تتلام ونفسية المرأة اعظم تلاؤم فنبغت منذ بدء الحركة سيدات مثل معاذة المدوية وأمنة الزملية وراية البصرية المتصوفة التي خصتها المستقرة الانكليزية الشهيرة مرغريت بحيث بكتابتهم قم شرخت في نظريات رابعة وحياتها وفلسفتها . . وهي بمثابة القطب الكبير في هذه الحركة الروحية .

على ان حركة التصوف لم تقتصر على انضمام السيدات اليها بكثرة ملحوظة في مختلف المصور بل اخذت تتركز في مؤسسات عرفت بالزوايا والخانقاهات ، وهي دور للصوفية يتعمدون فيها ويتقربون الى الله ويسمون في عبادته الى اوج علي ، فاصبح للنساء دور صوفية خاصة ، بل اصبحت هذه الدور تخدم اغراضاً مختلفة فتجتمع بعضها البنات العوانس ، وتجمع اخرى المطلقات او الارامل وتربين تربية روحية مرهقة ، وتعني بين وبتقنين ، وقد اشترك المحسنون والمحسنات باثشاء هذه الدور وتمدها والاتفاق عليها منذ القرن الثامن الميلادي الى العصور المتأخرة .

ولكن المساهمة الثقافية لم تقتصر على الحديث والتصوف ولو انهن ابدعن في هذين الميدانين ، بل تعدته الى علم الفقه وعلوم اللغة وعالم الشعر والادب والاحسان والطب والتمريض .

ولما اصبح الفقه علماً واخذوا يرضونه على اسس منطقية اخذ النساء يتخصصن فيه واصبحن يحلجن في الحلقات ويتقنن اسئلة الحائرين والطلاب في المسائل الفقهية فتساعم المرأة في الانشاء وفي مساجلة العلماء . ومن الطيف ان زى مؤلفاً مثل القلقشندي صاحب صحح الاشعي يتبع في القرن الخامس عشر مسألة الثقافة النسوية وتقبل الترجمة العربي لمساهمة المرأة فيها يقول : « لم يرد احداً من المتقدمين انكر على النساء هذا الحق » . وفي هذا دليل على ان مساهمتهم في الثقافة كانت جزءاً من الحياة الفكرية العربية العامة .

وبلغ من انكبابهن على تحصيل العلوم والتدقيق فيها ان يروي لنا كاتب المأمون انه قرأ للسيدة لم جعفر بن سعيد توقيعات في حواشي الكتب واعاقها فوجدها اجود اختصاراً واجم للعاني من الاصل . بل ان زبيدة المصاحبة الموانية لتبدي ملاحظاتها الفوقية على كتابة الولاة والحكام وتدعوهم الى الدقة في كتاباتهم . ومن المظاهر البارزة في تاريخ الثقافة العربية مشاركة النساء الرجال بطلب العلم ، وازدهار الطلاب على حلقات تدريس النساء . فعلى الامام السنجاري - في كتابه الضوء اللامع وهو من رجال القرن الخامس عشر - يذكر اسماء عديدة لاسيدات شاركن الرجال بطلب العلم فيقول مثلاً : « ان السيدة ملك جمعت معنا على بعض مشايخنا في القاهرة وصمنا منها بدمشق » .

وقد تزدحم الطلاب على هذه الحلقات فيأتونها من جميع الاقطار ، حتى كانت حلقة تدريس زينب الدمشقية في القرن الخامس عشر لا تقل عن خمسين طالبا يثافتون على الاستفادة منها والنهل من فيض علمها .

اما الشريفة فاطمة بنت المهدي وهي من اكابر جيلها في القرن الخامس عشر وزوجة عالم من علمائه فقد كانت اصبحت تواضعا اذ كان زوجها يرجع اليها فيا يشكل عليه من المسائل فاذا ضايقه الطلاب في بحث دخل عليها واستشارها فافادته الصواب واذا به يخرج اليهم بالجراب الصحيح فيثامسون فيا بينهم ويمكرون به قائلين : « والله ليس هذا منك بل من وراء الستار » .

وتنعت عائشة الباعونية من نساء القرن السادس عشر السقي درست في الشام ومصر واجازها العلماء بالافتاء وتدرس العلوم ، ولها عدد من المؤلفات في الادب والفقه وديوان شعر وكانت تكتب الادباء والحكام وتستغنى في جميع المشاكل النوقية والفقهية والادارية وتجمع بالسلطين فيصفون اليها والى نصائحا .

وزى من هذا ان المرأة كانت تجلس جنباً الى جنب مع الرجل في التعلّم العالي طالبة ومعلمة ، كما كانت تجلس معه في الدور الابتدائي من التعلّم في المكاتب .

اما المجال الادبي ، واما الميدان الشعري فان المقام ليشي عن ذكر المئات بل الآلاف من المنبثات في الشعر خلال العصور وفي مختلف البلدان على ضرويه من مائة ووصف وروا ، وغزل وموشح كما ان الادب العربي مليء بالمراسلات والمساجلات بين الاديبات والادباء ، كما كان جزءاً من الحياة الادبية السائدة في مختلف الازمنة والامكنة .

بل ان مصادرها العربية تشعب في كثير من المرات الى النوادي الادبية التي كانت مراكز ادبية سامية ، يجتمع فيها كبار الادباء والشعراء والمغنين من سيدات وسادة ويسمع فيها نقاش الاستحسان والانتقاد والتشجيع والتشيط ، ولنسها بلغة اليوم صالونات . وقد تفر منها مجلس سكية في الحجاز في مصر الاول اي القرن السابع الميلادي ومجلس علية بنت المهدي في القرن الثامن ، ومجلس الفضل في بغداد في القرن التاسع ومجلس زهون في غرناطة ومجلس ولادة الاندلسية في القرن الحادي عشر وقد تركت لنا مجالس هذه تراثاً قياً في الادب الراقي والفن الرفيع وبلغ من دالتهن على اهل عصرهن ان احدهن لترسل الى شاعري بلد بعيد تدعوه اليها فيلبي مسرماً ، لا يمتطي اليها طائرة ولا قطاراً بل يركب ناقته ايماً وليالي حتى يحظى هذا المجلس الرائق الانيق . وفي ذلك يقول عمر بن ابيديعة : فاقبلت اهوي مثل ما قال صاحبي لموعده اُزجي قوموا موقعا

هبت

على الساحل عاصفة هوجاء ، وكان المحيط الاطلسي
يكتسح الشواطىء المهبورة . ثم يتسلق قوارب
الصيد ، وتلقي اوراقه على الساحل بالمراكب التي تحطمت ثم غرقت .
وكانت العاصفة الهوجاء تقتلع الاشجار ثم تلقيها الى الارض
وكذلك تلقي بالبيوت والاكواخ . وكان ضحاياها من الناس كثيرين .
وكانت الجسور المصنوعة من الحديد تنهار وتهاوى وكانها اعواد
من قصب .

وكانت قطارات السكك الحديدية تنكفي . منقلبة رأساً
على عقب . وكانت تبدو لناظرها كأنها حيات تتلوى .
وكانت اسلاك خطوط التلغراف وهي تنصف كأنها اسواط
تلهب ظهور الهواء . ثم تصغر صغيراً متناً .

وكانت السيارات تبدو - وهي منتشرة في الحقول او منقلبة
فوق الحنادق - وكأن كل واحدة منها « الزعامة » التي تقوم وسط

الحقول تخيف الطيور وهي
تسوط على الثمر .

وكان جهاز الراديو ينطق
بكلماته في اضطراب وقلق .

وهو لا يكاد يبين ، فيريد
في قلق الناس واضطرارهم . وقد
دقت الساعة لعنان السادسة ،
والوقت ليل . وقد امتلأت

الحانات بروادها وبدت الانوار خافتة ، وفقدت اصوات الموسيقى .
فاذا نظرت الى السماء رأيت المطر كأنه ستار يحكم النسيج . قد
تدل من السماء . فأحاط بأركان المستشفى ثم نزل على الارض .
فاستقبلته الريح فنفثه فانثره عن الشمال وعن اليمين .

واذا حققت النظر الى الارض رأيت ارض الشارع . وقد بدت
كأنها نمر من زيت قاتم اللون جرى وقد خلط بريقه من الموائم واللوائق .
واذا التفت السمع سمعت الواح النوافذ الزجاجية وهي تصطك
اصطكاكاً الركيين عند من افزعه الهول . وبات الحرف مل مضلوعه .
واذا اردت وصفاً شاملاً فقل ان المدينة بدت وكان اصحاب
عقلها الجنون والحلل .

ثم طرقت صمعي وسط هذه الضجة الكهري صوت انسان يصرخ .
فنظرت - بحكم غريزة التطلم - الى نوافذ
المستشفى فألفتها مقفلة يشع منها النور . وتنبى .
عن هدوء المكان وطمانينة زلته . وقد شمع

المستشفى بانفخ مزهواً امام العاصفة . فقلت ليس هنا مصدر الصوت .
ثم ارهفت صمعي ففكرت انه آت من اسفل . ثم ناجيت نفسي قائلاً :
اهكذا قدر للناس ان يشقوا وان لا يذوقوا طعم الهناء .

ثم عدت ادراجي ودققت التلفون لاني . حاجب المستشفى بدأ
الصراخ فقال : اعرف ذلك . واعرف انه في الطبقة الدنيا من
المستشفى . فلم اجد بداً من ان اختم الحديث وابدأ هز كتفي
كان الامر لا يعني . ولكن سرعان ما طرقت صمعي صوت يوق
عربة البوليس - وقد بدت كأنها جان يتحدى العاصفة - وفيها
فريق من فرقة الباحثين عن المجرمين القتلة . فمدوت وراءهم .
ثم انقطع الصراخ . وساد المكان صمت كهصت اصحاب القبور .
ثم مضت من الدنو . فخرجت الى الشارع فالتفت الحفلة التي تنقل
المريض واقفة تنتظر . والتفت الابواب قد فتمت . ثم رأيت قليلاً
من النظارة وقد وقفوا يتهامسون . ثم نظرت من خلال النافذة

التي تهبط قليلاً عن مستوى
ارض الشارع . فوافيت جسم
امرأة ملقى على اساط ازرق .
وقد بدت قدمها وما
تترهبان وسط نور الحجر
الذي يكاد يخطف الابصار .
ثم صعد طيب الاسعاف
ورجاله وهم يحملون رجلاً .

جازوا به الى عربتهم وتركها فيها . فدنوت منه فألفتها شاباً نحيلاً
هزيلاً . وقد غرقت رأسه في الدم . فقلت اكبر الظن انه قد
مات ! والا لباددوا بأسعافه . ثم نظرت الى ذراعه فألفتها اذكن
اللون معروق الظلم .

ثم اذا بهذا الميت يرفع يده ويشير بها كأنه يتحدث الى واحد
من الناس شارحاً وفسراً . ثم اذا بيده تنحط مرة اخرى . وهي
لا حراك بها . فقلت لنفسى : ترى من يكون هذا الرجل ؟ وما
الذي نزل به ؟ ولكن لا تات حين جواب !

ثم نظرت خلال النافذة فلم ار غير قدمي امرأة . ثم تجمع الناس
وحفوا بالمكان وهم يجشون . وظلوا ينظرون الى جسم المرأة .

ثم رأيتي - وقد بانني المطر - اتخذ طريقي الى حيث ترقد
المرأة وانا اقول لمن يلقاني : معذرة يا سيدي
اني جبار وصديق وقد سمعت كل شيء . . .
ثم اذا الحجرات كلها يضيئها نور ساحلهم .



الكتاب البرتغالي جوزيه رودريغيز ميغيل
José Rodrigues Miguel
ترجمته طارق سارك ابراهيم
http://archivebeta.sakhril.com



وقد غزاها القوم فاكتشفت وبدت كأنها مكان حفلة تجريبية من حفلات «السيا». وقد ساد الصمت وعم السكون وبدأ رجل صليح الرأس وهو يحيط في مبالذته وكأنه أبوها واكد الحاح هذا الظن وقال : الا تعرفه ؟ ثم اضاف الى ذلك قوله : كم علوها فبالقوا في تعليمها ! وكم تقفوها فأفوطوا في تنقيها ! وقد كانت حسناء مزهوة بجملها . وكانت :

(كأنها من حسنها درة
كان في فيها وفي طرفها
اخرجها اليم الى الساحل
سواحرا أقبلن من بابل)

وهي الآن ترقد فوق هذا البساط الازرق . وفوق جبينها بقعة من الدم . وبدت لساقيسا الجليتين روعة في ضوء السرج الوهاجة . وكأنها تحفان معروضتان من ساحة من ساحات عرض التحف .

ثم اذا بجيئتها تبدو وقد حسر عنها الغطاء فصحت - وانا اكاد اخنق - : واهأ على المسكينة وواهأ على كبريائها ! ان تلك الكهيا . التي ملأت الدنيا دويأ في (ميامي) و(برمودا) و(برودوي) قد غاضت وماتت . . ولو كانت صاحبة تلك الكهيا . اليوم حية لاحتلت صورتها الصفحة الاولى من مجلة « المرأة » و« الاخبار » .

ولكن الناظر الى تينك الساقين اليوم يولي منها قرارأ وعيأ منها رعبأ . وسوف تنسى الانذبة المليئة صاحبة الساقين . وسوف لا يتوقف الفلك عن الدوران . وسوف يجد الناس منها الف بديل وبديل . وسوف ينسأما اصحاب النظرة الماشقة .

وسوف تحرب بينك الساقين وتحسن اللقاء . جامعات من الديدان ترحف في هدوء وصمت تشبع منها نهما وتروي ظلمأها . دون ان تدفع حلوانأ للسقاء والحدم .

وبدا القتلى على وجوه رجال الشرطة . وبدأوا يصورون صورأ اخرى .

وجاء بعض الناس فحمل الصبي الى بيت من بيوت الجيران ويا لشقاء هذا الطفل ! انه رأى كل شي . ولذلك فهو الآن يصرخ صرخات هستيرية . وقد مسلى رعبأ ! ثم رأيت الزوج ملقى في عربة الاسعاف . فهل كان حياً ؟ لقد القوا به ثم تركوه . وكانت رأسه ينمرها الدم .

ثم اخذ رجال الشرطة يسألون الام ان تعص قصة فتاتها . وهي لفرط ذهولها لا تحج جوابأ .

وقد علم رجال الشرطة ان المرأة القاتل لم تكن مقيمة في

بيت زوجها . وكانا مقترفين منذ شهر .

وقد مات اهل الزوج يوم كان صبيأ . تركوا له المأأ ونشأأ فبدد المال وباع العقار . فلما التقى بتلك المرأة كان فقيرأ معدمأ . وكان متعلأ . وكان بلا مأوى .

وان تعجب فمجب كيف فتت امرأة في مثل ذلك الحين رجل في مثل هذا الفقر . وكان هذا الزواج يتمل بالمرض . وكان يرجوان تمود زوجته الى معاشرته . ولكنه كان شحاذأ تقتله الغيرة . فكان يأبى عليها ان تعمل . وكان عليها ان تموله !

وكان الرقص هوايتها المحبة منذ نعومة اظفارها . ولم يدخو اهلها وسعأ في تعليمها وتنقيها . وكانوا يأبون عليها ان تعمل عملاً من اعمال الخدمة في البيت حرصأ على اتمامها البضة .

وجاء ذات يوم يرجوها ان تمود فأبت وهي تقول : ان لي طريقأ في الحياة قد خططته لنفسي لمستقبلي . وكانت المسكينة لم تتخط الثانية والعشرين من عمرها . وكانت تدفع كراء البيت . كما كانت تقوم بسداد النفقات كلها . ولكن اين المفر من اثر تلك اللعنة القاتلة !

وكانت المرأة قد تماقت منذ شهرين على الذهاب الى «برودا» فذهبت . وكان هذا ببدء حياتها العملية . فنالها التغير والتبديل واصبحت امرأة مرحة . مشرقة الجوانب .

وقد عادت بالآس من رحلتها . وكان المتعاقد معها يلاحقها . ويبلغ عليها ان لا تتي عن الدرس . وكان الامل يألؤها . وكانت تتوقع تماقأ جديدا . ولكن قضى القضاء ان لا يراها الناس بين الاضواء المتألقة . بل يرونها في بقعة من الارض مظلمة .

اما حقائبها فلماقت في ذلك الركن . وفيها من الاثواب الغالية الف ثوب وثوب . ثم تسأل رجال الشرطة : كيف حدث القتل ؟ لقد دعاها وكيل اعمالها الى العشاء في ظاهر المدينة . واصرت امها على ان تصحبها وقالت لها . انك في حاجة الى التوزيع عن نفسك . وهذا رجل فيه بشاشة . وفيه ظرف وانس . وهو شديد النابية بك . وظلتما تتحاوران في هذا ساعات . وكانت الشابة تسأل نفسها : اتقدم على الذهاب ام تحجم ؟ ثم فضلت البقاء . وذلك لكي تلقى سنيها .

وقد امتنعت عن صحة وكيل اعمالها لانها لا تريد ان يراها الناس في صحة رجل من اليهود . وكانت ترى في ذلك كسبة وعارأ . وجاء الرجل ليصحبها . وكان اسمه (جولدشتين) فتلمات برداءة الطلوس وعصف الرياح . فعاد الرجل ادرأجه مستقلاً عربة

وهو يقول لها : لا تقلقي يا غثائي . واحذري الهدى . وأرجو ان تلي دعوتي قريباً .

وما ان فارقتها حتى قامت فارتدت فستاناً جميلاً وانتعلت ثياباً مذهبة . وجاء زوجها ليراها . وكان من عادتها ان يتلاقيا بين حين وحين ولو انها كانت تتعاشاه ما استطاعت .

وكان اذا جاء . قدمت له الشاء . وأبدت له الاسف على ما وصل اليه ذلك لانه لم يكن امراً سوء .

وفي تلك الليلة جاءهم وهم يتشون فطلبوا اليه ان يشاركهم المشاء فقبل . وكان هادئاً غير بادي القلق . فتناولوا الشطائر وشربوا القهوة في المطبخ .

ثم بدأ الزوج يبعد قصته القديمة ويسأل زوجته العودة الى العيش معه . وقال انه قد لقي عملاً (وهذا كذب) فطلبها ان تترك الرقص وان تهجر النوادي الليلية . وان تنسى صبية اخوان السوء .

ثم ذهب وايها الى حجرة قريبة . وفيما هو بقوله : وكذلك انت لا تريدان العودة الي ؟ فابتسمت وقالت : ارجو ان نبقي صديقين من بعيد . ولتأخذني حديث غير هذا الحديث . فأمسك بعوداته وقال : اذا كان هذا هو ما مقدت عليه الغرم فأني قاتلك .

فظن أنها انه يبعث ويخرج . وما ان تبحت الزوجة فاهل حتى انطلقت رصاصه فأصاب ما بين عينيها . وكانت طليقة واحدة . وكانت طليقة قاتلة . فأسرع اهله فغطوا وجهها بقطعة من الخيش . وان تعجب فعجب لتركهم الساقين الغائبتين مكشوفتين . . .

وفي حركة آلية رفعت المسكينة يديها الى وجهها كأنها لا تريد ان ترى الموت جرة ثم سقطت وقد فارقتها الحياة .

وطفق هو يدور حول البيت كالجنون يكلم نفسه والندارة في يده . وبدأ عليه الدهول .

وبدأت الام والصغير يصرخان . وقضى الامر كله في ثوان . ثم صوب الزوج الندارة الى رأسه فاخترت الملع ، ثم خرجت فاستقرت في اطراف الباب .

ولقد كان الزوج مجنوناً . وكان يعالجه الطبيب . وكان هذا نوع الجنون الذي يشكو منه .

وكان الطبيب يحذر القوم منه . ولكن القوم كانوا لا يصدقون للطبيب قولاً . ولو عقاروا لأبغوا رجال الشرطة ، ولكانت الفتاة قد نجت . ولكنهم اخطأوا . واصاب القدر .

ولقد حدث مرة يوم ان كان الزوج والزوجة على وفاتق ان دخل حجرة النوم واغلق الباب . ثم سمعت الزوجة صوت طليقة

فجرت اليه فألقته بضحك . والندارة في يده وقال لها : لقد علمت انك سوف تحييني مسرعة . وكان في تلك المرة قد صوب الرصاص الى الوسادة . وقد كان دائماً يتحدث عن قتله لنفسه ولكنه يبدو انه لم تشأ ان يفارق الدنيا وحيداً فكان في ذلك انانياً .

ثم دق جرس التلفون : ان المستشفى يعان وفاة الرجل ويقول : ان الرجل قد مات دون ان ينطق بكلمة واحدة .

وذهب واحد من رجال الشرطة الى حيث يقم فألقى غداوتين اخوين وألفاهما محشوتين . ونظر فرأى مذكرتين احدهما لاخته يقول فيها : لا بد مما ليس منه بدا . والاخرى لرجال الشرطة يقول لهم فيها : أعتذر عن اعزاجكم ايها السادة !

وفي هاتين المذكرتين ما يشرح اسباب الحادثة شرحاً كاملاً . (وبعد) فقد تقويت عالم الرؤيا وأمسى مكان المليحة خالياً .

تلك المليحة المزهوة بجسنها وجهاها ، المختالة في اثوابها وحليها الفخورة بمجازرها ومستقبلها .

وباتت تلك المليحة مسجوة . وقد امتدت فوق بساط وكأفا ترقص وهي راقدة . وكأفا تنظر الى اعقاب ناعلها المذهبة . وكأفا تسترجع ذكري التضحيات . تضحيات اهله الذين شقوا لتسعد .

ويكبر لضحك . وقضوا حياتهم في المساكن الرخيصة . يجترقون كل حرفة . وان عرفت . فقد عملوا وقادى للفحم حياً . وبوابين في البيوت احباءً . وكنت تراهم يحاكون مقاييس الشقق الخالية ويصفون الى سكاوي السكان ومطالبيهم . ويصلحون ما فسد من الميازيب والصنابير .

وهذه فتاتهم التي لقوا في سبيلها ما لقوا . وأنفقوا في سبيلها ما انفقوا . كانت كأن قلبها قد من حجر . وكان هما ان تنظر دائماً الى اعقاب ناعلها المذهبة . وكانت مفتونة بجملها الجلوب . وكانت تطلع الى المستقبل مستبشرة . وكأنها قد اتحت عند الزمان مهذا .

وها هي اليوم في مكانها ذلك . وقد طوي البساط وجفت الاقداح . وها نحن نرى رجال الشرطة وقد استراحوا الى نتيجة مجهم وكاعتدوا الى متاع القضية . وعرفوا سر الكارثة .

وها هم رجال الصنف وقد طروا اوراقهم وتنفسوا الصدا . وها هو الوالد يخرج . يلاؤه الذعر والفرع ويكاد الرعب يقتله . وها هو الباب يؤدي عمله كما كان يؤديه منذ جى . به الى هذا البيت . وهو يردد قول القائل : من مات فات . وكل ما هو آت آت . . .

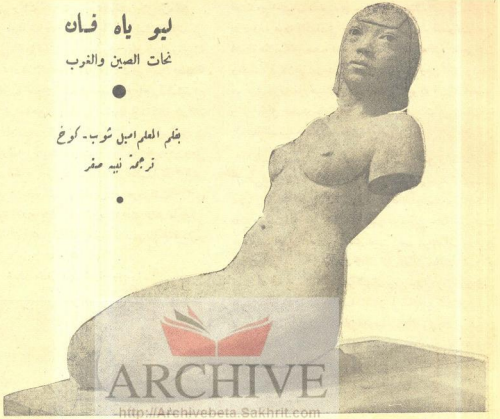
بارك ابراهيم

الناشرة

ليو ياه فان

نحات الصين والغرب

بقلم العلم اميل سوب - كوخ
ترجمة نبيه صفر



قناة صينية

ييرو

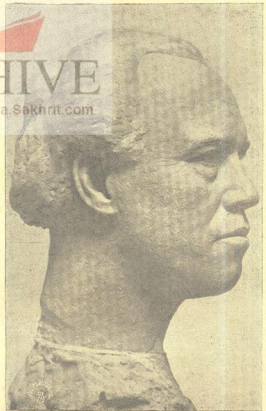
ليويه فان، كواحد من أولئك الأشخاص الذين وهبهم السماء أقصى درجات الذاتية . الا ينتمي الى احدي تلك السلالات التاريخية التي تمثل ارنأ فنياً من ارفع ما ورثه العالم؟ يولد ابنا مملكة السماء . مجيهم فنانيين يجيئون الفنون الحرة والتجارة والسلم وهم الورثة الامثلون لسنن التجميل . ان نجاحهم هو تجميله ولكن فضامة تجميله تحميه من المعنى القارس الذي يكنه هذا النعت . لم يكن على الطفل ليويه فان ، الذي كان يرى النور في العشرين من كانون الاول سنة ١٩١٠ في مدينة شانغ - سو ، الا ان يختار ما يشاء . في مضمار النعت . كان الكتنيون يصبون الهوتز اصمكاً عجيبه فاغرة فاما لاقتبال ضجة من الازهار ويمالج آخرون العلاج والجزع ويلون غيرهم على النار باللون الذهبي التاتيل الحشبية التي تمنعها ضربات مدام الزهيفة ، الحازمة . وكان هناك ايضاً هان سوكه برخامه الوردي ولوك فانزو برخامه الاخضر الشفاف وكانت . سوخ هائلة تتسكون من الحزف وامهراطوريات محدقن الى

الغيوم ومهاجرون يقفون في عرباتهم الدفعية شخصيات غريبة الشكل . رب تمثال صغير مذهب اللون اوحى اليها ، في ظل علبة غنية ، بشل هيكل بوذا او سيدة كبيرة ، نصف عارية ، يلعب نهذاها في الشمس كاللبيسون الطري او ازهار جبارة وطيور متعددة الالوان منتشرة على بسط جنائن الصين او دس مغمورة بالطلاء اللامع مهلة في الزوايا تمثل بغاوات ولقائى وكوامر شيطانية مجنحة كالحفافيش . هذا هو العالم العجيب ، عالم الشعر الحلي والفرح الملون ، الذي شاء ليويه فان ان يضحي به لكي يأتي فيقيم كنعات في غربنا العابر . تخترق الطبيعة على جميع الاذواق ولذلك يجب علينا احترام بداهة نحات مملكة السماء ، لانها صادقة ، ومحاولة فهم ليويه فان بدون ان نقا لآماله واغراضه وتأسفاته .

نكتشف في ليويه فان فناً غريباً من الطراز الاول ، لم يبق الشرق في نظره سوى اسطورة ، ولا يدين فنه بشي . لاجو الحار ، الالهة ، الذي سعدت به طفولته وبدأ فيه تكوين شخصيته الفنية ،

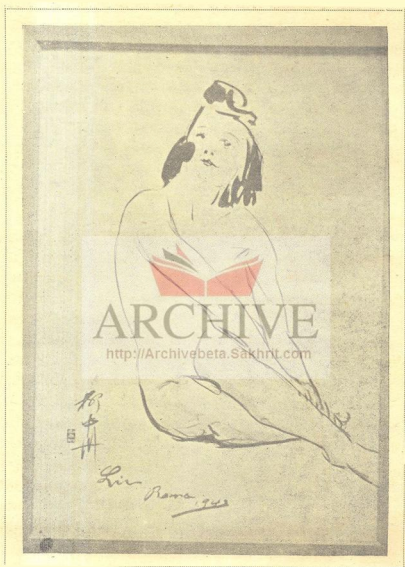
هوذا امامنا رسم بريشته . لا شيء . يفتننا بالفنان مثل اثره الفني . ان الرسم الذي نصفه هنا يمثل بلباقة عرباً جالساً تدلنا اقتنائه على ان تحقيقه شرقي التزعة ، لان الرسام قد رسمه بالجر الصيني وبالريشة الدقيقة غير انه ، اذ استثنينا هذه الميزة ، لا يمت الى الصين بصلة انما هو قرين مفيد يارسه النحات الباحث عن موضوع والحوال استخراج ما يستطيع استخراجه من مثال ظويف . هوذا ايضاً تمثال لعراقلة صينية نجد فيه الانسجام والاطف الترويين المرغوب فيها اليوم في فرنسا اتباعاً لبورديل ولا يستبد مايول وكرد فعل على رودين وعلى حاذقي النحت الجلمد . ماذا نستطيع ان نطلب اكثر ؟ اليس لليواه فان الحق بان يقيم شعوره الخاص ؟ . هوذا تمثال رئيس الجمهورية الصينية القديم بنظارتيه وشاربيه ولحيته الامبراطورية . لقد غنم ليواه فان في محجر ايقونة بروتية كما تبدو المالكة فيكتوريا

شارل دترنو امير شراء سويسرا



الفتية على الجنيات الذهبية في سنة ١٨٧٠ بريشة ماتيو دي باسقي او بيرانيلا ، هوذا تمثال نصفي لوزير صيني مهذب . لقد وقف رجل الدولة هذا بكل حجمه امام نحاته لكي يتيح له تمثيل حجمه معتز ومضاء كما لو كان يقف في منعت رودين ذاته . ان الرجل الذي زاه هنا هو غربي بالرغم من صينته . اننا نذري في ليواه فان نحاً غريباً ونحن نجمل بعد درجة التطور المصري الذي بلغته الصين . ان قوة المحافظة الصينية لتزداد تساهلاً يوماً بعد يوم .

يفيدنا ديترنود ، الشاعر السويسري ، ان نوعاً من الاجداد الديني قد حمى ليواه فان من الحرافات الشرقية وهذا شيء . ربما كان يوسف لهفياً لان تلك الحرافات غدت فناً غريباً ضحماً وأخاذاً وقد وجدت فنانيين لم يستطيع القرب قط مضارعتهم . ولكن . اذا كان يحدث في مدرسة الفنون الجميلة في شانغهاي حيث ذهب ليواه فان ، وهو في الثالث عشر ربيعاً يتعلم النحت ؟ لقد كان الطلاب يتلقون فيها فن نحت النهضة الايطالية والمصر اليوناني وفن جيراردون ورودين . غير ان عملي النحت في مدرسة شانغهاي لم يكن يمكنهم ان يلقوا طلابهم سوى مبادئ ذلك الفن الاولية . لذلك زى ان ليواه فان كان معلم ذاته وهذا ما نهته عليه وخاصة بالنظر الى نجاح محاولته هذه افاته ، بعد اقله اولي في اوربا اضحي ، عند عودته الى شانغهاي ، معلماً بديوه . الا انه لم يطل به الامر حتى زهدني التعليم وعاد الكمي يستيقظ الفن ، هذه المرة ، من بديوه ، اي من النحت الاغريقي والاطالي . واكبر ظننا ان درسه الاول الذي افاد منه كان امام ميكال آنج وجان دي بولونيا حيث تعلم ان لا يضيح البتة ، وهو يد اثره الفني ، بالخطوط الكهرى ولا بالاجالات ، وان لا يعتد بالتفاصيل الا بنسبة اهميتها . وبشعب آخر ، لقد ظل فن النحت في نظر ليواه فان ساسلة من تصاميم ومواقف ومن هجوم قائمة وافضية مضادة ، وهذا ما يكفي ، مع خلق اليد والمبقرة ، لخلق الروائع . ان المهم بعد هذا ، هو ان يحتفظ عمل الفنان بالانفتاح والتوازن والانسجام البدهي وذلك بأقصى مسا يمكن من الحزم . ان ليواه فان هو ، قبل كل شيء ، مصور ولا يستطيع احداث نظيره ان يكون بـ«سيكولوجيا» على الطريقة الصينية» لان البسيكولوجيا في الفن الصيني تنحصر كلها في التعبير . يدلي الينا النقاد ديترنود ، الذي نحت ليواه فان تمثالاً نصفياً له بما لتاثرات التي احسها وهو يقف امام نحاته . اننا ربما لا نوافق ديترنود على تفاصيل نقده الاخيرة ، فليست الصورة سوى خلق فني لا يتوخى المشابهة في الهيئة الا بقدر ما تدل على نفسية المثال . ان نحت صورة



امراة عارية

يدلنا هذا على أن ليو ياه فان قد تفهم تفهماً عميقاً جميع عناصر فنه .
يبدو لنا ان هذا النحات الملمم يدل له ان يتغلب على الصعوبات
وهي لذة تحدث عنها ميكال أنج الى صديقه هولاندو . لم يدرس
ليو ياه فان فن المصنّين الحاصلين فحسب بل افاد فائدة عظي من
امثولاتهم مع احتفاظه بطابعه الخاص ، لسنا ندرى لماذا تجذبنا
من آثار ليو ياه فان ادقها وادفأعلى شدة صفاء رؤياه وادراكه والتي
تفتح لنا باباً لا على مملكة الاتقان بل على امبراطورية الرؤيا حيث
نرى ان الفن الصيني قد تلاشى حتى ذكواه . اذا كان هذا الفن قد
اتى بروائع لا تضاهى أينبغي لنا ان نذكر هنا بان هذه الاعاجيب
تتم بطابعي التجويز والادھائي . اما النحات ليو ياه فان فقد
اقصى من فنه كل صفة تجويزية واصاف في اغلب الاحيان الى
الادھائي المبادر من روحية مسيحية محضة . فعلمنا ان نسجل له
ايضاً هذه المغفرة التي ستبقى احد عناصر الإغراء في فنه .

نبيه صفر

الريق



هو تحت خلق اي انه عمل جامع ، بلينغ ، لا يهم المصدر من الهيئة
فيه سوى ما يساعده على الجماء خلق المثال ان اجل التماثل النصفي
التي تختبأ ازميل بورديل ، مثلاً ، او دويرو او رودين لا تشبه
امثلتها كثير الشبه بمصر المعنى . اما تماثيل ليو ياه فان النصفي
فهي تتم خاصة بان تستخرج من مثالا مسحة شخصية تكون
عنصر التعبير الاساسي ، وهذه محاولة لمجد بنا ان ننهي . عليها
نحائنا اخر تهنئة . لقد عرف ، من جهة ثانية ، ان ينتقي امثلته من
مثل جان مارتو وهنري تاز وجان فيوليت ومارتينه وشن ، وهذا
الاخير هو طالب صيني . تتميز هذه التماثيل النصفية باختلافاتها اي
بالخلق الشخصي الذي يهبها الفنون والندرة . غير اننا نعلم ايضاً اي
احترام للفن واي اهتمام بالتفوق المطرد يجوز كان ازميل تحت مملكة
السا . في عمله الكلاسيكي وهذا مسا دفع بد يترونود ، الذي
لا يخفى شي . على نظره النقاد ، الى اطراء هذا العمل بمجاسة .

يخجل الينا ان ليو ياه فسان لا يطاق كثيراً لأجل الحضور
الالهي وما ذاك الا لانه يعلم ان هذا الحضور يتغلغل في جميع
الروائع ولا سيما الصالحة منها كالتي نحن بصددسا . اما فيما
يختص بهذا التقصي الذي يبلغ به المرء الى نفسية قريبة فنحائنا
ينتسب خاصة الى اولئك الفنانين الذين يعرفون كيف ينظرون
الى الاشياء . والحالات ولا هم لهم سوى الاحاطة بنفسيتهم ،
لم ينحت ليو ياه فان إلا ما رأت عيناه ولم يعرف ازميل النش قط
فهو من هذا القليل يستطيع ان يضم فخر الفنان النظيف الى استاز
العامل الحاذق ، ويكنيه اكليل العار هذا تمجيداً لانه اكليل بورديل
وسيران ، غير ان ليو ياه فان ليس صوراً فحسب بل هو نحات ايضاً
والفن مدين له بمثال رائع لغناء دعاها حوا . ليظهرها لها بثوب
هذا الاسم ، وهذا التمثال هو عري . نسجم يزيد به نبالة اللطف
الذي اسبقه عليه الفن . يمكننا في هذه الحوا ان نسجل نزعة معينة
وهي ان الفنان قد نظرو فيه الى مثاله نظره الى فتاة من عامة الشعب
لقد مضى الزمن الذي كان النحت يمثل لنا اوليا . واساطير بقسمات
دقيقة مترفة كتماثيل قروية ودويرو ودالو ، لقد بدى بهذا التطور
منذ الامبراطورية الفرنسية الثانية واذا لم يكن البادى . به هو
رود بعينه فلا شك في انه فالغير او كاربو . اما انطوان بورديل
فقد تابع هذا التقليد ولكنه استطاع ان يحمي فنه من كل ابتذال
بفضل نبالة ازميله وعق تعبير خطوطه . وهذا ما بلغ اليه ايضاً ليو
ياه فان باستحياته اوتق روائع الفن وبفهمه ان الواقعية العصرية لا
يمكنها ان تقضي الا الى الابتذال ما لم يسيطر عليها الوقع والانسجام

الحلاج

بقلم نيب الاختيار



كان

ذلك في عهد الصبا البدي النض ، حيث تنساب الحياة ، آمنة مطمئنة كالجدول الرقراق ، فلاماضي تنحصر عليه ولا مستقبل تتطلع اليه ، كأن لا تاريخ لتلك الايام التي عشنا بها كما عاشت بنا ، في تلك الحقبة من الزمن ، حيث الاحلام المجنحة ، كرائد طفراتها المأمن وكثرها الثمين كانت لنا مربية حبشية ، قعية نقية ، عاشت حياتها عاقلة ، كالصورة نذرت نفسها البتلة ابدية من البيت الى المسجد ومن المسجد الى البيت ، لا تعرف الا الدعا . ولا تشخص الا الى السماء . وكانت كما دلف الليل واحوت المدينة الظلمة ، دعتنا الى غوفتها البسيطة المتواضعة ، فنجلس هنا وهناك ، براعم لم تفتح مشرقة الاكام الى ذلك النور الذي كان يشع من وجه انعكس عليه باطن نقي ، فتجلت في اساريه حلالة صافية ، توجي الى النفس بالسكنة والطمأنينة ، وكان كل واحد منا يشعر في اعماق ذاته بان لهذه المرأة سرأ ، اما كنه هذا السر ولغزه ، فقد غم علينا امره والتبس شأنه ، بحيث انها كانت تبدو لانتظارنا ، مثل طيف مفت بهلالهم مبهمة غامضة وضاعف من قوة سحر هذه المخلوقة الاخاذ ، تلك الحكايات التي كانت تقصها علينا وتسكبها في مسامعنا ، كانت تغفل ذلك بثودة واين ، وبصوت متهدج حنون ، كأنه نغمة موسيقية قدسية ، تبت الرعدة والرغبة ، وتوقظ المشاعر الكامنة في الاعماق ، وكنا نجد في هذه الحكايات متعة ولذة ذلك لان هذه الحكايات ، بالرغم من صورها المشرقة في حين والقائمة في حين آخر ،

كانت تجد صداها البعيد في نفوسنا الساذجة الغريزة ، فتستجيب الى كل لون من الوانها وشكل من اشكالها وتستغرق في تأملات لا اول لها ولا نهاية ، وانما لتأملات ما زالت احلامها الهاجسة عاقلة بالحوار مائه في المشار :

و كانت حكاية (الحلاج) احب الحكايات الي واعزها علي كنت اصغي الى قصة هذا الرجل تسردها علينا مريئنا الحبشية بضراعة فائقة ولفقة سائقة ، فقد اخذتني قصة الرجل من نفسي وشغلتني عن ذاتي بحيث كنت استمعيها واستمعيها ، وارددت في خلوتي تفاصيل واجزاء تلك الكرامات التي بلغت درجة المعجزات ، واهتفت في سري « ايكون ان يكون ذلك ؟ » وهل في مقدور الانسان تحقيق مثل هذه الحوار ، وكنت كلما فكرت ، ادرت اني حيال لفر ، وان طلام هذا اللغز ستظل ملتبسة على موصدة الابواب مغلقة النوافذ ، فانطلق هائلاً في آحاد هذا العالم المسحور فاضفي على ما تسامي الى مسامعي ما شاء لتصور الروم ان يضفيه وهكذا عشت حياتي الاولى في حلم سرايبي تبهرني رؤاه ويجذبني سناه ، ولكن الايام ما لبثت ان مرت تباعاً تطوي بعضها بعضاً في سجل الماضي السحيق فاغابت عن ناظري تلك الغلالة الرقيقة اللطيفة ، وتبدت لي الحياة في حقيقتها الحارة المرة ، بعد ان زابتها احلام الصبا الهاجسة ، ولما عدت الى تلك الحكايات ، حكايات الطفولة وجوها الساحر ، فقدت التذمة والمتعة ، فلا شي . ينويني ولا شي . ينويني فقد نفضت الاسطورة عنها الكفن ونجت لي

حقيقتها المادية في كلمة من كلمات فاليري (لقد حقق العلم في العصر الحاضر معجزات النبوة) وهأنذا الآن في هذا العصر الذي أضفى عليه فاليري ذلك الوصف اعيش لاشاهد العالم وهو ينطلق على غير هدى فلا حيف رجاء ولا مريض ضياء .

في غمرة هذا العالم الحائر القاتح ، هذا العالم الذي فقد المثل العليا يقف الإنسان ولا رائد له تتقاذفه الاهواء المتضاربة والتزوات المتباينة ، فليفت ذات اليقين وذات الشك ليجد النور الذي يهدي به ، فلا يلقى امامه الا الظلمة المظلمة ، فيستسلم الى يأس لا خير فيه وسبات لا نفع منه ، في هذه العمرة الحالكة ، يتوقف دولا بل الحضارة وتنتحل مدارك الفكر ، لان القوة المدبغة في ذات الانسان تنكش وتتناقص وترتد الى الاعناق لتضعي عليها الدور ، بل لتعرق رءوسها وتقصير ياهها فهذا الانسان الذي آمن في القرون الحالية بالمثل العليا ، ووجد في هذه المثل اجمل عزاء واسمى رجاء ، قد فقد ما وجدته في الماضي ، فهو يعيش في زمن لا يتقصد فيه بان الإنسانية صائرة الى ما هو ارفع واكمل وانبل ، يعيش في زمن انهارت فيه القيم والمفاهيم ، فلا حق ولا خير ولا عدل في الوقت الذي كان في الماضي يؤمن بكل هذه الاشياء الرقيقة ، لانه كان باطارد ازدهار المثل العليا ومضيها من حزن الى احسن ، وهذا الشعور الذي كان يساور الانسان ، هو الذي جعله على الاعتقاد بإمكان الكمال الانساني ، اما الآن فقد تبدل كل شيء وتحول فقد الايمان بالمثل العليا ، فقدت معه الايمان بإمكان الكمال الانساني ، فلا شعور بوجود حق او خير او عدل ، فسيطرت اللزعة المادية بمنائها النفعي على اللزعة المعنوية بمنائها المثالي ، فعاش الانسان ميسة آلية مجتة ، لا يؤمن لا بحضر ولا بمستقبل الحضارة الإنسانية ، فكان من جراء هذا كله ، هذا القلق الفكري ، الذي يجتاح الانسان ويساوره ، هذا القلق الذي طبع حضارة القرن العشرين بطابع التجهم المرير .

لقد صدق (الكس كارل) حيناً ارجع معضلات المدنية الحديثة الى ذلك التفاوت العميق القائم بين الرقي الروحي والرقي المادي ، فقد كان الشوط بين ثنائي قطب الوجود من البعد بمكان جردهما من الوحدة الكلية الشاملة ، فقد انطلق الرقي المادي دون ان يضم يده بيد الرقي الروحي ، خاف الاول الثاني في منتصف الطريق ومضى قدماً لا يلاوي على شيء ، ففقدت الحضارة الانسجام كما فقدت الاثران ، وسخر الفكر لخدمة مصلحة مادية مجردة ،

لا اصلحة مثالية مطلقة ، لا بل ان الفكر وضع في خدمة النفعية الضيقة ، النفعية التي تقاها الانانية التي لا هم لها في الحياة الا تأمين اغراضها الذاتية ، فران الظلام على الفكر الانساني وخبت تلك الاضواء التي كانت تشع منه وتأتق ، فاضاع الانسان بذلك كل امل له فوق الارض وكل رجاء له في السماء ، ونحن اذا القينا نظرة عامة على الحياة الفكرية التي جاءت بعد الحرب العالمية الثانية ، نلاحظ هذه الناحية واضحة كل الوضوح وظاهرة كل الظهور ، والفكر المبدع الحلاق لا مكان له ولا وجود . الفكر الآن ، هو ذلك السنين المتبدل الرخيص الذي لا رسالة تاريخية له ولا مهمة انسانية تلقى على عاتقه فهذا الانسان الذي يلهو بالزمن ، ولا ينظر الى الحياة نظره الى حقيقة خالدة ابدية الاطراد والازدهار ، يصدف عن الفكر المبدع ، لان الابداع هو الممول الهدام لذلك الطابع الذي اتسمت به حضارة القرن العشرين .

في هذه العمرة الحالكة ، الحافلة بالحنية الاخيرة بالقنوط ، يرتد الانسان الى عالم ذاته ليتحرى عن مثله الاعلى في عالم هذه الذات بعد ان فقد هذا المثل خارج وجوده الذاتي ، يرتد الانسان ليتأمل وليجد مخرجاً من هذه الحلقة المغرقة . ومن اعناق هذه التأملات يلوح ضياء قد يكون الرائد الاخير لو عرف الانسان كيف يسير على هداه . عدت الى نفسي لاجد فيها الملاذ الامين ، لاجد فيها ذلك العزاء الواسع الذي طالما تفت اليه وتلفت عليه ، لم اعد كما عاد الحكيم ساجان لاقول (الكل باطل) بل عدت لاقول (الكل حق) فقد وجدت في هذه الذات ، ومن الانطواء على النفس عرفت وجودي ، وكل ما انطوى عليه هذا الوجود من خير وحقيقة وجمال ، فلم يدم مثلي الاعلى حقيقة خارجة عني ، بل حقيقة قائمة في انا ، في هذا الجرم الصغير في امتداد اللامتناهي ، ومنذ اليوم الذي ادركت فيه (انا) عرفت على ضائتي المنشودة ، فلم ابرم بشي . ولم اضجر من شي . ذلك لان الحياة انطوت في افقي الذاتي ، وما علي الا اضعاء النور على هذا الافق ليضم ويذهب ، فما من شي . في هذا الوجود الا وخليق بان يجب ، مسا دام هذا الشيء . يحمله في تضاعفه (انا) انا هذه التي اوتيت القدرة المدبغة ، وكان من نتائج هذه القدرة وهذه الحضارة الرائعة الابدية الاطراد .

من صومعة ذاتي عرفت ما غم علي ، فتلمست الطريق لارائد لي غير قلبي ولا دليل الا حبي فانجذبت امام بصيرتي الافاق الرحاب ، هذه الافاق التي ما كان لها الا ان تقف على مقياس اوسع

لو تحقق التناغم بينها وبين غيرها ، على اعتبار ان الحياة وحدة مطلقه في اهدافها وغاياتها .

لم تكن (انا) هذه ، انثائية ضيقة لا تؤمن بالشمول ولا تعدد بالامتداد ، كانت وهي في تخومها تدرك بانها جزء صغير من هذا العالم الكبير ، ومع هذا الصغر كانت من الاتساع بحيث انبساطت كل ما وقف في متناول يدها بطابعها الخاص ، فهي وحدة منسجمة في عالم قام على صورتها وشيد على شاكلتها ، وهي في فرديتها تحمل في تضاعفها الماضي كله والحاضر كله والمستقبل كله .

لقد آمنت بالحياة لانني آمنت بنفسي ، هذه النفس التي هي ائني شيء . في الوجود ، لن اقول ما قاله رابله (اسدلو الستار فقد انتهت الميزة) بل اقول ارفعوا الستار ، اذ لا مهزلة في هذه الحياة الدنيا ، في هذه الحياة حقيقة اكيدة ، تجعلني لانا متج تجات انا انفسنا ، ومتي تجلت هذه الحقيقة ، عرفنا الانسان كيف ينثر الحبر ويثبت الجلال ، ويضفي على الوجود الحب .

لقد استطاعت تلك المربية الحشوية ، ان تضيف على قصة الحلاج ، اشياء ما كان في مقدورها الامتداد ، وللاصدق شعورها باكانت ثقله الينا وتسرده علينا . فاشترقت تلك الاشياء ، وازهرت ، وبدأت جميلة حاوة ، لا لانها جميلة هي بالذات ، بل لان . ملنا اليها اضفى عليها غلالة من جمال اخاذ ، فصنعت شعور المربية الحشوية ، هو الذي جعل قصة الحلاج جميلة في نظرنا ، لطيفة الوقع على مسامعنا ، ولم تعد روعة القصة قائمة في ذات القصة ، بل في قلوبنا وما في هذه القلوب ، من وسوس اوهام وهواجس احلام .

ان حياة رجل عاش فكرته ، و اراد ان يجعل من هذه الفكرة قاعدة ملية لعداياه ، لمي حياة جذيرة بالعناية خلقية بالاهايم ، بها كان نوع الفكرة التي اعتد بها واخذ بسبائها ، اذ ما من شيء في هذا الوجود ، اعظم من انسان عاش فكرته ، وتعدت هذه الفكرة بقوة الشخصية ، لا بقم النظريات وروعة المصطلحات ، فنحن اذ نقدر سقراط ، اننا نقدر فيه تلك الفكرة التي عمل لها وسعى وراها ، وجعل من حياته فدية لها ، لقد وهب سقراط ، الحياة للفكرة ، ولأجل هذه الغاية وحدها ، عمل وتاضل ، ومسا حكاية الحلاج الا نظير حكاية سقراط ، وضخم نصب عينيه صورة مثالية ، وحاول ان تكون حياته مطابقة لهذه الصورة ، ولكن توة مثل توة الحلاج ، ما كان في مقدورها ان تحظى بتسامح

المجتمع الذي عاش بين ظهرائه ، اذ كيف يجد التسامح لنفسه سيكلاً مع رجل تناقض آراؤه ما اجتمعت عليه كلمة الناس ؟

وهل الحقيقة في نظر المجتمع ، غير هذا الشيء . الذي اتفقت عليه الكلمة واجمع عليه الرأي ؟

لقد دعا الحلاج الى توة تتعارض مع التعاليم الدينية المقررة ، والسلطة الزمنية القائمة ، لا بل ان توة الحلاج كانت تتعارض ايضاً ، مع آراء فريق من المتصوفة الذين ينتمي اليهم الحلاج نفسه ، بالرغم من ان توة الحلول التي نادى بها الحلاج لم تكن توة جديدة في تاريخ الاسلام ، اذ ظهرت في عهد علي بن ابي طالب ، على لسان عبدالله بن سبأ ، الذي زعم ان علي بن ابي طالب كان نبياً ، ثم صار الها ، ولما قتل علي ، ادعى عبدالله ، ان المقتول هو شيطان بصورة علي ، وان علياً صعد الى السماء كما صعد عيسى بن مريم ، وجاء بعد عبدالله بن سبأ دعاة ذهبوا الى ابعاد ما ذهب اليه هذا الرجل ، مثل المغنم الذي ادعى لنفسه الالهوية في زمن المهدي .

ولشبهت توة الحلول وامتدت ، حتى بلغت عشر فرق ، وقد حدها وعرفها صاحب كتاب الفرق بين الفرق بقوله .

الحلوة الحلة عشر فرق كانت في دولة الاسلام ، وغرض جميعها القصد الى افناء القلوب بتوحيد الصائم وتعطيل فروعها في الاكثار بوجع الخلفاء الوافض وذلك ان السبائية والبيسانية والجنانية والحطابية والنورية منهم باجمعها حاوية وظهر بعدهم المقنمية بما وراء نهر جيحون وظهر قوم يرو يقال لهم رزامية وقوم يقال لهم بر كوبة وظهر بعدهم قوم من الحولية يقال لهم حلمانية وقوم يقال لهم حلانية ينسبون الى الحسين بن منصور الحلاج .

ومن هنا نلاحظ ان توة الحلاج ، كانت توة قديمة معروفة في تاريخ الاسلام ، ومع هذا لم تكن في نخوة من معارضة رجال الدين ، ورجال الدولة وبعض المتصوفة ، فنحن اذا القينا نظرة فاحصة على توة الحلول في تاريخ الاسلام . نلاحظ انها توة ذات خطر سياسي ، فالذين دعوا اليها هم الوافض الذين كانوا يرومون الى خلع اقدس الحرمات على آل بيت علي بن ابي طالب ، حتى يؤمنوا لهذا البيت السيادة السياسية ، التي حرموا منها في صدر الاسلام ، وفي المدين الاموي والعباسي ، فلما ظهر الحلاج وراح يدعو الى توة الحلول ، وانتشرت دعوتيه بين ظهرائه المريدين والانتصار ، واستمال في بغداد جماعة من حاشية الخليفة ، كما

استأج جماعة من حرمه . خاف الخليفة المتقدر بالله مغبة الفتنة فحبسه ، وصلبه . أما رجال الدين فقد ناهضوا الحلاج لأن زعته تخالف قواعد الاسلام واصوله ، فقد كان الحلاج يتنقل ويدعي الربوبية ، ويقول لاتباعه ان ارواح الانبياء انتقلت اليهم ، فيقول لاحدهم انت نوح ، وللآخر انت آدم ، فزعم انه يحسي الموتى ، وان الجن يخدمونه ويخضرون اليه ، ويأمر اتباعه بالسجود له ، ويدعو الناس الى ترك الفروض الدينية ، اذ كان يقول لهم « اذا فعل الانسان كذا من الجوع والصدقة اغناه ذلك عن الحج والصوم والصلاة » . ومثل هذا الامر لا يرضى به ولا يسكت عنه رجال الدين وكان في طليعة الذين ناقضوا الحلاج من رجال الدين ، القاضي ابو بكر محمد بن الطيب الاشعري ، والقاضي ابو بكر بن داود ومحمد بن يحيى الرازي الذي قال سمعت عمر بن يحيى المكي يلعن الحلاج ويقول : لو قدرت عليه اقتله بيدي ، قلت ايض الذي وجد الشيخ عليه ، قال : قوت آية من كتاب الله . فقال الحلاج يكنني ان اؤان مثله او اكلم به .

ولا ريب ان مثل هذه الاقوال ومثل تلك الاعمال ، لا يقرها رجال الدين ، الذين يعتبرون انفسهم حماة الشريعة وسدتها . فالتوا بقتله عندما سألهم الخليفة في امره .

اما المتصوفة ، فقد اختلفوا في امره فحسب بعضهم الى الشهادة والى الزندقة ، قال الخطيب البغدادي « والصوفية يختلفون فيه فاكثرهم نفي ان يكون الحلاج منهم » وقال ابن فاذك « رأيت رب العزة في المنام فقلت يارب ما فعل الحسين بن منصور ؟ فقال « كاشفته بمنى فدعا الحاق الى نفسه فازلت به ما رأيت » . وقد تهرأ منه بعض المتصوفة الذين صاحبهم الحلاج نفسه مثل عمرو بن عثمان المكي . قال عمرو « كنت اماشيه يوماً فقرأت شيئاً من القرآن فقال يكنني ان اقول مثل هذا » .

والمعلوم ان المتصوفة يجمعون من الدين النبوع الذي ينهلون منه ، فتجديد الحلاج ، واعلانه القدرة على محاكاة القرآن امر لا يقره المتصوفة ، هذا فضلاً عن منكم بعض الاسرار الخاصة بالمعرفة الصوفية ، هذه الاسرار التي حوص المتصوفة كل الحرص على الاحتفاظ بها لانفسهم وحدهم دون سائر الناس اجمعين ، وفوق هذا كله فسان التجريد الصوفي كرياضة روحية تربي الى تطهير النفس وتحريرها من سلطان الترائز والرياسات ، هو في جوهره انعتاق من الحيوان الكامن في ذات الانسان ، والسمو بالنفس الى

المثل الاعلى المتصور في وجدان الصوفي ، فالصوفي والحال هذه هو في ارتقاء ، صاعد نحو المثل الاعلى المنشود ، فحينما يعتقد الصوفي بان هذا المثل الاعلى قد حل فيه ، انما يهبط بهذا المثل من السماء الى الارض ، ويضفي عليه صفة بشرية ، على حين ان الصوفي الذي يتعلم ينظره الى السماء ، يضفي على مثله الاعلى صفة سماوية ، فيحمل منها قدوة ، وحق في حالة فئانه في هذا المثل الاعلى لا يتجر نفسه ذات المثل الاعلى نفسه ، بل هو صورة من صورته . ومن هنا ندرك الاسباب السببية حمت بعض المتصوفة على انكار زعنة الحلاج الى الاله الانساني لا الانسان الالهي . وبذلك عرض نفسه لنقد بعض المتصوفة الذين لا يذهبون هذا المذهب ، ولا ينحون هذا المنحى .

وعارض المتكلمون الحلاج وكفروه لان معظم المتكلمين لا يدينون بزعة الحلول بالرغم من تأييد المتكلمين التي تقول بالتجلي .

عرف احد المتصوفة ، التصوف بقوله « التصوف حال ، ظاهره تلبس وباطنه تقديس » ومثل هذا التعريف جدير بالملاحظة وخالق بلاهات ، كما نجد فيه الصوفي ، ما يبرر اعمال الحلاج واقواله ، فكم حملت هذه الاقوال وتلك الاعمال على غير الوجه المقصود والغرض المنشود ، فوضع الصوفي بما هو منه براء ، ونسبه الى ما لايت الى حقيقة حاله بصل من الصلات ، لا شيء ، بل لان الجهل هو مصدر الحكم ، وقد ادرك الشعراني هذه الناحية فذكر في طبقاته الكبرى ان من لا الملم له بمصطلحات اهل الطريق ، فقد ينسكو عليهم نظارهم الى الاشياء ، فقد يقول الصوفي « حقيقة التقوى هي ترك التقوى » وقد يقول الصوفي « حقيقة التوبة هي التوبة من التوبة » ومثل هذا الكلام مدعاة الى تفكير صاحبه ، اذا حمل على معناه الظاهر لاعلى معناه الباطن ، وقد ذهب الصوفي في تفسير ما يعرض عليه مذاهب غير مأثورة ومساالك غير مطروقة ، فيخيل الى الناس ، ان ما جاء به الصوفي بدعة ، ولكن الصوفي كما يقول الشعراني لا يأتي بشرع جديد وانما يأتي بفهم جديد ، فهذا التجديد في تصور الاشياء وتصويرها كان وما زال ، مصدر نكبة الصوفي وغير الصوفي ، كان التجديد مصدر نكبة الصوفي وغير الصوفي ، لان الجديد هو الحياة في اطرادها المستمر هو هذه الوثبة الجارية ، التي لا مكان لها في دنيا الدين ران عليهم الجود وآثروا بناء صرح الحياة نفسها سواء بسواء ، هو الذي حمل الرجمة في كل زمان ومكان ، على الوقوف في وجه اولئك الذين يتعلمون بانظارهم الى المستقبل الرحب ، غير آبهين بالاوابد والاضنام ، ولا يهيا كل هذه الاوابد والاضنام وذلك لان حياتهم

تطلق امامهم ، وهي تحمل في يدها مشعل النور ، نحو كل غواية سامية نبيلة ، ان هذا النهم الجديد الذي حدثنا عنه الشمراني ، هو المحرك الرئيسي للحضارة الانسانية ، هو هذا الفئض من الالهام البديع الذي حقق للانسان التصورات المبتكرة ، فكهم من ظاهرة نسبت الى الشبهة ، كانت في جوهرها حقيقة اكيدة ، ضربت بافرقسط في خدمة عالم الانسان ، فما هو تلبس في نظر الناس هو تقديس في نظر الصوفي ، وما ذاهم اقوال الناس ، اذا كانت في رأس الانسان فكرة ؟ وهذه الفكرة تجتلب من نفسه مكان العقيدة ؟

لقد تعرض الذين ادوا رسالة الحضارة الانسانية ، لانفح النكبات واخلط العقبات ، ومع هذا فقد علوا وناضوا ، ذلك لانهم كانوا يؤمنون برسالتهم ويستقلدون بفكرتهم ، وقد كان الحلاج من اولئك الذين يؤمنون بانهم يؤدون رسالة ويستقدون بفكرة ، فلم يحفل بالسجن ولم ياب به بالصلب ، وهو اذا وجد من افني بصلبه ، ندد به وتحامل عليه ، فقد وجد ايضاً ، من ناصره وآزره ، وجد الشيخ الاكبر وابو العباس بن مطاوع ومحمد بن حنيفة وابو القاسم النصراي هؤلا الذين وصفوه « انه عالم رباني وبانه ولي الله صاحب كلمات » وقال عنه ابن خلكان « قتل الحسين الحلاج ولم يثبت عليه ما يوجب القتل » وهكذا لم يدم الحلاج الانصار كما لم يدم غيره من الرجال الذين جعلوا حياتهم فدية لفكرتهم ، ذلك لان الحلاج نفق لفكرته ولاجل هذه الفكرة عاش .

ومهما يكن شأن تزمة الحلاج الصوفية ، فالامر الجدير بالملاحظة هو ان الحلاج لم يشأ ان يجعل تزمته فكرة مجردة ، بل حاول ان يستغل هذه التزمة لغاية سياسية وقد وصف صاحب شذرات الذهب هذه الغاية بقوله « وقتل الحلاج ودخل عليه الداخل من الكبر والرياسة » فهذا الداخل من الكبر والرياسة « الرياسة » هو مصدر نكبة في الحقيقة ، وقد تجلّى هذا الداخل الذي تحدث عنه صاحب شذرات الذهب في شعر الحلاج :

ولي نفس ستلف او سترقى لمورك في الى امر عظيم

وقد صدق حدس الحلاج اذ تلفت نفسه دون ذاك الامر العظيم الذي يشهد ويتطلع اليه وكان امنية عزيزة عليه حيثية اليه ، وقضى كما قضى غيره من اولئك الرجال الذين اشربت اعتناهم الى ما فوق متناول يدهم ، فدفعهم الجدل العاثر امامه ، ليستقلوا صرعى الاثامي وقرايين الاحلام ، اما الزمن فقد وقف ليسخر من الانسان

ليسخر من عبزه وضعفه ويسجل صفحة من صفحات عبث القدر . لقد اراد الحلاج شيئاً جسيماً في هذه الحياة الدنيا شيئاً تتعلم دونه الاعناق ، نشد رياسة عن طريق مخوفة بالمكارة حافلة بالاشواك فلم يمد الى مثل ما عهد اليه غيره من اصحاب التزعات التطلمية في ذاك العصر بسل عد الى شي . لا يقره عليه المجتمع الذي كان يعيش بين ظهرانيه فقد كانت تزمة الحلاج اخلاوية ، تزمة لا يمكن ان تجتد لنفسها صدى في مجتمع يؤمن بعقيدة مقررة وشريعة مرصودة في مجتمع لا يمكن ان يفهم في حال من الاحوال ان الانسان اذا هذب نفسه في الطاعة وصبر على الشهوات والذلات وارتقى الى مقام المقربين ثم لا يزال يصفر ويرتقي درجات المصافة ، حتى يصفر من البشرية ، فاذا لم يبق فيه من البشرية حظ ، حل فيه روح الاله الذي حل في عيسى بن مريم ، بل ان مجتمعنا نظيره مجتمع الحلاج لا يفهم تزمة من هذا القبيل ، لا بل ان المتصوفة الذين رافقهم الحلاج فمروهم وعرفوه وخالطهم وخالطوا لم يرضوا ما ذهب اليه الحلاج ، فكيف تكون حالة عامة الناس التي لاحظ لها ولا نصيب من المعرفة الصوفية ؟ كيف يتسنى لمجتمع نظيره مجتمع الحلاج ان يدرك ما ذهب اليه هذا الرجل حين قال :

سبحان من انزل ناسوته
ثم بدا في خلفه ما هرا
حق لقد عاشه خالقه
مر سنى لاهوته الثاقب
في صورة الاكل والشارب
كخطه الحاجب بالحاجب

لقد دعا الحلاج الى تزمة غريبة عن الاسلام ، تزمة لا تتنافى مع الشريعة فحسب بل تتنافى ايضاً في غايتها القصوى مع سلطة الدولة ايضاً فكان نصيبه السجن والصلب ، كما دعا الحلاج الى تزمة لا تتفق في شي . مع العقلية والنفسية وهذه التزمة هي الوحدة المطلقة حيث عبر الحلاج عنها في قوله :

انا من اهرى ومن اهرى انا
فذا اهرسني اهرسني
نحن روحان حلنا بدنسا
واذا اهرسنا اهرسنا

وذلك لان طبيعة العربي العقلية والنفسية تقوم على اساس النظرة الجزئية التي لا على اساس النظرة الكلية الشاملة ، وهي الى هذا طبيعة حسنة لا طبيعية تجريبية فلا عجب والحالة هذه اذا لاقت فكرة الحلاج الصوفية مناهضة من المجتمع الذي عاش بين ظهرانيه .

دوس

نصيب الاغنيار

اثر العظماء في التاريخ

بفلم نجم الدين محمودي



اثر الافراد في تغيير مجرى التساريخ من المواضيع الطريفة التي جلبت اهتمام المفكرين في كافة الصور، ولا عجب اذا وجدنا الفلاسفة يولون هذه المشكلة عنايتهم فيثيرون الجدل حولها . ومن الجدير بالذكر ان هذا الجدل جعل الفلاسفة ينقسمون الى فئتين متناقضتين، فئة تقول « ان التاريخ في جوهره عبارة عن سير العظماء »^(١) وبكلمة اوضح « ان التاريخ من صنع الصفوة الصالحة من البشر الذين يؤهلون زعامة اجتماعية مستمدة من مزاياهم الشخصية »^(٢) . اما الفئة الثانية فتدعي بعكس هؤلاء تماماً . ولسان حالها يقول « ان العظماء نادج كاملة البنية التي يمشون فيها .

ان من جملة من يعرض نظرية تأثير العظماء على سير التاريخ وقدترهم على تغييره الكاتب الانكليزي « توماس كارليل » في كتابه « الابطال وعبادة البطولة » فيتحدث عن النبي محمد و« اوليفر كرومويل » ويجعلهما امثلة للرجال العظماء الذين غيروا مجرى التاريخ . اما رأي « كارليل » في نابليون فيختلف كل الاختلاف مع رأيه في النبي محمد وكرومويل اذ انه يجرده من صفة العظمة ، ويشاركه في هذا الرأي الكاتب الروسي « تولستوي » الذي يجلل شخصية نابليون بقوله : « انه رجل خلقته الظروف والمصادفات التي تحمكت في انتصاراته اول الامر ثم عادت فسيبت خذلانه واندحاره »^(٣) .

ومن ابرز المؤرخين المعاصرين في انكسرتا الذين شرحوا نظرية العظماء . واثرهم في التاريخ وهو السر « شارل اومان » استاذ التاريخ في جامعة اوكسفورد الذي يمارض نظرية التطور التي

فجوها : ان التاريخ سلسلة من الحوادث التدريجية الاعتيادية وبهذا تتغافل هذه النظرية عن اثر العظماء . وقدترهم في تغيير التاريخ فتجعل من اعمالهم صخرة للاور التدريجية الاعتيادية والمحتملة الوقوع .

ان السر « اومان » من معاصدي نظرية العظماء . ويدعم رأيه بأمثلة لاشخاص غيروا مجرى التاريخ دون ان يكونوا ممثلين لشئهم التي عاشوا فيها . واول مثل يستشهد به هو النبي محمد فيقول : « لقد اخفقت في محاولاتي الكثيرة لايجاد مؤرخ واحد يستطيع البرهنة على ان النبي محمد كان وليد الحالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت تسود الجزيرة العربية في القرن السابع بعد الميلاد . ولم اجد بين المؤرخين ايضاً من يقدر ان يقول :

« لو لم يبعث النبي محمد لكان من الطبيعي ان يستعاض عنه بشخص يقوم بنفس المهم التي اضطلع بها »^(٤) ويستمر السر « اومان » في مجئه عن النبي محمد فيقول : « منذ القرن الثاني للميلاد حتى اواخر القرن التاسع عشر وجد عدد من الانبياء او الذين حاولوا التشبه كظهور المهدي في السودان ، الا ان جميع هؤلاء لم يقوموا باعمال خارقة كاتى قام بها النبي محمد الذي جعل ابناء الصحراء امة تكنت من المحافظة على المدنية وتقدمها في نصف ارجاء المعمورة »^(٥) .

يبلغ اعتداد السر « اومان » بنظريته الذروة عندما يستشهد بسيرة وليم الفاتح فيقول : « لقد لعبت بريطانيا العظمى خلال القرون الماضية دوراً مهماً في تاريخ ومقدرات العالم ، واني اؤكد جازماً انه لولا وليم الفاتح لما تيسر لبريطانية ان تلعب هذا الدور في الاوضاع العالمية ، وان تاريخ بريطانيا كان من المحتمل ان يكون شبيهاً بتاريخ الدول الاسكندنافية » اي مغزولاً عن

(١) Sir Charles Oman, On the Writing of History, Methuen & Co. London 1939
(٢) نفس المصدر من : ١٣٢ - ١٢٦ .
(٣) نفس المصدر من : ١٣٢ - ١٢٦ .

(٤) Carlyle, Hero & Hero Worship, Oxford University Press 1935
(٥) علي ادم (المذاهب السياسية المعاصرة) مصر ١٩٦٥
(٦) Leo Tolstoy, War & Peace, The Heritage Press, New York 1938

عنهم بصورة مطلقة . فلماذا ف ان مات وفائيل قبل نضوجه الفني لما خرج في العالم شخص مثله يتمكن من رسم لوحته الخالدة « تجلي المسيح » Transfiguration ومن البديهي ان يكون تصوير العاطفة والخيال وتجسيد الوعي والانام في هيئة جميلة واظهارها بشكل آية فنية رائعة تكشف النقاب عن مواطن الجمال ليس بالامر الهين لان اعادة خلق الافكار وتجسيدها في مظهر فني لا يقدر ان يقوم به الا خالق الفكرة نفسه .

خالقة : اعتقد ان الآراء التي يبنها حتى الآن تكفي لاعطاء فكرة عامة عن النظرية التي تقول : « ان التاريخ سلسلة من سير العظماء » اما النظرية الماكسة التي من أبرز زعمائها سبنسر فتقول ان الانسان خاضع لمعطى ويتطور بتطوره واذا ما تعارضت ميول الفرد مع سير الحوادث تبددت وزالت ولا يبقى الا آثار التطورات الاجتماعية المحتمة الوقوع . ويدعي اصحاب هذه النظرية - نظرية التطور - ان الاعمال العظيمة التي استطاع ابطال التاريخ ان يقوموا بها لم تيسر لهم الا عندما اتجهت ارادتهم وميولهم نحو تحقيق الرغبات التي كانت ضرورية لتطور المجتمع . لذلك فان التطور المادي هو اساس كل شيء في التاريخ وكل الحوادث التاريخية بما فيها سير الابطال تنشي وسنة الطبيعة بدون استثناء .

ولم ان اعترضت بصورة جميلة آراء كل اصحاب النظريتين اود ان اذكر بان كلا الفريقين على الرغم من الحقائق التي يبينونها كانوا متعاليين ومعتدين في نظرياتهم ، ويثل ذلك ما ذكره السر « اومان » عن النبي محمد فم انه عظيم حقاً الا ان ذلك يجب ان لا يحجب منّا حقيقة واقعة وهي لو لم تكن الظروف مهيئة لقبول دعوته ولو لم تكن هناك عوامل كثيرة ساعدت على نشر دعوته لما كان لهذا التأثير على مجرى التاريخ . والكلام نفسه يقال عن ولیم الفاتح ، اذ ان المجاهدة لنواة بريطانيا كان في طريق التحقيق قبل ظهوره .

اما من جهة نظرية التطور فليس من المعقول ان تفسر جميع حوادث التاريخ بتفسيات مادية صرفة ونهمل اثر الشخصيات الفذة التي اثرت في سيره . ولهذا فالنظريتان اذا فرقنا كلاهما على حدة تفشلان في تفسير الحوادث التاريخية واثر العظماء فيها ولكن اذا جمعناهما ما وسكنا نظرية فائلة تجعل العظماء يؤثرون على الظروف ويكيفون بها بحسب اهوائهم وفي الوقت نفسه تجعل الظروف تؤثر على العظماء وتتحكم في مصير اعمالهم تكون قد قربنا كثيراً من الحقيقة .

نجم العربي محمودي

بقراء

السياسة الادوية المامة لولا ولیم الفاتح وانتصاره في « وقعة هينشكنز » عام ١٠٦٦ ، ولا غرو اذا قلنا انه لو كتب لولیم الفاتح ان يندحر عوضاً عن « هارولد كود وينسون » في وقعة جسر « سلاك » لبيت بريطانيا محافظة على عزتها ولازمت عدم التدخل في القارة الادوية .

ونستعرض الآن رأي كاتب آخر يفوق السر « اومان » في عى تفكيكه وبحثه الفلسفي المركز ، وهذا الكاتب هو « جي كوك برخادوت » استاذ التاريخ بجامعة « يزل » في سويسرة بين عام ١٨٦٥ و ١٨٨٥ . يبتدى « برخادوت » بالقاء نظرية عامة على مفهوم كلمة العظمة والنموض الذي يكتنف اهيئتها لعدم وقومها ضمن الاشياء المادية التي يمكن وزنها وقياسها ، فلا هي هبة حتى يعرف مصدرها ولا هي منحة حتى يشار الى مانعها وعلى هذا الاساس فان الحكم على عظمة الاشخاص حكماً عادلاً امر من الصعوبة يمكن عظيم ^(١) .

ويعتقد « برخادوت » ان من اهم الصفات الملازمة للعظمة هي انها واحدة فريدة غير ممكنة التويع (Unique and Irrepleable) . ولهذا فالرجل العظيم هو ذلك الشخص الذي لولا وجوده لاتم تنفيذ جزء مهم من الاعمال الخطيرة في تلك الحقبة من الزمن وذلك المكان الذي عاش فيه . ويتويع « برخادوت » الى المثل السائر « ليس هناك فرد لا يمكن تمويذه » فيقول : نعم ان هذا المثل ينطبق في اكثر الحالات وأعما الا ان اولئك الأفراد الذين لا يمكن تمويدهم هم العظماء . ويكونون عادة اقلاء . وسيقون كذلك او ربما يقلون ^(٢) .

ولا شك في ان التقدم الذي بلنته الانسانية في المضار الحضاري من علوم وفنون وآداب اصبح ممكناً بفضل جهود نفر من العظماء الذين سخروا مواهبهم في سبيل تحقيق هذا التقدم . وان يدرس آراء « برخادوت » بصورة دقيقة يلاحظ انه يميل الى جعل العظمة تتشمل في الفلاسفة والفنانين فقط ، فيقول في سياق بحثه : « اني لا اعد المحترمين والمكتشفين من العظماء لان ما ينتجزونه يمكن التوصل اليه في يوم من الايام ، اما الفلاسفة والفنانون فلا يمكن ان يستعاض

(١) نفس المصدر ص ١٣٢ - ١٢٦ .

(٢) Jacob Berckhardt, Reflections on History, Translated by M. D. H., second edition, 1944, George, Allen, U. S. A

(٣) نفس المصدر صفحة ١٧٣ . ويشترك في هذا الرأي المفكر الالمانى اوزفالد شينكر في كتابه « تدهور الغرب » ص ١١١ الجزء الثاني . Spengler, The Decline of the West, Special edition by A. Knopf, N. Y. 1939

في متحف الادب واجهة خاصة حبيلة الى عزيزة علي . اقف حياها الفترة بعد الفترة مستوحاً رسوما والوانها . وفرحات ، زاده الله خصاً ، ما يزال يعمدني من رائع فنه بكل طريف . ان لم يكن في قصيدة ينشرها على الملأ فني رسالة خاصة ينق لي مروج نرها يورود شعرها . كاني اقم ، ما وقت من روحه الفياضة ، على جدول مناسب ، يتجدد ساسيله في في عند كل رشقة واني ليسرني ان اطلع على بعض هذه القطع لتشاركي متعتي واعجابي . ان الادب من المنافع العامة ، وما انا من حيتان الاحتكار . وحقي وحقك من شعر فرحات اعظم من حق فرحات نفسه فما ادرسل البدر اشعته كرمي لعينيه هو ، ولا اثبت اريج الوردة ليطيب انفاسها هي . .

قال من رسالة في ١١ تموز سنة ١٩٣٧ : عند وصول رسالتك كان الى جساتي صديقي الاديب رامز مكارم فرآني ضحكك عند احدى الجل فسأني اجد فقلت له اصم ما يقول القروي .

« والظاهر ان الكلب الذي عاد الى قيته

الغ » واصم ما نظمت امس .

ذمت وانت جان واني جان .

بانك من اماننا اربي .

وانك لم ترد بالعرب شراً

ولم تنس اليوم ما يسي .

جيت لدن رأيت السوط جوي

هلك فانت كبر لا جري .

فان نيل هراك ليس بدعاً فان الكلب يبلع ما يمي .

ومن رسالة في ٢٣ آب سنة ١٩٤٨ قال يشكو جزعه على زوجه من رأي الطبيب - قبل ان تكشف الاشعة بطلان زعمه والحمد لله - ويث لي لوعته على اخيه المصاب بالسرطان ممهداً لاياته المؤثرة بالفترة الآتية . :

هذه قصة مروية مشروحة بشعر لا اثر فيه للخيال . واني اطمنك ان الفصص بالاشعة اثبت ان خوف الطبيب من الرئين في غير محله . اما اخي المذكور في الايات فهو مقيم هنا « وقتاً » لان السرطان - لسوء الحظ - لن يله طويلاً :

شكت القرينة وهكذا فحست الى
وصبيها ليكون لي مما اري
فضي يندق فاحصاً ولوجه
حق اتم فقال للرئين في
فحسقت كانه في اضعلي
وذكرت داء اخي وما يلي اخي
آس لما بدسكاته ايمان
وامي واسم عنده اطمنان
عما يصور وجهه الوان
الحس التي تناب مرسك شان
ناراً وقطى بقلتي دغان
منه ويلي الامل والاغدان

ونذكرني الداهين ذكرني - وان
فسترت وجهي باليدين وصحت من
رباه مفرك ما جيت وما جيت
في الانكابر وفي اليهود كفاية

لم أنس - ما تتحمل الاوان
الم ينوء بحمله انسان
هذي الرفيقة والاخ الموان ؟
فعلام هذا السل والسرطان ؟ !

اما جوليا ، عرس الشاعر ، فلا بأس عليها والحمد لله . واما فيليب اخاه فقد رحمه الله من ارجاعه فتوفاه اليه بعيد وصول الرسالة المذكورة وقد بعثت الى الرفيق العزيز بكتاب تمزية لا ازال اذكر نصه كما يلي :

« اخي . ما فيليب ، رحمه الله ، الا احدى « فرحاتك » سايخا القدر عنك . اسأله تعالى ان يحمل صهرك ، وان يخلف عليك اضافها في ولدك واحفادك ، بينه وكومه » .
اخوك القروي

ولقد ابى الدهر الا ان يرالي ضربانه على قلب شاعر العروبة الدقيق الحس فلم يلبث ان فجعه باخيه الثاني . فناءه الي في الثامن من هذا الشهر - شباط - سنة ١٩٤٩ بكتاب يقطر للمأ وحزناً .

وهذي فقرة منه كلها حكمه وعبرة وشعور نبيل قال : « فانا اكسب اليك قبيل الثامنة صباحاً ، وبعد ساعة موعد دفن اخي . لقد كان اكهننا سناً واطيبنا قلباً واكرمنا نفساً . وهكذا فاني افتقد اخوي في خلال اشهر لا تبلغ الاربعة ولكني جليل على احوال ما يقذفني به الدهر . فانا لم اكن يوماً من يؤملون منه غيراً . ولذا فانه لم ياخذني على غرة . واني لاهل ان المراء اذا لم يت قبل اخوانه وخلائه كان عليه ان يمثل ما يحرق عليه موتهم قبله من الالم . جعل الله اخي فذلك يا اخي ا » . جاوبت فرحات بكتاب لا اذكر منه شيئاً غير دموعي الحوى التي بلبت صدي . ولا سجا عنده طاعة العبادرة الاخرة ، نقلته لك . وهل في الدنيا شاعر يمكن ان ينثر او ينظم جواباً كفرواً لهذه العبارة احسن من الدموع ؟ !

وبعد اطالمت باثية فرحات في الامير عادل ارسلان ٩٠ انهما جمعتها فريدة من فرائد الشعر العربي القديم والحديث . ولكن منها قطعاً حاقق فيها فرحات ما شاء له جناحه القويان الطليقان حتى سامى افحل الفحول . واليك منها قطعة يغفرها شاعر العروبة بامت وبقيم عذرها لتقصيرها الزامن عن دول العالم الكهوي وفي هذا العذر صورة استوحاها الشاعر من الواقع ووقف الى سالم يرفق الى خير منه شاعر قط :

سا آلامه المرغبي تجدهما الا التي زان ذكرها الكتاب

من المساء الأخير

عنرا

انطلقت هذا الصباح لم يكن لدي ما اعطي ولم تكن لدي رغبة في ان آخذ . فررت بالأصدقاء وعبثاً حاولوا ان يحصلوا على شيء . او ان آخذ منهم أشياء . ونحن مررت بها حينني في ابتسامة سخية ، حتى اذا ما خلفتها احسست ان فراغاً يتسلل . . . وقلت في سذاجة : سأحفظ بهذا السر لنفسي ولن اشرك فيه احداً غيري . لكن نشرة السر المكتومة كانت كنزاً باردة تنتشر خلسة في دمي حتى فاضت فروحي تبغي تفجراً ، وعندما مررت في المساء عائداً بالأصدقاء ، كنت اريد ان آخذ منهم كل ما لديهم واعطيهم كل ما عندي ، فاستمتت الى احزانهم وافراحهم وآمالهم وانا اعطيهم قصتي في ابتسامات سخية نشوانة .

لا تحسبنا أخطأنا حين التقينا يا عزيزتي فاكنا النابية في لقانا ، بل جسراً يجر عليه كل منا ماضياً في طريقه الممتد الى غير ما نهاية . فلا تندمي لآنك دخلت في حياتي ، فحيث اقتربنا تكون لدي كثير من يوم التقينا كانت حياة صاخبة مزدحمة بالضحك والدموع ، ولا تأسفي لانني مررت بك ، فكثيرون

يمرون لكنهم يحضن صامتين ، وانا وحدي الذي استطعت ان املأ حياتك مغنياً بها . ودعيني من هذو . اومن في نفسي ، انني تركت في احشائك جنيناً لن يوت ، سينمو معك دائماً ، ويذكرك في ابدك .

ولا تجهد نفسك في نسياني ، فسريراً ما يمر الزمان وتبهت صورتي لديك شيئاً فشيئاً حتى تختفي وراء ذكريات جديدة ودافئة . ولا تحرميني متابعة طيفك ، بل الأذني لي ان اقسم عليك لحظة ، وان احزن عليك لحظات ، وان اصلي من اجلك كل مساء .

ولا تخشياً عزيزتي ان تستوري سائراً ، بل امضي عالة انك ستفرحين قلوباً وستولين قلوباً طاملاً كان قلبك انت تايهاً بالحياة . ولا تشققي على دعوي بل اركبي معي ، يا افعى كان الفراق غائلاً ، بل لا تفر

يهر عليه كل منا ماضياً في طريقه الممتد الى غير ما نهاية .

اذا كنت قد حرمتي الفناء لك فلا تحرميني الفناء للآخرين . والا فن ينفي لهم وهم يقولون لاهين ، ومن يؤنس طريقهم وهم يمدون مفردين ؟ فلئن حرمتي الفناء لك فلا تحرميني الفناء للآخرين .

واذا كنت قد حرمتي آمالي فلا تحرميني ذكرياتي . والا فن يزور احلامي ، ومن يطوف لي في اماكن صباي ، ومن ذا الذي يشهد مسهراً بكائي ؟ فلئن حرمتي آمالي فلا تحرميني اذن ذكرياتي .

واذا كنت قد حرمتي افراحي فلا تحرميني آلامي . والا فن اين يرتوي قلمي ، ومن يندي عيني ، ومن ذا الذي يلا علي وحدتي ؟ فلئن حرمتي افراحي فلا تحرميني اذن آلامي .

واذا كنت قد حرمتي شروق الشمس فوجائي الا تحرميني غروبها ، فإراها وهي تشرق في خلال اليوم الخلية ، ولتقم برهة الكون حين يقبل عليه الظلام في ثقة وهذو . فلئن حرمتي شروق الشمس فوجائي الا تحرميني غروبها .

واذا كنت قد حرمتي الحياة في فؤادك فلا تحرميني الحياة في ظلالك . ولا تسألني ان اعدو يا حبيبتى ضالاً ضائعاً مع النسيان ، لئلا تنجد الى الابد في زاوية مظلمة من زوايا الصمت ال رهيب .

الفاهرة يوسف الساروني

« سياقي » وارتجلت هذا التلميح :

فرحات فوق السرى به وثيا
عادل اضعاف وزنه ذهباً
اطيب ما في حياته شرباً
لاطم النار لجل ما كتبنا
ابطل فرحات بـه العجا
يا لك شعراً في الحسن مفرداً
لو نقشه بالخبر في جبل
ينسي النواصي لو تنسسه
ولو رأى احمد بلانته
لا تظلموا بعد سحره عجيباً

كلاس القديس - البزازيل الشاعر القروي

وهي التي ناسها اذا انتهبوا
لم تكب في حومة الجهاد ولكن
لم يستطع حمل مجدها ولو استطاعه عدو صبره عجيباً
من قام بالدين والبطولة والاخلاق والملم وحده ثباتاً

كنت اطالع القصيدة في مكتبة عمومية فما كثر الطرف على هذه الايات النغمة الساحرة واستقر على نهاية البيت الأخير حتى هبت من مجلسي مهلاً مكهراً وبجركة تلقائية سجت المداد من



عام ١٩٢٨ منحت جائزة نوبل الادبية للكاتبة النرويجية سيفريد اوندسيت Sigrid Undset ويقول احد الناشرين الفرنسيين الذين تولوا نقل مؤلفاتها الى الفرنسية ، ان هذا العمل كان مفاجأة للجمهور الفرنسي الذي لم يكن يعرف شيئاً عنها في ذلك الحين ، فهو ان شهرتها لم تلبث ان ذاعت فاطلم العالم على ما كتبتة من قصص هي اروع انتاجها وفي مقدمتها قصة جيني Jenny وقصة كريستين Kristin والذي رفع « سيفريد » الى مصاف كبار الادباء هو انها تناولت القصة كوسيلة لطرح مشكلة الانسان على بساط البحث ، فقد ارادت ان تنفذ الى الاعماق حيث يرض الانسان الحقيقي بعيداً عن كل ما طرح عليه من العادات والتقاليد ، وتبحث في امكان قيام اخلاق فردية ارادية بعيدة عن الدين وعن كل ما ينشأ عن المجتمع ، وتساءلت قائلة : هل يستطيع الانسان ان يكون اخلاقياً اذا هو تحور من كل شيء . ولم يستجب الا للنداء المتصاعد من اعماقه ؟ وهل لهذا القلق الذي ينضج به قلب الانسان ، من آخر اذا استجاب لندائه وسار في الطريق الذي يدفعه اليه ، وهل يستطيع الفرد ان يصل الى نتيجة ؟

لقد حاولت سيفريد في قصتها « جيني » التي نحن بصددھا الآن ، ان تجيب على هذا السؤال ، ولقد كانت النهاية المفجعة التي آلت اليها بطله القصة جيني ، خير دليل على الجواب الذي ردت به به سيفريد على هذه المشكلة ولكن لا بد للمرء ، مع ذلك من ان يتساءل : هل احسنت سيفريد في الاجابة . ان فوزها بجائزة نوبل دليل واضح على حسن موقع الحل الذي تقدمت به في نفوس الذين حكموا لها بها ، كما ان تحول سيفريد عن مذهبها واعتناقها للذهب الكاثوليكي رجعاً الى دليل آخر على اخلاصها لهذا

الحل الذي تقدمت به وعرضته في قصتها ، وانه متجاوب مع اعماقها لانها ايقنت باستحالة التحرر والحلاص واعترفت بالهجز من الحرب والفرار ، كما علت باستحالة الصدود والثبات ، فكان لا بد لها عندئذ من الايمان ، والايمان الشديد ، وهذا ما فعلته في حياتها . ان « روزمند ليهان » في قصتها « الزغام » التي عرضناها في عدد سابق ، لم تصل الى هذه النتيجة التي وصلت اليها « سيفريد » في هذه القصة . لقد كان الامر مختلفاً تماماً بل كان متناقضاً . ان « جوديت » بطله « الزغام » سارت في الطريق حتى النهاية ان كانت تنتهي عند حد ، وتركناها في القصة وهي لا تزال تسير الى الامام وراء نداء الاعماق الذي لا ينتهي الا بانتهاء الحياة ، ولعل شباب « روزمند ليهان » وفوتروها وتفاؤلها عندما كتبت قصتها ، كل هذا هو الذي اصابها عليها هذه الاجابة القوية ، ولعل قوة سيفريد اوندسيت متسجماً مع حياتها . وان الحيز كل الحيز قبل الاجابة ، هو في طوح المشكلة ومعاناتها معاناة حقيقية بعيدة عن الزيف والاصطناع ولا شك ان معانيتها في الفكر او في الحياة خطورة انسانية جبارة .

هيلم غرام Helge Gram شاب نرويجي في السادسة والعشرين من عمره قدم روماناً ليم دراسته ولتتابع بعض الابحاث التاريخية التي شرع فيها . ولقد حفل طريقه ليلة وصوله ، فالتقى بفتاتين فسألها عن طريقته الى الفندق الذي يقيم فيه فوعرفتا انه من النرويجيين مثلهما ، فشرعتا بالالفة نحوه ورافقته حتى وقف التزام الذي يقله الى حيث يقصده وهناك التقتا بصديقين لها كانا على موعد معها ، فتم التعارف في ارض القرية بين خمسة من ابنا . وطن واحد وهم :

جيني وينغ Jenny Wing وفرنيسكا

... كانت قلقة ، ولكنه قلق يذم من الصبر . لم تكن تبحث عن اللذة العابرة ولكنها تتنظر الحب العظيم الذي لا تستمتع الفراق منه . انها تريد الرجل الذي ينتزعها التزاماً فلا يترك موصداً في روحها او جسدها الا بيليه بالثار . ولكن هل قادها هذا الفلق الى شيء ؟

يارمان Fransiska labrmann و هينن Heggen الرسام وألن Ahlin النحات ، وودعوا صديقهم الجديد « هيلن » لقضاء الليل برفقهم قبل واجتماعاً مما حول مائدة في إحدى الحانات ثم غادروها إلى أخرى لم يتركوها إلا عند الفجر ، وفي طريق عودتهم مرجوا على كنيسة ركعوا امام مذبحها خاشعين لا من شيء ، وانما من النعاس الذي امال رؤوسهم ولم يتفوقوا الا عندما استيقظت روما ، فانصرف هينن وآلن مع فرنسكا التي جرت نفسها إلى - بررها جراً ، اما جيني فلم تستمر بالتعب او النعاس فانصرفت إلى العرفة التي جعلت منها شبه ستوديو تنجيز فيه لوحاتها ، ودعت هيلن إلى مرافقتها ففعل وتناولوا طعام الافطار ، ثم غادروا وقد تواعدا على اللقاء .

جيني فتاة في الثامنة والعشرين من عمرها ، توفي أبوها وهي صغيرة ، وعاشت في كنف اهلها عدة سنوات ثم تزوجت هذه الام من مهندس اسمه « بورن Berner » . ولم تكن تلك من المال الا القليل الذي جاءت تنفقه في روما ، وقد اشتهرت لها عدة لوحات رسمتها . وهي شقراء فارعة عليها سواد الجد والزمانة ، صلبة قوية الارادة ، لم يخفق قلبها فلم تعرف الحب او تسترسل في علاقة او تقبّل في طر أو مرح . اما فرنسكا فكانت على النقيض منها تماماً . سمراء فاتنة ، عصبية المزاج ، سريعة التأثر والانفعال تتجاذبها العواطف بسرعة . فترق وتلين او تقصّر وتشد ، وكانت إلى جانب كل هذا ، تبدو لنا من خلال سطور القصة ، تميل إلى المرح الذي يصل إلى حد الطيش واللعب ، مما ألقى اهلها ، فدار اللفظ حول سلوكها وسهرتها ، فغادرت النرويج إلى ايطاليا ، تنفق فيها المرب الذي ارصدته لها اهلها الاثرياء ، واقامت مع صديقها جيني في روما بعد ان كان تمارفها قد تم في معهد الفنون الذي تلتحق فيه الدراسة . ولقد احبت فرنسكا عدة مرات وكان آخرها هو تعلقها بالعازف على البيانو « هانس هيرمان هينمان » تلك الايام التي اشتدت بينها وكادت تقضي إلى الزواج ، لم تلبث ان انقضت لانها لم تكن واثقة من حبه لها كل الثقة . فتزوج هانس بثلاثة ورزق منها ولداً ، وفي الفصل الرابع من القسم الاول ، تصور لنا « سينريد » حالة فرنسكا النفسية وبكائها . ومولها بين يدي جيني عندما بانها نأب الزواج والولد الذي رزقه حبها السابق . وكيف كانت تمني لو ان هذا الولد كان من لحم ودمها .

كانت جيني بالنسبة لفرنسكا اشبه بالأم الزووم والشفقة الكهري التي تركن اليها عندما تتأهب الموم فتغضي اليها بتابعها ومكنوتات صدرها .

اما « هيلن » فلم يكن شاباً عادياً . كان بعيداً عن الاحلام الرومانتيكية التي تطوف برأس الشباب ، كما انه لم يمان الحب تجربة عميقة ، وكان إلى جانب كل هذا خجلاً ضعيفاً منطوياً على نفسه ليست به تلك المرأة المبهودة في الشباب ، ولقد اعجب بفرنسكا في بدء التعارف غير ان شخصية جيني القوية الرزينة بدأت تقمره ، واحس كأنه إلى جانب صدر دميم شقيق يحببه ويسبغ عليه الطيف ، فهو لم يعرف الراحة في حياته المتزلية لما بين والديه من النفور والشقاق الدائم ، وفي إحدى التزهات الريفية بين هضاب روما وفي احضان الطبيعة ، كانت فرنسكا بسين ذراعي آلن تماهده على الزواج والوفاء له ، بينما كان هيلن بين يدي جيني ، لا يتقدم اليها ليضمها إلى صدره بقوة ، بل كان خجلاً متردد ، يستعطفها لتمنحه قبلة ، فاشفقت ومنحته ما اراد ، ولكنها كانت من الشقيقت فقط .

كانت هذه القبة رغم براتها وبساطتها هي البداية الحقيقية للقصة لانها كانت نقطة التحول في حياة جيني . انها لم تعرف الحب من قبل ولم تذق طعم القلب ، ولقد ايرقت قبلة هذا الشاب الذي بدا لها غريباً ساذجاً كل ما كان غافياً في اعماقها وابتدتت تمسائي المشكلة . اخذت تأمل نفسها وتفكر في الحياة التي تحياها . لقد ادركت الثاعمة والعشرين . انها فتية تندفق الدماء حارة عروقا ، ولقد طال انتظارها لرجل احلامها الذي يضمها إلى صدره فتشمر بين احضانها بالدف والطأنينة . لقد التقت بكنوتيون واكتنبا لم تنفطر بضائتها . كانت تعلم انها لو تساهلت قليلاً في الشروط التي تتطلبها من الرجل الذي يستحبه لظفرت بأي رجل منذ زمن بعيد ولكنها آثرت الانتظار .

كانت تريد الحب العظام الذي لا تستطيع الفرار منه ، تريد الرجل الذي ينتزعها انزعاً فلا يتركها وضاً في روحها او جسدها الا ويلبها بالثار . انها تعرف حق المعرفة اولئك الذين لا يبذلون الجهد لضبط غرائزهم الثائرة ، كما انها تعرف ذلك الصنف من الاتقياء المترعنين ، غير انها لم تكن من اي الفريقين . كانت تسعى نحو هدف تؤمن بوجوده كل الايمان ، غير ان هذا الايمان بدأ يتزعزع وبدأت تشك في قيمة الانتظار ، وفي الطريق الذي سلكته حتي الآن بلوغ هدفها .

كانت طفولتها محبة فاحلة بعد وفاة ابيها ، وجاء زوج امها فانزع منها هذه الام انتزعاً ، غير انها لم تلبث ان وجدت فيه الزميل الذي آس طفولتها ورافق صباها وقتوتها بمحبته وعطفه وحنانه ،

ثم لم تلبث المنية ان انتزعت ايضاً كما انتزعت اباها من قبله فمادت جني الى وحشتها السابقة. وفي المدرسة لم تستطع ان تغفر باي زميل لانها كانت تشر بنفسها دائرة مغلقة بالنسبة للآخرين الذين يشكون كثلة واحدة متجانسة بالنسبة اليها .

اما « هينغ » الرسام و « آكن » النحات فلم تتماكبا نحوهما اية عاطفة خاصة ، غير انها بدأت تجس نحو « هيلغ » باشيا . جديدة لم تألفها من قبل . انه لم يقتحم نفسها اقتحاماً ولم يغز فيها مشاعر عنيفة ، بل انساب رقيقاً هادئاً الى نفسها لقد ظنت غيباً في بادى الامر ، غير انها وجدت فيه شاباً غصاً ووداعة ونقاء . لقد شمعت انها تكبره بكثير ، رغم ان الفرق بينهما لم يتجاوز السنتين ان في قلبها شيئاً . . . من الحب نحو . وهو بعد كل هذا ليس يجظر عليها ، انها تحشى الحب رغم انها تنتظره ، انها تحشى هذا الجهول غير انها عندما تفكر في « هيلغ » وفي لهجة الهاذجة والسماة التي ترسم على وجهه عندما يتحدث ، لا ترى فيه هذا الرجل الجهول الذي تحشاه . ولا تجد عنده اساليب الرجال . . . انه فني وديم يانع ساحر .

تعدى الامر القيلة بعد ان عادا الى القاعة ، وتجاوزا الى قاعات متبادلة وضرو عناق ، واهترت انها تقترن البرودة الى التوريب نفسها ان تتزوجا فقبلت ، وطلب منها تحديد الموعد الذي يقر بكتبه رهن ايدته فاطلمها على عزمه على استشارة والديه ، وسألها ان تذهب الى لقائهما والتعرف عليهما عند وصولها الى الوطن ، ومن ثم سيلحق بها ، وهناك يتزوجان .

وخلت لنفسها بعد ذهابه وفكرت في امرها ورأت انها قد قبلت حبه ومداعباته وبادلته القبل ولا بد لها من قبول كل ما يطلبه منها ، وخصيصاً ذلك الامر الذي لم تقدم عليه قط ، غير انها فوجئت واعتبطت لانه اكتفى با اكتفى ولم يتجاوزها الى غيره ، لا لانها لا تريد ان تسلم جسدها ، فهي في شوق الى تلك الاضلة ، بل لانها لن تسلمه الا في اللحظة المناسبة عندما تشر بالرغبة العميقة بتجاسمها وتعصف بكيانها . واما اليوم الذي سبق رحيلها في نشوة وسعادة بين ضم وعناق وسألها ان يقضيا الليلة معاً فقبلت ، واكتنه عاد فدخل بعد ان اجابته الى طلبه ، وآثر التهلل والانتظار ، اما هي فمادت الى فراشها وحيدة بلبل الوسادة بدومها . كن اقدم على امر عظيم . وآبت في اليوم التالي الى استرحكولم وبعد اسبوعين من وصولها ذهبت للتعرف على والدي « هيلغ » فالتقت بامه ولم تستطع ان تحبها

بل شعرت نحوها بنفور شديد ، اما ابوه « غيرت » فقد جاء لزيارتها في الاستوديو الذي ترسم فيه ، وبدا لها عندما قابلته شديد الشبه بابنه ، لطيفاً وديعاً ، لم تؤثر عليه السنوات ، وكان الى جانب هذا ، فنناً له لوحات عديدة ، غير انه ظل مغموراً وانصرف عن الفن بعد زواجه .

وتوطدت بينها وبين « غيرت » معرفة وصداقة ، وزاد في توثيقها وتثبيتها حبها للفن وتحورها من القيد الاجتماعي وخصيصاً القيد الديني ، وحديثاً عن مأساة حياته ، وكيف اغوى ام هيلغ واضطر الى الزواج منها لا ايثاناً منه بان كل علاقة بين الرجل والمرأة يجب ان تقوم على صلة شرعية فهو لا يقيم وزناً لهذه الاعتبارات ، وانما لان تلك التي اغواها كانت نقية بريئة النفس والجسد لا تعرف المكر والحذية ، وقد احبته حباً حقيقياً ، غير ان حياته معها لم تلبث ان استعالت جميعاً اضرمته هذه الزوجة بنفرتها الجذونية ، فحجر الفن وكل شيء . محب اليه ليحيا هذه الحياة الزوجية المنكدة التي لا يزال يقاسمها الى الآن .

واخيراً عاد هيلغ الى التوريب ، غير ان جني لم تطلق عشرة أمه ولم تجلس جو البيت المكرب المشحون بالغمز واللامز لما اثارته ذلك الامر من الاثر من علاقة جيني بزوجها « غيرت » فافترقت عن هيلغ بعد ان حاولت ان تتظاهر لهجهبها ولم تقنع ، وعادت الى الاجتماع بابيه بعد اسبوع ، فشمعت في كنفه بالسعادة ، لانه استطاع ان يفهمها بوض الفهم ، لقد كانت تشقى عليه في اول الامر وتري فيه الغنان الذي حرم من فنه ، والرجل المعذب ، غير انه اسرها بقوة تفكره ولباقته وعواطفه الحارة ، فاستسلمت اليه واصبحت عشيقته التي تتردد عليه .

ولم تلبث عندما عادت الى نفسها ان شعرت بانها قد البتت في تقدير مواطنها نحو ، وبأن هذه العلاقة لا يمكن ان تدوم لانه وهما كل شيء . بينها لم تستطع هي ان تهيه اي شيء . لقد اسبغ عليها عواطفه المنتهية فانسقت في قيارها ، غير انها لا تكاد تغادره حتى تزول عنها النشوة وتحس ان تؤثر نفسها اذلال بكثير من حبه الجارف ، لذلك فهي لن تستطيع الاستمرار في علاقة لا تكافؤ فيها . ان بينها وبينه اشياء مشتركة كثيرة ولكنها تسام لم لم يستطيعا تحقيق الانسجام التام بينهما ؟ انها لتغار في معرفة السبب وانها لتسأل ، هل هو في ضعفها امام حيويته ، ام هو فرق في السن بينهما ؟ لكنها لم تكن تستطيع ابداً ان تركن الى امر او تجيب على سؤال . اغبراً شعرت بالجنون يتحرك في احشائها ولكنها لم تجزع ، فهي تعتقد انها لم تأثم لانها اخلست لنفسها ولم تندفم في علاقة لم

ترض عنها هي نفسها. ولئن كان هناك أي أثر في علاقتها فهو لأنها لم تعط من نفسها لمشيقتها إلا القليل الذي لم تقدر على أكثر منه إنما لم تأثم وإن كان رأيها هذا سيصلدم المجتمع فاتها ستسهرافة الرأس وتحمل وزر جميع ما تؤمن به وتعتقد .

إنها ستقطع كل صلة لها بـ « غيرت » وستأخذ النورويج إلى أي بلد آخر تربى فيه طفلها كما تفعل أبة فتاة فقيرة ، وإن تحجب منه أن ما تشمر أنها بحاجة إليه الآن ، ليس هو الحب ، وإنما العمل والعزلة التي تبدها عن الجميع . إن هذه الشهرة من حياتها لن تمنحي من مخيلتها وستظل تذكر هذا الدرس القاسي وهو أنها لم تعط إلا القليل في حين أن الكثرات عندما يبين أجسادهم ، يمتلكون انهن قد وهبن كل شيء . الزمن سيمر وسيجسد كل شيء . إلى ذكرى حلوة هادئة تكون خير عزاء وسعادة لها .

وتعقد جيني العزم على مغادرة النورويج إلى أي بلد آخر لتضع ولدها ، وقيل رحيلها لتلتقي بآتين : أحدهما صديقها فرنشسكا التي تزوجت من آن النحات ، فتحدثها هذه الصديقة عن قصة الزواج الذي لم تقدم عليه إلا فراداً من مجها هانس هيرمان . فهي تخشى أن تستسلم له في ساعة ضعف فتتعد إلى الهاوية ، فقد نفرت من زوجها في بادئ الأمر ، غير أنها لم تلبث أن أحبت وذهبت إليه طائعة مختارة في إحدى الليالي واسلمته نفسها . ثم بدلتها فرنشسكا أيضاً عن مقاومتها لأغراء عاشقها هانس هيرمان الذي قدم إليها بمدزواجها وطلاقه من زوجته ، وطلب منها أن تماشره فيبتعثان بالحلب الذي حرموا منه ، ولكنها رغم ذلك الحلب القديم الذي لا تزال جذوته في قلبها ، قد رفضت أن قدس اسم الرجل الذي تحمله .

أما الثاني الذي التقت به جيني قبيل سفرها فهو « غيرت » الذي ارتاع عندما علم بمزومها على الرحيل وازداد خوفه وجزعه عندهما إدراك أنها حامل ، فعرض عليها أن تتزوجها فقد طلق زوجته أم هيلم وهو لا يبين من وراء هذا الزواج إلا صيانتها من سطخ المجتمع وحفظ مستقبل الطفل ، غير أنها رفضت كل هذا ، وأكدت له أنها لن تحجب من مولودها ، وأن أجل ساعات السعادة هي تلك التي قضتها معه ، غير أنها لن تستطيع الاستمرار لأنها لا تحمل له الحب الكافي لربط مصورها بمصيره .

وتصل جيني إلى كوبنهاغن ومنها تتصل بصديقها « هين » وتخبره بحقيقة أمرها فيرشدوها إلى مكان هادئ . في ألمانيا ، فتستقر فيه بانتظار ساعة الوضع كويورها هين بين الحين والآخر ويروح

عن نفسها عتاء الوحدة والانتظار ، كما يزورها « غيرت » أيضاً ، وعندما تحين الساعة المرتقبة تضع طفلها غير أنه لا يعيش غير عدة أسابيع ، فتصاب بصدمة من جرأه فانه تظل طويحة الفراش ثم تبائل للشقاء . غير أنها تظل مقيمة في مكانها لا تحرجه ، فذكرى صغورها تذهيها وتقلقها فلا تستطيع أن ترسم أو تكتفي أي عمل . لقد كان هذا الوليد هدفها في الحياة بعد أن لم يكن لها هدف ، غير أنه مات فمادت إلى الحياة فلم تدر ما تفعل بها . وتنادر المانيا إلى إيطاليا حيث تلتقي بـ « هين » وبعض الفئانين فتحاول أن ترج نفسها في غسارهم كالنورويج بين الأمواج ، ويظل هين إلى جانبها يرعاها ويحافظ عليها حتى لا تضع في غمار الحياة الصاخبة . ويكسبونها في إحدى الليالي بحبه ويطلب منها أن تقروجه ولكنها ترفض طلبه ويلحف عليها في الطلب ولكنها تستمر في الرفض لأنها لن ترتكب أثماً جديداً بارتباطها بـ « هين » لا تشمر نحوه بالحلب المطاق . ويتوسل إليها أن يقضي الليلة معها غير أنها ترفض لأنها لا تحب نفسها إلا لمن تحبه وهو واحد فقط .

وفي اليوم الثاني تلعب « هيلم » وتختبئ لقدم ، وتنفرد بنفسها في المساء . وتعرض حياتها ، تفكر في الماضي وتتنى الخلاص من شبحه المربع الذي يحجب عليها ولا تلعب بصيص الأمل إلا في هين الذي يسيرها ، فهي حبه متحولة أن تكون في الماضي وتبدأ حياة جديدة . وتسمع وتم خطوات تقترب من غرفتها ، وتنفكر في أمرها ، وكان هين هو القادم فتسبداً حياتها الجديدة أما لو كان هيلم فيسود الماضي المريم ليسرها من جديد .

كان هيلم هو القادم ، فدخل الغرفة وتوسل إليها أن تدليه وتعيد ما يقطع بينها . فترفض ، ويمر في الرجا . واللاح ولكنها تمن في الإيا . والرفض ، فتشور نائرتة وينال عليها ضاً وتقبل ، وتحاول المقاومة ولكنها تقشل فتستسلم وينادها في الصباح ، ولا تكاد تثوب إلى رشداه حتى تقصد عروق يدها وتظل في فراشها تودع الحياة حتى النهاية .

هذه هي الخطوط الكبرى للقصة التي تظنها أربعمائة صفحة ، ولعل أول ما يلاحظ عليها من حيث الأسلوب أن سيفريد أو نديست لم تمت أو تهم بطريقة سردها التي كثيراً ما تصكون جافة ، غير أن تلك الروح الزائلة والحاسة اللاهبة التي أفرغتها المؤلف على أبطال القصة ، جمت منها أثر أديباً عالياً يرفع القارئ إلى مستوى رفيع من الذبل والانفعالات الصادقة .

والقصة تبدأ بـ « هيلم » ويحجب إليها في بادئ الأمر أنه سيفنفل دوراً هاماً فيها ، غير أنه في الحقيقة أقل أبطالها شأنًا . أنه لم يكن

سمو

للشاعر سارل بودلير

☆

فوق المستنقعات ، والادوية ، والحبال
فوق الأحراج ، والثيرم والبحار ،
وراء الشمس ، فوق الاثير
وخارج حدود عوالم النجوم ،
ايتها الروح تتحركين بخفة ،
وكسباح بارع يتمشى في المرح
تشتقين مرحلة الانهاية المميتة
بلذة قوية يعجز وصفها .

حلمي بعيداً عن هذه المنجرة المنيعة الويلة ،
وتطهري في الاجواء العالية ،
واسرني كشراب طاهر المني ،
النار النقية التي تملأ الاجواء الصافية .

ما وراء العلل والاحزان الواسعة
التي تثقل بوطائها الحياة المظلمة ،
سميد من يستطيع باجنحة قوية
ان يشب نحو الحقول المضيئة الزائلة

ذلك الذي افكاره كالمحبات
تنتطلق في الصباح بحرية نحو السماوات
سميد من يحوم فوق الحياة ويفهم دون جد
لغة الازهار والاشياء الخرساء !

ملب ترجمة مختار الكلبالي

غير بدء التجربة التي بدأت بها جبني ، وكان الي جانب هذا ايضاً ،
الخطوة الاخيرة فيها . اما اياه « غيرت » فيمثل الرجل الذي عانى
التجارب القاسية قبل ان تكون له نظراته الخاصة الى الحياة . انه فنان
متحرر من كل شيء ، ولكنه خطأ ، فقد افقر ام هيلم . والخطيئة
ليست في الاغواء نفسه ، وانما في عدم اخلاصه لانه لم يكن يحبها ،
لذلك كان عليه ان يكفر كل حياته عن هذه الخطيئة فضحى بغيره
وشبابه ، وعندما احب جبني كان مخلصاً في عاطفته لانه المثل الذي
كان يصبو اليه ، فطلق زوجته ليتخلص من آثار خطيئته الاولى
ويبنى حياة جديدة ولكن الاروان قد فات .

وهناك ايضاً فرنسيسكا التي تبحث بجرارة عن الحب . لقد
وجدته في هانس هيرمان غير ان الشك في حبه لما كان يراودها دائماً
لذلك لم تسلم نفسها له ولم تتزوج . وخشيت من الخطيئة ، اي ان
تقوم بينها علاقة فلا يخلص لها ، ولذلك فرت منها الى الزواج من
« آل » ولم تسلم نفسها لزوجها في بادى . الامر لانها لا تحبه ، كما انها
رفضت من جديد ان تدخل في علاقة مع « هانس » لان زوجها رتب
عليها مسؤولية جديدة تجاه رجل لم يحين ذنباً . بل احبها مخلصاً ،
فكان لا بد لها وقد ارتبطت به من ان تمحى كل ما تستطيع
منه وهكذا حتى قرست على حبه وعشرته .

اما جبني فهي الصورة الزائلة التي سمعتها سيغريد اوندست
لقد اوتيتها ثمة ثمة سمعة في فرديتها . قوية الارادة ، مؤمنة
بالاخلاص وبوحدانية الجسد والروح التي لا يمكن فصلها . كان هدفها
هو الحب العظيم الذي لا تستحي منه المرأة او يستحي منه اي فنان .
وعندما برز لها هيلم بدأت تخوض التجربة ، وعندما ابتقت من خطأ
الطريق الذي سلكته ارتدت الى غيره لتبحث عن الحب الذي نشدته
فالتقت بابيه ، وهرت حياتيه ونضجه واشقت عليه لا بد لها من
مأساته ، وعندما افادت وجدت نفسها قد ضلت الطريق ايضاً بعد
ان سارت فيها شوطاً بعيداً . واصبح هدفها هو طفلها ، وعندما ذهب
لم تدر ما تصنع ودب اليها اليأس وحاولت ان تلتقي نفسها في غار
الحياة يائسة لا مبالية ، غير ان هيئن برز لها وحاول ان يعيد اليها
نقمتها بالحياة . وتراى لها شبح الماضي من جديد عندما لمحت هيلم
فارتأت ان تفر منه الى هيئن وتاضلت لتظفر بحياة جديدة ولكن
ظلاً هيلم كان اقوى منها فاعادها الى عباب الماضي ، ولقد دافعت
عن نفسها غير ان الماضي تغلب ففسدت روحها وجسدها ، فكان
لا بد لها من ان تحسر بالتالي حياتها على الارض .

اللاونقية مهول فاروق الشريف

فيلس

صفحة من حياة كبار الفنانين

ترجمها من الايطالية بتمعرف : محمد شريف

ويتجاوب في نفسيهما .
وانطفأت في نفس كارل احلامه ورغباته التي اراد تحقيقها عن طريق الموسيقى حين وجد ان مؤلفاته لم تجد عن طريق الكلاسيكية المقتبة الى نفسه ، فمجر التأليف وانكب على مؤلفات الكتاب المشهورين كجورته ونجمه يشع شفاف قلبه منها ، ويقضي عقله المضطرب بملأها حتى سيطرت على حواسه ففارقه مرحة المأثور عنه والاصح ما كانا هادئا . . . وتغيرت اخلاقه ، فأنحدر الى الاوساط الشعبية فزاده ما لمسه من رؤسهم المأ ومن شقاظهم شفقة وانتابته موجة من افكار المؤلفات التي قرأها والتي غرست فيه البذور الطيبة فأخذ يحس بأنه يضع الحاناً لا عهد له بها . . . الحاناً لاقت الى ما يكره بصفة . . . لقد بدأ يخطط افكاره الموسيقية . افكاره التي ابت ان تقارعه في الماضي . . . ذلك الماضي البعيد حين مرق نتاجه الموسيقي .

وبدأ حياته الفنية السيرة الاولى فعزف في البيوتات الكبيرة والمسارح ودور البلاء على البيانوفورت Piano fort مستعياً به عن الارفن لاول مرة في ترويج الموسيقى فتجبح نجاحاً عظيماً وحدث انقلاباً هائلاً في استعمال آلات الطرب ، وبعده هذا قضى على آخر مجد الارفن وانتصر انتصاره الموسيقي الاول فكان اول من عزف على البيانوفورت ، ومن ثم سار في ركابه سائر الموسيقيين حتى يتوهف نفسه واليه يرمى الفضل الاكبر بفصل البيانو عن الارفن . وساعده هذا النجاح فقتفد الجمهور بأنغام والحان كان نصيبها

اعظم المبقيات التي عاصرت جوتته ويتوهفون وشالرو وسواهم وقدمت خدمات جليلة في تبيين الافكار من جو الكلاسيكية الميت الى جو الرومانتيكية الحلي ، للموسيقي الثابتة (ويبر) مؤسس الموسيقي الرومانتيكية ومبدعها .

ولد شارل ماريادي ويبر Weeber في مدينة آتين Balla من مقاطعة هولستين Holstein بألمانيا في الثامن عشر من كانون الاول ١٧٨٦ من اسرة عريقة في النبل والشرف . ومنذ طفولته بدأ دراسته الموسيقية تحت اشراف الاب فوجلر Vogler الذي وجد فيه نبوغاً مبكراً جعله يهتم به كثيراً دون سائر تلامذته . تأثر ويبر منذ حداثةه بالحان هايدن وموتزارت ولكن لم يلبث طويلاً حتى عافت نفسه جوهما الكلاسيكي التقليدي وقد سيطرت على عقله فكرة التخلص من التقليد والابقاء على القديم ، وخامرت افكار الابداع والتجديد . وما ساعده في تفكيره البعيد هذا نصابه استاذ فوجلر والحان الموسيقار العالمي يتوهفون الذي كان همزة الوصل بين الكلاسيكية والرومانتيكية .

على ان يتوهفون لم يكن الوحيد الذي اثر عليه فصدقه مايبر Meyerbeer الذي كان من عامة الشعب والذي كان يصرح له دائماً بأرائه الشعبية الحرة فيوتادان مأ منتديات الفلاحين وحانات الصايدن فيستمان الى احاديثهم المفعمة بالاسى ، وهاهنا يجيهم الملية بالهجرة واتشيدهم المتانة قوة وحياة فيتردد هذا

الفضل لصعوبة فهمها ودقة تحليلها فاضطر كما فعل واغنر Wagner من بعده بطريقة ثانية ان ينحدر الى طبقة ادراك وفهم الشعب وان يتوهمهم هناك الى ما يروم ويبنى وبهذا العمل وضع الحجر الاساسي في صرح بناء المدرستين الالمانية والافرنسية في الموسيقى الرومانتيكية . وعافت نفسه بينته الراية فسانطلق الى تلك الاوساط التي نهبت افكاره الحامدة فحجر مقرله وقطن وحيداً يعيش من وراء موسيقاه ومؤلفاته التي لغيت بعض النجاح لوحدة انغامها وانسجام اصواتها وعذوبة الحانها ولوضوح فكرتها بلغم بذلك من الشهرة اقصاصا . ولموسيقاه الاسبقية في النجاح ، وفجأة سيطر عليه ركود كلي اذ انهك من جديد في قراءة نتاج الكتابات والمفكرين واستمر سنوات في ذلك يقرأ كل شيء الى ان التقى بثروة نتاجه الفني فأحدث ضجة وثورة في صفوف النقاد والموسيقين .

أوبرا فريششوت Der Fritschütz

ان الملحنة (السيفوني) اي تأليف الانغام بعضها مع بعض هي اولى الاشياء الجلية والشيقة والتي تميل اليها الشعوب في اقطار الدنيا . والملحنة هي تحليل مدھش لافكار وغايات المؤلف ويروى في ذلك ظروف تأليفها وموضوعها . والوبرا - المسرحية الغنائية - هي في الواقع تحليل واضح لا يحتاج الى إجهاد ذهني في استنباطها ويوده للمؤلف لان ذلك مكتشف من القصائد الشعرية المنثقة التي يكشف عنها المسرح غالباً .

مما هو جدير بالذكر عن موسيقى هذا العبقري الفد اوبرا الحالدة الفريششوت التي استوحاها من محافل الشعب ومتديات الصيادين وهذه المسرحية العادية في تكوينها تتألف من فصول اربعة وتتكون من قصائد وقصة الفريششوت المنقولة عن الشاعر كيند Kind الذي انتهى من تأليفها في برلين عام ١٨٢٦ ، ان ويبر دفع للشاعر كيند ثمناً لكتابه هذا ثلاثين تالري - (1) Telleri غير ان هذا السعر ارتفع الى ستين تالري بعد عرضها مسرحياً غنائياً .

وحين عرضت للمرة الاولى اقامت المانيا واقدمتها فهي منتزعة من صميم الشعب الالمانى ومقدمة اليه . واضطر ويبر من شدة الإقبال على نشر مختصر موسيقي لهذه المسرحية فأدى ظهور هذه النشرة الى إثارة سخط واستياء الحسودين وازداد المعتدلين من النقاد والموسيقين لانتصار الرجل الذي يترجم آله (البيسانو) والذي يقودها من نصر الى آخر .

ان هذه الاوبرا التي استوحاها مؤلفها من محافل الصيادين (١) التاريخي نوع من انواع الشد الالمانى ، وتنادل الخمسة قروش تقريباً .

ومتدياتهم والتي لها من العمر قرناً من الزمن كانت وما زالت انمذجاً لوحى أبطال الفن من المدرستين الالمانية والافرنسية امثال مايير وجونز وغيرهما ، فتوجوا الفن بروائع الاعجاز من القصائد البديعة والكتب النفيسة كروبرتو الشيطان وفلوسوف وغيرهما . كما ان الموسيقار ريتشارد واغنر الذي اوجد فلسفة القوة في الموسيقى قد استوحى من تلك الصفحات الخالدة اكثر مسرحياته الغنائية الخرافية الشيقة . بيد ان ويبر كان مبدعاً وواغنر كان مقلداً لذلك الذي صنع ابداعاً اعجاباً .

ان قصة الصياد الاسود الالمانية . . . هذه القصة مع اضواء القمر واسرار الاحراش وقصائد الفريششوت وظهور العذراء البيضاء بشعرها المتجمد وغناء الصيادين العائدين من الغابة قد اعطت لويبر المساعدة الكافية للاستلهم والوحي في وضعه لموسيقاها .

وفي الحقيقة ان مسرحية الفريششوت ما هي الا تأليف الماني عظيم ، والذي يجمل الطبيعة والمبول المستورة للطبيعة الالمانية والتي هي غامضة غرضاً غير طبيعي ووهمي اكثر منه واقعي ، الذي يجمل هذا كله ما عليه الا ان يستمع او ان يشاهد تمثيل هذه المسرحية المدهشة فيصل حينئذ الى حقيقة الطبيعة الالمانية .

ان الظاهرة الاولى التي نلاحظها في الفصل الاول من هذه الاوبرا والتي تستحق الانتباه وتطرق الى الاحماج هي في ذلك الهجوم المفاجئ ، في الحادثة والسجاسم الاصوات التي تقف وتردد .

لم ياتكس لا يجترم الشرف ولم لا يؤدي المنتصر .

اما مقدمة الفصل الثاني التي تبدأ بدينك الصوتين المزدوجين المختلفين الثابته في غياهب الماضي فهي في الحقيقة من اجل وأطف الانغام المخترعة . انها يعيدان للاذهان ويذكرون المستمع والمشاهد بموتزارت وفلوتو .

اما القسم الثالث فهو ذلك المقطع الذي يؤلف الشطر الثاني من الفصل الثاني فيشرح القصة بجميع ألوانها الجساسة ويقودهم توأ الى اهازيج وأنشيد جماعة الصيادين (2) التي هي عنصر المسرحية الاساسي . وفصل الصيد هذا مشهور في المانيا فهو بالنسبة اليها كالوريد والشریان بالنسبة للجسد .

ان هذه الاوبرا الخالدة في تاريخ الموسيقى . هذه الاوبرا التي جعلت الشاعر والكااتب دي ليز De Lenz يقول ويفضل في كتابه المسمى بيهوفن واساليه الثلاث Beethoven et Ses Trois Styles

(٢) كان الشعب الالمانى يعيش قديماً على فصل الصيد وهو يستمر ثلاثة او اربعة اشهر تقريباً .

نجوى

من الشاعر الانكليزي جون دونه



لا تنهضي! فالفجر لم يلمح
هذا ضياء، جالك المبحر!
لا تحسبي الحفقات من كبدي
لب النهار وضجة الصبح!
هذا الفؤاد يضح منتفضاً
خوف الفراق، كمرق منزع
ظلي، ليبدو الفجر، نائمة
كي لا يموت بمهده فرحي!

يا موت

من الشاعر الايطالي بتراركه



يا موت حببك لور من نظري
اصي الفؤاد ففاض بالهر
فيتها .. فالورد منتحر
والاثر اضحى قائم الصورا
غيبت انساناً كان منشترأ
وفضيلة القى من الزهور
ان السفوح وهيج زرقتها
وشذا الحقل، وغضرة الشجر
لما خلت من وجه «لور»
غدت صحوا، تندب دقعة المطر
موت وهذا الكون يحيلها
حتى غدت في عالم الذكر
وعرفتها وحدي، لابعدها
وحدي وقد خفيت عن البشر
الا الهاء فانها سعدت
وترينت بكيانها العطر
فؤاد الحسن

لقد مثلت هذه المسرحية لأول مرة سنة ١٨٢١ واستمر عرضها

في برلين حتى سنة ١٨٢٣ واعطت ، بعد عرضها خمسين تمثيلًا، ربحاً
قدّره ستة وثلاثون ألف تاليري اُرسِل منه مدير المسرح بروخل
Brühl في ذات السنة مائة تاليري لقاء حقوق الشر والتأليف .
ان ضالة هذا المبلغ جرحت شعور ويبر وأثرت فيه تأثيراً سيئاً
فأبدى استياءه البالغ بقوله المشهور حين هجر ألمانيا الى انكلترا
لينس من الضروري ان يؤلف لألمانيا .

قليلون جداً الذين يعرفون شيئاً عن ثروة ويبر الموسيقية
وطابعها الفني المهر عن قوة الإحسان والابتكارات والنواحي الفنية
سواء منها الموسيقى المنسجمة انسجاماً كاملاً او المذبة الباقية حد
الروعة . وتلاحظ رومانتيكته الطليقة في قطعه الرائعة سوناتا لا يسول
Sonata La Bemolle المهداة الى اوسكا Lauska وكلاسيكياته
الحضوية في معزوفة دعوة الى رقص الفانز Invitation à la Valse
وله ، وثلاث اخرى رومانتيكية رائعة تقود الى جو شعري خيالي
كهريسوزا Preziosa والاوريات L'Euryante وهذه الاخيرة ألّفها
خصوصاً لمدينة فيينا عام ١٨٢٣ ومن مؤلفاته المذبة أبو غسان
L'Abu Ossant وسيلفانا Silvana وروبيزل Rübzahl .

وشهد في - لوندرة - بام عيشه تجربة عزفه الناجح . وساعده
ما لقيه من الشعب الوبطاني من التشجيع فكانت مسرحيته كوفن
كاردن Covent Garden اولى مسرحياته التي ألّفها في بريطانيا
ثم أعقبها بمسرحيته الاخيرة اوبريون Oberon وهي من
كلمات بلانشه Planché بيد ان من جميع قطعه هذه لم تل
شهرة مثله نالته اوبرا الفرايشت من سمعة شعبية وشهرة
مدوية في جميع أنحاء العالم .

اختم الموت ويبر عام ١٨٢٦ في انكلترا في دار السر جورج
محارت في جويت بورتلند ستريت وبعد وفاته خصص ربيع الحلة
التاسعة والتسعين لاوراء الشمية الخالدة الفوايشت للوردة وفي
الواحد والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٨٤٠ كانت مسرحيته
المذكورة تمثل للمرة المائتين في برلين . وحينئذ كلك قرر الملك غليوم
الرابع - ان يدفع لابن^(٢) الماؤلف الذي كان يدرس في جامعة ميون
مبلغاً قدره مائة (تاليري) ذهباً كمساعدة له في متابعة تحصيله .
وهكذا يسدل الستار دوماً عن البعريات الخالدة في التاريخ
بتقديرها بعد وفاتها بزمن بعيد .

دروس

صميم شريف

(٣) ان حياة ويبر الغرامية غامضة ويغال انه تزوج الامراة التي احبها .



الفاظ التي لم يوفق ايضاً* في تأصيلها العلامة الكرملي هي لفظة « الناس ». وقد قمنا في معجمه « المساعد » ، في شان تحقيقتها ، على ما يأتي

مجموعه ، في المادة المبتهدة بالنون .

قال رحمه الله : « الناس كلمة تنظر الى Natio (اللاتينية) اي شعب وامة وقبيلة وهي من Nescor اي ولد ونشأ . »

فنتنظر الفرصة لوضع النبذة التالية في اصل الكلمة واشتقاقها . فنبداً ، منكبرين كونها من اللاتينية ، او ان لها ادنى علاقة باللفظة Natio . لان هذه المفردة «ناس» هي عربية ، لا بل سامية لورودها في الاسن العربية ، والسريانية ، والمهريه ، والاكدية ، والارامية ، والتدمرية ، والنبطية ، والفينيقية ، والسبئية . ودونك التفصيل .

العربية - « الناس » اصحاب الاناس خفت حين دخلت عليها ال التعريف ، فاصبحت الناس . والاتاس جمع انس ، اي البشر . وشلها « الانسان » : البشر ، أو آدم وذريته ، ولذلك والانشى الانس

ايضاً : الصني والاليف والحليف . والفعل منه أنس به : آلفه ، وسكن قلبه به ، ولم ينفر منه . والاتيس المؤلفات .

السريانية - Nāshā و Nāsh :

انسان ، رجل . وجمعه Nāshā

هو Nāshīn : ناس ، رجال ، اقارب ، عائلة ، عشيرة . وفي هذه اللفة ليس للمادة فعل مجرد . لكن فيها المزيد على وزن فُعُل . فيقال Annēsh : أنس ، جمعه انساناً . المهريه - Enōch : انسان ، رجل ، شخص . Anāshīm : أناس ، ناس ، رجال ، بشر . والفعل من هذه المادة ānash : مرض ، سقم ، انس ، كان أليفاً .

الاكدية - Anāshu : نجف ، هزل ، ضعف ، تضعف . Nishu :

ناس . Tenishtu : البشرية ، الجنس البشري .

الارامية - Enash . النبطية Anush . التدمرية Anash . السبئية Anas . ولكلها معنى الإنسان والناس .

العربية : نس - يس - ناسن - ضعف . السريانية Nas : نسنس ، ضعف ، سقم . Naslā : نجف ، ضعف ، سقم .

المهريه Nāsas : مرض ، سقم . الاكدية Nasasu : بكى ، نجب .

تنتين وتايل

(١) السين والشين تفتانويان في الساميات . على الغالب السين في

* راجع « الاديب » عدد شباط ١٩٨٩ .

العربية يقابلها شين في السريانية ، والمهريه ، والاكدية . واحياناً يثبت الحرف عينه في جميعها .

(٢) الاصل الثنائي لهذه اللادة الثلاثية المبتهدة بالهمزة هو « نس » الدال على النعافة ، ثم على الضف ، ثم المرض ، ثم السقم . ومن الضعف ، والسقم ينتج ادياً الحزن ، لا بل البكا . والنجيب .

(٣) وهذه فكرة النعافة الاصلية ، البدنية ، الناجم عنها احياناً الضعف والسقم ، قد توسعت في الثلاثي المشتق بزيادة الهمزة تنويعاً على الثنائي « نس » فانتقلت الى فكرة النعافة الادبية والحلقية والاجتماعية ، اي الرقة ، واللاطف ، والدماء ، او حسن المعاشرة والمؤنسة . وكلها خواص الحياة الاجتماعية . من ذلك ورد في العربية أنس به : آلفه ، وسكن قلبه به . والاتيس المؤلفات . والانس : البشاشة والاطافة . (٤) فاسم الانسان ، او الانس ، او الناس جاء اولاً من الثنائي « نس » الدال على النعافة المادية البدنية . ثم انتقل في الثلاثي « أنس » الى النعافة الحقة في المجتمع كأي الرقة والدماء في المصاحبة

والمعاشرة . وهي تسمية تطلق على البشر بالنسبة الى حياتهم الاجتماعية ، اي بصفتهم جماعة من شأنها الاتقوا والمؤنسة والاخلاق الاطيفة . (٥) واذا كانت النساء أنحف

وأضعف من الرجال ، وكانت صفاتين الاجتماعية أرق ، والطف - ولهذا دعي الجنس اللطيف - أطلق عليهن الاصماء الدالة على هذه الخاصة ، في الثنائ السامية . من ذلك في العربية كلمة « النساء » ، فهي صادرة عن الثنائي « نس » المراد به النعافة والضعف . وكذا الحال في الساميات الباقية . ففي السريانية تدعى المرأة Attā او Antā . ويقابلها في العربية كلمة «أنثى» الدالة على الشئ الضيف . وفي المهريه Ishoha . وفي الحبشية Anset . وفي الاكدية Ashshātu . وفي الارامية Ittā . وفي التدمرية والنبطية Intetā . وفي الفينيقية Eshohāt .

وانت ترى ان هذه المفردة مطلقة على البشر لكونهم خلقت أليفة من شأنها الانس والاطف في الحياة الاجتماعية ، كما تقدم . وهي من الافات الارلية الضرورية الرض من بد . المجتمع الانساني عند الشعوب قاطبة . وكذلك عند سائر الاقوام السامية . فهي من أقدم الكلمات لثانهم كلها . وهذه اللفظة المرسومة بالطابع السامي القديم قد أبدى العلامة الكرملي ان الان تكون في نظره اجنبية آتية من Natio اللاتينية . كما توهم ايضاً بان « العالم » لفظة مأخوذة من



http://ArchiveBeta.Sakhril.com

وحدة الحضارة الاوربية

بقلم عبد الكريم الحور



لم

سبيل لانقاذ اوربا من الهاوية التي تنقاد اليها الا بالرجوع الى الاسس القدية التي ورثتها اوربا، والتسلك اليها الى الحد الذي يتفق ومقتضيات ما اكتشفته العلوم في نواحي الاقتصاد والاجتماع البشري، ولكن ما معنى هذه الحضارة الاوربية المتركة التي ينادي المفكرون بالرجوع اليها وما هي هذه الوحدة التي يرونها فيها، وما هي اسسها وقيمتها النهائية ؟

يرى المفكرون المعاصرون ان الحضارة الاوربية في تاريخها المتراكم، ليست الا عقلاً ومسيحاً وفاعلية مستعمرة مدفوعة بايمان في هذه الحياة، وتتمسك في مشاريع اقتصادية تبني على ما توصل اليه العقل من اكتشافات في العلوم، ويضيفون الى ذلك ان هذه المقومات قد حملها مبدأ التقدم والتطور دون ان يزعجها في اتجاهات خارجة عن مجراها التاريخي، وان اوربا، لا شك هالكة اذا ما اودت الخروج عن تاريخها وتقاليد الموروثة .

على ان هذه المقومات للحضارة الاوربية تكون في نظره هؤلاء المفكرين القاسم المشترك الاعظم والوحدة في التفكير لكل مجهد قامت به اوربا في تاريخها . وهذا الاعتقاد من جانبهم قد بني على وحدة المشكلات الفكرية والاجتماعية التي تناولها رجال الفكر الاوربي في النظر والبحث، دون الرجوع الى الحلول النهائية التي تقدموا بها . قد تكون اوربا وحدة في مجيها للقضايا الكلية في حياة الانسان : كالله والحياة والمعرفة والموضوعة والذاتية والجمال والقبح والحق والباطل ولكن لا يمكن اعتبارها وحدة بالمعنى المقصود من فكرة الوحدة اذا ما نظرنا الى الحلول التي توصل اليها رجال الفكر في مجيهم لهذه القضايا، لان الوحدة التي يقولون بها يجب ان يبعث عنها في جزئيات المشكلات التي يجتروا فيها وليس في كليتها . ومثلهم من هذه الناحية ككل من وضع اهمية كبرى على كلمة (حيوان) في تعريف الانسان « كحيوان عاقل » وغفل

تحض اوربا معركة حربية حاصمة مات فيها ملايين الناس من الجنود المسلحة والمدنيين فحسب، بل خاضت ولا تزال تخوض معركة المستقبل التي لا تقل في شدتها وقسوتها عن المعركة الحربية . فساوريا اليوم وهي تحتل المتلة الاولى بين قارات العالم، تجابه مستقبل حضارتها بحاجية فيها النظر الى الماضي وما اتجه لها من قيم، وفيها النظر الى المستقبل وما يحمله اليها من اعباء مجسية ونظم جديدة في الاقتصاد والسياسة وما هذه الحاجية بوليدة هذه الحرب فحسب بل كانت وليدة القرون التاسع عشر عندما خرجت اوربا عن حدودها الطبيعية وسيطرت على بعض شعوب القارات الاخرى، وشاهدت ما هناك من تباين فكري واقتصادي بينها وبين هذه الشعوب، ولكن هذا الوعي للحضارة الاوربية وقيمتها قد ازداد بظهور الماركسية عملياً في روسيا وتجسد الفلسفة المنصرية النازية في المانيا . فهاتان الظاهرتان التاريخيتان في حضارة اوربا المعاصرة قد حملتا بعض قادة العقل على التفكير في اسس الحضارة الاوربية وتطوراتها وفيما اذا كانت قد خرجت عن مجراها التاريخي بظهور هاتين الظاهرتين .

يمتد رجال الفكر المعاصر، ومنهم « فريدمان » و« ياچت » واساتذة اكسفورد وكبره بصورة عامة، ان الحضارة الاوربية قد خرجت عن تقاليدها الفكرية الموروثة عن اليونان والرومان والآباء القديسين بظهور الفلسفة الماركسية والمنصرية . وان لا

Cosmos اليونانية . وان « العقل » موروثة من Oculis اللاتينية . بيد ان هذا لا يصدنا عن احترام ذكره، واكبار علمه، وتقدير جليل خدمته لآلة العربية، واعراب الثغني ان ينشر معجبه النفيس . ان لكل عالم هفوة كما لكل جواد كبوة .

الاب مرمرجي الدومسكي

الفرس

عن أهمية كلمة عاقل مع ان مقتضيات المعرفة الإيجابية تستلزم وضع
الأهمية الكبرى على كلمة عاقل ، لانها هي الحد الفاصل بين هذا
الكائن وبين الكائنات الأخرى .

ليست القضية ان نقول بوحدة الحضارة الاوروبية مستندين بذلك
على القضايا الكلية التي اشتهرت في مجتها جميع الشعوب الاوروبية
و انما ان نجد هذه الوحدة في جزئيات اجزاء هذه القضايا الكلية ،
فقولنا ان اوربا تمسكت بالعقل في جميع اطوارها التاريخية لا يقودنا
الى الاخذ بوحدة الحضارة الاوروبية لان العقل من المفاهيم الكلية
التي لا يفهم منها شيء . ان وضعية هذا العقل او ذاتيته ، تعالیه
او واقعيته ، امانه بوجود العالم الخارجي او شكه فيه هي وحدها
التي تستطيع ان تقر وحدة العقل الاوربي وليس استعمال العقل فقط .

لا شك في ان العصر الاغريقي هو من العصور التي وجدت فيه
اوربا العقل ورفعت الى مستوى الاهوية ، فسافلاطون ، وهو من
كبار مفكرى هذا العصر ، قد جعل من العقل الطريق الوحيد
المؤدي الى الحقيقة المطلقة ، اذ قال في الكتاب الخامس من
الجمهورية « ان الاختيار الحسي لا يمكن ان يكون مصدراً للحقيقة
لان الحواس وما ينطبع عليها من امثالات العالم الخارجي خاضعة
لمبدأ التغير وكون هذا الموقف الذي وقفه افلاطون من العقل يناقض
الموقف الروماني والمسيحي لان الرومان والآباء والقدسين قد
وقفوا موقف الشك والريبة من العقل ومقدروه على الوصول الى
الحقيقة بالطرق التي اخذها اليونان . فالعقل الروماني اخذ ينظم
حياته وفكره على مبادئ تجريبية ولم ياجأ الى مبادئ قلبية ، وهذا
الاتجاه الجديد اقرب الى فلسفة الذرائع الامبريكية التي تقول بان كل
فكرة هي حقيقة بقدر ما تنتج من عمل او بمقدار ما تقع من مجال
للعمل . كل هذا يقودنا الى القول بان العقل عند الرومان لم يعد
يمثل نفس مفهومه عند اليونان .

ولم يفت هذا الاختلاف عندهذا الحد ففي عصر النهضة حدث
انقلاب له اهميته في تاريخ اوربا الفكري في ظاهره رجوع الى العقل
والايمان بمقدرته في الوصول الى الحقيقة ، ولكنه في باطنه يختلف
عن الاتجاه العقلي اليوناني لانه يبدأ من مقدمات وفرضيات تختلف
عن مقدمات وفرضيات العقل اليوناني . ان الفكر الاوربي ابتداء من
لوتر قد اخذ جانب الشك عند النظر في ماهية الاشياء . وهذا الشك
مع انه عقلي ، ورجوع ظاهري الى مبدأ العقل في الوصول الى
الحقيقة ، قد خلق نظرة تختلف عن نظرة اليوناني . لانه ظاهرة سلبية
فيما يتبدى . اليوناني القديم في تفكيره بالوجود « Being » ويتبني

بالخطأ « Not being » يبدأ الفكر في العصر الحديث بالشك والحد
وينتهي اما بالوصول الى الحقيقة او بالبقاء في الشك . وبكلمة أوضح
ان العقل الاوربي الحديث لا يسه ان يعرف الحقيقة بقدر ما يسه
ان يتجنب خطأ او الباطل . وهذا الاختلاف بين العقائين ، اليوناني
والحديث ، يجعلنا ندعو الفلسفة القديمة بفلسفة الوجود . والفلسفة
الحديثة بفلسفة الخطأ والباطل « Error »

اضف الى ذلك ان التفكير الاوربي الحديث قد لازمه نظرة
ذاتية للوجود لان الشك اما شك في مقدرة الذات على الوصول الى
الحقيقة ، واما شك في مقدرة الاشياء على اعطائنا صورها الحقيقية .
وبما ان التفكير الفلسفي ان قدر له ان ينتج فلسفة إيجابية لا يستطيع
انكار الذات لكونها ادانة للمعرفة لهذا اتجه الشك نحو الكائنات
الخارجية واكتفى بالذات كحقيقة للوجود . وفي هذا خروج عن
طريق العقل اليوناني والروماني على السواء لان العقل اليوناني عقل
إيجابي موضوعي والروماني اختياري واقعي واما الحديث فهو ذاتي .
وايضا من كل هذا ان الفكر اليوناني آمن بالعقل وثق به وبالعالم
المحيط به ، لقد كانت نفسية الفكر اليوناني هادئة مطمئنة راضية
مرضية تبحث العلم والاخلاق واللاهوت بنفس الطريقة وبنفس
المقاييس والمقولات التي توصل اليها عقلمهم ، بخلاف الفكر الحديث
الحد الذي يرى في لا محدودية العقل الوقوع في مهازات كلامية
وفي متناقضات فكرية . وهذا الاتجاه الحديث في تحديد العقل
قد بدأ في فلسفة جون لوك ، وتياور في فلسفة (كانت) في كتابه
« نقد العقل المجرد » ، حيث يصرح في مقدمة هذا الكتاب « بان الغاية
من كتابتي هذا هو تحديد العقل وبيان حدود المعرفة التي يمكنه
الوصول اليها دون ان يزج بنفسه في متناقضات متافيزيقية لا يمكنه
حلها . هذا هو مفهوم العقل عند الحضارة الاوروبية الحديثة وهو
مفهوم يختلف عن المفهوم اليوناني والذي يؤمن بلا محدودية العقل
ومقدرته على الوصول الى الحقيقة .

هذا تزيين وجوز وبدائي لمفهوم العقل في الحضارة الاوروبية .
جسد العقل الانساني نفسه فيها بوضعية عقلية غير محدودة عند
الرومان وبذاتية عقلية محدودة في العصر الاوربي الحديث . على
انه لو تبعتنا مفهوم العقل في الفلاسفات الخالدة في الحضارة الاوروبية
لوجدنا ان الاختلاف ابدع واعى مما ذكرت وسوف تأتي على بحث
بقية المقومات للحضارة الاوروبية لتري فيها اذ كان هناك من
وحدة في مفاهيمها ام لا .

عبد الكريم المحمود

عنه

يستطيع الشاعر أن يتقد نفسه؟ .. وبعبارة أدق هل يستطيع الشاعر أن ينظر إلى نبات خياله - متجرداً من ماضيه - كما لو كانت هي بين يديه اثرًا لشخص سواه. فليس فيها - بإعادة النظر - ما يلس غيره من مآخذ وضف . ويحقق فيها - بالتبع - ما يقر عين النقد من صقل وبلورة ؟ ولماذا لا نقول : هل في قدرة الشاعر أن يسمو على نفسه ؟

ولا بد قبل الإجابة على السؤال أن نحدد موقفنا من الشاعر . فأننا عندما نوجه سؤالاً كهذا هل نعني تلك الحالة التي تلازم الشاعر والتي يظل فيها حراً لإجراء التشذيب والتذهيب ببذات افكاره اتنا . ما هو ماض في «النظم» متجرد له . قبل عليه بكلية في غمرة وحيه ؟ لا طبعاً . فالشاعر اذ ذاك يكون مدفوعاً بوجه نفسه راشد الناس اصطلاء بجرها . وفي مثل هذه الحالة يكون له الحق وحده - اذا شاء - وكا يشاء في نبذ كلمة ووضع أخرى مكانها وطرح بيت أو الحاق ثان لتكملة المعنى . وكل ما هو على هذا الترار من تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقصان وقاب أو تحوير في سبيل ما يهم به من «التعبير» الاصيل . حتى تتجسد الكلمة فإذا هو ينتفض كجبرير عندما هب يصرخ في أذن الليل :

.. الله اكبر .. الله اكبر .. لقد وجهته ابد الدهر
ففض الطرف انك من غير فلا كعباً يلف ولا كلباً

يستقيم التعبير للشاعر في مثل هذه الحالة غالباً . لانه يكون في موقفه اعلم الناس بحقيقته ما يشده وما تقتضيه الحال من البيان . هذه الحال التي يستحيل ان تستدل عليها بشي . غير بيانه . انه في الواقع يكون اعلم الناس بحاله . وان جاز احياناً الا يكون هو في تلك الحال اقدرهم على الإلتانة والاحسان .

لا يمكن اذن ان نعني هذه الحال التي يتعرض لها الشعراء جميعاً ويضمون لها بلا خلاف . ولذلك فان سؤالاً كهذا لا يمكن ان يسأ الا من بعيد . وكيف يس سؤالنا هذه الحال بداهة والشاعر فيها انما يدور في حدود شخصيته ولا ينطق الا بلسانه . جهدهم الافصاح عنها . وهل بالتم به فنه - مهما حاول - ابعد من ذلك . وعلى سبيل الايضاح فلنأخذ بيتاً كبيت الاعشى مثلاً قبل في موضوع انساني عام :

وأرى النواني لا يواصل امرأاً فقد الشباب ، وقد بصلن الامردا

فالفكرة هنا على بداهتها .. النواني لا يواصل الشيخ ورعاً يصلن الامردا .. هذا حق . ولكن ما بال الشاعر في محاولته تقرير هذه الحقيقة الانسانية يضف من شأنها باستتاله البيت بكلمة «أرى» . حيث يحمل منها بهذه الكلمة تجربة ذاتية . افني كذلك ؟ وأرى النواني لا يواصل امرأاً فقد الشباب ..

وفي سياق لا يمكن للكلمة ان تؤدي اي فرض ذاتي . وما منه ان يصدر البيت بـ «ان» للتأكيد . بدل «أرى» الجامدة هذه . فيقول مثلاً «ان النواني .. الخ» وادام هو في مقام يقتضي التأكيد ازا . تجربة انسانية عامة . والذي يدلك على ان الشاعر كان يحس انه بازا . تجربة انسانية - لا فردية - استتماله كلمة «قد» في الشطر الاخير من البيت كأداة تقليل . . . وقد يصلن الامردا . فهي على الاقل في محلها - على ضآلة شأنها - تخدم غرضها المحدود . ثم ماذا ؟ .. انك لا تحس في التقرير بأي صدى للواقع المر هذا - كان - في نفس الشاعر يحاول ان يمديك به .. ملولناً

باحساسه . كما انك لا تدرك في البيت اي تمثيل شعري لمثل هذه الظاهرة الانسانية يحملها قس وترأ في نفسك . وكل هذا ناشئ . لان الفكرة - كما قلنا - اتت بها الشاعر على البداهة ونظلمها عفو الحاطر .

ومن هنا صح للشقد ان يسم معنى البيت كله بانه فطير . ولتقارن الان هذا البيت ببيت ابي تمام في شبة معناه :

أحل الرجال لدى النساء موافقاً من كان اشبههم حين خسدوا
الفكرة هي ايها . ولكن الشاعر هنا قد تناولها بكثير من التصليل . وآية ذلك هذه النظرة النافذة الى مشاهة خدود الرجال لحدود النساء في زهرة العمر . حقيقة رائعتة لا تنكر . ثم التجاوز من ذلك الى تجسيم وقم اثرها العميق في النفوس . ان الشاعر ليس بصد «الوصل» ولا هو يتحدث عن الوصال . ولكن لا يكاد معنى بيته يلمح اليها من بعيد في «حلاوة» موقع هذه الصلة كحقيقة انسانية . وتهيرها امام الميون . حتى تهترطوا لما يقطر فيه من ماء . الشباب وبشيم من جمال . ثم ماذا ؟ اذا كانت هناك ذاتية للشاعر في البيت ازا . معناه الانساني العام فانها لا تتجاوز الفطنة التي تلمس مواطن الجمال وتدرك جوهره الحاد في ظواهر الوجود . هذه الذاتية - او «الروح» ان شئت ان تسميا - وهي التي تهزنا بتغلغلها الى كنه الاشياء . وكشفها المعيات . وتديننا



الأثر في تحوير وقاب . وتشذيب وصل حتى تحقق للأثر ما تتطلبه من كمال والا نفضت منه اليدين .

هاتان فئتان تتقلبان في زمرة الشعراء . ولكن احساسها بهذا « الندود » يدفع بها الى خارجها . او على الأقل يهيمها انها كذلك : انا اما ان لا اكون - كعبري - شاعر ، او اكون وحدي الشاعر (١)

ترى احداها قيمة الاحساس في « الانشائات » مما تقده الصدمة الاولى . . كالحري ، الذي لا يدوم ألقه أكثر من طرفه عين بينما ترى الأخرى قيمة الاحساس في « التعليل » تحليل الاطراف ، كقوس قزح ، الذي يحول بقطرة الماء ، في آفاق السماء الواسع . تطوف في المذهبين اللذين يأخذ بها عامة الشعراء . تقف الفتشاش منه على طرفي تقضي . فان اردت مثلاً حياً عليها في عصرنا قلت . يقف احد الصافي الساعربفطرته في طرف منها . وفي الطرف الآخر يطل الشاعر عمر ابو ريشة بوجهه الفني .

فاما الصافي فما حاول ان ينقد شعره قط تمسكاً بالمذهب الذي يدين به في الشعر رب كما خلقتي . وهو بعد جبار . واما ابو ريشة فقد صرح على رؤوس الاشهاد - عندما خرجت له « دار مجلة الادب » ديوانه الفاتن الأخير « من عمر ابو ريشة - شعر » في العام المنصرم . صرح . . انه « لا يعترف بالكتب او الدواوين التي ظهرت قبل الآن » والتي تحمل اسمه . . وانه يتقرب منها .

وهذا جاري ان اسأل السؤال الذي بدأت به المقال . . هل يحسن الشاعر ان ينقد نفسه ؟

وما هي هذه الدواوين التي يحاول ابو ريشة ان يتقرب منها . اما انا فلا ادعي اني اطلمت عليها كلها . . لسوء الحظ . ولكن الذي اطلمت عليه منها قبل هذا الديوان الأخير قد احل الشاعر منزلة عالية في نفسي بين شعراء العصر . فما اقل النجوم اللامعة في زحمة هذا السواد . من بينها ديوان « شعر - عمر ابو ريشة » الذي نشرته للشاعر مطبعة « العصر الجديد » بحلب قبل الحرب بعامين . والتشيلية « ذي قار » وفصل من « بحكمة الشعراء » . وبضع قصائد اخرى كان ينشرها الشاعر متفرقة .

اما الديوان المشار اليه فقد قرأت للشاعر فيه - قبل عشر سنوات ونيف - مسرحيتين واربعة قصيدة تبلغ جملة ابياتها « ١٣٣٤ » بيتاً . والذي لاحظ ان ابو ريشة قد اعاد في ديوانه الجديد نشر تسعة عشرة قصيدة من القصائد التي كان يحفل بها هذا الديوان . اعاد نشرها بتغيير في النواوين في عدد منها . وتحوير (١) البيت هو لأحد الصافي .

بمعنى الطرب كلما بلغت غرضها من التوفيق حقيقة أخرى تهب . ونذكر من هذا كله ان ابا قام لم يأخذ الفكرة على البداية ولا التي بها من المنجم الينا فحة سوداء . كما فعل صاحبه . وانما احالها في ذهنه الرقاد حتى اخرجها لنا ماسة تتلألأ . .

اذن من غير المقول ان توجه سؤالنا توجيهاً على حالة يتعرض لها الشعراء . جيباً بالبداية . وانما يظهر في ان وراء هذه حالات أخرى تتعاقب في فترات . عندها يقف الشاعر - لكل شاعر - من اثره موقف التريب . ويرون اليه بعين التريب . فهل هو مستطيع آنذاك ان ينقد اثره كالناقدين . على ضوء ما لاس حياته الارضية من تجارب جديدة ؟ وهل هو اذا فعل ذلك مستطيع ان يحيل اثره القديم خلقاً جديداً . والامم من هذا هل يجوز للشاعر ان يفعل ذلك ؟ والى اي مدى يمكن ان يجالفيه في فعله التوفيق ؟

وهنا كلمة لا بد منها . فاشعراء . يمكن تقسيمهم الى مدرستين . فاما احداهما فتدين بمذهب « البداية » متخذة شعارها قول المأمون « بالاحسان في البداية تتفاضل العقول » . فلا يبيع افرادها لانفسهم بعد فترة « الوحي » ان يتصرفوا في شيء . مما نفت به هذا الوحي . فبمجرد انقضاء عهده عندهم يتوقف كل شيء . وقد استوفى صورته النهائية . هذا هو الحال عند ابي قام والمتنبي اللذين كانا يفرضان ادبهما على النقد قرضاً . واما الأخرى فتؤمن بمذهب « الاختيار » كما رائدها قول ابي الطيب . ولم أدر في عيوب الناس شيئاً كنعس الصادقين على التمام

فيسطيع افرادها لانفسهم في حمال « الوحي » التي تعقب فترة الوحي مباشرة - لا بعد انقطاع الاسباب بها - ان يستكملوا اثر ما نفت على لسانهم من ملهم البيان . وتحفل هذه المدرسة بالاغلبية الغالبة من الشعراء . فبين اسمائها الالامة زهير في الجاهلية وابو نواس والبحراني في ضنى الاسلام .

ولكن تلتحق بكل من المدرستين فئة تتجاوز مذهبها الذي تمتنقه خطوة الى الوراء . هذه الفئة تأتي - اذا كانت تدفن بالبداية - ان تستبدل على هدى النقد كلمة بأخرى ولو احسن بمجرد انقطاع صحتها بالظروف الموحية . ولذلك تجدنا دائماً تطمئن الى تسجيل البارقة الاولى من ومضات القلب الحساس . وان جاءت الرمضة باهتة في معظم الاحيان .

ومن جهة ثانية تبجح لنفسها - اذا كانت تؤمن بالاختيار - الحق في ان تتقرب من كل اثر لها قدم اذا بدا لها فيه - مع تطور الزمن - هبوط عن المستوى الذي تصل اليه . فلا تزال مع هذا

في أبيات بعضها الآخر . . متوجاً بثقله نثرية .

ولي رأي خاص - لا أدري إذا كان يوافقني عليه الأدباء - في هذه التفت النثرية التي عهد بها الشعراء في أيامنا عادة إلى قصائدهم فهم انما يوجهون بها ذهن القارئ إلى معنى خاص في انفسهم كثيراً ما يجدد من افق القصيدة ويكسبها بقبول . . اذا لم تتجاوز رميتها الهدف . واذا كانت هذه التوطئة كما هو المفروض فيها تجلوا لنا المناسبات او تحلو في المناسبات . فلا تظن ان القارئ في حاجة إلى معرفة كل مناسبة ينظم فيها الشعراء قصائدهم . وليست كل قصيدة بصالحة لهذا الشأن .

ان هذه التوطئة عند ابو ريشة - على كل حال - تحاول ان تلقي ضوءاً على القصيدة وان تزيدك تعريفاً كما تحاول ان تفعل هذه اللوحات الفنية التي يزدان بها الديوان . اما الشأن عند غير ابو ريشة فقريب جداً . فان المناسبة عند هؤلاء هي كل شيء تقريباً . فاذا عيبتها لم يبن للشاعر شيء آخر يبدل به اليك . ويحضرني في موقعهم قول الامرواني الذي تردد في صممه هذه الاسماء الكثيرة التي يدعي بها امره . فقال له أفة يجب ان يحسب له حساب . حتى اذا رآه لم يتالك من الضحك وقال ما اكثر اسماء امره . وما اقل امره بنفسه !

قلت ان ذوق شاعرنا قد تناول مدد من قصائده القديمة قليل او كثير من التحرير في شيء يسير من الحذف هنا وهناك ليندنا الشعر من جديد . وكذلك فعل باحدى المرحبين . واما ما بقي من تلك المجموعة فيظهر انه يود ان يضرب صفعاً عنها . حسب اعترافه الخالص .

ولم كل هذا ٩١ . الذي اعلمه يا شاعرنا ان فخر الد اخراج ترجمته الانكليزية لرباعيات الحليام في طبعته الاولى عام ١٨٥٩ في « ٧٥ » رباعية . ثم اعادها في الطبعة الثانية بتحرير كثير في « ١١٠ » رباعيات . ثم جدد نشرها في طبعة ثالثة ورابعة . ومقتصر على « ١٠١ » رباعية بعد ان اخذت كل من الطبعتين حظها البالغ من التحرير . ومع هذا بقيت الصورة التي ظهرت بها ترجمة الرباعيات هذه في طبعته الاولى هي المثل عند ادباء الانجولسكسون رقة اسلوب وروعة بيان . وقد افسحت لها - وحدها - مختاراتهم الادبية صدرها بين روايتهم الآثار . ثم عمرت - بعد - بحال الادب عندهم للتندرد على الطبقات الباقية .

وقد كان لي في حينها - كما ارجو ان يكون لغيري - درس عميق الاثر عند الاطلاع على هذه الظاهرة الادبية الفريدة . فقد ادركت منها بعد الاثنان الشاعر اذا حاول ان يقف من نفسه موقف الناقد فيحور ويبدل في نتاج ادبه مسائرة لذوق متطور فانه

ان يسل - كماي ناقد - من الخطأ والصواب .

لقد نشر ابو ريشة ديوانه الجديد حافلاً بـ « ٦٥ » قصيدة . .

في المسرحية . . « غلاب » التي اعادها مذهب . فني المجموعة

« ١٩ » قصيدة - كما قلت - من ديوانه القديم . اما القصائد

الباقية - واغلب الفن انه نظماً بعد نشر ذلك الديوان كما يدل

عليه التاريخ الذي ذبها به - فأشدها من آثاره الحسان .

اني جد ممجج بهذه القصائد الجديدة التي زادتها أنساب الشاعر

واثراً له واقبالاً عليه . فقد وجدته فيها مؤثلاً - كالشعوب -

يحاول السمو على نفسه . واقتفى لواتحت لي قريباً فرصة دراستها

وعرض بعض نماذجها الجميلة على القراء .

اما الآن فلي مع الشاعر شأن آخر . ولذلك لا اود ان اتجاوز

ما جد من هذه القصائد القديمة التي شاء شاعرنا ان يجلوها علينا

صقيلة مطوية في حللها القشبية . وكيف يمكن ان تنسى هذه

القصائد وما انا استعرض في موكبها من جديد « مصرع الفنان »

و « شبح الماضي » و « جان دارك » و « المتنبي » و « طلل » . وما

ادراك ما « طلل » ٩١ وان حزني ان يلم لي « حروان » الشاعر في

العاونين ثلاث موات .

الى اخواني الادباء اذن اسوق على شيبيل المثال قطعة لشاعرنا

صغيرة قبلها الديوان الجديد بعد صقل وتهذيب . فنجبت بذلك

من الزاد الذي كان مصرع اخواتها الحسان . اما ابياتها فلا تتجاوز

عددها الخمسة اذ ذكر في قرائنها في كثير مما قرأت للشاعر قبل عشر

سنوات ونيف . وما ابعد ذلك العهد عني الآن كوهذه هي الابيات :

ليل ! انا وحدي اقب في الربى طرفاً يروح به الجبال ويرجم

عناجني ذكراك حسني اثني متعلماً لغني ان انطلق

بيني وبينك هجمة بعدا جبالا . قلب الجبوح وتستر الانحلال

أفئدت بمدك بلخبال . وقفاً دق الغلام وما امتوانا مضجع

ليل ! اكاد امين فيك فنرتي فأصبح في عيني أين الادمع ؟

وكان عنوان القطعة « ذكرى ميت » . اقتدري ماذا اوحت

لي به من ممان ؟ رأيت الشاعر على الربى يقاب طرفه فيا يحف

به - مد الافق - من آثار الجبال . يستبد ذكرى ليلاه العزيزة التي

يتفقدنا طرفه في بحالي صياهما فلا يراها .

ليل ! انا وحدي اقب في الربى طرفاً يروح به الجبال ويرجم

وتتبع به ذكرى القيدة فينتي متعلماً حيث كان لوقع خطاها

فيا سلف من الايام همس مستحب بين الاشباب . ولكن ياوحشة

الفضاء الحاروي . . اين هي الآن .

عناجني ذكراك حتى اثني متعلماً لغني ان اتطلع

انها - لو يعلم التراب - في رقدتها الابدية . حيث يهدأ

القلب عن جرحه وتستقر الاضام في وحشة السكون .

يبنى وبينك جمعة جدا بما الـ قلب الجروح وتستقر الاضام
وهل بقي لهذا القلب في ذعره منها غير طيف خيال . هذا
الطيف الذي يجدد الطرف الساهد سبب الاجتماع به كلما دفق
الظلام فتضي لوعة الذكرى شغافة في صمت الظلام . حينذا هذا
الطيف الحبيب يعيد لي قلبه ذكرى ايامه السالفة . ولو . ولو .
أقتات بمدك بالخيال . وقلبا دفق الظلام وما احتوانا مضجع
.. ولو من خلال الدروع . ولكن أين هي الدروع ليبكي
ها الشاعر نفسه . لا شيء . سرى عينيّن جامدتين . ان كهدياه
الجريرة امام الموت لتبخل عليه بعبوة . ولو كان فيها راحة للوالهين .
فا اعظم شقاؤه بتمرد هذه الفترة العاتية .

ليل ! اكاد امين فيك فتوتني فاصبح في عينيّ أين الادم ؟

هذاما كانت ترحمني لي به الايات من معان كلما ودعتها في
عزائي النائمة . فكان يتجدد لي على لسان الشاعر الم «حبا» الدفين .
وفي اصيل يوم من ايام الصيف الماضي تجدد عهدي بهذه
الايات مهذبة بقلم الشاعر . في ديوانه الجديد . واليك صورتها
كما يريدنا الشاعر الآن .

ليل ! انا وحدي اقلب في الربى
طرفا يروح به الجبال ويرجع
أسوء على ذكراك حتى انثني
متعلما . . . لحي لمن انتطلع
يبنى وبينك عالم لم يدنه شوق . ولم يبلغ حماء تضرع
اقتات بمدك بالخيال . وقلبا دفق الظلام وما احتوانا مضجع
ليل ! يكاد هواك يجرح زموتي فتجرح بالآلم الدفين الادم ؟

وعنوانها الجديد «حرمان» . وقد صدرها الشاعر بهذه
الثوبثة . . كدخل لطم حبه « كان واقفا على صخرة في جبل
لبنان ، يستعرض ذكريات خلابة . فتلفت ذاها . كأنه يريد ان
يكلم من ظنها قوية منه » .

اذن ليلي هذه ليست تلك التي واربناها - انا والشاعر - في
التراب . ثم عشنا زمنا على ذكرها . انها ليلي جديدة ! افتدري
ماذا يحاول ان يفهمني الآن . . فاصبر .

ان ليلاه الجديدة هذه غائبة مدلة بنفسها تياه عجيها قدنقضت
عنده . وما هو الشاعر في محلي احلاما يقاب طرفها في محف به من تلك
الآفات الجميلة التي شهدت تجوارها من قريب . يطلبها عينا فلا يراها .
ليل ! انا وحدي اقلب في الربى طرفا يروح به الجبال ويرجع

لقد وقعت بيننا وبينه فجوة مما يقع بين الخجين . فهي ان
تأتي او هكذا يجيل اليه . وذكرها . . انه ليسوا بها عن نفسه
حتى يجيل اليه ان الهد ما يرح كما كان . فينثني متعلما لوقع خطاها
القوية كما كان يفعل في اماسي غوامه .

اسوء على ذكراك (٢) حتى انثني متعلما . . . لحي لمن انتطلع

ولكن اعني من عينيه الذاهيتين . انها بعيدة بعيدة بعد . .
البين . وما حيلة القلب المشتاق اذا كان من يهواه ليس . . ان كل
ما يؤسره من شوق لا يرفع بينهما هذا الحجاب الذي يوشك ان يسدله
ليل الحومان . وكل تضرعه لا يحرك فيها قلبا تشرّب القسوة من حبه .
يبنى وبينك عالم لم يدنه شوق . ولم يبلغ حماء تضرع (٣)

ليل ! لم يبق للشاعر العاشق شيء . يقتات به بعدها غير الخيال .
وكم جد له الخيال انس ماضيه اذا غنى به الليل على المضجع الدافي .
اقتات بمدك بالخيال . وقلبا دفق الظلام وما احتوانا مضجع

وكهدياه الشاعر التي لم تذل للدمع قط . ماذا جرى لها الآن
ان هوى ليلاه يكاد يدنسيها في الصميم . وهل كهدياه هي الجريرة ؟
لا انا هي زهوته التي استعاض بها عن الكهوياء . بين يدي فاتتته
الجديدة . فهو لا ينتهي متدردا على فتوته . كفضله بالامس عندما
عز عليه ان يذرف . مني الكهوياء فيه فيل الجفن لحفة للذكرى
حبيب غيبته الصفايح . بل ان الدروع لتعتر على حب ليلاه هذه فاضحة
سر الالم الدفين الذي طوله الشاعر بين ضلوعه . ويا لشقاؤه وحده
الآن يتظلم الى الارواق الحضر التي صفقت لسعادته . نشو الحومان .
ليل ! يكاد هواك يجرح زموتي (٤) فتجرح بالآلم الدفين الادم (٥)

(٢) هنا ليس اثر التشويق . فقد كانت الذكرى « حناجه » ولكن الشاعر
احجار ان « يجرح عليها » كانت هناك حناجه ذكرها فينفض متعلما الى
ما قد واژه البيت العجايب الماضيان يهود . اما هنا فانه لدفعه يسوء على
الذكرى من غصته الحاضرة . هنا حالان يتطلع في احدهما وايضا وفي
الاخرى . . غير واه . ولكل وجه من التأويل .

(٣) هنا فظة التحول التي قابلت معنى القطعة رأسا على عقب . فبعد ان كان
يتوهم بينها وبينه جمعة . . يمدأ بما القلب الجروح وتستقر الاضام في سكون
ابدي . اصبح الذي يحول بينها هو عالمنا الذي تتقلب فيه بين الحجر
والوصال . في هذا العالم وحده - عالم الشهادة - يمكن للشوق ان يذني بين
قلبين وللشعر ان يبلغ سدة الحبيب .

وقد يصحح الله الشئتين ، بعدما يقضان كل الظن ان لا تلاقيا
وليلاحظ ان هذا البيت وحده - البيت الثالث - اصبح لكل من
الظمتين صورعا الذاتية المستقلة وما شاع فيها من جو خاص . ثم يبي
التنويه - « الهوى » في البيت الاخير مبرزاً هذا الوجه من التأويل .
(٤) ونلمس في هذه الكلمة اثر الرمزبة التي اخذت تشق طريقها
في آثار مشرانا الجدد .

(٥) يلاحظ ان البيت كله قد تمحور من اسامه . غير انك لو تسألي لقلت
اني لا ذلت مفتونا بالبيت القديم بصورة الفترة وقد كبر جاس الحومان .
والادم التي يصيح بها الشاعر مجروح الاباء . . لانها صورة اصلية لا تتجلى
من الذرى لغير التسود . اما معنى الزهرة التي يشفق عليها الشاعر من جرح
هواه ، والالم الدفين الذي يروح به الدمع فانه لا ينبغي . ولعل ذلك لانه
معنى مبتذل تلمس به بغاث الطيور .

لان ما يحويه الشاعر من تجوير في « فكرة » بيت وبينه يتردد صده في السابق واللاحق من الايات - كما رأينا - مما يضطر الشاعر الى اعادة النظر فيها جميعاً على ضوء كل تجوير جديد . لقد حدث هذا فعلاً في القطعة التي نحن بصدها منذ اختار الشاعر ان يحور وجه البيت الثالث عن سالف معناه ورضي به هكذا .

بيتي وبينك عالم لم يدنه شوق، ولم يباع حماء فصرع
بدل قوله السابق . فغير بذلك جو الايات كلها . قلت ان القدماء كانوا يُقصرون دراساتهم الادبية على المقارنة والموازنة بين الايات المفردة اذا كان لها ظل مشابه من المعنى . كما فعل في القرن الرابع الامدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري والجرجاني في وسطه بين المتني وخصومه . ولكنهم لم يتجاوزوها الى ما يليها . كانت خطوة اولى للنقد لا بد منها في طريقه القويم . لكن الادباء قصروا مهمهم عليها فقصروا . وظل الادب العربي يشكو هذا القصور الى اليوم .

فما خطرتان . . لا تكمل احدهما بغير الاخرى . وقد آن لنا بعد الحديث ان نخطو هذه الخطوة الثانية . ان معنى البيت هو الذي ينعكس في القصيدة كلها . وفكرة القصيدة هي التي تشع البيت . فعلى النقد اذا شاء ان يستكمل رسالته ان يحل الصلة التي تقع بينها لولا لا لعة . . وجوهاً لا عوضاً . . ونفماً لا نظماً . . فغير مثلاً كيف تترك الكلمة الواحدة - لا كل كلمة طبعاً - اذا تغيرت هنا وهناك اثرها في تصميم البناء كله وكيف يندفع البيت بتركيبه - كالموجة - ما قبله وما بعده من ايات حتى تفيق لك البهجة كلها . . وكأنها في اهتزاز عام . وخلق جديد .

أليس هذا موضوعاً شيقاً جديراً بدراس الادباء . اخشى ان زمام الموضوع ينفلت من يدي . فقد كنت بصدد الرد على سؤال اثاره في عمر ابو ريشة ديوانه الجديد . فأردت ان نشارك معاً في الجواب . فاذا بتأثير البحث يجرفنا الى سواحل لم تكن وجهتنا بادى الامر . فهل تراءنا اجبتاً على السؤال بعد ؟ لنعد الى سؤالنا من جديد هل يحسن الشاعر ان ينقد نفسه ؟ والجواب ينتهي بي الى رأي في الادب اعرضه على بداهته . وهو اني اذا عثرت على روايتين لبعض الايات مصدرها الشاعر نفسه اجبت انفسى اختيار ايها فليس حتماً ان يوقف الشاعر في نقده لنفسه على الدوام . انه قبل كل شيء انسان يخطئ ويصيب .

لا يا شاعري لقد عرفتك من ابياتك - اول عهدي بك - في المتفون قد عجم هودك الزمان تنو اليك العيد الحسان فلا ينسبك اعجابك بين عجبك بنفسك وهذا ما حببك الي . فاذا كان لغيري ان يتردد في اي صورتين يختار فاني لا اكتملك اني لا اعدل بالصورة الاولى شيئاً . انها حبيبة الي لانهما تحفظ لي « ذكرى » بيت « لم اسأل عنه حتى الآن . وربما لا يرضي ليلاك الجديدة هذا القول . فنبهتاً لك ولها حبكها الجديد .

ولكن ما لي اضيع عليك . البست القطعة الاولى هي لشاعر ما يرح يحمل اسمك . ان لم يعد عزيزاً عليك فهو عزيز علي . احببته حبك لاني عرفته مثلك . لا يا شاعري لا تظن انك وأدت بنات خيالك لان ديوانك الجديد ضاق عنها . فاشترته من قبل اصبح خالصاً للادب يعيش في عالمه حياً . وقد يكون لك فيه رأي ولا زمان رأي آخر .

هذا غرض يسع له دلالة على مساعي جرى به قلم ابو ريشة في شعره القديم من تهذيب وصل . وقد ادرت كلابي على هذه القطعة الصغيرة (ولم تجاوزها الى غاذج اخرى في الديوان كان الشاعر فيها اكثر توفيقاً) لان ابياتها التي تعد على رؤوس الاصابع يمكن ان تتناول بالنظر الدقيق بيتاً بيتاً - كما فعلت - دون ان يشعر القارئ . العجل رهقاً في مجلة سيطرة ثم يكتفك بعدها ان تقارن الفكرة العامة التي تباورت عنها القطعة في الحابل - وهو الاهم في الموضوع - بعد ان تكون قد وضعت يدك في الايات على سر منشأ هذا الوجه دون سواء من التأويل . وقد امكن كل ذلك لان القطعة صغيرة .

اما في القوائد المطولة فسانه اذا امكن الاضطلاع بالشطو الاول من هذه الدراسة . اعني مقارنة الايات بيتاً بيتاً . وهو ما كان يقصر عليه ادباء العصر العباسي مهم فيضون مثلاً .

عجلني ذكراك حتى انني متعلماً فاني انطلق بازاء - اسو على ذكراك حتى انني متعلماً فاني لمن اظلم و بيبي وبينك هجمة جدا ما !!
بازاء - بيبي وبينك عالم لم يدنه شوق . ولم يباع حماء فصرع
و ليل ! اكاد اعين فيك فتروني فاصبح في عيني ابن الادمع !!
بازاء - ليلي يكاد هواك يرحل زهرني فتنبوح بالام الدنين الادمع !!

كما فعلوا في عصرهم بالشعر الذي تداولوه . قلت اذا امكن الاضطلاع بهذا الشطو من الدراسة . فان الشطر الثاني وهو الذي يجب ان يكون عليه المحول وحده في الحكم للشاعر او عليه يتعذر ان لم نقل يستحيل على الدارس القيام به ضمن هذا النطاق المحدود

ابراهيم العريض

البحر



مدينة «ديوربل» Diourbel السنغالية بين حفنة من التجار اللبنانيين والسوريين ، كان يقيم المهاجر «سليم» مع ابيه منذ عشر سنين . ويشجرون بالاقشة وبعض اصناف «الخردة» وكانت حياتهما ككل مقترب ، حياة كد وعناء . فلا العيش اغني ماتم ، ولا الطبيعة ملائمة منسقة ، ولا الدنيا الافريقية جميلة جذابة ، فكل شي . فيها كالح ، باهت . وسليم وهو بعد فتى في السادسة والعشرين من عمره . مالي . العين ، غض الاهداب ، طلق الحياء ، كان شديد الفكرة على ابيه ، يجهد نفسه في سبيل راحته ، والترفه عنه ، فلوهر كهل لا يقوى على احوال مصاعب الحياة . اكثر مما احتمل ، لا سيما وان السنين الطوال ، التي قضاها في الاجنيتين ، واخيراً في السنغال ، هي وحدها كافية لكي ترسم في جبينه سمات التعب ، وتخط في سمته علامات الاعياء . والكبر ، حتى ان الناظر اليه ، يكاد يحس انه اجتاز دور الكهولة باشواط وان كان لم يهر هذا الدور فضلاً .

لست اخاف امورك ، وان ارد مطلبك ، سأذ . . . زوج . . . ولكن ، اريد ذلك في الوطن ، وطننا المغدّى . فالبنت ثمة كشيوات ولاني اجد بينهم تلك التي استطيع ان احيا . معها بجانب حياة الالفه والروثام . فتشيع في الورد حواس الحنان ، ويقل على ولده صارماً بالشكر الى الله عز وعلا ، يقول جازماً : « اذن ، تهني للسفر يا بني . . . استمد . . . فانا بحاجة ايضاً للعودة ، ولكن اعمانا لا تسمح لنا ان نساو معاً . . . فلابق انا ، ريثما تعود وزوجك . فأذهب يومذاك للاستجم تحت سما . بلادنا الحبيبة ، اليس كذلك ؟ » .

— ولكن ابني ، لا ان ادعك وحيداً هنا ، انما كنت احسب عندها ابديت رأيي ان ارسل في طلب اخي ليتولى زمام العمل مكاني ، فانت تعلم حفظك الله ، ان المهاجر اصبح مورد رزقنا الوحيد ، وان ضيق مجالات العمل ، ومساوي الوضع الاجتماعي في الوطن ، لا تقدر لاهل الطبقة الوسطى امثالنا ان يفيدوا من ثرواتهم الضئيلة ، على قدر ما يصيبه المهاجر منها في بلاد اخرى غريبة .

— اصبت الرأي يا ولدي ، فاصمت في الحال ما بدا لك .

وفي غضون شهر وایام قليلة ، يطل على السنغال وجه جديد ، وجه شاب يشرق بالدم ، وينبض بالحياة ، انما لا تكاد تلفسه همس افريقية ، حتى يفيض مساو ، ويذبل عنده ، فيندو اصفر افحاً انه

محمد ، « اخو سليم » ، صبي في السابعة عشرة ، وصل ليأخذ في اعانة ابيه مكان اخيه ، والتمس بالصعاب من اعمال الكدح والجد . ولم يرض شهر على قدوم محمد ، حتى تستيقظ في الورد رغبته الاولى ، فيذكر سليماً بالهدد ، ويردد : « آفة الموروثة خلف الوعد . . . فيذن الابن لامر ابيه ، ويسافر على اسم الله ، على متن اول طائرة الى استانبول — الشام ، ثم السيارة الى بيروت — فانا ، القرية اللبنانية الحاملة ، القرية التي اول ما انتفضت ميناء سليم فيها ، على مروج التين ، والزيتون ، وانوار الازو والزعمرور . فتحتني به

امه خير حفاوة ، وتدعو الكشيوات من نساء القرية وقتيانا الى حفلة «مولد» بمناسبة عودة ولدها . اما اتراب سليم في القرية فلم يكونوا اقل اشتياقاً من امه نفسها ، فالهجرة ابد من ان تذهب



كل هذه الامور ، كانت تشغل بال سليم ، وتجمعه بين التفكير . ولكن اكثر ما كان يشغ نوازع النفسية هي هذه الرغبة الملحة من ابيه انه يريد ان يكون لولد مشريكة حياة ، امرأة فاضلة ، زوجة كريمة ، انه يريد لها قبل ان تحاول يد خفية اغراض عينيه ، واستلاب انفاسه . . . لقد اجلس ابو سليم ولده ثانية وكاشفه في هذا الامر ، امر الزواج فلم يتحسس فيه ميلاً مطلقاً ، ولا مع منته وعداً قاطعاً ، رغم ان سليم لم يكن فظلاً في موقفه حيال ابيه وان بدت على وجهه بوادر التهرب والفجور . على انه لجاجة الورد ، اخذت ترك الابن ، وتضف حياته في طريقة لتخلصه من فحار ، أيدعن لامر ابيه ، وامه بعيدة ، طالقة منذ عشرين عاماً ؟ ام كيف يوفق الى اختصار انثى لا تكون سبباً في افساده عن اخيه « محمد » المقيم في الوطن ، وهو من غير امه ؟ ا حقاً ان مثل هاته القضايا ، تحتحتاج الى روية ودراية .

ويطأ على الابن مسمماً ، سداً ، يجدح الارض بصره كأنه يبحث فيها عن شي . فين اضاعه لسانه ، وتندرج على شفتيه مقاطع كلمات ثقيلة ، انقل عليه من ليالي مقترب عاثر : « ابني ا

ادجو ان تكون عاذري على كل حال ، اما علة تأخري فقد كانت نتيجة انتظار الترخيص باعلان خطبتي .

سيدي : لست اغالي اذا قلت اني ادى كل شي . جيلاً بين الاهل في ربوع الوطن ، اي يعكس ما كنا نسمعه من دعاوة بعض المفرضين ا فالحياة متممة ، والطبيعة ضاحكة ، وجمال الكون ساحر اخاذ ، والدنيا العربية ، ان هي الاجنة ترخو بالروائح ... غير ان جميع هذه المباحج ، لا تحول دون انطلاق دمعات من عيني كلما اذكرك ، وواحس بشوقي لرواك ، ان يملك عني يحز في نفسي حزاً مهجراً . ولا اكتسك ، اني خذفت دمعاً غزيراً قبلما ابدأ بتدوين هذه الاسطر .

ابتي : ان انصرافي عن الزواج ، كان يؤمك ايضاً ألم ، وقد كنت ادرك ذلك قاماً . بسل كنت المحب بوضوح في غضون جيتك ، وفي اعناقنا طيريك . ولئن نفرت يومذاك ، فسانفرت معوقاً بالطاعة ، ولا استخفافاً بالابوة ، ولا ارواء شهوة جنسية ، او لذة اباحية لما نفرت من رؤية وتبصر ، ووددت اذا ما اخترت شريكتي ان اراها جديرة بطفلك ، قادرة على توطيد اواصر العائلة والاخوة ، مقدرة لمعنى الزواج ، الزواج المرتكز على اسس شريفة قوية ، ولقد اهتمت والحمد لله ، هنا في الوطن ، وفي قريتنا العزيزة ، الى طائفتي المنسوبة ، منها خديجة ابنة « ك. ش. » الفتاة التي عرفتها منذ الصغر ، اي قبل انتقال اهاليها الى فلسطين ، ولقد نشأت وترعرعت في قرأتها المصراع القائم هناك بين الحق والباطل ، ما كتف روحها ، وصقل ذهنها ، واهرف احساسها ، وبث في كيانها نعمة المضاء والاقدام ، ففدت بحق ابنة الضاد المرموقة في عالم الجنس اللطيف . العوامل التي ايقظت حمي الوطني ، ورددت في نفسي صدى دوي الفداء ، والتأثر والتضحية . على اني رضاك اطلب ، وموافقك ادجو ، وقبولك هو المراد ؟

ابتي : والان ، وبعد هذه المقدمة الطويلة ، اشعر ايضاً بحاجة انبل ، حاجة قصوى الى تضارعاتك وادعيتك ، فانت تعلم ولا غرو ، فصول هذه المأساة ، التي يتنادى الى تمثيلها اخلاط الصبوريين واعداً الانسانية ، على مسرح بلادنا الواعدة .

انه لمن عجائب الدهر ، ان لا يعوي ضجيع العالم ، كون تها لك تلك الامة المتقلبة ، ومن شد عضدها من جلادي البشرية ، على اتحاد جذوة البعث العربي ، واطفاً . نور الله في صدر امتنا الفتية ! لقد دججوا اطفالنا ، وغرخوا نساءنا ، ورملوا عرائسنا ، واصلوها ناراً في جميع عزتنا وكرامتنا ! وعلى ارض خلود امتنا ، فوق ابحادها وعلى رؤوس شهدائها ، يحاول شذاذ كل ارض في الارض ، رفع

بذكري تلك « الدبسكة » الرائعة ، يوم كانوا يقودونها حلقاً بين خيام اللين حول فروع الدفلي وتحت اغصان الخناء الممتدة ويقومونها بجنون على ازين « الحجز » وانغام « الدربكة » . وتلك المباريات ايضاً ، يقفونها صفوفاً صفوفاً على اعالي الاكم ، ويصرخون واحداً تلو آخر ، اشارات ونداءات ، ليدرخوا ايهم اقوي صوتاً اذ يرجع الوادي صدها .

ولم يكتسك سليم طويلاً في قريته ، عشرة ايام فقط ، ويرج على بيروت ، بعد ان يكتب لابييه رساله قصيرة مقتضبة ، لا تحتمل سوى خبر وصوله سالماً . اما تلك الملاة التي كانت قد دغدغ آمال الوالد ، والبشرى التي كان يرقبها لاهناً ، لم يشر اليها ولده ابنته ! فتتلعج في صدره المهدوم وتطوف في مخيلته الفنون ، وتودر غوامر جارية . . . وصور شئ لا يعرف مصدرها ، ولا يدرك كنهها . . . الى هذا الحد ، يرضي سلم عليه بالكلام ؟ اليس لديه وقت يمجده فيه عن الفتاة التي وقم اختياره عليها ؟ ايتهاي يتبذير ما وفرة لامر زواجه ؟ اتقريبه حياة البذخ والاسراف . فلا يروعه الا نذير الوز . . . الافلاس ؟ . . . فيفقد كل شي . !

لا ! افكار سقيمة تترى ! لا ! انه يعرف حوص ولده على الدرهم ، والدرهم الذي هدر في سبيله غفوات من دمه وشبابه ، حتى تلد منه مملوفاً قد يكون كاساساً لآمال مقبله . والى هنا تركد انفعالات الاب ، ويتقطع طواف حبه على امل وصول رسالة اخرى ضافية .

وغير اسبوع . . ثلاثة . . شهر . . خمسون يوماً يا الهي ! .

وفي با كورة اليوم التالي ، بينما جلس ابو سلم يوشف قهوة الصباح كالمعتاد ، ابتقم لونه فجأة ، وهو يرد تحية الزنجي السامي : « بجيو - جارك - الحمد لله » وينصب ذاهلاً ينادي . « اسرع - كارل - هات اريد لبنان ؟ » وبدون تفكير ، وتوغل يده في كيس الرسائل ، فينثرها هنا وهناك ، وينظر الى ظروفسا نظرات عابرة ، ثم يتنزع احداها ، ويستوي لاهناً على كرسية الخشبي ، كمن جالس يتنفس الصعداء على وشوشات الزرع بين سنابل الزرع ، اثر حصاد موهب شاق . . وفي ومضة عين ، حلا السامي حلوانه ، وعاد يقض الرسالة برفق وتؤدة ، كأنه يخاف ان تحدها خفقات قلبه المتواترة ، او يحذر من ان تقصر على ليونتها يدها الخشتان ! وبعد ان يعتدل في جلسته ، يتلسع عنقه قليلاً ، ويحذق في تاريخ الرسالة ، فيعرف انها قربية المهد ، ثم يقول في تلاوته :
ابتي الحبيب ، ها انذا اكتب اليك بعد انقطاع مض ، ولكي

اتجاه الفكر والبحث عن المصروف

• بضم الـ ركنور فزاد مارونني •

✱

تربية الجماهير ما دامت غايتها

تكون رسال يتفقون

بافكارهم ، ومعلوماتهم ،

واخلاقيهم عن بقية الجماهير .

فالترقية في حالة مثل هذه

لا تسمى الى تربية الطباع بل

لتنمية الفكر ، والذاكرة ، والخيال ، والمنطق ، والملاحظات الدقيقة ،

والنقد الحر . وكذلك يجب توجيه الطفل الى ممارسة الافكار المجردة ،

وتوسيع معارفه العامة ، وتقريبه على النقد الحر . لان الحضارة

الحديثة حيث يشغل العمل فيها اكبر مكان ، تعرف باهمية الفكر

ما دام الجدل على الانظمة والهوامج يستند عليه . ولا يزهو الفكر

الا باتصاله مع الاعمال الانسانية التي قام بها قادة الفكر في كل دور

من ادوار الحياة . والمعرفة لها وجوه عديدة منها الفلسفة ، والعلم ،

والتاريخ ، والادب ، والفنون الجميلة ، اقول الفنون الجميلة لان العواطف

الفنية التي تخرج بالحياة ازدهاراً تلاماً اشبه بالالذة الفكرية الناتجة

عن حلول المشاكل الاجتماعية وغيرها ، فكيف تكون اذن مزايا الرجل

الابتدائي الذي غابته في احياء الدراسة ، والمعرفة ، والتفكير ؟

لا شك في ان مزايا رجال الفكر تعاكس مزايا رجال العمل ،

لانا لا نعلم على فظلم عفيف فيه حب السيطرة واخضاع الجماهير

للانظمة الخائرة القاعة على التدرب ، واذا هي مبنية على نظام قائم

على الاصول والقواعد العلمية الناتجة عن التفكير الحر وادراك

الحقائق ، وخدمة المصلحة العامة ، ومراقبة المواطنين ، وحبها

ايضاً تلك السيادة ، وان المثل الاعلى للبشر لا يقتصر على سعة العيش

ورفاهية الحيات ودوامها على وتيرة واحدة تجعل من الحياة الاجتماعية

اشبه شي . بجمهورية النحل ، ولكن المثل الاعلى مدين بوجوده الى

الفكر الذي يتطلب الابتكار والابداع . والواقع ان الانسان ليس الا

فكر او مادة مفكرة . وان التربية تسمى الى تطور الفكر وتنميته

بالعلم لتهي . نشأ جديداً بجزء ثقافة عالية يستطيع في المستقبل

توسيع نطاق معارف البشر .

فالترقية من الوجهة الفردية تتم قبل كل شي . بالفكر اهتماماً

زائداً لتكون قادة تستفيد منهم الانسانية ، ويتميز هؤلاء القادة

بثاقبتهم ، وعقلهم النير ، وفطنتهم الثاقبة ، وقدرتهم على جمع

افكارهم ، ودعم اقوالهم بالحجج والبراهين القاطعة ، ووزن

كلامهم ، ومناقشتها بنطاق سليم على ضوء الحقيقة الواضحة ليبينوا

اعلى درجات حوية التفكير .

وتتم التربية بتهديب محاكمة بقية الجماهير ، وتطارد ذواتهم

ليستطيعوا ادراك وفهم رسالة القادة التي يبشرون بها ويوافقوا

بعدئذ على الاحكام التي يتخذها القادة . وان تربية الفرد تفوق هنا

» خرقهم « الرثة ، وتركيزها الى الابد ، في اعنى اغوار كيانتنا !

واذهب ابطال العروبة ، وكتب من كل حذب وصبوب شعوبها

لدر . الحظر الحديث ، احس واجبي يناديني كشاب يجري في عروقه

الدم العربي ، فأتوجه بعد ان مكثت عشرة ايام بسين اهلي ، الى

مكاتب المطوعة ، ثم الى مساحات التدرب في العاصمة اللبنانية الهاجعة !

وها اخواني اربع عن غيلتكم عواصف الذل والالم وهي تولو

في قلبك ، وانت تستظلم من المذيع انباء الجهاد في الديار المقدسة ،

فازفك البشري ، باني اشترت سلاحي وعتادي ، مما اخفرتك لمر

مروسي ، وارجأت موعد زواجي الى يوم اعود من ميدان الجهاد ،

والنصر حليفنا نحن العرب .

اما اذا قدر لي الاستشهاد ، فاني استشهد قري العين . وانا

آنس برضا المولى والوطن ورضاك . واخيراً ، اودعت القيادة العليا

كتاب وصاتي ، وهي ترسله اليك حالما تتحقق خبر وفاتي . اوصيك

خيراً بأخي ، وواصي اخي بك خيراً وداعاً ! الله اكبر والنصر

للعرب . ولذك سلم .

وما ان تنلق شتتا الوالد على سكون الميم لاآخو خوف من

حروف اسم ابنه ، حتى تتناول يده متديلاً كان في جيبه ، ليسمع

آخر ما انسرب من عييه على خديه . وسرعان ما تنفج شتته ثانية

من مثل اقباسه تقطعها تمثبات عميقة : « طوبى للجهاديين الابرار ،

اخذ الله يدك يا بني . يا ليتني كنت معك . » .

وهكذا فضل سليمان بنضوي تحت لواء « فوزي » ويختار عروسه

مدفناً رشاشاً يقض به مضاجع الصهيونيين ، فبه بذلك عن شعور

الكثييين من شباب العرب في المهجر . .

دكار - السنغال

سلامه آموره

بمقل نير وضيء حر يقبل التطور ويدوم الى التضحية .

فإنحاء الفكر من الوجهة الاجتماعية يوحى بالهدوء ، والسكينة والسلم ، لان الاضطراب يمرقل تقدم الفكر . وعلى الرغم من ضرورة العمل يجب ان لا يشغل جميع مرافق الحياة ويزيها من جديد في الحركة الآلية والفيزيائية ، بل يجب ان يتبع الفكر وينقاد اليه . وقد لاحظنا في اصول التدريس ان العلوم النظرية تتقدم خطوة العلوم التجريبية التي لا يمكنها بدورها ان تتقدم الا بجهد الفكر الحالي من الترض . اما القادة فلا يهتمون بالحاجات المادية مطلقاً فيصرفون جميع جهودهم في التفكير .

في الحق نشعر هنا بعدم المساواة ، لان الفكر يختلف باختلاف قوته وفاعليته ، ولكن اذا فصحت التربية عن هذا الخلاف الناشئ عن قوة التفكير وضعفه ، وسعة العلم ، وحدة الذكاء ، فلا يكون هذا الخلاف منصفاً لحياة البشر ما دام يحظى كل منهم حسب قوته الفكرية بالذي يمكن ان يحظى به . وان العقل النير يعاكس فكرة الصراع لانه يفضل الاتقان والمعاونة ، صنياً الى صورت العقل والضعف . وقد تكون مدة هذا الاتفاق طويلة وشاقة غير انها تنتهي خلال هذه المدة بالتمسك على القوة بالحجج والبراهين . ولا يبالغ العقل الى استعمال القوة ضد القوة الا اذا احتاج اليها على وجه ان القوة تولد الشر والالام ، واذا فضل العقل الحياة المهادنة ، حياة العلم ، والجد ، والنشاط على الحياة المملوءة بالاتهام والشقاق ذلك لان غايته ايجاد البشر ومنعهم من الحضور والتضحية في سبيل فئة لا تربطهم بها رابطة قوية قائمة على فكرة نبيلة .

ولقد ضرب لنا آتاتول فوانس مثلاً بنمو فكرة النقد الحار حيث بحث جميع المشاكل الاجتماعية بحثاً دقيقاً قائماً على المنطق السليم والقواعد العلمية ، واطهرنا مواقع الضعف في جميع النظريات وشك فيها وسعى الى اصلاحها بعد البحث والتدقيق خادماً رجال الفكر والعمل الى ان يعتبروه مفكراً عظموا ويسمونهم في الشيوعية وهو بعيد كل البعد عنها . فكان آتاتول فرانس وديماً رعيماً بالبشرلانه كان يلمس التفاوت بين عقولهم ، وبفهمهم ، وبمعنيهم . فغيرانه بمحاكمة الحير والشر وشك في بعض الايمان في الاخلاق نفسها ، كان يكره العمل ، والاضطرابات ، والحركات الآلية التي يتطلبها العمل كما كان يسخر ايضاً من ثورة الماططة ، والتسامح ، والشفقة التي نلغها بتبراله وترك فيه شيئاً يدل على الانانية .

فاذا كان رجال الفكر لا يجوبون العمل الحالي من التفكير لانهم يعرفون حق المعرفة الى اين يقدوم ، كذلك المجتمع القائم على

الفكر وحده يكون النشاط فيه ضعيفاً لان حرية النقد الزائدة تؤدي في اكثر الاوقات الى هدم الحرية نفسها ، وتقهر المجتمع ، وهبوط درجة التفكير فيه الى الدون من مستوى الجماعات . وهذا ما دفع رجال الفكر الى الاتزوا ، في ابراج تفكيرهم المجرود ، وانفاسهم في بحر العلم الواسع الذي لا نهاية له ، يسكرون من نشوة المعرفة ، لا يشتمكون من لس الامور الواقعية ، ومن قيادة عجلة البشر . وان اولئك الذين يمثلون مكانهم يهتمون بالنفوذ الذي يحولهم العمل ، فتتقلب القيم والمقاييس الاجتماعية الحقيقية من نقص في الوسائل المادية التي وضعت تحت تصرف رجال الفكر ، وتهدم القواعد الاساسية ما دام رجال العمل يرفضون البقاء تحت حكم رجال الفكر .

في الحق ان المثل الاعلى للفكر لا شك في انه اخف وطأة من خطر المثل الاعلى للعمل ، لان رجال الفكر لا يضغطون على الضعفاء ، ويستبدونهم بقدر ما يضغط عليهم رجال العمل ويستبدونهم . كما وان اخلاق رجال الفكر الذين يبعثون من لذة الجمال والفن الظاهرة تفوق اخلاق رجال العمل لان الالذ المادية تناكذ صفر الفكر وتحيد به عن الطريق الذي يتبعه ، ولكن هل تظفوا لجاهير المهددة الثقافة بالاستقلال في الاخلاق ، وقهر النفس ، وكبح الواوات ؟ وهل تؤيد رجال العمل ؟ اذا لم تبدل النظام القائم على المادات والتقاليد البالية ، وان لم ننهم الجماهير معنى الحرية والتضحية النبيلة فجميع المؤسسات القائمة على التسامح والشك كالمؤسسات القائمة على القوة ، والسيطرة ، واخضاع الجماهير تتعرض حتماً للانهيار .

وان الحضارة القائمة على الفكر وحده لا يمكنها ان تعيش الا منغولة عن العالم لتأمين جانب الخطر ا وان الحضارة التي تقرب منها هي حضارة الصينة القديمة السني كانت تخنقر الصراع وقوة السلاح . كانت تسليمة الادبا . في ذلك العهد تقوية الذاكرة ، وتعمية الذكاء ، وتوسيع العلم . فوصلت تلك الحضارة مع مرور الاجيال الى حضارة ارقى من الحضارات الغربية ، ثم ظلت سكوى سنين عديدة من نشوة المعرفة دون ان تلمس الامور الواقعية فانهارت ساعة اتصالها بالحضارة الغربية القائمة على العمل . فاذا كان العمل وحده او القوة وحدها لم تؤد الى النتيجة التي يتوخاها البشر ، فالفكر وحده ايضاً لم يؤد الرسالة المنشودة .

علب

فؤاد ماريوني

انوار



طابت بك الايام وافرحناه انت الاماني والنبي والحياه
فليذهب الليل غفرتا له ما دام هذا الصبح عقي دجاء
يا من غفت والفجر من دارها شمسك في الآفاق ايهي سناء
قد طوى الباب فني متعب طال به المسير وكأت خطاه
نقسل في الايام اقدامه يعني خيالاً ماثل في منساه
عندك قد عطّ رجال المنى وفي حبي حستك ألقى عصاه
كم هذا الليل وران الكرى الا انما سهره يفني شجواه
ناداك من اقصى الربى فاصمعي لمن على طول الليالي نداء
نادى اليفانام عن شجره عذب تجنيه ، عزيز جنسائه
احبك الحب وغنى به عف الاماني والمغوى والشفاء
وانما الحب حديث العلى انشودة الخلد ونحن الزواء

الفاخرة

دكتور ابراهيم ماهي

من ديوان « ليالي الذاكرة » وهو تحت الطبع



تأليفه عاماً من سوريا ولبنان

30 years of Lebanon and Syria - 1917 - 1947

للاستاذ اوجيني ابو شديد - ٦٢٩ صفحة - مطابع صادر وريجاتي - بيروت

فراح الاجانب يستولون الظاهر من شؤيته لشويه التاريخ العربي والزاوية باعرب وحياتهم وتاريخهم واخلقهم ! تأمل اذن هذا الامال منا مؤرخينا ، ثم لاحظ رعاية التربين لكتاب التاريخ منذ القرون الوسطى الى يومك هذا ، تجد ان قيمة ميشله الافرنسي - وهو مؤرخ - لا تقل لديهم عن قيمة لامرتين الشاعر ، نجد ان ماكولي وكروايل المؤرخين الانكليزيين يدرسها الطالب الانكليزي كما يدرس شكسبير وبيرون !

لا اقصد من ذلك ان اظهار فضل المؤرخ ، وتوجيه الأمانة نحو الاعتراف بذلك الفضل وتقديره فحسب ، بل اننا اريد ايضاً ان ينتجه نقاد الادب عندنا الى دراسة المؤرخ كشخصية انسانية ، وكتابة التاريخ كنوع ادبي مستقل بذاته ، لأن كتابة التاريخ مرت بأطوار وتجارب ، وطراً عليها من التغيرات والتحسينات في الاساليب وطرائق البحث والاداء ، ما جعلها فناً قيمياً يتم ويدرس ويفيد في آن واحد .

لقد نبهت لدينا في الآونة الاخيرة نفر من المؤرخين اصطلحوا بالاساليب الزريين في الدراسة والاسلوب والبحث التاريخي ، وورفوا الى تجديد الطاليف التاريخي بعض التوفيق كجرجي زيدان الذي في كتابه التاريخ الاسلامي في شكل روائي ، واحد امين الذي ارخ الحياة العقلية في فجر الاسلام وضحاها ، وطه حسين الذي حاول تجديد النقد الادبي ، نجدد كتابة التاريخ في « هاشم السيرة » و « الفتنة الكبرى » الخ .

ولكن لدينا ايضاً من كتب التاريخ العربي باللغات الاجنبية واصطنع الاسلوب الغربي في كتابته كما فعل ادوار عطية في كتابه « عوي يروي قصته » An Arab tells his story ، جورج انطونوس في « يقظة العرب » The Awakening of the Arabs . وكان آخر من وفق في هذه الناحية الاستاذ فيليب حتي في كتابه History of the Arabs الذي نقلته « دار العلم للملايين » الى العربية .

بيد ان الاحداث التي تعاقبت على سوريا ولبنان خاصة منذ الحرب العالمية الاولى الى يومنا هذا ، لم تجد من يورخها باسلوب جديد ، بطريقة عصرية ، غير آتسة لبنانية هي « اوجيني ابو شديد » في كتابها ثلاثون عاماً من سوريا ولبنان الذي بدأت بطبعه ، مطابع صادر وريجاتي في بيروت ، وانتهت منه مطابع اكثيراد

اذا فتحت اي كتاب « اجني » يبحث في آداب اللغات الاجنبية وقمت على دراسة خاصة لفروع « التاريخ » ورأيت ان الانكليزية مثلاً او الافرنسية يدرسون مؤرخيهم وينقلون آثارهم ويعنون باننتاجهم كما يدرسون الشعراء والروائيين والقصاصين والنقاد ، فالتايف التاريخي عندهم نوع ادبي هام كسائر الانواع الادبية له وزنه وقيمه بين آثار الفكر ومتنجاته .

اما نحن ، اعني ابنا البلاد العربية ، فاننا لم نوفق بعد الى تبويب الانواع الادبية ، ولا الى تصنيف الكتاب ، كل بحسب وجهته واختصاصه في الانشاء والتأليف . تأمل ان قدامى العرب بلغوا من العتاة بالتاريخ ، والعناية بالحوادث وتدوينها ما لم تبلغه في ذلك امة قبلهم ، ولدينا من اعلام المؤرخين سلسلة تمتد مع الايام والاحقاب لمعت فيها امما ، يجملها الناس جهلاً يكاد يكون مطبقاً ، حتى طلبة المدارس الثانوية منهم ، فالسعودي والطاهري والبعقوي والبالاذري وابن الاثير والدينوري وياقوت الحموي والاصمعي وابن ابى الحديد وغيرهم وغيرهم . . . ما لا يحصى عد ، يرجع اليهم الباحثون والنقاد كمصادر ، ولكن لا يتحدث عنهم احد كادباء ومؤلفين ، ولا يلتفت اليهم احد كاشخاص لهم اثرهم الفعال في حفظ الثقافة العربية وصون كنوزها ، ثم في قيمتهم كفكرين كانت لهم آراؤهم في الاحداث ومحاري التاريخ .

هؤلاً ، اهملهم المتأخرون ، وضربوا عن جهودهم وافكارهم صفحاً ، ولم يستثنوا منهم غير ابن خلدون ، وعنايتهم بابن خلدون نفسها انما كانت لسببين : اولها ان ابن خلدون فيلسوف اجتماعي اقام له الاجانب وزناً قديمهم من المقلدون ، وثانيها ان الرأي السائد كان بادي الامر يجمل من ابن خلدون فيلسوف الشعوبية ،

في بغداد عام ١٩١٨ .

هذا كتاب توثيق يروي قصة ثلاثين سنة عاشها البلدان لبنان وسوريا منذ سنة ١٩١٧ حتى نهاية ١٩١٧ . وقد رافقت الكتابة اهم ما جرى في هذين البلدين ابان تلك الحقبة ، ووعته بروحها وقلبها ونشاطها ، اعني خروج فرنسا منهما ، ودخولها في عهد جديد ، فكان منها ان تحدثت اليينا عن اشياء رأتها ببينيا ، وصمتها بأذنيها ، وشاهدت آثارها في حياتها ، وحيوات معاصريها ومعاصراتها ، اي في حياتنا نحن ابنا . لبنان وسوريا اليوم .

وللتاريخ على لسان فتاة مثقفة ، رفيعة التهذيب ، رغبة الافق ، نيرة الذهن كالآسة اوجيني روعة ومتمعة وفائدة لا يرى اليها حديث الرجل ، اي رجل ، لان المرأة ، على وجه الاجمال ، تلك من الالمية والنفاذ ما يمكنها من ادراك الباطن وراء الظاهر ، ولها من دقة الملاحظة ، والجلد على التأمل الطويل ، ما يميلها على ضبط التفاصيل وجمعها وتركيبها ، فلا هي تغفل عنها ، ولا تترك لها الغفلات والاشتغاف .

قدم مالي الاستاذ كبل شمون هذا الكتاب ، وهو ممن رافقوا تطور التاريخ اللبناني - السوري مرافقة تامة في هذه الحقبة ، فقال ما ترجمته : « هذا كتاب لا يغفل شيئاً ، ولا يضل فيه قارئه من شيء . فهو يمرض الحوادث عرضاً ، ويغني بالتفاصيل ويتجنب التجني في الاحكام » .

والواقع هو ما قاله مالي الاستاذ شمون في مقدمته ، فاستاذ المؤلف لجأت الى طريقة شائقة امينة في آن واحد ، وهي سرد اقوال اساطين السياسة المسؤولين ، وترتيبها مع التاريخ والاحداث عن بوانكاره ، الى روبرت كيه ، الى الجنرال دهغول ، الى كشرشل الى الجنرال كاترو ، ثم قسمة كتابها الى اربعة اقسام : تحدثت في الاول عن توثيق المغفور له الملك فيصل الاول على سوريا ، ومؤتمر سان ريمو ، ثم فصلت مراحل الانتداب الافرنسي ، وتجزئته للبلدين : لبنان وسوريا ، وعرضت لاهم الاحداث والثورات عهда الانتداب . وتحدثت في الثاني عن استقلال البلدين وكفاحهما من اجل نيله والاعتراف به من اعادة الحياة الدستورية ، الى وثبة لبنان في تشرين الثاني ١٩١٣ ، الى قضية المصالح المشتركة وتصفيتها ، الى مسا رافق ذلك من شؤون وشجون .

وتحدثت في الثالث عن الازمة التي مرت بها البلدان عام ١٩١٥ يوم اصرت فرنسا على عقد معاهدة وعلقت جلا قوتها على قيام تلك المعاهدة ، وحدث ما حدث من ضرب دمشق ثم هدوء .

العاصفة بتقرير مبدأ المفاوضة ، ثم اقوار الجلاء .

وتحدثت في الرابع عن الجلاء ، ودفع القضية الى مجلس الامن ، وموقف روسيا الى جانب لبنان وسوريا الى ان تم الجلاء اخيراً عن لبنان في ٣١ كانون الاول عام ١٩١٦ .

وختمت كتابها بملحق عن انتخابات ١٩١٧ واصداثها في داخل البلاد وشايرها ، كما ذكرت نص ميثاق الجامعة العربية ، ونص الدستور اللبناني في صيته الثلاث التي اعلنت عام ١٩٢٨ و١٩٢٩ و١٩٢٣ ليتاح للقارئ الاجنبي ان يطلع على الفروق والتعديلات التي طرأت عليه .

هذا هو كتاب الآسة اوجيني اليوشيد في موضوعاته وبجائته غير ان الشائق فيه هو حديث الآسة عن القوائم التي شاركت فيها ، وكانت على مقربة منها ، كتظاهرات نساء لبنان يوم اعتقل رئيس الجمهورية ، واعتقل وزراؤه معه ، وشارت البلاد تقطالاب باعادة حقها السليب في الحياة الدستورية الصحيحة .

وهي تعرض لرقي المرأة في البلدين بمجاسة وتفاسول ، ولا تنسى ان تشير الى ما حقته في الثلاثين عاماً ما تقدم وما سجلته من غلى نحو التحرر والمساهمة في الحياة العامة .

ولكن اطرف ما في الكتاب هو هذا الاسلوب في تناول التاريخ وعرضه الى جملته وتأليف ، وبناء الاحكام على ملاحظات وتقارير دقيقة ، وتدريب تفاصيل ذات دلالة ومزى رغم ما هي عليه من حداثة بترك الناس لا يهتمون بها في حياتهم العادية .

اتكون المرأة عندنا اقوى من الرجل في درس التاريخ وعرضه ؟ - لا ادري . ولكن هذه التجربة التي قامت بها الآسة ابر شيد توحى هذه الفكرة !

عبد المظيف سرارة

هس الجوده

لاستاذ شبيب مغفوط - ٣١٥ صفحة - لجنة النشر للجامعيين - القاهرة
نجيب محفوظ فنان الطبيعة البشرية . . اخص خصائصه انه يرسم لك الصورة الواضحة المسالمة ، الدقيقة السمات ، ويعرض عليك قطعاً حاسفاً من الحياة تحس فيه نبض الشعور ، ورفرفة الروح ، وجرس الحركة .

« فالقصة - عنده - جسم وروح . . جسم يؤلف من سلسلة الحوادث المرتبة ترتيباً فنياً . . وروح يؤلف من الشخوص الحية ، وسيكلوجية القصة ، وتصور الزمان والمكان وغير ذلك من القيم » (١) .

(١) الجزء الاول من السنة الاول من مجلة العالم العربي .

وهذا مفتاح فنه . . . وتستشف من خلاله مذهب القاص على ادراك قيمة الاطوار الفني للصورة المرسومة ، والاهتمام بالشخص الانسانية (الحية) وتصوير نزعات وجدانهم ، وخفقات رغائبهم ، ومضات شعورهم ، وفق ما تلمحه الظروف الزمنية ، والاحوال المكانية ، واختلاج الاماني والاحلام في قلوبهم من غير محاسنة ، ولا محاكاة لما يظهر للشخص من سلوك وتصرفات . . . لاننا لا نستطيع ان نحاكم الحياة التي خلقتنا ، ولا ان نحاسبها على سلوكها ، ما دمنا نعتز بأثر البيئة والزمن الوقي كما يعترف المؤلف .

ذلك رأي المؤلف ومذهبه في القصة ، ولنا عودة في مجال التفصيل والدراسة في وقت آخر . . . وليس لنا ان نناقشه فيه لانه قائم على اعتبار الفنان ابناً للحياة لا يخرج عن واقعا ، ولا يتغفل في سحب الاحلام ، او يقبع في برج عاجي يربق الانسانية عن بعد ولا يحس بما تحس به من كتب . . .

والكتاب الذي اعرضه عليك يجمع اقاصيص الاستاذ محفوظ في اول عهده في كتابة الاقصصة ، وما جلبها نشرها في مجلة الرواية منذ اكثر من عشر سنوات .

وللمجلة الرواية اباد سافنة - ولا نكران - على الادب العربي ، والقصة العربية بالذات . . . لانها خلقت في عهد كانت القصة العربية الناشئة احوج الى منهج خاص بها ، وابدع رعاها . . . وقد استطاعت الرواية ان تحاق جيلاً قصصياً ، وتزود الاديب العربي بهذا اللون الجديد الجميل من الفن ، واعني القصة مترجماً عن عيون الادب العربي ، وموضوعاً باقلام قاصين عرب موهوبين . . . وقد اسبغت الرواية على قصصها طابعاً متميزاً من الاسلوب المتأنق في اختيار الالفاظ ، وعشو الكلمات الزانة ، والتعابير البلاغية الازرية .

ولهذا فحين لا نعدم في هذا الكتاب من اثر ذلك الطابع المتميز . . . ولست ادري اكان ترضية صاحب الرواية ، ام هويضة من مميزات بدء السيرة في طريق الكتابة .

والشيء الذي اتلج صدري ان الاستاذ نجيب محفوظ استطاع - على كثرة ما كتب من الاقاصيص ، وفي تلك المدة المتقدمة - ان يحافظ على معنى الاقصصة في العصر الحديث . . . وهي كما يعرفها سورمرت موم « بأنها جزء من رواية ، تتماق بمجادنة واحدة ، حية او روحية ، ويمكن قراءتها في جلسة واحدة - على ان تهزأ ، وتترك فينا أثراً ، ويجب ان تكون فيها وحدة اثر او تأثير ، او تتحرك في خط واحد من بدايتها حتى نهايتها » وهذا التعريف بالرغم من بعض التعديل الذي اجري عليه في آراء بعض الكتاب

المعاصرين فانه لا يزال يحتفظ بمميزات الاصلية . . . وهو على كل حال غير ما يعرفه اكثر الذين يألون جرائد مصر ومجلاها من القصصين ؟ قترام يخلصون لك رواية ، ويشمون لك الحوادث ، ويمرجون لك الطريق . . . ولا يحتفظون بشيء غير اننا نستطيع ان نقرأ قصصهم في جلسة واحدة لا تقصرها بل لاننا لا نستطيع ان نخفي منها الى النهاية ، ونحتل الصداق . . .

واقاصيص نجيب محفوظ هذه هي البذرة الاولى لفن انساني . يظهر فيها محفوظ مضطرب الحطى ، يتلمس الطريق الذي يريد ان يسلكه ، ويتلمس مواقع التأثير بالنفوس ، ويتلمس الصور الالفة برض القصة عرضاً يرضي ذوقه وعاطفته ، فيتحول من طريق الى طريق ، ويبالغ في حشر الانفعالات والاحاسيس ليستدر عطف القارئ ، ويؤثر في نفسه ريمحاول جاهداً ان يمسح كثيراً من الجمل الحساسة التائهة المرسوفة رصفاً والبلاغة رصفاً - ومعدرة لمن يضيئون من السجع .

وتبدو من هذه الاقاصيص نفسية الشاب المضطرب ، ونفسه الخائرة ، وتفكيكه المتشد على التحويل او التلو في الاحلام . فقيم يفكر الشباب ؟ الى م يتعلم ؟ وماذا يجب .

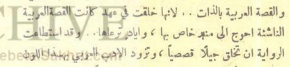
نجيب اقاصيص هذه المجموعة على هذا السؤال بأن الشباب لا يفكر الا بالحب ، ولا يتعلم الا الوظيفة ، ولا يجب الا الارهاق . . . واغلب الاقاصيص محفوظ لا يدور ركضاً وراء حب ، او قطعاً الى وظيفة ، او استراقاً لثمة صبيانية ، من غير كبر اهتمام بالشخصيات ، فتبدو باهتة غير واضحة السمات تمزجها ، فلا تمجك محبتها ، ولا تستحوذ على اعجابك .

انا اتكلم عن اقاصيص نجيب محفوظ وليس قصصه الكبيرة ، فاياك والخطأ . . . فغزخ واسم يفصل بين اللونين .

تلك النفسية المضطربة التي كتبت لنا هذه القصة تكفر كفراناً هائلاً بالعائلة ، وبالرباط القدس ، حتى ليخيل اليك وانت تقرأ بعض الاقاصيص التي تعرض الحياتن الزوجية ان العائلة المصرية في خطر ، وأنها على شفا حفرة من هوة سحيقة .

زوج يتوجس خيفة من خيانة زوجته ، وام تحرق حرمة بنتها لتغازل عشيقها الدخيل ، ورجل كوم لا يتطوق الى قلبه شك في اخلاص زوجته له ، وابتاهاها اياه ، يصدق هذيان الحمى التي اصابته زوجته . . .

ولا يكاد يعرض لنا المؤلف اسرة منظمة الاركان ، تسري فيها روح الثقة والاخلاص .



ولست هناك اقايص ظايرتها التكلف - في هذه المجموعة -
ظهوراً يبتأ مثل ظهوره في اقايص الحيسانات الزوجية .. والله
يعصنا من شر الحيانة ..

في « كيدهن » يتروج جهل بك ذهني وهو في الحساسية
والادبيين من قفاه في الشرين ، ويعني مما عشرين سنة هادئاً لا
يشور ، ومناً لا يشك بأخلاص زوجته . فما ظنك في ان الشيخ وهو
قد ذرف على الحامسة والسنتين يشك في زوجته التي جاوزت اربعين
حجة ، ويطاردها في رواها ، ويقتحم عليها خلوتها وحدثها ؟
وفي (الهذيان) زوجة تهذي من الهوى فتطلق بكلمة راشدة
فيضيل الى الزوج ان زوجته خائنة ، فيسعى الى تعجيل موتها حتى
اذا تخلى منها ذلك التخالص العجيب ، التي بنفسه في اليم تحاصاً
من هذه الحياة .. المضحكة .

وفي (نكت الامومة) يعرض علينا موقف ام من ابنتها واي
موقف !! يثير في نفوسنا كثيراً من الحرج ، وكثيراً من التفظ .
وما ظنك بألم تقار من ابنتها اشد الغيرة ، وتقف امام زواجها ؟
وما رأيك في انها تدبر مكيدة غاية في الحماقة وهي ان تهب أطوار
لمشيها - اي عشيق الام - ليخلو بابنتها خاوة غرامية ثم ترسل رسالة
الى خاطب الفتاة تنبئه بأمر هذه العلاقة ، وتقصيه بواقعة الخطيئة ؟
ولكن هذه المأخذ في بعض اقايص المؤلفات تقتضيها حاسن
تبشر بمستقبل زاهر ، ونجاح من الفن الانساني في هذه المجموعة هي التي ازدهرت فأثرت (عبث
ذلك في قصص نجيب في السنوات الأخيرة

ونحن لا نعدم الاداة القصصية الفنية ، ولا المهبة المعية
الاغوار في نفس المؤلفات . ونحن لا نعدم المقدرة القصصية الفاتكة على
انشاء الجو ، واجراء الحوار غير المتكلف ، ورسم الصورة المتعة
من صميم الحياة .

فالوهبة الفنية تلوح في هذه المجموعة اما سافرة واضحة المالم ،
واما مخفية وراء بعض التكلف الذي تقتضيه السمة ، وفقدان
التأني في تلك الآونة من حياة المؤلف ..

والوهبة تظهر بجلاء ، ووضوح في تلك المواضع التي يكلف
فيها المؤلف نفسه على سجيها ، وينطاش في جوه المحبوب ، جو
الطبقة الشعبية ..

فنجيب محفوظ مكلف في عرض الحياة كما هي كائنة لا كما
يخسن ان تكون وذلك ينطبق الواقعيين ..

ومكلف بالبيئة الشعبية لانه قادر على النفاذ الى اعماق
افرادها ، وسر افوارهم ، والمضي معهم في طريق حياتهم ذي

الاشواك . وهو يضرب على وتر حساس ينبض له القلب ، وتحقق له
الجوانح ، ويتوخى دائماً تصوير الشخص الانسانية .

وعلى رغم ان قصصه الكبير احفل من اقايصه بالشخصيات
الانسانية فان تلك الاقايص لا تخلو من هذه الشخصيات وآية
ذلك انك تستطيع ان تلمس تلك الشخصيات في « غنى السعادة »
و « هذا القرن » و « روض الفوج » و « بذلة الاسير » و « الجوع » ولو
انها لم تشغف بالروية الكاملة ، وبالرسم الشامل الكامل .

والمقدرة الجوردية تتجلى في بعض اقايصه رائعة حتى يرسم
لك بها مشهداً تخطيطياً طويلاً ينبض بالحياة ، وانك استرى اقصره
« هذا القرن » فضلاً مسرحياً كاملاً لا ينقصه اي عامل من عوامل
النجاح في المسرحية الفنية .

وهذه المقدرة - اي مقدرة الحوار - تجلت في عمله الكبير
الاول واعني به (كفاح طيبة) وازدهرت في عمله الثاني واعني به
(رادوبيس) حيث كانت اساس نجاح تلك القصة الرائعة تتمثل في الحوار
الجاري في مجرى سهل ، وفي الاحكام في البناء القصصي ، وفي
تسلسل الحوادث تسلسلاً بعيداً عن التكلف .

ونحن نستطيع ان نلمس من غير كبير عناء شخصية الكاتب
الطبيعية ، والتي سارت في كل عمل من اعماله التي اخرجها للجبهود .
فالروح القومية المواتمة التي تجلت في اقصوصتي (الشر المعبود)
(ونفطة المراء) في هذه المجموعة هي التي ازدهرت فأثرت (عبث
الاقدار) و (رادوبيس) و (كفاح طيبة) .

والروح المتذمرة من الملائق الزوجية التي اخرجت (كيدهن)
و (مذكرات شاب) هي التي ابنت فأثرت (الفاهرة الجديدة)
والتي ابعداه المجمع - مجمع فؤاد الاول للغة العربية - عن مسابقتها
الادبية لان بطاها قواد !!

والروح الانسانية التي اخرجت (روض الفرح) و (هذا القرن)
و (بذلة الاسير) و (الجوع) هي التي اثرت (خان الحليالي)
و (زقاق المدق) .

ان نجيب محفوظ اليوم غير نجيب محفوظ امس . لان الخطوط
الباهتة ، والاضطراب في الخطى ، قد زالت ، وتأتى من محفوظ
الحاصل من غير شائبة .

ولم يبق الا تلك الفاسقة المتذمرة . فلسفته التي صبحت في
كتاباتة ولم يتخلص منها قيد قصة - ان صح هذا التعبير .

الفاهرة

غائب طعمة فرمان
دار مجلة « العالم العربي »

جريدة الهند في ستر



السلطان اكبر

بفهم سلامة موسى

حوالي

سنة ١٥٧٠ كان في الهند ملك يدعى جلال الدين محمد اكبر. وكان قد اصابته حيرة المفكرين. فبعد الى بضعة اطفال جميعهم يوم ميلادهم. ثم وضعهم في بيت خاص ووكلمهم الى مشرفين قد امروا الا يخاطبوهم بأية لغة. وكان يرمي من ذلك الى ان ينشأوا وهم احرار لم تلبسهم عادات المجتمع ولا كلماته التي تعين الانكار والتقاليد. ثم اقر بهم كي يعرف ما هو الدين الحق دين الفطرة التي يمكن ان ينشأوا عليه دون تلقين او تعليم. ولكنه بعد سنوات من هذه التربية عاد قام بالكشف عنها. لانه وجد ان هؤلاء الاطفال نشأوا خوساً لا ينطقون بل ولا يفكرون سوى تفكير العاطفة البدائية اي الرغبة في الطعام والشراب والى الهيا. ومع السخافة التي تنطوي عليها هذه المحاولة فانها تدل على ذهن تجريبي وعلى رغبة في الفهم وتمسك في المشكلات الدينية التي لا بد ان « اكبر » قد عانى كثيراً من القلق والارق بشأنها.

ويعد العصر الذي تولى فيه اكبر الحكم ازهى العصور في الهند. وهو يطابق عصر الملكية الصائبات في إنجلترا كما يعاصره في الزمن. فان بلاط اكبر كان حافلاً بالشعراء والادباء والفنانين من الفرس والأتراك والعرب. وكان اكبر نفسه يجمل القراء. ولكنه لم يكن مع ذلك امياً. فانه جمع في قصره آلاف الكتب وكان يستمع الى القراء الذين يتلون عليه هذه الكتب بل كان يناقش بحالسيه ومسامريه في موضوعاتها المختلفة. ولكنه مع اشتغاله بهذه الشؤون الثقافية كانت بؤرة الاهتمام عنده تلك المشكلة الدينية او اليقين الديني كوهي المشكلة التي حملته على جمع هؤلاء الاطفال كي يعرف ما هو الدين الطبيعي اي ذلك الدين الذي ينشأ عليه الانسان بفطرته بلا تعلم. ونحن نستطيع ان نستخسف هذه المحاولات او التجارب.

ولكن يجب الا ننسى النية الحسنة التي دفعته اليها. فانه كان يتولى الحكم على نحو امانة مليون من المسلمين والهندوكيين. مع قلة من المؤمنين بالاديان الاخرى، وكان يصبر بالخرافات والتعصبات الدينية وينشد وفاقاً لهؤلاء الملايين. ولهذا الغاية كان يستورد الهندوكيين والمسلمين كما انه ألغى الجزية عن غير المسلمين وجعل جميع افراد رعيته سواء في الضرائب وكان هذا النظام من العدل بحيث استطاع ان يثبت الى العصور الحديثة.

واخذ اكبر في درس الاديان بالروح العلمي دون الروح التسليمي. وكان مخطئاً في ذلك. فانه خرج من المقارنات بين الاديان وهو غير قانع بيقين. ثم جمع فقهاء الاديان الاربعة الكبرى في عصره. وهي الاسلام والمسيحية واليهودية والهندوكية. وطالب منهم ان يتفقوا في مؤتمري دين عام تؤمن به الهند جميعها وكان يسمى « الدين الالهي ». ولكن هؤلاء الفقهاء لم يكادوا يشعرون في هذه المهمة ويحتمون في المؤتمر حتي انتهوا الى الخلاف الحاد. فانفضوا، وهذا ما كان ينتظر.

ولكن اكبر لم يرجع عن غايته فانه استحال من ملك الى نبي ودعا في حماسة الى « الدين الالهي ». وهو اشبه الاشياء بالهائية في عصره. فانه مزج من جميع الاديان. وكان يعتقد ان مثل هذا الدين يجب ان يؤمن به الجميع لانه مستخلص من ادبياتهم جميعاً.

ولكنه وجد الصدود وخاصة من المسلمين الذين يدعون انفسهم الشعب السائد الذي قاتل وحارب في الفتح واستولى على البلاد. وقد حدث حادث جعل اكبر نفسه يتردد بعض الوقت في هذه الدعوة. فانه دخل المسجد ذات يوم وأم الصلاة لاجل هذا « الدين الالهي ». فلما صد على المنبر احس رعدة فلم ينطق بكلمة وتزل مسرعاً. وليس شاك ان هذا الموقف الرهيب قد زعزعه ولكنه عاد الى هذه الدعوة التي كانت تحدث فتنة. حتي ان احد ابناؤه ثار عليه بعد ان جمع حوله الساخطين. ولكنه انهزم.

ومات اكبر في سنة ١٦٠٥، وماتت دعوته معه. ولكن روح التسامح الذي كان يعم الهند في سني حكمه بقي الى ما بعد وفاته باثني سنة. فان الهندوكيين والمسلمين لم يتصادموا وكانوا يذكرونه بالاكبار والاعجاب. كما ان غاندي قد التفت اليه وعده من عظماء الهند.

عند الدخول الى الفراش . ولقد رأيت في حياتي من هذه الامية عجباً كثيراً . فلقد زرت ادبياً مشهوراً فلم اجد على مكتبه الا قلم ولسان العرب . فلما سألته اين مكتبته ؟ قال القاموس ! فضجكت قائلاً هنيتاً لك هذه الامية !

لقد حرصت على ان لا ادعو هؤلاء متعلمين ، مهما كان مركزهم . ومهما كانت الاجازات الدراسية التي حصلوا عليها . ولقد حرصت كذلك على ان لا ادعوهم انصاف متعلمين . لان كلمة المتعلم عندي كلمة محترمة لا يجب ان تنطبق الا على الذين يدرسون دراسات منظمة عميقة مستمرة ، والذين يقطعون من مقرراتهم مبلغاً خاصاً من اجل الكتب الجديدة ، مع استذكار ما بالكتب القديمة من تراث جليل . وان كنت اميل الى ان الصق للمتلم تهمة او تهجين ، وقد يبدو ذلك غريباً . وقد يبدو انني لا يعجبني « المتعلم » ، والواقع اني يعجبني جداً ان يفرق الناس بين المتعلم والمتقف . فالتهمة الاولى التي تلصق بمحصل العلم من اجل العلم ، انه يفرق بين ما استحدث من العلم وما قدم فيتحيز للدراسات الكلاسيكية او العكس .

والثانية انه يجعل همه الاستراة ، وتقذبة الذهن بالمعلومات . اي انه يفصل العلم عن الحياة ، معنى ذلك انه لا يجعل للعلم تدخلخافيا يمارسه من فيون الحياة ، الا من حيث التطبيق العملي الذي يكسبه من القراءة ، اما المتقف فهو رجل يستقبل المركب المحملة بالكنوز من اي قطر جاءت وباي انواع من الكنوز حملت ، فجرد العلم له طابع عملي ، وكذلك الادب ، ولكن الثقافة شيء عام متجرد من المحلية والخصوصية . وزيادة على ذلك فالرجل المتقف يتذوق الثقافة بدون ان يلتفت الى قديمها او حديثها . وفوق ذلك فانه لا يقيم حاجزاً بين ثقافته وحياته تلو ثقافته . وهنا اقف لانفذ بكل ابصاري الى ثلاث فجاجم ، جمجمة امي ، وجمجمة متعلم ، وجمجمة مثقف فاذا سلطت الضوء على الاولى فاني اجد مساحة ضيقة مظلمة ، قلؤها اشباح ترزخ ونحيب ، وبين هذه الاشباح وتلك موزمزهمة ، وخيال حيوانية جائعة ، اما الجمجمة الثانية فساني اذ اسلط الضوء عليها ، الملح جهاز ميكانيكي يسجل صوراً مادية متشابهة ، مستمدة من صلة المتعلم بالايجام . صلة لا تتعدى الواقع الجاف اللعوس . اما اذا سلطت الاشعة على الذهن المثقف فاني الملح وشائج تجمع بينه وبين الذهن الفني . الملح اولاً ان الحاجز العظمي من الجمجمة يرق حتى يكاد ينمحي . اي ان هناك اندماجاً مع الحياة والاحياء . والملح ثانياً ان الصور الجافة التي في ذهن المتعلم ، قد غرثها الزمان متعددة كسما . يرح فيها قوس قزح على هواه . واذا بالحقائق المادية الجافة

وقد رأينا في حياة غاندي مثلاً آخر من هذا الروح . فانه عاش حياته وهو في تجارب دينية حملته على دراسة القرآن والانجيل والفيذا وغيرها . وكانت غاية غاندي هي نفسها غاية اكبر ، اي الوفاق بين الهندوسيين والمسلمين .

هل في مصر متقفوه ؟ !

بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

بمن
لي احياناً ان الناس في مصر من حيث القراءة ، يتسبون الى اربع طبقات : اميين . وانصاف اميين . ومتعلمين ومثقفين . واذا صرح القول ان الانسان « حيوان قاري » فان الاميين مع الاسف لا يتسبون الى ابناء آدم ، والذنب بالطبع ليس ذنبهم وانما ذنب الحكومات التي تتعاقب ويكون نحو الامية لديها مجوداً على هامش ما ينو . به برنامجها من المجهودات .

ويعجبني قول البكري :
لا تعجبوا للجهل ينشأ امه فتزده امه فقادح الامثال
الم الرعية كالغلاب لجلها الم الرئيس عبوة الاعمال
فلندع جانباً هؤلاء الذين قضى عليهم سوء الطالع ان يظنوا اميين . ولنتحدث عن لون آخر من الامية . ذلك اللون شائع جداً ، وهو على طبقتين : طبقة صاحب المهنة التي ما يكاد يحصل على اجازته بها حتى يتخذها وسيلة لكسب العيش ، فقلها يقرأ شيئاً بعد الحصول على اجازته يختص بهيته ، اما اخراج المهنة فستحيل ما دامت المهنة نفسها لا تحصل الا على قسط قليل جداً من الاستراة والتحصيل . ولنا من اصدقائنا صديق فيلسوف من عاقته ان يقول لك « فلان حكيم امي » او « فلان مهندس امي » يعني بذلك انه صاحب مهنة وحسب . اما اللون الثاني من الاميين فهو ذلك اللون الذي يصطبغ به كثيرون جداً لا يعرفون من العلم الا ما يحصلون عليه من المجلات والجرائد . وقد كان الجاحظ يصف هذا الطراز بانه « صحفي خطاف » يقصد بكلمة « صحفي » الخاء ذلك الذي يأخذ من الصحف ، ويقصد بكلمة خطاف انه يتخطف المعلومات من هنا وهناك . اتا لا اعيب على الناس قراءتهم للصحف والمجلات . وانما اعيب عليهم ان يكون كل بضاعتهم من المعرفة ، جريدة يصبحون عليها ومجلة يعمضون اعينهم على محتوياتها

فما توافقنا وسلمت اشرفت وجوه زعماء الحسن ان تتنمنا
ونسمع من ابن جبير الرحالة الشهير احاديث عن مجالس عام
في القرن الثاني عشر اشتركت فيها المرأة بحضوره .

على ان الحياة الثقافية ، وان استأثرت بجهود المرأة الاكبر
في عصور شتى فانها لم تحمل بينها وبين الاشتراك بالاعمال الاجتماعية
والعمومية فأسست المدارس ودور الصوفية والمستشفيات وما الى
ذلك من المنشآت العامة في امهات المدن العربية الكبرى كالقاهرة
ودمشق وبغداد والقدس . وساهمت بإدارتها احيانا بوقدكتكتفي
بمحور الافتتاح كما فعلت اخت صلاح الدين بالمدرسة التي انشأها
في دمشق . ولا بد لنا من ذكر أمر خاص ببلدنا هذه ، فان
السيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد هي التي جرت مياه نبع العمارة
الى بيروت ولا تزال بعض الاقنية والقناطر تعرف باسمها الى اليوم .
واذا لم نرجع الا الى النيسبي والحنبلي والمروزي لوجدنا العشرات
من هذه المنشآت تحمل اسماءهن وتبين اغراضهن ، فلا حاجة بي الى
ذكر الاسماء او التطويل الذي أخشى ان يتغل عليكم .

اما الطب والتدريس فان المصادر العربية تشير الى عدد من
الطبيبات والى اشتراك المرأة بفن التدريس في المستشفيات منذ
القرن العاشر .

ولا يخفى ان هذا الحديث القصير الى استعراض مشاركة
المراة في الحكم الفعلي والامارة العامة وانما اقتصر على بعض امثلة
تثبت ان المراة التي سبق وأشرت في بدء حديثي الى مساهمتها
في سياسة الدولة ما زالت تداوم هذه المساهمة . فهذه ست الملك
اخت الحاكم امر الله تدريشون الملك اربعم سنووات في القرن الحادي عشر .
وهذه فاطمة القتيبة ابنة علاء الدين من نساء القرن الثاني عشر
كانت تعاصر السلطان نور الدين وكانت مسؤولة في أمور الدولة .
ومن لا يعرف شجرة الدر من نساء القرن الثالث عشر التي
بلغت الذروة في الحكم فيضبط لها على المناير وصكت النقود باسمها .
اما السيدة جويان من نساء القرن الرابع عشر فلم يرضها ما كانت
تتمتع به من كلمة نافذة وتصرف بشؤون الدولة كما تشاء بل انها
تشدد المظاهر فتترك في حفل من النساء وتشدد السيف الى وسطها .
ولم تكتف السيدة دلشاد من نساء القرن الرابع عشر بما كانت
تتمتع به من نفوذ في العراق تصرف به الشؤون الادارية بل كان
لها في كل منطقة من مناطق الدولة نائب يثق بأمرها .

وهلكت السيدة تنذو مقاطعة في فارس والعراق واستقلت

قد اكتسبت ثياباً مختلفة غيرت من جفانها وخشونتها . ورققت من
صعب خلقها كما وصف ابو تمام الماء . والراح . ذلك ان المثقف رجل
لا يرى الدنيا بين واحد ، ولا من زاوية واحدة ، بل هو يرى بتقدير
العيون التي رأته له في الكتب الخالدة التي قرأها . ويتقدير الزوايا
التي نظر منها الخالدون الذين نقب في آثارهم الباقية . وقد تحسب
تلك العيون المتعددة والزوايا المختلفة مما يؤدي الى الارتباك والخلط ،
والواقع ان هذه العيون وهذه الزوايا انما رأت الرجل المثقف ما
فاتته ان يراه او جسده له ما رآه رؤية ضيقة فهو في الواقع يلعب
بواسطتها مختلف القيم الجالية المنبثة في العالم والتي يغفل عنها الاسمي
والمثقف ، ويراه الفنان او المثقف . فالمثقف حين تعترضه ازمة من
ازمات الحياة ، فيطرق واجماً وهو يفكر فيها عرض له ، وتتابع
في ذهنه صور ما قرأ وما مر عليه من الشخصيات في كتب المباشرة
كالتي رآها في قام واني الملا . ودكتور ديستوفسكي فكالمعارض
له صرورة ، او افضلة ، او حادثة مما مر عليه في قراءته ، عرضت له
شاحرة ما في الكون من جلال ، وما يستتر خلف كل صغير من
امر عظيم ، فينظر الى الازمات وقد خلت من الملابس الالذمية ،
فيشعر براحة كهوى ، تشابه الراحة التي يشعر بها الشاعر حين يتم
قصيدة رائعة بعد جهد شديد ، او الرسام بعد انقاص صورة خالدة .
ان الجلال الذي يطالعنا في هذه او تلك هو المرح الذي يبعثه الاعم
المطلق فوق قالب المثقف او الفنان .

ان المثقف لا يعترف من نهر المعرفة لان المعرفة جزء من الحياة بل
لان الثقافة الحلقة هي في قراءة الكتب الخالدة وادمان التأمل فيها ،
حتى يصبح القارئ « كاتباً خالفاً » ، اي انه يصبح كاتباً عظيماً ولو
لم يحظ حرفاً واحداً ، وهي ايضا في الاندماج بالاحياء . واستيعاب
كل التفاصيل التي تمر بالتأمل او النصف متعلم بغير ان يلقي بالاً
اليها ! وحسبك ان تقرأ كتاباً مثل والتر باتر ، او مارسيل بروسست
حتى تتبين لك هذه « الاحاطة » التي يتحيز بها المثقف ثقافة حقيقية
او المعبري الناقية . وليكن واضحاً ان المثقف او الفنان رجل
« ملتصق » اي انه يلتصق من دوائر الزمن الدائر ما يحبس في اطار
يعطيه اسماً ويرفقه فوق قاعدة ، حتى ينطبق عليه ما يسميه كتبتس
« حابس الهواء » اي الذي يلتصق من الهواء الدر التي لا يراها الا
هو فيقبض عليها بيديه فيجسبها .

واخيراً كما عندنا في مصر من المثقفين ٩٩

عمر جبرية « الدر » المصرية

في المملكة وكان من توابها الجزيرة واسط قديسي لها على المنابر وتضرب السكة باسمها .

هذه لحظة خاطفة من مساهمة المرأة في الحياة العربية العامة قصدت منها اعطاء فكرة شاملة عن التقليد الذي سارت عليه منذ تكوين الملك العربي وتقبل المجتمع العربي لكل ما لعبته من ادوار .

ولكن الدولة العربية في بغداد والملك العربي زالا في القرن الثالث عشر يوم داهم التتار بغداد فثلت الحركة الفكرية والحركة الاجتماعية وبالتالي حركة مساهمة المرأة في كليهما فان ما لا ريب فيه ان نهضتها كانت لا بد ان تساير نهضة الامة صعوداً وهبوطاً في كل ادوار تاريخها .

وصحيح ان الملك العربي انتقل بعد ذلك الى مصر والشام وظل حتى القرن السادس عشر فاستمرت مساهمة المرأة فيه كما رأينا ولكن هذه الحركة خمدت في القرنين السابع عشر والثامن عشر ولم تعد الى الظهور الا اثر حملة نابليون في اواخر القرن الثامن عشر واولائل التاسع عشر فكان في ذلك بدء النهضة الحديثة .

واستطيعكم ان أقف هنا قليلاً لاستعجلي بزوغ عهد جديد للبلاد العربية ونصيب المرأة منه ومساهمتها فيه ، اذ ان من المعلوم ان الدولة العثمانية كانت اتخذت في الضعف والاضلال حينما جرد نابليون حملته على الشرق فاكسح مصر وفلسطين وعاد متراجعا عن اسوار عكا ، ولكن حملته هذه رجعت الشرق بحة عنيفة ، وتركت اثرها عظيماً في التنبه واليقظة . وما لبث ان ظهر محمد علي الكبير في مصر وابنه ابراهيم وجردا حملتها على سائر البلاد العربية ، وكادا يدخلان الاستانة . فهزت هذه الحملة الدولة العثمانية هزة اخرى ، وحملت معها كالحملة السابقة آراء جديدة واساليب جديدة في الحكم والادارة ومعالجة الشؤون العامة فكان من ذلك ان تنبه السلطان عبد الحميد وأصدر لائحة الاصلاح الشهيرة سنة ١٨٣٩ التي نظمت بموجبها الدولة تنظيمياً ادارياً جديداً . واعلن فيها التساوي التام بين جميع عناصر الدولة . فكان من البديهي ان ينصيب المرأة نصيب قيم من هذه اليقظة فقد اخذت الدولة بفتح المدارس الابتدائية الرجعية وبيتها مدارس البنات في الولايات والمصرفيات والاضحية والمدريات . وكان محمد علي الكبير قد فطن اصلاحاته تأسيس مدارس للبنات في مصر . كما اخذت الامة العربية حوالي منتصف القرن التاسع عشر تبدي اهتماماً خاصاً بشئون الشرق الادنى . فتوات وفود الجاليات الاجنبية التبشيرية ، وتنافس في فتح المدارس على نطاق واسع ، واخذت الطوائف والجماعات العربية بعد ذلك تحذو

حذوها ، فبدأت الحياة الفكرية والنشاط الاجتماعي يديان من جديد في هذا الجزء من العالم ، وظهرت المجلات والجرائد فارقت المرأة من جديد صوت بدناً نسمعها هناك لامثال مريانا موش السورية في الادب ، ووردة اليازجي اللبنانية في الشعر ، وعائشة التيمورية المصرية في الشعر والاجتماع ، وزينب فواز العاملة في التأليف . فكان المجتمع العربي يستقبل هذه الاصوات بالتكبير والتهلل . ثم اخذت الجمعيات النسوية تتكون وانصرفت جهود المرأة في الربيع الاخير من القرن الماضي والسنوات الاولى من هذا القرن الى الاصلاح الاجتماعي ، فأسست المستشفيات والمستوصفات ومدارس البنات ودور الايتام ، وترعتهن ام المحسنين في مصر ، كما كانت إمامتين في بيروت السيدة اميلي سرسق . وقد سنتا لمن جاء بعدهما سنة مثلي في العمل الصالح .

وكان من الطبيعي ان تنصرف المرأة في هذا الوقت الى الادب وعمل المحرر دون السياسة نظراً لطبيعة الحكم المطلق الذي كان سائداً في ذلك العهد ، ولذا فإن بإمكاننا ان نسمي هذا الدور دور التنبه والاستعداد ، ولكننا لا ننسى ان الرجل والمجتمع العربي شجعا المرأة فيه اعظم تشجيع وتحمي بذلك قاسم امين الذي جاهر بأراء صريحة وتلقى بجرأة نادرة الى تحوير المرأة مما كان قد علق بها من آثار مصر الجرد والركود ، ودعاها الى استعادة حقوقها واسترجاع مقامها في الحياة العامة .

ثم وقعت الحروب الكبرى وحدثت تغييراً اساسياً في التشكيلات السياسية في هذا الجزء من العالم واتصل العرب بالغرب اتصالاً مباشراً واخذت الشعوب العربية تطالب باستقلالها تمشياً على مبادئ الديمقراطية وتقرير المصير ، فكان للمرأة نصيب كبير من المساهمة في الحركة الوطنية هذه . وانصرفت خلال فترة من الزمن في مصر وفلسطين وسوريا والعراق ولبنان الى الشؤون الوطنية ، فخرجت الى الشوارع وقادت المظاهرات فسجلت غبطة النضال الوطني في أروع مظاهرها . ولم تذكر عن حقوقها الخاصة شيئاً وبجملات المؤتمرات النسوية التي كانت تعقد في بلاد الغرب مطالبة بحقوق المرأة وانغمست مع الرجل في ميدان السعي لتحطيم قيود لا تكبلها وحدها بل تحمل الامة بأسرها ، ولم يكن يوسمها وهي ترى بلادها أشعث سياسياً واقتصادياً الا ان تولي وجهها شطر هذه الناحية الوطنية قبل غيرها . على انها اخذت في الوقت ذاته تقبل على العلم اقبالاً متقطع النظير ، فازدحمت مدارس البنات بالطلالب ولم تتوان جامعة من الجامعات في مصر وبغداد ودمشق وبيروت عن فتح ابوابها لمن فوجئها بالثبات

مؤهلاته وكفاياته ومقدرته .

فالديمقراطية مثلاً لا تدعو جميع الناس الى دفع ضرائب متساوية بل تدعوهم الى ان يدفع كل فرد حوزته الدولة حسب مقدرته . كما انها لا تضمن في الواقع لجميع الموظفين تعالماً جامعياً بنض النظر عن امكانياتهم ، فان هذا امر يستحيل تحقيقه ، ولكنها تفتح ابواب الجامعات امام الجميع على السواء فيدخلها كل ذي اهلية رجالاً كان او امرأة غنياً او فقيراً .

وعلى هذا المبدأ فاننا اذا طالبنا بان تشترك المرأة بالحقوق السياسية فليس معنى هذا انصراف النساء جميعاً الى السياسيات وترك الشؤون الاخرى . كما ان حقوق الرجل السياسية ليس معناها بالضرورة ان يهمل كل رجل عمله او مهنته او تجارته وينصرف الى السياسة . بل معناه ان المجتمع يمنح كل ذي كفاءة من رجال ونساء حق النيابة عن بقية الامة تمثيلاً على قاعدة انصراف كل فرد الى ما تؤمله له مزايده وامكانياته .

واخيراً فان المرأة العربية التي خيط لها التاريخ ميراثاً ثميناً من الثقافة والتقليد والتربية الروحية الرفيعة تستطيع اليوم ان تقتبس من القرب الشيء الكثير من وسائل المدنية ، واصول التنظيم ، وطرق البحث الاقتصادي العلمي الناشئين عن تقدم العلوم في القرب . واحسب حقاً مثلاً ان ادعاء ان المرأة العربية - وهي تعيش الآن في عالم صارت فيه تسيطر عليه المادة وتدفعه القووة كسلته المطاعة هي النار والحديد - هي الاخرى تستطيع ان تأخذ من الثقافة الشرقية المتمثلة بالاخص بالفلسفة والتصرف ، والادب المشالي ، والمبادئ الدينية السامية التي انبعثت من هذا الشرق والتي تضم القيم الروحية في المقام الاسمى .

ونرجو ان يكون في مثل هذه المبادلات الثقافية وفي مثل هذه المؤتمرات والاجتماعات وما سهلتها المدنية الحديثة من وسائل النقل ، وتيسير سبل العلم ، ونشر الثقافة ما يساعد على التآخي بين الشعوب والاحترام المتبادل وتقهم وجهات نظر الآخرين بحيث يدرك الجميع ان نقاط التشابه بين الامة اكثر من نقاط الاختلاف . ترى هل توقف المرأة اذا اجتمعت الصفوة المختارة من نساء الشرق والغرب كما زاعها الآن لاكثر مما وفق الرجل ففضل بنا الى غاية تقرب بين الامة ، وتلطف من حدة المادة ، والقوة ، والطغيان ، وتضع حداً لسياسة التفوق العنصري وسياسة الجشع والاستئثار والاستبعاد ؟؟ اننا لذلك منتظرون وبه آمالون ؟

عبد الله سلام الحاردي

بل بالاول فاصبح بيننا الطبيبات والمحاميات والمهندسات والصحفيات والاستاذات وغيرهن من خويجات الجامعات ، فقتشبت الجهود الاجتماعية وتضاعفت الحميات النسوية في كل البلاد العربية وتعددت اهدافها وتباينت مراميها . وهذا اذا دل على شيء . فاننا بدّل على مدى الطويلة الفعالة وعلى الخطوات القوية التي تسرع بها دائماً الى الامام .

ولن اذكر من المعاصرات اهداً وفيهن العدد العديد من اللواتي يعتر المجتمع اليوم بمساهمتن فيه فان هذا ليس من شأني الآن بل هو من شأن التاريخ ، واذا اعزني الدليل فاني اكتفي بذكر المرحومة هدى هاشم شعراوي التي حملت مشعل النهضة النسائية الحديثة في جميع ميادينها فقادت الحركة الوطنية كما قادت الحركة السياسية ، وترعّت الميدان الاجتماعي رعاها ليبدان البر والاحسان .

وبعد ، فان المرأة العربية التي ساهمت كل هذه المساهمة في بناء هذا المجتمع . هذه المرأة التي تحمل هذا السجل الضخم من الاشتراك في جميع نواحي النشاط قد اثبتت اثباتاً قاطعاً بأنه ليس هناك في اصول الشريعة او التقاليد او السوابق الا ما يدعم الحجة ويقم البرهان على عدم وجود اي عائق يقي مشاركتها للرجل في جميع وجهات الحياة في السياسة والحكم والارادة وفي المهن والجامعات والحياة الحرة . ولئن كان هناك بعض المستعصمين على سياسة المرأة بهذا المقدار ، او كانت هناك بعض الاوضاع الخاصة الناشئة من الجرد الذي استولى على الشرق من بقايا عصور الكبر ، او استغل بعض ذوي السلطة الذين يسيطرون الآن على التشريع فسائي لا احسب ان هناك من يستطيع ان ينكر عليهم حقوقهم الكاملة وكفائتها في جميع الميادين السياسية والثقافية والاجتماعية .

نحن لا ننكر ان المرأة العربية تسالج الآن مشاكل كهى تحتاج الى جهود انشائية مستمرة في تعمم التعليم - في القرى خاصة - وفي رفع مستوى معيشة طبقة العمال ، ومخاربة الامراض المزمنة ، والحد من وفيات الاطفال ، وما الى ذلك ؟ ولكننا نعتقد بان هذا ينبغي ان لا يكون حائلاً دون تمتع المرأة بكامل حقوقها السياسية سواء اكان ذلك في الادارة العامة والحكم ام في الانتخاب للمجالس الوطنية المحلية منها والنيابية .

واذا كانت الديمقراطية تساوي بين الموظفين رجالاً ونساء في الحقوق والواجبات ، فان الناس يختلفون في قواهم وقابلياتهم وامكانياتهم ولذا فان المساواة المطلقة لا وجود لها في الواقع . وانما ترمي الديمقراطية كما تفهمها ارقى الشعوب اليوم الى تساوي المواطنين في القرض التي تمنحهم اياها قوانين المجتمع كلاً بحسب

الايمان بالانسان



وضئ

لنا أهداف التطور ووجهته ، وهو المتواصل - في امتداد أصيل وتفرع حلزوني مشدود وشمول كلي عميق - في المادة التي تبخرت إثر تجزئتها الذرية لتضحي بمجموعة طاقات لا أكثر، من هذه المادة التي تظهر وكأنها تنبض بالحياة*.. الى الكائن الحي ومنه كائننا البشري الذي تعقدت فيه هذه الطاقات على ذاتها وتحولت وترقت الى مصاف الوعي والحرية المتزايدين والمتحققين في العلم وفي الحضارة وفي قيم الحق والسجبة والجمال؛ المادة انما تلو وتشف وتشتع من خلال الفيزياء النسبية حتي تبلغ صفو الفكر وقيس الروحانية ، أو كأن الحياة والروح تتلبذ وتمشي وتظلم وتجنرد تدريجياً فتدرك حركة المادة ، وفي هذا الاختبار الصيبي تتلاقى تأملات بوانكاره واينشتين مع حس الصوفي المقترب من الهيكل الحرام ببضيرة الضمير وباعتناق الروح..

من خلال وحدة الوجود هذه التي توشك ان تصبح عما قريب حقيقة علمية وضعية تفتتح كالسكة المطلة وتفرج أمامنا طريق اخلاص كأنها شطحة من شطحات وونيزوك والبساطامي والحلاج أو وماكريشنا : هذا السبيل مصدره منا ، ومعينه فينا ومرده الينا ..

كان فيكندا يقول : يستحيل على المرء ان يؤمن بما وراء الطبيعة من قوى اذا لم يتوفر له قبل كل شيء شعوره وإيمانه بذاته .

وان ما يعوزنا في الواقع ، عزو الضمير للنور والمثلّم للضمير والمظلوم للغوث وللجان ، هو الايمان بأنفسنا وبذاتنا : الايمان بالانسان .

ولكننا في هذا الشرق ربما اعوزنا ايضاً أكثر من غيرنا ، ان نتصب على أرجلنا وأن نمشي بدون عكاز وان نتقبل شمس الحياة .. وفي هذه السبيل لنؤمن بالعنف وبالقوة المادية الفردية والجاهلية على السواء حين لا يكون محيد عنها للتصرف بالقوة المعنوية المنبثقة من ايمان الانسان بذاته ..

بشيء من هذا الايمان - نبضة سطحية ، بتجسس جزئي - نبضت اوربا وتحدثت أسرار الطليعة وألقت علها شباكاً من منطقية الفكر حبستها بنهضة لم يعرف مثلها التاريخ المعروف..

فاذا ما انتشرت اليوم وتوضحت ، هذه العقيدة الراسخة وهذه الثقة بالانسان على أساس الاختبار العلمي الماضي المتراكم وعلى ضوء علم الانسان ، هذا العلم الجديد الذي لم يظفر ولم يتقدم في الواقع الا منذ زمن قصير ، واذا ما تسرب هذا الايمان الى ذهنية الجماهير التي تنزع بفعل التطور للتجسعات البشرية الخطيرة على ما اشرنا .. فأية حضارة ستنبعث واي انسان جديد سينشأ في اثرها .. حضارة وانسان ؛ لعلمها اكبر من حلم .

كمال جنبوط

لألوان الآلام السلبية . فالإنسان لما يتخيل فقط انه لعبة في ايدي
الاقدار وانه سلمي مدفوع في شهوراته بقوى تستولي عليه من نفسه
فلا يستطيع ان يلازم بينه وبينها ، لان الآمة تفصل بينهما .
ومها يكن ففي فلسفة كل من شوبنهاور ونيشه كلن يرضى
به في سبل الشقاء والالم . وهذا الكائن عند احدهما هو الفرد ،
وعند الآخر هو الرجل العادي الذي يملك قوة تسمح له بتأكيد
ذاته باعتباره فرداً . ويلتمس شوبنهاور العلاج للحالة الانسانية
فيادون الفردية ، ويلتمس نيشه فيا فوق الفردية ، في الفصل
الارادي الذي هو وحده الواقع الحقيقي . وهذا العلاج يظهر في
« الانسان الاعلى » .

فوجود نيته اساسها اذا الاستبعاد المطلق لاي كائن يسبق
وجوده الافعال ، وفي هذا هدم لنظرية الموضوع . فليس الانسان
موضوعاً لافعاله ، كما ان فعله لا يزين طبيعته الشخصية ، وليس
وجوده الافعله ، اذ لا يجمع صفات يغني بها بل يتحول ويختلف
بتحول افعاله واختلافها .

فالتلي . الوحيد الجدير
بالاعتبار هو القوة التي تعلن عن
نفسها في كل فعل ، او
التأكيد الذي تشتتل عليه

هذه القوة . ومن ثم لا تقاس الافعال بنتائجها
ربحاً كانت او خسارة ، فأخفاق نابليون
غير بكثير من نجاح اعمال رجل عادي
فالأخفاق والنجاح لا تقدرهما مباشرة قيمة العمل ، بل ارادة
العظمة ، على الا تكون هذه العظمة تنزيهاً لامر يستر وراء ارادة
مستوحية في المجد ، فذلك اقتر مظاهر القورر .

فلنجد العجب بأنفسنا . فالحركة العالية تسلب اللحظة
الحاضرة كل واقعية . فالاعجاب ليس من كياننا الحالي ، ولما هو
ماض ميت متجدد مدفون . والقيمة الحقيقية هي في ما يؤلف الحياة
اثنا . حركتها ، في ما يرفع قيمتها ، وذلك هو الفعل الارادي .
وكل تنكير في الذات خطأ . ينبغي الا نلتفت الى الوراء
والا نقدنا معنى الحياة والفلسفة التي تعكس الذات وتقيم الماهيات
الدائقة والجواهر والطباع مقضي عليها . لذلك نستطيع نفهم المعنى
العميق لمذهب « قلب القيم » ولمذهب « الموجد » . فليس مذهب
نيشه الحلقي رفضاً للحسد الدني . الذي يضره الضغاء للاقوياء
قط ، والا فقد هذا المذهب معناه الميتافيزيكي واقتصر على

ان فلسفة نيته ناشئة عن فلسفة شوبنهاور التي
تجعل من الارادة قوام العالم . ولكن بينا ينتهي
شوبنهاور الى التشاؤم نرى نيته ينتهي الى مذهب قوة وتأکید
للذات . فالارادة عند شوبنهاور قوة عيا . لتقرير الذات تبث في
الافراد رغبة في الحياة عيا . وعجافية للمقل . وتظهر هذه الرغبة
في الشهوة والاماني التي تتلاق الكائنات وتثير بينها عداوة مييدة ،
باعتبار المحافظة على النفس والنوع . وهذا خداع الارادة القائد
الى الم . وليس هناك مخرج غير الفأنها بالزهد . وفي ذلك ترفع
عن الفردية ووصول الى ادراك الواقع غير التجزي . الذي يؤلف
العالم والذي فيه يغني الانسان .

من هنا يبدأ نيته ويطلق على « الارادة » اسم « ارادة
القوة » La Volonté de Puissance . والوجود عنده ليس خضوعاً
سلبياً للحياة ولا استمتاعاً بها ولا تقبلاً لها . وانما هو ارادة الوجود او
تأكيد الذات . ومن هنا الاختلاف بين الاثنين . فالارادة عند

شوبنهاور ماهية القوة ، ومادة
محركة دافعة . اما عند
نيشه فهي فعل حر ، هي
ارادة حازمة ، هي فعل
خالص ، وهي شبيهة بالحركة
الخالصة . فالحركة تحمل على متحرك
يتنقل ، كل من قبل ساكناً ، فهي رهينة
بالتحرك ، واذا كان المتحرك ساكناً في البد .

فالحركة تنشأ من السكون ، وهذا ما يميز مفارقات « زينون »
في انكار الحركة . لذلك وجب وضع حركة بدون دافع تنفي
كل سكون ، هي الحركة الخالصة . كذلك ما يتعلق بالفعل
الخالص من حيث تطليعه على الفعل الارادي . فنحن نبحت وراء
كل فعل عن فاعل استعمل ارادته ، فيصعب ان نفهم الظهور
المفاجئ . لـ « كن » (Le Fiat) الذي هو قوام الحركة الفعالة .
وهكذا يواد إيجاد حركة من السكون واحداث فعل بالابتداء
من ماهية سابقة ، الارادة احدى صفاته وتلقه بطريقة سلبية
ولكن نيته يتجنب هذا الحال بافتراض ارادة قائمة وفاعلة باستمرار
فيوحد بذلك بين الفاعل والفعل الارادي ، بمعنى ان الفاعل يوجد
وينشئ . نفسه عن طريق هذا الفعل .

وهكذا يهدم نيته اساس مذهب شوبنهاور في التشاؤم
وينفي وجود فرد متحرك تحركه الارادة ويجضع تحت دفعها

المظاهر الخارجية التي يرمز اليها .

تعتمد على الفعل الارادي وانها رهيبة به ، وان الانسان خالق ما في نفسه من شرية . ولو انه اتبع هذا الطريق لانتهى الى الاعتراف ببعض القيم الخلقية التي انكرها . خطأ نيتشه اعتقاده ان الفعل الارادي لا يكون قوياً الا اذا اتجه اتجاهاً تقتضيه الحياة البيولوجية . وقد كان محقاً حين قرر ان قسمة هذا العقل لا تقاس بالنتيجة التي يظفر بها صاحبه ، ولكنه لم يواصل جهده حين رغب في تكييف الارادة باعتبارها عملاً داخلياً ، لانه استمر يقيسها بعنصر خارجي وهو الميل الطبيعي للحياة البيولوجية . فليست الحياة هي التي يجب ان تحدّد للارادة اتجاه مراكز تطبيقاتها ، وانما يجب على الارادة ان تحدّد معنى الحياة وتبين اتجاهها . فالتناكس الذي يتجه عكس التيار الطبيعي للنوازع الفيزيولوجية يوجه حياته اتجاهاً خاصاً ولكنه ليس الاتجاه المستفاد من المعنى البيولوجي المحدود للحياة ، بل الاتجاه البعيد المدى على اساس من الحياة الانسانية اكثر سعة ، وقوة فله الارادي يمكن ان تكون عظيمة .

وموقف نيتشه يرجع الى مبدأ تفكيره في مذهب شوبنهاور الذي يرى الارادة التي تبدر في مختلف الكائنات قوة اساسية في الكون تشكل بارادة الحياة . والانسان مخدوع بهذه القوة العظيمة التي تدفعه الى المحافظة على الحياة واذاقتها . ولكن نيتشه يرى ان « الانسان الاعلى » يعرف ان يقر في نفسه ارادة الحياة فيحذف هذه الارادة لجبايه ويستطيع للحياة . ولكن الفعل الارادي لا يمكن ممارسته الا في سبيل ارادة الحياة . ولذلك لا ترفض ارادة الحياة ، ورفضها عند نيتشه رجل ضعيف عاجز عن مواجهة الحياة لا تآثر قوي يوجد لنفسه حياة اخرى وشخصية قوية ، فيقاوم . سا في الاتجاهات الحيوية العنصرية من دفع . الى هذا يلجأ لمكر الضعفاء ، فقد سموا قوة هذه المقاومة الروحية التي ليست الا وهماً باطلاً . فالعزلة لا تخفي تحت ستارها الا جبناً ، ولا سيما اذا اقتصرت على مواقف روحية . ولكن ينبغي الا نخطأ بينها وبين النضال الفكري الحقيقي الذي تنكشف نتائجه في الحياة كلها ، والذي يؤثر في جميع الران السلوك بل في اشدها اصطفاً بالملادية . وعدم الاكتراث بالعالم والتسلل من مشكلات الحياة الواقعية يستحقان اللوم . والرفض في هذه المواقف رفض متعثر يختلف كل الاختلاف عن الرفض الابحائي الذي تواجه به احياناً مقتضيات الحياة الطبيعية .

هذه هي المبادئ الجوهرية للمعيرة لمذهب نيتشه بما تشتمل

ورسالة نيتشه لا تقل عن الرسالة المسيحية التي تريد هدمها والقيام مقامها . فالانسان الاعلى هو القديس . والانحدار الى الانسانية البسيطة بالآثر والعجب والانصراف الى النفس اي الى الخيال الميت والتحول عن الانتدفاع الحري ، هذا الانحدار شبيه بزلّة آدم . فالانسان مجرم بمجد من موج الحياة ويسمى لوقفه بسلطاً يدأ آتة الى القيمة الرفيعة الكامنة في افعاله الارادية . هو هارب من الحياة بينما الانسان الاعلى مؤمن وفي في مواجهة واجب الحياة المحتم ، يلتزم دون حساب او تدبير ، وذلك لجرد حب الحياة ، فلا يخضع للتنازل او التشاؤم ولا يتوقع شيئاً نتيجة لاعماله ، ولا يذعن لغير ارادة حياة كاملة . وبهذا الاختيار يصير المصدر لكل القيم . وبذلك ينبغي كل سلطة خارجية . واخيراً لا يخضع للتردد المتبدل بين الخير والشر ، بين الالذّة والالم . فلا تعارض بين الالذّة والالم في حالاتها القصوى وانما يتهيان الى شعور حيوي عنيف يستعمل كضخم للحياة ، وعدم امكان الملازمة بينهما ، لا يبدو الا حين يظهران بالظهور العادي .

الا يكشف هذا المذهب عن وجودية خالصة ، وذلك حين يدرج تحت اسم الحياة لونا من الران الطبيعية لا يختلف عن الماهيات الكلاسيكية الا في قوة انتدفاعه المطلقة . فالجاء عند نيتشه هي الحياة البيولوجية . وهذه الفكرة البيولوجية فكرة شاملة - (سينوزا) - تلازم كثرة من الكائنات . ولكن هل يخلص « الانسان الاعلى » الذي يقبل الحياة لقيم يخلص لها انسان اعلى آخر ؟ .. اذاً ألا يكون مذهب نيتشه الخلقي عاجزاً عن تبيان مميزات الفعل الارادي الخاصة ؟ واذا كان ذلك كذلك افلانتهي الى مذهب خلقي عام يخضع لما وجهه « كيركجارد » Kierkegaard من نقد للابطال وأمثالهم ؟

وهكذا نعرف نيتشه عن الوجودية هرباً من الضعف ومن مذهب شوبنهاور . فقد ظهر ان الامراض والهيات تسمى الموجدة على الاصحاء . ومهما يكن من امر الموجدة فان الشيء الذي لم ينته اليه نيتشه هو أنه كثيراً ما تقوم في المريض ارادة قوية في طلب الحياة بحيث تقول ان الحياة التي يحتفظ بها هذا المريض انما هي وليدة ارادته . ويمكننا ان نعتبر هذه الحالة تطبيقاً لمذهب نيتشه الذي اهملها مندفعاً في ميله الى القوة الجسمية واللحم والدم ، معتبراً الفعل الارادي انفجار حياة بلغت من الشدة والعذب مبلغاً قصياً ، بينما كان يجدر به لو بقي أميناً للوجودية ان يتبين ان الحياة

عليه من قيمة ومن مأخذ . والآن اذا استعرضنا النظريات الهامة التي شملت فلسفة نيته استطلعنا ان تربطها في يسر بالاصول الاساسية وان ندرك معناها الدقيق .

اتسمت المذاهب الفلسفية في القرن التاسع عشر ميلها الى التاريخ والى الاعتبارات المتصلة بالتطور . فالزمن عند هيجل وسيلة يتجلى الفكر بها ، وينشئ ، بفضلها نفسه في مظاهرها المتوالية . اما نيته فن جراء تفكيره بالفعل الارادي وعلى أثر الاتجاه البيولوجي الذي اتخذته هذا التفكير ، فقد انكر بشدة فكرة النضج المتصل للكائن الانساني خلال العصور التاريخية . يقول في « نظرات غير عصرية » : « من الجائز ان يعيش الكائن بدون ذكرى تقريباً ، بل ان يعيش سعيداً ، والحیوان دليل واضح على ذلك . ولكن يستحيل عليه اطلاقاً ان يعيش بدون نسيان . ولا وضح فكري في شكل اقرب الى السهولة اقول ان هناك حداً من الارق والتذكر والحاسة التاريخية يلحق بالکائن الحي ويؤدي به الى الهلاك سواء اُكُن الامر متعلقاً بانسان ام يشب ام بشاقة » .

والمسؤول عن هذا الاخطا هو الفكر . فالفكر نصيب الضعفاء ، يجعلهم ابرع من غيرهم ويسمح لهم بتجاوز الاقوياء . يقول في « اصيل الاصنام » : « اعني الفكر التدير والصبر والمكر والمداورة والسيطرة الكبيرة على الذات ، وكل ما هو محاكاة وتقليد » .

يتضح لنا من ذلك اوجه الاتصال بين الفكر والزمن ، فالتدبير والصبر والوان والترتيب لا تأتي دون مدة زمنية . ذلك لان الضيف الذي لا يشعر بالثقة بنفسه يحتاج الى اتخاذ الاحتياطات والحيل والمكايد بغيره . وتفكير الضيف هو ان الزمن سيضي القوي الذي يستعمل قواه في غير حذر ، على حين يستخدم هو الزمن لاقامة سور يقاومه به . اذا فالزمن يستخدم في تحقيق السلطات « الزمنية » وفي جمع الاموال . وبالمثل يعتمد الضيف في هذا الصراع . ولكنه اذا اعتزل لا يمكن تصور وجوده حتى في نظره هو . اما الانسان الاعلى « فيرتفع عن هذه الفئنة ، فليس نضال ارادته موجهاً طمعاً في غشية ، وخطاً « داروين » هو في تأسيس نظريته على « الكفاح من اجل الحياة » . نفتر في « اصيل الاصنام » يجيل الي ان قضية « الكفاح من اجل الحياة » تبدو في الوقت الحاضر منقوضة اكثر منها مثبتة . هذا الكفاح نصادفه على انه حالة استثنائية . . فالواقع ان الحياة لا تلوح في مجموعها بظهور عز وجاعة ، وانما تلوح في مظهر ثراء . وفيض بل في مظهر اسراف وتبذير . وحيث يقع النزاع في سبيل السلطة يبنني الاخطا بين

« ملثوس » وبين الطبيعة . « وينكر نيته باشتزاز التفاضل » الانجلوسكسوني « الساذج الذي يعتقد ان التطور يحتفظ عن طريق الانتقال باكثر الاجناس البشرية والافراد تسليحاً للحياة . فالتطور والتاريخ ، وموضوعها السوق ، يحتفظان بما يؤلف هذه السوق ، هذا القطيع الضخم من الضعفاء . ونظرية داروين تعتبر في الواقع تنقيراً ، فليس التاريخ الا مراحل الخطا ، هي اسرائيل والمسيحية والاشتراكية . يقول في « ارادة القوة » : « اشد ما يلتفتي حين التقي نظري الى مال الرجال هو ان لدى فيه دائماً عكس ما يراه داروين واتباعه او ما يريدون ان يروه ، حين يقولون بتخبر الاقوي وخير منتجات النوع وبتطور هذا النوع . وما نلسه عن طريق التجربة نقض ذلك تماماً ، هو انزواء النجاح وعدم الحاجة الى الناذج العليا المتأزاة وتسلط الناذج المتوسطة بل الاقل من المتوسطة تسلطاً لا مفر منه » .

وهذا الموقف اللا تاريخي توضحه هذه الفقرة من كتاب « نظرات غير عصرية » . « اللا تاريخية شبيهة بطبقة الهواء المحيطة التي فيها وحدها تتولد الحياة » ولا ريب ان الانسان ليس غريباً عن التاريخ فان له تاريخه الخاص ، ولكنه تاريخ عليه ان يصنعه هو . وفي المؤلف نفسه : « حتى ان الانسان لا يصبح انساناً الا بقوته على ان يستعمل الماضي ليعمل منه حياة » وعلى ان يستخرج من الماضي ما يعمل به التاريخ من جديد ، ولكن اذا اسرف الانسان في التاريخ حرم الوجود والكيان . ليس ما يرفض نيته اذاً . الا التاريخ الذي يدعي انتاج الانسان وانشاء القيم الانسانية . ولكنه يحتفظ بالتاريخ على انه الملكية التي تكون للاعمال اللازمة ، وبها تستمد ماضياً بأكمله تتولاه هذه الاعمال فتبعته من جديد وقد تحول وزاد ثراؤه . فحياتنا لا تمتد في التاريخ ولا تحط أثرها الفردي في تاريخ عام ، ولكنها توجد التاريخ بتقرير نفسها في كل لحظة عن طريق استئناف كامل خارج الزمن والقدر الذي ترضي فيه ان توافق على الماضي فانها تختاره وتكون حرة في اختيارها . حياتنا اذا ليست مرتبطة بالتاريخ على الاطلاق « فالتاريخ في خدمة الحياة بالقدر الذي يكون فيه في خدمة سلطة لا تاريخية » (نظرات غير عصرية) وهذه السلطة هي الارادة في فعلها الخاص . وكما رفض نيته واقعية جوهر سابق الوجود يكون موضوعاً لاعتاننا ، كذلك رفض واقعية التاريخ فيما اذا اعتبر الاساس العام لرغباتنا وحاجاتنا ونياتنا . يبنني ان يخضع التاريخ للفعل الذي لولاه لهُوى في النسيان . ولكل تاريخه ان اراد ، ولكن يجوز ان يريده بادارة ضعيفة ، يريده ليعتمد عليه فيخضع له بمجرد انه

اوجده . والانسان يبني ان يريد هذا التاريخ براءة قوة ليجعل منه أداة يستخدمها سلطانه .

ونظرة « الرحمة الابدية » تبين ان التاريخ ليس تقدماً وتطوراً وسياً الى مثل اعلى علينا ادراكه . او غرضاً للوجود علينا تحقيقه . بل هو بالنسبة للانسان الاعلى مجموعة متوالية غير خاضعة للعقل والمنطق ومكونة من المفاجآت التي تسقط على العالم في الزمن القائم كأنها الصواعق وتترك اثراً فيه . وليس الاستمرار جديراً بالاعتبار ، وليس ثمة مانع للصواعق يستطيع ان يوجه السهم في اتجاه معين ديم من قبل . وعبثاً يحاول المتبصرون ان يجمعوا الاحداث التي يخال تبصرهم في ادراكها ، فيودحوا اتجاهها في زمن مستمر غير متقطع اذا اختلف نسقها لاختلاف لطيف . وعبثاً يحاولون ان يفتخروا انفسهم بان لاستحداثات مطلقة ، وانهم باستمرار تزل . مطشون في عالم واحد اعدته لهم منذ الآن نائية الهية من اجل تحقيق رفاههم على اكل الوجود . وبأي « السادة بالطبع » فيدخلون الاضطراب على كل شيء . ويتعنون الضعفاء من مواصلة حلهم في الحياة التافهة . ونقرأ في « انساب الاخلاق » ذلك الذي جعلت منه الطبيعة سيداً ، ذلك الذي يظهر قوياً في اعماله وآثاره ، ماذا تهمة المعاهدات ؟ لا يمكن ان تدخل مثل تلك العناصر في الحسبان ولا يمكن توقعها ، فهي تصل مثل الاقدار دون سبب ودون علة ، دون مراعاة ودون حجة ، هي لم في سرعة البصر .

على ان القوي السيد ، الذي حين يقارن بقطيع الضعفاء يختلف عنه كل الاختلاف الى حد انه لا يمكن ان يكون منه حتى موطن بغض ، هذا القوي لا يخالو الى نفسه مع ذلك في عزلة مطلقة . حتى انه رجل العزلة وانه يقيم « حيث تهرب ربيع صرصراتية » (زرادشت) يجب ان نعرف كيف نخلو الى انفسنا « والانسان الاعلى » يخلو العزلة . وفي هذا شيء . من روح « بلسكال » ولا سيما في الملاحظة هذه : « اتضح لي شيئاً شيئاً ما في تكويننا وتربيتنا من نقص عام . فقد تبين ان كيفية احتمال العزلة لا يتعلمها احد ولا يبحث عنها احد » (فبر) . والعزلة هي القفر المروع الذي تقرر فيه جميع الافعال . لانه مهما استشرنا من اخصائين ومهما افحصنا من امثلة وسابقات ، فانه يأتي وقت نبتي فيه معتزين دون ان نجد سبيلاً حتى الى مناجاة انفسنا . اننا نكون عندئذ في حالة توتر عام لنقول نعم اولاً . وأملنا بالنجاح وثقتنا بان اختيارنا سديد لا يمكن ان يحتفظ بأية قية في هذه اللحظة الدقيقة ، لانا بذلك نقامر عليها ونقامر فيها . لينا نستطيع ان نعصد على شيء او

على أحد ، ففي العزلة تنكشف مواقف التردد : « فهناك مواقف تردد قاسية مريرة ، وقليل من تلك الشجاعة والقوة الحلقية ما يسمح له بمواجهتها ، فقد تكون ركباً من ركب سفينة وتكتشف ان ربان السفينة والوثني يخطئان خطأ . خطيرة وانك متوق عليها في فن الملاحة فتسائل نفسك حينئذ : لم لا تتبر الكركب عليها فتلقي بهما في اعماق السجين ؟ الا يلزمك تدورك بذلك ؟ ولكن ليس من حقها من ناحيتها ان يسجنك لانك تقصد ما لها من طاعة ؟ هذا رمز لمواقف اخرى ارفع شأنها واشد قسوة يرد فيها دائماً السؤال نفسه آخر الامر وهو : حين تعرض مثل تلك الحالات باذا يمتصنا توقنا ثقة بأنفسنا ؟ » (فبر) . فوجه التردد هو بين الخضوع للقوانين المقررة والخضوع لقانون التفوق . ولكن اذا شعرت بالتفوق بل اجترأت عليه تعذر غيوك وتصبح خارج المركز العام ، خارج القواعد الحلقية ، « الاخلاق غريزة القطيع بادية في الفرد » (الرمان الرح) .

بقي اذاً ان نعرف كيف نخلو هذه العزلة وكيف نخوض غمار أسرها في سبيل غاية او لادراك نجاح ، بل مجرد امتحان القوة . وكل من يعرف العزلة يزدد ، وقليل من يعرف كيف يواجه مثل هذا الموقف . ولكن من يقفون على ذلك يخلون ما « الخطأ او الرأفة » (انساب الاخلاق) « وقوام علمهم ان ينشئوا اشكالا مدفوعين في ذلك بغيرتهم وان يتكسروا آثاراً عميقة . . بسود فيهم هذه الآثرة الزهية ، اثره الفنان ذي النظر الشديد القسوة » (انساب الاخلاق) ، وهم أثرون ، وأثرتهم ليس مصدرها انعطافهم على انفسهم وتجديد لذاتهم ، بل أثرتهم قوة تجهل غيرها من القوى الا حين يقتضي الامر هدمها ، وغزلتهم تجعل منهم كائنات مطلقة وآلة لا تنزل عن عزلتها ، ولكنها تحدث في العالم مجرد حضورها الفعال تعديلات عميقة الاثر ولا سيما في الضعفاء . فالحضور المستبكر المزدي من « الانسان الاعلى » حضوره الغائب سيزرع القطيع من سعاده البليدة اذ يوجد فيه ضمير السوء . نعم يا صاحبي انت ضمير السوء . في نظر اقربائك لانهم ليسوا خليقين بك » (زرادشت) .

حينئذ يقوم « الانسان الاعلى » بدور مماثل لدور الرقابة عند « فرويد » (Freud) فيكبح في الضيف كل حركة من شأنها بسط الذات ولا سيما غريزة الحرية . « لا بنيت فيهم (الاقوياء) . ضمير السوء . ولكن لولاهم لما ظهر هذا الذات الشيع ولا وجد ، فانه بسبب طغيان طبيعتهم الفنية وعلى اثر ضربات مطاردتهم اختفت من العالم كيانات هائلة من الحرية او على الاقل اختفت عن

نفسه ، لانه لا يجد في نفسه اية صورة من صور الاله حتى يطمئن لها ويرضى عنها . وهذا الاحاد هو الذي « تنفس مرتاحين في جوه » نحن اصحاب الانكار الوحيدة لهذا العصر » ، ثم يضيف : « ان الكارثة التي يجتهدنا ضغط قوي على غريزة الصدق لاكثر من التي عام بما دفع هذه الغريزة في النهاية الى ان نحرم على نفسها كذب الايمان بالاله » . (انساب الاخلاق) .

وسواء بحث الانسان عن مثل اعلى خيالي ، ام استكشف فجأة بطلان هذا المثل الاعلى وهمه ، فانه يبين عن رغبة اكيده في معرفة الحق . على اننا نشهد خلال القرون آثار هذه الرغبة وكأنها ربح تصف بكل شيء ، فتهدم العالم السقيف الالهة الزائفة التي اوجدها الانسان ليؤمن نفسه ان في كنفها السند والهدى . « مات الاله » ، بهذا يتبأ « زرادشت » . وللرغبة في الحق ايضاً زهدا ومثلا الاعلى في الظهور . وهي تنتهي الى عالم اجوف يصبح ميداناً للقوياء ، لان الرغبة في الحق لا تنتهي الى امر يستكشف اولى شي . يكون موضع حب او تأمل ، او إلى حل يأتي بالراحة ، او الى خزان نهائي للانسان الراحل ، وانما تؤدي الى المشكلة الابدية . وشعور الانسان انه لا يوجد شيء . بالاضافة الى الالهة المشكلة وهي معرفته . يستجيب للحياة ام يرفضها دون سبب ودون نصيحة ، هذا الشعور هو الذي يعجز في نهاية الامر ، الواقع الانساني الوحيد واساس الغريزة الذي سفلته احزاناً على وجودنا ، وهو ان يكون الامعنى شخصياً معصراً علينا . والانسان كائن يعتبر نفسه مشكلة بالقياس الى نفسه . هذه النتيجة التي تظهر فيها مجلاد . وجودية ينشئها من شأنها ان تذيب النزاع في النفوس الضعيفة الوجلة . فلم يظهر مذهب قرأه الانسان في مثل هذا الحرمان وهذه الغزلة بحيث لا تبقى له بعد ذلك الا ارادته . ولناحظ ان هذه الارادة ليست شيئاً ولا حالا وانما تزول الى فعل ينبغي ان يجزئ الانسان على الاقدام عليه وعلى المجازفة به . والحطوط الاساسية التي تولد هذا المذهب فياتصل بالوجودية قوامها معارضة فكرة الجوهر وفكرة الحقائق الابدية ، واستخدام حرية مطلقة تظهر عن طريق « ارادة القوة » .

وقد لا تكون وجودية نيتشه مطابقة لكل فلسفته . فقد كان يعبر دائماً عن افكاره بواسطة الامثال والاستعارات ، فلم يضع مذهباً مقراً بل هو عدو المذهب المقرر الذي يبدو في آثار « هيجل » صاحب الرأي المناقض للوجودية . لذلك فهناك آراء لنيتشه تصور مظهر آخر من مظاهره . ولكننا نضرب صفحاً عنها الى ان نلمسنا درس الهيات الدالة على فكرة وجودية عنده . محمد وهي

الاعين مضطربة ان تنتقل الى حالة قوة مضرة . غريزة الحرية هذه ، التي اصبحت في حالة مضرة على اثر التهر والتي اضطرت الى الانكسار والارتداد والى الاتزوا . في الداخل ، وهي لم يبق لها مجال تمارس فيه الا داخل نفسها ، هذه الغريزة ، هذه الغريزة وحدها (ولم نلبث ان نتبها ان ذلك) كانت في مبدأ ضمير السوء . بذلك يفقد الانسان وحدته الحيوية ولا يستطيع المطابقة بينه وبين نفسه .

والسادة يتابعون حريمهم على الرقيق بل يوجدون بينهم النزاع والشقاق . وضمير السوء ، شبيه بسوء النية عند « سارتر » (Sartre) الذي يزين الواقع الانساني ويعتبر مصدر الموجبة والتبديل المطلق للقيم . وضمير السوء ليس الا الضمير المنعكس الذي به يضبط اندفاع التيار الحيوي ولعله الضمير نفسه .

ابتداء من ذلك لن يسكن الانسان آثاره ، فسيقوم دائماً فاصل بينه وبينها ، وهو فاصل التفكير الذي صدرت عنه هذه الآثار فاصل الرجوع الى الوراء ، الذي يتخذ للحكم عليها والتحقق منها أي مطابقة تامة للغرض الذي فكر فيه الذهن طويلاً . فكل أثر خارجي امتداد لاثر داخلي يواصله الانسان فيها يتبين بنفسه وعلى نفسه ، وهذا الاثر الداخلي هو الذي يشكل به صورته ويغيب نفسه لانه اصبح هو نفسه الموضوع الذي تمارس عليه سلطته المرتدة التي لا تستطيع ان تنمو غوراً طبيعياً في الخارج ، فتجل الحياة الداخلية المشكلة على مثل اعلى للظهور والتبديل من الحياة الزائفة ، محل الحياة وهذا مثل اعلى للجن . هذا الموقف الناشئ عن ارادة فاسدة عديمة الحيوية ينشئ ايضاً « قياً » ولكنها خيالية معكوسة ليس لها طابع مطلق ولا تظهر الا في هذا الشقاق الداخلي ، في التعارض والتناقض بين الانسان ونفسه . وهذه القيم الجديدة هي مثل اعلى شاحب سلبى يرتسم على ظهر القيم الحقيقية التي تطرح في الظلام وتسمى : الشر والقبح . وهي قيم احتجاجية ليست شيئاً في ذاتها ولم تكن لتضيق شيئاً لو لم تجد امامها الحق الذي تنجح عليه . وهذا مصدر الاضداد في الاخلاق . والانسان اذ يعجز عن اقرار الحياة ينقسم بين اقمعتها المادية التي يبندها مدفوعاً في ذلك بالزهد والاشتراك ، وبين مثل اعلى لا يحقته ولكنه وهم حيوي يعينه على احتمال ما بقي من حياته التمس .

اما السادة فيعرفون كيف ينترون انفسهم من هذا المثل الاعلى الوهمي . « حين يعمل الفكر مجد وعزم وأمانة يستغني اطلاقاً عن مثل اعلى . والعبارة الشائعة التي تطلق على هذا الاستغناء هي الاحاد » (انساب الاخلاق) . فليس الاحاد الا الحرية المطلقة التي تتروك للانسان في عزله حتى دون ان يبقى له الزوا في مواجهة

دمعات من الشعر

إليكم هذه العشر دمعات من الشعر بكلمها قلبي اذ كنت يوماً على
رمال نهر سنطس ، فتلذت على أيام صباي ومرحي على
شواطئ « بريارتي » الساحرة (بلد الشاعر)
فقال أحد الرفاق : انك لا تزال فتيماً يا قروي ! وهنا
أيضاً شمس ويجر وشاطئ جيل ، فلم شكواك وعلام أراك ؟ !



تضييق بي الدنيا اذا ذكر الحلى كأي من عرض البرازيل في حبس
ولي كل يوم للجمي الف رجعة على الت فلك في مرافقه ترسي
يسير معي لبنان أنى توجهت ركابي ، لو يغني الخيال عن الحسن
وقالوا هنا شمس وبجر ورملة أبالفاظ يعنون الجمال ام الجنس ؟ !
فا ابعد الامماء عن مسياتها واغرب شمس الارز عن هذه الشمس !
هبوا اعتضت عن دنيا بدنيا جديدة أعتاض عن اهلي ؟ أعتاض عن نفسي ؟
أعتاض بالذكرى عن الحب واضعاً بكفي اكاليل الزهور على رمي !!
واعجب منه قولهم لم تزل فتى فاذا رأوا مني وقد جهلوا امي
فترة نفس كرها لا اتقاؤها اذا قل سيفي فالسلام على ترسي
اعن عن الذات حرصاً على البقا فاسقي الردى خمري لتسلم لي كأني !!

« مما لم ينثر بعد »

إذا الشمس يا أم لاحت هتفت هتاف الغريب رأى الوطن
وقبّلت عُرتها بالبنان وطوّقت بالساعدين السنا
كذلك كنت أمدّ يدي إلى النار طفلاً ، أطفّل أنا

وإذ يكفهر جبين الدماء وترسل أجفانها الدمع طلاً
وتتشرّ فوق الرؤوس المظلات لم أرض غير السحابة ظلاً
كذا كنت عاشق خوض الجدول طفلاً ، فهل عدت يا أم طفلاً ؟

مررتُ بآتراني التاجرين فلم ألق إلا العوس الوقورا
فقلت إلى الحقل حيث الصغار تنامي الطيور ونجني الزهورا
فهل صار كل رفاقي كهولاً وهل أنا وحدي ظلت صغيرا

فأشمعني الطير عند الصباح جواب الطبيعة لي تنشدُ
بُنَيّ ولدتك طفلاً جديداً قفل للرفاق الأولى تعهد
لقد ملأ الأرض اولادكم وانتم إلى الآن لم تولدوا !!

كيف السبيل إلى رضا حسونتي
لم يهوني إلا لاني بلبل
الابكم في وقص جناحي
وقوت أن مع الطيور صداحي

هي دون كل الطير لي معودة لا اشتهي إلا لذيق غنائها
وإذا شدوت فترقت عصفورة في الحقل روعت الضحى بكانها

تشكو العذاب فلا أرى لهذابا - وأنا صريع غراما - من باعش
في صدرها الواهي جراح صابئة غريت بها أظفار شك عابث

حسنتي رفقا بضغفك واعلمي اني وحق هوائك عبد هوائك
لا تجزعني ان كنت اضحك واجزعني ان كنت ابكي في الهوى لسواك

هلاً ميمت اذا استكن الطير في اعشاشهن تهدي ونحيي
أعصرتُ ألا فيك مندلي وهل حيرت إلا في هواك طيبي

يا من يحولني غراباً ناعباً كي لا تموت لميتي واموتا
هي لا تطيق الصبر ان فت الوري شدي ولا انا استطيع سكوتا

الولادة الجديدة

من ديوان الفروي - باب الأناهير



الحسونة الفيرى

من ديوان الفروي - باب « ذوايا الشباب »



ساشا سميرنوف - الابن الوحيد لامه - عيادة الطبيب لوشيكوف بعصية ظاهرة وهو يتأبط شيئاً ملفوفاً بصفيقة فابتدته الطبيب قائلاً بجمرة .

- حسناً يا عزيزي الصغير . كيف تشعر هذا اليوم ؟ وما هي اخبارك الطبية ؟ فأخذت عينا ساشا تطرفان ، بينا وضع يده على قلبه . ثم تتم مضطرباً .

- ابنو الذي ترسل لك تخميناتها وشكرها الجزيل ... انني الابن الوحيد لامي ، وانت انتقلت حياتي .. وكلانا لانكاد ندري كيف نشكرك . فقاطعه الطبيب وهو يذوب - ان صح التعبير - سروراً . - تعال ، تعال يا صديقي الصغير ، ودعنا لا نتكلم في ذلك انني لم افعل الا ما يفعله اي شخص آخر في مكاني .

- انني الابن الوحيد لامي .. ونحن اناس فقراء ، ولنا في مركز يسمح لنا بأن ندفع لك اتعابك ... وهذا ما يجهلنا يا دكتور في حياة شديدة بالرغم من اننا امي وانا الذي اكون

ابنها الوحيد ، نرجو منك ان تقبل هذا الدليل على اعترافنا بالجليل . هذا الشيء الذي .. هو شيء ذو قيمة نادرة . انها قطعة فنية تادرة من البروتز القديم . فبسط الطبيب وقال .

- لماذا يا صديقي العزيز ؟ هذا غير ضروري على الاطلاق . انني لست في حاجة الى هذا قطعياً .

- اوه كلا ، كلا . انني اسألك ان اردت ان تقبلها . وابتدأ بفتح الزممة متنبأً بالتساقط في تلك الفترة .

- اذا لم تقبل هذه ، فانك تسي . بذلك البنا كلينا ، امي وانا . انها قطعة فنية تادرة من البروتز القديم . انها لبقية تركها لسا المرخوم والدي . وكنا نعتبها مثل ذكرى عزيزة للغاية .. ولقد اعتاد والدي ان يشتري التماثيل البروتزية القديمة ؛ فيبيعها الى هواة النحت القديم .. والآن ، نحن نغرس العمل نفسه امي وانا . وفتح ساشا الزممة ووضعها على الطاولة .

كانت شمداناً واطناً من البروتز القديم . كانت عملاً حقيقياً يمثل جماعة : فعلى القاعد وقفت امرأتان بشباب الام حواء . وفي وضع لا املك له الخبرة ولا المزاج اللازمين لوصفه . وهاتان الصورتان

كانتا تبسمان بصورة فاجرة . وعلى العموم طمئنان هذا التأثير ، وهو انهما لا اضطرارهما في الحقيقة لعل الشمدان الصغير ستجنبا من على قاعدتها وتقوما

بحركة هي .. يا قارئ العزيز ، اني لجل حق من التفكير في ذلك . وبعد ان فحص الطبيب الهدية . حك رأسه ، ونظف حنجرتة ثم مسح انفه وقم .

- نعم . انها في الحقيقة قطعة فنية رائعة . ولكن - كيف اقول ذلك - ليست تماماً .. انا اعني .. بالاحرى غير عادية .. ليست ابداً .. انت تعرف .. الشيطان يعرف .. - كيف ؟

- بعزلول نفسه لا يقدر ان يتصور في ذهنه شيئاً اكثر شناعة ، لو اني وضعت هذا الشيء المثير للتخيلات الشيطانية على منضدتي . اذن للدست معقلي بكامله . وصاح ساشا في نبرات غاضبة .

- كيف ذلك يا دكتور . اي مفهوم غريب عندك عن الفن ! انها قطعة فنية حقيقية . انظر اليها فقط ! ان جمالها المنسجم الى درجة انك لو تأملتها فحسب لثلاث نفسك اندهالا وطلعتك تبث من حنجرتك شققة ! عندما تنظر لمثل هذا الحسن ، تنسى كل شيء . ارضي .. انظر اليها فحسب ! اية حياة ، واية حركة . فأجاب الطبيب . - لقد فهمت تماماً يا صديقي الصغير .

ولكنني رجل متزوج ، ولي اطفال صغار يركضون داخل هذه الغرفة وخارجها . وهناك فناء . يأتيان الى هنا على اندوام .

- طبعاً . لو نظرت اليها بعيون رعاة الناس ، لانكرت هذه القطعة الفنية التادرة . ولكنك بالتأكيد ، وفوق هذا كله

يا دكتور ، وعلى الاخص عندما يكون رفضك لهذه الهدية سوف يجرحنا كلانا ، امي وانا الذي اكون ولدها الوحيد .. وانت انتقلت حياتي .. وللقابل ، نحن نقدم لك اعز ممتلكاتنا .. ان اسني الوحيد هو عجزنا عن ان نقدم لك رفيق هذا الشمدان .

- شكراً يا صديقي شكراً .. اذكرني عند والدتك ... ولكن بحق الله ! انك تستطيع ان ترى وحده ، ليس كذلك ؟ ان الاطفال الصغار يركضون داخل هذه الغرفة وخارجها والسيدات يأتيان الى هنا دون انقطاع .. وعلى كل حال ، دعه هنا ! فان اية مناقشة لا تفيد معك .

واجاب ساشا بهجة ظاهرة . - لا تقل كلمة اخرى . ان الشمدان ليكون في عمله تماماً ،

لوضعته في هذا المكان الى جانب انا . الزهور هذا بحق الاله ! انه شيء . يؤسف للغاية . لانني لم احصل على رفيق هذا الشمدان لاطيئك ايده .



لاظفره شغوف حرجه : سربيل البوب



حسناً ، وداعاً يا دكتور !

وبعد رحيل ساشا القى الطبيب على الشعدان نظرة طويلة وحك رأسه وفكر في نفسه قائلاً .

— انه لجيل ، حسناً . انه لمن المؤسف ان يرمي به بعيداً .. ومع ذلك فلا اجزؤ على الاحتفاظ به .. ! .. والآن لمن استطيع ان اقدمه .

وبعد مداولة طويلة ، وقع على صديق له عزيز ، وهو الحامي يوكوف الذي كان مديناً له بمجموعات ثانوية . وصاح الطبيب .

— اني بصفتي صديقاً حميماً له . فلست استطيع ان اقدم له مالا .. وهكذا استطيع ان اعطيه هذه القطعة بدلا عنها . وهو بالضبط اصلي رجل لما .. ونوعاً ما له نفسية الصغور انماح ايضا . وما كاد يفكر في ذلك ، حتى انتقل الى مرحلة العمل .

فارتدى ثيابه . وحل الشعدان ثم ذهب الى منزل الحامي يوكوف .

— صباح الخير يا الفتى الكبير ! لقد اتيت الى هنا لاشكرك

على ازماسجي اياك .. انك لن تأخذ مني مالا ، ولذلك سوف

اكافئك بأن اهديك هذه القطعة الفنية .. والآن قل من نفسك ،

الليست هي حلماً ؟ . وما كاد الحامي يراها حتى دهش فلما انزعج ،

ثم قال وهو يضحك . — يا له من عمل فني جميل ! بحق الآلة ! يا لها

من مقامهم يتندسها الفنانون في رؤوسهم ! اي ورتني جذاب ! من اين جئت بهذه الاناقة اللطيفة ؟

الا ان حماسه ما لبث ان خمدت . واصبح صاحباً مدهوراً ،

وقد راح يقول وهو يتطلع خلسة الى الباب .

— ولكنني لا استطيع قبولها ايا الشاب الكبير . يجب ان

ترجع بها ثانية . فقال الطبيب فزعاً . — ولماذا ؟

— لانه .. لانه غالباً ما تزورني والدتي ، واصحاب الاعمال

يأتون الى هنا كثيراً .. والى جانب ذلك . فان خدامي انفسهم

سوف يأخذون علي هذا الامر . وصاح الطبيب وهو يحرك يديه

حركات جنونية . — اياك وان تقول كلمة اخرى . ان واجبك

بشكل بساطة ان تقبلها . ولكن رفضك لها لا يكون سوى

نكران الجليل . مثل هذه القطعة الفنية ! اية حركة ، واية تعبير

.. اني اعدها اهانة كبيرة لي ، ان لم تأخذها مني !

— لم انما فقط كانت مدهونة . او مغطاة بأوراق التين ..

ولكن الطبيب رفض الاستماع اليه . واخذ يحرك يديه بشدة اكثر

من ذي قبل ، ثم خرج من المنزل راكضاً وهو يفلن انه قد تخلف

اخيراً من الهدية . وبعد ان خرج الطبيب ، اخذ رجل التانوم

يفحص الشعدان بكل تأنر . وبعد ذلك ، فعل مثلاً فعل الطبيب ابتداءً يتسأل . ماذا استطيع ان يفعل بها . وفكر في نفسه قائلاً .

— حقاً انه شيء جميل . وحرام ان ارميه بعيداً . ومع ذلك

فانه من العار ان احتفظ به .. من الافضل ان اهديها لشخص ما .

انني اعرف لمن اعطيها . سوف اقدمها في هذا المساء للشوشوكين .

ان هذا الجيئ يجب مثل هذه الاشياء . والى جانب ذلك ،

فهو يجب ان يستفيد من كل شيء .. وما كاد يفكر في ذلك

حتى ابتداءً يحققه . وبعد ظهر ذلك اليوم ، حل الشعدان المحزوم

جيداً . الى المثل شوشوكين .

وقد ظلت غرفة المثل شوشوكين طوال ذلك المساء ، محاصرة

من قبل الرجال الذين تسارعوا من كل جانب ليفحصوا الهدية . وظلت

الغرفة طوال ذلك الوقت تتجاوب بأصداء الضحكات المرحة

التي كانت اشبه بصهيل الحيوال منها بأني شيء آخر .

وعندما كانت تقترب احدى المثلثات من الباب وتقول .

— هل يمكن ان ادخل ؟ كان صوت شوشوكين الجلف يحياها

مباشرة . — اوه كلا ، كلا يا عزيزتي . انك لا تقدرين ، لانني لم ارتد

ثيائي بعداً . وبعد ان انتهى التثيل هز كتفيه وحرك يديه ثم قال .

— الآن ماذا عساي ان افعل بهذا الشيء . انني اعيش في

اجتاح منزلي . وغالباً ما تزورني المثلثات وليست هذه بالضرورة

الفتورافية التي استطيع ان اخبأها في احد هذه الادراج . ويقترح

عليه خادمه بقوله : لا تلبسها ؟ هناك امر انفسه تشتري ثيابك

البروت القديم .. تدعى سميرنوف . من الافضل لك ان تسرع الى

هناك ، وسوف يدلونك على الطريق اليها . اذ ان الجميع يعرفونها .

وبعد يومين بينما كان لوشيكوف جالساً في عيادته يحضر

بعض الحبوب . ورأسه مستند على يديه . فتح الباب فجأة واندفع

ساشا داخل العيادة .

كان يتسهم بهجة شديدة ، وصدره مثقل بالفرح .. وكان

يحمل بين يديه شيئاً ملفوفاً في صحيفة . وصاح منقطع الانفاس .

— يادكتور . تصور سروري ! فكان الحظ يريد ان يفرحني .

لقد نجحت لتري في الحصول على رفيق شعدانك . ان امي سعيدة

جداً ! انني الابن الوحيد لامي .. وانت انتقلت حياتي .

ووضع ساشا وهو يرتجف شكراً وطرباً شعداناً امام الطبيب ،

فتفتح هذا الاخير فاه . وكأنه يريد ان يقول شيئاً . ولكنه لم

ينبس بكلمة . ان قدرته على الكلام . كانت قد ذهبت .

دمش

سهريل ابرو

منحة المرأة العربية . . !



يزال المجتمع العربي يطوي في خياله ، في أعضائه ، قدراً كبيراً من مخلفات القرون البائدة ، ولا يزال مكبلاً بملققات ضخمة من المفاهيم التي أندس محيطها ، أعني زمانها ، وكان في ميزان التطور ، والتقدم ، أن تفتن مع تفسخ جزئيات محيطها وزمانها ، لينفتح أمام غيرها مسرى الحياة والبقاء . في البيئة العربية ، في مجالات المجتمع ، وفي عوالم الأفراد ، تمشع قم ونظم تهزأت ، وقدت نبض الحياة منذ زمان بعيد ، فاجت تستد قطرات الوجود من دوافع التقدم وحوافز التطور ، وتشد القافلة العربية الى الصحراء ، والمجتمع العربي لا يزال الكساح يرتع في حميريات أقدمه ، لان الجود لا يزال يتند في ذرات فكره ، ولان الوب لا يزال يقتل آياف قلبه . . .

المجتمع العربي يعاني اليوم ، في مدارج التحول ، أزمة خطيرة . . . وأزمته الحاضرة ترجع ، في ابتدائها ، في جذورها ، في بواعثها الاولى ، الى ذات كيانه ، الى فكره ، الى قلبه . . .

فالنظم السائدة المسوخة ، التي نحر وراها كل انواع الجرائم والادوية التي تفتك بعوامل الحيوية ، ودوافع التقدم ، ومهاميز التطور ، هذه النظم هي التي تسد مجالات الهواء ، ومسارب النور أمام الكائنات ، فلا تنفتح فيها كوامن الخلق والابداع والنمو لتصبح جزءاً حياً في مجموع الجسم الانساني !

ان مبعث الامراض الاجتماعية والحلقية والاقتصادية التي تلتهم الكيان العربي وتهذه وترعزه وتتركه مضغة سهلة ، ليس الا ذلك التراث الشائه الذي يضع حلقات حياتنا المفاهيم والمقادير . . . ان حياتنا الحاضرة مريضة . . . وجرثوم مرضها . . . يفلت من القيود الزائلة . . . ان مجتمعنا والضوابط التي تحكمه ، أو تخنقه ، كمثل لغة حديثة نحاول أن نحكمها ونخضع سيرها القواعد لغة مندسة ليس في العالم من يتكلم بها أو يعرف عنها شيئاً !

ومحنة المرأة العربية ، كآية منحة نمانها ، تنبع من طيات هذه

الازمة الخائفة التي تعصف بالمجتمع العربي . . . ان مركز المرأة العربية المزري ما هو الا وجه كريمة من وجوه الرضوخ لسياط القرون المظلمة ، انه جزء من كل جزء ، من تقهقر كبير ، أو جود كبير ، أو انكسار كبير . . . انه متأث من سيادة مفاهيم وتقاليده شائخة زمنية ، مفاهيم وتقاليده لا تستطيع أن تعيش في عصر الطائرات والقنابل الذرية . . . ولا تتخلص المرأة العربية من كوابيس عبوديتها الا متى شعر الفرد العربي بأنه قد تأخر كثيراً ، وأضاع كثيراً ، ورضخ طويلاً ، وسكت طويلاً ، وأن عليه أن يبدأ كفاحه على أسس جديدة متينة تأتلف ، في خطوطها ، مع العصر الجديد !

وهذا الشعور ، قد بدأ يرتق في عرسوداء الفرد العربي . . . وهذا هو بداية الانتماع . . . الانتماع من كل الاسقام التي تأكل في كيانتنا . ومتى ادرك المجتمع العربي ضرورة تغيير اسلوب تفكيره وأسر حياته ، تغييراً عاماً يطبع بالانصاف الجوفاء الى الهاوية ، فقد بدأت الحياة ، واستيقظت بذور التقدم والنماء . . .

وواجب المرأة العربية يجب ان ينصرف في هذا الاتجاه . . . أعني ان تدرك المرأة ان تحررها مناط بخلاص المجتمع العربي ، يمشع في زوايا ذهنه من رواسب القرون المنقرضة . . .

وعلى المرأة ان تدرك ان مركزها يتطور بتطور التفكير الاجتماعي العام ، فليها ان تعمل ، اما امكانها ، ومحيط عملها كأم اخطر محيط ، لبدور جديدة صمجة ، ويحت كل الحرافات السامة والتقاليده الجائرة ! اعني المرأة العربية ان تتأثر في نشاطها الاجتماعي القومي الاصلاحى مع الرجل العربي ، لان كلا منهما يحتاج الى جهود الآخر ، ولان هذا التأثر اثر كبير في نبد التقاليده الفذبة التي تمسك الى الورا ، وانما الافكار الجديدة التي تدفع الى الامام .

وعلى الفرد العربي ان يقرن بأن المرأة نار ونور . . . هي نار جاهلة محروقة في البيئات التي يحترق انفسها الظلام وينتقل ابدانها الجمل . . . وهي نور ناصع مضيء في البيئات التي مزقت عن عيونها حجب الخلطة وفتحت ابصيرتها لنور المعرفة . . . !

المرأة هي التي تصنع جيلاً . . . فكيفها تكون يكون الجيل . . . ولا سبيل لخلق جيل جديد للامة العربية اذا أهملت المرأة واحترقت واغلقت في وجهها منافذ الحياة !

غيروا ما في نفوسكم . . . واهروا قلوبكم . . . وأزبلوا الصدا عن أذهانكم . . . ان علمت ذلك أهدتكم الى الطريق السوي . . . ووجدتم المرأة ، في الطليعة ، تناضل معكم وتبارك الابدال !

سوسن عبدالقادر

بفردام

السكون الفني

نظم الدرس هسكلي

✱

الشتاء. « كان قادراً على التفوه بأي شيء من الالفاظ التي يعطيها هو دلالاتها الخاصة ومع ذلك فان شكسبير حينما يضطر الى التعبير عن شيء، في طبيعة الانفعال او الاحساس الغامض بعدد الى الموسيقى لتساعده على « التعبير » .

وتقتضي تجربتي الصغيرة المحدودة في الانتاح للسرعي ، انه اذا احسن المؤلف اختيار موسيقاه ، فان جهوده لن تذهب سدى . فقد اخذ مؤلف المسرحية المتعسبة من روايتي الهامة Point Counter Point بعض مختارات من الحركة البطيئة من موسيقى بيتهوفن كجزء مكمّل في الفصل الاخير من الذراما . ولا تحصى المسرحية او الموسيقى ، ولذلك فاني في حل من القول بان تأثير القطعة الموسيقية ، حين غرقت في العرض ، كان رائعا في نظري على الاقل .

« لو كان لدينا علم ووقت كافيان ... ، ولكن هذه هي الاشياء التي لا يستطيع المسرح ان يعطينا ايها . فقد كان من الضروري ان نخد من المسرحية المختصرة معظم النقط التي تلفتت ؛ او كان المقصود منها على الاقل ان تلفت مواضع الحشونة في الرواية . فكانت المسرحية خشنة وقاسية في حملتها وبدت القطعة الموسيقية الناعمة ، وهي تندفع فجأة في عالم الحشونة المطروقة هذا ، بدت كأنها شيء غير طبيعي . كانت كأنها إله يهبط فتراه العين ، خيفاً ومطمئناً ، وقد لفه السلام بغموض يفوق كل مفهوم جميل مقدس .

ولو كانت روايتي « سفر الاعمال » وكان معتبها المستر كلابل دكسون Campbell Dixon ، مؤلف مكتب ، فانه مها بلغت قوتاً ، ومهما اجتهدنا ، فأننا سنجد انه من المستحيل ان نعبّر بالكلمات او التمثيل المسرحي عما اظهرته تلك الدقائق الثلاث او الاربع من الزحف على التيارات لكل مستمع حساس ذلك الظهور والبراق .

وحين ينبغي التعبير عما لا يمكن التعبير عنه يضع شكسبير قلبه ويستدعي الموسيقى . فاذا اخفقت الموسيقى ايضاً ، فعلى السكون ان ينجم . لان الشيء الباقي في كل زمان ، وفي كل مكان هو السكون .

يمكننا الا ان نجرب جميع الاشياء الاساسية ، جميع الاشياء ذات الاعمى العظيمة للروح الانسانية ، ابتداء من الاحساس الخاص ، الى الذوق الجمالي ، ومن اللذة والام الى الحب والشهوة والموت . كل هذه الاشياء لا يمكننا الا تجربتها اما التعبير عنها فلا . ولما لا يسعنا حيالها السكون .

واقرب شيء يعبر عن هذه الامور التي لا يستطيع التعبير عنها بعد السكون ، هي الموسيقى . « ومن الامور التي لا دلائلها ان السكون جزء مكمّل في جميع القطع الموسيقية الجيدة . ولو وازنا بين موسيقى واجز الصاخبة الدائمة التدفق بموسيقى بيتهوفن او موزار ، لوجدنا موسيقى واجز جد فعلة في السكون . ولعل هذا من اسباب فقر معناها بالنسبة للآخرين . فهي « تقول » قليلاً ، لانها تتكلم دواما » .

ومن جهة اخرى تعبر الموسيقى عن مجموعة من اعظم تجارب الانسان دلالة وأصعبها على التعبير . فهي تثير في عقل المستمع ، بوجوده الشبه البهية فيها ، طيف هذه التجارب احياناً بل التجارب ذاتها احياناً اخرى بجميع قواها . ولا يستد ذلك الا على الشف والحاسة ، فالطيف قائم ، اما الحقيقة قريبة مشرقة . وقد تستدعي الموسيقى التجربة وطيها معاً ، فالصادفة هي التي تقرر ذلك . فان نبضات القلب لا تخضع لقانون معروف . وميزة الموسيقى الاخرى « التي يشاركها فيها جميع الفنون الاخرى الى حد ما » هي قدرتها على اثارة التجارب كلمة غير ناقصة « كلمة وغير ناقصة بقدار استعداد المستمع على تقبل التجارب » ، مهما كانت الاصول المستدعاة جزئية ، او مضطربة . ونحن مدبتون للفنان ؛ وخاصة الموسيقي ، لانه « يقول بوضوح ما شعرنا به دائماً ، ولكننا لم نستطع التعبير عنه ابداً » .

وحين نصت للموسيقى المعبدة ولا نشعر بطبيعة الحال بتجربة الفنان الاصلية (التي هي وراء استنتاجنا ، فالاعتاب لا تنوع على الاشواك) ولما نشعر بأحسن تجربة من نوعا تقدر على الشعور بها طبيعتنا - وهي في الحقيقة تجربة احسن واكمل من جميع التجارب التي شعرنا بها قبل الاستماع للموسيقى .

وقد عرف اعظم الفنانين مقدرة الموسيقى على التعبير عن الامور التي لا يمكن التعبير عنها . فالانسان الذي كتب « عليل » وقصة

الفاخرة

ترجمة: حسين نصار

لبنانية في الآداب

بف

بف بف بف بف ... وتضي المضة المرمية في هديرها الكتيب، وتطلق دخانها الاسود في الفضاء الحضيبي بدم الشمس الغاربة، وبضي دجلة صخاباً مزبداً، يلتف على نفسه عند الشواطئ، في دوامات كدراء، يساون الطين، وتطفو فوق الباسيتين المحتشدة على ضفتيه غمام متفوشة ككنديف القطن الملون .
تأنيها رياح الخريف ..

وينهض (عناد) عن مجلسه الحجري - تحت الدوحة الوردية الضخمة - ويطلق آهة متعذرة كالأية ، ويدخل حجرة صغيرة خربة تجثم فيها المضة التي راقت شبابيه وكهولته ، وينتزع من الحائط سروالاً مرقعاً وثناً يستبدل به سرواله الازرق المتقرع زينت المكاثن ثم يغادر الحجرة ، ويعبر الساقية القديمة ، يتراخض فيها الماء بين صفين من الحشائش الخضراء ، ويتجه الى كوخ الحجازة (نشمية) .
وينتشر المساء ، وترداد الوان الشفق المتغيرة اظلاماً ، وترف

فوق دجلة نسمة باردة ، فيترشم الثوب الملهل فوق صدر العامل الكهل ، وتتغلغل النسمة الراعشة بين عظامه البالية واوصاله المجدبة ، ويحس بتشميرة ، ويذكر الشتاء ، ومآسي الشتاء ، وتلتعق في عينيه الحائيتين بسمة مريوة ، وتدمج قلبه كتابة غامضة ، وبضي في الطريق الاعير الطويل ، ويبدأ مشهلاً ، حتى يصل كوخ الحجازة الارملة ؛ ضيق الصدر ، مقطوع الانفاس ،

ثقل الحظي ، ويلمح عن كسب نيران التور تحقن بين يديها وينشغل بل ونشيه الحريقين ارج الحيز الساخن الشهي ، فيلوح البشرى في عينيه الضيقين ، ويمثل شاربيه الرماديين ، ويتأمل الايدي المتراخمة على الارملة ...
ثم يعدل قامته ويصق على الارض ويدلف نزهوا الى الكوخ :

- احم ، احم .. عمي مسا . نشمية !

- ابا علوان ، اهلا عيني ، اجلس هناك ، سأنتهي في الحال !
وينظر الى عينها المريضتين الدامعتين ، ويجلس على دكة بعيدة عن جرة الزبائن الملهوفين غير بعيد عن البساط الرث القديم الذي تفرشه امها المتعدة الغمياء ، وقد تدلى من بين اصابيحها المعلقة منزل راقص صغير - كالشقوق تعبت به الانواء .

- كيف حالك يا خبة ؟

- من هذا ؟ عناد . - نعم !

- وفقك الله يا عناد . - هاه ، لماذا ؟

- همدت بيتي ، وخربت حالي .. الله يحازيك ..

ويسكت عناد على مضض ، ولا تسكت العجوز ، فيشغل عينيه ويديه بكسكس التسع المعلق بجزمه ، ثم يأخذ في صنع لافافة بترودة ، وعيناها تحطآن بين آن وآل على الحجازة المنهكة في عملها المرهق الشاق .

كان ثوبها الاسود الوهيد فضفاضاً حول جسدها الزاهل الندي تفوح منه رائحة عرق نفاذة ، وقد حال لونه الى لون الرماد لكثرة ما علق به من ذرات الدقيق ، وبين لحظة واخرى تشب ألسنة النيران من فوهة التنور ، ويسنع وهيجها وجه الارملة المخدر المتكسر وعينها العشوائين فتتعدر ادمعها وترعش اجفانها المرقوعة الحمراء . رعشات سريعة متصلة ، وهي ما تنفك تنسكت النار بمرود طويل وتودع التنور اقراص العجين بيد لونها غبار الشوك وآثار الدمن ونثار القش ، وتوسع باليد الاخرى عينها الدامعتين ابدأ .

ويتأوه عناد ، ويرمق العجوز بنظرة غاضبة ، ويفكر في الاجهاز عليها ، وتطرب هذه الفكرة قلبه المنهوك : ولكنها ما تزال جالسة على مقربة منه ، تحرك لسانها بابدأ

السباب ، وما تزال تساقط الالفاظ كالطعم على رأسه الاشيب ، وما يزال صامتاً ساكناً يتنص آخر انفاس لافافته ، ثم يقذف بها الى الارض بشدة ويدوسها بقدمه ، فتنبأ الحركة دجاجة آمنة تحطّر في الكوخ ، فتتفرق راضية مرهوبة ، ثمها قلبت ان تعود مسرّبة مترودة ، وفي عينها نظرة تساؤل ، لسرق قطعة من البقايا المبرغة بالتراب .

وتهرب بها بعيداً الى حيث تستطيع ان كسر حها آمنة ، ينقارها الحاد الدقيق . ويلف عناد لافافة ثانية ، وتدور الافكار المحومة في رأسه دوراناً سريعاً ، وكسر الارملة في توزيع الوجبة الاخيرة من الحيز على زبائنها ، وتتوهم العجوز ان العامل الكهل قد غادر الكوخ ، فتسكت حائقة ، وتشمل في مكانها ، وترد الذباب عن عينها المظلمتين . ويعوي كلب في الخارج ، فتصيح به صيحة منكروة ، وتنهز بإشع السباب . ويضف الظلام على الكوخ ، ويشله بردائه الاسود الكثيف ، ويرين سكون مفاجئ . يتخلله ضوء الزبائن ، وتروض في الظلام الساكن شعلة اللافافة بيد العامل الكهل وترعش الارملة اليه بعد لأي ، تمسح عرقها بذيل ثوبها وتقدم له رغيفاً ساخناً :

- خذ عيني . هل تأخرت عليك طويلاً ؟

- آه ، لا ، ابدأ .. ولكن امك ضايقتني كثيراً .

- وهل تهلك اقوال هذه الحقا . ؟

- فصبح العجوز : انا يا فاجرة ، انا انا انا .



اصتي ...

ساري Surrey

ايه قيثارتي .. استيقظي واغربي
آخر ما ابدد وتددين من عشاء ؛
انجزي لي الآن ما فيه شرعت
فاذا ما تم ذاك التشيد وانقضى
اصتي بعد ذاك يا قيثارتي لاني فنت.

ان لم تصغ لنا الاذان فلن نسع
الا كما ينصت الميت في القبر
فكالقبر الاصح هكذا قلب حبيتي
لا ينسل اليه نشيد قلبي ..
وهل يجوز لنا بعد ذاك تنهد وانين ؟
كلا ، كلا ، يا قيثارتي فاني قد مضيت.

اغربي لي الآن يا قيثارتي آخر زفراي
فانها آخر ما تبذلينه من جهد
لقد انقضى ما فيه شرعت
هذا نشيدك الاخير فاذا ما انشدته
اصتي يا قيثارتي ، اصتي لاني قد قضيت .

صبرا ترجمة: غدير الامام

يريد الاقتران بك لفعل ذلك منذ سنين ، ولكنك مجنونة حقاً .
فتصرح الازملة : - اسكتي ! ويصرخ صوت يائس في اعماقها :
« لو اراد وحيي ، لقدمتها له » وتنخرط في بكاء صامت شديد
وتتجدد ادمعها بين الاخاديد التي احترفتها خمس واربعون سنة
مثقلة بالالام .. وتهب على وجهها الندي نسبة بارده من لهاث
الحريف الشائع المتجسس ...

عبد الملك نوردي

بغداد

وتنفجر غضباً ، وتتجرك لسانها ثانية ، فيضج الكوخ بالسباب .
ويضيّق بالازملة وصاحبها ، فينادراه الى الطريق ، وفي الطريق
يقول عناد متحسراً : - كنت اريد ان اذهب .. ولكن ..
- تذهب ، ولم ترك بعد ..

- لعلك لا ترينني بعد هذا المساء ، يا نشية !
- اوه ، قل غير هذا ..

- لا ادري والله ما اقول . لقد عجزت .

- عجزت ، وانت كالسبع ..

- نعم ، عجزت يا نشية ، والسبع اذا شاب غلبته بنات
أوى . انا الآن لا احتل الحبس يوماً واحداً .

- الحبس ؟ بعيداً عنك ، مالك والحبس . انت قتاتل ،
انت سارق ! - لا والكعبة ، لم اقتل ولم اسرق . ولكن دين
علي الخلود قلتي .. - اوه ، هذا يهيك وانا موجودة .

- فضلك علي كبري يا نشية . انا لا ادري كيف اوفيك
انت ايضاً . - آه لا تفكر بهذا ابداً . انت وانا لا فرق بيننا .

- ما لك مشيلة في الدنيا يا نشية .. اي والله مالك مشيلة .
وتقض الازملة حياء ، وتمسح عينيها الداميتين ، ثم تسأله
بصوت خافت اجش : - كم يبلغ دين علي الخلود ؟

- سبعة دنانير ! - انتظري ..

وتدخل الى الكوخ متلصصة وعلى الضوء المنسوب من
مصاييح الشارع ، تتناول من حجر غازي في الجدار صرة منسفة
مغبرة ، وتعد سبعة دنانير ، ثم تعيد الصرة الى موضعها من الجدار
تتعانق فيها بضعة دراهم وبضعة خواتم فضية ، وتسمع العجوز
رنيها الخافت ، فيجبن جنونها وتضطرب في مكانها اضطراباً مروعاً :
- اين ذاهبة بهذا الفلوس يا ابنة الكلب ؟ الى عشيقة القواد . اما
يستحي هذا المتعاقب الاجلف اخيستعلي من حرمة ارملة ، اما يكفني ؟

وتصيح نشية : - صد ، اخري . الفلوس فلوسي ، وانا
اتصرف بها كما اريد . ولا تسكت العجوز وقد تحرك لسانها للرة
الثالثة ، فيضج الكوخ ثالثة بالوان من السباب البذي .
وتخرج الازملة متكلفة الابتسام ، ويودعها عناد بأرق ما يستطيع
ان يعامله من كلام ، ويتولى عنها وفي قلبه المكثود ينبوع من
السرور ، وتشبعه بعينين دامتين ، وتثعد عتبة الباب ، وهو يتعد
عنها رويداً رويداً يلفه الظلام .

وترجرج العجوز حانقة : هل تقظين هذا الكلب يتزوجك ؟
بذلت له كل ما تملكين ، وهو يبذر حالك ومالك في القمار لو كان

سبكوفيا

مصور عبقرى

فلم العلم اميل سوب - كوخ ترجمه: نيه صفر

تبرل

الرسم تبدلا مطرداً في سير تاريخ الفن . واذا نحن اقتصرنا على التطور الغربي منذ نهضة اثنىون وجدنا ان كبار الرسامين لم يكونوا سوى مصغرين يتوخون المشابهة على الاخص . عندما كان يراد في بلاط البرتغال مثلاً ، او فرنسا او بورغونيا ، ترويج احدى الاميرات كان يطلب الى مثل لجان فان ايك ان يأخذ رسمها وكان هذا الرسم يعرض على امراء اوربا الراغبين في الزواج . وفيما سار الرسم باتجاه التصوير الحلقى واضح يطلب من المصور ان يبين نفسية مثاله خاصة : وظلت هذه الطريقة فضل الفن الاكبر حتى اكتشاف التصوير الشمسي الذي حذف من الفن توخي المشابهة ، واذا ذلك اضحى يطلب من الرسم ان يكون ، في ذات الوقت ، مشابهة خلقية واثراً فنياً ذاتياً بواسطة النهج والتلون والتقسيم التصويرية السخ . . . كان بعض المولدين ، كرمبران وفرانز هالس قد مهدوا الطريق الى الانجاء . يتضح لنا التطور العصري جلياً من مجرد المقابلة بين رسم لرمبران وبين آخر لفان كوخ او لوروز - لوتريك . لقد ظل المثال عند رمبران اهم ما في الالفن ولكن لم يبق عند الآخرين الا واسطة لا بد ان تصوير جميل قليل العلاقة بنفسية المثال . يوجد في القم التصويرية او الرسمية شي آخر سوى ما تمثله هذه القم وهو قوة ايجابية قبل كل شي . وهذه القوة الايجابية هي التي يجاول الفن العصري ان يستجدها . لا شك في ان ميكال انجلو ولبران دي فينشي وبيرا

لبلولم يجاول شيئاً من هذه القوة بل ربما افاد احدهم منها ، كرودين مثلاً ، افادة عظيمة ، ان لم تكن كلية . لقد حاول منذ ٣٥ سنة اوردنغلياني ، هذا الرجل العبقرى ، وييكاسو ، هذا الحاذق الموهوب هذه شاملة ان يضاهي المبدأ التالي وهو انه لا يجب الاستفادة الا من قوة انحاء العناصر التصويرية والرسمية التي يلبسها المثال وهذا المبدأ وجه الرسم الى مثل رقص للفنان سان - غي حيث روى حيناً شيئاً من العبقرية وحيناً شيئاً من الجنون وحياناً مزيجاً من الاثنين . ان العبقرى هم راؤون ، وسبكوفيا الذي يمثل ابلغ تمثيل المدرسة المذكورة آنفاً بعد في مصاف الفنانين العبقرين . ان الرجل العبقرى هو را . قبل كل شي . ولكل من العبقرين رؤياه العبقرية الخاصة واصدقهم دلالة على ذلك هو فان دونغن الذي يلذ له ان يحدد فن تصويره لمخاطبه باليقافه على ما يحوي فنه هذا من رؤياه للحياة بتفصيلها وعقها . على حائط حزن الحياة وحتى على زوالات العدم الرمادية وفي لوحات تتجدد بلا انقطاع بينا يغمرها ضباب هذا الحزن وهذا العدم يرسم المصور صفحات من تلك الرؤى البراقة ، الجذابة ، التي تبدو كآهوار متعددة الالوان ثابتة على صفاف نهر ما وراء الطبيعة او كلوار اصطناعية تلعب في الليل المدهم المحيط بنا والذي نحاول لمسه بجوانسنا وننفذ اليه بفكرنا ، وبصبر آخر ، يرسم دونغن على نسيج اضطر اباننا وهموماً انواعاً من الرقص وانواعاً من تجارب القديسي انطونيو

عرفه العصر الكلاسيكية اللاتينية باسم غليفسا غريباً فأجوداً مدهشة
والتي لا تزالان حيتين في ذاكرتنا منذ سنة ١٩٠٨.

نذكر هنا بفان دوجن لأن سيكوفيا يلجأ إلى طريقته ذاتها
ولكن لكي يحقق عكس ما يحمته ذلك . هوذا رسم عري مثل
سيكوفيا به امرأة كهلة ، شعاع ، وقد زاد المصور ، بقصدته،
في شاعته . ان هذه الشاعة المبالغ فيها تضخم ، لا الواقعية بل
قبحاً خيالياً ليس في المثال . إذا لم تكن الحياة ، ولا الفن ، سوى
حلم كما هو الحال فان الشاعة هي ايضاً حلم حتى نجعلها الموهبة التي
ترسمها . ننظر مثلاً الى هذه البقرات ، المضطجعة منها والواقفة ، كان
يودين ، وهو البارع بتصوير البقر والنساء الظريقات ، يقول : «ليس

هؤلاء ، ولا أولئك سوى نقط بيضاء في الحقول» ، اما
هنا فلا مراعي بل حيوانات ظاهرة بكل ما لها من
حجم وقلة ظرافة وبكل ما يوحيه الحجم والرعونة .
هنا ايضاً يوجد ما يمت الى الحلم بصلة . انها طابع
ماتة . لقد صور فان كورغ احذية في قلب النور ، على
حضيض يطلح بالشمس « احذية تحيط بها النفس »
كما كان سيزان يقول . يعرض سيكوفيا امام اعجابنا
خفين على حضيض من خشب غير مصقول كحضيض
الفاقد للإنسانية ونصف رداء . موقف معلق على مسار
خارج الامطار لقطع الافق . لا قيمة لهذه التفاهة
للعاجلة الا بدقة الرسم الجببية وتوزيع الظلال توزيعاً
متوازياً . وزر ، في جهة ما ، بعض الالبسة النسائية
ملقاة على كرسي اعرج ، وفي جهة اخرى كيسين
من ورق ملوئين سكرًا او حبوباً وموضوعين على
منضدة مغطاة بنسيج غليظ . لا شك في ان هذا
يقترضه موهبة جببية لافراغ الجمال على مواضع كهذه
معرفة من كل دوحية ولكن اذا كان رجال عبقريون
مثل فان كورغ قد تلهوا بمثل هذا التناقض
فلا يجمل بنا ان نعمم مقدرتهم الخارقة .

بدأنا بهذا التهديد لكي نزيد الشعور . بعقوبة
سيكوفيا غير المشكوك فيها ، لقد وقف على الرسم
مقدرته الخلاقة بدقة مدهشة . هوذا طرف منضدة
مستديرة ، لماعة ، بل ربما كان طرف بيانو تغطي بعضه اما
بدقت عظيم من ورق واما بغطاء ابيض مربع الطي .

بؤبه الأسود ، فهو يقلد الحياة ذاتها ويبرهننا من المضامع والمساكن
الى الأوبرا الواقعة الى مسارح الالعاب الهلوانية ، الخ ، وهذا
تهج عصري يوديري . من الواضح ان فان دوجن هو فنان مفكر
كما يشهد له بذلك تصويره . ليست جميع تلك الخطوط الجميلة التي
ترسمها ريشته هي من وحي المثال فقط . ان اجالات فان دوجن
الناصفة وشتى انواره التي يصبها على اغراء الجسم والمحاظ والرقص
والسكون تستقر في البعض من خيرة لوحاته التي تعد من أجل ما

دراسة





متشرد

الحضيض ابيض وفي الطرف الاقصى حائط ابيض الى اليسار ذيل
سجف يتبدل من كرسي ، او من دكة غير منظورة . على القسم
الملاع من المنضدة ، او البيانو ، انا . لا صيغة له يعكسه لمعان الرياش
وتنتج فيه ازهار دوار الشمس . رسمت هذه الازهار على طريقة
دوار الشمس لفان كوخ (الوبفر - مجموعة كوموندو) ، اعني
بنف مدش ولغاية تجسيلية بالنظر الى الدقة والبلاغة . كل ما تكنه
الطبيعة المدروسة من قوة تجسيلية ممكنة عرف سيكوفيا كيف يظهره
للنور ويغيد منه بواسطة الالوان والظلال والانوار . ان الاعتراف
له بذلك ليس بالمديح القليل ، يجب ان ننظر الى سيكوفيا كصور
قبل كل شي . واذا كنا درسنا فيه الخطط الاولى ثم فان لوحات
الازهار والطباع المائنة فما ذاك الا لتسكن اكثر فاكثرا من
ايضاح عبقرية المصور .

ان سيكوفيا مصور باعظم ما تحمل الكلمة من معنى وليس
هو بل الملاعب بشكل الوجه البشري لتأثير مقصود بل الفنان الذي
يستمد من مثاله الوسائل الضرورية التي تمكنه من ابداع سلسلة
امثلة اولى من سفرة وتولم ورؤى جنونية وعذوبة واختطاف . هذه
صورة اخاذة للعلم بوهنبلوست . لا شك في انها صورة راء . وها

هي صورة لفنان هرجرج . لننظر اليه منكشأ على ذاته ، مستغرقاً
في حله العنيف يوجه لاندري اية عاصفة داخلية تعصف به وتلقي
عليه غشا ، من اليأس والاضطراز . وها هي صورة لتسرد يرتدي
ثياب رجل انكليزي في سفر ويعرض امامنا ملامح بأس عميق
وكآبة وبائية وذهل لمغبون . وهذه صورة سيدة فتية تبسم بعذوبة
تحت قبة عظيمة من الريش وتعض عينيها خلف نقايبا رافعة
رأسها بشهوة . غير ان هذا الوجه الطريف يعيه فم ضخم ، ابيض
الاسنان ، قد تلاحب به الفنان عن قصد ليوحى فكرة لا ندرى
ايهستيريا شهوانية فيها . تعرض جميع هذه الصور في اطار فني من
الاشكال والالوان والمفاجآت تريد في الانجاء . وتحملنا الى عالم
مختلف وجو غامر ، مدش ، مفر ومضل يشوبه شي . من علة ما
فوق الواقعية يتزع فيه الفنان الى التشاؤم حالما يسترسل في احلامه
ولا يرى في الحياة سوى مظاهر فحش . ان الحياة قصيدة منسجة
كالشخصية الانسانية ، فاذا كان الانسجام يفترض التنوع فهو
يفضي الى السأم حالما ينحصر بالحلم . غير ان للفنان الحق بان يقول
مع الشاعر . « انني ما يحلو لي ان اكون » ولا يستطيع اي ناقد
ان يلومه على نزاعاته الخاصة . من الواضح ان امثلة صور سيكوفيا
هي مظاهر لشعوره الخاص ، وهو شعور ينطوي على شي . من العودة

حركة « الموزك هول »



حالة نفسية هي حالته الطبيعية الخاصة ، فهو نموذج الفنان المحصور ضمن رؤياه وفي حلمه والذي يخلق الجمال تحت تأثير انجذابات متتابعة تدفعه اليها عناصر خارجية لكنه يوحدها وفقاً للحالة النفسية التي ذكرناها ، مع مراعاة اشكالها الأصلية ما أمكن الأمر. هذا هو التفسير . ان صورة العنيفة ، حيث تهب ريح جنونية ، لا يمكنها ان تكون هائلة بل ربما انبثت منها تأثير اسف وخيبة لولا حدة الحياة التي يخلقها ولولا سحر الوان .

لقد تجررت مدرسة التصوير الاسبانية تجوراً نهائياً من رقة المضادات التي تتعارض في مزيج من العتة والضياء . حيث استبدتها زمناً طويلاً تقليد غريكو ورييرا ، هذا هو بلا شك النصر الاكبر ، الذئير ، العنيف الالوان الذي احرزه غوايا والذي انتهى بسط كل التأثير المظهر حتى افاد منه زولا نوعاً الافادة كلها ومن هنا اخذت ضرب الالوان الساحرة تنقي على الملاون في بلاد تحتوي على اشد الالوان شاعرية وموسيقى . لم يجرم سيكوفيا نفسه من هذا الغناء فاذا هو طلب كل الالوان من تأثير فانه لم ينجح من ان يطلب منها ايضاً قوة التلون والاحساس الحي حتى خلق بواسطتها اجواء ولكن لم يند شيئاً من تقاضيل المحط الثانوية التي كان يعدل الى حذفها ، ان المحط في صور سيكوفيا هو الالوان ذاته الذي كان يجيد استخدامه بمهارة وعنف فيوزع التلون لا تبعاً لثلاثة بل اعطاءاً للتفاصيل الاساسية . لا شك في خطر هذه الطريقة التي يشجعها المعلنون الكلاسيكيون ، غير انه عندما يسار عليها بالمهارة التي يتلك سيكوفيا ناصيتها يجب على الناقدين بمهما علاسلطانهم ، ان يلزموا الصمت . لتجرأ على القول بانه يوجد « غرائز واثقة من نفسها » تفرض ذاتها فرضاً عند ما تبلغ الى مثل هذا النجاح المذهش وذلك بالرغم من مخالفتها للقواعد المتبعة . هو ذا صنيعه الفني الذي يربنا قبل كل شيء . مصوراً صاغ نفسه بنفسه كما تؤكد لنا شخصيته المتفردة .

في طريقة ما فوق الواقعية يبدو فعل العريضة هائلاً ويجب على الفنان قبل كل شيء . تجنب هذا الخطر الذي حى سيكوفيا منه ذوقه السلم وتعامل فيضان الحياة التي يخلقها . ان الموقف الذي يعدل الى التخلي عن كل ما هو ثانوي والى حذف ما يمكن حذفه ليس بالنظر الى الموضوع بل الى الانجاء الذي يثله ، ان هذا الموقف قد وجه سيكوفيا في الطريق التي تسير من التشابه الى البسيط والتي يسار عليها امثال لوتريك وفان كوخ وريبنوار وغوكن ، وهذا ما يتيح لنا التنبؤ عن فناننا انه سوف يرمي ، تبعاً ، بكل القشور ، على غرار اولئك المعلنين ، حتى يبلغ الى هذا الصفاء الشكلي والمعنوي

لا يستمد سيكوفيا اغراء آثاره الفنية من وحي امثله بل من وسائله الفنية ، فهو ، كما قلنا سابقاً ، مخطط ماهر يتلاعب بسهولة فائقة بكل ما يتيح له تخطيط خطوطه على الورق ، وهو يحذف الخط الحلي ولا يهمل مفعول الخط الشاذ الذي يخلق الاحساسات الحارقة ، وهذا ما يمكنه ، عندما يهمل في صورة الخط المنسق ، من خلق حياة حادة بوسائل مرنة ، نادرة ، اي بالتخطيط المثلث والحفري والنجحي . لا شيء . اعني رسوخاً على اسس حفرة من هذه الصورة لهزي هو نجح ، التي المنا اليها سابقاً ، ولم يضع احد قط الملاحظات الالمانية التي تنتج عن الاشكال المرسخة بدقة وقوة ولم يجعلها في متناول من يمكنهم ان يفهموا ويتعجبوا باحسن مما وضعها وجعلها سيكوفيا . لم يبق هنا مشابة بمصر المعنى بل شخص باطني خلقه الفنان من مثال عرض له فكشف لنا عن نفسيته بصورة رائعة . لا يمكننا ان نشبه هذه الوسائل الغريبة ، الغضة ، الاوسائل بابوليبيكاسو مع هذا الفرق وهو ان ما يبدو عند بيكاسو مبهماً ابهاماً مقصوداً ودافعاً الى الحياة يظهر عند سيكوفيا كشيء بدوي وطبيعي . واذا شئنا الاسترسال في المقابلة قلنا ان بيكاسو يخضع لوثيا حياة ألهاها هو ذاته واشكلها لذته العقلية المشبوهة ، ويخضع سيكوفيا

للرأة الفانمرة





هرب العائلة المقدسة إلى مصر

سيكوفيا، نحن لا نفهم ذلك؛ ولكن تكهننا، حتى ولو اخطأ، يظل اجمل ثناء على مواهب الفنان الكبير الذي نحن بصدده . يعيب طريقة ما فوق الواقعية جودها ، فيعلم الفنان ، اي «مناجاة» الباطنية» كما كان جيسس جويس يقول ، ليس له سوى وترواحه . غير ان سيكوفيا ، بالنظر الى قوة وغنى الوسائل الفنية التي يملك ناصيتها ، لمو جدير بان يُعد لنا ، في تطوره ، مفاجآت باهرة .

ليه صفر

الذي يبدو قفراً في نظر العامة يباهو في الحقيقة غنى لا يعادله غنى . هكذا كان تطوّر غريكو ولكن بشي . من الصوفية التي لا يخشى منها ، حسن الخط ، على سيكوفيا ، وهكذا نفس كبار معلمي الفن . ان ما يميز فنههم هو هذه البساطة القصوى في الوسائل المحققة التي لم يبتغوا اليها الا بعد سنين طويلة من ممارسة صناعتهم حتى اوضحت من السهل المستع على سواهم .

من السذاجة ان نتكهن لتطور فنان ما خصوصاً اذا كان بغني

مهدة ايضاً الى الاستاذ نجيب محفوظ مؤلف زقاق المدق

صنع

يصنع فهو صانع، وصنع المصنع السيارات، وصنعت المصانع القنابل فهي صناعة وهي مصنوعة، وعم كامل يصنع البسبوسة، وحسنية القزاة وزوجها جعدة يصنعان الحُب، وكانت الست ام حميدة الحاطبة تصنع العائلات، وصنع المسيح المعجزات، وصنع زبطه المعاهات .

وتوفي زبطه في السجن منذ ايام، ورأيت ان اتقدم بالناس الى الجهات المختصة مطالباً بأن يصنعوا له مثلاً ويقوموا على رأس زقاق المدق، راجياً ان يفصل حضرات المختصين كل الفصل بين ذلك العمل الاضافي الذي ادى به الى السجن واخطأ جزاءه عنه، وبين هذا العمل البطولي الذي وقف زبطه حياته عليه، والقيم التي اذاع لمنى المعاهة الذي كان يدركه مجدسه وعبرته، وكيف استطاع وحده ان يواجه مدينة صاحبة ضاجة وان يلبي فيها باخلاص حاجة ملحة وضرورية .

فقد قبض في ليل احد الايام - ومنذ ستين - على زبطه وصديقه الملقب بالدكتور بوش لانهاهما بسرقة جثث الاموات، وشاع في الزقاق انها كالا يسرقان طقم الانسان الذهبي من جثة المرحوم عبد الحميد الطالبي الذي كان بالغا الدقيق بالبليضة، فلما سمعت بذلك الست سنية عفيفي، وهي جالسة كسرب القهوة التي صنعتها لنفسها بنفسها، رمت بطقم اسنانها الذهبي الذي سبق ان

صنعه لها الدكتور بوش وقام بتربيته لها، ثم صرخت وولولت حتى اغشي عليها . ومنذ ذلك الحين اختفى زبطه وصديقه من حياة الزقاق وانقطع كل منها عن صناعته، ومع ذلك فلم تكن

سرقة جثث الاموات هي العمل الرئيسي لزبطه، بل هو عمل اضافي اضطر اخيراً ان يقوم به الى جانب الصناعة التي وقف عليها حياته . ولقد ولد زبطه لابوين يصطنعان الشجاعة، وكان ذلك اول العلامات الدالة على تأهبه للصناعة التي تفرغ لها فيما بعد . وكان مجتهد - كجني - اي صانع عظيم - بعد انتظار وترقب وحاجة . فقد كان والداه في حاجة الى ابن تحمله الام اثنا. تجوالها لتتبر العطف وتستدر الاحسان وحسن الصنيع، وقد انتظرا طويلاً حتى اضطررا ان يكتريا طفلاً، فما قبل زبطه الى هذا العالم، حتى وفر عليها ثمن الاكل، فكان فرحة عظيمة لهما، كما كان خلاصاً

للكتبيين فيما بعد

وفي التراب نشأ زبطه وفي التراب عاش، كانت امه تتركه يزحف بحجرة يرمي بين القاذورات والحشرات، ويتذوق الوحل ويختبر مواطى الاقدام . كانت نفايات البقدونس وقشر الطماطم والمهام السابجة في المياه الراكدة هي عالمه الجمالي المنقطع النظير . وكان يحس في التصاقه بالطين لذة يصنع الآخرون الجزع منها والتفرز من مواجهتها . وقد هيات له هذه القذارة فرصة الابتعاد عن الناس فيما بعد، متفرغاً لتأملاته ومتفكراً فيما ألقي عليه من مهام، فقد كانت رائحته الكريهة تنبهه عن الناس، وكانت قذارته تجنبه فضولهم وتحديقهم فيه، لا يصانعون ولا يصانعونهم، وهم منتفضون بأنفسهم من انفسهم في روائحهم العطرية واناقتهم المصطنعة، اذا فكروا يائسين فكروا في الانتجار بغير ان يجروا عليه، لا يدركون المعنى الحاصل للمعاهة ولا القيمة العظيمة للتشويه .

قصّة

ولسنا نعرف كثيراً عن حياته أيام صباه فهذا الجزء من تاريخه غامض ومجهول أكثره لدينا ، وكل ما نعرفه مما بلغنا من أخبار انه كان يعمل في «سرك» متجول حيث تدرب على فن «الماكياج» واصبحت له فيه يد صناع . وحيث يمكننا ان نستنتج انه لا بد ان يكون قد تعرف بذلك على جوانب كثيرة وصناعات متعددة في الحياة . وهكذا اعتدته ولادته وظفوفه وأيام صباه للصناعة التي التي على عاتقه ان يأخذ بها فيما بعد..

في هذه الاثناء ، كان زعماء العالم يصنعون الحقد والكراهة في القلوب ويصنعون القنابل والطائرات في المصانع ، ثم مزجوا الجميع معاً وصنعوا منه حريقاً عالمياً كبيراً . وفي الشوارع الفخمة بالمدينة كانت صناعة التجميل قد انتشرت ، تصنع السمنة للتحافظ واللباقة للسان وتزين الشعر وحب الشباب ، وتبرز الازداف وتكور الانداء . وانتشرت الصالونات تسوي الاذن المنكشة وتضفر المفرطحة ، وتعديل الانف المنحني وتدقق الشفتين الغليظتين ، وتعيد الصبا الى « شططوات » الطبقة « الراقية » وفي الغرب كانت قد ظهرت مدارس تعبر عن المشوه ، وزعازها ينشرون الدعوة لفسليها تلاميذ مخلصون يبرزون في الجامد الميت قرف الانسانية وفرغها .

ولقد حدث ذات صباح ان نشرت جميع الجرائد اخباراً عريضة تلقى بالبرق من طفلين ولدا احدهما بلندي والاخر استراليا ، وكان الاول بلا ذراعين ولا قدمين وتوفي بعد دقائق من ولادته ، ولها الآخر فقلبه شعر مازر وله ذيل قصير وقد ولد ميتاً ، فما اقبل مساء ذلك اليوم حتى كان زبطه قد اشرف على زقاق المذق ، وقد اعد الدعة لضيافته ، فحمل معه ادواته ومهاته او اختار الحراة القسامة امام القرن مكاناً يارس منه عمله ، لا يفهم التشويه مجرد معنى جمالي في الجامد او الميت بل معنى نابض حي ، سيأتيه من اجله الجمهورون والمحققون متسللين من مشارق المدينة ومعاربها ثم يغادرون وحلاً وحواريين له في مختلف الاحياء والزوايا .

وفي الطرق والميادين ، وفي الموالد والاعياد ، وقرب المساجد والكنائس ، وفي المتاهي والمقابر ، كان المتصدقون والمحسنون يطالبون سائلهم بما يؤهلهم للشقة والاحسان ، وكانوا ينظرون شؤراً - كما ينظر اصحاب الشركات ومدبرو المصانع الى طالب لا مهل له - كلما وجدوا واحداً منهم صحيح الجسم معافى ، في عينيه النور ، وفي لسانه اللذاقة ، وفي جسده الامتلاء . كانوا اشخاصاً علميين ، لا يريدون ان ينفقوا نفودهم بلا عاهات تستدرهم ولا ان يعموها على غير مستحقين . كانوا يريدون عيماً وعرجاً

وبلهاء كي يغدقوا عليهم ما يقدرونه على عشيقاتهم ، فهم يتطلبون العاهة فيهم تطلبهم الذلة والحاجة في عشيقاتهم .

وهكذا اخذ يقد على زبطه اصدقائه الجدد وصناعه في المستقبل . انهم منتشرون الآن في كل مكان ، في الازقة والحارات ، وفي طرقات المدينة الواسعة وميادينها ، معترفون له بالفضل والثناء . وكل منهم يذكر جيداً هذه اللحظة من حياته التي اقبل فيها على زبطه ، وهو عاطل لا صناعة له ، يقوده في جنح الليل صديق أو دليل ، فتداعبه هذه الرائحة الرطبة التي يواجه بها الزقاق ، ثم الاصوات والاضواء المنسربة من اعلى احد المنازل حيث تجتمع غزوة العلم كرشه صاحب المقهى ، وفوحة القرن المتندبة كأنها شهوة اومقت ، ثم الحراة المعتة الرهيبة كأنها كهف ساحر او جني ، والرائحة الكريهة المنبعثة من ارجاء المكان كأنها احتجاج أموات او معذنين ، وضوء المصباح الكهربائي المرتش يحيل الظلال الى اشباح ورموز ، والادوات الموضوعة على الرف ما بين زجاجات وآلات وضخادات ، وزبطه يختنم القسة في جلبابه الاسود القدر لا يدل عليه الا عيانان ترققان ، وصوت ساخر طاع ، وفار خافتة تتبع من بقايا سيجارة ما بين يده وفه... .

كانوا يأتونه صحاحاً ، وكانت صحتهم تقف عثرة في سبيل حياتهم كما تقف أخلاقيات شاب يافع ، كانوا يدون ايديهم فيجدها الناس لهم فارقة ، وكانوا يطالبون بجهتهم في الحياة فيأباه عليهم الاخرون ، فيقبلون على زبطه ثم يغادرونه « عياناً وكسحاً » وأحداباً وقسماً ومبتوري الاذرع او الارجل » وبذلك يهيم حقهم في الحياة ، وما يبرر لهم اصطناع صناعتهم .

وهكذا كان الليل هو المجال الذي يتحرك فيه زبطه ، كان الليل هو مملكته التي يسيطر على ما فيها من حركات وهسات ورغبات ، وكان صنع العاهة يربط صاحبها به كما تربط المعجزة المريض بمعتقد . فما ينتصف الليل وتسرير الهدأة فيه حتى يبدأ زبطه عمله ، فيجول في حي الحسين العامر ماراً برعيته من الكتل البشرية المتكورة في هذه الزاوية او على ذلك الطوار كأنها بقايا هزعة فيلتي في ميدان الحسين بكسبح الى جانبه ما يشبه صندوقاً ذا عجلات اربع ، فيؤكله ثم يسأله عن حال كساحه ، ويستوي الرجل واقفاً على قدميه ثم يعطيه ملياً هو ريوته ، فاذا انعطف صوب الباب الاخضر التي باعها ذي ذراع مبتورة تعود ان يعرضها للاربع كأنها بقايا شمع جمد ، فيوقفه ليأخذ منه الملمح ، فاذا بلغ القبر القديم التي باعها آخر قد انتشرت على صدره وفخذيه قروح

تعود أن يعرضها على المارين كأنها تقيؤ دوي وهو يغط الآن في نومه هادئاً مستريحاً ، فيركله ويسأله عن قروحه ، فيفتح «الاعمى» عينيه ويعطيه الملم ، وعند الجامع الكبير يلتقي بالأحباب الذي تعود أن يسب الناس ويشتمهم اذا رددوه خائبين كأنهم لم يقنعهم الفرق بين حذبه واستواء قاماتهم ، وفي ذلك الوقت يكون أكثر تكوراً وأكثر سواداً وأكثر هدوءاً وقد انكشف على وجهه وعقد يديه كأنها يصلي ، فاجلس بالخطوات المقتربة حتى يرفع يده بالملم

فيأخذه منه زيطله في صحت ويعضي ، ثم يدور حول المسجد ماراً بصنائه واحداً بعد الآخر ، ثم يتتاع رغيفاً وتبناً وجبناً او حلالة ثم يعود الى خرابته حيث يستأنف دوراً آخر من ادوار عمله .

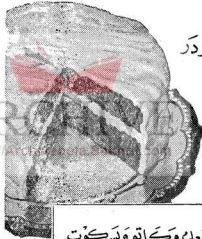
وكان شأنه - شأن كل صانع عظيم يرضي حاجة خاصة في الوقت الذي يرضي فيه حاجة عامة . فهو يتعيش ويصنع لنفسه سبل العيش . فلما تزعم انه اختار هذا النوع من الصناعة اشفاقاً على الانسانية وبراً بها ، بل لقد كان يرضي باختياره ذاك

حاجة فنية الى القسوة في مجتمع قسا عليه حتى لتذوق القربا ا وكان يرضي كذلك حاجة في الآخرين يفيدونها مما تضطرم به نفسه من رغبة . كان الرجل غداً بانه ووجدته ووحشته ، فكان منظر انهم يلاؤ فرحاً مجنوناً ، وكان سماعه تألوهات الرجل الذي يهرس له ذراعه او يتر له رجله يثير فيه لذة حيوانية هائلة ، ولكن فلنذكره دائماً - باعترااف واجلال بالنسبة - انه ما كان يضع لذته فوق المصلحة العامة .

قد حدث في احد الايام ان دخل منزله بعد رحلته الليلية ، فوجد عملاقاً قوياً بانتظاره ، وصفه زيطله انه «بغل بلا زيادة ولا نقصان» وكان الرجل يقول في خور «حظي اسود وعقلي وسخ» وادرك زيطله ان صحة هذا «البغل» مثار للحنق وعقبة كاداً . في سبيل حياته ، ولكنه كظم شوقه الى تهشم رأسه وتقطيع لحمه ، واكتفى بان يعلمه فن العتة - وان لم ينقصه منه شيء . كما قال صانع المعاهات - ويحفظه بعض مدائح الرسول . كما ادرك ذات مرة - وهو ييصق على الارض ويمسح شفتيه بكم جلبابه الاسود امام متسول مهيب الطلعة - ان العاهة قد تكون وقاراً به يستطيع الشخص ان يحصل على وجوده في المجتمع ، كما تكون الذراع المقطوعة وملاحة النفي وشهادة الطالب ونفاق السياسي وكما تكون الالقاب والثروات .

وكان زيطله احلامه البهيمية مثملاً لي ولكم . وكانت احلامه تستركز حول حسنية الفروانة صاحبة الحراة التي يستأجرها منها ، والتي كانت تصنع الخبز . وكانت سيدة مكنترة ذات لحم كثير وبنيسان عراقي ، بتسنى زيطله لو احتساج اليه يوماً

رَوِيَّال بَاكِين بَوْدَر مَسْجُوق خَمِيرَة رَوِيَّال



المُكَلَوِيَّاتِ مِنْ كَعَكٍ وَكَاتُو وَبَسْكَوَتٍ
وغيرها من المعجنات
بترَف نِجَاحِهَا عَلَى سِغَمَالِ
« رَوِيَّال بَاكِين بَوْدَر »
مَسْجُوق خَمِيرَة رَوِيَّال

Royal Baking Powder

الوكالة العامة لبيروت ولبنان :
شركة شرق المتوسط - فان انطون بك - بيروت

كما يحتاج اليه الصيغون . ولقد راودها عن نفسها اكثر من مرة - ورأسه تردحم بأخيلة محسومة - فما كان يلتقي منها الا القسوة الزجر . ولم تكن حسنية في حاجة الى صانع العاهات يشوه عليها حياتها الزوجية ، لانه كان لها في هذه الحياة ما يغنيها عن موته . نهي ما تنفك تضرب زوجها جعده كلما حرق رغيها وسرق آخر ، وهو يستلذ قسوتها وهي تستلذ بكاهه وصراخه ، فلا يلبث ان يقتربا معاً في عاطفة قوية مشبوبة - وشيئاً فشيئاً - نحو لحظة من لحظات صفائها الخالص . فلا عجب ان استغنيا عن زبطه كسا استغنى عنه بقية سكان الرقاق ، لانها استطاعت ان يصنع بانفسها ما يربط حياتها معاً ، وما يضمن لها اللذة والاستمرار . فابلت ان قنع صانع العاهات بان يراقبها من خلال مزبلته، وهما مستمران في شجارهما المنتهي الى صفاء، وهو مسترسل في الاحلام والعذابات . ومن قبل كانت صناعة المطاحن البخارية قد نافست طواحين الهواء ، وكانت صناعة المذيبات قد نافست الشاعر الذي يروي اخبار الزناتي والهلالي ، وكانت صناعة القنابل قد اخذت تنافس زبطه في صناعته، فقد كان انتاجه فريداً وان كانت فيه مهارة الفنان وهوايته، وكان تصنيع العاهات على نطاق الجملة . ومع ذلك فلم يكن هذا معناه بالضبط الاستغناء . الكامل عن خدمات زبطه ، لان مصر لم تصب اولاً كثيراً بمثل تلك الفارة التي شهدتها زبطه ذات يوم ، ولان حاجة مجتمعتنا الى صناعة التشويه هي حاجة ملحة وضرورية ، بعضها تشويه محطم كالذي تصنعه لنا الحرب والقارات ، وبعضها تشويه خلاق كالذي كان يصنعه زبطه . فالشحاذا يأتيه - على حد قوله - وهو لا يساوي ملياً ، فاذا غادره فقد ساوى ثقله ذهباً . لهذا كانت لديه عقيدة راسخة لا تتزلزل - كان يقوم عليها ايمانه

بصناعته - ذلك ان الناس في حاجة دائماً اليه فلا يعلم المليل ان يفرز له شخصاً من هذه الزاوية او تلك . ومع ذلك فقد اضطر اخيراً ان يقوم بعمل اضافي ، حيث يذهب مع صديقه اللقب بالدكتور بوش بين ليله واخرى لانتزاع بضعة اسنان ذهبية او فضة من جثة هذا المرحوم او ذاك ، حتى يقبض عليها اخيراً ، وحكم زبطه من اجل علم لم يكرس له جهوده ، وكان مجرد مهمة عرضية في حياته .

وكان نحن منتشرين في الموالد والافراح او جالسين نلهو في المقاهي والحدائق ، فاذا تدحرج علينا اعمى او مفأفى . او كسيح خالجتنا ربية في استمراء سلامتنا وساورنا قلقي على اتصالنا بآتينتنا وكنا ندفع عنا تلك الزبنة وذاك العلق بليم او قرش في يد سائلنا . كان يشيع في نفوسنا ادراك عام لمعنى الزمن المتقلب ، وللطائفة التي لا وجود لها ، ونحن اكسل من ان نحاول النفاذ الى مواطن اصدقائنا وعشيقائنا وشجائنا ، وكان زبطه يدرك هذا الضعف فينا فيؤفر علينا ما يتطلبه ذلك من مجهود لا قبل لنا ببذله، فكان يفرز لنا في يد مبتورة او رجل مثالوة وعنه او به آخر صورة من صور المأساة التي يمكن ان نطعم اليها والتي نجد اسبابها ونحس اصولها في ارواحنا ومجتمعاتنا .

ومنذ القرن من السنين اقبل المسح الى العالم ، ومضى ذلك الانسان الالهى يشيى المرضى والعبي والمرض فيهم بذلك حياة جديدة حتى سمي صانع المعجزات . ولما جاء القرن العشرون اقبل زبطه الى هذا العالم ، يصنع المرضى والعبي والمرض ليهمم بذلك حياة جديدة ، حتى لقد سمي صانع العاهات . وقد يحدث ان يأتي اليوم الذي تنتشر فيه صورته في المابذ والمخادع ، وتباع قائلته في الحوانيت والموالد ، وتوزن الكتب عن اعماله وحياته ، ولهذا تدركون تواضع ما تطالب به من صنع تمثال صغير يقيم له الآن على رأس زقاق المدق . كما تدركون اهمية ذلك الطالب تجيلاً لما قام به واعترافاً بفضل على كل من صنع له صناعة ، وتغييراً له عن غيره ممن يشيعون التشويه المحطم والتشويه الذي لا طائل وراه فتصنع لهم قائل غالية ومرفعة .

كما اتضح كذلك بالاهتمام بأمر خرابته التي امضى فيها حياته لعلمنا تصنيع ذات يوم اثرأ تصدده الوفود من كل اقطار الارض . فلقد كان زبطه صانعاً ، وكانت له صفة ، وصنيعته منتشرون اليوم في كل مكان ، فلا اقل من ان نرد اليه بعض صنيعه .

الاهرة يوسف الشاروني

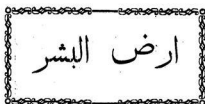
مجموعات الادب

لدى الادارة مجموعات من الادب تطلب بالنسبة التالي :

| السنة | ايرات | جنيات | دولارات |
|--------------|-------|-------|---------|
| الاولى ١٩٨٢ | ٣٥ | ٦ | ١٦ |
| الثانية ١٩٨٣ | ٢٥ | ٣ | ١٢ |
| الثالثة ١٩٨٤ | ١٥ | ٢ | ٧ |
| الرابعة ١٩٨٥ | ١٥ | ٢ | ٧ |
| الخامسة ١٩٨٦ | ١٥ | ٢ | ٧ |
| السادسة ١٩٨٧ | ١٥ | ٢ | ٧ |
| السابعة ١٩٨٨ | ١٥ | ٢ | ٧ |

اعتذار

كيف 'نفيس الحياه ... على شعاب الكلم
وكل لفظ متاه ... تضل فيه القدم
بل فكرة عن إله ... ماتت فصارت صنم
بغير دم ، بلا حياه



اقول... والقول زور ... كبصقة المصدور
تشير .. دون شعور ... الى لظى مسعور
وما يُنَجِّ صدور ... زعافها المقرور
بل يشير ... بلا شعور

خطرت في الامكان ... ولفظتي موضع
اجس منه الزمان ... واعرف الموقع
وعدت م الخطران ... - يا ليت لم ارجع -
على موضع ، بغير زمان

الاسم ... فعل جمد ... هيات أن يجبر
واللفظ ... ومض جمد ... يا ضيعة الرؤيا
كنفضة - الابد - تشابت عيا
ولن نحيا ، على الابد .

فان اكن احياه ... فانه حظي
يا هول هيجواه ... وقد بلا قيظ
فلتشهدي يا حياه ... جنازة اللفظ
بها حظي ، من الحياه

١ - في المتقهى

الى الصديق الاستاذ محمود الفوارى احمد

كهذي النفضة الكبرى بلا وهم .. بلا معنى .
كهذي اليقظة الكبرى امام الاسطر الوسى .

الفاخرة

م

هنا ... في جلستي الجرداء ، ادرعي حجاباً .. وهنا .
 كهذا اللفظ .. ذاك اللفظ ، لا صدقاً ولا ميناً ،
 ولكن طاقة رعنا ، تقني ها هنا فتاً ..

كهذا الشاخص النافي ، كهذا الذاكِر الناسي ..
 كهذا .. جيت - مذ ان جت - ارض الله والناس
 فلم اسلك ، ولم اسلك - على عربي وافلاسي ،
 امام الله والناس - سوى نفسي واحساسي ..
 يحظور في فجاج الارض اخطوره بانفاسي .

كهذا عشت - مذ اقبلت - لا معنى ولا مبني .
 كهذا عشت ، بل عشنا معاً ، عشنا .. اجل عشنا
 معاً ، - ابنا . هذي الیقطة الكبرى - .. معاً طفتنا
 بأرض الله والانسان ، لا صدقاً ولا ميناً ،
 ولكن طاقة رعنا ، تحصب ارضهم فتاً .

الى ان هالتي في الارض ، من حولي وقدامي .
 فراغ ساغب سامان ، يصفح جذب اقلامي ،
 ولم اعثر ، ولم ابصر ، - على سني واعوامي ،
 امام الله والناس - سوى غوري وإقتامي ،
 وخطوره في فجاج الارض اخطوره بأوهامي .

وكان الناس - مذ كانوا - صيداً للذي يبيئ ،
 يرون الحق في الاشياء رمزاً ما له معنى .
 فرحت ادف مثل الناس ، لا صدقاً ولا ميناً ،
 ولكن كنت مثل الناس استبتي الذي يقني .
 ارى الاشياء اشياء ، وهذا الكون لي كوناً .

فكنا نلم الشطرنج - بعد العصر - في المتهي
 ونعلم انها الشطرنج - لا مبيكى ولا ملهى -

ولكن غاية جرداء غمضي نحوها ... عنها !
 فرقتها - كهذي الارض - مقها - أبت كنها ..
 « سزيف » يدفع الصخرة ... هل يدفعها ؟ سلها ؟

وكان الناس من حولي ، يرون محبتي أمناً ...
 أجل أمناً ... لهم ... لا لي ... لهم أمناً ، ولي ضعفاً
 يقني . على مساواتي ، ويفرش بهجتي حزناً .
 تُراني لست مثل الناس - لا أحيا ولا أفني - ،
 ولكن يقطعة جرداء تفرز بينهم فنا ؟ !

ألم أفرغ الى الشطرنج بعد العصر في المتهي ...
 فلم أرغب ، ولم أرهب ، ولم أتمت ، ولم أشه !
 ولكني رأيت الناس - تلك الاعين البله - ،
 تجبص في مسايري كذيل الكلية الوهي .
 فرحت اسائل الايواب هل لي مهرب منها ؟

وكان الناس من حولي يرون توقني جيتاً ...
 ويشجرون ، يشجرون - لا معنى ولا مبني - ،
 ولكن ضجة حقا . أعني فمها الذهب
 فصغت - يوحدني معهم وفوط ملائي - ركناً
 أجمع فيه ما يلون ، حتى اصنع المعنى .

فقام الناس يستبقون حول منافذ الماء ...
 ويتركون بالكلمات في فح - والحواء .
 وهم كبيرهم فيهم خطيباً : - « يا أحبابي
 الي بزهرة للسر ، تكشف سر أعدائي
 وتحفظ أرضنا فينا » وذل القول اصغائي .

فقت أسابق اللفظات ، أصرخ بينهم : « هونا ،
 لنا أرض ... أجل ارض هنا ... لكن بلا معنى »

سوى هذا الالهات الحر. - لا صدقا ولا ميئا -
ولكن يقطعة جوفاء. لم أجعل لها وزنا .
لنا أرض مقدسة .. أجل .. لكنهما .. أينما ؟

رأيت الأرض - هذي الأرض - لكن ، لا قداسات ،
مماثلة ، وأرقاماً ، سليبات ، غيبات ،
ندف بها ، فلا تلويغ يخلفسا ، ولا آتي ،
بأعوار ضريوات ، وغايات غسريوات ،
نقاطاً في مهيب الغيب تجري في المسافات .

فصاح الناس : « قال الغيب للمجهول سكن كوننا ،
فكان الكون .. سكن الناس » لا صدقا ولا ميئا ،
ولكن غيبة سوداء ، تخفي دوننا المعنى ،
ومعني ظلها الممدود فيها نحو ... لا أينما !!
« الى المجهول » صاح الناس « نحو الغيب ما عشنا

خطانا في طريق الله ، ما سرنا بأرض الله ،
خطايا ، لم نزل ، حتى يزول رجسها لقيام
وهذا السر ؟ .. هذي الأرض ؟ .. « رمز عنده معناه »
ولكنني أرى عمري حياة ... آه .. محض حياه .
وأشهد في دمي الانسان ، معجزة بغير إله .

وهذي الأرض ١. أين الأرض ؟ .. لا منها ولا منها ١
أجسر عابر تطويه صوب الضفة الحسنى
تري ، أم غاب قضبان تقارف بينها سجننا ؟
رأيت الأرض - هذي الأرض - مهاناً - بلا معنى ،
سوى هذا المضي الحر ... لا صدقا ولا ميئا .

فدار الناس من حولي صفوفاً ، واعتدوا حلقات .
وطافت بيننا القصبات ، طافت بيننا القصبات .
وبصت مثلة حمراء تشهد موكب اللحظات ...
تتأقل بيننا ، يخال عبر خارج الكلمات ...

ويدفع نحونا الأفاق ، دون حقاقة الخطوات .

وكان الناس من حولي ، يرون تينظي شينا ..
وكننت ارااه لي معنى . لهم شينا ... ولي معنى .
اعيش به واحياه ، ليفني ها هنا فنا .
فكان الناس يعقرون - لا صدقا ولا ميئا - ،
ولكن غربة بلهاء ، لم تبعد بهم 'ركنا ١١

وهم كيبهم فيهم خطايا : « يا احياي ،
احس بهذه الاقدام تتقل حمر اسرائي ،
فينا تلخع الاقدام ، ها .. دون ابطا ..
لكي نخفي .. اجل نخفي .. بلا نقل ، بلاداء ،
الاهت أرض اعدائي ، وابني مجد ابناي »

فقت اسابق الانفاس اصرخ بينهم « هوتا ،
لنا أرض مقدسة .. أجل .. لكننا .. أينما ؟
احس بسرهما اللباض يكسب خطوتي وزنا ،
لنا في تربها معنى ، وسني رباحها مبني ،
وجود .. من دم الانسان ، لا يبلى ولا يفنى .

وكان الناس يعقرون صوب عوالم التسيان .
ويندفعون ، لا أرض تدير بهم ولا ازنسان ،
فرحت أشاهد الاقدام ، تلقف ثقلها النيران .
وأحلم ان لي راضاً . أجل . لكن أبأي مكان ؟
لناها : دفعة كبرى . وفيض حياتها : إنسان .

وعدت ليقتلي الجرداء . خلف الاسطر الوسني .
هنا في جلستي البهاء ، ارعى حسبا .. وهنا .
كهذا اللفظ ، ذاك اللفظ ، - لا صدقا ولا ميئا - ،
ولكن طاقة وعناء ، تفني ها هنا فنا .
وأشهد عمري الحياتي يبهده في دمي معنى ..

محمود أمين العالم

افاهرة

بين الشعر والموسيقى

هذه الى الانسين ب. وس.

بلم نهم البرمه محمودي

٢٨



القينا نظرة سريعة على أهم الشعراء في الادب الانكليزي خاصة ، والادب الاوربي عامة منذ اقدم العصور، حتى اواخر القرن التاسع عشر، نجد ان شعرهم يكاد يخلو من اية اشارة الى موضوع الموسيقى ، وإذا اسعنا الحظ وعثرنا على تلميح بهذا الخصوص فيكون ذلك بصورة مقتضبة ليست ذات أهمية. ومثل على ذلك ما ورد في القصيدة التي بعثها جون ولتن (١٦٠٨ - ١٦٧٩) الى والده مشيراً الى علاقة الشعر بالموسيقى فأطلق عليها صفة القرابة.

ومن النادر ان نجد شاعراً يلم المأساً كافيًا بالموسيقى، والشاعر الوحيد الذي كان يقضي بعض وقته لاعباً على الارجون في كنيسة «سنت يول» هو اديان باتن. اما جون درايدن (١٦٣١-١٧٠٠) فكان آخر شعراء هذه الحقبة الذين اظهروا بعض الاهتمام في الموسيقى، فذراه يثني على الموسيقىار «برسل» في مقدمة «امفيتيون» ونلاحظ في كتاباته الاخرى مثل «عيد الاسكندر» بعض التعريض للموسيقى، فهو يقدرها لا شيء بل تقدرتها على اثارة العاطفة والشعور.

واذا تقدمنا شيئاً فشيئاً نحو شعراء القرن التاسع عشر بدت لنا هذه الظاهرة - ظاهرة خلو الشعر من موضوع الموسيقى - اكثر وضوحاً. فهذا وردسورث (١٧٧٠-١٨٥٠) شاعر الحب والجمال وهذا كوايردج (١٧٧٢-١٨٣٤) كلاهما يقمان خارج نطاق تأثير الموسيقى. اما شيلي (١٧٩٢-١٨٢٢) فع انه كان يستطيط بمواع الاالحان العاطفية فانه لم يكتف بجاهيتها. وقل مثل هذا على بايرن (١٧٨٨-١٨٢٤) الذي اذا جردناه من الاغنية التي كتبها الى (برامر) نكسر قد قضينا على كل ما يربطه بالموسيقى من علاقة.

وكذلك كيتس (١٧٩٥ - ١٨٢١) لم يرد في قصائده اي ذكر للموسيقى البتة.

اما الادباء الافرنسيين في القرن التاسع عشر فباستثناء روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) الذي كان يجيد الموسيقى وله بعض القطع المسجلة لا نجد من الادباء الافرنسيين مثل فولتير من يأبه بالموسيقى اما فيكتور هوغو فلم يرد في كتاباته سوى اذناناب عرضي للموسيقى يبتهون.

وان اردنا ان نختار من يمثل العقلية الالمانية والادب الالاماني في هذه الحقبة فليس هناك من ينافس غوته في هذا الاختيار. لقد عالج غوته في كتاباته جميع المواضيع التي كانت سائدة في عصره من فلسفة وسياسة وعلم الحياة الى غير ذلك من العلوم والمعارف. وصادف عندما ولد غوته ان كان الموسيقىار باخ لا يزال في قيد الحياة وقبل موته بفترة وجيزة ابتدأ الموسيقىار شومان بتأليف اول سمفونياته اما هايدن وموزارت وبيتهوفن وشوبرت ووبر فجميعهم نشأوا وترعرعوا والغزوا واثمهم الموسيقية في اثناء حياته.

فاذا كان ياترى موقف هذا الالاماني العظيم حيال اعظم فن الماني ؟ نحن نعلم بان علاقته مع بيتهوفن كانت حسنة وكان بينهما نوع من الصداقة الشخصية الا انه حيناً كانه يهمة استحصال مبلغ من المال من الامير «كلر اوكت» لطبع احدي رواثعه الموسيقية رفض غوته تلبية رجاؤه. اما شوبرت فقد بعث اليه بنسخة خطية من (ارلكونك Erlkoning) فلم يأبه بها غوته حتى انه لم يبتس بينت شقة.

هذا ما كان من موقف الادباء. التربيين حيال الموسيقى استعرضناه بصورة سريعة في اهمها اكر الحضارة الاوربية : انكلترا وفرنسا

ومن الغريب ان بعض الموسيقيين يتلاعبون في قطعهم ويزيدون في تعقيدها ظانين ان هذا التعقيد يكسبها نوعاً من الرقي والعظمة كأن الصبورة والتعقيد من صفات الفن الضرورية او انها من غاياته .

اما من ناحية الانسجام والتأسك الموجودين في القطع الموسيقية المنفردة والقائدات المنفردة فان هذه الصفة تكون على اشدها في هذين الفنين - الشعر والموسيقى - ولن تظهر لنا اهمية هذه الصفة الا اذا قارناها مع بقية الفنون . فنلاحظ مثلاً ان في امكاننا التطلع الى احدى الألواح الزيتية ، وعلى سبيل المثال لنفرض ان هذه القطعة هي العشاء الرباني لتيان ، فباستطاعتنا ان ندرس تفاصيلها جزءاً بجزءاً ، وأيضاً ونحالا من الاعلى ومن الاسفل كما يمكننا دراسة الاشخاص فرداً فرداً والامام بالنقوش والمنحوتات والاثاث ما وسعت له مداركنا ودقه نظرنا .

اما في الشعر والموسيقى فهذه الميزات غير متوفرة اذ أنه في البيت شعري يتعدى علينا تجزئته الى كلماته مع بقاء الانسجام والمعنى فلو اخذنا اشهر بيت لشكسبير واشهر لحنه لماندل وحاولنا ترجيعها واعادتها - فمع ان الترجيع في هذه الحالة غير ممكن فانه يجر دكلاً من البيت الشعري واللمحة الموسيقية من جميع زواياها ومعناها . اوجه الاختلاف

الشعر عن الموسيقى في امور عديدة منها اختلاف الوسط ، فالشعر يعبر عنه بالكلمات وثروته المفردات اما الموسيقى فيعبر عنها بالاصوات وثروتها الألحان . واهم الاختلافات الاخرى قضية دقة العرض والقدره على الوصف فالشعر يتنازع بهذه الناحية على الموسيقى بقدرته على دقة الوصف ، ومن ابرز زوايا الملاحم الشعرية وخاصة تلك التي ابدعها ملق ودانتي هي على عرض الموضوع وتقريبه من اذهاننا كما هو بهيئة شعرية جميلة وان هذه الميزة لا تعني نقل الظواهر الطبيعية بقدر ما يفعل الرسام في تصويره منظر طبيعي ، بل تعني بالدرجة الاولى تجسيد الافكار المتشعبة في تلك الظواهر . في هذه الناحية ، ناحية الدقة في عرض الموضوع بصورته الحقيقية تقف الموسيقى مكتوفة الايدي . ولو ان الموسيقى التصويرية قد بلغت شأواً بعيداً في التقدم فانها تعجز عن عرض الموضوع دون الاعتماد على مساعدة الكتابة وبعض الحركات التشيلية كما هو الحال في الاوبرات .

واذا اخذنا مثلاً القطعة الموسيقية المداة بـ (ارلكوننك Erlkonig) لشوبرت والتي تصور فيها عاصفة هوجاء وكذلك

والمانيا واطلعتنا على سمة الخلاف بين الشعر والموسيقى ؟ فما هو السبب يا ترى في هذا الجفاء ؟ يظهر ان السبب الذي ساعد على حصول عدم الالتئام هذا يعود الى عامل تاريخي وهو : في اواخر القرن السادس عشر واول القرن السابع عشر شاعت الموسيقى الغنائية واتمش شعراء الاغاني لان الموسيقى كانت الوساطة المثلى للاشادة بذكرهم . وعلى هذا الاساس كان هذا العامل سبباً في تحمين العلاقات بين الشعراء والموسيقيين الى حد ما .

ولكن في اواسط القرن الثامن عشر اصابت الموسيقى الغنائية موجة ركود قوية اغاطت الشعراء اشد الاغاطة واثارت قدحهم على الموسيقى مما دعا اديسون ان يتذمر ويقول "لن الله الموسيقى فانها حرمتنا من ان نتذوق صياح كل شي . ذي معنى " وما زاد في الطين بله ان اقلية الموسيقيين اخذوا يولدون استلزامهم الذاتي وينشئون مملكتهم بعيداً عن العالم المادي وفي مغزل عن الشعراء . وبالإضافة الى ذلك فان اكتشاف الموسيقيين لآفاق جديدة كالسوناتا والكوارتيت والسفونيا جعلهم يستغنون عن معاونة الشعراء ، بل ان ذلك اثار شوقهم للارتقاء الى عالم خاص بهم لا يتنازعهم فيه معاناز . فاذا كانت الحال كذلك فلا عجب اذا ما وجدنا الشعراء ينظرون الى هذا القرن الجديد نظرة ارتياح وعدم اطمئنان .

اوجه التشابه بين الشعر والموسيقى

الرغم من ان علاقة الشعر بالموسيقى لم تكن على ما يرام كما بينا سابقاً فمن الممكن إيجاد عدد من اوجه التشابه بينهما . واول ما يلفت نظرنا هو ان اللون والوزن معاً يحتلان مركزاً ذا اهمية كبرى في الشعر والموسيقى لا يمكن مقارنتها من حيث الاهمية مع بقية الفنون من تصوير ونحت وعمارة . وان يكن من المحتمل استخدام الوزن واللحن في هذه الفنون الا ان ذلك يكون بصورة رمزية فقط . ومن الجدير بالذكر انه اذا اردنا مدح قصيدة شعرية اطلقنا عليها صفة الموسيقى فنقول مثلاً : تلك قصيدة جميلة ذات انسجام موسيقي . وفي الحقيقة انه لم يكن جزافاً ما قاله بيتروني عن نفسه بأنه شاعر الحان . ونقطة التشابه الثانية بين الشعر والموسيقى هي ان كلاهما معرضان الى نفس الامراض ، قابلية التعدد في الشعر والموسيقى لا تقل اثرأ وضراً عن عبادة الاصنام للدين ، كما ان الفوضى المكتسبة بكسب الحرية الشخصية من اخطر الامراض التي تصيب هذين الفنين . نعم ان الحرية الشخصية هي اسمى غايات الفنان وبدونها لا يمكن وجود اي خلق او ابداع ، الا ان الحرية الشخصية لا تعني الابتعاد كلياً عن جميع قواعد الذوق السليم .

مقدمة (فالكييري Walküre) لهاغ فان الانطباع الذي نحصل عليه لا يشبه صوت إلهامه الحقيقي ، ففي هذه الحالة يكون كل من شوبرت وفاغنر قد اخفقا في عرض الموضوع اذا كانت الغاية من قطعتهما هو تمثيل العاصفة في حقيقتها ، وفي الحقيقة انهما لم يقصدا تقليد الطبيعة لان الفن لم يكن في جوهره تقليداً للطبيعة بل انه اكثر ما يكون خلقاً وابداعاً .

وبقدر تقصير الموسيقى في بلوغ الغاية في دقة الوصف فانها تتفوق على بقية الفنون من ناحية ان الابداع الموسيقي يتعدى تحليله ووصفه الا بالموسيقى نفسها . ومع هذا فان الموسيقى ضمن نطاقها ذات حقيقة لا تقل عن اي فن آخر فاسلوبها لا يقل روعة عن اسلوب ملق ، وكذلك الانسجام والمهنية التي نجدها في قطع بيتهوفن لا تقل كلاً عن تلك الصفات الماثلة عند شكسبير . وكما قال «كوليريدج» ان الموسيقى الدينية بمثابة الامار الخالية من المعنى تماماً . ونقطة الاختلاف الأخرى بين الشعر والموسيقى هي ان اوزان الشعر محدودة وذات نطاق معين تتحكم في الشاعر عند نظمه قصائده . اما اوزان الموسيقى فلا حد لها وللموسيقار ملء الحرية في اختيار ما يراه مناسباً من الالان والاصوات . ونقطة الاختلاف الأخيرة التي استطاع وصفها في باب أوجه

الاختلاف بين الشعر والموسيقى هي مسألة تنازع الأصوات وتداخل الالان فالموسيقار في هذه الناحية مطلق الحرية في استخدام الأصوات المختلفة، تلك الأصوات التي مع محافظة كل منها على استقلاله ووحدةه فتداخلها جميعاً تكسب القطعة الموسيقية روعة وجاذبية . ولكن في الشعر يختلف الحال فام الاختلاف فالبهجة التي نحصل عليها في أشعارك عدد من المذنبين في قطعة موسيقية غنائية تنقلب الى عكس ذلك حينما يقف أربعة شعراء وينطقون معاً ومرة واحدة . وما عدا هذه الاختلافات الجوهرية فان العلاقة بينهما هي اوثق منها في اي فن من الفنون الأخرى وما الموسيقي في الحقيقة الا شعر يعبر عنه بالالان عوضاً عن الكلمات .

بنداد

نجم الربيع محمودي

المراجع : ام المراجع التي طالعتها في كتابه هذا الموضوع هي :

1 - Collected Essays G. W. H. Hadow Oxford University Press 1928

ويحتوي هذا الكتاب على أم المعاصرات والابحاث التي القيت في المجمع البريطاني وجامعي اوكسفورد وكمبريدج في موضوع الموسيقى بين عام ١٩٠٦ و ١٩٢٦ .

2 - A Short History of English Literature S. Ifor Evans Pellican Books 1948

عاصفة

http://Archivebeta.Sakhril.com

أيتها الطبيعة

انت أمي وأبي

وما تضعين كل عام

في الارض أم في السماء

اخوتي واخواتي ...

لو كنت رياحاً يا هوج

لمرت على الأكواخ القديمة

آيات الرحمة والخائف ...

لو كنت زوبية يا دوامة

لدت حول القصور الشامخة

أسعها ...

وأملأ دروسها الجوفاء الجافة ...

لو كنت رياحاً يا نكباء

لوجت قلوب الصغور

ودفنتها ذرائر

أحاراً تنساب

في دروب الامد...

لو كنت رياحاً يا عاصية

لسجدت امام الايمان

مهيبة مهيبة الانسان

في كل مكان وزمان

وحطفت أوتاري

أنفام الفرح تشدو...

لو كنت رياحاً يا فاذة

لدت على نفسي

أترع الادردان

ثم على سواي

يا في نقوسهم من أدران...

لو كنت رياحاً يا ماقية

لست السلام

وسكبته حثاثاً

على قلوب صحراوية

طشاي ...

ويل لك يا رياح

ان حطمت كوخاً

ويل لك يا رياح

ان اجفلك القصور!

وكم في الاكوخ الصغيرة

من نقوس كبيرة

غمرها الايمان بالانسان

وكم في القصور العظيمة

من نقوس صغيرة

مسحها الكثر بالانسان...

مري يا رياح هدي

رهماك في ثوبك الجديد

وطمي الانسان الكسح

كيف يجبو في دروب السلام!

نرميا ملحن

المشوهون

مسرحية جديدة

يُعلم عُلم هندوي

✱

الام : بربك اصادق انت فيا تقول ؟ :

الا يزال الذي اخططته القنبلة من بين يدي حياً... بشرني...
قل لي تعد الي الحياة ، والامل ، والدنيا ، وكل شي . اما لي اراك
ساكتاً ؟ اتظن انه لا يزال تحت الانتقاض ؟ هاتوه لي على اي
حال ! ان يماكتاني ان ارد اليه الحياة ...

عاطف : (يوارى وجهه)

انه حي ، اقسم لك على ذلك... اهدني بالآ وقرى عيناً !

(للبريض) اسجوا سرىوها الى قاعة العمليات !

(لعادل) ارايت ان ساقها لا بد من بقرها الآن لان

العظم مهشم ...

عادل : انها ليست تسأل عن حياتها... وسيان عندها ان

تحيا بساقين او بساق واحدة.. وانما يهمنا ان ترى ولدها. ان قلبها

يشورها بان ولدها استبدت به الانتقاض . ما عساه تصنع

لو قلنا لها ذلك ؟

عاطف : انها تصبر قليلاً ثم تضعل ...

عادل : لا يزال هناك تبع القافلة !

ألا انتباه لهذه المسألة ؟

(فجأة تدوي صفارات الانذار)

بمرض : اسرعوا حالاً الى الطوابق

السفلى ، الى الملاجى . !

عاطف : وهؤلاء يتكون لمن ؟

عادل : لكن الخطر يهيب بنا ان نبتعد.

عاطف : سنعمل في الاعلى ، وفي

الفصل الاول

المنظر الاول

يفتح الستار على مدينة مظلمة كسدينة الاموات . انوارها زرقاء .
وظلمتها شاملة .

نغن في مستشفى يدل ما فيه على الاضطراب الزائد وفيه أطباء
وممرضات واسرة منتفخة تحمل جرحى وقتلى من اثر غارة جوية .

لا يزال المدير بعيداً ولا يزال الدوي يتواصل متقطعاً .

(سيارة تدوي في الخارج)

عاطف : (ان حوله من ممرضين وممرضات)

اقبلت سيارة الاسعاف مرة ثانية ، تداركوا من فيها

(يركضون بأسرعهم المتفلة)

(لعادل)

أترى هؤلاء المدنيين يؤلفون جيشاً خطراً على العدو ؟

عادل : هي الحرب ، متى تجردت عن الانسانية ، فكيف

زيد منها ان تتمسك بالانسانية ... انها وحدها عمل غير

انساني ، لا هدف لها الا تشويه الانسانية ...

عاطف : ذلك حق !

وهذه القافلة الثانية ...

(أين صراخ من نساء ورجال وامطال)

(ام) : هبلوا اولادي ... كنت

احضهم حينما هوت علينا القنبلة ولا ارى

احداً منهم حوي .

عاطف : لا بأس عليهم ... اننا

انتشلناهم احياء ... عودي الى هذولك

لان الهدوء شرط لاتقاذ حياتك .

الزمان : ايام الحرب . في لبة من لباي
الغارات الجوية .
المكان : بيت ومستشفى .
الاشخاص :
الدكتور عاطف
الدكتور عادل
علياء : زوجة عاطف . وام الولدين .
نخله : ابنة عاطف
طارق : ولد عاطف

الأسفل، وفي أي مكان !

(تدوي التنايل، ويضال أزيز الطائرات، والمداغ المضادة)

عادل : الفارة ! والفارة ! والانتقاض فوق الانتقاض .

عاطف : (بهكم) أو ليست الانتقاض التي تسببها قتال الحرية تذهب في وجه الحرية؟ وما تسببها قتال الوحشية تذهب للوحشية .
الآن ارسوا سيارة الأسعاف تدور، وارسوا سيارة غيرها ...
ربما اودى التأخر بكثير من الأرواح المعلقة حباتها بخيط دقيق .
(يدق جرس التلفون)

عاطف : (نعم، نعم! ...) هيانا كل شي ... السيارات
الآن في الطريق ...

سأذهب بنفسني !

(لمدل)

الحسائر في الأرواح كثيرة، يظن ان نصف حي كلل
قد دمرته التنايل !

سأقف بنفسني على اعمال الانتقاض واستخراج الضحايا ...

عادل : كان الله ملك !

عاطف : لا تبرح مكانك (يهرج عاطف)

المظهر الثاني

« في اللجأ » (ام وولدها وابنها) أسرة الطبيب عاطف على شو ...
شمة مرمجة غيد الام تحضن ابنها ، وطارق يجانبها يحفي اضطراباً في
نفسه. الدوي يزيد شيئاً فشيئاً »

نجلاء : (لهما غلاء)

امام ! كل اعضائي ترجف !

غلاء : هو في عليك يا بنيتي ! انهم لا يضررون الا الاهداف
العسكرية ...

طارق : ولكن ايدل هذا الدوي القريب على ان القتال بل
غير بعيدة عن رؤوسنا .

غلاء : تجلج البنا ذلك ! ولكن الحقيقة ...

(هنا يحسون باليت يرتجف ذجاجه وتضطك ابوابه)

طارق : الحقيقة انهم سيصيبون سقننا !

نجلاء : امام ! ضحني البكا تأدي ابي ! اين هو عنا في هذه الساعة ؟
« تحاول الام عينا عدتها . لكن الدوي قد ابتد وان كان لا يزال »

غلاء : نامي يا نجلاء ! !

نجلاء : كيف انام ولم يأت ابي !

طارق : لا اراه الليلة قادراً على الوصول البنا ... لان غارة

الليلة عنيفة تنذر بضحايا كثيرة .

غلاء : ان واجبه يدعوه الى استنقاذ الضحايا ، والبحث
عنهم تحت الانتقاض !

نجلاء : ويلاه ! اينشلون الضحايا من تحت الانتقاض ؟ احقاً
يا امي كما يقولون ؟ انهم يجدون اطفالاً مشوهين تحت الانتقاض ،
ورجلاً مبتورين ... و ...

غلاء : ويك ، ومن يوحي اليك بهذه الصور ؟

نجلاء : لقد سمعت جارتنا تقول اليوم : ان القنبلة التي سقطت
على البناية الكبيرة ، فتشم تحتها عشرة اشخاص اختلطت
اعضائهم بعضها ببعض ...

طارق : انني لا استطيع ان اقتل ابي الآن يدور تحت قصف
القتال من شارع الى شارع بسيارته ... اخاف عليه الشظايا ...
حاملة المنايا !

غلاء : قل : « لن يصيننا الا ما كتب الله لنا » .

طارق : يودي ان انطلق اليه !

غلاء : واي طريق تسلك في هذه الحالة ؟

« يشتد الدوي حتى لكأنه يقع عليهم »

نجلاء : امام ! امام ! شي لا يمكن احتماله ! اعدينا بالسفر الى
الريف قبل مطلع الفجر ... لم يبق احد في المدينة .

غلاء : وابوك يا نجلاء ؟ لمن تتركينه ؟

نجلاء : (تردد باكية)

غلاء : ليكن ذلك ! اعداً ستسافر عند مطلع الفجر .

طارق : واي ...

غلاء : يبقى لي معنى للصايين ... اليس هذا ما تريدون ؟

طارق : انني لا ابرح مكاني بدونه ...

نجلاء : ولماذا يقتلوننا ، ويهدمون بيوتنا ؟ اي غرض لهم
في هذا الشي ؟

غلاء : ان هذا السؤال يتردد على كل شفة في المدينة ...

اما الجواب ...

نجلاء : الجواب ... تريدون الجواب ! هي الحرب ... كل
ما على الارض تطلق بنارها ، الابرياء فيها مثل المجرمين ... ومن
نحن حتى يتخذنا القدر من لظاها ؟

طارق : ولكن اولئك يشعلون بنارها ، وينجرفون بتيارها
... لانهم ارادوها ... لانهم اسلموها ليتصرفوا ! ونحن ماذا يصيننا

إذا نُحِلْنَا انْتِقالْها ... ؟ أولئك يموتون للظفر ... وغيرهم
يهلكون للوطن ...

ونحن لم نغوت ؟ لو كان لنا وطن قلنا : هو الوطن يريد أن
يجبا على اشلاننا، وهي الحرية تريد أن تلغ في دماننا... ولكنني
التفت حولنا... فلا أرى شيئاً غوت من أجله ؟ ليس ذلك حقاً
يا امي... هل غوت لشيء لا أعرفه ؟ ان كان هلاكنا من أجل
الحرية فدعيني اخرج مع الحارجرين ... وان كان استشهادنا من
أجل الوطن فأعذب بالمرور مورداً !
علياء : (مضطربة)

ولكن اهلبنا - وحدهم - يموتون ...

(يترقب عينا طارق)

طارق : ألهدف اصمى ... ؟

علياء : للاشيء... (ينكس طارق طرفه) دائماً للاشيء !
لقد مات آياؤك واجدادك من قبل... وتخصت هذه الأرض المقدسة
بدمائهم الاشيء... وكنت العاقبة في كل نكبة .
طارق : للاشيء ... !

علياء : لقد اغت اختك، فأبعد الشيعة عن راسها... غلب
الكرى عليها وهي تظن ان ذوي القنابل قد انتهى...
(نبض وتندبر لها مكان نوما)
(ندق الساعة الواحدة بعد نصف الليل)

الا يزال تحت الانقاض مصايون يعملون على رفعهم ؟

طارق : سر على هذه الغارة ساعتان دون ان تنتهي، وما
اظنها متمية حتى مطلع الفجر ...

علياء : لو كان هؤلاء المصايون يعتقدون بان اصاباتهم من أجل
الحرية والوطن لكان عليهم الدمار والنار ! ولكنهم يعلمون انهم
مصايون، ويموتون .

طارق : للاشيء... ؟

علياء : هذا (اللاشيء) يلاحقنا دائماً... ودائماً نتبع هذا
(اللاشيء) نخصب بلادنا الجلية بإشع صور السلام... على مسارحها
يتنازعون، وفي أطرافها واهلها يعيشون، فاذا القضية ليس لنا
فيها شيء .

طارق : امه !... انا اصابي سوء فهددي روحي ببشائر
الحرية... احسن ان اليوم الذي غوت فيه من اجلها قريب...
رفاق لي كيشيون اهابت بهم فأفسلوا من احضان اهلهم للقائهم .

غير عابئين بالشدائد ولا حافلين بالمخاطر... صغارهم متاريس رمل
للإبطال، وكبارهم لمكافحة الاحوال... انهم عرفوا ان يموتوا من
أجل الحرية حينما نادتهم الحرية ...

علياء : ولكن موتنا الآن ...

طارق : لا لشيء... ؟

يجب ان يكون موتنا لشيء... يجب ان يفهم الناس انتماوت .

علياء : للاشيء... ؟

طارق : اذا لم غت الآن باسم الحرية فليقولوا لمن يقتلون
من اجلها ! اننا متنا من اجلها .

علياء : لكن هؤلاء لم يأتوا يوماً، ولن يأتوا... قد انتظرناهم
كثيراً على مفارق الطرق، ولوحنا لهم بأيدينا، فكانوا يملكون
كل شيء الا الحق، وكانوا يعطون كل شيء الا الحرية...
طارق : امتأكدت انهم لن يأتوا... ؟

علياء : انهم مروا على هذه الطريق من مئات الاعوام، ولا
يزالون يمرّون. يجدهم هنا فندفع، ويكسبون علينا فنش... اما
ضحاياهم فنحن دائماً !

طارق : ما اطلع هذا المصير... لانه ليست له سطور في
صفحة المجدي .

(نكسو وجهه كتابة)

ولكن يجب الا تتركهم يمرون، واذا مروا فلنضم آذاننا
عن استماع دعوتهم... ولنصرف انفسنا عن الانخداع بحريتهم !
نحن وحدنا... يجب ان نبقي هنا !

طارق : (باضطراب) لا لا... لن نموت كذلك ! دعيني
اخرج الى حيث اموت واقفاً ! يشتد قصف القنابل حولهم) اريد ان
اموت واقفاً - كما كان يموت اجدادي ...
(يسبح ذوي حال ونرى سحب الغبار فوق المترل)

الظفر الثالث

عودة الى المستشفى

(الازدحام كبير، والاسرة متعددة، والابن يزيد وبترق...
يدخل احد للمرضين مضطرباً، وزراه مع الطبيب عادل)

عادل : (في حالة اضطراب وبأس)

ويحك ! هل هلكوا جميعاً ؟

المرضى : ذا ما استطلعتنا استغاثنا من تحت الانقاض...
(مشيراً الى سرير عابر)

عادل : وهل بلغ « عاطف » هذه النبا !

المرض : ان سيارته كانت بعيدة !

عادل : ادعه بالمخاف ... ولكن لا .. ان وقعه سيكون خطراً احموا فتاه الى غرفة العمليات ... بهنا الآن ان نخفف الكارثة بانقاذهم من الموت .

(يحدق في نظر المريض المتردد)

أيسكون ذلك مستحيلاً؟ احمِل الاطباء على اجراء العملية قبل مجي والداه .. (جهان بالنعاب فيسمان صئير السيارة للقبلة) افان انه مقبل ... وان نفسه حدثته بالكارثة ... دع امر إخباره لي ... ولا تتظاهر بأية خاطرة تبدو على وجهك !

« يدخل الطبيب عاطف وعلى وجهه امارات ما لديه من الحول والماء في صنع الواجب : ولكن البسمة تزين ثغره. »

عاطف : هل من جديد؟ هل من ضحايا ؟ انها ليلة مكفهره بما نضحت فيه من الاشلاء .

(لا يستطيع ان يطلق معه في حديثه)

عادل : حقاً ما تقول ! ليلة شهدت اعنف الغارات وادهى النكبات انتهت فيها اجساد كثيرة ، وتشوهت اطراف كثيرة .. ولا نعرف ما يجي . لنا المزعج الاخير منها ... عاطف : تبقى انت على تشاؤمك

عادل : لي الحق يا طبيبي في هذا التشاؤم ... ارى الاشلاء تتناثر من حولي ... وسمع تأوهات التوجيعين تصم منافذ سمعي .. وتريد بعد ذلك ان اتفاد اطرب ! وما يلدري ان عزيري لي ! او فتى لك (يغمض عاطف ولكنه لا يخل) قد طوته الانقراض ، او هو - هنا - على احد هذه الاسرة ؟ (مشيراً الى السرير) عاطف : (يبرز رأسه كالفتنة)

(لا يزال الاتين يتصادم)

ما زلنا نتحدث عن الغارات والطائرات والضحايا والانقراض حتى ازت فوق رؤوسنا ، وانقضت على سقوفنا ! .. (صوت من القاعة الثانية مرفوق بتأوهات) (عادل عرف صاحب الصوت ، وهو يتأمل في وجه (عاطف) الذي طفق يتخير) طارق (صاحب الصوت)

اريد ان ارى وجه ابني ... اليس هو هنا ؟ ادعوه لي ... احس انفس الحياة تذهب مني ... وجه ابني ... وجه امي ... عاطف : اين يصبح هذا الصوت . ؟

عادل : في الترفة المحاذية ... صاحبه - ولا شك - تحت مشارط الاطباء .

عاطف : علينا به !

عادل : ولكن ...

(يعود الصوت مرتفعاً)

طارق : اني اشعر بأنه قريب مني ، يسمعي ولا يسجيب ! الا اعراف صاحب هذا الصوت ؟

طارق : ابتاه !

عاطف : (يركض مضطرباً)

(يبني عادل في مكانه حائراً)

« طارق على سرير ، وحوله اطباء ومرشون ، يتواحين دخل ابوه عاطف »

طارق : ابتاه !

عاطف : ولدي !

طارق : اني بخير ... ولكني لا ادري ما حل بأبي واخوتي ، لم اجد الا الدخان ، وانتال التراب تنحط علينا ... فتحت عيني مددت يدي ... لا شيء الا الدخان ! اردت ان امشي فنفقت على شيء ... ثم وجدني مطروحاً على هذا السرير ... مرض : (يتقدم للمرض السابق من عاطف)

تركت عليه رفع الانقاض تجري بسرعة ، وربما يتمكنون عاجلاً من استعادهم ...

عاطف : ألم تته الكارثة بعد ؟ رياه ! ماذا غاب لي القدر ؟ (طارق يتسلم ، ولكن على ثغره بسمة التعذب)

طارق : ذا كل ما تمنيت يا ابني ! انني راض جداً الآن !

عاطف : اي شيء تمنيت ؟

طارق : ان اراك ... !

هل يمكنني ان ارى وجه امي واخوتي ؟ لقد كنا نتكلم عن الموت والتضحية .. وقد هزنتي كلمة امي حين قالت لي « انسا غوت الاشئ » احقاً ما قالته ؟

انتهب حياتنا ضائعة ، وتتناثر اشلائنا وارواحنا بلا غرض ولا غاية ؟ قل لي لماذا غوت ، وفي سبيل اي هدف نسحق ؟ (عاطف يبني متألماً ، شارباً ، قلغاً لا يجبر جواباً)

اخبرني هل ترى على وجهي شعاعة الحياة ؟ هل ترى في عيني نورها المتدفق ؟ اني اريد الحياة ..

(طارق لا يزال يتسلم)

ولكن لماذا اريداه ؟ فاذا كنا غوت الاشئ . فانا كذلك

نحيا للاشئ .. واولى لهم ان يدخلوا ارضنا خالية خاسية .. ! ابتاه ما لي اراك لا تتكلم ؟

(يتبه عاطف) "قو" في انفاس الحياة!.. ستكون لي غاية اخرى من الحياة.. الست يرائي من بقائي.. ذلك ما اراه في صحتك. عاطف: (يتر وير بد على وجه ولده).

ما بك شي.. انك ستجيا..

طارق! اسعاً تقول ادعني اقف قليلاً.. (يتحرك) ولكن لا.. ليس لي ساقان جميلتان!.. عليك بأمي واختي. انها في حاجة الى معونتك، يادر اليها.. سأبقى انتظر.. احتى تعود. (يطلق عاطف بعد ان يقبل ولده والدمعة في عينه)

عاطف: «للمرض» اني ذاهب اليها فانتظري حتى اعود* طارق: احقاً يستطيع ان يعود الآن بأمي، واختي بخلا. لا اظن ذلك..!

(يدخل عادل)

عادل: الى الحياة يا طارق!

طارق: ذلك ما آمله.

عادل: وايرق؟ (يسع دوي السيارة المتطلقة).

طارق: انه انطلق الى امي.

عادل: ذلك محال.. (يلتفت الى من حوله) انه انطلق ليخرج

نفسه في وسط المعركة انه ذهب ليمسح عن الموت. لانه لا يريد ان يعود اذكره!

طارق: قال: انه عائد الي مع امي واختي

عادل: (يبي لطارق فيبدل حديثه)

لنتنظر اذا عودته بعد قليل.. انك مرهق الآن فاسترح

ولا تتكلم!

طارق: سأستريح.. ولكن اظن ان عودته مستحسب

اكثر من ساعة في افضل ان ابقي متيقظاً حتى يروا عيني مفتوحين، لان العين المغمضة تبعث على الذعر والرعب. العين المغمضة تشبه العين الجامدة.. تكلموا امامي.. عن الموت اذا شئتم، لاني لن اخشى الموت! ولكننا - واسفاه - نموت غير ابطال! في غير معركة الحرية!

عادل: نعم! يموت اهلنا غير ابطال، لكن الكثيرين منهم ماتوا ابطالاً، من اجل الحرية التي احبوها ولم ينالوها. ماتوا مع الذين ادعوا بأنهم يحملونها الى الامم، ولكنني لا اعرف الا انهم ماتوا. اما هي: الحرية: فقد بقيت عندنا سراً غامضاً.. او.. (يهمس طارق)

طارق: والآن اين بلغنا من منازل الحرية؟

عادل: في كل مرة منازلها دائية. ولكن لا زها.

طارق: اسفاه! كما تقول لي امي! اننا نموت للاشيء..!

عادل: ولكن.. لا.. لا.. يجب الا نموت للاشيء، انسا

نموت لغاية امي، اننا ننشوه لمثل اعلى.

لقد جاء الغرب مرات عدة الى الشرق، وفي كل مرة خضب هذه الارض المقدسة بدماء الارباء، وغرسها بالاشلاء. وفي كل مرة يضرب او يدمر باسم الحق والحرية. دخلها مرات فلم يتركوا وراءهم الا الخرائب والانقاض والحرائق. ولكن الشرق، الشرق الجميل كبير الروح، واسع الامل، سامي المثل. ترسل منارته اشعة الحق والحرية. لقد بقي الشرق دائماً. وسيبقى! هذه الانقاض لا بد منها! وهؤلاء الاموات لا منصرف عنهم، وهؤلاء المشوهون يحتاج الشرق اليهم في رسالته. وهذه الارض المحضبة بالدماء هي التي ستفيض بالشعاع!

(طارق يظهر على عينيه بريق غني، وارتياح غامض)

طارق: ما امي معانيك! كنت من قبل اموت بدون امل

ولا تعزية! فما اعذب الموت الآن!

عادل: (وكانه لا يلتفت الى الجيلة الاخيرة).

هذه الانقاض تدل على ان رسالة الغرب افلست.. وهذه الضحايا هدية الحرية التي تولد في احضان الشرق وهؤلاء المشوهون رسالة الشرق الى المغرب، رسالة الانسانية السامية الى الوحشية التي لا ترحم! (بدوي بوق السيارة).

(يلتفت الى طارق فيرى انه اغضب عينه، وعلى وجهه خبطة عميقة)

اواه طارق! لقد عاد ابرك. تيقظ يا طارق!

(صمت طويل بطله دخول مريض لا يلبث ان ينف ذاهلاً)

لا تتحركوا والده يدخل فوراً

مريض: ولكننا تركناه تحت الانقاض اثناء قيامه بالواجب.

انه انتهى.

(يب عادل)

عادل: لقد صدق ظني. انه ما ذهب الا ليتجر.

دائماً. انقاض ضحايا مشوهون متى يطلع الرد؟ الانقراض والضحايا رسالة المدنية. والمشوهون رسالة الحرية

السناء

عجب

مقابل همز اوي

حقوق النشر محفوظة للدولف

الدوس هكسلي وفنه الروائي

بلم ميرابراهيم مير
شاذ في الآداب من جامعة كميج



الكتابة ، وبخاصة في عصر كمصرتا ، اجتاحتها النظريات العلمية وقتلت المادة نشاطه الروحي . فلا بد لمن يريد ان يقارع العصر ويتقده من ان يحوز على المعرفة العلمية التي يتبعج بها . وقد استغل هكسلي العلم في شتى مظاهره في كتاباته الادبية ، حتى دعاه البعض « الكاتب الانسيكلوبيدي » .

درس هكسلي في ايتون واكسفورد ، غير انه نشأ ناعاً على المجتمع وطرق الحياة كما وجدها بعد الحرب العالمية الاولى . فقد كانت تلك الحرب خاتمة عصر مضى وفاتحة عصر جديد ، عصر انتشر فيه الشك اولاً ، ثم التشاؤم ، وبعد ذلك عمه اليأس فأصاب العالم افلاس في الروح والاخلاق . ولم يكن الاستهتار المكشوف والعنف الفاشستي الا من مظاهر ذلك الافلاس الروحي . فادرك الدوس هكسلي ان العلم في تقدم مستمر ، ولكن ليس هناك تقدم روحي يوازي هذا التقدم العلمي ، فقال اذن لا بد للانسان ان يلحق الاذى بنفسه اذا استمر ببعثه العلمي دون ان يعنى بمصيره الروحي . وبعد ان كان جده المشهور توماس هكسلي يدعو الجماعة الى الايمان بالعلم والى الايمان بالسعادة التي تأتي عن طريقه ، راح الدوس هكسلي يهاجم العلم وما يفرضه على النفس من فراغ وانصراف الى الحيوانية المتسكرة في زي التشدن العراق ، مستملاً في هجومه اطلاعه الواسع في العلم والتاريخ ، قائلاً ان الانسان لن يتنجس من الدمار ، الا اذا عاد الى حياته الروحية بغذيتها وينسبها من جديد .

وقد وقع هذا الكاتب تحت تأثير د. ه. لورنس D.H. Law. رجعاً من الزمن ، وما عجب به ، مع ما بينهما من فرق كبير . فقد

كان الادب الانكليزي اليوم في طليعة آداب العالم فان الدوس هكسلي Aldous Huxley في طليعة الادباء الانكليز ، وبالتالي فهو من القلائل الذين استطوا نفوذهم الذهني على الجيل الاخير في اكثر اقطار العالم المتمدن . وقد بلغ الدوس هكسلي هذه المرتبة السامية في عالم الادب والفكر منذ ان كان شاباً ، يكتب القصة القصيرة والرواية والشعر ، ويؤلف في الفلسفة والدين والرحلة والنقد الفني . ويشبه الدوس هكسلي في هذا علماء القرون الوسطى ، الذين كانوا يرفضون التخصص في ناحية واحدة من نواحي المعرفة ، ولا يختلف عنهم الا بقدرته على جمع شتات المعرفة ، كلما اراد ، في قصص وروايات طريفة ، يصور فيها عصرنا الحاضر تصويراً شاملاً ، ويصب عليه نقده اللاذع .

وقد اصطاحت الظروف المؤقتة على ايجاد هذا الرجل الفذ ، فجدته كان توماس هكسلي وهو من علماء القرن الماضي المشهورين ، وينتمي من ناحية امه الى النقاد والشاعر الكبير ماثيو آرنولد . وكان ابوهُ كاتباً وعالماً من علماء اللغة الاغريقية ، واخوه جوليان هكسلي من اشهر علماء اليوم ، ولهذا فان الدوس هكسلي ربيب ثقافة وعلم كبير ، كترب المعرفة منذ نعومة اظفاره حقاً . وقد كان والداه يتويان جعل الدوس عالماً ، وجعل اخيه الاكبر جوليان اديباً ، ففني الدوس احدى الامر بالمسائل العلمية وتوسع في دراستها ، في حين اكب اخوه على الادب . ولكن انقلبت الآية بعد ذلك فاصبح الدوس اديباً ، واصبح اخوه عالماً . ولا ريب في ان دراسة الدوس هكسلي للعلم دراسة مفصلة هي احد اسباب تفوقه في

كان د. هـ. لورنس عصامياً ، نشأ في حي فقير قذر من احياء عمال مناجم الفحم ، وحصل على معرفته بكبدحه وجهده . وكان ينظر الى الحياة عن طريق البدائية ، معتدداً على دوافع الغريزة والعواطف الغطورية - في حين كان هكسلي ينظر الى الحياة عن طريق الذهن ، فيسلط على بكل شيء سلاحاً حاداً من العقل ، يحرثه به قطعة قطعة . وفي حين رأى لورنس في الجنس خصباً الطبيعية وجمالها ، افتتن هكسلي بالجنس واشأز منه معاً ، اذ رأى فيه الشهوانية التي توافق التشكك والانحلال الاجتماعي ، عندما يعجز الانسان عن مواجهة مشاكله الروحية ، فيتخبط في حمأة اللذة الجنسية كمنفذ يتخلص به .

وقد حاول لورنس ان يجد طريقاً لنجاة النفس الانسانية من بين التناقض المدنية وقبح الحياة الصناعية التي استعبدت الناس . فوجه كل سخطه الى « الآلة » التي هي رمز هذا الاستعباد ، وجعل ينتقل مع زوجته بين ارجاء العالم ، باحثاً عن مكان يستطيع فيه ان يحيا حياة البساطة : حياة الجسد النابض والروح العابدة . وقد رافقه هكسلي مدة في تقاوفه ، وهاجم المدنية مثله لوحشيتها وخزوعها للروحي ، في روايات اشتهرت بما فيها من مزج رائع بين الفلسفة والتهمك . وفي سنة ١٩٢٨ اصدر هكسلي كتاباً له سيمى اعظم كتبه (وكان هو حينئذ في الرابعة والثلاثين من عمره) ، والكتاب رواية طويلة عنوانها « نقطة ازم » Point Counter Point . جمع فيها المؤلف عدداً من الشخصيات المتباينة يمثل مجموعها حالة المدنية في القرب كما رأها حينئذ . والشخصية الرئيسية تمثل د. هـ. لورنس (واصبه في الرواية مارك رامبيون Rampion) يكافح عالمياً بتداعي وحضارة تأبى الا الاسفاف بظاهرها ومقاييسها . وفيه سخرية تشبه سخرية فولتير من مادية العلم وشراسة الفاشستية التي تجعل من الفرد آلة في يد الزعيم ، وخلاعة الطبقات الموسرة . ولعل رواية « نقطة ازم » خير مقدمة لمن يشاء ان يفهم الادب الانكليزي المعاصر ، او ان يستمتع بابداع هكسلي على احسنه .

ويمكن تشبيه قصص هكسلي بغرف التسميح . وذلك لانه ، كأكثر معاصريه المشهورين من الروائيين ، لا يهتم بقصة القصة بقدر ما يعتني بتصوير الشخصية ، عن طريق الجدل والمناقشة ، يبحث فيها عن العلل الانسانية ، او يستعصي بها المسائل الفكرية محللاً مفصلاً . وطريقته في ذلك هي ان يجمع اشخاصا في فحلات وولام - بعد ان نكون قد عرفنا شيئاً من ظروفهم الخاصة -

فيعرض لنا الكاتب الحوارات التي تعبت في صدر كل منهم ، وفي الوقت نفسه يدفعهم الى المناقشة والحديث . وبهذا نطلع على حقيقة كل من هؤلاء المتحدثين ، فنشاهد تحليلهم الفكري واساقفهم الخلق في وقت واحد . ويستمر هذا « التسميح » ، فننتقل من رلية الى اخرى ، ومن اجتماع الى آخر ، الى ان نبلغ نقطة نجد عندها ان اكثر الاشخاص قد ماتوا في ارواحهم ، او قد ماتوا فعلاً . واذ ينصل هكسلي هذا فانه يثير اهتماماً دائماً بفنل فكاهته المستمرة وسخريته الزافية ، ويلاحقه غراميات كل شخص على حدة في شيء من الصراحة : ويحبك هذه جميعاً في حبكاً قوياً في رواية متأسكة الاجزاء ، متباينة الالوان .

ولكن ما هي المواضيع التي يجرحها هؤلاء الاشخاص في ولائهم ضمن هذا التهمك والضحك وهذا التحليل الفلسفي ؟ انها مواضيع المثقفين : فاحاديثهم كلها لبعة ، تشير الى تعمق ومعرفة لا يعلمها القاري . لانها تدور حول المشاكل التي ما زالت تحايرنا : الفن ، الجنس ، المذلة الذاتية ، تحليل المرء لنفسه ودوافعه ، السياسة ، الحياة الروحية - او ليست هذه مواضيع الفكر عند كل امرى . متدمن ؟ ان هكسلي في الحقيقة ، عند مهاجمته المدنية الغربية ، لما يفنل ذلك لكي يبتني على افضل تراث فيها ، ويسعى الى فرز التراث من بين قامة المدنية وركلها الخاطئ .

ومن كتب المؤلف رواية « ما اجل العالم الجديد » (Brave New World) وقد ترجم الى العربية مؤخراً وطبع في مصر تحت عنوان « العالم الطريف » وفيه يصور هكسلي عالماً خيالياً تقدم في العلم ، فاصح الناس فيه لا يولدون ، وانما يصنعون في المختبرات حسب الطلب ، ولا يبقى من ابنا . العالم التقدم الاجاعة يدعوها ابنا . المختبرات « جماعة التوحشين » ، ويجاولون ان يقضوا عليها . وهذا يصور قلق هكسلي على العالم الجديد الذي سيقضي بختبراته وآلاته على العالم القديم الذي كان يتصف بالروحانية وحب الجمال . وقد عكف هكسلي مؤخراً في كاليفورنيا باربعاً على دراسة الفاسفة الحديثة ، حيث يشترك مع جماعة من الادباء والشعراء في الايمان بذهب غاندي القاتل بالمسالمة . وكتاباته - او قل تلميحاته - الفلسفية مستمة ، كما في كتابه الاخير « الفلسفة الدائمة » غير ان شهرته ستستقر طويلاً على رواياته واقاصيصه . وسيبقى دائماً الكاتب المحب الى كل من تهمة شؤون الفكر ، ويقلقه مصير الانسان ، وتهره الكتابة الذكية .

جبرا ابراهيم جبرا

بغداد

امومة الطبيعة

بضم نسم نصر

استاذ الادب العربي بالكلية الوطنية بالشويفات



الضحة الاولى من صحوات آذان البلية اللابسة
نسج الشيا مطيباً بأنفاس الربيع خرجت طيفياً
الى مباهج الموسم، موسم البعث والجمال والدفء،
فاستقبلني عرائس الالوز نائرة من زهورها فراشات بيضاء لوحتها
الشهية، وتبست لي بنات الشقيق بشقاء القرمز تودداً وإحياء
بجمال الموكب الوافد، وغضت من حولي غذارى الاقحوان جفونها
حياء من تطلعي اليها بعين الجوع الى محاسن الطبيعة، فوفقت
مأخوذاً بروعة ما ارى كن عرض له حلم جميل طويل .
وما هي غير فينة خالفة حتى دعني بعدها اجراحي العاصف الى
استطراد السرى على كتف الهضبة مراوفاً طرفي في جوانب متوزع
الواح الفتون الناضر المظلي .

فن اسفل الوادي حيث تكرر دموع السماء عائدة الى البحر،
الى المنحدر، حيث تتناول سويقات الزرع الى مجاذبة اغصان
الشجر عناق النور، الى منبسط التربة المرتفع، حيث يضحك
نيسان على ضريح الشتاء، على هذا المسرح الخالد تمثل الحياة فصلها
الاول من رواية دورة الارض حول الشمس .

ولكن مثلي، في مثل ذلك المكان وتلك الساعة من العمر،
لا يستطيع السير طويلاً لتلا تعبت رجلاه، على غير قصد منه،
بأسباب الجمال وبراعم الحياة الطالعة في نظامها الانزلي .

كنت أخشى، إما تجرحت، ان أذعر طائرًا يتخبر المكان
لعشه او اعيق من عمله آخر يتحين غلتي ليحمل قشة جافة لتسكون
ضلعاً ناعماً في مهد الفراخ الشديدة الظهور بعد اسابيع قليلة .

كنت اخاف اما مددت يدي الى بعض ما حولي، ان أسقط
في غير مكانه لقاح الحياة في عالم الحضرة المنبثقة من احشاء الارض

كنوزاً تؤدي رسالتها في حفظ النوع متحفظة ان يقوم هنالك
مفسدة لنظامها الخالد .

كنت تخشى ان احدث ثقباً، في غير دراية وعناية، حذرأمن
ان اجبط بناء لدوية تمنى باسمه حصناً ليوضا الحافلة بالمواليد .
وفيما انا كذلك لاحث لي محلة خذا بها فوح الربيع فذهبت
بين مباسم ابتكار آذار، بعيداً عن قفورها، لتجني عسلأ لمرارة
الافواه المتربصة بثورة خلاياها غنية باردة وحلوى نادرة على موائد
الشمر البشري . هذه الحشرة التي اخجلت كئيباً الانسان
وادهمت عاقرة فن البناء، واعيت اقطاب الفكر في نظام دولتها
وجاءت تساعد النياسم في حمل البنات وامومة عرائس الحقل،
تركنتي ذاهلاً عن نفسي مستلقياً الى جانب صخرة تندى شقوقها
بالطعجب كأن رسالة الربيع اخذت على هواشها ان تغتني الصخر
منبتاً لطيفليات موكب البعث .

وصحوت من ذهولي على صوت يقول في غنا، شجي .

« امي: الحياة تكثفت اسارها ليون بنتك وانجلت اسرارها »

ونظرت فاذا بفتاة قروية اندرجت بين نبات الربيع كبيت
الشاعر في القصيدة الملهمة الرائعة، وهمت ان الفت نظرها الى
وجودي بجمرة تبدر مني، ولكني عدلت عن ذلك وعدت الى
سكوتي عند ما رايتها تشيع بصرها الى هنا وهناك كأنها تخشى
ان يكون حولها من صمع غناها .

رصدتها من وراء الصخرة فرايتها تداعب اعناق بعض الزهور
كما يذاعب القائد اوصة النصر على صدره وشهدتها تتعطف افانين
من الصعتر كما تتعطف خطرات النسيم قبلاتها الناعمة .. ثم سمعتها
تنادي حلاً صغيرواً كأنه دمية من الثلج خلفها كاتون فاحياها آذار

وأطلقها فتنة بين تلك المفاتن الساحرة .

ها هو الحل يقفز إليها مرسلًا ثغاه الماطيف : « ما ! . ما
متلفتًا الى هنا وهناك كمن يقش عن ضائع . وها هو يُسر لسانه
الداقي . الناعم على ائامل قانده العذراء . في مثل قبل الوداعة تطيع
على يد الطهارة .

لقد غابت عن عيني تلك الصبية وحملها يرافق ظلها ، فوقفت
وقفة المتعبد الضرع في هيكل الحشوع وتحولت بنظري نحو السماء .
استطلعها اسرار هذه الامومة المائلة رحاب هذه الطبيعة واقول :
« اكل ما ارى وكل ما اسمع يتعني بها او يعنى . جهن لها ،
او على الاقل يتعني بها تأثراً بوحى الغريزة ودوافع ناموس البقاء »
وانت ايها الربيع تطل على الدنيا بغفائتك ومحاسنك وتغير
الارض بدفئك ونبتك ، فينتفى بك الشراء . ويأخذ عنك الرسامون
ويخرج الى احضانك المنتزهون كأنك في نظر كل هؤلاء . رسول
البهجة ومبدع الوان الفن وموقع نشيد الالهام . نعم انك لكذلك ،
ولكن كل هذه الميزات تجتمعها في واحدة وتفشيها سرّاً تستله من
جوف الارض مذاعاً في هذه الالواح والمباهج ، فهو في الحقيقة مجموع
في واحدة انت مجلاها النضير ومدها الدافى ، هي امومة الطبيعة .
اي يبعي الحلال لم تتنى . احشاء الارض بعناصر الحياة التي
كونها كانوا وانزعجها اذار لما انقضت غيوم الشتاء الدكسا .
عن دنيا ضاحكة ، تجتض هنا وهناك مواليد تنفتح للنور وتهايل
لمرور النسم ، وتعلن في كل فوحة وفي شفة كل زهرة سرّاً مسن
كومان امومة الطبيعة .

فاذا خرجت الى دنياك المتبهجة الولود ، فلكي ارى في
حسن كل زهرة ، واسمع في شدو كل طائر ، واحس في هينة كل
نسمه وموجة كل صوت في احضانك الرجة ، ومزاً من رموز
العث وتجديداً لا عجوبة الخليفة وولادة الارض .
واذا عدت من رحابك الآهله بعناصر الحياة المتجددة الريا
بقطر الشتاء ، المشرتبة لعناق النور واقتبال الدفء ، فلكي ادخل
ماواي واحتضن بذور الايمان بالحياة الانسانية الخالدة ، تلك البذور
المجبية التي تستحيل الى آمال نفس وروائد فكر يمنحها الخيال ،
فتنرتبأ من نافذة وكري الضيق الى فجاج العلاء ، موعندما تمنع ذاتي
من قيود القرب وسجن الجدران لتلق بها الى عالم الانلاناية .
فرحى لك ومرحباً بقدمك يا كورة العمام ، يا رسول
الابد في معرض الامومة الخالدة .

نسم نصير

مر الربيع

☆

مر الربيع
فأي شيء . زنجيه
وأي شيء . كان فيه
هو كالأشياء .

او الحريف
ظل كويه
يتد في الافق الخفيف
بلا اعتناء .

وظلامه كظلامها
وغمامه كغمامها

ما دام في عيني دموع
فعلام كنت زنجيه
وأي شيء . كان فيه

مر الربيع
وهيه مر ، غداً يعود
بمسح قدس جديد
ليقول : وبك انا الشتاء .

الا تخاف
الا يواليك الارتجاف

وبمر بي واسر احلم بالورود
وبالشروع تضى . داري
وبانطال على الجدار
بظفن في صمت وديع
فهيه قال انا الشتاء .

او لم يكن هو كالربيع
مر الربيع
لا . لن يمر
فليس في قلبي دموع

بفرد
بلنهر الجبرري

الله سبحانه في الادب والفلسفة

بنم عيسى سبحانه سابع

٤٠

كانت

بقس بن ساعدة الايادي فسمعه من فوق راحلته يقول : « ان في السماء، الحبرا ، وان في الارض لعبرا ، ليل داج، وسماء ذات ابراج ، وارض ذات رجاج، وبحار ذات ابراج النخ .

ثم نسمع زهيراً بن ابي سلمى .

فلا تمكن الله ما في نفوسكم ليخفى ومها بكم الله يعلم
يوثر فيوضع في كتاب فيذكر ليوم الحساب او يعجل فينتقم .

وتتقدم بنا الايام واذا ذكر الله مله الافواه مله السمع في الادب، واذا علي بن ابي طالب يقول :

العجز في درك الادراك إدراكه والبعث عن سر ذات السر اشراكه
ويسمعا ابو الاسود الدؤلي قوله :

ان البعاد وشأنهم وامودم يد الاله يقلب الاحوال

وفيه توكل وتسليم ، وان كان الاتكال عليه سبحانه وتعالى واجب او امر مفروض مندوب اليه ، فالسعي مع الاتكال والكندح في طلب المزيد من خيرات الدنيا والكشف عن اسرارها والبعث عن عجايبها فرض واجب محتوم و« سيروا في الارض وامشوا في منابكها وكلوا من رزقه » وتلي علينا ايضا علي ابن ابي طالب اول مفكر في الاسلام قوله : « ان العقل لاقامة رسم العبودية ، لا لادراك الربوبية » وقد انشد :

كيفية النفس لبس للرب بدركها فكيف كيفية الجبار في القدم
هذا الذي انشأ الاشياء مبتدئاً فكيف يدركه متحدث للنسم

ويتقدم بنا الزمن وتترجم الكتب الفلسفية عن اليونانية والهندية والفارسية والسريانية ويأخذ العقل بالتعطيل والتفكير وينقسم المفكرون الى فرق ويثني كل في طريق فيذخر الادب بذكر الله وصفاته وقدرته، ويقوم غير واحد من الشعراء المتصوفة

الحياة ، وكان الانسان ، واذا هو يرى بعيني رأسه كوناً مرتباً يسير على نظام واحد لا يتبدل ولا يتغير في نظره ، ولا يعدوه الى نظام آخر . رأى السماء مرصعة بالدرر القوالي ليلاً والقمر يبعث انواره تحكي زيد البحر ابيض مشوباً بسمرة ، فقال ان وراء هذه مكوناً قديراً جباراً ، وراى الشمس تضي . نهراً والارض تنفخ عن فصولها فتخرج لكل فصل مواتها ، زهراً وخضاراً وثائراً ، فراد ايمانها يقيناً وجزم ان وراء هذا كله خالقاً مبدعاً مدبراً ، وما زال الزمن يكر ، وفسحة الابد تريد تفكيراً حتى تكشف له الحقائق الا غلبها ، فاجابه قيس من نور اضاء امامه سبل ما استوعر ، فكان له الانبياء . والوسل والمرشدون ، واذا الحب الفتي يستكمل في قلبه، وتتفتح له جوانب من الشكر فتجري على لسانه عقداً منظماً ، وآيات بينات تملن الحب وتقر صادقة بقدرة متفرد واحد احد ، اذلي حمد لا تأخذه سنة ولا نوم ، واذا بنا نسمع امية بن ابي الصلت يقول :

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| الله العالمين وكل ارض | ودب الراسيات من الجبال |
| بناها وابنتي سباً شداداً | بلا عمد يرين ولا رجال |
| وسواهما وزئبها بنور | من الشمس البضينة والفلال |
| ومن شهب تلالاً في دجاءها | مرايها اشد من التصال |

وكأني بأمية قد نظرت في الكتب المنزلة ففقد بعض آي المزمور المئة والسابع والاربعين :

تسبحه الطير الجوارح في الغنا واذهي في جو السماء تصمد
ومن خوف ذي سبج الرعد فوقنا وسبحه وحش الفلا وهو يأيد
وسبحه الثيائن والبحر زأخر وما طم من شيء وما هو مغلد

ونسير مع الزمن نستعري المروي من افواه الرواة ، فنظفر

وغيرهم وينظرون في ذاته العلية ويسأل الزخسري الامام الغزالي عن قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» فيجيبه الغزالي بقوله: قل لمن ينام عنى ما اقول اترك البحث فذا شرح بطول ثم سر غامض من دونه ضربت بالسيف اعناق الفحول الى ان يقول له اخيراً:

فإذا كانت طوابعك التي بين جنيتك يها انت جهول كيف تدري من على العرش استوى لانقل كيف استوى كيف الوصول فهو لا كيف ولا أين له هو رب الكيف والكيف هو

ثم نسمع محمد بن السيد البطليوسي يقول شاكرًا موحداً:

الهي اني شاكر لك حامد واني لسام في رضاك وجاهد

وكل وجود عن وجودك كائن فوجد اصناف الورد لك واحد وان نحن نظرنا في ديوان ابني العاتية نجد الشيء الكثير من ذكر الله وحمده ونسكنه بقوله:

تعالى الواحد الصمد الجليل وحاشا ان يكون له عدل هو للملك العزيز وكل شيء سواء فهو منتصف ذليل وكل مفوة اثني عليه ليلينه فنخسر ذليل ولم يقتصر ذلك على الشعراء الزاهدين والذاهبين مذهب

المتصوفة بل يرى ذلك عند من اخذتهم الحيرة فاقعهم في حيص بيص، في شأن الكون والحاق والابداع كلتي العلاء الميري الذي زاول دنياه وفي قلبه غصة وفي عقله حيرة وشاك يقول:

حكم نذل على حكم قادر متفرد في مرة بكتال وانشد ايضاً:

فنيار الله الذي هو قادر نبي ونصر دونه الاوصاف ومن قوله:

تعالى الله وهو اجل قدرا من الاخبار عنه بالتمالي وان نحن بحثنا في مخلفات هذا الفكر الحائر زمام يذهب الى

ان الطائر كالانس تعرف ربه فيقول:

والطير مثل الانس تعرف ربه وتري بها الشعراء والرجازا فيهن مسهاب بعد وناقق ترك المسال واكر الابدازا ولكن رابعة المدوية الزاهدة الذاكرة الشاكرة التي عافت الدنيا واعرضت عن زخارفها وما فيها من لذاعة ورفاهية تقول:

يا مونس الابرار في خلواتهم يا غير من حط به التزال من ذات حيك لا يزال متنبها فرح القواد متنبها لئلا

ومن قولها في المرة الكلية:

احبك حين حب الوداد وحباً لائك اهل لذاكا فاما الذي هو حب الوداد فحب شئت به من سواكا واما الذي انت اهل له فكشفت المحب حتى اراكا فا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ومن اقوال ابن جيب الحلبي ما ملخصه: نظرت ذات ليلة نظرة

في النجوم فاذا السماء كأنها روضة مزهرة او شيء مرقوم او غدير تطفو عليه القواقع او تنفسج نور افاقه لامع او جر في خصال رماد او كما قال من اجاد:

بساط زمرد نثرت عليه دنانير نخالطها درام وبطالنا عبد الرحيم البرعي بقوله حيث يرى ان الله فاحص

القلوب والكلبي، ويعرف ما دق وما استتر لا تخفيه خافية ولا تندع عظمتها شاردة او واردة:

يرى حركات النمل في ظلم الدجى ولم ينف اعلان عليه وامرار ويحصى عديد الرمل والقطر والحصى وما اثنتك نجت عليه واغوار وينشدنا صاحب الشيبانية:

هو الاول اليدي بغير بداية واكثر من يبغى مغيهاً مويدا سبع بسمير عالم منكلم قدير بعيد المالين سكا بدا ويشي صاحب بده الامالي فيقول:

يبت الخلق طرا ثم يجي فيجزيم على وفق المصالح لامل المير جنات ونصي وللكنكار اذاراك النكال وزي السهروردي او الشيخ المقتول يقول:

ابدا نحن اليكم الادراج ووصالكم رديانها والراح وتلقب اهل ودادكم شتافكم والى لذيت لفانكم ترناح وان نحن اخذنا بدراسة دواوين الشعراء والمجاميع قديمها وحديثها نظفر بالشيم الوافر فنجد ان الله سبحانه قد حل في الادب العربي حكاية رفيعة فلا يتجاوز كتاب او قول من ذكره مما يدلنا

على ان العرب قد اخذوا بنصيب خصب من البحث المتواصل في الكون وخلقه عن طريق العقل والمنطق وليس عن طريق الدين فحسب وهذا عبد الباقي العربي يفرغ من فوق اغصان جنة طمانينته:

ما ازدت فيه تفكرا الا وزدت تحمرا والى ورا تاداني العفل السلم الى ورا وغدا يتاشدني النوى

فكنصت بعد قدسي ورجعت عنه القهري وطلقت انشد خاشا اين الثريا من الثرى ومن مرويات الاصمعي انه رأى غلاماً اعرابياً يجرد ربه ويقول:

عظمت صفائك يا عظم فيل ان يصمي الشاء عليك فيها قاتل ومن منظوم الشيخ عبد النبي النابلسي:

ليت ما مولى اللوالي اخترعك قبل ما مولى اللوالي اخترعك كنت لا شيء واصبحت به خير شيء بشرى قد طيبك

ونسجع شيخ المتصوفة ابن الفارض يقول:

كسك عاتية فلو اهدى لنا للبدد عند تمامه لم ينف وعسى تفنن واصفيه بجسده يفتن الزمان وفيه ما لم يوصف

وقول ابن دريد في مريته:

فاتت عاتية فكل مرير بالحسن عن ادنى مداء واقف فاذا بدت شمس النهار ووجهه رجعت ولون النور منها كلف

الاربع



لا يبدل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوئها شهر
كانون الثاني (يناير)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً أو ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات في الأرجنتين ٥٠ ريالاً

اشتراك الاخصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اقل
في الخارج : ١٨ جنيه مصرياً او اشتراكياً
او ٦٠ دولاراً كحد اقل



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

● للاعلان تراجع ادارة المجلة



ادارة الاديب : باب إدريس ، شارع الكوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ - ٩٢ Direct. : 32 - 47
المرتل : ٣٧ - ٤٨ Dele. : 48 - 37

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير ادب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

فرد العالسان لا يوم بوصفه ابدا وان بلغ النهاية واصف

وننتقل الى ما جاء في اقوال مفكري العرب ، قال ابو حيان
التوحيدى في كتابه المقاييس ما نصه : « ان الله واحد على لفظ
ذات ، لا شوب فيها ، وتوحيد انية ، لا نعت لها ، واسارة الى
هوية لا عبارة عنها » ويقول الفارابى في المدينة الفاضلة ما معناه :
يوجد كائن اولى لازم الوجود ، تام الكمال ، منه تستمد الموجودات
ما فيها من كمال وهذا الكائن هو الله .

ونتقدم الى ابن سينا فيقول لنا في كتابه النجاة من مقالة
الالهيات : « الواجب الوجود له الجمال المحض والبهاء المحض ، اذ
لا يمكن ان يكون جمال وبهاء فوق ان تكون الماهية عقلية محضة
برية عن كل واحد من الخاء النص » وقال في بدء رسالته في
الحدود ما نصه : « البارى عز وجل لا حد له ولا رسم لانه لا
جنس له ولا فصل ولا تركيب فيه ولا عوارض تلحقه ، ولكن
له قول يشرح اسمه وهو انه الموجود الواجب الوجود الذي لا يمكن
ان يكون وجوده من غيره او يكون وجوده لسواه الا قائلنا عن
وجوده » ووصف ابن حنبل ، في رسالته الموسومة بمحيى يقظان ، الله
قال : « لا نهاية لجماله ولا غاية لحسنه وجماله ، وهو فوق الحسن
والبهاء ، ولا جمال الا صادر من جهته وقائض من قلبه » هذه عظمة
اشوق قد تجلت على السنة الشعراء والمفكرين من ابنا هذا الشرق
العرابي ، قيات على ابنائنا ان ينظروا في قوى الطبيعة الحسابة ،
ويستنطقوها علماً عالياً في غتبهات العلوم والمعامل حيث تتجلى قدرة
الله في خلقه ، بما استقر في كونه ، شأن رجال العرب وقد الفتوا
عن الخيال الى المحسوس فأنطقوا الطبيعة اسرارها ، وظهرت عظمتها
تعالى في ابداع ما اوجد العقل .

لقد مضى زمن الاتكال وحده وجاء زمن الاتكالمع العمل
والبحث في دقائق الكون عن طريق العقل العملي لا العقل الحدسي
وصرنا في عصر لا ينبغي فيه الظن عن الواقع والقول عن الحدث
ان عظمة الله ظهرت في الادب قديماً فعمل الادب المعاصر ان يظهر
اعمال الله في عقول مخلوقاته ويجعل اثر الابداع والاختراع مظهراً
من مظاهر القدرة ، فالحدس المجرد عن الفكر عقيم ، فلعينا ان ننسكو
ونعمل ، ونجد ونبحث ، منصرفين عن الاتكال وحده ، فأدب
الأرض وما فيها ينتظره ادب الجيل الجديد مرددين مع احد
شعراء المهجر :

من لبس بحميه الحسام فليس تحميه الصلاة

عيسى سبأ



الكثيرون من اهل القرية يعرفون قصتها ويروونها وكأنها اسطورة من الاساطير، وقد شاهد معجزاتها البعض، وصممها البعض الآخر عن افواه آبائهم واجدادهم، وكانت اسطورتها العجيبة تختلف بين راو وآخر، ولكنهم كانوا يجمعون على انها حزينة مهيمة، وعلى من يشك في حزننا ان يذهب الى مكانها هناك حيث المنزل المهجور ليراه وقد انحنت على الجدار المتهشم، وطأطأت رأسها الى الارض في يأس وهمود، لا تسكاد تحرك ما بقي في قتها من جريد اوشك على الجفاف، الا عندما تشتد الرياح والزوابع وتمتد بغيرها من النخيل الشاب السامق في الفضاء، فيبدو في قلبه واخفائه بيناً وشمالاً وكأنه مجذوب اخذته الجلالة، لشدة ما تمتد به الرياح الهائجة الغضوب. ينأى هي تحرك رأسها في بطء، وكأنه رأس عجوز مثقل بالهموم، وقد بدا الجريد الذابل كشمرات فانية توشك ان تقتلع وتدع الرأس المهوم اجرد من غير غطاء، يقيه لحة القربظ في الصيف والزمهري في الشتاء.

قال بعضهم: انها قد اصبحت هكذا منذ الليلة التي مات فيها آخر حفيد المالك البيت الاول ذلك الذي غرست بذرتها عند مولده، وترعرعت معه وعاصر شبابها شبابه، وانها منذ

تلك الليلة سمعت وهي تنس في قلبها اذنناً حزيناً، وانها عندما اصبح الصباح رأوها ماثلة هكذا على الجدار، وقد ذبل بعض جريدها خلال الليل لانها كانت تحس ان ذلك آخر حفيد لصنها مالك البيت، وأنه لم يعقب ولداً ولا بنتاً، وان البيت سيؤول الى ورثة آخرين لم يعيشوا فيه من قبل، ولم ترغب في وجودهم يوماً ما بجوارها! وقال البعض، انها في ذلك الصباح ارخت جريدها الى جانبها، ووقفت صامتة لا تتحرك بنه او يدسة، وكأنها قد صلبت في الفضاء على الرغم من عصف الريح في ذلك الصباح البعيد؟ ولكن البعض الآخر من يحفظون اسطورتها القريية ويدعون

العلم الصحيح بها، كانوا يرجعون بالقصة الى عهد ابعد، ويروونها من يوم ان نبتت من الارض وصار لها وجود منذ مائة وعشرين عاماً بني هذا البيت الكبير، وكان

صاحبه رجلاً طيب القلب ميالاً للخير والصلاح، لا يجب الاذى ولا يظلم احداً، وكان صديقاً حميماً لولي من اولياء القرية الصالحين. وذات يوم جاء هذا الولي الى بيته وكان يأكل بعض ثمار البلج فشاركة بعض تلك الثمار، ثم علم الولي في خلال الحديث انه سيرزق بولود بعد بضعة اشهر، وانه بدعوة لمشاركته في اختيار اسم لذلك المولود. فاختار الولي اسم طفل وأكد ان الذي سيولد سيكون طفلاً لا طفلة، وانه سيعيش وستكون له ذرية طيبة! ثم امسك بنواة آخر ثمرة من ثمار البلج الذي كان بيده وناولها له قائلاً: خذ هذه النواة واحفظها حتى تجف ثم اعطنيها لاغرسها لك يقرب هذا الجدار لكي تنمو مع الطفل الذي سيولد وترعرع معه وتشاركه هو واولاده واحفاده اقرانهم، واحزانهم جميعاً. وانصرف الولي واحتفظ صاحب البيت بالنواة وكأنها هدية تيسية حتى اذا ما جفت وصارت صالحة للغرس اعطاها الرجل لصديقه



الولي الصالح فقام بفرسها وكان ذلك يوم (سبع) الطفل الذي تنبأ الولي بولادته! وما لبثت النواة ان نبتت واخذت تنمو نمواً سريعاً، وقد راح صاحب البيت وولي الله يهتمدها بنبايتها وصبرهما، وكان الولي يباركها ويمسحها بكفيه وراح الطفل ينمو وهي تنمو ويژهو اخضرارها

وكانها والطفل تؤمان. وبدأت كرامة الولي الصالح تدش من في البيت جميعاً، فقد اخذت النخلة المباركة تشارك الطفل حقاً بعض اطوار حياته، فعندما يمرض تمي هي وتصبح فاذا هي ذابلة يميل لونها الى الاصفرار، وكلفا هي مريضة مثله، فاذا ما قاتل للشفا. راحت تخضر من جديد ويعود اليها لونها الزاهي الهيج! .. وعندما بلغ الطفل الثامنة من عمره كان يلهو في يوم من الايام بالقرب منها هو وبعض رفاقه الاطفال، فلكسه احدهم فوقع على الارض وقد اصيب بجرح في رأسه، وفي اليوم التالي رأوها وقد تدلت جريدتان من جريدها حتى لمسا المكان الذي وقع به الطفل. وقد اعتد الذين رأوها ان

الاطفال هم الذين امالوا هاتين الجريدتين وهم يلعبون، فلما سألوا ليتأكدوا احيوا بأن الاطفال لم يمسهوا في لعبهم، ورأوا الجريدتين ترتفعان شيئاً فشيئاً كـ



وظل هذا حالها وكأنها قد ارتبطت بمعرباط سجري. فعندما صار شاباً في العشرين واثم حفل زواجه ، وأوها تتأيل في الفضاء طرباً على الرغم من ان النسم كان هادئاً جليلاً يدفع بها الى ذلك التأيل الملحوظ . وكأن سجعها وجريدها تحدث اصواتاً كثيرة متبانية ، وكأنها تشارك الموسيقى بألحانها الربانية المسحورة ! وفي ذلك العام اثمرت اضاف ما كانت تثمر في الاعوام السابقة . وكانت تبدو لمن يراها في صبرها ورشاقتها ، انقلبا يتلى . بالسعادة ويطنح بالسرور . وكان الكل يصنون عليها صفة الأدمية ويعتقدون انها تعيش معهم بوجودها واحاسيسها كأني آدمية حية ! . . .

وعندما انتقل صاحب البيت الذي غرسها مع الولي الصالح ، الى رحمة الله وأوها منكسة جريدها بضعة ايام ، وكأنها تشارك الجميع في حزنهم . وكأنهم . . . وفي ذلك العام لم تطرح ثراها ، وكانت هذه اول مرة منذ ان اكتملت واثمرت ! غير ان الحزن زايلها بعد هذا العام واخذت تثمر من جديد وتبسم الدنيا ، فان صاحبها الذي غرست عند مولده ما يزال حياً وما يزال البيت عامراً به وبأبنائه .

وانقضت الاعوام سريعة بين يوم وليلة ، وشرق وغروب ، وتحول شباب صاحبها الى كهولة ، ثم الى هرم ، وهي في وفائها له ذلك الوفاء النادر القريب . . . وعندما انتابت الامراض صاحبها شاركته مرضه وقبوله وراحت تسقط بين يوم وآخر بعض جريدها ، الواحدة تلو الأخرى .

وفي ليلة من الليالي كانت رياح الحريف تعصف والاوراق الجافة تتطاير في طرقات القرية وتلف حول نفسها في سرعة واضطراب ، تندر بزحيل سريع . وفي المزرع الأخير من الليل دوى صوت جازع من خلف احدى نوافذ البيت الكبير ، وخرج الى النضاء ينعي صاحبها الذي قضى . وعندما اشرقت شمس اليوم كان الكثير من جريدها الذابل يتساقط بين الحين والحين .

وانقضت ثلاثة اعوام لم تثمر في خلالها ثمرة واحدة . وأبدأ جذعها يميل قليلاً نحو الجدار . وبذل ابنا صاحبها جسداً كبيراً لأحيائها من جديد ، فحفرها حولها وملأوا الحفرة بالطين الحبيب ليجددوا شبابها ورونقها . واثمرت بعد هذا المجهود الكبير ، ولكن انحناها لم يستقم بل راح يظهر واضعاً كلما مرت الايام وتقدمت بها السنون . لقد بدأ شبابها يذوي . . .

ومضت اعوام ، وزحف على القرية الآمنة وبها . فذاك اهلك ما يقرب من ثلث سكانها الوادعين . وهلك بين من هلك ابنا .

صاحب المنزل ، الأ واحد منهم وكان قد بقي ليعاها او ليعاها ، وكان الدنيا لم يرضها ما اصابه في آله واخوته فراحت تكميل له الكوارث والاحزان ، حتى اضطر عقب كارثة مالية الى بيع ثلاثة ارباع المنزل الكبير ، وعاش هو في الجزء الباقي الذي احتفظ به لكي تظل النخلة في حياته . عاش وحيداً مجروحاً لم يتخذ له شريكة تؤنس وتحفف عنه متاعب الحياة ، ولم يطل به المقام في هذه الديار فضي وقد بلغ من عمره الاربعين . وكان هذا هو الحفيد الوحيد لصاحبها الاول الذي نشأ المنزل واولدها في فناءه الرحيب . وآل ما بقي من المنزل القليل الى احد الورثة الاقربين ، ولم يكن في حاجة للسكن فيه فاستعمله لتخزين علف الماشية وما يحتاج اليه من الحطب واعواد الذرة الجافة للوقود . ومنذ ذلك الحين اخذ جذعها يسرع في الانحناء والدبول . واراقت رأسها المتب فروق حافة الجدار في حزن يائس ، وكثافتها يحمل هذا الرأس المكسود عبر الايام والسنين .

وكان البعض من اهل القرية يؤمن بانها روح ذاك الولي الصالح الذي غرسها منذ ذلك الامد البعيد . وكان اهل القرية جيماً يحرمون على الاطفال البث بها ويجريدها وسعفا الذي يتساقط بفعل الرياح ، فهو سب مقدس لانه بعض اجزاء تلك الروح الكبيرة التي اودعت هذا الهيكل الجاف الحزين .

وفي ليلة من ليالي الحريف الباردة كانت الرياح تعصف بكل شيء . في القرية الهامجة في ظلام الليل الهالك المدهم . وكان النجيل يتأيل بشدة وعنف ، واصوات جريده وسعفه المضطرب تتلاقى في مضاء القرية تهب في الليل جلبة رهية ، وهي تحتلص باصوات الرياح ، واهتزاز اعواد الذرة الجافة التي تمج بها اسطح المنازل ، ثم اصوات الملابس المنشورة هنا وهناك والتي يبعث بها الهواء قنبود كالشياطين المتعددة الاشكال والالوان ، تتفنن ثم تنقبض في سرعة واضطراب وسط ذلك الظلام الخفيف . في المزرع الأخير من تلك الليلة الهالكة ، عندما اتبعت صوت المؤذن في جلال رهيب ، في تلك اللحظة استيقظ بعض اهل القرية فزعين على صوت انهيار شديد ، ولم يشك احدهم في ان منزلاً قريباً قد انهار ، وقد انتظروا حتى يفرغ النور ليسيطلعوا المجر . . . وفي الصباح كان اهل القرية يتسابقون الى منزل النخلة الحزينة . حيث ترقد هناك جثة هامدة في الفضاء المجاور للجدار المنهار . . .

التعارف الروحي بين الشعوب واثره في توجيه الانسانية

بفلم احمد سوبر



ابرز مميزات الانسانية ذلك الاندفاع الذاتي الذي يوجه نزعاتها نحو الوحدة، وذلك العصر العميق بالتجانس الفكري، والانسجام الوجداني بين مختلف الشعوب التي تضطرب فوق هذا الكوكب القاتل العاز.

فالبرؤس الانساني بمظاهره المادية المختلفة يبرز الصيني مثلاً كما يبرز الزنجي في مجاهل افريقيا او ادغال اميركا، غير ان درجات هذا الاحساس تتباين بقاءً للمستوى الثقافي بين هؤلاء، اي اننا نستطيع ان نتخذ الرومي مقياساً لتصنيف درجات هذا الحل المشترك الذي ينزع الى اسفل حتى يبلغ درجة «التبدل» في الحالات التي يحيا الكائن الانساني فيها حياة العصور الحجرية الاولى. كما يترفع الى اعلى حتى يبلغ درجة «التطور»، وذلك حين يقدر للفكر الانساني ان يعب في طريقه الى الكمال من يتابع الخلود الثلاثة الحية : الحق والخير والجمال .

وما تاريخ الانسانية الطويل الا اضطراب بين هذين الحدين وذبذبة بين هاتين الدرجتين، وسلسلة من المحاولات بلوغ الاهداف الانسانية العليا.. ويمكن القول ان هذه المحاولات اتخذت مظهرين متضادين مما يبيح لنا ان نقسمها الى نوعين من المحاولات : عنفية واخرى لا عنفية .

اما الاولى فقد كانت الحرب دائماً اداتها المنفذة ولكنها لم تكن دائماً واضحة الغايات، مكررة الاهداف، بل ان منها ما انحلت فيها الانفصالات الانسانية فطغت نسبياً على العوامل الشخصية الضيقة من حب للشهرة وارضاء شهوة التفتح، وتلذذ بمقام المجد العسكري، وحروب الاسكندر تصلح مثلاً لها، من ناحية انه كان يهدف الى

تحقيق الوحدة بين الشعوب التي اخضعها، ولكنه ضل السبيل الى هذه الغاية حين اعتقد انه سيصل اليها عن طريق «تراوج الدم» اي التعارف الجنبني ناسياً ما للتلاقح الثقافي والتعارف الروحي من اثر في توحيد نزعات الانسانية .

ومنها ما كانت الانفصالات الانسانية بعيدة عن ان تكون نسبياً مباشراً لها، اي ان الحاجة لتحقيق الوحدة غير ملحوظة في مسيبتها وبرايعها، وذلك لطغيان الانانية الفردية، وما يواكبها من شهوات التزاور الشخصية . وخير مثل على ذلك يقدمه لنا التاريخ هو حروب «نابليون» ذلك النسر الجبار الذي بسط ظل جناحه الايمن في اجوار اوربا، وحلم ان يظلل الايسر آفاق الشرق المسجورة، لينقض بعد ذلك فيستل بمنقاره الاعقف اضخم شريان لا ضم امبراطورية .

لقد كان من اليسير تجنب النكسة الروحية، لو سخر نابليون اجاده كقائد، لمثل كسان، ولو تواضع امام كبريائه فأقام بدلاً من ذلك الممر السياسي، تبعه النكبات من الغرب الى الشرق جسراً لتلاقي عنده المدنيات وتداخل الحضارات عن تجاذب وتجاوب وتفاعل . ولكنه اراد كفاتح، واراد بعده الغريبيون - كما ارادوا من قبله - ان تكون رابطة الغرب بالشرق رابطة ممقوتة، خيوطها الاستعلاء والاستعمار، والكراهة والاستئثار . فكان الشرق بتبعية ذلك سلبياً بالنسبة الى الغرب، وكان الغرب كذلك بالنسبة الى الشرق، وكان طبعياً ان ينتج تصادم السلبيتين تنافراً روحياً يحاول دون العمل المشترك توحيد نزعات الانسانية. اما المحاولات اللاعنافية فقد جاءت على ايدي فريقتين من المختارين

تصيرت لذلك بطابعين : طابع ديني ، وآخر فلسفي . فالاديان والمذاهب التي يشر بها الانبياء ، والرسل ، والمصلحون الدينيون لم تكن تعاليمها - في جوهرها - الا قواعد للانطلاق ، ينطلق منها الفكر الانساني مدفوعاً بطاقة ايمانية ، قوية الفعالية ، خيرة الاشعاع منها تضال حقلها الاشعاعي وانكشف فانها تظل على الاقل ، تنير زاوية الضيق ، وترتكز في حس الانسان الشعور بانسانيته . وما من ريس في ان هذا الشعور كان ينظم الجماعات المتباعدة اذا ما ربطتها القرى العقائدية وآثف بينها الاخاء ايليني . ولكن الشيء الذي يؤسف له ان هذا الشعور ظل شعوراً غامضاً مبهماً ، لم يرق الى درجة « الادراك » لان السلطان الديني يسطر ظله على الجماعات ككتل تحس حاجتها الى هذا ، وحيث ، فتستاق طليعة الى حيث ترجو ان تجد هذا الغذاء . لا كأفراد يدركون ان تعاليم الدين هي آخر ما يمكن ان يصل اليه التفكير الانساني المستقيم في مجع عن مثل يستهدفه الانسان وينظم بحسبها عسلاته ، فتسي ضوابط للتامل ، وضمانات اكيدة للقاء البشري . والفلاسفة الانسانيون وحدهم هم الذين استكسروا المقصد الالهي من تزييل الاديان ، وادركوا انه يجب ان يسبق الايمان ادراك هو « ايمان العقل » وان يغني الى الادراك ايمان شك وارتياب . والا ، فالاهواء قادرة ان تطوح في كل آن بافتدائه الانسانية ، وما توحيه اليها الدنيا من مثل وشرايع ومعنى ذلك انها تنعكس ، وانما تنعكس الى الظلام بحسب جنوني . وما الحروب تنشب بين جماعات او كتل كان المفروض فيها ان يلجم الاخاء الديني شروها وحماقاتها النتيجة صعبة مؤسفة للتقليد الجاهل والوراثة الغوي توتي الانسانية مرارة جنبها يوم تكتمل ثقافة الجماعات ، ويتم التعارف الثقافي بين الشعوب اذ ان الانسانية لا تطلع ان يأتي يوم تكتمل فيه ثقافة كل الافراد بل تطلع ان يزداد عددتلك الفتنة المختارة الواعية فتزداد بذلك مصادر الاشعاع الانساني . كما تطلع ايضاً ان يتاح للثقافات ان تتلاقى عند خطوط كبرى استجابة لرغبات خيرة تنبع من اغوار الارادة او الماشية العامة ، لا كما تعودت ان تتلاقى وتتعارف تمسداً قسرياً فتدخل غاوية يخفي وراءها الاخضاع السياسي وشهوات الاستعبد .

وانما لطلعة في صميم الانسانية وجرة في حق الانسان ان تستغل السياسة والاديان ونباله الفكر وتسخرهما لخدمة اهرائهما وانانياتهما متجاهلة ان يتابع الخير هذه ، ارض مقدس للانسانية جمعا كالنار المادية المركزة فوق صدور الشاطئ . تهدي اليه السفن الضالقة تدفقا تقيفوا واستثناء .

ان « تافور » لم يكن ثروة روحية للهند وحدها وانما كان المثل الكامل لسوء الانسان لان نزاعته لم تتألم ولم تكبت انطلاقها حدود تعارف عليها الناس ، فواصل وهمية بين الامم بل تحطمت لتنداح في مضطرب اوسع ، مداه رحابة العالم .

« غاندي » حمل الهند الوديع ساء كل الاساءة ان تكون علاقة انكساراً ببلاده علاقة الذب بالحل . فنادى بالسلبية المسالمة : بالانعفاء فكانت نبعاً تفرديت من المحبة الانسانية . لانه كره في بريطانيا وجهها السياسي واساليب ساستها ، ولم يكره فيها وجهها الانساني تطلعت من قناعاته ملامح « ديون وشكبير وامثالهما » ١١

و « تولستوي » يرى من دمه الجبل لانه جعله اسمى طليعة من الفلاحين . وحارب الجندية لانها انسياق آثم نحو البربرية . وحارب الامية لانه اراد لهذا الخلق الذي يدعونه « الانسان » ان يبصر النور ويحيى . ويتقبل تصرفاته فلا ينساق لقتل اخيه اذا مادفعته موجة شورية تولى توجيهها الموى ١٢

هؤلاء وامثالهم يصيحون ضمانة الانسانية بالفعل يوم يعزف الناس عن تجاهل الحقيقة ، واقل تجاهل الحقيقة لانهم رغم اقتناعهم ان الحقيقة لنا واحداً لا ينفكون يلونونها بألوان مآربهم واعمالهم .

وهذه الحقيقة هي وحدة المشاعر والاهداف الانسانية الكبرى التي يتوجب على الامم والشعوب اذا ارادت لنفسها وحضاراتها السلام والطمانينة والبقاء ، ان تتخذها منتهى غايتها ، وتستوحى في تنسيق علاقاتها وروابطها . وليس ذلك بعسير ما دامت هذه الوحدة في صميم حسها الاجتماعي وما دما نجد في جوهر الدين وآراء المصلحين الانسانيين يتابع غداقة بالخير شينة بتوفير السعادة للناس .

ان يوماً نشع فيه بحرية الحب من هذه البنابيع ، وحرية الاتصال والتعارف والوحين ، ليوم عظيم في حس الزمن وحس انفسنا وواقعنا لانه مبدأ لتحول مشر تنسجم على اثره الجماعات مع خلجات الكل الروحي وتجناس مجبوبات البشرية في سبيل الاخاء والسلام ، وتأنف الحكومات استخدام العنف في حل مشاكلها فيقضى بذلك على الحرب كفكرة وكوسيلة .

قد يعترض ناقد : ان جمهورية افلاطون لن تقوم على الارض ، ولن تتحقق ابداً في دنيا الناس ، فأجيبه : ولم لا نتخذها هدفاً مستحيل التحقيق ؟ ولكنته موحد للجهود ، محدد للوجه بدلاً من ان نذكر الانسانية دائماً بظلم فروع وطنيان نيرون ؟؟

عش الدباير

فلم بديع قبي الرب

من صاحبي قصة القرد وارقب معا ان يكشف لي عن عتقه . وفي خلال الطين الداوي في جنبات رأسي اذكرت انني لم ادع صاحبي في تلك الليلة الا لاستييده قصته . فقد كانت تستهويني منها تلك النشوة التي اغرق فيها وانا اسمعها من فة فيلبس عندئذ على ممعي وفهمي كل شي . حتى القصة نفسها وانتظر وصوله الى حكاية القرد فلا اصحو من نشوئي الا على منظر اثر العضة في عتقه وقد رفع قيصة عنها .

وارتفع الطين في اذني عالياً جداً كأن عشا من الدباير هب في رأسي ، ومرت على عيني غشاوة حجب عن بصري كل شي . الا قيصة فقد بقي نظري عالقا بها كأنني مسجور . ثم رأيت كأنه يقرب مني وكان يديه تلمسان بياقته وتفككنا وحينئذ كلمه البرق وقبل ان يمي على شي . اخرجه موسى الحلاقة التي كانت مفتوحة في جيبي وحزرت بها عتقه .

اقسم لك انه لم يتألم اذ لم تمر اكثر من ثانية واحدة بين سحب الموس من جيبي وسجها على عتقه . . . انتظرت طويلاً مجي . رجال الشرطة واخبرتهم انني قتلت صاحبي لانه كان يضايقي ولم ادخل معهم في التفاصيل . ثم حوكت وقد توليت انت اندفاع عني بطريقة لم ارض عنها في بادئ الامر . ولكنني الآن اقر انها كانت الطريقة الوحيدة لتخليصني من المشقة . لقد اثبتت للعسكرة انني مجنون واقر لك الاطباء . على ذلك فاستطعت بهذه الوسيلة ان اتحدد القضاء والاطباء معاً . . بل لعلك كنت انت نفسك مخدوعاً وكنت تعتقدني في الواقع مجنوناً . ولكني سابرهن لك انني كنت مالمكا

قصة

هذا الكرسي اندي انت جالس عليه جالس هو ، وقد رفع كأس الكرنياك وجرع منه جرعة ثم وضعه مكان هذا الصحن الذي تنفض فيه سيكارتك ، وكان هادي . الاعصاب . وانا كذلك كنت هادي . الاعصاب ، لا كما ذكر نص الاتهام واقتنع به القضاة واقتنعت به انت من انني كنت في هياج عصبي كبير . . . وكان يحذرنني حديثه العادي وقصته التي سمعتها من فة عشرات المرات ، قصة رحلته الى افريقيا ومغامراته في غاباتها واصطياده السباع فيها . وكنت انتظاهر بالاصفاء اليه ولكنني في الواقع لم اكن اعني شيئاً مسا يقول فقد رحت افكر في امور اخرى عني احاول ان اتذكرها الآن . اما هو فقد بقي مسترسلاً في سرد حكايته لا ينقطع عنها لا ليخرج جرعة من كأسه يستمد منها قوة ويندفع في الكلام من جديد .

ثم قام وتوكلأ على هذه الطاولة التي تراها الى عيناك واطفاً سيكارتة وعاد فجلس . ظننت انه سيختصر حديثه هذه المرة وانه ينوي السكوت ، وخشيت ان يفعل ولكنه عاد سيرته الاولى عاد بتشكلم على وتيرة واحدة ويتابع قصته التي اعرف كل تفاصيلها كنت اعرف انه سيصل في حديثه الى حكاية القرد الذي عتقه في عتقه وكان ان يقتله . وكنت واثناً أنه عندئذ سيفك ياقته ويبرض على نظري اثر العضة .

لم اعد اسمع شيئاً من كلامه الا طنيناً متواصلاً يشبه الطنين الذي كان يتجاوب في رأسي عندما كنت ان بنفسي في افريقيا اتعالج بمجرب الكينا اذ تتناوب ادوار الحمى .

واخذ الطنينين يعار في اذني ويتزايد بشكل سريع وانا ارقب

قراي العقلية بكاملها فبوسعي ان اخلص لك الدفاع الذي القته في المحكمة ولو كنت مجنوناً يومئذ كما زعمت لما استطعت ان احفظ منه شيئاً .

لقد قلت لهم ان موكلك غير مسؤول فقد اصابه مس بعقله وانه لم يكن هنالك اي سبب لان اقتل صاحبي وان الجريمة على كل حال لم تكن مصممة بالرغم من وجود موسى الخلاقة في جيبي ساعة الجريمة دون داع فقد اكون ابقيتها فيها . وقلت لهم اني لو لم اكن مجنوناً لحاولت الهرب بدل ان

ابقي بجانب الجثة ساعات طويلة انتظر حضور رجال التحقيق . ولا اعلم كيف اقتنع القضاة بهذه البراهين الواهية فحكوا بعدم مسؤوليتي وبارسالي الى مستشفى المجانين .

الواقع ان الجنون لم يحاط عقلي يوماً من الايام، والآن قد شفيت في نظر الاطباء . من مرض لم يكن الا في مخيلتهم رأيت من واجبي ان اقض عليك الحادثة كما وقعت . فلم يكن السبب في الجريمة التي اقترعتها الا ذلك الطين المتواصل الذي كان يدوي في اذني . كنت اقد حين يلصكي الطين كل

ادراك لما يحيط بي ويبقي ذهني معلقاً بفكرة واحدة تجذب جميع حواسي كأن فيها قوة من مغناطيس . وكان ذلك يؤلمني اشد الألم عندما اكون منفرداً فأخذ بالصياح بصوت حاد الى ان يخف الطين شيئاً فشيئاً ثم يتلاشى واتلاشى انا فيه في غيوبة قد تدوم ساعات . وانا واثق كل التقة ان قصة صاحبي تلك كانت السبب الاول في خلق الطين الذي اصبح فيما بعد زمناً يعاودني حيناً بعد حين . ولذلك قررت قتله . وهذا ما لم يدره الاطباء ، ولم يدره القضاة ولم تدره انت . . . ولذلك وضعت موسى الخلاقة في جيبي تلك الليلة . . . ولذلك تظاهرت بالاغصاء الى صاحبي حتى يتولد الطين ويتعالى . . . وتبثني في النشوة .

لست نادماً على قتل صاحبي فاي انسان يتيسر له ان يموت كما مات هو دون ان يتعذب ولو لحظة . . . ألست على حق فيما اقول ؟ بريك ألست على حق ؟ اقسم لك انه لم يتالم . . . انسي أبغض الذين يفكرون بضحيته بعد ان يعذبوها . . . واحتقرهم . . . واما الطين فلا تحسب انني شفيت منه . لا ! انني احس به منذ هزيمة . . . ها هو يعلو ويعلو بشكل سريع . . . بشكل لا يطاق . . . لقد هبت الدبابير في رأسي من جديد . . . أليس عندك قصة تحكيها ؟ عن غابات افريقيا مثلاً ؟ . . . لم يعضك في عنقك قرد من القردة ؟ . . . تكلم . . . اني لا احب السكوت . . . تكلم ، لا تخف ! ان في جيبي موسى قاطعة كتلك التي تعرف . . . اقسم لك أنك لن تتالم . . .

بربع قتي الهرب

المخيرة الاميركية النافذة

فلاشمان

FLEISCHMANN

التي برهنتم عن جودتها

لكل من جربها

تجعل منخبز لذيذاً

طرياً ، شهيئاً ، ممتازاً

سريعة الفعول

سهلة الاستعمال

ذخيرة الثمن

جربها اليوم

الوكالة العامة لمرسيا ولبان

شركة بروك المتوسط

لغات انظر الى . بيروت



ذلك الطريق

خلق الشاعر للبؤس فغي خلق البؤس ، يقين للضيق
ينهل البسة من شقوته املاً يهزأ بالعيش المرير

فاهزئي يا شمس من روحي ومن هذه الوضة اسمي قبساً
ان اضواءك لا اهدى بها يتهدى الشاعر من اشراقه
كم ضرير مبصر ، قادلوري فليثو كالظلم تيار الاسى
واحطمي كاسي في زهوته لست اخشاك وهل يخشى القوي
يصدم الاحداث في وتيته

انما الشاعر في آلامه يرتقي في طفرة الروح الكبير

لأس العبد الله

ألف الطريق خطاي ثقله مع الامس القريب
وتهدأتك تهر الاشباح في الليل المهب
واليوم ارجع كالغريب فيزدريني كالغريب
ويظل يسم هائناً مني ويسخر من شعوي
وغداً سيأخذ الحياء لما سيحمل من ذنوب
فلكم سيعبر مشوقاً نحو بابك من حبيب
ترنو العين على مدهاء فتستقر على قلوب
حتى تذل له الذنوب فلا يتوب ... ولن تتوي

اكرم الوهري

بدراد

الم الشاعر

نضال

شاعر صبره انتشر ضاق بالصمت فانتفجر
من اناة ومن حذر مل ما اعتاده الحبي
وهو في موطن الخطر اي شي يروعه
فاض في نفسه الضجر غاض في قلبه الرجا
لا شعاع ولا شرر فادلمت سماؤه
فالجلايد والحفر اين ما نقل الخطا
يومه بعض ما عبر عنه بعض يومه
لزم الصمت لم هدر سيلاتي مصيره
ما سيقضي به القدر فتجلى بياسه
وطوى الجور ما انتظر ان يكن خاب ما الرجي
ليس من شأنه الحور فهو ذبالك التي
قوة تلهب الحجر مستند من الاسى
لا يبالي اذا اشتجر صار حتى مع الردى
غضب الثورة استمر شاعر في فؤاده
ما له في المني وطر غير اسماء قومه
لم يغور به اشر خيرهم بعض خيرهم

انا وهم ضل في الدنيا شعوري
تهدل الآهات من قلبي ومن
لم ازل قطر ندى في برعم
لم يذر العطر من اجفانه
فارى كل صباح صبحي

لم ازل انشودة مخنوقة
اسأل المجهول عن امينة
فأراهام ووضعة خلافة
تتاهى قسوة الدهر بها

انا في كف زماني كرة
امنياتي كنهها ومض روى
انا احياه بفكري الما
الم الشاعر ما يرسمه
الم الشاعر ما اعذبه
يوقظ الانفس من غفوتها
فاذا الدنيا على همسته

(واسقي حتى ترائي
فلو ان الشيخ قد عا
غفوة عمر الاناسي
فاشرب الراح وعجل

دق ناقوس الندامي
قم الى الحانة - لطفاً -
خمرة صفراء اشهى
انهر منها طوال
فاشرب الراح وعجل

مبين هانم الكرمي

بغداد

الاسيرة

عذرتك في اتجال العذر لما
فقد ابصرت في خديك لوناً
بلغت من التلون كل شأ
حانك اين عهد الحب ليلى
حسبك حرة اللغات حتى
عذرتك فاعذري قلباً رحيماً
فكم من « حلقة » للذبل رمز

وديع فرب

اغنية بغداد

اين يا بغداد احلام الليالي النابره
يا ابنة الشرق ويا مهد الطيوف العابره
رددت اصداك الوسي الاحبون الساحره
وترامت من وراء البيد تنهوا بالاماني الزاهره
وسرت في الكون سكري بشرع من خيال
ساحر الحفنة مخوف بهالات الجلال
لم يزل يسكر بالفتنة عشاق الليالي
كلها هلهل صدايح وغنى بتسايح الجال

ذلك الحسيه صوره
ان يشع عن همومهم
كل فن اذا انزوى
بغداد

ابراهيم غوربها

همسة الشاطي

ايها الليل ترفق بهوانا
همسة الشاطي لم ترفق بنا
قم جيلي عصف الشوق بنا
ها هو الزورق مستلق على
نحن في نعر المني انشودة
سكر الليل على انعامنا
اطرق الموج لالخان الصبا
والصبابات ترامت حولنا
آه يا قيثارة الفن اشهدي
قد صمونا فوق معراج الهوى

مصطفى غبر ربه

انشودة النواصي

هدأ الليل نديني
واطلت البدر نشواناً على اليد القساح
والوريدات اذاعت في الفرايس الفواح
وشدا الببلل مسروراً على الايك وصاح:
اشرب الراح وعجل
قبل ان يأتي الصباح

غمر الليل الروابي والنيابي والتخوم
والمصاييح تبدت مثلاً تبدو النجوم
ودوى صوت بشير الانس من بين النجوم:
ايها الانسان ان العيش حلم لا يدوم
فاشرب الراح وعجل
قبل ان يأتي الصباح

إترع الكأس نديني بالشراب المستطاب

تساورنا الحيرة القاسية
وعضي السؤال ليأتي الصدى
وبين اختلاج الرؤى الدامية
نحسد احلامنا الواهية
فنصغ فناسكها بعد حين
لنضع آلهة ثانية !
فنصرخ دماذا سنلقى غدا ؟
يسألنا مرة ثانية !
وصورة انفسنا لليقين ..
بأصنام آلهة من عجين
لنضع آلهة ثانية !

رشيد ياسين

بهداد

الم

آه من همي واخزائي وآلام الحياة
آه من جرحي وما اخفي وراء البسات
ويح لي من لوعة الذكرى وشؤم الذكريات
ويح لي من خافق حان له اسمي الصفات
ويح لي مما جناه البؤس في اركان ذاتي
ان من عيني يا لؤم الورى خمر الجناة
سوف تروى في السحيق الجلب ابهى زهراتي

يا شقاء الارض هل حطمت معنى كبريائي
النت مسكين اذا حاولت ان تنذو ابائي
مشرك كالسيف في ليل الاسى صلب قضائي
وغزائي انا لا اطلب في الدنيا عزائي
متعب دائي ، ومن دائي في الدنيا دوائي

اضحكي ياارض انت اليوم فوق النسرات
فيك ما يغري بتحطيم العلى والمكرمات
غليان في دمي يا ارض هل ثارت انساني
ذبحوا الطير والقوه الى سبع الفلاة

ويح لي من طائر حلو رقيق الثبرات
شارد هيان لا يدري بوقع الكارثات
سوف يرميه الذي يوعاه رمي الحشرات
آه من جرحي يكاد البؤس يبكي في حياتي

عزيزة هرون

الانوفية

ابن عري الشعر في ذوب الضياء الازرق
وذهل الروح في تيه محمى الشرق
يتهادى الوحي في وهج سناها الشيق
فينغيه نجى الليل الزهر الشذي العبق
في رياض عذبة الاسجار فيها العطر ذرد
والندامى بين خفقات صنوج وكؤوس تنور
والملح البيض يحظرون على اصداء لمن يتكبر
كل سكرى من لماها خمره الاقداح تسكر

ابن من افقك هاتيك القباب الحالمه ..
تسكب الفتنة في همس الظلال الغامه
والقناديل ارتعاشات قلوب هافه
ساهدت الطرف في صمت الدروب النافه
وصدى البار في دلجة خفاق الجناح
يتهادى بهم الزورق في تيه الرياح
هجروا المجداف وانساوا بأجواء مراح
وطلوا الليل على رفة اضواء الصباح

ابن يا موئل نور الفكر عهد البديع
يا منار المجد للكون وهدي التائهين
حومت في افقك اليوم اخايل السنين
فذرقت الدمع في ذكراك مشبوب الحنين
للمنى يا جنابات (الكسوخ) تلك الذكريات
البا في افقى المصور اطراف هلاة
هات ما شئت فاني ملهب الاشواق هات
يا بقايا نغم مات بانفاس الحداة

كالم السراوي

بهداد

المدر والجزر

مهذاة الى الشاعر ايليا ابي ماضي

على هذه الكرة الطافية
نحركنا قوة خافية
ونغضي مع الجزر حتى نعود
وفي هذه السبل الداجية
ببحر الزمان العديم الحدود
فنهدم سدأ لنبنى سدود
مع المد في صورة ثانية !
نسبح بلا غاية او هدى



منذ ايام ، فصول شاققة من هذا الادب
الصادق الحي ، اوحاها الفكر النير
وجلاها البيان الانيق .

اصداقاً جمعت بينهم مطامع الشباب ،
في بيته للسر فيها صوره منكورة ، فتماهدوا
على الكفاح في سبيل العلم والحق والحري ،
وعاشوا رداً من الزمن اخواناً أوفياء ، ينظرون الى المستقبل في
ثقة بالنفس وايمان بالاصلاح وشغف بالمثل العليا . ثم فرقت الايام
بينهم ، فصار كل منهم في السبيل الذي يتلام مع سجيته وطبقته
ومذهبه في الحياة . ففهم عن عرض لهم المقاتن ونصت امامهم
المفريات فاندفعوا وراءها متسكرين لكل ما يقصيه عنهما من
رأي ومن يحول بينهم وبينها من صديق ، ومنهم من مسخو ارجذاناً
او حيوانات اخرى ليست احسن حالا من الجرذان تقمصت نفوسها
اجسامهم ، ومنهم من بقي اميئاً على مبادئه وفيماً لاصداقائه ، فاذا
باخوانه يفضون عنه منذ دار به الزمان ونأى عنه السلطان ونظروا
فلم يجدوا عنده منفعة ولا مآرباً .

لقد علم هذا الصديق الوفي ان المرء خليق ان يختار بين اثنتين
« فاما ان يستقي ما نشأ عليه من خلق ، وما فطر عليه من مزاج ،
فيسبق على الترابية ، ويقاوم الالم ، ويصون نفسه من ان يكون
سلعة تعرض للبيع والشراء ، ويعلم اخلاقه من ان يكون
في المساومة من ارتفاع الاثمان وهبوطها ، واذا فليس ما يجب عليه
اذا اختار هذه الحصلة ، ان يرضى بالقليل ، ويتعق باليسير ، ويروض
نفسه على غدر الصديق وخيانة الاخوان ، وتحول الرفاق وتنسكر
الحلان . يلقي ذلك بآساً له وساخراً منه ان كان من اولي الغرائم
الماضية والحهم العالية ، ويلقي ذلك شقياً به محزوناً له ، ولكنه
يحتمله على كل حال ، ان كان من الصادقين الذين لم ترتفع نفوسهم الى
منازل النابئين والافاذاء . واما ان يدور مع الزمن ويسير الحياة ،
ويختطف الله حين تساق اليه ، ويعرض نفسه للبيع فيبيعها بالشن العالي
ان اتبعه ، وبالشن الرخيص ان لم يجد بداً من قبول الشن الرخيص » .

وقد اختار الحصلة الاولى قلقي في ذلك كثيراً من الاذى ،
وصبر على كثير من المكروه ، ورأى اصداقاه من حوله يبتعدون
عنه واحداً بعد آخر حتي وطن نفسه على فقد الصديق ، الصديق
الذي لم يختطفه الموت وانما اختطفته المنفعة .

هذي هي القصة التي يرويها لنا الدكتور طه حسين في كتابه

مرآة الضمير المحدث

للدكتور طه حسين - ١٦٠ صفحة - دار العلم للملايين - بيروت

يستطيع العرب ان يطاولوا بالدكتور طه حسين ادباء الغرب
الاعلمين ، فهو الرجل الذي اجتمعت فيه صفات الاديب الحق من
ثقافة واسعة وشخصية فذة وتفكير عميق وذهن متوقد وشعور
مرهف وخلق كريم وحرية في الرأي والتعبير . وهو ابو الادب
العربي المعاصر دون منازع ، بعث بعثاً جديداً ، ونفع فيه روح الحمية
والصدق والابداع ، فامن ادب بمجد يستطيع ان ينكر اثر طه
حسين في ادبه وفي حياته جميعاً ، وما من مفكر منور يستطيع ان
ينكر انه استنار بالشعل المهادي الذي رفعه طه حسين وجاهد في
سبيله عشرات السنين .

ولا ريب في ان طه حسين لم يبلغ هذه للكافة في قلوب
الاجيال العربية المتعاقبة لروعة فنه وطرافة تفكيره وجمال أسلوبه
وحسب ؛ وانما بلغها لان فنه وتفكيره واسلوبه تقوم على اساس
وطيد من الحرية والاصالة والصدق والتقدم والمطرد والتجدد المستمر
وتصدر عن نفس نبيلة تمتاز بصلاية الخلق ونقاء الضمير ولا تداخلها
شائبة من شوائب التذجيل والتبرج . وهذا الاساس الذي يقوم
عليه ادب طه حسين ، وهذا المصدر الكريم الذي ينبع منه ، هما
السر في بقاء طه حسين على القمة بينا انحد الى الحضيض اكثر
الادباء الكبار الذين رافقوه في نشأته الاولى ، وهما السر في الحاح
القراء على ادب طه حسين بقراءونه وبقربونه وبتشوقهم اليه ، وهما
السر في ان اسم طه حسين قد تحول لدى احرار العرب الى رمز رفيع .

يزايف ادب الدكتور طه حسين في مجموعه صورة للعصر الذي
عاش فيه وللبيئة التي احاطت به ، بما في هذا العصر من قلق وتطلع
الى الاستقرار ، وبما في هذه البيئة من قيود ورغبة في الانعتاق ،
تتمسك كلها في نفسه المهلهة وتتفاعل معها ، ويجري بها قلعه البليغ
صوراً رائدة تجمع بين المثة الفنية والترويج الحكيم . وفي كتابه
الاخير « مرآة الضمير الحديث » الذي اصدرته دار العلم للملايين

الجديد . وهي قصة رائعة حقاً ، ليست من ذلك النوع الذي اعتدنا قراءته في الأيام الأخيرة . هي قصة المجتمع المصري ، والمجتمع العربي ، بل كل مجتمع حديث في كل قطر تسيطر فيه المادة على حياة الإنسان سيطرة عياء ، قتشوه من تفكيره وخلقه وتجميل أنه آلة مسيرة تعمل في نظام جائر سعادة المرء في ظلمة مشتقة من شقاء الآخرين .

ذاك ان الاشخاص الذين تحدث الدكتور طه حسين عنهم او تحدث اليهم ، سواء أكلوا اناساً من لحم ودم او من ابداع مخيلته الولود ، فانهم يمجسدون اشخاصاً نعرفهم في مجتمعاتنا العربي ويمثلون فئات معينة فيه ، وقد نوه اندكتور بذلك اذا قال خاطباً احدهم بعد ان تساءل لماذا يكتب اليه كتابه وقد انقطعت الاسباب بينها : « لسبب يسير جداً وهو ان امثالك في الناس كثيرين بل اكثر جداً مما تظن ، فليس هذا الكتاب الا مرآة لتكون انت الشخص الوحيد الذي يرى نفسه فيها » .

فهناك اصحاب السلطان الذين يمجدهم من ان تقع لهم في نفوس الناس مهابة تقوم على الخوف والبغض ولا تقوم على المحبة والتعجب ، لان ذلك شراً ما يتعرضون له « فالحب لا يتألب بالقسوة والنصح لا يكتب بالظلم ، وليست اشاعة الثقة وسيلة الى اكتساب الود ولا الى اصطفاء النفوس » وهو يقول لصديقه منهم وقد علم انه امر الا يذكره الادباء فلما يكتبون ويظنون الا بالحير : « وانت بعد ذلك لا تستطيع ان تغفل الالسة المطلقة .

ولا ان تحطم الاقلام المشرعة ولا ان تمسع القلوب من الشعور والعقول من التفكير ، فدع الناس وما يشاؤون ان يقولوا فيك من الخير والشر ، ومن الحمد والذم ، وانتفع بذلك كله في اصلاح نفسك وفي تجنب ما يشينك الى ما يزينك » الى ان يقول : « ولست بخير من عمر وقد قال للناس : من رأى منكم في اعوجاجاً فليقوم ! فقال له قائلم : لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا . وقد لام اللاعنون عثمان ، فقبل اللوم ، واعتذر من الخطأ ، وتاب الى الله من السيئات . فانت بخير من عمر ، وما انت بخير من عثمان ، وما انت بخير من رسول الله وقد رضي ان يتصف من نفسه » .

وهناك الوشاة الذين يطلبون من صاحب السلطان « ان يخصهم بصفو نفسه وصدق وده وشامل معروفه ، ولا يعطونه من انفسهم الا الكدر والرنق ، ولا يمتنعونه من ودهم الا التكلف والرياء ، ولا يهدون اليه من معروفهم الا تربص الدوائر بوائتهاز القرص فيه ، وانتظار اليوم الذي يتحولون فيه عنه الى من ينافسه

ويناوله . فهم يعرضون قلوبهم ونفوسهم وعقولهم وشعائرهم للبيع ويقبلون ما يعرض عليهم لها من ثمن . فاي الناس ارضاهم ما لاولا اليه ، واي الناس قصر في ارضائهم انحرفوا عنه وتآبوا عليه . ثم هم بعد ذلك لا يحفظون وداً ، ولا يعون حرمة ، ولا يذكرون جيلاً ، وهو يصغفهم ابرع وصف ويجذر صاحبه منهم حذراً شديداً فيقول له فيا يقول : « ومن حقت على نفسك ، ومن حق الناس عليك ، ان تتهم الذين يسمون اليك ، ويظنون بك . فان اتهام فريق من الناس والتثبت قبل الاستجابة الى ما يدعوك اليه ، خير لك واسلم عاقبة من ظلم العربي . والاساءة الى المحسن ، والاحسان الى المسي . والتجاوز عن الجرم . وقد امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ، ان يشبوا ان جاءهم فاسق بنبأ ، مخافة ان يصيبوا قوماً بجهالة فيصبحوا على ما فعلوا نادمين » .

وهناك المراءون الذين يظهرون غير ما يبطنون ، فهو يقرهم تقريباً شديداً ، ويقول لهم : « ليس يجمل بكرام الناس ان يحبوا كلمة » لا اذا خلوا الى انفسهم ، وان يقولوا « نعم » اذا لقوا اصحاب الجاه والسلطان . وليس يجمل بكرام الناس ان يتعدثوا حديث الاحرار ويسيروا سيرة العبيد . وليس يجمل بكرام الناس ان يناقضوا الى هذا الحد بين ما يعتقدون في دخائل نفوسهم واعمالهم خفازمهم ، وما يظهرون من سيرتهم حين يعاشرهم امثالهم من الناس » .

وهناك المسوخ الذين تقصبت اجسادهم انواع الحيوان ، فهذا رجل وثب الى ارقى مما يطبق « فأصبح اشبه بالديك الذي يوضع موضع النسر ويراد على ان يخلق في اشد الاجراء ارتفاعاً ، وليس هو من هذا التحليق في شيء ، وانما قصاره شرف متواضع ، يرتقي اليه ليستقبل الصباح بالصباح ، ولينفش ريشه كلما اتسع لسان ينفضه » وهذا ثائر الحياة امامه اشواكاً فاشق منها ، ونثر امامه ازهاراً تنهالك عليها . شررت امامه الهول فغاف ، ونصبت امامه المعريات فاندفع . وما هي الا ان تتصور نفسه بهذه الصورة المرنة اللينة ، التي لا تثبت لشيء . ولا تمتنع على شيء ، وانما هي تجزع لبناء السيرة وتستجيب لايسر المعريات ، تفر عند القزع ، وتقبل عند الطمع ، والغريب انها على ذلك كله ترى في نفسها الخير ، وتزمن لنفسها بالحكمة ومضاء الغرم . قبل لها ذلك فصدته واطمأنت اليه ، ولم تنس الا شيئاً واحداً ، وهو انها تمت أحداث الحياة ، وتأثرت بها ، في غير مقاومة ، حتى اصبت اشبه شيء بالكلب ، ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث » وهذا آخر

شقاء مضيقه . وهو مع ذلك ساخط على أولئك وهؤلاء ، لا يرضى عما يجري هنا ، ولا يطمئن الى ما يجري هناك . ينكر المصريين لانهم لم يبنوا من رقيهم المادي والعقلي ما بلغ الفرنسيون . ولا أنهم لا يستطيعون ان يوفروا لعن وسائل الترف والراحة والامن ما يوفره له الفرنسيون . وهو من اجل ذلك يهجرهم يهاجر من ارضهم ، ويكفني منهم بأن يزرع الزارع ويصنع الصانع ، ويجوع الجائع ويتس المتس ويشقى الشقي ، لتجتمع له الوف من الجنيات تبعا الوف وتحول له هذه المقادير الضخمة من المال ينفعا فيما يحب من وسائل الترف ، ومواطنوه في شظف من وسائل الراحة والنعيم ، ومواطنوه في عنا وشقاء . وينكر الفرنسيين لانهم لا يخضعون للسلطان كما يخضع له مواطنوه ، ولا يستكينون للقوة كما تعود ان يرى الناس يستكينون لها من حوله في مصر ، ولا يعبدون عجول الذهب كما تعود ان يرى الناس يعبدون عجولا ذهبية كثيرة على ضفاف النيل .

ومتهم أولئك الذين ادرتهم الوباء وهم في مصر ، فأحال نعيمهم جحيماً ، واذا هم « موهور مفقود قد دخل الروح عليهم دورهم وقصورهم » فلأها ذعراً ورعباً ، ثم اقتحم عليهم قلوبهم وضامراً فلأها جزعاً وهلعاً واشفاقاً . فهم لا يفكرون في المال ولا في الترف اذا استيقظوا ، ولا يحلمون بالمال ولا بالترف اذا ناموا ولما يفكرون في الوباء ، يتأففوا ويحلمون بالوباء . نياماً . كل مهم ان يفلتوا من الوباء . وما وجدوا الى الافلات منه سبيلاً . فهم من هذا الخوف المتصل الملح في جحيم ، وهم في جحيم آخر لعله ان يكون شرأ من جحيم الخوف ، هم يجدون في ضائرتهم ، بل في اعق الاعاق من ضائرتهم ، حيرة ضئيلة ولكنها ملحة ممضة ، مصدرها اصوات يأتيهم بها الجو من كل مكان ، حتى تأخذهم من جميع اقطارهم ، وحتى لا تصل الى نفوسهم من الأذان التي تصل منها الاصوات الى النفوس فحسب ، ولما تصل الى نفوسهم من كل طريق . . . تصل الى نفوسهم من طريق العيون والانوف وسائر الحواس . وكل هذه الاصوات تنبئهم بانهم يعيشون في جو من الحسد والبغض والحقد والحفيظة والمروجة ، لا يتقنون درهماً ولا ديناراً الا احصاء عليهم من حوهم من الناس ، ولا يستمتعون بلذة من اللذات الا سبجها عليهم من حوهم من الناس ، ولا يطعمون طعاماً ولا يشربون شراباً ولا يتخذون ثوباً الا تقي الناس من حوهم لو اتبع لها ان يشاركوهم في بعض ما يطعمون ويشربون ويلبسون . وهنالك غيرهم كثيرون . .

كلن اصحابه يتوهمون فيه العباداة والسذاجة وسلامة القلب ، ثم كشفت لهم الايام عنه ، فعرفوا انه « لم يكن الا كسباً من هذا الرمل السهل الهين ، الذي تقوص فيه الاقدام ، ويبعث به ايسر النسيم ، وان في هذا الكسب المهيل ، حية تهدأ فتحصن الهدوء ما جنتها الليل ، ثم تسعى فتحصن السعي ما اضاءت لها الشمس ، وهي في اثناء سعيها وهدوئها موقوفة السم حديدية الثاب ، تأزم فتحصن الازم ، ولا يدنو منها احد الا اصابه من معها حظم وقور » على ان هؤلاء ، « لم يتفردوا بما كتب عليهم من المسخ ، ولما هي محنة عامة يتحن الله بها هذا الوطن البائس في كثير من بنيه » . وهنالك اصحاب النعيم واصحاب الجحيم . فاما اصحاب الجحيم فهم صف واحد من الناس يشقى ليسعد الآخرين بدم قلبه وعرق جبينه . . هم « الجائعون الضائعون والبالسون البائسون والمأزومون المحرومون ، الذين لا يحفل بهم احد ولا يحفلون بأنفسهم . ولما عرفت الدنيا وعرفوا معها انهم قد ارسلوا الى الارض ، ليتجرعوا فيها الشقاء غصصاً ، وليصادقوا فيها الآلام منذ يقاوبن على الحياة الى ان يخرجوا منها » . . واما اصحاب النعيم فهم اشبات الوان ، وفي هذا الكتاب منهم غاذج عدلوا ان الاستاذ العبد قد ابدعها من حجر لكانت حرية بان توضع في اعظم المتاحف . فتمهم صاحب القلب المقتل « الذي لا ينفذ اليه شعور بالطمأن او حاجة الى التعاون ، والذي لا تصل اليه رحمة حين يحتاج الناس الى الرحمة ، ولا رفق حين يحتاج الناس الى الرفق ، ولا رثاء حين يحتاج الناس الى الرثاء » . لقد حصن نفسه بهذا القلب الصخري الذي لا تعمل فيه المعاول ، ووضع عليه قفلاً ذهبياً مرصاً قفلاً القلوب الاخرى التي لم تصور من صخر ولما صورت من لحم ودم ، حزناً وبأساً وحقداً وحسداً . وراح ينظر الى هذه القلوب المحترقة الممزقة في كثير من الكبرياء والازدراء ، قائلاً لنفسه : « لقد صرف عني هذا الشر وغدل عني بهذا البؤس ، واريد ان احيا هذه الحياة الحلوة التي تشقت حالوتها بما يحيط بها من مرارة ، اللينة التي استخلص ليها ما يحيط بها من شدة ، الناعمة التي يستصفي نعيمها ما يحيط بها من البلاء » .

ومتهم ذلك المصري الذي يقيم في فرنسا حراً طليعاً وموقفاً سعيداً يأتيه المال كثيراً موفوراً من مصر ، ويأتيه النعم كثيراً موفوراً من فرنسا ، لانه يقدر بالمال المصري الذي لا يجده اكثر المصريين ، على ان يحصل من النعم الفرنسي ما لا يجده اكثر الفرنسيين . فهو ناعم على رغم المصريين والفرنسيين جميعاً ، يستخرج له المال المصري من شقاء مواطنيه ، ويستخرج له النعم الفرنسي من

وضع عليه صاحبه قفلاً ذهبياً مرصاً ليلاً القلوب المحترقة المزقة حزناً وبأساً وحقدًا وحسدًا ، فانظر الآن كيف يجاوب الاستاذ العبد صاحب هذا القلب فيقول له : « انك ترى في الارض انهاراً تجري وبنابيع تفيض ، وانك تستل هذه الانهار الجارية وهذه الينابيع المتدفقة تسمن في لذائك وترتد الى شراك شراء ، فهل علمت كيف تنجرت هذه الينابيع ؟ وهل علمت كيف انشقت الارض عن هذه الينابيع ؟ وهل علمت ان قلبك ، مهما يكن حظه من الصلابة والصلادة ومن الاصمات والقسوة ، لن يستطيع مقاومة الاحداث ، ولا ان يثبت للخطوب ، ولا ان يحفظ بهذا القلب الذهبي المرصع الذي علته لك الايام عليه ان الحوادث والخطوب تمس بالقلوب مهما تكن قسرتها ومهما تكن اقفاها . وان ساعة من الدهر تأتي على هذه القلوب الصلبة الصلدة المصتة فذهبها او تحيلها هباء ، تذرده الرياح . انظر ، لقد كانت قلبك قلوب صلبة صلبة مقلدة قد احتبست من الوان اللذة والاثم ؛ ومن ضروب الطمع والجشع ، ومن خصال الاثرة والبخل ؛ ما لا يحصى ولا يوصف . ثم اتت عليها هذه الساعة من ساعات الدهر فذهبت بها وباصحابها . وهذه الساعة آتية عليك وعلى قلبك فذهابة بك وبقلبك الى حيث يذهب الناس ثم لا يرجعون . »

ومن صفات الضعير الحديث انه يقف في معترك النضال موقف الصلابة والشدة ، وانه يسير مع تيار الحياة المتطورة ، وانه لا يتراجع امام المضاعف والعتبات بل يذهلها ويظهر عليها ، وكذلك يقول الدكتور طه حسين : « ان هذه الازمات التي تلح على الناس منذ اول هذا القرن تلقي عليهم دوساً فيها الخوف وفيها الاغراء ، فيها اليأس وفيها الرجاء ، فيها انتهاز الفرض وفيها الشبكات على الخلق الكريم » .

ويقول : « ان الفرد لم يخلق لنفسه وانما خلق لمواطنيه ، وان الامة لم تخلق لنفسها وانما خلقت للانسانية ، وان الحياة قصيرة فيجب ان تنشر لتحقيق النفع وتعميم الخير وترقية الحضارة واقرار العدل . ذلك احري ان يد قصيرها ويصل منقطعها ، ويجعل زائلها خالداً وباطلها حقاً ، والمتنضي منها متصلاً » .

ويقول ايضا : « ولكن طريق الحياة لا تستقيم الا لادلي العزم من الناس ، أو قل انها لا تستقيم لاحد وانما يكبرها اولو العزم من الناس على ان تستقيم ، يقتضون ما يقوم فيها من العقاب ، ويرتفعون عما يعترض فيها من دواعي المحنة والتبته والنساد » .

ومن صفات الضعير الحديث أخيراً ، بل اولاً ، الشغف العميق

وقد وضع الدكتور فصول الكتاب في رسائل قال انها وقعت له ولم يعرف كتابها ولا من كتبت اليه ، وكتب الرسائل الاربعة الاولى بلسان الجاحظ فوق توفيقاً كبيراً ، على اني قد وجدت في الرسائل الاخرى ، تلك التي اطلق فيها العمد نفسه على سجيتهما وكتبها بلسان به الصافي المضي . السيل ، من النعمة والحياة والقوة فوق مسا وجدته في تلك . وفي اعتقادي ان ذلك امر بدبيهي لا يحتاج الى جلاء .

واريد ان اقف قليلاً عند اسم الكتاب ، فالدكتور فاهمسين قد سماه : « مرآة الضعير الحديث » يريد بذلك ان فصوله بما تكشف عنه من عيوب ونقائص وانما تعكس صورة الضعير الحديث . ولست اوافق الدكتور على هذا ، لاني لا اعتقد بان هؤلاء الاشخاص الذين صورهم لنا بلا اخلاق ولا خنازيم الذين يثألون الضعير الحديث . ان هذه العيوب والنقائص قديمة جداً ، والضعير الحديث الذي استيقظ وتردد وهتف هتاف الحرية ، هو الذي رآها وكشف عنها وردعا الى اسبابها الاجتماعية التي تزول بزوالها . وهذا الضعير البقظ الحي انما تمثله النواحي الاجتماعية في الكتاب يومضاتها الزائلة التي تغذي ذهن المتطلع وتهدئ الجشع الضال .

واول صفات الضعير الحديث التفاؤل والاعان بالمتقبل والنظر الى العيوب والنقائص والمظالم التي عالجها الدكتور ، على انها زائلة حتماً بتطور المجتمع وتقدم الانسان ، وهي صفات بارزة في هذا الكتاب . فطه حسين يعتقد وبنوه بان « الزمان لا يثبت ، وانما هو منطلق دائماً ، وان الايام لا تستقر ، وانما هو نهار يتبعه نهار ، والاحداث في اثنا . ذلك تحدث ، والخطوب في اثنا . ذلك تلم ، والنواب في اثنا . ذلك تنوب ، والوزراء يولون ويعزلون ، والحكام ينصبون ويتصرفون ، والدنيا تقبل وتدبر ، والحوادث تتحول وتر ، والرجل اللبيب من اعتبر بهذا كله فلم يسرف على نفسه ، ولم يسرف على الناس ، ولم يقدم بين يديه من العمل ما يسوء في الدنيا ويخزيه في الآخرة » .

وهو يرى « ان خبايا الايام تحفظ للناس من اسرار الليب ما يحبون وما يكبرون ، وتدخرو لهم من الاحداث ما يعرفون وما ينكرون . فن اتيت له القوة قد يقدر له الضعف ، ومن ممكن له في الارض قد تنوب به الدار ، ومن ابتست له الايام قد يعبس له الدهر . النعمة ودعيرة في ايدي اصحابها قد يطيلها من استودعهم اياها ، والقوة عارية في ايدي الاقوياء . قد تؤخذ منهم القردة على الضعفاء » . ولقد نقلت لك منذ قليل شيئاً من حديث القلب المغلق الذي

ليعيش .. فحضر الشاب من البؤس والجوع وهم التفكير ، فإيا
يقم الأول ، وحرره من الجهل ، وأتق لهم علماً وأدباً وثقافة ،
ويسر لهم بعد ذلك ان يعيشوا في جو صحح غير متحرج ولا متزمت ،
وخل بينهم وبين الدنيا وما فيها ما يسر وما يسوء ، بما يحسن وما
يقيح ، بما يلد وما يؤلم . وثق بأنهم سيصنعون ويشعرون ، وثق
بأنهم سيؤمنون وبسخطون ، وثق بأنهم سيعبسون ويبسسون ، وثق
بأنهم سيتقبلون هذا كله بأنفسهم لا من طريق غيرهم ، وثق بأنهم
ان استقبلوا الحياة ولذاتها وآلامها وخطوبها واحداثها ، فسيصرون
ما يستقبلون من ذلك وسيعبون به وسيؤثرون فيه ، وسيكون كل
واحد منهم انساناً حراً عاملاً . وحيث وجد الانسان اطر العامل يوجد
الدوق الفني ووجدت آثار الدوق الفني في الاستمتاع والامتاع جميعاً .
ذلك هو صوت الضعير الحديث بل ذلك هو هتاف الضعير
الحديث .

بل تلك هي صرخة الضعير الحديث ، يرسلها الدكتور طه
حسين عالية مدوية ورائحة مرعبة ، والدكتور طه حسين بجلته
وادبه خير من يعبر عن هذا الضعير اليقظ الحي في مصر وخير من
يمثله في البلاد العربية كلها .

فردري فلمي

أداميس سني

بمسوعة قصص للدكتور صلاح الدين الناهي - ٨٨ - صفحة - مطبعة الرشيد - بغداد
اذكر انني عندما تحدثت الى الاستاذ ميخائيل نعيمة ، في
مطلع هذا العام ، عن أدب القصة في البلاد العربية - لمست عنده
اعجاباً واضحاً بالقصة العراقية ، ورايته كبير الامل بما قد يقدمه
العراق للادب العربي في هذه الناحية ، ونشرت يومئذ شيئاً من هذا
الحديث في صحيفة « كل شي » البيروتية .

ولما اصدرت اسرة « الاديب » حكماً في « مباراة القصة »
التي اقامتها في العام المنصرم ، كانتمة إجماع لدى اللجنة المحكمة
على منح الجائزة لصاحب قصة « فطومة » الذي تبين فيما بعد انه
الاستاذ عبد الملك نوري ، وهو عراقي .

اخذت ، على اثر هذين الحادثين ، انجوى صحف العراق
الادبية ، وانتقب عن « القصص » التي تشرعها ، فاذا بي اقع عند
كتاب العراق وادبائه على ميل يكاد يكون فطرياً للقصة وكتاباتها ،
ثم تتضح لي القضايا شيئاً فشيئاً من خلال احاديث جرت لي مع
الاستاذ احمد الصافي الشاعر وغيره ممن هم على صلة وثيقة بالعراق

بالحرية ، والاثبات بأنها الشرط الأول لكل رقي فردي او تقدم
اجتماعي ، سواء في ذلك الحرية الادبية او الحرية الاقتصادية ، بل
ربما جاءت الحرية الاقتصادية في المقام الاول لان الناس يحصلون
معاشهم اولاً ثم يفكرون ويحلمون ، وان افكارهم واحلامهم
لن تتأثر الى حد كبير بما يلبس تحصيل معاشهم من نضال عنيف او
هادئ . ومن استغلال لعلمهم او انصاف لهم فيه . والدكتور طه
حسين يذهب هذا المذهب في غير مكان من هذا الكتاب ، وفي
الفصل الذي دعاه « صغائير الانباء » دفاع رائع عن حرية الفكر
وحرية العلم يذكر كبرك بنضرية الملاحظ وتهكمه اللاذع المركا
تذكر كبرك الفصول الاربعة الاولى من الكتاب بأسلوبه الغمغمة وبيانه
الجزل . وفي الفصل الذي سماه « الحرية اولاً » وضع الاشياء ، والقيم
حيث يجب ان توضع ، فقرر ان تنشئة الذوق الفني في نفوس
الشباب لا بد ان تسبقها الحرية التي هي روح الفن وقوام الذوق ،
واشار الى القيود التي تحول دون الشباب والذوق الرفيع ، وقال :
« حرر الشباب قبل كل شي » ، ولو تحريراً موقوتاً من هذه القيود
كلها أو بعضها . دعهم يفكرون كما يريدون . وارشدكم بالقدرة
الصالحة والاسوة الحسنة والصبح الرفيق . وثق بانك ان فعلت
اعدت نفوسهم للذوق الرفيع احسن اعداد وأقومه » ثم قال :
« وليس كل الناس ميسراً للفن ، وليس كل الناس قادراً على التفوق
والابتكار . وأول ما يجب لذلك ان يتاح للشباب ، وللشباب
خاصة ، ما ينبغي لهم من الحرية التي تفتح قلوبهم وعقولهم وضمائرهم
لكل ما في الحياة من خير وشر ، ولكل ما في الحياة من حسن
وقبح ، ولكل ما في الحياة من حب وبغض ، ليقبلوا عن اختيار
لا عن اضطرار ، وليجربوا ويغضوا عن رضا لا عن اكراه . فاذا لم
تتح لهم هذه الحرية فلا تتبع منهم خيراً ، ولا ترج منهم نفعاً ،
ولا تنتظر لهم تفوقاً ولا ابتكاراً ، ولما انظر اليهم كما تنظر الى
الوقيق المسخرين ، والى الحيوان الذي تدفق غرائزه ويحد من حريته
سلطان المستأثرين له المتنعين به ، فيا يجاولون من المآرب والاغراض »
ثم قال « ولكن اي شي . اصبر من ان تجعل الشباب احراراً .
ان التقاليد الموروثة ، والتقاليد المستحدثة ، وسلطان الحكومة ،
وسلطان الجماعة ، وظروف الحياة كلها في هذا الوطن الباس ، تأبى
على الشباب ان يكونوا احراراً » ثم قال : « ثم لا تنس انك لن
تفتح الحرية للشباب حين تضع عنهم اصبرهم والاغلال التي تتغلبهم
من التقاليد والظروف ، وقد ينبغي ان يعيش الانسان قبل ان
يكون حراً ، وقد ينبغي ان يعصم الانسان من الحرمان

واهلكم، فلم يبق لدي ادنى شك في ان تربة العراق اخصب تربة عربية يمكن ان ينبت فيها القصص الحي الرائع ، ويعطي انثراً بائعة . هذه ظاهرة قديمة . لها دلالات متعددة لا دلالة واحدة : اولها ان المجتمع العراقي اتخذ بأسباب التطور في اتجاه عصري صرف ، بمعنى ان آماله وامانيه ومطامحه تنطلق اليوم نحو بنا . اجتماعي جديد ، يحكم الاسس ، متحرر التزعة ، منظم الفكر ، يوتاد القوة والنظام . وثانيها ان الادب العربي تحل من قيوده الشيقة وراح يلمس الحياة في آفاق غير آفاق الغزل والتشبيب والفخر والحاسة والزنا . وتدبج الرسائل ، وتحير المقالات ، فساد العراق الذي اعطى الادب العربي ثمن كنوزه في النظم والنثر قديماً - اعني الجاحظ والمتنبي ومن لقي لها - قد انبث نحو التجديد الفكري ، فهذا يعني ان الاستاذ نسيمة شارف المستقبل يبصر جديد ، خرق به حجب الغيب حين ابدى من اقتباب وتفاضل .. بمستقبل الادب العربي ، عن طريق العراق .

وليس هذا كل شيء .. لقد كانت نهضتنا الفكرية في العهد الاخير مضطربة مضضعة ، لان مصر تولت قيادتها ، ثم لان مصر اضعف من ان تقود نهضة فكرية ، فهي في اطار تجريرها الروحي وانسلاطها المادي تمكنت من جمع اسباب الثقافة ، وبناء الجامعات ، وتحرير الشادات ، وتآليف الكتب التاريخية والدوايات النقدية والابحاث العلمية ، ولكنها « عجزت » عن تشييد المنبر المسودة ، وتوحيد العقول المبعثرة ، وضم الاشأت المتناثرة ، وبث الارواح الخالقة ، واذا بليل العربي الحديث الذي يتغذى اكثر ما يتغذى على صف مصر وكتبها وينجو اكثر ما ينجو نحوها في السياسة والاجتماع - يصاب بالكوارث والواقع وينتهي الى الانقسام والتخاذل ..

اقول : لو كان العراق هو الذي يتقدم الثقافة العربية في مضار الفكر والثقافة ، لكانت حالة البلاد العربية خيراً مما هي عليه الآن . في الجانب الروحي على الاقل .

ولست بحاجة الى التذليل على ذلك .. وانما هي فكرة اصبحت اعتد بها وأراها ترداد في نفسي اتضاحاً ورسوخاً كلما اطلعت على اثر ادبي جديد لعراقي جديد .

وآخر هذه الآثار مجموعة قصصية كتبها الدكتور صلاح الدين الناهي « في ازمة شتى ، وامكنة شتى ، وظروف نفسية وعقلية شتى » وجلبا تدور حول موضوعات اجتماعية تمس حياتنا العامة ، وتصور اوضاعنا القائمة ، وتصف ما يرسب في اغوار مجتمعاتنا

الراهنه من تنفس في الاخلاق ، وسخط في العقول ، واضطراب في تناول الحياة الحديثة والافادة من معطياتها .

لن نتحدث عن « الفن القصصي » في هذه المجموعة لانها لم تشكل عناصره ، ولا استوفت اسبابه ، ولا بلغت منه حضيضاً ولا قمة ، فهي الى ادب المقالة اقرب ، غير ان اطلاق اسم « المقالة » عليها يسي . ايضاً الى مساهلها . فهي شي . غير القصة ، وغير المقالة ، بل تقع في مركز متوسط بين النوعين ، ويختلف توسطها هذا باختلاف كل واحدة منها عن رفيقتها ، فيها ما هو اقرب الى المقالة ، وفيها ما هو اقرب الى القصة .

تضم المجموعة اربع عشرة اقصوصة ، فيها خمس قصص ، والباقي مقالات قصصية . اما القصص الخمس فهي : يحمر الصحن ، القصص المجهول ، جناية النساخين ، قصة الحب ، البعثولوجية . المهم ليس هنا . المهم هو انك اذا تأخذ في مطالعة هذه المجموعة تشعر ان الكاتب مثقف واسع الثقافة ، بيد انه لا ينظر لتقافته بشي . من الجدل ، لان الحياة يجعلها لا تستهويه بما فيها من جد ، بل تحس انه ساحر ، ساحر ، ولا يجد الا في سحره ، فكان الدنيا لا تستعري انتباهه الى حين تقدم له ما يضحك منه او يهزأ . تجد ابطال قصصه جميعهم من فئة الغرورين ، والحازنين ، والتقلد والتأئين ، والغروريات والحازنات الخ ..

والغريب في ذلك كله انه وهو يروي لك حادثة ، او يعرض سيرة شخص ، يقدم لك زاداً فكرياً ، هو محض تفكير ، فتأخذه دون ان تشعر بشي . من الضيق ، مهما كنت قليل الشافية ، ضعيف المعدة ، لانه لا يسهه ان يرضى عنه ، وسوا . لديه اسرك ما يقول ام سخطك ، فلا يلبث ان يستخف بك الطرب لجر دانه مستخف بك .

تأمل حديثه عن صديق مصري دعاه الى حفلة اقامها بمناسبة عيد مولده السيد قال : « الواقع ان علاقتي بالداعي الكرم لم تكن تريد على التبعة العارضة في الصباح او المساء . حين كنا نلتقي في مدرج كلية الحقوق بالجيزة ، او في مريض في حديقة « الاورمان » . كنا نمر به ذهاباً الى الكلية ، او اياباً منها الى منازلنا في « الدقي » ومع ذلك فان هذه الدعوة كانت تناسب ظروف الداعي والمدمع : فالداعي زميل مصري يسهه توثيق روابط الصداقة مع « اخوانا الشرقيين » - كما كانوا يدعوننا - والعراقيين منهم على وجه الخصوص ، اذ تكتمل بهم تلك « الشلة » التي جمعها الاستاذ ب . س . حوله من اخواننا الشرقيين ، والمدمع عراقي تحيط به هالة من تاريخ بلاده لها دوي عميق لم يزل عالماً بأذهان

« اخواننا المصريين » منه خيال لا حدود له ، ولا ريب ان أفردنا جديداً سيضم الى « الشلة » الشرقية في ليلة العيد السعيد ، ولا ريب ان هذا الانموذج الطريف يثير الفضول ، اذ ينبغي قبل كل شيء « التفرج » على لهجته العراقية ، وهل فيها شيء مما ترويه الاساطير عن ظرف بغداد ، او عن قرد اهل العراق ، وميلهم الممهور الى شق عصا الطاعة .. »

نقلت اليك هذه الفقرة من قصة للحس بقدره الدكتور الناهي على تصوير الأجواء النفسية ، وعرضها بما يواكبها من شعور شخصي ، هو من « الاستغفاف » قروب ، عن الجذب بعيد ، فأنت الآن تعرف من وراء هذه الاسطر القليلة كيف ينظر المصري الى غيره من ابناء البلاد العربية ، وتدرك كيف يخلط المصري بين عربي ، وشرقي ، ومسلم دون ان يميز بين هذه المخلوقات الانسانية الثلاثة ، ثم تحس بهذا الجرم من الجمالة الذي يصطنعه المصري كلما احتك بعربي او شرقي او مسلم ، وما تتطوي عليه هذه الجمالة من افانين الافكار الكامنة ، والخواطر الخفية . دون ان يقول الكاتب شيئاً منها .

وذاك هو شأنه في اكثر ما يعرض من حوادث ، ويصف من اجواء ، فانا اتصوره ، وهو يكتب انه يستم اقباساً هائلة لطيفة ورفيقة ، يعبر بها عما لا تؤديه الكلمات . اسمع حديثه مع رجل هندي في باريس « قلت لصديقي محمد بهادر خان سناء الدين بهاء الملك الهندي :

— حدثني عن ادب الهند ، يا بهادر ، السمت وعدتني بهذا الحديث . — كيف ابدأ الحديث عن ادب الهند ، وهو كالمهند عريض عميق ؟ وانت تريد ابدأ بالحلجور المنجوت فيه كل شيء الا الروح . — من قال لك هذا يا بهادر ؟ ! تكلم كيف شئت : عن الحجير او عن الروح او عنها معاً ، ومن الخير ان تتكلم عنها معاً ، فاني لاخشي ان تنكروا سوى الروح . ولا تنس اني لا اريد ابدأً على نحو : ارضى رياض الورود من خده وأسهر الليل اذاعي النجوم

.. اني لا اشتاق يا بهادر ان اكون دابة في رياض خده ، ولو انبتت من الاعشاب الواناً ومن الرياحين ما لا تنبته غايات الهند واغياها .. ولا احب ان اكون متقلداً على الافلاك ، وانا لا اعرف من النجوم غير « الدب الاكبر » ولطالما اقلت مني « الدب الاصغر » ، ولم اهتد الى وجه الصواب في التسمية ، واني لاخشي ان يغضب سكان تلك الاجرام من هذه التسميات الخفيفة ، ام هل تظن انهم لا يأبهون لمخاطات هذا الجرم المتبدن ؟ ! »

ليس من عادتي ان استشهد عندما اعطي رأيي بكتاب ، ولكنني اشعر انني ازاء حالة غير عادية من تأثرتني الشخصية بأقاصيص الدكتور الناهي ، وهذا يستلزم ان اذكر للقاري بعض الفقرات التي قد تبرز تأثري ، بما تجتمع في القاري . نفسه . واذا كانت مهمة الفن ان يبرز ويوحى وينير العقل والقلب والروح ، فلا ادرى كيف نتسكك بعد ذلك بالمقاييس الفنية ، والقواعد العلمية ، في نقد قصاص او شاعر ؟ ؟

ثم اذا كانت القصة تقاس بما تريد في ثروة القاري . من عواطف وافكار وخواطر ، لا بما هي عليه من جودة السبك ، واحكام العقدة ، والوصول الى الخاتمة ، وحسن انتقاء التفاصيل — اذا كان ثمة شيء . بما اقول — فان الدكتور الناهي قد اساء الى ناقدية وقصده حين قال عنها وعنهم في مقدمته :

« عسى ان تلاقي منهم ما هي جديرة به من التقليب والعبوس والازورار » !

عبر الطيف سُرارة

(الاديب) كعادنا في نشر تدوين عن رأي الكتاب

Elegance
ET
PRECISION
C'EST LA
MONTRE

رودانا
ساعة العصر الجدير
زات ١٧ مجراً
مكفولة ٢٥ سنة

RODANA

الوكلاء في لبنان وسوريا محلات فاخرات بيروت - تليفون ٨٨

أنباء العالم

في سنة ١٩٦٢

١٩ - اتت امال الجامعة العامة لحيمة
الامم المتحدة وتاجلت قضية ليبيا لدورة
ايلول .

- اقلت سوريا الحدود اللبنانية ولم تسح
بمرور الصادرات السورية الى لبنان نتيجة
لعدم تسليم لبنان الضابط والجنود السوريين
الذين قتلوا الجالوس كامل الحسين في الاراضي
اللبنانية .

٢٠ - مصر والمملكة العربية السعودية
توسطان لحل الخلاف اللبناني السوري .

- اعلنت قبائل كارين الثائرة قيام دولة
كلارين في اواسط بورما تنتع بحكم ذاتي .

٢٣ - عقد في باريس اجتماع وزراء
خارجية الدول الاربع الكبرى .

- اتحر المتمر جاييس فورستال وزير
الدفاع الاميركي السابق .

٢٤ - تقرر عقد اجتماع مشترك بين سوريا
ولبنان ليحت قضية تسليم الضابط .

- درس وزراء الخارجية الاربعة
المجتمعين في باريس قضية توحيد ألمانيا سياسياً
واقصادياً وقد رفض اقتراح روسي بإعادة
جلس رقابة على ألمانيا .

٢٥ - سقطت شنغهاي في ايدي الشيوعية
دون مقاومة .

- طلبت اسرائيل من لبنان ومصر في
لوزان ضم منطقتي الجليل وغزة اليها .

٢٦ - اسلمت الحكومة العراقية مذكرة
الى دول الجامعة العربية مطالبة بتعديل دستور
الجامعة .

- اعتمد المتمر بانث عن قبول منصب
للسااد لوزير خارجية اميركا .

٢٧ - وافق لبنان وسوريا على تحكيم
مصر والمملكة العربية السعودية في قضية
الضابط المتنازع عليها .

- تدفع القوات الصينية الشيوعية نحو كوتون
- اجل مجلس الشيوخ الاميركي بحث
توقيع ميثاق الأطلسي سنة اسايح .

٢٨ - قدم وزراء خارجية الدول العربية
مشروعاً بتوحيد ألمانيا سياسياً واقتصادياً .

- يزداد التوتر بين باكستان والهند بشأن
كشمير وينظر ان ترفض الباكستان
اقتراحات اللجنة الدولية لفرض الخلاف .

٢٩ - طلب الدكتور شارل مالك مجدداً
ارجاء درس عضوية اسرائيل والا فان لبنان
سينسحب من مؤتمر لوزان .

٣٠ - احتفلت سوريا احتفالاً رسمياً رافداً
بميد جالوس الملك فاروق .

٣١ - غرقت القوات الشيوعية الصينية
خطوط الدفاع الحكومية بشنغهاي .

٣٢ - تحدث الدكتور فاضل الجالي في
مجلس النواب العراقي فنفى ان يكون بين
العراق وشنغهاي مصر ما يستوجب تكدير
صفر العلاقات بينها .

٣٣ - اصدر شاه ايران رسوماً بحل
البرلمان الايراني واجراء انتخابات عامة
في ايران في تموز القادم .

٣٤ - رفع الحصار عن برلين .
٣٥ - وقع الوفدان العربي واليهودي
لنفي لجنة التوفيق بروتوكولا خاصاً يعتبر
بنقطة البدء بالمفاوضات .

٣٦ - فاز المشروع البريطاني في الايطالي في
اللجنة السياسية بأكثرية الاصوات وهو
يقضي بوقف بركة وطرابلس تحت الادارة
البريطانية حتى عام ١٩٥١ ثم تنتقل الوصاية
عليها الى ايطاليا حتى عام ١٩٥٩ بينما تكون
فزان تحت الوصاية الفرنسية .

٣٧ - اتاحرت خطوط شنغهاي الدفاعية
امام هجمات الشيوعيين .

٣٨ - تمجرح الموقف في طرابلس فقام
الاعالي بالمظاهرات واصطدموا بالبوليس
احتجاجاً على قبول اللجنة السياسية لفيئة الامم
فرض الوصاية الايطالية عليها .

٣٩ - وافقت اللجنة السياسية لفيئة الامم على
اطلاق حرية العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا .

٤٠ - قرر الاتحاد السوفياتي والدول
العربية تقديم اقتراح مشترك بشأن المستعمرات
الايطالية السابعة للحؤول دون موافقة الجمعية
العالمية على مشروع بين - سفوردا .

٤١ - سقط مشروع بين - سفوردا
بشأن المستعمرات الايطالية السابعة في الجمعية
العالمية لفيئة الامم .

٤٢ - تيسان ١٩٦٢ - يستمر زحف
الشيوعيين الكليخ في ميادين الصين .

٤٣ - ابدت روسيا استعدادها لرفع
الحصار عن برلين .

٤٤ - تآزم الحالة بين سوريا والعراق وشرق
الاردن .

٤٥ - اطلق سراح السيد شكري القوتلي
رئيس الجمهورية السورية السابق .

٤٦ - بدأت المحادثات الاولى في لوزان لحل
مشكلة اللاجئين .

٤٧ - وجه الاستاذ فارس الحوري نداه
الى قادة العرب واقطاعهم ومفكرهم بدعوى
فيه الى الاتحاد وجمع الكلمة لانقاذ البلاد .

٤٨ - اتفق رؤساء وزارات دايطة الشعوب
البريطانية للمجتمعين في لندن على ان تهيئ الهند
ضمن اسرة الرابطة حتى بد صيرورهم عاجوزية
مستقلة .

٤٩ - انسحبت القوات المصرية من بيت
لحم والمخيل .

٥٠ - تشر محادثات السيد ماليك
المدوب السوفياتي والمستر جيب المدوب
الاميركي للجمعية العمومية لفيئة الامم
بنياج وينظر ان يرفع الحصار عن برلين
خلال ١٥ يوماً .

٥١ - القوات الصينية تحيط جوتشاو المينا
الصينية الكبيرة .

٥٢ - افتتح بلندن مؤتمر وزراء الخارجية
الغريين لارام دستور المجلس الاولي .

٥٣ - تقول المصادر المطلعة بلوزان ان اليهود
ليسا مستعدين لقبول جميع اللاجئين .

٥٤ - بدأت اللجنة الخاصة في الجمعية
العالمية درس طلب اسرائيل بالانقلاب الى
فيئة الامم .

٥٥ - قدمت الوزارة الاردنية استقالتها .

٥٦ - سقطت مدينة هانغشوا الصينية بايدي
الشيوعيين دون مقاومة .

٥٧ - أعلن بول رينو في فلينبركان إمكانية
نثوب حرب عالمية ثالثة متوقعة على الاتحاد
السوفياتي .

٥٨ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٥٩ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٦٠ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٦١ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٦٢ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٦٣ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٦٤ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٦٥ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٦٦ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٦٧ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٦٨ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٦٩ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٧٠ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٧١ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٧٢ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٧٣ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٧٤ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٧٥ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٧٦ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٧٧ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٧٨ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

٧٩ - اعلنت اسرائيل انها لم تعرف

طريق الموضوع :

التحرر من الانانية

ومن الخطيئة ومن الضعف ومن الخوف



أول

ما يفرضه علينا الأيمان بالإنسان :

— ان الانانية عزلة مغلقة على نفسها فيها فقر وفيها يوار وفيها احتضار مترادف يقع على الشخصية وعلى المجتمع. فقد اظهر لنا اختبار العمل البشري المتواصل طوال آلاف السنين والشامل لجميع حقول النشاط الفردي والاجتماعي ومن ضمنه التصوف ، ان الانسانية التامة والحياة الكاملة لا تتحقق فينا الا بعق الذات وبالتضحية وبسيطرة المحبة الشاملة التي لا تنعكس على نفسها — وهي حقيقة موضوعية إنسانية لا مجال للشك بها ولو كانت من الفرابية فكانت كأن الفرد لا يلقي ذاته الحقيقية الخفية الا اذا تخلص من مجموعة الاعمال والعادات الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية التي تكون ذاته الظاهرة والسلطجية ..

— ان الاعتقاد السائد والشعور بالخطيئة والضعف رذيلة كبرى ادت الى تشرها بعض العقائد العامة المنحطة فجدت من مجال الانطلاق وسدت وجهة التحرر .. بل اننا في الواقع جزء من الحقيقة ومن الخير الكامن والمتحول في صميم الكون ، علينا ان نصير هذه الحقيقة وهذه القوة وهذا الخير .. وما الخطيئة على حد تعبير لكونت دي نوي الا بان تعارض ارادة الذات فينا ارادة الحياة ووجهة التطور المادي — الحيواني — البشري .

— ان الشعور بالخوف نفيسة ذميمة لان مصير الحياة التفاؤل وهدفها النجاح والخير والانتصار .

فلنتحرر اذن من الشعور بالانانية ومن الشعور بالخطيئة ومن الشعور بالضعف والخوف .

اما دلالة التحرر الفارقة وبادرة التقدم والانتصار فينا فهي الشعور بالفرح الذي لا ينضب له معين :

« ان هذا الشعور بالفرح وبتنبل الحياة بثقة وباطمئنان ناجم عن تقبل التطور ذاته وعن انسجامنا افراداً وجماعة في تيار الحياة الزاخر والحلاق ، وهو يتحقق فعلاً بالحس الضمني الداخلي الواعي والمتراد باننا في مقدمة الحياة : و الفرح — كما يقول برغسون — يبشر دائماً بنجاح الحياة وبأنها تقدمت وبأنها انتصرت*» .

كمال جنبلاط

* من ميثاق الحزب التقدمي الاشتراكي ص : ٤٤

الأشخاص فن من ابداع فنون الادب ، ودراسة لا تهب المتعة الفنية فحسب ، ولكنها تؤثر في العقل الباطن ، وتعمل على تحديد صورة هلمة او مثال مذهب للدارسين .

ولم تخل حياة كبير من الاقتداء ، بمثال او اكثر بحجة كبار الرجال . ولو ذهبنا الى تحليل حياة رجل من اللاعنين لدهشنا من التشابه بينه وبين الآخرين في كثير من الافكار او الاقوال او الاعمال .

ففظم روجي كفازدي^(١) . قد تأثر السيد المسيح في ديانتته بفلسفة المحبة ، كما تأثر في مبادئه الصوفية ببعض زعيات الثيوصوفية مثل : اني بيزنات ، ودمام بلافاسكي ، وتأثر في آرائه الاجتماعية بتولستوي .

ومن هذا يتضح بجملا ان كثيراً من تأثراتنا النفسية وانطباعاتنا الوجدانية ، يرجع الى دراسة حيوات الرجال دراسة صحيحة . ولهذا

كان اهتمام الاجيال الحديثة بفن ترجمة الأشخاص فائقاً ، ولقد تحوالت كتابة التراجم تحولاً جدياً ، فلم تعد ، كما كانت في الماضي نوعاً من الكتابة البلاغية ، او بحثاً من البحوث الفلسفية ، او سرداً تاريخياً لحياة المترجم ، بل اصبحت فناً مستقلاً ، له طريقته في العرض وفي اختيار المادة

وفي الترسيم الكتابي ، واقتربت من الحقيقة اقتراباً كبيراً ، فلم تعد كما كانت في الماضي تدور حول الاشادة بالمترجم ، وتقيد سماتهم واخلاقهم ، وانما تولدت من الحقائق ، فأضت شبه ما تكون بصور - زولا - الصريحة التي لا تعرف الكتمان ، او تحفي جانباً من الجوانب المظلمة في حيوات الرجال او النساء .

امتازت التراجم الحديثة ، بالدقة في تحري الاحداث ، والتفتيح عن المعلومات جلت او هانت واعتدلت في بنائها على مختلف العلوم الحديثة ، ولم تهمل قوى البصيرة في سبيل الوصول الى بعث الشخصية المترجمة بعثاً قريباً من الحق والصدق والحياة ، دون نظرا لاعتبارات الحب او الاحترام او التقديس ، التي كانت تمنع الكتاب من تسجيل سيئات المترجم وهفواتهم وتزواتهم بوالقاط الضعيفة في اخلاقهم .

وهذا الاتجاه الجديد في دراسة الأشخاص دراسة توفية ، بدأ

في نهاية القرن التاسع عشر ، وشاع في القرن العشرين ، ومن اشهر كتاب التراجم المحدثين ستراتيكي : ومورلي في المجلدة ، واميل لودويج ، واستيفان زفايج في المانيا ، واندريه موروا في فرنسا ، وبرد فورد في امريكا ، واغلب تراجمهم طبعت بطابع الدقة ، والحيوية ، والذكاء . وألئت بكل ما ظهر او خفي من اعمال المترجم ، وما اعتلج في جوانبهم ، بفضل الكشف العلمية والسيكولوجية والطبية الحديثة في القرن التاسع عشر والعشرين .

والملاحظ في فن التراجم المصرية تأثرها تأثراً مباشراً او غير مباشر بالبحوث البيولوجية والسيكولوجية ، والطبية ، فقد كان للبحوث البيولوجية عن المورثة Genes ، اثر ظاهر في بيان التأثيرات الوراثية في ترجمة الشخص^(١) ، فالبروغ الفني مثلاً في سن باكرة ، امكن تحليله بالرجوع الى الكشف البيولوجي ، فان مهارة الموسيقي التسوسي موزارت في العزف في سن الثالثة ، لم يك عملاً غريباً ،

كما يقول جوردون في كتابه « الشخصية » انما مرجمه الميول الوراثية التي ورثها من ابيه ليوبولد ، وقد كان مؤلفاً وعازفاً شاعراً على السك^(٢) .

وقد كان للبحوث السيكلوجية اثير الاثر في تقدم فن التراجم وبخاصة عندما اخرج فرويد نظرياته وطبقها على ترجمته لطفولة المصور الايطالي

« دى فينيسي » . وبفضل ابحاث هذا العالم العظيم ، ومن عاصروه من علماء رجال علم النفس ، تكشف نواح في الأشخاص كان يكتنفها الغوض ، والقيت الاضواء على الجوانب الخفية المظلمة ، فالكشف الحديثة عن الغريزة الجنسية مثلاً ، قد ابانت كثيراً من اسرار الباقرة ، وابدع ما قرأنا في هذه الناحية كتاب « سيكولوجية الباقرة » للكاتب الالماني كرتشمير^(٣) فقد ذكر كثيراً من الانحرافات الجنسية لدى الباقرة ، وكيفية تحولها تحولاً ايجابياً ، فعب الجلس المائل لدى « ميشل انجلو » قد جعله ينشط بصفة خاصة الى تصوير جمال الذكر ، وسادية نبتته ، قد ظهرت في كتاباته وحملاته على المرأة ، ونزجسية « بيت » او عشقه لذاته قد قاده الى النظر الى نفسه نظرة مثالية بطولية ، وعدم اهتمام الجنسي لدى



(1) The Biological Basis of Human Nature - By. G. W. All port P. 154

(2) Personality - By Gordon.

(3) The Psychology of Men of Genius By Kretschmer.

(1) Ghandi - By. Fulop Miller

الفيلسوفين «كانت» و«ديكارت» جعلها بهتاناً بالفلسفة العبقية ، والبرود الجنسي لدى « شيلر » جملة يتجه اتجاهات عاطفية وفلسفية دون اهتمام يذكر بالمسائل الجنسية في رواياته ، وهذه الناحية الواحدة في البحوث السيكلوجية ، قد غمرت بشعاعها مضيئة فن التراجيم ، فما بالنا بالناحيا الاخرى المتعددة ، والتي يستحيل علينا ذكرها في هذا المقال .

ولا تقل الانجاث الطبية اثرأ عن الانجاث السيكلوجية في العمل على انهاض فن التراجيم ، فقد فاضت التراجيم الحديثة بجالات المترجين الصحية وامراضهم العضوية وغير العضوية ، وقد كان لهم القدر الصم ، اثره البارز في هذا التقدم قد طبقت آثارها في حياة كثير من العظماء ، ومن تناول هذه الناحية برمان في كتابه « القدر المنظمة للشخصية »⁽¹⁾ وكوب ، في كتابه « غدد الحظ »⁽²⁾ ، فعدنا « برمان » ان نابليون عندما ضعفت غدته النخامية ، بدا عليه التعب ودحمه الكسل ، ووهن ذهنه ، وكثر شحه ، وترهلت بطنه ، ونخل جسمه وصار اثروباً ، ونجلي هذا الوهن في مقال كتبه عن الانتصار ! حدثنا عن داروين ، فأرجع كثرة آلامه وضعفه وعيائه الى قلة افراز غدته الادرنالية .

وحدثنا كوب في كتابه سالف الذكر عن اثر الغدد في بعض الشخصيات الجبيرة ، ومن طريف ما ذكر انه لاحظ ان شمات من حاجب موسوليني الايسر بدأت تسقط ، - وكان هذا قبل الحرب الاخيرة - وارتأى في هذه الظاهرة ، علامة من علامات ضعف الغدة النخامية ، لدى موسوليني ، وهذه النظرة العلمية ، قد ثبتت صحتها من موقف موسوليني في الحرب الاخيرة ، وارتقائه في احضان حليفه ثم ذهاب سلطانه والقضاء عليه .

ولا يقتصر كتاب التراجيم في مادتهم على التاريخ والفلسفة ، والكشف العلمية ، بل هناك من الكتابات من يعلق اهمية كبيرة على التفاعلات بين المترجم ومجتمعه ، ويرون ان المجتمع ابدأ اثرأ في تكوين شخصية المترجم ، وان هذه الناحية اجدد بالدراسة من اي ناحية اخرى ، ولهذا يرون ان جل التراجيم التي قامت على دراسة الشخص دراسة فردية ، تراجيم بترأ ، وتبأ لهذا الرأي ، تكون تراجيم - كلريل - مثلاً - التي كانت تدور حول فاعلية الشخص في الاحداث ، وفي الرجال ، وفي مجريات الحياة ، تراجيم غير صادقة ولا صائبة .

والحق ان الاعطاء في التراجيم على ناحية دون اخرى ضرب من

- (1) Glands Regulating Personality By Berman.
- (2) Glands of Destiny By Cobb.

التعصب ، ومجانبة للصواب ، فالاعتماد على السيكلوجية وحدها ، أو على القدر الصاء وحدها ، أو على تفاعل المجتمع وحده ، ان يشر صورة متكاملة للمترجين ، لا مفر من النظر في ترجمة الشخص الى كل ناحية من النواحي سافلة الذكر ، بل لا مفر من الاهتمام بالتوافه فقد تلقينا هذه التوافه ضوءاً كاشفاً على حياة المترجين ، فقد وجد كثير من الكتاب في صور المترجين وحيأ لفهمهم ، وقد جهر اميل لودويج بهذه الحقيقة في كتابه « البقرة والشخصية »⁽¹⁾ فقال « ان ترجمة الاشخاص بدون صورة عمل مستحيل » وقد كان في جل تراجيمه لا يقتصر على وصف وجوه المترجين ، بل كان يحكم من ابرز ملاحظهم على خلقهم ، فانه يقول ليصف مثلاً الاديب الالماني « شيلر » يقول : « ان له عينين رطبتين مشبتين في وجهه يضاوي وله بجهة شاحبة وشفتان شاحبتان حساستان مثل شفتي القس ، وأنه القصير الاقنى جسور ومعتد » ويصف الاديب الفرنسي « بلزاك » يقول : « ان له عنقاً كمنق العجل ، وانفاً ضخماً ، وشفتين غليظتين ، وقنفاً مزدوجة ، وشعراً كسا اسود ، وفي عينييه حياة وسناء وجاذبية ويذاصها فاصع شفاف تتخلله الزرقة مثل عيني الطفل او العذراء . »

ونقطة نواح اخرى لا غنى لكتاب التراجيم عن تأملها ، منها اثر المناخ على الشخص ، وقمل الاجناس فيها ، وقد تناول هذه الناحية كثير من الباحثين وذكر منهم « كرتشمير » في مجته « الجنس والعقيدة » Race and Genius وقد حض في هذا البحث الفكرة القائلة بسمر الاجناس الاخرى ، وأوضح بجلاء ان مولد اغلب البعقرات الغظبية في المناطق الاوربية المتوسطة ، فالبعقرات الفنية الحلاقة من امثال باخ ، وهاندل وموزارت وواجه ، وشومان ، وشوبرت ، عاشت في مناطق الالب اي في جنوبي ووسط المانيا ، ووسط ايطاليا ، وفرنسا ، على حين ان المناطق الشمالية مثل إنجلترا وشمالي المانيا ، لم تنجب مثل هذه البعقرات ، بوضلاً عن ذلك ، فان المناطق المتوسطة هي مناطق الحطب والابداع ، وانها اخرجت رجالا عموماً على انهاء الثقافة الاوربية منذ العصور الوسطى الى اليوم . اي ان الثقافة العليا ترعرت في المناطق الاوربية المتوسطة لا الشمالية القاصية كالسويد او اسكتلندا او المانيا الساحلية⁽¹⁾ بفضل عباقرة هذه المناطق .

ولا سبيل للاستطراد في ذكر المصادر المختلفة التي ينبغي على كاتب التراجيم ان يلوذ اليها ، كي يمكنه الحصول على المواد اللازمة لبحثه ، وتعمق موضوعه .

أساساً للتقديرات، ولا ريب في أن الرجوع الى امثال هؤلاء الاساتذة السيكلوجيين ، عون ايا عون في احصاء مادة الترجمة .

ولم يمتد العقاد هذه النظرات الحديثة في كتابه « عبقرية عمر » وقد تكون المائدة التي حصل عليها غير كافية في تطبيق هذه النظرات ، ولكن القاري المتعمق يجد في الكتاب ثغرات . ومن ذلك انه دافع عن آراء المترجم على طول الخط ، حتى رأيه في عدم محاربة المرتدين ! كما انه اتى بأراء جيبية في تأييد عبقرية عمر ، فذكر من سمات العبقرية الفراسة ، والتفاضل (ص ٣٠) ومن دلالتها قوة البصيرة او الرؤية « التلباتي » ونعتقد ان العبقرية لها سمات غير هذه السمات ، فالعبقرية فوقان سام في ناحية من نواحي الفكر او العمل ، وكما نستحسن ان يوصف هؤلاء المترجمون بالغلظة بدل العبقرية ، وهذا ما ذكره العقاد ذاته في الكتاب فذكر ان عمر رجل عظيم . والملاحظ كذلك علي هذه الترجمة عدم انسجام ابوابها ، فمر في فصل عبرتي ، وفي فصل آخر تماز ! ولا ندري كيف نصف عمر بالعبقرية آناً وبالأمازيغ آناً آخر وبينهما فوارق بالوزن وهكذا لو اخذ الناقد في بيان الثغرات لما شئت عليه السيل . ونحسب ان جل تراجمنا لم تكتب كتابة فنية ، اياها لا تصور المترجم تصوراً حياً ، ولم تبصمهم امامنا بعباً جديداً على القرائس ، وقد بحث الدكتور اسماعيل ادحم ، في هذه الناحية عندما نقد كتاب « حياة محمد للدكتور هيكل ، وهو نقد جدير بتسعين كتاب التراجم واهتمامهم ، وقد نشر هذا البحث في احد اعداد مجلة الامام التي كان يصدرها الدكتور ابو شادي . ومع هذا فان تناول الدكتور طه حسين لبعض الشخص ، يعد تناولاً فنياً ، في طريقة العرض ، وفي خلق الجمل ، وفي اسلوبه السيل ، وابتعاؤه الجميل ، وهذا ملحوظ في كتابيه : « عيسى هاشم السيرة » و « عيان » وان كانت الجمل يعوزها فقره المادة ، والنظرة الحديثة في الترجمة العصرية وعلى اي حال ، فكثير من التراجم الشرقية ، تعد خاتم طيبة ، لانجباب تراجم فائقة في قابل الالام .

هذه لمحات خاطفة في فن التراجم ، قصدنا بها الى دراسة المترجمين من الزوايا الجديدة التي المعنا اليها في هذا المقال ، ومرجونا التوفر على هذا الفن العصري الجديد ، لكي تتبدع تراجم فائقة في مادتها وفي صياغتها ، ولكي يتمكنوا أن نصل كما يقول احد الكتاب الامريكيين الى معجزة بعث الموتى !

عبد اللطيف السمرني

الناشرة

وهذه المواد الجديدة التي يتكون منها نسج التراجم ، لا تكفي لابرار ترجمات فنية ، بل انها تتطلب كاتباً ماهراً ، قد يراً على جبل هذه المواد ، واخراج صورة حية منها ، تنقل القاري . وتقل رفقاً الى رؤية ما وعث عن الاحداث ، وما ضمت من شخوص ، وتجعله يشاطر الكاتب في التأثر بهذه الاحداث ، وتعرف هذه الشخوص باطنياً وخارجياً . وبمعنى آخر ، ان فن التراجم ، هو فن التعبير والابداع ، وهو يتطلب البداية الجاذبة ، والنهاية المؤثرة ، والاسلوب السيل ، والوحدة العضوية في جميع اجزاء الترجمات ، وايجاد الجو الفكري والنفس ، لدى القاري . بحيث تكون الصور الماثلة في في الذهن صوراً فائقة ، لا تنسى ، وفي هذا يتميز كاتب عن كاتب ، ويرقى فن علي فن .

وواضح مما تقدم ان الترجمات ليست عملاً سهلاً ، لانها في موضوعها تتطلب ذكاء واسعة متنوعة ، وفي صياغتها تتطلب مهارة ، وحساسية وحوية وتحتاج في اخراجها الى وقت طويل ، ولهذا قل ان تقع على ترجمة فائقة ، واغلب الترجمات في حاجة الى ان تكتب مرة ثانية ، وبخاصة ترجمات الشرقية التي لم ينظر عند وضعها الى الكشوف العلمية الجديدة ، ولم يكتب اغلبها كتابة فنية فائقة ، فضلا عن تقديراتها عنصر الجرافة ، يعني ان كتاب التراجم في الشرق ، يراعون التقاليد ، ويقدمون النظرة الخلفية دأباً على حساب الحق المجرد فيتكون في تراجمهم ، نقائص المترجمين ، وهنواهم وزوااتهم ، وبخاصة اذا كان المترجم من ابطال الوطنية او من رجال الدين او ممن دارت حول شخصهم هالات القداسة .

ويستحيل علينا في هذا البحث الموجز تناول الثغرات في تراجمنا وهذا لا يمتنع من التمثيل ببعض هذه التراجم ، فقد قرأنا كتاب « ابن الرومي » للعقاد ، وهو علي ما فيه من جهد ، وما تحلل بعض نواحيه عن فطنة ، الا انه لم يمتد النظرات الحديثة في الحكم ، وبخاصة النظرة السيكلوجية ، ولو اسند كاتبه علي هذه النظرة ، لما اضطر الى تعذيب ذهنه في الحكم على شخصية ابن الرومي ، ولما وقع في طائفة من الآراء الشاطلحة ، ومن هذه الآراء مثلاً انه نفى عن ابن الرومي حقد وهذا لا يتواءم مع خصال العصبي وقد كان ابن الرومي من هؤلاء العصبيين ، وقوله في ص ١٦٣١٦٢ .

ان ابن الرومي كان متلافاً مسرفاً ، وشحيحاً مقترأ في نوبات لا يدري لها سبباً ، وهذا غير صحيح لان أبرز سمات العصبي ، البخل والاثانية ، وقد تناولنا نقد هذه الترجمة بإسهاب في مقال لنا بالامام في عام ١٩٣٤ واتخذنا كتاب - ادلر - عن « المزاج العصبي »

في تكريم الشاعر بولس سلامة

صاحب ملحمة عيد النذير

ذكرنا في برقيات العدد الماضي كلمة عن حفلة التكريم الكبرى التي اقيمت في الكلية العاملة ببيروت للشاعر الاستاذ بولس سلامة بمناسبة صدور ملحمة « عيد النذير » توالى فيها على منبر الخطابة كبار الادباء والشعراء كما ساء فريق كبير من ادباء العرب بإرسال كلماتهم. وستطبع لجنة التكريم الخطب التي ألغيت والقصائد والرسائل الواردة في كتاب خاص . وننشر فيما يلي : قصيدة الشاعر سعيد عقل ، وكلمة العلامة الاستاذ عبد الله العلابي وقصيدة الشاعر بولس سلامة وكلمة الاستاذ السيد صدر الدين شرف الدين صاحب جريدة الساعة العراقية :

سر الاديب

يا مغمدا

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الخالود ، والأبداع العبقري ، وكبرياء الوجود ، والنفوق ، معان
يؤذي بعضها الى بعض ، وينهض نحو منها على نحو .. ولكنها
كافتها لما تنبع من اعماق شعور الحبي بعباءة .
هذا الشعور الذي يسمح للشخصية بالامتداد ، ويعربها بالتدفق ،
فلا تضمر ولا تلبور ، ولا تنهات او تضجر .. بل تفرض
طبيعتها ، لتبدع ، لتخلق ، دون ما حساب الا للقيم الخالدة في
خضتها ، خضم الذات .
شعور هو المادة الحقيقية لكل عمل كبير : في الادب ، في الفن ،
وسائر مظاهر الكائن التي استوت وكانت سجل نبضات كبيرة ،
مشت في الزمن ولم تذو ..

والقول منك شذا وفل
للضول الدم صهل
فلا أرض ملعبها الاقل
ذيلك الفتح الاجل ؟
لكل منافع عمل
ذو القنار فلا يذل
اليه فالنظرات سؤل
حملته تضرب لا تكل
شأنه كالزمن بسذل
وما وراء الارض وصل
في الفرسان قبل
منك ندى ونبل
جوارنا نهب وختل
من ذا تكون اذا تمل ؟

سعيد عقل

قل — والعظام لا قل
ورواية تروى فيسمع
باعنة مرعى لها
وقف تراه على السرى
لاو الظبي ، لو يذكرون
في عهده اختصر البطولة
سيف تلتفت العصور
اهوى ولم تجرح يد
وابو القضية ، مات ام لا ،
آلا ، بين الارض من
دونتهن كائنات قد كنت
يا باعث الطلعات بفعهن
يا موقظ الوتى غداة
يا مغمدا يحمي الى

تكون معنى الحياة في الاطلال . فكثيراً ما دارت حبة الطل على نفسها فاعتقدت في سيل ، وكثيراً ما دار السيل على نفسه فاعتقد في التيار .

احسبك من فئة لا تطيع لتشر بل تندد روحها على الطابع ، لتجي . فضيلة حية ، تطعن رذيلة حية ، وصدقا يتادى ، يضرب وجه كذب يتادى .

اي اخي : كلما تثلت لي الآمك وكبرياؤك عليها ، ترات لي تلك الشجرة التي اصطلح الناس ، وبالأحرى علماء النبات منهم ، على تسميتها « بالشجرة الباكية » . ومن خبرها :

ان كل ما فيها يندى ، وليس كما يندى الشجر بل كما ينهمر السحاب . فهي ابداً تهطل . - وند جذعها ابداً مثل مجرة ، كأنها امتدت لتسبح فيها . وهي ترتسم عليها بعريها حينا ، وتبرجج اوراقها حينا ، كما لو كانت لها امرأة .

انها تندم - فيها يراه الناس دماً - لتبقى . . . وتدمع - فيها يسميه الناس دماً - لتبقى .

لما هي في حس طبيعتها ، فتنمو وتشتد وتزدان ، من ذوب ذاتها لذاتها .

اي اخي : انت تقول : اننا نكرمك ، اننا نعطيك كرامة ولكن من الغرور ان نزع هذا الزعم ، فالوطن ، الوطن بكل ما فيه ، اذا نجد الكرامة في الناس بلثلك .

والأما الوطن ؟ ما امتيازاه ؟ ما كبرياؤه ؟ ان لم يكن هو هذه الحبات في سنابله .

هذه الحبات التي هي لنا وللناس ، الحبة اليومية .

(فاما الزبد فيذهب جفا ، وما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) .

اي اخي : في حكمة سليمان : الموت والحياة في يد اللسان . وجحدك ، في ان لسانك كان مورد حياة .

عبد الله العروبي

لولا القريض

قلبي ، اجلك ان تكون عليا مثلي فتند لليسان كليل
ابت المروءة ان تحب شاعراً قد بات الا قلبه مشلولاً
ايضك الحفل الحضم صراحة وتكون في عيد السخا بجيلاً

هناك حضارة فيها حكو . . . وقديكون الذي زعموا حقاً ، ولكنني لم ار شيئاً ، لم ار على وجه كل هذا القوم الا ظلاً تركه اديب .
ألا ان في الحياة فوق مركبة الزمن ، حيث تذوب تخوم ، بعض حقائق أزية . . . لعل اخبها في حس الحياة هي هذه الحقيقة ، حقيقة هذا الكائن .

فصلت زمناً ، وانا استشف المنافذ الى السر الذي حمل صاحبنا « المعري » على ان يختص بجلده هذا القفر .

وفي يوم هذا التكرم ، سقطت عفواً على ما عييت به زمناً : لقد وضع لي ان المعري كان اصمنا لمسة الخلد في متردد دندانه . الخلد في حسه موئل قيمة . فكان ضئيلاً ان يشرع ابوابه الا لاولئك الذين يعطوننا ، لاولئك الذين يقدون من اضلاعهم اضلاعنا . انهم اعاشوا الخلد في معانهم ، ليعيشوا ابداً في معناه .

فيا اخي بولس : من «تحصيل الحاصل» ان اقول انك اديب . واعني ، من «تحصيل الحاصل» ان اقول انك خالد .

اذكر اننا حفظنا يوم كنا نحفظ الانجليزية ، ان الاديب هو هذا الهب الالهي الاقدس ، واظن بان آخرين ايضاً حفظوا قيمته . وانه لمب ليس يتنزل الا في نفوس بررة تهبت للخير ، للحق ، للجمال .

وانتفعت الحاروب والهاكل من معنى حجابتها وتكسبها بحاروب وهاكل من معناها ، من معنى حقيقتها .

فلم تعد ، وكل امرها حجارة تنفتحت في غسرات وصحات من الانسان والزمان ، بل حجارة هي وحدات من خلود

هذا الانسان المصفى ، لا انسان الايطالي - اللوح القمي - الذي تعرفون ابنائه في هياذب القمم وعلى مسارب الدروب .

اي اخي :

اقول . . . ولبتي استطيع على القول ، الوفا . بكل هذا الحس الضارب في مذهب نفسي حيالك ، حيال ما تكتب وتحط وما تثبت وتحمو . . . فاحسبك من فئة لا تكتب ، وانما هو ذوب روحها يرفض كالطل على الاطلال .

ولعل ربك - جلست حكته - اراده لحير هذا المجتمع «الاطلل» الذي تنعب في صحرائه شوهات : ليتها الاغربة ، ليتها اليوم . . . اذن لآيتنا على سنباه نعيمها ما يسونه «جمال فن القبح» ، ولكن الزبينة في شوهاتنا انه اسقطها من حسابه حتى فن القبح ، فجاءت قبحاً لا فن فيه . . . اي الما متصلاً لا الى موت ، وبأساً مترماً لا لتعلق في حواشيه وورذيلة معيبة بالسواد الى الهداية ، لا الى امل في اننا تمعل . ولعل ربك اراده لحيرنا ، اراد من حبات الطل المنسكب ،

وإنا الذي خنت الزمان غراسه
منت عليك من العروبة صيدها
جادت افانين الرياض فأطلقت
يتلمع الانسام حول جناحه
ملأ الخلود الربح شجور هديله
إنا لست الا ريشة متمسكة
ما كنت في الاعلام نبداً خافقاً
شرف العروبة إنا في عيدها

يا قادة الفكر الاولى اكرمتم
نورتم ليل المريض فلم يعد
أواه من الم كبت لهيبه
واشد آلام الالي مرارة
امسكت اجفاني ولو اطلقتها
صدري طويت على الصاوغ زفيره
جسدت في (عبد الغدير) تجدي
باين البتول يذوب في آهاته
يضفي علي جرح الطهارة صفحه
بأمير اهل الضاد عفة متمر
دوت عجائب ذي الفقار^(١) بتمه
نثر المفاخر في الحجاز حسامه

لبنان حصن الضاد صائن عزها
من بيض علياء المآذن نورت
لبنان شرع الحب شرع منذ ما
بسط الجبال عليك فيض بهائه
فلجعت رضواناً بكل خيلة
وشمخت مثناً ، وجدت سحابة
من أم لبنا نخل عقابه
في كل دسكرة له بيت فا
رحبت مدارجه فن يتزل به

الا الوفاء ، فما يزال ظليلا
وشهدت دجلة رافداً والنيل
من كل املود اليك رسولا
ملكاً يجير على السحاب ذيولا
فتلقت ورق الجنان هديلا
نترت على وتر الجبال قليلا
عري ، ولا في الاولين رعيلا
تبدو بفضل الحزين الاولى

قلبي وقد جاء الطروس هزيبا
ليلاً كآهات الجريح طويلا
والطب يزرع في الفقار نصولا
الا يهدد الدموع سبيلا
لأريت طربي بالدماء كحيبلا
وبكل جارة دفنت قتيلا
متأسياً بدم الحسين طليلا
والشوك طوق رأسه اكليلا
ومن السامح ينسج الانجلا
وبلاغة وبطولة وقبيلا
وجرت على سمع الزمان صرلا
وجواده هز العراق صهيلا

كالايث يمنع في النوائب غيلا
ومن الكنائس اطلقت ترتيلا
وعت الحضارة للخليل خليلا
فتألق الصخر الاصم جيلا
ووراء كل غمامة جبريلا
وتنعمت اغلالا ، وانت مقيلا
مهدن من دمة القلوب سهولا
يسمى بلبنان التزيل تزيلا
يجد الجبال الى الجبال دليلا

لبنان ابنا العروبة اخوة
نؤتهم صكت الزمان فلولاً

(١) ذو الفقار سيف الاسام علي .

سفر من العظائم لم ترأف به
وهو الموحد عزة وأمانياً
والارض واحدة سواء انبتت
حبل الدهاء فقطعته فصولاً
ونواباً وقوتباً وميولاً
ارزاً ام انفجر الصعيد نخيلاً

يا مكرمي وقد سبقت بالندى
اكرمتم القلم الذي فتحت به
حلف الرحم^(١) به ولولا العقل لم
ما الكون الا الفكر ذرمن السنى
في كل ارض دية من جوده
لولا القريض ونشوة بنعيمه
يعشى النفوس او ان يلغها الاسى
فيكون للقلب الحزين هتاء
وتطليب خادعة السراب لظامي
تثب المني وثباتها فاذا كتبت
في كل ارض دية من جوده

حسب البراع الفذ ان صبره
ولطالما رفع العروش وهدتها
ولقد بيتت العقري على الطوى
فاذا قضى وقت الزمان تحشماً
عرش البيان تزل كل اريكة
طافت به الارواح ضافية السنى
قامت على الحس المنجح دولة
كالشمس يفرق في الوحول شعاعها

يا شعر حسبك في الخلود مكانة
كم سيد لولاك عاش مجهلاً
ما عز لولا التفتي^(٢) امية
- البقية في صفحة ٦٧ -

(١) اشارة الى الآيات المحسن الاولى من سورة الملق وهي اول ما
اتزل من القرآن المجيد وفيها ذكر القلم .

(٢) اشارة الى الآية الكريمة : (ن) والقلم وما يسطرون .

(٣) الاخطل التفتي شاعر بني امية .

(٤) هو مروان بن الحكم وقد كان أبوه طريد للنبي ، وكان مروان
السبب في قسمة الناس على عثمان وقتله .

بلا ثمن

بنم امين يوسف غراب



الليل قد اقبل واكتسفت ظلمته الموحشة ارجاء البيت الصامت ، الا من صوت خفيض مهزول ، ينبعث متصلاً حيناً وغير متصل حيناً آخر . كأنه الصدى ترجمه انفاس الظلام في الليل ، وكانت هي تقف في الرقة المجاورة مولدة مفعوعة تصغي الى الصوت المتقطع الذي كان يبلغ اذنيها منضهراً فيلنحها كما تلغح السنة النار شيباً رقيقاً ، فلا يسعها الا ان ترم شفتيها وتعض عينيها حتى لا ترى قلبها الذي يترق هذا الانين المنمئث في عمة الليل . . انه زوجها يسكاد المرض يترك احشائه تزيقاً . . انه الالم القاسي المرير يلهب جسده الفائر يسووله الغليظ فلا يستطيع له دفعا الا بهذه الانة المتقطعة التي تحرق اذنيها وتشوي قلبها الواجب الوجل وتحيله الى رماد بين جنبتيها . . انها تستطيع ان تتصور كل شي . ، وتخيل كل شي . الا ان تعجب فيه او تقده . . انها تعيش من اجله ، لذلك كانت الدنيا بارحبت في كفة ، وهو وحده في كفة لانها لم تعرف في الدنيا سواه . ولم تعرف الدنيا الا بهو ابيها وامها ، وهو اخوها واختها ، وهو صديقها وزوجها ولم تعرف من هؤلاء الا ايام مات ابيها قبل ان تولد ، وماتت امها اثر ولادتها . ولم تدر من الذي كفنها في طفولتها ، ان كل ما تذكر من ايامها انها ظلت في القرية تتنقل من بيت الى بيت . ومن عم الى خال ، ومن غريب الى قريب . حتى التقى هو بها ، وكان ياتلها خلقاً ووحدة وقراً ،

فما يعرف ولا يذكر اما حتى ولا منبثاً تحقّق مغانيه . فهو من الصميد ، ويرمأ تزح الى المركز الذي فيه قريتها بوظيفته الصغيرة التي جاست به خلال القطر كله ، وكانت وظيفته متواضعة لا تملأ الحمة الجنيها في الشهر . ومشى بينهما هوى حين مشت نظرة الى نظرة والغريب يحن الى الغريب . والفقيه يعطف على الفقير ، والمطلق الطيب سرعان ما يأثف ويتعجب ويتحجب . وظلا تلك الحبة التي من قلبها . واجها هو بكل جارة فيه . وظلا كذلك ، ظمؤهما ري ، وكفافها نعم ، وفقرها ثراء ورخاء ورقاهية . ان جاءت فظفرة منه تطعمها . وان ظمى فرشفة من نغرها ترويه . وان تزلت بها نازلة تبددت ما دام يظللها سقف واحد . . ولكن هذه النازلة لا تستطيع لها دفعا ، تستطيع لها رداً . ؟ انها فملت الممكن والمسجل ، فملت اقصى ما يمكن لامرأة ان تفعله . . انفتحت كل ما كانت تدخر . وباعت كل ما كانت تملك ، حليها البنس والثمين ، قرطها الذهبي ، خلخالها الفضي ، ثيابها الجديدة اثاث البيت ، حتى السرير الذي كانت تنام عليه ، كل شي . قد باعته . . وهي تريد ايضا ان تبسح كل شي . ولكن الشيء المشرع الذي يباع . . اما هذا الذي يطلبونه منها ، هذا الذي يساومونها عليه ، أيسهل عليها امره ؟ . تستطيع ان تفرط فيه ؟ . واربدت سمحتها اربداً خفيفاً وجعلت عيناها في الظلام وراح ينقذ منها شي . كأنه الاله . .



مداة الى الصديق وديع فلسطين

انه جريحاً انبعث في عتمة الليل من
الغرفة المجاورة فلنحت اذنيها وابقلتها من
هذا الذهل الذي غرقت فيه وراحت في
صمته وحشته تستعرض احداث النهار .
ولما عرفت انها كانت تحلم
وانها كانت تستعرض الحوادث في

عينها من الدموع التي ترسلها ارسالا . ومد
يده وانفضها في رفق وجفف لها بتدليله تلك
الدموع التزار التي تنساب كالسيل ، ثم ربت
على كتفها في حنان جم وحذب كبير ، ويعود
فيربت على خدها في لطف اكثر حناناً وشفقة .
وقد سرها هذا العطف الكبير وفرحت
به وابتست له ، لانها لم تفهم . وما
كان لها ان تفهم . وفرح هو ايضاً لانه
ظنها قد فهمت ، لذلك ابتمهم ولذلك عاد
من جديد يكفكف لها عبراتها .
ويدهدها بأنامله الوفاً نخذها الشاحب
المضطرب ، ولكنها فهمت هذه المرة
فصغته على وجهه ولم تكن بذلك
بل بصقت في وجهه ايناً ولكنها لم
يغضب لفعليها كما كانت تظن ، ولم
يثر . وانما شيها راضاً حبساً وهي
تصرف وكأنه يقول لها بعينه . .
ومع ذلك شعورين ثانية . .

وعلى الدرج خانتها قواها فارتقت
على السلم . انما لم تجد قايدها الذي
حدث . . انها لا بد كانت تحلم . انه
طبيب . . انه انسان . . انه بشر . اذن
فهي كانت تحلم . ولا بد انها كانت تحلم .
وكيف كفت عبراتها المناسبة . وهدأت
من نازقتها وعادت فصعدت فيه ثانية ،
ولم تمضها الممرض وانما ابتمهم وهو يفتح
لها الباب على الطبيب الشاب . ودلفت
من الباب كالشيخ ، ووقفت امامه ذاهلة
ترجو وتوسل . ولكنها لم ينظر اليها
هذه المرة ، ولم يسمع كلمة مما قالت .
ولم تسمع هي ايضاً شيئاً مما قال سوى
الشرة الجنيهاً التي طلبها ، او العشرة
الجنيهاً التي يريد هو ان يدفعها ان هي
قبلت ما يريد ، فاندفعت اليه مرة اخرى
ومحت بان تصفحه مرة اخرى ، بيد ان

انهم يريدون منها ان تتدفع روحها من
جسدها . . انهم يريدون منها ان تشفيه لتقتله
بسلاح آخر اشد من القتل ، اشد هولاً من
الموت . يريدون لها ان تحييه لتتيه بسكين
احد من الداء الذي يأكل جسده اكلاً . .
ولكن هذا الرجل ، هذا الطبيب ،
هذا الملاك الطاهر الذي يضد - راح
الانسانية ، ويهدد انفسها ، أهر من
القسوة الى هذا الحد . . ؟ هو من
الطافلة بدرجة انه يستيحي لنفسه تقديم
مرضاه قرباناً على مذبح شهواته ؟ لقد
قيل لها انه الطبيب الوحيد في المركز
وليس من طبيب سواء فيه وهو الوحيد
الذي يُشفى زوجك على يديه . فذهبت
اليه جارية تلهث ونقدته جنبها ، ولا
يعلم غير الله من اين حصلت على هذا
الجنيه . وطلبت منه ان يرافقها الى
البيت ليعري زوجها الذي يوت . .
وقد كان معها لرباً حتى في الحديث .
وكان لطيفاً ومها في طريقتها الى البيت .
ولما عاينه قال : انه الخراج في الكبد
ويكاد ينفجر . وانه لا بد من اجراء
العلية سريعاً ، وانه لا بد لها من ان
تلتحق به الى العيادة لتتفق معه على
الأجر وقد خلعت به كما اراد . ولكنه
طالب منها المستحيل ، طلب منها عشرة
جنيهاً اجراً لاجلجاءه ، اجراً لانقاذ
زوجها من موت محقق . وكانت لا
تلك درهماً . ففعل قلبها ومادت بها
الارض وكادت تسقط اعياء عند قدميه
بل لقد سقطت فعلاً عند حذائه تبلله
بالدموع وتقس عليه مجذها وشفتيها ،
لعله يستجيب لرجائها فيعالج لها زوجها
بالآجر الذي يشاء . وينظرها الى ميسره ،
ولكنه رفض واصر ، ولما الحت اشفق على



هذا الصمت الموحش، جفت دموعها المناسبة، وأسرت هالعة القلب الى العرق المجاورة المسجي فيها زوجها على الارض يتصبب العرق البارد من جبهته المقرورة ومن كل جاحة فيه . ومد المريض المحتضر يده الواهية المرتعشة واماك بيدها وقم خائراً منهو كاصوت لايين : عائشة .. اكاد اموت ..

ونظرت عائشة الى وجهه الشاحب المستقع ، وعينيه الفاترين ، وعقته الواهي الذي مال بالأس المضطرب على الصدر كما ييل العلم المنكسر في يوم حزين ، فأصابها من من الجنون .. ان حياتها تتوارى امام عينها .. ان دنياها تذوب وتتلاشى بين يديها .. انه يموت .. انه يلفظ آخر انفاسه .. انه يجب ان يعيش . ويحيى ان قوت هي . في موته موتها فماذا لا تموت فقط ؟ . ولكن هل لا بد لها ان تموت على هذه الصورة ؟ . على هذا الوضع الذي تنكره الارض وتصرخ من هوله الباء .. ولكن .. واريدت سحبتها اوريداداً خفيفاً ، وجعلت عينها في الظلام وراح يتغذف منها شي . كأنه اللهب . وجفت دموعها المناسبة ، وسوت خصلات شعرها الناعم مكتئباً على صدرها الحزين . وتمتد ضاحكة ذائلة ولكن ماذا يضير لو قدمت شرفها قرباناً على مذبح الانسانية ما دامت الانسانية نفسها هي التي تريد ذلك .. وانفجرت باكية وراحت دموعها الغزيرة البكاء تنساب حارة على خدها الشاحب المضطرب المقرور ، وتتساقط رويداً في عتبة اللبس . ومكنت كذلك لحظات وكادت تمضي لحظات اخرى ولكن الالم المبرر مس ، خلال هذه الاضطرابات اشياء المريض الذي يتوجع ، مساً عنيقاً ولكه هذه المرة ووخزه وخزاً . وهم المريض بان يصرخ ويستغيث ولما لم يقو ضغط بيده الواهية المتصبية عرقاً على يدها المرتعشة المبللة بالدموع وقم بشتين باردتين : — عائشة ، اكاد اموت .

ولكنها لم ترد هذه المرة ، ولم تنظر اليه منخطفة الب منفطرة الفزاد كعادتها ، ذلك لانها كانت قد انصرفت ذائلة مأخوذة كاللبوء الضالة تسير في الطرقات على غير وعي . واخذت تسير وتسير وكلما تمبت او غارت قواها وكادت تسقط اعياء لفحت اذنيها تلك الالنة الحسية المحتاجة قلبه جسدها الهالبا وتجعلها تواصل سيرها في الظلام على غير هدى .

وفجأة الفت نفسها دون شعور تصعد على ذلك الدرج الذي صعدت عليه بالأمس مرات وتنقل قدميها عليه نقلاً هيناً متباطئاً ثقيلًا ، كن ينقل جسده نقلاً الى اليم ليلقي به في اغواره وظلت كذلك حتى طالعها الباب على قيد خطوات منها ولكن .. ولكن ماذا ؟

انقلبت سحبتها انقلاباً خفيفاً وجعلت عينها وراح يتغذف منها في الليل شي . كأنه اللهب . ولكنه الشرف يا عائشة ، ولكنه الموت .. وانفجرت باكية وراحت دموعها الغزيرة البكاء تنساب في الظلام على خدها الشاحب المضطرب . ولكن ماذا يضير لو ماتت الآن ؟ ماذا يضير لو قدمت شرفاً قرباناً على مذبح الانسانية ما دامت الانسانية نفسها هي التي تريد ذلك . اوخفت دموعها ومدت يداً واهية مرتعشة وراحت تنقر على الباب حيناً ، وتصغي حيناً آخر الى لفحات انفاسها المحترقة . ولم تفكس طويلاً حتى فتح الباب على مصراعيه ، ولم يعترضه المرض الذي كان يبيت مع الطبيب في العيادة ، ولما شيعا مبتسماً وهي تدخل كالشيخ على الطبيب الشاب في مخدع الانيق . وخرجت بعد حين اكثر شعوباً واصفراراً ، ولكنها فرحة مبتهجة تستجبل الطبيب مبتسمة وترجوه ان يرتدي ملاسه سريعاً وان يعد حقيته ، كما تستجبل المرض ايضاً وترجوه ان يعد ادواته . انها فرحة . انها مبتهجة . انها ساشفيه . ستيد اليه حياته . وترد اليه دنياه انها ستره ثانية سليماً معافى . انها ستره مرفأشري يستقبل الحياة كما كان راضياً عنها . فرحاً بها . حريصاً عليها . انها ستجعله يضحك من جديد . ويضحك كما كان . ويرجع الكون صدى ضحكاته ، وتحيات ذلك كله ورأته امام عينها رأي العين ، فاستبحت وانفجرت اساريها عن اقباسه مذبة انطبعت على ثغرها المرتجأت الاصفر ، سرت في كيانها كله فأنشطته وأعادت اليه الكثير من الهدوء ، والارتياح والبهجة التي كان قد افتقدها منذ زمن بعيد . ولما وقفت بينهم العربية امام البيت كانت اسبقهم الى المهبط منها خفيفة رشيقة كالطائر الطروب وتقدمت الطبيب والمرضى وشرعت الباب عن زوجها المسجي على الارض ومدت يدها ورفعت القطاء . عن وجهه وكانها من فرحة الامل غريبة عن زوجها وغريبة عن نفسها هذه المتلعة منذ ايام طوال .

شي . واحد هو الذي ردها الى نفسها سريعاً ، اورد نفسها اليها سريعاً . ذلك انها عندما رفعت القطاء . عن وجه زوجها وجدته قد فارق الحياة ولفظ آخر انفاسه فراحت تنظر اليه مبهورة الانفاس حيناً . وحيناً الى الطبيب الشاب وتضحك مل . شديها . وظلت كذلك لحظات ، لا تدري اطالت ام قصرت ولم يدر الطبيب ايضاً اطالت ام قصرت ولما الذي يذكره المرض انها كانت الاضطرابات الوهية الهائلة التي مرت به في حياته لانه شاهد بعين رأسه كيف ان امرأة تطالب الانسانية باليمن الذي دفعته .

الفاخرة

امين يوسف غراب

من أيام خلت ، قصة مؤلمة مخزية فيا تضمنت من حوادث تقع تبعها على عاتق الكاتب .

انها قصة زوجة خاسرة افسدتها مصنفات احد الكتاب ، فكانت هذه المصنفات اول المنعذر الذي ارتكبت فيه قدم الزوجة ، ومن ثم كانت جريمة قتل ، فغراب اسرة وشقا افرادها .

انه ليس من المهم ان نعلم اذا كانت هذه القصة حقيقة واقعية ام هي من نسج الخيال انما المهم ان نقدد المسؤولية التي يضطلع بها الكاتب فيا يكتب من احاديث ، وفيما يصور من اقايعيص .

اذ ليس من شك في ان القارى . يؤخذ بسعرا ما يقرأ ويتأثر به مدة تطول وتقصّر حسب شدة التأثير وضعفه . وحسب الاستعداد لهذا التأثير وضعفه ، وحسب الاستعداد لهذا التأثير وعدمه . فان لم تكن هذه المدة ليالي واياماً ، فهي لا شك لحظات يسبح بها

القارى . في الاجراء التي يرفعه اليها الكاتب . وهي حيناً اجواء قدسية فيها من اللذة المعنوية ما يكفي غذاء الروح على مدى سحيق من الزمن ، وهي - ويا للأسف - حيناً ينحدر بها الكاتب الى مفاصد بشر موبوءة يثقل اليها ضعف النفوس من القارئين والقارئات .

يقول الأستاذ العقاد . « وان القارى . الذي لا يقرأ الا الكتب المنتقاة ، كالمرضى الذي لا يأكل الا الاطعمة المنتقاة . يدل ذلك على ضعف المعدة اكثر مما يدل على جودة القابلية » .

ويقول الأستاذ الكبير ايضاً : « وانه ما من طعام غث الا والمعدة القوية مستخرجة منه مادة غذاء . ودم حياة وفناء . فان كنت ضعيف المعدة فتجامع السمين كما تتجامع الغث » وان كنت من ذوي المعدات القوية ، فاعلم ان لك من كل طعام غذاء صالحاً »

لقد صدق الأستاذ العقاد في قوله . ولكن هناك مشكلة شائكة ، مشكلة اصحاب المعدات الضعيفة ، او بالاحرى اصحاب النفوس الضعيفة الذين لا يتأسكون امام الهاويات ، هم بل يتدهرون فيها الى الخفيض ليفترقوا من مياهاها الآسنة القدرة ، فيكثرون بذلك ضحية اولئك الكتاب الذين يؤلفون المؤلفات الوخيصة ، وينشرون بها امراضاً وضعية تكون سبب المشاكل الاجتماعية

المستعصية التي لا تحل . وهنا سؤال يتبادر الى الذهن :

هل يجب ان نهمل ضعف النفوس يستقون من ركب الوجود المعنوي في مهاوى الزلل تدوسهم سنا بك الخيل ، خيل الحياة السائرة الى الخلود في السبل القوية البيرة ؟ تلك الحياة التي لا تأبه لمن يتهدم ، ولن يصطدم ، ولن تبين منه القرى المحصنة ، فيقع ذليلاً شقياً مهاناً . نعم انها لا تأبه الا للحقائق الصامدة العتية ، ولا تظلل الا من لا يثني منه العزم ، ولا تتضعع منه الحواس امام زئير الالهواء . الهوجاء ، وزجيرة الميول الضالة عن الهداية والصواب .

فهل من شك في ان الامراض النفسية والروحية كالامراض الجسمية ، بعضها سريع العدوى ، سريع الانتشار ، سريع الفتك بالعنويات الانسانية الرفيعة ؟ وهل من شك في ان بعض المبادئ الهدامة ، تسطو على افكار الجماهير وتشعل مشاعرها كما تشعل النار الهشيم في اوقات من الزمن فتكون سبباً في التضريب والتعذيب والحومان .

انه لا يمكن للفكر العام ان يعيش بنجوة من هجمات الكتاب وآثاره وتفاعلاته .

ان الفكر ينبت الفكر ، ويستويحي من الفكر ، ويتطور ، ويتبدل ويحيي ، او يزول ويفنى بواسطة الفكر الجديد ذي القوة الفعالة ، وذو السحر العجيب .

وعليه ، هل يجوز للكاتب المريض ان يترك شأنه ، يذيع مبادئه الهدامة ، او ينشر احساسه الوضع وخيالاته المريضة عملاً بجرية الرأي ؟ ام يجب ان تسيطر عليه قوى عقلية مؤهلة من مجمع علمي راق ، فيوقفه قبل ان تسري عدواه ، ويتم مغولته في الجماهير وفي هذه الحال يكون قد قيدنا الفكر بقوى محدودة تحول دون وتباته وجولاته .

لذلك يجب ان تقوم وتعيش على الدوام قوى فكرية متهذبة ، متفوقة على الاقل متعادلة في الكفاءة مع تلك ، لتعزل وتمحص وتهذب وتصلح ، وهذا ما يحدث عادة في النهضة لتبقي كفة الخير راجحة في الوجود .

رسالة الكاتب

ARCHIVE
بسم الله الرحمن الرحيم
http://Archive.bta.Sakhril.com

تلهب الغرائم ، وتطلي القلوب ايماناً وقوة .

فدرسة الكاتب هي طريق الحياة ، ومصباح الروح العبيقة القوية ، يضيء السبل المتعقدة في اعماق المعاني التي لا تعرف مقاييس الانسان المحدودة ، ولا حواجز الاماكن وسدود الزمان .

هذا هو الكاتب الحقيقي الذي زجوه . وهذا هو الاديب الفنان الذي يتعشش الانسان دوماً لآلئوتوا . من ادبه .

والانسان با ركب فيه من مزاييا وملكات خصه الله بها ، ورفعه عن غيره من المخلوقات ، عليه ان يحافظ على مستواه الادبي با اوتي من قوة وغزيرة ، فيستمتع عن الغواية والشطط ويكون من اصحاب النفوس القوية الذين يستخرجون من كل قراءة غذاء صالحاً مفيداً .

وهذه المحافظة ان كانت للرجل لازمة ، فهي للمرأة ازم ، لما يرتبط بها من سعادة الاسر ولما يلقي عليها من واجب تهذيب الاجيال وصلاح المجتمعات .

سلي محمدي موصي

مجلة علم النفس

http://Archivebeta.Sakhril.com

اول مجلة من نوعها في الشرق يجردها نخبة من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب هي من أم مكملات ثقافة الفارسي . العربي تزيك علماً بفنك وبغيرك

تقدم لك دراسات تجريبية احصائية لأم المسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية باشتراكك في مجلة علم النفس نضف فنك ثقافة ممتازة وتسام في مجرود علمي عظيم آثار في التهور بالشرق العربي تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير

رئيسا التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زبور الاشتراك السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان ١٣ شللاً ونصف في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس ٤٨ شارع روض الفرج شبرا ، مصر

ان المثل العليا التي يتنادي بها المصلحون منذ بدء الخليقة ثابتة باقية محصنة بسياج من ضياء النبل وعبير الرفعة والسمو . ولكننا نلاحظ انها لا تزال كما هي منذ وجد الانسان . وكل المذنبات التي ازدهرت عبر التاريخ ، لم ترفع منها اكثر مما اذعن منذ فجر الحياة والقيم الروحية لم يتقدم بخطواتها الطافرة في النهضة الحديثة عما كانت عليه في المذنبات السابقة ، بل اننا نرى ان عصافه من الاجرام تجتاح كثيراً من النواحي الانسانية ، وان التدهم الاخلاقي الذي زبده لا يزال في مهده ، والانسان يتقدمه العلمي العظيم ، لم يتقدم في ميدان الخلق عما كان عليه من قديم الازمنة ، اللهم الا تقدماً مزيئاً فيه كثير من الخداع والتلون . بس ان كثيراً من الشورور والمظالم تقترن تحت ستار عموه براق لا يخفي ما ينطوي تحته من اجرام . وهنا تبعد مسؤولية الكاتب العظيمة ، ومسؤولية الرسالة التي يجب ان يحملها ويبلغها للناس . انها رسالة الاصلاح ، والتوجيه للخير والجمال : جمال الحق ، وجمال العاطفة ، وجمال الروح .

يجب ان يكون الكاتب متوهاً بمتواه الرفيع يستطيع ان يحمل مشعل الرجال للنفوس ، ومشعل الصلاح للقلوب ، لانه هو رسول الحقيقة ، والمعلم الذي يلقن الحق للناس . ولانه هو وسيلة التفاهم بين القوى العظيمة الخفية ، وبين القوى الفكرية التي تتفعل وتستيقظ ، تنظف وتنصف ، تقسو وتلين ، فترتفع ثم تبحث حية في امكنة وازمنة مختلفات بين جفاف الانسان القادمة والمهارة علم من الحياة .

فعلى الكاتب ان يقدر عظيم هذه الرسالة فلا يتزلزل من الاسناف درجة يغذي بها عوج الميول ووضيع الشهوات عند من ليس لهم حصانة روحية تحميهم ، ومناعة فكرية تفهمهم الى سامي الرأي ونبل التفكير .

ان تجاهل المرض يكون احياناً من اسباب الشقا . ومن وسائل الفناء . . . وظيفة الكاتب لا تنكسر في علاج الامراض الاجتماعية او بالاصح الامراض الانسانية ، لما للفكر من التأثير في الاحوال الخاصة والعامة ، ولما يوجد من ارتباط مكين بين الحالات النفسية والجسدية .

بل ان الكاتب با يكتب بشكل المدرسة الثانية التي تقم وسائل التهذيب ، واساليب الحياة في التفكير . وما يتعلمه المرء منها يتحتم في عقله الباطن ليظهر بظهور جديد يختلف باختلاف تلك المدرسة من الرقي والانحطاط .

فان تلك الكلمات الحية التي تعبر عن اخلص الآراء واصدق المبادئ . وانبل الاحاسيس ، ترسم في افق الذهن اجمل الصور التي

الحمول

بِإِذْنِ الْمَكْتُوبِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيِّ
مدرس علم النفس للآداب بجامعة فؤاد الأول

بشكو

الجسم يحدث اضطراباً واضحاً في النشاط النفسي والجسمي . يشعر الشخص نتيجة زيادة افراز كمية السكر واضطراب احتراقه بنوع من الهبوط . ففي مثل هذه الحال لا يمكن تحليل الشخص من الخمول لا بارجاع القوى الحسية الى حالتها الطبيعية . ونقيس على هذه الحال كل انواع الخمول التي تتبع الامراض الجسمية التي تضعف فالخمول المصاحب للمرض الجسمي يكاد يكون خمولاً طبيعياً بل قد يكون الخمول في بعض الاحيان دليلاً على بداية اضطراب في الصحة العامة ويكون الخمول ايضاً مصاحباً لحالة الشيفوخة

وهناك نوع من الخمول يهينا اكثر في هذه المقالة . واعي به الخمول الذي لا تعرف له اسباب جسمية ، ويكون مسيطراً على الشخص رغم سلامة الجسم وتوافر قواه بكل شروطها . ففي مثل هذه الحال يجب ان نتجه الى الاسباب النفسية مثل السأم والفراغ ووفرة الراحة وسهولة الحياة والاسراف في القناعة والخضوع المطلق والفهم الخاطي . حقيقة القضاء والقدر .

وتعتبر هذه العوامل للحمول اخطر من العوامل الجسمية التي يمكن الوصول اليها بسهولة واما العوامل النفسية فانها في اغلب الاحيان تعمل دون ان يعرف الشخص نفسه ان خموله ناتج عنها . ويكون في حاجة الى ان تدرس حالته دراسة دقيقة ليكشف عن السبب الحقيقي الذي يقعه عن العمل ويصرفه عن بسمل المحمود الضروري للكفاح .

فالسأم مثلاً قد يجعل الشخص على عمله خصوصاً ان كان هذا الشخص

الكثير من الناس من حالة خمول تعترتهم من حين الى آخر . وبعضهم يتعاطى مواد كيميائية تساعد على الصحو وتريد في اليقظة وترفع من النشاط . ولكن هذه المواد لا تحدث الاثر المطلوب الا في فترة قصيرة ولا يلبث ذلك الاثر ان يتحول ويحدث اضطراباً في وظائف الحيوية ويعقب حالة التيقظ السريع حالة هبوط عميقة وشعور بخمول اكبر من الاول .

ويجب ان نعرف السبب الطبيعي الذي احدث الخمول في اول فترة ، ويكون العلاج الحقيقي بالقضاء على السبب الاصلي .

وهناك صلة وثيقة بين الخمول وتوازن مختلف القوى الحيوية في الانسان . واهم هذه القوى تتمثل في النشاط العصبي والمروني والنشاط الدموي والعقلي . ويتأثر النشاط النفسي تأثراً مباشراً بحالة التوازن بين القوى الحيوية . وكلنا لاحظ ، بشي بسيط من التأمل ، ان التعب والنعث قد يحدثان حالة الخمول . واما حالة الجوع وما يصحبها من ألم في المعدة فانها تحدث في اول امرها نوعاً من التيقظ وترفع درجة الانتباه ثم يتقلب الموقف الى الخمول بعد ما يفقد الجسم توازنه .

فالخمول والشعور بالهبوط اكبر دليل على وجود عجز في نوع من انواع النشاط الانساني . فـ اذا كان العجز في نشاط جسمي فيكون من السهل تدارك الامر بارجاع الاناظر الى توازنه وتلبية مطالب الجسم — وهناك اضطراب عام في عملية افراز السكر في

عاجزاً عن الاستقرار ، وميلاً الى النعير والتجديد . فاستمرار العمل يتطلب صبراً وقوة ارادة قد تعوز الشخص الذي يستولي عليه السأم بسهولة .

ويحدث السأم نوعاً من الشلل الارادي ، وكثيراً ما تعدى آثاره الاصاب الارادية الى الجهاز العصبي السمبثاوي وتظهر آثاره في شكل ضعف في الوظائف الحيوية . ويحدث ذلك بدوره هبوطاً في الجهاز العصبي الارادي . ويفهم من هنا ان السأم كحالة نفسية يمكنه ان ينقلب الى حالة جسدية .

وكل الاشخاص الذين ترغبهم أعمالهم على الاستقرار لمدة طويلة في اتجاه واحد ووضع جسدي معين فانهم لا يشعرون ان يشعروا بالسأم كحالة نفسية أولاً ثم كحالة جسدية .

ويمكننا ان نلاحظ على الاطفال ان السأم يوقعهم بسهولة في نوم عميق . فالاشخاص الكبار لا يصلون الى النوم ولكنهم يتعرضون الى حالة استرخاء وهبوط نسبيته خولاً لان الشخص لا يجد بعد ذلك من نفسه ايميل الى القيام بعمل ما او بدل اي نوع من النشاط . وأما صلة الفراغ بالحوال فانها راجعة الى صلة الفراغ بالسأم . الا ان السأم من استمرار عمل واحد او ادراك معين أهون في الأثر النفسي من الفراغ . فكلاهما يحدث خولاً ، غير ان الحول الناتج عن السأم يكاد يكون خالياً من الخطر فأقصى ما يمكنه هو جعل الشخص السأم يقع في حالة نوم . واما الفراغ فانه يجلب الشخص

يقبل على التحدث النفسي الداخلي . وتظهر التخييلات والاهام ويؤدي ذلك في الغالب الى حالة الدهول التي نشاهدها عند بعض الناس . ويكون الدهول مصحوباً بهبوط شامل في كل مظاهر النشاط ويظهر الشخص خاملاً عاجزاً عن القيام بأي عمل . وفي مثل هذه الحالة يكون الحول حالة مرضية لان الوظائف الحيوية نفسها تقبل الى الكسل والاضطراب ويصل الامر بالشخص الى النفور من الذات الضرورية وفي اغلب الاحيان يؤدي هذا الهبوط الى ذبول عام وضعف شامل في الملكات النفسية والقدرات الجسدية . فالسأم والفراغ من الاسباب الهامة التي تقضي على التكامل وتعرض القوي الى الاضلال والتفكك .

واما نرة الراحة وسهولة الحياة هي اسباب تجعل الشخص غير قادر على الكفاح . واكثر الاشخاص الذين يشعرون في الحياة بيساط عليهم الحول هم اشخاص لم يتعودوا بذل الجهد الضروري للحفاظ على الحياة وهم اشخاص صادفوا ظروفًا سهلة حققت لهم كل وسائل الراحة فالألب الذي يهد كل شي . لانه يقضي دون ان يشعر على النشاط النفسي . يمرض ابنه للخلو .

وهناك اشخاص يسرفون في القناعة ويجثعون الحضور المطلق حقيقة القضاء والقدر معتقدين ان هذا الموقف الذي يجب ان نقفه امام المصائب الكبرى يجب ان نعمم وان نقفه في كل لحظة . فبالنظر الى القضا والقدر عزاء المتكبرين وهو دواء يجب ان نستعمله في مواقف معينة . فالشخص الذي يحصر كل نشاطه في الحضور المطلق للقضاء والقدر لا يلبث ان يصاب بشلل ارادي وتظهر عليه علامات الحول . فداء الشرع الاصلي راجع الى اخطاء كبيرة في فهم حقيقة القضاء والقدر . والعبث ناشئ من طريقة فهم هذه الحقيقة . فأغلب الناس يفقدون القدرة على ابتكار اعمال يناضلون بها في الحياة منتظرين تدخل القضاء . وتصرف القدر ، ووقتها في الاعمال الارتجالية التي لا يسرها مبدأ عقلي يقصد احسن الغايات بأقرب الوسائل . كذلك استغنى أغلبنا بالانتظار الذي يؤدي غالباً الى الحول ان لم يصل بنا الى النوم ...

ابو مبره الشافعي

القاهرة

رودانا
ساعة العصر الجدير
زات ١٧ مجراً
مكفولة ٢٥ سنة

Elegance
ET
PRECISION
C'EST LA
MONTRE

RODANA

الوكلاء في لبنان وسوريا محلات فادعياش بيروت - تلفون ٢٢٢

وفاء

مهداة الى الأستاذ مارون عبود

هذه القصيدة التي نظمناها حديثاً قوامها على قصة وقعت
حوادثها هنا في البحرين ، وليس لي من فضل
في سردها الا التنظيم . ولعل من حسنات القصيدة
- التي تشفع لها - اللون المحلي الذي يشده الأستاذ مارون عبود

كم آية لله في خلقه
مظهرها الحسن !
يا من له قلب .. الافاسقه
من كاسنا نحن



ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| ابصرتها حرداً على قعرها | كانها الرخمان في الآنية |
| ترفع ما تجني على رأسها | حاضرة - راد الضحى - حافية |
| وسط نثار القمح تمتشي به | في حقها ضاحكة لاهيه |
| فلو بدا لا «حسن» في غيرها | ما اختارها الا على ما هيه |
| قريبة العين بما تجتلي | من فرشه ، محتضناً واديه |
| ولما يجري فتحها سلسلاً | ينفض برديه ، من الساقيه |
| كم أنشد الطير على بايها | بكل ما تشمره هانيه |
| كأنما ينبع من قلبها | ما انطلق الله به شاديه |
| اغنية في الحب معسولة | لا الوزن يزيها ولا القافية |
| غائبة ... قد زانها انها | تنعم في الاسمال بالعافية |

لقد أعادت للضحى انسه
لا اتنت نيا
كأنما «الحسن» يرى نفسه
جسدا فيها

الله في قلب تمادى به حبك .. لا تعبت بأماله
فأطرق الرأس ملياً، كن يستنكر الحرق بأسماله
وقال «يا بؤسي! ألا ليتني مت ولم أضرع لامثاله .
هذا المعيدي الذي حقلنا ملك - بن فيه - لاخواله
توارثوا الملك يدأ عن يد كأننا من بعض انفاله
فها هو اليوم اتني خاطباً حسنك لا كان - على ماله .

ولم يكد يلقظا - قطرة
من كأسه المرة -
حتى رآها جدت .. صورة
ثم هوت .. صخرة

اهكذا ينهار في شدة ما عرّش الحب لا يجنابها
وتذبل الآمال في روضها ولم تطف - بعد - بريجابها
فليتها ما لبست حلة الـ حسن ، ولا ضاء بوجدانها
أضاءة الشمس لما حوفا وهي معارة لنيرانها
وبت في الأمر ، وتم الذي شادت لها الام بطغيانها
فخف بالفاقة اترابها يصلن - كالعادة - من شانها
من كل حوراء - كذا الكرى يضلك للصبح بأبغابها
لحلتها بالطيب في عرشة بولغ في حمة اركانها
فاختلجت في عينها دمة غص بها الخلق لتهتانها
وزفت البنث الى عرسها قد علم الله بأشجانها

كورددة جلودها لم تظل
في حضن مرأس
حتى حوواها العصر بين الكلل
حانية الرأس

واصحت أولوة القصر ، لا تملك للمالك الا رضاه
فعطرت فاه بأنفاسها ساعة ما دارت عليها يدها
وبللت بالدمع اشواقه كما يبل الزهر طيباً نداءه
لائدة بالذل من صحتها بين يدي عزته حين فاه :
« كم كنت اهوأك ، ولكنني اعبذك اليوم لهذا الشذاه ! »
ولم يعد في قلبها موضع تشكوه من شدة ما قدعراه
كزروق في لجة ، غاب عن نوبته الكوكب وهماً ، فتاه
تنسيه في الليل هموم الضحي كأنها في الدهر معنى صباه

وعاش للغود ابن عم لها كأنه آيتها في الجهاد
أنف ما بينها سمية لودها بالرزق من كل واد
محظه منها على وصله كحظها منه - قراء وزاد
كان اذا امسى فشت له وحدته بليالي الحصاد
كان البدر على وجهها يشرق بالانوار ملء الوهاد
كان اذا أوى الى رحله 'سبب في صمت اليه السهاد
كانما الانجم تلقى له لآلة عنها حديث يعاد
ولم تكن « نعم » وقد هدت اقل اصعاء لمس الغواد
وانما عاشت من الصون في زهو الثريا ، رغم قرب الوساد
كانما الحسن الذي زانها ماصاتها الا لأمر يواد

كلهما يسمى بلا منة
راحة الآخر
ضما طيرين في جنة
حيما الطاهر

ومرت الأشهر في حسنهما أشبه شي . بشذور اللال
كانما هل بها كوكب في غرة من نور ، ثم زال
فكل صبح نظرة .. لتلقي على ممان ، ك لها من خلال
وكل عصر موعد .. ينتهي في نزهة ، يغفو على الحبال
هل يذكر القمري اذ أقبلا يوماً ، فأغضت طرفها في دلال
وكفها اليسرى على صدرها في مجول ضاء بها كالهلال
« يا هانئي ! اصدقني ، فلو تاني غيرك بالدنيا . رفضت النوال
أكنت تهواني ، لو لم يكن لي في شباب العمر هذا الجمال »
وكاد لا يفسح عن رده لولا دموع بدت بانتهال
فقربت فاهاً على رعدة تلتقط من فيه جواب السؤال

قد قدر الله لنا عيشة
فحين غيماها
ما كل من يشد امعية
بانتم ! يوناتها

وزارها هانئي . يوماً على غير الذي تعهد من حاله
يجر ساقيه الى كوخها جراً ، ويستأذن كآلواه
فراها أمر ... وودت اسى لو انها فانت بأنفساله
« ما لك يا هانئي ! تخني كن يرسف سحر وحاً - بأغاله 9

ابق على نفسك وقالليل مهـ يا طال - لا بد له من صباح

وكلا ردها ملها
حتت الى عبده
عهد هئا . اسمه منها
كالنجم في بعده !

واقبل الصيف كذوي موكب تبتهج اندنيا به حيث سار
تيسل بالاعواد محضرة انفسه ابارى ، فتؤقي غار
ووشرش النادي على غصنه كيف قضى عطشته منذ حار
بين مياه -ال من فيضها ال وادي ، وما حف به من بهار
وأوت المعزى الى ظلمها كأنها صورتها في ال -سار
فينا المالك في قصره يوماً وقد طال عليه النهار
فقال من سلفته ما اشهى ثم دنا بالما . والريح نار
داس جفنيه الكرى ، دون ان يشعر ، فاشتلقى لنوم غرار
وندما عداد الى وعيه والليل من انجمه في ازدهار
ابصرها - والكأس في آفها - قائمة بالما . في الانتظار

فقال « ما اسعد في الفه
زوجاً حوى مثلك !
من عاش بعد اليوم فلتكنه
ذات عوى عدلك . »

نعم ! لقد قدتني منة اذكرها ما عشت بين الرفاق
تألفه ، لا يحلم ذو ثروة ببعض هذا عند دفع الصداق
آليت الا تطلبي حاجة الا وافضها ، قبيل اقتباق
قولي أحط الدر يرضيك ، ام رسالة ذات حواش رفاق ؟
فأعرضت قائلة « اغني ! وهل جزاء الحب الا الراق »
قال « بلى ! لا بد ان انتهي منك الى الناية . فيا يطاق
ما الذهب الا بدم - ان برتمه - بعرق غني تحت الطباق
فاتمسي مني جزله على حبك ، ان الشكر حلو المذاق
فردد القصر صدى سرها كأنها تبكي لطول اشتياق :
« ان كنت لا بد مجازي عن صدق ، فجد لي - منمأ - بالاطلاق »

وعادت تعود الى حقلها
كمدها الاول
عادت لمن ضواء من اهله
كالرود ... للليل !

حتى اذا اغنى على حلمه عادت ترى في العلم ما لا يراه
كأنما عاد لها عيشها بين مجالي الزهر ، حول المياه

لم نال في خدمته جهدها
يسبها الفاني
داف في قلبها عهدا
ل « قلبها الثاني »

ومرت الأيام ، والكمل من نعم وما جد لها في حبور
الا فؤاداً في دجى يأسه تحفظته بارحات النور
كم تاشد الانجم عن حلقها وعن سرها ناعسات الزهور
وناشد القبري عن ضحكها وعن صباها البدر اذا يستدير
وك أنجال الطرف من حوله فلا يرى الا الدرامي تدور
وكيؤها خلف الزبي خاوياً من يدها تأوي اليه الطيور
فيذرف الدمع على حاله كأنها الدمع بقايا سطور
من قصة يحلم في قلبه عنوانها ، مرخى عليها ستور
وكما حلت عادة القصر من شرفتها تحلم ، والصبح نور
فأبصرته مثل طيف الهنا في ارضها يالقي عليها البذور

امكثا ينهار في غرسها
ما شاده الحسب في
وينجم ما خط في طيرها
من دعه اقلب

في قلبه « نعم » غدت نية
تسو بأمانه
فهو يغني الصبح اغنية
تنبي عن حاله :

« يا محبي الليل بأنفساهم قطعاً او تراه في الصباح
وساكبا في الكأس من دمه ودمه قد حل في الكأس دراح
دار على الخلق بها ، وهو من سكرة ما يحمله غير صاح
يندب عبداً لشباب منى لو كان يغني عن شجي نواح
يأبى على قلبك في سجنه تقلب الدهر دوام انشراح
يا ناشد القلب جنى غرسه قد بسط الليل عليه الجناح
سيل في اندمع سويداه لو روحته عبرة لاستراح
يستزل القطر على وردة ذائلة قد صرختها الرياح
وما تبقي فيه من حرقة ترهر بالسر الذي لا يباح

الطريق

بالم يوسف الشاروني

مبداه

الملكة فريدة بكاد يكون ازحم ميادين القاهرة ، لاسيا في الصباح ، حين تكون الكتل البشرية المتراصة في الترامات والسيارات اخذت تحرف نحو المكتاتب والمخازن والمصانع ويختلط الضجيج بالحركة كأنك تشهد « فيلماً » امريكياً عتيقاً ، فالسيارات مع العربات مع الترامات مع الكائنات البشرية ما بين باعة ومستخدمين وسيدات ، من كل نوع وجنس ، يعبرون هذه الطريق دفعة واحدة ، حتى اذا اشار شرطي المرور بيده واطلق صفارته وقفت حركة هذه الطريق وزحفت حركة الطريق الاخرى تكسح الهدوء المؤقت الذي ساد فيها بعض اللحظة . زمن الميدان تتدعدع طرق تبتلع هذا العدد الزاخر من الترامات والسيارات والحلائق البشرية المنطلقة على اقدامها ، وتصب في الميدان كتلاً اخرى . وفي الطرف الثاني من الميدان تمتد احدى الطرق الكبرى ، تأخذ من الوافدين على الميدان بعدد ما تذايع اليه وكان محمد افندي عجور - وهو اسم قد يبدو مضحكاً - يسير مسرعاً كلفا يهرب من الميدان مُنطلقاً في تلك الطريق ، وهو يبحث عبتاً عن سبب لاحتاسه بالقرف ، وامامه تماماً - وعلى بعد ثلاث خطوات منه - كان الاستاذ قدري يسير بسرعة اقل . والاستاذ قدري هو استاذ علم الجرائيم باحدى كليات الطب ، وقد اتبع له - بما له من علم - ان يدرك الى اى حد يزدهم الهواء ، والطمع والميلس بالجرائيم ، والى اى حد تقربص الاوبئة والامراض في كل مكان لتفجأك .

وقد حدث ان التقى الاستاذ الطبيب بعجور افندي من قبل في غير هذا المكان في غير هذه الظروف ، ربما كان ذلك منذ عشر سنوات ، عندما ذهب عجور افندي مع قريب له يعرف الاستاذ الطبيب ليحقن باللقاح الواقي من مرض معد كان منتشراً في تلك

الايام . وقد ابدى الاستاذ الطبيب في ذلك اليوم كل مواهبه واحتياطاته ، و افاد كل الافادة من علمه وسعة اطلاعه . فقد كشف عن ذراع عجور افندي ، ومسح بالحلول المطهر على مكان الحقنة ، ثم لم يعجه ما فعل فماد من جديد بمسح على ذراع الرجل كأنما هو فتان ناشئ . يوسم على لوحة زيتية ، وعجور افندي مغضض عينيه يتوقع ولوج الابرة في ذراعه في اية لحظة ، ثم ظهر الابرة على النار ثم غسها في محلول مطهر ، فهو يسلم الى اى حد يزدهم الهواء بالجرائيم . وقد انصرف عجور افندي وقريبه وهما يحلان ذكريات يتسدران بها كلما جمعما مجلس . ورغم ذلك فلا تحسب ان هناك الآن اية صلة من التعارف بينهما ، فقد كانت القصة منذ زمن بعيد ، وعجور افندي قد يتذكرها ولا يتذكر وجه الطبيب ثم انه كان مشغولاً بقرفه بحيث يدرفه عن تذكر اية تاذرة مضحكة ذات ماض بعيد . فالصلة بينها الآن هي صلة الطريق في هذه الساعة المبكرة من الصباح .

وكان يمكنك ان تستدل بسهولة على ان ذلك كان في الصباح ، لان الطريق - كما يقولون بلغة الحجاز - كانت تستيقظ . فالطعام الذي يبيع القول والطومية بكاد يزدهم بالعمل يتناولون فيه طامام افطارهم ، والحلاق لا يزال يفتح صالونه في تناؤ وبائع السجائر - والحشيش احياناً - لم ير به غير عشرين من زبائنه ، والهواء بكر لم يلوته بعد عرق الكادحين ولا جهدهم المتواصل المستديم . وكان الآن عجور افندي قد حاذى الاستاذ قدري واوشك ان يسبقه ، حين تذكر فجأة سبب استيائه واحساسه بالقرف .

ولسنا ندرى ابدأ ما الذي حدا بهذين الشخصين ان يسيرا في مثل هذا الوقت المبكر في تلك الطريق ، فالساعة الآن السابعة والثلاث ، وعجور افندي موظف بالحكومة المصرية ، ويبدأ عمله

قصّة

في تمام الثامنة ، وقد امضى في هذا العمل نحو خمسة وعشرين عاماً ما بين شبابه وكهولته ، كان في خلالها مثال الموظف الأمين يستيقظ متأخراً دائماً ، ثم يقوم في عجلة ليرتدي ملابسه ، فإذا لم يجد امامه فسحة من الوقت فليس من الضروري ان يغسل وجهه بل يكفي برشه بللماء رشاً خفيفاً ، ثم يهرول حاملاً فقاظوره تحت ابطه ، ليصل دائماً في الميعاد . اما الاستاذ قدرتي ففاضرته في الجامعة تبدأ في تمام التاسعة وليست طريقته من هنا ابداً ، فهو لا يسكن هذا الحي ، ولا تقع هذه الطريق بين مسكنه والجامعة ، وهو يدرك ان الشوارع المزدحمة بالناس هي ازحم الشوارع بالجرائم . فضلاً عن ان اليوم كان يوم الجمعة ، وهو يوم عطلة للاساتذة والموظفين .

وكانت ثمة شي . هام جداً يشغل الاستاذ الطبيب ، ذلك ان احدهم تقدم مساء الامس بالذات ليخطب منه ابنته عفاف ، وعفاف وحيدته ، وهو يدرك انه يجها اكثر مما هي تحبه ، وكان يعلم انها ستفارقه يوماً ما ، غير انه لم يكن يجب ان يواجه نفسه بهذه الحقيقة ، كما كان يجيد تأجيل التفكير فيها ، حتى زاره بالامس شاب انيق اتانة واضحة ، لا يزيد عمره فيا يبدو عن الحادية والعشرين ، يضع (عويئات) امريكية ويقتل سفاف . لاصوت له ، واخبره انه سيتزوج عفاف خلال الشهر القادم ، واقبله بطريقة غير مباشرة انه لم يأت له ليطلب موافقته بل لحرد التبليغ ومن باب الذوق وكى يتعرف به ، فهو متفق معها وهي متفقة معه ، ثم حياه في ادب وانصرف ، وكان هذا امرأ غير مألوف في مصر في ذلك الوقت . وكانت عفاف قد اشارت الى شي . من هذا القبيل لوالدها ذات مرة ، غير انه لم يحسبها جادة في الامر . ولم يكن ثمة قرار معين قد استقر عليه رايه فتشغله الآن بطريقة تنفيذ ، بل هي مجرد حيرة لا يعرف لها حلاً . فهو لا يدري وهل يوافق على زواجها او لا يوافق ، واذا مانع فهل تراه يستطيع السيطرة على الموقف او لا يستطيع ، وهل تراه يفرح او يكتئب . . وهكذا انطلق يسير متظاهراً بقرارة واجبات الحال ومراقبة وجوه العابرين . فهنا حمامة هناك طربوش ، وهذه عربية وتلك دراجة ، وهذا عابس وهذا باسم وهذه حلبة وذلك شارب ، وغمّة مقهى وغمّة مطعم ، ودكان صابون ومخزن خشب ومحل قماش فأحذية فساعات فيجبن وزيت وزيتون ، فراثة ففاح ، فراجة خبز ، ففوت سوط ، فأرض الطريق ، فطرف البطالون ، فوجهان ، فوجه فوجه فوجه فوجه عجور افندي . يتغير ان يعرف اسمه طبعاً - بظهوره المنعفي قليلاً ،

ولحيته البيضاء النامية قليلاً ، وخطواته المسرعة كثيراً ، وكانت هذه هي اللحظة نفسها التي اكتشفت فيها عجور افندي سبب قرفته . وفي الواقع كان هناك اكثر من سبب يجعله على قرفته ، لكنه كان يريد ان يختار واحداً بالذات يراه المفسر الحليتي حالته النفسية وقد ظن اوله انه ربما يكون نفاذ المرتب ، فهو في الايام الاخيرة من الشهر ، وهو يعرف مصر المرتب : سيكون ما بين الحجاز والجزار والبدال والبخار المنزل « وبوفيه » المصلحة ومصاريه الاولاد ومطالب الزوجة غير انه ابعد هذا السبب - رغم وجوده - وفكر فيما وجهه اليه رئيسه الجديد بالامس من كلمات اعتبرها اعانة لكرامته دون ان يستطيع الردي عليه وقد أدته تلك الكلمات اشد الازياء ، واعتبرها تجاهلاً من رئيسه للسنوات الطوال التي امضاها في خدمة الحكومة نظيفة لم يتخللها عقاب ولم يدركها انذار وفجأة عرف السبب الحليتي لاشتمرازه ، وكان ذلك امام مكتبة العرب ، عندما اضطر ان يجني في خط سيره ليتفادى السائر امامه - وهو الاستاذ قدرتي - ثم يعود فينتجني ليسير في طريقه مسرعاً من جديد .

في هذه اللحظة وقف الاستاذ الطبيب ثم غيّر الطريق ، ففي الجانب الآخر استطلعت نظره محل لبيع المصوغات ، وكانت الاولان الفضية والذهبية والزهرية تبدو كأنها منداة ، فوقت يتأملها . وقد اشاعت هذه الحركة المفاجئة بعض الاضطراب في سير عجور افندي ، لكن سرعان ما انتظم خطوه ، واختفت مؤقتاً قامة الطبيب الفاعرة من مجاله البصري ، وان ظل ظلها عالقاً بجباله الذهني . ولمح الفقايع تصاعد من ثرجيلة احد الجالسين على مقهى ، وهم اثنان بان يتشاجرا ثم عدلا ، ونادى رجل واجابت امرأة ، واصطدم به طفل وكاد يصطدم بآخر ، واخذت الطريق تردحم وحركة السائرين والراكبين تسرع فيها ولا شك في انه كان هناك في الطريق اشخاص كثيرون ليسوا اقل اهمية من الموظف الحكومي والاستاذ الطبيب ، غير انهم ربما كانوا اقل حيرة واكثر وضوحاً في حل مشاكلهم اليومية ومن بين هؤلاء . كان العمال المذهبون الى مصانعهم ، ومنهم ذلك الصانع النجيف الوبيه الذي فتح ثلوه دكانه وكان اول الداخلين فيه هو الاستاذ الطبيب .

وسأله عن سعر الذهب اليوم ، وفكر لحظة في ان يبيع مصوغات زوجه التي توفيت منذ زمن غير قريب ، ثم استنكر هذا الرأي ، ثم عاد يسأل عن ثمن الاقراط والاساور والخواتم ، وتجبر فيا عساه يختار . فلما خرج كان يحمل في جيبه سوارين دفع فيها

كل ما كان معه من نقود : فلقد كان يحب امها ، وغفاف اليوم شديدة الشبه بامها .

ومرقت سيارة ومن خلفها دراجة ، وانبعثت فجأة موسيقى صاخبة من مذياع ثم عادت وتلاشت ، ونادى بائع على صفح الصباح ، ووقف عجوز افندي واشعل لفاقة وتأمل لهب اللقاب لحظة ثم سرعان ما اطفأه وعاد يسير ، وهو كلما تذكر تفاهة السبب - وهو يسمح احدى عينيه التي غشيها بعض دخان اللفاقة فآلمته - زاد هذا في قرفة . فالمسألة كما بدت له في ظاهرها بدأت هكذا . (وهنا حك ظهروه لسبب ما) ففي المساء ، عندما حان وقت العشاء ، احضرت له زوجته بيضاً مغلياً ، وهو لا يذوق البيض المغلي ابداً ، وصاح فيها مؤنباً : هل تعرفين اني اكل البيض المغلي ؟ وترى من هذا انه كان مؤدياً في غضبه عن كثيرين من الأزواج في ذلك الوقت غير انه لم يكتب بهذا بل تظاهر بقذف الصحن ، وكان ينوي ابعاده عنه فيحسب انظاراً لخطئه وتعبيراً عنه (وهنا شاهد رجلاً

يثرني في الطريق فانطلق ضاحكاً بصوت مسوع) غير ان الصحن الملعون ظن ان عجوز افندي جاد في غضبه ، فاندفع يتدحرج من فوق المضطدة على الارض ، وظل يتقلب ويدور محدثاً صوتاً متكرراً مزعجاً حتى استقر وقد تأثر ما فيه من البيض والسم ، وكان عجوز افندي جائعاً كل الجوع غير انه لا يستطيع التراجع الآن لا سيما وان امرأته بدأت تدافع عن نفسها ، وكان هذا هو افطلع ما في الموضوع ، فلماذا يتباح لها ان تدافع عن نفسها امامه ولا يتباح له هو الدفاع عن نفسه امام رئيسه ؟ وهكذا صرخ آمراً ان تصمت غير انها لم تصمت وكان قد تروجها منذ خمسة وعشرين عاماً ، منذ اليوم الذي تسلم فيه عمله تسلمها هي من ابوها وتذكر الآن فقط انه كان قد قرأ في الصحف ان تمت حركات نسائية ظهرت اخيراً في البلد . وهنا شام راحة كحك ولمح غباراً يتطاير وراءه عربة ، غير انه ما كان يحسب ان اثر هذه الحركات سيصل الى منزله ، فيرى زوجه تتور امامه وتودع على كلماتها بثلها ، وترفع مكباته وهييته اسام الاولاد ، الذين رأهم اذ ذاك يتسللون في خوف وحذر يراقبون المعركة من بعيد ، وعندما حان وقت النوم ، لم يدعها معه على الفراش ، واناظله منها انها لم تبد اية رغبة . وكان هذا - كما يبدو له - سر قرفة الحقيقي .

وفيما وجد نفسه وجهاً لوجه امام مصطفى بك رئيسه الجديد ، وكان شاباً في مقتبل العمر ، جميل الوجه انيق الهندام شامخ الطلعة ، يصلح ان يكون زوجاً ممتازاً لكبرى بناته . وشوهد عجوز افندي وهو يسرع ويسلم متحنياً ثم يشعر بنوع من الحيرة لانه لا يدري ماذا يمكنه ان يفعل في هذا الظرف المفاجئ . اكراماً لرئيسه . وقد سأله مصطفى بك متطافاً عن سبب وجوده في هذه الطريق ، وكان هذا في الحق سؤالاً مبرحاً للغاية ، وعجوز افندي ليس حاضراً البديهة فيا يبدو ، فكان عليه ان يفكر قليلاً . . . حين سأله مصطفى بك مرة اخرى عن الاولاد وصحتهم وكان من الواضح انها اسئلة لجرد التلطف في الحديث ولا يهتم صاحبها بآية اجابة ، الا ان عجوز افندي بحث عن اجابات دقيقة مختصة ، ورغم انه لم ينس كلمات الامس الا ان هذا التلطف في الحديث اثلج صدره واشاع

تندر ليف

الشيء الفاحش



أجود الأصناف والأذواق طعماً

الرماد المعطر لسوريا ولبنان
سركته سرقة لموت
فان نظرت بك - بيروت



النبطة في روحه وجسده وازاح عنه مؤقتاً ذلك الاحساس بالقرق والمهم والشعور بالشيخوخة والنقص ، حتى لقد شهدت ثمة استسامة عريضة عالقة بشفتيه عندما انطلق يسير وحده من جديد .

في هذه اللحظة — وعلى الجانب الآخر من الطريق — كان الاستاذ قدري قد عاد فسبق عجز افندي وكانت خطراته الآن قد انتقلت بعض الشيء . واسرعت قليلاً في قبلي ، وفي تفكيره لم يكن قد استقر بعد استقراراً تاماً فيما يتعلق بمستقبل غفاف ، وفي حبه كان يحمل لها سواوين كمفاجأة وتهيئة . ثم اصبح تتبعه عسيراً وسط الزحام المتكاثر ، فكان يجتفي حيناً ويبدو حيناً ، ثم اصبح يجتفي احياناً ويظهر لأملاً .

وسعل رجلان بصق آخر ، وتدللت الذبابح الحوا المشوبة بالبياض ، وتدهجرت برتقالات صفراء من عربة تنهب الارض ، ومهرت ثمة واقبلت اخريات ، فثلاث رجال فاربة وجال ، والمنازل تنقل والواثبات تتكاثر وجانب الطريق يزدهن ويدهن ، ثمحتني . الطريق نفسها وتزدهن حتى يكاد يقف المرور ، ويتكاثر الناس ويتجمعون في شبه دائرة ، ربا هو شروع في مظاهرة ، او اعلمهم ليكنون حول صبي جريح يتألمون فيه الموت ويتعرجون ، وفجأة انطلقت ايديهم بالتصفيق ووجد عجز افندي نفسه امام الاستاذ قدري وجها لوجه وتقرس فيه قليلاً ، وتذكر شيئاً ماضياً اقلقه لحظة ، انه شيء قريب جداً ولعله شيء بعيد جداً ، ثم عاد يندب قائمته بعلمه بشفتيه ومع بعضهم يقول انه مزاد أوشاك ان يبيد ، ثم مع آخر يسبحف هذا الرأي ويقول بل هو خليل يستريح لحظة ليعاود الصباح ، وقال ثالث مؤكداً بل هو ايبا المغفل حاو من الحواة ، وود عجز افندي ان يتأكد مما يزدهن حوله الناس في مثل هذا الوقت من النهار وفي مثل هذا اليوم من الاسبوع لا يزالون جميعهم يغطون في نوم عميق . ومد قائمته ومد اذنيه ومد عينيه . وفجأة اخذت اليها . تجمل وإذا خفيفاً — فقد نسيت ان اقول انه كان يوماً من طلائع الحريف وقبل ان يعرف عجز افندي حقيقة الزحام كان الجمهور قد تفرق . سريعاً فلما انحلت الطريق كانت الارض قد ابتلت ببلا خفيفاً ، والشمس عادت اشراقاً هيناً رقيقاً ، والاستاذ الطيب قد انغمر في الزحمة المهارية . وفاحت رائحة عطر فرائحة شواء فرائحة عطر ، واقبلت فتاة أخرى ، ثم فتى وفتاة ، ثم فتى وفتاتان ، ثم فتيتان وفتيات وفتيان وفتيات يمثلين صحة واملأ . اما هو فكان قد استغف ، وكان واثقاً ان الشيخوخة شاعت في روحه وجسده ، وانه عبر

الطريق من آخرها منذ خمسة وعشرين عاماً ، منذ اليوم الذي طلق فيه مدرسته ووجد وظيفته وتزوج ، منذ ذلك الحين وحياته كبندول الساعة تتحرك من لكاء ذاتها ، نفس الحركة ، مرة كل اربع وعشرين ساعة . اما هؤلاء فلما يبدأوا طريقهم في الحياة بعد ، وهم يستطيعون ان يفاضلوا بين شتى الطرق ويختاروا منها واحدة تلائمهم يجدون فيها احلامهم ، ويعتصمون فيها على كنوزهم الحباة بنفوسهم . ولست اعرف ما الذي اغرى محمد افندي جور على هذا النوع من التفكير المعقد الحزين ، فهو قد يشيع في دماغه كسديم عاطفي اسيان ، لكنه قلما يتضح لهذا الوضع . لعله رؤيته لرئيسه الشاب ، ولعله مراقبته للفتيات والفتيات المثلثين صحة ونضارة ، ولعله قربه مما حدث بالاس ، ولعله ان يكون سيده الذي لم يتعود في هذه الطريق في هذا الوقت الحلي الباض من النهار .

وكان ثمة خادم في الطابق السابع يتخلل سجادة على رأس المارين ، واخرى نذلي بسلتها وتصرخ وسائر بقراً صعيقة ، وآخر يحرق في الفراغ ، وهذا رأسه صلاماً ، وكذلك شعرها معقوس ، وسيارة يرقها يدوي ، ومذياع قرأته يعلو ، ورجل يسرع وامرأة تتحدث وكاب يجري وطفل يزعق ، وهذا يجي وذلك يجيب ، ويجور افندي يتذكر اسئلة ويتساءل حقاً عن سبب وجوده في مثل هذه الطريق . والخرج ساحة فاذا هي السابعة والنصف . وخشي ان يتهم له بوضف ما ، فأمر على انه كان ثمة سبب واضح لديه حين غادر منزله هذا الصباح ووصل الى الميدان واتجه في هذه الطريق غير ان حوادث الامن الملعونة ، وغبطته المفاجئة حين التقائه رئيسه الناعم عليه منذ الاس ، ثم هذا التفكير المعقد الحزين ،

... كل هذا ضيع منه هدفه ، فوقف ، وعصر ذهنه يحاول ان يتذكر فلما يشققل راجعاً الى الميدان وهو يتطلع الى ما في الطريق عساه يكون ذا صلة بما حمله على الهجي . هنا فيمينه على التذكر . . . ومر في طريقه بالعطر ولحظة المطر ومكان الزحمة والذبابح والنبطة والقرف والكلمك والمكتبة والدراجة والمذياع وبائع المصوغات والتريجة والصابون والقماش والساعات والعطر والاحذية والجبن والحلاط والعطر والسيارة والغباء والمطعم وبائع السجائر — والحشيش احياناً — ثم الميدان والقرامات وزرقة البيا . وشراطي المرور وققلة العربات وابواق السيارات ، وانحرف الى الشمال ، واخترق زحام احدى الطرق الكبيرة الاخرى ، وانطلق يسير عسى ان يكون هدفه هناك .

يوسف الشاروني

الفاهرة

المحاضرة في الميزان

كتب هذا المقال واسمه لودويج فون برتا لانكس من اصل نمسوي . وهو استاذ في الفلسفة . فقد كل ما كان يملك اثنا مائة « فينا » عام ١٩٦٥ . وكان لما يملكه : مكتبة تضم خمسة عشر ألف مجلد .

مترجمة عن الانكليزية

بفهم مبارك ابراهيم



سبنجلر « ١٨٨٠ - ١٩٣٦ » ذلك الكاتب الذي اختص بالكتابة في فلسفة التاريخ . فنقطه البدء في الكتابين تختلف . ولكن التشابه في الملامح او القالب .

والإنسان مخلوق خاضع لقوانين علم الاحياء . مثله في ذلك مثل المثلثة (الاميبا) ومثل التساح والنمر والطائر الطنان . واندهوان يمكن هناك كفاف من اجل الحياة في كل غابة وفي كل بركة مهبطا في ظاهر الامر ان الهدوء فيها مستقر ، فان الموازن قائم بين النبات والحيوان . كما هو قائم بين الفرائس وبين الضواحي التي تنقض على تلك الفرائس . وذلك حتى لا يتزايد نوع من الانواع او يتجاوز حدوده على حساب نوع آخر . وبذلك يضمن كل نوع من الانواع لنفسه النجاة من القتل .

والنوع الذي يشذ عن القاعدة هو النوع الانساني . فهو الذي يعيش بتحطيم كل ما هو لازم لبقائه . فبذلك نسبة منعكسة يكاد يكون انكسارها تماماً بين مستوى العيش في مختلف بلاد العالم ومنه اوربا ، وبين زيادة عدد السكان .

وعلى الرغم من ذلك فان الطب يتدخل اليوم بتدخله مهلكاً وذلك بابقائه على اكبر عدد من السكان . وقد كان الرجل البدائي يستمتع بجزء من ابدع المزايا وهي النسبة العالية في الوفيات . وذلك للبقاء على انخفاض عدد السكان وكان يتبع ذلك امتداد ادوار القاعة عند المرضى الذين لا يدركهم الموت .

فبما الانقلاب الصحي الحديث فأنقذ من الموت ملايين من الناس . ثم تركهم ليرصدوا نفوسهم للحزن والبلوى وهذا الشقاء .



قلب الصحراء ، صحراء افريقيا الشمالية ، ترقد تحت الثرى خرائب واطلال كانت يوماً ما من عرائس المدن في الامبراطورية الرومانية .

وقد كان كوليزيوم « تيريدوس » يتسع مدرجه لسنتين الفاً من النظارة وكان لا يفوقه في السعة الا كوليزلام ووما .

وكانت قنطرة « تراجان » مقامة فوق كيشان من الرمال لا يدرك الطرف مداها . وكانت تلك القنطرة - قبل قيام الحضريات الحديثة - الدليل الوحيد على انه كانت هناك مدينة جميلة زاخرة اسمها « تيجاد » (بالجزائر) عض عليها الدهر . وعجى اسمها من ذاكرة الزمان اثني عشر قرناً . فهل قدر حضارتنا ان يكون هذا مآلها . ولماذا نتنا ان يكون هذا مصيرها ؟

هذا هو السؤال الشائك الذي يواجهني في كتاب الصحفي البرويجي « وليم فوكس » وسماه « الطريق الى البقاء » . وقد جاء فيه : « ان العالم مريض . ومرضه اخطر مما قد بدأ يعرفه معظم زعماء العالم وقادته » ثم يجيء كتاب مقدمة ذلك الكتاب ويضيف الى ذلك قوله : « ان اكثر من دولة واحدة قد تم اغلاصها اقلالاً بحى منها معالم الحضارة الماضية » . وليس هناك من سبب يجعلنا نظن اننا قادرون على ان نجنب هذا المصير حتى نغير ما بأنفسنا . والمشاهد عن كسب احوال اوربا يرى نفسه قبيل الى المقارنة بين كتاب « فوكس » هذا الذي كتب في اعقاب الحرب العالمية الثانية . وبين كتاب آخر كتب والحرب العالمية الاولى قائمة واسمه « سقوط الغرب واضياله » لمؤلفه الكاتب الالمانى « اوزفالد »

والتفكير الحديث يجب ان يكون اميل الى التطور منه الى الركود، والاكتفاء، بان يخرج الفرد لا عليه ، ولا له .

والتفكير الحديث يجب ان يميز بين الحقائق - الرموز . اذ ان عدم التمييز بينهما له نتائج عمليّة جد خطيرة .

فالرموز التجارية التي تنبئ - بالرعب اذا هي في حقيقتها رموز تتخذه الناس وتضلّهم فتجعلهم يظنون ان ما جمع من مال اذا هو ثراء . ولكن الحقيقة التي لا يعرف الشك الطريق اليها هي ان ثروة الارض قد نفذت . وهذه الاعتبارات الاساسية قد طبقها « فوكت » فدرس على ضوءها قارات الدنيا كلها . مبتدئاً بأمريكا الشمالية . وجاءت دراسته المستفيضة مدعومة بالحجج والاسانيد .

ولم يتروّع « فوكت » ان يترخص فيما يقتضيه واجب الادب نحو بني قومه . فهو يناهم بالتجريس . والتسميع بهم . ذلك لانهم قد استنفدوا موارد البلاد . وهو يضرب الامثال على ذلك فيقول ان ٢٥ مليوناً من الثيران البرية قد ابيدت . ويقول ايضاً انه في السنوات الست والثلاثين (١٩٠٩ - ١٩٤٥) نقصت مساحة الغابات الطبيعية بمقدار ٤٤ بالمائة وان ٢٨٢ مليون فدان من الارض قد ابتلعتها الحراثة ولم تكن الحشارة فيها خسارة ارض وحسب . بل قد تحلّت الحشارة خسارة ما كان يجنيه الناس منها من ماشية وزروع .

« الرجل الصناعي » هو الوهم الاكبر . ما دام كلمة التصنيع تمشي جنباً الى جنب مع القضاء على الموارد الطبيعية فأين تباع آخر الامر . ولئن تباع تلك الممالك التي تم تصنيها او تلك التي يرد تصنيها : محصولاتها الصناعية ؟

هذا سؤال لا يستطاع الجواب عنه . والاشياء التي تتخذ دليلاً على الحضارة للسيارات . والحملات . واجهزة الراديو . اذا تدفع اثاثها على حساب قص الارض من اطرافها . وهذه الصورة التي رسمها الكاتب يصح ان تتخذ صورة للقارات الاخرى . فأمريكا الجنوبية يمكن ان تسمى ارضها « الارض التي على شفا جرف هار » ذلك لانها تسير بخطى متزايدة نحو افنا . مواردها الطبيعية .

اوروپا التي يصح ان تسمى البلاد التي كلما انبت الزمان حرباً انبت قوماً رجلاً ليكونوا وقدواً لتلك الحروب هي على الرغم من الحروب وآثارها قدزاد سكانها احد عشر مليوناً فيا بين عامي ١٩٣٦ ، ١٩١٦ . ولكن رجال السياسة لم يقولوا كيف يمكن ان تحدث مرة اخرى تلك المعجزة - معجزة الازفة والسكات . والديموقراطية التي تعلمها الشعوب كسبب ايطاليا مثلاً الذي يقول : « ان لم تصله المعونة من العم سام فانه مول وجهه شطر اي عم آخر » .

مثل هذا الشعب قلما ينمو ويذهب وغداؤه الامية والجهل . فالحركة تبدو لا قيمة لها اذا جاع الناس وخويت بطونهم .

وقبل ان يتدخل الاقوام البيض في شئون آسيا كان عدد الهنود يقل عن المائة مليون . وكان عدد اليابانيين ٢٦ مليوناً . وكان عدد الروس (عام ١٨٠٠) ٣٩ مليوناً . وقد زادت هذه الاعداد فأصبحت على التوالي ٤٠٠ مليون . ٧٦ مليوناً و ٢٠٠ مليون .

وافريقيا تعاني - للاسباب ذاتها - سكرات الموت . فان سكانها يتزايدون على نظام المتوالي الهندسية . وذلك على الرغم من ان مواردها الطبيعية تنقص يوماً بعد يوم . هذا هو الشخص الذي جاء به الدكتور فوكت فاهو العلاج الذي يصفه ؟

انه يقول : ان الانسان قد اصبغ في مقام لا يستطيع البقاء فيه ولا الدفاع عنه . وذلك لخالفته - في نسق مطرد - لقوانين الطبيعة . ولكي يستعيد مكانته يجب عليه ان يجعل سلوكه وحياته متوافقة مع مقتضيات القوانين الطبيعية .

وهناك طريقان للوصول الى هذا الهدف . اولها الابقاء على الموارد الطبيعية ثم تجديد تلك الموارد . وثانيها : تجديد النسل . فمن واجب الجنس الانساني ان يتنوع عن الاكثار من النسل . ومن واجبه ان لا يحسب نفسه كالاكثار غير مسئولة عن صفاتها . ومن واجبه ان يحشد الوسائل المؤدية الى بلوغ تلك الغاية قبل فوات الاوان . فاذا لم نفعل ذلك فقدنا كل امل في بقاء الحضارة .

وليس احد من المعنيين بمحاضرتنا يتأدر على ان يغفل عما قاله « فوكت » ودعمه بالاسانيد والحجج . اما النتائج التي وصل اليها فهي - بالطبع - قابلة للجدل . فان الناصح التي يقول بها فوكت قد تعمل بها الامم المسالمة والامم غير المتحضرة . ويكون في هذا الغرم كل الغرم على الامم الوادعة ، المحبة للسلم .

وكلمات العلم وتقدم الصناعة والتصنيع واتباع المناهج العقلية ليست خيراً كلها . وليست شراً كلها . اذا الخير والشر يجتئنا عن طريق التطبيق . فتقدم الصناعات الذي كان من آياته ما جاء الناس بالهضات الصناعية في القرون الاخيرة . قام - في الامم الغالبة - حتى هذه الساعة على اكتاف العلوم الطبيعية . وقد ادى الى حربين عالميتين كما ادى الى الازمة القائمة .

فهل من الممكن ان يجد الناس في حفي علم الاحياء . وفي رعاية المساواة الاجتماعية طريقاً يهديهم من ناحية الوصول الى مستوى لائق من العيش . ويحفظ من ناحية اخرى . بل ويعيد للفرد القيم الانسانية التي لا يجوز التضحية بها ؟ . **الانهاضة** **مبارك ابراهيم**

شقيق المألوف

١٤

ذكرت شقيق المألوف مرة ، الا ذكرت معه مطلع احدى مراثيه لاخيه المرحوم فوزي ، وهو :

اعويت ابحث عنه في التراب
تاج ندرج عن جبين ابي
فاردده باعجاب وحسرة : الاعجاب لانه في رأيي اوقع مطلع وقمت عليه في حياتي في مطلع الرثاء في الادب العربي ، وادله على صدق الموقعة ، والحسرة ، على ذلك التاج النفيس الذي تدحرج عن جبين والد الشاعر ، فأهري ليجث عنه في التراب وهيهات ان يجده ، فقد غيبه التراب الى الابد وودائع التراب لا ترد - وقضى على جماله وسنائه . في هذا البيت استطاع شقيق المألوف ان يصور عمق لوعته ، وشدة جزعه على اخيه الراحل ، اصدق تصوير وادقه ، وان ينقل شعوره هذا الى قارنه بطريقة مؤثرة جداً . وهذه مزجة لا تحبها الا لدى الشاعر المطبوع على الشاعرية .

وشقيق المألوف شاعر مطبوع ، ما في هذا ريب ، ويدلنا على ذلك ما له من نتاج شعري منشور في كتب خاصة ، او في الصحف . ولا غرابة ، فقد نشأ شقيق في بيئة تقو حبش الادب وتنفح الشعر عابثاً . فهو ثاني ثلاثة اخوة شعراء ،

لا نعرف شيئاً عربياً اجتمع فيه مثلهم ، واخواه الاخوان هما : فوزي المألوف ، ورياض المألوف . والاول شاعر ملاذيا الصاد بالشعر البعري ، والثاني شاعر تعرفه المجال الادبية في الشرق والغرب ، بدواويته الشعرية الطريفة ، بالعربية والفرنسية والانجليزية . واما ابوه فهو الاديب المؤرخ الاستاذ عيسى اسكندر المألوف ، شيخ المؤرخين العرب في العصر الحاضر . وخاله ميشال وقصر ايضاً شاعران مشهوران ، والاول منهما هو الذي انشأ « العصابة الاندلسية » في البرازيل . فعني كما نرى بيئة شعرية خالصة من كل اطرافها .

ولد شقيق في زحلة بلبنان سنة ١٩٠٥ ، وتثقف تحت رعاية ابيه العلامة ، واشغل بالصحافة مدة . وقد سبقه اخواه اسكندر وفوزي الى الغربة ، ثم لحق بهما الى البرازيل حوالي سنة ١٩٢٧ حيث انصرف الى التجارة ، ولكنه استمر على الانتاج الادبي الذي كان قد بدأه في الوطن . فلما انشأ خاله ميشال « العصابة الاندلسية » انضم اليها ، واستمر على مناصرتها ورعايتها ، وهو اليوم رئيسها وممولها .

في سنة ١٩٢٦ كان قد ظهر لشقيق ، في لبنان ، ديوان شعري صغير ، عنوانه « الاحلام » هو باكورة انتاجه . وهذا الديوان يحتوي على قصيدة خيالية ذات ثلاثة فصول - او ثلاثة احلام - تتألف كلها من ستة وعشرين نشيداً ، في مئة وتسعة ومائتين بيتاً .

كان شقيق حينما نظم هذه الاناشيد ما يزال في اول مراحل الشباب . ولذلك ليس غريباً ان نقول انها كانت خيالات فتى لم ينضج بعد ، ولم تنضج افكاره وخيالاته ، غير انه قد كان فيها اشراق غير قليل من شاعرية تتقدم نحو الطوع .

لقد كانت ملائ بالثام والم ، لانهما كانت تعبيراً عن حيرة الشاعر في مستهل حياة الشباب . قلبه مشبع بالمثل العليا التي تلقها في الكتب ، ومعهم في عظات المذربين في البيت والمدرسة والكنيسة . وكما خياله غنياً بها ، ولكن الحياة تصدمه دائماً بمخالفاتها المرة القاسية ، وتثبت له بكل برهان ان المثل العليا

او هام في اخيلة الاحلام ، وسطور على صفحات الكتب - يكتبها في الغالب اناس لا يؤمنون بها - وليست سطوراً حقيقية ثابتة على صفحات الحياة . ولكم يعني اصطدام المثل العليا بمخالفات الحياة على النفوس البضة فيبدل من سيرة اصحابها تبديلاً قد يؤدي الى

نتائج سيئة ، او يصم حياتهم بالتجهم والام المستعرة ، لانه يولد عندهم عتداً نفسية مؤلمة . ولذلك نرى في صلاة الشاعر قبل نهاية « الاحلام » في النشيد السادس والشرين : تعبيراً عن آله الصارخ من الحياة والوجود ، فهو مخاطب ربه قائلاً :

الهي ، سألتك تدعيم هذا الوجود وتطيسه يديك
سألتك خلق الشرور ، فلا خفت الشرور على قديمك ؟
أأنت ترمي في الحياة جورماً تفرح اعمالهم ناظرينك ؟
فأنت الوجود ، وخدم اليك والا فيا رب غذي اليك !

انها غضبة غلام يعتقد ان في استطاعته تبديل الكون ، وتغيير نواويس الحياة ، بحسب ارادته وطبقاً لبادئته ومثله العليا ، فاذا لم يتمكن من ذلك ، فهو ينقم على الدنيا وما فيها ، ويريد هلاكها ، او ... او هلاكه هو نفسه ان لم يكن يمكن هلاك الكون كله .

ثم ان الشاعر الشاب يريد ان يعرف كل شي . عن الحياة وعمها وراء الحياة ولكنه لا يصل الى ما يريد ، وهو اذ يرى نفسه ما يزال مدججاً في ظلمات حيرته ، لا يتأذى بذكر الموت كثيراً في اناشيد ينظر منها الام

دراسات في الادب المهجري

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhr.com

الأسود، ويحاول أن يجد لنفسه غزاء في الموت لأنه شيء لا بد منه وما أذكر الفير لو لم أجد فيه مرثاً نورائه من قرون نبزاه في القراب جندودي وسوف ابزاه بعد حين فسلكتي قيد باع، وصحني صخور تصد القلبيز دوني

اما في المهجر فقد نظم شقيق قصيدة جديدة دعاها «عبر» اطلق فيها العنان لحاله القوي، وسكب فيها من روح الشاعر التي بدأت تضجها . وقد اشتهرت هذه القصيدة في الأوساط الادبية، وبها تبدأ شهرة شقيق الماعوف الشعرية الحقيقية، لانها عمل ادبي في تشييز بكثير من الجمال والنضوج الفكري والخيالي .

ولسنا نحاول الآن ان نستعرض هذه القصيدة او نتعرض لما بالتقدم، لان الشاعر قد عاد اليها منذ حين بالتفتح والتهديز، فغير فيها وزاد عليها عدداً من الاناشيد، وابتدأها للطبعة الثانية، ولا نشارك في انه قد استأن في ذلك الى جانب رأيه الشخصي - بالأآراء والملاحظات التي ابداها له التقاد بعد ظهور طبعها الاوّل .

غير اننا نذكر ههنا ان الشاعر، في هذه المطولة الشعرية، قد اجال خياله في ديار الجبن في عبقر، فعاد يسرد في قصيدته ما اطلمه عليه شيطانه هناك من دنياوات تروج بالثار والمعاريت والامور المدهشة الهجية . وقد ادب به ذلك الى ان يحاط بين عبر - مدينة الجبن - وبين الجحيم في بعض المواقع منها .

وفي هذه القصيدة نلمح كثيراً من آثار السردالة التي والقشاشم التي لمستها في الاحلام، فما يزال الشاعر سيحاط بالمال والجاه والديم، كالذي يقوله في حديث العرافة الماثبة .

وددت يا غادر، لو انني اطلقت نملاني لا يثني عليك فيريدك، ولكنني

اخشى على النملان من غدرك في نابه السم كان وصاد في صدرك فليس هذا الصل بالافصوان بل انت يا انسان فانرجع الى وكرك

وكذلك نلمح كثيراً من الثقة على سنن الحياة، ونظم الكون الاسكبر، كالذي يصفه من «ثورة البغايا» في الجحيم .

مد خلع الله علينا للتل وشهوة ملحة جامحة ون لسا بطاعة الله ونج بنا بالاضلع الراجفة ثرنا عليه حينما سامنا قد حشد اللذات قدعنا افني بأن نقوم في ربنا هو الذي اذنب في خلقتنا وهنا نعود من جديد الى مزية التصوير التي يجيدها الشاعر كثيراً،

والى موسيقية التعبير التي يتبعها، وهذه القصيدة في مجموعها ابز دليل عليها، وقد رأينا الكثير من امثلتها فيما قدمنا منها، ونضيف الآن امثلة اخرى. فبن ذلك قول الشاعر في «عبر» نفسها .

كأس اللس الحمر، من صاغها ورد الزهور اصباغها اكلم الموت رأى اكوشاً ملاثة، حاول افراغها؟ والحب، هل حين انقضى عيده ظل يدوي في الدجى عوده؟ ام مات الطير، فأتت على مناسقر الطير اغاريدته؟

وكذلك في «اغنية الجنية» من المطولة عينها .

ويحي، من يسبح في النهم؟ اسكلمنا اسلقت على مصصى روح، فغربت اليها نسي غصت ... فلم اقبل ولم أضم الا عنفاً في عدم؟

وانتسبع اليه في قصيدة اخرى من غير المطولة، وهي قصيدته التي بعنوان «سامي البريد» . حيث يقول :

خلف التوافد اجفان مشوقة اليه، تحقن من وحد وتهديد كقبة من قم الشاق يسلمها على يديه، ويجدما الى الفيد باسماها باسماوات ترونها على الشفاء بلا من، وتنفيد كم وجه امعجوز ان يبرز لها لم يبق من اثر فيه لتجديد كان كل غلاف منك متلفف باين الى صدر ذلك الاممشدود

وهكذا نستطيع ان نلخص مزايا الطابع الشعري لدى شقيق الماعوف بآثار التصوير، وبالجمال الصورة، وموسيقية التصوير ورواشته .

رياض الماعوف

لم يكن من المتفطر ان يكون لرياض الماعوف فصل خاص من هذه الدراسات المهجرية، فكأنه بين شعراء لبنان المقيمين، ولولا ان المصادفة المحضة شاءت له ان يعيش في المهجر ردهاً من الزمن على غير اختيار منه، وان ينضم الى رابطة ادباء العرب في البرازيل، وهي «العصبة الاندلسية» التي انشأها خاله المرحوم ميشال الماعوف، ويرأسها الآن اخوه شقيق الماعوف، ولولا ان هذه السنوات الثلاث التي قضاها في المهجر مرغماً قد تركت في شعره اثرأ يميزه عن شعره الذي ظهر قبل سفره الى اميركا في ديوانه الاول «الاولى المتقطعة» .

اما المصادفة المحضة التي قضت بان ينضم رياض الماعوف الى شعراء المهجر الاميركي، فهي انه قد غادر الشرق في عام ١٩٣٨ قاصداً الى باريوس ونيويورك لاجل التزعة، ولشاهدة العرض الذي اقيم في نيويورك اذ ذاك . وقد طالت سياحته قليلاً الى ان

أدركته الحرب فقطعت عليه سبيل العودة الى بلاده ، فاضطر الى السفر الى البرازيل حيث يقيم اخوانه الثلاثة : اسكندر وشفيق وادمون ، والى الاقامة بينهم ريثما تتجلى النعمة عن وجه العالم . وكان وصوله الى البرازيل في تشرين الاول من سنة ١٩٣٩ . وقد شادت الصدقة ايضاً ان يطول امد الحرب فطول معها اقامة رياض في اميركا الجنوبية، حيث عرفته صحفها وانديتها الادبية ، فانتخب عضواً في المجمع العلمي البرازيلي في ريو دي جانيرو، وفي نادي القلم الدولي (Pen Club) وحيث نشر بعض المؤلفات بالفونسية والعربية ، وحننها بعض الرسوم من قلمه ايضاً ، الى جانب رسوم اخرى لرسمين غريبن .

وما دامت المصادفة قد شادت فصاحب رياض احد شعراء المهجر ، فلا بد له اذن من دراسة خاصة مع شعراء المهجر . ففي الواقع ان بين شعره المطبوع في المهجر ، وشعره المطبوع في الوطن فرقاً ملحوظاً ؛ لا شك في انه من تأثير اختلاف البيئة ، كما هو نتيجة لتطور الشاعرية واستمراؤها ونضوجها .

وها انا الآن ، وانا اتأهب لكتابة هذا الفصل عن شعر رياض المعلوم ، امامي من مؤلفاته ثلاثة : احدها مطبوع في مصر عام ١٩٣٣ ، وهو « الاوتار المتقطعة » ، والثاني مطبوع في البرازيل عام ١٩٤٥ ، وهو « خيالات » ، واما الثالث فترجم عن الفرنسية الى الانكليزية ، ومطبوع في الارجنتين عام ١٩٦٧ ، وهو « خيالات » . وهذه الدواوين كلها تدل على ذوق فني لطيف ، وعناية بالادب والفن كبيرة .

اما الديوان الاول المطبوع في مصر ، فهو باكورة انتاج رياض وهو لذلك يدل على عدم نضوج الشاعرية عنده ، كما يدل على ان رياضاً كان اذ ذاك يحاول ان يجري في شعره على نهج اخيه المرحوم فوزي ، الذي كانت شهرته الادبية تملأ دنيا الضاد ، ففي الديوان روح فوزي المتشائمة ، ولكن ليس فيه شعر فوزي المتين الناصع ، وحبكته الجلية ، وفيه اشياء من ألم فوزي ، ولكن ليس فيه لطف خياله ، وحرارة دمعه ، وفيه محاولة لتنويع الشعر وزركشته ، ولكنها غير مكتملة لعناصر الطيرية ، وعلى الرغم من ترقوق الكثير من ابائنا ، ولطف موسيقاه .

ولعل اجمل ما في هذا الديوان ، البيت التالي ، وهو :
وغناء الصداح ما هو الا زفرة من حشاشة الصداح
ثم البيت الاخير من الديوان ، وهو .
رغم دمري ، ورغم تقطيع اوتاري شأشؤ ، ورغم حطم الرباب

على انه لا بد لنا من الاشارة الى تقدمه الديوان ، فعباراتها وابائنا تدل على احساس لطيف ، وحنان كثير ، وهي « الى التي حملت معي صليب العذاب في طريق الحياة الوعة بصبر وتضحية ، اقدم اوتاري والخلي » ، ثم يضيف اليها الايات التالية .

ولدتني وسقتني دمهـا والحياة
فشفاهي ليس تنسيني اسمها للسياح
عنرت عيني بدمعي رسمها طلي قاي
تلك امي ؟

اما ديوانه الآخر « خيالات » المطبوع في البرازيل عام ١٩٤٥ ، فهو اذل من الاول على روح رياض ، وعلى طابعه الادبي ، فقد تجرأ فيه من محاربة التأثر بطرائق سواء ، وانطلق على سجيته ، ولكنه حاول ان يجعل لشعره طابعاً عربي الروح والمهجة ، وان يكن عربي الالفاظ . لذلك لا غرابة في ان يكون تأثره واعجاباً بما نقرأه بلغات الغرب ، اكثر من تأثره واعجاباً بشعره العربي ، فهو في شعره اقدر على مسايرة روح الغرب ، واقرّب منه على المحافظة على روح الشرق وطابعه .

شعر رياض من النوع الوجداني الغنائي في الغالب ، ومقطوعاته يعتمد فيها القصر والامسات الحاطفة ، ويظهر ان العروض العربية تُعسر عليه التعبير بسرعة واقتضاب كما يشاء . اما بلغات الغرب ، وبطريقة الشعر الموسر ، فهو يصل الى غايته بأيسر سبيل ، واجل بيان (خذوا هذه الخيالات الى عازقة » من ديوانه « خيالات » ، حيث يجاهد العازقة بقوله .

لعبت انا ملك الرشقة بالقلوب والبيانه
اطرافها حمر كأن بكل لغة جمانه
فاستطقت لسن البيانه بالباقة والبيانه
هي في تنفها الطروب كعناز غرد بيانه
ويجفلك الشادي هزار منشد دون استكانه

انك لن تطمئن الى سلامة التعبير وسلاسته وجماله ههنا ، كما تطمئن اليه وتستهذهبه في عبارته الانكليزية ، من كتابه « غيوم » في قطعة قريبة من معنى هذه القصيدة .

One could have felt
That there dwelt
Ten nightingales
In the ten fingers
Of the orchestra conductor

وترجمتها « ان المرء ليشعر بأن عشرة بلابل تقيم في اصابع قائد الاوركسترا العشرة » . وهو معنى غاية في اللطف والابداع ، يدل على حس مرهف ، بارع الالتفاتة . وكما تستعذب هذه اللمسة الناعمة ، وتعجب بهذه الالتفاتة البارة ، تستعذب كذلك كثيراً من

امثالها في ديوان «غيوم» في لفته الانكليزية. خذ مثلاً القطعة التالية:
In the veins
Of these violin strings
Flows, quivers and sings
The blood of innocent
Nightingales
Martyrs of their love's lament

التي ترجمها بتالي «في شرايين اوتار الكسجة هذه ، تسيل
وتترعش وتغني دماء عائدل بريئة ، شهيدة التفجع على جها .
وكذلك الحاضرة التالية عن اشجار الحريف .

All these denuded trees
Are
The harem
Of the autumn

وترجمتها «كل هذه الاشجار الرأيا ، هن حريم الحريف» :
From a grain of sand
You can understand
All the desert's mysteries

وترجمتها : «من حبة الرمل ، يمكنك ان تدرك كل اسرار
الصحراء» .

وكما نجد الشاعر بارعاً في خطراته ، ناعماً في لمساته السريعة في
هذا الديوان ، كذلك نجد عنده كثيراً من التشابه والتعابير اللطيفة
العذبة . كقوله في وصف البحر :

Is not
The ocean
The firm mirror
Of the horizon ?

ومعناه : «البحر المحيط هو مرآة الأفق الباطلة» وفي
وصف الظل :

O ... Shadow
Darkness visible
Charcoal that the sun
Has not yet
Consumed
Dark purple wine
Of the night
Spumed
In the cup of day I...

ومعناه : «ايها الظل ، ايها الظلام الشفاف ، وا ايها الفحم
الذي لم تنتهه الشمس بعد ، وا نبيذ الليالي الارجواني الداكن ،
المسكوب في ققد النهار» .

اما الصفة التالية على شعر رياض ، فهي انه عاطفي غنائي ، في
الغالب ، كما قدمنا فللحب فيه المكانة الاولى ، والتزلزل فيه يكاد
لا يتقيد بمجود ، فقد يصل احياناً الى شيء من الاباحية ، كما في
قصائده التالية : «عاصفة الحب» ، و«من ذكريات باريس» و«ليلة
الاحد» ، و«ليالي المرافع» ، وغيرها من ديوانه «خيالات» ،
وعدد من قصائد ديوانه «غيوم» . ونحن لا نتوقف عند هذه الناحية

من الشعر ، لان لنا رأياً في شعر الحب لا يرضي اصحاب هذا النوع
من الكلام المنظوم ، الذي يراه له ان يكون فناً من فنون الشعر
وهو في رأينا قد اقتصم اقصاً على الادب والفن والشعر . لذلك
سنسمر عنه لنتنظر في التواخي الاخرى من شعر رياض المألوف في
في ديوانه «خيالات» . واود ههنا ان اذكر ان فيه عدداً من القصائد
الجلية ، التي جمعت بين جمال الخيال ، وحسن التعبير ، وصدق
الاحساس . واول هذه القصائد واجودها شاعرية هي قصيدة
«المصدور» لانها احسنها تصويراً ، واعمقها تأثراً ، وهي كذلك
اطوعها على قلم الشاعر نظماً . وفيها يقول الشاعر في وصف المصدور .

هو يعيش والموت في خطواته عاثر الخط بانتظار حياته
شاحباً يائساً ، حزناً كئيباً واجتضار السرور في حياته
ويريد الكلام والداء يابن نائراً صدره على شكله
ككلها هاج صدره يسعال اطعم الموت لقمته من رفاقه
رثة كالفقر ، والتحل فيها مرض نامش خلايا حياته

ثم تأتي قصيدته بعنوان «الذكرى العاشرة» وهي مدعمة بذكرها
على قبر اخيه المرحوم فوزي في الذكرى العاشرة لوفاته ، وفيها
جزء اصيل ، ولوعة صادقة ، ولا سيما في قوله :

لبنان يا ملأ ان تود البه من بعد التروح
اكنك هذي الحفرة السوداء يا نسر الطموح ؟ !

وفي اللحن قصيدتان عن لبنان ، اوحى بها الى الشاعر طيف
الوطن النائي ، وهما من شعر الحنين الجليل ، احدهما بعنوان «لبنان»
والاخرى بعنوان «هل يا ترى نعود» وفي هذه الاخيرة يقول :

كم سحت في المصور ما غرني منظر
فيلدي المبحور وكوخي الاخضر
احلى من القصور والذهب الاصفر
هل يا ترى نعود
اليك يا لبنان ؟ !

هذا هو رياض المألوف كما رأيته في ما لدي من دواوينه . واود
قبل ان اختم هذا الحديث ان اذكر ان له غير هذه عدداً آخر من
المؤلفات باللغات الغربية . فله كتاب بعنوان «تلاوين» نشره في
باريس سنة ١٩٣٨ ، وقصائد بالفرنسية طبعت في الارجلتين بعنوان
«جبات رمال» و«الفراشات البيضاء» كما اود ان اذكر ان ديوانه
«غيوم» - وهو مجموعة خطرات قصيرة متنوعة - كان قد وضعه في
الاحل بالفرنسية ونشره في الجزائر سنة ١٩٤٣ ثم ترجمه الى الانكليزية
ج. ت. وسدلر . اما في العربية فلم يصدر له حتى الآن سوى «اوتار
المتقطعة» و«خيالات» ، وقد اعتدنا عليها في هذه الالامة العابرة.

سُرني الدردو عيسى ابراهيم الناعوري

نظرات في نقد الفن

بفلم نعم الدبره عودي



في امرين. ١ - عدم وجود نماذج مثالية «Standardized models» تقاس بموجبها القطع الفنية .

٢ - اختلاف الاذواق وتباين النزعات في الحكم على الاعمال الفنية بالإضافة الى صعوبة وجود التجرد التام . ومع هذا فان نقد الفن يجد ذاته فن قائم بنفسه ويلتف حوله كثير من الاختصاصيين الماهرين الذين لم يتوصلوا الى هذا المستوى العالمي من الاختصاص الا بعد ان مارسوا بانفسهم تلك الفنون لاعوام كثيرة .

ومن الجدير بالذكر ان النقاد على الرغم من سعة اطلاعهم وصحة ذوقهم كثيراً ما يصيدون حكمهم على قطع فنية عظيمة دون ان يعيروها الوقت الكافي فيكون حكمهم بالنتيجة غير دقيق . وان هذه النتيجة المؤسفة هي التي دعت الناقد البريطاني كلايف بل «Clive Bell» الى ان يكتب مقالا في مجلة الفنون الانكليزية حول هذا الموضوع بعنوان : « مهلاً ايها الناقد Festina Lent »^(١) يحلل فيه الاخطاء الجسيمة التي يرتكبها الناقد ويعزز كلامه بكثير من الامثلة ، ويتخلص رأيه في ان نقاد الفن على الرغم من ادعائهم بعدم التسرع في الحكم على القطع الفنية كثيراً ما يقتفون اخطاء كبيرة يجرون فيها على الفنانين غير مدرسين ان بعض القطع الفنية يمكن تذوقها من اول النظرة بوجهها الناقد منحوها في حين ان البعض الآخر يستحيل ادراك مواهبها الجال فيها والاحاطة بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

beta.sakhr.com

هذا الموضوع بعنوان : « مهلاً ايها الناقد Festina Lent »^(١) يحلل فيه الاخطاء الجسيمة التي يرتكبها الناقد ويعزز كلامه بكثير من الامثلة ، ويتخلص رأيه في ان نقاد الفن على الرغم من ادعائهم بعدم التسرع في الحكم على القطع الفنية كثيراً ما يقتفون اخطاء كبيرة يجرون فيها على الفنانين غير مدرسين ان بعض القطع الفنية يمكن تذوقها من اول النظرة بوجهها الناقد منحوها في حين ان البعض الآخر يستحيل ادراك مواهبها الجال فيها والاحاطة بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

اللون والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

كيفية يجرون فيها على الفنانين غير مدرسين ان بعض القطع الفنية يمكن تذوقها من اول النظرة بوجهها الناقد منحوها في حين ان البعض الآخر يستحيل ادراك مواهبها الجال فيها والاحاطة بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

اللون والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

اللون والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

اللون والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

اللون والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

اللون والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

اللون والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

اللون والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

اللون والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

بالافكار التي اوحى للفنان ان يجعل قطعها هذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

اللون والحطوط ما لم يحل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

عبرة نقد الفن تعني بصورة عامة عملية فحص الروائع الفنية ودراستها دراسة دقيقة للتمييز بين الحسن والردي ، بين الابداع والتقليد وبين البدع الضحلة التي لا يضي على وجودها مدة حتى تبدأ بالخفاويين اعماق العبقرية التي لا تجف ولا تنضب .

تلك هي غاية نقد الفن وهي غاية سامية ترمي الى انصاف اصحاب النبوغ والمهارة وازهار مواطن الجلال في روايتهم ، كما انه في الوقت ذاته يصح النقد سيقاً يسلط على رقاب الذين يحشرون انفسهم مع الفنانين وهم ابعد ما يكونون عنهم .

وفي مسألة التمييز بين الحسن والردي يعترض الناقد البريطاني « كلايف بل » صاحب كتاب « تاريخ الفن » حيث يقول « عسى بعض الكتاب بين الفعاليات الفنية فيجملون منها الحسن والردي ، في حين ان هناك حقيقة لا مرد لها وهي ان الشيء اما ان يكون فناً اولاً شيء ، وحيثما يوجد الفن يوجد الجمال وحيثما يوجد الجمال يتفني وجود القبح والرداءة^(١) .

المهارة في نقد الفن

تعدر إيجاد مقاييس عامة لمعرفة المدى الذي تبلغه الروائع الفنية من الكمال هو الذي جعل مسألة نقد الفن من الامور الصعبة . ويطعننا الاديب الفرنسي اندريه جيد على رأيه في هذا الخصوص فيقول « ان نقد الفن من اخطر انواع الكتابة ولم يُجد في هذا الباب الا التذر القليل من الكتاب ، ومهما اتخذ الناقد من الحيلة والحذر فلا بد ان تجد له زلة هنا وهفوة هناك^(٢) » ومن الممكن حصر الاسباب التي تجعل النجاح في نقد الفن عسيراً

The Arts (Number 2) editid by D. S. Taylor. Pu- (١)
blished L. Humphries - London.

André Gide : The Lesson of Poussin نقس المصدر (٢)

Clive Bell - Gently Hussying نقس المصدر (٣)

تحمسه عندهذا الجدل يتعداه الى اعتبار كل فرد بقنني اثر الاسلاف ويسير على اساليبهم عدواً لدوداً ورجعياً يجب القضاء عليه .

وفي الحقيقة ان هذه الظاهرة لا تخرج عن كونها من الحواس الذي يرافق الشباب ويسوقهم نحو التجدد في كل شي . بغض النظر عن ماهية ذلك التجدد ان كانت متجهة للاحسن ام للاسوأ . وما ان تضي على هذا الشاب الناقد بضع سنين يكتبب خلالها نضوحاً وروانة تدعاه ان يميل الى الاثران وعدم التسرع وحشيشه يشعر بان هناك اسباباً تدعو الى التوفيق بين التزوع الى التجدد والحفاظة على القديم .

قاعدتان مهمتان

بعض الكتب قاعدتين اساسيتين في نقد الفن ويؤكدون ضرورة مراعاتها عند القيام بمهمة النقد . وهاتان القاعدتان هما اولاً : وحدة التاريخ البشري والحضارة البشرية . ثانياً : قصور الوسط الفني عن بلوغ الكمال ، اذ لكل وسط (Medium) صفاته الطبيعية التي لا يمكنه ان يتعداها . ومثل على ذلك النحت الذي يتخذ من الحشب والصخر وسطاً ليعبر عن تجربته في نحت جسم جميل جذاب فتراه يقف مكتوف الايدي اذا ما اراد ان يضع في تمثاله تلك الصفات التي تتميز بها الاجسام الحية وذلك لان الحشب لا يصغر صفات طبيعية يعجز الفنان مهما اوتي من مهارة ومقدرة ان ينضخ النظر عن وجودها . وكذلك الحال مع الاطيان الموسيقية فهي لا تخرج عن كونها اصوات وانغام جميلة مهما اراد الموسيقي ان يجمل منها تقليداً لبعض الظواهر الطبيعية مثل العاصفة وخبر المياه وغير ذلك .

اما ما يخص القاعدة الاولى - وحدة الحضارة البشرية - فهو اذا اردنا ان نبداً علمنا في نقد بعض القطع التي تعود لاحد الفنانين علينا اولاً ان نضعه في المحل الذي يحتله من تلك الحلقات المتصلة التي يتكون من مجسومها تاريخ البشر والحضارة البشرية دون ان تقطع علينا روائعها فتجذب عنا ما قدمه من قبله احيال الفنانين الذين اغدقوا عليه من ملكاتهم الفنية ماسهل عليه مهمة النبوغ ومهد له سبيل المهارة . نعم ، لا ينكر ان هناك بعض الفنانين ممن استطاعوا بما يشتمون به من مواهب ان يأتوا بضروب من الحلق والابداع لم تسبق اليه مهارة فنان الا ان ذلك مما باغ من الرقي فلا بد ان جذوره تمتد بعيداً في الماضي . ومثل على ذلك ما قام به موسيقارو القرن الثامن عشر من الاعمال العظيمة التي يرجع الفضل اليها في تهيمد السبيل للتطور الذي بلغته الموسيقى ، كما ان هؤلاء قد اظهروا من الحلق والمهارة في عزف الاغان البسيطة ما جعلهم يحدون اتجاهات

ويصادف بعض الاحيان ان مقالاً يحمره احد النقاد بكفي لرفع قيمة احد الفنانين الى درجة لم يتصورها من قبل . وان الكاتب والناقد البريطاني « ماك كول » صاحب كتاب « ما هو الفن » قد اولى عنايته لهذا الموضوع وافرد له فصلاً في كتابه حمل فيه شخصيات النقاد وقسمهم الى اقسام^(١) . وفيما يلي خلاصة لآرائه بهذا الشأن .

يوجد نوعان من نقاد الفن ، النوع الاول ويمكننا ان نطلق عليه كلمة « مراسلين » وهؤلاء لا هم لهم سوى حشر الصحف والمجلات بكلمات فارغة معسولة عن المعارض التي يحضرونها نيابة عن الصحف والمجلات التي يرأسونها ومعظم هؤلاء يفتقرون الى المعرفة التي تؤهلهم لنقد القطع الفنية . فاذا ما عرضت عليهم قطع تجمع في طابعها على الفن القديم وان جادتهم في معروضات الفن المعاصر اجابوك بقول اما ينطوي على عدم الاكتراث او يمن في الادراك . والمديد .

وفي الحقيقة ان الفنانين ارفع من ان يتخذوا كبخاضة مبتذلة حتى يكال لهم المديد او الذم من قبل النقاد حسداً بقلبه عليهم اذواقهم واهواؤهم . اما النوع الثاني من النقاد فهم من يملك المعرفة الكافية والاطلاع الواسع في شؤون الفن الى درجة يحق لهم ولوج الموضوع بحرية تامة . الا انهم الى جانب تلك المؤاملات مندفعون بمامل الانحياز لهذا الجانب او لذلك . ولهذا فان الفنانين يفتقرون مقاماً شديداً لافتقارهم الى التزامه وان لا يظهروا في نقدهم طابعاً لهم من القطع ويجعلونها هدفاً لصب معلوماتهم كأنه لا فرق بين الروائع الفنية والمواد الاولى التافهة .

عمر الناقد واثره

عامل الزمن يثبت نفسه في موضوع نقد الفن بصورة جليلة لا تشوبها شائبة ، فالانسان - كما هو معلوم - يتطور بتقدم الزمن ويرافق تطوره الجسمي تطور اكثر اهمية واثراً في حسياته وذلك التطور هو الذي يجري على افكاره وعقليته وميوله . فالتجارب الحية التي تصادف تجعله يحور من افكاره التي اكتسبها خلال حياته فيبدلها تباً لنوع الشخصية التي استقر عليها بعد تجاربه الكثيرة وتفكيره المتواصل في الحياة وقيمتها المختلفة . فالناقد حينما يكون شاباً في مقتبل العمر لا يتوانى عن اعتبار كل حركة فنية حديثة غاية مقدسة يجب المحافظة عليها ولا يدق

D. S. Mac Col - What is Art - Pelican Books, 1940 (١)
PP. 270 - 271

نجوى

وأسرح في السهول
اختلاج ظلال الشجر
أحياناً سامقة ...
وازحف على الصخور
همسات العيون
آهات عبر بحيري ...
جدف بعيداً يا زورقي
لن أعود ...
جدف بعيداً
حطمت شواطئ بحيري
واحترق شراعي
لا في ... لن أعود ...
سأبقى في الغابات
شرودا ...

ربما علمي

ألحان شجية ...
والشمس خجلى
وشاح الغروب أمواج على عينيها
تسعى وراء الللال ...
وأما أنا ففي الوادي
أنين الجداول الساقية
وفوق الروابي
نأي الارز ...
وعلى أفنان الزيتون الوقور
نغم الشحارير المتأرجحة ...
وفي الفضاء العاري
تتألم الاجراس الساجدة ...
فأهمل في أحلام الخيال
لأنني قد ضللت

وعلى الراية الحدياء
وقفت
ومددت يدي الى الهواء
ألمم ...
أعانق البخور المتصاعد
من مفاور الانبياء ...
آبت راحتي الي
متهمة بالحرقة الشفيف
يخنو على قلبي الصادي
وهناك يسكن بحيرة ...
وأنا نشوى على شواطئها
وزورقي هيان في عرضها
واحلامي تجدف
والأمي تنسج شبكاً ...
والشحارير تودع المساء

ARCHIVE
http://Archive.khrit.com

ومن الجدير بالذكر ان التأكيد في عصرنا هذا على الاصاله في الفن هو المسؤول عن كثير من التديني وكثير من الامراض التي انتابتها لان البعض منهم يندفع وراء هذه الغاية الى درجة تجعلهم لا يكتفون بأبسط قواعد الذوق السليم مع العلم ان انفراد الفنان بشخصية خاصة تتميز عن غيره لا يحصل عن طريق الصدفة او بواسطة نبد التقاليد والشذوذ عن المؤلف ، لا سيما وان عظماء الفنانين لم يبلغوا الدرجة التي ارتقوا اليها من النبوغ والعبقريه الا بعد ان الماوا بروائع الاقدمين واحاطوا بكافة اساليبهم

نجم الربيع هودي

بفرد

جديدة في الموسيقى ، تلك الاتجاهات التي اصبحت مألوفة لدى عامة الناس الى درجة جعلتهم يتقبلون بصدر رحب روائع بيتهوفن ومفونياته . ولا شك في ان تذوق الناس لبيتهوفن يعتمد على نبوغه وعبقريته بقدر ما يعتمد على الدور الذي لعبه من سبقة من الموسيقيين الذين هذبوا افواق الناس وجعلوهم يقدرون ويتذوقون الموسيقى الراقية وان هذا المثل بتغيير الوسط الفني ينطبق على كافة انواع الفعاليات الفنية .

ولهذا فن الواجب على الناقد ان لا يتسرع في الحكم على اصالة احد الفنانين من مجرد النظر الى قطعه توحى له بوجود هذه الصفة ، ما لم يتحقق من عدم وجود ما يائنها في روائع الاقدمين ،

الى العرفة ليغلق نوافذها ، وكنا لا نزال في فراشنا .
وكان يبدو عليه انه مريض ، اطراف مرتعدة ، ووجه شاحب ، وخطر متارب .

— ماذا بك يا سكاتر ؟ — برئسي صداد .

— اذن يحسن ان ترقد في فراشك . — كلا ، انا معافى .

— قلت لك اذهب الى الفراش وسأراك فيه بعد ارتداء ملابسى .
فرغت من ارتداء ملابسى ، وتولت الى القاعة فوجدته في ملابسه جالساً بجوار النار بادياً عليه المرض والاعيا . قد قدرت انه مصاب بحمى « الانفلوزا » وكانت سنه لا تتجاوز التاسعة .

قلت له : اصعد الى مخدعك ، فانت مريض .

* فاجابنى : ولكنى لا اشكو ألماً .

ضغطت عليه حتى رضخ لامرئى وصعد الى مخدعه واستدعيت الطبيب . جاء الطبيب وقاس درجة حرارته وقال انها درجتان بعد المائتين ترك ادوية ثلاث مع ارشادات لتعاطيها ، دواء ، خفض للحرارة ، وآخر مطهر ، والثالث للتغلب على الحموضة لان جراثيم الانفلوزا — كما يقول — لا تعيش الا في الحموضة . وكأنه يعرف كل شي . عن « الانفلوزا » .

قال الطبيب انه ليس غث ما يدعى الى القلق طالما لم تزد درجة حرارة الصبي عن الاربعة بعد المائة . فهناك وباء خفيف منتشر ، وليس من خطر اذا وقيت الرئة وابتعدنا عنها مضاعفات المرض .

وبعد ان ودعت الطبيب عند الباب الخارجى عدت الى مخدع الصبي المريض ودونت درجة حرارته ، وموعد اعطائه الادوية المختلفة ، وقلت له :

— هل تريدنى ان اقرأ لك ؟

— كما تشاء .

قال ذلك في ارتخاء وصوت متكسر . رقد مشرد ذهنه كأنه لا يعنيه من الامر شي . فنظرت اليه فوجدت وجهه زاد شحوباً ، وقد تناثرت أسفل عينيه بقع داكنة . وبدالى جلياً انه فقد الصلة بما يدور حوله ، او على الاقل فقد الاهتمام بما يدور حوله .

قرأت له من كتاب « القرصان » بصوت مسرور ، ولكنى تبينت — بعد قليل — انه

لا يتبع ما اقرأ فساته . — كيف انت الآن ؟ — لا بأس بي .
جلست على مؤخرة الفراش واخذت اقرأ لنفسى حتى يحين موعد اعطائه الدواء . الثانى وقد توقعت نومه ، وكان يبدو لى ان هذا امر طبيعى ولكنى وجدته ينظر الى مؤخرة الفراش وقد غت نظراته على الوشة والاستغراب .

— لماذا لا تنام ؟ وسأوقظك عندما يحين وقت اخذ الدواء .

— أفضل ان اظل مستيقظاً .

وترث برهة ثم قال : أبى ؟ انت غير ملازم ان تبقى معى ، وقد يؤذيك الانتظار او يموتك عن اعمالك ، اوعلى الاقل قد يضجرك .

— لا شي . من هذا القليل ، فهو عليك .

— كلا ، سيكون الامر هكذا بعد قليل .

ادهشنى قوله هذا ، وحسبته فقد السيطرة على عييه بعض الشيء .

اعطيته الدواء . الثانى في الحادية عشرة ،

وانصرفت تاركاً اياه لفترة من الوقت .

وكان اليوم مشرقاً بارداً ، والجليد يغطي كل شي . ، الارض الغراء ، وسطوح المنازل ،

والاشجار فأغراني هذا الطقس الجميل

بالخروج للصيد . فاصططبت الكلب

الارلندي الصغير وخرجت لجولة قصيرة .

اخذنا الطريق المغضى الى النبع

المتجمد ، وكان السير فيه خطر لزلزلة

سطحه فتزحلق الكلب اكثر من مرة ، ووقمت على الارض

مرتين . وبعد قليل لحث سريين من الطيور فأطلقت بندقتى ،

فقتلت طائرين ، وكان علينا ان نعود مبكرين ، والطيور تطير

مل . اجنحتها ، فكنا بين امرين : العدو السريع للحاق بها او التمكن

من اصابتها ، وبين التثبت في السير على الجليد الزلق . فكانت

رياضة لذيدة مع اى اخطاء المهدف مراراً ، ولكنى عدت مسروراً

موفوراً ، وكان سيدي وثباً يتنفس كل عرق في باحلمة القوية .

عدت الى البيت ، وقيل لى : ان الصبي يأبى ان يدخل عليه

احد ، فقصدت غرفته وطرقت الباب فجاءنى صوته متخافلاً

كأنه صدى صوت بعيد ، وفهمت منه

انه يرفض دخولى . ففتحت الباب

ودخلت فوجدته على الحال الذى

تركه بها ، محدقاً في مؤخرة الفراش .



لورنس هينغواي

ترجمها عن الانكليزية

والتميز في النشر

ليسانسيه في الفلسفة

ARCHIVE
http://ArcheWebSite.Sakhril.com





الاريب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوها شهر
كانون الثاني (يناير)
تقدم قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الاجنتين ٥٠ ريالاً

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعل
في الخارج : ١٥ جنيه مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اعل



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

•
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•
ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ - ٩٢ Direct. : 92 - 47
المقر : ٣٧ - ٤٨ Dele. : 48 - 37 }

•
صاحب المجلة ورئيس تحريرها : الير اريب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

قست درجة حرارته فسانتي في لقفة : كم هي ؟

- درجتان واربعة اعشار الدرجة بعد المائة .

قال - كانت درجتين بعد المائة .

- من قال هذا ؟ - الطبيب ، لم يقل هذا ؟

- بلى ، ولكن ليس في هذا ما ينبغي . بسوء وليس ثمت ما يدعو

الى القتلى . - است قلقاً ، ولكن افكاري تذهب كل مذهب .

- لا تفكر ، ودع الامور تجري في أعنتها ، ولا يهولك

الامر ، انما انقلوننا .

- اجل ! - قال هذا ، وكان يبدو جلياً انه يخفي امرأ في

اعماقه ، وقد عكس وجهه وصوته تأثير هذا الامر .

- خذ هذا الدواء مع قليل من الماء .

- هل تحسبه فقيراً ؟ - ما في ذلك ريب .

جلست واخذت اقرأ في كتاب «القرصان» في صوت مسسوع ،

ولكنني وجدت انه غير متنب لما اقرأ . فامسكت عن القراءة ،

واقبعت الكتاب جانباً ، وصممت على ان انتزع منه سره واعرف

حقيقة امره ، فسألته . - ماذا دهاك يا بني ؟ - كم تبقى لاموت .

- تموت ! ان قوت ، ماذا دهاك ؟ قل .

- أجل ، سأموت ، فقد صممتك تقول ثلاث درجات بعد المائة .

- ولكن لا يموت الانسان اذا ارتفعت درجة حرارته الى

هذا المقدار ، دعك من هذه الحماقة والرعونية .

- ولكنني اعرف انه اذا وصلت درجة حرارة الانسان الى

هذا المقدار ، فهو مقضي عليه لا محالة ، فقد اخبرني صبي فرنسي ان

الانسان لا يعيش اذا زادت درجة حرارته عن الاربعة والاربعين .

وتقول اني لن اموت ؟

كان متوقفاً الموت اليوم كله ، منذ ان اخبره الطبيب عن درجة

حرارته . فصحت به : يا بني المسكين ، لن تموت ، فهذا مقياس

حرارة يختلف عن المقياس المعتد عندنا ، فمست مقياسان لدرجة

الحرارة ، مثل الاميال والكيلومترات . هذا القياس الانجليزي

الدرجة السوية فيه غمان وتسون ، وذلك فرنسي درجة السوية

سبع وثلاثون . - هل انت واثق مما تقول ؟

- كل الثقة ، فمثل ذلك مثل الاميال والكيلومترات . - آه !

ارتحت نظرتي الى مؤخرة الفراش تدريجياً ، وارتحت سيطرته

على نفسه آخر الامر . وفي اليوم التالي اخذ منه المرض ، وصارت

تثيره الاشياء التافهة .

ولم يبق منقربوس

القاهرة

مدارس بيت المقدس ومعاهدها

في العهد الفاطمي ٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م ٥٦٧ هـ - ١١٧١ م

بنو احمد سامع الخادري

عيد الكلية العربية بالقدس

تتبع

الآن الى العصر الفاطمي فنقول من المعامير الفاطميين

استولوا على فلسطين وسوريا سنة ٣٦٠هـ - ٩٧٠ م

وقد تركوا لنا في بيت المقدس دار علم وبهاستان ومكتبة .

كلمة عن دور العلم في الاسلام

ان محبة الكتب والحرص عليها والتنافس في اقتنائها والتفنن في تجليدها وزخرفتها ، وبذل الكثير من المال والجهد في سبيلها قديم في الاسلام ، فقد اسس خالد بن يزيد بن معاوية مكتبة ، كما اسس الرشيد والمأمون دار حكمة او خزنة حكمة او بيت حكمة* في بغداد . وقد جاء في ابن خلكان ان يعقوب بن كاس الوزير الفاطمي كان يوزع الف دينار على العلماء كل شهر (ج ٢ - ٣٢) وقد قام الحاكم بأمر الله الفاطمي بأفسس دار الحكمة او دار العلم في القاهرة سنة ٣٩٥هـ - ١٠٠٤م في القسم الشمالي من قصره . وبما لا ريب فيه انه كان لدار العلم هذه فروع كما يستدل

* راجع الاديب عددي آذار ونيسان ١٩٤٩ .

* بيت كلمة سامية معناها محل السكن (حكمة) بالبريانية معناها الفلسفة . وكانت الفلسفة تشمل (الفلسفة والطب والرياضيات والطبيبات وغيرها ، وقد اطلق هرون الرشيد على مؤسسته اسم بيت الحكمة . وفي نسخة عهد من الرسول لاهل غرنا ، ذكر الحبيب الرابع وانه من بيت الحكمة (مجموعة الآباء الثوريين المجلد ١٣ ص ٦٠١) . وفي تاريخ ابن العربي ص ٢٦٦ ان المأمون ثبت بني شاذلي في بيت الحكمة .

من رواية المقرئ (الحطوط ٤ - ص ٢٢٦) و«كان لداعي الدعاة نواب في سائر البلاد يجتمعون في مكان يقال له دار العلم» .

ودور العلم هذه معاهد علمية ، اشبه بالاندية الثقافية او الاكاديميات وهي اكثر من دور كتب ، وهذا ابن كثير يعتبر دار العلم احدثية ، ولولا اننا نصيب كبير من الصحة . وكانت مراكز ثبت الثقافة وتلقى فيها المحاضرات ، وتنتشر منها العلوم ، وترتب فيها المناظرات والمساجلات بين العلماء ، والاداباء ، والفقهاء . وقد انتشرت دور العلم هذه في القرن الرابع الهجري - العاشر ميلادي - في العراق وايران ثم اقتبسها الفاطميون وعموها في مصر والشام . وجعلوها مراكز هامة لثب الثقافة الدينية على المذهب الشيعي كما شجعوا فيها دراسة العلوم ونشروا منها الدعوة الشيعية .

وقد جاء في كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لمتذكر عدد منها تأسس في هذا القرن ولعل اشهرها دار العلم الفاطمية في القاهرة .

فن الذين اسسوا دور العلم في العراق ونجد ايران الفقيه الموصلي جعفر بن محمد بن حمدان ٣٢٣هـ - ٩٣٥م فقد انشأ في بلدة الموصل دار علم ، وجعل فيها خزنة كتب من جميع العلوم وفقاً على كل طالب علم ولا يمنع احد من دخولها . فاذا جاءها غريب يطلب الادب وكان معسراً اعطاه ورقاً . وكان ابن حمدان يجلس

ذكر ذلك في شذرات الذهب (ج ٤ - ١٥٨) .

وقد وصفها لنا المقرئ في خطاطه وصفاً بديعاً في الجزر . الثاني وسنأتي عليه إذ يعطينا صورة واضحة عن هذه المؤسسة كما يرمي ضوءاً على شبيبتها في هذا القرن وما بعده في العواصم الإسلامية الكبرى . وقد استمرت دار العلم هذه الى ان ايطها الافضل امير الجيوش نزاع حدث بين الفقهاء ، ثم اعيد فتحها تحت اسم دار العلم الجديدة سنة ٥١٧ هـ وظلت عامرة حتى زوال الدولة الفاطمية وقدم السلطان صلاح الدين سنة ٥٩٧ هـ - ١١٧١ م .

ويقول المقرئ في خطاطه : « قال الامير المختار عز الملك محمد بن عبدالله المسيحي في يوم السبت العاشر من جمادى الاخرى سنة ٣٨٥ هـ فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء ، وحملت الكتب اليها من خزانة القصور الممورة ودخل الناس اليها ونسخ كل من التمس نسخ شي . مما فيها ما التمس وكذلك من رأى قراءة شي . مما فيها ، وجلس فيها القراء ، والمستمعون واصحاب النحو ، واللغة ، والاطباء ، بعد ان فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع ابوابها وبمراستها السطور واقام لها قوام ، وخدام وقراشون وغيرهم رسوماً بمخدمتها وحفل في هذه الدار من خزانة امير المؤمنين الحاكم بالاسم الله من الكتب التي امر بجمعها اليها من سائر العلوم والادب ، والمخطوطات المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعاً لآحاد فقط ، من الملوك ، وادب ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم بمن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان ذلك من الحسنات الماثورة ايضاً التي لم يسع بمثلها من اجراء الزرق الى من رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره ، وحضرها الناس على طبقاتهم فبهم عن يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق والحابر .

« وفي سنة ٤٠٣ هـ ١٠١٢ م احضر جماعة من دار العلم من اهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء وجماعة من الاطباء الى حجرة الحاكم بامر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفراد للناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بامر الله امامه في فسطاط مصر على عدة مواضع ، وختمها كتاباً ثبت على يد قاضي القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الازهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ، ويكون العشر وثمن الشر لدار الحكمة وما يحتاج اليه في كل سنة من العين المغربي ٢٥٧ ديناراً .

فما ويجمع اليه الناس فيسلي عليهم من شعره وشعر غيره ثم يسلي الحكايات المستطابة وطرفاً من الفقه وما يتعلق به (الارشاد لياقوت ج ٢ - ٤٢٠) .

واسس القاضي ابن حيان المتوفي سنة ٣٥٤ هـ - ٣٦٥ م في مدينة نيسابور داراً به اسم وخزانة كتب ومساكن للقراء الذين يطلبون العلم واجرى عليهم الارزاق ولم تكن الكتب تمار خارج الخزانة .

كما انشأ ابو علي بن سوار الكاتب احد رجال حاشية عضد الدولة المتوفي ٣٧٢ هـ - ٩٨٢ م دار كتب في مدينة هرمز على شاطئ فارس كما بني داراً أخرى بالبصرة .

واسس ابو نصر سايور وزير بني بويه ٣٨٣ هـ - ٩٩٣ م داراً للعلم في الكرخ غربي بغداد ، ونقل اليها كتباً كثيرة اشتراها وجعلها .

وقد جاء ذكر هذه الدار في حوادث سنة ٣٨٣ هـ في البداية والنهاية لابن كثير اذ قال : هذا الوزير ابتاع داراً في الكرخ وجدد عمارتها ونقل اليها كتباً كثيرة ووقفها على الفقهاء وسماها دار علم واطن ان هذه اول مدرسة وفتت على الفقهاء وكانت قبل النظامية بمدة طويلة . ومنه ترى ان ابن كثير يعتبرها مدرسة بل اول مدرسة وفتت على الفقهاء في الاسلام . ويعود ابن كثير في حوادث سنة ٤١٦ هـ ويقول ان هذا الوزير انشأ سنة ٣٨١ هـ داراً للعلم وجعل فيها كتباً كثيرة ووقف عليها غلة كبيرة فبقيت سبعين سنة ثم احرق عند مجيئ الملك طغرل بك سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٧ م .

اما الشريف الرضي المتوفي سنة ٤٠٦ هـ - ١١١٥ م فقد اتخذ داراً سماها دار العلم (انظر ديوان الشريف ومتر) كما ان الخليفة الفاطمي العزيز بالله والد الحاكم بامر الله ٣٧٨ هـ - ٩٨٨ اشتري داراً بجانب الجامع الازهر وجعلها لحسة وثلاثين من العلماء .

ويرى من هذا ان دور العلم ظهرت اول ما ظهرت في الموصل في اوائل القرن الرابع الهجري ، وانها كانت تترع ترة اديسية فقهية اكثر منها علمية

ولمعد الآن الى دار العلم الفاطمية التي اسسها الحاكم بامر الله في القاهرة سنة ٣٩٥ هـ ١٠٠٤ م . وقد جاء ذكرها في البداية والنهاية لابن كثير ، فقال انه اجلس فيها كثيراً من الفقهاء . ثم هدها بعد ثلاث سنوات وقتل خلقاً كثيراً مما كان فيها من الفقهاء والمحدثين واهل الخير وغير ذلك (انظر حوادث ٤٠٠ هـ) كما جاء .

حنة يذكرون ان فيها قبر حنة ام مريم ثم صارت في الاسلام دار علم قبل ان يملك الفرنج القدس ، ولما ملك الفرنج القدس سنة ٤٩٢ هـ ١٠٩٨ م اعدوها كنيسة ، كما كانت قبل الاسلام ، فلما فتح السلطان القدس ٥٨٣ هـ اعادها مدرسة وفوض تدريسيها ووقفها الى القاضي بهاء الدين بن شداد .

ويستخرج من هذا ان المدرسة الصلاحية التي اسسها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٧ م كانت قبل احتلال الصليبيين سنة ٤٩٢ هـ اي في العهد الفاطمي دار علم ، فاعادها الفرنج كنيسة كما كانت قبل الاسلام .

وقد جاء ذكر هذه المدرسة في صحح الاعشى « قال صاحبه ٧٥٦ هـ - ٨٢١ قال في مسالك الارصاد ، يقال ان بها قبر حنة ام مريم ثم صارت في الاسلام دار علم . فلما فتح السلطان صلاح الدين القدس بني بها مدرسة » .

وجاء تحت بيارستان القدس في كتاب تاريخ البهارستان في الاطلام للذكر احمد عيسى ، ما اوردته ابو الفدا (راجع عقد الجمان الميني مخطوط ٧٢٦ هـ - ٨٥٥ هـ ونهاية الارب للنوري ٦٧٧ هـ - ٧٣٣ هـ في حوادث سنة ٥٨٨ هـ .

ومن القريب مكان لا يذكر القاضي ابن شداد عن هذا المعهد شيئاً مع انه فرض اليه تدريسه ووقفه ، كما ان مجير الدين الحنبلي صاحب الانس الجليل وروى بيت المقدس الحجة لم يذكر عنه شيئاً ايضاً .

وقد راجعنا كتاب (القدس الجديدة) للايوبي فنانست وايبيل ، طبع باريس سنة ١٩٢٦ صفحة ٦٧٢ فوجدناهما يرجعان انها كانت معهداً فاطمياً وان الخليفة الحاكم بامر الله هو الذي انشأها .

اما تاريخ تأسيسها فجهول ولم نعلم حق الآن على أي مصدر ينتهي لنا السبل عن هذا المعهد غير ما ذكرنا آنفاً . والارجح انه كان فرعاً من مؤسسة دار العلم في القاهرة وانه كان مركزاً للدعاية الفاطمية ، ونشر العلوم في فلسطين ، كما كان معهد دار العلم في طرابلس الشام الذي انشأه بنو عمار وخو به الصليبيون سنة ٥٠٣ هـ واهرقوه ، مركزاً للقسم الشمالي من ديار الشام .

بقي لدينا مسألة واحدة نود ان نثيرها وهي لماذا عين السلطان بنفسه ، موقع المدرسة الصلاحية ، في هذا المكان كما رواه مجير

من ذاك ثمن الحصر البغدادي وغيرها لهذه الدار ١٠ دنانير ، ومن ذلك لورق الكتاب يعني التاسع ٩٠ ديناراً ، وللخازن فيها ٤٨ ديناراً وثمن ما ١٢ ديناراً ، ١٥ ديناراً للفراس ، وللورق والحبر والاقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء ١٢ ديناراً ، ولمرمة الستارة دينار ، ولمرمة ما عسى ان يتقطع من الكتب وما عساه يسقط من ورقها ١٢ ديناراً وثمن لبود للفرش في الشتاء ٥ دنانير ، ومن ذلك ثمن طنافس في الشتاء ٤ دنانير .

« واستمر الحال الى ٥١٦ هـ ١١٢٢ م عندما كان رجلاً ان يسمى احدهما بركت والآخر حميد بن مكسي الاطفيحي القصار من جماعة يعرفون بالبدعية ، فاخذوا يتبعون في دار العلم ويفسدون عقول الجماعة ويخرجونهم عن الصواب ، وذلك في ايام الافضل ، فامر باغلاقها والقبض على المذكورين . ثم اخذ الخدام يتوصلون الى الخليفة الاسمر بالحكام الله فتحدث الى الوزير المأمون ، لاعادة فتحها ففتحت ولكن في مكان آخر .

« وظلت كذلك الى ان استولى صلاح الدين على القصر وتولى ابن صورة بيع خزنة الكتب (المخطوط المقريري ج ٢ - ص ٢٥٥) وكانت من عجائب الدنيا ، ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم منها ، ومن عجز عنها انه كان فيها الف ومئتا نسخة من تاريخ الطبري . ويقال انها كانت تشمل على الف وسبعمائة الف كتاب وكان فيها من المخطوطات النادرة الثمينة الكثيرة .

وما يؤيد ذلك ، ان القاضي الفاضل عبد الرحمن بن علي لما انشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة ، وجعل فيها من كتب القصر مئة الف كتاب مجلد . وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في عدة اعوام ، فلو كانت كلها مئة الف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء . انتهى المقريري .

دار العلم في القدس

هي اول معهد علمي اسلامي ببيت المقدس ، انشأها الفاطميون في موقع كنيسة صند حنة (والدة مريم العذراء) ، وزوجع ان الحاكم بامر الله هو منشئها . فقد سبق له واسس دار العلم في القاهرة وهذه فرع منها .

وقد جاء في ابني الفدا المتوفي سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣١ م ما يأتي « وزاد - اي السلطان صلاح الدين - في وقت المدرسة الصلاحية التي عملها في القدس وهذه المدرسة كانت قبل الاسلام تعرف بصند

المعظم عيسى وجعلها زاوية لقراءة القرآن، والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً من جللتها اصلاح المطلق لابي يوسف ابن السكيت وقد وقف بجير الدين الحنبلي على تاريخ وقف الزاوية ١٠٦٠هـ ١٢١٢م ويقول ان هذه الزاوية قد دثرت ولم يبق لها نظام وصارت من المهملات في زمانه القرن التاسع الهجري اي الخامس عشر ميلادي.

ولا نعرف بالضبط من هو مؤسسها ولا تاريخ تأسيسها والذي نعرفه ان من شيوخوا ابا الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي الحلي اعلى الشافعي شيخ المذهب بالشام وصاحب التصانيف مع الزهد والعبادة، سمع الحديث واملى، وحدث واقام بالقدس مدة طويلة بالزاوية المعروفة بالناصرية نسبة له ثم عرفت بالقرالية لاقامة الغزالي بها، ثم قدم دمشق فمكثها وعظم شأنه، ولما قدم القرالي دمشق اجتمع به واستفاد منه. ومن تصانيفه التهذيب وكتاب التقريب وكتاب الفضول، وكتاب الكافي وله شرح متوسط على مختصر شيخه سليمان بن ايوب الرازي، سماه الاشارة، توفي الشيخ نصر سنة ٤٩٠هـ بدمشق ودفن بباب الصغير (الانس الجليل ج ٢٦٤) بالجامع الاموي شمالي مشهد عمان. وكانت له زاوية بدمشق تعرف بالشيخ نصر المقدسي، وانما نسبت للقرالي لانه لما دخل دمشق قصد اخلائها للسياسطية ليسكنها فمفعه الصوفية الذين كانوا بها ومنعوه من الدخول اليها لعدم معرفتهم، فعدل عنها، واقام بهذه الزاوية بالجامع الاموي. ثم عرفوا مقامه ومزنته، فعضروا بأسرهم اليه واعتدروا بما بدر منهم وسألوه النزول بالسياسطية فاجابهم فعرفت الزاوية به. وقد درس بها القرالي. ووقف عليها السلطان صلاح الدين قوية خزم بالوى من حوران.

وترجم الحنبلي صاحب شذرات الذهب لنصر المقدسي (ج ٣- ٣٩٥) وقال عنه انه جمع بغزة، وأمد، وصور والقدس وكان يفتات من غلة تحمل اليه من ارض له بنابلس، وهو في دمشق.

ومن شيخ المدرسة الناصرية بالقدس الامام الغزالي ولد ٤٥٠هـ ١٠٥٨م ١١١١هـ ١٢٠٥م. اشتغل في مبدأ امره بطوس ثم قدم نيسابور واقام بدمشق وانتقل الى القدس مجتهداً في العبادة، واخذ في التصانيف المشهورة في القدس. ويقال انه صنف فيها كتاب احيا. علوم الدين، واقام بالزاوية الناصرية. فسميت بالقرالية نسبة اليه وتوفي بطوس سنة ٥٥٠هـ.

احمد سامح الحادي

* في العدد القادم (في عهد الابوين) .

الدين الحنبلي في الانس الجليل ٩ وجواباً على ذلك، يتلخص في ان السلطان صلاح الدين لما استقر له الامر في مصر، القى دار العلم الحاكيمية هناك وامر ببيع كتبها فبيعت. فليس من الغريب اذن ان يختار السلطان صلاح الدين موقع كنيسة صند حنة بنفسه ليقم عليه مدرسته، ذلك لان هذا الموقع كان قبل تسعين سنة من دخوله القدس دار علم فاطمية، وهو لا يريد ان يبقى اثر الفاطميين فينشئ. عليه مدرسة للفقهاء الشافعي، تعرف بالمدرسة الصلاحية. وقد ظلت هذه المدرسة عامرة من القرن السادس الهجري الى القرن الحادي عشر الهجري اي من الثاني عشر ميلادي الى السابع عشر ثم عادت في القرن التاسع عشر الميلادي فاصبحت مدرسة للرهبان البيض، ثم اعادها جمال باشا في الحرب الاولى ١٩١٤-١٩١٧ مدرسة اسلامية، ولما زالت الدولة العثمانية عن القدس ١٩١٧ عادت مدرسة للرهبان البيض ولا تزال تعرف حتى يومنا هذا بالمدرسة الصلاحية.

واذا كانت نظريتنا هذه صحيحة، ولم يبق لدينا اي دليل لدحضها فان دار العلم هذه ظلت عامرة ما يقرب من قرن الى ان احتل الصليبيون القدس فاعادوها كنيسة كما جاء في ابي الفداء.

البيارستان الفاطمي في القدس
ومن المعاهد الفاطمية الاخرى في القدس البيارستان الفاطمي. وقد وضعه لنا الرحالة الايراني ناصر خسروي في رحلته ١٢٤٧هـ ١٢٤٥م - ١٥٢٤هـ ١٥٢٢م وكان قد زار القدس وشاهده، وقال عنه انه مستشفى عظيم، له اوقاف، توزع فيه الادوية والعقاقير وبه اطباء، وهو يشرف مع مسجد الجمعة اي المسجد الأقصى على وادي جهنم.

اما بجير الدين فيذكر لنا شيئاً عن هذا المعهد. ومن الطريف ان نسجل هنا ان هذا البيارستان سبق البيارستان الصليبي، ولعلمهم استفادوا من نظامه ونسجوا على منواله لما اسسوا بيارستانهم في القدس وهو في موقع كنيسة الدباغة الالمانية، الى شرقي كنيسة القيامة، ويعرف بالبيارستان حتى الآن.

المدرسة الناصرية (النصرية) ثم القرالية بالقدس

وهذه مدرسة اخرى كانت على برج باب الرحمة شرقي الحرم القدسي وتعرف بالمدرسة الناصرية، نسبة للشيخ نصر المقدسي ٤٩١٠هـ - ٤٩٠٠هـ ١٠١٩م - ١٠٩٦م ثم عرفت بالقرالية (الانس الجليل ج ١ - ٢٦٥) نسبة الى ابي حامد الغزالي، ثم انشأها الملك

بوشكين والادب الكلاسيكي الروسي

فلم الكسندر ابولين

مدير معهد « غوركي » للادب العالمي والعضو المراسل لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي

فإن

النقاد الروسي الاكبر*، فيساريون بيلنسكي : « ان الكلام عن بوشكين، كلام عن الادب الروسي كله. ذلك ان بوشكين هو من اولئك العباقرة الخلاقين ، ومن تلك الوجوه التاريخية الكبرى التي تُعدّ المستقبل ، في علمها للحاضر .

كان الادب الروسي ، قبل بوشكين ، يمثل بكتاب كبار ، كلوموتوسوف ، وفونفوزين ، ودرجايفين ، ورايشنشف ، وثمة شعراء مشهورون ككريلوف ، وجو كوفسكي ، وباتيوشكوف ، كانوا معاصرين لبوشكين ، الا انهم كانوا من الجيل السابق .

ان الفضل في ازدهار مواهب بوشكين ازدهاراً لا مثيل له ، عائد الى الثقافة والادب الروسيين ، كما انه عائد الى الثقافة العالمية . فلقد اغنى فكره بكل ما كان في ادب الماضي من ثمين ، وساهم في زيادة محاسن هذا الادب زيادة عظيمة .

ان بوشكين هو اب الادب الروسي الحديث . فقد كانت آثاره تعبيراً رائعاً عن السبل الجديدة لتطور اللغة والآداب الروسية .

ان اكثر ما تتمثل به عظمة العبقرية عند بوشكين هو واقعيته . فقد كان اول شاعر ارتبط بالواقع كمصدر لا بداع الفنان . اثار في مؤلفاته قضايا ذات اهمية اولية كانت تروج المجتمع الروسي التقدمي في ايامه . وقد شهد بعينه مأساة الناس البسطاء الذين كانوا يعيشون في روسيا القيصريّة ، وان في آثاره لصورة لبؤس الفلاحين الروس وشهادة عليه .

كان بوشكين ، في تعبيره عن اكثر الافكار تقدمية في عصره يخدم الشعب ويساعده على شق طريق تحرره .

* احتفل الاتحاد السوفياتي في ٦ حزيران ١٩٥٩ احتفالات رائعة بالذكرى السنوية (١٥٠) ليلاد الشاعر الروسي الكبير الكسندر بوشكين .

وكان ، بين جميع الكتاب ، اول من ادرك ان الادب نتاج قومي . وقد قال نقولا غوغول ، في حياة بوشكين ، « ان اسم بوشكين وحده يبعث في الذهن ، حالا ، فكرة شاعر قومي روسي » . ان الشعب الروسي ، واقته ، وتاريخه ، هي ينبوع الذي عبت منه عبقرية بوشكين الخلاقة .

كان الشاعر الكبير يعمل على ان يكون ابداً في تماس مع الشعب . فكان يدرس عادات الفلاحين ويؤتبه الى الاغاني الريفية ، ويضعي الى اساطير القصاصين الشعبيين ، ويعتق معاني الامثال الروسية . وكان يقول ان دراسة الاغاني القديمة والحكايات الروسية لا بد منها لمعرفة خصائص اللغة الروسية معرفة حقة .

وان الاهتمام الدائم المطرد الزيادة الذي كان الفن الشعبي الشفوي ، ولغة الجماهير ، يشيرانه لدى بوشكين ، لبهان قاطع على مفهومه التقدمي عن العالم ، وعلى المبدأ العميق الواقعية الذي كانت تقوم عليه طريقته الخلاقة .

ان الثقة الانسانية ، وتقدير الحرية ، والطموح الى فن يدنو من الشعب ، هي الصفات المميزة لاتنتاج اكبر الكتاب الروس في عصر بوشكين ، وهي التي جعلت من الادب الروسي ، من بوشكين حتى غوركي ، الادب الاول في العالم . ان الادب الروسي يرفع لواء الحرية والدفاع عن حقوق الجماهير الشعبية ، اعلى ما ترفعه جميع الآداب . وقد ساهم بوشكين باتتجاهه ، في تهتة تطور الادب الكلاسيكي الروسي . وان مثل هذا الشاعر العبقرى الى الطريقة الواقعية الانتقادية ، وعطفه العميق على المحرومين والمضطهدين ، واهتمامه الدائم بالعلاقات بين الملاكين القاريين والفلاحين ، قد جعلت منه السلف الحقيقي لأكثر كتاب القرن الماضي .

لعبت مؤلفات بوشكين دوراً حاسماً في تطور الشعر والنثر

وديوقراطية ، وبساطة ووضوح في التعبير عن أفكاره ومشاعره .
 ان يوشكين ونيكراسوف شاعران عائدان الى عصرين مختلفين
 وظروف اجتماعية مختلفة . ولكنها ، كليهما ، قد برزا في طليعة اكبر
 رجال عصرهما . فاذا كان يوشكين صديقا للثوريين الديسمبريين
 الذين ثاروا ضد الحكم القيصري ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٢٥ ،
 في مدينة سانت بطرسبورغ (ليننغراد اليوم) فلقد كان يوشكين اسوف
 صديقا لكبار الثوريين الديموقراطيين - نقولا كيرنشيفسكي
 ونقولا روبوليوف . ولقد صور يوشكين انتفاضات الفلاحين في
 « روبروفسكي » و « بنت الكابتين » ، وجعل نيكراسوف
 من الثورة الفلاحية موضوع مؤلفاته الكبرى .

لقد كان الحقد على الاستبداد والعبودية النبوع الذي غذى
 شعر يوشكين ، وشعر نيكراسوف . وان مجد الشاعرين لعائد الى
 نضالهما المتأجج الحار في سبيل الحرية . وقد جمع الشاعران ، في
 انتاجهما « بين الروح الوطنية العميقة ، والمشاعر الوجدانية الرفيعة ،
 والفن الشعري الفريد » .

ولقد احدث آثار يوشكين تأثيرها ايضا على غونتشاروف ،
 وتورغينيف ، واوستروفسكي ، ولينون تولستوي ، وتشيكوف ، وغوركي .
 كان مكسيم غوركي (١٨٦٨ - ١٩٣٦) ، الكاتب الشعبي الكبير ،
 ومؤسس الادب الصوفياني ، يحب يوشكين حبا جما . ففي المقالات
 العديدة التي كتبها غوركي عن الشاعر الكبير ، كان يشبهه بالكاتبين
 البعريين سكسبير وغوته . ولقد ذهب غوركي في تقديره ابعد ايضا
 فعنده ان يوشكين ليس فقط في مصاف اكبر عباقرة الادب في
 العالم ، بل انه يحتل المرتبة الاولى بين هؤلاء . الكاتب .

وتوجد في آثار غوركي مواضيع وشخصيات اوحاها اليه ابداع
 يوشكين . قصة غوركي « ماكلر كودرا » ، مثلا ، قريبة كثيرا ،
 في موضوعها ، من قصيدة يوشكين « الذرة » . والاثران ، كلاهما ،
 نشيد في غناء الحرية ، وغناء الانسان القوي الابي . وفي قصة اخرى
 لغوركي ، هي قصة « العجوز ايزرغيل » ، يشعر المؤلف قد استوحى
 قصيدة « الرسول » لبوشكين ، في شخصية دانكو الشهير .

ان الشاعر الكبير قد خلق فنا روسيا قريبا الى فهم الشعب
 وعزيرته على قلبه . ولقد كان نضاله ضد الحكم المطلق والعبودية
 مرتبطا ارتباطا عضويا بما كان يحلم به من تحرير الانسان من كل
 اضطهاد . لهذا يجب الشعب الروسي ويحترم شاعره الكبير الذي
 وقف حياته كلها على الدفاع عن مثل الانسانية العليا .

الكسندر ايفولن

الروسيين . وقد خلق ، في روايته الشعرية « اوجين اونيفين » ، نموذج
 « الرجل النافع » في شخص اونيفين ، وهي شخصية انتشرت في
 الادب الروسي ، على الاثر ، انتشارا واسعا جدا ، حتى عند تشيخوف
 نفسه . وكذلك فان الصورة الشعرية للبراة الروسية التي عرضها
 يوشكين ، لأول مرة ، في شخص الفتاة تاتيانا لارينا ، تجدها على
 الاثر ، في شخصيات كبار الروائيين ، وبالدرجة الاولى ، لدى
 تورغينيف ، وغونتشاروف ، ولينون تولستوي .

ولقد كان الشاعر الروسي الكبير ميخائيل ييرمونتوف (١٨١٤ -
 ١٨٤١) اكثر معاصري يوشكين تقربا من مبادئه الاخلاقية .

برزت شهرة ييرمونتوف عند ظهور قصيدته « موت الشاعر » ،
 تلك القصيدة التي نشرها مخطوطة ، وتناول فيها مصرع يوشكين
 الفاجع . وقد لقيت هذه القصيدة تأييدا اجماعيا من الجماعات الواسعة
 من العالم الروسي التقدمي . ان ييرمونتوف خليفة يوشكين ، ويتمم
 نتاجه الرفيع . وتأثير يوشكين على ييرمونتوف لا جدال فيه . فهو
 ايضا قد استوحى من حياة الشعب فيما انتج . وكانت المواضيع
 الثورية اكثر ما قدره ييرمونتوف في التراث الذي خلفه يوشكين .

ان يوشكين هو الباعث الاول للواقعية الانتقادية التي بلغت
 اوج ازدهارها عند نقولا غوغول (١٨٠٩ - ١٨٥٢) .

وكان غوغول ابدا يعتبر يوشكين استادا له . وقد كان مؤلفات
 الشاعر : « اوجين اونيفين » و « الكونست نازين » و « الباعث »
 و « صانع التوابيت » ، وغيرها تأثير عظيم على الكاتب في الآثار
 التي ابدعها . وكان غوغول نفسه يعترف بالدور الكبير الذي لعبه
 يوشكين في تطوره الادبي . وقد كتب ، حين جاءه نبأ مصرع الشاعر :
 « لقد اخفنت معه جميع متع حياتي ، وكل ما كان عندي اكبر
 لمذااتي . اني ما كنت اقدم على شيء ابدا دون ان استشير . وما
 كنت اكتب سطرًا دون ان اراه امام عيني » .

ومعلوم ان مواضيع اعظم مؤلفات غوغول ، كـ « الفاحص »
 و « الارواح الميتة » كان قد اشار عليه بها يوشكين . وقد تمسك
 غوغول بتقاليد الشاعر البعري الواقعية ، فابعد آثاره الخالدة ، فهو
 مؤسس الواقعية الانتقادية ، هذا التيار الجديد . واكثر تيارات
 الادب الروسي ، في القرن التاسع عشر ، نفعا .

وفي السنوات الستين من القرن الماضي ، ظهر في عالم الادب
 نقولا نيكراسوف (١٧٢١ - ١٧٨١) . انه اكبر شعراء العصر ،
 المتم الكنف لبوشكين ، الشاعر الذي طوّر ، في ظروف جديدة ،
 مزايًا شعر يوشكين الخاصة . من فكر ايدولوجي تقدمي ،

الزهرة الحبيبة

بسم فؤاد الحمري

هذه

جبة من قلبي ، اضعها هنا على ترابي ، واغمرها بفيض دافئ من نفسي .. واهي . كي ازرعها في روضي . ورحلت اسعى في الحماثل ، اسألها اين اغرسها ، فانا اخاف على غرستي من عصف الريح والمطر الكثير . وناديت بلبلًا في اعلى السندبادية اقول له امري ، فقصني ان ازرعها هنا : عند منبع الساقية ، فالما عذب ، والارض سخيفة ، والحريو خفيف ناعم لن يعكرو ليها ، وهي الى ذلك عند نافذتك تراها اي وقت تشاء .
وتستمت : رأيي شديد ساعلم به ، ولكن لا بأس ان امر بعضن الورد عند السياج ، فهو يعرف في هذا الامر أكثر من البلبل ، اذ انه لا ينتقل من مكانه ، اما البلبل فهو من شجرة الى شجرة ، ومن ساقية الى جدول ، لا يعرف من امور الروض الا ان يطعم ، ويقبل ، ويعني ، وورقة الجناح .
ووصلت الى الغصن - وكانت تظهر عليه بوادر الم و كاية وأخبرته سؤلي .

- أتريد ان ترزع هذه الحبة ؟ .. اذكر قصتي ؟ عندما وضعتي على القراب ورحلت تسأل آنذاك الريح والنهر والشجر الباسق ، اذ لم يكن في ذلك الحين روض بعد ، وقالوا : عند الحدود فترعو روضك ، والوزار يشتؤونها معجبين .. انعم اني عند السياج الآن . ولم يكن في وقتها سياج ، فكنت على حدودك القاصية المشرفة على وديان سحيقة قاحلة ، وجاء الريح ليقطفني .
- وقد كنت اعيش في امل رعشات النسم - فصيتني بهذا السياج فلم يرد من عذابي . والمليئة بعد ان نعتت البومة على فرع الثينة ، ثارت عاصفة هوجا ، وهشت جاني .. انظر هذا آثارها .
واطرقت اتأمل .. ولكن لا بد ان ازرع الحبة ولا بد ان اري لها غصونًا واوراقًا واري لها زهرة جميلة .
- وماذا تنوي ان تقول ؟ - اقول لا ترعها ان كنت تحبها ..
- اهذا الرأي هو النصيحة والقرار ؟
- نعم ! بل اكثر عن قرار .

- لا بد ان ازرع الحبة .. وادرت ظهري ايمم البلبل .
- قل لي - يا بلبل - هل ازرعها قرب الساقية ؟
- ازرعها هنا .. - والرياح العاصبة ان مزقتها ؟ اني اخاف عليها .. فهي نفس مني غريزة ..
ازرعها ، وسأغني لها الليل الطويل ، واحميها من الريح ، واطول احرسها من هياج العاصفة ما بقيت ..
- شكرًا - يا بلبل - ولكن كيف لجناحيك الرقيقين ان يتقوما العاصفة الجاحجة ، واصوتك ان ينطلق في الليل البهيم ، ولرعايتك ان تعد في حياتها ، وهذه الارض أصبحت ليلاً داجياً ، ودوار رياح .
- لا تخف سأضفيها بين جنبي كل ليالي ، واطعمها من في ، واحجبها عن حبي ، سأنقل لها الماء من هنا - من قلب القدير - ، واضفي في جيات انتفها من تراب هذه الارض .
- ولكن الليل لا يعبأ بفنائك ورعايتك فهو مظلم كالحقود ، والريح عاصفة كالجحود .
- سأذهب للشمس اغني لها كي لا تغرب ، والريح ، سأبكي للسحاب ان يرد لها عن تراب الحبة .
- قد يرفضوا ، فنقتضي في تلحف الامل .
لقد شعر البلبل بألمي ، ورأى دمة حائرة في جفني .
- سأراها ، املها تمنحنا ما تريد ! .
- لا . لا تذهب ، وقد تضع في منعرجات الطريق فأخسر ك ، واخسر الحبة .. لا تذهب ، ابق الى جاني ..
- لا بد ان اذهب . وينطلق البلبل نحو الشمس .
- إن على الارض ، هناك في دنيا الروض ، حبه لن تعيش الا اذا كان لها نور من دقك ، غريزة على صاحبها ، يحسها نعمة لروحها ، وجئت استعطف ضياك وحرارتك ، ان تبق لي في الليل سميرًا يرعاها لتعيش .. ولكن لا يمكن ان يكون ذلك ، يمر الغروب عليكم وينام الروض في هذا الليل ، في غيابي .
- اتريدين ان يتألم الروض ، وفيه شذا ، وفيه عتي ، وفيه

- سأسكت الريح في ارضها .

- شكراً لك - يا سحاب - ودعني انشد لك نشيد
الرياح الهادئة ..

هذه الهدأة مني بنت الريح المزجر العابس ، وهذا الصفاء من
ثوري الهانئة ، وهذا الكرم في احسان العطاء . من نفع صاحب جبار
لولاه ما جاء على الارض اخضرار او بنيت حياة ، انه الوردة الباهجة ،
انه السندانية الباسقة ، انه الشجر والساقية ، انه الرياض والجمال
والعدوبة في هذه الدنيا . انا الهدوء وانا الضبط . انا الحياة .

ويرجع البلبل المتصر الى الروض فرحاً يفتش عني ، فيجدني عند
الوردة ، اعاتب الريح على قسوته وابكي ، اذ قضت الوردة الكسيرة .
- لا تبكي ، فقد حدثت الشمس والسحاب ، وقد سمعوا
ما طلبت ومنعوني ما اردت .

اشكرك يا بلبل . لقد قدت الوردة ، ان كرم السحاب لم
ينع الريح هنا ان تحطم غصن المسكينة وتدحرج الالهام الى الوادي
صرخات باكية .

ها تزرع الحبة ، وستنت كأحسن ما يكون زرع . وزرعت
الحبة عند الساقية ، زرعتها باحلام من انفاصي ، وبديق حي ، وحبوبها
كل ما في قلبي . وتركها وغنى لها البلبل ، واستجدي حناجر كل
غريد معه ، والساقية الساقية تهمس له كل صبرة وكل نسمة ناعمة ،
والشمس بقضة النور الموعودة من كوتها في الحجاب انهمرت على
ارضها لبث فيها الحياة الدافئة .

وغت الحبة ، ولم كنت ابثها رويحي : في اغصانها ، في اوراقها ،
في كل جذع منها . واصبح لها زهرة تبعق في الروض ، وتنتثر غمامات
الشذا في الريح لينقلها للسحاب ، ومع بقضة النور للشمس وكنت
معها صباح مساء ، اقبلها وادم بيدي عليها فأحس السعادة تتسرب
الى كيانها ان هذه الزهرة سبيل هنائي .

وتر الالام .. وذات مساء ، ناجيتها ، وقاتتها ، وبكيت عند
ساقها ، وذهبت وأرقت حتى الصباح . .

ووقفت الى نافذتي حيث تطل الغني الزهرة . واذا الزهرة ساجدة
على الارض . وانما الريح . رياح الظلام الحقود قد حطمت زهرتي
عند الساقية كما حطمت وردتي عند السراج .

والبلبل !! ناديت ، فاذا هو الى جانب الزهرة يبكي . البلبل
الذي لم تعرف حنجرت الا الشدو والغنا . يبكي على الزهرة المحطمة . ا
تعال يا بلبل لندخل ونغلق نافذتنا : فلن نزرع بعد اليوم حبة .

فؤاد الفري

تساييح في فجرك ، نستقبلك كل يوم عندما تطلين بوجهك الحبيب ،
وننشد اغنية اللقاء . كل صباح عندما تقبلينا ، فتهتر الحركة في داخلنا
ونبدأ نحيا ، فبدونك ركود وفناء .

- ولكن كيف اغير مجرى حياتي ، واطل اطل على الروض كل
يوم ، فلو يعود عندي ظلام ، فتنسوا الفجر واغنيات اللقاء الحبية الي .
- زيد نحن ليلاً في روضنا ، زيد كي نشتاك للفجر الجديد ،
ولقائك الجديد ، ولنلهم الغناء الشجي من نورك . ولكن زيد
للحبة وحدها نوراً - واين تسكن الحبة يا بلبل ؟

- لم تزرعها بعد ، فهي الآن على تراب الارض ، سأغني لك
يا شمس ، وسيعبق الروض شذاً فنبعثه على نسمة غادية ، فتقبلك ،
وتحمل لك همس نشيدي ، وتبشك شذا الروض .

- سأعطي الحبة نوراً ، فأدع كوة في جداري ير منها شعاع
ينهر على البقعة التي تسكنها الحبة .
- شكراً .. ووداعاً يا شمس .

ويقبل البلبل الشمس قبلة حارة ، ويتركها ليذهب للسحاب
ليحدثه في امر الرياح .

- اود ان اكلمك ، ولا استطع ان اصرخ ، فيخرج صوتي
هذا اللوي حولك ، فسمع ما اقول .
ما اقول ..

- ماذا تريد ؟ - اريد ان احثك ! .
- انتظر لاسكت هذه الرياح ، او ارسلها الى مكان آخر .

نعم تكلم .

- انما حبة في الروض الذي يسقيه مطرك ، والذي خضرته
وزهره منك ، وانا احد البلائل فيه ، جئت اسألك ان تبعد الرياح
من بقعة في ارضنا ، وتسكت العواصف في جهة من روضنا .

- لا يمكن ان يكون ذلك - ايها الصغير - اذ هو علي ان
ارسلها بمنحة الى كل صقع ، وما تطلبه يخالف قانون ملكوتي .

- ولكن سيخزن الروض ، ولن يعود للرياح ما تلاقيه في تلك
الارض ويذهب الالم بالحضرة ، والسندانية الطويلة والجمال المورقة
فيغيب الغناء . ولن يظل للريح نشيده العتيق بين اوراق الاشجار ،
وسيفنى انز الريح في الوادي .

- وما هي الحبة التي يود ان يزرعها ؟

- هي حبة من قلبه عاشت معه طويلاً ، غالية لا يعادها في
الحب شي .. ولا تعيش في الريح ؟

- انه يخاف من الريح ان يؤلمها .

الإستنتاج

للأستاذ الإيطالي لويجي كيوان ترجمه عن الإيطالية مصطفى آل عبال ليسانس في الآداب

لويجي كيوان (١٨٣٩ - ١٩١٥) استل حياته الأدبية كصعابي فبرز وصار نقادا بارعا عدلا فهاب صريف قلمه الادباء. ثم استاذ اللسان في جامعة Catania فجلى. وهو يعتبر كرسول او زعيم للدرسة الطبيعية والتحليل النفسي الموضوعي للشخصي في ايطاليا كلها. ألف كثيرا في جميع الحقول وخصوصا في حقل الرواية والاقصصة. ولم ينس بان يكتب للأطفال بلغة صافية لا تعرف التعقيد. كان ذا خيال واسع حي. يصرم النار في كل ما يكتب فينبعث النور ويبهز الانظار وينقل عليه الناس بلغة علم يرجعون من نوره وناره يقبس بشي. لهم السبيل فتقلب وحشته الى انس. وفي اواخر ايامه تنقل عن الزعامة في المدرسة الطبيعية وهجر مذهبه فيها. وشأنه في ذلك شأن كل شأن عبقري ينشد الحقيقة ابنا وجدها لا شير عليه في اعتناق مذهب وتركه آخر ما دام يسمو به. مثله الاعلى. وليس من يحب لعبقريه كيوان انه ابن تلك الجزيرة المسماة بصقلية والتي ظلت تحت سهاها غيبة من العلماء العرب في القرون الحوالي، فتركوا فيها من نورهم وعلمهم وعبقريتهم ما لا يزال ذخرا وراثيا لسكان الجزيرة.



— انا لا اعرف شيئا ياسيدي القاضي .
— كيف لا تعرف شيئا وقد حدث ذلك علي بمدحهم .
خطوة من حانوتك .

— قلت لا اعرف شيئا . اعني اريد ان اقول : تقريباً لا اعرف شيئا . انا رجل حلاق والحلقة زباني كثير مما يجعلني اواصل العمل من الصباح حتى المساء : حلقة ذفن وقص شعر وتشطيق . نحن ثلاثة في الحانوت ومع ذلك لا نجد لنا متسعاً من الوقت لنحشر رؤوسنا وخصوصاً انا من يديهم . ان اكثر الزبائن ، والشكر لهم ، يفضلون يديان تعباً يشعرهم على ايدي زميلي الشاين . وربما هذا التفضيل عائد للنكتة التي اسلمهم بها ، وكما لا يخفى جنانكم فاني طوال النهار مشغول فكيف تريدوني والحالة هذه ان اتبه الى ما يقتضيه غيري خارج حانوتي؟ ولما قرأت جريدة الصباح ووقفت على الخبر حمدت في مكاني مشدوهاً

وقلت : « واسفاه . كان يجب ان ينتهي الامر هكذا كما انتهى » . — ولماذا تقول واسفاه وما يدريك من هذا الامر وكيف كان يجب ان ينتهي ؟

— قلت : « واسفاه . كان يجب ان ينتهي الامر هكذا كما انتهى » . — ولماذا تقول واسفاه وما يدريك من هذا الامر وكيف كان يجب ان ينتهي ؟



يضطاره على خلق ذقنه او قص شعره .

كان بغوه بكل بساطة بهذه الكلمات : « هل تسمح يا صديقي » ثم يتناول الكرسي ويجلس ويتعمم بالصمت ويدخن لفائفه الواحدة تلو الأخرى ويؤزمي ما بين عينيه ويطلقها نصف ساعة او ساعة او اكثر .. كان ذلك في بادئ الامر يزجني . ان بعض الناس كانوا يتهامسون فيما بينهم ويشيعون الاقاويل .

— ما هي هذه الهسات وما هي تلك الاقاويل ؟

— هي همسات تافهة فقط .. سادتكم تدركون احسن مني كم في الناس من رياء . وخيب ، اما انا فقد اتخذت لي نهجاً لا احيد عنه وهو ان لا اصدق حتى حرفاً واحداً من كل ما يقال ان خيراً او شراً . وهي الطريقة المثلى للعيش الهني .

— دعك من الشطط واذكر لنا شيئاً من هذه التقلات .

— تقلات تقلات . ما تقلات . اليوم نستمع الى اشاعة وغداً نسمع بأخرى تناقض الاولى وهكذا دواليك .. وكان المخرى من كل هذه البلبلة ان اتقنع الزوج المسكين بان زوجته .. جنابكم تهيمون .. الزوجة الحسناء الجميلة هي قصاص من الله رب العالمين يتزله على عباده الطالين . اجل يا حضرة القاضي .. ان بعض الامور لا يراها فقط من لا يريد ان يراها بل ..

— اهو اذن الزوج ؟

— اني لا اعرف شيئاً يا حضرة القاضي .. التي يتكلم الي في كل مرة اراه جالساً اما في داخل الحانوت او على الباب اسائل نفسي : ان هذا الانسان لا يرى ولا يفقه شيئاً مما يسدور حوله معناه انه اعمى البصر والبصيرة .

— وهكذا وحسب رأيكم فان « دن نيكازيو » .

— ماذا . كلا يا سيدي ، انا لا اريد ذر الملح والبهار .. شأنه وما يرى ويريد . لكل منا وجدانه . لقد قال السيد المسيح : « لا تناقض احداً اذا كنت لا تحب ان تناقض » .. بالمناصية : في احد الاصباح او الامسيات ... لا اذكر جيداً متى كان ذلك .. بل اتذكر الآن . في صباح احد الايام عندما رأيته وهو يزير مقبلاً ومنكس الرأس ، كنت على الباب اسن الموسى ، دفعتني فضولي الى ان احببته واهزله رأسي علامة الاستفهام عما به . اقترب مني وحدجني بنظرة واجابني : « لم اقل لك بانني عاجلاً او آجلاً سأركب رأسي واقفوق عملاً جنونياً . وسأقوم انا بتنفيذ ذلك يا صديقي . انهم يجرونني جرأ الى ارتكاب ذلك . دعني اقص لك الجبل الذي يجرونك به » ، قلت له مازحاً كي

اسري عنه وأنسيه عزمه .

— اذن أقال لك ؟ .. وفي اي مناسبة فاه امامك بذلك ؟

— كما لا يخفى سيدي القاضي انه مجرد كلام بغوه به المرء احياناً على غير وعي منه . فمن يعيره اهتماماً ؟ وخصوصاً انا ولي عن كل هذا انا شاغل ..

— هيه . قل لنا في اي مناسبة قال لك ذلك ؟

— ربه .. ليسهاني سيدي كي اجمع الي افكاري .. في اي مناسبة . فيما يتعلق بزوجه طبعاً . ومن يدري ربا احد الاشرار اسر له شيئاً في اذنه . يكفي نصف كلمة لتجمل رجلاً مسكيناً تقيساً كهذا على فقد سلامه وامنه .. ها قد شرحت لكم كيف يتلفظ المرء عن غير قصد منه بكلمات مثل هذه : ان عاجلاً او آجلاً سأركب رأسي واقفوق عملاً جنونياً . هذا كل شيء . هذا كل ما اعرفه وسمعت يا سعادة القاضي .

— وانت اجبته على كل ذلك بنكسة فقط ؟

— وهل كان علي ان اجببه : اوتكب ما تريد . لقد غادرتي وهو يزير رأسه . ماذا جال بخاطره بعد ذلك فاهه اعلم . وليس يوسع خاوق ان يعلم ما يجول في قفول الناس . وكنت احياناً انا استمع اليه وهو ينفس عن ذاته . وهل كان ينفس عن ذاته امامك ؟ ..

— اجل كان يفعل ذلك امامي وامام غيري .

— جنانك تقيسون . فالانسان يتجمل اولاً وثانياً واخيراً وحتى لا يتفجر ينفس عن ذاته امام اول انسان يلتقي به .

— سيدي القاضي اني بصفة كوني مزيناً كان في كل مرة يستدعيني .. كنت اذهب غالباً متأخراً وليس الذنب ذنبي .

— ومن المرجح المعلوم كنت تذهب ايضاً عندما يكون هو غائباً . — عدداً . كلا . ابدأ ..

— وعندما كنت تجرد زوجته وحدها كنت تسمح لنفسك بان ..

— هذه فرية يا سيدي القاضي . من قال ذلك ؟ .. هي ؟ ربا فهمت وعن غير قصد مني ببعض الكلمات على سبيل المداعبة . جنابكم تهيمون . لا اكاد اجد نفسي فجأة وجهاً لوجه امام امرأة جميلة حتى .. سادتكم لا يخفكم شيء .. وحتى لا اكون امامها كالابله الاحمق .. كنت تتلفظ بكلمات على سبيل المداعبة واي مداعبة . انك قد هدتها ايضاً ..

— فرية اخرى اكبر من الاولى . ولماذا اهددها . لا حاجة لي الى تهديد امرأة كهذه . لن انخط الى هذا الدرك مثلاً . ولست بالرجل الثر . — في سبيل الحب يرتكب الانسان كثيراً من الحماقات .

«إيها الصديق ها قد اصلحت ما بينك وبين زرجك فرد علي الآن الحاتمة والقرطين». ولان يدعني اكرر عليه الطلب. انه رجل شهيم شريف.

— كنت متوارين ورا، منعتف المر المؤدي الى البيت لتصلصان.
— ومن رأني .. من رأنا ..
— لقد رأوكم .. هيا بنا .. ان من صالحك ان تقنع نفسك
وتعترف لنا بكل شي .. ان المرأة تؤكّد لنا : « كانا اثنين ».
وانها لم تستطع ان تبين الثاني لشدة الظلام ..
— هذا جزء من يغفل الخير .. افر لهذا العالم الموبوء بالشرور.
— اذا كنتا واقفين في المنطف ..
— اعني لقد رافقتك الى هناك فقط. ولما رأيت اني عتبا احوال
ان اثنين عن عزمه ، همت بتخادته مشتماً منه وبدون ان اودعه .
والطريق مغفرة ، همت بتخادته مشتماً منه وبدون ان اودعه .
— ثم ماذا .. هل علي ان اسحب الكلام بالكشف من فيك ؟
— ثم .. جنابكم تعرفون طبعاً اننا في الليل على ضوء المصباح
نرى او لا نرى جيداً .. بالضبط ، ددت ورا ، المنطف ومشيت ..
وتركت دُن نيكازيو وقد اندفع نحو باب بيته القائم على مدخل
المر .. صرخة داوية .. ثم لا شي ..
— طبعاً .. لقد عدت ادراجك وركضت الى مصدر الصيغة .
— طالع بي التردد وانا على العتبة .. كان الظلام شديداً
في (الزاوب) . — هذا غير صحيح . والا فكيف عرفتك على
نور المصباح الخارجي . — كان المصباح بعيداً ..
— لقد دخلنا الواحد ورا . الآخر .. ان غلق الباب
منكما ؟ .. لقد اعلق ورا ، كما بسرعة ..
— .. في تلك اللحظة الخاطفة كان جسمان يتخططان ويلهتان
.. اردت ان اصرخ .. ولكن سمعت بحجم يسقط على الارض
جثة هامدة .. وانتفضت وذعرت عندما احسست بيد تمسك بذراعي
وصوت اجش يقول لي : « انج بنفسك ايها الصديق .. لا ناقة
لك في الامر ولا جل » . وما كان ابعد هذا الصوت عن صوت
آدمي .. وهكذا شاء سوء حظي ان اكون شاهداً لا حيلة لي .
في بادى الامر ظننت بان دن نيكازيو قد قتل زوجه ايضاً . هذه
المرأة العاهر . لقد لاذت بالفرار ونجت بنفسها فدخلت البيت وغلقت
الابواب عليها .. قرأت كل ذلك في الصحف . كان الاجدر بالزوج
ان يبذل بها . يجب انتزاع الاعشاب الضارة من جذورها .. ماذا
تعاون يا سعادة القاضي ؟
— املي ما تقوله انت كشاهد .. وسيقرأ عليك وتوقعه بامك .
— وهل سيلاحظني اذى من جراء ذلك . اني بريء . لقد قلت
ما حملتموني انتم على التفتوه به .. لقد اطيعتم علي بشبكة محكمة

الصنع . ما اغبايني من سمكة .. اني بريء ..
— هذا بقي علي سؤال واحد وربنا كان الامم . كيف تقسر
لنا بان الجروح الميتة في الجاني عليه كانت بالموسى .
— ربه . هذه خدعة ايضاً من دن نيكازيو . دعني اذكرك ..
اجل ان يومين قبل الحادث .. ان الانسان لا يستطيع ان يعي كل
ما يطرأ عليه في يومه او يتوقع ما سيحدث للأخوين .. قصدي
دن نيكازيو في حانوتي وقال لي : « يا صديقي اعزني موسى . برجلي
مسيار يؤمني » . كان هادئاً جداً مما جعلني لم اتردد في تلبية طلبه ولو
لحظة واوصيته : « انبه . لا تمزح مع المسامير . ان المسألة خطيرة .
يكفي قليل من الدم ليحدث لك غفريتنا » . « لا تخف ايها
الصديق » . اجابني مبتسماً ومضى .
— لم نعر على الموسى في مكان الحادث .. فهل تكون
حملته معك .. . انا .. . ومن يدري او يتذكر في تلك اللحظة
الهوجاء . كنت اقرب الى الموت من الحياة يا سعادة القاضي ..
اين تريدون ان تسيروا في هذه الاسئلة .. اني بريء .
— ذلك والاصرار على نفي التهمة عنك . ان اعترافاً صريحاً
بفيدك اكثر من تكرار احتياجك بآبك بريء . ان الادلة واضحة
.. اني افهم بأن الحب يقيم القلوب ويقدها ويسطو على العقول
وشره .. ولكن ..
— هذا صحيح يا خسارة القاضي . تلك العاهر قد ذهبت بلي
وها هي ستعودني الى غياهب السجن .. وكانت كلما اصرت على
الرفض كنت ازداد رغبة بها واشعر بغليان الدم في عروقي . كانت
كانها تضرع النار في كل عضو في وهي تردد كلمة : « لا لا .. »
لقد سبق السيف العذل .. اني لا اريد ان يتعذب انسان آخر من
اجلي .. اجل لقد قتلتها انا .. كنت مسحوراً يا سعادة القاضي ..
سأدخل السجن .. وسأخبره من اذا ساعدني الحظ .. افر للعدل
على هذه الغانية . هي الائمة الوحيدة وسبب كل بلية وشر لن تطاها
يد القانون وستتركها لتعيش بأمان وطأنته .. اقسم لكم
باني سأقيم العدل انا بنفسي متى خرجت .. بيدي هاتين يا سعادة
القاضي . ان افكر بغير ذلك وانا في السجن .. فاذا وجدته على
 قيد الحياة ، ولا يعني ان تكون عجزواً غطاً ، سأقتص منها
وستكفر عن ذنبا بغلي الشن .. وان قالت لي سأستد : « لا
لا .. » سأقول لها : بلي بلي . وسأحسني دماً .. وعندئذ فقط
اعترف توءاً بالحقيقة وادخل السجن مبتسماً واموت فيه راضياً
قريب العين والنفس .
مصطفى آل عبال

ما أنضره وما أباه وما أجل
إشراقه وازدهاء .

رأيت مرة واحدة ، ساعة واحدة ،
وبعد هنيهة تلت فاذا به وقد اختفى
مغيباً بين أطباق القري ، وتلك سريعة
الحياة وستها . وجوه تنجس وأخرى
تبدو والعالم يجتاز في كل يوم مرحلة تحول
ربما إلى خير وربما إلى شر .

أشهدت زهرة بيضاء ، بيضاء ، تنهض
على ساق مشققة مشققة ؟

أرأيت لوحة مصورجلت ريشته صورة
ملك فيه من الطفولة حدائتها وبراءتها .
وفيه من القوة قوتها وحيويتها ، وفيه من
الشيخة فطنتها وحجباها ؟

أأصرت عادة هيفاء يوم عرسها ، جمال
من الحسألقي موهوب ، وفننة من الحمر
مسلوكة ، وقد تيسر في غير محاذ ولا اصطلاح
وحمة تنقد في الوجنتين ، ويدان جلت
قدرة مبدعها ؟

أرأيت شيئاً من هذه جميعاً ؟ لست
أدري .

ولكنني رأيت ما فاق في بياضه كل
ذاك . رأيت وجهاً صوباً لم تدعه البسة
ساعة بدقائقها وثوانيتها ، وجهاً فيه هالة
من تقي الجمال ، عليه تاج من معجزات
الله ، وجهاً كأنما عصرت في دمه عناقيد
زبيب الحب ودار الساقى دورته الأخيرة
ليفرغ الحق في كأس من الصلغم .

رأيت وجهاً هو وجهها ، ليس ببعيد
ولا نقيصة ، واقسم ان عيني ما تحولت عنه
قد جمرت اليه كأنما شدت اليه بأشعة من الضياء
لا تتهزل ولا تتقطع ، وان المرء اذ يرجع

بذهنه القهقري يدرك ان ذلك الملاك كان
يومذاك في ساعة « تجلية » يرسل آخر شعاع
وهاج قبل ان ينطفئ . السراج .

ضحك ذلك الوجه ما شاء . له ان يضحك
وتحدث لسانه ما طالب له ان يتحدث ،
وبالت لآتي فـه ما جاز لها ان تبين ، وتهدل
شعره على الحدين ما شاء . له دلاله ، كأنما
اراد ذلك الوجه ان يبسط حسنه كله بسطاً ،
ويعرض مغائنه كلها عرضاً ، ويقول في تحد:
من ذا يزاحني ، ومن يتدر على منافستي .



مبداء الى روح « كينية »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

العيان ، فيها يريق مستمد من وهج
الخلود وضياها .

الشفتان ، بدعة من بدائع الخلق لا
تنطقان سوى بالحنان من الكلام عذاب .

الشعر ، يزي بخيوط الذهب ويسخر
من صافي البجين ، لانه خليط من صفرة
الذهب وبياض الفضة تكسوه أمواج من
الأضواء المتكسرة تحطف البصر .

الجبه ، عريضة ناصعة ، لم يجزؤ الدهر
على ان يحط عليها حرفاً ، فلا تغضن فيها
ولا ندوب ، كسرت على الدوام اشراقاً

بيهاً ، قلسب الالب وتأسر القلب .

الحدان ، تغطي عليها حرمة محبة ، لا
اثر للضمة فيها ، حرمة رضاب الحياة ذي
النشوة العارمة ، ولكنه رضاب يمت على
القداسة ويطرود افكار السوء .

الانف دقيق دقيق ، انيق انيق ،
كأنما صانته يد صانع صناعات فلا زادت
حيث تقمت الزيادة ، ولا انقصت حيث لا
يرجى النقص ، اين منه أنف « فينوس »
المتقود من الحجارة الصلاد .

ثم ، ثم حيوية دفاقة ، تكتنف الوجه
بأسره ، فضحك في حور ، وبهتر في مسرة ،
ويمل نشوان طروباً ، وتحوّل العيان في
محجربها جولاً سريعة نافذة ، وتنفج
الشفتان عن إبتسامات عذبة معشاة ، ويترسل
الشعر ترسل الشلال في عظمتها ، وتقبل غصله
ميل افنان البستان في مهب ريع الربيع .

هذا الجمال الغاصب المنتصب ، وهذا
الحسن الآخذ الاخاذ ، وهذه الروح الآسرة
الأسيرة ، وهاته الفتنة النائمة المتبقلة ، وهذه
النفس المباهجة السحابة ، وهذه العواطف
المتأججة المتلاطية ، وهذه النظرات
السديدة الطافية ..

هذا الجلال كله ، وهذا الحسن كله ،
وهذه الروح كلها ، وهذه الفتنة كلها ،
وهذه النفس كلها ، وهذه العواطف كلها ،
وهذه النظرات كلها .

والأسفاء ، لقد دفنت هذه جيئاً بيدي .
فنفضت يدي من معجزة ظهرت هنيهة
ثم اخفت ، وخلفت وراءها حشرات
وكذا وقلوباً مكمولة .

القاهرة

وربع فلسطين

عرفت السر

حيبي .. ثم
على قلبي ...
حاصر كرم حمرة الدنيا .. ؟
بأبائي
وقيتنارك

حيبي ثم على قلبي لهجر العالم السفلي
ورقص الجدول الجوان في الغاب بلا عقل ..
وبعث الريح للاموات .. يروون عن الجمل
لقد قامت هنا الاصنام تهدي الضائع القاني
بأوصاب وادرن .. الى عالمنا الثاني ..

سنضي
مثلاً حدث
بهر الموت موجات
جهنم السر
يا قلبي

الى عالمنا الثاني .. ومن عالم أمانك ..
عرفت السر ان السر ان اشرب من حانك ؟
فأت وخذ وهات وخذ خوراً بين اجفانك
سنضي زهرة الوادي ويسكي كل القبان ؟
ولكنني بأوتاري والحاني وخمسين

سأشدر
في تخيلات
وأنتو بين غابات :
عرفت السر
يا قلبي

الى عالمنا الثاني .. وما هيكلتنا السحري . ؟
يقول البحر لا ادري وتهوى النفس ان تدري
ولكنني وان اغمضت عيني فلا أدري ...
وروحني في السما تنو الي ككاشق فان ؟
وأنت روحاً على طين غدت روحاً بلا طين

ومطلقة
بلا قيد
تنتى في سما الملة :
عرفت السر
يا قلبي

عرفت السر ان السر بين الراح والمقله ..
وفي خماره الاحباب تسقيني بلا مهله ..

وسر الكون في شقة وفي تهد وفي قبله ..
فخذ قلبي ونم فيه وأترع كأسني الثاني
فان البحر لا يدري وان النفس لا تدري
بأن السر

في الحمر ..
وفي مضجعتا السحري
وفي تخدين
يا قلبي ..

فيا خلدي وما خلدي ؟ .. سلام انت يا خلدي
ويا ديني وما ديني ؟ .. مدام انت يا ديني
ويا ربي وما ربي ؟ .. حبيب انت يا ربي ..
سأشرب ذا والتم ذا وافني بين الحاني
فان النور يهواني ودن السر في الحان

بسم :
قطرة النور
سأشربها مع الحود
عرفت السر
يا ربي ..

حيبي ثم على قلبي .. بعيدين بعيدين
من الحرب عن العالم عن قبه المساكين .
فيا ويح الضالين .. يطوفون بلا دين ..
ويعشرون كسبدان الى محراب نيران ..
يصلون ، يريغون ، دماً يسجد في الارض

ليتلو
آية الجمل
ويدعو الناس للمقل
وللايمان
يا قلبي

عيونى وقلب هوى ووجه سنا وروح عذاب .
وخرداب في كأس كأن الهمة تنساب ..
عشيق الروح ان الروح في الوادي بعيدرباب ..
أنلني القدح الفضني كالفرودوس نوراني ..
وأترع قلبي الحاني الى مخدعتنا الثاني

سنضي
مثلاً عصفت
رياح النار واندملت
فات الكل
يا قلبي

فر

قلت للبدر .. وكان الليل بالأحلام يغري
وعلى الأفق .. يتهاذى الغم .. كالتائه يسري
أيها السابح في دنياك والأيام تجري ..
آه لو تدرك انت اليوم .. من يشغل عمري
انت من نورك يصحو الزهر في سفع الهضاب
والورود الحلوة البيضاء .. تنو في الروابي ..
انت تبدو أملاً يشرق ما بين الضباب
او كحل ناعم .. يبعث من خلف السحاب
غير اني .. قد وجدت الآن من بعد اغترابي
قرأ غورك .. يهديني .. ويوحى لشبابي
فاذا القيتني اشدو .. وقد انسيت دهري
فانا من حمرة عينيه شربت اليوم خمري
كل من في الارض يلقاك بأحلام المساء
باسم الثغر طروب النفس مبسوح النداء
انت في عرشك من حولك اكوام الضياء
تملاً الدنيا .. فيسمي الكون قنات الورد
وانا عيلاً دنياي .. وهو غلطي ..
قر غورك .. في عينيه حلم الشعراء
كلما لاح .. يهز الحب .. والاحلام صدري
بين اهدابه .. انغمي .. والحناني وشعري
أيها الشارد كالعاشق في الاجواء تسري
ان سحر الليل .. بالأحلام يغري ..
الفا .. ان تعرف الليل من يشغل عمري
انه سري .. فهل يرضيك ان تدرك سري ؟

عبد الكريم السامه

دمس

دنيا شاعر

ما كنت احسب ان يطول تدلحي في مقتليك وان تذوب محجري
او ان يظل الشوق يلهب اضلعي والضة البيضاء شغلة خاطري
او ان تفضل علي في محسومة تلك الثالثة من هلاكك الساحر
او ان تفضل خاطري مسجورة تنفو لبرد من حنانك غامر
او ان تظل الذكريات خوالداً فيها اريج من صباك العاطر

انا يا حبيب لطيب عهدك ذاكر ولئن نسيت ولم تعد بالذاكري
انا من عصرت على عهدك خاقي وسفجته دمعاً يذوب بناظري
انا من احالك في الدني انشودة ستظل في الاسرار سلوى الخائر
فيمين اجال على عيونك فتنة حورا لا تعصف بقلب عائر
أفكلكا ارسلت قلبي آهة منقومة ذهبت حديث السامر
لملت اذيال الدلال وقوضت آمالي الزهراء - نظرة ساخر
ومضيت .. لا ترتني لمن خطبته وهمت : هذا الوهم دنيا شاعر !

ملكة

عبد العزيز الرفاعي

ظل

هكذا يسبح الظلام رؤيا ! ويحف الحنين بين الحنايا !
هكذا ، والربيع أنور ، في قلبي ، ودف الحياة ملء دمايا ،
يؤحف اليأس ، لا أغاني خضراء ، ولا طيب موعد من منايا !
أبلى غير عودة . ذهب الامس ؟ احقاً . وراح حلمي شطاليا ،
ولاشي بدون المدى ، كل شيء . غير ما خلف القلبي من ضحايا ،
أيها الظل ، يا خيال تراب انا ضوأت . فكان سنايا . !
بارخاماً ، من مقلع الموت ، اغدقت عليه الوان وحي عطايا :
أطفئ القدر واضمحلت رغاي فانبض الآن وانفتح في دجاي !
ولكن من موت قلبي قبر لك تحتاه زهر الخطايا .
محمد الرباط

الرابعي

نفث الروح في حشا مزماره فتلتها ارتعاشة في قراره
فتهاذى القطيع عن جانبيه تاركاً خلفه ازدحام غباره
ولحن المزار ترتع في السهم لي وتختال في ذهول فقاره
والمروج الخضر جليبها البه د فلاح تتهافت في مضارة
واحرار الآفاق بالشفق الورد يفرى فؤاده بافتقاره
وسنى الفجر ينتضي من حشا الليل لحناً يضع في متقاره
وانبثاق الصباح من مشرق الارض تباري يختال في انواره
وهو بين القطيع مثل ملك يبتهاذى مكدلاً بفخاره
سار في القفر يرمق الحصب من بعد قسوة الانعام من اكداره
يتلهى بامنيات من الحب عذاب يطعن في افكاره
فيبرز المني بنفخة زممار ترد الشيد قبل انهباره
ويحث الرؤى فتظهر اسراب الصبا يختال في ابصاره

حاملات جرارهن الى العين يزهر الصبا ودنيا بهاره
 راقعات في غرة من شعاع الحسن راحت تشق عن انتظاره
 كاعب توسع الخطى نحو ورد فيه اخرى تنل من اصداره
 وفناة تظل حيرى فلا تسطيع ورداً الى سخي غماره
 وهو يقتات من صباهن حلماً يتعري المدى لدى اسراره
 وصل المرج حيث لاحت من الكرخ كعاب كالبدر فوق مداره
 يشرق البدر من سناها ويبقي عن حياء ينسل طي احراره
 قتلاً النفس بالقوتون فيطنى طافحاً يحصر المني في اساره
 رفع الطرف نحوها وهومنها يتلفى على جهم ناره
 وغدا ذاهاً لا ينطق حلماً قرمزي الالاء عند انتشاره
 وضنن بجمله كبجبل مهوق روحه على ديناره
 ثم ألوى هوى بنفخة زممار تريق التشيد حتى انهاره
 تبعها ارتعاشاً من سكوت تنشر الصمت في رحاب فراره
 ايها الراعي اتبقى شريداً ملقياً صاحب المني لشجاره
 لست انت الوحيد في ذهله العاني ولست الوحيد في تسيره
 كم حزين التقي الى الحلم افتحاراً حيارى تم عن اوطاره
 سار في الارض والاماني قطيع يتهادى كالصبح في اسفاره
 ايها الراعي كلانا حزين يتعلى الشقاء في اقداره

ومس

لحة

يحيش بالنفس شعر يكاد يُليّ علياً
 فيومض الوحي حتى يشع شيئاً فشيئاً
 ويستمد خيالاً رؤاه تومي إلياء
 ويشرق الفكر حتى ارى المثال سوياً
 فتنتشي فيه نفسي وقد تكامل حياء
 وتطمئن اليه منعماً عبقرياً
 ينساب في كلمات تجري على شفتيا
 موقعات رقائق تشع نغماً قوياً
 وهبت للشعر نفسي فكان في اصغريا
 صداد ابراهيم عوبديا

من انت

لم انت نبت ولم تعودي وذريت يا املي عهودي
 وسخرت بللاضي وبالا سال ترخر بالوعودي

وحطمت كأسي فوق آلا ومي واذويت ورودي؟؟
 بالامس كنت هداك في المسرى، اذفك لمن عودي
 اسقيك من دمعي الحنان ومن دمي متع الوجود
 من انت يا اخت الحنا هل انت الا بعض جودي؟
 طليت عمرك بالوفاء وغمرت عمري بالوجود
 من انت إن لم املأ الآفاق بالحمك في نشيدي؟
 واصوغ الحاني فينقلها القريب الى البعيد
 فتفيض في الربوات، في الشطآن، في الافق المديد
 والطير ينهل لحنها ويهم في النعم السعيد
 تهت بالحمك كل اجواني فالك لم تعودي
 من انت من نادى بحسنك عندما ناديت... نودي
 لا يغرنك خلوك الموهوم في العيش الجديد
 انا ربك الخلاق يأتيك خلوك من خلودي
 انا ربك الخلاق، ان اقصد دفعتك للحدود
 وجعلت منك خرافة يلهو بها نم الحسود
 قلني ينفذيك الرضا ان عدت للماضي فمودي
 رودي ونغي فالجاية لنا برب الحب رودي
 انا لست من هولي الدنيا لايش مثلك في القيود
 واقضع الابي حياء في الشقاء، مع العبد
 الشعر يسير بين حدود الناس، يهزأ بالحدود
 عودي اذا شئت وطيري واسعيني في شرودي
 وامضي معي وثابة عجلي حياي في صمودي

كامل العبد الله

البرعم العاري

مهدة الى الاستاذ امين غلة

يا برعماً حبسه تحت غلالة ضاقت، فزقها وراح يزجر
 فحننا عليه الفجر يسكب روحه قبل ان يشع بها الربيع الاكبر
 وانسلت الانسام في عطراته هوجاء تسترق العبير وتثر
 وقرقر النظرات في وثباته سكرى خليعات الدنان تثر
 فيثور محبوس الرغاب الى اليا ويهززه ترف الدلال فيسخر
 يا برعمي - والعمر ملعب لذة نلهو - كما شاء الجمال - ونسمر
 رؤياك زوبعة الضياء على يدي ياتهما قلبي، فينشع عبقر
 وضحية المرجان رحت اضحيا غزل الهوى فأذوب فيا اعصر
 طرف مجنحة النعم شهية عصاء، يسبح في سناها الكوثر

صعدت فيها الروح هائمة المنى
نديان اعتصر الحياة واسكر
طرطوس محمود نعره

غدر مبرهم

سمعنا نغي : - غداً ، نلتقي يا زمان ، ونعرج بالحب كماكانا

سمرا !! قالوا ، انني مغرم ،
قالوا باني عبقرى الهوى ،
انت ، اجل ، انت الشعاع الذي
وانت !! لوتدرين ؟ بوح الشذا
وخفقة القلب ، اذا شاقه
ورقة الهدب ، اذا ما التقي
وهمة النور ، الى زهرة
توشح الانداء اوراقها
سمرا !! قالوا انني شاعر
في ظل هديك ، تراءت دنى
وفي لماك ، الف لون طلي
نظمت من عينيك شعر الصبا
ومن سواد الشعر ، احولة
اصيده ، من بسة عذبة
لا تبعدي عينيك عن ناظري
ففي مدى عينيك ، ارجوحة
ان غبت عن عيني ، فأنت الردى ، او انت احلامي التي احلم
سمرا !! خلينا نلف الدنى
اذ تقفر الدنيا ، ويفنى الورى ،
نحن !! نشيد الحب ، ذوقى معي
صافيتا - اللادنية

الى سيمبرتها

اياها الموقظ في الشيب احلام الشباب
اياها الموقف شمسي في اتصالات التياب
يا لغات الامل المارب عن دنيا التراب
نهت عينك في نفسي احلاماً فدنية
يوم كانت فرح الدنيا ليالينا الثمينه
واغانينا على الافق هدوءاً وسكينه

لوحي بالحسن في عرس الربيع المقبل
واشربي المهجة والاعباد حول الجدول
امسحي بالورد والاطياب وجه الامل
ازرعي الفتنة والاحلام في درب الشباب
قل ان يكتب السفع وتكسد الروابي
ويد الهرم الاثم اشباح الشباب

سلمه نصر

دمشق

دمشق
ضياء ، وحق
وطل وسيف يسل
ترعاب بين يدنا .. الزمان
وشاب الملود ، ورف الختان
فكان الهدى ، وفجر الندى
شراع
ندي الشعاع
يرفضحوكا ، ويرفو
يمز الوجود .. فغروا اليه ،
وطل السجود ، على مقلتيه ،
رفف الامل ، على السمل
دريع
طلق ، وديع
يوج ، فتجا المروج
ترين مفرقا العبقريه ..
بأنفاد ، مهجتها اليعربية
ونحنو عليها ، على مقلتها
ليالي
ورا الخيال
نحوم ، عليها النجوم
ونحرسها للغد ، الارحب
شعاع اقترار المنى الطيب
اليها القواد ، جناح .. وزاد !!

محمد شمس الدين

نصر

بيرة احضان ندم

حدثيني يا زنوبيا عن مجاليك العذاب
حدثيني عن ليالي الانس في دنيا الكعاب
حدثيني عن جلال الامس كم طال ارتياي
حدثيني حديثي انت لا تدري ما بي !!

وتستنهان وميض الشوع
امال.. ولكن ضو الشوع
صدي هامساً في حنايا الضلوع
بفرد
عبر الرزاق عبر الواهر
اما الصباح مضى من رجوع؟
يوت ويبقى السؤال المروع
محال يعود.. وتهمي الدموع
عبر الرزاق عبر الواهر

نظرة منك ..

نظرة .. في انعطافها رقة النجوى، وفي نورها بريق الاماني
ذاب في مقلتي منها شعاع
وجرت في مدافن القلب اعطاراً، وفي وحشة القنوط اغاني
نظرة منك فجرت في شباب النفس درباً لصوت المسجون
وجلت غيمة من الشك عن قلبي، وظللاً من امسيات خزينة
واعادت نور اليقين لقلب
نظرة منك .. اي دنيامن الاخلاص والطفو الرضاو التفاني؟
علمتني ان السعادة ومض
من حنان تسخو به مقتلان
ضل عنه فكروي وعي لساني!
رسيه باسمن
بفرد

اوام

أيا لسات الصبح هي لطيفة
تسقت طيباً تحيياً منك عبقة
نشيت برأ في عروقي كما مشى
هوى كلما شط المزار رأيت
فوادي له ملك، وما من منازع
ولم يتسع الا اليه، كأنه
اذا الليل آواني، وأوت لمضجني
وفي ريفاتي اما جلست بجفل
هو الغاية القصدى التي في قراري
هو الملمه الواحي لقلبي وخطري
فولاد ما انشأت بيتاً، ولم يكن
اذا انحسرت عنها الزوايا رأيتها
اهل عودة لي يا زمان لمربع
وهل نغمة لي من هواه ونغمة
ومن جرة الحسنا، انهل شربة
السفال
كقطع حبيبي، والهيبي بلامبي
كانفاس من خصصتها بفرامي
هو اها، وامسى في دمي وعظامي
كفلي ورائي حاضر، وامامي
لمالكه حتى يحجن حمامي
سرير ملك او قراب حسام
اراه نجحي حاضراً بئامي
يكون نذبي او مزيج مدامي
هو اليسر عندي باقياً وخطامي
وجبريل، نفسي، قلبي، وامامي
هيام القواني الحالداث هيامي
طيور حمام، او بدور حمام
جعلت سريري عنده وخيامي
تكون دوا، ناجحاً لسقامي
ابل بها بعد البعاد اوامي؟
محمد يوسف مفرد

كيف حاربت واخضعت الزمانا ؟!
فرسى الدهر اليك الصولجانا !
ثم.. ملكتك فز الملك شاننا
انت طيف لم يكن قبل فكنا !
هل زهت تدمر في ظلك والظل مديد
اشرقت فيها على الدنيا رؤى منك تريد
ايه والماضي كما شئت زنيبا لا يعود
انت من انت. ؟! القد لاح بكفك الخلود
كلنا وليت وجهي شطر امسي
اطاق الآهة في شجر ويأس
ما مضى حلم بدا في ليل نفسي
وانقضى والدمع عنوان التأسبي
تلك ايامك يا فاتنة الدنيا تاوحي
في هواك الفكر قد مال له قلب جريح
جرحته ذكريات كلما شاء تبوح
شهد الليل بأن الجحد لا يتجوه ربح
انا في حلمي وفي افق هيامي
انا في وهمي وفي دنيا غرامي
شعشت فيه زنونيا كالنم
وضت علما بدا وهماً امامي
دمش
عمر هادي

محال يعود ..

حنانيك نفسي لإلام الانين ؟
ويأتي الصباح وما تبسين
حنانيك ما الانسى لايلين ؟
أأنت التي كنت لا تأسفين
حنانيك انت التي تشكتين ؟
ألم تخبرني انت قهر الشباب ؟
اما تذكرين ولون السحاب
الست التي سمعت قلبي العذاب ؟
الم تركضي انت خلف الراب
اتنسين ؟ ما زال صوت الغراب
حنانيك كم تذرفين الدموع ؟
ير الهزيع .. ويأتي الهزيع
تثاب ليلي وما ترقدين
وتشدو الطيور وما تنصتين
وما لدموعك لا تستكين ؟
وانت التي كنت لا تهدين
وانت أأنت التي تأسين ؟
ألم تحث كفك فيه التراب ؟
خزين يذكركني بالصاب
وجرعتي من دموعي شراب ؟
الم اقف خطوك ؟ يا للذباب
خزيناً يذكركني بالصاب
بكاؤك يا نفس يدمي الضلوع
وعيتاني تسترفان الطلوع

مكتبة الاديب



المثقفين من الشباب ، على الاطلاع عليها
واقترانها يسر تام. ولعل هذه السلسلة تشبه
من حيث هذه الفائدة التي تؤديها والتي
اشرتا اليها ، سلسلة : ماذا اعلم Que sais-je
التي تصدرها باللغة الفرنسية دار الطباعة
الجامعية في فرنسا Presses universitaires

والتي يتولى المساهمة فيها كثير من كبار اساتذة الفلسفة ، امثال
« فيليسيان شاليه » F. Challaie وغيرهم ، غير ان هذه السلسلة
الفرنسية ليست قاصرة على الفلسفة ، وانما تمتداهما الى الفنون والعالم
يا يجب ان ينشا امثاله في اللغة العربية .

اما كتاب « التطور الخالق » L'évolution créatrice فهو من
امهات كتب « برغسون » التي تمثل اتجاهه الحيوي وفكرته في
التطور المغايجي . والقفزات التي يعارض بها الاتجاه المعروف عن
الفلسفة التطورية واتجاهه التدريجي .

ولقد سبق للاستاذين سامي الدروني وعبدالله عبد الدائم ان
عربا كتاب « منبعنا الاخلاق والدين » الذي تجلت فيه فلسفة برغسون
الاخلاقية ، كما ان الاستاذ سامي الدروني قد عرب كتاب الطاقة
الروحية ، وكتب كتابان عرضا في عدد من مجلة الاديب ،
مختصين بالعلوم الانسانية ولالدين عند برغسون ، ويجيى
جهد الاستاذ الكسم فيضيف الى ما صدر عن برغسون ، هذا
الكتاب الذي هو حلقة ضرورية لا بد منها .

ولقد توخى الكسم الدقة في الترجمة في بعض المواضع ، واذكر
منها كلمة Créateur . فالشائع الذائع ، ان تعريبها يكون بكلمة
« مبدع » وعندما ناقشته في الامر اصر على كلمة « الخالق » واستشهد
لذلك بالفلسفة الاسلامية ، وما قاله ان كلمة ابداع تعني خلق شي .
من لا شي ، ، بينما كلمة « خلق » تعني خلق شي . جديد من شي .
موجود ، وهذا هو المتصور منه بالمعنى « البرغسوني » . اما المقدمة
عن حياة برغسون وفلسفته فقد جات شاملة وافيه بالعرض المنشود ،
وقد استعرض فيها مؤلفات برغسون وتكلم بشكل مختصر عن
فكرة كل منها .

ولعل الفصل الاول والثاني هما امتع ما في الكتاب من حيث
قوة العرض وبساطته في وقت واحد ، والفصل الثالث الذي يبحث
عن الطبيعة وصورة العقل ، هو اكثر مشقة وخصيصا لمن لم يأنف
المطالعة الفلسفية من قبل . وهذه الصعوبة تتجلى بشكل واضح في

التطور الخالق

لبرغسون - تلخيص يدع الكسم - دار الفكر العربي - مصر

منذ زمن ليس ببعيد ، اصدرت دار الفكر العربي للطباعة
والنشر في مصر كتاب التطور الخالق ، لهنري برغسون ، وقد حُصه
وعرضه الاستاذ يدع الكسم ، مدرس الفلسفة في تجهيز اللاذقية ،
وهذا الكتاب هو الحلقة الاولى من سلسلة « الكتب الرئيسية في
الفلسفة المعاصرة » التي انتوى الاستاذ الكسم اصدارها بعد ان
هيا عدة حلقات منها ، نذكر على سبيل المثال « دور كاييم » و « بارودي » .
والاستاذ الكسم معروف في اوساط الجامعة المصرية وبين
اساتذتها ويعتبر من القلائل المعدودين الملمين على الفلسفة واتجاهاتها
اطلاعا شاملا ، عدا متابعتها للتيارات المعاصرة ولاحداثها
يصدر عن المؤلفات الفلسفية في الغرب .
وما لا شك فيه ان المكتبة العربية قد استفادت كثيرا من الكتب
الفلسفية وانها بحاجة الى حركة ترجمة واسعة النطاق ، لم تظهر
يشاؤها الا فيا قام به بعض الاساتذة امثال الدكتور عبد الرحمن
بدوي ، والاستاذ سامي الدروني وعبدالله عبد الدائم ومحمد
مندور وغيرهم .

والمشروع الذي بدأه الاستاذ الكسم ليس ترجمة بالمعنى الصحيح ،
وانما هو عرض وتلخيص قد يفضل الترجمة في نواح عديدة اهمها انه
يعرض الاتجاهات الرئيسية في الفلسفة المعاصرة بخطوطها الكبرى
وفي امهات مصادرها ، فيوفر على القارئ مؤونة الدخول في التفاصيل
الدقيقة التي يمكن الاستغناء عنها ، دون ان يفقد شيئا من الجوهر
واب البحث ، اما الفائدة الثانية ، فهي في ان هذا العرض والتلخيص
اسرع من الترجمة التي تتطلب وقتا اوسع مما يمكن معه ان لا يتاح
للمكتبة العربية ان تختار كل هذه الاتجاهات الا بعد ستين طويلة .
ثم ان هذه السلسلة الى جانب كل هذا سهلة المتناول من ناحيتين :
صغر الحجم مما يوفر مطالعة طويلة تصرف في اطلاع على لون آخر
ومظهر جديد من مظاهر الفكر ، ورخص الثمن مما يساعد جماهير

كتاب برعسون نفسه ، مما يجعله صعب المتناول حتى على المتعةين في المطالعة الفلسفية .

والكتاب بصورة عامة جيد ، ونأمل من الأستاذ بديع الكسوم ان يستأنف نشاطه ويتابع سلسلته خدمة للفكر وتيسيراً لسبل المطالعة امام الناشئة المثقفة .

الدوائية
جمال فاروق الشريف

صراع

للاستاذ شاكر خصباك - ١٨٨ صفحة - دار الفكر - القاهرة

(صراع) مجموعة من القصص العراقية اخرجها صديقي الأستاذ شاكر خصباك ، والظاهرة الفنية الاولى التي تلفت نظر الناقد ، عندما يجرب هذا الناقد معرفة موضوعات هذه القصص ، او معرفة اشخاصها ، هي (الواقعية) التي تطبع هذه القصص بطابعها الخاص ، اي قربها من الحياة المحيطة بواقعها ، الحياة اليومية مجازاتها واشخاصها ، احياء العادية التي ينقلها المؤلف عن مجتمعه ، المجتمع العراقي .

واما موضوعات هذه القصص ، وبما ياتي اشخاصها ، فهي مثلاً فتاة غفيرة تجرّها ظروف الرذيلة الى امتهان الرقص والبلع ، كما في قصة (صراع) ، او امرأة تحزن رباطاً الزوجية لاهمال زوجها لها غريباً ، كما في قصته (بداية النهاية) ، او فتاة في سبيل العيش ، كما في قصته (سبيل العيش) ، او طفلة ، هي وحيدة ابويها الموسرين ، تطرد خادمها لانه اساء الى كليها الصغير ، كما في قصته (بري) ، او فتاة انتهت بها الزلل في الاثم الى الموت ، كما في قصته (ثمن الحظيرة) ، او قروي يقتل راقصة بغدادية تطرده من دارها بعد ان تشرب بان دراهم مضيت كما في قصته (خبر في جريدة) وهكذا ؛ فما تبين معه الافاق التي يجول فيها مؤلف هذه القصص ؛ وهي افاق الحياة اليومية يتناولها بأسلوبه القصصي الجليل .

وانا ، اذا اقرر هذه الظاهرة الفنية الاولى لهذا الكتاب ، وهي : واقعية هذه القصص ، لا يفوتني ان اقول فيها ، انها ، في الحقيقة ، لم تهزني ! ! ولست ادري ، ان كان هذا راجعاً اليها ، ام انه يرجع الى استئثار الزمنية في وباحكامي واقرائي ! ! الا انني رايت ، بعد كل شيء ، ان الذي يعطي هذه القصص قيمتها ، انما هو توفير الجانب السيكلوجي لها ، اي حرص مؤلفها فيها على استقصاء تحليل نفسيات ابطاله ! !

بل ان هناك في الكتاب قصصاً ، قد لا يعتبرها القارئ العادي قصصاً ، تقوم فقط على هذا التحليل السيكلوجي : مثل قصة (عجب) التي تصور احلام فقير شجاع من فقراء بغداد ، او قصة (عذاب) التي تصور تأنيب الضيق ، عند اناني قتل نفساً لم ينقدها من الفرق ، او قصة (احلام الشباب) التي تصور اوامهم الشباب وحرركات هذه الاوامهم في انفسهم ، او قصة (بداية النهاية) التي تصور عذاب الجوع الغريزي عند امرأة ، وهكذا ، مما يجلو من طرافة الموضوع او من الحكمة القصصية !!

واما هذه التحليلات السيكلوجية في بقية القصص ، فهي ، في الحقيقة ، الجانب الفني الذي يعطي هذه القصص قيمتها ؛ وهي كثيرة ومتنوعة ، فمثلاً الكتاب : منها مثلاً ، نفسية الابوين الموسرين تجاه وحيدتها وخادمها وكليها ، كما في قصة (بري) ومنها ، نوع هذا التصريف الجندي الذي تجده في قصة (صراع) عندما ترى فاسطة ، وهي غفيرة ، تلجأ كي تشبع فيها الغريزة التلافيفية الى اصطفا طفلاً وسيم لا يفهم من امر الغريزة شيئاً ، لنظمه الى صدرها وتقبله " في لبسة المتفضل " وهكذا من تحليلات تعطي هذه القصص قيمتها الفنية في نظري .

بل ان هذه البنية الفنية - اي كون المؤلف يعني بالتحليل السيكلوجي نفسيات ابطاله اكثر من عنايته باختبار موضوعات قصصه - هذه البنية قد اثرت في اسلوب هذه القصص نفسه ، هذا الاسلوب الذي زاه اسلوباً سهلاً ليناً ، هو اسلوب عرض وتحليل ، اكثر منه اسلوب مفاجآت وعنف .

وعلى كل حال ، فاننا اشير ، في نهاية هذه الكلمة ، الى ان في الكتاب مقدمة قيمة بقلم الأستاذ عبد المجيد لطفي ، لا انسى ان اشكر صديقي الأستاذ شاكر خصباك على اهدائه كتابه هذا الي ، واتاحت لي فرصة التثقل معه هنيهات لذيدة ، في هذه الاجواء العراقية والفلسافية ايضاً ، المتنوعة . .

عزمه الزهبي

القاهرة

الكوميديا البشرية . . .

للاستاذ اكرم فاضل - ١٢٠ صفحة - مطبعة الرشيد - بغداد

تصح ان تسمى حياتنا اليومية بد (الكوميديا البشرية) . فعيننا تتالع كل يوم بل كل لحظة وساعة مناظر دائمة في بؤسها ، مضحكة في اوضاعها . واذا ما خلا الانسان منا الى نفسه ، واستعرض ما مر به ، لظاق بها فكمرة وتأثرت لحوادثها روحه .

ولعل من الصعوبة على المرء ان يسجل كل هذا ، ويتجسسه اذا لم يكن مالمكاً لركة الشاعر ، وبراعة الكاتب ، واسلوب الصافي ، لكي يجمعها ، ويترتب حوادثها ، ويقدمها لنا في معرض الحياة ، ويقوم بتبثيل ادوارها على مسرح الوجود ..

والاستاذ الشاعر الصديق اكرم فاضل من شبابنا المصورين بشعره ، يستمد مادة تصويره من حياة محيطه ومجتمعه وشعبه ، ويعكس ريشته في جراح قلبه ويترجمها بدموع عاطفته ، ويضع ذلك في بوتقة وجدانه ، ويستخلص منها قصائده ويقدمها للناس :
ييدي ريشة فنان بها رسم الظاهر منكم والمخفاء
ومسرح ديوانه مقدم الى ثلاثة فصول :

الفصل الاول : ويحتوي على (٢٧ منظرأ « قصيدة ») والبارزة منها :
الكوميديا البشرية (والحب اقوى من الموت) (وصنم فاجر) :
فيا زمان الجبل وال
ويا لساناً ساكناً
الشعب يندفع بلسان
ظلم متى تروى ؟
مالك لا تقول ؟
نام لسا عتول ؟

(مجمل) :
ايها الماخر في ثرونه
عميت عيناك كم يوسفني
غارداً في الماء لكن ظلاماً
كل شيء طوع كفتك اذا
ايها الناس انظروا سحتته
اين عيناها ما قد غارتا
ان يكن يفتي وهذه حاله
غرق بالية كسوته
لم نفع عيني عليه ضاحكاً
يذرع الارض غاراً ، ركباً
فاذا ادركه الليل اتروى
انا لو كنت عليه حاكماً
وانادي كلما شاهدته :

(مصرع المصلحين) وهي عن لسان الحيوانات :
اذا العيش رافقة واخاء
ان حرية الشعوب ورود
وهناك - طفلة فرحانة (وضحية) و (الصورة الاولى)

و (راقصة) :
. وحيانا هذي منالطه ومن
و (مولد النور) :
سبداها حياة من جديد
ونغي ما غرسنا من جهود

و (القطة) او (دموع البائسين) او (يابوعونه على بذل المحتاجر)
قد شذ عنها عاش رعن شفاء
اذا طالت بنا هذي الحياة
وعند الغلف يتبجح الجناة

و (يتلذذ بتناظر البؤس) و (صباغ الاحذية) و (الشعب) :
نفخ الكرى عن جفنه
شبب نسام حبة
شب برغم قيوده
فإذا استار بوعيه
وصحا على ضوء النهار
كما يكابد في الاسار
كم شج بالشكوى ونار
لا تسألو : كيف استار ؟

اما الفصل الثاني وهو (الرقيات) : وعددها (١١) قصيدة منها (حياة) و (زفرة) و (ضريح الاحياء . بيتي) و (منزل القلاح) ، يحتوي على ثلاث قصائد ، من وهي الرتبة الوطنية سنة ١٩٤٨ (الحبال الشهيد) و (بنت المبغى) و (شهيد المظاهرة الاخيرة) فيها اجمالاً لغزل غداً وغيلة دعاؤك لهي الكفاح وقوت

وقد قدم الديوان الاستاذ القصصي العراقي المعروف ذو النون أيوب . اما الاهداء .. فلم يكن لشخص كبير ، او لزعم خطير ! بل « الى الحبيب الذي اذقني لذة العاسة ، الى الثور العزيز الذي كان يلحس وجهي ، وانا هاجع فوق سريري ليلاً ، في الريف ، اهدي هذا الحوار الموزون » .

ونحن لا نلوم الشاعر ، اذا انه قضى زهرة شبابه بين مختلف الطبقات ، و انواع البيئات ، في المقاهي والملاهي ، والمدارس والمعاهد ، والريف والمدن ، والبيت والسوق ، والانسان والحيوان . منتقلاً هنا وهناك ، ويعتقل عبقريات الحنين ، ويسجل آهات الحزن ، ويتنقد تصرفات الطغاة المتكبرين ويتغنى ببطولة المجاهدين العاملين .

ويؤسري أفئدة المنكوبين من ضحايا المجتمع . لا يفرق بين قصر وكوخ ، طاهر وبغي ، وضع رفيع ، كلهم اخوانه في الانسانية ، والمشار الوطنية ، صريح ، ناقد ، فطن ، اما النواحي الباردة في شعره فهي التجرد وروح الفكاهة المرحة ، المزوجة بالنقد اللاذع ، والبساطة في التعبير ، وسلاسة الاسلوب ، مع قلة الاعتناء باللغة والمفردات ، والبلاغة والبيان . والقواعد النحوية . وهو ذو

طريق يتخلص بها لنفسه ، ويتزبها الى لغة الشعب الدارجة بشعره ، متأثر الى حد بعيد بالاستاذ الكبير الشاعر (ابو ماضي) وبشاعرنا الكبير الاستاذ الصافي وشاعر الشعب (بحر العلوم) . ولا يسعني في النهاية الا ان اقول : مرحي للشاعر الصادق في تعبيره ، والخلود لنفسه القريبة من المجتمع ، والبعيدة عن مجال المعيات ، واجواء اللابهاية الخاملة . بينما غيره يرقص على القبور ، ويتغنى في مآتم الشقاء . وسنتطالع قريباً ، ديوان الصديق الفاضل (في المقاهي والملاهي) الذي نأمل ان يكون كاشفياً الاول وصنوه ، مادة موضوعاً ، وفكرة .

محسن جمال البرهم

نربل لبنانه

جريدة الشرق في مصر



الشاعر جورج صيدح

• بنى وهو مي برز •



لقدنا بالبريد الجوي من الاربعين صفتين من الجريدة السورية اللبنانية وجريدة السلام وفيها تفاصيل الحادث المؤسف الذي وقع لصدفنا الشاعر الأستاذ جورج صيدح، وصدى هذا الحادث في نفس الشاعر ونفس رفيقنا وصدفنا الأستاذ الياس خليل زغرايا فرأينا ان نقل الى قراء الاديب ما نشر في الجريدتين متينين للشاعر المبدع المكافحة والسادة :



عشرة ايام وقم لشاعرنا الكبير الأستاذ جورج صيدح

حادث مؤلم لم نشأ ذكره في حسنه نظراً لخراب الشاعر

من هذا الحادث سالماً، ولا بعض الجراح التي اصاب بها ، وما كنا

لنشعر اليها الآن لو لم يكن لما جرى له ، صده البعيد الغريب

الشكل . والى القارىء ما حدث :

كان الشاعر صيدح قد خرج صباح ذات يوم من ادارة البريد

يتأبط رزمة من التقارير والصحف التي ترده يوماً ، وكان عليه ان

يحتاج شارع «علم» العريض ، ونظراً لازدحام السير فاجأته عربة

الترام فصدته وطرحت الى الارض فتعطل زجاج نظارته واصيب

في وجهه بجراح لا تحصى نتيجتها . ولا يعلم حتى الآن الا الله كيف

طارت برقية الى جمهورية فتزويلا حيث كان يقطن الشاعر تنقل خبر

وفاته الى جموع انسابه ومحبيه في تلك الجمهورية ، وما هي الاساعات

على وجود الشاعر في بيته بعد الصدمة يسهر على جراحه الدكتور

جورج قدوم ، حتى انهال عليه سيل من البرقيات من تلك الجمهورية

يسأل مرسلوها حقيقة الخبر وبعض هذه البرقيات ينقل التعازي

اعقيلة الشاعر ، وبديهي ان يسرع حضرته البرد على البرقيات ونفي

الاشاعة بخبر الاصدقاء والانساب انه لا يزال في قيد الحياة ، وانه

لم يحن الوقت لمراجعة قصيدته «سل المهلات» التي يقول فيها :

يا يوم يقرأ صبحي نعي صاحبهم

ايطرحون به في سل افعال

لوائح وحسابات ستلا

يخطها ورناء الراحل العالي .

ذكرنا هذا الحادث بما وقع للسياسي الكبير مستر ونستق

شرشل ، اذ يذكر القراء ان شرشل مرض مرضاً عضالاً في باريس

اثناء الحرب يوم كان العالم يأسره ينظر اليه كنفذ الانسانية الوحيد

من جميع النازية ، ويوم كان شرشل يتعدى جيوش هتلر ودبابات

همار ، وطائرات غويرين ، واشتد عليه الداء حتى قيل انه سيقضي

فأسرعت احدى الصحف البريطانية وكتبت سيرة حياة شرشل

واعدت رناء بليلاً بانتظار الدقيقة التي يذاع فيها خبر وفاته لتطلع على

العالم قبل سواها بالرناء وشأت الاقدار ان يتعافى ونستق شرشل

ويعود الى لندن ، فلم تكن ادارة الجريدة خبر ما كانت قد

اعدته ، فطلب الرناء واطلع عليه فاجبه جداً ورجا المدير بان يحتفظ

به لينشر عندما تدنو ساعته الاخيرة التي لا عودة بعدها الى الحياة .

هذا ما حدث لشاعرنا جورج صيدح ، والمثل العامي يقول

«النبي في خبر اوله يطول العمر» .

انما نغتنم في ذلك التراموي ، فهو لم يعرف اي فتى صدم ، ولو

عقل لوقت دوليه احتراماً لشاعر عربي فياض الترجمة واسع

الخيال كريم الخاطر وهو فوق ذلك مجموعة شيم كلها من الطراز

الاول .

فاهتم الجالية بالحادث كان يحصله ، لان صيدح كان دائماً

للجالية . وهو الضيف الذي جاء وزواده معه من الاول . وفوق

زواده شاعريته السمحاء التي وضعها بين كل طبقات الشعب في

جميع المواقف . فما قام الناس بظاهرة وطنية او انسانية او تدينية

الا كان صيدح شاعرها السابق المعبر عن شعورها واحساسها المشير

الى اهدائها ومرامها .

فنحن من جملة المهشين في سلامة شاعرنا النحالي الذي يسم

البيان بسلامته .

وكل ما نرجوه ان نعرف «ابن الحلال» الذي نعى صيدح

وهو لا يزال في قيد الحياة معافى ، ولطائف القراء نعلن ان الشاعر

صيدح قد شفي تماماً من جراحه ، ابعد الله عنه كل شر .

موت السفوات

مر « محمد » بمناظرة مائل فاسرع فقبل له : يا رسول الله قد اسرعت المشي ، فقال اخاف موت الفوات « حديث »

من اليلاس غلبن زغر يا الى جورج صبرج

هذه قطعة سلخت من قلب عامر بالمأطفة السخية، ودماغ يسو بالادب العالي، كتاب يوجهه الاديب الكبير الاستاذ اليلاس خليل زغر يا ، الى الشاعر الكبير جورج صبرج بمناسبة الحادث الذي جرى له ، وهذه القطعة من الادب العالي تليها قصيدة من عيون الشعر الملتجج تذكرنا بفعل الاستاذ زغر يا « على رصيف المرفأ » نشرته مجلة « الاديب » يوم غادر كاتبه ربوع لبنان ، ننض فيه الحياة باقوى عناصرها ، كما ننض في الكتاب التالي :



تحدث العايب المصلي بمجديده مآقي عينك اليبني
فحدث العايب الجلي بلسانه مآقي عورك الجلي
.. كأنك سراج يطفأ .. اداه لصدا ..
.. كأنك طيب يقطع .. نعم يصوب ..
كأنك الزماد تشد به الريح في يوم عاصف



.. ويسمى نورك بين يديك ..
فتبسط جناحك في مفارق التأمل على شرفات النجوم
وتمد جفذك في قوافي الرؤيا على آفاق الزمن
لم صدمت بعينك القاسية مضلع القاطرة ، العابرة
فصدمت برأسك العالي رأس الموت الجاثم ؟ !



.. هاتها ..

تضرب على ضلعا اليبين
تضرب على ضلعا الشال
ما احب قيثارتك الى نفسك
تصير قلبك في وترك
في كأسك
في حشاشات كأسك

ما احب دم قلبك في شفتي قلبي
لم تخرجني مني ، من رصيف الغربة مع ذاك ، الى هذه الحروف
في قناطر الحياة ؟ !



.. اما جرح خدك فأمسحه بسواد عيني
.. اما جرح نفسك فأمسحه ببياض الصباح
.. بهودة الصباح ..
حيث نخط كل يوم ، عند الشمس ، عند خد الشمس ، الاجنحة
والاطياف ، في موند البنفسج وغصون الآس



انا مغادرك ، غداً ، في القد القريب
فأبرق الي قبل ان قوت ، لاني اخاف اذا ماتت مرة ثانية ان
لا يسبح في حدا. القافلة نديم رائد
لم لاني قبورتنا قبل ان يدفننا الاموات ونحن احيا. ؟ !
السنن امة لما ترل تؤمن بالوآد
وأدت رجلاها .. وأدت نساءها ..
.. وأدت خمازها ..

تحت قباب النبوة وهياكل التأله
حول الصخرة ، في معارج الجلجلة الدامية



شمس خدك في بونس ايرس شمسا شمسا
فؤادك في اللبح ، عربي ، في فتزويلا وأداً وأداً
الف جبل في الف فرسخ
اما قلبي فهنا. غناه. من قلبك
اعرف باهلك الطيب على قيثارتي المتعبة .



انت من الناس . انسان لن يموت

بث الحنين

قد نعوئي ولم امت
لي خطو على العشي
ازرع الورد في الدروب ولا اتقي الجناة
انا ما زلت في الحياة
ورف على العداة

جا هذا الفصل العجيب الغريب ، مكررين
ادعيتنا بحفظ شاعرنا ودوام صحته



الى الرقيق الذي قال لي امس :
« ازرع الورد في الدروب ولا تنثر الجناة »



من مجري من النعاسة
سابقوا ربهم على
موعد فيه يستوي
يا لها من رواية
سبروها وطيرو
والردى سائر الى
قد يزيني رفاتهم ،
انا في الارض روضة
ان نعوها الى الربى
الطيف ، الله بالشذا
قساً بالذي قضى
لم يرضي في وقعه
ان يجلي بهيئة
كل شعر نظفته
ساديا ، يحسب الردى
يا نعاتي ، مرادكم
صلة بيننا الحياة
لم اغيب سواكم
غورك انسي فتى
يا نعاتي ، اخذتو
فرثاني عواذلي
جرة الموت فرجت
فسرى الدل في الطغاة
يا نعاتي ، انصتوني ،
كم وجميع اذا شكا
وشجي حينئذ
ووقاة دموعهم
عظم الله اجرهم

رسل الموت في الحياة ؟
أجل في الكتاب آت
ذو لجاج بذى آتة .
شؤنها حاق بالرواة
ها شعاعاً الى الجبات
حيث لا يشتهي الحداة
— لا اراني لهم رفات !
حسنتها الارض الموت
كذبت بالخي الجناة
سلم الزهر والنبات !
يسقطي ، وبالنباة
نبأ روع العفاة .
اقتضيا من الملمات
امل تله في فلاة
واحة تنفذ السراة
عز ، مهلاً الى الغداة .
فهل اقطع الصلات ؟
طالباً ، يضرر الاذاة
اطمع الضان بالرعاة
لي تاراً من الحياة
وبكوني مع البكاة
غصة الحق في الالهة
وجرى اللين في القساة
وجرتم على اللدات
رد قلبي صدى الشكاة
حنة الروح والصلاة
شوقتي الى الوفاة
ووقاهم كيد النعاة .

يا نعي ، عجلت ، مهل ، ولطف بنا البكاة
سوف ابقي لك التراب وابقى لك الرفات

من يقني بعدي الندى
من يزجي بعدي الافاة .

من يسوق الطير في اصغريه ، سوق الحداة
ويث الحنين ، بعدي شعاعاً في الكائنات

لي عمر غص الثني ، وديع ، صبح الصفات
.. لي كؤوس هبن الردى
وكؤوس من النجاة
.. لي ليل من الرؤى
واغان من الصلاة

قلت للموت خذ ثياني ولا تلمس الدواة
في جراحي ماء الوجود ، وفي احرفي التواة

بونى ابرين

الى اس غلب زهرها

يا نعاتي

هذه خاتمة المصائب ، او قل خاتمة النصبة التي
احدثت غصة لجيش عشاق الشعر المالي وعجي ادب الاساذ
جورج صيدح ، على اثر ما اذيع عن تلك الصدمة التي لم
تؤثر في صحته النالية ، ولكنها حركت اثراً في الاثير
يوم طلع ناع تلك البرقية المتحوسة ، فكان لها وقعا
المتجهم وكان لها صداها للوجع عند الجميع ، عند اولئك
الذين كانوا غير واقفين على حقيقة الخبر ، وعند اولئك
الذين عرفوا حقيقته ، وبديهي ان يتبري شيطان الشعر
والحديث عن الشاعر ، الى الميدان فيخرج من مواطن عبقر
احاييله ويضرب في جو الخيال معلقاً فوق مدينة الاحياء
الاموات ، وفوق مدينة الاموات الاحياء ، يفتش عن شاعر
نمي وهو حي ، فوجده في المدينتين ، فماد الى موطنه مبسم
ويصن فيسمع اكون متأنلاً « وكيف يموت الشاعر . »
وهذه قصيدة الشاعر صيدح ، صدى لما حدث له غم

جورج صيدح

بونى ابرين

ما دولة الحداد لولا احمد^(١) ؟ شغل الزمان بسيفها^(٢) مسلولا
بادت غطارفة الاغارق جملة وهيمس اهدي الزمان اخيلا^(٣)

يا شمر تبقي في الازهار والضحي والليل محلول الفروع جايلنا
في النهر والوادي ومخلد الربى والتلج قد تمك البها. تلولا
في خلية العذراء تبها الهوى وحيا. راهبة توت بتولا
في دعة الضعفاء. نشت بعدما حفرت بأشباح الحدور مسيلا
في القلب لا افق الزمان يحده حبا ولا يقف الزمان حؤولا
في بسمة الطفل الرضيع ترى وفي مرح الشباب وكنتت كهولا
في الكون حين الكون تحقن روحه وتفض مكنون السنى لتقولا
بولس سلامه

اصبح بولس على نهار ...
لا يدركه ليل !

لو كنت حر الجناح لا كنت ان اهرق بنفسى هذه الذرى الم
من لبنان بما تجاوب منه على صفاء (الواديين) وارتعش
به من اجوائها لكانه الربيع انبعث فيها حنجرة وجناحا ومنظرا
وحسن مجتلى .

كنت - اذن - اعيد اليه .. الى لبنان .. شيئا منه وقد توهج
بعد ان تمك في الشواطىء الحمر. وعانق السعفات الحنسر، ولا مس
ما سقت تلك واطمعت هذه ملامسة نفس لنفس في صفاء كصفاء
الوتر الاغن ، وهو يوج وينهر في اعماق القضاء لا تدري ان ترد
له ام تقرد به ؟

ذلك قلب (بولس) المترع للشاعر في اصفى وانقى وجداناتها
النابضة بالحس والحنن ، اعيدته (مهرجان) من ارواح (الرافدين)
التي تملعت به روحا خيرا ، واقلبت عليه فكرة نيرة ، واصغت
اليه لحنا (عليا) وشربت منه رحيقا طيبا ، فيعود آنذاك وقد
اتسع وانداح وعظم ، فاذا (بولس) بعد رحلته القاصدة هذه
اكبر من (بولس) قبلها ، واذا عشه الاقليسي الضيق دنيا لا حد لها

(١) المتنبي . (٢) سيف الدولة .

(٣) اخيل بطل الاغريق في الباذة هوميروس .

يسير فيها على عائق ملحمة البكر - وهو في مكانه - مع (الضياء)
ظل «علي» . وما كان الضياء. خلافا لغير علي ، بل ما كان لملي غير
الضياء خلافا . ومن اجل هذا فقد عاش (بولس) من (يوم الصدي)
في لجة من الشعاع ، واصبح على نهار لا يدركه ليل .

بدأت هذه (الملحة) بالاشارة الى اعتقال جناحي وحبيبه على
بغداد ، واذا يعينني من هذا وانا اتحدث عن بولس او اليه ، ان
اقول له : لقد وافقتي (ملحستك) او الدعوة الى القول فيها. وانا
في ظرف يتيح لي ان افهمك واتقري آثار موهبتك في جمالاتها
الفريدة من هذا الاثر الفني البديع. فأرى هذا الاثر البارع كيف غا
وواتك طيبا من مراحل الصعاب التي تقبل فيها بين العقل والقلب ،
وبين الطبع والصنعة ، وبين (الموضوع) و (الذات) ، حتى استوى
لك في (ارجحية) بعد محض يعترف له الجبين . فصباك سويا
في احسن تقويم .

وما كان سهلا لولم اكن متألما ان ارى على هذا الوجه الشفاف
السهل كيف صنع منك الالم هذه (الملحة) فاجاش (قلبك)
بالعاني الكبار الكبار ، واتزلهن على اناملك منمعات يهقن بالنور ،
ويتصنعن بالطهر ، فأتحدن ملهات ملهات يسعدن هذه الانسانية ،
المسكينة ، في مجها الكبريات ، ويختصنن بالمزاساة . بلادنا
العربية التي لا ترحمها (الانسانية) فبلت المدى الباعد في الرثة .
وانا حين اشير الى الظرف الذي بلغتني فيه (الملحة) (الدعوة)

وخفت فيه ايضا للاستجابة الى هذا الداعي الكريم - انا حين
اشير الى ذلك اريد ان انصرف عن تقويم (بولس) بالقيم اللفظية
المصطلحة ، واعني نفسي من عرض ملحمة على مقاييس النقد والبيان
ما احسبني في مباراة خطابية ، ولا في امتحان ياخذني بتطبيق
الخصائص الثورية والفنية على اثر يدين بامتياز وتبريزه للطبع الاصيل
قبل ان يدين للمقاييس الموضوعية ، على انه لم يفارقها في حدود
التجديد والانطلاق اللذين تمهضا الانجاهات الحديث في الفن واللغة .

واشد على هذه النقطة لئلا تظن اني انجس الملحة حظا من
القيم اللغوية وما يتصل من هذه القيم بالنن الادبي الحي فانص على
انها : غنية بالاساليب البيانية الدقيقة العميقة ، موفورة النصب
من قوة التعبير وسلامة الادوات ، زاخرة بالصور الذهنية واللفظيات
العبقريه النادرة ، يضاف الى هذا كله ، او يسبق هذا كله - وهو
آبة التناق - اعتداد الشاعر بالواقع التاريخي في حين انه يؤلف
(ملحة) . وهو يظهرهم على اعتداده هذا بافتنان عظيم في مواجهة

(الشخصيتين) اللتين ادار عليهما ملحمة .

هو يفتن بالجد في اعلان حقيقة (علي) كواكاد اقول : انه يبلغ الحماسة في هذا الجد لو ان الحماسة تظل حماسة حين تتحدث بمجد عن حقائق (علي) !

وفي هذا من ضروب الفن والابداع والتجويد ما يرفع الشاعر الى (الذروة) ويجله في (الرفعة) بين الشعراء . الخالدين ، بل فيه فوق براعة التصوير الفني المتسوق اتم الاتساق فضل الايمان بوجودانه الذي ينقلك بمجاوله ولتلت نفسك الجولة من يومك الحاضر الى مشاهد البعيدة في التاريخ ، او ينقل اليك التاريخ بمشاهدة البعيدة فيجعله الى شي . حي من حياتك الحاضرة ، ولا سيما فيا يدور في الملحمة على فكرة (العدل الاجتماعي) و (المساواة) في جانب ، وعلى (سوء التوزيع) او (الاقطاع) في جانب آخر .

وما حاجة هذا الشعر السبح المندفع في هذا الينبوع الكريم الى ان نكدر صفوه الرائق بالاقسوة والعلامات والارقام . ١٩ .

نعم انا - باحثاً - اشكو نقصاً في حديثي هذا يتسبه سوق بعض الامثلة من الملحمة لما احسبكم به ، ولكني قلت لكم انني انصرفت عن النظر فيها نحو الدراسة ، ولولا خشية ان اظم الملحمة بذكر بعضها وترك بعض لسكت لكم غاذية قليلة تلائم القول في حفل ، ولكني اكاد اظن اننا نظم الملحمة ان قصدنا الى الاختيار .. الاختيار القليل .

قد ينتظر مني - ونحن في هذا السبيل - ان اوازن بين هذه الملحمة (عيد العذير) وبين ملحمة (هوميرو) وغيره من شعراء الامم الاخرى في ملاحظهما قابسط القول في عناصر هذا الفن من الفنون الشعرية واغراضه ثم ابني على ذلك مكان (شاعرنا) بين شعراء الملاحم ، ومكان اثره هذا بين الآثار الفنية في هذا الموضوع . ولكني وقد اعرضت عن تفاصيل دراسة هذا الاثر استغناء بالامح الى قيمته على الاجمال رعاية خلق الحفل ، فاولي ان اعرض عن الحوض في هذا الموضوع الطويل ، واذا كانت الملاحم الاخرى تركب متون الاساطير الى بناء مجد قومي ، او انشاء روح قوية ، او ضرب مثل من امثال الخير الانساني لتثير في الامة كوامن نشاط خبا ، ان تنهض همة عزم كبا - كما يقول المسجونون - فان ذلك قد تآق لشاعرنا على اتم صورته واتقن اغراضه ، ثم تآق له من صميم الحقائق التي يغني صدقها ، وصدقها فيها ، عن كذب الاساطير واعتسافها في متاهات الحياتل الابدية .

اضف الى هذا انني اقدر ان غوي من دعي الى هذه الحلبة قد

يعرض لهذا الجانب من جوانب القول لذلك اتركه وامضي الى امر لا اقدر ان احداً سيقول فيه شيئاً .

انا اجد اكبر مصادر الحسب والتفوق في هذه الملحمة اما هو تفتح (بولس) لفهم (علي) هذا التفتح القوي المستوعب الدقيق . ولكني احداً لكم هذا التفتح العجيب واعطيه النغمة من نفسي اعترف انه زاذني انا فقهاً لملي ، والتفت للفرق بيني وبين بولس . فانا حين افهمه كما يفهمه هو او اكثر مما يفهمه لا اساويه لانني مشدود الى وراثات ومحيط وبيئة تلازمي فلا استطيع ان انفك عنها مهما تحجرت ، ومهما قدر لي النجاح في محاربة نفسي وانا انحر منها - كما فعلت حين كونت راياً بعد الدراسة - اما بولس فانه في حل من هذه الاقطة ، ولعله ان يكون مشدوداً بغيرها . فاذا انتهى الى نهايتي في راياً ، كان اسلم مني وصولاً الى الحقيقة من وجه . ثم كان - من وجه آخر - دليلاً جديداً لي على صحة هذا الراي لا اجد اتضع منه ولا اصدق من حجة حياده .

اقول هذا واشكو الى بولس واليكم هذا الشر الذي ينبع من نفوس الناس فيفرق بينهم - وهم ابناء اب وام - ويتخالف بين آرائهم فيضيف هذا الى الصراية وذلك الى الاسلام وهكذا ، ثم يضع هؤلاء في طرقتهم وهؤلاء في طرائقهم على مفارق تسيل فروعها يشي الانوار ، ذلك فيكثر الخلاف ، وينسب به هذا الشقاء الذي يربو به بعضهم على بعض قاراً وقطراناً ، ويوزع به بعض درب بعض شوكاً وقناداً .

ثم ا قوله واحمد لبولس انه انتهى الى ملحمة الى ان (عليا) عليه السلام في هذا الطوفان المتدافع من الاديان (سفينية) بييت المعتصمون بها في أمن من العرق فلا تبليغهم امواج الخلاف مهما علت او ارتفع بمدها النور الجبار .

وبهذا كان علي ملقى للحرار الخيرون يتوافدون اليه من كل زمان ومكان ويعولون عليه في اصح آرائهم وانفع مبادئهم ومعارفهم وان مشوا الى الاقتداء به على النار .

هذه الخاصة من خواص الملحمة العربية الطالعة اسماها عندي وادها على سعة افق بولس وسلامة عقيرته .

وبعد : فسي ان تحدث هذه الملحمة القراء فينا وعياً عربياً سامياً تعرك اجفانه بمنهج علي في يدوم لسانه وصدره وجنازه فنبعث به من جديد امة تهتم (الوثنية) وتنشئ الحرية ، وترفع راية الحق والعدل والخير والجمال .

صدر البرهم شرف البرهم

بغداد

خليل مطران

قصة

من كثرة السموات لا يلجأ الاطراف الحاطر ولا يتلقاها سوى السر الامين ، بعث بها الله- فيض لطف خفي - الى صعيدنا
الاخير فانزلها في ضيق خليله .. الشعراء - اذا عثوا - ملائكة ربك على الارض .

جناح الخليل كان وجفة نورانية تذهب وتجيء ، عيشة الحسن الرزين ، فتطير بالصيرة حتى سدة اللطافة المستبعدة ، عند رزقة الصقو
والصحو ، هنالك حيث يجتمع الخيال الراقص في وقار بالاحساس الخافق في احتشام ، يلغها جميعاً فكر يتغلغل الى ولائح الانفس
فيصورها بريشة معبوسة تارة في رحيق قلب فرحان يسمي البشر نحو الكمال ، وتارة في دم قلب يبكي لطيش الخلق ، هر قلب طاب له
البذل كله ، فصدق فيه قول صاحبه في حبيبه وضربيه مصطفى كامل :

من كان أسج منك مناعاً لما عوى ومطاء لغيرك مرفقاً

وتحت جناحه المساح قد ضم عزله ، عزلة ابن الجبل الانوف : عزلة الشاعر الناحل جسمه الطاهر عزمه ، الصادق وجده ، الابي همه :

منفرد بصباحي منفرد بكأني منفرد ببنائي

الشاعر المشغول بإماني قومه وحاجات اهله يجهد في سبيلهم جهد المتعب المستكفي براحة الوجدان ، وهو لا يكاد يعرف ان الجراء
عند الاتقياء من بعد الله :

لم أبال اسبي ان لم يشتر او اشتر

وما تكون اعما الملائكة يجب تراقيهم ؟
رتل الخليل نصف قرن انعاماً فيها طي الحما ، ونشر الشجاعة ، وفيها قبض الحذر وبسط النصيحة . ويا لها من انعام مكنت في اعتقادنا
ان الاخلاص حلو ، وان الوفاء احلى ، وان العروبة الشهمة ذمة في عناقنا وان لغتنا شرف لالسننا ، وان مصراب من ابواب الجنة .
رتل ما شاء له الصفو والصحو ان يرتل ذلك الملك الذي طالما خف نحو ظلال التواضع ، في يستأن الفضيلة ، مستمعاً الى احاديث
فواره تردد اصدا . الحب لوجه الحب ، الحب المتوع ببحر القلق البشري النابض برعشة الانس القدسي الى سر هذا في نفسه لمح الخليل
يوم ردى البارودي فقال :

شعاني آياتك الناديات رحيماً من الانس او كوثراً

قد علمنا نحن الكتاب كيف نشب بالفكرة من لفظ الى لفظ ، ثم كيف تجري باللفظ من فكرة الى فكرة . فأدخل ما بين
المبني والمعنى ، وشد الوثاق بين المدلول والمفوض بسلك هش متخل .

ثم علمنا نحن الشعراء ان اللفظ وساطة لا غاية وان الصورة شرارة لا حكاية ، وان الحس يقتله الاقتعال ، وان القصد بنيان متاسك
لا حائط مرفوع هنا وطاقة متقورة هناك وزخرفة ملقاة فيما بينها . ثم علمنا ان الروح للعبارة عصارة ، فعلى قدر الخبايا تكون انواع
التعبير وتقدر الحطرات تأتي الوان التخيل . فارشداً الى استخراج الدقائق الخاصة وصرفنا عن ترددات الملتقطات ، وهذان التزول الى
اعماق الضائر حتى ينطق كل منا بحسب شعوره وهو حر قد خلا لتفريجه واستأنس بطبعه .

اطلأ الله ذلك الومض بعد انسراب بعضه في عروقنا ، جذب الله اليه ملكاً ابيض بجناحه المباح ، وادخله في ملكوته المشرق وجعلنا
نحن نعاين غروب النبوغ الاعم ، غروباً قريباً من الذي وضعه الخليل .

يا للغروب وما به من عبرة للمستبهم وعبرة للرائي

القاهرة بشر فارس

مأساة روجه دو ليل

فلم فدري فلمي



ذلك هو الحلق الذي امتاز به روجه دو ليل ، وهو ، برغم صوته ، لا يتخلو من غرابة ، بل لا يتخلو من شذوذ . وقد عبر عنه بهذه القصيدة التي تصفه اصدق وصف :

التكلم دون تنسيق ، والتفكير دون ترويق ، ذلك هو شعاري . .

الذهب والاياب ، والتعود والسعي ، والسرور والوقاد ، حين اشاء ومثلا اشاء ، تلك هي لدي . .

امرأة وفيه وجيلة ، ولكنها ليست امرأة مناجا ، هذه هي رغبتي . . .

يذل نفسي في سبيل الوطن ، تلك هي امنيتي . . .

عقل سليم وقاب شريف ، هذا كل ما املك . . .

محبة الاجوار والطينيين ، ومحاربة الاشرار الظالمين ، ذلك هو منهجي وهدي .

ويؤكد بعض الذين عرفوا روجه دوليل ، ان ابويه كانا احديين ، وان اخواته كن مشوهات ، وانه هو نفسه لم يكن قوم التسكين ، فان كنفه غير متوازيين ، والجانب الايمن من وجهه اعلى من الجانب الايسر ، ولكن نفسه كانت غاية في الجمال والصفاء . فاذا صحت هذه الرواية ، فلا ريب في ان صراعا عنيقا كان يجتهد بين السيف الثقيل الذي هو روجه دو ليل والقرباب الذي يجتره . .

وقد رويت عن هذا الشاعر الموسيقي اقايص اشتات ، فقيل ان امرأة يوهيصة حاولت اختطافه من قريته وهو في الرابعة من عمره ، فلفته يوشاحا الفضفاض وانطلقت به ، ولكن نباح الكلب الذي كان يحرس المنزل انقذه منها في اللحظة الاخيرة . .

وقبل ان فرقة موسيقية متجولة مرت بقريته وهو في سن السادسة ، واخذت تغزف لحنها في الساحة العامة ، فاستيقظت حاسته الموسيقية للمرة الاولى ، وابتهج ابتهاجا عظيما حمل رئيس

يرجو ان يتقذه الموت من عذابه ، ولكنه كلما هم بالقاء نفسه بالنهر المحتدم الصاحب ، تراجع مروعا مذعورا ، متهيئا امواجه الغائرة اشد اقها . .

وهو لا يملك ثمن رصاصة يودعها مسدسا ، ويطلقها على رأسه فتدريه في طرفة عين . . فما السبيل الذي يتهجه للتخلص من الحياة وقد ضاقت به وضاق بها . . ؟

وكان يستجبل على من ينظر اليه وهو في قلقه العاصف ، وبؤسه المدقع ، وهزاله الخفيف ، وكهولته الفانية ، ان يتصور الاثر العظيم الذي تركه في حياة الشعب الفرنسي وحياة الشعوب الاوربية كلها . . هذا الخطام . . بل هذه الحكومة من العظام والخرق البالية . . وان يصدق ان هذا الرجل اليائس ، حتى من الموت ، قد ايقظ الحرية في قلوب الملايين من المستعبدين فهضوا يهتفون بها ويكافحون من اجلها . . .

والحق ان هذا الرجل الذي لم يعد يملك ما يملك البقية الباقية من حياته ، بل ما يتقذه منها ، كان يدعى روجه دو ليل . ومن يعرف تاريخ الحرية ، يعرف ان الشاعر الملم الذي يحمل هذا الاسم هو واضع المارسلين ، ذلك النشيد الرائع الذي هتفت به امّة ، وغناه شعب يحمل السلاح ، ورددت صداه قارة باسرها . . .

ان من عجائب الحياة ان يكون الرجل الذي قال مثله « انه اضاف نشيدا خالدا الى صوت الشعوب » والذي جسد في الالحن والكلمة صرخة الجماهير الغفيرة ، ومطامع القرن الثامن عشر جميعا « شاعر اطفالا » كما قال بيرانجه ، يعيش في عزلة عن الناس ، ويشقى بهذه العزلة مثما يشقى كل فنان يلوذ بها . . ويحالفه الاخفاق طول عمره ، وهو الذي اعطى النصر مشعلا هاديا . . ويفرق في القضية ، حتى لتندو فضيلته وحشية متفردة ، تعصي الناس عنه مثما اقصته عنهم .

الفرقة على وضعه فوق جواد من جواد الفرقة يحمل نقارتين ، واعطائه قضيين ليضرب عليها ، فجعل الطفل يضرب ضرباً موقفاً ينسق وعزف العازفين الآخريين . فلما عادت الفرقة القرية ، ابى الطفل مفارقتها ، وظل يرافقها على جواده ، وهو يداعب الآلة الموسيقية بالقضيين الذين يحملها . غير ان اقرباءه ما لبثوا ان خلقوا بهوا عاوده الى منزله ، فكان كل اعتذاره لانه عن رغبته في هجرها قوله لها :
— انهم يزفون جيداً يا اماء !

وروي انه كان يتلهم مرة ، وهو طالب في المدرسة العسكرية بباريس ، باطلاق الاسهم النارية ، فأصاب احدها فتاة كانت معه فاقتلها احدي عينيها ثم انتهى بالقضاء عليها . ولا بد من الإشارة هنا الى ان اسم روجه دوليل هو كلود جوزيف روجه ، وان اسرته لم تكن من الطبقة الأرستوقراطية التي يحق لابنائها الانتساب الى المدرسة العسكرية ، ولكنها حين واجهت هذه المشكلة بحثت عن ماضيا فوجدت انها تنحدر من اسرة ارستوقراطية صغيرة تدعى دوليل فاضافت هذا الاسم الى لقبها القديم .

على ان اظرف ما روي عنه قصة غرامه بالملكة ماري انطوانيت . فقد زعموا انه كان مرة عند احدي قريباته في فرساي فاذا بالملكة الشابة تقبل زيارتها متبكرة مع بعض الاميرات اللواتي اعتدن الاجتماع عندها دون ان يعلم بهن احد او يحضر مجلسهن غير النساء . فأخفت صاحبة المنزل قريبتها روجه في احدي الغرف ، واطلقت ماري انطوانيت العنان لمرحها ، فضحكت ، روجه ودليل يند المارسلين



وغنت ، ورغصت ، والشاعر الشاب يراقبها مأخوذاً بنجها وظرفها . ثم عصبت الملكة عينيها وطلعت تدور في أنحاء البهو للامساك برفيقاتها ، وهن يتضاחקن ويتنادرن ، فوجدتها ربة المنزل فرصة سانحة لخروج روجه من مكانه دون ان يشعر به ، فدعته الى الحرب ، ولكنه لم يكذب بغادر الغرفة التي اختبأ فيها حتي وقع بين يدي المرأة العابثة المعصوبة العينين . فأمسكت به وهي تظنه احدي الاميرات اللواتي يشاركنها في اللعب ، ولكنها ما كادت تتفحصه حتي ذعرت وظننت ان ثمة مؤامرة عليها ، فزعت العصابة عن عينيها ، وسأته عن اسمه وعما يفعل هناك ، فهذأت ربة المنزل ورحبها واخبرتها بحقيقة الأمر .

وذهب رواية هذه القصة الى ان ماري انطوانيت قد شغفت روجه دوليل حباً ووجدت منذ ذلك اليوم . وان هذا الحب قد حمله على التناكر للثورة يوم قطعت مقصلتها رأس الملكة الذي كان في زعيمهم اجل رأس في فرنسا .

كان روجه دوليل من جنود الثورة الفرنسية المتحمسين ، وضع في خدمتها قلعه وسيفه وبذل من اجلها عبقرته وشجاعته . وفي سنة ١٧٩٢ اشتد الحظر على فرنسا ، اذ تأمرت الاسرة الفرنسية بالملكة عليها مع ملوك اوربا ، واخذت تحرضهم على احتلال بلادهما وقع الثورة فيها .

وهاج الشعب الفرنسي ، وتنادى ابنائه الميامين لانتفاذ الوطن من الاحتلال الاجنبي ، وصيانة الثورة من الحظر الذي يهددها . وكان روجه دوليل ينفي في تلك

الايام صالون السيدة ديتريش زوجة رئيس بلدية ستراسبورغ مع طائفة من الادباء والموسيقين . فدخل ذات مساء ثائراً محتاجاً ، واخذ يتحدث بحماسة عظيمة عن وطنية الفرنسيين ، ويدعو الى التضحية بكل عزيز في سبيل انتفاذ الثورة . فقال صاحب الدار للشاعر الفنان : — ايها السيد دوليل ، انك تجيد لغة الآلهة ، وتتنق العزف على قيثارة اوردف ، فضع نشيداً جميلاً لهذا الشعب المحارب الذي يهرع من كل مكان تلبية لنداء الوطن . وفي تلك الليلة نفسها ، عاد روجه دوليل الى غرفته ، وفي

هو لعنة الآلهة ووباء البشر ،
ومن قال غراً فقد عني وحشاً ضارياً ،
هو عبد غرائزه المفاتسة .
ومن قال الشيطان فقد عني روحاً خبيثاً ،
يسكره الغرور والمكر والفتاق والعقوق ،
ولا يشغله غير المكائيد الرهيبة .
فهمل هنالك كلمة شنيعة ،

تعني في آن واحد : الشيطان والنسر ونبيون ،
بل تعني أكثر مما تدل عليه هذه الكلمات جميعاً ؟
اجل . وما هي ؟ هي : نابوليون !

فيقصي الشاعر ، ويضطهد ، ويبتس ، ويظل شأنه كذلك
حتى تعود الملكية الى فرنسا من جديد ، فإذا به يهاجم النبلاء
الذين يدعون العرش مهاجمة شديدة ، فيقول في إحدى قصائده عنهم :

كان يبرو يسير في السوق ، وفي يده عصا طويلة
يجوق بها سرباً من الازور ، فيضربها ويهددها ويوجهها
لتسرع ولا تحرف عن الطريق .

وكانت الازور تسير ، وقد ملاحاها الغضب

متهامة ، فيما بينها ، عن راعيتها
فروها عابرسيل ، فتراخت حوله ، ومدت اليه اعناقها :

كيف ياملنا هذا الراعي الضال ،
اهكذا تعامل الازور الاصيله مثلنا ؟
ونحن ، كما تعلم ، محفيدات تلك الطيور المقدسة
التي صانت هيكل الكابيتول ،

وقد اعترف بذلك هوزيو وكازمان !

-- ايها الازورات المحببات ، اني اؤمن بما قال المؤرخان
وجا جا . في التاريخ الامين ، فلا ريب في ان لكن ماضياً عظيماً .

-- اجل ، انه ماضي اجدادنا ، ونحن نشاطرهم مجده ...

-- لا ريب في انكن تشاطرنهم اياه بالسير على نهجهم ،
والقيام بمثل مآثرهم . فعدتني عما صنعت ...

-- ان اجدادنا ..

-- اني اعرف ما قام به اجدادكن ..

لقد أنقذوا روما من اللير المشؤوم .

ولكن انتق ..

-- ان اسلافنا كانوا ..



روجه دوليل

اذنيه تدوي صرخة ذلك الشعب الثائر . فلماذا يأخذ كنجته
بين يديه ويربوسها على الاوتار ، حتى يهبط الشيد يابش . كان
اللعن يفجر الكلم . وكانت الكلم تنجر العلى . وكانت العلى
الشاعر على اشد ما تكون انفعالاً وتوتباً ، والعرق ينسكب منه كأن
الحمي تعيث في جسده ، ثم يبدأ شيئاً فشيئاً ويستزل في البكا ...
ويعود في اليوم التالي الى منزل ديترش ، فيناجي . الحاضرين
بنشيدته الثوري الرائع ، فيتولاهم الدهش وتغمرهم حماسة متقطعة
النظير ، حتى ليقبل بعضهم بعضاً ، ويصفقون ويرقصون في هذيان محموم .
وما هي الايام حتى يشيع النشيد على السنة الجاهير ، وينتبه
ابناء مارسيليا الساخرون الى باريس ، تلبية لنداء الحرية ، فيطلق
عليه اسم « المارسلير » . ثم تتبناه الامة بأسرها ، وتغنيه مع قصف
المدافع وصليل السيوف ، فيكون عاملاً كبيراً من عوامل النصر !
وإذا أسم روجه ذو ليل الاندية الثورية مدة من الزمان ..
ولكن الثورة تتعاقب عليها موجات مختلفة وتزعزعات شتى ،
فيظل الشاعر معها في مد وجزر ، حتى يدخل السجن .. ثم يطلق
سراحه في عهد نابوليون ، ويستعيد مجده ، ولكنه لا يلبث ان يحبل
على الديكتاتور ويظلم قصيدة لازمة يقول فيها :

من قال نبيون فقد عني طاعة جباراً ،

- ولكن انتن ، ماهي حقوقكن ، وماذا صنعتن ؟
- نحن ؟ .. اننا لم ننصع شيئاً !

ويزداد اضطهاد روجه دوليل ، وتزداد حملته على مظالم المجتمع ، حتى يدفعه الروس الى الوقوع تحت رحمة أحد المرابين ، ويوقوده هذا المرابي الى السجن لانه لم يقطع وقاء . ما عليه من الدين .
وكان الشاعر الفنان حين دخل السجن هذه المرة في سن السادسة والستين . .

فلما غادر السجن كتب الى صديق له يصف الوضع الذي هو فيه :
« لقد كانت تنظفني كلاركة من نوع آخر . فقد أرسلت ، حين دخلت السجن ، مفتاح المنزل الذي اسكنه الى صاحبه ، فسرقت قسم من الاثاث والثياب ، ورهنت المرأة القسم الباقي منه ، تاركة ابائي ابنت طاوياً في غيابة السجن . وها انذا الآن ولا ثوب عندي ولا قبض غير القمص الذي ارتديه . فماذا اصنع ؟ وماذا يسجل لي ؟ »
ولكن بصيصاً من الامل كان لا يزال يثير جانباً من قلبه . لقد اقتبس من مسرحية « مكبت » لشكسبير اوبرا رائعة وارسلها الى مدير الاوبرا الفيكونت سوستين دو لا روشفوكول ، وهو يروج ان تمثلي في وقت قريب . والحق ان المدير قد وافق على اخراجها ، ولكنه ما لبث ان استبدل بها اوبرا « محمد » روسيني ، ثم اوبرا « موسى » للمؤلف الموسيقي نفسه !

وعند روجه الى وضع اوبرا جديدة هي « اوتالو » وارسلها الى الفيكونت ، فوافق على اخراجها ، ثم استبدل بها احدى اوبرات فيردي ! ولم يكن روجه دوليل يستطيع رؤية الفيكونت المدير ، لانه لا يملك غير ثوب خلق بمنزق رافقه رداً طويلاً من عمره ، فهو لا يسمح لنفسه بالظهور به في اي مكان ، ولا سيما امام الاشخاص الذين لا يسمهم غير المظهر ، ولا يحكمون على الطير المردد الانجيل ريشه وسطوع الوانه .

وتنادي اصحاب الشاعر ، وكلهم من زملائه في الفقر ، الى انتقاده . ان لم يكن من ثوبه الخلق الوحيد ، فن الكوخ الحثير الذي يسكنه والذي يؤذي صحته . ولكن الشاعر لم يكن كثير الاهتمام بصحته ، فان الموت خير له من هذه الحياة الملهينة الشقية .
وخيل اليه ذات يوم ان الموت قد اُلم به . فاستلقى على كومة من القش في زاوية كوخه الحثير ، ينتظر نهايته باستسلام ، وغبطة

عظيمين . ولكن القدر اربى الى ان يزيد في عذابه ، فاذا الذي لم به هو المرض لا الموت . . وبه ما اشنع المرض في مثل هذه الحال ! وكان للشاعر صديق في شوازي لوروا يدعى الجنرال بلان ، فحسب ان نهاية الفنان قد اقتربت ، فنقله الى منزله ليبيت مطمئناً بعض الشيء ، فاذا بالمرض الذي انتابه واعتقد الجميع بانه ان يبطل . حتى يقضي عليه فيويجه مما يكابد من شقاء ، يستمر عشر سنوات . . ومات روجه دوليل اخيراً !

واقبل اقرباؤه ومدنيوه لاقسام ثروته ، فجمعت الخازنه واوبراته ومسرحياته وقصائده وقصصه ومخطوطاته كلها ، ووضعت في المزار العائلي ، فبيعت بأربعة واربعين فرنكاً وخمسة وخمسين سنتياً ، وكانت نفقات البيع قد بلغت مائة وستين فرنكاً واثنى عشر سنتياً ، فاضطر الاقرباء . والمدنيون الى تسديد العجز .

وكان بين هذه المخطوطات الشيئية ، النوتة الاصلية التي سجل عليها روجه دوليل للمرة الاولى لحن المارسلير العظيم وكلماته اللاهية . . فبيع هذا الاثر الخالد الذي كان مبعث فخر فرنسا ، بثلاثة فرنكات . . ودفن الشاعر في مقبرة القرية ، وكتب على قبره :
« هنا يرقد كارد جوزيف روجه دوليل ، ولد في لواس لوسونيه سنة ١٧٦٠ وتوفي في شوازي لوروا سنة ١٨٣٦ . وعندما هبت الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٢ نجاراً الى المالك ، اعطاهما لكي تنصت نشيد المارسلير »
وكان نشيد المارسلير قد شحبلونه ، واصبح نشيداً رجوازيًا ، وتقاساه الناس ، ولم يسمعه مؤلفه منذ عشرات السنين . .

ولكن في ذلك اليوم ، وهو اليوم السابع والعشرين من حزيران سنة ١٨٣٦ ، بينما كان مشيعو الجثمان يغادرون المقبرة في صمت كئيب ، ارتفعت اصوات العمال الذين رافقوا الشاعر الى مقبره الاخيره ، تنشد برهة غنائية ارتج لها القبر المكلل بالغار :

هبوا يا ابناء الوطن
فان يوم المجد قد دنا .
ان الطغيان يهاجمنا ،
والعلم الدامي قد ارتفع .
الا تسمعون في البراري
زفير الجنود القسا ؟

انهم يدوسون ارضكم ،
وينقثون اطفالكم ورفاقكم ،
فالى السلاح ايها المواطنين !

فدري فلمعي



المرأة العجوز الى الدكتور
لسيناس ، وقالت بأصرار :

— أوكد لك ايها الطبيب ، ان ولدي
معرض الموت بين لحظة واخرى ؟ ان زوجته

تدس له السم في طعامه وتقضي عليه !

فقال الدكتور لسيناس دهشاً : — ان ولدك معرض للموت ؟ وزوجته
هي التي تدس له السم ؟ ما الذي يجعلك على الاعتقاد بهذا الامر ؟

— منذ وقت طويل وهي تحاول التخلص منه . فكر في هذا
المقص المزعوم الذي يتناهب . انه ليس الا بده التسمم ، فهي تقتله

بأزرنيخ . — وما الذي يجعلك على هذا الاعتقاد الجازم ؟

— عندما غادر ولدي غلاندنيه الى باريس ، كانت صحته
جيدة . وبعد اسبوع من وصوله الى العاصمة ارسلت اليه زوجته
حلاوى من صنعها ، فما كاد يأكل منها حتى شعر بالألام مزقة في
احشائه ، واخذ يتقيأ ، فحسب الاطباء الباريسيون البلهاء انه يعاني
مغصاً ، ولكنه لم يكن كذلك .

« ومهما يكن من امر ، فقد عاد من باريس مريضاً . وفي يوم

وصوله ارسلت زوجته ، دنيس بارييه الى عند الصيدلي يشتري لها

قليلاً من الأزرنيخ ويعترف دنيس بانها قد جذبتة من القول بانها

يشتري الأزرنيخ بطلب منها ، ومن التحدث بذلك الى احد

وهي فوق هذا ، لا تدع احداً عيها يلقى بروتها . وحتى

الرغم من العناية التي يحاط بها ، والادوية التي يعطى اياها ، فان

صحته لا تتحسن بل تزداد سوءاً . وقد اوشك الآن على الموت .

وانا اطلب منك انتقاده يا دكتور . . واريد منك ان تعرف كيف

تعمد الى تسميمه بالأزرنيخ ، لاني لن أتأخر عن ابلاغ الشرطة اذا

ما اصيب ولدي شارل بسوء . . . »

كانت ام المحضر تتحدث بايمان وانفعال اقنعا الدكتور لسيناس

يا تقول ، فبادر الى فحص الادواني المحيطة به ، لاكتشاف الطريقة التي

تستخدمها السيدة لافارج لتسميم زوجها ، واذا به يجد في صحن الحساء

التي تناولها زبدًا ابيض كثيفاً اقسم فيا بعد انه زرنينخ ابيض .

ولكن هذا الاكتشاف جاء متأخراً ، لان شارل لافارج مات

تلك الليلة نفسها وهي ليلة الثاني عشر من كانون الثاني سنة ١٨٤٠

بعد منتصف الليل بوقت قصير .

وكان واضحاً ان ام القليل لن تدع قاتلة ابنها تنجو من العقاب ،

فطلبت من الدكتور لسيناس فحص الجثة ، وأبلغت الشرطة بان

ابنها مات متسمماً ، واتهمت زوجته بقتله ، فالتى القبض حالا على

قضية ماري لافارج

ماري لافارج وسيقت الى السجن . . وبعد

الدكتور لسيناس الى تسميم الجثة فلم يجد

فيها اثر الأزرنيخ . ولكن الشرطة لم تطمئن

الى هذه النتيجة ، واستدعت السيد راسيل

الخبر الكيماوي وطلبت منه فحص الجثة

من جديد . ووضعت النيابة العامة خلال ذلك اتهامها الموجهة ماري

لافارج ، والمبني على تصريحات لافارج العجوز ، ودنيس بارييه ،

وخادمة الام العجوز . ومنعت ماري لافارج في الايام الاولى من الاتصال

بأي انسان كان ، حتى بالحامي الذي سيدافع عنها . وبعد اسبوع من

توقيفها سمح لها بالكتابة الى من تشاء ، فوجت الرسالة الثانية الى

محام ناشي . يدعى شارل لاشود : « سيدي . انك تتسرع بوجهة

عظيمة ، وقد اتيت لي ان اسمك مرة واحدة ، فلم استطع امسك

نفسي عن البكاء . في ذلك العهد كنت سعيدة وكنت اضحك ،

اما الآن فاني تلعبة ولا انقطع عن النحيب ، قاعد الي ابتسامتي

يا سيدي ، بانأت براقي من الجرم الذي نسب الي » .

فأثرت هذه الرسالة في الحامي الشاب تأثيراً عظيماً ، وما هي

الا اساعة حتى كان يطرق باب غرفتها في السجن ، فوجدتها محطمة

الاعصاب منهوكة القوى ، وقد ابتدئته بقولها :

— ان هذه المرأة العجوز تريد هلاكي ، وهي تبذل جهدها

وطني بالهزيمة الشاملة التي الصقتها في ظلامي . انها تتخذ علي ، وقد

ابغضتني منذ اللحظة الاولى . وانا بريئة من هذه التهمة . . اني لم

اقتل زوجي . . ثقب بذلك يا سيد لاشود . .

— ولكن . . ماذا كان في الحلاوى التي ارسلتها الى باريس ؟

— ان في هذا الامر ما يدعو الى الاستغراب . . لقد ارسلت الى

زوجي اثنتي عشر قطعة صغيرة من الحلاوى ، حين علبه خشبية ذات

غطاء . مثبت بالبراني ، وقد اخبرني شارل عند عودته ، انه لم تكن

هنالك غير قطعة واحدة من الحلاوى كبيرة الحجم ، وان غطسا

الصيدوق لم يكن مثبتاً بالبراني بل بالمسامير !

فقال الحامي : — ترم دائرة الشرطة انك كنت تشتريين

زرنينخاً من الصيدلية ، فاذا كنت تصنعين به ؟

— هذا صحيح ، لقد عهديت الى دنيس بارييه بان يشتري لي

مقداراً من الزرنينخ من الصيدلية . وليس في هذا سر ما ، ولست

ادري بمهت الغرابة في هذا الامر . فقد طالما اشتريت زرنينخاً ،

لاننا نستعمله لقتل الجرذان ، فان بيتنا مملؤ بهذه الحيوانات القذرة ،

لقربه من المطحنة ، ومنذ سنوات عدة وانا ابيدها بالارسينيك .

حال، قالوا لثلاث تسميته لما وضعت السم في الحساء. لأن الزرنينخ الأبيض لا يذوب في الماء، وهو يطوف دائماً على سطح أي سائل يحتوي ماء. ولو فرضنا أنها حاولت تسميته، ومزجت الزرنينخ بالحساء، فإنها ستلاحظ حالاً أنه بدلاً من أن يذوب قد تحول إلى زبد كثيف يطوف على سطح الحساء...

وعندما بدأت المحاكمة، تكلم باسم النيابة العامة، النائب العام في باريس وكان يميل إلى الاعتقاد ببراءة المتهم، فأبعد الزنيس السيد دوبوازي «لأنه يبيدي كثيراً من العطف على السجينة» واستعاض عنه بالسيد دوكو النائب العام في ليسوج.

وكان السيد دوكو أراد أن يثبت أنه لا يحل للسجينة ذرة من العطف، فتابع مهاجمتها وملاحقتها بالتهمة، بقسوة قل أن يرى مثيل لها في المحاكم، وأراد ادانتها بأية حجة كانت...

وحين أعلن السيد راسيل الخبير الكيماوي أنه لم يجد أي أثر للزرنينخ في الجثة التي عهد إليه بتكريمها وفحصها، طلب السيد دوكو تأجيل الجلسة لفحصها للمرة الثالثة من قبل السيد ديورتان أحد كبار الأطباء الشرعيين إلا أن السيد ديورتان لم يستطع هو أيضاً أن يجد أثر الزرنينخ في جثة شارل لا فاراج.

وأي السيد دوكو إلا أن يقوم بمحاولة أخرى، فطلب فحص الجثة عند أوريليا أحد الاختصاصيين البارعين، فقام هذا بفحص الجثة بواسطة آلاته الدقيقة، ثلاث مرات متتالية، وبعد أن أعلن في المرتين الأولى والثانية أنه لم يجد أثراً للزرنينخ، أعلن في المرة الثالثة أنه استطاع العثور على جزء واحد من مائة جزء من المليغرام وهو أقل من المقدار الذي ينبغي توافره في جسم شخص سلم البنية ولم يعد لدى شارل لاشود شك في أن المحاكمة ستقضي ببراءة موكلته وأطلاق سراحها.

وشد ما دهش، واستنكر، حين أصدرت المحكمة قرارها بادانة ماري لا فاراج بقتل زوجها بواسطة الزرنينخ الأبيض، وبإتزال حكم الاعدام إلى السجن المؤبد، نظراً للأسباب الخفيفة... كانت الصدمة عنيفة جداً على المحامي الشاب، فأقسم أن لا

وعندما وضعت شارل في سريزه حين عاد من باريس مريضاً، أخبرني أنه شاهد جرذاً يجري في الغرفة، فبادرت إلى شراء الأرسينيك... لما ذُكر دنيس باريه أنك قد أوصيته بكتبان الأمر وأبقائه سرّاً بينكنا؟ - لأنه ينبغي هو أيضاً. لقد كان دنيس والام الجوز يديران المثل قبل زواجي مثلاً يشاءان، فلما تزوجت وضعت حداً لذلك، فنقمت على وابغضتني بغضاً شديداً. وفي اعتقادي أن شارل إذا كان قد فهم حقاً، ولست أميل إلى تصديق ذلك، فإن دنيس باريه ليس غريباً عن هذا الأمر. أن شارل قد ذهب إلى باريس ليفتقر خمسين ألف فرنك. وقد أصيب بالأمه المفاخرة السرية بعد أن قبض هذا المبلغ وقد أخبرني بعد عودته، أن المال قد سرق منه اثنا عشر مائة. وأغلب الظن أن دنيس باريه هو الذي استبدل بقطعة الحلوى الكبيرة، قطع الحلوى الصغيرة التي أرسلتها إلى شارل. وما كاد المحامي شارل لاشود يفادر السجن حتى قام بتحقيق دقيق عن أسيرة لا فاراج، فافتكشف أن شارل لا فاراج كان مريضاً للنقد، وكان يعيش من هذه الحرفة بالتعاون مع دنيس باريه منذ أعوام عديدة، وأنه لم يتزوج ماري كايل إلا طمعاً في بائنتها، وقد استطاع فعلاً الاستيلاء على هذه البائنة وتبديدها خلال ستة أشهر.

وعلم لاشود أن ماري قد ابغضت زوجها أول الأمر، لما عرفت من اختلافه وسيرته، ولكنها بدأت تحبه بعد ذلك، وكان هذا الحب ينمو في قلبها كلما تقدم الزمن، حتى انتهت أخيراً إلى حبه حباً صادقاً عميقاً. واتصل المحامي من ثم بالأطباء الذين فحصوا شارل لا فاراج اثنا عشر مرة في باريس، فأكدوا له أن ما عايناه هو النفس العادي لا أكثر ولا أقل، وذهب هذا المذهب أيضاً لطبيب الأسرة الذي كانت ماري قد استدعته لفحص زوجها على أثر عودته من باريس، والذي شككت السيدة لا فاراج الجوز بأقواله، مثلاً شككت بأقوال الأطباء الباربيين، وأصررت على احتضار الدكتور جول لسيبتاس.

وهكذا لم يجد المحامي الشاب، أي سبب جسدي يدعو إلى الاعتقاد بأن لا فاراج قد فهم ولم يمت موتاً طبيعياً... وقال لاشود لمأوانه: - لنيلا اعتقد بأن ماري لا فاراج قد صحت زوجها. وعلى كل



من ينكر ان في العربية معرّيات، طائفة منها دخلتها منذ القديم، وطائفة اخرى لا تزال تسرب فيها في هذا العصر. قد جاء بين المعربات القديمة الفاظ ينزها السع ويجهها الذوق ومع ذلك

المرتبجية

علية تحوّل حاملها درجة من درجات العلوم والفنون. وقد كُتبت الكلمة بإلادة «سي» للدلالة على مزاوله درس المستندات الرسمية، وفك مغالقتها، وطريقة استعمالها. ثم تمت ادخالها على المسلك القائم على

معاونة التمثيل الدولي. واذ كانت «سي» اداة في الاسن الغربية، وكان لها دونوب مقابل في العربية، اي صيغة النسبة او غيرها من الصغ. كان ابقاؤها مع الاوزان العربية من قبل النافلات الثقيلات، كابقاء النسبة الفرنسية مع النسبة العربية في الالفاظ المسفورة اعلاه. فاذا ثبت هذا الحلل، تحم سده بان تعرب كلمة «دبلوماسي» بجذف «سي» منها، والاستعاضة عنها بياء. النسبة، اويوزن «فعللة» مثل «جمرة» دهمسة، دهمدة «ومن ثم يجدر بنا القول «الدبلوماسية او الدبلومة» حسب تفاوت معانيها، وعندها يسهل علينا ان نشتق منها الفعل وما يصدر عنه من الاوزان، بما يشق عمله، لا بل يستحيل، اذا ابقيت اللفظة على حالها الحاضر، اي مذيبة بإلادة «سي» وهكذا يمكننا استعمال اللفظة حسب معانيها المختلفة الواردة في شتى اللغات الاجنبية، مثلاً الفرنسية:

diplomatie : «الدبلوماسية» : علم المستندات والمعاهدات المنظمة للعلاقات الدولية. «الدبلوماسية» : تمثيل احدى الدول لدى غيرها. diplomatie : «الدبلوماسية» : منصب دبلوماسي. diplomate : «الدبلوماسية» او «الدبلوماسية» : المصنف الدبلوماسي. «الدبلوماسية» : la diplomatie. او علم الشؤون الدبلوماسية. «دبلوم» : اي حامل دبلوم. diplomatiser : دبلوماسياً. diplomatiquement : دبلوماسياً بدبلومة.

الفرنس

الاب مرمرجي الدرومسي

وكان دنيس باربيه قد اختفى اثنا. المحاكمة، على اثر ما القى عليه لاشود من اسئلة محرجة، ولم يعرف له بعد ذلك مكان. وتابع المحامي نضاله. واستمر هذا النضال اثني عشر عاماً. وماري لافارج تقاني خلال ذلك الآم السجن.
وحين استطاع شارل لاشود اقتناع الحكومة الفرنسية بان هذه المرأة ضحية خطأ قضائي رهيب، وحملها على التحقيق في امرها واعلان برائتها، واطلاق سراحها. كانت ماري لافارج قد دفنت في السجن اجمال سني حياتها، بل حياتها كلها. اذ غادرته وقد انشب السل اطفاله في صدرها. وعاشت بعد ذلك ستة اشهر. ثم توفيت في اواخر سنة ١٨٥٢ وهي في السادسة والثلاثين من عمرها ١١ .

قد جرت على افواههم، ودرجت في تأليفهم. وفي ايماننا هذه تعرب كلمات اجنبية شتى بمنها ما لا يكتب له الحياة، فيسوت في مهده. ومنها ما يجري على الالسنه، لسهولته وعذوبته، فيعيش فيخلد. هناك كلمة اجنبية دخلت العربية. بيد انها شاعت في الاستعمال بطريقة مخالفة للاصل. الالهي لفظه «دبلوماسي» (diplomatie) وهي غير مفردة politique المترجمة بلفظة «سياسة» .

كثيراً ما يستعمل الكتاب الفاظاً دخيلة دون ترو وتدقيق. من ذلك قول بعضهم «اسبانيولي، ايطالياني، فاشستي، فاشستية ميكانيكي». ففي هذه الحروف — على حال استعمالها هذا — اداتان للنسبة: الاداة الاصلية الاجنبية، والاداة العربية. فالادوات الاربعة «يول، ين، است، ايك» هي للنسبة في الفرنسية. فعند التعريب، يقتضي حذفها، والاستعاضة عنها بياء. النسبة العربية، اذ لا حاجة الى ابقائها. بان العربية لها اداة معدة لهذا الغرض. وعليه يقوم الاستعمال الصحيح على القول «اسباني، ايطالي، فاشي، فاشية، ميكانيكي». حسب هذه الطريقة المعينة المذكورة، قد استعملت كلمة «دبلوماسي» (diplomatie) فان هذا الحرف اراد في جميع اللغات الغربية. لكن اصله من كلمة diplôma اليونانية الدالة، بمعناها الوضعي، على الشيء المطوي. واذ كانت الادوات الرسمية تطوى طيات، اطلقت اللفظة على سائر المستندات التاريجية والسياسية، ثم شملت كل شهادة تصدر من قسبل جمعية او لجنة

يتغلى عن هذه القضية، وان لا يكف عن النضال. حتى ينقذ ماري لافارج من الظلم الذي حل بها .

وطائف شارل لاشود يوجه العرائض والاحتجاجات دون جدوى وقام بمحلة صعبة واسعة لاثارة عطف الرأي العام على موكلته وحمل الحكومة على اطلاق سراحها، فأكتسب عطف الرأي العام على ماري لافارج ولكنها لم تغادر السجن .

ثم اقنع قاضيين بروسين هما المرونوز والمريم من اعضا. محكمة الاستئناف في برلين، بدراسة القضية، فوضع هذان القاضيان الشهران تقريراً يعلنان فيه ان ماري قد حكمت خطأ، وان دنيس باربيه هو الشخص المسؤول عن موت شارل لافارج .

كارتير الثانية في حياتها الفرامية

سن

الحب مكاناً بارزاً في حياة القيصرية كارتير الثانية، كان له صدى وأثره في حياتها العامة وفي بلاطها، حتى كاد يصبح في عهدها نظاماً من انظمة الدولة الروسية .

على أن كارتير بالرغم من فسها، لم تكن مريضة او مصابة بالهستيريا، كيسالين مثلاً، ولم يرد منها اي انحراف جنسي، او داء عصبي، ولما كانت لها عواطف ملتبهه وكانت تزوي ظاهها بطريقة ملتبهه، وتدلنا صورها على انها كانت ذات صحة جيدة، ونفارة منيرة، وسياه باسمة ومشرقه، مع كثير من الاعتدال والجلال . بيد انها لم تكن جميلة، وكانت تعرف ذلك فتقول: - اني لست مفرطة الجمال، ولكنني احوز الاعجاب، وهذه هي قوتي .

واليك هذا المثل على الطريفة التي كانت تتبعها في اختيار عشاقها وفي تعريضهم منها :

يلاحظ في احد الاحتفالات ان الامبراطورة قد نظرت باهتمام الى ضابط مغفور، ويعلن في اليوم التالي ان هذا الضابط قد عين مرافقاً لجلالته، فيعرف الجميع ماذا يعني هذا الزواج، ويذهب الضابط الشاب الى البلاط، ويعطي الجناح الخاص بالمحظيين .

ويكون هذا الجناح خالياً حينذاك وعلى استعداد لاستقبال المحظي الجديد، فيجد فيه كل ما يحل به من مظاهر الترف الباذخ واسباب المتعة الانيقه، ويجد فوق ذلك، في درج المكتب الخاص به، مبلغاً من المال قدره مائة الف روبل ذهبي، هو الهبة الاولى من الهبات السنية التي ينتظر ان تقدها الامبراطورة عليه .

وفي المساء، تسبد الامبراطورة في البلاط وهي متمتدة على ذراع المحظي الجديد، ببسالة عظيمة، دون ان يتغير شي في مظهرها او في منهاجها اليومي . فاذا ما دقت الساعة العاشرة، دخلت الى جناحها الخاص يتبعها الضابط الشاب وحده . . .

وتفرق الامبراطورة عشيقها بالمال والنعم ما استمر جها له، وتقمه الرتب والالقاب، وتقطع الاراضي والضياع . فيصبح في ايام معدودة من اغنى رجال الدولة ومن اعظمهم شأنًا .

وقد احصى الموزونون ما انعمت به على سبعة عشر عشيقاً كانت لهم في قلبها مكانة عظيمة، فبلغت قيمته اثني وتسعين مليون دولار .

وقد كان بعض هؤلاء العشاق نفوذ سياسي في الدولة، وعملت الامبراطورة بكثير من نصائحهم ومقترحاتهم، ولكنها لم تسمح لهم بانتزاع السلطة منها، ولم تنس حتى في اiban شفها العميق بواحد منهم، انها امبراطورة اوتوقراطية تستأثر بالسلطان المطلق . . . وذات مساء، قال بولكين احب عشاقها اليها، وهو يدعيها :

- اني اطوق روسيا بذراعي . . . فقالت له جادة، على رسلك . . . انك لا تطوق سوى كارتير .

وكانت على اعظم ما تكون من الرقة واللباقة حين ترغب في قطع علاقتها بعشيق قديم لانها اعطت قلبها لعشيق جديد . ولا تنس ان تقدم اليه للرة الاخيرة هباتها السنية . فاذا توفي احدهم عدت الى رثائه وامرت باقامة المآتم، ولكنها لم تكن لتبكيه لان عينها لم تكن تعرفان الدموع . . . ولانها وضعت لنفسها مبدأ يقضي بتناسي الهوم، واستقبال الاشياء المحزنة نفسها بالروح والسلوان، وكانت لا تفتأ تقول :

- يجب ان لا نفكر في الاموات كثيراً . . . لا اريد ان اسمع بكاء . . . ولا احب الشكوى والنحيب . . .

ولم يرد انها حزنت مرة مثل حزنها على عشيقها لانسكوي الذي مات بين ذراعيها، فقد كابدت على اثر وفاته آلاماً مبرحة القتها الى حفرة القبراش . . . وكسبت الى غريم بعد ثلاثة شهور :

« اذا كنت تريد ان تعرف ما انا عليه، فاعلم اني منذ ثلاثة شهور وانا انا في حزناً عظيماً على الحسارة التي منيت بها، فهي خسارة لا تعوض، وليس يجد الغراء منها سبيلاً الى قلبي . ان قلبي ليديني كما لو اني فقدته منذ لحظة . على اني اقوم مع ذلك بواجبي، واحاول القيام به مثلاً ينبغي له، غير اني اقول لك مرة اخرى ان لمي لا حد له، وان لم اعاني في حياتي ألماً يضارعه . . . فخذ ثلاثة شهور وانا اتعذب كن قضي عليها بالهلاك »

غير ان الامبراطورة المفجوعة التي لم يكن الغراء ليجد سبيلاً الى قلبها، والتي كانت حينذاك في سن الخامسة والستين، ما لبثت ان تعزت عن قيدها، فكسبت الى غريم بعد شهر واحد :

« لقد عاودني الهدوء بعد جهد كبير الزمت به نفسي . . . بيد اني لا استطيع القول بانني اعدم من حولي اناث ييذلون كل ما في وسعهم للتسلية، وان كنت لا ازال في حاجة الى فترة اخرى من الزمن حتى اجد متعة في هذه الضروب من التسلية . وبكلمة واحدة اخبرك ان لدي صديقاً جديراً كل الجدارة بصداقتي » .

وكان هذا العشيق الجديد، الجدير بكل الجدارة بصداقة

الامبراطورة ، يدعى يرمولوف .

وبين هذه السلسلة التي لا تنتهي من العشاق ، ثلاثة كان لهم في حياة كاترين اثر خاص ، اولهم غريغوار اورلوف ، وهو رجل بهي الطلعة ، ممشوق القامة ، ولكنه محدود الذكاء ، مغرط الكسل يحب للغامرة المرح . وتدين كاترين لهذا الرجل بسلطانها ، وهي لم تنس قط انه جازف بحياته في سبيلها .

وقد بلغ من حبا له انها ارادت ان تتخذه زوجاً لها ، فأبلغت مجلس الامبراطورية ذلك سراً ، فظفر اليها المستشارون دهشين ، ولم

يجرأ واحد منهم على انلان رايه ، غير ان الكونت باتين قال صراحة : — ان الامبراطورة تستمع لجميع الحوق ، وفي وسعها ان تصنع ما تشاء ، ولكن روسيا لن تعترف ابداً بالسيدة اورلوف امبراطورة عليها . . . ولكن كاترين ظلت مصرة على رغبتها ، وجعلت تبحث عن طريقة تتجنب معها الفضيحة ، فصنعها احد رجال البلاط القديمة ، بان تتزوج اورلوف سراً ، وقال لها ان الامبراطورة اليزابيث قد وجدت نفسها قبل عشرين سنة في مثل هذا الوضع فلم تتردد في ان ترتبط بمشيقتها الكونت زارموفسكي برباط الزوجية وهي ابنة بطرس الاكبر ، ولكنها حققت ذلك في الخفاء ، وكتبته عن الناس جيباً ، ولا يزال الكونت زارموفسكي حياً ، فلمله يستطيع الحصول منه على صك الزواج ليكون في يدها حجة تعبر بها عملها .

وكان زارموفسكي قد طعن في السن ، ولم يعد ينتظر غير تلبية نداء ربه ، فزاره باستنوييف وطلب منه باسم الامبراطورة صك زواجه باليزابيث ، واعداً اياه بما يشاء من النعم والالاقاب . وكان الشيخ يقرأ في الانجيل بجانب المدفأة ، فنهض ببطء واخرج صندوقاً من الابنوس ، وفتحته بمشروع واعتنا ، ثم قبل الورقة التي فيه ، وعلقها فجأة بين السنة الذهب فالتفتها في طرفه عين . . .

وقضى بذلك على مشروع الزواج .

وظل غريغوار اورلوف مسيطراً على قلب كاترين حتى سنة

١٧٧٢ ، ولكنه ما لبث ان تلقى وهو يقوم بنصب السفارة في

مولدافيا ويقع الحفلات الانيقة للسفراء . الاتراك ، رسالة من سان بطرسبورج تنبئه بان خليلته الكبيرة قد اختارت لنفسها خلفاً له . وكان العشيق الذي احتل مكانته في قلب الامبراطورة ، شاباً في الثامنة والعشرين من عمره ، بينما كانت كاترين في سن الثالثة والاربعين . وكان فائق الجمال ، ولكنه شديد الحياء ، فبادرت الامبراطورة الى اهدائه علبه من الذهب ، وامرت بنقله الى الجناح الانيق الخاص ، لعل الترف الذي احيط به يقضي على حيائه . . .

اما غريغوار اورلوف فقد نغم على الامبراطورة نقمة شديدة ، ألا انه ما لبث ان علم انها قد رفعت له الرتبة امر ، واغدقت عليه اشادات النعم ، فتغذى عن حبها بحب جديد ، واصبح صديقاً عادياً لها والعشيق الثاني الذي كان له اثر كبير في حياة كاترين هو بوتكين . وقد كان بوتكين اعور قبيحاً ، ولكنه استطاع التأثير في كاترين بذكائه المتقد وارادته الحديدية . ولم تطل غلاقته الغرامية بالامبراطورة سوى عامين ، ولكنه ظل بعد ذلك مدى ثلاث عشرة سنة صديقاً حميماً لها ومستشارها الامين الذي يتصرف مثلاً يشاء في مقدرات الدولة .

بل لقد كان بوتكين مرشد الامبراطورة في حياتها الخاصة ، يسهر بنفسه على علاقاتها الغرامية ، ويهيي لها الفرص المؤاتية والذائد المتنوعة ، ويختار لها العشاق الجديرين بنيل الحظوة

في فؤادها : — ولعل بوتكين بمقدرته السياسية ، وذكائه المتنبه ، وتفسيخه الاخلاقي ، خير من يمثل عهد كاترين .

اما العشيق الثالث الذي بلى هذين في الاهمية ، فهو افلاطون زربوف ، وهو ضابط شاب ، جميل الطلعة ، ولكنه عديم الذكاء والارادة ، لا يتمتع باية موهبة عقاية

اولعت كاترين به وقد اجتازت سن الستين ، فعيده عيادة الوثنى لورثه ، ودلته دلال الاطفال ، وكان هو يزهو بمجاليه ،

— البقية في صفحة ٦١ —



كاترين الثانية

وتهاوي يغسل الفل على الدرب المسهد

اين ضلت جلتار تنشد الازهار خرّد
اين تاهت قصة تروى عن الورد وكُسرّد
تهب الجلو كشايق وفردوساً بمجد

شفق ان هوّم الافق حواليه تأود
فاذا ما مرّد الليل على الاحلام اسود
اجش الفجر من الوجد وهم الشعر وامتد
والدجى يزور عن صبح وعن آه توءد
قد هوى يكحل جفن النجم في الافق يروود
فاكتسى ثغر شعاعاً وانتضى ثغر مهند

الى الشفاء الحالة في دمشق

والشفاء الملعس تنهار على عطر ومسجد
والندى ريق الفراشات على الحد تقدد
والشذى يفضّل إما هلّ بوح وتهمد
كان لي من ريقه العذب دنان ليس تنفد
وعقيقى صبّ في كوبي خراً وتردد
فعلى الكأس جراح وشفاء تتروود

اي صخران في الثمر حناناً اي جلد
اي نار هاجها الميسم في اجواء مبد
فصلاة تتلاشى وتسايع كأن قد
وشفاء هما البرح غنوباً ومهدد
وبنان ، جن شوقاً رسم القبة وانهد

برعم حط على البرعم رهواً وقوسد
لؤلؤ ، يتام عقداً والمني في الشعر تعقد
مسطها القبة هيمي لونها العمر المهدد
فأنثري يا منتيي البكر اللاكي فلي الحد
قد هوى اللؤلؤ رطباً ينظم الحلم المبدد

برم - سوبرا
برعم ضهي

شفاء

هوّمي يامنيتي البكر على الحلم المبدّد
بالوشاح الخلو ، يتزاح ويفتر عن الغد
بالجنح الغض ، بالعرشة ، بالجنن وباليد
موجة تغفو على الجزر وتتأد على المد
تنمخ الحفقة والنتيجة للخذ المورد
فاذا يجذبها الأكل الى وهم مشرّد
سربت باللهفة الجذلي ثغوراً تتسرّد
هي احلى في الثملات من الورد واخذ

لهبّ آب من الوجنة ، من نهّد مجرّد
نسل الحسرة من جرح وغيب وتوقّد
من دم ريان طيب مهراق عب وارقد
مرة سال على ثغر مدّتي ثم عريّد

سلسلة الطهاين

للطبيب الفرنسي الفونس دوربه
ترجمة سهيل ايوب



رأت

مساءً ، حكى لي « فرنسوا مامي » لاعب المزمار القديم الذي كان يضيء اسمياته عندي من حين لآخر يشرب الخمر ، مأساة صغيرة حدثت في القرية ، وكانت طاحونتي شاهداً لها منذ عشرين سنة تقريباً . وقد تأثرت جداً من قصة ذلك الرجل الطيب ، وسأحاول الآن ان ارويها لكم كما سمعتها غاملاً . تخيلوا لحظة ايها القراء ، انكم جالسون امام ابريق من الخمر المعتق ، او لاعب زمار يحدنكم . لم تكن بلادنا دوماً يا سيدي الكريم ، مبرحاً مائتاً لا العاب فيه ولا اغاني كما هي اليوم . فقد كانت بحرياً صيداً لا تجارة طحين واسعة ، وكان الناس يجاملون البنا من سائر القرى المجاورة قههم كي نطحنه لهم . . . وكانت المضارب في كل جهة حول هذه القرية ، مغطاة بطواحين الهواء . فا كنت ترى ان نظرت الى البينين او اليبسار ، الا اجنحة تدور بها ربح الشمال فوق اشجار الصنوبر ، والا قوافل من صغار الحبر محملة بالاكياس ، متسلقة ومنحدرة على طول الطرقات . وما كان ابهج ان نستمع طوال ايام الاسبوع الى صوت السياط ، ومساعدتي الطحانين منحدراً البنا من الاعالي وهم يصيحون بدوايهم « دي هيأ » .

.. فاذا جاء يوم الأحد ، كنا نذهب الى الطاحن جماعات . وهناك سكان الطحانون يقدمون لنا التبيذ الجيد الطعم . وكانت

نناؤهم الحيلات تبدو كالملائكة بناديلهن الخمر ، وصلبتهن الذهبية ، يدينا كنت انا اعمل مزماري ، وحتى آخر الليل كان الرقص والغناء يجريان على نغماته لقد كانت تلك الطحان كما

ترى تؤلف بهجة بلادنا وثروتها .

ولسو . الاحظ ان بعض الفرنسيين في باريس خاسرتهم فكرة اقامة طاحونة تجارية على طريق « تراسكونيا » ولما كانت هذه الطاحونة جميلة وجديدة ، فقد طفق الناس يرسلون قههم اليها . فكان ان غدت هذه الطاحن الهوائية دون عمل وحاولت ان تقاوم وتحارب مدة طويلة ، الا ان البخار كان اقوى منها ، فوجنت نفسها واحدة تلو الاخرى ، مضطرة لان تغلق ابوابها وهكذا فلم تعدزى صغار الحبر . . . ولا الاجنحة داغة الدوران . . . كما اضطرت لئاء الطحانين اليهم صلبتهن الذهبية . . . فلا نبيد . . . ولا رقص . . . ولا اجنحة تدور معها عصفت ربح الشمال ! . . . واخيراً هدمت المدرية كل هذه الطلول ، وزرعت مكانها كروماً واشجار زيتون .

ومع ذلك ، وفي هذا البؤس ، ظلت طاحونة هوائية تقاوم وتدور بشجاعة فوق أكمتها . بالرغم من انف الطواحين البخارية جميعها . كانت تلك طاحونة المعلم « كورنيل » هذه بالذات التي نقضي الامسية فيها هذه اللحظة .

كان المعلم « كورنيل » طحاناً عجوزاً يعيش منذ ستين عاماً بين الدقيق . فهاج غضبه تأسيس طاحونة البخار ، وجملته كالجنون . وكنت تراه طوال ثمانية ايام ، يركض في القرية ويجمع الناس حوله ويصرخ فيهم بأعلى صوته ، انهم يريدون تسميم « المقاطعة » بطحين البخار . كان يقول :

— لا تذهبوا الى هناك ، فان هؤلاء البصوص كي يحصلوا على



الحجر ، يستعملون البخار الذي هو أحد اختراعات الشيطان بيننا عمل
انا بواسطة ريح الشمال التي هي تنفس الله . .
وهكذا كان يجد كثيراً من كرات المديح الجميلة يسبغها على
طواحين الهواء . ومع ذلك فان احداً لم يكن يلصق له .

وكان ان غضب العجوز ، فانفرد بنفسه في طاحونه وعاش
وحده كصبيون متوحش . حتى انه لم يشأ ان يحتفظ الى جانبه
بحفيدته الصغيرة « فيغيت » وهي فتاة في الخامسة عشرة ، لم يبق
لها منذ وفاة والديها غير جدها . فاضطرت ، لكي تكسب
قوتها ان تعمل بالاجرة في المزارع ايام الحصاد . ومع ذلك فقد
كان يظهر ان جدها يحبها كثيراً ، اذ كان يحدث احياناً ان يثني
ذلك العجوز تحت اشعة الشمس المشرقة والمشرقة اربعة اميال كي
يراه حيث تعمل . وعندما يكون الى جانبها ، كان يضي ساعات
طويلة ينظر اليها ويبيكي . .

وكان الناس يظنون ان العجوز ، ساعة ارد حفيدته انما فعل
ذلك ليلضه . وان ليس ما يشرفه ان يرى حفيدته تذهب من مزرعة
الى اخرى ، معرضة لقساوة مستأجرها ، ولكل متاعب الشبان
الاغنياء . وكان من المستبعد عندهم ان يذهب رجل له شهرة المعلم
« كورنيل » وهو محترم من الجميع حتى ذلك الوقت ، في الشوارع
كبوهبي غير متدن ، وقدماء حافيتان ، ورجل مثقوب في وسط
وتيا به مزقة احلاما لينة . . والحقيقة اننا يوم الاحد ، اذ زورنا
الكنيسة ، كنا نحن الشيخ نجيل من اجله ، وكان المعلم « كورنيل »
يعرف ذلك . حتى انه لم يكن يجزؤ أن يأتي ويجلس الى جانبنا ،
فكان يظل دوماً في آخر الكنيسة ، حيث النقاء . . .

ولقد كان في حياة المعلم « كورنيل » شيء غير واضح . فبالرغم
من ان احداً في القرية لا يحمل له حقاً . فقد ظلت اجنحة طاحونه
تدور وتدور كسابق عهدها . وعند المساء ، كنا نلاقيه في الطريق ،
وهو يدفع امامه حماره المحمل بأكياس كبيرة . وحين كان يسأله
احدهم :

ان العمل يسير دوماً في الطاحون ياها المعلم « كورنيل » كان يجيب :
- نعم يا اولادي دائماً ، فشكراً لله . فاذا سأله احدهم من
اين يأتيه هذا العمل . كان يضع اصبعاً على شفتيه ، ويجيب برصانة :
- اني اعمل للتصدير . ولم يستطع احداً ان يعرف عنه شيئاً اكثر
من هذا .

اما ان يضع او يدس احدهم انفه في الطاحون ، فها لم يكن
يفكر فيه احد ، حتى ان « فيغيت » الصغيرة لم تداخلها هذه الرغبة

قط . وكنا نرى الباب مغلقاً دوماً عندما كنا نمر الى جانبها ،
والاجنحة الضخمة في حركة دائمة ، والحمار العجوز يقضم العشب
امام الباب ، وقطاً كبيراً هراً ينتم بأشعة الشمس على حافة
النافذة ، وكان ينظر اليك دائماً بحيث .

كل هذا كان لغزاً ، وكان جل الناس يتهايمسون عنه ، وكان
كل منهم يفسر على طريقته سر المعلم « كورنيل » الا ان الضجة
الكبرى والعامة ، كانت تفيد ان الطاحون يجري اكباساً من
الدرهم اكثر منه من اكياس الطحين .

ولكن الامر مع ذلك انكشف مع مرور الزمن . وهاكه
على ما كان .

لاحظت يوماً والشباب يرقصون علي نغمت زمماري ، ان ابني
الكبير والصغيرة « فيغيت » متحايان . وفي الحقيقة انني لم اغضب
لذلك ، اذ كان اسم المعلم « كورنيل » بالرغم من كل شيء ، محترماً
بيننا ، ولأن هذا الصغير الصغير المسمى « فيغيت » سبب لي
سجوراً عندما اراه يركض في مربي . ولما كان الحليان الصغيران
يحتضمان كثيراً ، فتسحق لهما بذلك الفرصة لينفردا . اردت ان
انهي هذه المشكلة بسرعة ، خوفاً من الحوادث ، ولذلك خرجت
الى الطاحون كي اتحدث في الامر مع « كورنيل » .

أول ما لساخس العجوز ! لو رأيت بأية طريقة استقبلي ! كان
من المستحيل أن اجعله يفتح الباب لي . فأخذت اوضح له سبب
مجيئي من خلال ثقب المزلاج ، بينما كان ذلك القط النحيل العين
طوال حديثي ينفخ فوق رأسي كالشيطان .

ولم يترك لي العجوز الوقت الكافي لأنتم حديثي . فصاح بي
بقلة ادب ان ادود الى زمماري . واني استطعت اذ كنت مستعجلاً
الى هذا الحديث ترويج ولدي ، ان افش عن فتيت في طاحون
البخار ، فتصور يا سيدي كم خجلت وغضبت عندما استمعت الى
هذه الكلمات الجارحة . ولكنني كنت حلياً بحيث تمكنت
نفسى ، وتركت هذا الجنون لطاحونه ، وحدثت الاولاد عن
اخفاقي الذريع . . ولكن هذين الحليين المسكينين لم يستطيعا ان
يصدقوا قولي ، فطلبوا مني الدماح لهما ان يخبرا الجد باعترامه ولم يكن
املك الشجاعة كي ارفض ما قرراه بأقصى السرعة . .

وحين وصولها كان المعلم « كورنيل » قد خرج لتوه . كان
الباب محكم الاغلاق ، ولكن العجوز قد نسي عند ذهابه السلم
خارجاً فضاغور الولدين فكرة في ان يدخلوا من النافذة كي يريا ما في

ذلك الطاحون الشهير .

يا للامر الغريب، كانت غرفة الطاحون فارغة لا كسب طحين ولا حبة قمح، وبلا أثر للطحين على الجدران أو شباك العناكب لا بل انهما لم يستنشقا تلك الرائحة الحادة رائحة الطحين التي تعطر عادة جو المطاحن . . وكانت الرحي مغطاة بالغبار، والقطف العجوز نائماً عليها .

وكان للغرفة السفلى جو الفقر والاهمال نفسه وكان كل ما فيها — سرير محطم، وبضعة قطع من النقود، وقطعة من الخبز ملقاة على درجة السلم، وفي ناحية من الغرفة، ثلاثة او اربعة اكياس يسيل منها قليل من الحصى والزمل الابيض .

اذن فهذا هو سر المعلم «كورنيل» ! وهذه هي اكياس الطحين التي كان ينقلها كل مساء كي ينقذ شرف الطاحون، ويجعل الناس يعتقدون انها تعمل عاجياً . مسكينة هذه الطاحون اومسكين صاحبها «كورنيل» ! لقد سلبتهم طاحون البجار آخر عمل لها منذ زمن طويل وكانت الاجنحة تدور وتدور

دوماً . ولكن الرحي كانت تدور في الفراغ .

وعاد الودان باكين يقصان علي ما رأت اعينها . فأحسست بأضلاحي تنزلق لسانها . . ودون ان اضيع دقيقة واحدة ركضت عند الجيران اروي لهم الحقيقة بكلماتي . وانفقنا لساعتان يتوجب علينا ان نحمل الى طاحون «كورنيل» كل ما في القرية من حبوب . وانتقلنا فوراً من مرحلة القول الى مرحلة العمل ، وخرجت القرية بأجمعها ، ووصلنا الى الطاحون دافعين امامنا سيلاً من الحبوب المحملة بالقمح — ولكنه حقيقي هذا القمح !

وكانت الطاحون مفتوحة على مصراعها . . وامام الباب جلس «كورنيل» على كيس من «الجيس» يسكي ورأسه بين يديه . لقد ادرك عند جوعه ان احداً ما دخل الطاحون اثنا غيابه ، وعرف سره . . كان يقول :

— يا لي من مسكين امل يده اماني الا ان سري الموت . . ان الطاحون قد هلك شفاك كمن يمشي على شوك . . نيل القلب وهو ينادي طاحونه بأصا . مختلفة،

ويحدثها كما لو كانت انساناً حقيقياً :

وفي هذه المظلة؛ وصلت الحبوب قرب الباب، واخذنا جميعاً نصرخ بصوت عال كما كان يحدث قديماً في الايام السعيدة « اين انتم يا اصحاب الطاحون . . اين انت ايها المعلم «كورنيل» . . واخذت الاكياس تنكدس امام الباب ، والقمح الاحمر ينسكب على الارض من كل جانب . . وفتح المعلم «كورنيل» عينيه واسمعا . واخذ قفماً في راحة يده ، واطبق يهتف وهو يضحك في آن واحد .

— انه قح . . . يا رب . . قح جيد . . ولكن دعوني انظر اليه جيداً . والتفت نحونا وقال : — آه ! لقد كنت اعرف قائماً انكم ستعودون الي، واصحاب الطاحون البخاري احرص جميعاً وأردنا ان نحمله منحصراً الى القرية ، ولكنه قال : — كلا يا اولادي يجب ان اذهب اولاً واطعم طاحوني العجوز لقد مضى وقت طويل عليها، لم تضع خلاله شيئاً تحت اضرارها . . وكانت اعيننا جميعاً مليئة بالدمع، ونحن نرى هذا العجوز المسكين يركض من الشمال الى اليمين وهو يفرغ الاكياس ويوابق الاحجار الدائرة ، بينما كان القمح ينسحق ، ويتطاير غباره نحو السقف .

ومنذ ذلك اليوم ، ويجب ان نصف انفسنا لم نترك ابداً العجوز المسكين دون عمل . وفي ذات صباح توفي المعلم «كورنيل» المرة الى الابد . . فحين مات «كورنيل» لم يخلف احداً فيها ! ماذا تريد يا سيدي، ان لكل شيء نهاية في هذا العالم . ويجب ان نعتقد الآن ان الزمن قد غنى على طواحين الهواء ، مثلاً غنى على كثير غيرها من وسائل الحياة القديمة .

سربيل اوجوب

ومضى



انكرام
ميجون لِحلاقة الذائع الصِّيت
والذي نال إعجاب اجميع
جريب اليوم وتأكد !

المكافأة العام لسربيل اوجوب :
مركبة شرف المتوسط - فان انظرن بك - بيزوت

عبقريه بلزاك في مراحل حياته

لخصها عن الفرنسية محمد وهبي



الرابع من كسرين الثاني سنة ١٨١٦ بدأ «اونوريه بلزاك» دراسته العليا التي انتهت في كانون الثاني سنة ١٨١٩ بنيله درجة البكالوريا في الحقوق. كانت والدته نائبة الشخصية عصابة المزاج ، وكانت شديدة النسوة في مراقبته ، بحيث انها لم تكن تتسامح معه في شي . كتبت اخته « لور » تقول «كانت امي تعتبر العمل اساساً لكل تربية ، بحيث انه يفعل فعله بمرور الزمن ، ولذلك لم تكن تدع ابنتها لحظة واحدة بدون عمل . ولم يحصل بين الام وابنها طول حياتها اي فراق ، كما انه لم تنشأ بينها اية بقعة فسد ملكتها بحسب حياها بالانتقاض والتخاذل مما جعله يقصر في الحكم عليها .

وقد تابع «اونوريه» دروسه في السريبون بجمهورية باريس الى قضاء الساعات الطوال في المكاتب العمومية يستغرق في تذوق تعام اساتذته العظام ، أمثال « فيلمان » و« غزو » و« فيكتور كوزان » . وكان لبحاث الاخير المتعلقة بالتصوف واشكاله المتعددة تأثير كبير عليه ، بحيث انها دفعته فيما بعد الى وضع قصته « سيرافيتا » Séraphita .

وفي ذات الوقت كان «اونوريه» يدرس مهنة القضاء فتلبذ اولاً على السيد «جويونييه دي مرفيل» Guyonnet de Merville ثم على السيد «باسيز» Passez الذي كان يقطن ذات المنزل مع اسرة بلزاك . وقد كتب استاذ «جويونييه» فيما بعد يقول : «كان بلزاك و«سكريب» Scribe شديدي النشاط الى حد انها كانا يجدتان الاضطراب في دروسي ، وقد حدا ذلك بالنظر ذات يوم

بنسبة الاحتفالات الثقافية الكبرى التي تقام في فرنسا احتفالاً بذكرى الكتب والروائي الشهير بلزاك . بدأت هذه الاحتفالات في شهر مايو بنسبة مرور ١٥٠ سنة على ولادة الكاتب (٣٠ مايو ١٧٩٩) وتنتهي بذكرى مرور مائة عام على وفاته (١٨ اغسطس ١٨٥٠) .

الى ان يرسل الكلمة التالية الى «بلزاك» : «زوجو من السيد بلزاك الا يحضر اليوم للدرس ، لانه يوجد لدينا اعمال كثيرة» . وقد ذكر بلزاك كثيراً من ذكرياته عن ايامه هذه في كتابه «بداية في الحياة» فحوى . منها قوله : «عندما تخرجت في الكلية اخضعني اني لنظام شديد القسوة . لقد اسكنتني غرفة ملاصقة لغرفته ، وكان يضط علي لكي انام يومياً في التاسعة مساءً ، واستيقظ في الخامسة صباحاً ، كانت غايته ان ادرس القانون باخلاص . ولم يكن بلزاك في تلك المرحلة من مراحل حياته يتجاوز العشرين ، وكان ، كما وصفه صديقه «جول دي بيتيني» ذا عينين صغيرتين براقتين تشعان ذكاءاً وقامة ضئيلة قصيرة ، وشعر كثيف اسود اشعث ، ووجه ناتئة عظامه ، وفم كبير ، وكان مهمل الهندام دائماً ، اذ كان يحتقر المظاهر ، ولكنه كان ذالوع شديد بالتأثير المغناطيسي .

عكف بلزاك في ذلك الحين على دراسة الفلسفة . وقد أثرت عنه مذكرات مؤرخة في سنة ١٨١٨ حول خلود الروح ، واخرى عن الفلسفة والدين ، وغيرها ايضاً في مبادئ الفلسفة عند ديكارت وما لبرانش . وهذه المذكرات مفعمة بالكارية قاطعة حيال المبادئ ، المقررة ، وما يسعى اليه البشر من امكانية البلوغ الى الحقيقة المطلقة . لقد كان ايمانه المسيحي قد تبخر ، وكان تفكيره يتطور به نحو فلسفة ليحيائية .

وفي سنة ١٨١٩ وافق وقت انتهاء بلزاك من دراسة الحقوق ونيله دبلومها موعد اعتزال والده وظيفته ككدير للاعاش وقواته على المعاش . ورافق ذلك من الظروف القاهرة ما حدا بأسرة بلزاك الى اخلاء مقرها بشارع «تامبل» والانتقال الى الريف ، باستثناء «اونوريه» الذي كان مقرراً له ان يبدأ عمله ككاتب في المحسنة غير انه كان يميل الى الادب ، ولا يطبق احتمال الوظيفة . وهنا نشأ

خلاف بينه وبين ابويه حول مصيره المهنة التي يحب ان يتخذها واحتمد النقاش الى ان تنازل الاب عن تشده في معارضته وتم الاتفاق على ان يعطى له سنتين للتجريب واختبار مواهبه واتجاهه في الميدان الادبي .

وهكذا استأجر بلزاك غرفة متواضعة في شارع « ليديجيير » Lesdiguières بالقرب مع مصنع السلاح بستين فرنكا في السنة . وكان حال هذه الغرفة سيئا جداً ، بحيث انها كانت شديدة الرطوبة كالشتاء ، شديدة الحر وازخرة بالبق في الصيف ، وكان قريد سقفها يدع الرائي مشاهدة الدنيا من خلاله ، ولم يكن بها من الاثاث غير طاولة صغيرة وكرسيين خشبيين وسرير يكاد يكون جوفاً ، وغير ستائر جرداً وخزانة للثياب الداخلية واخرى للكتب وما الى ذلك من اللوازم الضرورية . غير انه بالرغم من ذلك وجد في هذه الغرفة الكثير من السعادة المنشودة التي كان يراها في الوحدة والهدوء والانصراف الى المطالعة والانتاج الادبي ، وتقادى كذلك الانخراط في سلك الوظيفة البغيض .

ان المبتدى في الادب في ايماناً يؤث قصة لاجل نيل جائزة غونكور و Goncourt اما في سنة ١٨١٩ فكان يعكف على نظم القصائد من ذوات الاريات الهامة « Alexandrins » وتزولا على نصيحة الاب « دابلن » Dublin نظم « اونوريه » بتميلية « كرومويل » التي تعد بحق اجمل ما ظهر من نوعها في العصر الحديث وكان موضوعها مألوفاً ومرغوباً في ذلك الحين .

وكتب الى اخته « لور » في ذلك الحين يقول : « واخيراً قررت التوقف عند موضوع كرومويل موت شارل الاول . وقد مضى زهاء ستة اشهر وانا افكر في تصميم هذه التشيلية وكتابة قصتها . ولكن اعلمي يا اختي العزيزة ، انه يلزمني على الاقل سبعة اشهر او ثمانية لاجل النظم والابتكار ، واكثر من هذه

المدة لاجل التهذيب والتنقيح والتشذيب . ان الافكار الرئيسية الخاصة بالفصل الاول مدونة على الورقة ، ويوجد عدة ابيات من الشعر جاهزة هنا وهناك - غير انه يجب علي ان اقض اظافري زها . سبعة اشهر او ثمانية على اقل تعديل قبل ان اسيد بناء انتاجي الاول . آه ! ليتك تعلمين بالمصاعب التي تحيط بمثل هذه الاعمال . وحسبك ان تعلمي ان « راسين » ، ذلك الشاعر العظيم قضى سنتين في تنقيح روايته « فيدر » Phèdre ! سنتين ! سنتين ! انتأملين ذلك ، سنتين ! » . وهكذا كان بلزاك يفضي بأسراره ولواعجه واحاسيسه الى « لور » شقيقته المحبوبة ، وأمينة اسراره الاولى وصديقته الخاصة : وكان ذلك الفتى الشقي محروماً من عاطفة الامومة ، فاذا بأخته تحتل في نفسه منزلة الام ، اسمه اذ يقول : « ما اسعد الاخوة الذين لهم اخوات امثال « لور » . »

« لور » هي التي التي يكلفها بالاعتذار عنه الى امه عن قصيره في الكتابة اليها . « لور » هي التي يروح لها بسر مغالاته مع بعض الحسان . ولور هي التي يرسل اليها تصميم مسأته ويطلب منها افكاراً وملاحظات ، وهي التي يصف لها احلامه في « حديقة الملك » واعجابه بالمفكر الكبير « كوفيه » Cuvier .

وفي عام ١٨٢٠ انجز بلزاك كتابة روايته « كرومويل » ، وعلى اثر ذلك تشكل ما ينشبه المحكمة الادبية من أعضاء اسرته ومن الاب « دابلن » والدكتور « ناكوار » Nacquart لاجل مناقشة الرواية .

وكانت كارثة ! . فقد اخذ الحاضرون يتبادلون النظرات بعصية ظاهرة ، ثم اعلن احدهم حكمهم المشترك على الرواية ، فاعترض المؤلف .

وكان بلزاك الاب بالرغم من كل ذلك ، يحس ضعفاً نحو ابنته الذي يرويه صورة صادقة عنه ، فقرر انتخاب حكم . فاقترح خليف « لور » السيد « سورفيل » اسم « اندريو » Andrieux مؤلف



«الطاحوني الخلي البال» - Le Meunier sans-souci
مدرسة «البوتيكينك» ، والعدو
الادود للرومانتيكيين والاستاذ
«بالكولييج دوفرانس» في ذلك الوقت.
وارسلت الى هذا الحكم
نسخة عن الرواية ، ثم ذهبت اليه
مدام بلزاك وابنتها لمعرفة حكمه
فكان قاسياً جداً : «لي مؤلف
هذه الرواية المفككة ان يصنع
از شي . ما خلا الادب» .

وهكذا قضي على بلزاك
ان يسل اناجه الاول «وان يتدوق
مرارة الحجة» ، ويصح له ان يجرب
عبقريته مرة اخرى ، فعاد من
«فيلباريزيس» Villeparisis حيث

كان الاجتماع الى شارع «ليديجير» ، كما سافرت اخته «لور» الى سان
دنيس» ، بد ان تم زواجها من السيد «سورفيل» .
بما انه لم يكن شاعراً تراجيدياً ، فسوف يكون قصاصاً ،
وقدني الامر اهذا ما قرره بلزاك في ذلك الحين . سوف يعنى
بكتابة القصص ، وسيكثر من طبعها ، وسوف يشعر معها بنوع من
الاستقلال والاعزهر من القيود المضروبة حوله في ميدان التراجيديا .
وفي خريف سنة ١٨٢٠ وضع تصميم قصته «فالتورن»
Falthurne وهي ذات صبغة لادينية وتحمل بعض آثار من «بيرون»
Byron و«ان رادكليف» Anne Radcliffe و«وماتورين» Mathurin
و«التر سكوت» Walter Scott وتدور حوادثها في ايطاليا .
ومن ثم غلبت الالهجة والقالب مع الاحتفاظ بالروح والمبدأ ،
فأخرج «ستيني» Sténie او «الخطا» الفلسفية» وهي قصة في
رسائل على غرار «ابولييز الجديدة» La Nouvelle Héloïse لولوسو ،
و«حواء» او «حب ودين» «للمتورين» التي نجد بعض آثار منها
ايضاً في قصته «سبرافيتا» .

وهنا توسل بأحد اصدقائه القدماء سرتليه Sautetlet الى
النفر بأحد الكتاب الناشئين «لوياتفين» Le Poitevin الذي
كان يكتبه مجرالى سبع سنوات ، وكان كثير الاندماج بلاوساط
الادبية . كان هذا الكاتب ابن احد الممثلين ، وكان كلالديب



لور براك في شباحا

الطرح في استخدامه للادبا .
الناشئين ، واستثار مواهبهم بقصة
نادرة المثل . غير ان بلزاك استطاع
بواسطة هذا الكاتب ان يبلغ مأربه ،
فتوصل الى ولوج عالم اصحاب دور
النشر ، والصحف ورجال المسرح .
ولم ينفذ زمن طويل الا
وسارعت اسرة بلزاك الى دعوته
للقدوم الى مقرها في «فيلباريزيس»
في اول عربة مقبلة .

وهكذا انتهت تجربة
شارع «ليديجير» Lesdiguière
واثير الامتحان كافياً وتقرر بذلك
مصير بلزاك في عالم الادب .

اقام «اونوريه» مع أسرته
في قرية «فيلباريزيس» ، ولكنه
كان حزينا كثيراً في هذا المقام . فلم يكن يلس في تلك البيئة
شئاً يبيض الحجة التي تتعشش لها نفسه . فلا الطبيعة المحيطة بمنزله
كانت ذات جمال ماء ، ولا حال أسرته الرائدة في عزلتها كان يوحي
بشيء من النشاط والحركة . ولكي يجتهد حاجته الملحة للنشاط
والعمل ، عكف على الاستغراق في المطامع الطويلة ولكن بسرعة
عجيبة كمادته دائماً . فقرأ التوراة ، والانجيل ، وتاريخ الصين ، وبعض
القصص ، وزال انه قرأ ايضاً الف ليلة وليلة ، و«غرفة الجن» .
وفيا هو في ذلك ، اذا يزميله «لوياتفين» يزوره ويتفق معه
على تصميم قصة ضخمة تقع في اربعة اجزاء ، ثم يكتب على
كتابتها بشفان شديد .

وهكذا ظهرت بفضل التعاون بين «لوياتفين» و«بلزاك»
عدة قصص منها : «وريت برياغ» L'Héritière de Briague التي
يترج فيها الخيال بالتاريخ وقد بيعت بثمناثة فرنك ، و«جان لويس»
Jean - Louis وقد بيعت بألف ومائتي فرنك .

غير ان مستقبل «اونوريه» ظل مجهولاً حتى ذلك الحين . ولذلك
تقدم صديق قديم للعائلة يدعى الدكتور «جان ب . تاكلا» J. B. Tacla
Nacquart وهو عضو في الجمعية الطبية ، وعرض على «اونوريه» وظيفة
في احدى الدوائر ، قبلها مضطراً .

وكتب «اونوريه» الى اخته «لور» يصف لها حاله ويقول :

وتذني طسوحه بالاطراء والثناء. على نحو قولها له : « انت زهرة موضوع على كومة من البعاد ، انت بيضة ندرتفتحت عند الازهر » وكان ذلك الطريق الوحيد للتأثير عليه في نقطة ضعفه .

غير انه عندما اتضح « لمدام دوريني » الحب المتأجج في صدر « اونوريه » من خلال رسائله الغرامية ، وكان لم يزل في الثالثة والعشرين ، حاولت ان تبصره في امره وان تبنيه الى جنون مشروعه بالنظر للفرق الكبير في السن بينهما ، غير ان مسعاها لم يجد شيئاً ، وقد اضطرت في النهاية ان تعلن له في احدى رسائلها انها تحب غيره ، فلم يمنعه ذلك من الاستمرار في الكتابة اليها مع الانطواء على نفسه بحب عذري مكبوت دام طويلاً .

وحدث ذات ليلة ان تقابل ومحبوته في احدى الحدائق ، فذاع نبأ المكالمة ولغظ به الناس ، فاضطرت امه لاجل وقف الضجة والاعو الى ايقافه ضيقاً الى منزل اخته « لور » في « بايو » Bayeux .

وفي « بايو » عكف على العمل المتواصل فأنجح انتساجاً ادبياً غزيراً . وكان ان سافر ذات يوم الى باريس حيث عقد عدة اتفاقات مع بعض الناشرين فيباع Le Centenaire و Le Vicaire des Ardennes و Clotilde وغيرها ، ثم اخذ يكتب في الصحف

وهكذا برز اسمه في عالم الادب ، وغدا قريباً من بلوغ الحياة المستقلة التي طالما حلم اليها .

واخرج في ذلك الحين مسرحيتين ، غير انهما لم يمثلا على المسرح فلم يلبث ان عاد الى انتاج القصص فأعطى « اجنية الاخيرة » La dernière fée وهي ذات طابع شرقي ، ثم اتبعها بقصص كثيرة شهرت اسمه .

غير ان بلزك بالرغم من كل هذا ، لم يكن قد بلغ الشاؤم الادبي ولا المركز المالي الذين كان ينشدهما ، واذا كان جهاده حتى ذلك الحين جزءاً من جهاده الطويل الذي ظل يتابعه بمحبوبته المتدفقة حتى كَوْن لنفسه مركزه الادبي المعروف .

محمد وهبي

« ساصيل مؤلفاً ، اي آلة ، او حصاناً يقوم بجولاته الثلاثين او الاربعين في اليوم ، ويشرب ويأكل وينام في ساعاته المعينة . ويسمونه حياة ، هذا الدوران الرتيب المشابه لدوران بزل الطاحون هذا العود المستمر المتناوب للاشياء ذاتها لم اجن بعد شيئاً قط لمن مسرات الحياة ، وما زلت في المرحلة الوحيدة التي تفتتح فيها هذه الثمرات . فما حاجتي الى السعادة وماهجها حيناً ابلغ الستين ؟ ان الشيخ رجل تناول غداه ، ثم جلس يتفرج على الذين يجيئون ليفعلوا فعله . اني جائع ، ولست اجد شيئاً يطغني . نهني ! ماذا يلزمني ؟ يلزمني لحم طيور ، لانه ليس لدي غير مطلبين اهم هما : الحب والجد ، والى الآن لم يتحقق لي منهما شيء . ولن يتحقق ذلك ابداً ! » .

ولم يلبث هذا النداء الى الحب ان وجد جوابه . وكان ذلك في علاقته مع « مدام دو برني » Mme de Berny التي علقها واحبها حباً شديداً . وكانت هذه السيدة تقيم بجوار منزل بلزك في « فيلباريس » ، وكان زوجها المستشار في البلاط الملكي مكفوف البصر تقريباً ، وكان لها منه تسعة اولاد ، كبيرهم في الرابعة والعشرين .

كانت محبوبته الاولى ، بالرغم من بلوغها الثالثة والاربعين ، ذات وجه لطيف متقد بالفنعة ، وكانت لها حيطان مشجورتان بركة

ملحة ، وانفص ناتي . ولكنه دقيق ، وفهم صغير مفتقر عن نصف ابتسامة حزينة وقد ادركت التعطش الملتب للمعاطفة الذي يذيب ذلك الشاب ذا القلب المتعجز والدم الحار . فقد قال عنها : « اني لا احيا بغير القلب ، وقد احيتني » .

ولا يخفى ان النصيب الاكبر من هذا الحب يعود في تفسيره الى ذلك الكبت الذي طالما قيد تزوجه الطبيعي الى التمتع بالحنان الذي حرمته اياه امه ، والذي افتقده بعد فراق اخته « لور » .

وقد برزت « مدام دوريني » « اونوريه » ، وراحت تشجعه



بالتكافل التعاوني في اوسع معانيه وفي اتمل ايوابه وفي ارجب مجالاته . فالتكافل مرجو بين ادباء القطر الواحد ، وهو منشود بين ادباء كل قطرین ، وهو مرغوب فيه بين جميع الاقطار ولا سوا العربية منها .

وليس المقصود ان تستجلی آيات هذا التعاون الادبي في المناسبات دون سواها ، كان يكون ذلك عند عقد مؤتمر ثقافي او عند تنظيم مهرجان لتكريم شاعر ، او عند الاحتفال بمرور عدد من السنين على وفاة اديب او مفكر عربي ، بل الغاية ان يكون التأزرعاً شاملاً مستمراً مطرداً ، لا تحده قيود من زمان او مكان ، ولا تعترضه عقبات من سدود او تحجيم ، ولا تقيده اعتبارات من طواري او سوانح ، ولا تدفعه مآرب شخصية او سياسية .

مثل هذا التعاون يقتضد لان التعاون صفة من صفات الخليفة البشرية تتميز بها عن سائر المخلوقات ، ولان الارتقاء الادبي والفكري يحتمل التراسل والتفاعل والتعاون والتآزر والتآخي بين القول ونوائج الفعول وبين الرؤوس المفكرة والوجدانات الراحية والمواهب المحارة والوحي النازل على رجال الاقلام .

ان « صمعة الفكر » او « قوقعة الثقافة » او « برج العاج » او « غلة الروح » لم يعد لها مجال في عالم اليوم ، لان مسارية موكب النهضة يتضي بالخروج من الغزلة مساو ، كانت غزلة ادبية كالتبي لا يزال معظم الادباء في مصر يفرضونها على

انفسهم ، او غزلة سياسية كالتبي جنتت اليها الولايات المتحدة الاميركية تطبيقاً لمذهب موزو ثم نبذتها اخيراً ، او غزلة علمية كمثل تلك التي لا تزال مأقوفة في الشرق تنأى عن الاتصال بالخلاف العلمية العالمية .

اول لبن من لبنات التكافل الادبي هي الاخلاص ، فمن حاجة الى الاخلاص في النقد وتزييه عن الحقد المغرض والطمش المستبد والتجني الاحق والمبالغة السفهية والغلو في الادعاء . ان النقد جزء مكمل لرسالة الكاتب والمؤلف ، فلا مبدى اذن عن ان يكون بين الناقد والكاتب تعاون وتكافل ، سنفطراً كان او غير منظور ، فتستحق برسالة الاثنين رسالة الادب المثلى ، ويرتقي باخلاص الجانبين جوهر الادب المصنفي الخاص . فليكن الناقد عنيفاً في نقده اذا اوجته الضرورة الى ذلك ، ولكن فليجعل قلبه عفيفاً نقياً لا يتطرق اليه فساد يئيل به الى الهوى ، ولا يتسل اليه غرور ينجح به الى التعالي والتعالم . فليس المقترض في الناقد ان يكون ارفع علماً او اوسع ثقافة او اتمل دراية بأمر الدنيا من

الكاتب المؤلف ، بل المقترض فيه ان يكون له من استقلاله واستناده الى مجبجه ما يصحح للكاتب بعض ما فاته من اخطاء ، وما يشير عليه به من نصح او توجيه .

واحق انواع النقد ما نهض لاعلى قاعدة التكافل التي نستطيعها ونؤثرها ، بل على قاعدة الهدم والتجريح والتهمج ، وهذا لونا اذا اصطلح به اديب ظل مأثوراً عنه في كل ما يكتب وينقد . وقد يلي الشرق بصنوف وصنوف من امثال هؤلاء الهادمين النافين الذين يتلصسون الشهرة من رفع القؤوس ، ويسلكون دروب الادب من اخس نواحيها ، ويرون في التطاول الفج على اقدار الناس وسيلة محببة الى ارتقاء قنة الحمد . ان اولئك قد يصيرون شيئاً من ذريع الصيت وقد يطعن اسمهم بها وهذا لك ، ولكن واعية القارئ وبصيرتهم كفيلة بان تقيط اللثام عن خبيثاتهم فلا يسعها بعد ذلك الا ان تلفظهم لفظ النواة . والعنصر الثاني من عناصر التكافل الادبي هو التطلع الى النفع العام والسعي في جد واقدام الى التشديد والبناء ما استطاع المرء الى ذلك سبيلاً . فالنفع الخاص مهم بما بلغ مداه ،

لا ينبغي ان يقدم مجال على النفع العام ، والتشديد والبناء لا يعدلها في الحيازة الادبية شي . فالاديب يجب ان يرسل بصراً الى ما يتجاوز كياناً ومزاجاً وقبته ويفتح من آفاق الحيازة التي يوتادها ما لا يتقده اعتباراً ما . فمن اسف ان الكتاب والناقدن يلزمون انفسهم بقيود لا ترى وجهة فيها الا اذا كانت الكبرى . وجاهتها الوحيدة ، فهذا اديب يلزم نفسه بالا يشي الا على زملائه واصدقائه وذوي الرتبة من امثاله . واذا عرض لنتائج ادبي فاخر مكتوب بقلم لم يألفه ولم يعرف صاحبه ابي عليه كهيأوه وتعاليمه ان يحضه بشي . من التقدير او يوليده بشي . من العناية . واذا انت تابع متبجحات الاعلام من الادباء ، رأيت تلك الظاهرة ابين من ان تحفيها الملايسات ، ورايت عنصر الثاني جامع هذا الطراز من الكتابة . ان هذا النفع الخاص ، يكون سبباً في اغفار الصدور واضرار من ان الاحقاد والضغائن ، وما اخرج الجوالادبي الى ان يظهر بمقار كعقار . د . ت من الحشرات الناقلة لهذه السموم التي ترتعها وهناك دواؤها معها فليكن التشديد دأباً ومقتصدنا ، وليكن اول دعاة التشديد هم اولئك الجوزون من الادباء الذين بلغوا من مراتب الرفعة ما يجعل سواعدهم اقوى على البناء ، من سواعده الذين يقولون عنهم مراتب ويصفونهم شأناً ما ذالوا رأينا كبار الكتاب يكتبون عن صفارهم ، وماذا لو شهدنا ذوي الرتب يصفون غيرهم بمن لا رتبة لهم ، وماذا

التكافل الادبي

فهم وبيع فلسطين
http://Archive.peta.Sakhrit.com

العين الحمراء

هذه آخر قصيدة للشاعر البلجيكي المشهور
موريس ماترنك الذي توفي أخيراً
نظماً قبل وفاته بأيام.

وقامت تحطم الاسوار والابواب
لندخل الغرفة . الغرفة الذهبية

حيث يرقد الجبال
على سرير من نار
ولما قاربت لم تستطع الدنو منه
بل وقت امامه مبهودة

نعلن الارض والسما .
لبنها ما اخفت . .

هوذا الصباح يشتعل
أواه . . تجلدي يا حبيتي
واقذبه من الفناء

قبل ان يفرق في سيات عميق
بالقرب من الصفافة حيثك تنجابان
على سياهما غفوان الغضب
وفي شدائهما يرغو الربد .

قالت الأولى قلمات تنجس :
أما العين الحمراء يا اختاه

هوذا الصباح يشتعل
أواه . . اسرعي يا حبيتي
واقذبه من الفناء
قبل ان يلفظ انقاسه الاخيرة
لقد الهبت نظراته الحمراء
ظلمات الحياة الهادئة
ومن كل جانب كان الضجيج يرتفع
فهنأ قهقهات وهناك عويل
ومن بعيد كانت الحرايا الخضراء
ترمق النور ، نور الصباح القوي
لتخسده بنظرانها الشذراء
وترتل من وجودها
الخفية الماثرة السردية . .
هوذا الصباح يشتعل
أواه . . هيا يا حبيتي
واقذبه من الفناء
قبل ان يماثقه الموت

على شط الزمان قامت الطبيعة غضبي
تناوى ونفسا وتنصر لقلبها المحطم
« آه . . له الويل هذا الوجود
لقد ايقظ نفسي . .
سوف اذيقه حقه »

بوكر - السفال يوسف محمد رضا

Archive
http://Archivebeta-Sakhril.com

اهتمه على دائرته الضيقة ، بل يوسع محيطها ليستوعب المعمورة كلها
إذا استطاع . فمن عجب ان تصدر دور الطباعة مؤلفات عن الادب
المعاصر او الادب الحديث ، فاذا تصفحتها وجدتها خلواً من كل
إشارة الى ادب لبنان وادب سوريا وادب العراق والادب السعودي
وأدب المهجر . ومن عجب ان يستأثر بنصف هذه العنصرية ادباء
اقطار لا تتأني عينا بأسماء من بضع ساعات تقطعها الطائرة مرات
في اليوم . فلنتطلع اذن الى تجريد انفسنا من رداء القومية العتيق ،
ولنكن عصريين حقيقيين مدركين بوجودنا صحيح جمع شؤون
عصرنا الذي نعيش فيه . فلن نحسب المرم . مقصراً اذا فاتته ادراكنا
حدث من العالم ، ولكنه يحسب مفرطاً في حق نفسه اذا تعدد
اغفال ما يحدث في عهده اليوم وغداً .

هذه محاولة للدعوة الى التكاثر الادبي المطلق ، ولعلها تصادف
عند الادباء . صدق ، وهو غاية ما ارجو .

وديع فلسطين

الفاهرة

لو وجدنا فعول اليوم نتحدث عن الذين قد يصبحون في الغد فعولا .
وثمة ركن ثالث نرى ضرورة توفيره لتحقيق التكاثر الادبي
الذي نريد الاعتصام به ، وهو ان نخلج رداء القوميات الضيقة ونلبس
لباس العالمية القضايا . فالادباء ، ولا سيما في مصر ، لا يزالون على
غير وجدان بما يدور في البلدان العربية الشقيقة ، بل ان اتصافهم
بالعرب قد يكون اوثق واعمق من اتصافهم بالشرق . اما اذا سألوا
عن المهجر وآداب المهجر وراث اهل المهجر ، فقد لا يعرفون عن
ذلك حتى التمر اليسير . وعلة ذلك هي رداء القومية الضيق الذي
يكلبون به انفسهم اما عن غير دراسة او عن اهمال او عن قصور
ما . فنحن في حاجة الى مبشر يبشر اولئك المنطوين على مصريتهم
بان ينسبطوا فتتسع هذه المصرية للعروبة وللمشكلات تلك العروبة
فلم تمد القومية الفضيلة المثلى التي يتطلع اليها العالم اليوم ، بل صارت
الفضيلة المثلى هي العالمية الموسوعة الكونية المسكونية . وكل
حامل قلم يجب ان يجعل الدنيا بأسرها مجاله وساحة عمله ، فلا يقصر

مستقبل الشعر العربي

بنلم محمود امين العالم



الشعر

مشاركة جدية في الحياة ، تتخذ مادتها من الواقع الانساني العام ، وصياغتها من طبيعة حركة الحياة الخاصة . وحياة الشعر ليست في مفردات مستحدثة ، ولا أخيلة محلكة ، ولا معان مبتكرة ، وانما في مقدار ما يأخذ من الحياة وما يعطي لها ، وفي مقدار ما يتأثر بها ويؤثر فيها . ذلك لان الشعر « فعل حي » هو كمنهجية ، تؤرخ لنا واقعا النفسي تاريخيا لا يقوم على « المصدر الوثيقة » وانما على المعاشة والوجود . وهو بهذا التاريخ الحي يؤازر بين حركاتنا ، ويطور تجاربنا ، ويحمل من حياتنا طريقا الى . . الى اي شيء . واكتشاف قارة ، واكتشاف نبتة ، واكتشاف علاقة رياضية ، واكتشاف حشرة ، واكتشاف حجمه قرد ، واكتشاف علاقة بين الفاظ ، واكتشاف نظرية اقتصادية ، واكتشاف صياغة فنية ، كلها ثروات تصاف الى الواقع النفسي فتضخمه ، وتضيقه من محجوباته وتعمق من ابعادها . ذلك لاننا نعرف ان تطور الانسان ليس الا تطور نظراته الى الواقع الذي هو بدون كل شيء متطور ابدأ . والنظرة الى الواقع تجربة انسانية ، محض انسانية ، والشعر احدى عناصرها ومقوماتها . ومن هنا كان الشعر مسئولية انسانية . ومسئولية الشاعر هي في احاطته للاشكال الجزئي الصغير الى اشكال انساني كبير ، بحيث يحمل من احداثه الشخصية الخاصة حقيقة عامة متضمنة ، لتسرف الانسانية خلالها حياتها ، وتقضي واقعا النفسي .

والمشكلة هنا ليست مشكلة موضوع بقدر ما هي مشكلة صياغة . فقد يسو الموضوع وقد يسف ، ولكن يبقى العمل الشعري عملا شعريا ، وتبقى الظاهرة التعبيرية ظاهرة فنية . وقد اختلف « ايدولوجيا » مع شاعر ، وارفص مذهب في الحياة ، واتهم فوهما لما بأنه فهم رجعي ، فيه ردة ونكوص ، وفيه مجانبة لتطور الواقع النفسي كما افهمه ، ولكن ، تبقى له عندي صياغته الفنية . . جليلة رائعة . وقد اتفق « ايدولوجيا » مع شاعر آخر يتألم مذهب في الحياة مع مذهبي ، ولكن . . . قد اتهم صياغته

الفنية بالتفكك والتجانف وعدم الاتساق ، بل قد ارفضه كشاعر فنان ، وان رضيت عن لونه المذهبي الانساني .

وقد يبدو لاول وهلة ان ما انتهيت اليه لتوي ، يتناقض مع ما سبق ان ذكرته من قبل . فهنا اغلب الصياغة على الموضوع ، وهناك كنت اتحدث عن الشعر كحركة حية ومشاركة جدية في الحياة . اليس هذا تناقضا ؟ الحق . . لا . ذلك لان الصياغة الفنية بحسب ما افهمها هي نفسها اضافة جديدة الى الحياة . فهي الخلق الحقيقي الذي يساهم بايجاده الفنان الى جانب المخوقات الكونية المتعددة . ويتصم علينا اولاً ان نعرف ما هي الصياغة . وسأقتصر بالطبع على الصياغة في العمل الشعري .

يتكون العمل الشعري اولاً من وحدة اولى صغيرة هي الكلمة ومن علاقات بين الجمل الشعرية او الايات هي العمل الشعري بأكمله . والكلمة الفردة لها دلالتان : دلالة لغوية ودلالة موسيقية وبلاغية . والعمل الشعري بأكمله له دلالات اربع : لغوية وموسيقية وبلاغية وفنية . وهذه الدلالة الاخيرة هي في الواقع الشرة الحقيقية للتعبير . وتتحقق تلك الدلالة الفنية بقدر تحقق الارتباط الضروري بين العناصر المكونة جميعاً لهذا العمل الشعري من كلمات وجمل مختلفة . فبقدر تحقق الضرورة بين هذه العناصر تتحقق الظاهرة الفنية في العمل الشعري ، او بتعبير آخر . تكمل صياغته . معنى هذا ، ان الصياغة تركيب ذو عناصر بينها علاقات ضرورية . والضرورة هنا ضرورة نسبية ، وليست مطلقة ، وذلك راجع الى انسانية التعبير . الا ان تلك النسبية نفسها هي التي تجعل من كل عمل فني خلقاً جديداً ، وازافة حقيقة الى الحياة . فليس ثمة ضرورة واحدة تصدق على كل عمل فني بل كل عمل فني يحمل في داخله مميزات الضرورة في تركيبه الخاص . ومن هنا تتحقق المعجزة الكبرى ، معجزة انتقال الحدث الشخصي الى حدث انساني ، والاشكال الجزئي الى اشكال كلي عام ، خلال الصياغة الفنية .

وهنا اجازف بالقول بان كلية الموضوع الفني وعمومية مادته وشمول مضمونه ، اذا تحقق بقدر تحقق الضرورة بين عناصره المكونة له ، اى بقدر الاحكام في صياغته . وهذه ليست نظرية اقول بها بل معجزة تحققها كل صياغة فنية محكمة . وبهذا المعنى وحده يقال على كل عمل فني كبير ، انه يستند الى وحدة تجريبية : والحق ان الوحدة التجريبية ليست الا ثمرة اعجازية لاحكام الصياغة .

وانا اعرف السؤال الذي يواجيني به الآن كل قارى . بعد هذه الاحكام الربية ، ولكي اعترف منذ البداية اني ان احب عليه اجابة وافية . والسؤال هو : ولكن ما هي تلك الضرورة بين العناصر المكونة للعمل الشعري ، تلك الضرورة النسبية ، التي تختلف باختلاف كل عمل ، والتي يتحققها تم الصياغة ، وتستحيل الحركة الشعرية الى فعل خلاق ، والحدث الجزئي الخاص الى تجربة عامة كلية ؟

نحن نعرف انها ليست ضرورة منطقية بحتة ، وليست ضرورة دلالية لغوية بحتة ، وليست ضرورة بلاغية بحتة ، وليست ضرورة موسيقية بحتة ، وليست ضرورة شعرية وجدانية بحتة . فقد تتحقق الضرورة الصياغية في عمل فني ، بجانب المحقق المعنى ، متناقض مع الدلالات اللغوية المتفق عليها ، خالفاً من الطقوس البلاغية ، تضطرب موسيقا ، وتتعارض ايقاعاته الشوابة والوجدانية بوجهة بيقى مع ذلك عملاً فنياً . والخطأ الكبير الذي يركبه الكثيرون في مواجهتهم لعمل فني حقيقي ، انهم يتطلعون فيه الى احدى تلك الضرورات فلا يجدونها ، فيحسبون عليه بالفسولة والضعف . ذلك لانهم ما فتحت امام بصرهم تلك الضرورة الاعجازية الحارقة واقتصد بها الضرورة الفنية ، التي هي تركيب عضوي حي من كل تلك الضرورات الجزئية بنسب متفاوتة . ولانهم ما استصروا في حياتهم الثقافية ذلك الكائن الانساني العجيب ، واقتصد به الحقيقة الفنية . اجل . . هناك حقيقة فنية هي في مظهرها علاقات ونسب ضرورية ، وفي جوهرها اضافة حقيقية جديدة الى الحياة .

وبهذا يزول التناقض الذي يتضح لاول وهلة ، وتنفصح لنا وثيقة الصلة بين صياغة التعبير الفني وانسانيته .

ونحن في مواجهتنا لتجارب الشعر العربي ، لم نستطع حتى اليوم - الى اى مدى محدود - ان نخرج الى دائرة اوسع من دائرة تلك الضرورات الجزئية التي تكلمت عنها . وانما اقتصرنا عليها

فحسب في تاريخنا النقدي الطويل متخذين منها سنداً للحكم على كل عمل شعري . فالشعر العربي يزخر بالتعبيرات التقريرية البحتة ، والنقد العربي كذلك يزخر بآيات التمجيد لتلك التعبيرات التي لا تستند الا الى ضرورة منطقية . والتعبير الفصاحي والبالغى يكون الجانب الاكبر من تعبيراتنا الشعرية ، والنقد العربي كذلك لا يزال حتى اليوم يزخر بآيات التمجيد كذلك لتلك التعبيرات « البهلوانية » البليقة . وفي العصر الحديث تقوم نظريات جديدة في الشعر العربي ، متخذة الرمز والايحاء الصوتي او الوحدة الشعرية سنداً للرضا عن تعبير شعري او رفض تعبير شعري آخر ، متذرة في ذلك بنتائج مستمدة من الاتجاهات السيكولوجية . على انه حتى اليوم لم يتحقق موقف جدي يواجه التعبير الشعري كظاهرة فنية ، ويحكم له او عليه بتقضى هذه الوجهة من النظر .

وانا اعترف ان اللفظة العربية في التعبير الشعري قد خلقتها تطوير واستحداث وان العلاقة بين الالفاظ الربية (الجلة الشعرية او البيت) قد خلقتها كذلك تطوير واستحداث اما العمل الفني فما اقدم على تحقيقه حتى اليوم غير افراد يمدون على الاصابع ، متجاوزين عما في اعماهم من بدائية واستخفاف .

الحقيقة الفنية ضالمة في الشرق العربي . فالشعر العربي اليوم في غاليته ما زال تجربة لغوية بلاغية ، وما زال كبار شعرائنا هم المجددون قولاً ، والمضجون بياناً والمخلعون خيالاً . ولست ادري الدور الذي يقوم به شعراؤنا المحدثون الا انه مجرد لباقة لغوية من نوع مبتكر ، تستند على الاستفادة الكاملة بكل امكانيات اللفظة وبملاقاتها المتنوعة بغيرها من الالفاظ هذا فضلاً عن القدرة الخاصة على التلميح والتغور في مسابيح الخيال وابعاده . انها لعبة الفاظ ، تلعب فيها القدرة اللغوية واللباقة الذهنية والمصادفة البحتة دوراً كبيراً .

لعبة الفاظ . . تتعاقب فتشع ممان وتتاح صور في حدود مقفلة هي حدود بيت شعري ، ثم تتعاقب الفاظ اخرى فتشع ممان وتتاح صور في حدود بيت شعري جديد ، وهكذا حتى تنتظم سبعة رائحة من الجبات الشعرية المتراضة ، كل منها بلون براق من من التصورات اللغوية والتشبيكات الخيالية . والحق ان الشعر العربي الحديث قد استطاع - كما قلت من قبل - ان يحرك من جود البيت الشعري التقليدي ، ولكن في حدود اللفظة والعلاقات بين الالفاظ ، الا ان « التناول » العام ما زال كما هو . « فالغنائية » البحتة ما زال كما هو وحدة العمل الشعري ، وعصره الاساسي .

وما يزال المعنى اليتي هو السند القوي للحكم على قيمة العمل ، وما تزال سعة الخيال هي الهدف الاسمي الذي يحاول كل شاعر ان يبلغ مداه ليكون اميراً جديداً للشعر . ومشكلة الشعر العربي الحقيقية هي مشكلة هذا الاصرار العجيب على المعنى او الصورة داخل بيت شعري مقفل . هي مشكلة التعبير البلاغي القاصرون بلوغ مرتبة الظاهرة الفنية .

ولن يكون للشعر العربي مستقبل ، كحركة جدية نواجه بها الحياة ، قبل ان يتخطى عن جالياته الزخرفية ، وعن تلك البلاغة الكاذبة وذلك الخيال المضطوح الذي لا يربطه بواقع الصياغة مسئولية او التزام .

وفي رأني ان الخلاص من هذا المأزق التعبيري قد يتحقق بالتخلي عن البيئية المغلفة ، اما عن طريق التخلص نهائياً من القافية مع فتح البيت الشعري وجعله مفضياً الى الايات الاخرى افضاء تركيباً وتصويرياً ، واما عن طريق الابقاء على القافية لا كناية للتركيب اللغوي للبيت ، وانما كجوس موسيقي فحسب . ولقد كانت محاولات تحطيم القافية حتى اليوم محاولات مضحكة للغاية ، لانها حطمت القافية وأبقت على وحدة البيت اللغوية . وبهذا استحال العمل الشعري الى ابيات متعددة متفرقة لكل منها قافية خاصة . ولقد كانت القافية تقوم بوظيفة مزدوجة : كناية للبيت وكوحدة موسيقية للقصيدة . وبزوال القافية ، يتحطم البيت في وحدته المنعزلة التقليدية ، وفقدت القصيدة جانباً من جوانب وحدتها الموسيقية . وبهذا اضيف نقص جديد الى التعبير الشعري ، على ان هذا النقص يمكن تلافيه — كما قلت — اما بتحطيم القافية مع فتح البيت الشعري وجعله مفضياً الى غيره من الايات ، واما بالابقاء على وظيفة واحدة فقط من وظيفتي القافية ، هي الوحدة الموسيقية ، وبإلغائها الاخرى كناية للتركيب اللغوي للبيت . وبهذا يكون البيت الشعري العربي مفضياً باستمرار الى ما بعده من الايات افضاء تركيباً وتصويرياً .

على ان هذه ليست عملية هينة . ميسورة ، بل تستلزم كثيراً من المعاناة والتضرب والجهد . اذ انها عملية تحل قاسية عن تجارب اجيال عديدة من التعبير الشعري . ولحق انما في ذاتها عملية شكلية مجتهد ، ولكن ارى ان مجرد تحرير الشاعر من طليان البيت — هذا التحرر الشكلي فيا يبدو سيؤدي الى تحوره من رتبة الفكرة اللغوية ، ومن وضوح الوزن التقليدي ورتابته بل ستكشف له موسيقى اخرى داخلية هي موسيقى الصياغة الفنية الحقيقية وسيجمل من

تعبيره حركة تطوروية في داخل الاطار الواسع الذي يشمل العمل الشعري كله ، ويتيح للتذوق المجاهد فرصة الوقوف امام التجربة الصياغية البهجة وجهاً لوجه .

وبعد هذا اليوم ، لن نحكم على شاعر بالجوادة ، لان ابياته مستقيمة ، وقوافيه سليمة ، ومعانيه مطابقة لافاظه والغالبه مطابقة لمعانيه ، وبعد هذا اليوم ان تكون القدرة البلاغية وحدها ولا الموهبة الخيالية وحدها ولا الحس الفناشي البحت ، اساساً للحكم على جودة شاعر . بل سنحكم على شاعر بالجوادة اذا استطاع ان يجعل من تركيباته اللغوية الموزونة واقفاً انسانياً جديداً ، نغذي به واقعنا النفسي المحدود وتجربة حياتنا القاصرة . وليس ذلك الواقع الانساني الجديد ان تحقق شروط الظاهرة الفنية في عمله الشعري .

ولكن ، من قال ان مجرد ذلك التغيير في التركيب الشكلي للشعر كفيل بأن يهبنا معجزة فنية ؟ بل ومن قال ان القصيدة العربية في تركيبها الشكلي التقليدي تعجز عن ان تقدمنا بمعجزة فنية ؟ ان لم تكن قد امتدنت بالفعل في حدود ضيقة — غير ان الذي اقرله هو حاجتنا الى تطوير وسائلنا التعبيرية ما امكن ، على ان يكون هدفنا دائماً هو إيجاد ظواهر فنية . والبيئية المغلفة في التركيب التقليدي فيها تسف وعدم طواعية للحركة المنهجية التي تفرضها كل صاعقة فنية .

وقد يقال في ، علام لا نتجه بكلينتا الى الشعر الحر ، مسايرين في ذلك احدث الحركات الاوروبية المعاصرة في الشعر ؟ على اني ارى ان كل تجديد في الفن ينبغي ان يكون عن طريق تطوير حقيقي لوسائلنا التعبيرية ، ونحن لم نتجاوز حتى اليوم الوسائل التعبيرية القديمة الماهم الا في حدود ضيقة جزئية . والشعر الحر تجربة بعيدة ما اعتقد انها الدور الطبيعي الذي ينبغي ان يقوم به الشاعر العربي اليوم . فليكن هدفاً آخر . . . نصل اليه كنتيجة طبيعية لكفاحنا في تطوير وسائل تعبيرنا ، ولا داعي حتى اليوم للوثبة الى ذلك المجهول البعيد ، على حين اننا بعد لم نستفد كل التجارب الممكنة في وسائلنا التعبيرية الراهنة . ان الصياغة الفنية ضرورة داخلية في التعبير ، فليكن كذلك انتقالنا الى الشعر الحر ضرورة داخلية في نفوسنا الشاعرة ، وليس تلصصاً او هروباً من قسوة التعبير المقيد . ان الحرية الحقيقية لا تصدر ابداً الا عن ضرورة حقيقية كذلك

محمود امين العالم

الفاخرة

الإكذوبة

للتصفي الروسي افلوده تشيخوف
ترجمه منير عبود

كان

— كيف انت يا صديقي ؟ انت هنا ، انني لم الاحظ ذلك
هل امك في صحة جيدة ؟

وكان اليوشا في هذه اللحظة قد امسك بيده اليمنى ابهام
قدمه اليسرى وكان في وضع مربك مضحك ثم نهض وقفز بسرعة
وجعل يطيل النظر الى نيقولا اليوشا من تحت مظلة المصباح الكبير.

— لا اعرف ماذا اجيب . في الواقع انها لم تكن قط في صحة
جيدة . انها امرأة والنساء كما تعلم داغات الشكوى من الامراض .

وحتى يقطع الوقت اخذ نيقولا اليوشا يتأمل وجه الطفل .
ففي خلال تردده على اولغا لم يلتفت الى وجود هذا الطفل في المنزل .
ان الطفل يقف مسرورا في مكانه امامك ، ولكن ماذا يفعل هنا
وما هو دوره ؟ انك لا تأبه لان تفكر في هذه الامور .

ورأى نيقولا في اليوشا ، وقد بدا في ظلمة الليل بوجهه الباهت
وعينه السوداوين ، صورة طبق الاصل لاولغا في ايام عنفوانها يوم
كان جبهة غنيماً مدمراً . — تقدم الى هنا يا اليوشا . تعال ودعني
التي عليك نظرة عن كثب .

فوثب الطفل عن الارض وركض الى نيقولا اليوشا فوضع
نيقولا يده على كتفيه قائلاً :

— كيف تجري امورك ؟
— كيف يجب ان اخبرك ؟ ان
احوالي كانت افضل مما هي عليه الآن .
— لماذا ؟
— لسبب بسيط . . لقد كنت انا واخوتي

نيقولا اليوشا من كسار اثريا مدينة
بطرسبرج . وكان نيقولا شاباً متملي . الجسم . بحر
الوجه يبلغ الثامنة والثلاثين من العمر . وقد زار
في يوم من الايام مدام ارنيين اولغا ابناؤنا التي كان يتردد على
منزلها بين الحين والآخر والتي كان يتخذها نيقولا خلية له . وكانت
صفحات غرامها بالحقيقة حافلة بالثقة واللذة منذ زمان بعيد ، اما الآن
فها على استمرار فقط حلب خمدت جذوتها وفتحت حرارتها . ولما لم
يجد ارنيين اولغا في المنزل تلك على اريكة في غرفة الاستقبال بالظلمة
ثم سمع فجأة صوت طفل صغير يحياه قائلاً : — عم مساء . يا نيقولا
اليوشا ، ستعود امي سريعاً فقد ذهبت الى الحياطة مع سونيا .

وجلس على الارض ذاتها في غرفة الاستقبال اليوشا ابن
اولغا وكان طفلاً يناهز الثامنة من عمره ، قري البنية ، يتدفق
وجهه صحة ونضارة يرتدي ثوباً نظيفاً من القطن وفي قدميه
جورب اسود طويل وكان يضطجع على سادة من الساتان وقد رفع
احدى رجليه ثم اتبعها بالآخرى محاكياً في هذا الوضع بهلواناً
شاهده اخيراً في السيرك . ولما كانت رجلاه تتعبان كان يلوح بيديه
ويشب واقفاً على الارض ثم يسير على اطرافه الاربعه محاولاً ان

يقف على يديه وقد وقع رجليه في
الهواء ، وكان يأتي بهذه الحركات
والالعب الرياضية دون ان يحتاج مساعدة
في وجهه مستمتعاً به والله من جسم
دائب الحركة . فقال نيقولا اليوشا :

قصته

فيا مضى نتعلم الموسيقى والقراءة.. اما الآن فقد اجبرنا على حفظ الشعر الفرنسي . هل حلت شرك منذ مدة قصيرة ؟ - نعم .
- لقد لاحظت ذلك .. لقد اصبحت لديك قصيدة . تأذن لي ان المسها ؟ هل يؤلمك ذلك ؟ - لا مطلقاً .

- لماذا يتألم الشخص اذا تزعت شعرة من لحيته ولا يتألم ابداً اذا تزعت بعضها .. انه من المؤسف حقاً انك لا تملك لحية على جانبي وجهك . كان عليك ان تحلق في هذا الدكان وعلى الجانبيين وتترك بقية شعرك هنا . ثم التقي الطفل بنيقولا وراح يعبث بيده بسلسلة ساعته الذهبية .

- ان امي ستشتريني في ساعة عندما اذهب الى المدرسة وسأطلب منها سلسلة تكون على هذا الشكل . يا لها من سلسلة جميلة ؟ ان والذي يملك واحدة مثله . ولكن سلسلتك عليها خطوط ملونة بينما سلسلة اني تحمل احمرافاً وقد وضعت في داخلها صورة امي . - كيف تعلم ذلك ؟ هل شاهدت والدك ؟
- انا ... لا .. لا ..

توردت وجنات اليوشا خجلاً ، ولم به ارتباك الم حينما ظهرت اكدوبته فراح يهرش باظافره سلسلة الساعة بالتهك .
وجعل نيقولا يتأمل وجه الطفل ثم سألته :
- هل رأيت اباك ؟ - كلا .. كلا ..
- كن شريفاً وقل الصدق . فاني ارى في ملامح وجهك انك تكذب .

فاطرق اليوشا هنيهة ثم رفع رأسه وقال :

- اتعديني ان لا تخبر امي ؟ - وماذا بعد ؟

- هل تقسم بشرفك ؟ - اقسم على ذلك ؟

فنظر اليه اليوشا حوله بعينين واسعتين وابتدأ يهيس :

- استعطفك بالله ان لا تخبر والدي ولا أي شخص آخر ، فان ذلك سر بيننا . ابتهل الى الله ان لا يصل هذا الخبر الى مسامحها . لتلا نظراتنا وسونيا والحصادم ان ندفع عن ذلك . اصبغ الي . انا وسونيا نلتجئ بوالدنا في يومي الثلاثاء والجمعة من كل اسبوع وبذلك حينما يأخذنا بلابجا قبل الغداء ، للتزود التريض ، فندخل حانوتاً للجلوى حيث يكون والدنا في انتظارنا . ويجلس والذي في غرفة منفردة تتوسطها طاوله من الرخام وضعت عليها منفضة للسجايير على هيئة رزة . - وماذا تفعلان معه ؟

- لا شيء . اولا نرحب بيهض ثم نجلس الى مائدة صغيرة فيطلب لنا القهوة والجلوى . ان سونيا كما تعلم مشغولة بالتهام

فطائر اللحم . اما انا فلا احب الفطائر المحشوة باللحم ! بل افضل منها ما كانت محشوة بالبيض والخضروات فتأكل منها بكثرة وحينما نجلس الى مائدة الغداء نحاول ان نأكل بقدر استطاعتنا حتى نتلاحظ والدتنا ذلك .

- وبماذا تتحدثون ؟

- بكل شيء . . فيقولن والدي ويدغدغنا ويقص علينا حكايات غريبة مضحكة ويقول لنا انه سيأخذنا للسكن معه متى كبرنا . ان سونيا قد رفضت طلبه ، ولكنني انا اوافق . الى ذلك . . اني في الواقع سأجد وحشة لها ولكنني سأبعت لها برسانتي وامضي عطقتي المدرسية عندها . سيشتري لي والدي جواداً .. انه رجل لطيف طيب القلب . اني لا اعرف لماذا لا تدعوه امي للسكن معنا او لماذا تمنعنا عن مقابلاته ؟ انه يجب والدي جأ جأ وهو دائم السؤال عن صحتها واحوالها . ولما علم والدي يمرض والدي امسك رأسه بيده هكذا .. ثم جعل يركض في اتجاه الغرفة .
- اخبرني يا نيقولا هل حقيقة اننا تمسا ؟ !

- كيف ذلك ؟

- اني يقول ذلك وقال لنا انكم اطفال غير سعداء . ان كلامه هذا الغريب . وقال ايضا انه غير سعيد ثم يأمرنا بان نصلي من اجلها واجلنا ثم استعرت عينا اليوشا على طائر محنط فأخذ يفكر .
اذن .. فانتم تتهنون مقابلات في حانوت الجلوى دون علم امك ؟ لا .. لا .. كيف لها ان تعرف . ان الحادام لا يخبرها بشي . مطلقاً . - هل يتكلم والدك عني ؟

- يتكلم عنك ؟ ! لم يقل شيئاً عنك بنوع خاص .

- ماذا يقول عني مثلاً ؟ - الا يفضبك ذلك ؟

- لماذا ؟ هل يهينني ؟

- انه لم يهينك .. ولكنه حائق عليك لانك سبب تعاسة امي وشقاها . لقد اخبرته انك رجل ظريف ، طيب القلب لا تسي . الى امي ابداً ولكنه كان يهز رأسه وياود بالصمت !

- نعم لا تعضب يا نيقولا اليش ؟

فنهض نيقولا عن الارضية ووقف لحظة ثم اخذ يذرع ارض الغرفة جيتة وذهايا .

- ان هذا لغريب حقاً . انه المالم ومع ذلك فيضع على اللوم .. يا له من رجل بري . هل قال لك ذلك بالحرف الواحد بانني سبب تعاستها .

- نعم .. ولكنك قلت بانك سوف لا تعضب .

عابرة



لاح حلم ، وازميل ، وقيثار !

.. وتلست تمثالها ،
فشكا الفن بله الازميل
وهيجت بالذكرى حنين القيثار
فشكا اللحن ارتجاء الاوتر
وعنفت الوتر فأن .

لا تلني .. اضعت لحنا العابر
في صدى خطواتها الحرس
فطويت في ارتعاشي
بغام رغباتك وجوع ذاتك
سكابة حيرتي
وصحت الالم

احمر سوبر

دعيني اسرق منك ذهول المشية

وظل الظل
وتكتم السر
ودمع المقلة
احبها صنماً
تعبده امانى .

يا لقسوتها ..

وراء الضباب الاغيش تورات
كسر السراب حين يفور في ظلم الرمل
كبجعة القاء حين تذوي
في تلافيف الموعد الباهت .

.. وفي غشية العذاب وقاتل القفظة

عبرت كالنسيمة

كالعتاق القبس من قبضة الظلمة
كأطياف الساهر على سمر النجم
وشكوى الليل ..

ممرآ .. للفتنة في عينها تهاويل
والفتنة ، حين تذروها ، ظلال
وافيا تنطوي على التيه
ويضع فيها مدى الابعاد !!

ليت لي ازميل « ميكالنج »
إذا .. لنجتبا تمثالاً .
وليت لي قيثارة « موزار »
انسل اوتارها من قلبي
.. اعتق المعنى تكبله اجفانها
اعتقه شروداً حائلاً والحانا ..

ARCHIVE

— انني لم اقبله شيئاً .. قل لي هل قابلت والدك ؟
فلم يصغ الطفل الى ما قالته امه ونظر برعب الى نيقولا اليش .
— هذا غير ممكن سأذهب بنفسى لاسأل الحادِم .
قالت ذلك اولفا وانطلقت خارجة من الغرفة .
فقال اليوشا وهو يرتجف من قه رأسه الى اخص قدميه :
— ولكن .. ولكنك اعطيتي كلمة شرف .

فرجع نيقولا يده مهددا متوعداً واخذ يذرع ارض الغرفة
بخطوات قلقة مضطربة . ولم يمد يلاحظ وجود الطفل وقد غرق في
خوابه وافسكاره فهو رجل كبير رزين ليس له ما يقوله الى الاطفال .
وجلس اليوشا في ركن القاعة يهجر اخته سونيا وهو في حالة
شديدة من الرعب والفرع كيف خدعه نيقولا ببيانياف . فكان
يوتعش ويتعالم ويبكي . كانت هذه اول مرة يواجه فيها الاكذوبة
وجهاً لوجه . لم يكن يعلم ان في هذه الدنيا علاوة على فطائر اللحم ،
والحلاوى ، والساعات الثمينة اشياء لا اسماء لها في لغة الاطفال .

منبر عبود
دبلوم صحافة

— وهذا ليس من شأنك ولا من شأنى .
ذلك عجيب حقاً . لقد وقعت في الفخ ومع ذلك لأم .
وعند ذلك دق الجرس ، فاندفع الطفل من مكانه وراكضاً .
ودخلت سيدة تصحب معها طفلة صغيرة .. وكانت اولفا ام اليوشا
وقد تبعها اليوشا واثباً صارخاً ملوحاً بيده .
— من الطبيعي ان اكون وحدي الملام . انها على حق فهو
الزوج المحدود . فقالت اولفا : — ما هي المسألة ؟

— ارجوك ان تسأل خادمك الامحق بلاجيا فمتنزه الخبر اليقين .
انك لا تعرفين ان خادمك هذا يصطحب اطفالك الى حانات
الحلاوى ويبيع لهم مقابلات مع والدهم العزيز . ولكني ما قصدت
ان اقول ذلك . ان ما قصدت اليه هو ان الوالد العزيز يظن نفسه
شهيداً وما انا الا قاتل نذل . لانني قد صدمت حياتكم الزوجية .
فصاح اليوشا بغضب : — نيقولا اليش ! لقد وعدتني وعداً شريفاً ؟
— دعني وشأني .. هذا امر اهم من اي وعد شريف .. ان

النفاق المصطنع والكذب يثيران اعصابي !
فقلت الام وعيناها تطفران بالدموع :

رقية

لأول مرة في عهد الفتح طوفان

من صور الشكبة

تدأت عن الأفق أم الضياء ملفعة باصفار كتيب
وقد ملئت عن صدور المضاب وهام التلال ذيول القروب
وجرت خطاها رويداً رويداً وأومت الى شرفات المغيب
فأطبق دون رحاب الوجود وأغرقته في الظلام رهيب
وعشى الدجى مهبجات نبض بشوق الحياة ، بوهج اللميب
وأخرى تلاعب تلج السنين بها ، فخبث في حنايا الجنوب
وأوغل في حاليات القصور وأوغل في كل كوخ سليب ..
فمد الجناح على بسات الشفاء ، وفوق جراح القلوب
وضم السيد بأحلامه وضم لها البؤس نضو الكروب

وفي وحشة الليل السيلك المواجه ليل الموم
وللريح ولولة في الشباب وللرعد جلجلة في الغيوم
وللبرق خفق توالى دراكماً يشق حجاب الظلام البهيم
بدا (جبل النار) ترب الخلود ، له روعة الازلي القديم
تعالى أشم تجاه السماء يجاذب منها حواشي الاديم
كان ذراه رفغن هناك ، على الافق ، متكاً للنجوم !
وكان وراء غواشي الدجى رهيب السكون ، عميق الوجوم
تحس به رجفة الكبرياء الجريئة ، والعنفوان الكلم ..
وفي قلبه النار مكبوتة الزفير .. فيا للهب العظيم ! ..

هنالك ، في سفح مهد البطولات ، والمجد ، والوثبات الكبير !
هنالك ، تحت الضباب المسف والارض غرقى بدفق المطر
كأن الرحاب العلي يعيون السحائب تبكي شقاء البشر !
هنالك ، ضم (رقية) كهف رغيب عميق كجرح القدر
تدور به لفحات الصقيع فيوشك بصطك حتى الصخر

وتجبد حتى عروق الحياة ويطفأ فيها الدم المستعر
(رقية) ؛ يا قصة من مآسي الحى ، سطرتها اكف الغير
ويا صورة من رسوم التشرذ ، والذلل ، والصدعات الأخر...
طلعي القفر ، فانطرحت هيكلاً شعي الظلال ، شقي الصور ..

تعلق شي . كفرخ مبيض على صدرها الواهن المرتعد
وقد وسدت رأسه ساعداً وشدت بأخر حول الجسد
ولو قدرت أودعته حنايا الضلوع ، وضمت عليه الكبد
عساها تقيه بدف الحنان ضاوة ذاك المساء الصّرد
وعانقها وهو يصفي الى تلاحق أنفاسها المطرد
وكانت خلال الدجى مقتلته كنجيين ضاماً بصدر الجلد
تسيمان في قلبها المدهم فيوشك في جنبها يتقد ..
وغغم : أم ؛ وراحت يدها تيمان ما بين شجر وخذ
فأهوت على الطفل تشتم فيه روائح فردوسها المفقود !

وفي مثل تهوية الحالمين وغيبوبة النفس الضافية
أطأت على أفق - الذكريات وفي عمقها هفوة ظاميه
تسانق بالروح طيف الديار وتلثم تربتها الزاكيه ..
وتبصر في سجات الخيال ملاميحها الرجبة الحانيه
وافياها الدافئات ، وتلك الدهاليز في الروضة الخاليه
ومن ههنا ظلة الياسمين ومن ههنا ظلة الداليه
والف الحياة يشيع الحياة بأرجاء جنبها الهانيه
فيا دار ، ما فعلته الايلي بأشيانك الحلاه الغاليه !
وربك ، كيف تهاوت به يد البغي والقوة الجانيه

ومر على قلبها طيف يوم دجي الضحى ، عاصف مربد
وقد نفرت في جوح الأياه نسور الحمى للحمى تقتدي
دعاه نفير العلى والجهاد فهبت خفافاً الى الموعد
تزدود عن الشرف المستباح وتدفع عنه يد الممتدي
وتقتحم الهول مستحكما .. وتسخر باللهب المسوقد
فتقتض مثل القضاء المتاح وتهبط كالاجل المرصد !

ولست تبالي وجوه الردى ووايس في الموقف الأريد
فيا للحمى ، كم حي أي تجبدل فيه ، وكم أصيد
أباحوا له المهب الغاليات واسقوا ثراه دم الأكسبد

وطالما في رؤى الذكريات فتاها ، نجى العلى والطماح
إياه الرجولة في بردتيه وزهو البطولة ملء الوشاح
يشد عن الغاصب المسبد ، ويضرب دون الحمى المستباح
ويلقى عراك المنايا وجاهاً ويكتسح الهول أي اكتساح
وتعرف فيه الوغى كاسراً قوي الجناح ، عنيد الجراح
يحط على صفحات الجهاد سطور القذى بدماء الجراح
نبيل الكفاح اذا الحُصم راغ ، ومن شرف الحرب نبيل الكفاح
فيا من رأى النسر محتاحه وتلاوي به بغتات الرياح
تهاوى صريعاً وأرغى على حطام أمانيه ريش الجناح !

وقاضت لواعبها ، لا أنيتاً جريحاً ، ولا عبرة زافره
ولكن ذخافاً من الحقد والبغض والضغن والنقم العامره !
متى يهتفي الثائر يا للضحايا اتهدر تلك الدما الطاهره !
ويا للحمى ، من يهيب النداء ، نداء جراحاته النافره
وقد أهدى الشيف لا رداً حقاً ولا برد القلة الساعره !

تقل في حضنها فرخها فضته محبومة نائرة ...
ومالت عليه وفي صدرها مشاعر وحشية هادره ...
لترضيه من لظى حقدده ونار ضغائنها الفائرة ..
وتسكب من سم خلجاتها بأعاقه دفقة زاهره ..

هنا (جبل النار) كان يطوف حلم بأفغانه الساهره
تغاديه فيه طيوف نسور .. تغل بأفق العلى طائرته !
مخالبا راعفات ، ومل جواشها نشرة ظافره !
وراء مناسرها الكاسره ..

أأبسن - جبل النار فدرى عبر الانحاح طوفانه

الآلات الموسيقية في الف ليلة وليلة

ترجمه من نصار

لبسانيه في الآداب

الناي في كسبه والريخ في ذي « أي انا مستند لكل شيء » مثل عربي

نسى

« ألف ليلة » الآلة الموسيقية عادة « آلة الطرب » أو « آلة الملاهي ». وهي تذكر عدة آلات ولكنها لا توجد في الغالب الا مجرد الاسماء. أما في حالة العود فتضيف عرضاً بعض التفاصيل التي لها قيمتها.

ويمكن تصنيف الآلات في « الليالي » كما يلي :

الآلات الوترية : العود، والطنبور، والجنك، والقانون، والسنطير.
الآلات الهوائية : الناي، والشبابة، والفلج، والتبلي، والزمر.
أو المزمار، والبرق، والغفر، وآلة الزمر.
الاعشية المنذبذة : الدف، والطبل، والذربجة،
والطبل، والكوس.

المواد الوتانة : الكاسات (الكنوس)، والجلجل،
والاجراس، والقلاقل، والحلاخيل، والتاقوس، والقضيب.

وكال العود (الجلع : عيدان) الآلة المفضلة دائماً لدى العرب.
وتذكر « الليالي » ثلاثة أنواع : العود العراقي، والعود الحلبي،
وعوداً من صنع الهنود. ولكن هذه الاسماء ربما لا تشير الى غاذج
مختلفة من العيدان. ويجوز ان هذه الاوصاف اضافات خيالية أتت
بها الراوي او الكاتب لتزيين قصته. وفي الحقيقة لم ترد هذه
الاصناف التي تشير الى مواطن الآلات الا في طبعة بولاق، أما طبعتا
كلكتا وبيروت فلم تورداهما.

وربما كان العود العراقي موجوداً حقاً، اذ كان العرب يعتبرون
العراق موطن العود العربي، بل يقول الشاعر الفارسي نظامي في
القرن السابع عشر في كتابه « سكندر نامه » أثناء مدحه لصناع
العالم : « يرسل العراق أعذب العيدان ».

ولكن العود الحلبي مشكوك فيه، بل يشك العلماء. في ان
رجل في دمشق نفسها، وليست هذه الذمة على أحسن الفروض
الاحجاز أشعرباً. ولا نستطيع ان ننتج كبير ثقة بوجود العود الحلبي
الهم الا اذا كانوا أطلقوا ذلك الاسم على البربط الذي كان
يسمونه الفساسة في هذه المنطقة.

وما يزيد في حدة شكنا في وجود عود من صنع الهنود، عدم
استعمال العود في الهند منذ زمن طويل. ومن الطبيعي انه ربما
كان آلة صنعتها الغزل الهند في بغداد كما يذكر احد المراجع،
ولكن يبدو ان العبارات الأخرى، مثل عبارة « عود من صنع
الهند » تشير الى الهند ذاتها. ولا يستطيع المرء الا ان يفترض
ان هذه الاوصاف ترجع الى حاجة الراوي الذي يريد ان يسلي
جمهوراً مختلف الاوطان، وكانت صيغ المقارنة « فعمل » والتفضيل
« الافضل » جزءاً من بضاعة هذا الراوي، اذ كان يستطيع بتلك
الوسيلة ان يطلق العنان لخيال سامعه، ثم يفرغ جيوبهم.

وقد تناولت تاريخ العود العربي في كتاب آخر، ولكن
« الليالي » تقدمنا بأخبار أخرى جديرة بالعناية. وبمرور الزمن تحسن
درجة صوت العود، مثله في ذلك مثل معظم الآلات الوترية.
وعندما نقرأ في « الليالي » عن عود « محسوك » أو « عود محجور »
فاننا لا نحظى. اذا ايقتنا بأنهم يعنون آلة حسنة النضج.

ونحن في مناسبة أخرى عوداً مرصعاً بالجوهر والياقوت
وملاوي من الذهب. ولا بد ان الآلة التي كان يستعملها ابو
اسحاق ابراهيم الموصلي النديم من هذا النوع، ما دامت كانت
فيها علامات تميزها بسهولة من بعيد. والملاوي (المقدري : ملاوي)

اليه في القصة السابقة اخضر من حرير اطلس بشكلين من الذهب
ولكننا نجد عبارة « شدت طرفيه » مستعملة في نسخة بروتون
ايضاً ، ويبدو ان الكلمة الاخيرة محرفة عن كلمة « ملاويه » .
ويسمونها في بعض الاحيان « آذانا » ، ولكنه اسم نادر الوقوع .
كذلك نجد عوداً منقوشاً عليه ابيات من شعر ، وهي عادة نقرأ
عنها في « كتاب الاغاني » أيضاً .

ويستحق احد الاخبار عناية خاصة لاستحاته التامة ، وان
تضمن بعض الآراء التهمة التي تسبك بها العرب راضين مسرورين
وهذا الرأي في حكاية علي نور الدين ومرمير الجارية ، حيث تفتح
الجارية كيس العود وتفر منه اثنتين وثلاثين قطعة من الحشب ،
عندما تركب تصبح عوداً صالحاً للاستعمال . ونقرأ خبراً شبيهاً
بذلك ، ولكنه اكثر بساطة في احد المواضع الاخرى ، حيث
يوزن على خشبة لها اوتار فوقها . وهذا عمل ممكن ، على حين لا
يمكننا ان نصدق خبر اثنتين والثلاثين قطعة خشبية المذكور في
البياني ، ولكننا مع ذلك نستطيع ان نفهمه .

كان العرب يؤمنون ايماناً شديداً بنظريات الاعداد ، وللعديد ،
٣٢ معنى خاص في نظريتهم عن « الرباعيات الخمسة » . وتذكر
الابيات نفسها التي تلي خبر اثنتين والثلاثين قطعة خشبية في الرباعيات
الخمسة « صراحة . ونرى في حلقة النسب الرياضية الفصلة ١٦ : ٨ : ٤ : ٢ : ١ -
٦٤ : ٣٢ : ١٦ : ٨ : ٤ - المقصد الخاص لهذه الاعداد في هذا النظام ،
وكان صناع العود انفسهم يؤمنون ايماناً قوياً بما يسوونه النسب
الرائعة كل الروعة . فـ اذا كان عمق العود ٤ ، وجب ان يكون
عرضه ٨ وطوله ١٦ . بل تأثر صناع اوتار العود كذلك بسحر
الاعداد عندما تربعوا الاوتار الاربعة من اسفل الى اعلى ، اي من
٦٤ و ٣٢ و ٢٤ و ١٦ طاقة لكل منها على حدته ، ولذلك نستطيع
ان نلحظ سبب تركيب العود في البياني من اثنتين وثلاثين قطعة من
الحشب ، وان كان لا ينتظر منا ان نصدق انه يمكن فصل هذه
القطع وتركيبها بالشقيق ذكرنا مع انشئ لانتاج آلة « مسلعة »
كما يسمع المرء في بعض الاحيان من الموائد العرب . ومع ذلك
تصور القصة الراوي العارف بقيمة العدد ٣٢ السرية ، يجعل عدد
قطع العود ٣٢ كي يثير انبهار سامعيه بالشعوذة الغفلية .

ويستحق الجراب الذي كان يحفظ فيه هذا العود العناية ايضاً
لأننا لم نقرأ في المصادر العربية عن حفظ الآلات داخل اكياس
الا في النادر ، وان كنت اذكر ان طويساً ، اقدم موسيقيي العصر
الاسلامي ، كان يحفظ دفة في جراب . وكان الكيس المشار

وقد بينت مراراً وتكراراً ان اوتار العود كانت اربعة في
الايام الاولى من الاسلام ، اغني من القرن الثامن الى العاشر
الميلاديين . وكانت القاعدة بعد ذلك ان يتألف من خمسة اوتار
وسنة ، ولم يدخل هذا الوتر الاخير في العود قبل القرن الخامس
عشر . ولما كان الامر كذلك ، فان زمن الحكاية في « البياني »
ينبغي ان يحدد عدد الاوتار . ولكن فنانا ابن Lane المصورين
لم يلقوا بالآ الى هذا الامر . واحسن شكل للعود عند المتأخرين
في خيل حكاية نور الدين وأنيس الجليس ، حيث توصف آلة من
سته اوتار الاربعة . وتذكر نفس الحكاية في موضع آخر ، عوداً
رباعياً اوتار . وتصف « حكاية ابن منصور والبيدة بدور » عوداً
بخمسة اوتار ، على حين يوجد في « حكاية الشيال والبغديات
الثلاث » عود بستة اوتار . ولما كان جو هذه الحكايات جميعها
يصور الفترة ما بين القرن الثامن الى العاشر ، فان العود ينبغي ان
يظهر وبه اربعة اوتار او خمسة على الاكثر . ومن الطبيعي ان
تركيب العبدان التي رسمها فنانا ابن بين انها جيدة مبنية على التصميم
الذي ذكره ابن في كتابه « المصرون المحدثون » .

والسؤال الآخر الجدير بالاعتبار هو طويقة مسك العود . يقول
ابن ورتون كلاماً ان العود كان يوضع على الحجر ، لان « البياني »
تحدد أنه كان يوضع على الحجر او الحظن ، وهو الموضع المنقح
عليه كما سبين ذلك . وكان يمسك أحياناً من صدره أعلى من مؤخرته ،
ولم يتمتقوا على الوضع الاخير الا حين يكون صدره في الحظن .
وكانت الطويقة الاخيرة تمكن العازف من رؤية اصابع اليد
اليسرى في أثناء العزف .

أما فنانا ابن فصوروا العود ، وصدره في حجر العازفة ، وعنته
ماثل الى كتفها ، أي في الوضع نفسه الذي نراه عليه ، في كتابه

«المصريون المحدثون». ولدينا دليل معتمد من الصور القديمة يبرهن على أن هذه الطريقة في مسك الورد لم تستعمل إلا في مصر وإسبانيا على حين ساروا في العراق واليمن وسورية على الطريقة الأولى ، وهي طريقة مسك الورد في «حكايات الليالي» التي ذكرناها . ولا ننكر انهم قالوا ان العازقة « انحنت عليه الحنطة الوليدة على ولدها » ذلك الوضع الذي يوافق ما رسمه فنانون لبن ، ويخالف الطريقة العراقية والحكايات العراقية قادم المخالفة .

وكان الطنبور نوعاً من العيdan الطويلة العنق الصغيرة الصدر . ولم يحز استحساناً عاماً من العرب ، ولكنه لقي حباً أكثر في فارس والري وطبرستان وبلاد الديلم . ولعل ذلك سبب عدم ذكره في « الليالي » الا مرة واحدة ، وكان عندئذ متصلاً بأحد القرس . وهو أحد الاشيا الغريبة التي ادعى على المسامر انها في جرابه الخاوي كما روت حكاية علي العمري .

ولم يصور ابن الطنبور المادي . وأما ما يعرضه في منظر أفراح الزواج في «حكاية معروف» فافا هو آلة كبيرة ، تقارب الطنبور بذكر الحديث . ولمعرفة الطنبور العادي في هذه الفترة انظر كتابي «مصادر الموسيقى العربية» .

أما الجنبك (الجمع : جنوك) أو العجمي (الجمع : عجمي) فنوع من العيdan التي نطقت عليها بالانجليزية اسم «Harp» وله صدر عال ، وتسميه « الليالي » مرتين « الجنبك العجمي » ، ولما ذكر ذلك نسبة الى موطنه الاصيل . وليست كلمة « جنبك » الا ترجمة عربية للكلمة الفارسية « جنبك » . ومن ناحية اخرى ، ربما ظهر هذا الاسم لاجلهم الى تمييزه عن الجنبك المصري الذي يختلف عنه في وجود وجه خشبي في ناحية الاوتار لترجيع الصوت . واستعملت مصر كلا النوعين ، وعرفت كلا الاسمين ، في القرن الخامس عشر ، وهذه النسبة المذكورة لم توجد قبل ذلك الوقت .

ويرد في «حكاية الملك عمر بن النعمان واولاده» — ذلك الملك الذي يقال انه حكم مدينة السلام (بغداد) قبل الخليفة عبد الملك بن مروان ! — الجنبك العجمي مع الورد الجلبقي والنابي التري والقانون المصري ، تلك المجموعة التي تجعل زمن الحكاية فيما بعد القرن الثالث عشر دون شك . ويذكر ايضاً في «حكاية الشيال والبغداديات الثلاث» مع الورد والدف . وتقع هذه الحكاية أيام الخليفة هارون (المتوفى عام ٨٠٩ م) ، وتحديد دخول الجنبك بتلك الفترة خطأ تاريخي . بل نشك في ظهوره في «حكاية ليالي الحسن الخراساني» التي تقع حوادثها في عصر الخليفة المعتضد (المتوفى عام

٩٠٢ م) ، وان كان أبو الحسن قد يولع بهذه الآلة ولماً خاصاً ، بسبب خراسانيته . ويظهر الجنبك مرة اخرى مع السنتاير في «حكاية جانشاه» ذات اللون الفارسي الخفيف ، التي ترجع يقيناً الى وقت متأخر .

ويعطينا لبن تصميماً جيداً للآلة في احدى صوره في ثمانية الحكايتين المذكورتين . ويدخل ايضاً قيرتين مأخوذتين من مخطوطات (فارسية ؟) ترجع الى منتصف القرن الخامس عشر واولائل السادس عشر ، أتى بها السيد جور اوسلي Sir Gore Ouseley ، وتقول ثمانية هاتين القيرتين ان اوتار الجنبك تتراوح ما بين العشرين والسبعة والعشرين ، ذلك الجنب الذي لا يتفق مع واضعي نظريات الموسيقى العربية او الفارسية .

أما القانون (الجمع : قروانين) فيرجع تأريخه عند العرب الى القرن العاشر ، ومن المحقق انه لم يكن بذلك الاسم في أول امره . ويظهر القانون عدة مرات في « الليالي » . ويجهزوننا في «حكاية علي بن ابي بكار وشمس النهار» التي تصور القرن التاسع ان امير المؤمنين أصابه من الحزن على شمس النهار ما جعله يأسر « بتكسيير كل ما كان في المجلس من الاواني والعيdan وآلات الملاهي والطرب » . ومن المؤكد ان الكلمة في نسخة بولاق هي «قروانين» ، وقد تبع ابن وبرتون الطبعة الأولى من بولاق ، ولكن الكلمة في نسخة كالكتا «عيdan» وهي أكثر احتمالاً . اذ لا يذكر خلال القصة كلها سوى الورد وحده ، ولا يبدو ان هناك سبباً لادخال « القانون » بهذه الطريقة في اللحظة الاخيرة . والتفسير المقبول لاستعمال كلمة «القوانين» في نسخة بولاق انها تحريفية من الكاتب الذي تأثر نظره بشكل الكلمة السابقة في العبارة : « الاواني والعيdan » . ومن المؤكد انه لا يوجد دليل على استعمال آلة موسيقية تسمى « القانون » في القرن التاسع .

وأما ظهوره في «حكاية الملك عمر بن النعمان واولاده» ، ذلك الملك الذي يقال انه عاش في فترة سابقة على زمن القصة السابقة فخطأً تاريخي دون شك . ويسمى في هذه القصة عند أول ظهوره «القانون المصري» ولكننا حين نراه مصحوباً بالورد الجلبقي والجنبك العجمي والنابي التري اظن اننا نستطيع ان نلمح سبب اطلاق صفة الموطن على « القانون المصري » .

وقد أتى لبن بملاحظة عن القانون ، ورسمها الفنانون ، ويستند الامران كلاهما الى الآلة المصرية التي وصفها لبن نفسه وأبرزها ابراً كاملاً في كتابه « المصريون المحدثون » ، الذي قلما يساعدنا

المصري ، فقد نرى في نسبته الى ذلك الاقليم مجرد مجاز ادبي .
اما الزمر (الجمع : زمور) او الزمار (الجمع : زمراير)
ففيه ما يسمى عندنا « reed - pipe » بمعناه الخاص . وكان
يستعمل احياناً مع العود في الموسيقى داخل المنازل ، ولكنه في
اكثر الاحيان كان يستعمل مع الدف او الطبل خارج المنازل .
ويبرز في مناظر الافراح العامة كما في « حكاية الملك عمر بن النعمان
واولاده » ، حيث يجي اهل المدينة كان ما كان ، وفي « حكاية
جانشاه » حيث تسيير جيوش الملك طيغوس للحرب .

اما البوق (الجمع : بوقات) فهو اسم جنس تندرج تحته كل
آلة من عائلة النفير او النافور ، ولكنه يشير خاصة الى مجموعة من
الانابيب المخروطية الشكل . ومكانه في مناظر المواكب
والحروب المصورة في « حكاية الملك عمر بن النعمان واولاده »
و « حكاية جانشاه » ، والحوادث الاستطاردية الاخرى ، مثله في
ذلك مثل الزمر .

اما النفير (الجمع : انفار) فهو البوق الاسطواني الشكل .
ولم يعرف هذا الاسم حتى القرن الحادي عشر . ولا تشير اليه
« الليالي » الا مرة واحدة ، يعزف فيها نفير واحد مع بوقات
يكتسبت وضوء وطول على رأس سمارك الملك طيغوس عندما
يخرج بحملة الجهاد .

ويوجد آلة هامة اخرى تستحق عنايتنا وان بدت كأنها
ابتكار آلي للنموذج الآلي الموصوف في كتابي « ارغول القدماء » .
باسم « آلة الزمر » ولم تذكر « الليالي » اسم الآلة . ولكن
وصفها في « حكاية الملك عمر بن النعمان واولاده » يبعثنا نوع من
حقيقتها . يقولون لنا في القصة ان الامير شركان دخل في ايوان كبير
فرأى « صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك في جوفها آلات »
فظن الامير انها تتكلم . ولم يذكر الكتاب العرب « وسائل
كلامية » وانما من المؤكد انهم عرفوا « الوسائط المزمارية » التي
عرفوا خصائصها عن طريق الترجمات الاغريقية من ارشيدس
Archimedes وابولونيوس Apollonius وهرون Heron .

والدف (الجمع : ددوف) بالعلمي الدقيق هو ما يسمى عند
الاوربيين tambourine ، وهو مستطيل ولهشاء على جانبي الاطار
كليهما . ولكن هذا اللفظ كان اسم جنس يطلق على جميع انواع
الدفوف . وكان الدف بالضرورة آلة شعبية ، ويظهر في « الليالي »
باستمرار في ايدي القيان والمغنيات ، وان كنا لا نتحقق دوماً
انهم يعنون بالآلة المستطيلة المهم الا في موضع واحد حين يذكرون

على تمييز الآلة التي كانت موجودة في عصر « الليالي » . وننكر عليه
ايضاً ان طريقة العزف على القانون ، كما صورها فنانونه ، لا تتوافق
التاريخ والآثار المصورة . فطريقة امساك القانون في وضع افقي عند
العزف بحيث تكون اوتاره أعلى شيء . منه ، كما رسمها فنانونا من
طريقة حديثة تماماً . ونحن نعلم يقيناً ان العرب منذ القرن الثاني عشر
الى الخامس عشر كانوا يمسكون القانون رأسياً ، وظهره مسند الى
صدر العازف ، ويضربون عليه بيد واحدة . وهذه هي الطريقة التي
أخذتها اوربا عن العرب حين استعارت منهم القانون وسماه « Canon » .

أما السنطير (الجمع : سنطايير) فكان عادة ما نسميه (dulcimer)
وفي بعض الاحيان يكون ضرباً مما نسميه (psaltry) . وبينما
كانت هذه الآلة تسمى في مصر في القرن الخامس عشر (القانون) ،
كانت تسمى في سورية (السنطير) . وفي الحقيقة لم يكن السنطير
الا نوعاً من القانون يعزف عليه اقلياً بقضبان ضاربة بدلاً من العزف
عليه رأسياً بالآلة الصغيرة المسماة (الاصبع) . وكان الاسمان يطلقان
على آلة واحدة في القرن الخامس عشر . ولكن ذكر الآتين في مصر
عام ١٥٢٠ ، حين ذكر ابن ايس القانون والسنطير معاً ، يدل على
انهما كانتا متشبهتين الواحدة عن الاخرى . وقد تناولت تاريخ هذه
الآلة في موضع آخر .

ولا يظهر السنطير الامرة واحدة في « الليالي » ، حيث يستعمل
مع الجناك والآلات الاخرى ، لتدلية الامير الذي اعظمه الحب في
« حكاية جانشاه » .

والناي (الجمع : نايات) نوع مما نسميه « flute » وقد
استعمل ذلك الاسم ، وهو فارسي ، حينما طرد الاسم العربي القديم
« القضاة » . ولا يظهر في « الليالي » الا مرتين ، مرة بصاحبة
العود في « حكاية حب ابني عيسى وقرعة العين » ، والثانية في جراب
الحلوى المتع في « حكاية علي العجبي » حيث يرافقه الطنبور .
والشابة (الجمع : شبابات » هي ما يقابل عندنا « fife »
او الناي الصغير . وتبرز في « حكاية خليفة الصياد البغداذي »
حيث عزفت القينة المسلية قوت القلوب على الدف والشابة والعود
عزفاً ناجحاً للسيدة زبيدة ، ومنحت راوي القصة الفرصة ليشبه
فتحات الشابة بالعيون .

اما الناي التتري فلم يوجد في الموسيقى العربية ، المهم « لا في
« حكاية الملك عمر بن النعمان واولاده » . ولا نعرف حقيقة هذا
العود ، ولعله ناي ذو منقار يشبه الآلة المسماة « تورك » عند التتار
ولكننا ما دنا ثرة بين العود الحلقي ، والجناك العجبي ، والقانون

معه الطار او الدف المستدير . ويذكر الدف الموصل في « الليالي » في موضع واحد ، ولكن هذا الاسم الخاص لا يذكر ثانية . وهذه النسبة في طبعة بولاق ، ولكنها ساقطة من طبعتي كلكتا وبروت ، واذا كانا كانت من ترين أحد الكتاب او الرواة لينسجم مع العود العراقي ، والجنك العجسي ، المذكورين معه .

اما الطار (الجمع : طيران) فهو الهدف المستدير ذو الفناء الواحد والصفائح المعدنية في اطاره . ويظهر في ايدي المغنيات والقيان في « الليالي » ، واولئك المغنيات اللاتي يستخدمنه لجمع الهبات كما ذكرت قبل . فيوضع على الارض وغشاؤه الى اسفل لتيسر لبقاء النقود فيه . وكان الطار اهم آلة الايقاع عندالموسيقى المحترفة كما تبين احدى المقطوعات الساحرات في الليالي .

ورسم فنانو ليلة عدن صور للدف المعروف باسم الطار ، على الرغم من ان القصص نفسها لم تذكر الا الدف او الدف الموصل . واحسن تصحيح له ما جاء في ذيل « حكاية الاحدب » وقد اتخذ هذا التصميم من الآلة الموجودة في كتابين « المصريون المحدثون » نموذجاً له . وكانت كلمة « البطل » (الجمع بطول) تطلق في الغالب على

النوع الاسطواني العادي ، ولكنها كانت تطلق ايضاً على جميع الانواع والتأجيل . ولذلك يصعب ان نقول في الليالي ، التي تتكون من ذكرها الى اي نوع تشير الكلمة ، وان كان منظور القصة والفعل المستعمل مع الكلمة قد يساعدنا احياناً على تعيينها ، فان كانا كانوا يعنون الطبل العادي او الكوسات . فاذا كان منظور فرحاً خاصاً او موسماً عاماً فالارجح انهم يعنون الطبل العادي ، على حين تظهر الكوسات اكثر ملازمة في مناسبات الموابك وتحرركات الجيوش . وقد رسم احد فناني لسن الطبل الاسطواني العادي في موضعه في « حكاية معروف » .

وكان الكوس (الجمع : كوسات) اكبر نوع من الطبول يستخدمه العرب الى ان ادخل المغول الكرة . وتظهر في « الليالي » مع الآلات الحربية الاخرى في « التوبة » او الفرقة العسكرية ، وان كان لفظ « كوسات » في طبعة بيروت قد تصحف الى « كسات » في طبعتي كلكتا وبولاق .

وكان « الطبل باز » طبله ضيقة جداً من المعدن تقرر بواسطة شريط من الجلد او القماش . ولم يرد اسمها في « الليالي » ، ولكن لا يخامرنا شك ، كما نحن برتون الالهي ، في ان الطبل المذكور في حكاية الحسن البصري كان بازاً ، اذا كان لنا الحق في استعمال الاسم المختصر الحديث ، اذ يذكر في هذه النصة « طبلًا نحاساً

وزخمة من حديد منقوشاً بالذهب وعليها طلاس » . وترجم ابن كلمة « زخمة » بكلمة « plectrum » مما ازعج برتون لانها تقود الى الخطأ . وهذا صحيح اذ لم ننكر في غير الاستعمال الحديث لكلمة « plectrum » اذ يطلقونها على الآلة التي يحركون بها اوتار العود وما شابه من آلات . ولكن الكلمة بمعناها الانجليزي واللاتيني القديم كانت تطلق على كل آلة لضرب ، مثل كلمة « زخمة » في العربية بالاضط ، اذ تطلق الأخيرة على ريشة العود ، وقوس القيثارة ، واحد القضبان التي تضرب على السنطير ، واحد العصي او آلات القرع على الطبل . وعلى كل حال ، كان لدى ابن اسباب وجهة لاستعمال كلمة « plectrum » وان فهمها كاتب هذه الايام . وليست هذه الطبله السجرية ، وزخمتها الطلسمية ، الا مثال آخر للحالة الوثيقة بين السحر والموسيقى ، تلك الصلة التي كان يتمسك بها الساميون تمسكاً شديداً . ولا زال الباز الآلة المفضلة حتى اليوم عند السحر (المسحور)^(١) وهو يجمع الصدقات .

اما الدربكة (الجمع : دربكات) فطبله على شكل الكأس ولها ثمان واحد . ولم تذكرها « الليالي » الا مرة واحدة ، وقد كتبها الناسخ في هذه المرة « دربله » بدلاً من « دربكة » . وكانت الدربكة الآلة المفضلة لدى العرب فترة طويلة ، وان كان الموسيقى يختلف يستخدمها احياناً الى جانب الآلات الاخرى الباقلة على الوزن . وفي « حكاية الحباط » يعني الحامي على نبتها ، ولكن لما كانت كلمة « الدربكة » حديثة ، لا يمكن ان يكون تدوين تأليف هذه القصة قديماً ، الا اذا كانت الكلمة محرفة عن الكلمة الفارسية « دربله » .

ولا يمكن ادخال الآلات الباقية ، التي تعتمد المواد الرنانة ، بين الآلات الموسيقية التي تدخل في دائرة هذا البحث ، اللهم الا الكاسات . ومع ذلك فالكاسات من الآلات الرنانة ، ولكن لما كان معظم هذه الآلات مما يستعمله العازفون الاوربيون المحدثون ، فاننا لن نخرج عن الموضوع بالكلام عنها هنا .

فالكاسات (المفرد : كاس وكاسة) او الكنتوس (المفرد : كاس) هي النوع الكروي الكبير من الآلة التي تسمى « cymbals » وهي غير الصنوج (المفرد : صنج) والكاسات التي على شكل الصفائح . وتظهر الكاسات في معظم المناظر العسكرية في « الليالي » كما لاحظت من قبل .

(١) يظهر ان الكتاب اختلطت عليه كلمة السحر (بمعنى السحراقي) والسحر ، فربط بينهما ، وان كانت الاولى مأخوذة من السحور والسحر .

وأما الجلاجل (المفرد : جلاجل) والاجراس (المفرد : جرس)
فهي النواقيس ، والجلاجل في العادة هو الكروي الصغير ، أما الاجراس
فكبيرة مخروطية أو مربعة بداخلها ضارب متذبذب . وقد استعمل
النوعان في ترين الجمال والحيل ، كما كانت الاجراس تعلق بالحرمين
في مصر في عصر المماليك . ويذكرنا ذلك بعلي الماسك الذي
يسرق الكحل من العينين « فانه عندما صار رجلاً صالحاً ، تذكر
اليالي انه علق بثوبه اجراساً وان كان ليس من الواضح انه قام
بهذا العمل ليدل على امانته . ومن الطبيعي ان ينشأ من هذا المثل
العربي المعروف عن تعليق الاجراس ، بل ذهب على الماسك الى ابعاد
من ذلك ، فصف الاجراس على الجراب الذي يجري وبجبه الحلال .
ويطير انثا لقل (المفرد : قتل) كانت ما نسميه « Jingles »
وكانت تعلق مع الجلاجل والاجراس على البغال والجمال لتثير
الحوف والرعب في الاعداء .

والخلائل (المفرد : خلخال) والاحجال (المفرد : حجل)
هي الحلقات المعدنية التي يلبسها النساء ، ويتخذ صوتها غالباً .
وتوجد في « الليالي » اشارة الى المرح الموسيقي المبهج لأحدى

الجواري ، ذلك المرح الذي احتد حتى اسكت صوت خلخالها .
وهناك ايضا نصيحة بالا يزور الشاب البالغ الحريم حيث ربات الجلال .
والناقوس (الجمع : نواقيس) هو الصفيحة او اللوح المعدني
الصالح للثق الذي يستخذه المسيحيون للدعوة الى الصلاة في البلاد
التي تتكلم العربية . ويرد في (الليالي) في حكاية « علي نور الدين
والجارية مريم » حيث يضرب على سطح كنيسة السيدة مريم ، ام
المسيح ، لنداء المسيحيين لاقامة شعائهم .

وانشيراً يأتي القضيبي (الجمع : قضبان) وهو قضيب يضرب
على اي مادة رنانة ، ويعطي في الغالب الايقاع في الموسيقى القديمة
بلاد العرب . وهو من أقدم آلات الدق العربية . وترد الكلمة في
(الليالي) ولكنها ليست بهذا المعنى الموسيقي . فذكر في (حكاية
الحليفة المزور) مدورة بقضيب لاستدعاء الحادم . ويقول ابن ان
المدورة هي (الوسادة الصغرى) ولكن يرتون يجب على ذلك :
(ان الانسان لا يدق على وسادة للاشارة) ، ثم يرجع الى معنى
الكلمة الاصلي ، وهو كما يقول : (شي . مستدير ، مثل سطح من
الحطب او المعدن المستدير ، او الناقوس) . واكن يبدو ان الناقوس
المعدني ، كما نعرفه ، لم يكن مستعملاً عند العرب الا في الناقوس
المسيحي . ومن الخرافات نقرأ في تاريخ جيو فرى دي فزوف الحارث
الصابي عن اجراس العرب ، ولكننا حين نرجع الى الاصل اللاتيني
نجد ان الكلمة (eymbala) التي تعني (كاسات) . ومع ذلك
يبدو ان العرب استخدموا « الوسادة القضيبي » ، كما قال ابن ، محتمل ، اذ من
المؤكد ان مثل هذا العمل كان يحدث عند العرب ، نقرأ عنه في
كتاب (كتف الرعاع) لابن حجر الهيتمي (المتوفى عام ١٥٦٥)
في الفصل المسمى (في الضرب بالقضيبي على الوساد) .

وختاماً ينبغي ان اذكر الكلمة (الجمع : كنجيات) التي
يرتبطها احد فاني لن ترتباً للترجمة الاخيرة لحكاية المزين عن اخيه
الخامس . ومع ذلك لم تذكر الكنجية في اي موضع في « الليالي »
وكذلك لم تعرف قريبتهما « الرباب » . ويبدو ان معاون المستعرب
العظيم ابن تأثر بكتابه (المصرون المحدثون) الذي تظهر فيه هذه
الآلة . ولكن بما ان العرب عرفوا الكنجية منذ القرن التاسع ،
فاننا نستطيع ان نفترض محتمل ان مستعربي الموسيقى في (الليالي)
لا بد انهم استمعوا الى (نغمات المؤثرة) كما يجب ان يقول الفارابي
وخاصة في تلك القصص المؤلفة في مصر وسورية ، وان لم تذكر
ذلك (الليالي) .

صبر نصار

انفاهرة

مجلة علم النفس

أول مجلة من نوعها في الشرق يحررها نخبة
من كبار المختصين في علم النفس في الشرق والغرب
هي من أم مكملات ثقافة الفاروق العربي
تريدك علماً بنفسك وتبريك

نقدم لك دراسات تجريبية احصائية لام
للمسائل النفسية والاجتماعية في البيئة العربية
باشرارك في مجلة علم النفس تنفث نفسك ثقافة ممتازة
وتسام في مجود علمي عظيم الأثر في النهوض بالشرق العربي
تصدر ثلاث مرات في العام

مجموعها نحو ٥٠٠ صفحة من الحجم الكبير
رئيس التحرير: الدكتور يوسف مراد والدكتور مصطفى زبور
الاشراف السنوي ٥٠ قرشاً في مصر والسودان ١٢٠ شللاً ونصف
في الخارج او ما يعادل هذه القيمة في سوريا ولبنان
يرسل باسم ادارة مجلة علم النفس شارع روض الفرج
شبرا ، مصر

عادت في حارتنا

للفنصيحة الشيكوسلوفاكى كارل تشابك ترجمة فيصل عبد الله

افطن

في حارة نجيم عليها السكون ابدأ ، فليس فيها حانة او متجر ، وليس فيها حتى مستودع للفحم وما من شيء يعكر هذا السكون سوى الاصوات المنبعثة من اجهزة المذياع لدى سكان الحارات المجاورة ، وهكذا ، فما ان تدق الساعة العاشرة حتى يكون قاطنو الحي جميعاً مستلقين على فرشهم يداعب الكرى اجفانهم ، وجيراننا في هذه الحارة مواطنون هادئو الطباع ، فيهم موظفون في الدرجة السابعة وهواة جمع الطوابع وعلماء ارواح وموسيقي هاو يعزف على البود وبائع يجلو القرى يدعى الاخاد ، وما عداهم من قاطني الحارة اوامل يؤجرون حجراتهن للاغراب .

ومن عادة جارنا البائع الجوال ان يقضي ايامه يوم الخميس من كل اسبوع في مسامرة تمقدها ندوة الماحدين ، فكان يعود منها في منتصف الليل ، وفي يوم الثلاثاء الماضي كان لدى اثنين من هواة جمع الطوابع حفل في جميعتهما فعادا في المزيج الاخير من الليل ، ومنذ ثلاثة اعوام على الاكثر ، سر مجارتنا احد السكارى يعربرد فجزمنا القول انه لا بد قد ضل طريقه ، على انه كان في حارتنا روسي ما كان يعود الى بيته قبل الساعة العاشرة والربع مساء كل يوم ، اسمه كونا لنيكو ولعله كوبيتسكو ، وكان هذا رجلاً ربماً ذالحة طويلة كتمة ، وكان يقيم في البيت ذي الرقم ٧ لدى السيدة جانسكيا وكنا نجمل من امره الكثير ، ماذا يفعل في يومه ؟ ومن غير هو . لم نكن لنعرف عنه الا انه اعتاد ان يضطجع في القبولة على اريكة في حجرته حتى الساعة الخامسة بعد الظهر ، ثم يخرج بعد ذلك متأبطاً حقيقته فيقصد اقرب موقف للترام يستقله الى المدينة ثم يؤوب مساء .

وفي مساء من شباط غفوت فرأيت نفسي طفالاً يمتقع بسوط كان ييده ، ثم استيقظت من نومي فجأة فمقد دوى في الشارع صوت

اطلاق نار . كيف اسرعت الى النافذة ففتحتها . لا احد يعرف ذلك غيري . واطلعت برأسي منها فرأيت . ماذا رأيت ؟ هناك قبل البيت ذي الرقم ٧ رأيت رجلاً ملقى على الارض وقد تأبط حقيقته . واذا بشرطي يسرع اليه محاولاً رفعه عن الارض ولكنه لا يقوى على ذلك فيدعه وينفتح في صغارة لديه ، فيقبل من ركن آخر من حارتنا في تلك اللحظة ، رجل كان هو ايضاً بالبزة الرسمية .

احتذيت نعلي ، والتيت على كنفني معطفي ، واسرعت الى الطريق . وكان الجيران ايضاً قد فتحو الابواب ، ثم لاح بعد ذلك في الشارع ، دون اية جلبة او وضوا ، هاوي الموسيقى وبولان واحد من هواة جمع الطوابع . ثم راح قاطنو الحارة من الحيرة الاخيرين يطلون برووسهم من النوافذ يستطلعون .

وقلت للشرطي : هذا روسي يسكن في بيت السيدة جانسكيا . اميت هو ؟ فاجابني : لا اعلم ولكن لا بد من احضار الطبيب .

وقال هاوي الموسيقى : يا رب . انه الروسي ، ولكن لماذا يترك هكذا طول هذا الوقت ملقى على الارض ؟ خذه الى المستشفى . وكنا اثني عشر شخصاً نحف بالجسد الممدد على الارض ، تصطك اسناننا من البرد والملح ، واذا ذاك اقبل الشرطيان على الصريح يجاولان فك ازرار قبضه ، ثم جات سيارة اجرة ووقفت غير بعيد عنا . على اي حال لا بد ان سائقها هذا الذي اقبل علينا كان يتوقع ان يجد سكيراً فاقده الوعي فيحمله الى البيت . وقال له جاري الباقي واسنانه تصطك : يا بالاس ، لقد اطلقوا عليه النار ، خذه الى المستشفى يسارتك فقد

يكون فيه رفق من الحياة . فتمتم السائق : لشد ما احب الزائرن من هذا القليل . واسرع الى سيارته وجاء بها قريباً ثم نقل الشرطيان الروسي بقليل



من الجهد اليها وركب احدهما فيها مرافقاً الجريح ولبث الآخر بيننا واخرج من بيته دفقاً وراح يدون فيه اجماع الشهود . وكانت الساعة حينذاك الحادية عشرة وخمسا وعشرين دقيقة حينما عدت الى حجري . اذن فالحادث لم يستغرق غير عشر دقائق فيسب . قد تقول ، انك لم تجد في هذا الحادث امرأ عجبا . ولكن مهلا ، فانه ليس كذلك اطلاقا ، بالنسبة لحارتنا ، فغدا ، حينما يردد سكان الحارات الاخرى هذا القول : هناك ، في ذلك المعطف ارتكبت ثمة جريمة ، فان معناه اننا كسبنا به شهرة ومجدا ما تحلم بهنا حاراتهم يوما ، وقد يستبد بهم الشعور بانغية ان لم تقع في حاراتهم حوادث جليلة ذات شأن من هذا القبيل ، فيرددون : قيل ان شخصاً كذا يصرع هناك ، ولا يعلم غير الله اصحيح هذا القول ام انه كذب مغترى . اجل ، هذا شأن الحسد بصغار النفوس .

ولك ان تصور كيف هرعتنا الى باعة الصحف في الصباح التالي كان يحدونا حب الاستطلاع عن تفاصيل اخرى لحادثنا ذلك ، وطبعي ان يكون قد خالنا الشعور بالرغبة في ان نرى الصحف نتحدث عن حارتنا . ولكن ، ما اقمى الحية التي منبتنا بها ونحن نرى الصحف خلوا من اية اشارة الى (حادث) حارتنا ذلك . انما تجدث عن كل شي . . . كل شي . . . الا في هذه الحجة ففاضت قلوبنا اسى وكدا وحقنا عليها القيد الخلق . ولكن رأينا تحدث به هاوي جمع الطوايع بعث الطمانينة الى قلوبنا . انما لعل الشرطة طلبت الى الصحف ألا تتناولوا بالحديث حرصاً على سلامة التحقيق وضماناً لسيرته . وهذا رأي وجيه ومعقول ، ولكن غيظنا كين بليغاً . فقد كنا نحس بالزهر والحيلة اذ كنا نحن لا غير ، سكنت هذا الشارع الحيد وكنا نحن ايضا شهود هذا الحادث الحويل بالاسرار يقع فيه ، ولكن احداً لم يأت الينا ليستمع الى شهادتنا ، بل ان الادهي من ذلك ، لم يأت احد الى بيت السيدة جانسكيا فيتحري حجرة القتل ثم يفلتها ويختم قفلها بالشمع .

ومرت على الحادث ثلاثة ايام والحال كذلك ، حتى الصحف ما اشارت اليه بحرف . قامتلات نفوسنا حقناً ، كلا ، ما هكذا يليق بنا ، بل فلتتول الامر بانفسنا ولنتجراه نحن فلن نرضى بالهوان ولن نتحمل بعد هذا اهما لا نتجاه به ، فان عننا الشعور بالاستياء . فحين لنا ذلك ، لم نتر طريق حارتنا ما عادت معدة مصروفة ، وانوار مصابيحها كادت تنجو ؟ فاقبل علي رهط من الجيران بوصفي شيئاً مسناً مريب الطلعة !! ورجوني ان اقصد مخفر الشرطة فأقدم اليهم احتجاجاً لعدم احتفالهم بالجريمة التي ارتكبت في حارتنا .

وتفرس مفوض الشرطة في وجهي وقال : اية جريمة ؟ لا اعلم لنا بجريمة مما تحدثت . فكذبت اصعق ثم قلت له : كيف لا تعلمون بها ، لقد اطلقوا النار على جارنا كونفالنكو او اعل اسمه كوبيتيكو ، وقد جاء شرطيان اثر ذلك ليراقق احدهما الجريح الى المستشفى وراح الآخر يدونا اماناً . ولكن المفوض قال : لا يمكن ابدأ ، قلت لك اننا لا نعلم بشي . من هذا ، اذ لم نخبر به . فصحت : يا سيدي ، ارجوك ، خمسون شخصاً شهدوا الحادث نعم ، فحين مواطنون شرفا ، فأتروا المزاح ياسيدي ، فقاطني قائلاً : مهلاً ، حدثني بتفصيلات الحادث . فحدثته بكل شي . ، ولما وصلت في حديثي الى ذكر الشرطين قاطني مرة اخرى وقال : آه ، ليتكم القيم القبيض على هذين الشقين . فبنت وسأته لما اذا فاجاب : لماذا ؟ لم يقتل الروسي غير هذين ، او لعل اشر بركان في الجريمة . سمعته لك في هذه الحارة ؟ - تسع سنوات . - اذن فقد كان لا بد لك ان تعلم بان اقرب دورية للشرطة تكون في الساعة الحادية عشرة والربع في السوق ، وتليها دورية اخرى تكون آنذاك بين شارع سلسيا وشارع برث . هذا الذي يعرفه كل احد كيف لا تعرفه انت ؟

وقلت مهوئاً : حسن والان ماذا سيتم بشأن حادثنا هذا ؟ فقال محتدماً لم تفهم بعد ؟ شقيا نتمسك بلباس الشرطة ترصدان لاجرا روسي فسرعا ولعل لها شركا . في الجريمة تولوا ذلك فلبنا هما فحسبتموها بالطمع من الشرطة ، وسررتهم اذ كانت شرطتكم على هذه السرعة في الحركة والدقة والنظام ، وهكذا انما شر ابلاغكم الشرطة بالحادث وفي الوقت نفسه ، هربا بجثة القتل واجتازا الحدود ، وسائق السيارة لا بد هو الآخر كان شريكاً في الجريمة ، هل تذكر رقم السيارة ؟ قتلت خجلاً ، كلا آسف فاطخر هذا بيالي . فقال : حتى لو خطر هذا ببالك فليس من جدوى له ، فقد يكون الرقم وهمياً .

لم تعرف اسباب الجريمة ، على انه امكن التعرف على اسمي القاتلين الجرمين ، ولكنها كانت قد اجتازا الحدود منذ زمن ، فلم يتيسر لنا القبض عليها .

وهكذا ضاعت معالم جريمة حارتنا ، وكان القتلة كانوا مغرضين فحرموا حارتنا من حادث كان الصحيفة الالامعة الوحيدة في تاريخنا . والان ، فليس من يصدق قصة حادث هذه الجريمة التي ارتكبت في حارتنا ، ان تحدثنا بها ، فان سكنت الحارات الاخرى ، يستكثرون على حارتنا حادثاً مجيداً من هذا القبيل .

فصل عباد الله

افتره

عودة سراع



لاح على الشاطي، كم مرة
ينفض الالوان من ريشه
يلف بالاطياب احلامه
ساعة لم السر في برعم
يا من له الناسك في غيه
من كل افق صوبة وانسياع



والآن يهتز لدى همسة
من جدول يزلق في ريشي
وشجت بالاغرام امواجه
أعصر من قلبي على روجه
يا ظلاً، يا لمباً، في دمي
من طائف حاو التشهي متاح
رقت عليه اغنيات صمماح
وحدي في هشة ذاك الوشاح
نحو صلاة من فجور الصلاح
دلوي على الري فراغ امتياح



قلبي أنسيت جنون الصبا
لملت اشلاك في ليسة
مقبرة الآباء لم يختلاج
تلفتت من كسوة أشرفت
تثاوب الاموات يا خافقي
اسدل على الماضي ستار المدى
عد، يطورك الامس فان تسترح
والامنيات الحمر في كل ناح
عجما، لم يطلع عليها صباح
فيها سنا او يتسطى برح
على جناح من عبير الاقحاح
عدت جنوناً للهوى والكفاح
وانس لا توقف دفين الطراح
فالجب من ذاك الجنون استراح

على محمد سلس

في التصنيف المدرسي، قمان : القسم الاول

تعبير عن خواص المادة الجامدة وهو فن العمار والدلالة التي يرمز اليها هي التناسب والتأثر والاتساق . والقسم الثاني موضوعه الجمال الانساني ، ويبدأ بالبحث الذي يعبر عن الرشاقة والانسجام بين حركة الاعضاء ، واضاعتها ، وتحررها . يليه التصوير الذي يعبر عن طابع خلقي متفرد . ثم الشعر على انواعه وامامها الشعر الموضوعي في المأساة فهو يعبر عن نوازع الضيق الانساني وتطلعه واشواقه . وتأتي بعد ذلك الموسيقى وهي ارفع الفنون احتلافاً ، ووظيفتها الابداء ، بالمعاني الخائفة بصورة مباشرة تنبش الفكرة على المادة وتستخدمها لاغراضاً وبواسطتها نستمتع الى حين جميع المواطن والانفعالات التي يمكن ان تحتلج بها النفس الانسانية في انطلاقتها نحو كمالها .

وكل هذه الفنون تصل الى احداث الهزة والتأثير ، في النفس

القابلة لتجعلها مهيأة لتسير الفضيلة ومحبته بأرادة حرة ، تصل الى ذلك بوسائل مادية يبينها العقل كالألفاظ والاصوات والالوان .

خلل من وراء ذلك ، امل يراود احلام الفلاسفة مؤداة : هل تستطيع الطاقة الانسانية ان تجتمع شتات هذه الفنون جميعاً في اداء واحد وبره واحدة ؟ . بقي هذا الامل حلماً حتى جاءت « ايزادورا دنكان » فجسدته حقيقة ماثلة في رقصها التعبيري الايقاعي الذي يوحد جميع المعارف الجمالية في مضمون فني واحد حيث استطاعت ان تعبر بالحركة المنقومة والاياء الطليقة عن جميع معاني الفنون : عن الرشاقة والحرية والانسجام والجمال والخلق والمذلة والفضيلة والحق والخير يضي . ذلك كله في اطار من الحلم المجمع يفوح منه عطر الوحي الحبيب حتى لتكاد تقزو بالفرحة الالهية ، فرحة المشاركة بالخلق .

وبذلك وصل الفن الى غاية غاياته وقدر اقدسه . وانتهى الى آخر شوط في تطور النامة والحركة الذي بدأ بالكلام وننى بالغناء . واستقر عند الرقص ، كما بدأ تطور الفكر بالحق ، ثم بالادراك الحسي ثم بالتأمل .

يقول « ارنست هيغل » ذو العقل المشغول بالاستقرار . واحد

كبار فلاسفة الجدلية المادية يقول في كتابه « احجية الكون » Riddle Of The Universe « اني احب رقص ايزادورا اكثر من جميع حقائق الحياة لان رقصها اصدق تعبير عن التطور في الكائنات » .

ويعترف معظم النقاد ان « ايزادورا » نجية . بين العشرة الاوائل من رواد التقدم الانساني ، فقد كانت فوق استعدادها الفطري للمهم ذات نفس صافية تنجذب الى الآثار الفكرية والمادية انجذاب الغناء فيها حتى تتسلها لتؤديها رقصاً موحياً عظيماً وقد تأثرت مواهبها اكثر شي . بالثالوث الفلسفي الفني العظيم « نيتشه ، واجز ، بيتهوفن » فهمت منذ بدا لها بأوبرات واجز وخاصة « تان هاويز » و« سغونيات » بيتهوفن » وخاصة « الثالثة » التي طالما رقصتها مع (كورسها) المؤلف من الاطفال الذين اختارتهم لمدرستها الفنية ، واعدهم للحدث العظيم . وتأثرت بعد هذين بنيتشه في عمى التجربة واتساعها ، وفي الفكرة الروحية عن فن « السوبرمان » ، ففكرة

ايزادورا دنكان وفلسفة الرقص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

الاستغراق في الطبيعة في رقصة كلية كلها ايقاع ونغم ، رقصة تشيد بالقوة الخالقة وتفتح مغاليق القيد وتحقق اشواق النفس الانسانية في انطلاقتها الاولى . وصلت ايزادورا في فنها حد القدسية ، فكانت

الهزة التي تجرئها في نفوس مشاهديها من كبار الفنانين والفلاسفة ، هي هزة الانبياء . لا الازفة ، فلي الرغم من جمال جسدها الملائكي لم يكن العارفون يملكون الا تحطى الحس الى الدلالة ، واللقاء الى الصورة الشعورية التي هي مقصد في ذاتها فلا وسيلة اليها ، ولا هي وسيلة الى غيرها .

وبلغ من تأثيرها في عظماء زمانها انها كانت تلمع بعواطفهم بقوة ساحرة تجعلهم يسبون او يضحكون كالأطفال . دعت مرة الى دارتها « جبرائيل دانوتزيو » الشاعر الايطالي الاعظم بعد ان نغصها امداً بحبه العقيم فلم تستجب له ولعلها الوحيدة التي استعصت عليه فلم يلن لها نغفار ، وهو الذي مجدها اروع تمجيد واصدقه ، حين قال لها مرة : « ما احسن ان يكون المرء ملك وحده في هذا الكون الجليل » الاخرى يعبرون صفاءه . اما انت .. فانت وحدهك جز . منه .. انت وحدهك من طبيعة هذه الاشجار وهذه الاطيار وهذا الهواء وهذه السماء .. بل انت المظهر الاسمي لروح

التناغم في هذا الوجود .. يا الهة هذا الوجود .

دعته الى دارتها ، بعد ان اعدت جواً حزيناً قائماً بصلح لمأساة
ثم اخذت تطفئ الشموع واحدة تلو اخرى على انغام شجية
أسرة حتى كاد الظلام يلف المكان .. ثم بدأت على وهج
الموسيقى الحنون وفنور الظلال الباهتة ترقص لحن شويان الجنائزي
الرهيب ، فتسلكت الشاعر موجة ساخنة من الرعب وتزوة فائرة من
الجنون وفر لا يباو على شي .

لقد كانوا يرون في فيها فلسفة اعظم من جميع فلسفاتهم والانسانية
اصمى من جميع خيالاتهم فيهرعون الى التي منتصتهم الشعور الوجداني
بالواجب وفي عيرونهم دموع الشكر وفي قلوبهم حرارة الايمان .
وطغت عظمته حتى استجاب لايمانها جيل بكامله وجد في
فيها راحة لمشاعره القلقة وعواطفه المرزدة وبلغ من تقديسهم لها
انهم كانوا يستشفون بها لا من ادوائهم النفسية فحسب بل من
ادوائهم الجسدية ايضاً ، فكانت الصفوف الاولى من مسرحها
تقص ابداً بالمرضى الذين يقعدونها مؤمنين بقدرتها على اعادة
اليسات الى القلوب الشقية . كانت تنسج لكل من يواها عوائقه
وتجاول تهاويل خياله وتبعث الدعة والاطلشان في روحه الجسري
بتأوج جسدها المحرك من طراز مقدس في طائف واجاح .

لكثافا جاءت في مطلع عصر مادي فاجور ينكر كل قيمة
روحية لتعيد الى الانسانية النათة الاطلشان والاشفاق
الروحي ، وتعلم الضالين كيف يعيشون في سلام مع انفسهم ومع
الآخرين .

قال فيها احد كبار الفلاسفة : « حيناً ترقص (ايزادورا)
تستذكر الروح خطراتها منذ بد الخليفة حيناً كانت عظمة الروح
منوطلة بجبال الجسد ، وايقاع الحركة موصول برعشة الصوت ..
حيناً كانت حركة الجسم البشري منسجمة مع هفيف التسميم
وحفيف الشجر وموج البحر . حيناً كانت نفحات الايمان والبطولة
والحب والتضحية ، تنمها نغمت التيارات والشبابية .. حيناً كانت
حشود الرجال والتسا في عريها الروحي والجسدي على ضفاف
الانهر وفي ثنائيا الغابات وشعاب الجبال وبطون الادوية ، ترقص
فرحة بالحياة الفاسفرة .. حيناً كانت كل رغبة حرة قوية عظيمة
تنسكب من مسارب الروح الانسانية الخافية الى مسالك الجسد
البشري المائل في تناغم كلي موحد مع ايقاع الكائنات وتجلياتها .
ان رقص (ايزادورا) يخلص خطرات الانسانية من الازل الى
الابد اما هي ، فبلغت من الحساسية والشفوية حداً لا يدرك »

كانت وقفة امام احدى اللوحات الخالدة كافية لتوحي اليها برقصة
خالدة

حدثت عن نفسها فقالت « لقد اوجت الي « البرعيا فبرا »
« لبوتشي » رقصة حاولت ان اعبر فيها عن الوحدة المطلقة والطابع
الحلقي المتفرد لتلك اللوحة وقد جلست اليها ساعات حتى كدت
احس حرارة الحياة تدب في سوق النبات وتويج الزهر ، وفورة
الحركة المبدعة تسري في الالوان والظلال ، وتلكتني روح علوية
تهيب بي ان احقق الفكرة المحدودة المقيدة في اطارها ، رقصة هو
كالصدي للحن الوجود في تناسقه وتناعمه وانسجامه .

كان في مقدورها ببساطة الهية ان تؤدي كل فكرة وكل
خاطرة وكل بادء ، ايقاعاً ورقصاً .. لانث لها الفلاسفة المغالقة
المجردة والسفونيات المتلاحمة باصداء النغم . ولوحات « رفايل
ودافشي » و« قائل » و« رودان » . الى مناظر الطبيعة المجولة وانغامها
المهادرة ولحنها الاصيل .

تقول عن السفونية التاسعة « ليهوفن » كنت حين اغض
عيني اصبح صوتاً من شرفات الالهام يتفني بي : نحن افكار تلك
الموسيقى الخالدة وخيالاتها .. اننا هنا . خذينا . امنيتها الحياة
الحقيقية ذاتنا » .

اما حين حذرستها الغنية فقد عبرت عن ذلك اوفى تعبيراً وتلها
ان في هذا الرقص الذي خلاصة المعارف الانسانية بواسطة الحركة
المغمومة والايحاء الساطعة فأكون كالنبض الحي لحركة الروح
الكليّة المتجردة .. وقد قاسمت حتى توصلت الى الرقصة التي
تصور انطلاق الانسانية وحنيتها خلال حركة الجسم . كنت اقف
امداً طويلاً ساكنة ضامة ذراعي الى صدري حتى اكتشفت مركز
النغم الذي تنسكب منه اشراق النغم في حنايا الجسم فتوجه
حركته ، ومصدر الحلق الذي تنبثق منه تلك الطاقة العلوية ،
وملتقى التحيات التي تلهم الايقاع . وفي لحظات السمو تلك
اطلعت من وراء الغيب على رسائلي محققة مجلوة .. كان هناك شي .
واحد يعني ، هو انني لا استطيع التحدث بهذه الطاقة التي اشعت
اشعاعاً في مضموني الداخلي ، هي ارتعاشات نفسية روحية امتلأت
بها شعوراً يتحقق قبل ان يبين ، ولم حاولت ان انقل الهزة الى
تلاميذي فلم استطع اكثر من ان اطاب اليهم ان يستمعوا بأرواحهم
لا بجسوسهم الى الموسيقى . ثم اسألهم الا يحسون تلك البقطة
الروحية تسري في باطنهم المادي ؟ الا يرون كيف يحرك النغم
اعضائني حركة تلقائية فتنتقل القدم وترتفع الذراع ويتنهي الوسط

حركة الجسد الى مسالك الروح . اما انا فقد بنيت مدرستي على خلاف ذلك . . فالتأثير يبدأ في الروح وينتهي بالمظهر المادي فأصحب الاداء اولش . بالتانسق الروحي تشيعه الموسيقى في مفاصل فيشي في عروقي فيسلاها بثل تدفق الشعاع وديب النور ، ويدفعني على غير ووعي ومن دون ادراك الى التعبير عنه في مظهر خارجي » .

وحين زارت « ايزادورا » امريكا وسمعت موسيقى «الجاز» المجنونة ، بكت حزناً وحملت عليها حملة شعوا . فسمعتها «موسيقى الرعاع والهيج ، موسيقى بدائية للشعب الحق . . موسيقى تثير ولا توحى » واهابت الفنانين ان يخلقوا الموسيقى الجديدة بعظلة امريكا « وايمان » و«لنكون» . لو عاشت ايزادورا اليوم لاستكثرت حتى «الجاز» على « امريكا اليوم » .

والعيب ان « ايزادورا » التي فاقت بعظمتها الرجال قبل النساء كانت تؤمن اعمق الايمان واصفاه بوظيفة الانثى في استدامة النور . فغاطبت النساء ساعة وضعت طفلها الاول : « اي خير في ان نكون محاميات وطلبات وفنانات ، ما دام في مقدورنا ان نؤدي هذه المعجزة ؟ الآن ادركت معنى الحب الالهي . . حب الامومة الذي يفوق حب الجنس . . اذكره وانا مستلقية منخوبة اقطر دمايينا موجودي الضعيف الضعيف يلصق بي مستنداً مني حياته . وصالحاً في وجهي المكدود بلسان عروقه النابضة ودمه الدافئ » اماه . . الحياة . . لا شي . غير الحياة . . امنعيني حياتي « اواه . اين فني ؟ ما غناء فني ؟ بل ما غناء كل فن ؟ ما دام في مقدوري ان اكون معطية تمتع الحياة . .

الحامي سعيد رحمه

عماد

الحقيقي فهو يتخلى عن ماديته بمجرد استغراقه في مباحث الروح وعالم الفكرة ليعبر بالحركة الشيقية مضافاً اليها الانغام والايحاء والشرح . . التي تصف تنافهم الروح الكلية في الكائنات وتناسق اصداها واتجاهاها كلها نحو حقيقة واحدة .

في « البالية » تقوم الحركة مقام الاداة . مام اللفظ او الصوت ، وليس في ذلك كبير غناء ، اما رقصي فأريده اسمي من ذلك . . اريده تصويراً غنائياً لمشاعر الروح وعواطفها ونوازعها وهيامها وانطلاقها من اسرارها وحنينها الى المجهول واتصالها الوثيق بل فوائها التام في الحركة الدائبة المتجردة المتحدة في الكون .

الحركة في « البالية » افعال تقليدية عقل آلي غير جدير بأشواق الروح وامشراقها . وانماؤها ان استطاعت ان توحى بشيء يتسلل من المساهي الى المنطوي ، من

وتهاوج العضلات ويتحرك الرأس في نشوة تشبه هزيج الفراش ومجرفة الريح وقصف الرمد وسنا البرق وحفيف الاشجار . . ؟ انظروا كيف يسبو الايقاع بالغلاف المادي الى دنيا النور . دنيا الحق والخير والجمال . انظروا كيف يسري في دمي كديب الحيا فيهنز في هزاً من الاعاق لاحقه حركات منغومة منظومة ، في شبه غيبوبة تضفي على المحسوس ظلال الروح حين تمرى وتنتظر الى نفسها بوضوح .

وكانت « ايزادورا » مؤمنة بنفسها ايماناً عميقاً صادقاً بمشأ على ان تفكر كل ما عداه ، فلها في « البالية » رأى عالم : « البالية يشبه التصوير الشمسي ينقل المشاهد بلا رؤيا ولا تفسير فكذلك البالية ، التي تقبل الجسم ساعياً في استكمال جماله المادي فهي ليست اكثر من رياضة للجسم مقصودة لتكون غاية في ذاتها . اما الرقص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrat.com

رودانا
ساعة العصر الجديد
زات ١٧ جمراً
مكفولة ٢٥ سنة

Elegance
ET
PRECISION
C'EST LA
MONTRE

RODANA

الوكلاء في لبنان وصوريا محلات فادعياش بيروت - تلفون ٩٨٨

غافياً والميليل يحبو، والدياء تدهم كأنها قطعة فحم !
وتقل في رقدته ، واطلق آهة مكبوتة ، وتعالى

وتتأهب ، ثم سكن !

تاك .. تاك .. تاك ! الساعة تدق مدوية، وعقرباها
يشعان الى السادسة ، لقد بدأ الليل !

وتقلت فيه مشاعر مهمة ، وابتدأ الهس بنيش في اعماقه .
اي عمر اقضيه ؟ آه ، وتقلل في مقعده في ضجر وممل ، واطلق آهة
حسرت بين شفتيه . . . أفه لهذه الحياة ، اي حياة ؟ ركود
وسكون ، حجر في اعماق بركة ضحلة ! وكان يحس كأن تهاويل
الهام تتناثر من كل جانب ، وتكاد تعوقه عن رؤية الطريق . .
طريق الحياة ، الممتد امامه في اعماق الظلام !

تاك .. تاك .. تاك ! وطرقت اذنيه حركة الرقاص ، كأنها وقع

خطوات الزمن تدب على اديم الارض ،
الارض التي تطلق ضارباً في رمالها
ونظر الى السماء من خلال النافذة
التي تمتد منها تهاويل الليل ! اما اتعس
الجو ! سما ملبدة بالغيوم، وجو اغبر
اقصه التراب، التراب ! وتبادر الى
ذهنه ان كل ذرة من لحمه تنفث الى
التراب العالق في الجو ! اي غرابة

في ذلك ! انه احساس التراب ، الطين يينه الشوق الى اصله !
وعاد ينظر الى السماء المدهمة . الى اين يذهب ؟ الليل يدعوه ،
دعوته الرغبة .

وعوت في اعماقه رغبة اولاحت في خياله صورة نور ! نور !
وانطلق من غرفته ، ونزل الى الشارع ، وكان الفباركشفاً ، تبدو
خلاله الاضواء خابية متزوية !

وانصت الى وقع خطاه على ارض الشارع ! خطوة ، خطوة .
كأنها دقات الساعة ، او كأنها حركة الرقاص ، في رواح ومجي !
لماذا تألم ؟ ولماذا كل هذا القلق ! انه يحس انه يسير في متاهة
لامدى لها ، وان كل شيء حوله لا معنى له ، ولا غاية فيها !
وراح يفكر ، ووقع خطاه الرتيب بطرق اذنيه طرقاً ملحاً ! خطوة ،
خطوة . . . ماذا تشبه هذه الخطى ؟ دقات الساعة . . .

الايام الايام ! اجل ! ايده ، يأكل بعضها بعضاً ،
ايام تتسلسل وتنقضي ! ترى لو ان الايام مقبرة كم

كان اتساعها ؟ مقبرة الايام ؟ وتحمح حساً . . انه الزمن !

انه يعيش ، ولكن . . في حياة خلت من المعنى . انه يكاد
يشعر انه يتهاوى في اغلال صدئة غليظة ! ولكن ، انه حقيقة يحس
بهذه الاغلال تشل حركته ! وتحيل قافلة رقيق ، وقد شدت
بالسلاسل ، انه واحد منهم ! نعم انه رقيق !

وانتبه فجأة على صوت بوق سيارة يتترق اذنيه ، ولمح السائق
ينظر اليه بشز ولؤم . . . امي . . ؟ الا تستطيع ان تتشي كما يتشي
البشر ؟ وتابعه صوت نسوي رقيق . . اتركه ! انه سكران !
وانطلقت السيارة في طريقها ! وبعثرت على وجهه نظرات !

سكران ! وتذكر انه قد وصل الى الحانة المقزوبة ؛ ودفع
الباب الزجاجي ، وارقتع في اذنيه الضجيج ، وازوى في ركن
مظلم ، وقرع المنضدة المتألكة ، صائحاً الندل !

.. عرق كالغلاء اديا حايك ! . .

ماذا قال السائق ؟ واسترجع بمارته ،
ثم ضجت ضحكة ماردة في اعماقه ،
وماتت على شفتيه ! بشر ؟ اين
يتشي البشر ؟ على الرصيف ام في
وسط الطريق ؟ لو يعرف معنى
البشرية لمشي في وسط الطريق !
ما افطع السير على الرصيف !

لقد سار مع البائزين على الرصيف وهم ملايين . وماذا كانت
النتيجة ؟ لا يزال يتشي على الرصيف ! اما الطريق . . . هيه . .
فارتاع ان يسير في وسطها !

وقذف جل . الكأس في جوفه ، فانطلق يتأمل الوجوه التي
ترحم الحانة . ما اشد قساوة الزمن في وجوه هؤلاء ! الرقيق يلهو !
وقضم ضحكة كادت تفلت من شفتيه ! وكرع الكأس الثانية
واحس فزاعاً في رأسه ، وانصت الى المذياع ، ولكنهمل الموسيقى
العالية التي تبعث منه ، وعاد يتصفح الوجوه ، لا شيء غير الجفاف .
الجفاف ؟ وتذكر ان حياته يكاد يمتصها الجفاف ، وينبثها الجوع .
نعم الجوع ولكن . . تاك .. تاك .. تاك . . وانصت الى دقات
الساعة ، واركتش الكأس الرابعة ! ان الزمن يعلن عن وجوده

بصخب متعده . . اي حياة اعيشها ؟ انه يحس
انه يكاد يمل هذه الحياة ، ويژهو في هذا
الوجود ؟ حياة ! وجود ! هل انا حقيقة حي



موجود ؟ هذه حياة احياءها ؟ اهذا وجود امثله ؟

هذه هي الساعة تنصب امامه ، عقرها كأنها الكلابتان !
اغلال ! اما حان تحطيمها ؟ تندق .. تندق .. وفي كل دقة من دقائقها
تذكره عهداً قد انطوى ، لفظه وهو يدرج الى اللعة ، قه هذا
الوجود ! كان يشرد فكره كلما سمع دقائقها تنفض ضاجة ، وتنداح
امامه صور ، صور بعيدة من حياته .. طفل .. صبي .. شاب .. رجل !
طفل ؟ كم كان يحبه ، ذلك الطفل الذي كان يثله ! وخيل اليه
ان صرناً ، صرناً كليلًا ، ينقل الى اذنيه .. حمودي .. حمودي ..
يا حلو ! كم يود لو عاد طفلاً ، طفلاً يغفو على ثدي امه !

وجرع كأسه ، ودق المنضدة العجوز ، حايك حباك اوبعثر
التقود على المنضدة .. ومضى يتجامل على نفسه اودفع باب الحانة ،
فاستقبلته المياه السوداء ، والجر الاسود !

الى اين ؟ الليل لم ينتصف بعد .. وسار على مهل ، وقد لاحت
امامه صورة نور ! نور ! كم هو مشتاق اليها ، وقد فنفسه في جوف
ساعة .. وانطلقت به الى الشرق .. وانتهى على صوت السائق : لقد
وصلنا ! ونزل من السيارة مثائباً موضف على جرس احدى الدور ،
ومالعه وجه العبد ! وفتح الباب ودلف الى الداخل ، فصاغت
اذنيه ضحكات معاوله فاترة ! نور نور ! ونظر متسائلاً : اين هي ؟
ها هي مژوبة في مقدمها ، كأنها طفلة غريبة .. ونظر اليها مبتسماً ،
واشار لها ودخل احدى الغرف !

وانتصبت امامه .. على الجدار .. ساعة .. قالت الى نور
متسائلاً .. ما حاجتك اليها ؟ هل يحتاج الرقيب الى ساعة ؟ تعالي .
تعالي ! اجلسي ولا تقفي كالبلها . لا تعضي لن اعود الى الثرة !
اجلسي .. يا نور وانصتي ! اترين هذه الساعة ؟ تأملوها ، وانظري
عقريها ، وهذه الارقام الاثني عشر .

قولي لي ما معناها ؟ الا يترك منظرها في ذهنك معنى ؟ وانظري
الى هذا العنبر ، انه يرم الارقام مرتين ، ليعن لك ان يوماً من
عمرك قد انقضى .. ثم ماذا ؟ لا شيء .. لا شيء .. سوى ان
تتضمي ما تبقى لك من ايام .. خاتمة .. ذليلة للزمن ! انت
عبدة .. وانا مثلك عبدة .. وكلانا يوزح في القيود !

اجل يا نور ! نحن عبيد ! لا تنذهلي ! نحن عبيد هذا السلطان
المارد .. هذا الزمن ! استنولين وانت في دهش .. الزمن ؟ ما
الزمن ؟ انت لا تحسبن بالزمن ، وهل انت في حاجة الى الاحساس
به ؟ لا تعضي يا نور ! سأصحت واطبق شفتي .

وانحنى نحوها ، فواجه وجهها الذابل الا من عينين تومضان في

وهج ! وقضم شفتيها في ملل ، وصمما تنتم : سكران ! وضحك
وسكن لحظة وعاد يتنم سكران ! واسترجع صورة تلك الانثى
التي واجهته في السيارة . وعادت كلمة سكران تنم في اذنيه
كالضفدع .. نور ! هل تكرهين احداً ؟ واجابته في قنور :

نعم ! اكراهه .. من يكون يا نور ؟ فسما ترفز وهي تقول :
نفسي ! والثفت اليها في سكران ! وتأملاً محملاً .. ما اشد ومضة
عينها .. وقم .. انت على حق !

وعاد يحتضنها وهو يحس ان الدموع تتناثر في اعماقها - ليس
هناك مغرباً نور ! استعني الى وقع جات المطر على النافذة ! تك .
تك .. تك .. كأنها دقائق الساعة ! اتدركين ما توحى به ؟
انصتي من جديد .. وتألمي عيماً .. ليل .. ليل .. نهار ! نهار !
تك .. تك .. تك .. تلك الحياه قسيرة ، ثم ماذا يا نور ؟ انما

عمرى وعمرك يتناثران شيئاً فشيئاً ! وعاد ينظر اليها ، ولمح جبينها
وقد امتدت عليه خطوط ظلية غامقة كأنها الافاعي . ووجهها الصغير
ينطق بكسابة قاتمة . نور ! ممس في اذنيها ، فالتفت اليه كالذاهلة !
وتنفست ماذا ؟ فأسكت يديها ، ثم تأوه قائلاً : هل تتألين ؟ فمدت
يديها تعبت في شعره - ولماذا لا تألم ؟ الست انسانة ؟ وحلق
فيها في دهش .. انسانة ؟ لا .. لا يا نور ! اننا مخلوقات جديدة !
الانسان يجد الحياة في الوان زاهية ، اما نحن فاولن حياتنا
واحدة .. اسود .. كلوك الفهم . فتأوتت وهي تضع شفتيها على

فمها .. ونظرت الى الساعة .. انظري
يا نور جبات المطر تتجمع ثم تتجدر على ارض الشارع لتفصل القار
الاسود فيبدو نظيفاً ناصعاً ! آه ! لو نجد من يفسل الحياة فتبدو طاهراً
وصمما تقول : لا تقوم الى الفراش .. الفراش ؟ ومد بصره اليه !
كم يبدو نظيفاً ابيض ! ولكن ما اقدر باطنه !

- لا يا نور ! لقد كرهت هذا الفراش ! - اتكون اشد
كراهية له مني ؟ انه ليصور لي الحياة جامدة لا تتغير ! ورأى
تتمل في سأم ! سأم ! وتحيل هذا القول الذي يحتم على حياته ! ما
اشد عنته ! ونهض وهو يد يد الى محفظته !

وكانت البها ملبدة بالغيوم ، والقبلا يزال تحمله الريح ،
والشارع يبدو لامعاً ، وطقق يغد في سيرة .. ووقع خطاه الريب
يطرق اذنيه ! والاضواء الحائية تومض من بعيد ! يا الله ! كيف
المفر ؟ خطوة .. خطوة .. وابتمله الظلام !

محمد روزنامجي

بفرد

الوجود العربي المعاصر

بلم عبد الكريم المحمود



الوجود

امكانيات وارادات. يخلق الوجود امكانيات بنفسه او بالتعاون مع ارادات اخرى. ثم تأخذ هذه الارادة والارادات تلك الامكانيات وتحققها بالفعل. والوجود في اعلى مراتبه متى وصلت ارادته من القوة بحيث لا يستطيع اي شيء ان يقف امامها ويعيقها وهي في طريقها الى تحقيق هذه الامكانيات. وان اعترضها شيء من هذا فلا بد لها من صهره او التعاون معه او تجاوزه ان ارادت ان تكون لها قوة نبيلة في قسوتها وشذبتها. والوجود في اعلى مراتبه حتى وصلت امكانياته ثراءً روحياً عميقاً يشعر معه بقسوة عذبة قاسية تدفعه في حينه وشوق الى الازالة.

هذا هو الوجود في اعلى مراتبه. وجود وصلت فيه الامكانيات ثراءً روحياً عميقاً واسعاً. ووجود وصلت فيه الازادة بذل عال في قسوتها وشذبتها لتحقيق هذه الامكانيات. وما الوجود الذي يصل الى مرتبة لا امكانيات فيها ولا ارادات الا وجود قد رد الى اذله وادناه. ووصل الى حال يمكن ان يقال عنها انها وجود فارغ تدخره الرياح بحسب اتجاهاتها وتزعاتها.

وهذه هي المرتبة الوجودية التي أشد اليها الوجود العربي المعاصر. فقد استنفدت ارادته جميع امكانيات وجوده واستنفدت امكانياته جميع قوى ارادته. فاخذت الازادة تنذر من هذه الامكانيات واخذت هذه الامكانيات بالوم على هذه الازادة. وليس الاخفاق الذي يصيبنا في قضايا السياسية والاقتصادية الاظاهرة من ظواهر هذا الوجود الفارغ، او الوجود السلبي في اوسع معانيه. فالازادة العربية اليوم ارادة سلبية عميقة في سلبتها. لا تستطيع ان تقدم على عمل وتصل به الى نهاية باعانة واخلاص، معها كانت صفة هذا العمل ومهما كانت مرتبته من الوجود، لانه ليس لديها من القوة والصبر والجلد ما يجعلها على انهاء هذا العمل. فتتركه في منتصف الطريق الى غيرها من الوجود، هذا ان كان لديها

بعض الرغبة في اتمامه، او تتركه الى الزمن لينوب عنها في انهاءه ويتصرف به كيفاً شاء. وانى شاء، وحيثاً شاء، او تركه حيث هو وتجنه بكامل قواها الى بث العراقيل امام من يريد ان يقوم بتمامه.

والارادة العربية المعاصرة ارادة يستنفثها شك عميق في كل شيء، في الارض وما عليها، وفي غير الارض وما فيها. فهي شك في الماضي والحاضر والمستقبل. شك هادم لا يرمي الى بناء او تقويم اعوجاج. وهو هدم وتقويض. وابقاء من هدم وقوض على كل ما هو عليه. انه والزعمة العدمية سواء. يهدم اعتبارات الماضي ولا يسعى الى امكانيات المستقبل ويهدم الحاضر وامكانياته ولا يعود الى الماضي واعتباراته. لا يسعى في كيانها نحو ما هو خالد. ولا امل في موعده ولا حقيقة خالدة في جوهه ينبثق منها الزر الى غيرها من الحقائق، بل شك وامعان في هذا الشك.

والارادة العربية - التي تشوهت بما خاطها واكتنفها - ارادة فردية ذاتية، لا تتخرج من نطاق ذاتها. تعيش بذاتها ولذاتها. لا تنظر الى غيرها الا انها اداة مسخرة لها. تسمى لافانها من اجل صالحها. لا من اجل هدف اصحى من ذاتها وذات من تفقيه. لا تستعين بذات من اجل اثرائها مادياً وروحياً. وما اعظم الفرق بين ذات تسعى الى ذات اخرى وبين ذات تأتي على ذات اخرى، فما اسرع ما تستنفد الازادة الفردية الذاتية، وهي ما هي عليه من نفور من الذات الاخرى، قواها وامكانياتها ما دامت لاتستعين بذات اخرى، وما دامت لا توثق حياتها بقوى ذات اخرى.

وما دامت الازادة العربية المعاصرة فردية ذاتية وعقيدة بامكانياتها المحدودة، فسرعان ما تستسلم وتلجأ الى نوع من التشاؤم تغلله بفلسفة ونظرة في التاريخ. ولكنك لا تستطيع ان تقول عنه انه نوع من الاخفاق والهزيمة. ان الازادة العربية غير متشائمة في طبيعتها، لان من طبيعتها الاخذ بالمادة كفاية في ذاتها، ولانها تستقبل الموت في كثير من عدم التغريط. ولو انها متشائمة،

قول بان الوجود العربي المعاصر غير مادي هو قول باطل . لان فكرة الخلود التاريخي ، او الخلود الديني غير موجودة في كيانه . ولو كان الامر على غير ما نتخذ لنظر الوجود العربي الى خلوه على الارض نظرة عميقة اصيلة ولما اضاع بعض هذه الارض التي تخلده ويخدها التاريخ وتراكم هذا التاريخ ضمن الزمن .

فالامكانيات في هذا الوجود العربي امكانيات آتية . تتخلق وتعيش لساعتها فقط . لا تتراكم ولا تتجمع . ولا يتصل بعضها ببعض للخلود ضمن الزمن . لا يردا الوجود العربي الى اصولها في التاريخ . ولا يأخذ مستقبلها بالنظر والبحث والتجقيق . فهي شبه بوجود « الفطر » يظهر للوجود فجأة وعلى غير موعد ، وبقدرة من السعة والحجم ثم لا يلبث بعد زمن قليل ان يزول الى الزوال والفتا . لا تفهم هذه الامكانيات معنى لتقرير المصير ، وما لهذا المصير من ثقل على كاهل الوجود في المستقبل . وكل وجود لا يأخذ فكرة المصير في كيانه وتفكيره ويشع همه منها ويمسها معه الى ابعاد مناطقها هو وجود امكانياته العيش الآتي . وجودي ومعشيري فكرتنا لمنى واحد لا يتجزأ . وبقدرة ما افهم معشيري من حيث السعة والعق والطول بقدر ما يكون لوجودي من بقا وخلود .

امكانيات الوجود العربي المعاصر ، في صورها القديمة المتأصلة وفي صورها الجديدة الضاحكة . امكانيات لا حركة فيها ولا ايمان فهي اشبه في كثير من الاحيان بقطعة من الثلج ، ياضها الناصع على بعد قريب من نظره : فالقديم منها واضح كل الوضوح . والجديد منها فيه كثير من الغموض والابهام . ولكونها ، في الحالتين ، لا حركة فيها ولا حرارة . ولا يحملها الماسح . لا يتحملها قلق صاخب ولا يأخذها وثوب جامع . ولا تعترها تشميرة . انها امكانيات جامدة لا حركة فيها ولا حرارة .

هذا هو الوجود العربي المعاصر . انه وجود تكاد تنضب امكانياته واستنفد جميع قوى ارادته فلجأ الى اللوم والتذمر واستسلم الى تشاؤم جوهره الاخفاق والتجه الى شي . بعيد خوقاً من الارض القاسية والموت . وشك في كل شي . لانه ذاتي فردي . وهدم كل شي . لانه لا يؤمن بشي . وعاش لذاته لان ذاتها ضيق من ان تنسج لذات اخرى اعلى منها وجوداً او ادنى .

ومن وراء هذا كله تنضح حقيقة رسالة الموجهين وانها في هذا المضمار دون سواء ، وتقل هذه الرسالة التي تقضيهم اعداد هذا الوجود للوضع الامثل .

عبد الكريم الخلود

عمارة

وتنزع نحو صوفية عميقة اصيلة لما كان للمادة من قيمة عندها ، ولما كان لها هذا الحرف والذعر من الموت . وما ابد الفرق بين الارادة المشائنة وبين الارادة المخففة . الارادة المشائنة ارادة صوفية تنزع الى ما هو ابعد مما حولها ، لا كنتيجة لاختراق اصلياً في الارض بل لتزعة اصيلة في كيانه . اما الارادة المخففة فهي الارادة التي تنزع الى ما هو حولها كأنه غاية ، ولا تستطيع تكسيه بحسب نزعاتها ورغباتها ، فتنتقل الى تشاؤم هو الاخفاق بعينه . ان الارادة العربية - في القدر الذي عرفت اي الارادة المحتملة لا الاصلية - ارادة مخففة لا صوفية فيها ولا روح . فهي ابتعاد . وهي انهماك .

والارادة العربية المعاصرة اتجاه الى شي . بعيد . تصوره لها بحيلتها وتربته لها . تنضيله ولا تعيش فيه . تلوكه ولا تؤمن به يدفعها الى الامام فتقاومه . بعيد عن نطاق ذاتها وبعيد عن الارض تنضيله ولا تعيش فيه هرباً من الارض . لان الارض قاسية عاتية . لا يقوى على مقاومتها الاكل ارادة جبارة . وما دامت الارادة العربية خالية من اي قوة تجابه بها هذه الارض . فانها تسمى الى هذا البعيد ولكنها لا تعيش به لانه ايضاً يأمرها بشي . لا تقوى على تنفيذها وتحقيقتها فتتردد خائبة وتستتر في وضع بين الارض وبين ما هو ابعد من الارض .

اما من حيث الامكانيات فالوجود العربي المعاصر مقيد بخاص بعيد ، جره على ذاته ، وان تحجيره يمنع في اغلب الاحيان عنه . امكانيات من الخروج الى ما وراءه . والتخلص من قيوده . وكل امكانية تستطيع ، او استطاعت الخروج من هذا السار الكثيف فانها لا تستطيع العودة اليه او العيش له وفيه وهي في خارج نطاقه . وهي وان كان لها نصيب من العودة فانها لا تعود اليه كما خرجت منه الا في الظواهر فقط . فالوجود العربي المعاصر اذن وجود يترجح بين امكانيات الماضي البعيد المحجر والبقاء فيها ، وبين الخروج من هذه الامكانيات والاخذ بامكانيات جديدة تتعارض مع امكانيات تاريخه البعيد بهذه الصفة انما هي محاولة مخففة لان التوفيق بين متضادين في الاسس والقيم والاماني ، وسكبتها في قالب واحد لا بد وان يفصل يوماً ما وينزع لا عن بعضها البعض في انفجار هائل يعود بالوجودين الى حالتها الاولى من الابتعاد والغزل . لان تبلورها في الوجود الجديد باطل من اساسه وفاسد في ذاته .

والامكانيات في الوجود العربي المعاصر هي امكانيات العيش فقط او الامكانيات المادية . وهي عنده غاية من ذاتها وليست وسيلة لشي . ابد واعق في الحياة . يعيش فيها ولها ، وكل



وان هذا الدليل واضح على ان الانقلاب في طراز الحياة لا بد ان يسبقه انقلاب في الحياة النفسية ، والا فان التأثيرات الخارجية لا جدوى منها ولا فائدة فيها هنا نرى جلياً اثر الآلة الكروية : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » ، وان الحاجة ، التي هي الاساس المهم في التطورات البشرية لا تدرك ما لم تكن هناك نفس توافقة الى المعالي غير راضية بالكفاف من العيش » .

من اهم الفوائد التي استفادها المؤلف كون الترويجي يعرف الحدود في اظهار فضائله ، فهو مثلاً يكرم الضيف ولكنه يتخذ كل الاسباب لقطع دابر منافسة الاجنبي ، انه لا يألو جهداً في ان يكون حذراً من ان يقطع عليه الغريب طريق العيش ، لا كما يفعل الشرقي في اظهار فضائله نحو الغريب الاجنبي .

اما الفوائد الفنية فهي في المقارنة البديعة التي عقدها بين الفن الغربي وفن الشعوب الثمالية وخصائص الفن الترويجي من رسم ونحت ونما . ويذكر في الفوائد الادبية ان الادب وبيئة الادب لا يمكن فصلهما عن بعضهما ، فالمؤلف يقول ان مطالعته بعض قطع لبيدوين المترجمة الى اللغة الالمانية لم تكفل له الفهم كله الا بعد زيارته لبلاد الادب الترويجي

هذه نبذة مقتضبة عن هذا الكتاب القيم ولا نريد الاسترسال في وصفه ، ولكننا نعدّه فتحاً جديداً في عالم ادب الرحلة اذ ينهض على مزيج من الادب والعلم . فهو اول كتاب من نوعه يصف لنا عالماً جديداً ، وزاد في قيمته انه مزدان بكثير من الصور البديعة .

فؤاد ساكر

حلب

صدر عربياً :

مختار

الاستاذ بدر الدين ابو غازي - مطبعة مصر - القاهرة -
يشمل هذا الكتاب حياة وفن مختار مع ٤٤ صورة لاروع اثاره
وصور تذكارية اخرى - على ورق قصيل حجم كبير في ١٥٠
صفحة تقريباً .

رملتي الى منظمة القطب الشمالي

للدكتور محمد يحيى الهاشمي - ٨٠ صفحة - مطبعة السلام - حلب

اصدر الدكتور محمد يحيى الهاشمي كتاباً يقع بثمانين صفحة من القطع الكبير عن رحلة الى منطقة القطب الشمالي التي كان قام بها في صيف ١٩٣٧ ، وقد كان اذاع في راديو دمشق منذ سنتين سلسلة عن هذه الرحلة ، ويجري هذا الكتاب وصف الساحل الترويجي من ستاففرايس نقطة في الجنوب الغربي للجزيرة الاسكانديتايوة الى « نوردكاب » اقصى نقطة في شمال اوروبا ، وهو اول عربي في القرن العشرين وصل الى تلك المنطقة . وقد تكلم عن الترويج الداخلية من « برغن » اعظم ميناء في الترويج الى شتالهايم اهم مصيف في تلك البلاد ، وله وصف رائع لشس نصف الليل ، وذكر كيفية غروب الشمس في تلك المنطقة القطبية ، ولا يخلو هذا البحث من ذكر بعض اوصاف الاوائل لهذه الشمس كما يستدل بها الانسان على تلك الهمة القساء التي كانت عند سلفنا الصالح ، وقد اسهب المؤلف في ذكر مراض الاب وضيعتهم الاجتماعية ، ثم ذكر هامر فست (اقصى بلدة في شمال اوروبا) وكرم الضيف الذي لقيه من بلدية تلك البلدة ، وانتهى بمشاهدته عن التوردكاب . انهى المؤلف كتابه عن فوائد تلك الرحلة وياخضها بثلاث نواح : علمية وادبية وفنية ، ويرى ان الفوائد العلمية تنحصر في الجغرافية والجيولوجية والاجتماعية وقد اسهب في ذكر الفوائد الجيولوجية ، من طبعة تلك الارض وصورها وثروتها المعدنية وفعل الجردكات في تشكل الفجوات الفريدة في العالم ، ويتنصر بالفائدة الجغرافية على التبار الخليجي . اما الفائدة الاجتماعية فبورها عظيمة جداً ، ولكنه على زعم لم يسر غورها لعدم اختصاصه بذلك ، ويرى انه مياكان بعيداً عن هذا الحقل فقد اثار اهتمامه لدى مقارنة هذا الشعب اللاني بالشعوب الاروروبية فيقول : « وقد رأيت بأمر عيني شعباً بدوياً راحلاً يعيش بجوار شعب مدني ، بلغ في مضمار الحضارة والرقى شأواً بعيداً ، ومع ذلك لم يتأثر في طراز حياته .

روح الحضارة العربية

لهاز هيرش شيدر - ترجمه عن الألمانية وعلق عليه الدكتور عبد الرحمن بدوي - دار العلم للناشرين - بيروت - ورق صقيل - حجم متوسط - في ١٥٠ صفحة تقريباً .

فأغنر والمرأة

للاستاذ جورج جرداق - في سلسلة اشهر العشاق - دار المكشوف - بيروت - حجم متوسط - في ٣٧٠ صفحة تقريباً .

نظريه النسبية

لأبوت انشتين - للأستاذ محمد عبد الرحمن مرجا - منشورات المكتطف - القاهرة - حجم كبير - ١٠٠ صفحة تقريباً .

فناه من فلسطين

للاستاذ عبد الحليم عباس - دار الكتاب العربي - القاهرة - حجم متوسط ١٧٢ صفحة - يطلب من مكتبة الاستقلال بعبان .

اليوم فخر

تثيلية - للأستاذ محمود تيمور - دار المعارف - مصر - حجم متوسط - ٢٧٠ صفحة .

مذهب في الشعر

للاستاذ محمد روعي فيصل - مطبعة الميثم الاسلامي في حمص - ورق صقيل - ٩٢ صفحة .

سيرة

مجموعة قصص وصور - للأستاذ سميرة حسان - المكتبة العلمية ومطبعة بيروت - حجم كبير - ٦٢ صفحة .

غلبه الحجام فؤاد جرداق

للاستاذ غالب الناهي - مطبعة الأعجاز - بغداد - حجم متوسط - ١١٢ صفحة .

Appels

Par Emile A. Khoury - Edition Sader - Rihani - Beyrouth - 76 pages.

L'Imprimerie Au Liban

Par le R. P. Joseph Nasrallah - Imp. St. Paul - Harissa - Liban - 160 pages.

الشجرة

مجلة دورية تصدرها جمعية اصدقاء الشجرة في لبنان تهدف الى انعاش الزراعة وتعميم الفرس باحدث ما وصلت اليه التجارب العلمية .

كتب مدرسية جبرية

للسنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠

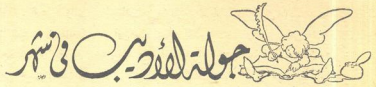
سلسلة اللغة العربية - سلسلة جديدة مصورة مطبوعة بلونين في اربعة اجزاء .

سلسلة «دروس الاشياء» - ترمي هذه السلسلة الجديدة الى بث روح الملاحظة وروح البحث في الطلاب - طبعت بلونين على ورق صقيل في اربعة اجزاء .

سلسلة «التاريخ» - في خمسة اجزاء . هذه هي الكتب المدرسية القيمة التي اصدرتها مطبعة ومكتبة القديس بولس - حريصا - لبنان .

كتب جبرية صدرت في القاهرة

من المؤلفات الحديثة التي ظهرت في القاهرة ما يلي :
«الثورة العراية» لعبد الرحمن الرافعي بك و «المعجم القانوني» لخليل شبيب و «روح التربية» و «حياة الحقائق» لتوفات لوبون ترجمة عادل زكي ، و «في اصول التربية وعلم النفس» لمحمد رفعت رمضان و «خطاب خطبة ومحمد سليمان شعلان» و «هذه مراکش» لعبد الحميد بن جاون ، و «أميرة قرطبة» لعبد الحميد جودة السحار ، و «فلسفة الجن» لأمجد السباعي و «التربية كواجب دولي» للدكتور جون بادو ، و «قصص توفيق الحكيم» للحكيم ، و «تيسير النحو» للدكتور عبد العزيز القوصي وبعض الاساتذة ، و «نحو وجهر» لعبدنا اسعد ، و «كفاح طيبة» طبعة ثانية لنجيب محفوظ ، و «والسلام» طبعة ثانية لعلي احمد باكثير ، و «القانون الدبلوماسي» لمحمد حسني عمر بك و «كتاب بغداد» لابن طيفور بشره السيد عزت الطاهر الحسيني ، و «ارض النفاق» ليويسف السباعي و «عاصفة في الصحراء» لمحمد مفيد الشوباشي و «منمنمة دينية» للدكتور بشر فارس ، و «العمليات الحربية في مصر وفلسطين» لليوزباشي محمد علي فهمي واحد الارفلي ، و «ملائكة وامواج ورمال» للأستاذ امانى فريد ، و «فران بين يدي الاتراك والطليلان والفرنسيين» لأمجد رمزي بك ، و «شروح سقط الزند للعري» القسم الرابع من الجزء الثاني و «الوزراء العباسيون» لمحمد احمد برانق و «اصلاح القرى المصرية» لمحمد رياض الشنواني .



امنعوا هذه الموسيقى

الراقصة في حر كاتها وياها تم لا يتغثن
المغنون . اذ يجب ان يسير الجميع متناسقين
متلاحنين متناغمين .

فما القينا الرقص وانتهينا (هل
انتهينا ؟) من هذه الفضيحة . بقي الغناء . والموسيقى في حالتها
الاصليتين . وهما تحريك الشهوة الجنسية . وما زلنا نجد ذلك في
الالان التي يختارها المازفون والمغنون .

وهنا تنبيه القارى . ذلك ان المرأة تعبر عن الحب بأصوات
التألم والتوجع . وكأنها تترجح لذلك . وهذا الى حد ما طبيعي .
ولكنه اذا زاد اصبح مرضاً يدعى « المازوكية » اي التذاذ الالم
فهنا اخذ جملة حقائق :

الاولى : ان الرقص القديم الذي القينا كان يمثل الحركات
والايماءات الجنسية . الثانية : ان الاغاني والالان التي ورثناها
من هذا الرقص كانت تتناسق معه في هذا الاتجاه الجنسي .

الثالثة : ان المرأة التي كانت ترقص كانت تعبر عن الالم . ولذلك
كانت الالان والاغاني تعبر هذا التعبير ايضاً بالتأوهات والتوجعات
الرابطة : فعلى الرغم من ان المعنى يكون رجلاً فانه لا يزال
يلتزم في اغانيه هذه التأوهات والتوجعات . كأنه يريد ان يتناسق
مع الراقصة القديمة .

وجمهور الرجال الذين لم يحصلوا على تربية فنية يلد لهم ان
تحر كمهم وتحسسهم هذه الالان والاغاني . فهم يستمعون اليها في
هياج جنسي واضح . كما يستطيع ان يشهد بذلك اي انسان حضر
حفلة غنائية . وهذه الشكوى الملحة التي تستمع اليها في اغانيها
والتي تكاد تبلغ البكاء . كما ترى في اسمهان انما هي في صميمها
« مازوكية » نسوية اي اللذة من الالم . وهي التي ينقلها الرجال
من المغنين لانهم ينساقون وراء النغمة الغالية . ومعظم المستمعين
لهذه الالان والاغاني يحبون الحشيش والحمر لما فيها من قتل الوجدان
وتحريك العواطف الجنسية قديماً اللذة من المازوكية التي فيها .

ومع كل هذا الذي قلت لست انكر في التحليل السيكولوجي
الاصل الجنسي للموسيقى والغناء . بل للشعر والادب عامة . والدور
الموسيقي هو في صميمه دور جنسي لا شك في ذلك يتبدى . بطيئاً
ثم يشكر ثم يصل الى الذروة ثم يحدث الاسترخاء .

ولكن هنالك فرقاً عظيماً بين الدور الجنسي السافر وبين
الدور الجنسي الذي تسمي به الفن المثقف . وما زالت اغانيها

عندنا موسيقيون ومغنون يعرفون ويعتقون . وهم رجال ونساء
لا اجمع لواحد منهم الا واحس المتجاوزاً ذهنياً يغير نفسي كأنه
احساس المهانة او الصغار او الحسة . ولست اتعجب مع ذلك من ان
هناك من يلدن هذه الالان وهذه الاغاني . لاني عندما اتألمهم
اجدهم اما حشاشون قد بنجهم الحشيش او سكارى او هم قد
استسلموا للغريزة الجنسية القسرية التي لم تهذب بفنون المتمدنين .
وهذا الكلام يحتاج الى شرح ذلك اننا في القرون المظلمة التي
عشنا فيها مئات السنين والجنسان منفصلان لا يمتلئط الرجل
بالمرأة فينتهب . ولا تمتلئط المرأة بالرجل فتستغل . في هذه المئات
من السنين انحطت المرأة واصبحت انثى فقط .

وتخصصت الجوارى في الفنون الجنسية كما كانت البنات تخصص
لذلك . ثم اقتصر الرقص والغناء على الجوارى اي القيان . وكانت
القينة التي يقتنيها الثرى تشتري بالمال كي تحرك الشهوة الجنسية
بالزف والغناء . والى وقت قريب كنا في مصر نسمى المغنيات
« عوام » لانهن كن يتعلمن هذا الفن في حين ان المرأة الحرة كانت
تجهله . وقد ورثنا هذه الكلمة عن ايام الرق .

فما انني الرق اصبحت المرأة الحرة تمارس الرقص والغناء
والزف على النحو الذي كان متبعاً بين الاما . اي الجوارى . وكان
كله يتجه نحو تحريك الشهوة الجنسية بطريقة مبتذلة في النساء
كلمات الشعر والغرام . او ايماءات اليد والصدر والساق والحاجب
والفم فيما كنا نسميه رقصاً .

وقد كان هذا الرقص شائعاً في مصر الى ما قبل ثلاثين سنة .
وقد اضطرت الحكومة حظهلاً لكرامتنا ان تلغيه . لانه لم يكن
اكثر من التهلك المركز الذي كان يمثل الاتصال الجنسي تشبهاً وقحاً .
وهذا الرقص الذي القينا كان يرافقه في تناسق وارتباط بل
في تلاصق وتناغم غرف الآلات الموسيقية وغناء الفرقة المحيطة
بالراقصة . اي ان الموسيقى والغناء كانا ايضاً يسيران سيرة التهلك
الجنسي . اذ لم يكن التناقض معقولاً اي لم يكن معقولاً ان تهتك

والحائنا في الدور السافر بعيدة عن الفن والثقافة ، ثم هي ما زالت تعود وتترجع الى حركات المرأة الراقصة التي الغينا رقصها منذ ثلاثين سنة اي انها تعبر عن التشكي والتوجع . مازوكية .

ولا يعيب الغناء والموسيقى ان يوجعا من حيث الاصل الى ينبوع الفريضة الجنسية . ولكن يصيها ان يسيرا هذه السيرة المازوكية .

وهنا لا اتكلم من الاحساس بان الفرق بين الحائنا وغانينا وبين ما يقابلها في اوربا قد يكون في النهاية فوقاً بين المرأة الشرقية المازوكية الخاضعة للناتحة وبين المرأة الاوروبية المستقلة التي تعمل اعمال الرجال وتراقصهم في تكافؤ وليس في سيادة جنس على آخر . ان جامعات اوربا تتعقب لقب « دكتور » للعاظ او الملحن . فهل نستطيع ان نشغل ان احدهم الملحنين او العازفين او المغنين في مصر قد حصل على هذا اللقب بالحائنا او غانينا المازوكية الشاكية المتألمة التي تذكرنا بتأوهات الراقصة القديمة ؟

لهذا السبب نحن نحتاج الى الغناء موسيقانا وغانينا كما الغينا الرقص المتهتك الداعر رقص الامة المشتراة وهو الذي كان القاعدة التي انبنى عليها الغناء والموسيقى .

ان الغناء المصري يمثل المازوكية . وكاد اقول ان الغناء الاوربي يمثل السادية اي الرغبة في الايداء والاعمال العذاب . وذلك لان السادية هي صفة الرجال في الانجاء الجنسي .

الامم الاوربية عدوانية سادية تنسلط وتتهرب وتفتني في نشاط كأنه عدوان ..

والامم الشرقية خاضعة مازوكية تذلل وتخضع . وتغني في شكاية ونواح كأنها الم . . . اجل يجب ان نشور على الغناء والموسيقى .

جريدة النداء المصرية

سلامة موسى

غناء وموسيقى

قص علي صديقي المنفور له الشاعر الناثر عبد الرحيم قليلات النادرة التالية عن حاكم السودان الانكليزي قال :

— تولت ليلة عيد المولد النبوي الشريف في صعبة حاكم السودان الانكليزي الى الاحياء الوطنية في مدينة الخرطوم لمشاهدة الاحتفالات الرائعة التي تقام بمناسبة هذه الذكرى المحيطة وكنا متنكرين بالزي السوداني البلدي حتى يتاح لنا الدخول الى المقاهي والملاهي دون ان يشعر بنا احد .

وكان الحاكم حريصاً على الا تقوته شاردة او واردة فكان

يطلب مني ان اترجم له بالانكليزية كل ما يسمعه ولا سيما الغناء فهو مولع بسماع الغناء البلدي . ودخلنا مقهى بلدياً وكان المغني ينشد مع الجوقة اغنية كانت شائعة في ذلك الزمان وهي :

حيي راح والكأس بيده يا من يجب لي حيي !

فسألني الحاكم عن معنى هذه الاغنية التي يطرب لها السامعون ويترحلون ويترجلون معجبين ، فشرحت له بالانكليزية ما يقوله المغني فاذا به يثور ويشرح عن ساعديه بقوة وحماس ويقول :

— انتم الشرقيون اتكاليون في كل شيء حتى في الحب . .

يروح حبسكم ويبيده الكأس فتنادون طالبين من الناس ان يحضروا لكم الحبيب بدلما ان تذهبوا وتحضروه بأنفسكم .

انا يا صديقي لو ذهب حبسي والكأس بيده لشمرت عن ساعدي ورحلت انازل الذين اخذوه والاكمهم حتى استبيدهم منهم مهاكفي الامراء . انتم اتكاليون حتى في اغانيتكم الغرامية !

هذه هي حكاية صديقي الاستاذ قليلات عن حاكم السودان وهي قصور الزعة الاتكالية عندنا معشر الشرقيين ، وهي مستمدة من اغانينا والاغاني تصور نفسية الشعوب وتتم من اتجاهاتها وميولها .

والواقع انني كلما استعنت الى الاغاني والموسيقى العربية ، ذكرت اغنية « الحبيب والكأس بيده » ، وتأملت لانها لا تتناسب والزعة الدينية الحديثة من جهة ، ولا تتناسب ومستوانا الثقافي القديم من جهة ثانية ! .

والمؤلم ان اغانينا ما تزال خفيفة الموضوع ، تافهة التركيب ،

سحيفة المستوى فلا هي انتقادية اجتماعية سياسية ولا هي غرامية تعبق بالحلم والشوق والوجد والحياة ، ولا هي وصفية تصور هذه الطبيعة التي تتحلق في لبنان كل يوم خلقاً جديداً ، ولا هي تصور هذه الحضارة التي اخذنا بأساليبها .

ولولا الزعة التقدمية القوية التي طلع بها الاستاذ عمر الزعني في اغانيه الشعبية المتألمة (!!) لظلت اغانينا حيث كانت منذ ربيع قرن . ذلك اننا لم نحاول ان نجاري الغرب في اغانيه الشعبية ،

فالغنون الشعبيين في ملاهي باريس مثلاً يصورون لسك بأسلوب انتقادي فكاه طريف السياسة والاحزاب والحياة النيابية يورجها ،

ويصورون رجال السياسة الاجانب ، ومشاكل العالم اليومية والحياة الاجتماعية وزعاع الطبقات والفرام الساذج القروي ، والحلب الحضري ومشاكل الزواج «العجوز المتصاية» . والمتروء . ورجال الشرطة . والقبيلة الذرية . وكذلك هي الحال في بريطانيا وامريكا . .

واما نحن فما تزال اراء ام البعابة . . والعتابا . . والميجانا . .

واغانيا بالإضافة الى سخافة مواضيعها وضعف مستواها الفني ،
يائسة ، حزينة كئيبة يغلب عليها النواح والبكاء . رحم الله صديقي
حبيب غبريل لقد اضرب في آخر ايامه عن المقهى في مجدو فزاراً
من تخيب عبد الوهاب . فكان يقول لي : - لا اريد تجديد
احزاني كل صباح بالاستماع الى عبد الوهاب يردد يا لوعي يا دعوي ،
يا شقيا ، يا تعتري . . . وكان رحمه الله على حق .

الغناء من الفنون ، وهو توأم للادب والتصوير والنحت . واعتقد
ان مستوى الاغاني عندنا يتحط بمراحل عن مستوى الادب في لبنان
واعتقد ان هذه الاغاني التي نسمعها لا تمثل هضمتنا الفنية . ان يوسعنا
ان نترجم الى العالم العربي روائع عمر فاخوري او الياس ابي شبكة
في الادب ، ونستطيع ان نباهي بصور فروخ والانسي والدويهي
في معارض الدنيا . ولولا عمر الزعبي لما كان لنا ان نعد شيئاً
مذكوراً في عالم الاغاني الشعبية . . .

وليس يعني وانا اتحدث عن الاغاني الا ان اتطرق الى الانغام
التي تشد فيها هذه الاغاني ، فالألحان شر من الكلمات ، والموسيقى
العربية في لبنان ابعد ما تكون عن مسامرة الموسيقى العالمية .
الموسيقى لغة الادوار وهي لغة دولية ، فهل لحن اللبنانيون
او العرب الحاناً يصح ان تعرف في اوربا باريس او روما ؟
الموسيقى علمية وموطنها القلوب الرفيعة وهي لا تتغير بالانغام
والمناظر والحدود ، فهل اقبلنا على دراسة موسيقى الغرب حتى
نلقح بها موسيقانا فنخرج للدنيا الحاناً تستحق الحلود ؟ .

لقد اقبلنا في الادب والفن على ارتشاف روائعها في اوربا
واميركا ، فاصبحتا نعم بمستوى ادبي وفني لا نحجل به ، ولكننا
ما تزال حيث كنا في الحقل الموسيقي ، ذلك اننا لا نحلق في مدارسا
وبيوتنا الاجواء الموسيقية الصالحة فلا ينشأ اللبناني على انغام روائع
الغرب فيستشيعا ويجاري ركب الحضارة بل يقع من ذلك كله
ببعض الألحان الشرقية الرتيبة يتذوقها منذ الصغر فلا يجيد عنها . .
ويا للأسف !

ان تقوم لنا نهضة موسيقية ما لم ندخل دراسة علم الموسيقى
(النوتة) في المدارس على اختلافها ، وما لم نتجه في ثقافتنا
الموسيقية اتجاهاً غريباً على اسس علمية صحيحة .
ليس من المزمع ان تظل موسيقانا غريبة عن المصاحبة فلا
تعرف ألاتنا كلها سوى نوتة واحدة ينفخها العود والكمان
والقانون والبيانو والابواق في آن واحد ، في حين ان روعة الموسيقى
التربية قائمة الى حد بعيد على الجو العظيم الذي تخلقه « المصاحبة »

فنتستمع في وقت واحد الى مجموعة متناسقة متوافقة من النوتات
تخلق عالماً سحرياً هيماء لنعم مجرد ان يخلقه ! .

اني كبير الامل بالتجديد الموسيقي الذي يبداه سيد درويش في
مصر وحل لواءه عبد الوهاب (!!؟) واود ان ارى في لبنان جماعة من
الفنانين يرتادون معاهد اوربا الموسيقية ويدرسون علم الألحان وفن
التوقيع ، فلا يكون لبنان في مؤخرة الاقطار في عالم الموسيقى ! .
ان اتجاهنا في الموسيقى نحو الغرب لن يضرنا بل سوف يخلق
ألحاناً عجيبة من وحي الشرق والغرب ، كما اوجد اتجاهنا في الادب
نحو الغرب هذا التراث الادبي المجد ! !

لا تقولوا ان موسيقانا غير صالحة للتطور والتجديد . لقد حملنا
موسيقانا الى الاندلس فخلقت في غرناطة واشبيلية وقرطبة ألحاناً
مسكرة . يعيشها الغريون . لقد تابعت موسيقانا طريقها في
الاندلس - بعد خروجنا منها - فكانت هذه الموسيقى الاندلسية
التي بسطت ظلها في حوض البحر المتوسط وفي اميركا اللاتينية .
وهي بحق موسيقى شرقية صهوت في بوتقة غربية ففاقت الموسيقى
الشرقية والغربية معاً لانها جمعت خير ما في الاثنين ! .

وختاماً اود ان لا ننفي في لبنان بعد اليوم ، اغاني من طراز :
حبي دلع والكأس بيده يا عين بيجب لي حبيبي !

عبد الله المشور

موسيقى

ما كدنا نتم قراءة الأستاذ سلامة موسى حتى ايقنا ان الاستاذ
الكاتب قد اخطأ بولم يكن مصدر خطئه سوى الزج بنفسه في غير
موضوعه ، وأفة الاشياء عندنا هو هذه الكتابات العامة الموسلة التي
ينطلق بها اصحابها انطلاق الاسهم النارية في الفضاء بغية هدف ولا
غاية سوى قتل الوقت وتسلية النظارة والترفيه عن المتفرجين . ولكن
الاسهم النارية من تلك الاقلام قد تتحول الى نار حقيقية فيها
دمار للفن ولاهله ولوطن الذي تنطلق فيه هذه الدعوة .

هل يوجد في الدنيا من يجاري حضرة الكاتب في قوله ؟
ايمن ان يعد هذا فهماً صحيحاً لتاريخ الموسيقى العربية
بصفة خاصة والشرقية بصفة عامة ؟ ثم هل تكون الموسيقى الشرقية
بجملتها وروحها ، في الناطقين بالضاد وغير الناطقين بالضاد ، من
توات « الرقص البلدي » وما نوع هذا التراث وما حدوده ؟ واين
موقع الموسيقى والغناء في هذا الرقص البلدي ؟

واذا كنا لا نزيد ان ندفع بالكاتب الى مساجلة في تاريخ

من اشتركوا فيه ؟ إذا اردت بهذا الصنيع ان اربح نفسي من الجدل مع حضرة الكتب الذي يدعو في صراحة الى مقاطعة موسيقائنا الوطنية ، واعتناق الموسيقى الغربية دون تحفظ وبلا قيد ولا شرط .

فبؤلا ، م الفريون انفسهم يقولون بلسان رجالهم من اعلام هذا الفن في الموقف بضرورة الاحتفاظ بالتراث العربي الوطني . وكانوا يعين في هذا التسلسل الفني لا للميراث الوطني بعب يقاوم لانه سجل الاذواق والاختلاف ولانه يحمل الطابع الحقيقي للروح القومية . ولم يفل هو لا ذلك لفاته الحقيقة الناصعة ، ونطق به الواقع . فما من امة انحطت او ارتفعت الا وهي متمسكة الى حد التطرف بلونها الموسيقي . فأي تغير في الدولة قد يصيب كل شيء . ولكنه يتحطم على صخرة الموسيقى . فما هي تركيا الشقية رأت لبعض الدواعي ان تغير من زجا وكتابها وكثير من الوان مدنيها ولكنها احتفظت بلابها الموسيقي بغير تغيير ، وانشاءا ومخلفاها وعملها . ذلك لان الموسيقى هي صورة احيائها وموسوعة تاريخها ، ولم يظهر من بين ظواهرها مثل هذا الكتب ليجالو تشويه فيها ، واجراء عملية المسخ والبتر في موسيقاها بجراء عجيبة ، ونبره صريح من تراث وطني .

يبقى لنا مع الكتب كلمة عن لقب الدكتوراه في الموسيقى الذي يتساءل في كلمته عن امكان منحه لاحد اللغتين او للموسيقين في مصر . والاجابة عن هذا غاية في البساطة والبهر . فلا يجب في مصر ولا في اوروبا منح هذا اللقب عن مطرب ولا مغازل ولا لفنان كيفا كانت مغيرته . فالوطني كمثل والشاعر والمصور لهم فضلهم الذاتي وعبرياهم التي تتخلد ومنهم بثروة الشهرة ودرجته المثلثة في اوطاعهم . اما الدكتوراه فهي درجة علمية جامعية تمنح اجراء البحوث العلمية والتأني واعدادها طبقا للقوانين المفيدة للبلد والوطن والنظم ويتخذها السوا . واختيار الامتحانات غير عادي ذلك . فمنها ، من هو ان يحصل على هذا اللقب فهذا هو طريقه الذي لا بد له من سلوكه وقطع مساحه . كما ان يكون عتقا فقط او عازفا لا غير فتن يحصل على هذه الدرجة العلمية في الوطن من اهل العلم في قارته الخمس الا في خاطر حضرة الكتب الذي لا يبغي هذه الكليات سوى التقليل من شأن اللغتين والموسيقين في مصر .

واذا كانت بعض الجامعات الاوروبية قد منحت لقب دكتوراه الشرف لبعض اعلام الموسيقى المتفردين بنبوهم العالمي في الانتاج الموسيقي كما جعل امالهم تضيق مخالفت جديدة الى الفن فقد جرى هذا في ندره وقته ، ثم هي درجة تعد تقديرا شرفيا للشخص نفسه دون ان يكون لها اثر في القيم العلمية ، ودون ان يطالب احد بالحصول عليها . وهذا يجري في الفرد الاخرى حيث تنجح الطالب الشرف لمن ترى فيهم الجامعات اضم اضافوا اليه العلم حصولا يد من قبل الاكتشاف او الاختراع . ثم لم نسمع بالدكتور بجانيني ولا بالدكتور كاروزو ولا الدكتور زينو جوبو ولا الدكتور ادنازاك وامالهم من بلوا في فن الغناء والعزف اعلى مقاماته ، واسبى مآزله .

كان في مقدور الكتب ان يوجه الى اصلاح ، او الاخذ ببعض الاساليب المستجدة ، وكان في قدرته ان يدعو الى الاستفادة من هذا العلم الاخرى من هذا الفن . ثم انه ان يساغ على هذه الدعوة من التطرف والمبالغة والاغراق ما شاء . اما دعوة صريحة الى مقاطعة الموسيقى الشرقية فذلك ما لنسمع به من اي احد في امة تحترم نفسها ووطنيتها وراثتها . بل هو كفتن موسيقي ، واحاد في نرجو ان يكون من عظم الكتب ان يسدل عليه الستار ، وان يبيى ابد الدهر في ظلمة لا تصل اليها الانوار .

الموسيقى الشرقية لان هذا ليس من موضوعه ، فلا اقل من ان نذكره بالتراس الحاضر من الاغاني والمقطوعات الناطقة والاصنامة على السواء . من بين هذه المقطوعات : القصائد العربية والمواليا والموشحات ، اندلسية ومشرقية ومصرية ، والادوار ذات المذهب والعصون ، والنوبات المغربية ، ثم البشارف والمايمات الى غير ذلك . فهل يستطيع الكاتب ان يبين اي هذه الانواع هو من تراث الرقص البلدي ؟ لم نعرف احدا يخلع على تراثه الوطني المجيد هذه الصورة العجيبة في اسلوبها وروحها !!

مصر التي علت العالم الموسيقي وكانت مصدر الاشعاع الذي اقتبست منه الامم ألوان الجلال في موسيقاها . . . والعرب الذين سمعت حضارتهم الموسيقية الى اعلى مقام في قصور الخلفاء ، حتى نسج امير المؤمنين الواثق العباسي يقول تقديرا لاسحاق الموصلي وغسانه : « ما غاني اسحاق قط الا ظننت انه قد زيد لي في ملكي » ، وان اسحاق لنعمة من نعم الملك التي لا يحصى بعملا . ولو ان العمر والنشاط والشباب لما يشترى لاشترين له بشرط ملكي » . الى ما هو ابعد من ذلك واغزر في ايجاد الموسيقى المصرية والشرقية . اكل ذلك من تراث الرقص البلدي الذي قاطعاه ، ولا ادري متى !! والذي حرمته الحكومة ، ولا ادري متى ايضا !!

على اني واطل يقال لاحب ان يفهم الكتب التي على رأيه في تحوير الرقص الوطني الذي يسميه الرقص البلدي ، فان لهذا الرقص موضعه في الينشات الشعبية حيث لا تفني عنه اعظم ولا افخم انواع الموسيقى الكلاسيكية .

ولا اعرفوطنا من الاوطان ، ولا شعبا من الشعوب الا وهو يحتفظ لنفسه بلون من هذا الميراث الفني الشعبي . اجمعت بالرقص الشعبي المجري ؟ لم يبلغك شيء . عن الرقص الشعبي الاسبانيوني ؟ لم يصل الى علمك ما يسونونه الرقص الشعبي القوقازي ؟ اذا كان شيء . من ذلك قد بلغه سامع الكتب فلام يأخذ علينا المسالك والدروب ويتزعج من « الرقص البلدي » المصري الذي اعتبره المرجع التاريخي للموسيقى الشرقية بأسرها ، تلك الموسيقى التي رأى ضرورة مقاطعتها . كان ختام القرارات التي اتس اليها اجماع مؤتمر الموسيقى العربية الذي عقد بالقاهرة سنة ١٩٣٢ القرار التالي :

« ان جامعة المؤتمر التي تقرر باجماعها مجال الموسيقى العربية في الماضي والحاضر تمارض في كل تقليد اعم للموسيقى الغربية » اما هو لا . الاعضاء الذين تألفت منهم هيئة المؤتمر مثليين لحكوماتهم وشعوب فيهم ان اروه منهم بمثلي : للآيا وفرنسا وانجلترا واسبانيا والمجر وإيطاليا . وم اعلام الفن الموسيقي واساتذته الجامعون في تلك الممالك . أندري باسدي الفار ، لماذا اقصت هذا القرار ، ونوهت ببعض

بحر القادسية

● تسمى «الاديب» لاصدار عدد خاص من اساتذنا خليل مطران ، وسمت عن تاديع صدره في المدد القادم ، اذا نجحت في معاونتها . وقد احتفظت بما لديها من مطران من مقالات ودراسات وغيرها للعدد الخاص . اما اذا لم تتمكن من تحقيق امنيتها فستشر تلك المقالات تباعاً ابتداء من العدد القادم .

● قال وديع فلسطين مراسل الاديب في القاهرة :
روح العالم العربي في يوم الخميس ٣٠ يونيو بوفاة الشاعر الاكبر والاديب المبدع والمفكر المجدد والانسان المثالي المرحوم خليل مطران بك شاعر الاقطار العربية . وقد شق نفيه على الجميع لانه كان فضلاً عن ادبه المتنازع رجلاً اخلاقياً كبير القلب ارحم النفس سخي العطف .
وصل على النفي في كتدراية الروم الكاثوليك في القاهرة وتفضل جلالة الفاروق فاودع الاساتذ ابراهيم رياض وكل محافظة القاهرة للاشتراك في الصلاة ثم تشيع الجنازة وراثه في كنيسة سيادة المطران كنواري والسدكتور ابراهيم ناجي والاساتذ لبيب بروتوحي . وراثه عند قبره الاساتذ نجيب هادي بك .

وما يذكر ان وجوداً كثيراً لم يكن لها وجود في جنازة النفي الاكبر من اصدقائه ومن كبار الادباء والساسة الذين عرفهم مطران بك من قرب . ولكن معالي الاساتذ علي ايوب بك وزير المعارف نائب عن دولة ابراهيم عبد الهادي باشا في تشيع الجنازة ، كما اوعد الامراء مندوبين عنهم ، واوعد رفعة مصطفى النحاس باشا السدكتور عزيز فهمي مثلاً له . وقد دفن خليل

مطران بك في مقبرة للغرباء لانه ليس لماعة مطران مقبرة في مصر . ويترجم بعض اصدقائه الاكتاب لانشاء ضريح يليق بالراحل الكريم . وكانت « لجنة تكريم الخليل » قد خشيت ان تدنو حياطة مطران بك قبل ان تكون قد اطاعت الى مراجعة وضبط دواوين شعره ، ولذلك عملت في ملاعبة الخليل في مرضه حتى استطاعت ان تراجع معه معظم شعره ، وتستصدر دواوين الخليل تباعاً . وينظر ان تقع في قسمة اجزاء هذا وتكاد دار المعارف تفرغ من طبع مسرحيات شكسبير التي ترجمها خليل مطران .

● تيم الكلية الشرقية في ذلة - لبنان ، حفلة ادية لاتيين خليل مطران ، وسيشارك في هذه الحفلة ممثلو الاقطار العربية وتسعى ادارة الكلية لان تجعلها حفلة تليق بالاديب الانساني الراحل . اما الموعد المنتظر لاقامة هذه الحفلة فهو ١٥ أغسطس الحالي .

● نشرت جريدة الاساس المصرية بيا العنود على رعايا مصر لاديب المرحوم الاموي طاهر عبد الملك كان قد ياته بالسفر من سوريا الى فلسطين ووجدت في قبايا القصر الاموي مجموعة من التماثيل الرائعة ونشأ كائنات اخرى الجبابرة والواجبات على ما كان يتبع في الممار البيزنطي .

● عينت جامعة هارفرد في بوسطن السدكتور ولیم هنون وهو من الهنود الاميركيين اساتذا

في فرعها الطبي كما ان جامعة براون قد عقدت اتفاقاً مع الاساتذ سوندرز ريدنج وهو هندي امريكي ايضاً لتدريس حياة الهنود الاميركيين فيها . والذكور هنون من اقدد الاطباء في الولايات المتحدة في معالجة الامراض الظريرية . واما الاساتذ ريدنج فهو مؤلف كبير واديب قد يروى نال جائزة اكتابة العالمية سنة ١٩٢٦ .

● تصدق القاهرة خلال هذا الشهر مسرحية « نشيد الانشاد » الرمزية للاستاذ عدنان الذهبي وتلونها مسرحية نزعزية اخرى عنوانها « مصر عثر زاد » .

● اعد الاساتذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى مذكراته السياسية للنشر ، ولكن لا ينظر ان يشرع في طبعا الا ان .

● غادر القاهرة المخرنا وسويسرا الشاعر الاساتذ مختار الركيل واولي فرنسا وبعض دول اوربا الباحث الاساتذ عبد الحليم الجندي بك .

● تقرر اطلاق اسم نجيب الرياني على احد شوارع القاهرة الرئيسية القريبة من مسرحه السابق ، وكذلك اطلاق اسمه واسماء القرائين سلامه حجازي وعزيز عيد وسيد درويش على مئذنة جامعة الشمية .

● اودعت في مكتبة اكسفورد الاميريكي اربع رسائل جامعية (اطروحات) كتبها طالبات مصريات من الآسات ليلي وهبه بسطا ونازلي سراج الدين وفي حبيب سيد ووداد اسطبولية وكذلك اودعت رسالة عن الصحفي المصري الاساتذ محمد التايي كتبها الطالب الفلسطيني

وكان يول واهمه ببادالان الغرض ، شأن نبون واغريين ، وقد بلغ من احتقارها له انها كانت دائمة الذعر من ان تؤول المملكة اليه ، لانه ورثها الشرعي ، وانتهت في ايامها الاخيرة الى العمل على حرماته من ذلك الحق ، فاتفقت مع حفيدها الكسندر على التآمر عليه . وقد قام هذا الفتى فعلاً بمحاولة لقتل ابيه ، بعد موت جدته بخمس سنوات ، ولكنها كانت محاولة مخففة لاسباب لا تزال مجهولة . وعندما ماتت كاترين في السابع عشر من تشرين الثاني سنة ١٧٩٦ ، أعلن بول نفسه امبراطوراً على روسيا ، وامر بأحضار نكش بطرس الثالث الذي كان يعتقد بأنه ابوه ، من دير سان الكسندر نيفسكي ، ونقله مع نكش كاترين الى مقبرة آل رومانوف في قلعة بطرس وبولس .

— بقية المنشور في صفحة ١١ —

وبدل بحظوته لدى المملكة ، ويهيمن على المملكة بظله الباهت المتفسخ وكأنه رمز انحلالها ونذير انهارها . وعلى قدر ما استمتعت كاترين بالحياة ، وتبدلت فيها ، شغيت بابنتها بول ، ورثتها على العرش ، وكانت صورته المائلة في ذهنها مبعث ألم عنيف لها . كان بول مشوه الخلق وأخلق ، جبينه منخفض ومترجع الى الخلف ، وانفاه افطس ، ووجهه اجرد ناكى ، العظام ، لا يشتمع برجولة بدنية ولا برجولة معنوية ، يعيش في الوهم وال خوف من المجهول ، فهو متردد حائر جان . ولم تكن كاترين تتعلم من هو ابوه ؟ فهل هو زوجها بطرس الثالث ، ام هو عشيقها الاول سيرج سولتيكوف ؟

غرائزنا اليوم ١



ظل عصرنا المادي الحاضر الذي تطلعو فيه الحضارة الصناعية ، يقل الجهد المبذول للحصول على ما يكفل مجرد العيش كما تتلاشى حوبة الفرد في علاقته مع الجماعة. ومن هنا كان السبب في ان بعض الغرائز او الطبايع الفردية - كالليل نحو الفنون الجميلة وحب الاستطلاع والكشف عن المجهول تتلاشى في الافراد لتتمو على انقاضها طبايع وغرائز اجتماعية كحب الحرب والتنظيم الصحي والتعليم الاولي ومبدأ التعاون في بعض الامور . وتلاشى الطبايع الفردية تنشط الى حد كبير الشخصية الانسانية. ففي بلاد كالولايات المتحدة الاميركية مثلاً ، قلما ينظر الى التنوع في الاشياء والمظاهر عموماً او الاختلافات بين فرد وآخر بشي. من العاية او الارتياح. فالفرق التي هي حدود لمالم واضحة بين الافراد او الاشياء. ليست عندهم بذات اهمية ان لم نقل انها احياناً ما تكون مكروهة. فالمنازل والملابس وادوات المنزل كلها من طراز واحد صُنعت في معامل تخرجها بالملايين. ولا ينظر الى الاديين ان يكونوا على غرار مخالف لتلك الاشياء التي صنعت من طراز واحد بل تتراى لهم مادة صبت في قوالب واحدة. وقوالب الاديين هذه صفة ظاهرة في النظام الشيوعي او هي حقيقة قائمة .

في هذا الوسط تموت غرائز الفنون وحب الاستطلاع لان هذه الغرائز تميزت واضحة لشخصيات الانسان وكفايته. وقد ادرك ولاة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي هذا الامر فحاولوا ان يخففوا من اثر نتائجه وعواقبه بان جعلوا للفنانين والادباء والمختبرين امتيازات خاصة ومكافآت لاحد لها .

واختفا. الغرائز التي تبعث على تطلب الجمال وحب الاستطلاع عن المجهول لتخلق في الناس ميولا مريضة. وتخفني هذه الغرائز غالباً في الافراد الذين حرمو القدرة على ارضائها . ومن هنا كان حب الناس للحوادث المثيرة كحوادث القتل واخبار الفضائح والطلاق والتهويل وما إليها . فتجد اليوم الصحف والمجلات التي تنشر هذا النوع من الاخبار والمقالات المثيرة مقروءة ومطلوبة اكثر من غيرها لانها تدخل على نفوس اناس بلغوا من فرط الحرص على اسباب معائشهم وكسبهم - اي استحكمت فيهم النزعة المادية - الى حد الذلة والاستكانة وماتت في نفوسهم كل عاطفة قوية سامية فلم يبق لهم الا ارضاء هغياتهم - التي بلغت حداً كبيراً من الارتباك والاضطراب - ، لانها تذكي في نفوسهم خيالات تتهلأ افئدتهم وتثير شعورهم وتتقدم من ملل العيشة في المكاتب والعسل في المصانع او السعي المركز المتواصل وراء الربح الكثير. وتزى ايضاً ، للسبب نفسه ، في الاوساط العائلية وواج « العلب الورق » والتحدث بأسرار الغير وبنوار حلقات المسامرة البريئة والاحاديث الطويلة الشيقة كان الناس قد اصيبوا بعمق في الحديث وتلف في حسن المحاضرة.

والخلاصة ان هذا العصر المادي قد أفقد الانسان كثيراً من غرائزه الفردية المتنازة وبعث في النفوس نزعة جامعة للكسب تعدت مطالبه وغايته من هذه الحياة بما اورثه الطمع وارتكاب اعمال العنف والعدوان - كالثورات والعصيان في الامة الواحدة وقيام حروب طاحنة بين امم عديدة - لان جب التهيج والتهور والخرج عن المؤلف يكون امراً محتملاً لا مفر منه في اناس حبست غير عواطفهم وقتلت في نفوسهم أنبل الغرائز ...

امين ابو عز الدين

طوره أدبية

« سمرست موم » W. Somerset Maugham

بنفسه سمرست موم

في تناول شخصياته وتحليل رغباتها المكبوتة ، ويردهو على ذلك قائلاً : « ان دراسة الطب فتحت امامه افقاً من المعرفة العلمية السليمة » ففر الانسان في اوج عظيسته ا كما عرفه في درك ذله ، واصبح للقيم الانسانية في نظره معنى آخر يختلف ما تألف عليه الآخرون . حتى الالم الرفيع ، هو اشرف تلك القيم وامامها مظهر للسكان الماطفي ، لا يرى هو فيه الا انفعالا عادياً ، يبعث في النفس الانانية والحقود والشكوك السودا ويجعلها تسترق في حدودها الضيقة ، فنسف بالمضنون الانساني ، فالشيء الجدير بالاعتبار في رأيه هو — دائماً — ترويب الشر ، لا تأمل الخير !!

هذا الشك في الطبيعة البشرية ، جعله انطوائياً ، يفر من المجتمعات ويكره مصاحبة الناس حتى زملاؤه الادباء ، قامت علاقته بهم على الحذر والجفوة اكثر مما قامت على الود وحسن المعاشرة ، من ذلك انه اتهم حين اصدر كتابه « Cake and Ale » بالتعريض بالاديب الانكليزي الورد « توماس هاردي » فلم يستطع دفع التهمة برغم ما تمحّل من معاذير .

ومع ذلك ، فقد كان يرى في تلك الطبيعة المريية ، شيئاً حبساً جبرياً ، لا مفر منه ، فهو مع تسقطه للنقاوس حريص على الاعذار ، ما دامت الارادة ليست حرة في الاختيار على اي حال . وقاده عرفانه بشرف عقله وذله ماء ، الى الثقة بنفسه ، ثم الى يقينه بعدم جدوى ايجانه وان كان من مظاهر حقيقته أن ينتج ، كما ان من مظاهر حقيقة النهر ان يسيل .

آمن أكثر شي . بالتجاهه الفرزي ، فلم يهتم بالآخرين ، ولم

« سمرست موم » أحب كتاب القصة المعاصرين الى قلوب القراء عامة وخاصة ، يستوي في الانجذاب اليه — كما قال احد نقاده — قراء « تولستوي » من المستعيرين ، مع قراء « رفايل سابا تيني » من الوغاة . ا ذلك لانه يمزج الاصاله والالفة ، وعنى الفكرة ، والتشويق المثير ، مزجاً لاذاً مسكراً .

وقد ذاعت كتيبه في اعقاب الحرب الاثيرة ، فذيعاً غامراً ، مرده الى واقعيته الصارمة ، ونظرتها القائمة الى الدنيا والناس ، في سحابة وساحة واتزان . وبالرغم من بلوغه الآن الخامسة والسبعين من عمره الحصب . فانه يعد قراءه مزيداً من النشاط الفني ، ويعد مشروعاً ضخماً من الانتاج الادبي لحس سنوات تالين .

لفن « موم » في القصة والرواية والمسرحية ، خصائص جليلة الدلالة ، بادية التميز . مذهبه المنفرد ينبع من نشأة طيبة ، طبعه بطابع الوضوح والقصد ، الى واقعية جنت بشاعره الى التشاؤم وانتهت بعقله المترنم الى سوء الظن في كل شي . وزاد في تنمية هذا الاتجاه ، مركب النقص الناجم عن عاهة مستديفة في قدمه ، حتى اصبح من اشد الادباء المعاصرين شغفاً بالكشف عما في الطبيعة البشرية من شرور وآثام ، مصدرها يواحد لاكتشف ا

وواقعيته طبيعية . تهتم بمخالفات الحياة الضوية وتطورها ، وتستتي مادتها من خلاصة تجارب علم النفس الحديث ، الذي يسلط الفرائز على العمل ، ويريد نشاط تلك الفرائز الغامض الى متاهات النفس ، ويجالها العقل الباطن .

ولهذه وتلك ، يأخذ عليه نقاده ، أكثر شي . قسوته البالغة

يكتب لاقناعهم . لا يبعثه الاقناع بقدر ما يبعثه ارضاء نفسه ، وتحقيق ذاته . . لانه عند نفسه اعظم مخلوق ، برغم اعتقاده بان وجوده وعدمه ليس شيئاً بالنسبة للخلق ، وان المخلود شي . مقبى بعدد محدود من السنين ، ثم يلف النسيان كل شي .

وآمن بأنه لا ينبغي له ، كما لا ينبغي لأي كان ، ان ينصب نفسه موجهاً ناصحاً ، فليس هو سادن الفضيلة المضل ، ولا هو القيم على تصرفات الآخرين . الجبرية العيساء هي التي تتحكم في المصائر ، فليقتنع اذن ، ان يراقب ويسجل ، لا ان يسطر ويهدي ، خاصة بعد ان قادته تجاربه النفسية الى الاعتقاد بان مسافة الخلف بين طرفي اي خلق ، ليست من الاتساع بحيث صور الاخلاقيون ! وليس من كان هذا شأنه محتاجاً تصديقك . انه لا علي اعتقاداً خاصاً ، بل يسجل احداثاً خاصة . واذا الخلف للتعرف الى اعتقاده اليقيني الجازم ، تسال لك بلهجة الساخرة المنيفة : « اني انتي في حقيقة واحدة ، هي قلة ما انتي فيه » . فالعنه الاصيل الحياء لا الخيلاء ، وتوكلت مزية نفس غنية قابلة ، تطوري على الكثير العالي .

اعانه تفاعله مع المرضى في مستهل شبابه ، يبدد لا ينضب من التجارب النفسية والفزيولوجية . فبدت له الطبيعة البشرية في عريها الكامل ، تجبل عب . ضعفها الابدي ، فهانت عليه الدنيا وجست له هذا الموان مرعبة السفر « Humour » التي تلتايك في جميع اعماله ، وهو نفسه لم يكن ان الاستهانة بالدنيا قينة بان تدفلك الى التسوة في عرض افكارك ، والحكم على التصرفات والبحث عن ودائع السوء الخفية ، الكامنة وراء مظاهر الطبيعة الخادعة . فالساخر مضطر الى البحث عن هذه المفارقات ، حتى اذا لم يجدها مبذولة انشأها انشا . وهو محمول على تجاهل دواعي الجمال والحجو والخلق لانها لا تصالح موضوعاً لسخرية . وعينه سريعة التدسس الى مواضع للنقص ، لا مواضع الكمال . ومع كل ذلك فالسخرية بمنها الرفع شي . مختلف جداً عن الفكاهة النازلة والمفر . الرخيص ، لانها تقوم على عرض المتناقضات والسخافات عرضاً مجرداً ، لا على التشفي الحاقق والتذوق البذي . . الساخر مها قسا ، يحمل بين جنبه قلباً شقيقاً ، وكل ما يصنعه ان يهز كتفيه هزة رحيمة مصحوبة ببسمة او حسرة ، ثم يمضي دون ان يكمل ضعفاً . انه لا يهدف الى اتصال التورق ومنع القم الحقيقية ، بل هدفه ان يفكر ويحسن التأمل ، واذا وصل المرء الصارف الى هذا المستوى ، غفر وسامح وان بدا لك انه عنف وجرار ! بهذا نستطيع ان ندرك كنه هذه الروح المبدعة التي تملك بالرغم

من تعقدها ، معيماً ثراً من الرضوح والانسياب ! وبهذا ايضاً نستطيع ان نفهم اختراز « موم » من متخلفي الكتاب الذين يحسبون الكمال الفني في خلق شخصيات سوية الخلق والتفكير ، متسة بملحاة المعاني المتكلفة ، لان السوي الكامل في رأيه مخلوق اسطوري لا وجود له في العالم الخارجي ، فتعري الصدق يوجب على الاديب ان يتناول شخصياته على حقيقتها المائلة بحالها وقبحها وقوتها وضعفها ، وعظمتها وذلها .

ومن كان هذا شأنه لا يؤمن باللموهة النادرة والعبقريّة الفذة ، بل يؤمن ان حرفة الادب شي . يجتلب مكتسب ، هي قضية طاقة وصبر لا اكثر ولا اقل . وهو يقول في تواضع اليق : « اني لانظر الى نفسي فلا اجد لي مزية واحدة تجعلني على عرش فريد . كل ما اعتر به هو جلد على امان التفكير وادمان التأمل ، ومضاجبة القلق حتى يصبح هذا القلق مصدر لذة خالقة ، تبعد آياتها لتعزير ذاتها وخلص نفسها قبل كل شي . فظن المتأديبين ان قراءة بضعة مؤلفات لكتاب معاصرين تكفي لتكوينهم الادبي ، خطأ عظيم . الكاتب الذي لا يجدد نفسه لا يستحق صنعة الادب . وتجديد النفس يكون بالاطلاع الدائب على المعارف القديمة في مجاليها الفنية حتى يصبح التأمل والاستجابة ، والربعة في الخلق سمجية وسليقة . » وراي « موم » في مهمة الادب ، من ثم ، رأي واضح لا لبس فيه . ان قيمة الفن عندك ليست في الحذر العقلي والازواء العاطفي ، بل في مواجهة حقائق الحياة المرة بطاقة مليئة . قيمة الفن ليست في اللذة الجمالية المرفقة ، بل في علم الحق وعمل الحق ، حيث تنفي الروح وتمسك الحياة . غاية الفن كفاية الفلسفة ، هذه تبحت عن الفضيلة والفن يجملها ليستطاع تقيدها واعتناقها ومحبتها . والفرق بينهما ان الفنان يبدو وكأنه غير معني بالنتائج الحقيقية ، فيكون زوجه تلقائياً غوفاً عن ارادة حرة لا تخضع لاموس مفروض ، بل هي تصنع التاموس . . ايثار الحق والحيو ، اذن ، دون رضرخ لمبدأ مقرر هو غاية الفن اطلاقاً . ايثار مجرد لا يجذب نفماً ولا يطلب تعالياً . جزاؤه فضيلته وجدواه في الجائة الانبجالي الذي يتجلى في العمل لا في اللذة بالقة ما بلغت روحانية تلك اللذة !

« فسرست موم » مثل حيي لما يجب ان يكون عليه الاديب رحابة افق وشمول نظر ، وعمق ثقافة . مصدر عمقه ، اطلاعه الوثيق على المذاهب الفلسفية المختلفة . اضاءه ما اضئ غيره التفكير المضي في حل احاجي الكون ، سعى في اثر فلاسفة ما وراء الطبيعة حتى اتعبه الرخص في متاهاتهم ، ثم انجذب الى المثالية فالواقعية ، دون

طيف

رويدك يا بقطعة الشاعر
وهجت دفتيناً من الذكريات
عرضت لأيامي الخاليات
فأين الفلاحة طيب الحياة
وإين الشباب المجد الطموح

زحمت للمنى البيض في خاطري
بقلي وجسدت لي غابري
فأنكرت من بعدها حاضري
وأين جمال الصبا الناضر
وثوباً الى الهدف الآخر

وعشت بأجناحك الطاهر

أسير الدمامة والشار

حينئذ الى أمسية الزاخر

يلوح على البعد في ناظري

بعض الحين لمهد المهرى الباكر

براديك بين الشدا الماطر

في الورد، في البرعم الزاهر

وفي خطوات الصبا العابر

وأضحت حراماً على السائر

وأين رسوم المهرى الدائر

فعدت وبني غصص الحائر

جرحت فؤاد التقي الشاعر

مورثف مجا

سألتك يا طيف ان تنثني

زعمه - لبانه

ان ينعم براحة.. ثم استقر أمداً عند فلسفة
«البرجائزم» ثم عرف «بيرجسون» فأعجب
بمذهبه الجليل في تنقيب «البصيرة Intuition»
على كل ما عداها. واخيراً جذبه «برتراند
رسل» بسمولته ونصاعة عرضه. وقرأ «كانت»
فسرته أحجياته وان لم يستطع ان يدرك
ادراكاً واعياً، هذا الذي سماه «الشيء في
ذاته» وكل ما حوله يهيب به الى الرضا
بالمظهر المقسوم. لكنه استروح الصفاء أكثر
شيء من المذهب الاخلاقي لهذا العلائق، في
ان يعمل المرء ما يريد ان يكون قانوناً عاماً
لكل عمل، يخلى من عالم المناسبات والادوار.
ولقد منجته هذه الدراسات المنسرحه قلته
الروحي ولا بأباليته الزبينة وبدا اثر ذلك
واضحاً في جملة كتبه وخاصة في: «The Ra-
zer's Edge - of Human Bondage»

اما اسلوب «موم» فهو اسلوب مغر
بالسالة والانسياب في لغة البقة واضحة
كأنكاره. مادة التشويق تترقق في ثناياها
كالنور الدافئ. والسحر الموحى. وهو يشلب
الكتاب الذي يتطلعون من قرائهم بمجهوداً
لنهمهم. فألقه في يد الأديب يجيب ان تكون
أداة طيبة للتعبير يسر حتى عن اعوص القضايا
الفلسفية وأرقها. فاجدوى التفاضل بالغريب
اذن، وتعيد خواطر الروح تعقيداً لفظياً
يأسد جمالها الساخج، ويذهب بألقها الفريد
وفي يقينه ان الغموض مرده إما الى كسل
الكتاب وإما إلى جهله، حين لا يدرك هو
نفسه ما يقول، ادراكاً بصيراً، وليست
في عقله فكرة واضحة عنه.

هذا تعريف سريع بمميزات هذا
التصاوص الفذ ومقومات فنه راجياً ان تناح
لي فرصة أخرى للتحدث عن رأيه النفيس
في المسرحية. فالى لقاء قريب..

سعد جمعة

عماد

النوم والارق

بسم عبد الحالى عبد الرحمن

ثلاثة (١) تناول غدا. غير ملائم للعدة (٢) تناول كمية غير كافية من الطعام (٣) عسر الهضم. وكل واحد من هذه الاسباب تكفي لاحداث الارق وحرمان الانسان النوم الهنيء. ولا يخفى ان معدة الانسان تهضم الطعام وتصح بعد نحو اربع ساعات من تناوله فارغة. فاذا فرضنا انه تمشي في الساعة السابعة مساءً فان معدته تصبح فارغة حوالي الساعة الحادية عشرة، فاذا اعتاد تناول الطعام في الساعة الثامنة صباحاً كان معنى ذلك ان معدته تظل فارغة تسع ساعات متتالية وهذا يسببه الارق. واذا فرضنا انه استطاع ان ينام ولو نوماً متقطعاً فانه يشعر في صباح اليوم التالي بحسول عظيم ويظل الناس مستولياً عليه طول النهار وبكسر ذلك اذا تناول عشاءاً في الليل متأخراً وهضمه هضمًا جيداً وشرب قليل ليوائه الى السرير مشروباً حاراً دافئاً فانه ينام نوماً هنيئاً. واذا استثنينا بعض اصحاب المزاج العصبي فان تناول الشاي والقهوة مع العشاء لا يسبب ارقاً كما يتوهم الكثيرون. والارجح ان الارق الذي يصاب به احياناً من يتناول شيئاً من المنبهات هو ناشئ عن سبب آخر كافتراط في الحركة واللهو في السهرة قبل النوم. فاذا كان هذا هو سبب الارق فان الحلم الساخن كفيلاً بازالته.

الصوت والور

لقد اثبت التجارب انه ما من صوت يحدث بقرب النائم مهما يكن خفيفاً الا ويؤثر في عضلاته بعض التأثير ويكاد يوقظه. والذي ينام على مقربة من خطوط السكك الحديدية لا يمكن ان ينام النوم الهنيء. وان هو اعتاد صخب المركبات وسواء انقظته تلك الضجة ام لم توقظه.

وكذلك النور فان اشتمته تؤثر في النوم وقد تذهب به وتدل

في اول تقرير نشره العالمان الاميريكيان لايزو ومولر ان من اقدم الحقائق المعروفة عن النوم ان النائم يكون ناشد اغراقاً في النوم في الساعة الاولى منه في اية ساعة تالية، وان الصوت الذي يكفي ليقاظة في الساعة الثانية لا يوقظه في الساعة الاولى، وقد حدث هذه الحقيقة بالكثيرين الى الزعم بان نوم ساعة واحدة قبل نصف الليل يعادله نوم ساعتين بعد نصف الليل وهو زعم خطأ، فقد اثبت الاختبار انه وان يكن نوم الانسان (ثقيلاً) في الساعة الاولى، فان عضلات الجسم تكون اشد استرخاء في الساعة الثانية والساعات التي تليها. وهذا الاسترخاء هو دليل على انخفاض نشاط الجسم الى الحد الأدنى، وهو شرط لازم للنوم الهنيء. وفي الواقع ان حالة النوم او نوع اهم بكثير من مدته، فقد يستفيد الانسان من نوم اربع ساعات (اذا كان النوم هنيئاً) اكثر مما يستفيد من نوم تسع ساعات نوماً غير هادى.

تأثير الرياضة والحالة النفسية

اثبت البحث ان القيام بالرياضة البدنية قبل النوم يبعد الناس ويجهل النوم متقطعاً. وعند البقلة في الصباح يشعر الانسان باستيلاء الناس على اجفانه بعكس الاجهاد الفكري قبيل النوم فانه لا يؤدي الى شيء من النتائج المذكورة وفي الواقع انه كلما كانت حالة الانسان النفسية اقرب الى الهدوء عندما يأوي الى سريره كان نومه اقرب الى الهناء ولذلك ترى الذي يأوون الى الفراش وهم يتوقون سوءاً في اليوم التالي لا ينامون نوماً هنيئاً.

تأثير الجوع والذئابة

وقد اثبت البحث ان من اهم اسباب الارق عند البالغين

ولادة الكالسيوم أيضاً تأثير نافع . وهذه المادة تؤخذ عادة مع اللبن فإذا نقصت من الغذاء كان النوم مضطرباً متقطعاً .

الاضلالات والشناس

بما لا شك فيه أن لكل شيء يثير فينا الانفعالات النفسانية تأثيراً في النوم . فالذي يقضي يومه في اضطراب او انفعال نفسي او في عمل يستغرق كل الأفكار والقوى يتنام في الليل عادة نوماً متقطعاً . بخلاف الاعمال التي تنهك القوى الجسمية فقط فانها مجلبة للنوم الهنيء . الهادى .

وقد ثبت بالاختبار ان القراءة قبل النوم مجلبة للناس والخوف من الارق مجلبة للارق . ولعل خير وسيلة للحاربة الارق هي مطالعة كتاب تمتع قبل النوم . وقد جرب الاطباء هذه الوسيلة فأسفرت عن نجاح عظيم . قد يستطيع الانسان الانقطاع عن الغذاء عدة ايام واسابيع ولكنه لا يستطيع الانقطاع عن النوم اسبوعاً واحداً فان ذلك يورده الهلاك . وحتى جاوز الانسان الخمسة والثلاثين اصبح اقل حاجة الى النوم واصبح الحظر من تقصير ساعات النوم اقل .

عبد الحالى عبد الرحمن

فردا

التجارب على ان مضمة نور تدور بجو غرفة النائم سرياً تؤثر فيه وتقلقه وان هو لم يشعر بذلك شعوراً جلياً .

واغرب من ذلك تأثير لون الغرفة في النائم فقد ثبت ان للالوان علاقة كبيرة بنوع النوم ودرجة هوائه . فإذا كان اللون الغالب في الغرفة مائلاً الى الخضرة او الزرق كان النوم هيناً وان كان اسود او لوناً من الالوان الفاتحة فان تأثيره يكون عكس ذلك .

الثياب ووضع الجسم

وللثياب أيضاً علاقة بالنوم . فبعضها يعوق استرخاء العضلات ، وبعضها لا يحول دون ذلك . وتدل التجارب على ان الذي يتنام عارياً من الثياب يتمتع بنوم هنيء جداً . ولكن لا تأثير لوضع الجسم على السريه او لكيفية الاضطجاع فان الجسم يتقلب من وضع الى وضع كل خمس عشرة دقيقة تقريباً والطبيعة تهديه الى الوضع الذي يلائمه . فترى النائم تارة مستلقياً على ظهره ، وطوراً على بطنه ، واخرى على احد جنبيه وقفاً يثبت على وضع واحد اكثر من ربع ساعة او ما يقرب من ذلك . على ان النوم على البطن او على الجانب الايسر قد يكون اقل نفعاً من الاستلقاء على الظهر او على الجانب الايمن . الاحلام والغذاء .

الارجح ان الاحلام لا تؤثر في النوم كثيراً الا ان بعض الناس يسيرون احياناً مذعورين من حلم مزعج وتدل البحوث العلمية الاخيرة على ان الاحلام المزعجة تكثر على اثر نهار يقضيه الانسان في حالة لا تدعو الى الارتياح فكرياً وقد ثبت ان تناول الطعام المغذي يعرض للجسم بعض القوة التي يحرمه اياها الارق . اي ان الذي يصاب بالارق في ليلة قد يستطيع ان يحصل ، بواسطة الغذاء . على القوة التي كان ينتظرها من النوم الى حد ما . ويؤخذ من الاختبار ان الاكثار من أكل السكر او المواد السكرية يوازي نوم ساعة او ساعتين . واذا اكل الانسان المواد الباقية للعضل فان هذه المواد تنقص ساعات النوم التي يحتاج اليها الجسم لتجديد قوامه متوسط نحو ساعتين في كل ليلة . واذا سهر الانسان ثم شعر بالنعاس فليتناول شيئاً من الحلوى فانها تعوضه عما فاته من النوم . واذا استيقظ باكراً في الصباح لداع من الدواعي وهو يشعر بأنه لم يأخذ قسطاً وافياً من النوم فانه يستطيع ان يعترض عن ذلك القسط بوجبة تكثر فيها مادة الكربوهيدرات (اي السكر) . وفي الواقع ان تناول الحلوى في آخر السهرة مما يعرض على الانسان ما يفوته من النوم .

موظف في شركة I.P.C. طفل عمره أربع سنوات يربح الجائزة الكبرى ٢٥٠٠٠ ل.ل. في المسابقة التي انصبت للوطنية



السيد ابراهيم باروف

الطفل فؤاد توفيق محمد والد

موظف في شركة I.P.C. وله صاحب كطيار في باب التبانة طرابلس

السحب المقبل للانصيب الوطني يوم السبت ٣ ايلول سنة ١٩٤٩ الساعة ١١ صباحاً في قاعة سينما امير-اشتراو اورا فكم- الجائزة الكبرى ٥٠٠٠٠ ل.ل.

مصرع الدوقة دوبراسلان

بلم قدرى فلمي



القضايا الجنائية ، وان بدت أحياناً قضايا عادية بسيطة أو قضايا فردية ضيقة النطاق، ودروس وعبر كثيرة ، تلقني عند معرفة الظروف التي أحاطت بها والشخصيات التي اشتركت فيها، نوراً قوياً على المجتمع الذي افترقت فيه ، وعلى مدى الاثر الذي تتركه الانظمة الاجتماعية السائدة في مرحلة من مراحل التطور التاريخي، على علاقات الناس بعضهم بعض وفي حياتهم الفردية وأخلاقيهم الشخصية نفسها. ذلك مثلاً شأن هذه المأساة العائلية التي أثارت الطبقة الباريسية العليا منذ قرن كامل :

في التاسع عشر من شهر تشرين الأول سنة ١٨٢٤، عقد الأب فورتيه في كنيسة مجلس الشيوخ بقصر اللوكسبورغ ، للركيز تيوبالد دو شوازول براسلان على آلدريس ووزالبا سيباستياني ديل يورتا. وكان الركيز في العشرين من عمره ، وهو من أعرق الأسر الفرنسية ، ومن أرغفها مقاماً ، ولم يكن على شيء من الجلال أو الذكاء ، وربما كان أميل الى القبح والغباء ، غير انه كان ذا قوة

جسدية قد لا تبدو للوهلة الاولى لمن ينظر الى جسمه القصر النحيف ، ولكن سرعان ما تبدو لمن ينظر الى يديه القويتين اللطيفتين . وهو سوداوي المزاج فازر الصب سريع الحلق والغضب ، ولكنه يسيطر على أعصابه في المجتمعات العامة فلا يبدى منه ما يتم عن شراسة واحدة .

أما العروس فكانت في ديبها السابع عشر ، وهي على نقيض زوجها في كل شيء . ماتت أبها قاني ، وهي تضعا ، وكان أبوها المارشال سيباستياني سفيراً في تركيا ، فأرسلها الى فرنسا وهي في الثانية من عمرها لتعيش في كنف الممرضات والخدم ، فنشأت مرهقة

الحس رومانتيكية النزعة . وكانت يوم زفافها فتاة مشوقة القامة ، سمراء ، ذات عينيْن سوداوين تتألقان ذكاء وتفتيحاً عاطفة .

أقام الزوجان الشابان في قصر سيباستياني الذي قدمته المرأة لزوجها كإيالة . وفي وسعنا القول بان حياتها الزوجية كانت سعيدة في أول عهدها ، أو أنها لم تكن تربية على الاقل ، غير ان فاني ، وهو الاسم الذي اطلقت على نفسها احياناً ، لذكرى أمها ، كانت تزح شيئاً فشيئاً تحت عبء الحياء العائلية ، فقد أنجبت عشرة أطفال مات واحد منهم وبقي لها ست بنات وثلاثة صبيان ، وترك الحل المتعاقب آثاره في صحتها فذوت نضارتها وترهل جسمها . .

وكانت علاقة الركيز بزوجته تضف كلما ازدادت اباها العائلية حتى انقطعت تماماً . ولم يقتصر على ذلك ، بل أخذ يفكر في حرمانها من تربية اطفالها ، لانه كان فوليبري النزعة ، وكانت مؤمنة تقية ، ولم يكن يسره تشنئة اولاده على عقائدها .

ولقد فكر في الانفصال عنها ، ويبدو انها كانت تستعد لذلك لولا أن أبها قد توفي في الثامن والعشرين من حزيران سنة ١٨٤٠ فأصبح دوقاً وعضواً في مجلس الشيوخ ، وورث قصر فو الكبير ، ووجد أن هذا القصر الذي أمهله أبوه في حاجة الى عناية كبيرة لا يمهض بها ماله وحده ، ولا بد من أن يستعين من أجل ذلك بمال زوجته ، كما يستعين بنفوذ ابها لتوطيد مركزه . فأقلس عن فكرة الانفصال ، وبقيت فاني في القصر امرأة مهلهة تنفق وقتها في عمل الخير وتنفذ حبها وحنانها على الفقراء والبالسين ، حتى صاها معارفها : القديسة دو براسلان ، فكان هذا القلب خير تعزية لها .

الدوق دوبراسلان



لمست من ثروات
قلبها الجريح ،
وما ترك هذا
الجرح في نفسها من
عصية واحدة .
واعجبت بما بدا
لها من هدوء
الدوق وصراته ،
دون أن تسير
غورهما وتعرف ما
وراءهما ، حتى
كانت ترد ما يدر
منه أحياناً ، من
عنف ، وهو طبع
أصيل فيه ، الى
أسباب تنزهها



الارثال سياسيتاني

أو ذرائع تحتلقها. ورأت انها وياها على اتفاق تلم في تأييد المناهج
التربية الحديثة والاخباها ، خلافاً للسيدة فاني التي كانت تعارضها
معارضة شديدة .

أوجد الدوق في هنرييت المرأة التي يهوى ، فزعم أنه يريد
الاشراف بنفسه على تكوين قوى أولاده العقلية وهي اول فتحتها
وتطلعها ، واتخذ هذه الحجة ذريعة للسهر كل ليلة في جناح الاولاد
بجانب هنرييت . وجن جنون الدوقة فقدت كبريائها وكرامتها ،
وغدت تتجسس على زوجها ، وتتضرع اليه وتبكي بين يديه ،
وتخاصم هنرييت وتصب عليها جام غضبها . وتحولت الحياة في
القصر الى جحيم لا يطاق ، فهي خصومة مستمرة وشكاوى
لا تنقطع ونحيب متصل . . . وكان يبدو للجميع كأن هذه المرأة
الشقية هي مصدر هذا البلا .

لم يكن لدى فاني دليل على ان الدوق وهنرييت كانا عشيقين ،
ولكن كان لديها الف دليل على ان زوجها تيوبالد لا يجد نفسه
سعيداً الا حين يكون الى جانب هنرييت ، وعلى أن وجودها هي
كان عبثاً على الجميع ، فهي مبث ألم لهم وضيق لا مبعث
هنا . وارتياح . .

وكانت تصرخ في عزائها المخيفة : «لم يعد لي زوج ولا أولاد»
وتعكف ساعات طوالاً على منضدتها تكتب الرسائل لزوجها ،

انقضت سبع عشرة سنة على زواج فاني ، بلغت في نهايتها سن
الرابعة والثلاثين .

وفي هذه السنة من حياتها ، وهي سنة ١٨٤١ ، ظهرت المرأة
التي اختارها القدر لتسقي تلك القديسة كأس العذاب حتى غالتها .
كانت تدعى هنرييت ديلاوزي . وكانت حينذاك في السادسة
والشرين من عمرها ، وهي جميلة ، شقراء ، ذات شعر معقود على
الطريقة الانكليزية ومسترسل على كتفيها . وورا . هذه الطلعة
الساحرة تكمن ارادة فولاذية يدعمها ذكاء . حاد وثقافة واسعة .

ان جميع هذه الصفات كانت تؤهل هنرييت لان تكون نورية
بمتازة . ولكن الجو الذي جاءت لتعيش فيه لم يكن جواً عادياً نقياً ،
وكان حراً بان تحول فيه كل فضيلة الى نقیصة . وقد سبقت هذه
المرأة الشاببة في اداء مهنتها بضع آسأت اخفقن كاهن في عملهن
وتحسين عنه من تلقاء . انفسهن ، او بإشارة من رب المنزل او ربه ،
أو من كليهما على السواء . فهل في رسمها هي القيام بهذه المهمة الشاقة ؟
في ليلة دخولها الى القصر ، سلمها الدوق مذكرة سجل فيها

المبادئ ، التي ينبغي لها التزامها في تربية اولادها ، ومن هذه المبادئ .
اذا جاز التعبير ، ان الحرية وحدها هي التي تكسب على كل ما له
علاقة بحياة الاولاد ، وهي التي تعين الأشخاص الذين يجوز لهم
معاشرتهم أو يجب عليهم تجنبهم ، وعليها ان لا تسبح لاهم
بريائتهم في جناحهم أبداً ، واذا اتفقان مرض واحد منهم فيدسح
لها زيارة الولد المريض وحده ، وعلى كل حال فانه لا يحق لها
الاجتماع بالاولاد الا في حضور أبيهم او في حضور الممرضة .

وهكذا شعرت هنرييت منذ اللحظة الاولى بصعوبة مهنتها ،
وادركت من هذه التعاليم المفرطة في القسوة مدى الحقد الذي
يكبته الدوق دو براسلان لزوجته .

ماذا يصنع هذا الرجل المغلق ، المنطوي على ذاته ، والذي هو
في حاجة دائمة الى القيام بمحركات عنيفة تقيم له البهران على قوته
وخطوره ، حتى انه كثيراً ما يحطم كل ما تقع عليه يده لدى زوجته ؟
ماذا يصنع هذا الرجل بين امرأتين تمتاز كل منهما بالذكاء المتعدد
والعاطفة المثقبة والحلق الصارم ، ولكن شخصيتيها مختلفتان مع
ذلك ، فان احدهما سلبية والاخرى ايجابية ؟ اماذا يصنع وهو
في تلك السن التي يورس فيها الشيطان للرجال ، مغرباً ايامهم بان
يعيشوا شباباً جديداً بعد شباهم الداوي ؟

ضاققت هنرييت بما عرفت من عاطفة فاني وفيض مشاعرها ، وبما

وفي نغمته على زوجته المصاح

كان يأخذ عليها تقطيعها الدائم ، وشكايتها المستمرة ، وبكائها المتواصل ، ولم تكن تستطيع أن تسلك غير هذا المسلك وقد حرمت زوجها وأولادها ، واحتلت مكانها في قلب هذا الزوج وهؤلاء الأولاد امرأة غريبة اغتصبت حقها في الحياة الزوجية السعيدة ، ووجدت لذة في السيطرة على مقدرات القصر الذي دخلته ك امرأة عابرة فاصبحت تتصرف فيه مثلما تهوى .

استمرت الحياة في قصر الدوق دوراسلان على هذه الوتيرة خمس سنوات اجتازت خلالها أنباء المحصورة المستمرة بين الزوج وزوجته والمنافسة الدنيئة بين الزوجة والمربية ، جدران القصر ، وتحدث بها الناس في كل مكان ، وبلغت البلاط نفسه .

واقترحت فاني في غمرة ألها وبأسها ، ان تبعد عن القصر وتعيش منسية في زاوية قصية من العالم ، ولكن المارشال سياسيتاني المجوز كان يرى ان هزيريت هي التي يجب ابعادها عن القصر ، وقد كتب الى صهره بصراحة الجندي الذي لا يعرف تمويه الحقيقة ، طالباً اقضاء المربية ، معلناً استعداده لان يدفع لها رواتبها طوال المدة التي تعيها على ان تغادر فرنسا وتقيم في انكلترا . كان ذلك في حزيران سنة ١٨٩٧ ، وكان الضغط يشتد على الدوق وعلى هزيريت ، وفي كل يوم يزور احدها او كليهما الكاهن أو كاتب العدل ، ناصحاً او مهدداً او مقدماً عروضه . .

وأخيراً استسلم الدوق ، او تظاهر بالاستسلام ، اذ ليس من يستطيع ادراك حقيقة عواطفه لشدة غموضها وتعقدها . . فأنشأ بفاوض هزيريت ، وظل يناقشها لاقناعها بوجهة نظره طوال يومين . . ثم قدمت استقالتها وهي تتعجب . .

ولكن هل كان ذلك قطيعة نهائية ؟

من الصعب الاعتقاد بذلك ما دامت هزيريت لم ترحل الى انكلترا حيث استوجب لها منزل خاص ، بل أقامت في تزل بشوارع هارلي باريس . فإذا كانت تنتظر ؟

اما في قصر فو فكانت الدوقة تكابد عناء كبيراً في استعادة اولادها واكتساب محبتهم من جديد ، لتلقهم بهزيريت وتلقهمهم على سماع اخبارها وتلقي رسائلها ، وكانت المربية الذكية تعرف ذلك منهم فلم تنقطع يوماً عن الكتابة اليهم ، ويبدو ان تأثيرها عليهم كان عظيماً حتى انهم كانوا يغلقون الباب في وجه امهم كلما أرادت زيارتهم .

او تدون خواطرها في مذكراتها ، وهي رسائل ومذكرات شائقة تصور وضعها أروع تصوير ، واليك بعض ما جاء فيها :

مطلع سنة ١٨٩١ - اني اقسم لك بالي لن احاول ابداً ان يكون لي عليك أي سلطان . ان كل ما اريده هو ان اشاطرك حياتك لاجلها واضع بلساً على جراحتك . لقد هجرت عمدي لانك تخشى ان احاول بسط نفوذي عليك ، فيا صديقي ، اني اقسم لك بجي ، اقسم لك بك ، وبكل مقدس غال ، اني لا انشد غير حبك وثقتك مثلما محضتك حي وثقتي . لسوف اكون طوع يدبك ، فقدني كما تشاء ، ولن اذع بك بعد الآن بعدي . ولن اصبح لنفسني بماعتبك او بتوجيه النصح اليك . .

لقد طردت زوجتك من سريرك ، ومن قلبك ، فهل هناك معاملة أقسى تعامل بها لو كانت خائنة ؟

الرحمة يا تيوبالد ، الرحمة ، للمرأة التي تحبك !
كانون الثاني ١٨٩٢ - تيوبالد . . ألا يكفئك انتقاماً مني لعيرتي (وهي غيرة يعبرها سلوكك) أن تهجرتني ، ونحيا الحياة التي ترقق بها قلبي منذ وقت طويل ، والتي تدل جميع مظاهرها على خيانتك لي . ؟ ألا يكفئك ذلك حتى تحرمي احترام اولادي لي وحبائهم ونفقتهم ؟

لقد فقدت زوجي واولادي . . وانا على مقربة منهم ولكن لا يسمح لي بالاستمتاع بهم . وقد أصبحت جهناً بغيضاً . محترقاً وليس في وسعي ، وفي قلبي مرارة هذه الآلام ، ان أبدو مرحلة لمروراً ، الا اذا كنت ممثلة بارعة !

كانون الثاني ١٨٩٢ - لقد انتزعت مني اولادي لتعطيهم الى امرأة طائشة لا تكاد تعرفها ، ثم اعطينها جميع الواجبات ، والمباهج ، والسلطات التي كانت لي . .

انك تحقد علي حيناً اتكلم مثل هذه المرأة عن الاشخاص الذين يسيرون في ألأ عظميا . . واني لاحاسب نفسي على ذلك احياناً . . ولكن تلك صرخات ينزعها الألم من قلبي انتزاعاً . .

أكتب لنا اذن بأن نقضي أوقاتنا الاخيرة في الألم والحرلة ؟
لقد أحببتك دائماً يا تيوبالد ، ولم احب غيرك . وانا اتألم منك الآن ولكني لا ازال احبك . أردت ان اكون رفيقتك وصديقتك في جميع الظروف ، وان اشاطرك الآلام ومراتك ومشاعلك جميعاً . هكذا كنت أقدم الزواج والحب والصدقة .

منات الرسائل كتبها فاني لزوجها شاكبة ، متوسلة ، متضرعة ، ولم تكن هذه الرسائل الحارة الا لتزيد في غضب الزوج الحاقد

وكذلك كان الدوق يتلقى رسائل هنرييت فتفعل فيه فعل السحر ، ويتذرع بالحجج المختلفة للسفر الى باريس مرة ومرة وزيارة المربية الحسنة ، في زلها برفقة بعض أولاده .. ولم يخف ذلك على الدوقة دوراسلان فأحتم غضبها واعتزمت أمراً .. فادامت هنرييت لا تريد الابتعاد فألها سبتتد هي مع جميع افراد الاسرة وترحل بهم الى حمامات ديب .

وابلغت المرأة قرارها لزوجها ، فثارت ثائره ولكن لم يستطع الرفض لانه لم يجد ذريعة ينجح بها ، وعيناً حاول مصالحة زوجته واعادة الامور الى ماكانت عليه ، فان الدوقة قد أصرت على الرحيل الى ديب ، فشخص الدوق الى باريس مرة اخرى ، واجتمع هنرييت منفردين في عربة طافت بها منتزهات العاصمة ، وأخبرها بعزم الدوقة على السفر الى ديب ، وأخبرته ان ابنا مفارمتها قد تناهت الى التزل الذي تقم فيه فأمرتها صاحبته بمادرتة الا اذا حضرت شهادة حسن السلوك موقعة من الدوقة براسلان !

وتولت الدوق حيرة عظيمة .. لقد كان عليها ان يجسر سعادته او يجسر شرفه .. وكان من العسير عليه ان يختار بينهما .. فلم يستطع الوصول الى حل مرض ، وكان يتخفى لو ان المصادفة تقفده ، ثم ينسأل الا يمكن تهمة المصادفة وتحضير الظروف التي تحيط بها ؟ ! غادر هنرييت ومضى الى قصر سياستاني بشارع فوبور سان هونوره ، ودخل الى غرفة زوجته الحالية ، وفكر طويلاً ثم غادر القصر وانطلق الى فو فاعلن لزوجه موافقته على السفر الى ديب ، واتفقوا جميعاً على ان تبدأ الرحلة في صباح السابع عشر من آب ، فتعطي الاسرة يوماً في باريس للاستراحة ثم تواصل سفرها الى ديب .

في أوصل اليوم السابع عشر من آب ، بلغت اسرة براسلان احدى محطات سكة الحديد في باريس ، واستقلت ثلاث عربات جلست الدوقة وبناتها في العربة الاولى ، وجلس الدوق والصبيان الثلاثة في الثانية ، وقعد الخدم في الثالثة . وفيا العربات الثلاث منطلقة الى قصر سياستاني ، انفصلت عنها العربة التي تقل الدوق وعرجت الى الشارع فوبور سان هونوره فوفقت امام التزل الذي تقم فيه هنرييت ديابلوزي ، والذي اشتد ضغط صاحبته على المربية الحسنة لانها لم تأت بشهادة سالوك من الدوقة دوراسلان ، وتزل الدوق لزوجة صديقتها ، وطلب منها الحضور في اليوم التالي الى القصر لاختذ الشهادة المطلوبة مؤكداً انه سيقنع الدوقة أثناء الليل بتوقيعها .

وتابعت العربة بعد ذلك طريقها الى قصر سياستاني فبلغته

مع هبوط الليل ، وصعد الاولاد الى جناحهم ، ومضى الدوق الى جناحه دون ان يمر بجناح الدوقة التي كانت تنتظر في قلق وبأس عظيمين .. وانقضت بضع ساعات ..

نامت الدوقة ، ونام جميع من في القصر ، ما عدا الدوق الذي جفاه النوم .. وطال قلق الدوق ، وشعر بقوى غريبة تعصف في قلبه وفي رأسه وفي يديه العليلتين الحشتين ..

ودقت الساعة الرابعة صباحاً وهو لا يزال يضرب في ارض الغرفة طولا وعرضاً .. مفكراً في المآزق الذي وضعته الاقدار فيه ، محاولاً الاختيار بين فاني وهنرييت .. ثم لم يعد يستطيع صبراً ، فأرتدى معطفه المتري بوندا من درج احدى الخرائن فأخذ منه عدة اشياء . سلكها في جيبيه ، ومضى الى باب الغرفة ففتحه ، واجتاز الرواق ، ودخل الى مخدع زوجته ..

وبعد دقائق قليلة ايقتل الخدم ، دقات الجرس الذي اخذ يرن في جناحهم نربناً متقطعاً غير منتظم صادر عن غرفة الدوقة دوراسلان .

هرع الخدم الى غرفة الدوقة فاذا هي مغلقة ، فحطوا بابها ودخلوها ، فأروا في ضوء النهر الدوقة دوراسلان تسبح في بركة حراً ، وقد تجلم رأسها بضربات من سدس كبير ، وتقرق جسدها بطلعات سكين ، واليداء لا تزال تنزف من جراحها الكثيرة ، والغرفة مبهتة من حولها تشهد بما عانت المرأة من رعب وما كابدت من عذاب ، فقد لاختها القاتل في الخاء الغرفة وهي تحاول الهرب من بين يديه ، فوفقت غير مرة ثم نهضت متجاملة على نفسها ، واخذت تسبح مضطربة مترنمة فاقدة الوعي ، وقد امسكت يداها الداميتان بكل قطعة من قطع الاثاث ، وبكل ناحية من الجدران الاربعة ، ونحوت طويلاً من جبال الجرس ثم قبضت عليها وتشبثت بها بيأس .. وقد لوث الدم كل مكان وكل شيء من الغرفة ، حتى قطعة الخبز التي بقيت من عشاها ، والكتاب الذي كانت تقرأ فيه قبل نومها وهو يسمى : « الناس الصالحون » .. !

لم تكن هنالك جريعة قتل بل كانت ثمة مذمجة ومجزرة من اشنع ما عرف الناس من مذابح ومجازر .

وبينا الخدم ينظرون الى الجثة الدامية مروعين ذاهلين ، دخل الدوق الى الغرفة وفي يده شمعدان يتألق كمن افساق على اصوات الخدم واقبل لمعرفة النباء ، فاكاد يرى جثة زوجته حسني تراسي عليها واخذ يردد بصورة آلية :

ما اقطع هذا ! يا لهول ! يا لها من امرأة مسكينة ! يا ولادي المساكين ! من الذي اقدم على هذا ؟

الذي ينسب اليه ، الفضيحة التي سببها حماكته والحكم عليه ، وذلك بأن يقضي على نفسه بنفسه قبل ان تضطر السلطة الى اعتقاله . تلك هي الامنية التي كانت تخالف القاضي باسكيه ، وما لبث الدوق دوراسلان ان حقق في الواقع هذه الامنية ، او هكذا قيل على الاقل ، فتناول السم وتعرض لخطر الموت . وحينئذ عمدت السلطة الى اعتقاله في صباح الاحادي والشرين من شهر آب ونقله سراً الى سجن مجلس الشيوخ .

وقد بدأت معالجة الدوق وحماكته في وقت واحد ، فاقنيد في ذلك اليوم نفسه الى جلسة قصيرة امام مجلس الشيوخ ، لارضاء الجمهور الذي كان يطالب بمحاكمته بحجة عظيمة ، ولكن القاضي باسكيه رئيس مجلس الشيوخ عد من ثم الى اجراءات واستجوابات سرية ، وكان اول ما صنعه انه حمل الدوق على الاعتراف بأنه قد سبهم نفسه ، وهو امر كان الأطباء قد بدأوا يشكون فيه !

وترداد صحة الدوق سوءاً ، ويشهد الخطر عليه ، وهو مصر على انكار التهمة الموجهة اليه انفاذا لاسم عائته من ان يطلق بالعار . ثم بلقظ انفاسه الاخيرة بعد ثلاثة ايام من اعتقاله ، وتغمم القضية ، وينتهي كل شيء . . .

لقد انتهى كل شيء . من الناحية القانونية على الاقل ، ولكن الشعب الفرنسي ظل يتحدث عن قضية دوراسلان وقتاً طويلاً كأنها قضية لا تزال قيد البحث ، لان الكثيرين كانوا على اعتقاد جازم بأن الدوق دوراسلان لم يزل على قيد الحياة . . .

والحق ان هنالك بعض الادلة التي كانت تحمل على الظن بأن الأطباء الشرعيين الذين شرحوا جثة الدوق دوراسلان بعد وفاته لفحصها لم يفحصوا جثته حقاً بل فحصوا جثة رجل آخر اعطيت لهم من مستشفى اوتيل ديو ، وان الدوق قد استعاد صحته ، وغادر السجن الى انكلترا حيث عاش وقتاً غير قصير !

اما هنرييت ديلازني فقد اوقفت عدة اسابيع ، ثم اطلق سراحها لثبوت براءتها من الجريمة ومن التعريض عليها ، ثم رحلت الى انكلترا ومنها الى اميركا ف تزوجت في نيويورك الكاهن هاري فيلد وهو اصغر منها سناً ولكنه أرمل وذو ولدين .

ويذهب بعض المؤرخين الى ان مصرع الدوق دوراسلان بهذا الشكل الوحشي ، وما تناقلت الاسن من عزم الحكومة على انتقاد القاتل من يد العدالة لنبه وغناه ، ثم ما شاع عن هربه الى انكلترا ، كان احد العوامل التي اذكت نعمة الشعب الفرنسي على الطبقة الحاكمة وأدت الى ثورة سنة ١٨٤٨ فدرري فلمعي

وجاء طبيب الاسرة وفحص المرأة الممزقة ، فاذا هي مصابة بثلاثين طعنة ، منها اربع طعنات قاتلة في عنقها ، ولكنها كانت لا تزال حية يرغم ذلك كله . غير انها ما لبثت ان ماتت بعد لحظات قليلة دون ان تلفظ كلمة واحدة .

لم يتم التحقيق في مقتل الدوق دوراسلان شرطة عاديون ، فان مكانة الضحية ومكانة ايها الماريسال ، قد اثارت اهتمام السلطة فنفذ الى مكان الجريمة وزير الداخلية السيد ديلبير وقاضي التحقيق السيد بروسه ورئيس الشرطة السيد آلرود وجمهور كبير من الوجاه ، والشخصيات الرسمية بينهم الشاعر فيكتور هوغو . - وقال رئيس الشرطة للوهلة الاولى :

- ان القتلة المحترفين لا يقتلون بهذه الفطالة ، لا ريب في ان القاتل من الطبقة الارستوقراطية !

وانجبه الرأي اول الامر الى ان الجريمة قد وقعت بدافع السرعة وان المصوص قد دخلوا من النافذة المتوتحة . وكان الدوق دوراسلان لا يتأثر بوجه النظر الى هذه النافذة .

ولكن الذين يعرفون ما بين الدوق وزوجته من خصومة ، وما بينه وبين هنرييت ديلازني من علاقة مريبة ، لم يصدقوا حكاية المصوص الذين اقتحموا على الدوق غرفتها ، والتموا بتلقاها زوجها نفسه . لا سيما وان رجال الشرطة قد اكتشفوا على ثوب الدوق لقطاً من الدم زعم انه تعلق بها حين هرع الى الرؤية الضحية واسعافها . ولكن رجال الشرطة قد اكتشفوا ما هو اعظم من ذلك ، اذ عثروا في غرفة الدوق على نصل خنجر محطم وملوث بالدم ، وسكينه صيد ، ومسدس كبير قد علق بتؤخره قطعة صغيرة من جلد شري اشبه بمجلة الرأس !

لقد كانت جريمة الدوق واضحة بعد هذه الادلة الصارخة ، ولكن رجال الامن لم يلقوا القبض عليه رغم ذلك ، واكتفوا بإبقائه في قصره تحت المراقبة ، فما هو السبب الذي حدا بهم الى ذلك ما هي الغاية التي كانوا يهدفون اليها ؟

كانت فرنسا حينذاك على ابواب ثورة شعبية ، وقد اشتد النضال بين الجماهير الكادحة والطبقات العليا ، وخاضت الصحف المعارضة في الشؤون الاخيرة في كثير من الفضائح والجرائم التي ارتكبها اناس في هذه الطبقات الحاكمة ، فلم تشأ السلطة اعطاء هذه الصحف وتلك الجماهير موضوعاً جديداً لمهاجمتها والتحدث عن فضائحها وتفسخها ، وقتت لو ان الدوق دوراسلان ، وهو شخصية كبيرة من شخصيات الطبقة السائدة ، يوفر على نفسه وعلى الوسط



مجموعة اسطوانات

ARCHIVE

علم نزار سليم

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وقف

خلف بار المشرب ترقب الشاربين وعلى فها
الملطخ بالصبيغ ابتسامه لامعني لها ويدها تعبت
بالقطع المدورة التي كان يعطيها ايها صبي المشرب بعد ان اخذ منها
قدحاً من البراندي وانتابها شعور غريب من الاطمئنان وعسدم
المبالاة، فليس في وقتها وابتناساتها ما يمكن ان يغير مجرى حياتها
وانما اذ ترقب هؤلاء الرجال تنحس بنوع من الغرة والغرور، ولو
كانت فتاة عادية سباني الفتيات لاجها شخص واحد وتودد اليها
وحده وحاول ان يسترضيها دون غيره. اما هي ففي وقتها هذه
وابتناساتها ونظرتها الموجهة الى الجميع
دون تمييز، بماكانها ان تطيشن الى ان
كل واحد من هؤلاء مستعد الى ان يوفر
لها كل ما تطلب. واكثر من هذا فانها
تعرف مجيها هؤلاء. اكثر مما تعرف

اية فتاة ما يضره مجيها... اجل انها تعرفهم واحدا واحدا، تعرفهم
حتى لو كانت هذه الخطوة التي يخطوها هذا القادم اول خطوة في
المشرب. انها تعرف الشخص من جلسته ويده على مسند الكرسي
الخشي رمية دون اكتراف والسيجارة من فمه، او من
نظراته اليها او الى الحائط. انها تعرف من نظراته هذه ما يريد
ولماذا جاء الى المحل واي نوع من الاسطوانات يجب، وعلى الاخض
الاسطوانات... انها لتخيل هؤلاء الرواد مجموعة اسطوانات لاغير.
وابتنست لهذه الفكرة الطارئة وشردت نظرتها لدى هذا
الحاضر الغريب. فبماكانها الآن ان
تحول نظرة هذا الرجل الجالس قباتها الى
نظرة سعيدة وان اسطوانة (حيثو لكن
ما بالوشي) تجعل من هذا الشاب المنفرد
على المنضدة في الزاوية النضية قطعة

قصّة

من ذكرى . وهذا الذي جاء الآن يعرج من مدخل المشرب، انه ليسوت طرباً باسطوانة (اقدبه ان حفظ الهوى او ضيعه) . لكل واحد من هؤلاء اسطواناته المفضلة . حقا انهم مجموعة اسطوانات .
- آسة تسحين، نسجم اسطوانة ما لي فتنت بلطفك الفتاك !
- تكرم .

واستدارت نحو الاسطوانات بعد ان ابتست له . يجب ان تبسم له على اية حال، ولو انها واثقة في قرارة نفسها انه انما كان يعنياها بهذا الطلب . وقيل ان ابتعد الرجل قالت له :

على ان تقرأ هذه القطعة من الآن فصاعداً .
قالتا باسمة فنظر الى لائنة كتب عليها (الرجا . ممنوع طلب الاسطوانات) فابتسم وهو يترجم مبتدأ :

- لا بأس هذه المرة فقط آسة . - تكرم .

ولكن الذي حيرها هو ذلك الذي دخل المشرب الآن ، انها لم تستطع فهم نظرتها التي كان يلتقيها عليها بين حين وآخر عندما تصعد الحجر في رأسه . انه لم يطلب منها اية اسطوانة حتى الآن كما انهم لم يظهر التأثير على وجهه من اية اسطوانة انه يجلس هكذا ، كما جلس الآن ، طوال الوقت يشرب ويدخن ويرقب الجالسين وبين آن وآخر ينظر اليها نظرة ليس فيها اي معنى وفيها كل شيء . وقد حاولت كثيراً ان تظهر عدم اهتمام بلبل انها تكثر الابتسام لتعده كلما نظر اليها . لشد ما كرهت نظرتها هذه . الظاهر انه لم يأت من اجل الشرب فهو غير آبه بما يشرب ولم يشرب واي نوع يشرب كما انه لم يأت من اجلها كما يفعل ذاك الجالس في زاوية المشرب الذي يرهقها بنظراته الشريرة الحيوانية وابتسامته كما طلب شيئاً جديداً وكأنه يقول بابتسامته (انني اشرب من اجلك) او انظري ان الشرب لا يؤثر في باي مقدار كان !

وكانت الاسطوانة قد انتهت فاسرعت الى مجموعة الاسطوانات لتقلها ووضت ما اختارت على فضئها تنتقي منها الاسطوانات الملائمة لهذه الساعة فلكل ساعة او لحظة اسطوانتها المناسبة بالنسبة لها والرواد . فهناك اسطوانات تجمل من كان يود الخروج يود المكوث وشرب كأس بيرة اخرى .

ماذا تضع الآن من هذه الاسطوانات !

والقت نظرة على الرواد وابتست اذ عادت الى ذهنها فكرة الاسطوانات . ولكن هذا ! اي نوع من الاسطوانات يجب ؟ انها لتتشوف الى معرفة ذلك ، ليس من الممكن ان تعرف ؟
آه .. هذه الاسطوانة لا بأس بها في هذه الساعة .

- انت انت ولا انتش داري . انت انت نعيمي وناري .
- وابتست للكل ونظرت للكل .

واراد كل من في الحانة ان يفسر هذه النظرة في صالحه ، لم تنظر اليه عندما وضعت الاسطوانة ! وكثر احد الجالسين صاحبه وهو يبتسم وطلب آخر المزيد من البراندي .

وفي جولة نظرتها العابرة هذه مرت على كفتي هذا التريب وقد اداظره ناحية البار فلم تستكن من رؤية وجهه وأسرعت في نقل نظرتها خشية ان يحس احد الرواد او يلحظ نظرتها التي طالت والسكراري يلحظون كل شيء من هذا التيسل بسهولة بتجسم الفكرة في ذهنهم .

واسترد عبد الوهاب يحصر اغنيته على شخص واحد معين راحت هي تبسمه بين رواد المشرب فكل واحد منهم الآن (هو) (هو ولاهوش داري) .

وكما صاح عبد الوهاب . - انت .

وزعتها نظرتها على الرواد بكل بذخ وتعميم . وفجأة احسبت بسخف ما تفعل وبجفارة وقتها الوحيدة ، بين قطع من السكراري كانت نظراتهم تتجاوب ونظرتها الساجبة في كل مكان وتلاشت الابتسامة من فها الملتصق بالصبر رويداً رويداً . انه هذا هو الفرق بينها وبين غيرها . وفجأة اسرعت الى (الكرامفون) فرفعت الاسطوانة ، وهناك من لاحظ هذه الحركة منها وهناك من لم يابه بها وهناك من لم يعرف بان الاسطوانة قد انتهت ام لا . لقد ستمت فجأة وبدون سبب معقول وقتها هذه . انها تريد من تضع له هذه الاسطوانة او تغنيها له انها تريد من يمكن ان تقول له : انت ، انت . دون غيرك . انها بحاجة الى شيء من الاخلاص الذي حرم عليها ، فهي لا تستطيع الآن ان تخلص لاحد فلن يخلص لها احد بدوره من هؤلاء الذين كانت تشعر بالزلة والتورود كلما فكرت بانهم على استعداد لتوفير كل ما تبغي !

وهوت الاسطوانة من يديها فرفع بعض الرواد رؤوسهم ، وتعجب آخرون وضحك قسم آخر بينما اسرع صاحب المشرب فوجدتها تبكي :- ما هذا ! أمن اجل اسطوانة تبكين ؟ لا عليك يا حبيبي لا عليك ، لقد كان قضاء وقدرًا . سوف لن اطالبك بشئها .

واسرع الى (الكرامفون) فوضع اسطوانة اخرى على عجل خشية ان يؤثر هذا الحادث في رواد المشرب بينما ظلت هي تبكي بسكون وقد اخفت وجهها بيديها خلف البار .

نزار سليم

دمش

أنصار الشطرنج : هو لعبة الملوك وهو رياضة للعقل . ومن المحتمل انه جاء من الهند اما اصله فقد ضاع في لغائف القدم . وقد انتقل من الهند الى فارس ومن فارس الى اوربا . فعرفته فرنسا اولاً . ثم عرفته إنجلترا .

وكل مصطلحات هذه اللعبة شرقية الاسماء . وقوانين هذه اللعبة واحدة في جميع بلاد العالم . ويرجع تاريخ لعبة الشطرنج في إنجلترا الى القرن الحادي عشر الميلادي . وقد اولعها الملك «وليم الفاتح» (١٠٢٧ - ١٠٨٧) وقيل انه لما هزمه امير فرنسا التي برقعة الشطرنج فوق رأس الإمبري فكان هذا سبباً في ان تنشب بينهما عداوة شديدة . ولعبة الشطرنج هي اولاً وآخر لعبة البراعة والمهارة . وقد سميت «فن العقل الانساني» وقيل انها تقوي الذاكرة . وتتقن القوى العقلية وقيل انها تعمل في تلك القوى عمل الرياضة البدنية للجسم . ويقرر الخبراء في هذه اللعبة ان بضعة اسابيع تكفي للالام بها . ولو ان من الثابت ان اللاعب الماهر يولد ولا يصنع . ومن امهر لاعبيها «تسوكرونوت» البولندي (١٨٤٨ -

١٨٨٨) وقد كان الفائز الاول في المباراة الدولية التي اقيمت في باريس عام ١٨٧٨ كما كان الفائز الاول في مؤتمر الشطرنج الذي عقد عام ١٨٨٣ وقد قيل عن هذا الرجل

انه كان يدير اللعب فوق ست عشرة رقعة في آن واحد .

واليك ما قيل ذمناً في لعبة الشطرنج : قال احد شائعيها : لقد مضى لي اليوم ما يقرب من العشرين عاماً منذ خرجت من أسر الرق الظالم رق تلك اللعبة المعروفة بلعبة الشطرنج . مستعيناً في ذلك بكل ما اوتيت من قوة في الارادة . ومضاء في العزيمة وقد ظلمت عدداً من السنين اسيراً لتلك اللعبة . وكنت اذهب يوماً والقي بنفسي ، فيحتوي الندي الذي يلعب فيه اللاعبون تلك اللعبة ، كما تذهب الفراشة تعرض نفسها للاحتراق باللهيب .

ثم اظلم هناك لا اقل من سبع ساعات مسلوب الارادة وكأفك طاف بعقلي طائفة من الجنون فأنسيت مباحي الكتب والموسيقى ومسرات الواجبات البيتية كما انسيت حب الزوجة والاهل . ثم اصبحت عالماً بتلك اللعبة لا استطيع عنها انفساكاً .

وكنت اقضي مع سائر مدمني تلك اللعبة ساعات اليقظة جائعاً امام منضدة من الرخام في (قهرة فينا) او في (الصالات الجديدة) او في بناءة ناهي (اتييوم) واقصد «نادي الشطرنج» لا «نادي الادب» .

حيث كنت واحداً من اسارى هذا الافون . فاذا الفيتي يوماً غير لاعب - في الحقيقة والواقع - (وأنه لا يقرب الى السخرة والتمك ان يحسب الشطرنج في عداد الاعباب) . اقول اذا الفيتي يوماً غير لاعب - في الحقيقة والواقع - وجدتني منكباً على تأليف مسائل او مشغولاً بحل تلك المسائل . واذا رأيتي يوماً ولنا انظر الى رقعة الشطرنج . وكان بصري قد سكر كما سكر بصري الذي غلبه النوم على امره . فاعلم اني قد شغلت بأمر اللعب بطريق المراسلة مع امثالي من المجانين «في منشقة» او «ايشيون» .

ولقد حضرت المباراة التي جرت بطريق التفراف في متندى «سبيل» عندما لعبت إنجلترا امريكا . ولقد استوعبت مواد كل عدد من اعداد «مجلة الشطرنج البريطانية» ولم ادع منها شيئاً . وقرأت الكتب والمقالات التي كتبت عن الشطرنج . وكنت اذا بقي لي من الوقت فسحة . قطعت قصاصات المسائل لدرسها وحلها . وكنت اعمل في جيب صدري جراباً من الجلد . وهو شيء يبدو بريئاً لا ضرر فيه . فاذا تبينت الفيتة رقعة من رقائق الشطرنج وذلك توتماً للملاقاة اذا سافرت -

احد الذين بهم جنة من امثالي .

ولاعبوا الشطرنج في نظر

المشاهدين ذوي النظرة العابرة .

هم خلائي في الحل الارفع من اين

البريكة ودائمة الخلق وهم قوم يعيشون في الاسر . وكنت انا على هذا الرأي يوماً ما . وكان يبدو لي ان هؤلاء الناسك العابد ينقضون حياة بريئة طاهرة ، نقية . وانهم يشغلون انفسهم بتابعة لعبة ، وان خلت من اية فائدة ونفع فلا اقل من انها لا تعلق اي اذى برجل من الرجال او دابة «من الدواب» .

ولقد اتى علي حين من الدهر خلت فيه ان العالم قد ينجو اذا ازبح

السياسيون كلهم عن كراسيهم . وجلس مكانهم لاعبو الشطرنج .

ولكن هذا الرأي كان قبل ان ادرس نفوس هؤلاء الرجال النساء البائسين

وقبل ان يسم دمى ذلك المكروب الذي يلهب اجسامهم .

واني لارجو منك ايها الرجل الذكي الذي لم تمسك تار هذه

اللعبة ان تدقق النظر في سلوك اولئك اللاعبين الذين غروا وضلوا .

وقد شغلت نفوسهم بما يفخفونه ويسونوه «لعبة المباراة» .

وانت اذا اعنت النظر الفيت الى جانب كل ضحية من

اولئك الضحايا جهازاً قومه ساعات ذات راقص . حتى اذا نقل واحد

من غلاة الشطرنجيين قطعة من قطعه لمست يده زراً من الازرار فتقف

الشطرنج بين انصاره ومخضوميه

فلم يبارك ابراهيم

عندئذ ساعته وتبدأ ساعته خصه في دوران لا يبطى. ولا يتوقف.
وطبقاً لقوانين اللعبة فإن من لا يحرك قطعه عشرين تحريكة
في الساعة عد من الحاسرين. ولذلك فإن ما يقال من ان ربح
الطابانة تلاً جو هذه اللعبة انما هو محض افتراء. وانك لتجد الارنب
امام حيوان صار من اجوارح اهدأ بالا واكثر طابانة واقل عذاباً.
ولاعب الشطرنج هم في ظاهر أمرهم هادون البال. ولكن بين
حنايا ضلوعهم ناراً تظلي، وفي عروقهم دماً يغلي ويفور، وفي
رؤوسهم براكين تكاد تنفجر. وفي نفوسهم توفراً وقللاً
والى جوانبهم تدق تلك الآلات الجنسية. وكأنما حياتهم
تتسلل في ثنايا دقاتها. وهي تندر بوقوع القضاء في آخر دقاتها.
وفي عام ١٢٣٠ ميلادية قامت في فرنسا حكومة بره حكيمة
فتمت مناعاً باتاً الافراط في هذه اللعبة.

وجاء في كتاب من كتب التاريخ ان رجال الدين في فرنسا
لم يحرم عليهم ان يلعبوا الشطرنج فحسب بسل حرم عليهم ان
تكون في بيوتهم رقعة من رقائق الشطرنج.
وفي الحق ان هناك دواعي نفسية لاختلافها ولا غموض تبرر
افراط لاعبي الشطرنج في لعبهم. فلعبة الشطرنج لا تعرف عنصر
الحظ. وهنا الحجة التي تلتصق. ولهذا السبب وحده لم تخلى هذه اللعبة
المزعومة للاناس الذين وهن العظم منهم والذين تلهوا في بيضاء الحياه.
وقد يصح ان تكون هذه اللعبة حافلة بالفلسفة الصينيه. اذ
قد يستطيع اولئك السالك ان يخلصوا بانفسهم فوق مستوى صفوف
الوعب والفرع التي تتناهبنا. واننا لنعلم ان الصينيين يستطيعون ان
يلاقوا - في قوة احتمال بل وهم يامحون - اقصى انواع العذاب
واشدها هولا ولهذا كانوا الذين اخترعوا لعبة الشطرنج.
ولكن الاناس الذين خلقوا من صلال يجب عليهم ان يتجنبوا
العراك الذي تجرد من صفة الانسانية.

ولعلم القوم العاديين تلك الحقيقة المرة التي تقرر ان لا عذر
لحاسر في تلك اللعبة. فاللاعب يملك تحريك القطع. وللعبة قواعد
المقررة كأنها الحقائق العلمية. وهي لا تعرف للشبهة معنى.
وفي صفوف الألعاب الاخرى التي لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً
يرامى دائماً ان الانسان من حلم ودم. ويجب لهذا اللطم المسكين
حسابه. ويراعى هذا الضعف الانساني عند تقديم الحساب.
وحكمة الكون قد تنقضت فاقوت وجود عنصر الحظ وانك
لواجد في لعبة «الكريكت» وفي «لعبة البليارد» اثر الحظ واضعاً.
وانك لواجد اثر الحظ ايضاً في لعبة البوكر وهي التي تستند

في جميعها الى المهارة والبراعة. فقد يسعد الحظ مبتدئاً في تلك
اللعبة فيلقي بين يديه بكل الادوات الواجبة. وهكذا الشأن في
كل لعبة قصد بها الى التسلية الخ.

ولا كذلك الحال في الشطرنج. ومن ثم فان المهزم فيها لن
تجد له عاذراً او راحاً والمهزم في الشطرنج يبيت الليل تزوداً على
وهو يتقلب على فراشه ولا يعرف للعاث سبباً. ثم يبقى على تلك
الحال اسبوعاً او اكثر من اسبوع. وهو يتذكر كل تحريكة قام
بها قاهره. بل قد يتذكر تذكراً تحاطه مرارة هي العلقم او امر
اغلاطه واخطاه التي اقترفها وهو يسرف على نفسه باللام فيقول:
ليني لم اتخذ خطة الدفاع التي لم تكن خطة سليمة. او يقول: لو
تخصت قبل فوات الاوان لكان اسلم واحيى. وهكذا ولكنه
في كل هذا لا يجد لنفسه عذراً. ولا يلوم الا نفسه. وليس لمثل
هذه العزلة الروحية قد خلق الناس.

ولهذا كان «نابليون» اذا لاحت لعينيه برادر الهزيمة قلب رقعة
الشطرنج في خفة ورشاقة. وحسناً ما كان يفعل الامبراطور فان
في انهزامه ما يقوض دعائم النظام. وليس يليق ان يسمح لضابط
صغير مغبور مثلاً ان يهزم قائده.

وقد قال بطل «اوستراتز» مرة: لست رجلاً عادياً كسائر
الرجال وان قوانين الحياة وقواعد الكياسة لم تصنع من اجلي.
وكان يثني يسوع عليه بحجة ثقة لا حد لها فكان اذا تهدته الهزيمة
القي - كما قدما - بقطع الشطرنج في جرأة واقدام.

وانعلم الصواب حقاً ان تلعب هذه اللعبة بواسطة الاجزء
والآلات وهذا ما يغفر لنا صيحة الفرح البالغ التي حيث بها اوروبا
عام ١٨٧٥ لاعب الشطرنج «اللاتوماتيكي» الذي صنعه (كيلن)
فقد كان يؤتي بالشخص الاتوماتيكي وهو لابس ملابس الترك
ويوضع خلف صندوق. ثم يجي. العارض وهو الماني. كان موسيقياً.
وكان مخترع آلات موسيقية واهم «ميتسل».

يفتح هذا الصندوق ويعرض جهازه. وهو مجموعة معقدة من
الاسلاك. والزبدكات. والتروس. والعجلات.

ويدعو ان الشخص الاتوماتيكي كان لاعباً ماهراً. فكان
وهو البادي في ذي تركي يهزم خصومه الا قليلاً منهم.

وانقسم الناس في امر هذه اللعبة قسمين. فقال قائل منهم ان
في الصندوق رجلاً قتيلاً. وقال آخر. انما هذا الجهاز مخبأ اعد ليخفني
فيه لاعب آدمي. وكلا الرأيين يمثل الصدق.

ولكن لا مفر من القول ان كيلن كان على اية حال من الذين

المشوق في الادب

بنم عيسى سبأ

العش

صورة من صور الادب العربي الرائع، فيه سحر وفيه افتان، وطمانينة يحبسها القلب ويرتاح اليها الحاطر، وانك ما تقع على كتاب ادب، الا رأيت فيه جملة صالحة منه، تقف امامها مأخوذ الفؤاد، مجذوب الحاطر الى ما تقرأ من حوادث العاشق، فيطربك قوله، ويعجبك عفاه، ويستويك خياله. والشاعر محقق، رقيق كهنف التسميم او احلى، ما دام محباً عاشقاً، أو ما يطربك قول بكسر بن النطاح وهو اشهر اهل الغزل بشهادة ابي هنان وقد انشد قوله:

أرانا معشر الشعراء قوماً بالستى نمت الغلوب
إذا نبئت قرأنا أنبأ بأفوال تنق لها الجيوب

وفي العش كتب غير واحد من الادباء القدامى كابن عبد ربه وابن قتيبة والجاحظ والاصمغاني والابسيبي والسراج وغيرهم كثير. ويؤخذ من اقوالهم ان الاعراب ما كانوا يعرفون في العش ربة ولا تتعداه الى سرى الضمة والعززة والقيلة، وقد حدث الاصمعي قال: «قلت لاعرابيما تدون العش فيكم» قالت: الضمة والعززة والقيلة» ثم انشأت تقول:

ما الحب الا قيلة وغز كنف وعسد

وقيل لاعرابي قد زفت عشيقته لي ابن عم لها، أسرك ان تظفر بها الليلة قال: نعم والذي امتعني بحبها واشقاني بطلها. فقيل له: وما كنت صانعاً بها؟ قال: كنت اطبع الحب في ثمنها واعصي الشيطان في ثمنها ولا اسعد عشق عشرين سنة بما يتيقي ذمهم عاره ويشتر قبيح اخباره»

وما يدلنا على صدق هذا الزعم ما انشد بعض بني كلب:
إن اكن طامح للنجاح فاني والذي يملك الفؤاد عفيف

وقال العباس بن الاحنف:

أتأذنون للصبر في زيارتك فندمك شروات السمع والبر
لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به عف الصبر ولكن فاسق النظر

ومجمل ما ينقله لنا الرواة في عشق جبل لبثينة، ان جبلاً اقبل يوماً بابله حتى اوردتها «وادي بغيض» فاضطجع وارسل ابله مصعدة واهل بئنة بذيل الوادي، فاقبلت بئنة وجارة لها واردين ماء، فمرتا بفنائل جميل، فضربتاه بئنة وكانت حينئذ جارية لم تدرك، فسبها جبل فردت عليه، فلعن اليه سبابها وفي ذلك يقول:

وأول لما قاد اللودة بيننا بوادي بغيض يا بين سباب
فقلنا قولاً فجاءت بئنة لكل كلام يا بين جواب

ولم يجر بعد ذلك حتى درجت عن الطوق وصارت شابة، وكان هذا في يوم عيد ففرقت من نفسه موقفاً حسناً، فخطبها فرد، لان العرب كانت تستهجن ان تزوج من جرى بينها عشق. وروي ان شيئاً اخا بئنة رأي جبلاً عندها فوثب عليه وآذاه. وحدث ان شيئاً جاء مكة وجعل فيها فقيل له: دونك شيئاً فخذ بشارك منه فأنشد:

وقالوا يا جبل اني اخوها فقلت اني الحبيب اخو الحبيب

وقد تأخذ العاشق سكرة عن نفسه فينسى ما حل به من الم او ما أصابه من اذى المحبوب كما جرى لعمر بن ابي ربيعة وقد حدث عن نفسه قال: «كنت بين امرأتين هذه تساورني وهذه تعضي فاشعرت بضعة هذه من لذة تلك». وقد يبالغ العاشق في ما يزعم او يقول، فيجري الحقيقة على غير ما وقع له، يريد بذلك تصوير شدة تقيسه وتدلله كما يوحى اليها بيت شبان العذري:

لو حزن السيف رأسي في محبتها لطار يوري سريعاً غوها رأسي

ونفهم من الذين اخذوا بدراسة احوال العاشق وخبروا نفسيته انهم قد حددوا العش بقولهم: هو نهاية درجات المحبة، وعجب المحب بحبوبة، والافراط فيه يكون في عفاف وهو اصحه، وفي دعارة وهو اقبحه، وفي عي الجس عن ادراك عيوب المشوق. وقد يكون مرضاً وسواسياً يجلبه الى نفسه بتسليط فكره على استجسان بعض

رجل وامرأة. انما هي سم ناقع. وانما هي سوسة قارضة أكلة وانما هي مخدر مدمر هدام. واذا قيس الى الحشيش عد هذا لعبة او قطعة من الحلوى. والشطرنج يفري ذات الحدرد. وربة القصر المشيد، فتترك خدرها وتنسى قصرها. بل تنسى واجبات الولا. ولعبة الشطرنج لو عرضت لاشطح راحب لانتسحه مسرحة وزناره والمته عن ورعه وتقواه.

مبارك ابراهيم الفاهرة

اسدوا الحبيب للناس كلهم. ذلك لانه قد حول عراك شيطانياً الى عراك آدمي. وهو باختراعه الصادر عن عبقرية وذكاء. قد استل من لعبة الشطرنج وخزنها السامة. وذلك ايضاً لان كلاً من كان قد لا يرى بأساً في ان تغلبه على أمره آلة ميكانيكية دون ان يلحقه عار الهزيمة. وقد اشتري نابليون هذه اللعبة او هذا العون من الدبا. وفلظورها. ولعلم العقلاء ان لعبة الشطرنج بين رجلين. واطغر من هذا بين

الصور، وقال لاحظنا: «العشق اسم لما فضل عن المحبة كأن السرف اسم لما جاوز الجوى». وقيل: «أول العشق النظر وأول الحريق الشرر». وكان الأعرابي العاشق يشق برقع حبيبته، والمرأة تشق رداء حبيبها وفي العادة انهما إذا لم يفعلا ذلك عرض البعض بينهما وقد انشد عبد بن الحماس. وقد قد شفتنا من رداء جبر ومن برقع عن ظفة غير عانس إذا شق برد شق بالبرد برقع من الحب حتى كنا غير لابس ويذهب ابن فارس الى ان العشق هو الغرام بالنساء، وذهب غيره الى ان العشق لا يعرض لتلطيظ الطبع ولا لغاسد المزاج ووضع المحبة، وقيل لأعرابي ما بلغ من حبك فلانة قال: «في لا انكرها وبيني وبينها عتبة الطائف فاجد من ذكرها برائحة المسك». وفي جميع السلوك «ان بدء المحبة الموافقة ثم الميل ثم الموانسة ثم المودة ثم الهوى ثم المحبة ثم الشغف ثم التيمم، ثم الوله ثم العشق». وجاء في كليات أبي البقاء «ان اول مراتب الحب الهوى ثم العلاقة ثم الكلف ثم الشغف والبلوعة واللاصع مثل الشغف ثم التيمم ثم التبل ثم الوله ثم الهيام». وكان العرب في جاهليتهم اذا وصفوا حبيبة ذكروا من محاسنها ما يملكون وما تنطوي عليه قلوبهم. من ذلك قول الشنفرى:

أرى أم عمرو انزمت فاشتقت وما ودعت جيراها اذ توترت
فدقت وجلت واسكرت واكملت فلو من انسان من الحسن جنت

وقول امرئ القيس:

اغرتني ان حبك قاتلي وأنت لها أمري القلب يغفل
وما ذرفت عيناك الا لتضري بسيفك في عشار قلب معقل

وانك لترى كثيراً من صور الوصف المتأني عن العشق في ما

ازعم من ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

كبداء مقبلة وركاء مدبرة قودا فيها اذا استمرضتها خضع

وقول الافوه الاذدي:

سود غداثها بليح عاجرها كان اطرافها لما اختل الظن

وقول أبي صفير الهذلي:

ونك هيكلة خود مبتلة صفراء دعبلة في منصب سن
عذب مقبلا جذل خلخلها كالدعص اسفها مخضودة القدم
عل مقبدها ييض ترائها محض صرائها صيفت من الكرم

وقال الجنون:

قالت جنت على ذكري فقلت لها الحب اعظم مما بالمجانين
الحب ليس يبقى الدر صاحب وانما يصرع الجنون في الحين

وكثيراً ما نرى العاشق يستدير ادوات عمله في الافصاح عما يجول

في جمع قلبه، من ذلك ما نراه في شعر الاخفش الحداد قال:

مطارق الشرق منها في الحشا أثر يطرق سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الووى في الجسم موقده ومجرد الحب لا يبقي ولا يند

وعن مساور الزقاق انه قال لجنون شاعر كان عنده، قيل انه

قد خوطب في عقله لفقده ابنة عم كان يعشقها، أجز هذا البيت:

وما الحب الا شملة مدحت جا عيونها بالنظر بين الجوانح

فقال على المصان:

وفار الهوى تخفي وفي القلب فلها كتمل الذي جادت به كتمل فادح

ومن لطيف ما يروى عن رجل اسمه زهدم من بني عذرة، كان يدعى العشق وهو بدين أكرول قد صعب جيلاً فقال في:

وقد رايتني من زهدم ان زهدماً بشد على غيبي وببكي على محمل
فلو كنت عذري العلاقة لم تكن سيناً وانساك الهوى كثراً لا كل

ونرى ان الادباء قد اخذوا بذهب العشق عن العرب الذين

كثيراً ما اوصوا به. فقد قيل ان سليمان بن عمرو قال لادباء كانوا

معه، انتم ادباء، وقد سمعت الحكمة ولكم حياء ونعم فهل فيكم

عاشق؟ قالوا: لا. قال: عاشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح

جيلة البليد والبخل ويوعث على التلطف وتحسين اللباس، وتطليب

المطعم، ويدعو الى الحركة والذكاء، ويكره الهمة.

وفي أمثالهم «اذا دخلت ارض الحبيب فهورل» اي اسرع في

مرواك لئلا تفنك نساءه بجهلهم، والحبيب موضع في الين

يوصف بحسن النساء، وقال احمد بن يحيى:

عوى ناطق خاني وقدامي الهوى والي واباهما مختلفان
هوى عراقي وتشي زمامها كبري سري بعد الهدو يائي
نحن وابك احبا لبلبة واننا على البلوى لمطهران

وقد قالوا ان ذنب العاشق على غير رية مغفور، فتلطش قلوب

العاشق ففي أثناء الفتش بن خاقان ما يهدي. الروح ويعث على

الراحة قال:

إيسا العاشق المذب صبرا فخطايا اخي الهوى مفزودة
نفرة في الهوى أحط لذنب من غزاة وحجة مبرودة

هذه المأمة عن صور العشق في الادب العربي وهو على كثرتة

في مطلق الجامع، لا نرى من تجرد لدراسه غير الدكتور زكي

مبارك في مصر ذهب فيه مذاهب قد يؤاخذ عليها، والعشق على

جلال موضوعه وما فيه من الصور والاختيلة والركة ما يبعث على

دائمة الاخلاق وتلين العريكة وملاحظات قد يفاد منها طلاب

علم النفس عدا ما يجد فيه دارسوه من تذوق للجمال وانتخاب

للالفاظ. وقد ألف به الامام ابن حزم الاندلسي في كتابه «طوق

الحمامة في الالة والالاف» وابن السراج في كتابه «مصارع العشق»

وأخروهم على ما اظن الانطاكي في كتابه «تزين الاسواق»

رحم الله العاشقين واللاهيم خيراً لما تركوا لنا من معين ادبهم واخبارهم.

عيسى سفاين سبابا

ماتاهاري

الشیطان الذي كان يسكن جسد امرأة

رواية

من رجال المال والسياسة ومن رجال الادب أيضاً ، فقاموا جميعاً عند قدمي الراقصة الحسنة ، يقدمون لها قلوبهم وأموالهم ..

وكان المال حاجة ملحة لديها ، فهي تنفق بسخاء ، وتعيش في ترف باذخ ، وقد استأجرت قصر نوبلي وجعلت منه قصراً من قصور القليلة ليلة ، واحاطته بأجواء تلك القصور ، وكانت تقضي وقتها فيه بين تماثيل الآلهة الهندية ، والسيوف المعروفة ذات القبضات العاجية ، والستائر البرتقالية والارجوانية ، وشذا الطيب والبخور يعبق من مجامر الفضة ، ويتعاقب أحياناً مع راقصة الافيون ... والاميرة الراقصة مستقلة على حيوان شرقي كبير ، بين الوسائد المتعددة الالوان ، كأنها ربة من ربوات الهند ، تمتثل عبادها وسدنة هيكلها المقدس .. في ذلك الجو الساحر كانت ماتاهاري تستقبل زائرها ، وكثيراً ما كانت تدعه ذاهلاً مشدوهاً بين يديها ،

وهي مستغرقة في صحتها وسهرها ، ثم تنهض فتوقص له بخرده ، وليس عليها غير وشاحها الاصفر او الاحمر الشفاف ، ثم تلقي بهذا الشاح جانباً فتبدو عارية الامن كأسين نخاسيتين تغطينان نهديها ، وأساور ذهبية تطوق معصميهما وكاحليهما وتنتشر في رقصها المثير حتى يتهالك الرجل عند قدميهما ، متوسلاً اليها ، واعدأ ايها با تشا . وتبرى .. ويقول الكاتب الاسباني غوميز كاريلو في كتابه : « حياة ماتاهاري وموتها واسرارها » ان في هذه المرأة سحراً عجيماً كان يسيطر على الرجال الذين يعلقون بها ، ويؤكد ان اللواتي يفقنها جمالا كثيرات جداً ، ولكن ليس بين النساء امرأة تستطيع مثلها ان تحول الرجال الى عبيد لها .

الاسواط الفنية والبورجوازية في باريس ، في ربيع سنة ١٩٠٥ ، اسم راقصة ظهرت للمرة الاولى على مسرح غيمه فلفتت الانتظار وانتزعت الاعجاب برقصاتها الشرقية الجريئة .. وكان اسم هذه الراقصة غريباً وموسيقياً ، فكان المعجبون بها ، وما اكثرهم ، يرددونه في شي . كثير من المتعة والحيلة . لقد كانت تدعى ماتاهاري . فمن هي ماتاهاري هذه التي كان الناس يتحدثون عن جمالها المثير وسحرها الخلاب ؟ اهي اميرة هندية حقاً ؟ ام هي من سلالة الفراعنة المصريين ؟ أم هي فتاة جميلة لا اكثر ولا اقل ، جات من قطر مجهول ومعها هذه الاسطورة التي تبتنها الصحافة وطلبت لها كثيراً ؟

مها يكن من امر فان هذه المرأة التي كانت تعرف جميع اللغات الحية ، حتى اللغة اللاتينية ، قد فرضت نفسها على الباريسيين فرضاً بما راقت ظهورها على المسرح من جو اسطوري ، وما شمر حولها من دعاية واسعة ، فكان الجمهور الذي يقبل لمشاهدتها يتكاثر يوماً بعد آخر ، وفي كل يوم كان يزداد بها اعجاباً ولها حماساً .. ولكن هل كانت ماتاهاري جميلة حقاً ؟ ان اولئك الذين تثيرهم رقة المرأة وظرفها وانوثتها الساحرة وعذوبتها الحبيبة ، لم تكن ماتاهاري لتثير في نفوسهم أية عاطفة . غير ان هواة الجمال الشاذ كانوا يؤخذون بوجهها المستطيل الشاحب الذي تتألق فيه أسنان ناعمة البياض ، وعينان سوداوان عميقتان ، ملتفتتان ، مائلتان نحو الصدفين ، تنفذ نظراتها الى القلوب وتثير فيها الرغبة الجالحة . وقد كان لهذا الجمال عشاق كثيرون



ماتاهاري الراقصة

على ضفاف نهر المايار ، وهي تنسب الى مائتة من طوائف
البرامان ، وان اسمها الحقيقي هو ماتاهاري ويعني « عين النجر » ،
وقد خطت خطواتها الاولى في معبد الاله سيوه فجعل من خطواتها
رقصاً موقفاً وغدت تجيد الرقص اكثر مما تجيد السير .
وحين قاطعها المحقق قائلًا :

— كلا، انك لا تدعين ماتاهاري، بل مرغريت جروتودزيل !
اجابت بسذاجة : — كيف عرفتم ذلك ؟

غير انما ما لبثت ان فسرت ذلك بقولها ان تذكرة هوية مرغريت
زيل هي تذكرتها في العالم المسيحي ، ولكنها في الواقع هندية
بودية ، تشهد بذلك كتابات وجهها الشرقية . واخذت تشرح ذلك
بلفظها الثقيل ، فهي تعرف كثيراً من اللغات ولكنها لا تجيد
التكلم في واحدة منها ، وحين تضطرب وتحدث باللغات
الفرنسية والالمانية والاطالية في وقت واحد .

غير ان اثبات هوية ماتاهاري ومعرفته ماضيها لم يعجزا لجنة
التحقيق فقررت ان الرقصة المتهمة هولندية الاصل ، وقد ماتت
امها وهي في سن الرابعة عشرة ، فأدخلها ابوها الى الدير فقيت
فيه اربع سنوات ثم غادرت عائدة الى المنزل العائلي ، فاعتنت ان
التت بالكايتين ماك ليود فشغف كل منها بالآخر ، وعقد لها
عليه . غير ان الكايتين الشاب كان فراشة تسعى من زهرة الى
زهرة ، فحزرت به واناطلق وراءه ، لذته ، وتمزت المرأة عنه بابتها
نورمان الذي وضعته بعد انتضاء سنة واحدة على زوجها .

ثم عاد الزوج الشارد الى المنزل ، واصططب زوجته الشابة ذات
مساء الى البلاط الهولندي ، فأدهشت الحاضرين بمجالها الغريب
وملابعها الشرقية ، وكان عسيراً عليهم ان يصدقوا انها بنت هولندا
التي اشتهرت بنسائها الشقراوات المكتنرات . وقالت ماتاهاري
وهي تذكر تلك الليلة بزهو واعتداد :

— لقد كان الرجال ينظرون الي باعجاب صارخ ، وكانت
النساء يومقني بنظرات حاسدة حاقدة . وشعرت ذلك المساء ،
للمرة الاولى ، بانني لم اخلق لاكون زوجة بروجوازية تعيش في كنف
ضابط متقلب الاهواء . وانما خلقت لاكون ملكة !

وابتداء الحصاص بين الزوج وزوجته ، ولم يكن الضابط ليتورع
عن ضربها بسوطه . ثم حدثت حادث مؤثر في حياة مرغريت جروتود ،
فان خادمته اغتاضت منها يوماً فقسمت ابنتها نورمان . فاستبد بالام
الشكلي حزن شديد ، ولم تنس الصغير نورمان الا عندما وضعت
طفلة سينها جان .



ماتاهاري

استمر نفوذ ماتاهاري على عشاقها يتسع ويتعاظم حتى انفجرت
الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ .

ومرت السنوات الاولى من الحرب بسرعة حيناً بطيئة حيناً آخر .
واطلت سنة ١٩١٧ وقد ران على الجبهة ركود عام .
وفي الثالث عشر من شهر شباط في تلك السنة ، نشرت الصحف
نبأ توقيف مرغريت جروتود زيل بتهمة التجسس لحساب الالمان .
وسرعان ما عرف الناس ان هذه المتهمة هي الراقصة ماتاهاري ،
وقد كانت تواصل رئيس الجاسوسية الالمانية في هولندا ، بالمعلومات
المهمة طوال ايام الحرب ، وتوقع رسائلها اليه بهذا الرمز : هـ-٢١ .
ارسلت ماتاهاري الى سجن سان لازار ، وعهد الى الكايتين
بوشاردون بالتحقيق في قضيتها ، واختارت هي الحصاصي كلونيت
لدفاع عنها .

وتجددت الاشاعات والاساطير عن منشأ ماتاهاري وعن سيرتها .
ووقفت هي امام المحققين فرغت انها هندية الاصل ، نشأت

وكانت الحرب سنة ١٩١٤ .

واذا بالرأفة الحسناء، تقود مرضة متطوعة في جيوش الحلفاء .
وتقول ماتاهاري انها كانت امرأة خاطنة ، فأرادت التكفير
عن خطاياها بجمدة المرض والعناية بالجرحى وبذل نفسها في سبيل
راحتهم وسلامتهم .

والحق انها كانت مرضة مثلى تسهر الليال بطوله وتبذل
الجهود كله لانقاذ الجرحى الذين يعهد اليها بالعناية بهم ،وقد قضت
اسابيع عدة وهي لا تكاد تنام او تأكل كي تنفرغ للعناية بضابط
روسى يدعى ماروف فقد عينه في احدى المعارك .

وكان هذا الضابط يردد دون انقطاع :

— ان القدر قد ازل في ضربة قاسية اذ افقدني عيني ،ولكن
الله وضع الى جانبي ملاكاً ، ملاكاً حقيقياً .

بيد ان هذا الملاك كان ينطوي على شيطان رجم ذلك ان
الضابط الذين كانوا يعجبون باتاهاري الممرضة ، كانوا يفتشون ايضاً
باتاهاري المرأة ، المرأة الغريبة الساحرة ،وكانوا لا يكتفون ما
تشهده في قلوبهم من عاطفة ، فتبتسم لهم ، وتشجعهم ، وتضرب لهم
المواعيد ، وتلاقيهم تحت جناح الليل . وهناك ، بين قلة واخرى ،
كانت المرأة التي انتفتح فن ترويض الرجال ، تنزع من افواه
عشاقها المعلومات العسكرية والخطط الحربية ، وتبث بها الى
دائرة التجسس الانجليزية . وقد أدى عملها هذا الى احباط كثير من
خطط الحلفاء ، والى اباداة الالوف من جنودهم !

ولم تنكر ماتاهاري صلاتها بالملك الضابط ولكنها زعمت ان
لها ميلاً خاصاً الى معاشره الجنود والارتقاء في احضانهم . ولم تنكر
ايضاً رقصها غارية في بعض الحفلات الخاصة التي تضم طائفة من
كبار السياسيين ورجال الجيش ولكنها ادعت بانها لم تقم بذلك
لاغراء .هؤلاء وانتزع اسرارهم الخطيرة ، بل قامت بدافع الفن
الذي نذرت له حياتها .

ولكن عبثاً كانت المرأة تحاول دفع التهمة عنها ، لان جرميتها
كانت مؤيدة بالأدلة الصاعدة .

وهكذا سبقت ماتاهاري الى امام المحكمة العسكرية لتحاكم
بالشع تهمة توجه الى الانسان وهي تهمة التجسس والحيانة العظمى
وعقدت المحكمة العسكرية في باريس ، في ٢٤ تموز سنة ١٩١٧ ،
برئاسة الكولونيل سامبرون بالنظر في هذه القضية الخطيرة التي اثار
الفرنسيين وشغلت الرأي العام في العالم كله .
ودفعت ماتاهاري تهمة الحيانة بقولها انها ليست فرنسية ،فاذا

وحينئذ عين الزوج في جافا ، ورحلت الاسيرة الصغيرة الى
الهند ، واستقرت الكابيتن هناك في الشرب ولعب القمار بكمثيراً
ما كان يضرب زوجته حين تأبى الذهاب الى احد اصدقائه
لتقتض له المال .

ويقول لها الزوج يوماً وهو يضحك ضحكة سكيو ارعن .
— اني لا املك شيئاً من المال . وانت جميلة وفي استطاعتك
ان تجدي عشاقاً كثيرين . وانا لست غيوراً . كل ما اريده منك
ان تأتيني بالمال .

وتأبى المرأة الانزلاقي في منجدر القوابة ، وتأخذ ابتهاوتها
ولكن الى اين ؟ ان اهله لا يستطيعون مساعدتها ، وهي لا تحسن
مهنة تخزفها . فينصها قريب لها بأن تستل ميلها التطوي الى
الرقص وتذكر المرأة . لقد كانت تعجب بالرقص الديسني في
المعابد الهندية ، وترقب الرقصات باهتاهم ، فاصحح في يومها تقليدهم
وحفظت جميع طقوسهم وتقاليدهم . وان ملاحها الشرقية تساعدها
على الظهور بمظهر امرأة هندية خليقة بان تفتن الجاهيرو تسحر القلوب .
وهكذا تضافرت العوامل كلها على ان تدفع بها في هذه الطريق .

فاذا بمرغريت جروتود زيل تقود ماتاهاري الرافضة الهندية المقدسة !

ماتاهاري يوم التي القبض عليها



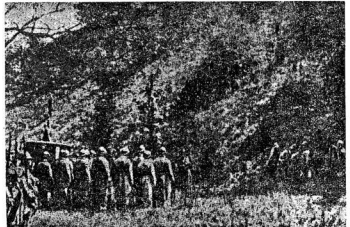
صح انها اساءت الى الفرنسيين فان اساءتهم لم تكن موجّهة الى وطنها ومواطنيها . وتحدثت بلهجة المفكرين المثاليين فقالت انها امرأة لا وطن لها غير الفن والفن عالمي التّعة . كأن الغواية والتّجسس فن ! ومهرع كثير من الفضوليين لسماع اقوال المتهمة ، ولكن رئاسة المحكمة لم تسمح لهم بالدخول الى القاعة ، وآثرت اجراء المحاكمة سرّاً . فلم يطلع احد على ما قيل فيها الا من خلال التقرير الرسمي الذي حرره القومندان ماسارد ونشر فيما بعد .

وفي هذا التقرير ان ماتهاري قد روت للقضاء سيرة حياتها منذ نشأتها حتى احتراقها فن الرقص . وقد اعترفت بانها كانت بغيّاً ولكنها انكرت انها كانت جاسوسة ، واصرت على الانكار بقوة . وحين ارفعها الرئيس باستئنه قالت انه سبق لها ان عرضت خدماتها على رئيس دائرة التّجسس الفرنسية ا قال الرئيس :

— نعم . لقد اقترحت على الكابيتين لودو الذهاب الى بلجيكا لاعطاء المعلومات الشفهية او التحريرية لعملائنا هناك . فاعطاك رئيس دائرة التّجسس الفرنسية رسالة لتسليمها الى احد عملائنا في بروكسيل ، فلم يتسلم هذا العميل الرسالة الموجهة اليه ، بل قبضت عليه السلطة الالمانية واعدمته .

وحاولت المحكمة احصاء الاشخاص العسكريين الذين اتصلت ماتهاري بهم وانتزعت منهم اسرارهم ، فاذا هناك ضباط وطيارون من جميع الرتب ، وموظفون كبار ، واحد وزير الحربية الفرنسية ! ولم يشأ القومندان ماسارد ذكر اسماء الاشخاص

احداه ماتهاري



في التقرير الذي نشر عن هذه المحاكمة !

وحين قيل للتهمة انها كانت تقيم في فندق ريتز بباريس ، في الجناح الملاصق لجناح رئيس دائرة التّجسس الالمانية ، وانسه قد زارها غير مرة وشوهد مرة وهو يعطيها ماله لم تنكر ذلك وقالت ان هذا طبيعي لانه كان عشيقها ، ورددت قولها مرة اخرى :

— بغي ؟ نعم ! اما جاسوسة ، فلا . !

فقال الرئيس سامبرون :

— ان هذا العاشق قد ابرق الى زميله في امستردام لاعطائك عشرين الف مارك ، ومن الصعب الاعتقاد بان المحكمة الالمانية كانت تدفع ذلك المبلغ مقابل المتع التي ينعم بها موظفوها لا مقابل خدمات ريمية تؤذي لدائرة التّجسس !

وجوبت اخيراً الدلائل التي لا يدحض . بتلك الرسائل التي كانت ترسلها الى دائرة التّجسس الالمانية بتاريخ ٥ - ٢١ والتي وقع بعضها في ايدي دائرة التّجسس الفرنسية . فلم ترد على القول بانها ليست فرنسية ، ولم تحقّ وطناً ما ، لانها امرأة لا وطن لها .

وبعد استماع الشهود ، وكان بينهم سفراء ووزراء سابقون وشخصيات مدنية وعسكرية كبيرة ، وسماع اقوال الدفاع ، اختلت هيئة المحكمة وقررت بالاجماع ، اعدام مرغريت جرتود زيل المسماة ماتهاري بجرمة التّجسس . لمصاحبة العدو واعطائه معلومات ادت الى قتل عدد كبير من الجنود الفرنسيين .

فانقسمت ماتهاري ابتسامة شاحبة ، واعيدت الى السجن في انتظار الموعد الذي سيعين لتنفيذ الحكم .

ولم تفارقها هذه الابتسامة الشاحبة بعد

ذلك ابداً .. وترغم المصادر التي رجعتنا اليها ، ان السجنتين اللتين عهد اليها بالسهر عليها ، والراهنين اللتين كانتا تحمينها ، قد شاهدنها في الليلة السابقة لاعدامها ، تجلج ثيابها ، وترقص امامهن عارية .. وقالت احدي الراهبتين وهي تقصّ الثبا :

— لقد شاهدت شيطاناً يرقص ويتلوى ، ان ماتهاري ليست الا شيطاناً في جسد امرأة . وفي صباح اليوم التالي ، وهو اليوم الخامس عشر من تشرين الاول سنة ١٩١٧ ، اعدم ذلك الشيطان الذي كان يسكن جسد امرأة !

لترن الطويل . وتحال الجسد الناحل المتداعي رعدة خافعة . . وتشده يده على دقتر المذكرات الشاوي بين مزق التلاف ، وتتطاحن في اعناق نفسه الماشع ، ويتسلل فوق مقعده متضابقاً ، ويرسل آهة طريفة .

عامان . . مذ التي هذا الدقتر في ذلك الدرج المظلم العتيق ، عامان خافلان بالوان الذباب . والآن اعود لتدوين حياتي ؟ هل يدون حياته من يحياها ؟ لقد آن لامواج الذكريات الفادرة ان تنحسر عن شاطئ . هذه الحياة النافذة البائرة . . آن للاشباح المعذبة روحي ، ان تغبر مواها ، ان تترك رأسي المسكين ، الى هذه الورقيات البالية ، التهرئة . ساحكم عليك ايها الاشباح المروعة بالسجن مدى الحياة ، بين هذه الاسطر ، وراء هذه القضبان - في هذا السجن المظلم من الذكريات . .

ويتناول قلعه - مفتاح السجن - ويتنظر ، الابواب كلها موصدة ، وليس يبدو على الورقة حرف واحد ، البد ، عمل شاق ، وينظر من خلال الستائر المسدلة ، ويستوحي المساء ، ولكن افكاره مبعثرة شاردة ، والقلم سهوان واجم بين اصابعه ، ويتنظر ثم ينهض ليدير اسطوانة على الحاكي ويتشي بين اثاث غرفته الضيقة .

هاه ، هذه البقية الباقية من الشذرات الحائية ، وفات النور على سطوح المباني ، والمساء القاتم قاتمة الحياة ، يعلن احتضار النهار ، احتضار الشمس الذابذة في احضان القفر البعيد ، والظلال المظلمة ترجف على الدنيا ، تطوي في عطاها كل شيء . ومع انقاس المساء ، تدخل هذه الاشباح المروعة من خصاص النافذة ، من شقوق الباب ، من خلل الستائر ، انه العدم يرف بجناحيه فوق العالم ، كهذا الروح الرقيق الحائر يورف في عالمي الصغير - روح « شوبرت » البائس المسكين ، ومعزوفته التي لم تنته ، الحياة التي لم تنته ، تضيف الى الظلال ظلالا قساقة ، هادئة ، ظلالا وهوداً للقلب الجريح . ايها الشعثان المتأججتان في الوجه البدين الحبيب ، ايها الشفتان

التعليقتان ، وخصلة الشعر السوداء المسبلة على الجبين الوضي . ايها العزيز « بلزاك » ، انك لتنتفض من بين الظلال التي اردتها لقلبك الجريح ، من اعماق الهدوء الذي كافحت من اجله طوال الحياة ، وذلك الشيخ المسن برأسه الناصع ولحيته البيضاء يتكئ على كتفك ويهس بصوت « هغو » الحالم : الاسى قيدوم السعادة ؟ ها ها هاه ماذا يقول هؤلاء الحالمون الشائخون ، الاسى ؟ اي اسى قفطع ، والسعادة ؟ اي سعادة ، اسى الحياة كلها ، كقيدوم فقط ، قيدوم للسعادة النافذة ، سعادة العدم ، سعادة الابد ، سعادة القفر المظلم العميق ، آه ايها السادر في الظلمة ، ايها الضارب في الليداء ايها التابع خيالك ، التي مشعلك يا صديقي ، الله ، ان عينك اعتادت الظلام .

- عيناى اعتادت الظلام ؟ نعم . - الى اين تقودك قدماك ؟ - قدماي ؟ لا ادري . الى ما مكان . انا ادور فقط في

هذه الليداء ، ولعلني اذهب ؟ . الى الحاكي ، الى الحياة غير المنتهية ، الى روح شوبرت المسكين العظيم ، انقذه من وخز الابرة اللعينة القاسية . . .

ويقف الاستاذ اكرم واجماً وسط بيدائه الصغيرة ، بين الكرسي الحشوي والسرير الحديدي والكتب المعثرة على الارض والجرائد

المركومة على المضدة . تتلشى في ذهنه بقية من لحن تم يحطونحو النافذة ، وزبح الستارة الزرقاء ، وينظر الى البيوت الصغيرة المتراخية في الرقاق الضيق .

قبر الاحياء ، في كل مكان ، الظلام يمشعش فيها ابداً ، الظلام البارد العميق ، كما يمشعش في صدري ايها التائه في القفر ، التي مشعلك ، الله يا صديقي . الطريق واضح رغم حلوكة ، واضح ليس سوى العدم في نهايته ، السعادة الابدية ، لك كل ذلك يا صديقي ، ايها التائه في القفر ، مع عصاك الهزيلة المعقدة المنجوتة من احداث الماضي .

وتتحال الجسد الناحل المتداعي رعدة اخرى . الماضي ؟ هاه ، وهل من ماض لمن لا حاضر له ؟ مجرد فكرة



فيلم عبر الملك نوردي
http://archive.achrit.com

✽



طافية على بحر الوجود، بصقة جامدة في وجه الحليقة ، جزيرة منبثقة من غيب الجهول . آه ، كان في تلك الجزيرة بركان نابض بالحياة ، انه شته امرأة . ذلك كان كل الماضي . والآن ذهبت المرأة ، وخذ البركان . لم يبق شي . لا جذوة تحت الرماد . كل شي اضحى رماداً . قبور ورماد ، في الظلام الابدي الميق ، ها ها ها ، السعادة الابدية ، سعادة العدم ، فرح الافراح .

وتحاري في عينيه دمتان ، وتضغط يده على زر المصباح القاتم فوق المنضدة . ويتناول دفتو المذكرات ، ويتصفحه بنظرات شاردة ، فتقع عيناه على ختام ما دون من سطور : « ايه . . ايها المرأة - العين الدافقة بالحرمة الازلية . كلما نهلت منك ، ازدادت ظمأ اليك - وكلما دنوت منك ، ازدادت بعداً عنك . وداعاً ايها العين ، وداعاً . انا ابدأ سادر في بيدائي المحرقة ، وحيداً ، حتى يلاشي الظلمة حيائي البازرة » .

ورقة الحريف ، حيائي البازرة ، حيائي الفارغة ، هذا الظلمة القتال للعين الازلية . . للنعمة الدافقة . . الم يقتلني بعد ؟ هل ابقي شيئاً مني ؟ فضلة مني ؟ قالة فقط ؟ آه رماد ، بل بقايا رماد . ايها المرأة ، ايها المحلقة الشريرة ، اظفارك الملطخة بدماء قلبي ، تعبت ابدأ بهذا الرماد ، وبقايا الرماد ، اليك عني ، ايها الشبح الخفيف ، انا اريد الخلاص النهائي . الخلاص منك ، الخلاص الحاسم السريع ، بانكار ارادة الحياة ذاتها انتكاراً سريعاً . كلمه البرق ، ينمت من لبيب الالم المظهور .

ويسرعة البرق يندفع الاستاذ اكرم الى خارج غرفته ، باحثاً عن « الخلاص » في ظلام الطرقات .

ويهم الاستاذ نحواً من نصف ساعة ، منطلقاً من زقاق الى زقاق ومن شارع الى شارع ومن رصيف الى رصيف ، فيصاود نفسه بعض الهدوء ، وتقوثر ثورته ، وتثقل خطاه ، وبأخذ يلاحظه يحيطه بعين مدركة وذهن صاح .

عيق هذا السكن . واللبل المظلم يحوس صامتاً كشبح غو مرئي ، يلف يوشاح الاشجار والمباني والحقول الخضراء . . الى آخر هذا الطريق ، ثم ينجد مع النهر التتم اغانيه الساحرة الى البحر الصاحب اللجي . آه ، ايها اللبل ما اعمتك ، ايها اللبل الشاعر الزائر بالالم والحب والزفرات . في هدوئك العميق يهس المحبون قلوبهم كيوبد ، ذلك الصبي المروح يحنق باجنحته في كل مكان ، ويضم الاجة شديداً الى قلبه الدافئ . الحنون . آه كان لي ذلك يوماً ، ذلك الدف ، ذلك العالم الشعري اللذيذ . كنت احسه

بكل جزئية من كيائي ، بين ذراعيها ، في احضانها ، يوم كانت كل شي . لدي ، اوه ، ذاك ايضاً قد يتصور انها كل شي . لديه ، ذلك المعنوة الذي يعانق فثاته خلسة ، انه يجريها الى الظلال القاتمة المظلمة ، كالاصوص . وقد يظن انه سيوت المأ اذا ما عسبت في وجهه . ها ها ها ، ولكني لم امث ، انا حي ، انشقت ارج الحياة بل . رثتي ، اف اف ، وهذا التراب الذي تشبهه سيارة معنوه آخر يحتضن امرأة . . آه كيوبد ، انك في كل مكان . وحتى هذه الاعين المضادة في جهات الدور ، قد اسبلت عليها يدك الخبيثان اجفانها الكتنة . آه ، يا لعين ، من يدري كم من الاجة يتعانق وراء هذه الستائر المسدلة . كم من زوج يداعب زوجته ، كم من قبله تقطف وتذبل وتوت في هنية قصيرة ، كم من صدر يطلق تهديدات الحب ، كم من معنوه يتوسد صدر امراته ، كم من يد يرعشها التل في ظلمات شعر الحبيب . وكم من عين تومض حباً ونشوة وحياة . آه ، كان لي كل ذلك حيناً ، الحب والحياة والنشوة الخالدة . اين ذهب كل هذا ؟ اين العش الذي حبسته ، الحياة التي انشأتها ، المرأة التي احببتها . لم تداعي كل ذلك وانهار ؟ ايها اليدان المهرمتان ، السريرتان ، لقد قضيتما على كل شي ، لم يعد لي حيائي شي . .

ويحدق ملياً في يديه الراعشتين ، بعينين خالصتين ، وقر ابسامة مريرة على شفتيه ، وتترقب في ذهنه فصول من ماضيه :

— اليوم فانظ جيداً ، اكرم - نعم ، حبيبي .
— اريد . . قبله تبل اومالك ؟
— قبله وشيتاً آخر . . هاك القبلة ، الآن .
— اوه ، عضضت شفتي . هذه سنشفيها .
— كانت لذينة حقاً . والآن ، سلمي ، ما هو الشئ الآخر ؟
— اوه ، فقط اردت ان اتخلص من هذه الجوارب ، فهل لا

تزال . . ام ؟
— ماذا ؟ - اما توافق ان اخلعها ؟
— لا ادري - ولكن كل النساء يخلعن في الصيف .
— اذن لم لا تغلين مثل كل النساء .
— اوه ، غريزي ، حبيبي .
وفي ظلام الليل تهس في اذنه :

— ادن مني يا حبيبي ، ادن مني ، نعم هكذا ، هكذا ، ضع ذراعيك حولي ، وهبني شفتيك العذبتين . ولا يدنو منها ، تسقط يده صدقة على ساقها المتجردة العارية وتبدو له عين شريرة نهمة تمحّد في تلك الساق ، ومئات من الاشباح والاطياف تتشبت

بُروجه وثباعه بينه وبينها ، فنبعث في احمق نفسه شعور مروع
مبهم ، وتعذبه صرخة حادة تدوي في قلبه الجريح زمناً طويلاً
« انت غريبة عني .. غريبة .. غريبة .. اليك عني » .
وتخرج سلمي بدله : كانت باردة تلك القبة اكرم هات
واحدة اخرى .

ثم تخرج بشدة : وهذه ابرد من تلك ، ما خطبك الليلة ، اكرم ؟
- لا شيء . - بل انك تخفي عني اشياء .
- ابدأ . - قل لي الحقيقة اكرم ، انا لا اخشى الحقيقة .
- اني حقيقة ؟ - هل اصبحت قلاني ؟
- فكرة غريبة .

- اذن ، كيف تقسر جودك ، انك مجرد جثة الليلة .
- لا ادري ، صديقي ، انني لا ادري .
وبعبه التفسير ، فيدير ظهره لزوجته ويحاول النوم ، والصرخة
ما تزال تدوي في قلبه . « انت غريبة .. غريبة » .

طبعة وردية رقيقة من احمر الشفاء ، تنتشر بلان فوق الشفتين
المكتنتين ، وقضي دقيقة في صمت ، ثم تفس الشفتان الورديتان بركة :
- لم تنظر الي هكذا ؟ انك تفتنني بينيك .
- احب ان افترسك يا حبيتي ، احب ان اهلك لقمة واحدة ،
وانتهى منك .

- اجانب الى هذا الحد ؟ انتظر دقيقتين . وسيكون
العشاء جاهزاً .

- انت عثاني يا حبيتي ، انت طاعمي الحب اللذيذ .
- اوه ، نسيت ان اقول لك ان جميل سيأخذنا الى السينما
بعد العشاء . - كيف علمت ؟ - لقد اخبرني هو .

- متى ؟ - هذا الصباح ، مر خطفًا قبل ذهابه الى الدائرة .
- كان ايسر له ان يخبرني من دارته .

- لقد جاء ليأخذ كتابه ايضاً . الا تذكر انه نسبه هنا الليلة
الغائبة ؟ - اني اذكر فقط ، انه اصبح ضيفاً دائماً في هذا البيت .
- وهل في هذا ما يضير ، انه صديقك الحميم .

- آه ، نعم نعم ، بلا شك .

القرم الرضي . يشعشع الطريق القفر . سلمي متعلقة بسذراع
تضها بشدة الى صدرها الدافئ . والاستاذ مطروق يتأمل ، وعند
عتبة البيت تضطرب شفتاه :

- كانت رواية عظيمة ، حقاً .
- القصة بسيطة ، ولكن المثلثين عظام .
- الحق ان شارلس يور مثل عقري .
- نعم اني احبه ، احبه جداً . انه يتقن على الخصوص الادوار
الطالفة الحارة .

- صحيح . ولكن ماذا قلت الآن ؟ انت تخمينه .
- نعم ، كما تخبه انت وبقية الناس ، اعني اكثر من اعجاب .
- فلننت انك تقصرين كلمة « حب » علي فقط .
- حسناً حبيبي ، من الآن فصاعداً .

وعندما تدعوه في ظلام المذبح تبدو له مئات الاشباح والاطياف
تحتضنها وتتشبث بها ، من كل جانب ، ويدو له شارلس يور
نفسه يحاول تقبلها ، فتضالج جسده رعدة باردة ، ويعذبه شعور
مروع مبهم زمناً طويلاً .

هي تتكلم بخفة ولباقة . فها العنابي الصغير يشرق فتوناً ،
وعيناها تومضان بشعاع غريب . كل معارف وجهها الجميل ، كل
اجزاء جسدها الفاتن تتكلم بحجوبة واتطلاق . وهي ، بكل كيانها
بكل ما فيها من قوة وشباب تتجه نحو جميل . وجميل لا يكاد
يعي شيئاً مما حوله ، بل لا يكاد يرى شيئاً في وجهها ، غير ذلك
الينوع العنابي الصغير الدافق بسيل من العبارات اللينة الحنون ..
انه لا يوقع نظره عن فمها ، ولا يكاد يصغي الى شي من حديثها :
او الى تصف الفرحة في قلب الاستاذ اكرم .

- تعالي حبيتي ، كوني صريحة معي . فلو ان جيلاً قد خطبك
قبلي ، فما عسى ان يكون جوابك ؟

- كنت ارفضه ولا شك . - ولكن لماذا ؟ جميل شاب
ظريف اتيق ..

-- اوه ، اكرم ، لم تحاول ان تضايقي دائماً . انك تتكلم
كما لو لم تكن تحب بعضنا قبل الزواج .

- لا تقضي حبيتي . اردت فقط ان ادايعك .
- ليتك ادعيتي بقلبة ، منذ احيال لم تعلمي .

- آه ، صحيح ، هاك قبلات . وبعد ذراعي ليحتضنها ويديني
وجهه من وجهها ، ولكنه يحس احساساً غريباً شاذاً ، وقبل ان
تلتصق شفاها ، يتسلل جميل ، وياصق شفتيه بالهم العنابي الصغير
فتمط ذراعا الزوج الى جانبيه ، وبشبح بوجهه عنها ، وفي احمق
نفسه تدوي صرخة حادة : « انت غريبة عني .. انت غريبة .
انت غريبة » .

عينها دامتان ، وصوتها يرنش :

- اكرم ، هل ستظل ابداً مجنوناً ؟ - لا ادري .

- الى متى سنحيا في مثل هذا الجميع ؟ - لا ادري .

- انا لا استطيع ان احمل طويلاً هذه الحياة العسة - هذا حق .

- ذرفت من الدمع في هذه الاشهر الثلاثة من زواجنا ،

اكثر مما تذرفه اي امرأة اخرى طوال حياتها .

- صحيح .

- لقد جعلتني امقت الحياة ، وامقت كل شيء ، انا التي كنت

فرحة متفائلة بالحياة

- نعم .

- لم ورطتني بحبك ، ثم بهذا الزواج ، وانت تعلم انك مجنون ؟

- ذلك لاني احبك ، لاني ابدك . - ولكنك تحيل حياتي

الى جحيم .

- انا اعترف . - حسناً ، ما العمل ؟

- اني اري الحل الوحيد هو ان نفترق .

- نفترق ؟ آه .. دائماً هذه الكلمة على لسانك . ذلك بدلا

من ان تفكر في تغيير سلوكك انت الذي تعبدني ، ها ها هاه .

- ارجوك ، لا تطمني باخلاق عواطفني .

- اكرم ، انت تدهشي . انت مجنون ، انت تماماً مجنون .

- نعم ، قد اكون .

- انا ذاهبة مع جميل وابنته ماري لشقري لها ثوب العرس .

- لا بأس ، حبيتي . - الا تأتي معنا ؟

- لا .

ولكنني فكرت ان نتناول العشاء بعد ذلك في احد المطاعم .

- انا لا احب المطاعم سلى ، انها مزدحمة مزعجة . اني

اختنت في الزحام .

- آه لم تحبقي لي يوماً رجاء .

- هل تظنين اني اتعمد ذلك ؟ انا فقط اكزه الزحام ، ذلك

من طبيعي .

- ان طبعك المنكر سيحطم حياتنا يوماً . - ربا .

- افتحي الباب سلى ، ارجوك افتحي الباب .

- لن افتح

- لا تمايليني هكذا ، سلى . افتحي باب الفرقة حبيتي .

- آه لا تضايقي ، اذهب ، لا اريد ان اسمع توسلاتك بعد

تلك الاهانات .

- اي اهانات ، سلى ، افتحي الباب ، اسألك كل شيء ..

- لا كلام بيننا بعد الآن .

- انت مخطئة ، سلى ، انت مخطئة .

- اوه . لا تضرب على الباب . اغرب عني ، لا اريد ان

ارى وجهك بعد الآن .

- بهذا تجزئني حيي ؟ - حبك ، هه ! جنونك وافكارك السقيمة .

- آه ، سلى ، انا لا اصالح للحياة على هذه الارض ، انا انسان

غير طبيعي ، وان اتفه الامور تخرجني عن طوري .

- اهدأ حبيبي ، اهدأ ، تعال ضع رأسك على صدري .

- انك ملاك ، سلى ، اني اطلب اليك شيئاً واحداً فقط .

- اي شيء ، حبيبي ، اي شيء . تريد .. اني اضحي حياتي

لكها لجرد ...

- لا ، حبيتي ، لست اريد ان اكلفك شيئاً غالياً كحياتك .

- ماذا تريد اكرم ؟

- حياتي . حياتي فقط ، اريد ان اتخلص منها . انا شقي جداً ،

سلى ، انا اشقى الناس .

- نعمي ، ذلك تريد الانتحار ؟ - نعم .

- اذن انت لا تفكر في مصيري .

- بل انا اريد ذلك من اجلك يا حبيتي كي انقذ حياتك من

وجودي المشؤم ، انا مصدر الشقاء والكدر في حياتك .

- وانت كذلك مصدر سعادتي . انا احبك ، اكرم ، كيف

استطيع ان احيا بدونك ؟

- اوه ، سلى ، لم لا توافقين ؟ انا لا اخشى الموت من اجلك ،

من اجل راحة قلبك وصفا . حياتك . الموت وحده ينهي جميع

التناقضات .

- اي تناقضات ، تعال ، تعال حبيبي ، كفى ثورة . هات

هات الشئتين اللتين تلفظان هذه الامور الخفيفة ، ودعني اقطر بينهما

رحيق حيي .

- هذه السيارة مزدحمة ، سلى ، فلنتنظر الاخرى .

- لا بأس . - اوه ، هذه ايضاً مزدحمة .

- كل السيارات مزدحمة في هذه الساعة . اكرم . الناس

يعودون الى بيوتهم .

- اذن . - يجب ان نقتل السيارة التالية ، مهايكل الامر .

- ولكن الزحام ، الزحام . - وما ضرر الزحام ؟

- انني اختلف في الزحام . لن استطيع ان آخذ نفساً واحداً .
 - انها دقائق معدودة ، اكرم ، لا تتصرف كالأطفال .
 - آه ، سلى آه .
 - لم اثر كل تلك الضجة ، اكرم ، لم تستح من الركاب ؟
 - ولم استحي ؟ - كنت اظنك انساناً خجولاً .
 - صحيح ، ولكني لم استطع ان اضبط نفسي ، ان ذلك
 الوغد قد الصق جسده بك بصورة فظيعة ، ومد ذراعاً وراءك .
 - ولكني لم احس بها . - انا احسست كل شيء .
 - لعله لم يكن سيئاً ، انية ، كما تتصور . لقد كانت النيازة
 شديدة الازدحام .
 - ربما ، ولكني لا استطيع ان اخرج وجهه من دماغي . انني
 لو انني قد حطمت رأسه .
 - الا يكفي انك قد حطمت حياتي ؟
 - اوه ، ليس في يدي ، ليس في يدي .
 - اكرم ، دمع الكتاب جانباً ، حيبي ، قم غيromلابسك ، لنخرج .
 - الى اين ؟ - الى عرس ماري .
 - الليلة ؟ - نعم نسيت ؟
 - لم انس فقط ، بل ارتبطت بوعد ايضا مع صديق .
 - تستطيع ان تؤجل الموعد ، حيبي .
 - ليس بمقدوري . . . اوه ، اكرم ، انا لا تحبني .
 - انا متأسف يا عزيزتي ، يجب ان تذهبي بمفردك .
 - نعم ، انا ذاهبة ، انا ذاهبة وحدي . لا اريد ان اعيش في
 عزلة دائمة ، انا لا استطيع ان احبس نفسي مثلك في خزانة كتب .
 اريد ان ادوق كل متع الحياة انا شابة ، انا انسان .
 - حسناً ، حييتي ، يمكنك ان تتالي كل متع الحياة ، ولكن بدون
 حضوري ، انا رجل عزلة ، انا اكره المجتمع ، انا اخشى الزحام .
 - انت شاذ ، انت مجنون .
 - شاذاً او مجنوناً ، انني لك ليلة سعيدة زاخرة بجمع الحياة ،
 وارجو ان يمينك جميل في الحصول على هذه المتع - متع الحياة
 المجنونة الملونة .
 - جميل افضل منك بكثير . ساراقصه حتى الصباح .
 - ها ها ها ، حتى الصباح ، حتى الصباح ، تعال يا ولد املأ
 كلسي بالويسكي ، اريد ويسكي ، اريد ويسكي . اريد .
 - ولكنك شربت كثيراً ، استاذ .
 - ليس هذا من شأنك . اريد ويسكي ، قلت اريد ويسكي

حتى الصباح ، نعم حتى الصباح . . . هي ترقص حتى الصباح ،
 انا اشرب حتى الصباح . ها ها ها . هو يعصرها بين ذراعيه . انا
 اعصر هذه الكأس . الكأس الغريزة اللذيذة ، حتى الصباح ها
 ها ها . لم تنظر الي هكذا ؟
 - انك غل ، استاذ ؟
 - انا لست غملاً ، اذهب من هنا ، اغرب عني . اريد ويسكي
 اريد ويسكي ، لا تنظر الي هكذا ، انك تقترسني بعينيك . اوه .
 انت طعامي ، طعامي المحب اللذيذ ، احب ان اجعلك لقمة واحدة
 وانتهي منك ، اريد ويسكي .
 - اليك الويسكي ، استاذ .
 - ها ها ها ، قلت اني غل ؟ نعم انا غل . هي ايضا غملة ، اقم
 لك اقسام لك بكل شيء . انا غملة ، بغير الويسكي ، بالحياة ،
 بجمع الحياة ، انا شابة ، انا انسان . انهم ؟ انه يطوقها بذراعيه ،
 انه يضغط بصدرة على صدرها ، ويجذده على خدها ، بيده على
 خصرها ، اوه انه يضغط ، يضغط يضغط ، النذل ، الوغد ، الخائن .
 - هل اوصلك الى البيت ، استاذ ؟
 - آه ، لا ، لا ، انا لا املك بيتاً . خذني حيثما شئت . انا راحيد ،
 انا شامي ، مجنون ، مجنون مجنون .
 - عودي اليه ، اسرع عودي اليه . لم اتيت الى هنا . انا
 اسألك لم اتيت ؟ اذهبي اليه ، لا تلسيني ، لا تعلقي بي . انت
 غريبة . انا لا اعرفك لماذا اتيت ؟ اذهبي الى احضانه ، تمتعي بالحياة
 بالشباب ، بالامم ، اليك غني ، اليك غني ، لا تلسيني .
 وبدفها بقوة ، فتسقط على الارض .
 وتلك آخر لحظات حياتها الزوجية .
 لقد دقت الساعة تمساً ، وطلع الصبح وضاحاً ينتفض من المشرق .
 واخذت الديكة تتصايح في الارباع البعيدة .

 وفي الظلال المعتمة ، يحدق الاستاذ اكرم ثانية في ربه الراعشتين
 ويتأمل هنية وجهها هي ، وجهها الجميل ، الصارم ، وشفتيها المكتزتين
 تقولان له ، وترددان مراراً : « ان طبعك المنكر سيحطم حياتنا .
 فيجبها : « اجل . . اجل . » ويظل شطراً من الطريق يردد
 هذه الكلمة بغير وعي ، ثم يعود الى غرفته ، حيث يجد في انتظاره
 الظلام ويرد الوحدة واشباحه . ويختطف دقة المذكرات البالي
 بحركة سريعة ويقذف به في الدرج الحشوي المظلم ، وينفض يارتيح .
 عبر الملك نوربي

ويلاً روحك في قيده حنين المشوق وشجر القريب !
ومن فلك الارض كم تطلقين خيالك فوق الفضاء الرحيب
يجوز مدار النجوم ويمعن في الانهيايات ، عبر النيوب !

قفي ، أين تمضين ، فيم اندفاعك ، من ذا ترين بأفق الشروق
وما هذه ؟ رجفة في كيائك مما تشد عليه القيود ..
تقرّد روحك في سجنه يريد يحطم تلك السدود
ليسو طليقاً خفيف الجناح وراء الزمان ، وراء الحدود !

قفي ، أين تمضين ؟ من ذا ترين هنالك عبر الفضاء العظيم ؟
وماذا يشوقك ؟ أم من ينادي ويومئ من شرفات السديم
تمر أمامك هذي الحياة مواكب مختلفات الرسوم
قتلون وجهك لا تنظرين وفي مقتليك ظلال الوجوم !

ألا كم تيسين في عالم تنبأى بعيداً بعيداً مداه
وفي عمق روحك شوق ملع جموح لظناه ، عنيف ظله
تراك هنالك تستلهين السموات سرّ الردى والحياه ؟ !
تراك هنالك تستطمعين خفايا الوجود وكنه الآله ؟ !

المتن من الارض ، فيم اغطفاك ؟ فيم انجذابك نحو الاعالي ؟
أأنكرت في الارض هول الفناء ، وظلم القضاء ، وجور الليالي ؟ !
تراك افتقدت جمال العدالة فيها ، فهمت بأفق الخيال ..
محبوة والهاً تنشدن الحقيقة في غامضات الجحالي !

أراذك في الارض سيل الدماء وبطش القوى والرزايا الكبر ؟ !
أراذك فيها شقاء الحياة أراذك فيها صراع البشر ؟ !
أمن صرخات القلوب الدوامي تمض عليها نيوب القدر
تلوذين في لحن ضارع بكون تسمى نعي الصور ؟ !

بلى ، هي هذي المآسي الكبار تعذب فيك الشعور الرقيق
تنتأين عن واقع رابع الى عالم عبقري .. سحيق ..
ويضي خيالك مستغرقاً هنالك بهويمه ما ينيق !
هو الوم ، عالمك الشعاري ، المثالي ، مسرى الخيال الطليق
توحدت فيه بأشواق الحيارى .. بهذا الحنين العميق !

هروب

الانسة فروى عبد الفتاح طوفان

نابلس

كهرت حقائق دنيا الورى وممت بأوهام دنيا الخيال
فا يتصّاك الا الرزى وسحر الطيوف وسحر الظلال
متى يا ابنة الوم تستيقظين متى يتجلى عنك هذا الخيال
افيقى ، كفك ، لقد طال مسراك عطشى وراء سراب الرمال

تيسين في ذهلة الحالمين بعيداً بأفاق كون عجيب

صناعة الموسيقى في الف ليلة وليلة

ترجمه من نصار

لباسني في الآداب

« في الزوايا خبابا » مثل عربي

أخيراً

يجب علينا ان نتناول الموسيقى لذاتها بعد ان ناقشنا كل احوالها الاخرى في « اليابالي ». وزي في هذا البحث ناحيتين، اذا اتبعنا الطريقة العربية المرضية ، اعني الناحيتين النظرية والعملية ، اللتين تعطيانا علم الموسيقى وفنهما ، اللذين لم يفهما كبار الثقات الذين كتبوا عن « اليابالي » الى درجة كبيرة . فقد انهمك لين ، الذي يوضح معظم مسائله ، في ذلك الرأي الضعيف ، الذي يورده كثيرون ، ذلك الرأي القائل بأن السلم العربي تألف من « تقسم النغمات الى اثلاث » ، وقد دون هذا الرأي في كتابه « المصرون المحدثون » . ولا نستطيع ان نلقي كثيراً من اللوم على اكتناف المستشرق العظيم بسبب هذا الخطأ ، اذ ارتضاه المتخصصون امثال فلوتو Villoteau وفيتس Fetis وغيرهما ممن اذكروا . اما ما كان في ذهن هؤلاء الكتاب جميعاً فهو نظرية « المدرسة المنهجية » Systematist School التي لم يستطيعوا فهمها . فقد وجدت ثلاث مدارس فكرية متميزة في علم الموسيقى خلال الفترة التي تناولتها « اليابالي » وكان السلم في جميع الاحوال فيثاغوري الاساس . والمدارس الثلاث هي : (١) المدرسة العربية القديمة (من القرن السابع الى العاشر) ، (٢) المدرسيون (شرح الفلاسفة الاغريقية) (من القرن التاسع الى الثالث عشر) ، (٣) المدرسة المنهجية (من القرن الثالث عشر الى السابع عشر) وخطأ لين والآخرين في فهم سلم المدرسة الأخيرة واعتبروه « تقسماً للنغمات الى اثلاث » على حين كان « الطنين » مقسماً بالفعل الى ثلاث فترات متتالية من ٢٤٣ : ٢٥٦ و ٢٤٣ : ٢٤٥ و ٢٤٨ : ٥٢٨٨ :

١٤١١ . ومع ذلك لا تذكر « اليابالي » هذه المدارس ، ولا تذكر « اصعب العلوم الرياضية » على صفحاتها النفسية ، اذا اغضينا النظر عن ادعاء « تودد » بأنها تعرف كل ما يتصل بفن الموسيقى . ولذلك ليس من الغريب ان يسأل العلماء والفقهاء القينة الفخور عن جميع العلوم تقريباً لمعرفة علمها الذي افتخرت به ، على حين لم تبذل اية محاولة لاختبارها في فن الموسيقى . فمن اذن لسنا في حاجة الى تكليف انفسنا مشقة البحث في هذا الموضوع المعقد ، اذ لم تناقشه « اليابالي » كما قد رأينا ، فيما عدا ملاحظات لين .

ولكن النظرية العملية الممن النظرية العلمية ، لان مصطلحات هذا الوجه من الموسيقى تظهر في « اليابالي » في كثير من صفحات حكاياتها ، بل تفوق الصفحات التي تذكر فيها المصطلحات الصفحات الحالية كثرة ، بما يعث الاضطراب الى القارئ العربي ، وان كانت الترجمات الاوربية لا تحيرنا في اي مصطلح ، لان المترجمين اولوا معظمها تأويلاً مرضياً ان لم يكن حسناً . ولهذا السبب ليس من المبالغة ان نقول ان المشكلة تستحق من التفكير اكثر مما منحت ، ذلك الامر الذي دل عليه استحصان بروتون المفرط لملاحظة واحدة اثارها باين عن الموضوع ، على حين لم ينبغ لين هذه المشكلة ، التي كان ينبغي ان تدفعه شهرته كفكري الى تناولها ، لم يمنعها اين سطرأ واحداً له قيمته .

ومع ذلك ينبغي ان نسلم بان المصطلحات الموسيقية للنظرية العملية ، كما تظهر في « اليابالي » ، صمة على الادراك . ويرجع كثير من الحيرة الى الاستعمال المبهم للانفاظ ، ولكن المرء

يستطيع عادة أن يرجع الصعوبات التي يصادفها الى الأسباب التالية :

(١) ليست العبارات الاصطلاحية متحدة المعنى على الدوام بسبب اختلاف عصور تأليف الحكايات ومواطنها .

(٢) لعل المترجم يستطيع أن يجد الكلمة العربية اللاتقة في تلك الحكايات المترجمة عن اللغات الأخرى .

(٣) يجب أيضاً أن نعد جهل الكاتب أو الراوي من اسباب هذه المصطلحات المضطربة .

ولما كان واضعوا النظريات الموسيقية العربية تناولوا الموسيقى منذ قدم الزمن على انشاء مؤلفة من قسمين اساسيين : اللحن ، والإيقاع . يظهر من المستحسن ان نضع طريقتهم تلك . وكلمة « لحن » هي الكلمة العربية المقابلة لكلمة « melody » عادة ، وتستعملها « الليالي » بهذا المعنى ، وان كانت منحت كلتي الغناء والمعنى هذا المعنى في موضوعين . وقسمنا الثاني هو الإيقاع ، المعروف عادة باسم « rhytm » ، وان لم تستعمله « الليالي » . وكذلك يمكن ان تشير كلمتا « ضربات » و« حركات » الى الإيقاع .

والموسيقى في « الليالي » اما غنائية او آلية ، كما هو الحال في الكتب الأخرى . وتستعمل « الليالي » كلمة « صوت » بمعنى « قطعة غنائية » اما غنائية او آلية ، وبهذا المعنى يستعملها كتاب الأغاني ايضاً . وتطلق كلمة « الغناء » في اللغة العربية عادة على « عملية الغناء » و« الأغنية » . فهي اذن عامة ، على حين تنطبق الكلمات الخاصة مثل « انشودة » و« ترتيل » على « الأغنية الإيقاعية » و« الأغنية غير الإيقاعية » خاصة . ونقرأ ان المعنى « غنى » او « انشد » ، ويقال عن « الآلات » عادة انه « ضرب » او « طرب » او « عمل » او « حبل » آلة هي « العود » في « الليالي » عادة .

ولكن يجب ان يعترف المرء بان استعمال كلمتي « انشد » و« غنى » مضطرب في الغالب ، وان افترضت ان الأخيرة عامة والاولى خاصة . ويظهر انهم كانوا يعنون في بعض الاحيان نوعين متباينين من الموسيقى الغنائية . ولناخذ مثلاً فقرة من حكاية علي ابن بكار وشمس النهار : « اسرجارية من الجوارى ان تغني فأخذت العود واصلحته وجسته وضربت به ثم انشدت تقول شعراً . فيبدو في هذه الفقرة ان الانشاد هو الغناء . ومن ناحية أخرى يقال في نفس الحكاية ان الجوارى « يغنين وينشدن الأشعار » مما يجعلنا نظن ان الانشاد والغناء ليسا شيئاً واحداً . وللمرة الثانية قد نعزو هذا التعارض الى جهل الكاتب أو الراوي ، او اهماله .

وكانت الموسيقى العربية في عصر « الليالي » الذي يند قروناً عدة تدبر بحسب سلم معروف كمالها اليوم . وينطبق هذا الوصف على اللحن والإيقاع كليهما . وكان اللفظ العام الذي يقابل كلمة « mode » عند الأوروبيين ، اللحن منه أو الإيقاعي ، هو « الطريقة » (الجمع : طرائق) او « الطريقة » (الجمع : طرق) . كان ابن روى ان كلمة « طريقة » اخذت هذا المعنى متأخرة بعد العصور القديمة « الكلاسيكية » ولكن استعمالها في كتاب الأغاني والكتب الأخرى يعارض هذا الرأي ، اذ تطلق هناك على « الطرق » اللحنية والإيقاعية .

ونجدهم يذكرون احدى وعشرين ، واربع وعشرين من هذه الطرائق أو الطرق مؤداة الواحدة بعد الأخرى ، وان كنا لا نستطيع ان نوقن : اذا كانوا يشيرون الى الطرائق اللحنية او الإيقاعية ، الا في موضع واحد ، في حكاية اسحاق الموصلي والتاجر حيث يقال عن احدى القيان « غنت طرقات شتي بألحان غريبة » .

ثم لدينا اللفظ الذي يشير الى الصردة الموسيقية ، اعني : النظام أو الأسس ، التي تؤلف وتعرف عليها الموسيقى . فيقال لنا ان احدى الموسيقىات البارعات « ضربت عليه (العود) احدى عشرة طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى » ذلك العمل الذي ربما كان يشبه ما يسمى عندنا rondo ^(١) شيئاً كبيراً .

وييل المرء في بحثه عن الآثار التي تساعده على التغلب على المراقيل والوصول الى حقيقة الاشياء ، يميل الى ان يصف الطرق التي « تطرب » في الطرق اللحنية ، والتي « تضرب » في الإيقاعية ، ولكننا لسنا على يقين من ذلك التمييز ، لانه من السهل جداً على الناسخ غير المدقق ان يخطئ في قراءة كلتي « طرب » و« ضرب » فيحرفهما . ولكننا نستطيع في بعض المواضع المتناثرة ان نغير الموضع الذي يشيرون فيه الى الطرائق اللحنية ، ولولم توجد كلمة « طريقة » . مثال ذلك في « حكاية ابراهيم بن المهدي والمزني » التي تقول ان احدى المغنيات « اطربت بالغناات » . وتقول عبارة ثانية في « حكاية محمد الأمين والحارية » ، « غنت بأطيب الغناات » . وتوجد اشارة ثالثة في « حكاية ابي الحسن وجاريته تودد » اذ يقال ان توددا « ضربت عليه (العود) اثني عشر نغماً » . وقد الفت كل هذه الحكايات في « العصر الذهبي » للإسلام ، في وقت كانت تغت فيه كلمة « نغبات » (المفرد :

(١) تطلق هذه اللفظة على قطعة موسيقية يتكرر فيها اللحن الاصلي عدة مرات .

يستعملون عادة « القطعة » ، فيستخدمون بيتين او ثلاثة في العادة تؤلف ما يسمى « النغمة » في الغالب . وربما كان سبب استعمالهم البيتين القاعد في الموسيقى الثنائية عندهم وجود عبارتين موسيقيتين ومن الطبيعي انهم استعملوا في بعض الاحايين صورا طويلة . وكان يصحب معظم المقطوعات الغنائية عادة « بشرو » (مقدمة آلية) و « خم » (خاتمة موسيقية) ، وان كانت « الليالي » لا تذكرها ولما تشير طبعا الى الاغنية التي يصاحبها .

ولا توجد اشارة الى صورة خاصة من الموسيقى الآلية في « الليالي » . والاشارة المحددة الوحيدة الى ما يشبه ذلك توجد في « النوبة » التي يرد ذكرها مرارا . وكانت هذه النوبة الجلوة الغنائية والآلية القديمة الوحيدة عند العرب . وقد لاحظنا من قبل ان المفظ كان يطلق على الفرقة العسكرية ، لانها هي التي تؤدي النوبات الجلوس اليومية . واطلق لفظ « النوبة » على موسيقى الغرف لنفس السبب . فقد كان لموسيقى البلاط في عهد الخلفاء العباسيين الاولين ساعات وابام خاصة لحفلاتهم ، وتشير « الليالي » الى ذلك حين نعين احدى المغنيات ليوم الثلاثاء . وكانت هذه النوبة هي التي اسبغت اسمها على الموسيقى التي تعرف في تلك المناسبات .

ونقرأ في « الليالي » عن غناء « نوبة كاملة » و « نوبة مطربة » وقد اخذت هاتان الاشارتان من حكايتين قديمتين ، هما « حكاية خليفة الصياد البغداي » و « حكاية ابراهيم بن المهدي واخت التاجر » ، ومن الحق ان الاشارات التالية في حكايتي « علاء الدين ابو الشامات » و « نعمة بن الربيع وجاريتيه نعم » قديمة ايضا . واطلقت الكلمة ايضا على فرقة آلية ، اذ يقولون ان جارية « علمت نوبة » على العود ، على حين نقرأ في قصة اخرى عن المازفة التي « ضربت نوبة » على هذه الآلة . وتبين هذه الاشارات انهم يعنون حركات النوبة المختلفة ، الغنائية او الآلية وحدها ، وان لم يذكرها ذلك صراحة . ولكنهم يوضحون ذات مرة وجود الحركة الفعلية المؤداة ، وذلك حين يجبروننا ان عازقة اخذت « العود وعلمت نوبة (ثم) دخلت في دارج النوبة » . ومن الواضح ان هذا « الدارج » احدى حركات النوبة ، وقد اخذ اسمه من احدى الطرق الايقاعية التي تتحلى بهذا الاسم الذي يبدو انه لم يذكر فيا قبل القرن الخامس عشر الى القرن السادس عشر . ونحتوي نوبات مراكن وتونس والجزائر الحديثة على حركة تسمى « الدارج » ، ايقاعها هو ايقاع « الدارج » .

ويبدو لي من المرغوب فيه ان أختم حديثي بكلمة عن اصطلاحين

نغمة (موقف كلمة « notes » في الانكليزية ، بينما كانت كلمة « نغم » (المفرد : نغم) تعني لحن « melody » ولم تصبح كلمة « نغمات » بمعنى كلمة « طرق modes » الا بعد ذلك بكثير ، اي بعد القرن الرابع عشر يقينا ، وان كان من الواجب ان نتذكر ان الكلمتين مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً ، كما نعرف من الكلمة الاغريقية « Tonal » التي تعني « انغماساً notes » و « طوقاً modes » . ويظهر لي ان الكاتب او الراوي استعمل في هذه الحكايات وما شاكلها ، مادة قديمة ، ولكنه صاغها في الفساذ اكثر حداثة وجدة .

ومن المحتمل ان تكون الاشارة في « حكاية الملك عمر بن النعمان واولاده » الى المغنية التي « غيرت الضرب » او المغنية الاخرى في « حكاية اسحاق الموصلي والتاجر » التي « احكمت الضربات » او السيدة التي « ضربت عليه (العود) بأحسن حركاتها » في « حكاية علي نور الدين والجارية مريم » موجهة الى الطرق الايقاعية .

ويواجهنا الآن السؤال التالي : لماذا تطلق عدة اسماء على الشيء الواحد ؟ وقد وضحت الجواب بعض التوضيح ، ولكن يجب ان نصر على ان كلمتي « مارنق » و « وطوق » قديمتان وليستا حديثتين ، على الرغم من ذهاب لين الى خلاف ذلك . فقد وردتا في قصص يمكن اعتبارها جد قديمة ، واننا نعرف ان كلمة « طوق » (الجمع : طروق) كان لها معنى مشابه عند الليث بن المظفر (القرن الثامن) وبقيت حتى عصر « تاج العروس » . اما كلمتا « نغمات » و « ضربات » بمعنى الطرق اللحنية والايقاعية فتأخرتان ولا تزالان شائعتين في مصر .

وكان لكل هذه الطرق اللحنية والايقاعية اسماء خاصة ، توجد قوائمها في كتب اخرى . ولكن « الليالي » لا تذكرها ، فيا عدا مقطوعة صغيرة تشير الى الايقاعين التثليل والحفيف في « حكاية خليفة الصياد البغداي » . وهما المقطوعة :

ايا ذا الطار قلبي طار شوقاً
ويزمخ من جواه واثت تضرب
فلم نأخذ سوى قلب جريش
على توقيمك الانسان يرغب
فقل قولاً ثيبلاً او غفياً
ولمن ما تشاء فانت نظرب
وطب واخلع عذارك يا محب
وقم وارقص وصل واعجب وعجب
ومع ذلك قد لا يكونان اسمين للطرق الايقاعية بالفعل ، ولما يشيران الى الضربات الثقيلة او الخفيفة في الايقاع ، او كما يسميها صاحب الدف المربي الحديث « ضربات الثم » او « التلك » . وليست صور الموسيقى الغنائية كثيرة في « الليالي » . ولما

آخرين مستعدين في الموسيقى الآلية. اذ يوجد في «حكاية الفيلسوف البغدادى وجاريته» عبارة تستعمل كلمتي «طرق» و«طريقة» بمعنى يختلف قليلاً عن المعنى المقبول والمعروف. وهما العبارة التي نعتيها: «أخذت العود وغيرت الطرق طريقة بعد طريقة»، وضربت على الطريقة التي قد تعلمتها». ومن الواضح البين ان كلمة «الطرق» (المفرد: طريقة) في هذا الموضع تعني «تنعيم Tuning» او كما يقول الموسيقيون «accordatura». وقد رأينا ان كلمة طريقة تعني «mode»؛ ولكن بينا يمكن القول ان كل وتر يعطي «طريقة» بحسه، او اذا تحرينا الدقة «جنساً» من «الطرق» يجب ان نترجم اللفظ في صدر هذه العبارة ترجمة مخالفة لذلك، ونجمله «نغمة» لتوضيح العبارة. فتصبح الترجمة: She took the lute and altered the accordatura by note (طريقة) and played in a mode which she had learned (طريقة) from me اي أخذت العود وغيرت التنعيم، نغمة بعد نغمة، وضربت على الطريقة التي قد تعلمتها مني.

هناك كلمة اخرى ذات اهمية اصطلاحية، وهي كلمة «جس» التي تعني «مس» بالاصبع finger او «فحس» to thrum . ويقول كتاب «مفاتيح العلوم» (القرن العاشر) ان الاسم «جس» يعني في الاصطلاح «نقر الاوتار» (اوتار العود) بالسبابة والايمام دون المضارب. ويقول احد الامثلة في «اليالي»: «أخذ العود وجسه». فترجمها برتون متلفاً He took the lute and swept the strings «اي» أخذ العود ولمس اوتارته. ونقرأ في عبارة اخرى: «جس العود» في ترجمها برتون: «He turned it (the lute)» أي «دوره» (العود). وهذه حالة ثالثة، أكثر تجديداً: «أخذت العود واستندته الى نهدبها وجسته بأناملها» فيلخصها برتون في قوله: «She took the lute and swept the strings with her fingertips» اي «أخذت العود وجسته بأطراف أصابعها».

خاتمة

«قصة كل انسان ما يحسنه» مثل عربي

بالوقف العدائي الذي وقفه بعض الفقهاء المسلمين من الموسيقي، ذلك الشعور الذي كان مبرراً جداً في الفترة التي تناولتها «اليالي» ورؤى ذلك الموقف في «حكاية ابني الحسن البلق» «المعزوم للموسيقى والملاهي الاخرى الى درجة جعلت امام المسجد وشيوخ النابعة يشكون مسلكه الى الوالي. فعاقيه الوالي بغرامة لازعاجه جيرانه. فغضب ابو الحسن من هذه المعاملة، وصرح ذات يوم للخليفة هارون الرشيد، وهو لا يعرفه، انه لو اعطي السلطنة لجلد هؤلاء الشاكين الف جلدة. وحدث ان حققت رغبته، فجلد الخليفة المزيف الامام والشيخ كما اراد. وبعد جلدهم صرفهم بقوله لهم ان ذلك جزاء من يزعم جيرانه.

وهي قصة مسلية، ولا شك في انها حازت تصفيق الجمهور في المقاهي والاسواق. ولكن يتضح من القصة ذاتها ان الاسام والشيخ كانوا يحتمن يسرون على القانون في هذه الحادثة. فقد كان ابو الحسن زميلاً لبقاً، ومن الواضح ان انهماكه في الموسيقى والملاهي الاخرى كان من الصعب بحيث لا يتأمرنا شك في ازعاجه جيرانه واستحقاقه العقاب. ولو كان مسلماً حقاً لما جار على حقوق الآخرين، لان «الحيا من الايمان».

ويستطيع المرء ان يلح الى حد ما موقف الناس الجادين من الموسيقى حين رؤاها في صجة الحر والنساء، فهذا اسحاق اليهودي يصبح مهذا الناس باوليل. . . لاستخدامهم القانون، والعود، والناي في افراحهم ونسيانهم الله. ويحدث نفس الامر للقديس كلمنت الاسكندري الذي ظن ان لو اشغل الناس بالناي والقانون قست قلوبهم وعصوا الله ولكن ابن ابني الدنيا المسلم كان اكثر تحديداً في لومه حين قال ان كل اسراف يبدأ مع الموسيقى وينتهي مع الحر.

ومع ذلك ليست الموسيقى شراً في ذاتها، وان كانت قد تصاحب الشر. وان المرء يضطر احياناً الى التعجب مما اذا لم يوجد وراء كل هذه المعارضة من المتشددين شي. من الحسد ليعاج الموسيقي؟ تأمل في موقف القديس كريسوستم St. Chrysostom المسيحي، الذي كان يعظ سنة كاملة ضد الملاهي المضحكة، لانه رأى الكنائس خالية في الاسبوع المقدس، وان امتلأت المسارح بالجامع الغفيرة. وتدير مسلك النبي محمد الذي صب كؤوس غضبه على الشعراء الوثنيين الذين كانت تلاقي قصصهم الفكاهية عنابة اكثر مما يلاقي وجهه. وانظر رجال الدين المسلمين المتأخرين او

نوهده في «اليالي» حكاية جذرية بان نغم بها هذه الدراسات عن موسيقى تلك «اليالي» «الشينة»، وخاصة لاني اشرت الى الموضوع في ملاحظاتي الاولى. وهي تتعلق

القهاء الذين يهزون رؤوسهم اسفاً ولوماً لهؤلاء الذين يصبون ذهبهم الذي لا يحصى في حجر المغني الذي يغني ويعزف في بلاط الحليفة فهم لا يختلفون ولو قليلاً عن القس المسيحي لنجلاند Langland الذي صب لعائته حين رأى الاشراف الانجليز يمدقون الهبات على طبقة الموسيقيين .

والطبيعة الانسانية واحدة في الشرق او الغرب ، ولنسنا بمستطيعين ان نوقن ان الغضب للحق هو الذي دفع الانبياء والاولياء على الدوام الى معارضة هذا الانهك في الموسيقى وحتى لو كان الامر كذلك ، فان قليلين هم الذين اقتصروا « الاثم » بهذه الطريقة ، واقل منهم الموسيقيون الذين كوفروا « بالدينار » او « الشكل » او الذهب جزاء لمساعدتهم على اقرار انهم . ولم يكن جمهور الناس قادرين على الانهك في « النجر والمرأة والاغنية » كما كانت الكتلة الهائلة من طبقة الموسيقيين في فقر فسأ الكنييسة الذي يضرب به المثل بالنسبة لتيرهم . والحق في سطو في « الف ليلة وليلة » يقول : « واما جرف اولى الصناعات فتغير فاضلة عن الاقوات » .

واخيراً ، هذه المعارضة المتشددة للموسيقى باطلة تماماً ، اذ من غير المعقول ان نعدم الفاكهة او اللعوم لارتباطها بالحر والنساء ، كما يقول ميسونيدس Malmonides بل للموسيقى اقبل إستحقاقاً للاعتماد ، لانها في ذاتها ليست خيراً او شراً . ولا يمكن تصنيف الموسيقى او اخضاعها للتصنيفات . فهي تتحدى كل هذه الحلول ، ومن يبحث عن حل ، ينبغي ان يكون الهماً ، كما يقول جلوبكون Glancon ونحن لا ندرى كيف ولماذا تؤثر الموسيقى فينا . ومن الحق اننا لازلنا بعيدين عن معرفة الاسباب الحقيقية للانفعال بنفسه .

وقد تجنب الفارابي الفيلسوف المسلم العظيم شرح الظاهرة بكل براعة ولكنه على الاقل عرض الخطأ القائل بأن الموسيقى تثير العاطفة او الحالة الروحية . وبالعكس ، اصر على ان الموسيقى نفسها ، في العازف او في المستمع ، تثيرها عاطفة او حالة روحية ، وان كان المنطقي قد يجيب على ذلك بأن هذه تفرقة دون وجود فرق . ويبدو ان شوبنهاور ضمن الفرض حين قال ان العالم ليس الا موسيقى محققة . فالموسيقى عنده توجد في لب الاشياء ، وتعيش على جوهرها ولعلنا اذا استطعنا ان نغذ الى ما وراء الحجاب ، وجدنا الموسيقى مفتاح الوجود ذاته .

مصطفى نصار

القاهرة



الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدونها شهر
كانون الثاني (يناير)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجلنتين ٥٠ ريالاً

اشتراك الاخصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اقل
في الخارج : ٢٤ جنيه مصرياً او استرلينياً
او ٦٠ دولاراً كحد اقل



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●
للاعلان تراجع ادارة المجلة



ادارة الاديب : باب ادرسي ، شارع الكتبونية

تليفون { الادارة : ٩٧ - ٩٢ Direct : 47 - 92
للنقل : ٣٧ - ٩٨ Dele. : 37 - 48 } Tel.



صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أوب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

هل الشقاق طبع في العرب ؟

بم محمد ادب العامري

نار

هذا السؤال في ذهن الأستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة فكتب به الى الأستاذ ساطع الحصري ، المفكر العربي المعروف . وقد جال السؤال في اذهان غيره من المفكرين في جمع البلاد العربية على اثر هذا التدابر المنكر الذي ظهرت به الدول العربية في قضية فلسطين . ولم ذكر المفكرون حقاً في هذه الفترة العصبية المؤرخ الاجتماعي العربي ابن خلدون ، لانه اول من لفت النظر في صورة عقلية الى خصال العرب وسلاوهم في الاجتماع وال عمران .

وقبل ان ادخل في البحث الفت النظر الى كلمة « طبع » التي وردت في السؤال ، فان المقصود منها « السجية التي جبل الانسان عليها » . والذي يجب ان نفهمه منها هو « الغريزة » في الاصطلاح العلمي الحديث . والغريزة او الطبع او الطبيعة ساوكة يخلق مع الانسان خلقاً ولا يكتسبه . وهو خلاف التطبع او الاكتساب في الاصطلاح الحديث . فالسؤال الذي نحن بصدد الجواب عنه اذن يمكن ان يكون « هل الشقاق غريزة في العرب ؟ » . ومن المعروف عند العلماء ان الامر اذا كان غريزياً انعدمت الحيلة في محوه ووجل ما تستطيع ان تصنع هو ان تعدل من مظهره بعض الشيء . اما اذا كان الامر مكتسباً فشكلته اهلون ، اذ تستطيع في هذه الحال ان تعدله تعديلاً كبيراً او تنحوه نحواً .

ولقد اجاب الأستاذ ساطع الحصري عن هذا السؤال بان الشقاق ليس طبعاً في العرب ولكنه طبع في جميع الناس . ويكفي من هذا الجواب انه اذاح عنا كلبوس الفكرة السني زرعها ابن خلدون ، فكان اثرها سبباً في التاريخ . وجواب الأستاذ الحصري على كل حال كبير القيمة لانه يأتي من رجل واسع الاطلاع . ومن حسن الحظ ان الكاتب الكريم أشهد على الناحية التاريخية في

اثبات هذه القضية ؛ لان جميع الذين عرفوا طرفاً من العلم الطبيعي (والاستاذ الحصري منهم) يعرفون الجواب عن السؤال في بداهة ويسر - الشقاق ليس طبعاً في العرب . ولكنه ليس في نظري طبعاً في غير العرب كذلك ، وستقل مظاهره شيئاً فشيئاً اننا . سير ركب المدينة الحديثة حتى يكاد يتلاشى على الشكل الذي نعرفه اليوم ، دغ عنك الشكل الذي عرفناه في الماضي .

وستكون خطي في هذه المقالة ان اخص رأي الأستاذ ساطع الحصري ، ثم اعقب عليه بالرأي الذي ارى . والجوابان لا يختلفان كثيراً لكني اعالج السؤال من الناحية العلمية - الاقتصادية والطبيعية حتى حين ان جواب الأستاذ الحصري يستند الى الناحية التاريخية .

والاستاذ الحصري يعتقد اننا نرى العرب طبعوا على الشقاق لاننا ننظر الى تاريخ العرب من قرب نظرة تفصيلية فنطلع على كثير من دقائقه ، دون ان نحيط علماً بمجملته الاساسية « بعبارة اخرى نحن نرى مظاهر الشقاق في تاريخ العرب لاننا كمرب ندرس هذا التاريخ بالتفصيل . ولو نحن درسنا تواريخ الامم الاخرى بالتفصيل عينه لرأينا فيها مظاهر شقاق لا تقل عما نرى في تاريخ العرب ويورد الأستاذ الحصري امثلة من امم العالم المختلفة تدل حقاً على ما يشير اليه . وهو يبدأ بقضية الاختلافات الدينية فيقول : « احصوا المذاهب المختلفة التي نشأت في الغرب منذ ظهور المسيحية في مختلف البلاد الاوروبية خلال القرون الوسطى ، وخلال النصف الاول من القرون الاخرى نجد انها لم تكن قط اقل تنوعاً ولا اخف عنفاً مما حدث في العالم العربي ، خلال الازمنة المذكورة ان لم تكن اكثر تنوعاً واشد عنفاً » .

وعندما يتحدث الأستاذ ساطع عن الاختلافات السياسية

يلاحظ ان الامبراطورية العربية نشأت بسرعة وامتدت اطرافها الى اقاصي لا عهد للامبراطوريات بها . ثم يتساءل : كيف يمكن ان تبقى تلك السلطنة المتزاية اطراف مصونة من مغبة الانقسام مدة طويلة من الزمن ، بالرغم من اختلاف الشعوب الكثيرة التي دخلت تحت حكمها وبالرغم من المسافات الهائلة التي كانت تفصل نفوذها من عاصمتها ، وضالة الوسائط التي كانت تضمن اتصال هذه العاصمة بتلك الثغور ؟ ويقارن الاستاذ هذا باليونان والحروب التي كانت تنور بين مدنها . ويقول « لقد حدثت هذه المناسبات والحجرات بين تلك الدويلات ، مع ان المساحة التي كانت تجري فيها المناسبات والحجرات اقل من مساحة بعض المديرية في مصر والمحافظة في سورية والمتصرفيات في العراق ».

ثم يتحدث عن الرومان ويقول : « استعرضوا تاريخ روما بنظرة فاحصة ولاحظوا اكمين المنازعات قامت بين مختلف الطبقات الاجتماعية حتى في مدينة روما نفسها ، وحتى في عهد الجمهورية ، وكمن الحروب الداخلية نشبت بين القواد في عهد الامبراطورية ، وكيف أصبحت الجيوش ذات الكلمة النافذة في تنصيب الابهارة ».

والاستاذ الحصري لا ينسى امثلة من الدول الاخرى فيور يأخذ فرنسا مثلاً ويورد قول المازوخ فرنسي مشهور (أونست لافيس) والقول هو :

« لقد مضى عهد من التاريخ كانت فيه فرنسا شبيهة ببلدونييا الحالية ، منقسمة الى اجزاء كبيرة متنافسة متنايدة متنافسة متخاصمة ، وقد وجب ان تسيل الدماء ، مدراة حتى تلتحم هذه الاقسام المختلفة فتصل فرنسا الى وحدتها الحالية » وهو يضرب المانيا مثلاً كذلك فيقول انها : كانت منقسمة الى اكثر من ثلاثمائة دولة ودويلة ، حتى اوائل القرن الماضي ، وكانت لا تزال منقسمة الى تسع وثلاثين دولة قبل ثمانين عاماً فقط .

ثم يعالج الاستاذ الحصري مسألة الشقاق عند العرب من اصلها ، الى منذ جعل منها ابن خلدون ما يشبه القساعة الاجتماعية ، وهو ينقل عن ابن خلدون قوله : « والعرب اصعب الامم انقياداً بعضهم لبعض ، للغلظة والانفة ، وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة ، فقلما تجتمع احوالهم من اجل ذلك لا يحصل لهم الملك الا بصعوبة دينية ، من نبوة ولاية او اثر من الدين على الجملة » . ويقارن الاستاذ الحصري اقوال ابن خلدون في هذا الباب بعضها ببعض ثم يستنبط منها استنباطاً لا رد له وهو انه قصد « بالعرب » العربان او البدو واما ان الملك العربي كان يقوم على الدين فظاهرة اثبت الاستاذ

الحصري ان الممالك الاخرى في العالم خضعت لها كما خضع العرب ، وهو قول ظاهر الصحة كما يذكر كل من مر بتاريخ العالم اسراً . وينتهي الاستاذ الحصري بحجته بقوله « لا يوجد في طباع الامة العربية ما يجعلها شاذة عن سائر الامم في امر الاتفاق والانشقاق » . ذلك ما قاله الاستاذ الحصري ملخصاً . ولو اردت ابداء الرأي قلت ان الاستاذ يحسن ان يتوسع في الجواب عن هذا السؤال توسعاً يجعل هدفه الرد المقابل لآراء ابن خلدون في هذا الموضوع ، وفي قابلية العرب للعمران ، على ان يضيف الى ذلك الاسباب الطبيعية التي ميزت البدو (لا العرب) بصفات خاصة تدعو الى الشقاق ، والدواء الذي تقدمه الحضارة العلمية الحديثة لهذه الظاهرة الخلقية في العرب او في غير العرب ، ان رسالة كهذه من شأنها ان تكون عنارة في تاريخ العرب الفكري ولا بد ان يذكر العرب طاول تاريخهم ان الاستاذ الحصري قضى على الفكرة التي ولدتها باطلاً فصول ابن خلدون في مقدمته وانه اضاف الى العقيدة المتينة التي يحسها كل عربي من انثائه لهذا الورق الذي انتج تلك الحضارة الرائعة ، والذي يتأهب للاشتراك اللاتني بركب الجسارة العالمية الحديثة .

وبعد فاني الفت نظر القاري الكريم حين يفكر في العرب والدول العربية الحاضرة ، ويقارن هذا الشعب بغيره من شعوب العالم اليوم ، او يقايس بين الدول العربية والدول الاوروبية او الاميركية الفت النظر الى ان المقارنة لا تمت ، تكون مقارنة بين شعب يخرج من ظلمات بظلمات القرون الوسطى ، ومن تحت نير اجني من الحكم اثقل كاهله في كل مكان ، وما يزال يتقل كاهله في اماكن مختلفة منه . وانت تحتاج الى ان تعيد هذه الشعوب الاوروبية او الاميركية المتحضرة ، مئات من السنين الى الوراء فتضعها قبل الثورة الصناعية ، وقبل الانقلاب التجاري الذي وقع اثر افتتاح امريكا ، وقبل تلك الانتلالات الحقوقية التي ولدتها الثورة الافرنسية وثورات ١٨٤٨ في مختلف ممالك اوربا ، تحتاج الى ان تضعها قبل ذلك كله ، لتصبح المقارنة ويكون الحكم صائباً . ولو انت اقت المقارنة على هذا الاساس خرجت بحكم يضع العرب من حيث الشقاق او التفاتق في صف قريب من صفوف الامم الاوروبية التي يدل تاريخها قبل هذه الاحداث على اختلافات داخلية مريرة .

اضف الى ذلك ان القرن التاسع عشر شهد توحيد الامم الاجنبية على اساس الزعة القومية . فانتهى القرن التاسع عشر حتى كانت شعوب اوربا منتظمة في امم ذات دول ودساتير تضم شتاتها

وتحفظ كيانه وان هذا الدور لم ير بالعرب بعد . وما وجود هذه الاقطار العربية وعلى رأس كل قطر دولة ، الا دليل على ان العرب لم ينتعوا الى اليوم بالفكرة القومية التي نضجت في اورب ، الى حد تكاد به تخرج من نطاقها الى نطاق اممي يخص الناس من شرور العنصرية .

ومع تأخر العرب في هذا المضمار بسبب الوان الاستعمار التي انتابت اقطارهم كما اسلفت ، ظلوا كذلك خاضعين الى اليوم في نواحي كثيرة من بلادهم للنظام القبلي تؤثر فيه خصائصه ، وللحياة الصحراوية التي ينتج منها طبع خاص وحالة اقتصادية معينة . وهذا كله انتج الطابع العربية التي نعرفها من صيد في الحلق و« فردية » في التزعة وحساسية تؤدي الى النفور والتفرقة .

فالنظام القبلي الذي عم شعوب العالم كلها كما يقول مورجان ما يزال سائداً في الحياة العربية بدوية وقروية وحضرية . ولا يقضي على هذا النظام الا التركز في القرى والانصراف الى العهد المشر والالتكئ في المدن على الاساس الصناعي الحديث - هذا الاساس الذي يزيد بطبيعته من قيمة الفرد ويض من قيمة العائلة والقبيلة في الوزن الاجتماعي . ولقد حارب النبي النظام القبلي حرباً شديدة تشهد بها آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية الملاحظة من اثر ذلك النظام في عاقبة التقدم والرفق ، وهذا النظام القبلي الذي ساعدت على بقاءه الصحراء الواسعة ، هو الذي ولد الفاخرة العربية والصيد العربي الذي اشرت اليه . ففصلو الامة العربية اذن يجب ان يقرأ البدو جميعاً في قرى معينة ويخضعوا للنظام الذي تتطلبه الحياة المستقرة الرتبة .

واما الحياة الصحراوية فأنها باقها الواسع ومداه الذي لا ينتهي ، وتزوع العربي فيها الى الحدود والانفلات تولد « الفردية » التي نعرفها في العربي . وليست هذه الفردية الا امتداداً منحرفاً للانانية واحساس المرء بنفسه وانطوائه عليها . وقد لاحظ احد الكتاب الانجليز المحدثين حين قارن العرب بالانجليز ان العرب شديدي الفرية والتنافس الى حد غير معروف في الانجليز . وانا اعتقد بصحة هذا واغروه الى ما تشهده الحياة الصحراوية التي اشرت اليها . ولا ريب في ان تركيز البدو في القرى يجد من التزعة الفردية ويقربها من القدر المعروف عند الامم الصناعية المتحضرة .

ولقد كتلت الحياة الصحراوية ، والزراعية الابتدائية مسؤولة عن الفقر عند العربي . فاذن قرن الفقر بالانطلاق الذي تيسره الصحراء كان من ذلك الحساسية والانطواء ، وخاصة عند شعب

كالعرب امتلأت نفسه بالامجاد التاريخية وخلت حياته من الاسباب المادية التي توقفه عند حد الانصاح المتزن عن هذه الامجاد ، بل هو يتجاوز ذلك الى الاعراب عنها بفخر اجوف ، واهتمام مضيع للجهد . وليست مهمة المصلحين العرب مقتصرة على ازالة معالم الحياة القبلية والصحراوية من حياة الامة العربية في اكثر اقطارها ، ولما تمتد الى ادخال الصناعة في الحياة العربية وما تقتضيه الصناعة من علم وصحة . ان الصناعة تريد الثروة وتصلح الحلق بما تتطلب من تخصص في العمل ودقة في الاداء . وتنسيق في المهام ، فالصانع الذي يعمل في مصنع ، فيرى ان انتاج سيارة يحتاج الى قرابة اربعة آلاف حركة صناعية مستقلة ، وان هذه الالاف من الحركات تنسق على شكل ينتج جسماً واحداً هو السيارة ، يتعلم من معنى الاتحاد والتعاون ما لا يمكن ان يتعلمه عن طريق الملاحظة او الدعاية .

ويجب ان لا يقل الانقلاب الذي تدخله في الزراعة على ما يجب ان يدخل الصناعة . فالعمل بالآلة في الزراعة ، يعرض المرء للانطباعات التي اشرت اليها الآن في الصناعة ، والعمل بها في الزراعة يولد من الثروة ما ينفي الفقر وما يستتبع ذلك من احساس بالانطلاق والكرامة .

اما الذي ينتج من تطبيق هذا البرنامج ، وفي اي مدى من الزمن تبلغ الحالة التي يؤدي اليها ، وهل العربي قابل له او غير قابل ، فالجواب عنه مفهم حين ننظر الى المؤسسات الصناعية والتجارية الحديثة التي تنتشر ببطء في مصر والشام . فاذا انعمت النظر بين قطر عربي وقطر اكثر منه ثقافة وابعدها للعدنية الحديثة بتعقيداتها ومقتضياتها ، وجدنا الحلق العربي يتأثر بلا ريب تأثراً واضحاً بهذه المتغيرات ويقرب من الحلق الذي يعرف في دول الغرب التي تأثرت بحال المدنية الحديثة .

ان آثار المدنية الحديثة بصناعاتها وعلمها وثروتها واخلالها تكاد تشابه سواء اطبقت في إنجلترا او المانيا او امريكا او اليابان . ولذلك نجد من الشبه بين اثنين من بلدان مختلفين من هذه البلاد ما لا نجد بين عربي متعلم وعربي جاهل .

وما لم نأخذ بسبب الحضارة الحديثة ، فيظل هذا الوهم فن طبع التباين والتفرقة والشقاق في الغرب سائداً كما سيظل الفقر والضعف ضارين مجرأهما بيننا ضرباً يؤدي الى عزعة عقيدتنا بانفسنا ، وهذه العزعة هي اكبر دواعي الشقاق .

محمد ادب العامري

الفرس

حتى اذا الموج لاقى الموج واتحد الابقاع غلغل هذا النهر مصطنعيا
في جوف مخضرة اسوارها ارتفعت من القصور بقرب النبع، واعجبنا
لقد جرى نبع ايامي كنبعها... في حوض وادي الصبا لكنه ذهب
فلا هدير ولا رجوع ولا سمة كأنه في قوار الصمت قد رسبا
لكن ماءهما فيه الصفاء بدا وفي فؤادي تراءى العيش مكتنبا...

رطوبة الماء والاطلال تعقلني منها قيود وكم مثلي بها انجذبا
اقضي النهار وحوالي اهددها على خرير المياه اللذ معتبرا
كما يهدد طفل عند رقدته على مناعة ام صوتها عذبا...

هنا بعيداً عن الاقوام منفرداً مع الطبيعة يحلو العيش محتجبا
تحيط بي من رياض الارض مخضرة تقضى مجالا لابصاري ومرتبعا
فلا أعي غير همس الموج مبتهلاً ولا ارى غير وجه الجو منتصباً...
قضيت أسوأ عمري في الهوى مرحاً وكم رأيت وكم احسست منذ صبا
قلبي الى الحب، آلاماً مبرحة واليوم جئتك، حياً، باحثاً، تمناً
عن «نهر» ليتني «وفي جنني» طيف مني يهفو الى عالم النسيان، معتباً
فيا مقر الصبا كن مثله وأزح عني الموم اذا ما ليها وقبا
ففي التناسي نعيم النفس فاستري يا ذكرياتي، ولا تستعجلي غضبا...

قلبي رنجي ونفسي جد هادئة تود من عالم الاشرار ان تشبا
فضجة الناس تقني قبل ان تطأ الاصداء اذني فلا ارجو لها كشبا
كنشة في البعيد الطلق يصورها طول المسير صدًى في الاذن مضطرباً،

من خلف ذاك العالم الغض تستر الحياة حولي كأن البؤس، لي، كُتِبا
تعرّض في ظلمة الماضي بخلفة رسيس حب نأى عن عين الرقا
كصورة الحلم تبقى عند يقلتة جليلة لا تبالي فيه ان غربا...
فاستروحي ههنا يا نفس واتندي وعانقي الله بالنجوى فقد وجبا
هذا العناق وكوني كالسافر اذ تقنى قواه فيشكو الضعف والوصبا
ويستريح على ابواب مقصده قبل الدخول مساء، يوقب الشها
وقلبه مطشّن كله أمل عليه عطر المساء قد سكباً...

صاغ الاله عقولا كي تحس به فاكشف لنا هذه الاسرار والسببا
فان صوتاً غريب الجرس مستتراً يحدث المرء عن سر سما ونبا
ومن الناس لميسع صدًى نغم يحنّال في القلب فليسعه من رغبا...
مصطفى عبد ربه

الوادي

لادمارنين

من كل شيء فؤادي ناله تعب حتى من الامل الزاهي لقد تعبنا
فلن ينشأ بعد اليوم مركبة الايام او يرتجي من دهره طلباً...
وادي صباي أعزني ملجأ لا ارى فيه موافاة يومي... انه قريبا...

هذا هو الشعب في الوادي لقد ضربت أطرافه وقام الظل قد ضربا
فلا ارى غير غابات مهدلة على السفوح بناغيها الهوى طربا
تريق ادواحها الاطلال باردة على جبين الذي من يؤسه شجبا
ويغمر النفس فيض من بشاشتها والصمت يسطع بالاشراق ملتها...
هناك تهدر خلف الغاب ساقية وتنثني في التواء تلس الهرا
وتحت اقدام هذا التيه والهة أخرى تداعب في امواجها العشا،
بحراهما يرسم التعريج ملتصقاً درب اللقاء جريج الحسن، متجبا

رينه ديكرت

فصل عن كتاب سير مشاهير الفلاسفة تأليف هنري توماس ودانالي توماس

ترجمه عن الانكليزية عبدالمعروف ليسانسيه في الحقوق



نوفت

ام رينه بمرض السل بعد ايام قلائل من ولادته (١٥٩٦) وتوقع الاطباء موت رينه المبكر ايضاً لانه ورث شحوب الوجه والسعال الجاف عن امه . وكان ابوه موظفاً في دائرة « بواتيه » وقد سلمه الى مربية تهذبت ومنعته عن الالعاب التي يلعبها اطفال القرية الآخرين فترعرع - نتيجة لهذا التدليل - بزاج انسي ، رقيقاً انطوائياً ميالاً الى الغزلة بما جعل اياه يتادبه ساخراً « فيلسوف الصغير » .

ولما بلغ الثامنة من عمره ادخل مدرسة اليسوعيين في « لا فليش » وكان معلومه ينصحون له براحة جسمه وترمين عقله فأجازوا له البقاء في مخدعه الى ساعة متأخرة بينما كان عليه ان يستذكر دروسه ويتلوها في الصف مثل رفاقه الطلاب وقد ساعدته هذا الوقت على اضافة دراسات اخرى على دراسته المنيعة فدأب على استيعاب معلومات جديدة وكان مولعاً - وبصفة خاصة - بالادب الكلاسيكي او كما يقول هو « لاقوم بجولات فكرية في الماضي الصحيح فأخذ بطرف الحوار مع النبلاء الطاعنين في السن » .

ترك مدرسة اليسوعيين في العام السادس عشر من عمره ليقوم بجولات رياضية في الحاضر فيسم وجهه صوب باريس اذ تعرف بجماعة في سنه من الشباب الطائش فتعلم منهم كيف يأكل ويشرب الخمر ويقامر وكان موقفاً بالمقاومة فذكر عنه اصدقائه « انه كان يعتمد في تخميناته على معرفته الجيبة بالرياضيات اكثر مما يعتمد على قوانين الحظ » .

ولقد افعه السرور وقلقه الشدة حين تخلف عن مرض السل ووجد نفسه مشتتاً بجسم سليم معافى وفعل مفرود فأهل نشاطه الفكري ليارس نشاطه الرياضي . ففي ربيع سنة ١٦١٧ - في العام الواحد والعشرين من عمره - تطوع في جيش الامير موريس آل اورنج في الاراضي المنخفضة . لم يكن عسكرياً بالطبع وما رغب في

المسكوية ذاتها بل حسبها مدرسة للتأثرين الرياضية كما لم يجذبها كوسيلة من وسائل الحرب . فقال : « ان تزعتي المسكوية ناشئة عن حمى الكيد الوقية التي ولت بمرور الزمن » . وكان طبيعياً تجنبه للمعارك اثناً حياته سواء كانت في ميدان الكر والفر ام في ميدان الفكر . فالشجاعة ليست صفة من صفات ديكرت . مضى عامان وهو يشيع ميله الى الحياة العسكرية التحق خلالها بالجيش الهولندي والبلغاري والهنگاري وعاد بعدهما من عسكريته الى التفكير والتأمل . . فجأة غرمة النور وانبتت نحوه عام ١٦١٩ « زارني في ذلك العام حلم يهبط علي من السماء . فسمعت قصف الرعد . انه نداء . الحقيقة اصحت اليه قتلك نفسي » وفي الصباح الباكر دعا الله ان يرشده بنوره . فكس حياته منذ تلك اللحظة لاستقصاء الحقيقة وانقضت حوالي عشر سنوات وهو يجري وراء الحقيقة تنقل اثناً بها من بلد الى آخر يلتبسها مع الناس وفي قراءة الكتب ويتشبه بخيوط الانبابة الواهية فيتأثرها ليدرك اصولها ومن ثم بدون غرات ابحاثه في دوائر المذكرات . وعاد بعد ذلك - في الثلاثين من عمره - الى هولنده « هناك حيث السكون والفرلة استطلعت تنسيق افكاره على شكل مجموعة دائمة » وحجب نفسه حباً تالماً عن المجتمع فأغنى محل اقامته حتى على اصدقائه .

اعتقد اخيراً بأنه بلغ جزءاً من الحقيقة اودعه صفحات كتابه (العالم) وامتنع عن نشر مخطوطه تهباً من طبع كتاب يتضمن نظرية ثورية وهي ان الارض متحركة . وكان اتهام الفلاسفة والعلماء غيره ماثلاً نصب عينيه مثل (برنو Brunno) و (كامبانيللا Campanella) و (فانيني Vanini) و (غاليليو) حين اقدموا على نشر نظريات ثورية مشابهة . وحتى يتحاشى اية محاولة لنشر هذا المخطوط ارسله الى منطقة نائية عن بلده ولم يصدر كتابه هذا حتى بعد موته عدا جزء منه فقط . فالحقيقة التي جعلت ديكرت حكيماً اخفقت في ان تجعله حراً .

الوقت .. وانا وائق كل الثقة بان كل شي . تقبله عقلي كان حقيقة ولم يكن اوهام أحلامي .»

لقد ظفر ديكارت من حله بحقيقته الاولى « لا بد للعلم من حالم » .. « واقعية تفكيري اطلعتني على وجود شي . يفكر » ما هو هذا الشي . ؟ .. انه انا . (انا افكر اذن انا موجود) شكبي الشديد يثبت وجودي كمشكك والواجب ان يزول الشك نفسه فان (مذهب الشك Skepticism) يقودني الى حقيقة واحدة هي انا والكن من انا ؟ .. اجاب ديكارت على هذا السؤال اجابة منطقية بسيطة ، انا مادة مفكرة او عقل ويمكن ان لشك ضمن كيان المادي الذي اعيش فيه ولكي لا استطيع الشك خارج نطاق شكبي ابي خارج كيان تفكيري ، بعد ذلك عرفت انا كجوهر للتفكير لا يشغل كيانها شيئاً معيناً ولا تستند على اساس مادي ، هذه هي انا او تبصر آخر انها الروح فاهي الروح ؟ .. انها تشبه تقيزاً تاماً من جسدي ولا يوضح هذا اقول « اذا انعدم الجسد فلا تكون للروح ماهية ما » ..

هكذا استطاع ديكارت بتساؤله المنطقي عن اي شي . او عن اي كائن حي ان ينسج - ولو باقتناعه الشخصي - في الوصول الى الاعتقاد بوجود الروح . دعنا نستأني ونخطا للامر فديكارت يريد ان يدخلنا في دار النعوض من باب الشك - وهي باب لولية تدور دورات سريعة حول نفسها - كي نلقي نظرة الى داخلها اولننظر في مرآة ما وراء الطبيعة لكن الباب اللولية تلفظنا بعيداً قبل ان يساعدنا الحظ على تقديم خطوة واحدة في مداخلها ..

فهو يبحث في الفينيئات والبحث فيها محاولة لرسم صورة حقيقية لفكرة مجردة او خبطة عشوائية في الظلام ولكن هيهات ان يدرك المستحيل وقد قال عمر الحيام :

اذا القلب حديث يتنا - ليس نراه
لم ترد ان ولا زدت انا في منتهاه

لقد انتهينا من تهجئة الحروف الاولى في سفر ما وراء الطبيعة لكن دع ديكارت يواصل حديث (انا وانت) . « انا مادة مفكرة .. والتفكير اساس في تكوينها ومن ثم فاننا روح حي والحقيقة الاولى هي انا .. بدأ كمشكك فتصور الاشياء بوضوح وتخيّر فأنم بوجود الروح هل تؤمن بمخائلي اخرى ؟ اجاب ديكارت « بنعم هناك حقيقتان اخريان آمنت بهما : وجود الروح وخلود الله » ..

ان جوهر جسدي مادة - كما اراه بوضوح - وجوهر روحي

لولا تأثير ديكارت الخلقى عليه - ربما نشأ هذا الجلب عن اثر التذليل الذي تموده في بدء حياته - لتقدر له ان يحدث انقلاباً هائلاً بالتفكير العالمي فهو مشكك بالطبيعة مؤمن بالواقع ودفعير كب التطور الفلسفي الى طور جديد فاشاد معبد الايمان من مادة الشك ولاجل ان نفهم طبيعة فلسفته التناقضية دعنا نتأمل في مثلين من مثل فلسفته الاخلاقية التي وضعاها في يهتيدي بهديا في حياته الخاصة .

اولا - « لاتبع افكاري اينا تقودني . بهذا يجب ان يكون مثلي مثل مسافرين وجدوا انفسهم ضالين في الغاب .. كل ما يجب عليهم عمله ان يواصلوا السير باتجاه مستقيم لا يتصرفون الى اليمين او الى الشمال .. فاذ لم يبنوا المكان الذي قصدوا اليه فسيبلغون مكاناً ما يكون احسن بكثير مما لو توقفوا عن السير في وسط الغابة » ..

ثانياً - « لاضع لقوانين بلادي ولا تمسك بدين آباي ولا تبع تقاليد اكرثية رجال الطبقة الحاكمة فانما ملزم باتباعها بحكم اتصالي بهم » ..

ان هذين المثلين - كما تلاحظ - يتناقضان الى حد ما فيشك على الانسان ان يتبع خطاواته اينا تقوده .. فاذا عزم على التقدم فلا تقوده هذه الخطوات الا في السبل المؤدية الى سلامة الرأي . ومع كل ما ذكرناه من تناقض ديكارت بين فقد نجح في نشر نظام للتفكير مفرغ عن غيره بأن يكتفي (بابي الفلسفة الجديدة) .

وظهرت فلسفته في مجيشه (اسلوب التعليل الصحيح للنسب) و (تأملات بالفلسفة القديمة) فاستند فيها على اساس علمي عبر عنه بأنه (اسلوب الرياضيات كما طبق على الفلسفة) فهو يبدأ بفرض علمي فيجتم علينا الا نقبل شيئاً غير الحقيقة فندخل عملكة الطبيعة Physico وما وراء الطبيعة Metaphysico باستشارة العقل دون ان نكون مؤمنين او غير مؤمنين بمحاولين الصراحة دائماً . نلج دار العوض من باب الشك فاذا نجد في هذه الدار .. مبدئياً لا شي . الا الظلام كالمسافرين الضالين في الغاب .. لكن دعنا لا نتأخر دعنا نسير باتجاه مستقيم نشك ونفحص ونصدق باحثين عن الحقيقة .. قبل كل شي . يجب الشك في كل شي . « اميتي ان انذر نفسي لاستنباط الحقيقة التي اعتقد بأنها من مكملاتي .. ولاطوح جانباً اي شي . موهوم .. او تخيل الي ان فيه ادنى دليل على الهم .. فان جميع الفكر والرؤى التي تغشاها عند البقطة قد تغشاها عند النوم دون ان تكون اية واحدة منها حقيقة في نفس

تفكيك، فالشيء الذي نسميه أنا يتكون من جزأين متميزتين من بعضها (ماكنة) متحركة او جسد وآلة مفكرة او روح .
ان فلسفة (الماكنة) والآلة تعرف بذهب الثنائية Dualistic وهذا المذهب يقسم العالم الى مدرستين منفصلتين مدرسة الجسد ومدرسة العقل وهما اساسان للفلسفتين المتناحرتين في العصر الحديث المادية والثالثة. فالماديو مثل توماس وهكلي يقولون ان العقل جزء من الجسد لذلك فهو آلة او عجلة من عجلات (الماكنة) وقد كتب هكلي «أنا اتفق مع ديكارت بان الجسم البشري ككل الاجسام الحية (ماكنة) بعلميته (الجسمية والعقلية) ويمكن ايضاحها على ضوء مبادئ الميكانيك . وبناء على ما تقدم لا وجود للروح في الدنيا .

اما المثاليون من الجهة الاخرى مثل بيركلي Berkeley الذي ينكر وجود المادة فيقول «لا توجد المادة الا في نطاق شعور العقل بوجودها . . فالمتضمنة التي اكتب عليها اقول انها موجودة حينما اراها واشعر بوجودها ولو قيل ان وجود الاشياء لا يعتمد على الصلة بينها وبين الشعور بكيانها لكان ذلك غامضاً لكل القوم . فوجود الاشياء يعتمد على تحس كيانها» وعليه لا وجود للمادة في الدنيا .

ممكن ديكارت لا يعلم أب لفلسفتين متناقضتين المادية الحديثة ويمثلها ايسو Esau والثالثة الحديثة ويمثلها حاكوب .
دعنا نعود الى بحث ديكارت عن واحة الايمان في صحراء الشك حيث آمن اخيراً بعقله الحقيقي وجسده الموجود وهما هو يحاول اثبات وجود الله فيقول «اني اتصوره في غاية الوضوح والتبسيط كحقيقة واقعة» ويتجلى ذلك في عقلي وينعكس في الحقيقة التي شككت فيها اولاً واعتقد بأن كيانها ليس كلاً بل تمام الكمال « ويظهر لي ان منتهى الكمال بالعرف لا بالشك» .

ولكن كيف عرفت اني افكر في ذات اسمي من ذاتي ؟ .
عرفت ذلك بجلاء ان هناك ذاتاً حقيقية اسمي من ذاتي ذات تركزت فيها كل صفات الكمال فاستطلعت معرفتها ان اكون فكرة عن كلمة الله ولا ينسب الى الله الا الكمال وليست فيه اية نقيصة اذ ليس الخوف والحزن والغضب والتغير والحقد من صفات الله . وصفاته غير المنظورة تجملنا سماء . اما صفات النقص فهي علائم الشرية لا الالهية . وان الله أحد . حمد . كامل . خالد . سامي . ازلي . علم . قادر على كل شيء . وقد قال ديكارت « هذه هي حقيقة الله الكامل التي ساوت سهولة اثباتها او تجاوزت

سهولة اثبات البدييات الهندسية » وان الله الكامل يسد خطانا المتعثر غريزياً الى سواء السبيل .

كان امرأ هيناً على ديكارت اطلاق العنان لتفكيكه القويم حتى يدرك الصواب لانه خفي من مشاكل الحياة الاقتصادية التي تششت التفكير فقد ورث عن ابيه مبلغاً من المال كفاه العيش بمستوى مريح ان لم يكن راقياً لا سيما انه لم يتزوج فكانت حياته الحاملة تسير على وتيرة واحدة بلا مفاجآت . يأكل جيداً وينام كثيراً اذ يستيقظ في ساعة متأخرة صباحاً ويعيش عيشاً رضيعاً هائناً ويقوم احياناً بسفريات الى الخارج لكنه ابنه التي عصا الترحال قضى معظم اوقاته في الدار فيواصل اصدقاءه برسائل متواصلة فيكتب اليهم عن نظرياته الفلسفية وعن السرور الذي يتشبع به في مسكنه المنزلي وعن حياته المأهنة البعيدة عن الاوصاف التي تقشت بين اغلبية افراد المجتمع البشري وعن تقوئه في جدال بوكران بتي، وروبرفال وكامانيلا وغاليليو وغيرهم من معارضيه من الفلاسفة والعلماء في عصره فشبهم بالكلاب الحقيرة الناجمة التي ليست لها اية قيمة لكن ظهر له اخيراً انهم اناس ظراف يتبادلون النكات اثناء حوارهم الودي .

هكذا ينفذ ديكارت عن نفسه غبار الكسل ويبعد التأمل والتفكير بالحرق وكتابة الرسائل لكنه يقضي ايامه العاسية بالبحث عن الحقيقة . ولتقتبس عباراته الخاصة « احب الحياة ولا ارهب الودي» .

« حقاً اني ابعد عن الموت في الرابعة والاربعين من عمري عنه في ايام شباني » فكتب يقول ان صحتي موفورة واسناني كما هي ولم يؤلني شيء . يمكن ان يسمى مرضاً منذ ثلاثين سنة . بعد ذلك اصيب بأول صدمة في حياته لما صار أباً لابنة تبتاها اسمها فرانسين Francine فقد احبها حباً جما وفضلها على كل مخلوق في الدنيا فاختطفها الموت فجأة عندما كان متأهباً للسفر منها الى فرنسا ليكمل منها « سيدة جميلة » لها مركز مرموق وقد حضر ديكارت وقت احتضارها قاضاً برهاناً جديداً على حقيقة وجوده « انا اتمل اذن انا موجود » وقد كتب بيليت عن سيرة حياته « كان يبكي عند موت ابنته بكاء . مرأ فبهن بذلك ان عقيدة الخلود تزول في فترة الحزن على الفقد » وأوى الى قلعة الفكر بعد انتهاء مدة الحداد فاشترى بيتاً ريفياً بجيلاً بالقرب من مدينة ليدن لا يبعد عن شاطئ البحر اكثر من مسافة ساعتين واعتنى به عناية فائقة فأقام عليه عدداً كافياً من الخدم الامناء . وكان يجلس في غرفة تأملاته المطلقة

على حديقة قديمة جميلة فيجبل النظر بين المناظر الخلابة غارقاً في اوهام الشك .

ان ملاحظه تم عن هيئة فيلسوف قصير القامة نحيف الجسم ضخم الرأس شعره مسترسل يكاد يبلغ حاجبيه صاحب الوجه ويوجد نتوء بارز في شفته العليا وتبرز اسنانه من فكه الأسفل لشذوذ فيها ولحيته سوداء فاحمة خلقت على طراز فرنسي ويلف رقبته يوشاح من الحرير يقيه عادية البرد ويلبس سترة داكنة وسروالا قصيراً وجوارب سوداء فهندامه فلسفي - اذا صح التعبير - تفتقر على ثغره في بعض الأحيان بسمة فاترة وفي عينيه بريق ضئيل . وعندما يهرح الدار يضع على رأسه شعراً مستعاراً ويلبس جوارب صوفية طويلة فهو يتعاطى كثيراً لتبدلات المناخ اللطيفة خوفاً من تأثيرها في صدره الضعيف وراثياً .

وقد جعله الحرف من الامراض الصدرية يكث في البيت اكثر فأكثر كلما تقدمت به السن .

تنازعته شتى العواطف عندما تلم رسالة من الملكة كريستينا ملكة السويد تدعوه فيها الى الإقامة في بلادها ليعلمها الفلسفة لكن المناخ في السويد بارد جداً ويختلف كثيراً عن مناخ هولندا ولوجا يؤثر في صحته تأثراً سيئاً لكنه من جهة اخرى يجرحض على الانعام الملكي الذي لا يرد ولو من فيلسوف . والملكة كريستينا امرأة تحاول شتى طريقتها الى المجد حيث فقدت اباهاً غوستاف ادولفوس في السادسة من العمر فتدربت على اعمال الرجال منذ صغرها وأوصى الملك غوستاف بعرض بلاده الى ملك مستأنس لا الى ملكة مستذكرة .. - يقصد بالملك المستأنس كريستينا باعتبارها قوية البنية كالرجال - فكانت تأنف أوثرة النساء وتبعجن وتجنب الزينة والتأنق . وترفع رأسها عالياً دون ان تضع عليه تاجاً وتلبس سترة قصيرة وثوباً عادياً وحذاء كعباء واطئان ويقدها افراد حاشيتها بهذا اللباس ، وان اخلاقها متينة كالصلب وجسمها لا يقل متانة عن اخلاقها . تأكل قليلاً وتنام قليلاً وتتدرب كأنها جندي يستمد لحوض غمار المعركة قسرتي على صورة جوادها عشرين ساعات بلا كلل يلخصها الحر ويقرصها البرد وهي غير عابئة بذلك وتتقن الرماية اتقاناً عجيباً سواء كانت على ظهر جوادها او ماشية على الاقدام يضاف الى قوتها وشدة بأسها عقليتها الجبارة فكانت لتوعية ماهرة تتكلم بطلاقة اللغة السويدية والفرنسية والايطالية والاسبانية والالمانية لكنها لاتعرف شيئاً عن اللاتينية والارغوية . كانت تجد لذة كبيرة في دراسة العلوم وتقبل بصفة خاصة الى الفلسفة

واضاف الى قوتها الجسمية والعقلية صفة اخرى وهي قوة الارادة . رفض ديكارت دعوتها المرة تلو المرة غير ان رسائلها اليها مليئة بعبارات المديح والتزلف فيقول في احداها « ان صاحبة الجلالة خلقت بمشيئة الله فوق مستوى البشرية .. » وقد توسل الى جلالته بأن تقبل اعتذاره عن السفر فهو يفضل على حد تعبيره « تعريض جسمه الى اشعة الشمس على هذا الانعام السامي » ويقول في احدي رسالاته « كان لي الشرف العظيم بالدعوة الملكية السامية فقد غمرتني صاحبة الجلالة بفضلاها .. وها اناذا بعد مضي عشرين سنة قضيتها في عزالي وبعد ان تقدمت في السن استعطف جلالته بأن تجنبني مشاق السفر .. »

لكن صاحبة الجلالة لم تقبل اعتذاره فهي تحاول بشتى الوسائل اقناع فيلسوف عظيم على زيارة بلادها (حيث الدبة تعيش بين الصخور وبين التلوج) وقد افلحت بحمله على السفر في كسرتين الاول ١٦٤٩ فتوجه الى السويد . وقد مات بعد وصوله الى ستوكهولم بيلة قليلة فلم يكن ليقام مناخ السويد القارس فحسب بل ليقاوم ارادة كريستينا العنيدة فهي تعتقد ان الصباح الباكر خير وقت لدراسة الفلسفة فتلج عليه بالحضور في القصر قبل شروق الشمس فهذا الاستيقاظ المبكر في شتاء الشمال القارس حيث يتساقط البرد صعب جداً على فيلسوف الف في بلاده البقاء الى ساعة متأخرة في فراشه الدافئ . مستغرقاً في تأملات الصباح .. فذكر عن السويد يقول « يتجعد في هذه البلاد دم الانسان كما تتجمد المياه في الانهار » استطاع ديكارت ان يجا على هذه الشاكلة مدة اسابيع قلائل . ففي يوم من ايام منتصف الشتاء عندما كان في طريقه الى القصر شعر بقشعريرة شديدة تسري في جسمه اصيب بعدها يومين بمرض ذات الرئة فأرسلت اليه الملكة طبيباً ألمانيا لم يطمئن اليه عندما حاول اجراء عملية جراحية فقال « انك لستطيع سفك قطرة من الدم الفرنسي .. » لكنه وافق اخيراً على اجراء العملية فكانت بعد فوات اوانها .

ففي ١١ شباط ١٦٥٠ فتح ديكارت عينيه وسأل بصوت متهدج خافت كم الوقت ؟ الساعة الرابعة صباحاً وهو يتكلم بالتهوؤ . « حان وقت التهوؤ الملكية بانتظاري » لكنه غير قادر عليه فاستلقى على الفراش وهو يهيس « الوقت لمفارقة الروح .. انا روح حي ... انا ابحت عن الحقيقة .. » .

مات ديكارت قلبي في موته الحقيقة وجهاً لوجه ...

غير المعروف

عله - العراق

السيدة دودوفان

لانت

ماري دوفيشي شامبرون التي عرفت باسم السيدة دودوفان من اغرب النساء اللواتي عرفهن القرن الثامن عشر، فقد اعطت نفسها التمتع والبهجة والمرح، ولكنها كانت تقبل على هذه المسررات بدافع الكتابة والالم اللذين يستبدان بها رجاء التحرر من نيرها القادح، وقد ظلت سوداوية المزاج دائمة القنوط على الرغم من حياتها الفارقة في الفرح واللذة.

ولدت سنة ١٦٩٧ من اسرة استوقراطية، ومات ابيها وهي صغيرة السن فنشأت في دير المحمدية بباريس، وخاضتها منذ حداثةها شعور غامر بالشجر من الحياة، ولازمها هذا الشعور طوال عمرها. لقد كانت ترى ان الحياة تافهة كل ما فيها يدعوا الى السأم والضيق فتترامى في احضان الحب، ولكن الحب لا يزيد لها الا سأمًا من الحياة وضيقًا بها.

وقد زفت وهي في سن الثانية والعشرين الى المركيز دودوفان دولالاند، فضاقت زواجها من سأمها وتعبها، لا سيما وان زوجها الشاب كان احمق غيياً، فاعتمت انطلقت لاهوائها العنان، وقادت بها صلاتها الوثيقة بالطبقة الارستوقراطية الى البلاط فأحبها الوصي واستمرت علاقته بها بضعة عشر يوماً، حاولوا خلالها التحرر من الشجر، اذ كان الوصي على غرارها، كثير السأم من تافهة الحياة، بل كانت هذه الخلطة شائعة في نفوس الكثيرين من أبناء ذلك العصر الذي بلغ اوجه وأوشك على الزوال، وفي وسعنا القول انها صفة تلازم الطبقات

المزفة، المفرقة في الترف، حين يستنفذ النظام الذي تعيش في ظله كل حسناؤه وبأخذ في الجرد والاحلال.

ولاكت الالسن سيرة المركيزة، وطلقت صديقاتها يبتعدن عنها، لا لانهن اشد تمسكاً منها باهداب الفضيلة، ولكن لانهن اكثر تسرّاً وتضليلاً، فبدا لها ان تعود الى زوجها المدله بها، ولم يكن ذلك عسيراً عليها، لان علاقاتها الغرامية لم تكن علاقات وثيقة خليقة بان تبقى بعيدة عنه، وهي لم تعقد هذه العلاقات بدافع الحب او بدافع الميل الشديد، وكانت تصرح دائماً بأنه لا الحب ولا المزاج هما اللذان يدفعان بها في طريق الرذيلة، فليس ثمة غير الشجر عدوها القاتل!

غير ان عودتها الى زوجها لم تدم طويلاً، فالبثا ان انفصلا بالطلاق، وعادت هي سيرتها الاولى.

وقد احب المركيزة دودوفان اناس كثيرين، لما كانت عليه من جمال أخاذ، وعينين متألفتين نافذتين، وكذا متوقد، وظرف خلاب. وفي طليعة الاشخاص الذين شغفوا بها، الرئيس هنيوت، وهو قاض وأدب بدأت علاقته بها سنة ١٧٣٠ وهي في سن الثالثة والثلاثين، وكان يقول لها انها بالنسبة اليه شر لا بد منه.

وقد طالت عشرة السيدة دودوفان للرئيس هنيوت، وكانا يعيشان كزوجين سعيدين، وينشيان معاً المجتمعات الراقية والصالونات الشهيرة، فتعرفت باكبر المفكرين في عصرها.

السيدة دودوفان



وفي سنة ١٧٤٧ هجرت منزلها بإشاعة بون وأسأجرت جناحاً في في سان جوزيف . وكان من عادة الأديرة أن تؤجر غرفاً أو اجنحة للإرامل والعوانس والنساء اللواتي لا أزواج لهن ، فيقطن فيها ويستقبلن أصدقاءهن وكأتهن يعيشن في منزل عادي لا صلة له بالدير . وسرعان ما تحول جناح المكة دودوفان في دير سان جوزيف إلى صالون انيق يضم أكبر الشخصيات ويفشاه أبرز المفكرين . ولكن الحياة كانت تجبى . لهذه المرأة التي اعجزها الظفر بالسعادة حتى في احضان الحب ، مفاحة الية . فان عينها النافذتين كمعني النسر بدت تظلمها عشاوة تحجب عنها النور . وعيشاً حاولت وحاول أصدقاؤها انقاذ عينيها الجليتين ، فان الأطباء ، وحتى السحرة والشعوذين ، قد أعلنوا عجزهم عن مقاومة الداء .



الرئيس هنرول

وقد اجتازت هذه المرحلة من حياتها ، وهي ترى ذلك الظل يتسكنا يوماً بعد آخر بينها وبين العالم الخارجي ، دون أن تشكو أو تنذمر ، ودون أن تعرب رسالة من رسائلها عن الهول الذي كان يجتاح نفسها ، وحين اعترف لها الأطباء أخيراً بعجزهم عن شفائها ، وخسب الأمل الذي كان لا يزال يحتلج في صدرها ، انطفأت البقية الباقية من النور الجليل الذي كان يتلألأ في عينيها ، ولم تعد ترى غير الظلام المتصلطاطك .

كانت السيدة دودوفان قد تجاوزت سن الحسنى ، فلما قدّدت بصرها أخذ أصدقاؤها ينفذون عنها ، ولم يعد يعيش الصالون الأنيق غير بضعة كهول من أبناء الطبقة الأرستقراطية . ثم شاء القدر أن يفعيها بالصدق الوحيد الذي أخلص لها حتى النهاية ، فذهب بالرئيس هنرول ، وتولى المرأة المسنة العمياء ، الحزن والجرح والضجر . لقد عاودها الضجر على أشد ما يكون ثقلاً وكآبة ، وخيل إليها أنها ستقضي ما بقي من سني حياتها في صجة هذا الوفيق الذي لازمها طول عمرها وكانت تلوذ بالحلب والمتعة لنسائه وتبتعد عنه ، فإذا الحب والمتعة يضيان ولا يبقى غير الضجر يطالعهما كل يوم وكل ساعة بوجهه المظلم المرحش الخفيف .

بيد أن دودوفان ما لبثت أن عرفت الحب مرة أخرى . وقد عرفته هذه المرة بوجهه الصحيح ، وبوقته الغامرة ، وبماطلته الصادقة الخاصة التي لم تخارها قط مع كثرة ما أحبت وعشقت أو خيل إليها أنها تحب وتعشق .

كانت قد بلغت سن الثامنة والسنتين ، وقد يشتت من الحياة ، ووزحت تحت آلامها ، وأخذت تستعد لهايتها المحتومة . وإذا برجل يدعى هوراس فالبول يقتسم حياتها ، فيخفق قلبها ، وتزهق على

خديها المجددين وردتان جيلتان ، وترتجف أناملها الشاحبة كلما أخذ يدها بيده ليقلها ، وتعدو الحياة في رأياها ساحرة أخاذة مرحة . ويبدأ القدر العايب قصة غرام على أروع ما تكون قصص الغرام روعة وعنفاً . كان هوراس فالبول نبيلاً إنكليزياً ، واسع

الثقافة ، ظل عضواً في مجلس العموم طوال سبع وعشرين سنة ، فسنم السياسة وانصرف إلى الآداب والفنون ، وأقبل إلى باريس ليتعرف برجال الفكر والظفر فيها ، وقد اختلف إلى صالون السيدة جوفران وصالون الأكسة دوليسيناس ولكنه لم يجد الطائفة التي ينشداه إلا في صالون السيدة دودوفان .

وما كانت المكة تعرف بفالبول ، وتصفي إليه ، وتبادله الحديث ، حتى شفت به شفتاً عظيماً ، فكان قلبها الذي لم يعرف الحب الصحيح حاول تحسين سنة قضتها في احضان الحب ، قد تنفتح مرة واحدة وفاضت عاطفته المكبوتة كلها .

وكابدت ماري دودوفان آلام الحب ، وهي في تلك السن ، مثلاً تكابدها فتاة في السابعة عشرة من عمرها . كانت تبكي وتضحك ، وتتلثم وتفرح . وتعائب وتترسل ، وتكتب إلى صديقتها : « لسوف تكون مرشدي في كل شيء . فاني أريد أن أكون عزيزتلك الصغيرة كما لو اني في سن الثالثة عشرة ! »

لقد عرضت عليه صداقتها فأجاب أنه لا يؤمن بالصداقة التي تنشأ بين رجل وامرأة ، فعرضت عليه نفسها جميعاً . فظاها بأنه لا يفهم ما تعنيه . ولكنه كان رجلاً صلياً رحيماً ، فكان يجيها برعايته حناناً وشفقة . وكانت ترى مظاهر هذا الحنان وهذه الشفقة فتبهج ولا تقنط من حبه .

وكان حبا يتعاظم ويعنف يوماً بعد آخر ، حتى خشي وهو يودعها يعود إلى انكلترا ، أن تكتب إليه رسائل لا تليق بسنهما وبسما على الأخص . لا سيما وأن الترفة السوداء في لندن كانت تفرض مراقبتها على الرسائل الواردة والصادرة على السواء . فتوسل

إليها أن تكون ذنينة متحفظة ، واقتسمت له الأيمان على أنها ستحو
من قاموسها جميع الكلمات التي تعبر عن الحب والميل والصدقة العاشقة .
ولكنه لم يسكد يبلغ لندن حتى تلقى منها رسالة تقول في مطلعها
« ما دمت أحدثك الآن دون أن يسمني أحد ، فاني أريد أن
أقول لك انه ليس في وسع امرأة أن تحب رجلاً مثلما أحبك . »
يا لالها ! إن كلمة الحب هي الكلمة التي كان يحشاشها أكثر
من أي كلمة أخرى .

وضع الرجل الرسالة جانباً وبادر إلى الكتابة إليها معاتباً ،
وإذا بها تغضب وتتلثم وتكتب إليه قائلة :

« اني على استعداد لأن انتزع عينيك اللتين يقولون انها جميلتان .
واني لاجت عن الشتام التي يجب ان اوجهها اليك ، فلا اجد شتيمة
تليق بك . الا فاعلم ، واحفظ ما اقول لك جيداً : اني لا احبك أكثر
ما ينبغي لي ان افعل ، فد اني يا حبيبي ، عد إلى باريس ، وسوف
ترى اني سأكون كما تريد ولا اقدم على شيء الا برضاك وموافقتك .
وتلع عليه بان يعود ، ويزداد الحاحها شيئاً فشيئاً ، فهي تريد ان
تجده إلى جانبها وان تلامسه بيديها وتدمع عينها الرجل شفقة ويعود .
لقد سافر إلى باريس خلال السنوات الخمس عشرة التي استمرت
فيها علاقتها ، أربع مرات ، وكان السفر شاقاً والانتقال صعباً .
وكتب لها اثنا ، ذلك غافلة رسالة ، اما هي فقد بلغت رسائلها
الف وخمسة رسالة .

وقد قاومت هذه الرسائل بأروع غرام واصدق عاطفة ، وكان
فيها الغضب والرضا ، والام والفرح ،
والرجاء والغفران ، وكثيراً ما كان فالبول
يؤرخ صديقه على استرسالها مع زوات
قلها ، فتجيبه باكية انه راضي اعاقه
عن سلوكها ، سيد يحبها له ، ولكنه
يخشى الناس وفي سبيل المحافظة على سمته
بينهم يضحي بصديقة حقيقية كان في
وسعه لم أنه أكثر طيبة واقل تحفظاً ان
يمحو الشقاء والمرارة من حياتها ويندق
عليها الفرح والبهجة .

وفي رسائل السيدة دودوفان ، عدا
ما ترخر به من حرارة الحب وصدق
العاطفة ، صور شاملة لكثير من نواحي
الحياة في عصرها ، وخواطر اجتماعية

وادبية قيمة ، ويبدو منها انها كانت تعجب بفولتير اعجاباً متقطع
النظير ، اما روسو فكانت ترى ان ادبه يتميز بالوضوح وبنض
بالحرارة لكلمتها وضوح البرق وحرارة الحمى ، فهي قارئة ممتازة ، وحين
فقدت لذة الحب ، لم تجد ملاذاً لها من ضجرها غير المطالعة المتصلة .
ومرضت سنة ١٨٢٠ مرضها الأخير ، فكتبت إلى هوراس
فالبول رسالة تقول فيها : « اعتقد بان نهايتي قد اقتربت . وهكذا
قضي علي ان اموت دون ان اراك . ولكني لست أسفة على شيء . فلا
تخزن يا صديقي ، واستمتع بالحياة ما استطعت . ان كلامنا قد قد
صاحبه منذ وقت طويل . ولكنك ستأسف لموتي لأن من مباحج
الحياة ان يشعر المرء بأنه محبوب » .

لقد كانت الجملة الأخيرة رائعة بمعناها وصدقها ، فإذا كان
هوراس فالبول لم يبادل صديقه الفرنسية عاطفتها ، فقد كان سعيداً
على الأقل ، لشعوره بانها تحبه هذا الحب كله ، وبانه استطاع ان
يشير في قلبها هذه العاطفة الملتهمية ، ولقد اسف لموتها حقاً ، وبكى
عندما بلغه نبأها ، وحين علم انها قد تركت كلياً كانت تحبها بعطفها
دغم مساوئه الكثير ، وان هذا الكلب لا يجد من يعنى به بسبب
هذه المساوى . نفسها ، بادر بالكتابة إلى باريس لارسال الكلب
اليه ، قائلاً بانه سيعنى به ويحرص عليه دون ان يحاول اصلاحه
لأن السيدة دودوفان قد احبته على نقائصه جميعاً .

واضح القدر العايب مرة أخرى .
فان هوراس فالبول ما كان ينجز من الشباك التي نصبها له
السيدة دودوفان ، حتى وقع في شباك
فتاتين فرنسيتين اثنتييهما في باريس قبيل
الثورة الفرنسية ، وقع في شباكه دونان
تنصباها له . وكان فالبول قد بلغ سن
الحادية والسبعين ، اما الفتاتان وهما اختان
بارعتا الحال ، فقد كانت كبيراهما في
العشرين من عمرها . ويعشق فالبول الفتاتين
اللاويين ، ويتبدل بحبها ، ويردد هو
مثلما كانت تردد السيدة دودوفان :
« يا عزيزتي الصغرى . يا ابنتي
الحبيبتين . » وتبتسلمان هما في مرح
ودعابة وسخريه . ولم يدوم هذا الحب
طويلاً ، فقد توفي فالبول بعد قليل ،
تاركاً لها ثروته كلها .

موراس فالبول



خليل مطران الذي اعرفه

بهم وبيع فدميلين

منذ

سنتين أو يزيد قليلاً ، تلقيت رسالة من الأستاذ البير أديب يرجوني فيها ان اتصل بالأستاذ خليل مطران في شأن من شؤون « الاديب » ، وكان الخليل يومئذ يمضي فصل الشتاء في فندق « اكسلسيور » في حلوان ، فلم أر بداً من الكتابة اليه راجياً منه التفضل بالرد على رسالتي .

ومضى شهر أو نحوه لم أتلق فيه جواباً ، فقلت : اعمل له عذراً ، ولعلي غافره .

وذاث صباح دق التليفون في مكنتي وقال محدثي : كيف حالك ، ألا من سيبل لرؤياك فاني اقرأ لك كثيراً وأرجو لقاءك .

فقلت : ومن السائل ؟

أجاب : خليل مطران .

وفي اليوم نفسه زرت الخليل في داره عند ملتقى شارعي فؤاد الاول وسليمان باشا ؛ فاحتفى بي فحفاوة أخرجت حياثي وأسكت لساني وجعلتني عاجزاً عن ان أفوه بحرف . فقد اخذ الخليل يتحدث عني حديث العارف المنتبع التواثق .

قلت له والسان يتلثم : معذرة فقد ازعجت شيخوختكم وأضجرت خلوتكم في فندق حلوان وقطعت عليكم جمل راحتكم . فكان رده قصة طويلة ، قصة بدأت بالاعتذار عن الاطباء في الرد على رسالتي ، وانتهت بتحديد الاعتذار ورجاء المغفرة .

اما القصة ، فهي قصة نفس تشقى ، والانسانية تتعذب ، وروح تريد ان تفيض الى بلائها فتقف في الحلق ، وآلام لا كتب الله لاحد مثلاًها .

فقد كان خليل مطران في الصيف السابق لذلك الشتاء يمضي اياماً في ثمر الاسكندرية في فندق « وندسور » المطل على البحر ،

يستروح لنبات الغضا . العليقة ويرسل البصر الى آفاق تمتد مع البحر المتوسط حتى تندمج زرقته في زرقة السماء . وكان الخليل يستطيب هذه المناظر الخلابة ، ويهوى ذلك الهواء الطلق العارم بالنشوة ، فلم يقطن الى انه اسرف في التعرض لذلك التيار وان آلاماً بدأت تدب في مفاصله . ولم يكن في طساقة مطران ان يبقى في الشجر طويلاً ، فشد الرحال الى القاهرة يتداوى ويتطبب ويتلمس العلاج حتى اذا ما وفد الشتاء بلمناته كانت العلة قد تأصلت ، وكان الداء قد كشث بساقي مطران ، وكان « الروماتزم » قد شدد النكير على فريسته . فانتقل الخليل الى حلوان على ما أسلفت .

وفي حلوان ذات الهواء الجاف والشمس الحارقة الشاوية ، امضى مطران شتاء . لم يعرف له من قبل مثيلاً ، يومه يمضيه مستلقياً في الشمس ماداً ساقيه لا يعبأ به احد ، ولا يحفل به انسان . حتى الندل والحدم كلوا يدعونه في رقدته لا يد له احد منهم يد عون . وفي الليل يآوي الى حجرة نومه في الفندق فلا يطرقها عليه طارق ولا يسأل احد عن حاله .

اربعة اشهر في اعتكاف تلم عن الدنيا وعن الاهل وعن الصحاب لا يدرى احد عن الخليل شيئاً ، ولا الخليل بقادر على ان يسعى لانباء غيره على قدميه . فقد استعصى عليه ان يسير على قدميه وباتت العكازتان وبعض الحدم ارجلاً له فجعله حيث اراد وحيث تكون الشمس .

اما الآلام البدنية والنفسية التي عرسته ، فليس في الطساقة تصورها ولا حسابها . يصفها خليل مطران بنفسه قائلاً : احسست في هذه المدة بأسرها ان هناك قصاباً يحمل مدي حامية ولا هم لعفي الليل ولا في النهار سوى ان يقطع بها ساقي وقدمي و « ييضع »

بها بقلب متحير ونفس خلت من ضيق وعينين لم تعودا
تفرغان الشقة .

و ذات مساء ، استيقظ خليل مطران في فندقه ، فاشفق على
نفسه من الوحدة القاتلة ومن الآلام المبرحة ، وتذكر ان اياماً
مضت دون ان يجد من يتحدث او يتحدث معه ، وتلق لسانه الى
الكلام ، فما كان منه الا ان قطع صمت الليل بأغنية بدوية اخذ
يقضيها بصوت مرتفع ليعفدها عن نفسه وليذهب وحشة الزلة وليطيش
نفسه بأن فيها روحاً لا تزال تخفق ولساناً لا يزال ينشد الكلام .
والاغنية تقول :

انصحك يا جلب ما جلبت نصحي سكرنا بدا الورى ما عدت نصحي
وجسسي صانص ميت ونصحي ونصحي باقي للعذاب
ثم قال الخليل : لعلك بعد ذلك تعذرني ، فقد كنت مولياً
وما كنت يدي قادرة على ان تحط حرفاً .

ومضت الايام ، وانا احج الى خليل مطران في داره ثم في
النادي الشرقي ، ثم في مينا هوس ، ثم في داره ثانية بمعدل مرة في
كل اسبوع ، زرت جماعه وزرتة وحيداً ، فكنت في كل مرة
اودعه ، امسح دموعه تفرق في العين اقول : يبدو ان هذه آخر
مرة التقي فيها بالخليل . فقد كانت الالة كزاد كل يوم استسرا ،
كان يستطيع السبر على عكاكين من اكتاف الرجال ، ولكنه
عجز عن ذلك ، وكان يستطيع ان ينتقل بالسيارة الى النادي
الشرقي ثم تعذر عليه ذلك ، وكان يستطيع ان يروح فراشه الى
مقعد مريح مجاور له فلم يعد بقادر على ذلك ، واخيراً لزم الفراش
اربعة يوماً ونحوها كانت خاتمتها ختاماً لحياة الخليل امير الاخلاق
في الشرق وشاعر القرن العشرين بغير تزاع وبغفلة جميلة ومغفوة زمانه .

وكانت كل جلسة من جلسات مطران ، مائدة عامرة
بالشهي من الحديث ، العذب من الروايات . فكان الخليل يتحدث
حديثاً صادقاً أميناً يجري على سجيبة من الصفاء ، ويميط اللثام عن
نفس عفة وقلب شرفه الله بالحب ووجدان صفا حذر الغفلة والزلل .
كان خليل مطران يقول عن كل شاعر انه مروج لوطنه مأمول
لهضة لغة الضاد . فاذا قيل له ان احدهم غث الانتاج هثر النظم
قال : ولكنه غداً يبلغ التأم ويدرك التضج .

فا عرف مطران موداً لياً لا تشبه وعزز اصوله وسند فروعه
لكي يحيل النبتة الصغيرة شجرة ذات فروع واسعة يستظل بها

كثيرون ، كذلك درج ان يكون معواناً لكل مبتدى . وكل
صغير شأن ، نافعاً في هذا روح حسنة وفي ذاك روح تشجيع متطلماً
دائماً الى ما يحقق للادب والعبوية غاية الخير .

ولعل القراء يعلمون ان اعظم دراسة كتبت عن خليل مطران
كانت بقلم اديب شاب هو الدكتور اسماعيل ادهم . فقد درس
هذا الباحث المحقق ادب مطران وقابله بأدب الغرب وآداب الشرق
واعاد عنه سفرأ نفيساً كان مفاجأة غير منتظرة للكتبة العربية منذ
بضعة عشر عاماً . ولم يكن ادهم يعرف مطران ولا كانت بينهما
صلة ، لذلك بوغت الخليل بهذا الكتاب يصدر لا زلفى ولا رياء .
ولا للتدريس ، وسعى على الفور الى لقاء اسماعيل ادهم فكان اللقاء .
الاول والاخير فقد كان اسماعيل ادهم يشكو الاملاق والمأسودت
في وجهه الدنيا قفر في اليق ففاض الى قراره .

وهنا يقول مطران : يا لفتيجتي في ادهم ، كنت اريد له
نهاية غير هذه النهاية ، وكنت ارجو له ارتقاء في معارج المجد
الادبي ، وكنت اشد ان اقدم له يدأ فتفتح امامه المسالك الموصدة .
ولكن الملية سبقت فكانت كلمتها الفاصلة .

ولم يفتأ مطران يردد اسم اسماعيل ادهم ، لانه يرى نفسه
مبدئياً له بكثير . وما كان ادهم الا دافع جزية سبق بدفعها نيابة
عن جيل يقدر لمطران قدره ، فلما اداهما راضياً مرضياً ولى الى حيث
اختار نهايته .

سألت مطران يوماً عن مذكراته فقال : لقد احرقتها لانها
غير ذات بال ولا لاني لم استطع ان ادونها بما يرضي اصدقائي من
ولى منهم ومن لم يول .

قلت : فلتنشر بعد عمر طويل .

قال : ان ما يتخرج المرء عن اذاعته في حياته يجب ان
يتخرج عن نشره بعد وفاته

و ذات يوم جاءه وفد من احدى الجمعيات الخيرية الدينية يطلب
منه اعداد قصيدة لتلقى في حفل عام . وكان مطران في حالة استبد
به فيها المرض حتى كاد لهوله يصعقه . ولكنه لم يرفض الدعوة
ولم يصرف الزائرين ، وفي اليوم التالي ارسلت القصيدة الصماء
لتلقى في الحفل بين تصفيق المصفيين واعجاب المعجبين ، وما درى
احد من الذين سمعوا انشادها ان خليل مطران نظمها وهو الى
الموت اقرب منه الى الحياة ، نظمها ورأسه لا يكاد يكون متصلاً
بجسمه . فقد كان خليل مطران في العامين الاخيرين من عمره يشكو
ألماً في كل جزء من اجزاء بدنه : اذا صافح احداً تألم ، واذا فتح

والقصيدة الاخيرة لمطران مطلعها :

يدعوك معتل وأنت بعيد بالاس كنت نموده ونبيد
عن النساء على السقم يلج في نسائه التصويب والنصيد
أيا المروءة ان خطبك خطيا أو لم تفارقها وأنت شيد
تثني الجسوم وبعد نأيك أفس لا النوح يشفيها ولا التمديد
رؤيتك طائفة يحارح بها أنى يزجها وأنت فريد
كانت بهدك أسرة قومتها فنت وما بفروعها وأويد
وختم الرثاء بقوله :

يا من نودعه أخزع للنوى والامر أمر الله حين يريد
من خص ملك بالمروءة عمره فلذكركه الاكرام والتخليد

هذه اوراق التتبعها من مفكرة الذاكرة عن قعيد الادب
والعروبة والاخلاق الاب والاعو والصاديق خليل مطران بك . فالى
غد قريب ارجو ان تتسع فسطحه للكتابة عن الخليل الوفي النبيل
امل الانسانية الذي غيبه ظلام القبر .

وربع فلسطين

افاهرة

عينه تألم ، واذا هز رأسه توجع ، واذا تقلب في مفعدة او فراشه
تقلب كالو على حجر . ولكن مطران كان مجالداً مصابراً فتبين بذلك
على ايوب ابي الصبر والجلد .

وعندما طبع الجزء الثاني من ديوان الخليل ، قال لي خليل
مطران : تكفني نسخة واحدة من الديوان اهديا الى صالح .
وصالح هذا هو السكرتير الذي كان ينسخ شعر مطران ويراجعه
يرتبه بالاشتراك مع « لجنة تكريم الخليل » .

وكان الخليل يطلب الصحف حتى ايامه الاخيرة ، لا يقرأها
فلم تعد صحته تحتمل ذلك ، بل يعرف من من اصدقائه رزى .
في قريب فيعزبه بالرق ، ومن منهم اقبلت عليه الدنيا فيهته .
فقد كان خليل مطران مغفولاً على الوفاء ، تجري دما الاخلاص
في دمه عن سليقة وسجية ، وما ذلك بغريب عن اديب تحدر من
ارومة النبلاء وخرج من اصلاّب الشرفاء ، من اقطاب الشرق . ولما
رأى اهله ان الخليل يتأثر كثيراً بفقد رفاقه واصدقائه ، عمدوا الى
اخفاء الصحف عنه حتى لا ترتد حالتهم الصحية ضيقاً نفسياً ، وحتى
يظل ثانياً عن كل ازمة تجيء في ركاب الحزن المض .

ولكن خليل مطران كان ينشبت برأيه ويصر على
طلب الصحف وتلاوة انباء المجتمع ومناجي الناس .

وحدث اخيراً ان انتقل الى مولاه المغفور له
نجيب الغرابي باشا ، وكان هذا صديقاً حميماً لمطران
واخاً وفاقاً له واديباً يبادهه مطران اعجاباً باعجاب .
فلما نعام الساعي في الصحف واطلع عليها خليل
مطران بكاه بالسجين من الدعم واخذ منه التأثر كل
ما أخذ حتى فجأته ازمة خشي الاطباء مغبتها وحسبوه
يلفظ آخر انفسه . ولكنها كانت ضائقة طارئة واث ،
ومع ذلك لم تستطع ان تصرف مطران عن طلب
الصحف لانه عاد بعد الظهيرة يطلبها ويلج في تلاوتها
ليشارك اصدقائه مجهم ومسراتهم .

اما آخر قصيدة لخليل مطران ، فقد نظمها في
اواخر يوليو (حزيران) ١٩٤٧ وكانت في رثاء المغفور له
المطران بولس سلمان مطران شرق الاردن . وسبق هذا
الرثاء قصيدة اخرى نظمها في رثاء انطون الجليل باشا ايام
كان يستشفني في حوان ، ولكنه لم يستطع نشرها في
حينها فنشرتها الاهرام في اوائل عام ١٩٤٩ في مناسبة
مرور العام الاول على وفاة الجليل باشا .

تندر ليف

http://Archi

الشي الفاحش



أجود الأصناف والذهي طعمًا

الرمز العائلي سوريات
سركته سرقة لغوطة
خان فطرن بك - بيروت





الوقت غسقاً ، وكان ثلج رطب ثخين يدور ببطء حول مصابيح الشارع المئارة حديثاً ، ثم ينسبط طبقات رقيقة ناعمة ، على السطوح ويظهر الافراس وأكتاف المارة وقبعاتهم . وكان سائق العرب « ايونا يوتا كوف » ابيض تماماً يشبه الخيال . وقد انطوى على نفسه بقدر ما يستطيع الجسم الانساني ان ينطوي . وجلس على مقعده دون ان يأتي حركة ما ، وكان يبدو ان لو سقطت عليه كتلة من الثلج ، لما رأى من الضروري ان ينفذها عنه . وكذلك ، كان حصانه الصغير ابيض لا يأتي بحركة . وكان جموده وتصلبه وأطرافه الشبيهة بالخشب المستقيم ، والمنضبة الى بعضها ، تعطيه مظهر حصان هزيل ، لا يساوي اكثر من « كويك » واحد . وكان هو الآخر ، من دون اي شك ، غارقاً في تفكير عميق . والحق انك انت نفسك ، لو خطفت بعيداً عن محرارك ومحيطك الاخير العادي ، والقيت وسط هذا المععان الصاخب ، المليء بالانوار الشيطانية ، والضجة غير المتقطعة ، والناس المسرعين جئنة وذهاباً ، لوجدت انت ايضاً ، كم يصعب عليك عدم التفكير .

وقد مرت حتى الآن ، مدة طويلة على ايونا وحصانه لم يتحركا خلافاً من موضعهما قيد الملة . وكان ايونا قد ترك داره قبل الغداء . وحتى هذه الساعة لم يوص . بأية « توصية » . وقد بدأ ضباب المساء يهبط على المدينة فتجعل انوار المصابيح الباهتة ، محل اشعاعاتها الالامعة ، بينما اخذت ضجة الشارع ترداداً ارتفاعاً .

وفجأة ، طرق سمع ايونا صوت يقول « عرجبي ، الى طريق فيبورغ يا عرجبي ، هل انت نائم ؟ هيا بي الى طريق فيبورغ » . ويتنفض ايونا ، ليرى ، من خلال غطاء عينيهِ المكسور بالثلج ، ضابطاً في معطف فخفاض ، وقبعته على رأسه . . . ويعود الضابط يقول « الى طريق فيبورغ . هل انت نائم ؟ هيا الى طريق فيبورغ » . ويسك ايونا عنان الحصان ، نومناً بالواقعة ، فيسقط بنتيجة ذلك ، الثلج عن ظهر الحصان ورقبته . ويأخذ الضابط مكانه في العربة . بينما يصوت ايونا بشغفه مشجعاً حصانه . ثم يمد عنقه

كلاوزة ، ويعدل جلسته ، ويلوح بسوطه ، بتأثير المادّة - أكثر منه بتأثير الضرورة - . وكذلك يد الحصان الصغير رقبته ، ويطوي ارجله الشبيهة بالخشب ، ويتحرك متردداً . وفي الطريق ، سمع ايونا صوتاً من تلك الكتل المتحركة ، ذهاباً واياباً .

— ماذا تفعل يا هذا ؟ الى اين انت ذاهب ؟ بحق الشيطان . اذهب نحو اليمين ، نحو اليمين . ويصيح الضابط غاضباً . — الا تعلم كيف تسوق ؟ سر الى اليمين دوماً . ويشتمه صاحب عربة اخرى ، وينظر اليه احد المارة ، الذي كان يحاول عبور الطريق ركضاً . فسح كعفه بأنف الحصان ، بعنف شديد ، وهو ينفض الثلج عن مرققه .

ويبدل ايونا من جلسته ، وكأنه يقعد على ابر حادة . ثم يحرك يديه ، كمن يريد الاحتفاظ بآثرانه . ويتشاب كمن يريد ان يعطس ولكن لا يفهم ، لماذا هو هنا ! وكيف جاء الى هذا المكان ! . ويقول الضابط مازحاً .

— يا لهم من خبيثاء ، ان الانسان ليظن انهم قد اتفقوا جميعاً على ان يضايقوك ، او يقتلوا تحت حضانك .

ويستدير ايونا نحو الضابط ، ويحرك شفتيه . انه بكل تأكيد يريد ان يقول شيئاً . ولكنه لم يخرج من بينهما الالعة . ويسأل الضابط . « ما الامر ؟ » فيلوي ايونا فنه بشكل ابتسامة ، ويبدل جهداً كبيراً حتى يقول ؛ بصوت مبجح : — لقد مات ولدي هذا الاسبوع .

— حم ، وما بسبب موته ؟ فيستدير ايونا بكل جسده نحو الضابط قائلاً .

— ومن يعلم ؟ يقولون بتأثير حمى شديدة ، لقد بقي ثلاثة ايام في المستشفى ، ومن ثم مات ، فلتكن مشيئة الله .

ويعلو صوت في الظلمة يقول : « استدر ، يا للشيطان ، هل قددت صوابك اياها الكلب الهرم . هلا تستمل عينيك ؟ » . ويحيب الضابط . « تابع . تابع ، والا لما وصلنا الى هناك حتى الغد . اسرع قليلاً » .

حزنا

على من يجب ان اقس حزني

لا تظن انه يتخوف

مرحمه سهريل ابوب



« القمل » حقيقة . ويعلم صوت ايونا ضاحكاً .

— ها ها ها . يا لهم من شبان مرحين . ولكن الاحدب يصيح باحتراز . « كفى ، اذهب الى الشيطان ، هل ستقطع الجسر ام لا ؟ ايها الطاعون اللعين ، اهكذا يسوق الانسان ؟ استعمل السوط قليلاً ، اسرع بحق الشيطان » . ويشر ايونا وراه بالرجل الصغير ، يهتز بشدة ، وفي صوته رجفة ، ويستع الى الشتام المرحجة اليه . ثم يدير نظره في الناس ويأخذ شعوره بالوحدة يزايه رويداً رويداً . بينما يتابع الاحدب شتافه ، ولا يتوقف عن المضي فيها ، الا حين تداهمه نوبة شديدة من السعال . ويبتدى الشبان الطويلان ، يتكلمان عن امرأة تدعى « ناديجرا بتروفا » . وينظر ايونا نحوهم مرات عديدة ، منتظراً صتاماً ، حتى اذا كان له ما اراد ، التفت نحوهم وهمس : « ولدي ، مات هذا الاسبور » فيجيب الاحدب ، وهو ينشف شفتيه اثر نوبة سعال . « لا بد لنا من ان نغوت جميعاً . والان اسرع . يا سادتي اتانا لا استطع ان اذهب ابعد من هذا على هذا الشكل ، ليت شعري متى سيصل بنا الى هناك » . فيجيب احدهما .

— حش في عتقه قليلاً على الاسراع .. ويأخذ الاحدب يشبهه ، ويصفقه على رقبته .

— ايها الطاعون اللعين . افلا تسمع ؟ اسرع والا خزرت لك رقبك . اذا اراد الانسان ان يعامل امثالك باحترام فالأفضل له ان يذهب سراً على قدميه . اما ايونا فقد كان يسمع رنات الصفعات التي كان يكيلها له الاحدب ، اكثر مما كان يشعر بها . ويضحك ثم يقول « حقاً انهم لساة مرحون ، حفظهم الله » .

ويسأله احد الطويلين « عرجي ، هل انت متزوج » .

— انا ؟ ها ها ايها السادة المرحون . الآن ليس لي سوى زوجة واحدة ، هي الارض الرطبة . ها ها اريد ان اقول القبر ، لقد مات ولدي . وانا ما ازال حياً . حقاً انه لشيء عيب ، ان يضل الموت الطريق . فمرضاً من ان يأتي الي ، ذهب الى ولدي . ويبتلى ايونا نحوهم ، يريد ان يروي ، كيف مات ولده . ولكن الاحدب يعلن في هذه اللحظة . وهو يرسل من فيه زفرة قصيرة . « لقد وصلنا اخيراً الى وجهتنا . شكراً وحمداً لله » .

ويراهم ايونا يخنفون في البوابة المظلمة . ومرة اخرى يعود وحيداً . ومن جديد يعود السكون يحيط به . ويعود اليه حزنه الذي كان قد تضائل لمدة قصيرة . فيغير قلبه بقوة اشد من

ويعود السائق عن عتقه ، ويجلس جيداً على مقعده ، ويهز سوطه مكروهاً . ثم يستدير بعد ذلك ، عدة مرات يلقي نظرة على زبونه . ولكن هذا الاخير ، كان قد اطلق جنبيه ، وكأنه يعبر بذلك عن عدم استعداده لان يسمع شيئاً .

وبعد ان اواصل ايونا الضابط الى فيبورغ ، وقف بجانب مقهى . وطوى نفسه على مقعده ، وبقي هكذا دون حراك من جديد بينما اخذ الثلج مرة ثانية يغليه مع حصانه .

وقر ساعة ، ثم اخرى ... وفجأة على طول الطريق ، يتقدم ثلاثة شبان يصرخون ويخاضعون . وكان اثنان منهم ، طويلين هزيلين ، واما الثالث قصير ، وذو نتوء في ظهره . وصاح احدهم بصوت جهوري . « عرجي ، الى جسر البوليس ، ثلاثتنا بعشرين كوبيكاً » . ويسك ايونا بالعان ، ويصفر بشفتيه . وبالرغم من ان شرين كوبيكاً ، ليست بالاجر الحسن ، فليس بما يهيمه ان كان هذا الاجر رويلاً كاملاً ، او خمسة كوبيكات فقط . ان كل شيء اليوم سواء . بالنسبة اليه . ثم انهم زبالان عابرون .

ويقترب الشبان الثلاثة عن العربة وهم يتدافعون ويتشلقون بكلام بذي . ويحاول ثلاثتهم دفعة واحدة ان يجلسوا على المقعد . ثم يدور بينهم نقاش حاد حول الذي سيقتوي واقفاً . والذين سيجلسان . وبعد ان اختلفوا ، وسب كل منهم الآخر قرداً ، على ان يبقى ذلك الاحدب واقفاً ، با انه اصغر حجماً منها . ويقول الاحدب بصوت مدو ، وهو يأخذ مكانه في العربة الصغيرة ، ويؤفر في عتق ايونا « ها اسرع » .

— ولكن يا رفيقي ، ابة قبة هذه التي حصلت عليها ، وحقك ليس هناك اسوأ منها قبة في بطرسبرج كلها .

— هي هي هي . يضحك ايونا ، مثل هذه .

— والان يا « مثل هذه » اسرع . هل ستقطع الطريق كلها بهذه الخطى . هل انت ؟ تريدھا (الصفعة) على نقرتك ؟ . ويقاطعه احد الطويلين قائلاً .

— أشعر برأسى وكأنه يمتدق . لقد شربنا انا و « ناشكا » ليله امس اربع زجاجات كونيالك بكاملها . فيجيب الثاني بغضب .

— اتا لا اعلم لاي سبب تكذب . انك تكذب كحيوان .

— فليضربني الرب ، ان لم تكن الحقيقة بعينيها .

— انها لطرية بان تكون حقيقة . بقدر ما يكون سعال

السابق اليس من انسان واحد يود سماع قصته ؟ ولكن الجوع
تقر بسرعة دون ان تلاحظ حزنه . ومع ذلك فانه حزن عظيم لا
حدوده . . ويبدو له ان قلبه لو انفجر ، وانطلق الحزن السكامن
فيه ، لتعمر الارض كلها ، ومع ذلك فان احداً سواه لا يراه ، او
يشعر به . ان هذا الحزن ، قد سعى كي ينجي . نفسه في ملجأ عدم
الاهمية ، الى درجة ان لا يستطيع مشاهدته احد حتى في وضوح
النهار ، وبمساعدة النور .

ويرى ايونا حالاً ، وعلى كفه بضعة اكياس صغيرة ، فيقرر
التحدث اليه .

— كم الساعة الآن ، ايها الصديق ؟

— اكثر من التاسعة ، ولكن لم انت واقف هنا ؟ هيا
تحرك الى غير هذا المكان . ويتحرك ايونا بضعة خطوات ، ويعود
فينطوي على نفسه ، ويترك حزنه العنان . انه يدرك اخيراً ان
توجهه الى الناس طلباً للعونة ، لا طائل تحته ، فيعود بعد اقل من
خمس دقائق ، فيشد قامته ، ويمسك برأسه وكأنه يشعر فيه بالم
عنيف . ثم يأخذ بالعنان بين يديه ؟ انه لا يستطيع ان يتحمل
اكثر من هذا . ويهس نفسه « الى الاسطبل » . وينطلق الحصان
خبياً ، وكأنه قد ادرك ما يجول في خاطره سيده .

ويجلس ايونا بعد ساعة ونصف الساعة . امام مدفأة عليها
الاسواخ والاقذار . وحول هذه المدفأة ، على الارض ، وفوق
البنوك ، الناس يشخرون . ان هواء العرقه ثقيل وحار ، بشكل خائق .

وينظر ايونا الى النافين ، ويمسك جلده ، انه يأسف لمودته
ياكراً جداً . ويقول في نفسه « انني لم اكسب اليوم ، حتى ولا ثمن
علف الحصان ، وهذا هو بكل تأكيد سبب اتزاجي » . ان رجلاً
يعرف عله حق المعرفة ، ويملك الطعام الكافي له ولحصانه يستطيع
دوماً ان ينام بهدوء . وسلام ، ويتحرك سائق آخر في احدى
الزوايا . ويجلس نصف جلسة ، ويشتمل قليلاً ثم يسحب نفسه نحو
وعاء ماء ، فيسأله ايونا .

— أتريد جرعة ماء ؟

— كلا ، لا اريد ماء .

— حقاً ، ولكن استمع لي ، انت تعلم ايها الصديق ان تولدي
قد مات . هل تسمع ؟ لقد مات هذا الاسبوع في المستشفى ، انها
قصة طويلة . وينظر ايونا كي يرى اي اثر تركت كلماته . فيرى

الرجل وقد اخفى وجهه ، وعاد من جديد يغط في نومه .

ويؤفر الرجل الشيخ ، ويمسك رأسه . فثما كان الرجل الشاب
يريد ان يشرب ، هكذا الشيخ ، يريد ان يتكلم . ولن يمر وقت
طويل حتى يكون قد انقضى اسبوع على وفاة ولده . ومع ذلك
فلم يتمكن من ان يتحدث عن ذلك ، كما يجب لأي شخص كان . . .
ان عليه ان يوهيا بقرو واعتناء . كيف سقط ابنه مريضاً ، وكيف
تعذب . وماذا قال قبل ان يموت ، ثم كيف مات . ان عليه ان
يصف كل شاردة حدثت اثنا . التشيع . والرحلة الى المستشفى
لجلب ثياب المرحوم . لم تبق ابنته انيسيا في القرية ؟ ان عليه ان
يتكلم عنها ايضاً . ان عنده اذن ما يتكلم عنه . ولا شك في ان
المتسع سيتأوه ويؤفر لحديثه . وسيتأثر معه . ومن الافضل ايضاً
ان يتحدث بهذا الامر الى النساء ، فبالرغم من بلاهتهن . فان
كلمتين تكفيان لان تبكيهان ويقول ايونا لنفسه « سأذهب ،
واعتي قليلاً بالحصان . فإ يزال هناك وقت كاف للنوم . ولاخوف
علي من ذلك » .

ويرمي ايونا مطفئه على كتفيه ، ويذهب الى حصانه في الاسطبل
ويفكر في الشعر واللف والطقس ، انه لا يحسر على التفكير في
ولده عندما يكون وحيداً ، انه يستطيع ان يكلم اي شخص
عنه . اما ان يفكر فيه ويشتمل في خاطره ، فذلك يؤله بشكل
لا يطاق . وسأل ايونا حصانه ، وهو ينظر الى عينيه البراقتين :

— هل تأكل جيداً ؟ هيا تابع تناول طعامك . فبالرغم من
اننا لم نكسب اليوم شيئاً كي نشترى به شيئاً ، فاننا نستطيع
ان نأكل قنباً . نعم ! انني قد شغيت كثيراً . حتى لا استطيع ان
اسوق . ان ولدي كان يستطيع ذلك . وليس انا . لقد كان سائقاً
من الدرجات الاولى لو انه فقط كان قد عاش . . ويصمت ايونا
لحظة ثم يتابع .

— هذا ما حدث يا حصاني . لم يعد هناك من يدعى « كوزما
ايونيشت » . لقد تركنا وذهب بعيداً . والان دعنا نفترض ، ان
عندك مهرأ ، وانك ام لهذا المهر . وفجأة — لنفرض ذلك — ذهب
هذا المهر ، وتركك تحيا بعده . انك ستكون حزينة . اليس
كذلك ؟ ووضع الحصان ما في فمه ، ويستمع ثم يؤفر على يد سيده .
ان مشاعر ايونا ، لاشد من ان يتحملها وحده . حتى انه لم
يعد يستطيع لها كتباً . فيميل على الحصان ، يروي له القصة بكاملها .

سرسيل ابوب

دمش

تراب

قيل لي : انت حفنة من تراب ا فاقشعرت بكبريا . جراحي
قلت لا ، لن اكون طليبا من الطين ، انا من سلالة الارواح . ا
وتشددت . واقتديت خلودي ، وطلاح المني . . بأعلى الاضاحي
بدمي ، بالجيبس من نازعاتي ، برؤى الليل ، وابتهاج الصباح
وتغنيت الوجود بشعر التحدي به الزمان الساحي
وادعيت السمو : حقاً . لقد حلفت لكن - من التراب جناحي . ا

محمود البريلمان

بغداد

الى اخي ...

اهاجت بك الذكرى لمسولة حوا ام اعتدت مر الهجر فارثحت للنجوى
حنانك بعض الجهد - يا ص - فالهوى يهب كما يهول ، لا مثلاً تهوى
افانين هذي الروح . . نكبا . بعضها وبعض يوافيك الجنب بها رخوا

فديتك . لا فني بأول عارض فما اللذة الكبرى سوى النهاية القصوى
لان كان هجراً جالِباً لك داء . فذاك دواء . في النهاية لا ادوا
فرب حبيب مظهر لك صده يعاكس قلباً في غلاته يضى
ايهل منك الود تصفيه مشرباً وتعطي مقاداً بعد ذلك لا يالوى
فلا هو عن حبيك تجديه ساءة ولا انت بالسالي لايامه الفدوا
وليس بنساده وان كان زائراً بكل اخي حب تمس بالبلوى
كشكك للنازين نار صابة ونار بها تكوي العذول ولا تكوى
ومثلك اليومين يوم شدائد ويوم به يستطر المن والساوى
ومثل يراع في بنائك مشرع على نحو الرمح ساعده الاقوى
ينث دما في حالة وباختها ينثر ورداً عن شمائله يروى

لك الفكر رفاقاً على كل زاهر صباحاً يشيع النور او ينثر الشدوا
تنقل في الامواج للنجم واهباً تآله والطير في روضها شدوا
يطوف ايجي او يطوف ليجتي فيروي غليلاً من مجانيه او يروى

لك الذوق كاليسوب عند خلية يقط غريباً شم من فيه ما يجوى
تحير للاسراع اشهى تالفظاً واذذب جرساً من محجلة نشوى
فللئين ما ترتاح فيه مسارحاً مدى العين ما تجلوا بمنظوره العشوى
وللعقل ما يسويذي العقل صاعداً الى الافق الاعلى الى ساحة النجوى
اثاتك . ان الصبر اهدى حجة الى الهدف الاسمي الى قلب من تهوى

محمد رضا سرف الدبره

جدة

فورة اللمس

اي نور يضي . عينيك زهراً ان تمرين في مع الاشباح ا
اترى تملأين نفسك بأشأ ثم تروين بأسها من جراحي ؟
اتحسبن ثورتي خلف صتي واختناق الآمال خلف مراحي ؟
كل يوم سنلتقي مثل ظلين بطوقان عالم الارواح
لا حياة في نظرتينا ولا شوق لاسر او مأمل في صباح
فورة اللمس خمرة حين فاضت سكبت نفسها من الافداح

اكرم الوزني

بغداد

أ

سجين وسجني يضي
أأبكي؟ ومم البكا؟
زأبت وكيف الرجوع؟
وهانا وحدي غريب
غريق بيأس . ميمت
لجانا هنا متعبين
فلما أتانا الصباح
غريب وقلبي غريب
فيا نفس كفي الانين

اسبر برأى طليق
واشكو واين الصديق؟
وبي الف وهم يجيق
بلا مؤنس او فيسق
وقلبي بيأس غريق
وقلنا غداً نستفيق
وقنا ، ضلنا الطريق
وبي السف وهم يجيق
تحملت ما لا اطيع

عبد الرزاق عبد الواحد

الكوبت



مهجريات افريقية

ادباء ... ولكنهم سعداء !

بلم محمد يوسف مفند

... روحاً، انتبهوا لاعمالكم، بلا ادب بلا بطيخ. الورق، لا يستقي مرق. ! هذه هي (النصيحة) التي يسمعها اخوان الشقة الادبية المعروفة في السنغال، كلما بددت منهم يواد تدل على اهتمامهم بهذا الذي يشبه البطيخ . . ولا يستقي مرقاتاً !
انها لسخرية رائعة حقاً، هذه التي يستلمها اصحاب الامية الفكرية في مخاطبة الادباء ! فمن المعلوم ، ان « المرقعة » هي اخس غذاء. وارضه، والعمل الذي لا يدرك على صاحبه حتى قيمة هذا الطعام الحسيس لا يستحق التعب ولا المبالاة به . . وهذا انتهى « البلاغة » في التعبير عن الاستهانة بالادب !

هذه الظاهرة النبية المجيبة في مجتمعنا ، يجب اخذها بروح الجد، والوقوف عندها بنائية الاكتراث والتأمل احتراماً للفكر والروح ! وان التضاضي عنها مع استمرارها على مدى الزمن للفكر والروح ! يجب ردها الى مصدرها، الى اصحابها ليحتفظوا بها لانفسهم ! يجب ان تسخر منهم كما يسفرون منا ! يجب ان نفهمهم لانهم لا يفهمون . ان نعم الروح والفكر هي نعم متوازية تقف

فيه « الثلاث » التي استقبلتها
قارح، مهادك الله، يا ابننا شاطرا
يروت امك، ان نسيت حناخا
عودا الى حضن العروبة انه
يكفي الهاجر ما جا من انهم
وبلاول خنق الكشار نشيدعا
لست الشئ، انا الشئ لانني
وبقيتها غمر الشباب الرزق
في ذمة الآباء لم يترق
لا تنس غيرة ضرة في جلق
سجن يطيب لكل حر مطلق
حاق الضباب جا قلم تنالق
فحيبها كفن من الاستبرق
ابى... وقضى، لا جملك مني!

جوسج صبرج

جوسن ابرس

عندها نعلمهم الارضية يجب « تأديهم » .
وتصورهم اهزل الصور ارم معذورون خيلهم ،
ولسنا معذورين لعلنا . ليس من المؤسف
ان يكون الاذكياء سخرة الاغبياء . !

نحن لا ننسى ان يصبح الناس كلهم ادياء . ولما ننسى ان يزول
الكفر بالقيم الروحية ، ويحل محله الايمان الحاصل بمجمل الفكر
والعقيدة ، واليقين الصافي بان الادب من المنافع العقلية . وان
الحبر على الورق الذواغلي من « المرق » . !

ان الادباء غير زاهدين بـ « المادة » كما يظن اصحاب الامية
الفكرية انهم على طلبها اقدر على الانتفاع بها من الماديين
انفسهم . . ولكن الفرق انها في نظرهم ما كانت ، ولن تكون
جوهر الوجود !

ان الادباء سعداء في حياتهم اكثر من جميع البشر لانهم
قادرون على تذوق طعم الحياة بجميع لذائذها المادية والروحية .
انهم يقتطعون للروح الادبي والفكري ، كما يقتطعون بالصقعة
الرائجة سواء بسواء . ان الطعام قوت ، والادب قوت . وان الذين
لا يستطيعون الثقت بغير ذوق واحد ، هم الاغبياء .

الواقع ان الادب المفطور ، لا تلهيه تجارة ولا يبيع عن ذكر
الادب . حتى ولو لم يكن منتجاً ، يظل قادراً ومتحرراً ومتبعاً . .
والواقع انه « ينسر » كثيراً من منافع المادية في اعتبارات الشؤون
والمساعي ولكنها الحسارة « المفروضة » التي ليس له منها بد
ولا مناص ارضا، لروحه وشعوره ! فالادب المفطور كالماشق ،
« محتوم عليه » بحكم ميوله الفنية والجمالية ان « يضحي » غتاراً
متطوعاً والى حد ما ، بعض الاعتبارات المكسية « المفيدة » .

رماني الدر في السنبال غنا
ادى الدنيا يعني بيت شعر
يقول لي للهاء « غلط جداً ! »
الحنا ، واتجر ، فالجعب غير
وكم قول ضربت به الرزبا
اطمت عواذلي ، وتذبت طبعي
باني تاجر . . حاشاي ابي . .
معانيه تظلف بكل حسن
وبوسك من خيالك والتعني . .
من العلم الذي لا نفع بي . .
ونسأل وفرت عليه اذني
الى ما لم اكه ولم يكني . (١)

ان شئتنا الادبية في السنغال رغم « مادية » المحيط وعدم
قابليته للنشاط الادبي لم تهجر الحياة الادبية فيها بينهم . ورغم
تفرقتا مركزياً لتلتي دائماً - بحكم اعمالنا - بذكر وكولك ،

(١) للكاتب من قصيدة .

ويحل الكتاب محل ثوب البضاعة . والسؤال عن الجديد الأدبي محل السؤال عن جديد السوق . ان وراء كل (كتنوار) لنا (مكتبة) حافلة بشتى الصف والكاتب . وفي اجتماعاتنا الخاصة في النهار والسهرة نخوض في جميع المواضيع ، ونبادل افانين الفكر ، وأفاق الرأي حول ما قرأنا في الصحف ، وصنناه بالأذاعة . فتجادل ، ونحلل ، وننكت ، ونعلق .

قلت «اجتماعاتنا الخاصة» وهي مقصودة قصداً ، ابتعاداً عن لا يقدرونا ولا نقدرهم ، وحرصاً على (بضاعتنا) التي لا تروج بغير اسواقنا . اذكر - على سبيل المثال - اني اتيت من نيورو ذات نهار الى كولك احمل قصيدة جديدة لأقرأها امام الاخوان . ولكن اتدري اين قرأتها ؟ ركبنا السيارة ، وخرجنا بعيداً عن المدينة - وراء الملاحه^(١) وهناك قعدنا ، وقرأنا القصيدة .

وبعد ، فاليكم هذه المتفرقات الأدبية ، فانها تعطيك صورة عن حياتنا - اخوان الادب - في افريقيا :

اعتدنا - اخوان كولك - التزول حينما يهبط العاصف (ذكر) عند احداث محمد مكسي . لاحقاً بتلك (الدخينة) التي يسكنها بل حبا بالحرية «التامة» التي تحمل عليها عتده ، ولا تحصل عليها عند سلمان امون او حسين خشن مثلاً . ثم حبا بإرسياتيه اللواتي لا ينطقن عن محله . ومحمد مكسي ، او القزم كما كان يحلو لبعضنا ان نسميه ، شاب على جانب من اللطف والنعومة ، وخاصة مع الشقراوات .. ولا عجب فهو شاعر .

دخلنا عليه مرة على فجأة ، فوجدناه قائماً يصلي .. وهو من نعرف ..!! فقال ابراهيم حاوي على الفور :

ومن المجائب ان بيت (....) صارت تقام بركته الصلوات ! فقال غيب صعب ، وهو اخبنا في التعليل : هذا البيت ينبغي ان يعلق لفة على الباب !

وارسل غيب صعب يوماً قصيدة جديدة لغيف نصار ليطلمه عليها ويرى رأيه فيها . وكان اجل بيت في القصيدة يتضمن كلمة نادرة وغير منسجة مع شاعرية البيت . ولما وصل اليها غيف قال له : ان وجود هذه الكلمة هنا ، كوجود اليهود في فلسطين . ا

وغيف نصار هذا ادب ذو مقدرة في التعليق على غايه من الطرافة : قرأ مرة ما كتبت «المعهد» عن مجلتنا الأدبية

(١) موضع معروف بكولك .

«الاماني»^(١) التي كنا نزمع ان نعيد إصدارها يومئذ ، فعلق على الماشر ما يلي : اميركا اليوم بدأت بتنفيذ مشروع مرشال ، فقاوضوها بقرض لاصدار الاماني ..

في احدى سنوات الحرب انقطع السكر ، وتعذر على الناس شرب القهوة الا فيا ندر . وحدث ان ارسل ابراهيم حاوي هدية سكر لاحد اصدقائه يذكر مع رسالة فكاهية يطبخ فيها بوصف هديته واهميتها وببالغ . وقيل ان هدية السكر وضعت سهواً في كيس الملح ، وقيل ان الصديق حاوي علمها قصد أوخطأها . ولما وصلت فرح بها مهادها فرحاً عظيماً ، ودعا صديقه يونس يونس الى شرب القهوة . ولم كانت دهشتها عظيمة عندما رشقا اول رشقة . ولما حلل كتابا رسالة الى مهدي السكر المالح . وصدراها يونس يونس بهذين البيتين :

نفسك في وصف الهدايا وحسنا وجاورت في تيان افضالنا المدحا وحلتها ، حتى استحال مذاقها اجابا ومضى ماسكرها ملحا؟

ويونس هذا ، هو القائل - من قصيدة طيبة - يهجو بها احد المتشاعرين :

لم نلت من عمل لكي نأبى به فندوت من اجل البطالة شاعرا . كثرت العلة الزوقية كثرة متضخنة فقال احداثا بذلك^(٢) : اياك حنة كثرت عددا وقت قبة وجلال شان فلو حلت حل اثنان منها فليس يالغ ثن الاثنان !

زرت يوماً الصديق حنا الكوسا بسان لويس . فشاهدت في غرفة النوم صندوقاً كبيراً يحكم الاقفال . فطلنته صندوق بضاعة (محرمه) وكان الزمان ايام حرب ، والبضاعة المحرمة اربع انواع السلع واروجها . والصديق حنا معروف بالانجار بها . ثم تبين بعد ذلك ان الصندوق يحتوي مكتبة قيمة ، فسال لما في عليها . ولما ذهبت ، تركت على المكتب الابيات التالية :

ارى خبزاً ، ولست ادى زجلا عليه اهل غشت لنا الطحين ؟ فساخبر الصديق بذي رواج وخبر الحزب ما تقع البطونا . ولكني لذلك ، لا لهذا من القسوليين الجائعين انشكو الفقر والالباء مثلي وبينك يحتوي كترنا نجسا ؟؟ ومن دفن الكنوز ومن فيها بيش - ما عاش - شر المدينا وما قم الذخائر غير بذل ووضع بين ايدي المارقنا

(١) يوجد منها مخطوطتان . واحدة لدى القنصلية اللبنانية بدمر ، كتبت سنة ١٩٨٧ في ٩٦ صفحة . ومخطوطة اخرى في ٣٦٠ صفحة لدى الكلية الجفرية كتبت سنة ١٩٨٨ وقد سام بغيرها جميع اخوان الادب العربي في افريقيا .

(٢) للكاتب من قصيدة

فهب لي من « غداة » كتاباً
وفي اليوم التالي ، ارسل لي الايادى مع الجواب التالي :

ومن غيب الغول جئت كثيراً
عرضت صنوفه لوفاً فلوفاً
فأبوا بالهبات والمطايا
واذ برح المغناة وجدتها
وقسا في « ديوت الملاء » هوتا
فحين رأيت كترتي كدغيتي
دفعت من الجواهر ما بقى
ومن ترك الكنوز لكل سلب
ولم عرض الكنوز ، وقد تشاوى
فان بثت الدفين خار اس

كنا يوماً بدكر . وفيما نحن نجول في احياء المدينة استعري انتباهنا بناية جميلة باربعة طوابق . ولج بنا الفضول ، فسلنا عن صاحبها ، واذا هو من نعرف . انه احد اغنياء الحرب .. ترى لماذا اختارت الاقدار هذا الفسل واجلسته على صدر هذه النعمى ؟ حتى اصبح يلعب باللائين كما تلعب نحن بورق اللعب . وما مشينا خطوات حتى نظم احدنا الايات الثلاثة الآتية التي تداولتها الايدي بسرعة ، وحدثت في نفوس الاغنياء ما حدثت . اذ ظننا كل غني انها قيلت فيه . وهذه هي :

امن العدل ان نرى كل غر
مزل الدهر ، فانغى رقاء
(حكمة) نضرم الخيط غيظا

زوج (فلان) ابو علي ابنته . وابو علي هذا رجل قروي فلاح ومن الجيل القديم : بيد انه بارز بين الناس بصفتين : الشح الشديد ، وسوء المعيشة في بيته رغم انه من (الزناكيل) . والاييات الهجائية التالية نظمت به . ولكن احداً منا لا يدعيها حتى ابراهيم حاوي الذي له يا اصبح . ولكي بالاتفاق مع غيب صعب ويونس ، قلنا انه هو ناظمها كلها لتورطه . لا سيما وان الصديق حاوي له في الهجاء اليد الطولى . الم يهيج الدكتور (م) ، ثم هجانا نحن اصدقاؤه اذ دع هجاء . ولكن هذا (الحظيعة) رغم انه (مقدم) في هجاء الناس ، جبان متمتع الجبن . فان اقل حادث حكومي او غيره كاف لطرحة في الفراش . او قوله يوم دعي مرة الى الكوميديا - اكبر شاهد على ذلك :

.. ولقد ترادى خدما خو في
حق بليت بلة الجوف !
ولطالما لفتنا (الروايات) لتستمتع بمخاوف ومشاهدة (التدابير) التي بلجا اليها . وها هي الايات المنسوبة الى حطيتنا :

ذوجت بنتك يا (فلان) ابو علي
عينك (الطلم) الذي البسته
لواه لم تلبس جديداً موتاً
اخلع ثياباً عاصرت عهد الصبا
كل طيباً لم تحو قدرك مرة
تألف ما فوق البسيطة مبتلي
فاضحك ملياً طالب دهره واسم!
من مهره الشكرم للتفضيل
ولدمت بالثوب الذي لم يسل !
ووعت قديك في الزمان الارذل
قبل العريس سوى خيست المائل
الاقربتك التي لا نائي ..

واخييراً ، لا آخر . هذه الساتحة : استندت مرة (بالة) بضاعة من احد تجارنا الكبار . وهو رجل طريف الروح ، ذواق للادب على احسن ما يرام ، على غير العهد بتجارنا . وحدث ان ابطأت عليه بشن (الباله) . فكتب لي رسالة مختصرة تم عن ذوق رفيع في الاداء والتفصيح ، واستشهد بهذا البيت المشهور :

قضى كل ذي دين نوفي ديونه
وهزة بمحول ميني غريها ..
فكتبته له : سيدي المطول المعنى .. (كثير) . رسالتك امتازت بثلاثة محاسن : مختصرة ، شأن كتابة كل تاجر كبير « ثمين » الوقت .. ومهذبة في المطالبة شأن الدائن الكريم ، وطريقة الروح كلها فقها قلم اديب ! حتى لقد اوشكت - لغرط اعجابي - ان امتدحك ، لولا خشية ان تظن اني طامع بك . فانت رجل مريض ، ولا مطمع فيك لاحد .. ولكتك - والله ! - لو لم تكن تاجر ! لكنت اديباً ، لقد تصورتك ، لتشكل بذلك البيت ، كيف تقضي الباقي بحسبان ، ما يوحي انك تنام على مثل حشك السعدان . ان (الباله) قد بعثنا ، ووفيت غمها دائماً لا حول له ولا قوة ، فبدأنا على حورك وقوتك . فاهمني الى الموسم !

وجاء الموسم ، ومضى شهر ، ولم ارسل له الدينة .. فارسل لي هذا البيت الوعيد :

وهذي شهور الصيف عاقدت
والى الفور ، ارسلت له الدينة مع الايات التالية :

الا اجماع (الصب) الذي ليس سالباً
نقول لوى ديني ، فأنف لشأنه
فما ابطأت كفي ، ولا اتاقت بدي
وناك وفاة الدين نقداً ، واتي
سروري وعجي في ذلك ناديا !
وليس مطالاً ما نرى ، بل ندأوا
ولكن دهري مطبى في مرايا !
وفيك نقداً حاضراً ، وقوانيا .

اما بعد ، فعسى ان يجد الذين كفروا بمجال الحياة الادبية في هذا المقال ما يوفيه عن نفوسهم المتعبة . كما ارجو ان يكون (شوكة) في عيون الذين يتساوى عندهم الادب والبطيخ . انا نتاجر ، ولا نتم الادب ، ونتماطى الادب ، ولا نبخس ، التجارة ، « وكل في فلك يسبحون » . ا .

كوكلك - الشغال محمد يوسف مفند

